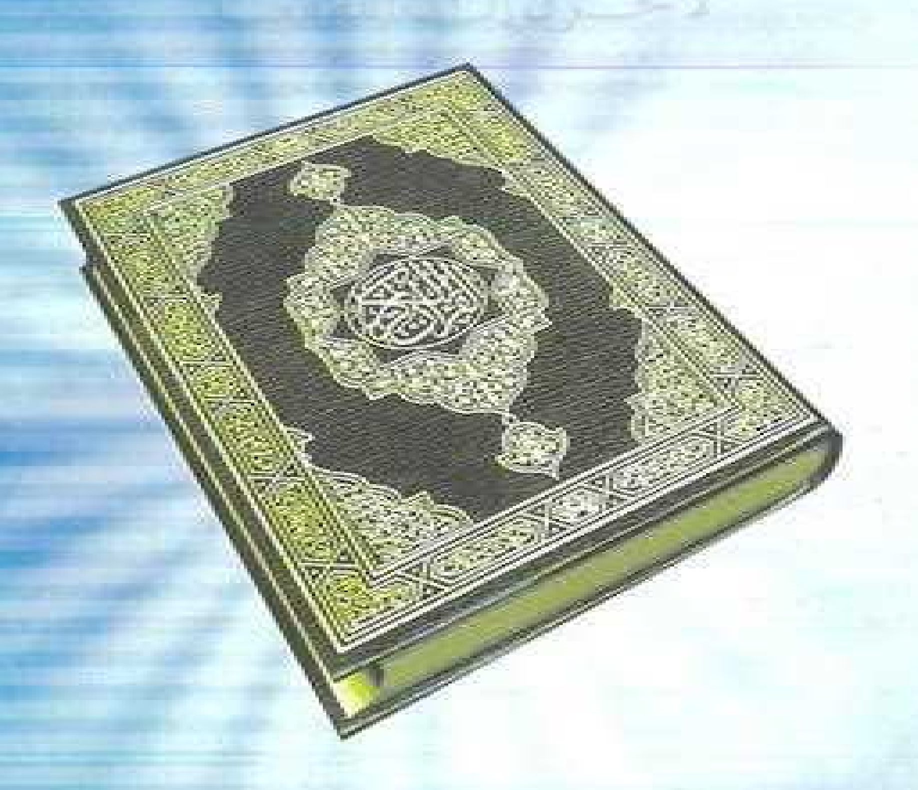


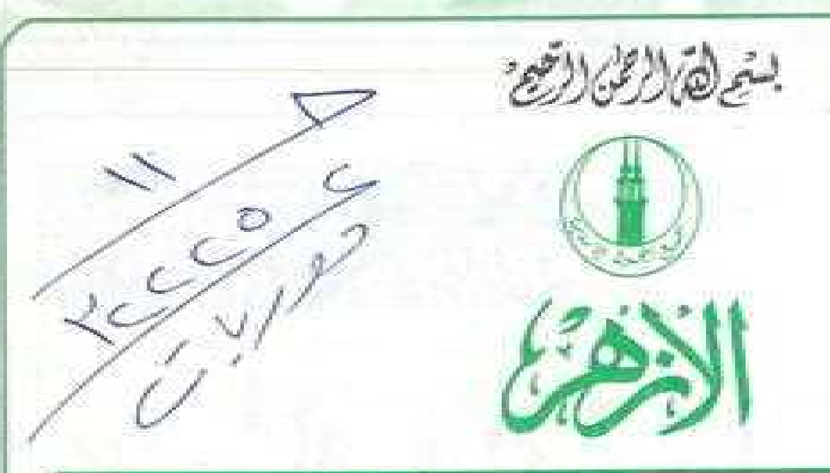
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
المحرم ١٤٢٧هـ - فبراير ٢٠٠٦ - الجزء ١ ، السنة ٧٩

هدية العدد
من الأدب النبوى

لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

المحرم ١٤٢٧هـ - فبراير ٢٠٠٦م - الجزء الثالث عشر - السنة التاسعة والسبعون



افتتاحية العدد

مِنْ مشاهدِ الهجرةِ في الشعرِ المُعاصرِ



البارودى   شوقى

أكثرَ الشعراءُ من حديث الهجرة النبوية، حتى ليتهيأ للدارس أن يجمع ديوانا كبيرا، يحفل بالرائع الجيد، مما قيل، ولكن بعض ما قرأناه يفقد اللوامع الساطعة من بوادر الذهن، والأفواف النضيرة من وشي الخيال، لأن قائليه قد تعمدوا سرد القصة التاريخية بروح المؤرخ لا بإلهام الشاعر، فطالعوا القارىء بما يعرفه سلفا، دون أن يثيروا انفعاله بتصوير مشهد حي، أو تحليل خاطرة مؤثرة، مع أن مشاهد الهجرة تحفل بكل ما يلهب العاطفة، ويوقظ الأحاسيس حين تجد عازفا ملهما يضربُ على أوتار القلوب بأروع الألحان، ومن مأساة الشعر الديني أن الدخلاء في ميدانه أكثر جمعا من الأصلاء، وأنهم - في أكثرهم - ينظمون لينشدوا في المحافل فهم أحرص القائلين، على صخب الجرس، وجهارة الصوت، وافتعال الحكمة الذهنية التي تلصق في السياق إلصاقا، دون أن تكون نتيجة محتومة لما سبقها من المقدمات، وهي موضع التصفيق المرن، ولو علم هؤلاء أن الشعر لا يسمع فقط، ولكنه يقرأ ويستعاد ليأخذ مكانه الفني بين الدارسين، لو علم هؤلاء لتركوا الشعر إلى النثر، فلا يضير القائل ألا يكون شاعرا ولكن يضيره أن يرغم الناس على استماع ما لا يرتفع إلى مستوى الفن الصحيح.

شعراء البردة

كان من المتوقع أن يتعرض مادحو الرسول لحادث الهجرة، ولكنهم يحرصون على تتبع السيرة النبوية من بدء إلى خاتمة، تتبعا يضيع معه الروح الشعرى في بعض الجوانب، ولهم عذرهم حيث ألزمهم رائدهم الأول البوصيرى بنسق من القول يحتذونه مكبرين، وقد ألمّ البوصيرى إلماما

طائرا بموقف الهجرة وتحدث عن الغار والحمام والعنكبوت فقال:

فالصدق فى الغار والصدق لم يرما   وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على   خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأُطم

وهو إلمام سردى تقريرى حاذاه شوقى حين قال فى نهج البردة:

وهل تمثل نسج العنكبوت لهم   كالغاب والحائمات الزغب كالرخم
لولا يد الله بالجارين ما سلما   وعينه حول ذاك الركن لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا   ومن يَضُمُّ جناحُ الله لا يُضَم

أما البارودى فكان فى مشهد الغار شاعرا ملء نفسه، إذ سمح لخياله أن يرسم مشهدا للحمام والعنكبوت من أجمل ما يصدر عن شاعر مصوّر! فقد جعل الحمام الرقيق يترقب مجيء الزائرين الكبيرين، حتى إذا انهلّ نورهما تبوأ أعلى قمة في الغار، ووطد نفسه على الإقامة الدائمة، فبنى العش سريعا، واحتله سكنا حافظا مباركا، وما قدم الأليفان من الحمام هذا المقدم إلا لسر إلهى حين يكون كلاهما ديدباناً يقظا، يرعى المسالك من بعد، ليؤدى واجب الصيانة والحراسة، ويستعين على السهر المتواصل بالنغم الشجى يسوقه أحدهما هديلا، ويرجّعه الثاني حنينا! على أن الحمامة رشيقة صغيرة يخالها من يراها كرة ناعمة ملساء، هذا إذا سكنت فى العش، ولكنها تترك حذرها حينا لتروى الصدى من نبع قريب، فإذا رفرفت سكنت الظل، وإذا وردت نهلت النمير، ويا لها من ذات شكل رائع فهى مرقومة بالمسك فى جيدها، مخضوبة بالعنم فى ساقها وكفها! هذا نمط من التصوير الحى رسمه البارودى حين قال عن رسول الله - ﷺ:

فما استقر به حتى تبوأه   من الحمائم زوج بارع الرنم
إلفان ما جمع المقدار بينهما   إلا لسر بصدر الغار منكتم
كلاهما ديدبان فوق مربأة   يرعى المسالك من بعد ولم ينم
إن حن هذا غراما أو دعا طربا   باسم الهديل أجابت تلك بالنغم
يخالها من يراها وهى نائمة   فى وكرها كرة ملساء من أدم
إن رفرفت سكنت ظلا وإن هبطت   روت غليل الصدى من حائر شبم

مرقومة الجيد من مسك وغالية ... مخضوبة الساق والكفين بالعنم

أما العنكبوت فلم يفت البارودى أن يمنحه خاطر الشاعر الملهم، حين مد البصر من وراء الغيب فشاهد خيمته التى تنسجها فى حذق وإتقان، إذ شد أطنابها فاستحكمت وتأصلت وأدركتها قوة الله فنهضت بلا دعم، وكانت فتنة الناظر يخالها من يشاهدها ديباجا سابريا[1] صنعه حائك فارسى تعود الإبداع فى وطنه الشهير بالديباج! وقد أدت دورها الإلهى حين وارت فم الغار عن الأعداء فكانت ستارا يصون وجه القمر النير فمكث خلفها كالدر فى البحر والشمس خلف السحاب؟ أى إبداع حكاه البارودى فى قوله:

وسجف[2] العنكبوت الغار محتفيا ... بخيمة حاكها من أبدع الخيم

قد شد أطنابها فاستحكمت ورست ... بالأرض لكنها قامت بلا دعم

كأنها سابرى حاكه لبق ... بأرض سابور فى بحبوحة العجم

وارت فم الغار عن عين تلم به ... فصار يحكى خفاء وجه ملتثم

فياله من ستار دونه قمر ... يجلو البصائر من ظلم ومن ظلم

يظل فيها رسول الله معتكفا ... كالدر فى البحر أو كالشمس فى الغسم

لقد قدم البارودى بما قال عن الحمام والعنكبوت مثالا لمن يريد استيحاء المشاهد الرائعة، والمواقف المؤثرة، وكان على تلاميذه أن يجعلوا هذا المثال أمام عيونهم حين يتجهون إلى الإبداع الفنى، لأن ريشة المصور الماهر يجب أن تتفنن فى التلوين والتوشية، لتعطى المشهد حقه من الظل والضوء واللمح والإيماء! هذا شاعر القرن التاسع عشر قد قدم الأنموذج الرائع لخالفيه، وإذا لم يحذ هذا الحذو الحى فى سائر القصيدة فحسبه أن قدم المثال فى كهولته المغتربة ليحدث دويه ويبعث صداه.

أنمــــوذج ممتـــاز

بين البارودى ومحمود حسن إسماعيل فاصل زمنى مشهود، ولمحمود إسماعيل خيال واسع ورصانة قوية، ولو برىء شعره من تكلف الغموض حينا، وغرابة الاستعارات وتكاثفها الملح حينا آخر! ولو برىء شعره من هذين لكان شيئا آخر، وقد نفحه رسول الله فبرىء من تكلفه وغموضه فيما قال فى الهجرة النبوية، وقد كان فى هذا المجال سمحا فياضا يجود كل عام فى مطلع المحرم بما ينال إعجاب الدارس وحمده، فهو فى بعض قصائده يتحدث بلسان العنكبوت، إذ

---

(١) السابرى ضرب من الثياب رقيق. الصحاح مادة سبر وهو من أجود الثياب.

(٢) السجف الستر. وكل باب يستر بسترين مشقوق بينهما فكل شق منهما سجف «العباب الزاخر».

تسمّع إليه الشاعر من وراء الأجيال النازحة وهو مجد فى نسج خيوطه فوق فم الغار، تسمع إليه فرآه مفتخرا مباهيا، يقول: إنه ينسج أقوى الحصون من أوهى الخيوط، وقد وقف الدهر مذعورا أمام بابه لا يستطيع أن يلج! حتى شعاع الضحى قد عجز عن النفاذ، لأن قدرة الله معه حين جعلته أمانا للمستجير! وإذا كان بيت العنكبوت أوهى البيوت فهو هنا محراب العصور، وقبلة الأنظار حين استطاع أن يخفى وجه البدر عن الأنظار ويرد بطش المغير؟ ماذا يقول العنكبوت كما أنطقه محمود حسن إسماعيل:

فى سـبيل الله دورى ... يا خيـوطى فى الأثيـر

أنا نساج الحصون الشم ... من أوهى الستـور

وقف الدهر على بابى ... مذعور الضميـر

وحجاب الشمس لاقا ... نى بأجفان الغرير

أنا شك جاء يحمى ... كل إيمان الدهور

أرسلتنى قوة الله ... أمان المستجيـر

قد وهى بيتى ولكن ... صار محراب العصور

بالذى أخفى من الأنو ... ار فى وجه البشيـر

فارفعى يا حكمتى سـد ... أعلى بطش المغيـر

وتغنى يا خيوطى ... ثـم دورى ثـم دورى

قد أبدع الشاعر حين تخيل حوارا رائعا بين الحمامتين، تتساءل الأولى عن سبب مجيئهما إلى الغار، وتجيب الثانية بأنهما هجرتا الزمان والمكان لتحميا النور من الظلام، تقول الحمامة:

فالعنكبـوت يغنى ... وينسج التبيانا

ونحن نلقى نشيـداً ... نشجى به الأكوانا

ونسحر الجيش حتى ... يفـر حين يرانا

أما وثبة الخيال الملهم حقا، فتتجلى فيما أنطق به الشاعر ثعبان الغار، إذ أخذ يعتذر عن لدغة الصديق لأنه حاول أن يسد عليه الطريق فلا يقابل النبى المختار، مع أنه قد لزم الغار تشوقا لهذا اللقاء، هذه وثبة شاعر حقا قفزها محمود حين قال على لسان الثعبان:

تبــــي الـــــلــه يــــا هـــادى ... ويـا ترنيـــــمــة الحــــادى
ويـا تـــبـــيـحـــة الركـــبـــا ... ن فى الكـثـــبــــان والوادى
ويـا تـوبـة آثـام الـلـيــــا ... لـى تـاب إنـشــــــــادى
وجـــئـتـك خـــاشــعــا مـــاتـت ... تـواقـث ســــمى العـــــادى
وصـــاح بقلبي الغـــفــــران ... صــيـحـــة مــغـــرق صـــاد
أغث لهـــفـى وطـهــــر نـار ... تـــبـــيـــحـى وأورادى
لدغت صــفـــحـيـك الصـــد ... يق حــــين هـفـــا لإبعـــادى
وخــــفت أذوق حـــرمـــان ... الســنـا من طيـــفـك الهـــادى

والبيت الأخير يفسده كل تعليق !.

من فحـــول الشـــعراء

تحت هذا العنوان نشر الأمير شكيب أرسلان بافتتاحية العدد (١٨٦) من مجلة الفتح مقالا عن الشاعر الإسلامى الكبير الأستاذ محمد حسن النجمى قال عن شعره: «إنه يعتنقه الطبع، ويشربه الخاطر، وتتمثل قافيته من أول بيته، إذ يدل على ملكة غير معتادة، وطبع متناه فى الصفاء، ومكانة فى اللغة رفيعة، وتصرف فى القول نول صاحبه به كما أراد»، ثم قرنه الأمير بأبى تمام فى موازنة بارعة ! والشاعر النجمى ذو ديوان حافل زاهر لايزال مخطوطا ! وله فى الإسلاميات مدّ زاخر لا ساحل له، وقد تعددت قصائده النبوية، وتحدث عن الهجرة كثيرا، ونختار له بعض ما قاله فى سراقة، هذا الذى أغراه المال فتبع موكب النور ليغوص به فرسه فى الرمال، ولينقذه الرسول بدعوة مباركة، وإذا كان الأمير قد قرن النجمى بأبى تمام فإنه يعنى ما يقول، إذ من صفات شعره الاهتمام بالنسج البيانى تشبيها واستعارة وكناية لتظهر المعانى فى حلة يزفها البيان ويوشيها البديع.

ونحن هنا مع سراقة بن مالك إذ يطمع فى جعل يكسو به ظهره العارى ثوبا من المجد، وقد نسى أنه بإزاء صفقة خاسرة تعمد فيها البائع أن يغبن من يشترى، ويا لها صفقة مغبون تخسر الشرف وتكسب الدينار، وقد غره السراب فامتطى فارعة من تياق الدوّ، تسابق الريح فتربو عليها ركضا وعدوا وترميها بإعصار لا يقاوم، وما له لا يفعل ! وقد أغراه بالليث فى عرينه أمل





شكيب ارسلان



أحمد محرم

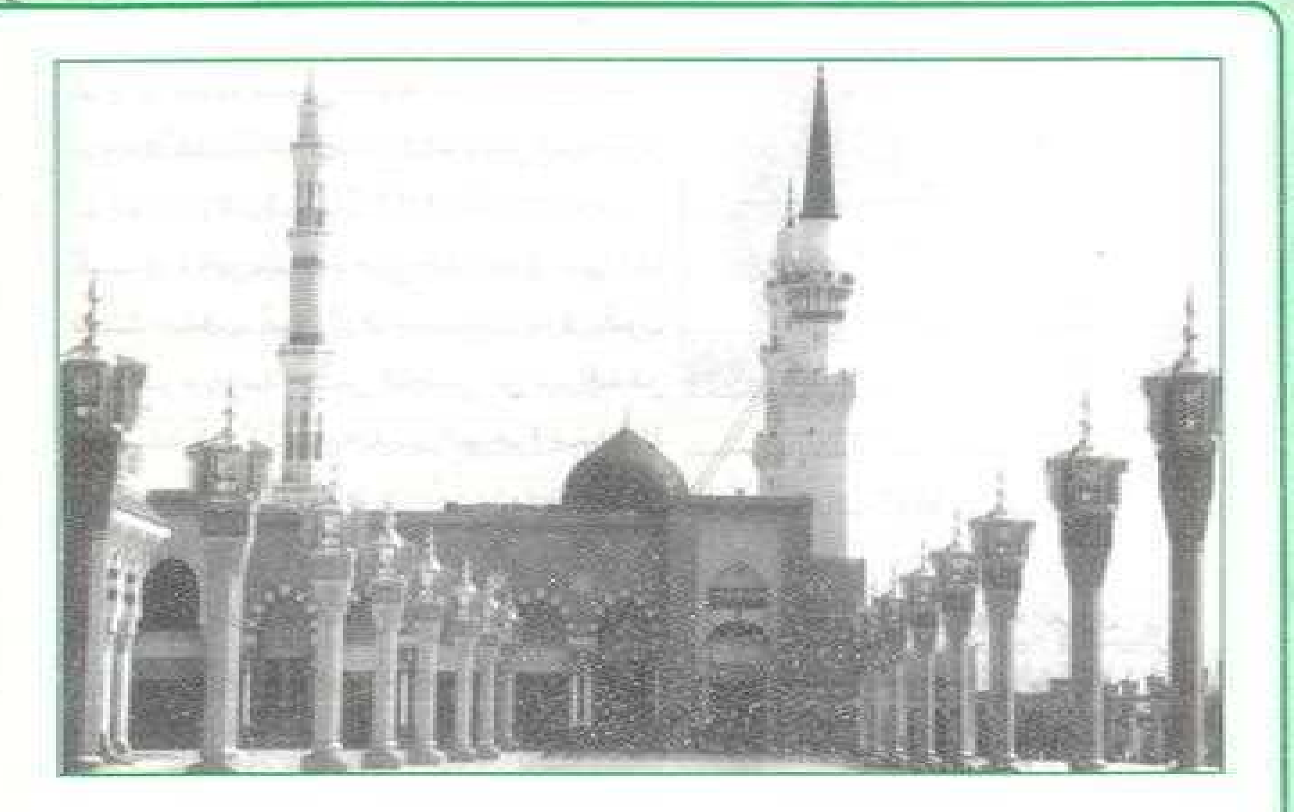
غرّار لم يلبث أن تبين وهمه حين خبا زنده وفتر عزمه فالظ بالأرض لاصقا كأنما سمر فيها ! لولا أن أنقذته دعوة رسول الله ! وقد وعده سوار كسرى فآمن بالوعد حتى تحقق بعد حين ! إن شئت مذهب أبى تمام فاستمع إليه فى قول الشاعر محمد حسن النجمى عن سراقة من قصيدة طويلة ألمت بحديث الهجرة مسلسلة مشاهدها فى دقة وإيماض:

رأى سـراقة فى الجعل الذى جعلوا ... بردا من المجد يكســو ظهره العارى
ومـــا درى أنه عند النهى ثمن ... فـيـه تعمـد غبن البائع الشارى
وهل كصفـقة مغبون يعود بها ... من باع للإثم عـقـبـــاه بدينار
فاسـتقبل البر يرمى بعد شقته ... بلهـقة من بنات الدوّ[٢] مـحضـار
تربو على الريح فى قطع المدى طلقا ... إن راكضتها وترميها بإعصار
يغـريه بالليث فى عـرينـــه أمل ... يقـتـاده بسـراب منه غـرّار
فسله فى هيئة مـاذا أحـــاط به ... من البلاء فـأكـدى زنده الوارى
ألظ بالأرض لا يجتـاز موضـعـه ... كـأنه عـالق منه بمســمار
لو لم يلذ برسول الله ما كشفت ... عنه العناء يد باد ولا قــارى
ولا تجلـى هلال الأفق فـى يـده ... من حُلّى كسرى ولا جلىّ بمضمار

اســتقبال المدينــة

أحمد محرم أشهر من تحدثوا عن تاريخ الإسلام، وسجلوا وقائع الصدر الأول فى رحابة أفق، وامتداد نفس، وديوان «مجد الإسلام» الذى صدر بعد وفاته يشهد له بعمق النظرة وسعة المحيط، وموضع النقد فيه أنه تحدث عن السيرة النبوية بعد الهجرة

(٢) الدو: القفر من الأرض وبنات الدوّ: حمير الوحش.



ككل، فألم بالصغيرة والكبيرة، وكان عليه أن يختار من المشاهد ما يصلح أن يعالجه الشعر باعتباره مادة موحية تخلق من الأحاسيس عالما جياش الحركة، دفوق الفيض، ليظل الوهج ممتدا فى كل القصائد، ولكنه وقف عند جزئيات لم تساعده على التحليق كثيرا، وهو مشكور مأجور لما أسلف من جهد ضخم، يدل على أصالة فنه، واكتمال موهبته.

وننقل من ديوان «مجد الإسلام» بعض ما قاله فى حادث الهجرة، إذ تحدث عنه بما أعجب وراق، فتابع أدواره حتى بلغ نهايته فوقف مستأنيا ليصور استقبال أهل المدينة للوافد الحبيب، فرأى بعين بصيرته ديار يثرب وقد حملت نار أشواقها، وهفا بها الحنين الأطول للقاء النبى المهاجر، فالقوم فى الانتظار جوانح تتململ، وأعين ما تنام، فهى تتطلع إلى الفجاج متلهفة فى شوق، هجرت المنازل ساكنيها، على حين كانت منازل مكة حزينة تأسف لرحيل محمد لتندفع وراءه! فياللمشهدين مشهد المستقبل يتدفع أماما، ومشهد المودع يسير من وراء! حتى إذا بلغ المسافر مقصده رأى معالم البهجة، فالمنازل تهزها نشواتها، قد رفت نضارتها، وطاب أريجها، وصدحت ألحانها فى موكب



لله أشرق بالنور!.

هذا تلخيص موجز لبعض ما هتف به الشاعر الإسلامى الكبير الأستاذ أحمد محرم إذ يقول فى مشهد الاستقبال:

أقـدم فـتلك ديار يثرب تُقبل ... يكفيك من أشـواقها ما تحمل

طال التلوُّم والقلوب خـوافق ... يهفـو إليك بها الحنين الأطول

القـوم مـذ فارقت مكة أعين ... تأبى الكرى وجوانح تتململ

أقبلت فى بيض الثياب مباركا ... يزجى البشائر وجهك المتهلل

خف الرجال إليك يهتف جمعهم ... وقلوبهم فـرحا أخف وأعجل

هجرت منازلها بيثرب وانتحت ... أخـرى بمكة دورها ما تؤهل

وقـدان هذا من ورائك يرتمى ... خجلا وهذا من أمامك ينسل

ماللديار تهزها نشواتها ... أهى الأغاريد الحسان ترتَّل؟

رفت نضارتها وطاب أريجها ... وترددت أنفاسها تتسلل

فكأنما فى كل مغنى روضة ... وكـأنما فى كل دار بلبل

هنُ العذارى المؤمنات أقمنه ... عيدا تحييه الملائك من عل

فى موكب لله أشرق نوره ... فيه، وقام جلاله يتمثل

إن إليازة محرم لفى حاجة إلى بحث كاشف، يسفر عن لآلئها المسكنة فى أصداف موصدة، فهى زاد للشبيبة المؤمنة، وقد جمعت تاريخا وفنا، فقارىء التاريخ مستفيد، وعاشق الفن مستعيد.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

الآيات: ٩٠ : ٩٢

قوله ـ تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ﴾

قال قتادة وعطاء: نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة. ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن.

وقال أبو العالية والحسن: نزلت في أهل الكتاب جميعاً، آمنوا برسول الله

ﷺ قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على ذلك، وطعنهم في نبوته في كل وقت، وعداوتهم له، ونقضهم لعهودهم وصدهم الناس عن طريق الحق، وسخريتهم بآيات الله.

ويمكن أن يقال: إن الآية الكريمة على عمومها فهي تتناول كل من آمن ثم ارتد عن الإيمان إلى الكفر، وازداد كفراً بمقاومته للحق، وإيذائه لأتباعه، وإصراره على كفره وعناده وجحوده.

ثم بين ـ سبحانه ـ سوء عاقبتهم فقال:

﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾

أى إن هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً وعناداً وجحوداً للحق

﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾

أى لن تتوقع منهم توبة حتى تقبل، لأنهم بإصرارهم على كفرهم، ورسوخهم فيه، وتلاعبهم بالإيمان، قد صاروا غير أهل للتوفيق لها، ولأنهم حتى لو تابوا فتوبتهم إنما هي بألسنتهم فحسب، أما قلوبهم فمليئة بالكفر والنفاق ولذا تعتبر توبتهم كلا توبة.

وبعضهم حمل عدم قبول توبتهم على أنهم تابوا عند حضور الموت، والتوبة في هذا الوقت لا قيمة لها.

قال القرطبي: وهذا قول حسن كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾

«النساء / ١٨».

وبعضهم حمل عدم قبول توبتهم على أنهم ماتوا على الكفر، وإلى هذا المعنى اتجه صاحب الكشاف فقد قال: فإن قلت: قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفراً فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى

﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾

قلت: جعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأن الذى لا تقبل توبته من الكفار هو الذى يموت على الكفر. كأنه قيل إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا مافعلوا مائتون على الكفر، داخلون فى جملة من لا تقبل توبتهم.

فإن قلت: فأى فائدة فى هذه الكناية؟ أعنى أن كنى الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة؟

قلت: «الفائدة فيها جليلة وهى التغليظ فى شأن أولئك الفريق من الكفار، وإبراز حالهم فى صورة حالة الآيسين من الرحمة التى هى أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة»(1).

والذى يبدو لنا أن الآية الكريمة أشد ماتكون انطباقاً على أولئك الذين تتكرر منهم الردة من الإيمان إلى الكفر فهم لفساد قلوبهم، وانطماس بصيرتهم واستيلاء الأهواء والمطامع على نفوسهم أصبح الإيمان لا استقرار له فى قلوبهم بل يتلاعبون به، ويبيعونه نظير عرض قليل من أعراض الدنيا، وشبيه بهذه الآية قوله ـ تعالى ـ فى سورة النساء

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾

«النساء / ١٣٧»

وقوله:

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾

أى الكاملون فى الضلال، البعيدون عن طريق الحق، المستحقون لسخط الله وعذابه.

ثم صرح ـ سبحانه ـ ببيان عاقبة الذين يموتون على الكفر فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾

أى استمروا على كفرهم وضلالهم حتى ماتوا على هذا الكفر والضلال فكأن الآيات الكريمة قد ذكرت لنا ثلاثة أصناف من الكافرين: قسم كان كافراً ثم تاب عن كفره توبة صادقة بأن آمن وعمل صالحاً فقبل الله توبته. وهذا القسم هو الذى استثناه الله بقوله:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

«النور/ ٥»

وقسم كان كافراً ثم تاب عن كفره توبة ليست صادقة، فلم يقبلها الله ـ تعالى ـ منه.

وهو الذى قال الله فى شأنه فى الآية

(1) تفسير الكشاف جـ1 ص282.



السابقة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾

وقسم كان كافراً واستمر على كفره حتى مات عليه دون أن تحدث منه أية توبة، وهو الذى أخبر عنه ـ سبحانه ـ فى هذه الآية بقوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾

أى ماتوا على كفرهم دون أن يتوبوا منه. وقد بين الله ـ تعالى ـ سوء مصيرهم بقوله:

﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾

أى أن هؤلاء الذين ماتوا على الكفر دون أن يتوبوا منه. لن يقبل الله ـ تعالى ـ من أحدهم ماكان قد أنفقه فى الدنيا ولو كان هذا المنفق ملء الأرض ذهباً، لأن كفره قد أحبط أعماله وأفسدها كما قال ـ تعالى

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾

«الفرقان / ٢٣»

وكذلك لن يقبل الله عن أحدهم فدية عن عقابه الشديد له بسبب موته على الكفر. ولو كان مايفتدى به نفسه ملء الأرض ذهباً، لأن الله ـ تعالى ـ غنى عنه وعن فديته ـ مهما عظمت ـ وسيعاقبه على كفره بما يستحق من عقاب.

قال ابن كثير: قوله ـ تعالى:

﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾

أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه قربة كما سئل النبى ﷺ عن عبدالله بن جدعان ـ وكان يقرى الضيف، ويفك العانى، ويطعم الطعام ـ هل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا إنه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين» وكذلك لو افتدى ـ نفسه ـ فى الآخرة ـ بملء الأرض أيضاً ذهباً ماقبل منه، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾

«البقرة/ ١٢٣»

وقال تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

«المائدة/ ٣٦»

ثم قال: وروى الشيخان والإمام أحمد عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول نعم، فيقول الله له: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك».

وفي رواية للإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب، خير منزل، فيقول الله ـ تعالى ـ له: سل وتمن، فيقول: ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرار ـ لما يرى من فضل الشهادة ـ ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب! شر منزل، فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول أي رب! نعم فيقول: كذبت! قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار»[2].

وقال صاحب الكشاف: فإن قلت: فلم قيل في الآية السابقة:

﴿ لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾

بغير فاء، وقيل هنا:

﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم ﴾

بوجود الفاء ـ؟ قلت: قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر، وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب، كما تقول: «الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجئ سبباً في استحقاق الدرهم، بخلاف قولك: فله درهم»[3].

وقوله ﴿ ذَهَبًا ﴾ منصوب على أنه تمييز.

وعبر بالذهب لأنه أنفس الأشياء

(٢) تفسير ابن كثير جـ٦ ص٣٨٠ ـ بتصرف وتلخيص.

(٣) تفسير الكشاف جـ٢ ص٣٨٢.



وأعزها على النفس.

وقوله ﴿ وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ جملة حالية، والواو للحال. أي لا يقبل من الذي مات على كفره هذا الفداء ولو في حال افتراض تحقق هذا الفداء في يده وتقديمه إياه لكي يدفعه لخالقه وينجو من العقوبة التي توعده بها.

أي أن العذاب الأليم نازل قطعاً على هذا الذي مات على كفره، حتى ولو فرضنا أنه تصدق في الدنيا بملء الأرض ذهباً. وحتى لو فرضنا أنه ملك هذا المقدار النفيس الكثير من الأموال في الآخرة وقدمه فدية لنفسه من العذاب، فإن كل ذلك غير مقبول منه، ولابد من نزول العذاب به.

وقد أشار ابن المنير إلى هذا المعنى بقوله: «قبول الفدية التي هي ملء الأرض ذهباً يكون على أحوال: منها: أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية من نفسه كما تؤخذ الدية قهراً من مال القاتل على قول. ومنها أن يقول المفتدى في التقدير: أفدى نفسي بكذا وقد لا يفعل. ومنها أن يقول هذا القول وينجز المقدار الذي يفدى به نفسه ويجعله حاضراً عتيداً، وقد يسلمه مثلاً لمن يأمن منه قبول فديته. وإذا تعددت الأحوال فالمراد من الآية أبلغ الأحوال وأجدرها بالقبول، وهو أن يفتدى بملء الأرض ذهباً افتداء محققاً بأن يقدر على هذا الأمر العظيم ويسلمه وينجزه اختياراً ومع ذلك لا يقبل منه، فمجرد قوله أبذل المال وأقدر عليه أو مايجرى هذا المجرى بطريق الأولى. فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها تنبيهاً على أن ثم أحوالاً أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الأولى بالنسبة إلى الحالة المذكورة. وهذا كله تسجيل بأنه لا محيص ولا مخلص لهم من العذاب، وإلا فمن المعلوم أنهم أعجز عن الفلس في ذلك اليوم، ونظير هذا التقدير من الأمثلة أن يقول القائل: «لا أبيعك هذا الثوب بألف دينار ولو سلمتها إلي في يدي هذه»[4].

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾

أي أولئك الذين ماتوا على كفرهم

(٤) حاشية ابن المنير على الكشاف جـ١ ص٣٨٢.



لهم عذاب أليم، وما لهم من ناصرين ينصرونهم بدفع العذاب عنهم، أو تخفيف وقعه عليهم.

ومن مزيدة لاستغراق النفي وتأكيده، أي لا يوجد أحد كائناً من كان ينقذهم من عذاب الله، أو يجيرهم من أليم عقابه.

وبذلك نرى أن الآيتين الكريمتين قد توعدتا الكافرين بأشد ألوان العذاب، وأقسى أنواع العقاب، حتى يقلعوا عن كفرهم، ويثوبوا إلى رشدهم.

وبعد هذا الحديث المشتمل على أشد صنوف الترهيب من الكفر، وعلى بيان سوء عاقبة الكافرين، أتبعه بالحديث عن الطريق الذي يوصل المؤمنين إلى رضا الله وحسن مثوبته فقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

تنالوا: من النيل وهو إصابة الشيء والحصول عليه. يقال نال ينال نيلاً، إذا أصاب الشيء ووجده وحصل عليه.

والبر: الإحسان وكمال الخير. وأصله التوسع في فعل الخير. يقال: بر العبد ربه أي توسع في طاعته.

والإنفاق البذل، ومنه إنفاق المال.

وعن الحسن: كل شيء أنفقه المسلم من ماله يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة يدخل في هذه الآية.

والمعنى: لن تنالوا حقيقة البر، ولن تبلغوا ثوابه الجزيل الذي يوصلكم إلى رضا الله، وإلى جنته التي أعدها لعباده الصالحين، إلا إذا بذلتم مما تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها في سبيل الله، وماتنفقوا من شيء ـ ولو قليلاً ـ فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه بأكثر مما أنفقتم وبذلتم.

ولقد حكى لنا التاريخ كثيراً من صور البذل والإنفاق التي قام بها السلف الصالح من أجل رضا الله وإعلاء كلمته، ومن ذلك مارواه الشيخان عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بير حاء ـ موضع بالمدينة ـ وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء طيب فيها. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية:

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، إن الله ـ تعالى ـ يقول في كتابه:

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

وإن أحب أموالي إلي بير حاء، وإنها صدقة لله ـ تعالى ـ أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يارسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: بخ بخ ـ كلمة استحسان ومدح ـ ذلك مال رابح ـ أي ذو ربح ـ ذلك مال رابح. وقد سمعت ماقلت. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. قال أبو طلحة: أفعل يارسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[٥].

قال القرطبي: وكذلك فعل زيد بن حارثة، عمد مما يحب إلى فرس له يقال له «سبل» وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي ﷺ فقال: هذا في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ لأسامة ابن زيد: أقبضه، فكأن زيداً وجد من ذلك في نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد قبلها منك».

وأعتق عبدالله بن عمر نافعاً مولاه، وكان أعطاه فيه عبدالله بن جعفر ألف دينار، قالت صفية بنت أبي عبيد: أظنه تأول قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

وقال الحسن البصري: إنكم لن تنالوا ماتحبون إلا بترك ماتشتهون، ولاتدركون ماتؤملون إلا بالصبر على ماتكرهون[٦].

وهكذا نرى أن السلف الصالح قد قدموا مايحبون من أموالهم وغيرها تقرباً إلى الله ـ تعالى ـ وشكراً له على نعمائه وعطائه، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

❊❊❊

---

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الزكاة على الأقارب جـ٢ ص١١٨ وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة جـ٣.

(٦) تفسير القرطبي جـ٤ ص١٣٢.

السنة

مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئًا فَهُوَ لَهُ

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارى بسنده أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

التعريف بالراوى

هو الصحابي الجليل، الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بن نفيل، ويكنى أبا حفص، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشرف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، ولما بعث النبي (ﷺ) كان عمر شديداً عليه وعلى المسلمين، ثم هداه الله للإسلام، فما هو إلا أن أسلم حتى ظهر الإسلام بمكة، وكان إسلامه في السنة السادسة، وكان لقبه «الفاروق»، شهد بدراً وأحداً وغيرها من المشاهد مع رسول الله «ﷺ»، وكان أشدّ الناس على الكفار، وكان من أزهد الناس في الدنيا، أرغبهم في الآخرة، فتح الفتوح، ومصّر الأمصار، وأدرّ العطاء على الناس، ثم نزّل نفسه منزلة الأجير، وجعلها كآحاد المسلمين في بيت المال، وكانت خلافته عشر سنين، وستة أشهر، وخمس ليال، وتوفي عن ثلاث وستين سنة في يوم الأربعاء إثر طعنة غادرة من اللعين أبى لؤلؤة عقب تكبيرة الإحرام، مكث بعدها ثلاثاً ثم توفي، فصلى عليه صهيب، وقبر مع رسول الله «ﷺ»



والصديق بعد استئذان أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعنه وعن صحابة رسول الله «ﷺ».

اللغويات

● «إنما الأعمال بالنيات»: كل عمل بنيته، ومحل النية القلب، والمراد: الإخلاص لله في كل عمل يؤديه المسلم ابتغاء مرضاة الله، والله (تبارك وتعالى) يقول:

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

[هود/٧]

أى: أخلصه وأصوبه.. والقصر بإنما بعض طرق القصر والحصر.

● «وإنما لكل امرىء ما نوى»: العامل لا يحصل له إلا أجر ما نواه.

● «فمن كانت هجرته»: الهجرة لغة: الاسم من الهجر أو الهجران، واصطلاحاً: ترك الوطن الذى هو بين الكفار، والانتقال إلى دار الإسلام، أو الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان، كمن هاجر من مكة إلى المدينة، وهى هجرتان: أولاهما هجرة المسلمين في صدر الإسلام من مكة إلى الحبشة، فراراً من أذى كفار قريش، والأخرى هجرة رسول الله «ﷺ» والمسلمين قبله وبعده ومعه إلى المدينة، وقد كانت الهجرة من فرائض الإسلام بعد هجرته «ﷺ»، ثم نسخت بعد فتح مكة، بقوله «ﷺ»: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية)[1].

● «إلى دنيا يصيبها»: أى خير دنيوى يطلبه من تجارة ونحوها.

● «أو امرأة ينكحها»: أى: يتزوجها.

● «فهجرته إلى ما هاجر إليه»، أى: إلى ما يطلبه من أمر الدنيا، فإذا كانت الهجرة لغير الله ورسوله «ﷺ» فهى متعددة بتعدد مطالب الحياة، ولذلك ورد في رواية أخرى: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله»، لأنها واحدة لا تتعدد.

الشرح والبيان

لقد كان النبىّ «ﷺ» فصيح المنطق، سمح البيان، سلس الأسلوب، قوىّ العبارة، مشرق المعنى، يحسّ المرء لكلامه حلاوة، ويجد فيه لذة وطلاوة، إذا حدّث وأرشد خفقت الأصوات، وأنصتت الآذان، وخشعت الجوارح، وامتلأت القلوب بجلال العبرة، وسموّ الموعظة، ألا وإن من أهم إرشاداته التى تصلح القلوب والنفوس، وتقوى العقيدة والأخلاق - هذا الحديث الذى رواه أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب «رضى الله عنه»

(١) البخارى ٣/١٨، ٤/١٨.

قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها - فهجرته إلى ما هاجر إليه).. وهذا الحديث عظيم الشأن، وجليل القدر، قليل في ألفاظه، كبير في معانيه، كثير في مقاصده ومراميه، يبيّن للناس جميعاً طريق القبول لأعمالهم المشروعة، وأنّ ذلك يحتاج إلى الإخلاص، وذلك لا يكون بالحركات والسكنات، أو الصور والأشكال التى يراها الناس، فيخلعون على أصحابها صفات التقوى والورع، غير ناظرين إلى ما تحمله نفوسهم من البواعث والدوافع، فالشأن في قبول العمل عند الله (عزّ وجلّ) أو رفضه - إنما هو فى الروح الذى يحسّه الإنسان في نفسه، ويعلمه الربّ من عبده حين يتجه إلى العمل، وحين يعمل، ومن ثمّ أنشد الشاعر:

الروح كالريح إن مرّت على عطر
طابت، وتخبث إن مرّت على الجيف.

- فمعناه أن الريح حيث تمر على الأزهار والورود، والنرجس والآس والياسمين في المروج والرياض - تملأ الجوّ عطراً ورائحة زكيّة، وإذا مرّت على الجيف والقاذورات والقمامة - ملأت الجوّ خبثاً ونتناً ورائحة كريهة، وذلكم الروح هو الذى يدفع الإنسان إلى العمل؛ إذ أنّ كل عاقل لابدّ له من غرض يقصده بعمله، وإلاّ كان العامل عابثاً وكان عمله لا قيمة له، ولا نفع فيه، ولا خير يرجى منه، فالغرض هو الميزان الذى تعرف به درجة العمل عند الله، فإذا سما الغرض، ونبل القصد، التمس به مرضاة الله (عزّ وجلّ) كان ذلك سبباً قوياً لتقبّل العمل عند الله وارتفاع الدرجات، وكان دليلاً واضحاً على قوة إيمان العامل بالله، وشدّة مراقبته لمولاه، وعندئذ يكون منه في كنف ومعيّة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل/ ١٢٨]

أما سفل الغرض، وانحط المقصد، وأريد به الحصول علي شهوة زائلة، أو سمعة زائفة، أو حيلة خادعة - فإنّ ذلك يكون سبباً قوياً في رفض العمل، وردّه على صاحبه، وكان دليلاً واضحاً على خلوّ القلب من روح الإيمان الصادق، وعلى عدم تمثله عظمة الله (عزّ وجلّ)، وعدم استحضاره مراقبة مولاه، وكان العامل في تلك الحالة باذلا دينه بدنياه، وهازئا بعبادة مولاه وكان جديراً ألا ينظر الله إليه، ولا يزكيه، ولا يكلمه:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

[البقرة/ ١٦]

هذا وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (سمعت رسول الله ﷺ) يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: هو جرىء، فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه، حتّى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: هو عالم وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار) - رواه مسلم والنسائي، والترمذىّ - وحسّنه - وابن حبان، في صحيحه، كلاهما بلفظ واحد، وزادت رواية أخرى: (أولئك أول خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيامة)..

وتأسيساً على ذلك نقول: من ابتغى تقديس الله (عزّ وجلّ) بصلاته وصومه، وابتغى مرضاته بالبذل والجهاد في سبيله، وابتغى بإرشاد الناس ووعظهم وإصلاحهم وهدايتهم، وتوجيههم إلي الخير، وابتغي بحكمهم والهيمنة عليهم - إقامة العدل، وإيصال الحقوق إلى أصحابهم، وإنصاف المظلوم عن الظالم، وابتغى بحجه واعتماره إكمال دينه، ومغفرة ذنوبه - وقعت أعماله موقع الرضا والقبول عند الله (عزّ وجلّ)، وتولاّه الله برعايته، وسدّده في قوله وعمله، ونشر عليه من رحمته، وجعله مورد خير دائم لله ولعباد الله (عزّ وجلّ):

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[النساء/ ١١٤]

أما من صلى أو حجّ البيت أو اعتمر، أو دعا الناس إلى شىء من هذا أو ذاك بقصد أن يخلع الناس عليه لباس التقوى والصلاح، أو لباس السخاء والكرم، أو لباس الشجاعة والإقدام، أو لباس الحكم والسلطان، أو لباس العلم والمعرفة، فهذا ونحوه مردود عليه عمله، وصفقته عند الله كاسدة غير رائجة، وتجارته خاسرة غير رابحة:

﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾

[المائدة: ٨٠]

ولله در الشاعر الذى أنشد:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوى الناس وهو عليل

وقد روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) فى قوله تعالى:

﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن ﴾

[الممتحنة / ١٠]

قال: (كانت المرأة إذا أتت النبيّ «ﷺ» حلّفها بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت، رغبة بأرض عن أرض، وبالله ماخرجت لالتماس دنيا، وبالله ماخرجت إلا حباً لله ورسوله «ﷺ» - خرّجه ابن أبي حاتم وابن جرير، والبزار فى مسنده، وخرّجه الترمذى فى بعض نسخ كتابه مختصراً.

هذا ولقد ضرب رسول الله (ﷺ) فى تلك العظة القيّمة مثلاً طبّق عليه الأساس الذى قرره، فقد كانت الهجرة من مكة إلى المدينة فى بداية الأمر بعد الإذن بها - من ألزم الواجبات الدينيّة، وأقدس الفرائض التى أمر الله بها المؤمنين، حفظاً للدين بإقامة شعائره، ونشر أحكامه، والجهاد فى سبيله مع المهاجرين والأنصار، وقد هاجر فى سبيل ذلك الفرض الحميد من هاجر، وكان من بين المهاجرين مهاجر لم يهاجر بتلك النية الصادقة، وإنما هاجر تبعا لامرأة من الحيّ يقال لها: (أم قيس)، وكان يحبّها ويرغب فى الزواج منها، فخطبها، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجته، وسرعان ماشاع بين الناس أمره، ووصل إلى النبيّ «ﷺ» خبره، فاتخذ النبيّ «ﷺ» فى واقعة الحال المعلومة عندهم نصيحته الغالية، وحكمته البالغة، وقال: (فهجرته إلى ما هاجر إليه)؛ تحقيراً لهذا الشأن، أى: فليلتمس منها الجزاء، فليس له عند الله جزاء، فكان ابن مسعود (رضى الله عنه) يقول: (من هاجر يبتغى شيئا فهو له)، فانظروا كيف عرض الرسول الكريم بهذا الرجل، تنفيرا للناس عن مثل قصده، لتكون أعمالهم خالصة لله (عزّ وجلّ) فيظفروا بالقبول والرضا عند الله (عزّ وجلّ)، وبالتالى تنطبع فى نفوسهم محبة الخير لمحبة الله إياه، فيقدمون الدين على الدنيا، وإرضاء الربّ على شهوات النفس، ولكنه مع ذلك لم يعنفه، ولم يعيّنه، فهل نستفيد من هذا الدرس؟ فقد كان رسول الله «ﷺ» لا يجبه أحداً بما يكره، ولا يذكره بما يشين، بل كان يكنى ويقول، ما بال أقوام يقولون أو يفعلون كذا؟! فأين هذه الهجرات وأمثالها، وأين مهاجر أم قيس وهجرته من هجرة صهيب الرومىّ (رضى الله عنه)؟! فإنه حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذى بلغت، ثم

تريد أن تخرج بنفسك وما لك، والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب (رضى الله عنه): أرأيتم إن جعلت لكم مالى، أتخلون سبيلى؟ قالوا؟ نعم، قال: فإنى جعلت لكم مالى فبلغ ذلك رسول الله «ﷺ»، فقال: (ربح صهيب ربح صهيب!) - تلكم الهجرة الصادقة، والتجارة الرابحة المنجية مع الله (عزّ وجلّ)، قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾

[الصف / ١٠: ١٢]

وفى ثواب المهاجرين فى سبيل الله يقول ربّ العالمين:

﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم ﴾

[البقرة / ٢٢٨]

ويقول:

﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾

[التوبة / ٢٠]

ويقول:

﴿ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴾

[الحج / ٥٨، ٥٩]

وفى موالاة المهاجرين ومناصرتهم يقول تعالى:

﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾

[الأنفال / ٧٢]

وفى وجوب ترك الموالاة لمن لم يهاجر يقول سبحانه:

﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴾

[الأنفال / ٧٢]

وبالتالى لا عذر لمن لم يهاجر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

[النساء / ٩٧ : ٩٩]

فإلى مهاجرى أم قيس فى هذا الزمن، وما أكثر تجار الهوى، وعشّاق الشهوة! إلى هؤلاء الذين يتخذون الدين مغنماً، والدعوة إلى الفضيلة متجراً، إلى هؤلاء الذين يلبسون للناس مسوح التقوى والصلاح، ويتسترون بصور من الطاعات لا روح فيها ولا حياة، ليتخذوا منها قنطرة يعبرون عليها إلى شهواتهم الآثمة، ونزواتهم الفاجرة، وأغراضهم الدنيئة، ومتعهم المحرمة، إلى هؤلاء جميعا وهؤلاء نوجّه هذا الحديث النبوىّ الشريف، هذا الدرس التربوىّ الرائع: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»، ولنا في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة، وقدوة طيبة، فقد هجر بقلبه الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغى قبل أن يهاجر ببدنه من وطنه الحبيب إلى قلبه، قياما بالدعوة إلى ربه، وبالهجرة بنى رسول الله (ﷺ)، دولة مستقلة فى كل مجالات الحياة، ورفض التبعية فى كل شيء، ولكنه أقرّ ما كان صحيحا يرضاه الله، فعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم، فقال لهم رسول الله (ﷺ): «ما هذا اليوم الذى تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، ونحن نصومه، فقال رسول الله (ﷺ): «نحن أحق بموسى منكم»[٢]، فصامه (ﷺ) وأمر الناس بصيامه، وبين فضل صومه فقال: «ليس ليوم فضل على يوم فى الصيام إلا شهر رمضان ويوم عاشوراء»[٣]، وقال أيضا: «صوم يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله»[٤].. ومخالفة لليهود، واستقلالا فى بناء الشخصية الإسلامية قال (ﷺ): «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع»[٥]، فمات (ﷺ) ولهذا يستحب أيضا صيام التاسع من المحرم؛ رجاء الأجر وابتغاء الفضل، قال تعالى:

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾

«البقرة / ١١٠»

---

(٢) سنن ابن ماجة ١٧٣٤.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمى ٣/١٨٦.

(٤) سنن أبى داود، كتاب الصيام ب ٥٣.

(٥) صحيح مسلم ب ٢٠ رقم ١٣٤.

وهكذا بالهجرة بنى رسول الله (ﷺ) رجالا، وصنع أبطالا، وكوّن بهم دولة مستقلة فى كل مجالات الحياة، ورفض التبعية فى كل شيء، يتضح ذلك فى أول خطبة ألقاها النبى (ﷺ) فى المدينة، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أما بعد أيها الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه ـ ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حاجب يحجبه دونه ـ: ألم يأتك رسولى فبلغك، وآتيتك مالا، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقى نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله»[٦].

صلّى عليك الله يارسول الله، لقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكنت لها خير قدوة، وأعظم أسوة، فجزاك الله عن أمتك خير ما جازى الله به نبيا عن أمته، روى الإمام أحمد عن عمرو بن عنبسة قال: جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال: ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك»، قال: فأىّ الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت»، قال: فأىّ العمل أفضل؟ قال: «الهجرة»، قال فما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء»، قال: فأىّ الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد».

فمن خرج مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت فقد وقع أجره على الله مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

«النساء / ١٠٠»

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

***

---

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢١٤.



وفى الهجرة عبر فهل من معتبر؟

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الله عز وجل: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة / ٤٠]

مدخل

قبل الهجرة: يكون الرجل وثنياً: فهو حر. مكفول الرزق. فإذا دخل فى الإسلام فكّل به.. فلا يمارس شعائره بطلاقة.. ولا يستمتع بما يستمتع به مشرك يعفر جبهته فى التراب..

فلما أذن ﷺ بالهجرة.. كان يوم الخروج عيدا.. من حيث انتقالهم إلى «المدينة» والتى سوف يعيشون فيها أحرارا مكرمين، أحرارا مكرمين فى الوقت الذى كان الناس يجرّون عربات الحمْل والركوب بدل البقر.. فى بلاد لا تدين بالإسلام. لأنها مقدسة عندهم!

وهكذا صار المسلم بالهجرة حرا فى عبوديته، بقدر ما كان الوثنى عبدا فى حريته!



فكرة الهجرة

وفكرة «الهجرة» قديمة قدم الرسالات العليا. وذلك قوله عز وجل:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم/ ١٣]

وقد استوعبها ﷺ فى مستهل حياته، فقد سمعها من «ورقة» لما قال له: «.. إذ يخرجك قومك»

ولكن العاقبة للمهاجرين:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ [إبراهيم/ ١٣، ١٤]

وهذا هو الذى حدث بالفعل، فالأرض لله.. وليست أرضهم، وهو سبحانه يورثها من يشاء من عباده:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥]

ومن العجيب أن الذين يخربون الأرض.. يدّعون ملكيتها.. ولكن الله عز وجل ناصر عباده الصالحين:

﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء/ ١٤١]

أهمية الهجرة

كان التأريخ بها -دون التأريخ بالرسالة والرسول- لأنها تحرير للإنسان من عبودية المكان.. وعبودية الإنسان.. على ما يقول المسلم فى دعائه: «اللهم لا تجعلنا موضع شفقة عبادك. بل اجعلنا موضع شفقتك أنت يارب. ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك.. بل موضع الإحسان منك أنت يا رب. واجعلنا أبدا بك. ومعك. وإليك، فلا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك يا رب»

لقد كانت الهجرة بداية ونهاية: نهاية للظلم.. وبداية لعهد جديد.

الهجرة.. متنفس الصالحين

﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء/ ٩٧]

فأرض الله واسعة مفتوحة الذراعين لكل راغب فى الحرية..

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء/ ١٠٠]

سوف يجد من الأرض الواسعة مكانا يكون له حصنا من عدوه، عدوه الذى يراغمه.. يذله، أما من يرضى بالذل والهوان بديلا.. فهو ذلك الذى عناه الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به
إلا الأذلان: عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته

وذا يُشج فلا يرثى له أحد(1)

وطن الروح فوق وطن الجسم

إن الوطن المادى قد يُنسى.. أما وطن العقيدة، فإنه لا يُنسى..

وإذا أردت أن تشعر بمدى حب العربى وطنه المادى.. والذى يضحى به بعد الإسلام.. فاستمع إلى قول ذلك العربى:

كم دخلت من بلدان: وكم لقيت من ناس. وكم شاهدت من غرائب وعجائب.. ولطائف وطرائف. وما نسيت بلدى على هذا كله يوما. ولا خمد الشوق إليها ساعة. وكان فى قلبى. وعلى لسانى دائما بيت «الشريف»:

وقائلة فى الركب: ما أنت منتبه؟

غداة جزعنا الرمل؟ قلت: أعود!

ولأن فى الهجرة دروساً كثيرة.. فقد نزلت آياتها مصرفة فى كثير من الآيات.. بينما نزلت أيام «بدر» جملة واحدة: ومن آيات الهجرة: يقول عز وجل:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾

[التوبة/ ٤٠]

ومن معانى الآية الكريمة:

١- أن الله - تعالى - نصره يومئذ.. ولم تنصروه.

٢- ثم إنها عتاب للأمة كلها إلا «أبا بكر» رضى الله عنه.. والذى صحب الرسول ﷺ حاملا روحه على كفه فداء له: والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

إذ يقول لصاحبه

وإذا تذكرنا نداء الرسول ﷺ لصاحبه بحرف النداء للبعيد: «يا أبا بكر» تأكدت لنا هذه المنزلة الرفيعة.. المشتقة من معنى «البعد» فى حرف النداء «يا».

«ما ظنك باثنين الله ثالثهما»؟

إنهما ليسا أى اثنين.. وإنما هما: رسول الله.. والصدّيق.. وإذن فالنصر مكفول.. وفى نهاية المطاف.

لا تحزن إن الله معنا

فى الطريق إلى الغار.. أعطى ﷺ أبا بكر شجرة «الثمال»، وهى كالصبار، تصبر عن الماء طويلا.. فلما أخذها.. ثبتها على باب الغار.. ففهم المغامرون.. أن وجودها دليل على أن أحدا لم يتجاوزها إلى عمق الغار.. لأنها توحى بمعنى «القدم». ونجح الرسول ﷺ -بهذه الحيلة- فى صرف أنظار المشركين. وهو درس فى الأخذ بالأسباب، ولا يضير هذا الجوار الكريم وأهله أن يأخذوا بأسبابه. وأن يعدوا العدة له، ما داموا بربهم معتصمين. وعلى ربهم متوكلين، فإن الاعتصام بالله تعالى.. والتوكل عليه أساس هذا الجوار وعماده. وقد أمر الحكيم العليم. الذى ربط

(١) العير: الحمار- والرُّمة: الحبل البالى- يرثى: لا يرق له أحد.

الأسباب بالمسببات. والوسائل بالغايات. بالأخذ بالأسباب.

وهذا سيد المتوكلين يأخذ -مع أول الصديقين- بكل أسباب النجاة فى هجرتهما إلى الله.. حتى إذا أحس الصدّيق وقع أقدام الكفار فوق الغار ألم وحزن. وخشى أن يصاب الرسول ﷺ بأذى لا يستطيع أن يدفعه أو يحمله. وهو أول من يفتديه بنفسه وماله- طمأنه ﷺ بأن الله معهما. وأنهما اثنان.. الله ثالثهما. وقد اعتصما به وحده دون خلقه: فلو أن السماوات السبع ومن فيهن. والأرضين السبع ومن فيهن كادوا لهما لجعل لهما من هذا الكيد فرجا ومخرجا) ا.هـ(٢)

إذ أخرجه الذين كفروا

ومتى كان الانتصار؟

كان لحظة الخروج «إذ أخرجه»؟!!

فى اللحظة التى ظن فيها المشركون أنهم على شىء لما أخرجوه.. فصاروا بإخراجه منتصرين..

فى هذه اللحظة نصره الله عز وجل.. من حيث تراجعت كل أسباب النصر البشرية:

فلا عدد.. ولا عدد

لقد اكفهر الجو.. ولم يعد فى قوس الصبر منزع.. وصار الأمر على ما قيل:

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا

من بعد أن أنشبن فىّ مخاليا

ولما كان يوم الهجرة.. أطل يوم العيد على المسلمين وإن كانوا قد خلفوا من ورائهم أموالهم. وربما أهليهم.. بينما الوثنيون يمرحون.. ويرتعون. ولكن الإحساس بحرية العبادة.. كان أجمل فى موازين الإيمان.. من كل ما يُدلّ به الوثنيون الواهمون.. الظانون بالمسلمين ظن السوء..

وصدق القائل:

جمال الوجه مع قبح النفوس

كقنديل على قبر المجوس!

لا تحزن

نهاه ﷺ عن «الحزن» ولم ينهه عن الخوف.. لماذا؟

يجيب المفسرون: إن «الحزن» إنما يكون على الغير.. والغير هنا هو: الدعوة ممثلة فيه ﷺ..

أما الخوف: فإنما يكون على النفس.. وليس على الغير.. وإذن فالصدّيق غير خائف.. لأنه ممتلىء بإيمان.. لو وزن به إيمان الأمة.. لرجح.. فممن يخاف إذن؟!

البصائر المطموسة

وتأمل وفد الوثنية الواقف على باب الغار؟

إنهم يتعجبون من عنكبوت وبيضتين.. ثم لا يتعجبون من الأرض الصلبة الجامدة.. وكيف صارت «لينة» بقدرة الله عز وجل.. حتى ساخت فيها قوائم فرس «سراقة»!! وكان المفروض أن تستلفت أنظارهم.. ولكن هيهات، فلله تعالى حكمة هو بالغها، فقد ضرب الله على قلوبهم

(٢) الشيخ طه الساكت.



فأعمى بصائرهم.. لتتم كلمة ربك صدقًا وعدلا.. وكان من قدرته تعالى أن سخر الكون كله لإنجاح الهجرة.. وكان المشركون –من حيث لا يريدون– كانوا أهم أسباب هذا النجاح:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ يقول الصالحون: لا تقل أنا «مع الله» لأن ذلك قد يكون وهمًا.. ولكن قل: الله معنا، مع الآخرين: بالقهر والعلم، ومع المؤمنين بالرعاية والحفظ والتوفيق: قالوا: هناك حرس مخفيون.. يحرسون الإنسان ليل نهار دون أن يراهم أو يشعر بهم، خلق من خلق الله، أقوياء أشداد، لقد أطت السماء من كثرتهم وحق لها أن تئط فما فيها موضع شبر إلا عليه واحد منهم ساجد أو قائم.

ورغم قوتهم وعظمتهم كلفهم الله بحماية هذا الإنسان الضعيف وحفظه من الأخطار المحدقة به. إقرأ إن شئت قوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾

[الأنعام/ ٦١]

قال ابن كثير: أي من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله:

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾

[الرعد/ ١١]

وحفظة يحفظون عمله ويحصونه كقوله:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾

[الانفطار/ ١٠]

وكقوله:

﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[ق/ ١٧، ١٨]

(ابن كثير ٢/ ١٤٠).

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة الرعد:

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾

[الرعد/ ١١]

أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال. صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات. وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدامه. فهو بين أربعة ملائكة بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان» [ابن كثير ٢/ ٥٤٢].

ومن الآثار التي ذكرها ابن كثير: قال عكرمة عن ابن عباس: «يحفظونه من أمر الله» قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال له الملك، وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه.

وقال أبو أمامة: ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له، وقال أبو مجلز: جاء رجل إلى عليّ –رضي الله عنه– وهو يصلي، فقال: احترس فإن ناسا من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر. فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، إن الأجل جُنة حصينة. وبالإضافة إلى هؤلاء الحرس الذين يلازمون الإنسان هناك حرس للمهمات الخاصة فقد كان الملائكة يحرسون النبي ﷺ، وملائكة نزلوا لنصرة المسلمين ودعمهم في غزوة بدر وغيرها. وحرس يحرسون مكة والمدينة من الدجال.

وبإمكان كل مسلم أن يطلب له حرساً من الملائكة إذا أراد ذلك. ومما ورد في هذا الباب من الأحاديث حديث أبي هريرة – رضي الله عنه المشهور – عندما كلفه رسول الله ﷺ بحراسة زكاة رمضان فأتاه آت وجعل يحثو من الطعام فأخذه أبو هريرة وهدده بالرفع إلى رسول الله ﷺ فاشتكى له العيال والحاجة ووعد أنه لا يعود فتركه ولكنه كرر هذا ثلاث مرات، فلما أخذه أبو هريرة في المرة الثالثة قال له: «دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قال: ما هن. قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾

[البقرة/ ٢٥٥]

حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح» الحديث.

ولما ذكر ذلك لرسول الله قال له: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالي يا أباهريرة؟! قال: لا. قال: ذلك شيطان» أخرجه البخاري وغيره.

وفي حديث آخر رواه الترمذي وغيره مرفوعاً: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. عشر مرات على أثر المغرب بعث له مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح، وكتب له عشر حسنات موجبات، ومحا عنه عشر سيئات موبقات وكانت له بعدل عشر رقبات مؤمنات» الترمذي ٣٧٨١ «وإسناده حسن» والمسلحة: قوم يحفظون الثغور من العدو. إنها حراسة ربانية مجانية فهل تغتنمها؟] ا.هـ[٣]

أما بعد فلابد من الأخذ بالأسباب، فالمسلمون مأمورون. ألا يلغوا الأسباب .. فيلغوا معها حكمته سبحانه.. وألا يغلوا فيها .. فيجحدوا مشيئته وقدرته تعالى واليوم يعيد التاريخ نفسه فالباطل لا يطيق رؤية الحق.. ومن أجل ذلك يريد المبطلون «إخراج» رموز الإصلاح: في الأسرة. وفي المؤسسة.. حتى لا يكون لأمتنا جذور..

أولئك الذين ضل سعيهم، لأنهم يتعاملون مع الزمان على أنه ساعات وأيام وشهور وسنوات.. ولكن المسلم يتعامل معه طبق ما يحتويه من أحداث وأحاديث.

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر

---

(٣) الرابطة ربيع أول/١٤٣٢هـ

وأيده بجنود لم تروها

الهجرة
إعجاز إلهى وإنجاز محمدى

لكم يهمنا هنا أن ندعو القارىء المسلم الواعى المتبصر إلى مزيد من التأمل العميق، والتدبر الدقيق فيما وراء حروف وكلمات وعبارات الآيات التى ساقها الحق سبحانه إلى عباده حول معجزة (الهجرة) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ولا نقول (حادث الهجرة) لأن (الهجرة) بكل ما يعرف البشر من مقاييس بجانب الموازين الكونية التى يختص بها الحق سبحانه علمه وحده هى معجزة بين المعجزات المتميزة التى تجلى بها المولى -عز وجل- على عباده المؤمنين فى شخص النبى الخاتم محمد -ﷺ-.

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

لقد كان للبارىء المقتدر جل وعلا تجلياته الربانية على عبده ورسوله بعظيم من الخوارق، وبعديد من المعجزات التى شهدها صحبه رضوان الله عليهم حين شرفوا بإقامته عليه السلام بين ظهرانيهم. منها ما حدث فى حالات السلم، ومنها ما جرى فى أثناء المعارك، بل إن منها ما يُروى قبل مولده ثم أثناء ولادته، ثم بعد أن ولد رضيعاً فى المهد المبارك، ثم فى طفولته الزكية وعند ولوجه عليه السلام مراحل الصبا النقى والشباب التقى، معجزات تلو معجزات تترى مبشرة بدوره (المستقبلى) المنتظر، ومهيئة الأنفس والأذهان المحيطة به من الأقربين والأبعدين لاستقبال ما يُتوقع على يديه الشريفتين من انبلاج نورانى عظيم تتبدل به السنن، وتتبدد به الإحن وذلك بفضل القادر المقتدر، ومشيئة من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فى توقيت قضى به بارىء التوقيت وصاحب الملك والملكوت.

ومن صعوبة المنال وعىّ المقال، استعراض هذه المعجزات الإلهية الباهرة التى استحالت إلى خصوصيات محمدية زاهرة تضىء فيما بين السماء والأرض كيان كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وتنتظم معجزة الهجرة المحمدية فى سيرتها المعجزة، ومسيرتها المفحمة فى عقد هذه المعجزت التى تسمو على التفاضل وتعلو على التفضيل لأنها من لدن واحد أحد لا شريك له تجلّ آلاؤه على تناسب التغيرات وتفاوت الأحداث.

معجزة الهجرة

ذن لم تمض مضى المعجزات المحمدية التى حددها فيما مضى الزمان والمكان ولكنها تستمر حية فى وجدان المؤمن الحق استمرار كل زمان وكل مكان إلى أن يشاء الله.

وقد زادها رسوخاً وأبدية أن حواها القرآن الكريم الذى أوحاه إلى عبده -ﷺ- رب العزة سبحانه الذى ليس كمثله شىء فكان هذا القرآن ليس كمثله كتاب.

وآيات (معجزة الهجرة) التى تنتظمها سورة التوبة برقم ٣٩ وردت بعد أن عاب القرآن الكريم على المتقاعدين عن الجهاد، المتثاقلين إلى الأرض، المتقاعسين عن نصرة الله ورسوله، عاب عليهم ذلك التقاعس البغيض، والتكاسل المريض والتثاقل الأحمق الذى يؤثر الرضا بالدنيا الفانية على الآخرة الباقية التى لا يساوى متاع الدنيا إلى جانب متاعها شيئا مذكوراً.

إذن فقد عاب القرآن الكريم ذلك على هؤلاء وأنحى عليهم باللائمة لأن سلوكهم هذا لا يتفق وأبسط صور الخلافة التى خلق الله الإنسان من أجلها حين قال للملائكته الكرام

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[البقرة: ٣٠]

إذ من مقومات الخلافة فى الأرض تحمل مسئولية العمران على أساس من القيم الثابتة المطلقة التى تتمثل فى عبودية المخلوق للخالق بالتدبر فى الخلق، ومن هنا أكد القرآن الكريم تأنيبه لهؤلاء المتخلفين بقوله:

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ ﴾

[التوبة: ٤٢]

إذ لم يُخلق الإنسان ليجرى وراء العرض المؤقت والمتاع القليل الذى قال فيه الحق سبحانه:

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾

[النساء: ٧٧]

ولكنه خلق لينصر دين الخالق الذى هو الخطة الإلهية الحكيمة المحكمة التى تعين الإنسان على التكيف مع (الميزان) الذى (وضعه) البارىء سبحانه ليحفظ الكيان الكونى كله بما فى ذلك كيان الإنسان.

وإلا فما قيمة الإنسان الذى اختصه الله -سبحانه- بدينه القويم وصراطه المستقيم إذا اختط لنفسه خطة تعارض خطة الحق، واختار لسلوكه طريقاً يجنح عن طريق بديع



السموات والأرض فعارض خالقه، وعصى نبيه، وهام في لجج من الفوضى والجنوح.

إن الله سبحانه عندما أمرنا أن (نفعل) و(ألا نفعل) لم يصدر في هذا عن (تحكم) بل عن (حكمة)، ولم يقصد في هذا إلى (تكلف) بل إلى «تكليف» التحكم والتكلف هما من شأن البشر ذوى الطبيعة المزدوجة من روح وجسد يتصارعان انتصاراً لأحدهما على الآخر، ولقد انحرفت بعض الملل، وانحرفت بعض النحل في سذاجة فجة، وسطحية بلهاء فعقدت أوجه الشبه بين الإله والإنسان وذلك لقصر البصر، وضمور البصيرة، وتعالى الله الحق عن ذلك علواً كبيراً، كما تسامى عن ذلك كل مؤمن يدرك أن الله قد كرمه بإرسال ملائكته المكرمين إليه من خلال أنبيائه الأخيار. ومن ثمة ينبغي أن نصغي بجمع إدراكنا وبصائرنا إلى قوله تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ﴾

[النساء: ١٤٧]

إن طاعة الله سبحانه هي مدعاة للفخر، ومجلبة للسعادة، وما أصدق حبيبنا محمداً -ﷺ- الذي يقول: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[1].

ومن هنا فقد كان أمراً يدعو إلى الإنكار والاستنكار أن يُدعى معاصرو رسول الله -ﷺ- إلى الاستجابة لداعي الله فيعرضون، وإن أجاب بعضهم فبعد اللجاج والجدل، وخلط الصواب بالخطل، والحق بالزلل إلا من هدى الله، وحقاً ما شعر به شوقي، فخاطب النبي -ﷺ- بقوله:

أتيتَ والناسُ فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم

إن الضعف الشديد بهذه الأنفس الكافرة، وهذا الانحراف العنيد لهذه الشخصيات النافرة، إن هذا كله جعل مكة على سعتها بفجاجتها ودروبها وشعابها، وجبالها، ووهادها، تضيق بالحق وأهله وتتمدد أمام الباطل وأهله الذين تسلطوا على أم القرى، فعاثوا فيها طغياناً وكفراً.

معجزة الغبار المنثور

وربما تضيع الحنكة في خضم الغفلة، وتتوه الحكمة في ضباب التهور، وهكذا تقبل المشركون في جذل ولهفة- النصيحة الشيطانية القادمة عليهم من غريب لا يعرفونه، وقادم لم يعهدوه ولكنها كما قلنا الغفلة والتهور- ولاسيما في مجال الشر- فسارعوا إلى اختيار ذوى الأجساد القوية، والأحلام الهشة، من أكابر الكفار الذين شرعوا سواعدهم وشهروا أسيافهم وتجمعوا على باب محمد -ﷺ- الذي تحرسه الملائكة

(١) الجامع الصغير.

التي شهرت عناية الحق سبحانه ورعايته حيث ران العمى على أعين (المدججين) وذلك بغبار نثره الأمين المأمون -ﷺ- على وجوههم يحمل أسرار الآية الكريمة:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

[يس: ٩]

وزحف النور من بين ستائر الظلمات ليشق طريقه بفيضه العميم على العالم أجمع ماراً بالمدينة التي رفعت الشعلة فسميت بالمدينة المنورة.

ولم يكن (النقب) التاريخي الذي يعتلي جبل (ثور) الشامخ إلى الجنوب من البلد الحرام على مسيرة ساعة على ظهور الإبل، لم يكن ذلك النقب الطهر الذي يعرف في (معجزة الهجرة) بأنه (غار ثور) إلا استراحة مؤقتة في رحاب الملائكة المكرمين الذين رافقوا محمداً -ﷺ- وصاحبه الصديق -رضي الله عنه- منذ بداية الرحلة المقدسة ليهتدى بعون الله إلى مكان الغار، ويُعان على تسلق الجبل الوعر، وتخطي الصخور المتناثرة هنا وهناك، وتمحى من نفسه أحاسيس التعب البدني والنفسي ويحاط هو وصاحبه بحصن روحاني من الرضا الصابر، والصبر الرضيّ، فإن الرسالة التي تنتظره لم يزل طريقها طويلاً، ولم يزل عبئها هائلاً مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

[المزمل: ٥]

نصر الله بعد استنفاد الأسباب

ولئن كتب الكثيرون حول (الهجرة) فقالوا عن التخطيط المحمدي لمسارها مثل اختيار الطريق الجنوبي بدلاً من الشمالي تعمية للمشركين، ومثل اختيار (الصديق قبل الطريق) ممثلاً في صديقه أبي بكر، ومثل الاتفاق مع «ابن أريقط» ليثير غبار الأغنام محواً لآثار القدمين الشريفتين، ومثل كذا، ومثل كذا مما هو معروف عن ظهر قلب إلا أننا نريد أن تخترق (الهجرة) لدى المسلمين (ظهر القلب) إلى (عمق القلب) إذ أننا عندما نستبصر سيرة الهجرة ومسيرتها نرى أن خطواتها وخطوطها كانت إلهاماً من رب الدين ذاته الذي أكد لرسوله ﷺ أنه مؤيده ومؤازره وناصره ولو كره الكافرون

﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾

[الفتح: ٣]

وحسب المصطفى -ﷺ- أن يصدع بما يؤمر كتطبيق بشرى للتخطيط الإلهي الذي وضعه الحق أمامنا للعظة والاعتبار، والتأسي عند الاختيار ولاسيما في سياق التوكل على الله والتسليم له بعد استنفاد الوسائل واستغراق الأسباب البشرية والثقة في خالق الوسائل ومبدع الأسباب، عندئذ يقع ما لم يُتوقع، حيث يتجلى صاحب الأمر ويقول للشيء كن فيكون، وذلك من قبيل نسج العنكبوت وبيض اليمام وغير هذى وتلك من الخوارق التي صاحبت مسيرة الهجرة النبوية

المشرقة والتى أحالتها إلى معجزة مبهرة بكل المعايير ما نعرفه منها وما لم نعرف، حتى إننا نقول مؤمنين إن (غار ثور) لم يكن مختبئاً للاختفاء، بل كان متحفزاً للانطلاق.

ذلك أن المولى -سبحانه وتعالى- رحمة بخلقه، ولطفاً بعباده يسوق التجربة الميدانية بما يتسق ومستوى الإدراك البشرى والاستيعاب الإنسانى، وذلك على من يشاء من أنبيائه المصطفين وأولى العزم من الرسل الذين أعدهم الإعداد الخاص الذى يجعلهم أهلاً لتحمل التجربة وتقبل الاختبار.

حادثة أم معجزة

كل ذلك يقودنا إلى القول بأن الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة ليست مجرد حادثة كما يجرى على الألسن والأقلام أحياناً فيقال (حادثة الهجرة) ولكنها معجزة تقف مع أمهات المعجزات التى خص بها المولى -سبحانه وتعالى- نبيه الحبيب -ﷺ-، ومن غير شك فإن أم هذه المعجزات التى تبز هذه المعجزات جميعاً بل ومعجزات كافة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هى «معجزة القرآن الكريم» بأزليته وأبديته وخطابه اللذتى إلى العالمين وتفصيله للظواهر والبواطن الكونية والحياتية لكافة الكائنات ما تعلم منها وما لم تعلم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء: ٨٥]

إن علاقة (الحادثة) بـ(المعجزة) هى علاقة الجنس بالنوع إذ الحادثات أنواع قد تكون معجزات وقد تكون غير ذلك، فإذا قلنا إن (الهجرة) (حادثة) تكون قد خلطنا بينها وبين غيرها من الحادثات ولم نميزها بجوهرها الذى تنفرد به ولا تُعرف بدونه إذ الفعل (حدث) يعنى وقع أو جرى وكم من أمور تقع وتجرى دون أن تكون معجزات فكل معجزة حادثة معجزة.

ومما يجعلنا نحاول أن نجلى الفرق بين الهجرة كحادثة وبينها كمعجزة هو أن الحادثة قد تأتى عرضاً ثم تمضى آثارها بمضيها ولذلك أطلق على الحادثة أحياناً كلمة الفاجأة العرضية (غير المقصودة) ومعاذ (الهجرة النبوية) التى وضعت التاريخ البشرى على طريق الحق الذى أراده الله للناس استجابوا أو استرابوا، نقول حاشا لهذه الهجرة أن تكون قد جاءت عرضاً أو مصادفة وحاشا لله الخلاق العظيم الحكيم.

من هنا قلنا فى مستهل هذا الحديث إننا كم نود من القارئ المسلم الحق أن ينظر فى آيات الهجرة النبوية المشرقة بعميق من التأمل وكثير من التدبر لا بمجرد الإعجاب وكفى بما حبا الله رسوله -ﷺ- من الرعاية وما منحه من عناية، ولكن ليستقر فى كياننا كله أن هذه العناية الإلهية برسالة الحق ورسوله، ثم الاستجابة المحمدية لما أراد الله -سبحانه- كى تخرج الدعوة الإسلامية وهى الدعوة الإنسانية دون منازع من عنق الزجاجة الكافرة إلى المعارج الرحبة المؤمنة، ومن النفق المظلم



اليائس البائس إلى آفاق التفاؤل والأمل والانطلاق بعون من الخالق لإرادة المخلوق.

نقول التفاؤل والأمل والانطلاق بعون من الخالق لإرادة المخلوق.

نقول إنه ينبغى أن يستقر فى أعماقنا أن هذا المدد الإلهى للكيان المحمدى المؤمن الواثق المريد المتطلع إلى خير البشرية جمعاء هو درس لكل من يستشعر احترامه لذاته وتكريمه لآدميته التى كرمها الله قبل أن يبرأها:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[الإسراء: ٧٠]

على أن يكون استقرار هذا المعنى فى أعماقنا ليس استقراراً جامداً بقدر ما يكون استقراراً متحركاً فى معالم الشعور من إدراك ووجدان وسلوك فنعى الدرس، ونميل إلى تمثله، ثم ننزع إلى السير فى طريقه السوى المستقيم.

ولئن كان العامة فيما مضى يرددون ياتسين «من يقرأ؟ ومن يسمع؟»، فإن الأولى بنا فى هذا العصر أن ندعو كل من يقرأ وكل من يسمع أن يعمل بما يقرأ وبما يسمع بوعى مؤمن، وإيمان واع مستنير.

فلنسمّ الهجرة حادثة ولنسمها معجزة، ولنسمها غير ذلك ولكنها فى كل الأحوال عبرة لمن يعتبر ويذكر، وليست بحال اعتذاراً عن التأسى لمن يحاول أن يعتذر.

يقول الحق -سبحانه وتعالى- فى مجال تأنيبه للخاملين والقاعدين من دعاة الهزيمة ولو كانوا من الذين آمنوا، فالإيمان درجات:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

[التوبة: ٣٨]

ثم يؤكد العزيز الجبار سبحانه لهؤلاء على كثرتهم أنه وحده -عز وجل- قادر -بدونهم- على نصرة الحق، وقد كان. وذلك عندما علت كلمته ونفذت مشيئته، وتجلت قدرته على نصرة رسوله -ﷺ- المكلف بتبليغ الرسالة الإلهية العظمى إلى عباده مهما تقاعس ضعاف الإيمان، ومهما بيّت المشركون لهذه الرسالة وصاحبها من مكر سيء خبيث

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

[التوبة: ٤٠]

الفاروق عمر والهجرة

ولقد كان من اتساق الأمور وتجليات الأحوال أن يكون عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- هو الذى اتخذ من إعجاز الهجرة المحمدية المشرقة بداية للتقويم الإسلامى اعتزازاً مستنيراً بهذه المناسبة التى وجهت -

دون منازع- مسار العصور واتجاهات الدهور، وغيّرت دون شك وجه التاريخ فى الزمان والمكان جميعاً، ولازمت حركة البشرية جمعاء منذ خرج الركب الثنائى الذى عظُم منه الكيف على الكم للانطلاق من الحيز المحدود فى مكة إلى العالم الإنسانى بأسره، ومنذ الليلة الحاسمة فى «غار ثور» إلى آفاق الحياة البشرية على مدار الزمان إلى أن تقوم الساعة التى لا يجليها لوقتها إلا بديع السموات والأرض -عز وجل- نقول إنه كان من طبائع الأشياء أن ينبع هذا التاريخ «الهجرى» من الفكر «العمرى» الملهم الذى عبر عن نفسه ذات «جمعة» بصيحته الجهيرة «يا سارية الجبل» التى اخترقت الآفاق إلى سمع القائد المسلم «سارية» وجنده المدافعين عن الحق والذين كان لابد أن يغيّروا خطة المعركة استجابة لتوجيه «الفاروق» القائد الأعلى للجيش وهو يقف خطيباً على المنبر المحمدى فى المدينة المنورة.

وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن اختيار الخليفة الثانى -رضى الله عنه- لمناسبة «الهجرة» للتاريخ الإسلامى هو ضرب من الإلهام الصادق والشفافية الروحية، والبصيرة النافذة التى تصل صاحبها بإيحاءات السماء.

ولم لا؟ ألم يكن يوم الهجرة هو «الفاروق» بين أيام مضت تكتنفها الأحداث المحدودة بين شعاب مكة والتى تتسم بمجرد ردود الأفعال بين عبيد الشيطان وعباد الرحمن، وبين مستقبل واسع وعريض يحقق عالمية الدعوة، وإنسانية الرسالة مصداقاً لقول علام الغيوب سبحانه:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾

[سبأ آية: ٢٨]

فليس غريباً إذن أن هذا اليوم «الفاروق» الخالد يوحى إلى الفطرة الملهمة «للفاروق» عمر بن الخطاب باتساق هذه المناسبة المعجزة مع ما ينتظر المسلمين من دور عالمى خلاق لا تتفق معه التقاويم السائدة آنذاك، والتواريخ التى ترتبط بطموحات «الأفراد» من الأباطرة والأكاسرة والملوك، فشتان بين اصطناع الناس لتاريخ نابع من عاطفة أفراد وبين ارتباطهم بتاريخ يعبر عن مسيرة رسالة سماوية زاحفة، وسيرة رسول صادق أمين.

كانت الهجرة انطلاقاً لا هرباً

ومما يواكب فكرتنا عن الإلهام العمرى فى هذا المجال أن الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة لم تكن هرباً من الاضطهاد المشرك والعناد الكافر مما ضيّق الخناق على المؤمنين فى مكة فوجدوا الحل فى الخروج بليل بعد أن ضاقت صدورهم. واستنفدت حيلهم وغير ذلك مما يتردد على الألسن والأقلام كلما أضاءت ذكرى الهجرة كل عام، حقاً كان ذلك كله وغيره أموراً على هامش الهجرة، ولكنها لم تكن فى حقيقة الهجرة وجوهرها.

ولكن ذلك كان وحياً من الحق سبحانه إلى رسوله -ﷺ- حتي تتخذ الرسالة الحنيفية الخاتمة سبيلها إلى الانطلاق من ذلك النفق

الذى أدلهم فيه الظلام وتغلغل فيه الظلم إلى العالم الرحب الذى يترقب هذه الرسالة بالأمل والصبر... والانتظار.

ويكفي هذا النفق المظلم أن تمضى فيه سنوات التربية والتدريب للرعيل الأول من المؤمنين الصادقين الذين يتشوقون للانتقال من مرحلة «الشحن الروحى» المكثف إلى مرحلة التطبيق العملى الميدانى الذى ينتظرون فيه اليوم الذى يفرحون فيه بإخوانهم من البشر فى خارج مكة بل فى خارج الجزيرة العربية بل فى كل مكان وهو يعتنقون دين الحق الذى يحمل للبشرية كل مقومات الكرامة التى خص بها الله سبحانه وتعالى بنى آدم منذ أسجد الله الملائكة لأبيهم - عليه السلام.

الشوق المتبادل بين المؤمنين فى الداخل والخارج

إذن فالمؤمنون فى داخل مكة تواقون إلى الانطلاق بدينهم وأنفسهم لنصرة هذه العقيدة السمحة الصادقة، والناس كذلك فى خارج مكة تواقون إلى من ينقذهم مما هم فيه من قهر وذل واستعباد. فكان لابد أن يلتقى الطرفان فى الداخل والخارج التقاء العنصر الموجب بالعنصر السالب لتنطلق الشرارة المضيئة أحياناً بالسلم والمشتعلة أحياناً بالحرب حتى تتم كلمة الله صدقاً وعدلاً.

من هنا كانت الهجرة إرادة إلهية ممن رضى الإسلام ديناً سبحانه وليست مجرد رغبة بشرية ناتجة عن الضيق بالقهر والاضطهاد والتعذيب، وإلا فقد أبلى المؤمنون الأوائل فى مكة بلاء حسناً فى صبر جميل وتحمُّل مؤمن وإصرار مُريد، وكانوا على استعداد لتحمل المزيد والمزيد فى سبيل عقيدتهم التى ذاقوا حلاوتها، وإيمانهم الذى عرفوا قيمته.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى إرادة المولى عز وجل فى هجرة النبى -ﷺ- فقال:

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾

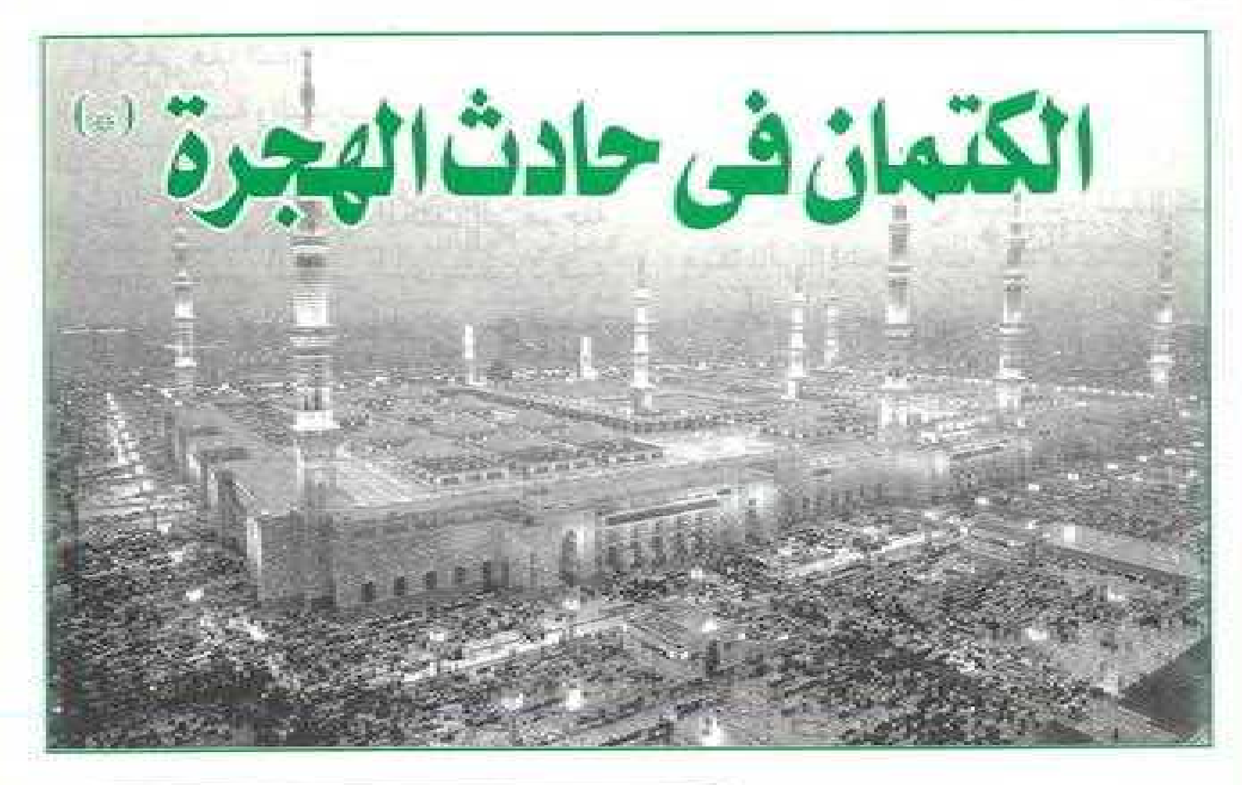
[الأنفال آية: ٥]

بل لقد سبق ذلك فى علم الله -سبحانه وتعالى- حتى تنبأ به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة بنت خويلد -رضى الله عنها- وورقة هو من هو فى الدراية بالكتب السابقة إذ قال لمحمد -ﷺ- وقد أرسل إليه لتوه (إنه يرجو أن ينصره إذا أخرجه قومه) فرد «المدثر» -ﷺ- فى نبرة العاشق لوطنه مكة، والمذعن لمشيئة صاحب الوحى -سبحانه وتعالى- «أو مُخرجيَّ هُم؟» فيجيب ورقة: إنه ما من نبى جاءه هذا الناموس إلا أخرجه قومه.

الدور التربوى

وهكذا نُعلّم أبناءنا أن المواقف الإسلامية ليست تاريخاً قد مضى أو أمراً قد انقضى، وأن المواسم الدينية ليست أسواقاً لا تكاد تقام حتى تنفض، أو حكايات تصافح الأسماع ليس إلا، إنما هى مصابيح علم وعمل تضىء لأصحاب الأبصار والبصائر طريق الهداية وطرائق الاهتداء حتى يقوم الناس لرب العالمين.

خطبة الجمعة :



الكتمان فى حادث الهجرة (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد كل الحمد لله - تبارك وتعالى -، وأشهد أن لا إله إلا الله، هو ولى النعمة ومصدر الرحمة

﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، هو نبى الرحمة وقائد الملحمة

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

«الأنبياء / ١٠٧»

وأصلى وأسلم على جميع أنبياء الله

(*) أول المحرم سنة ١٣٩١ هـ - ٢٦ فبراير سنة ١٩٧١م.

ورسله، وعلى خاتمهم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير:

﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

«الممتحنة / ٤»

يا أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام -..

اليوم يوم الهجرة، ففى مثل هذا اليوم، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، هاجر خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد من مكة إلى المدينة، وذكرى الهجرة تثير فى نفس الإنسان كثيرا من الخواطر والمعانى، ولكننا تعودنا فى مرحلتنا الحاضرة أن نستخلص وجوه العبر، لعل ذلك يكون بفضل الله - تعالى - مددا يبعث فينا الهامد ويحرك منا الجامد ويؤيد المجاهد:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾

«النحل / ٩»

ومن أهم الأمور التى تحتاج إليها معارك النضال والكفاح أن يتعود أبناء الأمة فيها فضيلة الكتمان وإمساك اللسان، حتى لا يكون تدبيرهم مفضوحا، ولا يصبح سترهم مهتوكا، وإنما تتم جلائل الأعمال بالطى والكتمان، ولذلك قال رسول الله - ﷺ -: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»، وإذا تطلعنا إلى الهجرة وجدناها قد سيطرت عليها صبغة الكتمان والسرية برغم اشتراك الكثيرين فيها وهذه العبارة يلزمنا أن نلح فى الكلام عنها ونكرر الحديث حولها وأن نبدىء ونعيد فى التدبر لها وتوجيه الأبصار والبصائر إليها، وينبغى أن نلاحظ أن الهجرة لم تكن بنت ساعتها أو يومها، بل كان لها أكثر من تمهيد، ولعل أكبر تمهيد لها هو عقد تلك البيعات الثلاث التى تمت بين النبى وطلائع المسلمين من أهل المدينة، وهى التى سميت «بيعات العقبة»، وقد تمت هذه البيعات فى كتمان وإسرار، حيث كانت تعقد البيعة بعد ثلث الليل، وفى مكان غير منظور، وكان أهلوها يتسللون إلى موضعها تسلل القطا مستخفين، كما تعبر السيرة العطرة، والقطا طير يضرب به المثل فى استخفاء السير والطيران، ونرى الرسول يذكر القوم بأهمية الحذر والكتمان وقت المبايعة، فيقول لهم: «ليتكلم متكلمكم، ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عينا، وإن يعلموا بكم يفضحوكم».

وعندما هم الرسول بالهجرة أحاطها بالسرية والكتمان، فأمر ربيبه وابن عمه وتلميذه على بن أبى طالب بأن ينام فى فراشه ليلة الهجرة، وأن يتغطى ببرده الأخضر الحضرمى إيهاما للمشركين المتآمرين بأن الرسول مازال نائما فى فراشه، ثم خرج - عليه الصلاة والسلام - من بيته فى وقت غير معهود كيلا تتطلع إليه الأنظار، وتوجه وحيدا إلى بيت أبى بكر وهناك قال له:

«أخرج عنى من عندك» فأكد له أبوبكر أن السر مصون، وأن البيت مأمون، لأن أهله أوفياء مخلصون، فقال له: «يا رسول الله، إنما هما ابنتاى» يقصد أسماء وعائشة، وكأن هذا إشعار بأن ابنتى أبى بكر قد بلغتا مستوى التبعة والمسئولية، فصارتا أهلا للمشاركة فى جلائل الأعمال، وبعد أن أخبر الرسول أبابكر بإذن الله - تعالى - فى الهجرة خرج معه من خوخة فى ظهر البيت، - والخوخة باب صغير كأنه نافذة -، حتى لا تلحظهما العيون، ويروى التاريخ أنه لم يعلم بخروجهما سوى على وعائشة وأسماء، ولم يتجه الرسول جهة الشمال «حيث تقع المدينة» حتى لا يعرف المتتبعون لأثره أنه يقصدها، بل اتجه جنوبا إلى ناحية اليمن، و«الحرب خدعة» كما يقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ثم اختبأ الرسول وصاحبه فى الغار أياما، والغار مكان مستور مهجور غير منظور، وكأن عناية الله قد أرادت أن تعاون على الكتمان والإسرار لصيانة المهاجرين العظيمين من أيدى المطاردين الفجار، فجاء العنكبوت فيما يروى ونسج خيوطه، على فتحة الغار ليتأكد لدى الناظرين أنه مهجور، مهجور، وفضل الله على رسوله فى الهجرة كبير مشهور:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

«التوبة / ٤٠»

الكتمان الحكيم والحذر الشديد

وقد جمع حادث الهجرة بين الكتمان الحكيم والحذر الشديد، فأخذ كل مشارك من المؤمنين فى هذا الحادث يؤدى مهمته فى حذر واستخفاء، فأسماء بنت أبى بكر تحمل الماء والطعام إلى الغار بصورة لا تستلفت الأنظار، وعبد الله بن أبى بكر - وقد كان ذكيا بصيرا واعيا - يجمع أخبار المشركين فى حذر، فإذا جن الليل وأوغل الظلام مضى مستخفيا إلى الغار ليطلع الرسول العظيم على تحركات المشركين، وعند السحر يعود الشاب الذكى إلى مكة فيصبح وكأنه قد بات مع قومه، وعامر بن فهيرة - راعى الغنم لأبى بكر - يذهب إلى الغار ليشرب الرسول ﷺ وصاحبه من اللبن، ثم يعود الراعى بالأغنام لتمحو بأظلافها آثار الأقدام، فلا يهتدى أحد إلى الغار عن طريق هذه الأقدام، وهكذا يتمثل لنا فى حادث الهجرة تطبيق عمل متقن لقول الرسول - ﷺ -: «المؤمن كيس فطن».

ولقد جن جنون الكافرين الباغين، فقامت قيامتهم للعثور على الرسول حيا أو ميتا، وجعلوا لذلك الجائزة الكبيرة المغرية، وغربلوا رمال الصحراء فلم يجدوا حيلة ولم

يهتدوا سبيلا، وحفظت عناية الله رسول الله المهاجر المكافح المناضل، وبعد أن انقطع البحث أو كاد.

أمثلة فى الوفاء والفداء

خرج رسول الله - ﷺ - ومعه رفيقه وصديقه أبوبكر الذى ظل مع أهله يضربون به الأمثلة فى الوفاء والفداء، وفى الاحتفاظ بأسرار الدعوة وأخبار الداعية، فقد روى التاريخ أن أبا جهل جاء مغيظا محنقا إلى بيت أبى بكر بعد خروجه مع النبى إلى طريق الهجرة، وطرق أبوجهل الباب ففتحت له أسماء، فقال لها فى غلظة وفظاعة: أين أبوك؟ وأين محمد؟ فأجابته فى ثبات: لا أدرى أين هما الآن فلطمها الشقى اللعين لطمة أطارت قرطها من أذنها، ولكنها احتملت الأذى فى سبيل الله، وفى سبيل الاحتفاظ بسر رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ولا عجب فهى بنت أبى بكر الذى ظل يحافظ على سرية الهجرة فى أثناء طريقها، حيث كان يقبل كثير من العرب يسألون أبا بكر مشيرين إلى الرسول: من هذا الذى يرافقك يا أبابكر؟ فيجيب: هذا هاد يهدينى الطريق، فيحسبون أنه يريد من يدله على مسالك الطرق وشعاب السبل، وهو يريد فى الحقيقة أن الرسول هو الذى يهديه إلى طريق الله رب العالمين، طريق الحق والنور واليقين.

المجالس بالأمانة

وهكذا بالحرص على الكتمان، والصيانة للأسرار، وبتوفيق الله أولا وقبل كل شىء، تمت هجرة المصطفى - ﷺ - التى تعلمنا اليوم أن نكون أمناء على الأسرار، حراصا على كتمان ما ينبغى كتمانه، تطوى فى صدورنا ما نسمعه بحكم عملنا أو موقعنا، فإن الرسول - ﷺ - يقول: «المجالس بالأمانة» فلا يجوز لنا أن ننقل ما نسمعه فيها مادام هذا أمانة بين أيدينا، والقرآن الكريم يقول فى صفة المؤمنين:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

يا أتباع محمد - ﷺ -..

إن الكتمان لا يثمر ثمرته إلا مع الحذر البالغ والانتباه الواعى، ونحن اليوم فى موقف نحتاج معه أن نردد فى اعتبار واتعاظ قول الحق - جل جلاله -:

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾

«النساء / ١٠٢»

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

«المائدة / ٨٨»

***



سؤال يُشعر القارىء بأن الهجرة كانت حدثاً تاريخياً له أسبابه ودواعيه، التى جعلته ضروريا فى الوقت الذى وقع فيه، وحيث إن الأسباب والدواعى قد انتهت فقد انتهى الحدث وانقضى ولم يبق مجال لتكراره مرة أخرى. وإنما الذى بقى هو الاستفادة من كيفية التنفيذ وعبقرية التخطيط. ودقة الإعداد. وروعة الأداء، ممثلاً فى فعل رسول الله ﷺ وجلال التضحية، وصدق الإخاء ممثلا فى شخصية الصديق «رضى الله عنه». والشموخ الأنثوى العظيم ممثلاً فى أسماء بنت الصديق. والذكاء وحسن التقدير ممثلاً فى عبدالله بن أبى بكر. وروعة الحب والفداء ممثلاً فى على بن أبى طالب، وذروة الشهامة والرجولة، ممثلة فى عامر ابن فهيرة. وقمة الأمانة والشرف، ممثلة فى الدليل الذى قاد قافلة النبوة عبدالله بن أريقط

ماذا بقى من الهجرة ؟!

للدكتور/ حمدى فتوح والى

هذا ما سيشعر به القارىء الذى يقرأ عنوان المقال. وهو شعور مقبول ومعقول لمن يعتبر حدث الهجرة حدثا تاريخيا وقع وانتهى. وعندها فإن الحديث عن الهجرة يأخذ شكلا موسميا لا يُقبل ولا يُستساغ إلا عند حضور المناسبة كحدث الإسراء والمعراج، وكمناسبة المولد النبوى الشريف، ومناسبة غزوة بدر، أو ليلة القدر. أو موسم الحج. وغير ذلك من المناسبات، وكذلك الهجرة فإن مناسبتها هى بداية العام الهجرى. أما الكلام عن الهجرة فى غير هذا التوقيت، فإنه سيكون مستغربا وربما يستهجن، لأنك تتحدث خارج المناسبة، أو تغرد وحدك خارج السرب. -مع العلم أن الهجرة لم تقع فى أول المحرم وإنما كانت فى الأيام الأولى من شهر ربيع الأول وتم وصوله ﷺ فى الثانى عشر من هذا الشهر الكريم-.

جنايتنا على الهجرة

إن من يتناول الهجرة بهذا الشعور سيكون معذورا إذا قال لم يبق من الهجرة إلا هذه الدروس، وحيث إن الدروس قد قتلت بحثاً وظهرت للمتناول فى وضوح وجلاء، نتيجة تكرار المناسبة واجتهاد المحللين من العلماء والباحثين على مدى مئات الأعوام، فإنه لم يبق من هذه الدروس إلا إعادتها للتذكر نظراً لاختلاف الأجيال وتعاقبها. وننسى أننا بهذا الفهم وهذا التصور قد جنينا على الهجرة المباركة وحرمنا الأمة سر وجودها ومكمن عزها. وأسباب سعادتها وسيادتها بتعطيل الاستفادة من هذا الحدث العظيم، وهو ما يجعلنا فى حاجة ماسة إلى ضرورة إعادة النظر فى تصورنا لهذا الحدث، وكيف يمكن الاستفادة منه على الوجه الذى شرع من أجله.

إن الهجرة فى لساننا العربى تعنى كما يقول صاحب لسان العرب: «الهجر: ضد الوصل. هجره يهجره هجراً وهجرانا: صرمه. وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهجرة وفى الحديث: «لاهجرة بعد ثلاث»[1] يريد به الهجر ضد الوصل، يعنى فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع فى حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك فى جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر التوبة منهم، ويرجعون إلى الحق، فإنه ﷺ، لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوما. وقد هجر ﷺ نساءه شهراً، وهجرت عائشة رضى الله عنها ابن الزبير مدة، وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وما توا متهاجرين. قال ابن الأثير: ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر. ومن ذلك حديث أبى الدرداء -رضى الله عنه-: ولا يسمعون القرآن إلا هجراً، يريد الترك له والإعراض عنه. وهجر فلان الشرك هجراً وهجرانا وهجرة حسنة. والهجرة والهُجرة: الخروج من أرض إلى أرض. والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبى ﷺ، مشتق منه»[2].

ومن يتأمل فى كلام ابن منظور عند تناوله لمادة «هجر».. يلاحظ التركيز الشديد والاهتمام الكبير للمعنى الأصلى للكلمة وهى الهجر بمعنى الترك والقطع الذى هو ضد الوصل وهو بهذا التناول يؤكد أن المعنى الأصلى للهجرة هو المقاطعة والمصارمة والمخاصمة وهو ما أشار إليه بقوله: «فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق»[3].

فالهجرة بهذا معنى إيمانى قلبى يجده

(1) مسند احمد ٢/٤٥٦
(2) لسان العرب -جمال الدين بن منظور (مادة) هجر ص٤٦٦- دار المعارف.
(3) لسان العرب. ص١ مادة هجر

المرء فى نفسه عندما يرى الباطل والزور فينكره ويهجره.. مغاضبا ومخاصما غيره لله سبحانه حتى يعلم توبة صاحب الباطل أو الزور فيعود ليواصله حبا فى الله ورغبة فى تحصيل ثواب المهاجر فى سبيل الله الذى أعده الله للمؤمنين الصادقين المجاهدين من عباده بقوله :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

التوبة / ٢٠ : ٢٢

إن قصر الهجرة فى الآية الكريمة على المعنى الضيق لها وهو الانتقال من مكان إلى مكان يفقد الآية مضمونها. ويفوت على المسلمين الأجر الذى رتبه - سبحانه وتعالى - على الإيمان ومقاطعة الباطل ومجاهدة المبطلين إلى يوم القيامة، بحجة أن الهجرة حدث وقع وانتهى. وعندها لن نجد أساساً لحرمان الأجيال التى لم تشهد الهجرة من مكة إلى المدينة. وتريد أن يكون لها شرف الإيمان والمصابرة والمهاجرة والمجاهدة فى سبيل الله. فيكون لهم عند الله أعظم الدرجات ويكونون من الفائزين، ويستحقون من ربهم أن يبشرهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم.

مفاهيم خاطئة

إن قصر مفهوم الهجرة على معنى الانتقال من مكان إلى مكان والوقوع فى «شرك» الحدث التاريخى الذى حدث بانتقال الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة. تضييق للمعنى الإيمانى المتجدد والمقصود من معانى الهجرة. وتعطيل للمعنى الحركى الإيجابى التغييرى الذى ينبغى أن يمارس فى كل لحظة من لحظات المؤمن فى كل زمان ومكان، ويوم نفعل ذلك نكون قد فقهنا عن رسولنا ﷺ قوله: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جاهد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»[4]. فلقد حدد الحديث الشريف أن هجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، قد توقفت وانتهت بفتح مكة وصارت بلاد المسلمين جميعا كلها دار إسلام. ومن هنا تنتفى وتسقط المفاهيم الخاطئة والساذجة التى ذهب إليها البعض من المتسرعين والسطحيين ممن لم يفهموا حقيقة المفهوم الإيمانى التغييرى لمعنى الهجرة فأوردهم هذا الفهم الخاطىء موارد العزلة، فحكموا على أنفسهم بالعزلة خارج أسوار الإسلام المحصنة بمعانى الوعى والفهم والتسامح

(٤) متفق عليه.



والوسطية والتوازن والاعتدال. وما أوردهم هذا المورد إلا المفهوم الخاطىء لمدلول كلمة الهجرة وقصرهم معناها على الجانب المادى وحده وهو الانتقال من مكان إلى مكان.

إن الأمة كلها مدعوة اليوم لكى تراجع فهمها للهجرة فى ضوء حديث رسول الله ﷺ : «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[5] وعندما نفهم الهجرة فى ضوء هذا الحديث سنعلم أن كل فرد فى هذه الأمة مطالب بممارسة التهاجر يوميا، لأنها ستعنى كراهية الباطل وهجره ومحاولة تغييره. وهذه عملية يمارسها المسلم فى كل لحظة من لحظات حياته، لأنها ثمرة من ثمرات الحب فى الله والبغض فى الله، والغيرة الدائمة على هذا الدين.

المعنى الحقيقى للهجرة

إن الهجرة فى معناها الحقيقى هى الدعوة إلى إصلاح أحوال الأمة بالعودة إلى أصولها الصحيحة، وإحداث حالة من التحول السلوكى والأخلاقى والثقافى والاجتماعى، إلى الإسلام ممارسة وانتماء وأخلاقا ومعاملات. وهذا التحول لن يكلف صاحبه إلا النية الصادقة والثبات على ما يدعو إليه من حق، مهما كلفه هذا الثبات من تضحيات. وهذا هو الجهاد الذى نفهمه من قول نبينا محمد ﷺ : «.. ولكن جهاد ونية» فى الحديث السابق. وعندما نفهم الهجرة هذا الفهم الصحيح فإننا نستطيع الإجابة عن السؤال الذى هو عنوان المقال فنقول: «لقد بقيت الهجرة كلها ولم يذهب منها إلا الانتقال البدنى من مكان إلى مكان وهو أمر لم نعد بحاجة إليه اليوم، ولن نحتاج إليه فى المستقبل بعد أن قامت دولة الإسلام وامتدت لتشمل معظم بقاع الأرض. وإنما الحاجة ستظل ماسة إلى ممارسة الدعوة، وتعديل المفاهيم. وإيقاظ الهامد من المشاعر، وإثارة الخامل من الأحاسيس، وتحويل المعلوم من الدين إلى ممارسة عملية، حتى تتخلص الأمة من حالة الفصام الكريه بين ما تعتقده عقيدة وما تمارسه سلوكا، ويومها يستطيع كل فرد من أفراد الأمة أن يجد لنفسه مكانا ونصيبا مع الذين عناهم الحق سبحانه وتعالى بقوله:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾

[التوبة / ٢٠ ، ٢١]

(٥) البخارى ٩/١.

ولا يحسب القارىء الكريم أن أمر الهجرة صعب عسير، بل هو أمر ميسور إذا توفرت له النية الخالصة، والرغبة الصادقة في مجاهدة الأهواء، وإلجام النزوات، و ترشيد الميول، وضبط الشهوات. وربما كان توفر النية ووجود الرغبة هو أشق ما في الهجرة، فذلك أمر لا يتيسر لكثير من الناس. ومن هنا رأينا غالب الناس لا ينشطون إلى محاسبة أنفسهم وحملها على الطاعة والالتزام بالحق، لأن سلطان النفس، واستحكام العادة، وإيثار الراحة. ووسوسة الشيطان كلها تجتمع لتفسد في القلب تلك النية، وتطفىء في الضمير تلك الرغبة فيؤثر الارتكاس في وحله، والتليط في جهله، والركون إلى ضلاله القديم.

الهجرة إلى الله

إن كل إنسان يستطيع -إن أراد وكان صادقا- أن يمارس الهجرة إلى الله، إذا هو فكر في أمر نفسه فعلم أنه ميت لا محالة وأدرك أنه بعد الموت موقوف بين يدى خالقه، وأنه منذ ولدته أمه ماض في الطريق وصولا إلى الله، وأن الطريق يوشك أن ينتهي، وأن أمر الحياة يوشك أن يطوى وينقضي، فإذا علم ذلك واستيقنه فإنه لا بد أن يعود إلى نفسه، ويستدرك الفارط من أمره، ويطلب العون من ربه، ويندم على ما سلف من ذنبه، ويعزم عزمة الصدق على الهجرة إلى الله فيهجر كل حرام يفسد دينه بفعل المنكرات أو يترك الواجبات، ويهجر كل ما يفسد عقله من الشبهات والخرافات والمخدرات. ويهجر ما يفسد عرضه مما يوقع في الشهوات وارتكاب المحظورات. ويهجر ما يفسد ماله من كسب الحرام ومنع الزكوات، ويهجر ما يفسد نفسه ويهدم بدنه بالبُعد عن الموبقات.

إن المهاجرة من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى. ومن الفسوق إلى الإيمان، حالة من المفاعلة والمجاهدة يحتاج إلى استنفار قوى النفس جميعا. ويوم يجتمع في كيان المؤمن نية صادقة، ومجاهدة خالصة، وإقبال على الله، يكون قد هاجر فأحسن الهجرة، وآمن فاستكمل الإيمان. وعندها نكون قد فقهنا قول نبينا ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا».

❁❁❁



بشر شعوب المسلمين

للشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم

أقبلْ عليكَ من الشُّعوبِ سلامُ ... فَزِعَ (الصّليبُ) إليكَ و(الإسْلامُ)

(عيسى) يُناجي فيكَ سيفَ (مُحمّدٍ) ... والدَّمعُ سَيْلٌ، والهُمومُ رُكامُ

الأرضُ ولْهى[1]، والممالكُ رُجُفٌ ... والنّاسُ حَرْبٌ، والزَّمانُ خِصامُ

دُنيا تموجُ بها الشُّرورُ، وعالَمٌ ... تطْغَى على جَنَباتِهِ الآثامُ

لا الحِلُّ حِلٌّ في شرائعِ أهلِه ... عندَ القضاءِ، ولا الحرامُ حَرامُ

عَبِثَ (الفلاسفةُ الكِبارُ) بأمْنِه ... وجَنَى عليْهِ (السّادةُ الأعْلامُ)

أقْبِلْ كعهْدِكَ مُوقِظًا ومُنَبِّهًا ... إنَّ البَصائِرَ والعُقولَ نِيامُ[2]

وانْشُرْ كِتابَكَ هادِيًا ومُهَذِّبًا ... فالنّاسُ ضُلّالٌ، وأنْتَ إمامُ

هذا كِتابٌ للحياةِ مُفَصّلٌ[3] ... وَضَحَتْ بهِ الآياتُ والأحْكامُ

مَضَت الدُّهورُ، وما يزالُ كأنّهُ ... بمَكانِه، ما فُضَّ عنهُ خِتامُ[4]

---

١) شديدة الحزن.

٢) جمع بصيرة، وهى العقل والفطنة.

٣) مُبيّن.

٤) ما فُضَّ عنه ختام أى لم يُفتح، والخِتام كل ما يُختم به على الشيء.

نمت الممالك في ظلالك، واجتلت[٥] ... أمم الزمان سناك والأقوام

أشرقت، والدنيا ضلال مطبق ... والكون شر شامل وظلام

وطلعت، والحق المبين مشرد[٦] ... يبغي المقام، وأين منه مقام؟.

القتل يطلبه، ويركض خلفه ... والنبل حيرى، والخطوب جسام[٧]

والجاهلية في مظاهر عزها ... ما ينقضي صلف لها وعرام[٨]

بطل تأهب للجهاد يقيمه ... ومضى، فلا خور ولا استسلام[٩]

ما الظن بالضرغام سار مهاجرا؟. ... ضاق العرين، فهاجر الضرغام[١٠]

يمشي وصاحبه، وما من ثالث ... إلا الإله الواحد العلام

لم تلهه الدنيا، ولم يلعب به ... منها متاع زائل وحطام[١١]

الدين من دنيا الهوى وخبالها ... للنفس حرز مانع وعصام[١٢]

ولقد ينال الفرد في إيمانه ... ما لا ينال الجيش وهو لهام[١٣]

النفس ملء الدهر، أو هي ذرة ... مما تثير وتنفض الأقدام[١٤]

ما يستبين مكانها فترى، ولا ... هي بالتي يعنى بها فتسام[١٥]

***

٥) اجتلى الشيء: نظر إليه. ٦) المبين: الواضح. والمُشرَّد:الشريد الطريد.

٧) يركض: يعدو. وجسام: جمع جسيم، وهو العظيم الضخم.

٨) الجاهلية: هي حقبة تاريخ العرب قبل الإسلام، كانت تتسم بالنازعات والحروب المستمرة بين القبائل والأخذ بالثأر ووأد البنات وغير ذلك من الموبقات، فضلاً عن عبادة الأصنام والشرك بالله. والصلف والتكبر وقلة الخير. والعرام: الشراسة والأذى.

٩) الخور: الضعف والفتور. ١٠) العرين: مأوى الأسد. والضرغام: الأسد.

١١) المتاع: ما ينتفع به انتفاعاً قليلاً غير باق. والحطام: المال الكثير أو القليل يفنى ولا يبقى.

١٢) الحرز: الحصن. والعصام: الحفظ والوقاء. ١٣) الجيش اللهام: العظيم.

١٤) الذرة: جزء متناه في الصغر، والمقصود بها هنا ذرة من التراب التي تنفضه الأقدام.

١٥) يُعنى بها: أي يُشتغل ويُهتم بها. وتُسام: تُعرض ويقدَّر ثمنها.

حررت من رق الجهالة أنفسا[١٦] ... لبثت يهان عزيزها ويضام

محن الحياة على النفوس كثيرة ... وأشدها الأهواء والأوهام[١٧]

يا منقذ الضعفاء من آلامهم ... أمم البسيطة كلها آلام

جرحى على جرحى تئن، ألا يد ... تأسو الجراح لعلها تلتام؟.[١٨]

هات الرسالة من يمين (محمد) ... إنا نسينا الدين كيف يقام

وإذا الحياة تنكرت أعلامها ... فالدين دستور لها ونظام[١٩]

إنا جهلناها، وعندك علمها ... والجهل داء للشعوب عقام[٢٠]

هو إن سألت أولي المعارف: ما اسمه ... سل يذيب حياتها وجذام[٢١]

زاغت بصائرنا، فأصبح أمرنا[٢٢] ... بيد الألى نام الحماة وقاموا

نمضي على هون بكل مضلة ... حتى كأنا في البلاد سوام[٢٣]

والقوم إن عصفت بهم أهواؤهم ... هفت العقول وطاشت الأحلام[٢٤]

لا الجاهلية إذ تقادم عهدها ... درست معالمها، ولا الأصنام[٢٥]

***

١٦) الرق: العبودية.

١٧) المحن: جمع محنة، وهي ما يُمتحن به الإنسان من بلية. والأهواء: جمع الهوى، وهو إرادة النفس وميلها إلى ما تستلذ، والزيغ عن الطريقة المثلى. والأوهام: جمع وهم، وهو ما كان غير حقيقي.

١٨) التأم والتأم الجرح: التحم وبرئ.

١٩) تنكرت الأعلام: أي تغيرت العلامات والآثار عن حالها حتى تُنكر. والدستور هو القاعدة يُعمل بمقتضاها «فارسية».

٢٠) الداء العُقام: لا يُرجى البرءُ منه.

٢١) السل: داء في الرئة. والجذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء.

٢٢) انحرفت واضطربت.

٢٣) الهون: الخزي. والمضلة التي تُضلّ فيها الطريق. والسوام: الإبل الراعية.

٢٤) طاشت وخفت. ٢٥) درست: عفت وانمحت. والمعالم: جمع معلم، ما يستدل به.

أقبلَ على الدُّنيا بعهدٍ صالحٍ … تحيا به الآمالُ وهي رِمامُ[٢٦]

بالمسلمين، وأنت من آمالهم … ظمأً إليك مُبرِّحٌ وأُوامُ[٢٧]

هُمْ في المنابرِ ألسُنٌ وجوانحٌ … وعلى المآذنِ أعيُنٌ أو هامُ[٢٨]

تطَّرِقُكَ، فازدلِفوا تُهِلُّ شعوبهم[٢٩] … فلكلِّ شعبٍ ضجَّةٌ وزحامُ

أو ما لمستَ صدورَهم فعرفتَها … ومن التَّرائبِ والصُّدورِ ضِرامُ؟[٣٠]

حالَ الزَّمانُ، ودارت الأيَّامُ … فمضى الجبانُ، وأحجمَ المِقدامُ[٣١]

نامتْ سيوفُ الفاتحين فحازَها … يقظُ الأسنَّةِ والسُّيوفِ هُمامُ

لَهِجٌ بأخبارِ السَّماءِ بهيجُه[٣٢] … عند الكواكبِ مطلبٌ ومرامُ

جمعَ الأزمَّةَ للصِّعابِ يقودُها[٣٣] … فلكلِّ صعبٍ في يديه زِمامُ

ولكلِّ شعبٍ إن توثَّبَ أو مضى … يبغي الفريسةَ مصرعٌ وحِمامُ[٣٤]

***

يا أيُّها العامُ الجديدُ ورِثْتَها … دنيا ورِثْناها، ونحنُ كِرامُ

ثم انطوتْ عنَّا وزالَ نعيمُها … فكأنَّنا من بعدِها أيتامُ

كم ماتَ قبلَكَ من وليدٍ وارثٍ … وكذا تموتُ وتُولَدُ الأعوامُ

بَشِّرْ شعوبَ المسلمين بطائرٍ … سعْدٍ، فما للنَّحْسِ منك ذِمامُ[٣٥]

٢٦) رمام: جمع رميم، وهو البالي الميت.

٢٧) مُبرِّح: أي مؤذٍ أذى شديداً. والأوام: شدة العطش.

٢٨) الجوانح: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر. والهام: جمع هامة وهي الرأس.

٢٩) ازدلفوا: تقدموا وتقربوا. وتهِلّ: ترفع صوتها.

٣٠) جمع تريبة، وهي العظمة من الصدر.

٣١) يحيل: تغيّر. ومضى: تقدم. وأحجم: نكص هيبة.

٣٢) من لهج بالشيء: أُغري به، فثابر عليه.

٣٣) الأزمَّة: جمع زمام، وهو المقود.

٣٤) المصرع والحمام: الموت.

٣٥) الذمام: الحرمة والحق.



زالتْ عن الشَّرقِ السُّعودُ فلم تدُمْ … أيكونُ فيه للنُّحوسِ دوامُ؟.

اضربْ لنا مثلَ الجهادِ وسِرْ بنا … تغشى الوقائعَ، فالحياةُ صِدامُ[٣٦]

هلْ أسلمَ (الهادي الأمينُ) قيادَهُ … أمْ كانَ منه النَّقضُ والإبرامُ؟[٣٧]

يبني ويهدمُ جاهداً ما مِثلُه[٣٨] … في الدَّهرِ بنَّاءٌ ولا هدَّامُ

رفعَ الحياةَ على أساسٍ صالحٍ … والسَّيفُ رُكْنٌ، والكتابُ دِعامُ[٣٩]

(أُحُدٌ) و(بدرٌ) شاهدانِ، فما على … من يسفحُ الدمَ في الحقوقِ مَلامُ[٤٠]

هلْ جالَ في تلكَ المشاهدِ مُصحفٌ … أم جالَ فيها مُصحفٌ وحُسامُ؟.

إنَّا لنلمحُ في جبينكَ آيةً … ممَّا يخطُّ الوحيُ والإلهامُ

تلكَ البِشارةُ[٤١]، إنْ تغبْ فدليلُها … هذا الهلالُ المُشرقُ البسَّامُ

إنْ يُخلفِ الزمنُ الكنودُ فربَّما … وفَّتْ الجدودُ، وبرَّتِ الأقسامُ[٤٢]

إنَّا أخذنا للحياةِ عتادَها … ومضتْ بنا هِمَمٌ تجيشُ عِظامُ[٤٣]

لا يأتمرْ منا الرُّماةُ بمقتلٍ … فلنا نبالُ مثلهم وسهامُ[٤٤]

نسعى ونعملُ دائبين لقومِنا … نبغي التمامَ، وللأمورِ تمامُ

٣٦) تغشى: تأتي. والوقائع: جمع وقيعة، وهي صدمة الحرب والقتال.

٣٧) الهادي الأمين: هو سيدنا محمد ﷺ، وأسلم القياد أي أذعن طوعاً، وقيل كرهاً. والقياد في الأصل: ما تقاد به الدابة من حبل ونحوه. والنقض والإبرام: أي الحل والربط، من نقض الحبل حله، وأبرمه: فتله، ومنه أبرم الأمر أحكمه.

٣٨) جاهداً: باذلاً أقصى جهده.

٣٩) ركن: الركن من البيت، الجانب الأقوى منه. والدعام: عماده.

٤٠) أحد: جبل واقع في نحو ٤ كم شمالي المدينة. عنده صارت الواقعة بين المسلمين ومشركي مكة عام ٦٢٤، وفيها انهزم المسلمون بعد انتصارهم لعدم انصياع الرماة لأمر النبي ﷺ. ويسفح الدم: يسفكه ويريقه. والملامة: اللوم.

٤١) الخبر المفرح.

٤٢) يُخلف: لم يتم وعده. والكنود: العاصي أو الذي يَعد المصائب. الجدود: جمع الجد وهو الحظ. والأقسام: جمع القسم وهو النصيب.

٤٣) الهمم: جمع همة، وهي العزم القوي. وتجيش: تغلي.

٤٤) ائتمروا به أي هموا به، وأمر بعضهم بعضاً بقتله. والمقتل: القتل. والنبال والسهام بمعنى.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلي يوم الدين).

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر- المقيد برقم ٢٦٨٦ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن السؤالين الآتيين:

المال المودع فى البنك لشراء أثاث شقة الزوجية لا زكاة فيه

● السؤال الأول: ورد من السيد م. ع. م:

تقدمت للزواج من إحدى الفتيات واتفقنا أنا ووالد الفتاة على عقد الزواج حتى لا يكون هناك حرج من دخولى بيت العروس ولما لم تكن لدى شقة للدخول بها اقترح علىّ والد العروس أن نضع مبلغ المهر والمبلغ الذى سيساهم به مع ابنته فى الأثاث فى أحد البنوك باسم الفتاة خوفاً من ضياعه، ونظراً لأنى لم استطع الحصول على شقة تمليك قمت باستئجار شقة قانون جديد. وعندما أردنا سحب المبلغ من البنك لإتمام الزواج قال لى شقيق العروس: إنه لابد من إخراج زكاة هذا المال وخاصة أنه مر عليه أكثر من حول. فقلت له: كيف أخرج الزكاة عن المبلغ مع أنها نقود تم رصدها لشراء الأثاث لشقة الزوجية وليست فائضة عن حاجتى؟! وهناك أمر آخر وهو أن سعر الأثاث قد ارتفع اليوم عن وقت إيداع المبلغ فى البنك مما يجعل قيمة المبلغ الفعلية اليوم أقل من وقت إيداعه. أرجو من فضيلتكم بيان الحكم الشرعى فى هذا الأمر.

●● الجواب:

المقرر فى فقه السادة الحنفية أن من شروط وجوب الزكاة في المال الذى بلغ نصاباً وحال عليه الحول: كونه فاضلاً عن الحاجة الأصلية؛ إذ المال المحتاجُ إليه حاجةً أصليةً لا يكون صاحبه غنياً عنه بل هو من ضرورات حاجة البقاء وقوام البدن، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا صَدَقَةَ إلاَّ عَن ظَهْرِ غنى» رواه أحمد وهو عند البخارى بمعناه، وقد فسروا الحاجة الأصلية بأنها: «ما يدفع الهلاك عن الإنسان تحقيقاً: كالنفقة، ودُور السُّكنَى، وآلات الحرب، والثياب المحتاج إليها لدفع الحر أو البرد، أو تقديراً: كالدَّين؛ فإن المديون محتاج إلى قضائه بما فى يده من النصاب دفعاً عن نفسه الحبس الذى هو كالهلاك. فإذا كان له دراهم مستحقة بصرفها إلى تلك الحوائج صارت كالمعدومة؛ كما أن الماء المستحق بصرفه إلى العطش كان كالمعدوم وجاز عند التيمم» أ. هـ. من حاشية ابن عابدين (٢/ ٦).

وعليه: فإن هذا المال المودع فى البنك لشراء أثاث شقة الزوجية لا زكاة فيه ولو بلغ النصاب وحال عليه الحول.

والله سبحانه وتعالى أعلم



يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

مع انتفاء القصد لا يقع الطلاق

● السؤال الثاني: من السيد ع. ر:

تعود لسانى على النطق ببعض الألفاظ بصورة دائمة مثل قولى عندما أريد التعبير عن سرعة شخص ما فى تأدية العمل «فلان طلقة أو صاروخ».

وفى ذات مرة طلبت من زوجتى أن تعد لى كوباً من الشاى ولما أعدته بسرعة لم أتوقعها وجدت نفسى أعبر عن ذلك بقولى لها «أنت طلقة» وأعنى بها مثل طلقة الذخيرة التى تنطلق من المسدس بسرعة هائلة، ولم أقصد نهائياً لفظ الطلاق المعروف. ولكن زوجتى أصرت على أن تستفتى فى هذا الأمر؛ لأنها سمعت أنه لا فرق بين لفظ الطلاق سواء أكان هزلاً أم جداً.

فما الحكم الشرعى فى ذلك؟

●● الجواب:

لفظ الطلاق الصريح يقع به الطلاق سواء أكان هزلاً أم جداً لكون القصد للفظ متوفراً، ولا عبرة بالجد أو بالهزل مع توفر قصد اللفظ وصراحته؛ تعظيماً لشأن الطلاق وحفاظاً من التلاعب بهذا الميثاق المحترم، لكن مع انتفاء القصد لا يقع الطلاق حتى ولو كان باللفظ الصريح، كأن تلفظ به حال نومه، أو فى أثناء جنونه، أو بقصد التعليم، أو ما شابه.

وفى واقعة السؤال ما صدر من السائل لا يتوفر فيه قصد الطلاق بهذه اللفظة فلا يقع به طلاق.

والله سبحانه وتعالى أعلم

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادئ والتطبيق



لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

الجزية

من الأهمية بمكان أن نتعرض في هذا البحث لموضوع الجزية التي كان يدفعها أهل البلاد المفتوحة الذين يختارون البقاء على عقيدتهم الدينية ولا يريدون الدخول في الإسلام.

نظراً لأن موضوع الجزية قد تناوله كثير من المستشرقين وبعض المتعصبين ضد الإسلام بطريقة بعيدة عن الصواب والحقيقة، وبالغوا في تشويه صورة الإسلام حيث اعتبروا الجزية عقوبة فرضها الإسلام على أهل البلاد المفتوحة على عدم دخولهم في الإسلام.

إن الحقيقة غير ذلك، ولو أنصف هؤلاء وتناولوا الموضوع بحيدة تامة، وجردوا أنفسهم من الحقد والميل مع الهوى لمدحوا الإسلام عليها، ولدافعوا عن الإسلام حين قرر دفع الجزية على هؤلاء.

لقد أقر جميع المؤرخين - قديماً وحديثاً - على أن القادة المسلمين عندما كانوا يدخلون بلداً من البلاد كانوا يُخيّرون أهلها بين ثلاث:

- إما الدخول الإسلام بإرادتهم الحرة وبلا إكراه أو ضغط، فإذا اعتنقوا الإسلام صاروا مسلمين، وتطبق عليهم أحكام الشريعة الإسلامية، لا فرق بينهم وبين غيرهم من المسلمين في أي بلد إسلامي في الدولة الإسلامية.
- وإما البقاء على دينهم ومزاولة طقوس عقيدتهم الدينية في حرية كاملة، على أن يدفعوا الجزية.
- وإما القتال في حالة رفض الخيارين الأول والثاني.

والإسلام حين قرر دفع الجزية على من اختار البقاء على عقيدته الدينية، لم يقررها عقوبة على عدم الدخول في الإسلام، وإنما هي ضريبة يدفعها هؤلاء نظير أن الجيش الإسلامي يتولى حمايتهم والدفاع عنهم ضد أي اعتداء خارجي يقع عليهم، لأن من سماحة الإسلام في الدولة الإسلامية الأولى أنه لم يفرض على غير المسلمين الخدمة العسكرية في الجيش الإسلامي - وقد كان هدف الدولة الإسلامية نشر الإسلام - حتى لا يجبر غير المسلمين على الدفاع عن دين لا يؤمنون به، وكان الحكام المسلمين واقعيين جداً بأنهم لا يفرضون على غير المسلمين أن يسفكوا دماءهم من أجل دين لا يؤمنون به، وهذا قمة التسامح مع غير المسلمين، وحيث إن جيوش الدولة الإسلامية ملزمة بموجب عقد الأمان بالدفاع عن غير المسلمين الموجودين في الدولة الإسلامية فلابد أن يساهموا في نفقات الجيوش الإسلامية التي تدافع عنهم بدفع ضريبة الجزية، وليس عقوبة الجزية كما يردد بعض المستشرقين.

كما أن الجيش الإسلامي كان ينفق عليه من بيت المال الذي يموّل من زكاة المسلمين، وهؤلاء ليست عليهم فريضة زكاة المال، فهل من العدالة أن يتحمل المسلمون الدفاع عن الدولة كجنود في الجيش، ويتحملوا في الوقت نفسه نفقات الجيش، ولا يتحمل هؤلاء شيئاً من نفقات الدفاع عنهم؟؟

يؤيد ذلك ويوضحه الآتي:

●● أن من كان يقبل من هؤلاء الالتحاق بجيش المسلمين والدفاع عن الدولة الإسلامية كانت تسقط عنه الجزية فوراً، وهذا ما حدث مع قبيلة الجراحية، وهي قبيلة مسيحية تقيم بجوار أنطاكية سالمت المسلمين وعاهدت أن تكون عوناً لهم وأن تقاتل معهم في معاركهم شريطة ألا تؤخذ الجزية منهم، وأن تأخذ نصيبها من الغنائم.. ولما اندفعت الفتوحات الإسلامية في شمال فارس في السنة الثانية والعشرين من الهجرة ٦٤٣م، أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود البلاد، وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية، لأنه ليس من المعقول أن يموت شباب المسلمين دفاعاً عن القبائل غير الإسلامية، ولا يشترك شباب غير المسلمين

فى هذه المعارك، ولا يدفعون الجزية «ضريبة الدفاع»؟؟ وهو ما حدث فى مصر من عام ١٨٥٦م فى عهد سعيد باشا حينما أعلن عن سقوط الجزية عن غير المسلمين، والسماح لهم فى الاشتراك فى الخدمة العسكرية.

•• إن الجزية ضريبة الدفاع عن غير المسلمين فى الدولة الإسلامية للمساهمة فى نفقات الجيوش الإسلامية اللازمة بالدفاع عن غير المسلمين من أى اعتداء خارجى، وذلك يعنى عدم وجوب الجزية فى حالة عدم قدرة الجيوش الإسلامية على حماية غير المسلمين، وقد كتب خالد بن الوليد فى عقد الأمان لغير المسلمين: «إن منعناكم حميناكم فلنا الجزية وإلا فلا يمنعكم»، وهذا ما صنعه أبوعبيدة ابن الجراح رضى الله عنه عندما أبلغه نوابه من أهل الشام بتجميع قوات الروم وأنهم غير قادرين على صدهم.. فكتب أبوعبيدة بن الجراح إلى نوابه فى مدن الشام برد الجزية عمن أخذوها منهم، وأمرهم بأن يعلنوا هذه الرسالة: «إنما رددنا عليكم أموالكم لأننا قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ـ أى نحميكم ـ وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشروط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم»، وهذا ما رواه أبويوسف فى كتابه الخراج.

ادعــــاءات باطــــلة

ومما تجدر الإشارة إليه هنا إنصافاً للحقيقة، وإيضاحاً للمعلومات، ورداً على الافتراءات التى توجه ضد الإسلام، الآتى:

• أن الجزية ليست من مستحدثات الإسلام والدولة الإسلامية، فقد فرضها الإغريق على سكان آسيا الصغرى فى القرن الخامس قبل الميلاد ـ أى قبل الإسلام بحوالى ألف عام، وكذلك فرضها الرومان والبيزنطيون والفرس على الأمم التى أخضعوها لحكمهم، وكانت أكثر بكثير من مقدار الجزية فى عصر الدولة الإسلامية، وقد كانت الجزية فى دول الروم والبيزنطيين والفرس تؤخذ بالقوة وفوق طاقة البلاد المحتلة، وكانت توخذ كضرائب للدولة المركزية، وكانت تؤخذ أكثر من مرة فى السنة.

• إن المقام يتطلب عقد مقارنة: بين الجزية التى قررها الإسلام، وبين الجزية التى كانت تجبى قهراً من جانب الدولة الرومانية، كى يعرف الناس الحقيقة، ويتبين لهم كذب الادعاءات الباطلة التى توجه للإسلام.

•• إن الجزية التى أوجبها الحكام المسلمون هى مبلغ ضئيل جداً من المال يدفعها الرجال البالغون القادرون على حمل السلاح فقط، ويرجع فى تقديرها إلى الحاكم الذى عليه أن يراعى طاقات الدافعين ولا يرهقهم بها،

وعليه أن يراعى المصلحة العامة للأمة الإسلامية، والحد الأدنى للجزية هو دينار واحد، حيث قال الرسول ﷺ لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: «خذ من كل حالم ديناراً»، وكان يعفى من دفع الجزية: القصر، والنساء، والشيوخ، والعجزة، وأصحاب الأمراض، والرهبان.. أى حوالى ٧٠٪ ممن كانوا يخضعون لدفع الجزية.

•• إن الجزية التى فرضتها الدولة الرومانية على أهل البلاد التى خضعت لحكمها كانت فوق طاقة أهل البلاد، ولا يعفى منها أحد مهما كانت حالته، فقد قال المؤرخ «ملن» فى كتابه «تاريخ مصر فى عهد الرومان»: «إنهم فرضوا ضرائب على الرءوس من الأقباط، أى على كل نفس حية، وعلى الحيوانات، والمنازل، وأكثر من ذلك فرضوا ضرائب على الأثاث الموجود داخل المنازل، هذا خلاف الضرائب العادية على الزراعة والمحاصيل والتجارة، ولكن وصلت ذروة الكراهية للدولة الرومانية عندما فرضوا ضرائب على الموتى بحيث لا يدفن أى ميت ولا يصرح بدفنه إلا إذا دفع ضريبة الموتى.

فهل بعد هذا الإيضاح، وبيان تلك الحقائق يمكن لعاقل أن يتهم الإسلام بأنه فرض الجزية على أهل البلاد المفتوحة عقوبة لهم على عدم الدخول فى الإسلام؟؟ أو أنه فرض عليهم جزية فوق طاقتهم أو ترهقهم؟؟

الحقــد الأســود

إنه الحقد الأسود من جانب هؤلاء الأفاكين الذين يتحدثون عن الإسلام فقط ولا يتحدثون عن الجزية التى فرضتها الدولة الرومانية ـ بكل ما فيها من قسوة وظلم ـ على البلاد التى خضعت لحكمها!!!

ولقد أنصف بعض المستشرقين الحقيقة، فشرحوا الجزية التى أوجبها الإسلام بصورتها الحقيقة، فهذا «آدم متز» يقول:

«كان أهل الذمة بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم، ومن حمايتهم لهم، يدفعون الجزية كل منهم حسب قدرته، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطنى، فكان لا يدفعها إلا الرجال القادرون على حمل السلاح...».

تنويـــه

وقع خطأ غير مقصود بالعدد السابق ص٢٠٨٨، حيث نشر: حرمة الاعتداء على النفس والوطن والمال، وصحته: «حرمة الاعتداء على النفس والعرض والمال» لذا وجب التنويه



أصول الفقه في المنطق الإسلامي
والتطبيق لفريضة الاجتهاد في علوم الشرع والعقل

للدكتور/ عبد الحليم عويس

تعرف المناهج الأصولية بأنها الطرق التي تبحث في القواعد التي تعين الفقيه على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وتبحث في مصادر الأحكام الشرعية الأصلية والتبعية، وبالتالي يعرف علم أصول الفقه بأنه العلم الذي يبحث في القواعد التي يستنبط المجتهد على أساسها الأحكام الشرعية (العلمية) من أدلتها التفصيلية.

وترجع أهمية نشأة علم أصول الفقه إلى حقيقة أساسية هي أن الرسول ﷺ لم يكن مبلغاً ما أوحي إليه من ربه، ومبينا للناس ما نزل إليهم بالتفسير والتوضيح فحسب، بل كان له نصيب في التشريع المبتدأ مما لم يتناوله القرآن الكريم بالتفصيل، شريطة أن يتفق تشريعه مع مقررات الوحي في أهدافه ومقاصده.

وقد رسم الرسول ﷺ - بهذا المنهج- لأصحابه طريق الاجتهاد بالرأي، بل وعلمهم إياه تعليماً مباشراً، فعندما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، كما ورد في حديث معاذ سأله الرسول: كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟..

قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله، قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله قال: اجتهد رأيي لا آلو (أي لا أقصر). قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله(1).

وقد ظهرت ثمار هذا المنهج يانعة في عصر الراشدين -رضي الله عنهم- فها هو الخليفة عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما) حين ولاه القضاء:

«القضاء فريضة محكمة، أو سنة متبعة، ثم: الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب أو سنة، فاعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق(2).

وقد سارت الأمور الاجتهادية في ضوء الموازين الإجمالية التي وضعها الرسول وطبقها الراشدون، حتى ظهر محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠- ٢٠٤هـ) الذي جعل من أصول الفقه علماً، وكتب في الأصول كتاباً هو الأب الشرعي لعلم الأصول وهو كتابه الموسوم باسم (الرسالة).

كتاب الرسالة للشافعي

يُعَدُّ الإمام الشافعي (بكتابه الرسالة عمدة علم الأصول) (أول من صنف في أصول الفقه.. فقد صنف فيه كتاب الرسالة (وهو الأصل) ثم كتاب (أحكام القرآن، واختلاف الحديث، وإبطال الاستحسان، وكتاب جماع العلم، وكتاب القياس).

(فنسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل) وكنسبة العروض إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، ونسبة الاجتماع فيما بعد إلى ابن خلدون...) الكتاب إذن ليس كتابا عاديًا في حركة الفكر الإسلامي بل معلم تراثي واضح على الطريق، وهو

(1) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٣٠.

(2) نقلاً عن الخضري محمد، أصول الفقه ص٨ بتصرف- طبعة دار المعرفة، بيروت- لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

جدول استطاع أن يشق له طريقًا انحدر به فى مجرى تاريخ الفكر الإسلامى مكونًا له وسائل خاصة وقضايا خاصة ومعالم اجتهادية خاصة، ومن المعلوم أن البداية الواضحة التاريخية لأى علم إنما هى حصاد تطوّر مبعثر طويل عبّر عن نفسه فى أكثر من صورة، وإن لم يكن أعطى هذه الصورة مكانها الصحيح، وأطلق عليها اسمها العلمى المنظم.

ويلخص لنا الفخر الرازى فى (مناقب الشافعى) تطوّر البحث فى علم الأصول حتى «الرسالة» للشافعى فيقول:

«كانوا قبل الإمام الشافعى يتكلمون فى مسائل أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة، وفى كيفية معارضتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعى علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونًا كليًا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع».

كان الشافعى نفسه يعرف قيمة كتاب الرسالة من حركة العلم الإسلامى، وكان يطلق على الكتاب اسم (الكتاب) (كتابى) أو (كتابنا).. ولا تخفى دلالة التسمية على إدراك الشافعى للعمل العظيم الذى قام به، ولم تكن تسمية الكتاب (بالرسالة) إلا مرحلة متأخرة فرضت نفسها على الكتاب، بسبب إرسال الشافعى له إلى عبدالرحمن بن مهدى الإمام الحافظ الذى كان ينعته الشافعى بالتفرد فى دنيا العلم.

وقد ألف الشافعى الكتاب مرتين: الرسالة القديمة ويبدو أنه ألفها فى مكة، والرسالة الجديدة -التى بين أيدينا: وقد ألفها فى مصر. ومن الراجح أن الرسالة الجديدة هى ما تبقى فى ذهن الشافعى من الرسالة القديمة (المفقودة) وهى كذلك الحصاد الإضافى لرحلة العلم فى بغداد وفى مصر وفيما بينهما.

وقد تعددت صور الاهتمام بالكتاب منذ ألفه الشافعى، وألقاه على تلامذته الذين اقترن الكتاب بواحد من أشهرهم وهو (الربيع بن سليمان) الذى اعتبر أصله أصح الأصول للكتاب- وكان لشدة اشتهاره بسماع الكتاب يجيز نسخ كثير من الذين استمعوه ونقلوه.

وقد ذكر المرحوم الشيخ أحمد شاكر أكثر من أربعين سامعًا للكتاب تولوا نسخه وتنظيمه بطريقتهم الخاصة، وهذا يعود لأهميته وموقعه فى حركة العلم الإسلامى.

أما الذين تولوا شرحه فكثيرون حصر بينهم المحقق خمسة هم: أبوبكر الصيرفى محمد بن عبدالله، وأبوالوليد النيسابورى صاحب المستخرج على صحيح مسلم، والقفال الشاشى محمد بن على بن اسماعيل، وأبوبكر الجوزقى النيسابورى، وأبومحمد الجوينى الإمام المعروف.

ويبدأ الكتاب بمحاولة تحديد (كيفية البيان)، ولعل النظرة العابرة لهذا العنوان توحى بالشروط المطلوبة فى عملية التشريع، فمن لم يعرف البيان العربى- الذى يعد القرآن ببلاغته ولغته قمته- بكل ما يتطلبه هذا البيان من عناصر المعرفة، فليس له أن يقحم نفسه فى باب استنباط الأحكام أو التقعيد، إذ هو مفتقد لأول الشروط المطلوب تحقيقها فى (الأصولى).

والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع فمنها ما أبانه الله لخلقه نصًا، مثل جمل فرائضه كالأوامر الإجمالية المتعلقة بالصلاة والزكاة والصيام والحج، وكالآيات القرآنية الواضحة الدلالة.

ومن هذه المعانى ما أحكم الله فرضه بكتابه، ثم بيّن كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة.

ومنها ما سنّه الرسول ﷺ مما ليس فيه نصّ حكم.

وتشغل قضية الناسخ والمنسوخ حيزاً كبيراً من الرسالة، ويعدّ الشافعى من أبرز من وضعوا هذه القضية فى إطارها الصحيح. ولعل حسه الإسلامى كان يوحى إليه بأن المبشرين والمستشرقين لن يلوكوا قضية من قضايا الفكر الإسلامى مثل إلحاحهم على قضية الناسخ والمنسوخ، ظناً منهم أنها مدخل للطعن فى الإسلام.

ويرى الشافعى أن القول بالنسخ لا يجب أن يطلق هكذا، دون أن يكون هناك نظر دقيق للرواية والراوى ولتاريخ الحكم وملابساته، فلربما كان الحكم مبتوراً وفقا للقدر الذى تلقاه صاحبه عن الرسول أو عن الصحابى.. بينما قدر لآخرين أن يتلقوا نصاً آخر أكمل وأوضح.. فكل يرى أنه على حق.. وهو بالنسبة لما سمعه- على حق فعلاً.. ولا خلاف بين الرأيين فى الحقيقة.

وفى الصفحات التالية يتحدث الشافعى عن مصادر التشريع الإسلامى.. وبعض القضايا المتصلة بها- عدا القرآن والحديث اللذين تناولهما من قبل- كأساسين ثابتين للاجتهاد الأصولى.

ويتحدث الشافعى- بعد ذلك- عن الإجماع- فيبين أن الاعتماد على الإجماع قائم على أساس أن الأمة لا تجتمع أبداً إلا على سنة، وإن لم يكن هناك نص عليها، على أنه إذا عزبت السنة عن بعضهم فإنها لن تعزب عن جميعهم، وقد وردت الآثار تؤكد أهمية الإجماع كمصدر ثالث للتشريع.

***

ويرد القياسُ بعد الإجماع- فى رأى الشافعى- كمصدر رابع للتشريع.. وعنده أن القياس والاجتهاد اسمان لمعنى واحد.

***

وتتضح علاقة القياس بالاجتهاد فى تحديد الهدى على من قتل الصيد مُحرما.. فالقياس والاجتهاد متداخلان فى تحديد مثل ما قتل من النعم.

***

ويرى الشافعى أن الاستحسان وهو كمصدر للتشريع «لا يجب أن يقول فيه إلا عالم بالأخبار، عاقل بالتشبيه عليها، وإذا كان هكذا كان على العالم ألا يقول إلا من جهة العلم- وجهة العلم الخبر اللازم بالقياس على الصواب» «ولو استحسن بلا خبر لازم ولا قياس كان أقرب إلى الإثم من الذى قال وهو غير عالم».

«ولا يكون لأحد أن يقيس- أو يستحسن أيضا- حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب، ولا بد أن يكون صحيح العقل، وحتى يفرق بين المشتبه، ولا يعجل بالقول به دون التثبت».

وهكذا يرتكز منهج البحث فى الأصول كما وضعه الشافعى فى الرسالة على أمور أربعة أساس هى:

أولاً: الأحكام التكليفية الخمسة وهى (الوجوب، والحظر، والندب، والكراهة، والإباحة) ويتبعها الحسن والقبيح والأداء والقضاء والصحة والفساد وغيرها.

ثانيا: أدلة الأحكام وهى: (الكتاب والسنة والإجماع والقياس)

ثالثا: طرق الاستنباط وهى وجوه دلالة الأدلة.

رابعا: المستنبط (بكسر الباء) وهو المجتهد الذى يتحقق فيه الشروط المعتبرة بين علماء هذه الأمة فى المجتهدين المتخصصين.

منهجية التأليف فى أصول الفقه

فى ظل الأمور الأساسية التى يبنى عليها البحث فى علم الأصول تشعبت المنهجية فى أصول الفقه إلى منهجين:

● المنهاج الأول: منهج المتكلمين، أو بتعبير آخر منهج الشافعية لكثرة من كتب فيه منهم.

● المنهاج الثانى: منهج الحنفية.

فأما المتكلمون أو الشافعية: فقد كان منهجهم البحث على طريقة علم الكلام، أى تقرير الأصول من غير التفات إلى موافقة فروع المذاهب لها أو مخالفتها إياها، وهم ينتسبون إلى مذاهب شتى، فمنهم المعتزلة، والشافعية، والمالكية، فما أيدته العقول والحجج من القواعد أثبتوه، وما خالف ذلك نفوه، وقلما اشتغلوا بالبحث فى الفروع المذهبية إلا بطريقة عفوية.

أما المنهج الثانى (منهج الأحناف): فيراعى فيه تطبيق الفروع المذهبية- ابتداء- على القواعد، حتى إنهم كانوا

يقررون قواعدهم على مقتضى ما نقل من الفروع عن أئمتهم، فكأن الفروع هى الأصل الذى تستخرج منه القاعدة، فإذا ترتب على القاعدة مخالفة لفرع فقهى شكلوا القاعدة بالشكل الذى يتفق مع الفرع، لذلك نرى الأصول الفقهية الحنفية حافلة بالفروع الكثيرة، لأنها فى الحقيقة أصل للقواعد، ومنها تؤخذ الكليات.

● وقد ظهرت مؤلفات فى المنهاجين، فعلى منهج المتكلمين أو الشافعية ظهرت مؤلفات أهمها ثلاثة:

أولها: كتاب المعتمد لأبى الحسين محمد بن على البصرى، المعتزلى الشافعى، المتوفى سنة ٤٦٣هـ

● وثانيها: كتاب البرهان لأبى المعالى عبدالملك بن عبدالله الجوينى النيسابورى، الشافعى (المعروف بإمام الحرمين) المتوفى سنة ٤٨٧هـ

● وثالثها: كتاب المستصفى لأبى حامد محمد بن محمد الغزالى الشافعى، المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

أما منهاج الأحناف (منهج البدء بالفروع) فقد ألف فيه كثيرون، منهم أبوبكر أحمد بن على المعروف بالجصاص، المتوفى سنة ٣٧٠ هـ، وأبوزيد عبيد بن عمر القاضى، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، وشمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسى، المتوفى سنة ٤٨٣هـ.

وفخر الإسلام على بن محمد البزودى، المتوفى سنة ٤٨٣هـ، ومن المتأخرين عبدالله بن أحمد، المعروف بحافظ الدين النسفى، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، ثم توالت بعد ذلك التآليف بين مختصرة وشارحة.

***

لقد ربط المسلمون كثيرا بين علم أصول الفقه وعلم الفقه، وبدأ الأمر كأنَّ علم الأصول خادم لعلم الفقه وموضح لمنطقه وطرائق الاجتهاد فيه فحسب، مع أن الأمر أوسع من ذلك، فعلم الأصول، علم منطق ووسائل وآليات للفقه كله، سواء كان فقه شريعة أم فقه إبداعات عقلية، تتصل بعلوم الأنفس والاجتماع.. وليت منظرينا يقفزون بقواعد الأصول هذه القفزة التعميمية التى تُعطى لمنهج المنطق الإسلامى (أصول الفقه) مكانته فى شتى مجالات الاجتهاد الإنسانى والمعرفى!!

***

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

شهادات غريبة







شهادات غريبة في إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

٨ فى إفريقيا

إن الأساليب السلمية كانت الطابع الغالب على حركة نشر الدعوة الإسلامية فى إفريقيا، ومع أن الإسلام كثيرا ما شهر السيف كأداة يستعين بها على تقدم فتوحاته الروحية، نجد أن مثل هذا الالتجاء إلى القوة وسفك الدماء كان يسبقه فى معظم الحالات جهود سلمية فى نشر الدعوة، كان الداعية يتعقب الفاتح ليكمل النقص فى تحويل الناس إلى الإسلام، والحق أن نجاح الرواد المسلمين نجاحا دنيويا سهل إلى حد كبير جدا نجاح الإسلام فى جهات كثيرة من إفريقيا كما سهله تأسيس دول إسلامية على أنقاض دول وثنية..

ان لدينا الدليل القاطع الذى شهد به الرحالون وغيرهم على نشر الدعوة الإسلامية بالطرق السلمية وقيام الداعى المسلم بأعمال تنطوى على الرفق والأناة، تلك الأعمال التى عملت فى سبيل انتشار الإسلام سريعا فى افريقيا الحديثة أكثر مما عمل أى اسلوب من أساليب العنف وربما استأصل الإسلام حقا شأفة مقاوميه بالأساليب الأخيرة ولكنه عن طريق الأولى بصفة خاصة أنجز عملية تحويل الناس إلى الإسلام.

إن الداعى المسلم كان منذ اللحظة الأولى التى يعترف فيها المتحول إلى الإسلام بالعقيدة يسير سيرا عمليا على المبادىء القائمة على إخاء المؤمنين جميعا وتساويهم أمام الله وهى مبادىء يشترك فيها الإسلام



مع المسيحية غير أن هذا الداعى المسلم بصفة عامة أسرع وأحسم فى القيام بهذا العمل من المبشر المسيحى الذى يشعر فى أغلب الأحيان بأنه مضطر إلى المطالبة بدليل قوى على إخلاص المتنصر قبل أن يصافحه مصافحة التآخى فى المسيحية والذى كان دائما يثير تعصبا جنسيا لم يكن محتملا أن يزول فى جيل واحد حيث كان يعد المسيحى الأبيض طوال أجيال سيدا كما كان يعد الوثنى الأسود عبداً.. ومن المهم أيضا أن نلاحظ أن لون الزنجى وجنسه لم يحملا بأية حال إخوانه الجدد فى الدين الإسلامى على أن يتعصبوا عليه ولاشك أن نجاح الإسلام قد تقدم فى إفريقيا الزنجية Nigritid تقدما جوهريا بسبب انعدام كل إحساس باحتقار الاسود وفى الحق يظهر أن الإسلام لم يعامل الأسود قط على أنه من طبقة منحطة كما كان الحال لسوء الحظ فى كثير من الأحيان فى العالم المسيحى.

إن الأسود المتنصر يميل إلى الإحساس بأن أبناء دينه من الأوروبيين ينتمون إلى لون من الحضارة لايلائم طبائعه فى الحياة على حين يشعر فى المجتمع الإسلامى بأنه أكثر تعلقا به واطمئنانا إليه.وقد أجاد أحد الشاهدين المحدثين توضيح ذلك فى الرسالة التالية:

«إن الإسلام لايتطلب من أهل نيجيريا أن يفقد أحدهم قوميته باعتبار ان ذلك شىء يصحب الدخول فى الإسلام ولايستلزم تغييرات انقلابية فى الحياة الاجتماعية يستحيل تحقيقها فى المرحلة الحاضرة من تطور أهل نيجيريا ولا هو يقوض نفوذ الأسرة وسلطة الجماعة وليست هناك هوة بين الداعى إلى الإسلام والمتحول إليه فكلاهما متساو أحدهما مع الآخر لانظريا بل عمليا، أمام الله وكلاهما إفريقى وهما من أبناء أرض واحدة، وينفذ مبدأ التآخى الإنسانى تنفيذا عمليا.. ولايعنى الدخول فى الإسلام أن ينصرف الداخل فيه عن شئونه وأسرته وحياته الاجتماعية ولا عن احترامه لسلطان حكام بلاده الأصليين.. وليس هناك من لايعجب بسلوك المسلم النيجيرى ووقاره بل بسلوك مسلمى إفريقيا الغربية عامة.. وإن هيئة الرجل العامة لتنم عن شعور بالقومية واعتزاز بالجنس يخيل إليك أنه يقول: إن كلانا يختلف عن الآخر ولكننا جميعا بشر.

وإن انتشار الإسلام الذى نشهده اليوم فى نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيرا اجتماعيا. ويمنح الإسلام هؤلاء الذين يتحولون به منزلة أرقى وفكرة أسمى عن مكانة الإنسان من العالم المحيط به ويحرره من ربقة إلف الأوهام الخرافية..

وقد أجاد شخص كان نفسه زنجيا فى توضيح الفارق بين الطريقة التى تقدم بها

كل من المسيحية والإسلام إلى الإفريقيين.. وذلك في العبارات الآتية:

«بينما تنسب البعوث التبشيرية قيام قساوسة من الوطنيين إلى عصر معين نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلب افريقية ويصلون في سهولة إلى الوثنيين، ويحولونهم إلى الإسلام وبذلك أصبح الزنوج اليوم ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السود والمسيحية على أنها دين البيض ويرون أن المسيحية تدعو الزنجي إلى الخلاص ولكنها تضعه في مكان منحط إلى حد أنه يقول في نفسه وقد استولى عليه القنوط: ليس لي نصيب ولاحظ في هذا الدين، أما الإسلام فإنه يدعو الناس إلى الخلاص ويقول له: إن بلوغك اسمى الدرجات الممكنة إنما يتوقف عليك ومن ثم أقبل الزنجي بدافع من الحماسة على هذا الدين بروحه وجسده»..

ومما يساعد في نفس الوقت مساعدة كبيرة جدا على تفسير نجاح الإسلام أن مجرد الدخول فيه يدل ضمنا على الترقي في الحضارة وانه خطوة جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقليا وماديا وكانت القوى المحشودة جنبا إلى جنب مع العقيدة الإسلامية تبلغ من القوة والبأس إلى حد أن الجهل والخرافة الدينية تلك الأمور التي كان الدين يجدّ في القضاء عليها لاتجد إلا فرصة يسيرة في إطالة المقاومة وقد اتضح ما تقدمه حضارة إفريقية إسلامية إلى الزنجي الذي تحول إلى الإسلام وضوحا يبعث على الإعجاب في العبارات الآتية:

«إن أقبح الرذائل وهي أكل لحوم البشر وتقديم الإنسان قربانا ووأد الأطفال أحياء، تلك الرذائل التي نجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت في وقت ما منتشرة في كل إفريقيا ولايزال في بقاع كثيرة منها حتى تلك الجهات التي لاتبعد عن ساحل الذهب وعن مواطنينا قد اختفت فجأة وإلى الأبد والساكنون الذين يعيشون حتى ذلك الوقت عراة بدأوا يرتدون الملابس بل يتأنقون في ملابسهم والساكنون الذين لم يغتسلوا قط من قبل، بدأوا يغتسلون بل يكثرون الاغتسال، لأن الشريعة المقدسة تأمر بالطهارة.. وقل السلب المطلق الذي لايقوم على تفرقة بين من يسلبونهم، كما أصبح تأمين الناس على أملاكهم وأرواحهم أكثر من ذي قبل..

وقد أصبح المسجد الجيد البناء النظيف بما فيه من أذان للصلاة خمس مرات في اليوم وقبلة تتجه إلى مكة، وإمام وصلاة جمعة، مركزا للقرية بدلا من دار عبادة الأوثان أو البوبو Juju ذات المنظر البشع، وقد طغت عبادة الله الواحد القهار الكائن في كل مكان العليم، الرحيم على كل ما لقن الأهالي عبادته من قبل طغيانا لا حد له وبلغت اللغة العربية، وهي اللغة التي تكتب بها دائما الكتب الدينية

الإسلامية حدا يفوق كل وصف من المعنى والجمال وإذا ما تعلموا هذه اللغة أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة وتستخدم كمقدمة لدراسة الأدب بل هي أدب في ذاتها وهي إلى ذلك لغة شريعة وقانون مكتوبة حلت محل نزوات شيخ القبيلة الاستبدادية وهذا تغير يعتبر في ذاته تقدما هائلا في الحضارة وظهرت صناعات وتجارة كالتجارة الصامتة التي تقوم الإشارة فيها مقام اللغة في التفاهم ولا كالمبادلة البدائية في الخامات، تلك المبادلة التي تعرف من «هيرودوت» (٨٤٠ ـ ٤٢٥ ق.م) أنها وجدت في إفريقية منذ أقدم العصور ولا كالمقايضة بالودع أو بالبارود أو الطباق والخمر، تلك المقايضة التي لاتزال تستخدم على طول الساحل وسيلة أساسية في التبادل ولكنها صناعات تنطوي على مهارة فائقة وتجارة منظمة تنظيما محكما.

وظهرت هذه المدن الكبيرة في أرض الزنوج بتأثير هذه الصناعة والتجارة وتأثير الحكومات الأكثر استقرارا التي جاء بها الإسلام.. فمن المسلم به من كل الوجوه أن الإسلام يمد السود الذين أسلموا حديثا بالنشاط والعزة والاعتماد على النفس واحترام الذات وهذه كلها صفات يندر جدا أن نجدها في مواطنيهم الوثنيين أو المسيحيين، وقد كتبنا هذه العبارات السابقة التي اقتبسناها قبل تقسيم الجزء الأكبر من افريقية بين حكومات أوروبا المسيحية انجلترا وفرنسا والمانيا وقتذاك ولكن طابع الحضارة الإسلامية الغالب لم ينقطع عن التأثير في العقلية الزنجية أو عن العمل باعتباره أحد المؤثرات التي تساعد على تحويل عبدة الأوثان الإفريقيين إلى الإسلام وكما مست هؤلاء الثقافة الأوروبية فجأة، مضوا قدما في طريق الحضارة ولكنهم وقد عجزوا أن يقيموا جسرا على البرزخ الذي يفصلهم عن حكامهم الأجانب وجدوا في الإسلام ثقافة ملائمة لحاجاتهم وجديرة بتكييف مطالبهم ومطامحهم، ولذلك كان بعيدا كل البعد على انتشار السيادة الأوروبية أن تعوق نشاط الدعاة المسلمين بل إن انتشار هذه السيادة قد ساعد إلى حد كبير على تقدم الإسلام».

***

ومن المهم أن نلاحظ ان الانتصارات الحربية وفتح البلاد لم تكن أهم ما ساعد على تقدم الإسلام في مناطق إفريقيا.. أما الأهمية الحقيقية لهذه الحركات العسكرية في تاريخ الدعوة الإسلامية في غربي إفريقيا فهي ما أثاره هؤلاء المحاربون من حماسة دينية تجلت في نشاط الدعوة الواسع النطاق بين الشعوب الوثنية ذلك النشاط الذي كان ذا طابع سلمي خالص ولم تكن هذه الحروب الدينية إذا ما نظرنا إليها نظرة صحيحة، إلا أحداثا عارضة في

النهضة الإسلامية الحديثة ولم تكن بحال ما صفة تميز القوى وألوان النشاط التى كانت تؤثر تأثيرا حقيقيا فى نشر الدعوة الإسلامية فى افريقية..

لقد كان «المندنجو» فى مالى وهم من أعظم أجناس إفريقيا رقيا وأكثر جميع الزنوج مدنية وأشدهم ذكاء وأجدرهم بالاحترام وأمهرهم فى الصناعة وأشهرهم أمانة كانوا أنشط الدعاة إلى الإسلام الذى انتشر بواسطتهم بين الجماعات المجاورة لهم.. وعلى ساحل غينيا تنتشر المؤثرات الإسلامية بوجه خاص على أيدى تجار الهوسا الذين تجدهم فى كل المدن التجارية على هذا الساحل وكلما أنشأوا لهم مقرا أسرعوا إلى بناء مسجد وأثروا فى السكان الوثنيين بمسلكهم القائم على الورع وثقافتهم المتفوقة وقد دخلت فى الإسلام قبائل بأجمعها من عبدة الأوثان دون أن يبذل المسلمون أية جهود خاصة يستوجبها إغراؤهم وإنما كان ذلك نتيجة لاقتدائهم بما يرون أنه حضارة أرقى من حضارتهم.

وإن العقول الورعة التقية لتعترف حتى فى الاسترقاق بهداية الله إلى الدين الحق كما يروى عن الزنوج الساكنين فى بلاد النيل الأعلى الذين لقيهم «داوتى» (١٨٤٣ - ١٩٢٦م)[١] فى بلاد العرب!

«لايوجد فى نفوس أولئك الإفريقيين أى حقد من أنهم صيروا عبيدا.. حتى ولو أن سُراق البشر القساة قد انتزعوهم من ذويهم وكان العملاء الذين يدفعون ثمنهم يتخذونهم فى بيوتهم ويختتن الذكور منهم وأن الذى حرر أرواحهم من الحنين الطويل إلى أوطانهم هو أن الله قد تفقدهم فى ملمتهم أنهم يستطيعون أن يقولوا إن نعمة الله قد تداركتهم منذ أن دخلوا بفضلها فى الدين المنقذ، لذلك يرون انهم فى بلد خير من بلادهم فهم فى ذلك عتقاء الله وهم فى بقاع تحيى حياة أكثر من مدنية، وهم فى تربة الحرمين الشريفين وفى بلد محمد لذلك يشكرون الله أن يبعث أجسادهم يوما ما بيع الرقيق»!

***

«وفى إفريقية الوسطى حكم البلجيكيون على زعيم عربى بالإعدام فقضى ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يدخل فى الإسلام ذاك المبشر المسيحى الذى كان قد أرسل إليه ليزجى إليه التعزيات الدينية...»[٢].

***

(١) دوانى تشارلس مستشرق ورحالة انجليزى تعلم العربية فى دمشق وساح فى الواسط شبه الجزيرة العربية ويعتبر كتابه (أسفار فى صحراء العرب) من بدائع النثر الانجليزى.

(٢) «الدعوة إلى الإسلام» ص ٢٩، ٢٩٨، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٥٦، ٣٧٦، ٥٥٨، ٤٥٣، ٤٥٤.



فى الحبشة

لا يظهر أنه كان من أهم الأسباب التى أدت إلى نجاح الإسلام ما كان للمسلمين من تفوق أدبى إذا وزنوا بسائر أهالى الحبشة من المسيحيين..

يقول «ربيل» RuppeLL: إنه كثيرا ما لاحظ فى خلال رحلاته فى بلاد الحبشة أنه عندما يراد شغل منصب من المناصب التى تتطلب أن يكون الشخص الذى يشغلها أمينا كل الأمانة موثوقا به تمام الثقة كان اختيارهم يقع دائما على شخص مسلم.

وقد عقد الكاتب مقارنة بينهم وبين المسيحيين فقال: إنهم «أى المسلمين» كانوا أكثر حيوية ونشاطا فقد التزم كل مسلم تعليم أبنائه القراءة والكتابة فى الوقت الذى نرى فيه أبناء المسيحيين لايتعلمون إلا عندما يزمعون القيام بأعمال الكهنوت، وأن ما ناله مسلمو الحبشة من هذا التفوق الأدبى على الأهالى المسيحيين ليفسر لنا إلى حد بعيد ما أحرزه الإسلام من تقدم مستمر وإن كان بطيئا فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأن ما اتصف به رجال الكنيسة الحبشية من انحطاط وجمود وما شجر بين زعماء الحبشة من منازعات لاحد لها قد أفسحت للمؤثرات الإسلامية المجال لتعمل فى حرية واطمئنان.. إن المسلمين فى تلك البلاد لايعرفون التعصب فى أية صورة من صوره ولايضمرون للمسيحية أى نوع من العداء....»[٣].

***

فى النوبة

«يظهر ان النوبيين قد انساقوا من المسيحية إلى الإسلام بالتدريج وفى بطء شديد وكانت الحياة الروحية فى كنيستهم قد انحدرت إلى أقصى دركات الانحطاط ولما وجد المسيحيون ألا أمل فى قيام حركة للإصلاح فى مجتمعهم وأنهم قد فقدوا الاتصال بكنائسهم التى تقع فيما وراء حدودهم لم يكن من الطبيعى إلا أن يتشدوا ما يشفى غلتهم ويسد رمقهم الروحى فى الدين الإسلامى الذى حمل أتباعه بين هؤلاء الدليل على قوة حيويته وقتا طويلا كما كانوا قد ظفروا بفريق من مواطنيهم الذين قبلوا الدخول فى هذا الدين الجديد.. ولما كانت أخبار تحول النوبيين إلى الإسلام شذرات غير كافية، فإننا نستطيع من غير شك أن نستخلص من كل ما نعرفه عن هذا الشعب الذى جبل على الاستقلال والذى عرف بتشبثه بالدين المسيحى طالما أن هذا الدين قوة حية بينهم لكن تحولهم عن دينهم قد تم تدريجيا وفى خلال قرون كثيرة»[٤].

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩، ١٤٠.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٣، ١٣٥.

مَوقفُ الماديِّين مِنَ الإسْلام

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

٢

إذا كان الطبيعيون يرون في مباشرة الإنسان عبادة ربه ـ عز وجل ـ احتقاراً له، وذلة وانكساراً لايليقان بكرامته، ومكانته التي وصل إليها «بعلمه»... وينسون أنهم في الوقت نفسه إنما يعبدون المادة التي من صنع أيديهم، ولايرون في ذلك انحطاطاً لشأنهم، وانتقاصاً لكرامتهم

فإن للإمام الفخر الرازي في هذا المجال كلاماً له قدره حيث يرد عليهم، مستطيباً منطقهم هم، نقتطف منه قوله: «إن العبودية ذلة ومهانة، إلا أنه كلما كان المولى أشرف وأعلى، كانت العبودية به أهنأ وأمرأ

ولما كان الله تعالى أشرف الموجودات وأعلاها فكانت عبوديته أولى من عبودية غيره، وأيضاً قدرة الله تعالى أعلى من قدرة غيره، وعلمه أكمل من علم غيره، وجوده أفضل من جود غيره، فوجب القطع بأن عبوديته أولى من عبودية غيره»(١).

حينما نقرأ قول الحق ـ تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات/ ٥٦]

ندرك أن هذا الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه، لم يُخلق عبثاً، كما لم يتركه خالقه هملاً؛ وما ذلك إلا لأن له غاية، وأن هذه الغاية تستغرق حياته كلها أو معظمها على الأقل، وهي التي تُسمى «عبادة»، فالعبادة، أوسع من أن تكون مجرد إقامة للشعائر المعروفة «فالجن والإنس لايقضون حياتهم في إقامة الشعائر، والله لايكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم. وقد لانعرف نحن ألوان النشاط التي يُكلِّفها الجنُّ؛ ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قوله الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[البقرة/ ٣٠]

(١) مفاتيح الغيب الجزء الأول ص ٢٩٨ ط دار الغد العربي.



فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني، وهي تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام.

«ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني، أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر؛ وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً»(٢).

يرى الطبيعيون أن العبادة لا تليق بكرامة الإنسان، صاحب الانتصارات العلمية المذهلة لأنها تحقر من شأنه، ولاتتناسب ومواهبه السامية. يرون ذلك، وينسون أن هذه العبادات لها مقاصد وأهداف تسمو به إلى الملأ الأعلى، وتشع فيه من وَحْي السماء النور الإلهي ليملأ الأرض نوراً وعدلاً وإحساناً وبراً..!!

ولنضرب لذلك مثالاً من العبادات البدنية، لعله هو الذي يبدو فيه الخضوع أكثر لله رب العالمين، والتذلل لوحدانيته، والامتثال لأوامره سبحانه.. وهو الصلاة..

«وانظر كيف أمر الله بإقامتها دون مجرد الإتيان بها، وإقامةُ الشيء هو الإتيانُ به مُقوَّماً كاملاً يصدر عن علته وتصدرُ عنه آثاره..»(٣) فما علة الصلاة؟ وما آثارها؟.

أما علتها، فهي ما جاء في قول النبي (ﷺ) لجمع من الصحابة الأبرار: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى ذلك من درنه شيئاً؟ قالوا: لا يُبقي ذلك من درنه شيئ. قال فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو بهن الله الخطايا..»(٤) وما ذلك إلا لأن العبد يكون على اتصال دائم بالله تعالى، يقف بين يديه.. يناجيه، ويستشعر عظمته ويتلو بعض آياته، حتى لا يضل في طريقه، ولا تنحرف به أهواؤه.. وأما آثارها، فهي في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

[العنكبوت: ٤٥]

وفي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[المعارج/ ١٩، ٢١]

فالذين يؤدون الصلاة كما يجب أن تؤدَّى، ويوفونها حقها من الخضوع

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن جـ٦ ص ٣٣٨٧ ط الشروق.

(٣) الإمام محمد عبده في تفسيره لفاتحة الكتاب ص٢٣.

(٤) متفق عليه.

والخشوع لله تعالى، إنما هم الذين «يتجهون بالعبادة لله وحده، ويرتفعون بها عن عبادة العباد، وعبادة الأشياء، يتجهون إلى القوة المطلقة بغير حدود، ويحنون جباههم لله لا للعبيد والقلب الذى يسجد لله حقاً، ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تُستغرق في الأرض وحاجات الأرض، ويحس أنه أقوى من الخاليق لأنه موصول بخالق الخاليق.. وهذا كله مصدر قوة للضمير، كما أنه مصدر تحرُّج وتقوى، وعامل هام من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك».[٤]

تلك هي الصلاة، وهذا أقل ما يقال فيها، وفي آثارها التي تتركها في القلب وعلى الجوارح وما تقوّمه من السلوك الإنساني.. فهل يعقل بعد ذلك أن يقال إنها تحقر من شأن الإنسان، وتهبط بكرامته إلى الدرجة التي لا تليق بمن تحققت على يديه كل هذه «الانتصارات العلمية الباهرة»؟!

مثال آخر، وهو هذه المرة من العبادات المالية الخالصة، التي يقدمها المؤمن عن رضا وطواعية، ابتغاء مرضاة الرب ـ تبارك وتعالى ـ إنها عبادة الزكاة.

إن المؤمن الذى يقدم للفقير جزءاً من كسبه الذى بذل فى سبيل تحصيله الجهد والعرق والوقت، هو الذى اتصلت نفسه بالملأ الأعلى، وسمت روحه إلى ما فوق دنيا الناس؛ حتى أصبح المال الذى هو عصب الحياة، وسبب رخاء العيش فيها، رخيصاً فى مقابل التطلع إلى رضوان الله تعالى والقرب منه. إن هؤلاء العباد «يعترفون ابتداء بأن المال الذى فى أيديهم هو من رزق الله لهم، لا من خلق أنفسهم، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق ينبثق البر بضعاف الخلق، والتضامن بين عيال الخالق، والشعور بالآصرة الإنسانية، وبالأخوة البشرية.. وقيمة هذا كله، تتجلى فى تطهير النفس من الشح، وتزكيتها بالبر. وقيمتها أنها تريد الحياة مجال تعاون، لا معترك تطاحن، وأنها تؤمن العاجز والضعيف والقاصر. وتشعرهم أنهم يعيشون بين قلوب ووجوه ونفوس، لا بين أظفار ومخالب وأنياب!».[٦]

إن هؤلاء العباد، إنما يعملون على أن تكون نتيجة العرق والكفاح فى سبيل لقمة العيش شركة بين القادر وغير القادر، وهم الذين يريدون أن يعم الرخاء كل ربوع الأرض، وذلك عندما يصل بهم حب البذل والعطاء درجة يشعرون فيها أنهم يعطون

(٤) سيد قطب: الظلال ص ٤٠.

(٦) المصدر السابق نفسه.

الفقير حقه الذى افترضه الله فى أموالهم، وقد اطمأنت لذلك نفوسهم، وثبت على ذلك يقينهم؛ فعاشوا فى سلام مع النفس، وفى سلام مع المجتمع، وفى سلام مع احتمالات المستقبل:

﴿ إن الإنسان خلق هلوعا (١٩) إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١) إلا المصلين (٢٢) الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣) والذين فى أموالهم حق معلوم (٢٤) للسائل والمحروم ﴾

[المعارج / ١٩ : ٢٥]

مثالان فقط، عرضناهما من العبادات التى لاينتهى لها عدّ ـ فى المفهوم الصحيح للعبادة ـ حتى إنها لتشمل كل شأن من شئون الحياة الإنسانية كبر أو صغر. فهى التكاليف أو ـ على القول الغالب لدى المفسرين ـ مايراد من الأمانة التى حملها الإنسان، بعد أن أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾

[الأحزاب / ٧٢]

فالتكاليف، والأمانة، إنما هما العبادة فى معناها الواسع الكبير[٧]. والعبادة هى مناط التكريم لهذا الإنسان.. «الإنسان الذى يعرف بإدراكه وشعوره، ويهتدى إلى ناموسه بتدبيره وبصره، ويعمل وفق هذا الناموس بمحاولته وجهده، ويطيع الله بإرادته، وحمله لنفسه، ومقاومة انحرافاته ونزغاته، ومجاهدة ميوله وشهواته، وهو فى كل خطوة من هذه الخطوات مريد مدرك. يختار طريقه وهو عارف إلى أين يؤدى به هذا الطريق!»[٨].

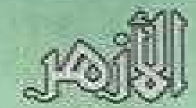
إن هذه الانتصارات العلمية التى تحققت على يد هذا الإنسان، والتى ستتحقق فى المستقبل، كان يجب أن تكون له مدخلاً واسعاً للإيمان بالله – تعالى – تقربه من ساحته وتدفع به إلى الاعتراف بفضله الكبير على أن وهبه العقل، ومنحه القدرة على استنباط أفضل عناصر هذا الكون وأنفعها للحياة والأحياء، بدلاً من أن يجعلها باباً من أبواب الغرور الذى يحول دون القرب منه عزت مكانته وتعالت حكمته. قال تعالى:

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾

[فصلت / ٥٣]

(٧) يقول الإمام القرطبى فى تفسيره: «الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور» [ص ٥٣٣٠ ط دار الشعب]

(٨) سيد قطب: الظلال ص ٢٨٨٤.

أصول تربية الفرد المسلم

للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب

إن أيسر تعريف للتربية فى مجتمع مسلم هو أنها: إعداد الفرد المسلم إعداداً إيمانياً وعقلياً وفكرياً ونفسياً ووجدانياً وسياسياً واقتصادياً من أجل تحقيق الإرادة الإلهية بجعله خليفة الله فى أرضه.

أولاً: إعداده إيمانياً

تنشىء التربية الإسلامية الفرد المسلم على الإيمان بكل ما جاء فى القرآن الكريم عن الإنسان والحياة والكون، والإيمان بما ورد فى السنة الشريفة كذلك، والتربية الإسلامية تأخذ بهما وتعتمدهما، فى بناء الشخصية السوية المؤمنة للفرد المسلم، ومن مقتضيات الإيمان بالله ـ تعالى ـ أن يحقق المؤمن الغاية التى من أجلها خلق.

وأساس التربية فى الإسلام قائم على عقيدة الإيمان بوجود الله وبتوحيده، وعقيدة الرسالة، وعقيدة البعث بعد الموت، حتى إن المجتمع المسلم إذا تطرق إليه الشك فى أى عقيدة من هذه العقائد أو أصابه الوهن، فسيفقد مقومات وجوده.

فمن شأن الفرد المؤمن بربه حقاً أن يكون أكثر شعوراً بالأمن والاطمئنان النفسيين وأكثر ثقة بالناس وأكثر شعوراً بالعزة والكرامة، وأقل تعرضاً لمشاعر فقدان الأمن الداخلى والخوف واليأس والتشتت والاضطراب النفسى والشك والهدم وفقدان الثقة بالنفس وبالناس ولمشاعر الذل والهوان[1].

إن الإيمان بهذه الأهمية يعد ضرورة فردية واجتماعية، تفرضه حاجة كل من الفرد والمجتمع.

ثانياً: إعداده عقلياً

ذهب المحاسبى فى كتابه (المسائل فى أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل) إلى أن العقل له ثلاثة معان:

الأول: غريزة يعرف بها الإنسان ما ينفعه وما يضره.

الثانى: الفهم والبيان.

الثالث: البصيرة والمعرفة بقدر الأشياء النافعة والضارة فى الدنيا والآخرة[2].

وتنظر التربية الإسلامية إلى عقل الفرد على أن له قدرات كامنة ـ كالقدرات الجسدية ـ يستطيع من خلالها التعرف على البيئة القائمة من حوله بمكوناتها وأحداثها، ثم خزن تلك المعارف وتمييزها واسترجاعها وتوظيفها فى الوقت المناسب طبقاً للمواقف والمشكلات التى يمر بها خلال مسيرة حياته، وتتفاوت هذه القدرات قوة وضعفاً من شخص لآخر، أو عند الشخص الواحد خلال فترات حياته.

والقدرات العقلية الموجودة فى الإنسان بحاجة إلى تنميتها وتدريب الإنسان على حسن استعمالها، ورعايتها، والمحافظة عليها، وتتقرر درجات نموها ونشاطها وصحتها ومرضها حسب نوع التربية التى يتلقاها الإنسان، وطبقاً لوعى القائمين على تربية هذه القدرات وخبرتهم[3].

ثالثاً: إعداده فكرياً

وبناء على ما سبق فإن هذه القدرات لها أثرها الفعال فى سلوك الإنسان، ولذلك لابد أن تستعمل طبقاً لمنهج التفكير، الذى يتضمن ثلاثة أقسام رئيسية هى[4].

أ ـ خطوات التفكير، وهى:

- الإحساس بالظاهرة.
- تحديد إطارها وميدانها.
- الانتقال إلى خطوات التعرف على تفاصيل هذه المعلومات.
- تدبرها وتصنيفها.
- اكتشاف اللائق منها.
- الانتقال إلى خطورة اكتشاف الحكمة الكامنة وراء الظاهرة.

ب ـ أشكال التفكير، وهى:

- النقد الذاتى.
- التفكير الشامل.
- التفكير التجديدى.
- التفكير العلمى.
- التفكير الجماعى.
- التفكير السننى.

جـ ـ أنماط التفكير، وهى:

- المنطقى والتحليلى.
- التجريبى.
- الأخلاقى.
- الجمالى.

وينبغى على أهل التربية الإسلامية التركيز على أربعة أمور هامة فى تربيتهم لعقلية الفرد المسلم وهى:

أ ـ تصنيف القدرات العقلية. وهى (قدرة العقل، والتأويل، والتدبر، والفقه، والتذكر، والنظر والشهود، والإبصار، والحكمة).

ب ـ بلورة منهج التفكير السليم من حيث

(١) الشيبانى، عمر تومى، فلسفة التربية الإسلامية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨، ص/١٢٩ ـ ١٣١.

(٢) المحاسبى، المسائل فى أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، القاهرة ـ عالم الكتب، ١٩٦٩، ص/٢٤١.

(٣) الكيلانى، ماجد عرسان، مقومات الشخصية المسلمة، الناشر المحاكم الشرعية بدولة قطر، ١٩٩٦، ص/٥١.

(٤) المرجع السابق/٥٠ ـ ٧٤.



خطواته وأشكاله وأنماطه.

ج- تنمية القدرات العقلية، ومنهج التفكير السليم.

د- توفير البيئة اللازمة لتنمية القدرات العقلية والتفكير السليم.

والخلاصة أن المسئولية الكبرى التي جعلها الإسلام أمانة في أعناق المربين جميعاً توعية الفرد فكرياً منذ حداثة سنة، ونعومة أظافره إلى أن يصل إلى سن الرشد والنضج،.. والمقصود بهذا الإعداد الفكري ارتباط الفرد بالإسلام ديناً ودولة، وبالقرآن نظاماً وتشريعاً، وبالتاريخ الإسلامي عزاً ومجداً، وبالثقافة الإسلامية روحاً وفكراً[5].

رابعا: إعداده جسميا

لقد عنيت التربية الإسلامية بالحاجات الجسمية عناية تناسب أهميتها في حياة الفرد ذلك أن الحاجات الجسمية ذات تأثير مباشر في جميع الحاجات الإنسانية نفسية أو اجتماعية، ولهذا فإن النمو الجسمي المتكامل يضمن نمواً متكاملاً متزناً في الجوانب الأخرى[6].

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(البقرة ١٦٨)

وللارتقاء بالتربية الجسدية للفرد المسلم لابد من الاهتمام بالأمور التالية:

- تحسين حال الأسرة المالي.
- تحسين النظافة البيئية.
- تحسين التوعية الصحية.
- الحث على ممارسة الرياضة والفروسية[7]
- الوعي بأهمية الغذاء وتنوعه وتوازنه في حفظ الجسم سليماً، ومراعاة ذلك في تغذيته.
- الاهتمام بمتطلبات الأمن والسلامة في كل عمل يقوم به، تلافياً للأخطار وإلقاء نفسه إلى التهلكة.
- تفهم الدور الذي يقوم به كل عضو وكل جهاز من أجهزة الجسم، ليحافظ على توازن عمل كل منها واستمرارية سلامته[8].

خامسا: تربية الفرد سياسياً

نقصد بالتربية السياسية، اكساب الفرد الوعي المجتمعي، والفكر السياسي وتمليكه المنهجية التي من خلالها يستطيع معرفة وإدراك ما يدور حوله وإكسابه القدرة على تحديد موقف منها.

(٥) علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة - مصر، دار السلام، ط/٣٠، ١٩٩٦، ص/١٦١.

(٦) زعبلاوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الرياض - السعودية، مكتبة التوبة، ص/٣٧١.

(٧) زعبلاوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق ص/٣٧٧.

(٨) الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، عمان - الأردن دار الفرقان، ١٩٩٧، ص/٥١٦.

وحق المشاركة في صياغة الحياة المناسبة، حق من حقوق الإنسان الأساسية، وهو أداة للتنمية الفعالة وأسلوب للممارسة السياسية والمسئولية الاجتماعية والتربوية لأفراد المجتمع، وهي تعطي الإنسان الحق في إخضاع كافة القضايا التي تؤثر عليه للمناقشة وإبداء الرأي.

وحتى يتسنى للمرء أن يعبر عن قناعاته بوضوح وبجرأة من موقع الاختلاف مع النظام السياسي القائم، يفترض وجود الديمقراطية التي من خلالها يمكن الحديث عن مشاركة جادة لكل قوى المجتمع، تحقيقاً لرغباتهم وقناعاتهم وتعبيراً عن الشعور بالانتماء للمجتمع الذي يعيشون فيه[9].

إن التربية السياسية كمفهوم عام أصبحت ضرورة من ضرورات العصر، وهي كمفهوم ومسار يتضمن كل العمليات التي من شأنها أن تحول الأفراد إلى أفراد اجتماعيين، بمعنى أنها تعمل على رفع حس المسئولية والانتماء لدى الفرد تجاه المجموع وكذلك شعور المجموع تجاه الفرد بشكل متبادل.

سادسا: إعداد الفرد عاطفيا

تعد العاطفة المحرك الفعال لسلوك الفرد، ولذلك لابد لها من السير وفق العقل. فالعقل والعاطفة صنوان لا يفترقان، لكل منهما ميدانه الخاص في حياة الإنسان وله وظيفته وله أثره الهام كذلك،

وتتلون حياة كل واحد منا وتتشكل بناء على ما عندنا من عقل وعاطفة ومهما كبر هذا العقل ومهما اتسع، كما أنه لا يستطيع أن يعيش بعواطفه وحدها مهما كثرت عنده وتعددت ومهما عاد عليه من فوائد جرائها، فلا يقوم العقل مقام العاطفة ولا تقوم العاطفة مقام العقل، فلكل منهما ميدانه الخاص، ومهمته المستقلة وليس بينهما من رابط إلا بقدر ما بينهما من تناسق وانسجام لازمين لمساعدة كل منهما الآخر بما ييسر للإنسان حياته وما يغيره مما خلقه الله وأودعه فيه[10].

يرى علماء النفس أن العاطفة ذات أهمية كبرى في السلوك الفردي والجماعي، ولا ينحصر تأثيرها في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في البيئة الاجتماعية الواحدة أو البيئات المختلفة، بل إن العواطف ذات تأثير في العمليات العقلية جميعها، وأنها تلعب دوراً هاماً في تكوين المعتقدات، كما أنها تعمل على تنظيم السلوك الانفعالي لدى الأفراد[11].

ولابد من سير العاطفة جنباً إلى جنب مع العقل وأن مثل من ينادي بفصل العقل عن العاطفة مثل من ينادي بأن يقتصر الإنسان في حياته على طعام واحد لا يحيد عنه ولذلك فإنه كلما قويت العاطفة عند الإنسان أبعدته عن طريق العقل والتأمل لدرجة تطغى فيه العاطفة عليهما فلا يعود يرى بعقله بل بعاطفته.

(٩) زياد عثمان، دور الشباب في عملية التغيير المجتمعي، الإنترنت/www.google، يوم ٢٠٠٤/٢/٢٧.

(١٠) عدس، محمد، دور العاطفة في حياة الإنسان، - الأردن، دار الفكر، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ص/٣٠٣.

(١١) القوصي، عبدالعزيز، علم النفس وتطبيقاته ص/١٥٨.

بر الوالدين

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن أول أمر وصى به القرآن الكريم بعد وصيته بتوحيد الله -وعبادته -سبحانه وتعالى- هو البر بالوالدين، حيث قال جل شأنه:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(الإسراء/ ٢٣)

وهذا ينبهنا إلى أمر هام وهو أن عبادة الله -سبحانه وتعالى- وفرض الله -سبحانه وتعالى- له المقام الأول ولا يليه شيء في الوجود أبداً غير البر بالوالدين، وهو حين يقول:

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

لم يقل ولا تقصر في شأن الوالدين مثلا، ولم ينه عن الإساءة إلى الوالدين مثلاً لأن عدم الإساءة وعدم التقصير أمر طبيعي وضروري وليس فيه شيء ذو بال، وإنما لابد مع عدم التقصير وعدم الإساءة أن يصل البر إلى درجة أن تحسن إلى أبيك وأمك

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾

«الإسراء/ ٢٣»

لأنهما حين تتقدم بهما السن قد يحتاجان إلى شيء من الصبر في المعاملة وإلى شيء من الجهد في الخدمة، وإلى شيء من الاحتمال في الأسلوب.

فالقرآن يقول:

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

«الإسراء/ ٢٣»

والإسلام يدعو إلى عزة النفس، فإنه لم يبح لنا أن نخشع ونخضع ونذل ونضع أشرف عضو في أجسامنا وهو الجبهة سجوداً إلا لله رب العالمين، ثم بالنسبة إلى الوالدين يقول:

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

«الإسراء/ ٢٤»

لأن الوالدين هما السبب المباشر في وجودك في الحياة، ولأنهما بذلا من الجهد والمشقة والعناء في سبيلك ما لم يبذله أحد، ولأن لهما فضلاً لا يسبقهما إليه إلا خالق السماوات والأرض وهو رب العالمين، ولذلك جاءت الوصية بهما بعد الله -تعالى- مباشرة، ومن أجل ذلك قدم البر بالوالدين على النافلة، قدم بر الوالدين على السنن لأن الله جعل الوصية بهما بعده مباشرة وبعد الفرض مباشرة، وبعد طاعة الله مباشرة، فإذا كان أمام إنسان خيار بين أن يفعل سنة أو يبر أباً أو أماً فعليه أن يقدم بر الوالدين على السنة أو النافلة. والدليل على ذلك الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج يصلي، فجاءته أمه فدعته فأبى أن يجيبها، فقال: أجيبها أو أصلي؟ ثم أتته فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فقالت امرأة: لأفتن جريجا، فتعرضت له فكلمته، فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: هو من جريج، فأتوه وكسروا صومعته، وأنزلوه، وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك ياغلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين»[1].

يقول أئمة الحديث النبوي وشراح هذا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه إن دعوة الأم لا ترد، وليس بينها وبين الله حجاب، فحين دعت عليه بهذه الدعوة كان يضحك ولو دعت عليه ألا يموت حتى يفتن لفتن، ويستدل أئمتنا من الفقهاء بهذا الحديث الصحيح على أن بر الوالدين مقدم على كل نافلة وسنة وهذا تكريم من رب العزة -سبحانه وتعالى- للوالدين اللذين كانا سبباً مباشراً في وجود الإنسان للحياة.

وهنا ندرك أيضاً أهمية بر الوالدين، وأهمية دعاء الوالدين، ولدعاء الأم أثر خاص كما يقول القائل:

لا يرد القضاء شيء وكادت
دعوة الأم أن ترد القضاء

نعم. لقد خصها الله -سبحانه وتعالى- بمزيد بر حتى حين سئل الرسول - ﷺ - من أحد المسلمين من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك»[2] فوصى بالأم ثلاث مرات،

(١) رواه البخاري في صحيحه



لماذا؟ لأن للأم ثلاث خصوصيات لا يشاركها الأب فيها، الأم هي الوحيدة التي تحمل، والأم هي الوحيدة التي تلد، والأم هي الوحيدة التي ترضع. فالحمل والولادة والرضاع خصوصيات تتعب الأم وتنصب فيها فاختصت بالوصية بها ثلاث مرات أكثر من الأب. وهذا تكريم من رب العزة – سبحانه وتعالى – للأم، وهو حين يوصي الأبناء بآبائهم وأمهاتهم، ويجعل البر مقدماً على النافلة أحياناً يقدم البر على الفريضة حين تكون مثلاً فرض كفاية أو حين يقوم غيرنا بهذا الواجب وفيه الغناء أو حين تكون الطاعة ويكون البر بالوالدين أهم وألزم من هذا مثلاً الجهاد وهو فريضة فحين يستأذن أحد الصحابة رسول الله – ﷺ – في الجهاد يسأله النبي – ﷺ – ويقول له: أحي والداك؟ قال: نعم قال: «ففيهما فجاهد»[3] يرجعه من الغزو والحرب والجهاد ويقول: عد وفي والديك جاهد.

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – أن رجلاً من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله – ﷺ – فقال: هل لك أحد باليمن؟ قال: أبواي، قال: أذنا لك؟ قال: لا، قال: فارجع إليهما فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما»[4].

أنظروا إلى سماحة هذا الدين وإلى رأفة هذا النبي ورحمته – ﷺ – وإلى دعوته إلى البر بالوالدين إلى هذا الحد الذي وصل هذه المرتبة التي قدم فيها بر الوالدين على النافلة بل وعلى الفريضة حين تكون فرض كفاية أو حين يكون هناك من يكفي.

وبهذا ندرك أهمية بر الوالدين في وقت تنكر فيه الكثير من الأبناء لوالديهم نعوذ بالله من بعض شبابنا الذين جحدوا فضل آبائهم وأمهاتهم وكانوا عاقين لهم، في عصر أصبح فيه الولد حين يسمو في رتبته أو وظيفته يكاد يتخلى عن والديه ويستعلي عليهما، وإذا بلغ أحدهما أو كلاهما الكبر يدفع بهما إلى دار المسنين ويابئس ما يفعل هؤلاء الأبناء حين لا يكون الوفاء منهم لآبائهم وأمهاتهم، وهل في دور المسنين العواطف التي ولدنا بها من بطون أمهاتنا؟ وهل في دور المسنين ما في هذه القلوب من الرحمة، وهل تذكر وأنت تدفع بأبيك أو أمك إلى دور المسنين كيف كانت الأم تسهر؟ وكيف كانت تؤثر راحتك على راحتها وسعادتك على سعادتها وحياتك على حياتها، وهي ترى أن حياتك عندها أغلى من الدنيا وما فيها، هل هذا هو الوفاء؟ أبعد أن يبلغ أحدهما أو كلاهما الكبر تتنكر لهما على هذا النحو!! ياويل أولئك العاقين لآبائهم وأمهاتهم.

(3) رواه البخاري ومسلم.

(4) رواه أبو داود.

(3) رواه البخاري ومسلم.

واعلموا أيها الإخوة أن الله إذا كان يعذب العبد على معصية أو على جناية أو على فاحشة يرتكبها في الدنيا فيعاقبه عليها في الآخرة، فاعلموا أن المعصية الوحيدة التي يعاقب عليها في الدنيا قبل الآخرة هي عقوق الوالدين والعياذ بالله، يعاقب عليها في الدنيا قبل الآخرة، وحسبنا دليلاً على ذلك ما روته كتب السنة المعتمدة.

عن عبدالله بن أبي أوفى –رضي الله عنه– قال: كنا عند النبي – ﷺ – فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال: كان يصلي؟ فقال: نعم، فنهض رسول الله – ﷺ – ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع، قال: لم؟ قال: كان يعق والدته، فقال النبي – ﷺ –: أحية والدته؟ قالوا: نعم، قال: ادعوها، فدعوها، فجاءت، فقال: هذا ابنك؟ فقالت: نعم، فقال لها: أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه، وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له. قالت: يارسول الله إذاً أشفع، قال: فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه، قالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله – ﷺ –: ياغلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، فقالها فقال رسول الله – ﷺ –: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[5] فحمد الرسول – ﷺ – ربه، انظروا أيها الإخوة المؤمنون إلى نبأ هذا الرجل الذي حكته لنا كتب السنة الصحيحة، والذي لا مرية في خبره، وكان في عهد النبوة أشرف العهود، وكان يؤدي حقوق الله، ولكن انظروا كيف وصل عقوق الوالدين به إلى درجة كادت تحبط كل ثوابه وكل عباداته وكل أعماله، من أجل ذلك حين يوصينا القرآن الكريم بالبر بالوالدين عقب الوصية بعبادته مباشرة، يريد منا أن نعيش في مرضاة الله وفي طاعته –سبحانه وتعالى–، وقد يقول قائل: وما موقفي الآن وقد مات أبي أو ماتت أمي أو مات الأبوان، كيف أدرك البر بالوالدين؟ كيف أكون باراً بهما؟

وأجيبه قائلاً: لقد سأل أحد المسلمين رسول الله – ﷺ – وقال له: يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال له: «نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[6]. فهو يبين أن صلة الرحم وأن بر الوالدين حيث كان الأبوان أو أحدهما موجوداً فالبر واضح: أن تخضع لهما وأن تبرهما وأن تقف معهما بالإحسان إلى

(5) رواه الطبراني وأحمد

(6) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم

الدرجة النهائية، ولكن بعد انتقالهما ووفاتهما يمكن أن تقوم بالبر بالوالدين بالصلاة عليهما ومعنى الصلاة عليهما: الدعاء لهما، فالدعاء يصل إلى الميت، والدعاء يصل إلى الوالدين «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[٧] وهذا معنى قول الرسول - ﷺ: الصلاة عليهما والاستغفار لهما أن تستغفر لأبويك، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، إذا كان هناك عهد بينك وبين أبيك أو أمك أو وصية عليك أن تنفذها، وإكرام صديقهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، فحين تكرم أقارب الأب وأقارب الأم، وتكرم صديقهما من بعدهما تكون بارا بالوالدين، والصديق هو الرجل الذى كان صديقاً لأبيك أو امرأة كانت صديقة لأمك.

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار فقلنا له: أصلحك الله فإنهم الأعراب وهو يرضون باليسير، فقال عبدالله ابن عمر: إن أبا هذا كان ودا لعمر ابن الخطاب وإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»[٨].

فانظروا كيف صان الإسلام حرمة الوالدين وأمر بالبر بهما حتى بعد أن ينتقلا إلى جوار الله -سبحانه-، فلا غرابة أن نسمع رسولنا - ﷺ - وهو يقول حين صعد المنبر، وكان من ثلاث درجات وكان يخطب الجمعة عليه فحين صعد الدرجة الأولى قال آمين، وحين ارتقى الثانية قال آمين، وحين ارتقى الثالثة قال آمين، فسألوه وقالوا: يارسول الله سمعناك تقول آمين، وليس هناك من دعاء نسمعه فما السبب في قولك آمين آمين آمين ثلاث مرات.

روى الإمام أحمد في مسنده وغيره أنه - ﷺ - أجاب بقوله: «أما الدرجة الأولى التي قلت فيها آمين فقد جاءني جبريل وقال: رغم أنف من ذكرت عنده ولم يصل عليك، قل آمين. فقلت: آمين. وأما الثانية فجاءني جبريل وقال: رغم أنف من أدركه شهر رمضان فلم يغفر له قل آمين. فقلت: آمين. وأما الثالثة فقال: رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يغفر له قل آمين. فقلت آمين».

○○○

(٧) رواه مسلم.

(٨) رواه مسلم.



ترى ماذا كان يمكن أن تكون هذه الحياة لو لم تكن الكلمة؟ أغلب الظن أنها كان يمكن أن تكون دمية خرساء تخمش وجهها بيديها، وتطمس في أحداقها النور والدفء ومعنى أن تكون ما هي الآن!!.

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

- ١ -

فالكلمة هي الوسيلة، الأولى لالتقاء الأفراد والأجناس على معنى الزمالة والحب، هي التي جمعت آدم الوجود بحوائه فبنيا هذا الاجتماع الشاهق الذى تعيش نبضه وخفقاته حتى الآن وتركا لنا منه هذا الكم الهائل من العواطف النظيفة المتعالية التي تتوهج ذاتيا في أعماقنا فتورق بالحب وتثمر ملايين الملايين من أطفال الوجود، وتتوهج إبداعيا فتعطي مثل هذا التاريخ الفني الذى نراه في أدب العواطف الثرة منذ فجر الكتابة والرواية حتى اليوم وهو تاريخ عظيم بكل المقاييس!! وهي التي أخرجت الإنسان من كهفه الأول حيث عاش في هذا الكهف محاصرا بالخوف من الأشياء والأحياء، وحيث كان يتوهم في كل حركة عدوانا وفي كل آخر عدوا، وفي كل مظهر من مظاهر الكون قضية صماء غير قابلة للفهم وغير قابلة للاحتواء، فلما احتوى الكلمة بدد غواشي الخوف، وأدال في نفسه للحب من العدوان وجعل من مظاهر الكون قضية ناطقة بآلاف الأسرار والمعطيات، فطور ذاته ووجوده وأعطى الحياة إمكانية أن تتفوق على نفسها أبدا، وأن تنمو في كل الاتجاهات مزيدا من النمو، وغير قليل من الاندفاع!! وهي التي بنت الحضارة بالفهم، وشيدت المدينة بالعلم وأحالت صخر الوجود إلى جنات بهذا اللقاء البشرى على معنى التعاون وتبادل الخبرات، أنت تعطيني في هذا المجال وأنا أعطيك في هذا المجال، ومن احتكاك هذه العطاءات المتكاملة تتبثق أعظم خطوات التطور التقني في حياة البشر، وتتبوأ الحضارة عرشها السامق، فتتدفق الحياة بالخير الناهض على العلم، وبالحق المدعوم بالفهم، وبالجمال المؤطر بالحب ويصبح الوجود مثابة للناس وأمنا، وتتعاطى الجماهير أزاهير السلام!!.



- ٢ -

والكلمة هى ناقلة التراث الحضارى من جيل إلى جيل، فيأخذ الجيل الخالف من هذا التراث بقدر ما يحتاج وتحتاج المرحلة التى يعيشها على الأرض، ثم يضيف إلى كم التراث الذى احتواه وإلى نوعه معا ما تعين المرحلة على إضافته وإعطائه، واضعا فى حساباته دائما أن الجيل الحاضر ينبغى أن يسلم الشعلة إلى الآتى وهى أروع إيماضا وأسطع توهجا وأضوء ضوءا أو مساحة ضوء إذا شئنا أن نقول!! وهنا لابد أن نفطن إلى شىء صميمى، هو أن قضية التراث الحضارى التى تأخذ الكلمة على عاتقها عبء نقله وتطويره عبر آلاف من الأجيال ينبغى أن تفهم على نحو صوابى. فليست الحضارة هى حضارة الكلمة وحدها، وليست هى حضارة المادة ثم لا شىء، إنها حضارة هذه الأنماط جميعا، فالحضارة الفكرية والحضارة العلمية، والحضارة الروحية، والحضارة المادية تشكل جميعها حضارة واحدة بلا فصام، أعنى أن حضارة واحدة من هذه الحضارات فى غياب الحضارات الأخرى لا يمكن أن تكون الحضارة الإنسانية الراشدة، والمأمولة، وإنما تظل تصرخ باحتياجها اللازم إلى غيرها من الأنماط حتى تتكامل وتكتمل، إن الفصام الجاهل بين حضارة المادة وحضارة الروح هو أفدح ما يعانى منه الفكر العقائدى ولو أننا وعينا جيدا معنى «خلافة» الإنسان لله فى الأرض لما طاف بخيالنا يوما أن صداما من أى لون يمكن أن ينشأ بين حركة الروح وحركة المادة، أو بين طبيعة الفكر المجرد وطبيعة العلم التطبيقى، إن هذه المجالات المتكاملة تشكل فى نهاية المطاف معنى الحضارة فى نسقها الشمولى، وهو ما تحمل الكلمة عبء التبشير به أولا، ثم عبء الفتح به ثانيا، ثم عبء نقله من جيل إلى جيل آخر الأمر حتى تظل الشعلة باقية ومتوهجة، ويظل المسار الإنسانى متدفعا فى عروجه، محققا معنى وجوده على الأرض ناهضا بأعباء التطور ومتصديا للدفاع عنها حتى يسدل على ضوء الوجود آخر ستار.

- ٣ -

والكلمة هى صلب كل الرسالات والأديان ودعوات المصلحين، هى التوراة وهى الإنجيل وهى القرآن، وهى كل ما خلف الأنبياء والهداة والمصلحون على قمم الحياة من مشاعل فكرية مضيئة.. إن الفكر البشرى ليقف مذهولا إذا هو حاول أن يتأمل معطيات إنجاز الكلمة من خلال القرآن والإنجيل والتوراة، وما أحدثت هذه الكتب من تحولات تاريخية فى الذهنية الإنسانية من جهة، وفى التطور الحضارى من جهة ثانية وفى شكل العلاقة القائمة بين الإنسان والكون آخر الأمر.. إن مضمون هذه الكتب السماوية وما ينحنى عليه هذا المضمون من تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وأخلاقية وعقائدية هو شكل من أشكال فعل السماء فى الأرض، والكلمة وحدها كانت حاملة هذا المضمون الإلهى البشرى فى آن، فأحدثت

بذلك أعظم ثورة فى تاريخ المسيرة الإنسانية ولاتزال، إننا مدينون للكلمة بشكل الحياة التى نعيشها اليوم، وبشكل الحيوات الأخرى التى عاشها والتى سيعيشها كذلك أسلافنا وأخلافنا بلا تحديد، لأن حيوات السالفين فى نسقها الذى شكلته الكلمة كانت رافد حياتنا نحن ولأن حيوات الخالفين فى نسقها الذى ستشكله الكلمة كذلك ستكون امتداد حياتنا نحن، وبهذه الصلة العضوية بين أنماط الحيوات السالفة والآنية والخالفة، يمكن أن نفهم مشروعية الكلمة وصميمية وجودها فى الوجود، لو أننا نحينا الكتب السماوية وامتدادها الفكرى والحضارى والعقائدى جانبا ونظرنا إلى التطور الإنسانى بغيرها ماذا كان يمكن أن يكون؟ لعرفنا أن حجم الخصب الذى أعطته هذه الكتب هو بعينه حجم هذا التطور، لأن الإنسان عاريا من حراسة القيم والقضايا والأساسيات التى جاءت بها الكتب السماوية والاجتماع والأخلاق والعقائدية غاصة بإشعاعات هذه الكتب، وبدونها كان يمكن أن تظل جدبية قاحلة، ترتد فى منطلقاتها ومصباتها جميعا من النقيض إلى النقيض، لأن من طبائع الأشياء أن ينسخ الفكر البشرى عطاء الفكر البشرى بلا توقف، ربما ليفرض حلوله، وربما ليرضى غروره، وربما لينتصر لوجهة على وجهة، وهكذا تظل قضية الاجتماع الإنسانى ممزقة بين أطراف النقائض قابلة للضياع فى أبد الحوار، ولكن هذه القضية نفسها أعنى قضية الاجتماع الإنسانى، تظل فى ضوء التشريع السماوى على قرارها الأول، فاتحة صدرها لمزيد من الحوار والحركة، ولكن فى إطار من أساسياتها الثابتة وليس قفزا بالسيوف على هذه الأساسيات.. وهكذا تستقر وتعتدل الموازين!!.

- ٤ -

والكلمة حرة بطبيعة تكوينها البدئى، أعنى أنها لا تستمد حريتها من رافد خارجى، فالسيف لا يستطيع أن يمنع الذهن الإنسانى من تدوير الكلمات فى خاطره، إن هذا الذهن الإنسانى ليملك من الأجنحة ما يضرب به فى كل آفاق السماوات، والذين يكبلون الكلمة باسم هذه أو تلك من المواضعات يخطئون أفدح الخطأ، لأن من المواضعات ما ينبغى على الكلمة أن تشهر فى وجهه السيف، حتى حق الخطأ يجب أن نمنحه للكلمة بلا خوف، لأن من الخطأ يتولد الصواب، ولأن الرأى النقيض يعطيك من إمكانية الحركة أضعاف ما يعطيك الرأى الصديق، إن الرأى الصديق لا يزيد على أن يعطيك مزيدا من المسلمات، ولكن الرأى النقيض يعطيك إمكانية فهمه، وإمكانية الحوار معه، وإمكانية إحلال البديل.. إن الكلمة الحرة.. أو الكلمة الحرية، هى التى وقفت فى وجه الطغيان فما استطاع أن يقتلع الجذور من الأرض، وهى التى واجهت الإرهاب فما استطاع أن يخرس الأصوات فى حومة الجدل، وهى التى زاملت الإنسان فى محنة تصديه لكل التجاوزات فخرج من كل أولئك ظافرا غير مقهور.. ولو أننا ألقينا نظرة على

مسار الحركة الإنسانية في التاريخ لعرفنا أن إنسان هذا التاريخ البطولى هو من كان يتعزى عن فقدانه حريته بالكلمة، كان سقراط يستقبل الموت باسما تحت راية الكلمة، وكانت الكلمة جناحيه اللذين يحلق بهما فوق السجن فى كل الفضاءات العريضة الملونة!!.

-٥-

فى ضوء هذا المفهوم الشمولى للكلمة.. ما هى الكلمة إذن من المنظور الإسلامى؟ وما هى أبعادها الحقيقية من هذه الوجهة؟.

لابد أن نقرر منذ البدء أنها كل هذه الأشياء التى أسلفنا وشىء آخر يعطيها على الصعيد الإسلامى خصوصية بارزة.. أعنى أنها هى وسيلة للالتقاء بين الجنسين.. وهى ناقلة للتراث الحضارى.. وهى صلب كل الرسالات والأديان ودعوات الإصلاح.. وهى حرة بطبيعة تكوينها البدئى حتى لتمتزج بالحرية امتزاجا وجوديا غير مبتوت.. ثم هى «من المنظور الإسلامى» وضعية متميزة تحمل خصائصها الدالة، وملامحها الفارقة.

-٦-

ولعلنا من خلال استقصاء مقارب لورود الكلمة فى القرآن من جهة، ولتأمل طبيعة هذا الورود فى القرآن من جهة أخرى، نستطيع أن نضع تحت أعيننا ملامح الكلمة كحقيقة موضوعية من المنظور الإسلامى، وقد نستدرك على الفور ملاحظين أن ورود الكلمة فى القرآن قد يجىء نصا وقد يجىء ضمنيا، وهى من الوجهة النصية أو من الوجهة الضمنية تعطى دائما حقيقتها، وتضع لنفسها ذاتية متفردة تكاد تجعلها عالما من الكمال الخاص الذى لا يندرج تحت ما سواه مما عسى أن يكون هابطا أو خابطا أو عشوائيا.. وربما نستدرك كذلك ملاحظين أن نبى الإسلام فى تحركه بالكلمة وفى تحركه مع الكلمة يضع لها هو الآخر بوحى من القرآن شروطها التاريخية التى تجعل منها كيانا موضوعيا متفجرا بالحيوية والحركة والنقاء واعتناق كل الكون، والتنائى بها دائما عن أن تكون إطارا مجوفا بلا مضمون، أو شعارا منفصلا فى حركة وجوده عن الواقع، أو سلاحا تختل الأشياء والمعانى والارتقاء بها فى ليل المجاهيل.

-٧-

فالكلمة «كما يصورها القرآن الكريم» تلخيص لتراسل السماء والأرض فى بواكير الوجود لاستنقاذ أبى البشرية آدم عليه السلام:

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾

[البقرة/ ٣٧]

وهى جمال لفلسفة الإسلام كدين شمولى تكاملت حلقاته وتنامت:

﴿ وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ﴾

[الأنعام/ ١١٥]

وهى هتاف الانضواء تحت فهم كلى للحقائق الكبرى:

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾

[آل عمران/ ٦٤]

وهى سلاح جمعى ذو حدين.. مضىء ومعتم:

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء (٢٤) تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾

[إبراهيم/ ٢٤ - ٢٦]

وهى بدء لا ينتهى، ومداد لا يجف؟:

﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا (١٠٩) ﴾

[الكهف/ ١٠٩]

وهى ميزان الحق وسيف العدالة:

﴿ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾

[يونس/ ٨٢]

وهى طائر أبيض الجناحين قادر أبدا على اختراق الآفاق والسماوات:

﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾

[فاطر/ ١٠]

وهى شىء مقدس يتسامى للانتماء إليه حتى الأنبياء:

﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾

[النساء/ ١٧١]

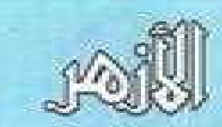
إلى مثل هذا الحد تتوهج «الكلمة» فى القرآن الكريم الذى هو الوعاء الحقيقى للمنظور الإسلامى فيما نعنى بمصطلح المنظور وليس هذا كل ما ورد فى القرآن الكريم من حديث عن الكلمة، وتحديد لمفهومها الحقيقى، فلقد تحدث عنها فى مواطن كثيرة من حيث هى إفضاء هادف أو من حيث هى إفضاء غبى، مرة بهذا المنحى النصى المعجز الرائع، ومرة أخرى عن طريق المنحى الضمنى الذى يضع الكلمة حرفا على شفاه البشر، أو سلاحا فى أيديهم، أو رسالة منوطة بهم..

﴿ ولا تطع كل حلاف مهين (١٠) هماز مشاء بنميم ﴾

[القلم/ ١٠، ١١]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾

[الحجرات/ ١٢]



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

[الحجرات / ٦]

إن الكلمة هنا توشك أن تكون إنسانها القائل فإذا استحالت كذبا فإنسانها هماز مشاء بنميم وهو أخلق بالطرد والعصيان !! وإذا اغتابت فإنسانها آكل جيف ووحشى وهو واحد من الخارجين عن سواء الفطرة وإطارها النظيف !! وإذا تسرعت فأدانت بمجرد الظن، فإنسانها جاهل وهو أقمن قمين بأن يظل عاضا على أصابع الندم !!.

-٨-

إن هذه الحملة الضارية على سوء سلوك الكلمة تؤكد أن الأبعاد الضيقة التى يضعها المنظور الإسلامى للكلمة لا يمكن أن تكون أبعادا غير إنسانية المنطق والقرار، إنها قد تكون وسيلة الحب الجامع بين آدم الوجود وحوائه، ولكنها تضع هذا الحب على مستوى النقاء وليس على مستوى العهارة، وقد تكون ناقلة التراث الحضارى، ولكنها تنتخب من هذا التراث ما ينفع الناس ويمكث فى الأرض وليس تحتطب كل ما تلقى بلا تفريق.. وقد تكون صلب كل الرسالات والأديان ودعوات الإصلاح، ولكنها ترفض أن يحرف الدين عن أصله، أو الرسالة عن مناطها أو الدعوة عن تعلية الحياة.. وقد تكون حرة حرية قبلية ترجع إلى لحظة ميلادها البدنى، ولكنها تضع هذه الحرية القبلية فى إطار من التناغم الكلى مع الحقيقة الشاملة، فلا ترضى أن يكون جانب من القضية مضيئا بينما يزحف الظل على جانب آخر.. وهذا هو الفرق.. إن الكلمة «من غير المنظور الإسلامى» تبحر مع الحب حتى تلامس العهارة.. ومع التراث الحضارى حتى تنحنى لهذيان الرافضين.. ومع كل الأديان حتى تقدس المدخول وغير السماوى.. ومع الحرية حتى تتاخم الفوضى وتلتحم بها بلا حدود.. أما من المنظور الإسلامى فإنها تعرف كيف تضع الأشياء فى مناطاتها الحقيقية، الحب بناء وليس تدليا، والتراث حضارة فهم وليس حضارة اعتباط، والدين وحى إلهى وليس تحريفا بشريا، والحرية التزام وليس تسيبا بلا قوانين !! من هنا كان ترشيد النبى للكلمة موصولا وغير محدود، وكانت أيضا حملته الضارية على كل ما يضع الكلمة فى غير مناطها الطبيعى: «ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون - ألا أخبركم بشرار هذه الأمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون»(١) «لا يدخل الجنة نمام»(٢) «لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»(٣) «إن الرجل ليتكلم الكلمة لا يلقى

(١) السنن الكبرى للبيهقى ١٠/١٩٤.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أبو داود والترمذى.

إليها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا»(٤)

وهكذا تتواصل هتافات الترشيد والتحذير وتأطير الكلمة بإطار من الطهر الذى لا يدنس نفسه، حتى تكون الكلمة على مستوى أن تكون إطارا موضوعيا للقرآن الذى هو محور الحركة فى الإسلام بدءا وتناميا وانتهاء !!.

-٩-

وإذن.. فالكلمة «من المنظور الإسلامى» كلمة مسئولة.. هى مسئولة عن تعلية التعبير عن كل ما يجيش فى أعماق البشر من هواتف الطبيعة ونوازع الضرورة، وخوالج الوجدان.. لأن تعلية التعبير هى المقدمة الحقيقية لتعلية الحقائق المعبر عنها !! وهى مسئولة عن توظيف التراث الحضارى فى تطوير الحياة والأحياء، وليس فى تدمير الحياة والأحياء، إن التراث ليس صنما يتعبد له وثنيون، ولكنه إيقاع فكرى وحضارى ينبغى أن يتنامى جانبه الرسالى، وأن تتوارى جوانبه الخرافية !!، وهى مسئولة عن الحفاظ على الرسالات والأديان فى إطار منطقها الإلهى، حتى لا يكون خلط بين ما هو أرضى محدود بطاقة البشر، وبين ما هو سماوى منتم إلى وحى السماء فتكون فتنة على الأرض، وتشتبك القوى المتعارضة فى صراع دموى ليشوه من طبيعة هذا الجمال المخلوق الوادع القسمات !!.

وهى مسئولة عن الحرية مسئوليتها عن وجودها البدنى، لأن أى عصر عبودى يمكن أن يطفىء على الأرض كل المصابيح وأن يترك البشر فى فوضى من الذل والخرس وإطراق الحياة وأن يمسح بيد البطش على كل التاريخ المضيء الذى يثرى جوانب الكون، ويطور نواميس الفهم لحقائق الأشياء !!.

وهى مسئولة عن دوام التواصل بين السماء والأرض، فبالكلمة نحن نتعبد لله، وبالكلمة نحن نفهم عن كتابه الخالد، وبالكلمة نحن نمد من رقعة الضوء الإيمانى فى كل المناخات !!.

وهى مسئولة عن وجود وجودها نفسه، فبالكلمة تحيا فى الكلمة وإنسان هذا الكون يرفض أن يحيا خارج خارطة الكلمة لأنه يرفض أن يكون شيئا يضاف إلى جبال الأشياء !!.

إن «مسئولية الكلمة» تعكس فلسفة وضعيتها الفريدة الفذة «من المنظور الإسلامى» لأنها تلقى عن كاهلها عبء التزام عقائدى يضع الكون فى أحداقه كأنه مسئول فيه عن خفقة الضوء، ونبضة الخصب، وحركة الفرد، واندفاع المجموع وقيم الحضارة، ونقاء التواصل وبنائية المقولات !!.

هذه هى الكلمة «من المنظور الإسلامى».. وهذا هو حجمها الهائل من هذه الوجهة.. فهل تستطيع أن تكون على مستوى الفروسية حين تكون الكلمة سيفا؟ أم أننا مانزال نرى فى السيف مجرد حشد من الأسماء تنام هامدة على صدر قاموس من القواميس ؟؟!.

(٤) موطأ الإمام مالك ٩٨٥.

قصة العدد

الإغراء

٢



للأستاذ الدكتور/ طه حسين

● قالت فاطمة: أقم يازين قريش! إن أبا قبيس لن يريم [١]، وإن أهلك لن يبرحوه، وإن خير ما في الأمكنة والدور أنها ثابتة باقية لا تتحول ولا تزول إلا في بطء، وإن شر ما في الزمان أنه لا يعرف الهدوء ولا الاستقرار ولا يحب السكون والاطمئنان. إنما هو انتقال دائم وحركة متصلة لا تستطيع الجمع بين أطرافه بل لا تستطيع الجمع بين أجزائه. أقم! فستبلغ أباقبيس في أي وقت شئت، وستلقى أهلك في أي لحظة أحببت، ولكن هذه الساعة إن تفلت منك فلن تعود إليك، ولعلك لا تحرص عليها ولا تحفل باستدراكها، فاعلم أني عليها حريصة ولها محبة. واعلم أني مشفقة أن تضيع، فقد تعلقت نفسي بها منذ يوم الفداء. لقد رأيتك مقبلاً إلى المسجد، ورأيتك منصرفاً عنه، ورأيت على وجهك ابتسامة واحدة للموت وللحياة جميعاً. لم يكن وجهك مظلماً حين كنت تنتظر الموت، ولم يزدد وجهك إشراقاً حين ردت إليك الحياة، ولقد ارتسمت في نفسي ابتسامتك هذه فلم تفارقها، ولم أرك منذ ذلك اليوم ولن أراك إلا مبتسماً. أقم يافتى! إن وجهك لوضيء وإن جبينك لمضيء، وإن عينيك لتسرعان إلى القلب، وإن صوتك ليسيغ عليّ حناناً حلواً يدنيني منك ويدفعني إليك. أقم! وليكن بيني وبينك طرف من حديث. فمن يدري! لعل هذا الحديث أن ينتهي بك وبي إلى شيء.

(١) لن يريم: لن يبرح ولن ينتقل.



● قال: وما عسى أن يكون هذا الشيء؟ إن شخصك ليثبتني في هذا المكان، وإني لأجد في قلبي شيئاً يدفعني عنه، وإن نفسي لمضطربة بين هذين الداعيين الملحين: يهيب بي أحدهما أن أقم، ويهيب الآخر أن أنصرف.

● قالت: أقم يافتى، وخلاك ذم، فما ينبغي وقد دخلت دارنا أن تخرج منها ولما تصب عندنا شيئاً من القرى.

● قال: لست ضيفاً ولا طارقاً، وليست الساعة ساعة قرى، دعيني أنصرف الآن كارهاً، وما أظن إلا أني عائد إليك إذا كان المساء.

ثم هم أن ينصرف ولكنها أقبلت عليه ورنت إليه بطرف ساحر فاتر أثبته في مكانه، فمسته بيدها مساً رفيقاً وقالت:

● وكذلك يذهب عبثاً ما أنفقت من جهد، ويمضي سدى ما بذلت من حيلة، وتنصرف ولما يتصل بينك وبيني الحديث، ولما تتصل بين قلبي وقلبك الأسباب!! أقم فلابد من أن أسألك، ولابد من أن تجيب. انظر إلى هذه الوسائد، لقد هيئت لك منذ اليوم فاجلس، وانظر إلى هذه الجارية! لقد أقبلت تحمل شيئاً من شراب. فجلس الفتى وجلست منه غير بعيد.

وأقبلت جارية سوداء تحمل إبريقاً وأقداحاً فوضعت ما في يدها وملأت قدحين وقدمت إليه أحدهما وهي تقول: دونك شيئاً من زبيب الطائف يازين قريش، ثم قدمت إلى مولاتها قدحاً آخر وانصرفت.

● قالت فاطمة: أثبتت منذ حين أنك قد خطبت آمنة بنت وهب وأنها قد زفت إليك. أسعيدٌ أنت منذ أعرست؟ أناعم البال أنت منذ استأنفت حياتك الجديدة؟ قال: وما يمنعني أن أكون سعيداً ناعم البال، وإني لأجد عند آمنة أكثر مما كنت أريد؟! قالت: ولكنك لا تجد عندها المال والثراء ولين العيش.

● قال: فإن ذلك شيء يكسبه الرجال وينفقون حياتهم في السعي إليه، وإني لآخذ في أسباب ذلك، فقد كنت حين رأيتني رائحاً قبل أن يأتي لي أن أروح، ذاهباً إلى حيث أهيىء للرحلة.

● قالت وقد ظهر عليها الخوف: أمرتحلٌ أنت؟ وإلى أين؟ قال، إلى حيث ترتحل قريش.

● قالت: فإن مثلك لم يخلق لهذا العناء. أقم يافتى: فإن المال كثير، والثراء موفور، وإن لك من ذلك ما أحببت، وأن لك من ذلك لفوق ما تحب. إنك لتعرف لمر الخثعمي إبلاً ترعى خارج مكة لا يكاد يحصيها العد. وإنك لتعلم أن لمر الخثعمي عند تجار قريش وصيارفهم من الذهب والفضة والعروض شيئاً كثيراً. وإنك لتعلم أن يد فاطمة بنت مر في هذا كله مطلقة. فليس لي أخ وليست لي أخت، فثروة أبي خالصة لي لا يشاركني فيها أحد، وهي لمن سأختاره بعلاً. أفترضى أن تكون هذا البعل؟

● قال: هذا شيء تتحدث به إليّ النفس منذ رأيتك وقبل أن تذكري لي مالك الضخم وثراءك الموفور، وإن فيما أرى من جمالك وعقلك وكمال خلقك وحسن منزلك من خثعم، لما يحببك إليّ ويغريني بما تعرضين عليّ. فهل لك في أن تمنحيني سعة من وقت وشيئاً من مهلة، لا لأفكر ولا لأروى فقد فكرت ورويت، ولكن لأتحدث في ذلك إلى



أبى، ولأنظر كيف يقع ذلك من آمنة، فإن عهدها بالعرس حديث، وعزيز علىّ أن أسوءها ولما يمض على زواجنا إلا أمد قليل.

● قالت: لك ما شئت من سعة، ولك ما شئت من مهلة. وعزيزٌ علىّ أن أروع آمنة أو أن أسوءها، فما جنت علىّ شراً، ولا قدمت إلىّ سوءاً. ولكنى أحببتك وآثرتك وكرهت لك ما يذهب بنضرة كثير من فتيان قريش من هذا الرحيل المتصل الذى يضيع عليهم الصيف والشتاء. ولتعلمن آمنة أنى لا أريد لكما إلا خيراً، ولا أوثركما إلا بأحسن ما تحبان، ولن أكون لآمنة علة [٢]، ولأكونن أقرب إليها وأعطف عليها من هالة بنت وهيب. فكِّرْ إذا ما وسعك التفكير، ورو إذا ما وسعتك التروية، وتحدث إلى أهلك وإلى أبيك، وانتظر بالخطبة والزفاف ما شئت أن تنتظر ولكن أقم عندى هذا اليوم، فإنى أجد فى جوارك لذة وفى حديثك متاعاً، وإنى أحس أنك تجد مثل ما أجد وتحب مثل ما أحب.

ثم دنت منه وأقبلت عليه بوجهها المشرق الجميل، وهى تقول فى صوت هادىء عذب أدنى إلى الهمس منه إلى الجهر: هلم، فقد خلت لنا الدار ونأى عنا الرقيب، وقد وهبت لك نفسى فهب لى نفسك، ولنقضه يوماً حلواً سعيداً. هنالك ارتد الفتى عنها وقد أخذه خوف رفيق وإشفاق هادىء وهو يقول:

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تنوينه

● قالت: ما أشد ما ترتاع لما لا يروع! إنى لأعرف فيك نُسك أبيك..

● قال: لا روع ولا نسك، ولكن دعينى أنصرف، ولأعودن إليك مع المساء بما ترضين وبما أنا عليه حريص.

● قالت: أصادق هذا الوعد، أم تعلة تخرج بها مما نحن فيه؟

● قال: بل وعد صادق أنا على صدقه أحرص منك.

نهض ونهضت، ومضى متثاقلا، وتبعته وهى تقول: لقد صبرت أياماً وأياماً، فما يمنعنى أن أصبر بعض يوم!! اذهب سالماً وعد موفوراً! فلن أبرح مجلسى هذا حتى تعود!

وما كاد يتجاوز باب الدار حتى مضى فى سرعة تشبه العدو، لا يحس وهج الشمس الذى كان يلفح الوجوه، ولا يكاد يرى من حوله شيئاً، قد امتلأت نفسه بما رأى، وامتلأت بما سمع، وجاشت فى قلبه الآمال العراض. لقد كان يقيس ما كان يعده أبوه من ثراء بعد طول الرحلة وثقل الجهد وكثرة الاحتمال وفراق الأهل، إلى ما رتبت له فاطمة فى غير نأى ولا مشقة، ولا اغتراب ولا فرقة، فكان يأخذه شىء يشبه الدوار حين يرى هذا الفتى وقد أنضاه سفر غير قاصد، ثم عاد مجهوداً مكدوداً ولم يفد إلا دراهم ودنانير، وهذا الفتى الذى يسعى فى مكة رخى البال موفور النعمة، لم يلق جهداً ولم يتعرض لأذى، وإنما قال كلمة ليس غير، فإذا هو أكثر قريش مالاً، وأعظمها ثراء،

(٢) العلة: الضرة.

وأعزها جانباً، إليه حماية قريش حين تأخذ طريقها إلى اليمن.

وأنساه هذا التفكير نفسه حتى مر بدور بنى هاشم فلم يلو على أحد ولم يقف عند شىء، لولا أن صوتاً ناداه إلى أين يا عبدالله؟ وما هذا المضى إلى غير غاية؟ ولكنه سمع لهذا الصوت فالتفت، فرأى سمراء تسعى قريبة الخطا، كئيبة الوجه، كاسفة البال، فوقف لها حتى دنت منه وهى تقول: لشد ما تسرع فى العدو، ولشد ما تذكرنى بأخيك!

● قال: ما أرى أنك تريدين هالة أو فاطمة بنت عمرو؟!

● قالت: بل إلى فاطمة أريد، فقد مسها منذ حين ما مسنى منذ دهر فانصرف عنها أبوك بعض الشىء إلى عرسه الجديدة، ولولا أن لفاطمة فيك وفى إخوتك عزاء عما تجد من هجر عبدالمطلب لكان الخطب عليها أثقل ولها أفجع. فأنا أختلف إليها فى مثل هذا الوقت من كل يوم لأسليها وأسرى عنها، فقد أخذ عبدالمطلب لا يروح إلى هالة. وأنت فما أعجلك عن أبيك وعن إخوتك؟ أمشوق أنت إلى آمنة ولما يعتدل النهار؟

● قال: إنك لتعلمين ضعف سلطان الشوق علينا آل عبدالمطلب، وإن أحدنا ليتحرق شوقاً وينفطر جوى فلا يبلغ منه ذلك أن يتحول عن مجلسه أو ينصرف عن وجه قصد إليه. ولكن عبدالمطلب قد لقينى منذ اليوم بحديث أعجلنى عنه وعن إخوتى، ودفعنى إلى أن أسرع إلى الرواح. إنه يريد أن أفصل مع القافلة إلى الشام، فلابد من أن أتهيأ لذلك وأهيىء له آمنة، وإنى لأخشى أن يكون موقع ذلك منها شديداً.

● قالت: لا بأس عليك، إن تكن فتى من قريش فآمنة فتاة من قريش، وما أظنها إلا هيأت نفسها لحياتنا جميعاً، وأخذت نفسها بالصبر على فراق البعل أكثر العام. اذهب مصاحباً، فلن ترى من آمنة إلا ما يحب أبوك وما ستحب أنت بعد حين وإن كرهته الآن.

وكانا قد بلغا بيت فاطمة، فدخلت هى، ومضى الفتى أمامه لم يعرج على أمه ليحييها أو ليقدم إليها بعض العزاء. فلما انتهى إلى آمنة فى بيتها قامت إليه طلقة الوجه مشرقة الجبين، وتلقته مبتهجة بلقائه، ولم تسأله عما أعجله عن قومه. وهل كانت تشك فى ذلك أو ترتاب! إنما هو الحب الذى كان يخرجه من البيت وقد خلت دور بنى هاشم من الكهول والشباب، ويرده إلى البيت ولما ينهض كهول بنى هاشم وشبابهم من أنديتهم ومجالسهم. ولكن آمنة رأت على وجه زوجها شيئاً غير ما كانت قد تعودت أن تراه: رأت حيرة لا تكاد تظهر، وهماً لا يكاد يبين. فهمت أن تسأله، ولكنه سبقها إلى الجواب فقال:

● عزيزٌ على يا ابنة وهب أن ألقاك بغير ما تعودت أن ألقاك به من البشاشة والبشر، ولكن حياة قريش لا تعرف البشاشة الدائمة ولا البشر المتصل.

● قالت: فأنت مرتحل إذاً مع القافلة؟ كذلك يريد أبوك، وكذلك يريد إخوتك، وكذلك يريد مكانك من قريش. ثم كفكفت عبرة كانت تريد أن تنهمر، وردت إلى صوتها ما كان قد فارقه من الثبات والهدوء، وقالت وهى تبتسم فى كثير من التجلد والصبر: وهل عزت قريش وأثرت إلا



بالرحيل ! إنما عز قريش وثراؤها ثمرة لجهد الرجال وصبر النساء. أولئك يشقون بالرحلة المتصلة، وهؤلاء يشقين بالصبر الطويل، وماذا أعددت لهذه الرحلة؟

● قال: سنتحدث في ذلك بعد حين، ولكني أريد أن تستقبلي هذا الفراق بصبر لا يشوبه التضجر، وجلد لا يشوبه التجلد، وقلب لا يفسد عليه الحزن أمره. انتظري عودتي، فلعلي أعود موفوراً موسراً، ولعل ذلك أن يهيىء لنا حياة أيسر وعيشاً أدنى إلى اللين مما نحن فيه، فلو تعلمين ما ألقى من الأذى وما أرد نفسي إليه من الاحتمال حين أرى جيدك عاطلاً لا تزينه هذه العقود التي تزين أجياد أترابك من نساء قريش، ولو تعلمين ما ألقى من الأذى وما أرد نفسي إليه من الاحتمال حين أرى أنك لا تستمتعين من طيبات الحياة بمثل ما يستمتع به غيرك من نساء بني هاشم!

● قالت: وما ذاك، وأين يكون الحلى وأين يكون النعيم من هذه الساعات الحلوة التي نقضيها إذا كانت القائلة أو إذا جنّ الليل !..

وأخذ الحديث يصفو ويعذب ويرق ويلين بين الزوجين، حتى أنسى عبدالله أمر الرحلة، وأنسى حديث فاطمة وما وعدته وما صورت له من أماني وآمال، ولم يذكر عبدالله إلا هذا الوجه الجميل، وهذه النفس السمحة، وهذا الخلق الرضي، وهذا الحديث العذب يقع من قلبه مواقع الماء من ذي الغلة الصادي.. هنالك عاد إلى وجه الفتى إشراقه وبهجته، وعاد إلى قلب الفتى غرامه وحبه وهنالك انتصر الشباب على الحزن والسرور معاً.. ثم أقبل الأصيل فأسبغ على مكة وما حولها رداء خفيفاً من الحزن. وخرج الفتى من عند آمنة راضياً ناعم البال، ولكن صوتاً بعيداً يبلغ قلبه فيمسه مساً خفيفاً. خرج الفتى ليسعى في تهيئة رحلته، ولكن هذا الصوت البعيد أخذ يدنو من قلبه قليلاً قليلاً:

عرج علينا فأقم ساعة ... فعندنا إن شئت روح وراح

ومع أن الفتى قد ولى وجهه شطر بني زهرة ومضى في طريقه إليهم، فقد شغله هذا الصوت عن بني زهرة وعن عروضهم وتجارتهم، وشغله عن القافلة ورحلتها من غد، وشغله عن نصح أبيه وتشجيع إخوته، وشغله عن كل شيء ولم لا! لقد كان يدنو منه شيئاً فشيئاً، وكان كلما دنا منه ارتفع واتسع وأخذ عليه كل سبيل، حتى لكأنه كان يسمعه من كل ناحية، وينظر فإذا هو في طريقه لا إلى دور بني زهرة، بل إلى دار فاطمة بنت مر، وينظر الفتى فإذا هو أمام الدار، وإذا هو يدخل من الباب، وإذا هو يرى الجارية السوداء تلقاه باسمة وتحييه قائلة: أسرع يازين قريش، فقد أبطأت وطال انتظار مولاتي لك وينظر الفتى فإذا هو في ذلك المجلس الذي ترك فاطمة فيه آخر الضحى، وإذا فاطمة قد قامت له وأقبلت عليه، ولكنه لم يفطن لشيء ما كان ليفوته لو أن أمره كله قد كان إليه حقاً، لم يفطن لهذا الفتور السريع الذي ظهر على فاطمة حين وقع بصرها عليه. على أنه لم يلبث غير قليل حتى أحس هذا الفتور وأنكره، فقد تلقته الفتاة فرحة بلقائه أول الأمر، ولكنها لم تكد تثبت بصرها فيه حتى هدأ هذا الفرح، ودعته في رفق إلى أن يجلس، وما كاد يستقر في مكانه حتى أقبل عليها جذلان مسروراً وهو يقول:

● رأيت أني لم أكذبك ولم أخلفك، وإنما أقبلت مع المساء! لئن كانت الدار قد خلت لنا في الضحى لهي الآن أدنى إلى الخلو. ولئن كان الرقيب قد نأى عنا في الضحى لهو الآن أمعن في النأى. ولئن كان النعيم قد عن لنا في الضحى لهو الآن أدنى منالاً.

● قالت وقد أطالت النظر إليه والتحديق: ليتك لم تعد، وليتك إذ وعدت أخلفت موعدك!.. فحدثني ماذا صنعت منذ فارقتني، فإني لا أرى في وجهك ما كنت أراه في الضحى من الإشراق، ولا أرى في جبينك ما كنت أراه في الضحى من الضوء، ولا أسمع في صوتك ما كنت أسمع في الضحى من هذه النغمات الحلوة التي كان يملؤها الحنان! إنما أنت الآن فتى من فتيان قريش يبتغي لذة ومالاً. إن في أحداث الزمان لعجباً! ما أسرع ما يتغير الرجال!

● قال: وأين ترين هذا التغير؟ وماذا تنكرين مني؟ لقد كنت بك مشغوفاً في الضحى، وكنت أدافع هذا الشغف، ولقد كنت مقبلاً عليك في الضحى، وكنت أخفي هذا الإقبال. فالآن وقد أرسلت نفسي على سجيتها، وتركت قلبي يعرب عما يجد، ويصور ما يحس تلقيني هذا اللقاء؟! هلم! لقد خلت لنا الدار، ونأى عنا الرقيب وأمكنت لنا الفرصة.

● قالت: لقد كنت تفكر في الضحى أو تريد التفكير، وكنت تروى في الضحى أو تريد التروية، فالآن دعني أفكر، وهب لي سعة من وقت، فإني لا أدرى ما الذي يصرفني عنك ويخيفني منك. ولو أنصفت نفسك وأنصفتني لانصرفت عني الآن ومضيت فيما كنت فيه من تهيئة رحلتك إلى الشام!

قالت ذلك ونهضت متثاقلة، فمضت حتى اختفت. وليث الفتى حائراً لا يدري ماذا يأتي من الأمر، وكأن حجاباً قد أزيل عنه، وأمراً قد كشف له، فوثب ومضى مسرعاً حتى جاوز الباب وأخذ طريقه إلى بني زهرة. وقضت فاطمة ليلاً ثقيلاً، حتى إذا كان الصبح أقبلت عاتكة تسعى تريد أن تعلم علمها، فرأت فتاة محزونة كئيبة، فلما سألتها عن خطبها قالت:

إني رأيت مخيلة عرضت ... فتلألأت بحناتم [٣] القطر

فلمأتها [٤] نوراً يضيء له ... ما حوله كإضاءة الفجر

ورأيته شرفاً أبوء به ... ما كل قادح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت ... ثوبيك ما استلبت وما تدرى!

● قالت عاتكة: لقد ظننت أن حبكن في البادية كحبنا في الحاضرة، وما كنت أحسب أنه يتجاوز الشباب، ويرقى إلى السحاب!

● قالت فاطمة: لا تهزئي، فقد ذهبت آمنة بخير ما كنت أحب!

---

(٣) الحناتم: السحائب السود.

(٤) لمأتها: أبصرتها ولمحتها.

الأزهر

بمناسبة مرور مائة عام على رحيله

حول رؤية الإمام محمد عبده لعلاقة الدين بالعلم



٣

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

نصيب العلم وفلسفته من النسق الفكرى للإمام

ثنائية الإيمان والعلم لتفعيل الإصلاح والتقدم

إن العلاقة بين الدين والعلم فى الفكر الإصلاحى للإمام محمد عبده هى علاقة توافق وانسجام لا علاقة تعارض وانفصام . وقد عبر عن ذلك بقوله« . . ارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين : الأول تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله تعالى - لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه . . . وأنه - أى الدين - على هذا الوجه يعد صديقا للعلم ، باعثا على البحث فى أسرار الكون ، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتعويل عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل . . .

والأمر الثانى : إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير سواء كان فى المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس . . . »[1].

ولهذا نجد الإمام قد اهتم اهتماماً كبيراً بنشر العلم لأنه أفضل وسيلة للنهوض والرقى على مستوى الأفراد والجماعات والأمم ، وحض على ذلك فى ثنايا تفسيره لأول ما نزل من القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

«العلق ١-٥»

فقال ، مستحثاً الهمم ومستنهضا العزائم : «إنه لا يوجد بيان أبرع ، ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه ، من افتتاح الله تعالى كتابه وابتدائه الوحى بهذه الآيات الباهرات . فإن لم يهتد المسلمون بهذا الهدى ، ولم يرشدهم النظر فيه إلى النهوض ، وإلى تمزيق تلك الحجب التى حجبت عن أبصارهم نور العلم ، وكسر تلك الأبواب التى غلقها عليهم رؤساؤهم وحبسوهم بها فى ظلمات من الجهل ، وإن لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين ، ولم يستضيئوا بهذا الضياء الساطع ، فلا أرشدهم الله أبداً . . . »[2].

والعلاقة التكاملية بين الدين الصحيح والعلم الصحيح تعنى عند الإمام أن «العقل يجب أن يحكّم كما يحكّم الدين ، فالدين عرف بالعقل ، ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معاً حتى تستطيع أن تواجه المسائل الجديدة فى المدنية الجديدة ، ونقتبس منها ما يفيدنا لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا فى عزلة ولابد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم . وأكبر سلاح فى الدنيا هو العلم ، وأكبر عمدة فى الأخلاق هو الدين . ومن حسن حظ المسلمين أن دينهم يشرح صدورهم للعلم ويحض عليه ، وللعقل ويدعو إليه ، وللأخلاق الفاضلة التى تدعو إليها المدنية الحاضرة»[3] . وقد انبثق هذا الاتجاه العقلى الإيمانى عند الإمام من حقيقة تآخى العلم والدين لأول مرة فى كتاب مقدس - هو القرآن الكريم - ، على لسان نبى مرسل - هو محمد عليه الصلاة والسلام - ، بتصريح لايقبل التأويل . وتقرر بين المسلمين كافة -

محمد عبده

(١) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، مرجع سابق.



(٢) الأستاذ محمد عبده ، تفسير جزء عم ، كتاب الشعب (١) ، مطابع الشعب (د.ت).

(٣) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، مرجع سابق.

إلا من لاثقة بعقله ولا بدينه - أن من قضايا الدين مالا يمكن للعقل الاعتقاد به إلا من طريق العقل . كالعلم بوجود الله ، وبقدرته على إرسال الرسل وعلمه بما يوحي به إليهم»[4].

نجد هذا واضحاً غاية الوضوح في العديد من مؤلفات الإمام التى دافع فيها عن العقل باعتباره أشرف ما في الإنسان، وفي تأويله للنصوص الدينية تأويلا معبرا عن الاجتهاد وسعة الاطلاع والرغبة في اكتشاف الحقيقة . فهو يقول مثلا في تفسيره لسورة العصر أن « الحق هو ما تقرر من حقيقة ثابتة أو شريعة صحيحة، وهو ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان أو مشاهدة . فشرط النجاة من الخسران أن يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم، ويمكنوه من قلوبهم ، ثم يحمل الناس بعضهم بعضا عليه بأن يدعو كل صاحبه إلى الاعتقاد بالحقائق الثابتة التى لاينازع فيها العقل و لا يختلف فيها النقل ، وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات التى لاقرار للنفوس عليها ولادليل يهدى اليها، ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر وإجادة النظر في الأكوان حتى تستطيع النفس دفع مايرد عليها من باطل الأوهام . وهذا إطلاق للعقل من كل قيد ، مع اشتراط التدقيق في النظر ، لا الذهاب مع الطيبة والانخداع للعادة والوهم . . ». ويرى الإمام أن سورة العصر قد شملت بحكمها جميع أفراد المكلفين : سواء بلغتهم دعوة نبى أم لم تبلغهم دعوة، كما أنها لم تدع شيئا إلا أحرزته في عبارتها الموجزة ، حتى قال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، أو قال: لو لم ينزل من القرآن سواها لكفت الناس. [5]

ولقد انطلق الإمام محمد عبده في رؤيته الإصلاحية على أساس العلم والإيمان من التأكيد على مبدأ التوحيد الذى يشكل جوهر الاعتقاد الإسلامي ، باعتباره أول الثوابت الإيمانية في النسق الفكرى الإسلامي، طالبنا الحق سبحانه وتعالى به في أول ما نزل من آيات القرآن الكريم ليوجه رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والفكر والوجود ، ويساعده على فقه كلمات الله القرآنيه في كتابه المسطور ، وكلماته الكونية في كتابه المنظور . واتخذ الإمام من هذا المبدأ الإيماني سلاحاً أكثر مضاء ، وحجة أبلغ إقناعا لمواجهة الأفكار المادية الجديدة بصورة عامة، للرد على دعاة الفصل التام بين العلم والدين وتقويض دور الدين في المجتمع، ومحاربة التقليد الأعمى لكل فكر موروث أو وافد. ولقد ساعدته ثقافته المتعمقة على صياغة «رسالة التوحيد» ، وتأسيس مشروعه

(4) رسالة التوحيد ، ضمن الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، المرجع السابق.

(5) الاستاذ محمد عبده، تفسير جزء عم ، مرجع سابق .

الإصلاحي ، بحشد واسع للأدلة المستمدة من حقائق الدين والعلم على حد سواء لتفعيل "الاجتهاد" على كل مستوى ممكن من الشريعة باعتباره الطريق الوحيد للتجديد وإعادة البناء الذاتي لنهضة حضارية متوازنة ، مثلما كان دوره في عصور الازدهار الأولى للأمة الاسلامية .

وثنائية العلم والإيمان ليست في حقيقتها سوى جوهر نظرية المعرفة الإسلامية القائمة على التأليف بين ما أسماه الإمام محمد عبده « الهدايات الأربع » : العقل والنقل والتجربة والوجدان . . . التى تزاملت وتكاملت في تحصيل المعرفة الإسلامية - الشرعية والمدنية - فأثمرت الحضارة الإسلامية المتوازنة [6]. ولقد أفاض الإمام محمد عبده في الحديث عن هذه النظرية - نظرية الهدايات الأربع - الممثلة للوسطية الإسلامية الجامعة في نظرية المعرفة ، وذلك عندما وقف في تفسيره لسورة الفاتحة أمام قوله تعالى:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

(سورة الفاتحة : ٦)

من ناحية أخرى يؤكد الإمام في ثنايا مؤلفاته على ما يمكن أن نسميه «إسلامية» العلم والمنهج العلمي، باعتبارها من المقومات الفكرية والعملية في آن معاً لأى مشروع إصلاحي في المجتمع الإسلامي. فهو يقول- على سبيل المثال - في رسالة التوحيد : «ومن أدلة ثبوت العلم للواجب ما نشاهده في نظام الممكنات من الأحكام والإتقان ووضع كل شيء في موضعه، وقرن كل ممكن بما يحتاج إليه في وجوده وبقائه، وذلك ظاهر لجليّ النظر بما يشاهد في الأعيان، كبيرها وصغيرها، علْويها وسفليّها، فهذه الروابط بين الكواكب ، والنسب الثابته بينها، وتقدير حركاتها على قاعدة تكفل لها البقاء على الوضع الذى قدّر لها ، وإلزام كل كوكب بمدار لو خرج منه لاختل نظام عالمه أو العالم بأسره، وغير ذلك مما فصّل في علوم الهيئة الفلكية ، كل ذلك يشهد بعلم صانعه وحكمة مدبّره .

اعتبر بما تراه في جزئيات النباتات والحيوانات : من توقيتها قُواها ، وإتيانها ما تحتاج إليه في تقويم وجودها من الآلات والأعضاء ، ووضع ذلك في مواضعه من أبدانها ، وإيداع غير الحساس منها كالنبات قوة الميل إلى تناول ما يناسبه من الغذاء دون مالا يلائمه ، فترى بذرة الحنظل تدفن بجوار حبة البطيخ في أرض واحدة، ثم تسقى بماء واحد، وتنمى بعناية واحدة، ولكن تلك تمتص من المواد ما يغذى المرّ الزعاق، وهذه تتناول مايغدو حلو المذاق ، وإرشادالحساس

(6) د. محمد عمارة ، الإمام محمد عبده ، مشروع حضارى للإصلاح بالاسلام ، مجلة الأزهر: الجزء (8) ، ٢٠٠٥: مجلة وجهات نظر ، العدد ٧٨، يوليو ٢٠٠٥ .



منها إلى استعمال ما منح من تلك الأدوات والأعضاء، وسوق كل قوة من قواه إلى ما قدرت له ، فهو الذى يعلم حاجة الجنين وهو نطفة أو علقة، ويعلم حاجته متى تكامل خلقه، وأنشأه نشأة الحى المستقل فى عمله، إلى الأيدى والأرجل والأعين والمشام والآذان وبقية المشاعر الباطنة ليستعمل ذلك فيما يقيم وجوده ويقيه من العوادى ، وحاجته إلى المعدة والقلب والكبد والرئة ونحوها من الأعضاء التى لاغنى عنها فى النمو والبقاء إلى الأجل المحدود للشخص أو للنوع ، وهو الذى يعلم حالة الجروة من الكلاب، مثلاً، وأنها متى كبرت تلد الجراء متعددة فيمنحها أطباء (حلمات رضع فى الثدى) متكثرة، وغير ذلك مما لايستطاع إحصاؤه، وقد فصل الكثير منه فى كتب النباتات وحياة الحيوان ومايسمى التاريخ الطبيعى وفنون منافع الأعضاء والطب ومايتبعه . على أن الباحثين فى كل ذلك بعد مابذلوا من الجهد وما صرفوا من الهمم وما كشفوا من الأسرار لم يزالوا فى أول البحث.

هذا الصنيع الذى إنما تتفاضل العقول فى فهم أسراره ، والوقوف على دقائق حكمه، ألا يدل على أن مصدره هو العالم بكل شئ، الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ؟ هل يمكن لمجرد الاتفاق المسمى « بالصدفة » أن يكون ينبوعاً لهذا النظام ، وواضعاً لتلك القواعد التى يقوم عليها وجود الأكوان، عظيمها وحقيرها؟ كلا بل مبدع ذلك كله هو من لا يعزب عن عمله مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم»[7] .

إن التحليل الأمين لهذا النص المقتبس من «رسالة التوحيد » للإمام محمد عبده يوجهنا إلى ضرورة تصحيح ما أصاب نظرية المعرفة المادية من عوار على أيدى الفلسفات الوضعية والتطورية الحديثة ، ويوجه النظر إلى أن الحركة الدائبة والتحول المستمر هو الناموس الثابت المطرد لهذا الوجود الحادث الفانى ، وهو بصفة خاصة قانون الحياة وقاعدتها ، بكل تقلباتها وأطوارها . ونسبة هذا الناموس إلى مشيئة الله وقدره تساعد على الخروج من كل المتناقضات التى تعانيها الفلسفات الوضعية الميكانيكية والتى لم تحلها حلاً شاملاً. ذلك لأن الإيمان الخالص والسمو الروحى يأتيان فى مقدمة الخصائص التى يتميز بها التصور الإسلامى للمعرفة ، وإليهما تعزى كل القوى الدافعة لملكات

(7) – د محمد عمارة ، رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، السلسلة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٩.

– محمد محى الدين عبد الحميد ، رسالة التوحيد لحكيم الإسلام الشيخ محمد عبده ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ١٩٩٦.

الباحث العلمى على طريق الإبداع والإبتكار. فالإيمان الخالص هو الذى يجعل العقل أقدر على كشف الحقائق ، وأكثر تهيؤاً لاستقبالها وقبولها، والإيمان الخالص للخالق الواحد هو الذى يحفظ كرامة الإنسان ويحرره من سلطان العقائد الوثنية أو المذاهب الوضعية. فالله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق ، وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التى أمرنا بالبحث عنها واستقرائها فى وحدة النظام بين الظواهر الطبيعية والإنسانية ، باعتبارها مصدراً للثقة واليقين ، وليست ظلالاً أو أشباحاً أو مصدراً للمعرفة الظنية كما نظرت إليها الثقافة اليونانية قديما . ومن كانت عقيدته الدينية هى « التوحيد الخالص » فإنه يجد فى نفسه دافعاً أقوى مما يجد سواه نحو أن يبحث دائما عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أياً كان الموضوع ، فيبحث عن محور الوحدانية فى الشخصية الإنسانية برغم اختلاف الجوانب الكثيرة فى حياة الفرد الواحد ، واختلاف العلوم الباحثة فى تلك الجوانب ، و كذلك يبحث عن محور الوحدانية فى الكون بأجمعه مجتمعاً فى وجود واحد ، وماذلك إلا لأن العلم بالنسبة للباحث المؤمن يكون دنيويا بعلاقاته مع الأشياء ، وتعبدياً فى الوقت نفسه لصلته بالله الواحد جل وعلا.

إن تأكيد كل هذه المعانى فى فكر الباحث العلمى ووجدانه يعتبر من أهم مقومات الشخصية العلمية التى يبدع العلماء على أساسها فى إطمئنان وهدوء ونقاء. وهنا يتحقق الانسجام الكامل بين الفكر والعمل ، بعيداً عن غيوم المذاهب الفلسفية الرديئة التى تشوه الوجه الناصع لكل حقيقة [8] .وإذا كان ما حدث فى الغرب من انزواء لعلوم الدين فى أركان الكنيسة يتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء ، فإن من الخطأ أن يسود الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة، أو أن العلم بفروعه المختلفة لايمكن إلا أن يكون « علمانيا». لقد أدى هذا الاعتقاد الخاطئ فى بلاد المسلمين الى حالة من الركود العلمى شلت فى ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار فى مختلف مجالات النشاط الإنسانى [9]، ولم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج العلمى الإسلامى الذى سبق لأسلافنا أن صنعوا به حضارة تزهو على كل الحضارات، فهو الأقدر على إزكاء روح النهضة الحضارية للأمة ، وعندئذ سيكون له أجل الأثر فى تصحيح وجهة العلوم وتقنياتها لدى عقلاء الغرب ومفكريه إذا ما درسوا الإسلام فى حقائقه ، واستفادوا

(8) د. أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية فى الفكر العلمى ، دار الهداية ، القاهرة ١٩٨٧، الإسلام والعولمة: مفاهيم وقضايا، كتاب الجمهورية، القاهرة ٢٠٠٠ ، فى فقه العلم والحضارة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ٢٠٠٣

(9) د. يحيى هاشم فرغل، حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب ، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف ، القاهرة ١٩٨٩ .

من منهجه فى إصلاح شئون حياتهم [١٠].

ولقد ذهب الإمام محمد عبده فى دراسته لأصول الإسلام إلى القول بأن الإسلام يدعو بإلحاح إلى النظر والتفكير بعد أن أطلق العنان للعقل البشرى دون تقييد لحريته التى سنتها له الفطرة، ويقول: «إننى لو أردت سرد الآيات القرآنية التى تدعو إلى النظر فى آيات الكون لأتيت بأكثر من ثلث القرآن، بل نصفه». وقد وجد تأييد ذلك فى التفوق العلمى الذى أحرزه المسلمون [١١]. وفى "رسالة التوحيد" يوضح الإمام نصرة الإسلام «للعقل» كى يهزم «التقليد» الذى قتل روح المبادرة والمخاطرة والإبداع فى الأمة. فالاسلام قد حمل على التقليد حملة بددت فيالقه المتغلبة على النفوس، واقتلعت أصوله الراسخة فى المدارك، ونسفت ما كان له من دعائم وأركان فى عقائد الأمم.. صاح بالعقل صيحة أزعجته من سباته وهبّت به من نومة طال عليه الغيب فيها.. لقد علا صوت الإسلام وجهر بأن الإنسان لم يخلق ليقاد بالزمام، ولكنه فطر على أن يهتدى بالعلم والأعلام، أعلام الكون ودلائل الحواس، ولذا أطلق الإسلام سلطان العقل من كل ما قيده، وخلصه من كل تقليد كان استعبده، ورده إلى مملكته يقضى فيها بحكمه وحكمته، مع الخضوع لله وحده» [١٢].

التأصيل الموضوعى للعلم ومؤسساته فى الحضارة الإسلامية

تاريخ العلم والتقنية جزء من التاريخ الإنسانى العام الذى أسهمت فى صنعه بدرجات متفاوتة – جميع الأمم على مر العصور. إنه تاريخ الفكر الذى منحه الله تعالى للإنسان لكى يرتقى بعقله ويدرك أهمية المعرفة فى صنع التقدم وفهم حقائق الأشياء. ومن يستقرئ هذا التاريخ بحيدة وموضوعية، بعيداً عن مختلف ضروب الهوى والتحيز، يجد أنه وثيق الارتباط، فى تقدمه وتعثره، بتاريخ حضارات الإنسان عبر آلاف السنين، ليصبح فى النهاية تراثاً مشتركاً للإنسانية كلها، كما يجد أن فلسفة العلم والتقنية معنية فى جانب كبير منها بتتبع نمو المفاهيم والأفكار العلمية والتقنية، ومهتمة بما قدمه العلماء والتقنيون من نظريات أو حلول لمختلف القضايا التى واجهتهم، وفق منهج تحليلى مقارن يهدف إلى وضع الحقائق فى نصابها المقبول عقلياً والممكن تاريخياً ومنطقياً [١٣].

من هنا فإن الأمانة فى التأريخ لأى علم من

(١٠) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، مرجع سابق.
(١١) الشيخ الإمام محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، مرجع سابق.
(١٢) د. محمد عمارة، رسالة التوحيد للإمام محمد عبده، السلسلة الإسلامية، مرجع سابق.
(١٣) راجع فى ذلك:
- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٣
- دونالد ر. هيل، العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية، ترجمة د. أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة (٣٠٥)، الكويت، يوليو ٢٠٠٤.

العلوم تقتضى أن نتتبع مراحل تطوره منذ نشأته لكى نقف على كيفية نموه وتدرجه، ونتعرف على ما قام به علماؤه من اكتشافات أحدثت هذا النمو والتدرج، فذلك أدعى إلى حسن تصور الأفكار، فضلاً عن أنه الأسلوب الواجب لإيضاح التسلسل الطبيعى للخطوات التى أدت إلى الكشف عن الحقائق العلمية والإنجازات التقنية منسوبة إلى أصحابها الشرعيين [١٤].

ولقد قامت الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، من الناحية المادية، على ما وصل إليها من إنجازات الحضارات القديمة، واعتمدت على الثروات الطبيعية التى امتلأت بها رقعتها الممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، فى موقع من الأرض يتوسط حضارات الهند والصين والفرس وروما واليونان ومصر. لكن هذه الموارد الطبيعية والثقافية الكثيرة لم تكن لتقيم حضارة زاهرة فى ذلك الزمان، تحقق انتشاراً ودواماً متلازمين لم تحققها أى حضارة أخرى، لولا العمل بتعاليم الإسلام الحنيف التى امتدت لتشمل شعوباً كثيرة دخلت الإسلام واعتنقته، كما شملت طوائف عدة غير المسلمين، بقوا على دياناتهم ومذاهبهم، ونعموا بعدل الإسلام وسماحته، وتفاعلوا مع العنصر العربى الأصيل الذى قامت عليه الفتوحات الإسلامية فى بادئ الأمر. وواكبت اللغة العربية حركة النهضة العلمية، وأصبحت لغة عالمية بفضل انتشار الإسلام، وفتحت صدرها لتراث الإنسانية، وحفظت ما تركه الأقدمون، حتى أن "روجر بيكون" الذى يعتبر من أعظم من درسوا علوم العرب وحملوها إلى الأجيال الأوروبية التالية، كان يعجب ممن يريد أن يبحث فى الفلسفة وهو لايعرف اللغة العربية، كما أنه اعترف بأن الكتب الإسلامية العربية كانت مصدر العلوم فى عصره، واحتكرت المؤلفات العلمية كلغة عالمية فلا تكاد تنشر إلا بها، وأن كتابات أرسطو لم تفهم ولم تلق رواجاً فى الغرب حتى أوضحتها كتابات ابن سينا وابن رشد والكندى وغيرهم [١٥].

ولقد كان الإمام محمد عبده على دراية واسعة بضوابط هذا المنهج التأصيلى للعلوم ومناهجها، فهو يقول عن علوم العرب واكتشافها: كان علم العرب فى أول الأمر يونانياً، ولكنه لم يلبث كذلك إلا دون قرن واحد، ثم صار عربياً ولم يرض العربى أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو إقليدس أو بطليموس زمناً طويلاً كما بقى الأوربى كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحى. قالوا

(١٤) د. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٤
(١٥) راجع فى ذلك:
د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى: دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة ١٩٩٧م، التراث العلمى الإسلامى: شئ من الماضى أم زاد للآتى، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠٤م.



إن "فرنسيس باكون" هو أول من جعل التجربة والمشاهدة قاعدة للعلوم العصرية، وأطلق العلم من رق التقاليد. ذلك حق في أوربا وأما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة (الثامن للميلاد). وأول شئ تميز به فلاسفة العرب عمن سواهم من فلاسفة الأمم بناء معارفهم على المشاهدات والتجربة، وألا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في العلوم مالم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل "جوستاف لوبون" عن أحد فلاسفة الأوربيين أن القاعدة عند العرب "جرِّب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً" وعند الأوربي إلى مابعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي "اقرأ في الكتب وكرر ما يقول الاساتذة تكن عالماً". فلينظر المصريون وغيرهم من الشرقيين كيف انقلب الحال، وماذا أعقب من سوء المآل»[16].

ويضرب الإمام بعض الأمثلة المنتقاة من العطاء العلمي والتقني الزاخر لعلماء الحضارة العربية الإسلامية فيقول: قال "ديلامبر" في تاريخ علم الهيئة: إذا عددت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعد في العرب عدداً كبيراً غير محصور، وأما في الكيمياء فلا يمكنك أن تعد مجرباً واحداً عند اليونانيين، ولكنك تعد من المجربين مئين عند العرب، ولهذا عدت الكيمياء الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم. وقد كانوا يعدون الهندسة والفنون والرياضة من الآلات المنطقية، يستعملونها في الاستدلال على القضايا النظرية، وهي من أصدق الأدلة في الإيصال إلى المجهولات كما هو معروف»[17].

ويقول الإمام أيضاً: «والعرب هم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن، وهم أول من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض. وقد اكتشفوا قوانين الأجسام جامدها ومائعها حتى وضعوا لها جداول في غاية الدقة والصحة، كما وضعوا جداول للأرصاد الفلكية، وكانت تلك الجداول معروفة يطلع عليها الناظرون في سمرقند وبغداد وقرطبة، حتى لقد وصلوا بتلك القوانين إلى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية»[18].

ويلفت الإمام انتباه أهل الاختصاص إلى أهمية إحياء هذا التراث العلمي الإسلامي باعتباره الرصيد الحضاري للأمة، فيقول: «ولايمكنني في مقالي هذا أن أعد ما اكتشف العرب ولامازادوه في العلوم على اختلاف أنواعها، فذلك يحتاج إلى سفر كبير، وقد أحصى ذلك أهل المعرفة والإنصاف من

(16) الشيخ الإمام محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، مرجع سابق.
(17) المرجع السابق.
(18) المرجع السابق.

فلاسفة الأوربيين ومؤرخيهم، وربما يتيسر لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لإخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه أسلافهم»[19].

ويحرص الإمام على أن يبين أن بناء القاعدة العلمية الأولى في المجتمع الإسلامي - أي بناء مجتمع المعرفة بلغتنا المعاصرة في القرن الواحد والعشرين - كانت له أركان قوية ومؤسسات داعمة، فيشير إلى بعض ذلك قائلاً: «ودالت الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢)، ثم نقل المنصور عاصمة الملك إلى بغداد فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدنية أيضاً، وأخذ المنصور أيضاً ينشيء المدارس للطب والشريعة، وكان قد جعل من زمنه ما ينفقه في تعلم العلوم الفلكية، وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم بأنواعها، وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم إلى أوج قوتها، ونالت به أكبر ثروتها، ... وكان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الآستانة فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس في الرياضة السماوية، فأمر المأمون في الحال بترجمته وسمَّوه «المجسطي»، ولا يسهل على كاتب إحصاء ما ترجم من كتب العلوم على اختلافها في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم»[20].

كذلك تحدث الإمام عن تشجيع العلم والعلماء وإنشاء المكتبات والمدارس للعلوم، وأشاد بنظام العمل بها، وأشار إلى المراصد الفلكية التي أنشأها المسلمون في العواصم المختلفة. وأكد في نهاية هذا كله على المبدأ العام الذي صحت فيه هذه البيئة العلمية، وتكاملت على أساسه شروط إعداد ما نسميه «مجتمع المعرفة الأول»، فقال: «هذا النماء والزكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة، بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء، وإنما كان التفاضل بالجد والعمل، والفضل في ذلك كله لحلم الخلفاء وأعمالهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته. قال بعض فلاسفة الغربيين قولا يعرفه الحق وتثبته المشاهدة: إن شعوب الأرض لم تر قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الإسلام على اختلافهم)، ولادينا بلغ في لينه ولطفه هذا الحد»[21].

(19) المرجع السابق.
(20) المرجع السابق.
(21) المرجع السابق.

التضمين اللغوى وأثره فى اللغة العربية

(١)

للأستاذ الدكتور/
عبد الغفار حامد هلال

التضمين من خواص العربية، ووسائل سعتها، وبلاغة أساليبها، فهو نوع من أنواع المجاز الذى هو ركن من أركان البلاغة[١].

ويمكن أن يتوسع به فى اللغة الأدبية لإخصاب الخيال الشعرى والأدب الذاتى[٢].

تعريفه

فى اللغة له كثير من المعانى أشهرها: جعل شىء فى باطن شىء آخر وإيداعه إياه[٣].

فقد قال صاحب اللسان: ضمن الشىء الشئ أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع، والميت القبر، وقد تضمنه هو[٤].

وفى الاصطلاح: له تعريفان نحوى ولغوى:

فالتضمين النحوى: هو دلالة الاسم بالوضع على معنى حقه أن يدل عليه بالحرف كأسماء الشرط والاستفهام، وهو من علل البناء أى أنها تضمنت مع معنى الظرفية الموضوعة له معنى آخر جزئيا حقه أن يؤدى بحرف، وهو الشرط المؤدى بلفظ (إن)[٥] ومثاله علة بناء (متى) شرطية واستفهامية، ومن الشرطية والاستفهامية[٦] فالشرطية مضمنة معنى (إن) والاستفهامية معنى الهمزة، وهذا زيادة على المعنى الأصلى الموضوع له (متى ومن).

التضمين اللغوى: اختلف العلماء فى تفسيره.

---

(١)- أحمد الإسكندرى فى بحثه بمجلة مجمع اللغة العربية ١/١٩٥.

(٢)- إبراهيم السامرائى - دراسات فى اللغة - ١٨٤.

(٣)- مجلة المجمع ١/١٨١.

(٤)- ابن منظور: اللسان ١٧/١٣٦.

(٥)- مجلة المجمع ١/١٨٣.

(٦)- انظر كتب النحو فى باب المعرب والمبنى.

يعرفه بعضهم بأنه (إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدى مؤدى كلمتين).

وعللو لذلك بأنهم يرون فى بعض أنواع التضمين حرف جر يناسب المعنى الأصلى الوضعى، ومعمولاً يناسب المعنى المتضمن، وما ذلك إلا لأن الفعل المذكور يدل على المعنيين معا كقوله تعالى:

﴿ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾
مريم/ ١٦

ففسر انتبذت بمعنى اعتزلت، وهو يتعدى ب(من) وجعل (انتبذت) مضمنا معنى (أتت) لتنصب (مكانا)[٧] فعلق لفظ (من أهلها) و(انتبذت) على حقيقته، ونصب (انتبذت) (مكانا) على أنه مفعول به لتضمنه معنى (أتت)، وكذلك قالوا فى (من) التى هى بمعنى العاقل إذا ضمنت معنى الشرط أو الاستفهام فإنها مع دلالتها على العاقل بالوضع دلت على معنى الشرط أو الاستفهام بالتضمين.

ولكن لفظ الإشراب يفضى إلى مشكلات أقلها الجمع بين الحقيقة والمجاز فى كلمة وهذا لم يقل به أكثر علماء العربية.

والتضمين فى أدوات الشرط والاستفهام غير التضمين الذى يشمل المعانى[٨]

ويعرف المجمع اللغوى التضمين بأن يؤدى فعل أو ما فى معناه فى التعبير مؤدى فعل آخر أو ما فى معناه فيعطى حكمه فى التعدية واللزوم[٩]

فمثال الفعل الذى يؤدى مؤدى فعل آخر فيعطى حكمه فى التعدية قوله تعالى

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾
البقرة/ ١٤

فأصل (خلا) يتعدى بالباء يقال (خلوت بفلان) فضمن هنا معنى (أنهى أو أفضى) فعدى بإلى[١٠]

ومثله (رحبتكم الدار) فالفعل رحُب لازم يتعدى بحرف جر خاص وهو الباء إذ هو مضمن معنى (اتسعت) ثم ضمن هنا معنى (وسعت) فتعدى بنفسه، ومثال ما كان متعديا بنفسه فضمن معنى فعل يتعدى بالحرف (قتل) ومنه قول الفرزدق:

قد قتل الله زيادا عنى

لما كان معنى قد قتله: قد صرفه عداه بدعن[١١].

---

(٧)- تفسير البيضاوى ٤٠٤ والقرطبى: الجامع لأحكام القرآن ط الشعب ٢٩/٤.

(٨)- لا يقول بذلك إلا من يرى جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو ظاهر قول ابن هشام فى المغنى: إن فائدته أن تؤدى كلمة مؤدى كلمتين. انظر حاشية يس على التصريح ٢/٤. *ومجلة المجمع ١/١٨٢.

(٩)- مجلة المجمع ١/١٨١.　　(١٠)- المصدر السابق ١/١٨١.

(١١)- ابن جنى: الخصائص ٢/٣٠٩ كان زياد ابن أبيه قد غضب على الفرزدق ففر هاربا من البصرة إلى المدينة، واختفى فيها حتى مات زياد سنة ٥٣هـ فظهر وأنشد رجزاً منه هذا الشطر شماتة بزياد، وفرحا بنجاته من شره.



ومثال مافى معنى الفعل المشتق وما فى معنى المشتق اذا تعلق به جار ومجرور كحاتم بمعنى جواد والصفة المشبهة المجموعة فى قوله تعالى:

﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

آل عمران / ٥٢

إذ معناه من ينضاف فى نصرتى إلى الله[١٢]

والمصدر فى قوله تعالى:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾

البقرة / ١٨٧

فالرفث يتعدى بالباء أو مع تقول: رفثت بالمرأة أو معها فضمن الرفث معنى الإفضاء فعدى بإلى[١٣]

ومثال ماكان لازما فضمن معنى فعل متعد بنفسه قوله تعالى:

﴿ سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾

البقرة/ ١٣٠

ضمن «سفه» معنى أهلك[١٤]

وهذا التعريف يستند إلى ماذكره ابن جنى فى تعريف التضمين إذ يقول: واعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر[١٥].

ولعل ابن جنى يقصد الفعل وما فى معناه وإن لم يشر إلى ذلك صراحة فقد ذكر المضمون والصفة المشبهة كما نقلنا فى الأمثلة الماضية.

آراء العلماء فى التضمين

للعلماء قديما وحديثا آراء لها جوانبها المتعددة، واتجاهاتها المختلفة، فى تفسير ظاهرة التضمين اللغوى، وتلكم الآراء:

أ - رأى الكوفيين:

ليس الكوفيون فى حاجة إلى القول بالتضمين لنيابة بعض الحروف عن بعض عندهم قياسا[١٦] فالمعنى الملحوظ غير الوضعى غير مستفاد من توسع فى الفعل بل مستفاد من أن بعض حروف الجر ينوب عن بعض بطريق الوضع، أى أن الحرف موضوع لأكثر من معنى واحد.[١٧]

وهذا بناء على نظريتهم المعروفة، فهم يجعلون لكل حرف عدة معان موضوعة لها وضعا لغويا[١٨] فـ (إلى) عندهم بمعنى مع مثل

(١٢)- ابن جنى. الخصائص ٢/٣٠٩.

(١٣)- المصدر السابق: ٢/٣٠٨-٣١٠.

(١٤)- مجلة المجمع ١/١٩٨.

(١٥)- ابن جنى. الخصائص ٢/٣٠٨، ١/٣٥٣.

(١٦)- حاشية الصبان على الأشمونى ٢/٢١٠ ومنار السالك (من التعليق) ومجلة المجمع ١/١٨٦.

(١٧)- الإسكندرى فى بحثه بمجلة المجمع ١/١٨٤.

(١٨)- نفسه ١/١٨٠.

قوله تعالى:

﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

آل عمران / ٥٢

أى مع، و (فى) تكون بمعنى «على» كقوله تعالى:

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾

طه / ٧١

أى عليها.

والباء بمعنى عن وعلى مثل قولك: رميت بالقوس أى عنها وعليها كقول الشاعر:

ارمى عليها وهى فرع اجمع[١٩]

ولما فطنوا عند تفسيرهم القرآن الكريم، والشعر القديم، إلى أن بعض الأفعال والمشتقات يؤدى معنى غير معناه الوضعى، أى غير المعنى المتبادر منه لأول وهلة خشى الكوفيون أن يسموا ذلك تضمينا لئلا يلتبس بالتضمين الذى هو علة البناء فسماه الكسائى حمل الشىء على ضده أو على نظيره[٢٠]

فمن الأول قول الشاعر:

إذا رضيت علىّ بنو قشير
لعمر الله أعجبنى رضاها

قال الكسائى لما كان (رضيت) ضد (سخطت) عدى (رضيت) بعلى حملا للشىء على نقيضه:

ومن الثانى قول الآخر:

إذا ما امرؤ ولىّ علىّ بوده
وأدبر لم يصدر بإدباره ودّى

فعلى هنا بمعنى عن، وجاز ذلك لأنه أمر عليه لا له[٢١] فقد أفسد عليه وده بأخذه منه وإبعاده عنه لأن هذا الأخذ يحمل سمات تبديده وإهلاكه فلما كان تولى بمعنى أخذه على جهة الإفساد والإذهاب عامله معاملة أفسد وأهلك معاملة النظير لنظيره، ولا يعد هذا الحمل مجازا، بل من قبيل المشاركة فى اللفظ ومجرد تغير فى الصلة أى الجار، وتصرف فى النسبة الناقصة[٢٢].

وهم يؤولون ماكان لازما فتعدى بنفسه كرحبتكم الدار أو متعديا بحرف واستعمل متعديا بنفسه مثل تمرون الديار ولم تعوجوا أو قاصرا لا يتعدى مطلقا فتضمن معنى فعل متعد بنفسه نحو سفه نفسه[٢٣] بالضرورة أو الشذوذ، ويجعلون التضمين من باب الشذوذ وإن كثر وقوعه فى الكلام[٢٤].

(١٩)- الضمير يعود إلى (قوس) يتحدث عنها الشاعر، ويعنى (فرع اجمع) أنها صنعت من غصن كامل لامن شق لتكون قويه متينة.

(٢٠)- مجلة المجمع ١/١٨٣.

(٢١)- ابن جنى الخصائص ٢/٣١١، ٣١٢ وانظر فى قول الكسائى فى البيت الأول حاشية يس على التصريح ٢/٧.

(٢٢)- مجلة المجمع ١/١٨٣.

(٢٣)- نفسه ١/١٩٨.

(٢٤)- نفسه ١/١٨٦.



وعلى ذلك فلا تجوز على قول الكوفيين ولا توسع، وقد أعجب مذهبهم أكثر النحاة المتأخرين، ومنهم ابن هشام في المغني حيث وضع جزءاً عظيما من كتابه في تعدد معاني الحروف اللغوية، وقال: إنه أقل تعسفاً[٣٥].

ولم يرفض ابن جني هذا الرأي واعتبره معقولاً ساذجاً من الصنعة وقال: ما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه[٣٦].

٢ ـ رأي البصريين:

لا يقول البصريون بنيابة بعض حروف الجر عن بعض قياساً، كما لا تنوب حروف الجزم عن حروف النصب، فليس للحرف وضعا عندهم إلا معنى واحد، وما أوهم خلافه لا يخرج عن أمور ثلاثة:

أ ـ تأويله تأويلا يقبله اللفظ باستعارة الحرف الذي تعدى به الفعل لمعنى الحرف الذي كان ينبغي أن يتعدى به، على طريق الاستعارة التبعية إن سهل تطبيق هذه الاستعارة على الحرف بكل شروطها، ومن ذلك استعارة (في) لمعنى (على) كقول عنترة في معلقته:

بطل كأن ثيابه في سرحة
يحذى نعال السبت ليس بتوأم

أي: على سرحة، فمن المعلوم أن ثيابه لا تكون في داخل سرحة إذ السرحة لا تنشق فتوضع الثياب ولا غيرها فيها.

وكذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾

طه / ٧١

أي: عليها[٣٧].

وكاستعمال (إلى) بمعنى (في) في قول النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني
إلى الناس مطليٌّ به القار أجرب

يريد في الناس.

وقول طرفة:

وإن يلتقي الحي الجميع تلاقني
إلى ذروة المجد الكريم المصمّد

أي في ذروة المجد الذي يصمد إليه ويقصد[٣٨].

ب ـ التوسع في استعمال الفعل أو ما يقوم مقامه في معنى لا يتبادر منه لأول وهلة إذا لم يكن ثمة حرف يستعار، بأن استعمل الفعل المتعدي بحرف جر خاص استعمال اللازم فلم يتعد إلى مفعول أصلا أو تعدى ولكن بحرف

(٣٥)- ابن هشام: المغني ط المدني ١١١/١ وانظر أيضاً الشيخ خالد الأزهري: التصريح ٦/٢، ٧ وحاشية الصبان على الأشموني ٢١٠/٣ والتعليق في منار السالك ٣٥٣/١.

(٣٦)- الخصائص ٣٠٦/٢.

(٣٧) نفسه ص٣٠٧.

(٣٨) مجلة المجمع ١٨٤/١.

جر آخر، لا يستساغ بلاغة إجراء الاستعارة فيه، أو تعدى إلى مفعول لا يناسبه[٢٩].

وقد سموا هذا التوسع تضمينا، وهو أيضا من قبيل الاستعارة التبعية، أو المجاز المرسل في الفعل وحرف الجر قرينته[٣٠] أو المفعول وقد مرت أمثلة لذلك[٣١] ومنها أيضا قوله تعالى:

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾

النازعات / ١٨

وأنت تقول هل لك في كذا؟ لكنه لما كان على هذا دعاء منه (ﷺ) صار تقديره: (أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى) ومن ذلك ما ذكره السيوطي في الهمع عند الكلام على جواز عطف مفعول على آخر وكان العامل فيهما لا يصح وقوعه على الثاني، كقول الشاعر:

(وزججن الحواجب والعيونا)

فقد ذهب جماعة منهم: أبوعبيدة، والأصمعي، وأبومحمد اليزيدي، والمازني، والمبرد، إلى تضمين (زجّجن) معنى يتسلط به على المتعاطفين وهو (حسّن) وعليه قول الآخر:

(علفتها تبنا وماء باردا)

أي أطعمتها، وهناك تأويلات أخرى[٣٢].

جـ ـ اعتبار التعدية أو اللزوم غير المألوفين في الفعل من قبيل نيابة بعض الحروف عن بعض، على طريق الشذوذ، وهذا إذا قبح تطبيق الاستعارة في الحرف أو التضمين في الفعل أو المشتق وكلما تعذر ذلك[٣٣] ولابد لهذا الرأي الذي قال به البصريون من تحقق شرط المجاز وهو: وجود علاقة مقبولة، ووجود قرينة يؤمن معها اللبس وتتحقق العلاقة لوجود مناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي مثل قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾

النساء / ٨٣

ضمن (أذاعوا) معنى (تحدثوا) فتعدى بالباء والمعنيان متناسبان، يشملها جنس قريب هو الإعلان مثلا. فيكون التقدير لأعلنوه أو لأعلنوا به، ولا يجوز (أكلت إلى الفاكهة) على أن الأكل مضمن معنى (مال)، و(تناولت عن القوس) مضمنا معنى (رميت) إذ لا يحتمل الفعل معنى بعيداً عن معناه الوضعي بحيث تفضي تعديته بحرف ذلك الفعل البعيد المعنى إلى إفساد الكلام وعدم ضبط معاني الأفعال[٣٤].

(٢٩) نفسه ١٨٥/١.

(٣٠) نفسه ١٨٧/١.

(٣١) انظر الصفحة الأولى من نص هذا المقال.

(٣٢) ابن جني: الخصائص ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٣٣) مجلة المجمع ١٨٤/١ وانظر فيما سبق: ابن هشام: المغني ١١١/١ والتصريح ٤/٢، ٥ وحاشية الصبان ٢١٠/٣.

(٣٤) مجلة المجمع ١٩٦/١ وانظر حاشية يس على التصريح ففيها أمثلة أخرى ٤/٢ - ٧

ويذكر ابن جني أنك لا تقول: (سرت إلى زيد) وأنت تريد (معه) وأن تقول: (زيد في الفرس) وأنت تريد (عليه)، وزيد في عمرو وأنت تريد (عليه في العداوة)، وأن تقول (رويت الحديث بزيد) وأنت تريد (عنه) ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش[35].

وكما ذكرنا لابد من وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس، كحرف الجر الذي يتعدى به الفعل ولم يكن من حقه أن يتعدى به، كاللام الداخلة على (من) في قول المصلي: (سمع الله لمن حمده) فـ (سمع) ينصب ما في معنى الكلام والصوت بنفسه ـ وهذا أشهر القرائن ـ وقد تكون القرينة المفعول مثل: (مكانا) مفعول (انتبذت) في قوله تعالى:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾

مريم/ ٢٢

فالفعل (انتبذت) يتعدى بحرف جر وقد عدى بنفسه لتضمنه معنى فعل آخر يتعدى بنفسه وهو (أتت) وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

وقيد أمن اللبس احتراز عن القرينة التي يفهم معها ـ على سبيل الاحتمال الاقتصار على المعنى الحقيقي في الملفوظ.

ومن ذلك قول امرىء القيس:

وهل يعمن من كان أحدث عهده
ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال

فقد قيل: إن (في) استعيرت لمعنى (مع) والمراد: مع ثلاثة أحوال، ولكن ابن جني جعل (في) مستعملة في معناها الحقيقي، وأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: ثلاثين شهرا في عقب ثلاثة أحوال قبلها، أي: بعد ثلاثة أحوال فالحرف إذن على بابه، وإنما هنا حذف المضاف الذي قد شاع عند الخاص والعام، ومثله قول الآخر:

شد المطي على دليل دائب
من أهل كاظمة بسيف الأبحر

فقد قيل: إن (على) استعيرت لمعنى (الباء) والأصل: بدليل، لكن ابن جني جعل الكلام على حذف مضاف، وتقدير الكلام: على دلالة دليل، وقد حذف المضاف لأن لفظ (الدليل) يدل على الدلالة[36].

ويتضح من هذه الشواهد أن التضمين عند البصريين لايتحقق إلا بتحقق شرط المجاز سواء كان مجازا مرسلا أم استعارة ـ وهو وجود علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد، ووجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

ـ يتبع ـ

(٣٥) ابن جني: الخصائص ٢/ ٣٠٨

(٣٦) ابن جني: الخصائص ٢/ ٣٠٨ – ٣١٤

المسلمون والتاريخ الطبي:

«طبقات الأطباء»

لابن أبي أصيبعة

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحي فرج بيومي

للعرب والمسلمون جملة من الأوليات التي سبقوا بها غيرهم، من ذلك أنهم رواد الكيمياء بمفهومها الحديث، وذلك من خلال أعمال جابر بن حيان وأبوبكر الرازي وغيرهما. كما أن علماءهم الأوائل هم - بحق - أول من ألف في «الجبر والمقابلة» كمحمد بن موسى المعروف بالخوارزمي حتى إن الدكتور علي مشرفة - رحمه الله - يرى أنه لم يكن ثمة علم يعرف بالجبر قبل ظهور مؤلفه في هذا العلم، فهو علم عربي اسما ومنشأ. ونستطيع أن نقول ذلك أيضا بالنسبة لعلم الحساب. وهناك من يعتبر موسوعة الجاحظ الشهيرة: «الحيوان» أول كتاب في بابه، حوى كثيراً من المعارف والمعلومات العلمية، التي يقوم بعضها على تجارب مؤلفه. أما مجال التاريخ الطبي، فإن ابن أبي أصيبعة - وإن سبقته بعض المحاولات - يعد رائده الحقيقي، حيث يعتبر كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» - بحق - عمدة التاريخ الطبي، منذ كان للطب وجود وحتى ظهور هذا الكتاب، الذي يعرف اختصارا باسم «طبقات الأطباء». وفي رأينا - المتواضع - أن هذا الكتاب في قيمته وسبقه وريادته في مجال التاريخ الطبي بمنزلة «المقدمة» لابن خلدون بالنسبة لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ.

طبقات الأطباء.. في الميزان

ومما يؤكد أن للعرب باعاً وذارعاً في هذا الميدان وجود بعض المحاولات والمؤلفات في هذا الفرع من التاريخ، مثل كتاب أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل، الذي عاش في القرن الرابع الهجري، ويعتبر كتابه: «طبقات الأطباء والحكماء» أول مصنف في هذا الموضوع، في المغرب الإسلامي، وقد اعتمد ابن أبي أصيبعة على بعض ما جاء فيه. أما أبوالحسن علي بن زيد بن محمد بن الحسين المعروف بظهير الدين البيهقي

المتوفى عام ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م فله كتاب «تاريخ حكماء الإسلام»، وهو أيضا من مصادر ابن أبى أصيبعة فى «العيون»، كما يذكر الدكتور النجار فى تحقيقه للكتاب.

وعلى الرغم من أن كتاب ابن أبى أصيبعة لم يحظ بما يستحقه من اهتمام، فإنه كان ولايزال مرجع الباحثين فى تاريخ الطب العربى الإسلامى منذ أن وضعه صاحبه إلى اليوم، فقد اعتمد عليه كثير من المحققين والمؤلفين، القدماء منهم والمحدثون، تذكر منهم المرحوم الدكتور محمد كامل حسين والمرحوم الدكتور عبدالحليم منتصر ومؤرخ العلم الأب جورج شحاتة قنواتى وغيرهم كثيرون. أما عميد مؤرخى العلم جورج سارتون فيقول عن هذا الكتاب: يعدُ هذا الكتاب المؤلف الرئيسى لتاريخ الطب الإسلامى.

وقد صحح الدكتور بول غليونجى - اعتمادا على مخطوطة لم تطبع لهذا الكتاب، موجودة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق - آراء وأغاليط بعض المؤرخين الغربيين حول علاقة مؤلف هذا الكتاب - ابن أبى أصيبعة - بزميله الطبيب الشهير ابن النفيس[1]، ويرجع الفضل فى الكشف عن هذه المخطوطة للمؤرخ العربى يوسف العيش[2]. وقد يُعزى السبب، فى ذلك، إلى أن ابن أبى أصيبعة قد أتم أول نسخة من كتابه عام ٦٤٠هـ، ثم أضاف المؤلف منذ ذلك الحين عدة زيادات، وصلت بالتراجم حتى عام ٦٦٧هـ، أى قبل وفاة ابن أبى أصيبعة بعام واحد[3].



على مشرفة

ابن أبى أصيبعة

هو موفق الدين أبوالعباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجى، من أحفاد الصحابى الجليل سعد بن عبادة - رضى الله عنه -، وقد لُقب بلقب جده «ابن أبى أصيبعة». وتتفق معظم المراجع على مولد ابن أبى أصيبعة فى دمشق، فى مطلع القرن الهجرى السابع، الموافق لبداية القرن الثالث عشر الميلادى، أى حوالى عام ٦٠٠هـ - ١٢٠٠م، فى بيت أدب وعلم وفضل. وقد اشترك معه أيضا فى هذا اللقب عمه رشيد الدين أبوالحسن على بن خليفة بن يونس الخزرجى، وهو أيضا طبيب معروف. أما أبوه فقد كان من أشهر أطباء العيون بدمشق.

(١) د. بول غليونجى (ب.ت): ابن النفيس. الدار المصرية للتأليف والترجمة. سلسلة أعلام العرب. العدد رقم ٥٧. ص٧٣.

(٢) يوسف العيش (١٩٤٧): مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ وملحقاته. مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق. مطبعة دمشق. ص٣٠٦.

(٣) د. عبدالحليم منتصر (١٩٩٠): تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه. دار المعارف بمصر. ص١٧٣.

وقد عاصر ابن أبى أصيبعة زميله ابن النفيس ورحل مثله إلى مصر[4]، فقد كانت القاهرة فى ذلك الوقت منتهى السبل وملتقى العلماء، فدرّس وعمل بها فترة من الزمن، وقد شاركه أيضا فى التلمذة على مهذب الدين أبى محمد عبدالرحيم بن على بن حامد المعروف بالحكيم الدخوار، فى البيمارستان النورى بدمشق ثم فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة. وقد أخذ مؤلفنا الطب أيضا على كل من: رضى الدين الرحبى وشمس الدين الكلى وابن البيطار، وقد استفاد فى القاهرة من دروس الطبيب والصيدلى ابن أبى البيان الإسرائيلى. وقد كان من زملائه، بخلاف ابن النفيس، الطبيب عمران بن صدقه الذى كانت لديه مكتبة طبية عامرة، يبدو أن ابن أبى أصيبعة قد أفاد منها فى وضع كتابه هذا.

وقد نجح نجاحا كبيرا فى البيمارستان الناصرى الذى أنشأه الناصر صلاح الدين بالقاهرة، حتى وصلت شهرته إلى أمير «صرخد» عزالدين أيبك، الذى استقدمه طبيباً خاصاً له، وقد أعجب الرجل بمناخ صرخد، فطابت له الإقامة بها حتى وافته المنية عام ٦٦٨هـ - ١٢٧٠م.

والجدير بالذكر أن ابن أبى أصيبعة قد تفرّد، فى كونه طبيباً حاذقاً، مارس الطب بنجاح كبير حتى طبقت شهرته الآفاق، لاسيما فى «الكحالة» أو طب العيون، وفى الوقت ذاته فهو مؤرخ طبى، لم يتسع على منواله غيرُه، ومن ثمّ فقد أمدّنا الرجل بنبذ عن الطب الهندى والإغريقى لم تكن لتصل إلينا بدونه مثلما أمدّنا أيضا بمعلومات ضافية عن الحياة العلمية والاجتماعية فى العالم الإسلامى، فى العصر الذى يسمى بحق: العصر العربى الإسلامى، كما أشار إلى ذلك الدكتور منتصر[5]. وربما ترجع أهمية كتابه - فوق أنه موسوعة ليس لها نظير فى التاريخ الطبى منذ أقدم عصوره وحتى عصر ابن أبى أصيبعة وربما إلى الآن فى اللغة العربية - إلى احتوائه على نبذ كثيرة من كتب هامة فُقدت منذ زمن بعيد، مثل كتب جالينوس وحنين وابنه إسحاق، وعبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع وابن جلجل والمبشر بن فائق وأستاذه الدخوار وغيرهم كثير.

وقبل أن ننهى الكلام حول المؤلف، لابد أن نذكر بعضا من مؤلفاته، بخلاف

(٤) د. محمد فتحى بيومى (٢٠٠٥): ابن النفيس عالما وطبيبا. مجلة الأزهر. الجزء الرابع. السنة ٧٨. ص٥٦٩.

(٥) المرجع السابق. رقم ٣. نفس الموضع.



كتابه الذى نعرض له، وأشعاره التى أجاد فى بعضها، فمن مصنفاته ما يلى:

- التجارب والفوائد.
- حكايات الأطباء فى علاجات الأدواء.
- معالم الأمم وأخبار ذوى الحكم.
- إصابات المنجمين.

محتويات الكتاب

بين أيدينا نسختين للكتاب، أولاهما بشرح وتحقيق الدكتور نزار رضا، وهى من منشورات دار مكتبة الحياة فى بيروت عام ١٩٦٥، وهى عبارة عن مجلد واحد يقع فى ٧٩٢ صفحة من القطع الكبير. أما الثانية فهى بتحقيق الدكتور عامر النجار، وقد استغرق متن الكتاب أربعة أجزاء من القطع المتوسط، أضاف إليها المحقق جزءاً خامساً كرّسه للفهارس العامة. وقد بدأت الهيئة المصرية العامة للكتاب فى إصدار الجزء الأول من الكتاب عام ٢٠٠١، أما الجزء الخامس والأخير فقد ظهر عام ٢٠٠٣. والذى نأخذه على الأستاذين المحققين ضنّهما الشديد على الترجمة الوافية لمؤلف الكتاب، فنجد الدكتور رضا يخصه بأكثر قليلا من نصف صفحة، وأما الدكتور النجار فيعرّف بالمؤلف فى أقل من ذلك، بينما يخص كلا من أبى بكر الرازى وابن سينا بسبع وثلاثين صفحة!

هذا، وقد اعتمدنا، فى عرضنا لهذا الكتاب، على نسخة الدكتور رضا.

وقد بدأ ابن أبى أصيبعة كتابه بمقدمة جاء فيها، بعد الاستهلال، بمسوغات تأليفه لكتابه، نجتزئ منها ما يلى: لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع وأربح البضائع، وقد ورد تفضيلها فى الكتب الإلهية، والأوامر الشرعية، حتى جعل علم الأبدان قرينا لعلم الأديان. وقد قالت الحكماء: إن المطالب نوعان: خير ولذة، وهذان الشيئان إنما يتم حصولهما للإنسان بوجود الصحة.

وبعد أن فرغ المؤلف من مقدمته شرع فى كتابه الذى قسّمه إلى خمسة عشر بابا على النحو التالى:

- الباب الأول: «فى كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها». ويتعرّض فيه المؤلف للإرهاصات الأولى لهذا العلم، متلمّسا بداياته المبكرة فى الأمم والحضارات السابقة وكيفية تطوره، اعتماداً على ما تيسّر له من مراجع ومعلومات وتكهنات.
- الباب الثانى: «طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين فيها». ويتعرّض فيه المؤلف لذكر طائفة من رواد هذا الفن، فيذكر أن أول من تكلم فى شيء من الطب على طريق التجربة هو اليونانى «أسقليبيوس»، وقد لا نوافقه على هذا الرأى، إذ أن «إيمحتب» وزير الملك زوسر، مؤسس الأسرة الثالثة فى القرن الثلاثين ق.م.، هو أقدم طبيب يذكره التاريخ باسمه(٦).
- الباب الثالث: «طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل أسقليبيوس». وفى هذا الباب يؤرخ المؤلف مجموعة من الأطباء اليونان ممن جاءوا بعد أسقليبيوس مثل «غورس» و«مينى» و«أفلاطن» الطبيب و«أسقليبيوس الثانى».
- الباب الرابع: طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب». يبدأ المؤلف هذا الباب بالتأريخ لأبقراط، الأب الحقيقى للطب وصاحب القسم الشهير، الذى يورده المؤلف تفصيلا. وقد ذكر المؤلف الكثير عن طب هذا الرجل ومآثره وكتبه، وعلى ذلك فقد أفرد له الجزء الأكبر من هذا الباب، والذى لا يضارعه فيما اختصه من مساحة سوى أرسطو أو أرسطوطاليس كما كان القدماء يسمونه. كما تحدّث أيضا فى عجالة حول بعض الأطباء والفلاسفة، ممن كان لهم دور فى الطب مثل: بندقليس، وفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون، ثم أرسطوطاليس، كما قدّمنا، ثم تحدث عن تلميذه وابن خالته ثاوفرسطس. وقد أنهى هذا الباب بالتأريخ للإسكندر الأفروديسى الدمشقى.
- الباب الخامس: «طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريبا منه». وعلى الرغم من إيراده عنوان هذا الباب كما ذكرناه إلا أنه قصر كلامه فيه حول جالينوس ومآثره وآثاره ومصنّفاته، وقد ذكر أنه عمّر سبعا وثمانين سنة منها سبع عشرة سنة صبيا ومتعلما، وسبعين سنة عالما معلما. ومما ذكره أيضا قول المسعودى فى كتابه «المسالك والممالك» أن قبر جالينوس اليونانى يوجد بمدينة الفرما (السويس حاليا)، ونحن لا نعرف مدى صحة ذلك.
- الباب السادس: «طبقات الأطباء الاسكندرانيين (يقصد السكندريين) ومن كان فى أزمنتهم من الأطباء النصارى وغيرهم». وقد أرّخ فى هذا الباب لكل من: يحيى النحوى، ثم ذكر فى عجالة كلا من: شمعون الراهب المعروف باسم طيبويه، وأهرن القس صاحب الكناش، ويوحنا بن سرابيون، ثم ذكر غيرهم من الأطباء، مكتفيا بتسجيل أسمائهم فقط.
- الباب السابع: «طبقات الأطباء الذين كانوا فى ظهور الإسلام من أطباء

(٦) W.Max Muller (1996) Egyptological Researche, Vol.1,P.106.

العرب وغيرهم». وقد بدأ المؤلف هذه الطبقة بالحارث بن كلدة الثقفي، الذى أسلم وصحب أبابكر ومات في عهد عمر. ثم ثنّى بابنه النضر بن حارث، ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم تحدث عن ابن أبي رمثة التميمي، ثم عبدالملك بن أبجر الكناني، ثم ابن أثال، ثم حكم الدمشقي وابنه عيسى بن حكم المشهور بمسيح، ثم تياذوق الذى اشتهر في أوائل الدولة الأموية. وأنهى هذا الباب بالتأريخ لطبيبة تدعى زينب طبيبة بنى أود، ولعلها أول وآخر مرة يؤرخ فيها لطبيبة!

● الباب الثامن: «طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس». وقد أرّخ في هذا الباب لكل من: جورجيوس بن جبرائيل، وبختيشوع بن جورجس، وابنه جبرائيل، وأطال الحديث عنهما. ثم تحدث عن ابنه بختيشوع بن جبرائيل، ثم جبرائيل بن عبيد الله، ثم عبيد الله بن جبرائيل، ثم عيسى المعروف بأبي قريش، ثم اللجلاج، ثم عبدالله الطيفوري، ثم زكريا بن الطيفوري، ثم ابنه إسرائيل بن زكريا، ثم يزيد بن يزيد بن يوحنا بن أبي خالد طبيب المأمون. وذكر أيضا من طبقتهم عبدوس بن يزيد، وسهل الكوسج، وسابور بن سهل، وإسرائيل بن سهل، وموسى بن إسرائيل الكوفي، وماسر جويه طبيب البصرة، وسلمويه بن بنان طبيب المعتصم، وغيرهم، ثم أفرد جزءا كبيرا لحنين بن اسحق وابنه اسحق بن حنين.

● الباب التاسع: «طبقات الأطباء النقلة، الذين نقلوا كتب الطب وغيره، من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم». وقد بدأ هذه الطبقة بجورجس وحنين بن اسحق وابنه اسحق بن حنين وحبيش الأعسم، وكثيرين غيرهم إلى أن أنهى هذا الباب بمحمد بن عبدالملك الزيات. وقد ذكر في هذا الباب ٤٨ طبيبا.

● الباب العاشر: «طبقات الأطباء العراقيين». وقد بدأهم بيعقوب بن اسحق الكندي، وقد ذكر المؤلف من هذه الطبقة ٨٧ طبيبا كان آخرهم كمال الدين بن يونس. ويعتبر هذا الباب من أطول أبواب الكتاب، وربما يرجع ذلك لإيراد ابن أبي أصيبعة أشعارا كثيرة تنسب لهؤلاء الأطباء.

● الباب الحادى عشر: «طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم». وقد ذكر المؤلف منهم ٢٤ طبيبا من أبرزهم: أبوبكر الرازي، والشيخ الرئيس بن سينا، وأبو الريحان البيروني.

● الباب الثاني عشر: «طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند». وقد بدأ المؤلف

هذه الطبقة بـ«كنكه الهندي»، واقتصر على ذكر ستة أطباء كان آخرهم صالح بن بهلة الهندي.

● الباب الثالث عشر: «طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها». وقد بدأهم المؤلف بإسحق بن عمران، وقد ذكر منهم ٨٧ طبيبا كان آخرهم ابن الأصم.

● الباب الرابع عشر: «طبقات الأطباء المشهورين من أطباء مصر». وقد ذكر المؤلف منهم ٥٨ طبيبا، من أبرزهم الحسن ابن الهيثم، وابن البيطار، وابن البطريق، وغيرهم. وقد أغفلت هذه النسخة ذكر زميله ابن النفيس، كما لم يذكر أستاذه الحكيم الدخوار ضمن أطباء مصر، بل ضمّه - كما سنرى لاحقا - بين أطباء الشام المشهورين، وهذا يدل على أن هذه النسخة من النسخ المبكرة، التي وضعها المؤلف قبل رحيل الدخوار إلى مصر، وقد كان ابن النفيس لايزال صغيرا حتى ذلك الوقت، قبل انتقاله إلى مصر، وتحقيقه النجاح الباهر والشهرة الواسعة.

● الباب الخامس عشر: «في طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام». وقد اشتملت هذه الطبقة على ٥٩ طبيبا، من أبرزهم الفارابي الفيلسوف، والسهروردي المتصوف، وأستاذه رضي الدين الرحبي، وعبداللطيف البغدادي، وأستاذه مهذب الدين عبدالرحيم بن علي المعروف بالحكيم الدخوار، الذى ذكرناه آنفا، ثم ذكر المؤلف عمه رشيد الدين علي بن خليفة فيقول: وكان مولده بحلب في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وكان مولد أبي قبله في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بالقاهرة المعزية، ونشأ أيضا بالقاهرة واشتغل بها، وذلك أن جدي - رحمه الله - كانت له همة عالية ومحبة للفضائل وأهلها، وله نظر في العلوم، ويعرف بابن أبي أصيبعة، وكان قد توجه إلى الديار المصرية عندما فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان في خدمته وخدمة أولاده. ثم ينهى المحقق هذا السفر الضخم بفهرسين، جعل أولهما للموضوعات واختص الثاني بالأعلام والأمكنة.

أرأيت - عزيزي القارىء - إلى أي مدى يتميز تراثنا من سبق وإنسانية وتسامح وموضوعية، لا تعرف التعصّب لجنس أو لون أو دين أو لغة أو زمان أو مكان، في وقت كانت فيه بقية الأمم تعيش في سبات عميق؟ ألم أقل - منذ البداية - إنه تراث إنساني خالد؟ فليتنا تعرفه، ونحافظ عليه!

***





التجانس اليهودى والشخصية اليهودية

للدكتور
عبدالوهاب المسيرى

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين




د. عبدالوهاب المسيرى

قدم القرآن الكريم أدق صورة وأصدقها لليهود فى شتى تقلباتهم الحيوية، وتوجهاتهم المعيشية، ومنازعهم الفكرية، وتوسلاتهم الأسلوبية فى تحقيق مآربهم.

ولكن المُبيِّن الأعظم - جل شأنه - قدم تلك الصورة فى لوحات موزعة بين سور القرآن الكريم، حيث خص كل سورة بما يناسب مضمونها من تلك اللوحات؛ فإذا شاء واحد أن يتعرف على الصورة كاملة، ضم تلك اللوحات إلى بعضها، فإذا به أمام الحقيقة الصرفة لليهود..!

ومن بين هذه اللوحات... تلك التى صورت ما هم عليه من توحُّد خادع، وتجمُّع كاذب، وقوة زائفة، وغرور مضل. وذلك قوله - عز وجل -:

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

(الحشر: ١٣، ١٤)

ولقد لمس قادة الصهيونية الاستعمارية الغربية - من واقع اليهود - بعض حقائق تلك الصورة؛ فرأوا فيهم الوسيلة الصالحة التى يحققون بها بسط سلطانهم على الأرض العربية الإسلامية، بدلاً من وسيلتهم السابقة المعتمدة على ما عُرف فى قرون طويلة بالحروب الصليبية، حيث لم يستطيعوا استمالة نصارى العرب بالصليب الذى رفعوه شعاراً لتلك الحروب.

وإذا كان هؤلاء الاستعماريون الأوروبيون متحللين من قيم المسيحية التى رفعوا - فى حروبهم - شعارها...: فإن هؤلاء الصهيونيون لا يحترمون قيم اليهودية ولا عقيدتها التى ادعوا أنهم يخدمون أبناءها بإقامة وطن لهم فى فلسطين، على الرغم من افتقادهم أبرز المقومات الحيوية للدولة - وهو التجانس - على ما أوضحه الدكتور المسيرى فيما تقدم.

والتوجه الوجدانى... وهم أيضا

والدكتور المسيرى - فى تتبعه علاقات اليهود بعضهم ببعض - يكشف وهن تلك العلاقة إذا ما تعارضت مع النزوات الشخصية، والرغبات الذاتية. وضرب المثل على ذلك بالمليونير الأمريكى اليهودى (جورج سوروس) الذى يرفض الدولة القومية بشراسة، والذى اعترف - فى حديث له مع شبكة التليفزيون الأمريكية (WNET-TV) - أنه تواطأ مع قوات الاحتلال النازى للمجر أثناء الحرب العالمية الثانية، وساعد على نهب ممتلكات اليهود فى المجر، مقابل سلامته الشخصية.

وفى أثناء اجتماع لشبكة المتبرعين اليهود... سئل عن معاداة السامية.. فقال: إن سياسات إسرائيل والولايات المتحدة هى التى تسببت فى ذلك، واعترف بأن أفعاله هو شخصياً مسئولة - إلى حد ما - عن تصاعد معدلات العداء للسامية، وإن كان لم يعمد إلى ذلك؛ إذ كانت نتيجة غير مقصودة لأفعاله. وطالب بتغيير النظام السياسى فى الولايات المتحدة، وأعلن تأييده لاتفاق جنيف، وعزمه على تمويل بعض المشاريع فى فلسطين، حتى ووجه بهجوم عنيف من المؤسسة الصهيونية، ثم عادت لتلتزم الصمت، طمعاً فى تبرعاته، حتى لقد وصفه أحدهم بأنه تعبير عن ظاهرة (معاداة اليهود للسامية)، أو ظاهرة كره اليهودى لنفسه (Jewish Self-hate)، وهى مصطلحات كانت شائعة من قبل، ثم توارت ولم تعد تظهر إلا فى الحالات الاستثنائية لمواجهة العلماء اليهود الغربيين الشرفاء الذين يرفضون المشروع الصهيونى، مثل (نعوم تشومسكى).

والدكتور المسيرى يقرر: أن اليهودى الذى يكره نفسه - شأنه فى هذا شأن الصهيونيين، وأعداء اليهود - يؤمن بوجود جوهر يهودى ثابت، لا علاقة له بالمواضعات التاريخية والاجتماعية، كما يؤمن بوجود صفات يهودية ثابتة، وخصوصية يهودية لا تتغير... ويؤمن بأن هذه الصفات هى التى تعوق اليهودى عن الاندماج الكامل فى عالم الأغيار، وبأنها هى سبب شقاء اليهود. أى: إن اليهود مسئولون عما يحدث لهم!.



وقد تفاقمت ظاهرة (كره اليهودى لنفسه) بين يهود أوروبا حين ضعف انتماؤهم الدينى، واكتسحهم التيار الاندماجى العلمانى؛ فصبوا جام غضبهم على (الجيتو اليهودى) الفعلى والعقلى، بل وعلى أنفسهم.!

وقد بدت هذه الظاهرة فى عدة أشكال، من أبرزها:

١- محاولة إخفاء الأصول.

٢- حرص بعض اليهود على عدم الإنجاب كلية، حتى لا يزيد عدد اليهود.

٣- توجه بعضهم للانتحار.

٤- الرغبة فى التنصر للشعور بأن الحضارة الغربية لا تتوافق مع اليهودية.

٥- إعداد المشاريع المختلفة الموصلة لإبادة اليهود والتخلص منهم. كما كان صنيع (هتلر) الذى يقال: إنه كان طفلاً غير شرعى لأب يهودى. وكما كان صنيع (أدولف إيخمان) الذى أرسل بمئات الألوف من اليهود إلى معسكرات الاعتقال والإبادة.. على الرغم من جريان الدماء اليهودية فى عروقه.

فالحقيقة أن ما يزعمه الصهيونيون من أن كره اليهود للأغيار هو سبب تفشى ظاهرة (معاداة اليهود)... هذا الزعم الصهيونى كلام باطل، لا حقيقة له. وإنما تفشى ظاهرة (معاداة اليهود) ترجع جذوره التاريخية، والاجتماعية، والسياسية ـ كما يرى سوروس ـ إلى إسرائيل والولايات المتحدة.

ولم يقف الصهيونيون بمزاعمهم الباطلة عند هذا الحد؛ فقد حاولوا إضفاء صبغة دينية على أفكارهم، بحيث تبدو وكأنها امتداد لليهودية، وليست نقيضاً لها؛ أملاً منهم فى الحصول على الشرعية، والتأييد الجماهيرى فى أوساط الجماعات اليهودية فى أوروبا.

فقد حاولوا استغلال مشاعر المعاناة والإحباط لدى الجماهير اليهودية، والرموز والأفكار الدينية المألوفة... فجعلوا مسعاهم الاستعمارى تحقيقاً لوعد إلهى، ووظفوا المقولات التوراتية عن (الشعب المختار)، وعن (العودة إلى صهيون)... ليسوغوا بها اغتصاب فلسطين، وإقامة كيان قومى لليهود فيها، يكون قاعدة لخدمة المصالح الاستعمارية. وقدموا أنفسهم على أنهم حركة لإنقاذ اليهود واليهودية مما لحق بهم وبها فى الشتات من الاضطهاد والتشويه.

يعلن الصهيونيون هذا كله بكل وسيلة، على الرغم من أن ما اقترحوه من حل لما عرف باسم (المسألة اليهودية) فى أوروبا يلتقى مع نزعات (معاداة اليهود)، تلك النزعات التى تطورت فى بعض الأحيان إلى تعاون وثيق، كما كان الحال فى ظل الحكم النازى فى ألمانيا.

وعلى الرغم من عبارات (العداء لليهود واليهودية) تتواتر فى كتابات الرواد الصهيونيين، مثل: (موسى هس) الذى يرى: أن العقيدة اليهودية كارثة لا مفر منها، والذى يذهب إلى القول باستحالة اندماج الجماعات اليهودية فى الشعوب الأوروبية؛ لأنهم يشكلون شعباً منبوذاً ومحتقراً، ومشتتاً. شعباً هبط إلى مرتبة الطفيليات التى تعتمد فى غذائها على الغير. شعباً ميتاً، لا حياة له... ومثل: (هرتزل) الذى يؤكد: على أن رؤيته الصهيونية ليست لها أية مرجعية دينية، والذى يجاهر بأنه لا يخضع لأى وازع دينى، والذى تعمد انتهاك الشعائر الدينية حين زار مدينة القدس، والذى لا يخفى الترابط الحتمى بين الصهيونية و(معاداة اليهود) فى العصر الحديث، والذى يرى: أن (معاداة السامية) وحدها هى التى جعلت منه يهودياً، وأن العداء لليهود أمر ضرورى للمشروع الصهيونى؛ فهو كالبخار الذى يحرك الآلة. ومثل: (ماكس نوردو) خليفة (هرتزل) فى زعامة المنظمة الصهيونية، الذى أعلن إلحاده، واشمئزازه من المبادئ الأخلاقية التى ساقتها التوراة، والذى يتفق مع (هرتزل) فى أن (معاداة اليهود) ظاهرة طبيعية وعادلة. ومثل: (دافيد بن جوريون) الذى يرى: أن التوراة ليست سوى كتاب للحكايات والمأثورات الشعبية، وأن الجيش هو خير مفسر للتوراة، والذى يؤكد: أن الحياة لو تركت للحاخامات لظل اليهود كلاباً ضالة فى كل مكان، يضربهم الناس بالأقدام.

فالرؤية الصهيونية تستند إلى الأسس نفسها التى تقوم عليها نزعات (معاداة اليهود واليهودية)، والتى تقرر: أن ثمة طبيعة يهودية تميز اليهود عن غيرهم من البشر. وهى طبيعة ثابتة، لم يطرأ عليها أى تغيير على مر التاريخ؛ فلا فرق بين يهود اليمن فى القرن الثامن عشر مثلاً، وبين يهود أمريكا فى أوائل القرن العشرين.

وهذا يستلزم: استحالة اندماج هؤلاء اليهود فى مجتمعاتهم، وضرورة التخلص منهم؛ إما بعزلهم خلف أسوار الأحياء المغلقة (الجيتو)، وإما بالقضاء عليهم، كما حاولت التجربة النازية، وإما بتهجيرهم إلى أرض خارج أوطانهم... حتى إن استدعى الأمر اقتلاع أصحاب الأرض منها.!

فالرؤية الصهيونية ـ كالنزعة المعادية لليهود ـ تبدأ من نفى التاريخ، وإلغاء الزمان والمكان.. وتنتهى إلى نفى اليهود، وإلغاء وجودهم.!

والشخصية اليهودية... خرافة

والدكتور المسيرى يضيف إلى تلك الأوهام التى تقوم عليها الدولة الصهيونية وهماً آخر، رصده فى الفصل الثالث [خرافة الشخصية اليهودية] وقد بدت له تلك الخرافة فى عدة مظاهر، يقرر كل منها: أن ليس للإسرائيليين شخصية متفردة تلازمهم. ومن أبرز تلك المظاهر:

أولاً: تحول الإسرائيليين عن رومانسية العمل العبرى، وتفجر الرغبات

الاستهلاكية فيهم؛ فقد ذهب الصهيونيون إلى أن للإسرائيليين شخصية متفردة تميزهم من غيرهم... وهي أنهم يحرصون على العمل اليدوي في الأرض التي يغزونها، كما يحرصون على أن يقاتلوا بأنفسهم، دون الحاجة إلى معونة أحد.

ولكنهم لم يلتزموا بذلك أكثر من عشرين عاماً، امتدت من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٦٧، حيث كان المستوطنون يحيون حياة متقشفة، فيزرعون ما يأكلونه، ويخضعون لنظام عسكري صارم، تحسباً لهجوم السكان الأصليين عليهم، وحين انتصروا سنة ١٩٦٧ استبد بالمستوطنين النزوع نحو اللذة، لشعورهم بأن المرحلة التقشفية قد انتهت، وأن الوقت قد حان لدخول مرحلة الاستهلاك، والسلع المستوردة؛ فتزايدت معدلات الأمركة، وضعفت مقدرة المستوطنين على تحمل المشاق.

ومع تفجر الانتفاضة تصاعدت حدة أزمة المجتمع الصهيوني، حيث ظهر المواطن ذو الرأس الصغيرة، والمعدة الكبيرة (نموذج روش قطان) وظهر مجتمع (٣ف) أي «الفولفو» و(الفيديو) و(الفيلا).

وعلى الرغم من أن هذه الظواهر توجد في كل المجتمعات... يقرر الدكتور المسيري: أن أثرها السلبي أعمق في التجمع الصهيوني؛ لأنه تجمع يقوم على الهوية الدينية، والقومية العنصرية، ولكنه مع كل هذا يتحول إلى الخصخصة التي تعني: أن الفرد - وليس المجتمع - هو نقطة البدء، وأن المشروع الفردي يسبق المشروع القومي، من كل ما يتعارض مع مقومات أي تجمع استيطاني، يحتاج إلى التنظيم الجماعي الحاد؛ كي يضمن لنفسه البقاء والاستمرار أمام مقاومة أصحاب الأرض الأصليين.

ويزداد هذا التعارض عمقاً بتأثير الهجرات الجديدة، دائمة الوفود على هذا المجتمع، حيث تصعد من سعاره الاستهلاكي.!

ومن هنا... تولدت الحساسية الجديدة لدى الشباب الإسرائيلي الذي لا يفكر إلا في ذاته، ولا يعنيه في شيء الأيديولوجية الصهيونية.

ثانياً: والمظهر الثاني من المظاهر الدالة على خرافة (الشخصية اليهودية).. هو تحول الإسرائيليين عن الإقدام على الخدمة العسكرية، بل والفرار منها؛ فبعد أن كان المفهوم القديم الذي يهيمن على المستوطن اليهودي؛ هو: (يد تمسك المحراث، ويد تمسك بالبندقية)، ظهر مستوطن جديد يبحث عن رفع المستوى المعيشي؛ فاختلفت المستوطنات الجديدة عن المستوطنات القديمة اختلافاً بيناً، حتى لقد ظهرت حركة شبابية تسمى: مظهر جديد (New Profile)، وهي حركة مستقلة تأسست في أكتوبر سنة ١٩٩٨، تهدف إلى إلغاء التجنيد الإلزامي، وتسلك إلى ذلك شتى

الوسائل.

ثالثاً: والمظهر الثالث من المظاهر الدالة على خرافة الشخصية اليهودية... تفشي الجريمة بجميع أنواعها بين أفراد هذا التجمع الصهيوني، كما تقرره الإحصاءات المختلفة، التي تعلنها الهيئات الرسمية، والصحف الإسرائيلية...

من كل ما يؤكد فشل القادة الصهيونيين في تحويل الشخصيات اليهودية في المنفى من شخصيات هامشية طفيلية إلى شخصيات سوية مبدعة ومنتجة.

ويرجع سبب ذلك... إلى: تآكل الأيديولوجية الصهيونية، وإلى الشذوذ البنيوي للدولة، وعدم التجانس بين الجماعات المستجلبة من شتى بقاع الأرض للاستيطان في فلسطين، ولتصاعد معدلات العلمنة داخل الكيان الصهيوني، ولدخول المستوطن الصهيوني في حروب متكررة عقيمة، لم تأت بحل لأي من مشكلاته.

رابعاً: والمظهر الرابع من المظاهر الدالة على خرافة الشخصية اليهودية... تزايد انتشار الشذوذ الجنسي، وتقديره سلوكاً طبيعياً؛ بسبب غياب اليقين المعرفي، والمرجعية الأخلاقية والإنسانية اللذين قضى عليهما علمنة العقيدة اليهودية، وتسبية القيم؛ حيث دفع الصهيونيون العلمانيون المستوطن الصهيوني إلى الإلحاد دفعاً، وإلى رفض اليهودية وقيمها... فتأسست سنة ١٩٧٥ - على يد بعض المهاجرين من أمريكا وإنجلترا - جماعة للشواذ جنسياً تسمى (جماعة الدفاع عن الحقوق الشخصية)، حتى اضطر الكنيست إلى إلغاء القانون الذي يجرم الشذوذ الجنسي سنة ١٩٨٨، وعقد في تل أبيب المؤتمر الدولي الثالث للشواذ جنسياً، وأصدر الكنيست سنة ١٩٩٢ قانوناً يحرم التمييز على أساس الميول الجنسية، وأصدرت المحكمة العليا قراراً يلزم شركة العال بمعاملة رفيق الشاذ جنسياً معاملة الزوج أو الزوجة العاديين، ثم اعترفت المحاكم الإسرائيلية بحق الشواذ في العيش مع شريك من نفس الجنس والاعتراف به زوجاً أمام القانون.

ومع تزايد تقبل الشذوذ... تزايد نفوذ الشواذ؛ فقرروا تنظيم مسيرتهم السنوية في المدينة المقدسة، حيث توافد الشواذ من تل أبيب وغيرها من مدن الدولة الصهيونية، معلنين بذلك: أنها مسيرة قومية، حيث عقد الحاخامات الإصلاحيون والمحافظون زيجات لأشخاص من جنس واحد أمام حائط المبكى.

ويرى الدكتور المسيري: أن في مقدور العربي في الغرب أن يوظف ظاهرة انتشار الشذوذ الجنسي بين أعضاء التجمع الصهيوني في تأكيد أن اسرائيل ليست دولة يهودية كما يمكنه أن يوظف هذه الظاهرة في الحوار مع الجماعات المسيحية الأصولية، التي ترى الدولة الصهيونية تحقيقاً للرؤى الإنجيلية.

وحول الهيكل ... أيضا خرافات

والدكتور المسيرى يرى: أن الخرافات اليهودية الصهيونية لا تقف عند حد ما اخترعوه حول اليهود والشخصية اليهودية... بل إن تلك الخرافات والأكاذيب شملت أمورا كثيرة لخدمة أغراضهم... وكان الهيكل من بين ما أثاروا حوله الخرافات العجيبة.!

ففى الفصل الرابع [خرافات الهيكل] يقدم الدكتور المسيرى بحثا لغويا حول كلمة الهيكل، يوضح أن تلك الكلمة يشار بها ـ فى كثير من اللغات السامية ـ إلى مسكن الإله، وليس مكانا للعبادة، مثل الكعبة، بل هو يماثل كلمة (فرعون) التى تعنى: البيت الكبير. والتى تشبه إلى حد ما كلمة (الباب العالى).

ويخلص من ذلك بتقديم بعض ما اصطنعه اليهود الصهيونيون من خرافات حول الهيكل وقيمته، حتى صار الهيكل ـ بتلك الخرافات ـ يشغل مكانة خاصة فى الوجدان اليهودى، جعلتهم يتصورون أنه يقع فى مركز العالم؛ لأنه بنى فى وسط القدس التى تقع فى وسط الدنيا.

ويذكر: أن التراث اليهودى يشير إلى ثلاثة هياكل؛ هى: هيكل (سليمان)، وهيكل (زرو بابل)، وهيكل (هيرود).

١- أما هيكل سليمان... ففى التصور اليهودى: أن سليمان بناه فوق جبل (موريا) وهو جبل بيت المقدس، أو هضبة الحرم التى يوجد فوقها المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وهو جزء من موكب معمارى ملكى، يضم قصر الملك، ومبانى أخرى للصناع، وللاجتماعات، وللعرش، وللمحكمة العليا، وللحريم، ولزوجة سليمان ابنة فرعون.

ولتعارض أوصافه فى المصدرين الأساسيين اللذين تحدثنا عنه ـ وهما: كتاب الملوك الأول، وكتاب الأخبار الثانى فى العهد القديم ـ لهذا التعارض... يصعب الوصول إلى وصف دقيق له.

وعلى الإجمال... هو لا يختلف ـ فى معماره ـ عن الهياكل الكنعانية التى تأثرت بالطراز الفرعونى.

٢- وأما هيكل (زرو بابل) فقد أقامه (زرو بابل) أحد كبار الكهنة فى المدة من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥١٥ قبل الميلاد، بتصريح من الإمبراطور الفارسى (قورش) بعد أن هدم (نبوختنصر) البابلى هيكل سليمان سنة ٥٨٦ ق.م، والعهد القديم يذكر: أنه بُنى بأمر من إله (يسرائيل)، وبأمر من أباطرة الفرس، ولذلك... كانت تقدم فيه قرابين يومية لصالح حامى (صهيون) الوثنى.

ولا توجد إشارات كثيرة إلى شكله المعمارى، ولا إلى تقسيمه، وإن مال معظم الباحثين إلى أنه لم يكن يختلف كثيراً عن الهيكل الأول لأن (نبوختنصر) لم يزل أثر الهيكل الأول، وإنما نهبه، وأشعل النار فيه، فاحترقت الأجزاء الخشبية فقط.

٣- وأما هيكل (هيرود) فقد بناه الملك (هيرود) الذى عينه الرومان حاكما، يحمل لقب ملك فى المدة من سنة ٢٧ ق.م إلى سنة ٤ ق.م، لإرضاء اليهود، وذلك.. لما رأى هيكل (زرو بابل) متواضعا للغاية ـ ولإرضاء الإمبراطور (أوغسطس) من جهة أخرى، وإثبات ولائه له... لهذا بنى معبد الآلهة فى مدينة روما ـ ولكن (تيتوس) هدم هذا الهيكل سنة ٧٠م.

وهذا الهيكل ثلاثة أقسام؛ بالمدخل، والبهو المقدس، وقدس الأقداس. وهو عبارة عن مكعب حجرى مصمت ـ بدون نوافذ ـ أقيم على مستوى من الأرض. أعلى من الجزأ المسمى (الهيكل) فى هيكل سليمان. وكان يفصل قدس الأقداس عن بقية الهيكل ستارة، وسلسلة من الذهب، أو باب، ولا يدخله سوى كبير الكهنة فى يوم الغفران؛ ليتفوه باسم الإله (يهوه) الذى لا يستطيع أحد أن يتفوه به فى أى مكان أو زمان. وتفوهه بالاسم يمثل ذروة العبادة، حيث تشكل هذه اللحظة نقطة التماس بين الإله والشعب والأرض، تجسيداً للحلول الكامل.

ويستطرد الدكتور المسيرى وراء الاستخدامات المراوغة، فيذكر: أنه كان يوجد فى قدس الأقداس ما يسمى: حجر الأساس (إيفن هيسود) تلك الكلمة التى تحمل عدة معان مختلفة ـ كالشأن فى كثير من الكلمات اليهودية ـ فهى تعنى: الصخرة، وتعنى: الإله... إلى غير ذلك من الإيحاءات الدينية الكثيرة؛ فالصهيونية الدينية ترمز به إلى أن اليهود هم حجر الأساس، وهم جزء عضوى من التجلى الإلهى؛ فهم آلهة، أو شبه آلهة، لهم حقوق مطلقة، وهم ـ كذلك ـ مركز العالم وأساسه.

ويشبه هذا تماما.. كلمة (الكنيست) التى تعنى: البرلمان الإسرائيلى، ولكنها فى التراث الدينى تعنى: التجلى العاشر الأخير للإله، وتعنى: جماعة إسرائيل، وتعنى: التجلى الأنثوى للإله (الشخيناه).

أى: إن اليهود جزء لا يتجزأ من الإله، حقوقهم مطلقة، وأفعالهم مقدسة، تعلو على العالمين.

وضمانا لموارد الدولة سادت العبادة القربانية، حيث كانت القرابين من أهم موارد الدولة، فلم يسمح بتقديم أية قرابين خارج الهيكل بعد تأسيسه، وكان الهيكل مصرفا يضع فيه الأثرياء نقودهم، ويرسلون إليه النذور والقرابين، وتحفظ فيه رموز الدولة وطنافسها.

وقد استمر هذا الوضع مع هيكل (هيرود) حتى وصفه (ديورانت) بأنه المصرف القومى، ووصفه (يهودا مينوهين) بأنه السوق، حيث كان يقيم الباعة، وتجار المواشى. والصيارفة... مما أثار غضب السيد المسيح عند زيارته للهيكل.

ـ يتبع ـ

الأزهر

استراتيجية الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يرى المراقبون السياسيون والعسكريون أن الولايات المتحدة الأمريكية تملك ما يقرب من ٧٥٢ قاعدة عسكرية، متواجدة على أراضى ١٣٠ دولة، وتمركز عدد كبير من القوات الأمريكية فى ٦٥ قاعدة منها، ويرابط فى أفغانستان ما يزيد على عشرة آلاف جندى أمريكى، بينما من المؤكد أن قوة ضخمة قوامها ١٦٠ ألف جندى منتشرة فى العراق، بالإضافة إلى نصف مليون جندى أمريكى فى منطقة الخليج.

ومن اللافت للنظر أن عدد القوات المسلحة الأمريكية يزيد على مليونى جندى، مجهزين بأحدث الأسلحة.

- كما أن الجيش الأمريكى هو الجيش الوحيد فى العالم القادر على الدخول فى معركتين فى آن واحد، وهذا يرجع إلى الإنفاق العسكرى الضخم، فقد وافق مجلس النواب الأمريكى مؤخراً على تخصيص ٤٥٣ مليار دولار لميزانية الدفاع الجديدة.
- كما أن الولايات المتحدة هى الأولى من حيث عدد الرؤوس النووية التى تقدر بنحو ١٥ ألف رأس نووى، وهى الأولى من حيث عدد الصواريخ الاستراتيجية العابرة للقارات التى تصل إلى حوالى ١٠٠٠ صاروخ.
- وهى الأولى من حيث عدد القاذفات الاستراتيجية البعيدة المدى الذى يتجاوز ٥٠٠ قاذفة استراتيجية.
- وهى الأولى من حيث عدد الغواصات النووية الذى يقدر بنحو ٧٠٠ غواصة نووية.
- كما أنها الدولة الوحيدة فى العالم التى تمتلك ما يسمى «برنامج حرب النجوم» الذى يوفر للولايات المتحدة حماية ضد أى هجوم نووى صادر من الخارج.

والجدير بالذكر أن الاقتصاد الأمريكى مازال هو الأضخم على مستوى العالم، فإجمالى الناتج القومى للولايات المتحدة يتجاوز ٦ تريليونات وهو يوازى ٢٥٪ من إجمالى الناتج العالمى. كما أنها الأولى فى العالم من حيث عدد الشركات المتعددة الجنسيات، فهى تملك ١٦٤ شركة من جملة ٥٠٠ شركة على الصعيد العالمى، وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن الولايات المتحدة الأمريكية بهذا التفوق العسكرى والاقتصادى، أضحت تنفرد بالشأن العالمى فى هذا العصر.

الاستراتيجية الأمريكية

وفى هذا السياق يقول الرئيس الأمريكى الأسبق «جورج بوش» الأب، فى أوائل التسعينيات: «إن القرن القادم ينبغى له أن يكون أمريكياً»، وما يقوله بوش الأب هو امتداد لما قاله فى الأربعينيات الرئيس الأمريكى الأسبق «روزفلت»: «إن قدرنا هو أمركة العالم»، ويؤكد ذلك ما قاله الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون»: «يجب على أمريكا أن تقود العالم».

ويصف البعض أن المرحلة الراهنة هى «مرحلة الهيمنة الأمريكية»، فلم تتردد الولايات المتحدة من توظيف انهيار الاتحاد السوفيتى السابق وتفككه من أجل تأمين تبعية شبه عالمية لسياستها، فقد أصبحت تتربع على قمة الهرم العالمى دون منافس أو منازع حقيقى.


جورج بوش

ويذهب المحللون السياسيون إلى أن الاستراتيجية الأمريكية للهيمنة تقوم على خمس ركائز:

الأولى: حماية المصالح الاقتصادية، وفى القلب منها النفط.

والثانية التعاون الاستراتيجى الكامل بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وضمان تفوقها العسكرى، والتكنولوجى على الدول العربية مجتمعة.

والثالثة إعادة تشكيل هيكل أمنى إقليمى يضمن الحفاظ على مصالح أمريكا فى المنطقة.

ورابعاً العمل على منع انتشار أسلحة الدمار الشامل باستثناء الكيان الإسرائيلى المزروع فى قلب العالم العربى، الذى يحق له احتكار السلاح النووى لإخضاع الدول العربية، وفرض شروطه عليها، وحماية المصالح الأمريكية فى المنطقة، والخامسة: انتهاج استراتيجية «الحرب الاستباقية» للحفاظ على أمنها القومى، وقد بدأت بالفعل تطبيق هذه الاستراتيجية الهجومية فى أفغانستان والعراق. وعلى الرغم من الغزو الأمريكى للعراق فى مارس ٢٠٠٣ واحتلاله فى التاسع من أبريل من نفس العام، بحجة البحث عن أسلحة الدمار الشامل، التى تمثل أكبر أكذوبة أمريكية استندت إليها للإطاحة بنظام صدام حسين لبدء تنفيذ مخططها فى الهيمنة على دول المنطقة، طمعا فى بترول العراق، فقد أصبحت قضية النفط تحتل موقع الصدارة فى الصراع الإقليمى، وأضحى النفط العراقى يتصدر أجندة السياسة الخارجية الأمريكية، لأن السيطرة على منابعه والتحكم فى عملية انتاجه وتسويقه، من شأنه إخضاع أوروبا واليابان ودول جنوب شرق آسيا تحت الهيمنة الأمريكية.

الاحتلال الأمريكى للعراق رغبة إسرائيلية

ولاشك أن الاحتلال الأمريكى للعراق هو رغبة إسرائيلية فى المقام الأول، فقد أزال التهديد الاستراتيجى الذى كانت تشكله القوة العسكرية العراقية على إسرائيل، خاصة أن الكيان الصهيونى ظل ينظر إلى المحيط الإقليمى المتمثل فى «العراق وسوريا وإيران» على أنه مصدر تهديد رئيسى له، وازداد هذا التهديد بعد أن أعلن الرئيس الإيرانى «محمود أحمدى نجاد» رفضه للوجود الصهيونى فى فلسطين، وتهديده بمحو هذا الكيان الغريب من الخريطة السياسية للمنطقة، والدعوة إلى نقله إلى ألمانيا والنمسا، أو أوروبا أو كندا، ومن هنا ترى إسرائيل فى إيران أكبر مصدر من مصادر التهديد لها، يجب وضع حد له.

محمود احمدى نجاد

وفى هذا السياق فإن المخطط الأمريكى الصهيونى يسعى إلى أن يفرض على العراق الجديد قبوله لعقد معاهدة سلام مع إسرائيل، واستدراجه، كما يقول بعض المحللين، لقبول المشروع القديم الذى عرضه «بن جوريون» على كل من فرنسا وبريطانيا عام ١٩٥٦ أثناء التخطيط للحملة العسكرية على سيناء، إذ جاء فى هذا المشروع «أن العراق قادر على استيعاب مليونى لاجىء فلسطينى من لبنان وسوريا والأردن، حيث إنهم لا يشعرون بالغربة على أرضه».





الديمقراطية الزائفة



وقد كشف الدكتور «جاريث بوتر» المؤرخ والمحلل الأمريكى -فى دراسة له نشرها فى دورية «جورنال» التى يصدرها «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى- زيف الديمقراطية التى لوحت بها الولايات المتحدة لتحقيقها فى العراق فيقول: «إن مقولة إن انتخابات يناير ٢٠٠٥ أسفرت عن (نظام ديمقراطى ليبرالى) قد شوش الجوهر الحقيقى للانتخابات فى إطار نظام ديمقراطى حقيقى، فمتطلبات هذا النظام ليست متوافرة فى العراق، ومن غير المحتمل أن تتوافر فى بلاد مزقتها الحرب، وقسمتها النزاعات الطائفية».

ويضيف «جاريث بوتر» مبيناً كيف أن الولايات المتحدة سعت إلى تقسيم العراق إلى دويلات فيقول: «أظهرت إدارة بوش رغبتها فى سيطرة الشيعة على الحكومة المركزية، ومحاولة إقناع السنة بذلك فى إطار دولة فيدرالية، وهو الاقتراح الذى كان قد قدمه (ديفيد فيليب) فى ورقة إلى مجلس العلاقات الخارجية، حيث جاء فى هذه الورقة: أنه فى حالة رفض السنة الدويلات الثلاث [دولة شيعية فى الجنوب، وسنية فى الوسط، وكردية فى الشمال] يمكن اقتراح خمس أو ست دويلات فيدرالية».

تصميم جديد لبناء مختلف

وفى هذا الإطار يقول (مايكل ليدن) العضو البارز فى (معهد أمريكان انتربرايز) قلعة المحافظين الجدد، والمهتم بصياغة مشروعات الرئيس الأمريكى بوش للشرق الأوسط: «إن التدمير البناء هو صفتنا المركزية وبالتالى فإن الوقت قد حان لكى تُصدر الثورة الاجتماعية من أجل صياغة المنطقة العربية، ليس عبر تغيير النظم فقط، بل والجغرافيا السياسية أيضاً، إنطلاقاً من رؤية خاصة تؤدى إلى «تصميم جديد لبناء مختلف».

ويرى الكثيرون أن نظرية [التدمير البناء] التى تتبناها الإدارة الأمريكية للهيمنة على الشرق الأوسط والتى أشار إليها (ليدن) تستند إلى اعتبار الوطن العربى تجمعاً لأقليات دينية وعرقية عاجزة عن العيش معا فى كيانات دول وطنية، ولذلك طالب (روبرت ساتلوف) «إقصاء تعبير العالم العربى والعالم الإسلامى من القاموس الدبلوماسى الأمريكى»ويذهب هؤلاء المحللون إلى أنه يمكن رصد عناصر [استراتيجية التدمير البنّاء] فى:

- أولاً: تفكيك ما يسمى [النظام الإقليمى العربى] عبر دفع كل دولة عربية وإسلامية للتعامل مع الأجندة الأمريكية على حدة.
- وثانياً: وضع النظم فى حالة قلق

مستمر، بممارسة الضغوط، والمطالبة بضرورة التغيير، وهو ما تمارسه الولايات المتحدة حالياً تجاه سوريا ولبنان وإيران والسودان ومن قبل ليبيا.

● وثالثاً: إعادة صياغة النظم فى دول المنطقة، وفق النموذج العراقى الجديد، حيث جرى تهديم أركان الدولة، وصياغة العراق من جديد، باعتباره كياناً يتكون من كتل متناقضة هم: الشيعة والسنة والأكراد، وغيرهم من التركمان والكلدانيين، والآشوريين.

ولذلك ينبغى أن يعاد بناء الدولة من جديد على أساس فيدرالى، يستوعب هذه المجموعات بوصفها كيانات متميزة ومتجانسة، وإقامة ديمقراطية جديدة على أساس التنوع الطائفى، لتصبح [ديمقراطية طوائف] خاضعة للسيطرة الأمريكية. والحقيقة أن نشر الديمقراطية بهذه الرؤية الأمريكية، لا تعدو إلا أن تكون دعوة إلى نشر الفوضى، وزعزعة الاستقرار فى المنطقة.

وعلى هذا النحو يقول المحلل السياسى اللبنانى «سعد محيو» مبيناً ملامح استراتيجية التدمير البناء: «إن استمرار الأمر الواقع الراهن فى المنطقة لم يعد ممكنا. ولذا يجب تغييره بشتى الوسائل السياسية والاقتصادية، وصولاً إلى الخيارات العسكرية. وبما أن أى تغيير يؤدى حتما إلى مرحلة انتقالية غير مستقرة، يتعين على الولايات المتحدة قبول درجة من الفوضى فى الشرق الأوسط، لأنها ستكون فوضى بناءة، إذ بعد تدميرها للقديم، ستمهد الطريق أمام ولادة جديدة، وبالطبع فإن الولايات المتحدة ستكون الطرف الأقوى القادر على توجيه هذه الفوضى البناءة لمصلحتها بسبب عدم وجود منافسين دوليين وإقليميين لها».

رجل القرن الواحد والعشرين المريض

ويقال فى هذا الصدد إن استراتيجية التدمير البناء أو الفوضى البناءة حلت محل مقولة [الرجل المريض] التى كانت قد أطلقتها الدول الأوروبية وأمريكا على الدولة العثمانية التى حكمت أربعة قرون (١٥١٦ - ١٩١٧) من أجل تفكيكها إلى دويلات، كان من بينها الدول العربية، التى تطلق عليها أمريكا اليوم نفس المقولة، فلقد اختار الرئيس الأمريكى بوش مصطلح «رجل القرن الواحد والعشرين المريض» ليصف به الدول العربية، والهدف واضح هو تمزيق، وتفكيك المنطقة لكى تسود إسرائيل، وتهيمن أمريكا على الشرق الأوسط. فتقول (كونداليزا رايس) وزيرة الخارجية الأمريكية فى هذا الصدد: «لابد من إعادة النظر فى الأوضاع القائمة فى الشرق الأوسط منذ عقود مهما كانت المخاطر المترتبة على ذلك».

وترى الإدارة الأمريكية بصقورها من المحافظين الجدد فى ظل استراتيجية [التدمير من أجل البناء]: «أن الاستقرار بحد ذاته يشكل عائقا أمام تقدم المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، ومن هنا سعت الولايات المتحدة إلى استخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة فى أفغانستان والعراق، مروراً بسياسة التلويح بالقوة إلى تفجير الأمن داخل دول المنطقة، بنشر الفوضى والفتن الطائفية، ومحاولة التدخل فى شئونها الداخلية تحت شعارات حماية حقوق الإنسان، واحترام حقوق الأقليات الدينية ونشر الديمقراطية، والدعوة إلى الإصلاح السياسى والاجتماعى والتعليمى.

ويتحدث (جيل بونتكوركو) عن استراتيجية التدمير البناء التى تتمسك بها الإدارة الأمريكية للهيمنة على دول المنطقة فيقول: «تقوم استراتيجية (الفوضى البناءة) على سياسة الزعزعة الديمقراطية، حيث تستند إلى قطاعات المجتمع المدنى التى تطالب بالتغيير، وتقوم الإدارة الأمريكية بتشجيعها، وتعبئة الإعلام المحلى والدولى لخدمتها، واختراع أبطال لحركة الاعتراض، وتعزيز الضغوط على السلطات القائمة، بما يؤدى إلى حدوث صدام بين بعض هذه القطاعات والسلطة».

أكذوبة الديمقراطية

ومن أجل إنجاح هذه الاستراتيجية الفوضوية يذكر (روبرت ساتلوف) أن الولايات المتحدة تركز على ثلاث أولويات:

● الأولى: جمع أكبر قدر من المعلومات حول الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الداخلية.

● والثانية: خوض معركة إعلامية تحت شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحماية الأقليات الدينية، ودولة القانون.

● والثالثة: عدم إتاحة أية فرصة للنجاة أمام أى نظام سياسى فى دول المنطقة، وخير مثال على ذلك: هى سوريا التى تواجه ضغوطا هائلة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية التى كان من نتائجها صدور قرارات مجلس الأمن أرقام ١٥٥٩، ١٦٣٦، ١٦٤٤، وبات أمام سوريا خياران لا ثالث لهما:

إما الاستسلام للولايات المتحدة والاستجابة لمطالبها.

وإما إسقاط نظام بشار الأسد.

وفى هذا الاتجاه يتحدث المحلل السياسى (جهاد الخازن) عن ثلاث شخصيات تكن الكراهية للنظام السورى الحالى، وهم (وولفوفيتز)، و(ريتشارد بيرل)، و(ديفيد وورمزر) وهم من المحافظين الجدد. فالأول كان قد اتهم

سوريا بإيواء قادة النظام العراقي السابق، وامتلاك أسلحة دمار شامل، واتهم الرئيس (بشار الأسد) بممارسة «عنف شديد»، وقال: «يجب أن يحدث تغيير في سوريا». أما (ريتشارد بيرل) فقد أعرب عن أمله بأن تضرب الولايات المتحدة سوريا، وكم كان سعيداً عندما أغارت إسرائيل جويا على سوريا عام ٢٠٠٣، فقال: «أنا سعيد لأن سلاح الجو الإسرائيلي أبلغ الرسالة إلى سوريا، وأرجو ألا تكون هذه الرسالة هي الرسالة الأخيرة». أما (ديفيد وورمزر) فهو إسرائيلي ليكودي، فقد دخل الإدارة الأمريكية، وجعل مهمة وجوده فيها، الهجوم على سوريا، والتحريض عليها، وهو يريد أن تخوض الولايات المتحدة «حروب إسرائيل» في الشرق الأوسط.

العراق ثم سوريا

ويذكر (جهاد الخازن) في مقاله بجريدة الحياة [٢٣/١٢/٢٠٠٥] أن ثمة دراسة اشترك في وضعها عدد من المحافظين الجدد من أنصار إسرائيل، صدرت عام ١٩٩٦ تحت عنوان:

«انفصال تام: استراتيجية جديدة لحماية البلاد» وتدعو هذه الدراسة إلى الإطاحة بالرئيس العراقي (صدام حسين)، ويلي ذلك مهاجمة سوريا، وإيجاد بديل لياسر عرفات، وأصبحت هذه الدراسة تمثل استراتيجية إدارة بوش بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وبما أن الجزء العراقي قد تحقق فإن جماعة المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية، تعمل الآن لتنفيذ الجزء السوري، وتبقى إيران هي الهدف النهائي.

ويكشف الأستاذ (جهاد الخازن) أسلوب مواجهة أمريكا لإيران فيقول: «إن الولايات المتحدة في حاجة إلى عزل جميع حلفاء إيران، مثل سوريا، وتجريدهم من السلاح، مثل (حزب الله) قبل مواجهتها».

كما يذكر هذا المحلل السياسي «أن العراق خطوة، وسوريا خطوة أخرى، والقضية هي إسرائيل، وكيف تسيطر على المنطقة». وفي إطار الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة إلى غزو العراق واحتلاله في التاسع من أبريل ٢٠٠٣ يمكن رصدها في:

● أولاً: السيطرة على نفط العراق.

● وثانياً: تحقيق الهيمنة على الشرق الأوسط، وحماية إسرائيل.

● وثالثاً: تأمين صناعة السلاح بإشاعة عدم الاستقرار بين دول المنطقة، لتسعى إلى شراء المزيد من السلاح الأمريكي المتطور للدفاع عن نفسها.

● ورابعاً: توظيف الإرهاب لتعزيز المكانة الدولية للولايات المتحدة.

● وخامساً: تقويض سيطرة العراق على الشرق الأوسط لتبقى إسرائيل

بترسانتها النووية المهيمن الوحيد في المنطقة في ظل الحماية الأمريكية لها.

● وسادساً: تسوية الصراع العربي الإسرائيلي وفق الأجندة الإسرائيلية.

● وسابعاً: إضعاف قدرات إيران وتقليص دورها الإقليمي والدولي فيما يتعلق بالنفط والأمن في الخليج العربي.

دوافع أساسية

وبالإضافة إلى ذلك، فثمة هدفان رئيسيان يشكلان الدوافع الأساسية لاحتلال العراق:

● الأول: تأثير إسرائيل في صنع القرار الأمريكي الخاص بالحرب على العراق، فقد أعلنت ثلاث شخصيات صهيونية في عام ١٩٩٦ وهم: ريتشارد بيرل، ودوجلاس فايت، وديفيد وورمزر، وهم من المحافظين الجدد في إدارة الرئيس الأمريكي (بوش)، ضرورة الإطاحة بصدام حسين وإقامة ملكية هاشمية بالعراق، باعتبارها خطوة، تضمن بدورها القضاء على الدول أو الحكومات الإقليمية المعادية لإسرائيل مثل: سوريا وإيران.

● والثاني: رغبة الولايات المتحدة في الانفراد بالشأن العالمي، وطموحها من أجل تأسيس امبراطورية بزعامتها، وبغض النظر عن الأهداف الأمريكية في العراق فإن ثمة حقيقية تؤكد أن العراق بوضعه الحالي بات المحور الرئيسي للترتيبات الإقليمية المزمع القيام بها من جانب واشنطن في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير، وقد استغل الأمريكيون أحداث ١١/٩/٢٠٠٠ لإعادة ترتيب الأوضاع الإقليمية وفق المصالح الأمريكية والصهيونية، ومن ثم كان الغزو الأمريكي لأفغانستان، والعراق الذي كشف زيف شعارات الحرية والديمقراطية، التي زعمت الإدارة الأمريكية أنها تريد إقامتها في العراق لتكون النموذج الحقيقي لسوريا وإيران.

●● وفي الختام يمكن القول بأن الحرب على العراق -وهي النموذج التطبيقي لاستراتيجية التدمير من أجل البناء- هي حرب نفطية في المقام الأول، وليست من أجل البحث عن أسلحة الدمار الشامل، أو نشر الحرية والديمقراطية، أو حماية حقوق الإنسان، وهي بداية لتفكيك دول المنطقة من أجل الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية عليها.

***

المملكة الهاشمية ومراقد صحابة رسول الله ﷺ

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

توجهت إلى صاحبى وفاءً بوعد فى الحلقة السابقة.. بلقاء نكمل فيه الحديث عن مراقد صحابة رسول الله -ﷺ- فى المملكة الهاشمية، لكنى فوجئت به قد سبقنى إلى المجلس مهللاً ومرحبا بقدومى إليه، وقد أعد المجلس، فبادرته بالسلام قائلا: أراك جئت مبكرا وسبقتنى.. على غير عادتك.. قال: لقد تركتنى على شوق فى لقائنا السابق بما ذكرته من مراقد الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- مما تعمر به المملكة الهاشمية، وكذلك كهف الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هُدى وحماهم وحفظ أجسامهم فى الكهف المبارك -الذى أكرمكم الله بزيارته- ثم أردف: ووعدتنى فى ذلك اللقاء بالحديث عن مراقد أصحاب رسول الله -ﷺ- فى المملكة الهاشمية، وها أنا ذا أنتظر الوفاء بالوعد!!!

فحدثنى طبْتَ وطاب حديثك.. كما طابت السيرة العطرة لمن تتحدث عنهم.

قلت: جزاك الله خيراً وتقبل دعاءك -ثم واصلت قائلا:

إن مقدمك مبكراً وإعدادك المكان وتهيئة المجلس عمل طيب وحسن، ذكرنى بقول رسول الله -ﷺ-: «أنا فرطكم على الحوض يوم القيامة.. آخذ بحجزكم عن النار ولكنكم تتفلتون منى!! فأقول: يا رب أصحابى أصحابى.. فيقال لى: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك؟!!!» أو تدرى يا صاحبى ما معنى «فرطكم». الفرط هو الذى يسبق القوم إلى مكان الماء فيهيىء المكان ويعد أوانى الشراب فإذا جاء الشاربون وأقبلوا عطاشا ينهلون وجدوا المكان مهيئا والأوانى معدة!!!

يا سيدى يا رسول الله -صلى الله عليك وآلك وسلم- صدق من سماك الرؤوف الرحيم.. فقال سبحانه:

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[التوبة/ ١٢٨]

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الأنبياء/ ١٠٧]

اللهم اسقنا من حوضه الكوثر بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا.

قال صاحبى -فى استغراب مغلف أقرب إلى الاستنكار- مالى

أراك ترد كل شىء تراه فى حياتنا المعاصرة إلى السيرة والسلف؟؟ ثم سكت عن الكلام ونظر إلىّ يتأمل وقع كلامه علىّ.

فقلت مستنكرا فى غضب مكظوم ولماذا لا أفعل؟

قال فى إصرار أقرب: لماذا لا تعيش عصرك وزمانك كما يعيش الناس؟ ولماذا لا تحاور الناس بأدواتهم ولغتهم وبما يفهمونه؟؟

قلت مستنكرا: .. هل لا بد أن أفعل حتى وإن كانت الأدوات رديئة واللغة متدنية؟

قال -فى تجاهل ردىء-: كيف؟؟

قلت: لا بد من المثال حتى يتضح المقال.. هل لا بد أن نصنع الردىء ونقبله ونفرضه على الناس ونتعامل به ثم نزعم أن ذلك حضارة وحداثة وتقدما!!!.. قال -فى استنكار واضح-: كيف؟؟.. ثم واصل: أنت تصنع من الحبة قبة!!

قلت: ويحك.. ما بالك.. أنا لا أصنع شيئا لأنه لا توجد حبة أصلا. لكن يوجد كذب مفضوح وسوءات عارية تتعاملون بها.. ثم قلت: لقد دخلت أحد محلات الخضروات فوجدت نوعا من الفاكهة وضع عليه البائع سعرا متواضعا وبجانبه نفس النوع وقد وضع عليه ثلاثة أضعاف السعر الأول!!! فعجبت لذلك.. فنظر إلىّ شاب -فى مثل سنك- بازدراء غريب قائلا: هكذا يفعلون فى بلاد الغرب المتمدن. ثم استطرد يشرح الموقف فى زهو ممجوج: هذا النوع الأقل سعرا عالجوه بمواد كيماوية- ولا يخفى ضررها- ولهذا كان السعر أقل.. أما النوع الثانى المرتفع السعر فهو نظيف لم تلوثه المواد الكيماوية!!!

ثم قال فى زهو كريه يثير الغثيان: أليس هذا منتهى الحضارة والصدق فى التعامل!!؟؟. قلت على الفور: إنها حضارة مزيفة مغشوشة وصدق ظاهره فيه الرحمة وواقعه تبرير الخطأ.. تلك الحضارة التى تحاول أن تطير بجناح واحدة وأن تسير بقدم واحدة متساندة على عكاز المخدوعين المروجين المزورين من العالم الثالث أو الرابع أو الخامس إن شئت!!

قال فى هدوء مصطنع أقرب إلى البلادة: كيف؟؟

قلت -فى تساؤل إنكارى حازم جاد: ألم يكن أجدى فى قاموس الحضارة أن تمنع التلوث من البداية؟؟ ونحاسب الملوثين المفسدين؟؟ ونضرب على أيدى المدمرين للناس والحياة؟؟ إن ما تسميه حضارة وصدقا.. ليس إلا تكريسا لغنى الأغنياء.. وفساد الفاسدين.. وامتهانا للفقراء الذين لم يكن فى مقدورهم أن يقتاتوا الجيد النظيف!!

ثم واصلت حديثى -فى اعتزاز صادق بتراث عظيم صنعه رجال عظماء أسسه سيد الخلق -ﷺ- على قواعد متينة من عند الله -سبحانه وتعالى- وقلت: أو تدرى عمّن أحدثك اليوم؟ عمن جلوت القلب وعطّرت الفؤاد بالتنول بين يديه فى مزاره العامر فى المملكة الهاشمية -عمّرها الله وحفظها من جهل الجاهلين وحقد الحاقدين وغباء المتعاملين- أحدثك عن فتى من الأنصار، وضىء الوجه، جميل الملامح، نقى القلب، صادق اللهجة، حازم نبيل، عالم، كريم سخى، قوى الإرادة، إنه الصحابى الجليل سيدى معاذ بن جبل -رضى الله عنه- يصفه أبو إدريس الخولانى فيقول: كان أبيض وضىء الوجه، برّاق الثنايا، أكحل العينين- كم يطربنى قول الخولانى وضىء الوجه؟ هل هو جميل فقط؟. لا.. هل هو مشرق فقط؟ هل هو طلْق المحيا فقط؟.. هل هو عذب اللقاء فقط؟.. إنه كل ذلك -رضى الله عنه.

ويصفه كعب بن مالك فيقول: كان شابا جميلا سمحا من خير شباب قومه.. ويقول الواقدى: كان من أجمل الرجال.. شهد بدرا وكانت سنه إحدى وعشرين سنة[1]

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر (جـ٣ ص٤٠٦-٤٠٧)

قال عنه أبو نعيم في الحلية: إمام الفقهاء وكنز العلماء، شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها وكان من أفضل شباب الأنصار حلما، وحياء، وسخاء، وكان جميلا وسيما. قال عنه عمر بن الخطاب: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ.. ولولا معاذ لهلك عمر ثم قال: وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشر (هـ) أو التي بعدها وهو قول الأكثر وعاش أربعا وثلاثين سنة وقيل غير ذلك.

كان ثاني اثنين هما أصغر من قدم على رسول الله -ﷺ- في بيعة العقبة الثانية وإن أردت الدقة فهي الثالثة وتسمى بيعة العقبة الكبرى ولا خلاف على أنها الأخيرة.

يقول عنه بعض المؤرخين أنه كان شابا أمرد دون البلوغ، وأكثر الآراء جموحا في تقدير سنه -يومها- أنه كان ابن ثمانية عشر ربيعا. وعلى أي حال مهما يكن من أمر فإن من في مثل سن معاذ من شبابنا اليوم لا تكاد اهتماماته تتعدى مطالب جسده ولست أظن أن أحدهم ترتفع به همته حتى يرحل في سبيل مبدأ أو يعاني من أجل حياة أفضل ومستقبل واعد لأمته.

في وادي الأردن في منطقة الغور الشمالي يقع ضريح الصحابي الجليل معاذ بن جبل -رضي الله عنه وعنا به- يقول الإمام الذهبي في وفيات سنة ١٨هـ وفيها كان طاعون عمواس بناحية الأردن فاستشهد فيه خلق من المسلمين. ثم يقول عن سيدنا معاذ، وقيل أنه أسلم وله ثماني عشرة سنة وعاش بضعا وثلاثين سنة وقبره بالغور[2].

ويقع مسجد سيدنا معاذ على بعد ٢٦ كم شمالا من مسجد شرحبيل بن حسنة. والمسجد يتكون من بناء حديث فخم مهيب تعلوه خمس قباب، وبه ممرات ومقاصير وأفناء، وبهو المسجد فسيح رائع.. لا أقول أنه يليق بسيدي معاذ أو يتناسب مع ذلك العظيم الذي قال عنه النبي -ﷺ-: «يبعث العلماء يوم القيامة على منابر من نور ومعاذ على رتوة» فمن يطاولك يا سيدي- ولكن المبنى رائع والجهد مشكور للعناية العظيمة التي توليها المملكة الهاشمية ووزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، فجزاهم الله كل الخير عن هذا العمل المأجور في إحياء معالم هؤلاء العظماء.

وفي جانب من المسجد يوجد مرقد الصحابي الجليل وضيء الوجه، تدخل إليه عبر ممر في فناء واسع تجده يرقد -رضي الله عنه- وإلى جواره ابنه عبد الرحمن مات قبله بقليل في طاعون عمواس ولم يترك عقبا -رضي الله عنه.

اعتدل صاحبي كأنه يفيق من رقدة وقال: أراك أسرفت في حديثك عن معاذ بن جبل أو أن إسرافك في الإعجاب به دفعك إلى هذا السرد الطويل!!

قلت: أما آن لك أن تترك هذا العناد السمج.. ثم واصلت حديثي -كأنني لا أراه- وقلت: يقول ابن الجوزي: «اتفق أهل التاريخ على أن معاذا -رضي الله عنه- مات في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة واختلفوا في عمره على قولين، أحدهما ثمان وثلاثون سنة والثاني ثلاث وثلاثون سنة.

ثم يقول ابن الجوزي أيضاً: «وعن سعيد بن المسيب قال: مات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة»[3].

ثم قلت في تصبر وهدوء مجهد: تعال معي نوازن بين الآراء في سن سيدنا معاذ بن جبل حين بايع البيعة الكبرى؟؟

قال في ضجر واضح: ما الذي تبغيه من ذلك؟؟ وما الفائدة المرجوة من الموازنة؟؟ ولماذا لا تقبل ما ورد في كتب التاريخ والتراث؟؟

---

(٢) تاريخ الإسلام الذهبي (جـ٣ ص٧١) ط دار الغد العربي بالقاهرة

(٣) صفة الصفوة جـ١ ص٢٠٥ ط المكتبة التوفيقية وأشار محققه إلى أن الحاكم أخرجهما في المستدرك.

قلت على الفور: ألستم تجاوزون -في رعونة وعناد- بدعوى حرية الفكر ورفض المسلمات؟ كل المسلمات؟؟.. وتعبنا معكم ومنكم في أنه يجب التفرقة بين ثوابت الدين والأخلاق والمثل وبين أحاديث القصاص أو مستجدات الفكر البشري؟؟.. قال في استغراب -أقرب إلى البلاهة-: هل تجد فرقا بين كل ما ذكرت؟؟ قلت في وضوح: بلى أجد فروقا شتى!! أولا أن مسلمات الدين وثوابت العقيدة نقبلها ولا نقبل العبث بها، وترفض -تحت أي دعاوى أو مزاعم مما تسمونه الإبداع أو الحداثة- المساس بها.

وليس ذلك جمودا أو تعصبا أعمى لديننا، إنما لأن ديننا حق ثابت محفوظ بحفظ الله له أولا، ووفق أعلى معايير الضبط العلمي ثانيا. وبوعي الذين حملوه ونقلوه ونقاء قلوبهم ثالثا.. وبحفظ الله أولا وأخيرا.. يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[الحجر/ ٩]

ويقول:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء/ ٨٢]

ويقول جلت قدرته في إبطال مزاعم أهل الشرك، وعبدة الأصنام.. أصنام الحجر، وأصنام التبعية والهيمنة وأصنام الواقع الاجتماعية التي توارثوها، وأصنام الجاه والسلطان والمال.. يقول سبحانه وتعالى:

﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾

[النحل/ ١٠٣]

ويقول في تحد قادر معجز لكل محاولات التقليد والتلفيق:

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[الإسراء/ ٨٨]

وفي فترة من فترات التاريخ نشط المرتزقة وعملاء الأعداء وخدام السلطان وأدعياء العلم وطلاب الشهرة والمال.. نشطوا جميعا وتكاثروا.. وأكثروا الوضع والاختلاق. فنشط لهم النقاد والزهاد.. اسمح لي أن أسألك هل تعرف حضارة أخرى -إن صح أن تسمى- التقدم العلمي المادي البليد حضارة -غير حضارة الإسلام معنى الزهد والورع أو يوجد في قاموسها ما يقارب هذا المعنى النبيل؟؟ معذرة أنا لا أريد منك إجابة لسببين: الأول: حتى لا تقع في الخطأ بزعم ما ليس له وجود. الثاني تبرير ما هو مغلوط وموجود.

لكني اكتفيت أن أحيلك على كتاب بين أيدينا.. ليس من كتب التصوف أو العبادات أو الأخلاق.. لكنه في التاريخ.. أحيلك عليه وأذكر لك جملة منه لتعرف أن الزهد والورع قيم إسلامية شائعة بين الناس، وليست قاصرة على فئة أو طبقة تمارسها ترفا أو ترفعا، الكتاب هو [تاريخ الإسلام] للذهبي. وقد ورد فيه مجرد عنوان وهو يتحدث عن سيرة المصطفى -ﷺ- وخلقه وكيف كان.. أعجبني العنوان وراقني أنقله لك بأمانة وأرجو أن تتأمله في تجرد وصدق وتترك قطرات من ندى الإيمان تخالط قلبك حتى تتذوق شهد اليقين وتتعلم معنى الدقة والصدق.. قال عندما أخذ يتكلم عن صفات النبي -ﷺ- النفسية الجسدية بما يحببك في هذه الشخصية المعجزة. قال: (باب في زهده ﷺ) وتحت هذا العنوان كتب يقول: «وبذلك يوزن الزهد وبه يحد» يعني بهذا النموذج الفريد يكون الميزان ويوضع حد الزهد وتعريفه علميا وعمليا ومنطقيا وواقعيا.. الله.. الله.. الله.. صلى الله عليك وعلى آلك وصحبك وسلم.. وإلى لقاء قادم بإذن الله مع سيدنا معاذ بن جبل -رضي الله عنه-.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أوحش المواطن

أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن: يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه. لذلك قال الله - تعالى - في حق سيدنا يحيى - عليه السلام -:

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

[مريم، ١٥]

أيحاسب الخليفة؟

روى ابن كثير أن أبا زرعة دخل على الوليد ابن عبدالملك، فقال له الوليد: أخبرني أيحاسب الخليفة، فإنك قد قرأت القرآن وفقهت!

فقال: يا أمير المؤمنين، أأنت أكرم على الله من نبيه داود عليه السلام؟ إن الله - تعالى - جمع له بين الخلافة والنبوة ثم توعده في كتابه فقال:

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

[سورة ص: ٢٦]

فكانت موعظة بليغة.

الأدب حلية العاقل

روى الأصمعي أن أعرابيا قال لابنه: يا بني: الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب.

وقال حكيم: الأدب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت.

وقال آخر: العقل بلا أدب كالشجر العاقر،



ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقال غيره: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب، لأن من ساء أدبه، ضاع نسبه، ومن قل عقله، ضل أصله.

وقال بليغ: الأدب يستر قبيح النسب.

بلاغة الاعتذار

روى أبو العيناء محمد بن القاسم الهاشمي قال: كان أحمد بن يوسف الكاتب قد تولى صدقات البصرة (أي جمع زكاة أهلها)، فجار فيها وظلم، وكثر الشاكي له والداعي عليه. ووافى باب أمير المؤمنين زهاء خمسين رجلا من جلة البصريين يشكون منه. فعزله المأمون وجلس لهم مجلسا خاصا، وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم (وهو المتهم نفسه). فكان مما حفظ من كلامه أن قال: يا أمير المؤمنين لو أن أحدا ممن ولي الصدقات سلم من الناس لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾

[التوبة، ٥٨]

فأعجب المأمون بجوابه وخلى سبيله.

حفظ اللسان من الخطل

قال حكيم: كلام الرجل بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل، وإياك وما يسخط سلطانك، ويوحش إخوانك، فمن أسخط سلطانه تعرض للمنية، ومن أوحش إخوانه تبرأ من الحرية.

وقال شاعر:

يدل على جهل الفتى فضل نطقه
ونطق أخي العقل الرصين قليل
وإن لسان المرء ما لم يكن له
حصاة على عوراته لدليل

قال حكيم:

رب كلمة جلبت مقدورا، وخربت دورا، وعمرت قبورا.

وقال شاعر:

احفظ لسانك واحتفظ من شره
إن اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس
فيه يلوح لك الصواب اللائح

وقال غيره:

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى
إن البلاء موكل بالمنطق

وقال آخر:

وزن الكلام إذا نطقت فإنما
يبدى الرجال من المستور المنطق

وقال آخر:

احفظ لسانك أيها الإنسان
لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تخاف لسانه الأقران

الوقت هو العمر

الوقت أنفس ما عُنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

ويحك يا جبير

عندما فتحت «قبرص» وحملت الغنائم إلى المدينة رأى الناس أبا الدرداء يبكي، فدهشوا، فتقدم جبير بن نفير، وسأل أبا الدرداء - رضى الله عنه - ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فأجاب أبو الدرداء: ويحك يا جبير!! ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، فهذه أمة تركت أمر الله، فصارت إلى ما ترى.(1)

حقا

قال الحسن البصرى - رضى الله عنه: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولاتدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون.

عظة شعرية

مر عابد براهب في صومعة، فقال له: عظني، قال أعظك، وعليكم نزل القرآن، ونبيكم محمد قريب العهد بكم؟!

قال العابد: نعم.

قال: فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية:

تجرد من الدنيا فإنك إنما
وقعت إلى الدنيا وأنت مجرد

دعاء

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، إنك سميع الدعاء.

(1) أبو الدرداء والمسلمون في قمة الانتصار يشغله حال المنهزم.. فتأمل.



لحظات طيبات

مع الإمام عبدالله بن المبارك

للأستاذ / عادل خفاجة

قال محمد بن المثنى: سمعت عبدالرحمن بن مهدى يقول: ما رأت عيناى مثل أربعة: ما رأيت أحفظ للحديث من الثورى، ولا أشد تقشفا من شعبة، ولا أعقل من مالك، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك(1).

وقد اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك فقالوا عدوا خصال ابن المبارك فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشجاعة والشعر والفصاحة وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية وترك الكلام فيما لا يعنيه والإنصاف وقلة الخلاف على أصحابه(2).

نشأته

«نشأ ابن المبارك في أسرة متواضعة فقد كان أبوه أجيراً بسيطا يعمل حارساً لبستان أحد الأثرياء غير أن والده هذا كان سبب رخائه أورثه المال رذاذا، ثم صار على يده وابلاً ثجاجاً»(3).

إن المتأمل لهذا المال - الذى وصفه أستاذنا الكبير الدكتور رجب البيومي بأنه رذاذ - ليعلم أنه سبب الخير كله فقد اكتسبه «والده المبارك» بجد وجهد وكفاح وصبر فكان ثمرة يانعة مقنعة لرجل ورع، حريص على أداء حق العمل، فلم يرض إلا أن يشغل كل وقته في العمل تحريا للأجر الحلال. فلم يتطلع يوما للأكل من البستان، وهو ما يكتشفه صاحب البستان ويتعجب له.

(1) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي. (2) تذكرة الحفاظ جـ٦/٢٧٦.

(3) د.محمد رجب البيومي. أشواق العارفين. هدية مجلة الأزهر عدد رمضان ١٤٢٤هـ، ص٤٣.

«ففي إحدى زياراته طلب منه رمانة يأكلها، فجاءه بواحدة، فوجدها حامضة لم تنضج، فرماها، وطلب منه أخرى، فكانت كذلك فغضب، وصاح: أما تعرف الناضج من غيره؟ تظل هذا العمر معي ولا تستطيع أن تقدم أحسن ما لديك؟!

فقال مبارك- صادقا-: وكيف أعرف وأنا لم أذق شيئاً منه!!

فتعجب صاحب البستان، وقال: ألا تتمتع ببعض ما هو تحت يديك؟!

قال مبارك: لم تأذن لي في ذلك.. فكيف أستحل ما ليس لي؟!

سكت الرجل مندهشاً وقال له: فقد أذنت، من الآن فكل!»[4].

من هنا نعرف لأى أب ينتمي عبدالله، إنه ينتمي لأب صالح.. ولصلاح الأب جائزة عظمى يجدها عند لقاء ربه، ويبقى أثرها في الأبناء!!

وهو ما نجده في القصص القرآني الحكيم من قصة الغلامين اليتيمين قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾

الكهف / ٨٢

فكان صلاح الأب سبباً في استخراج الكنز وكذلك كان الحال مع عبدالله بن المبارك، فسنة الله لا تتخلف، كان الأب صالحاً فاستخرج عبدالله كنزاً تمثل في مال صار على يديه وابلا ثجاجاً، وحصّل علما وأدباً وفقها مازالت تتوارثه الأجيال!

رحلاته في طلب العلم

ارتحل ابن المبارك إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق والجزيرة، وخراسان[5].

لقد أثمرت رحلات ابن المبارك، لأنه قد ارتسم لنفسه منهاجاً يسير عليه، فلم يكن همه من ارتحاله جمع العلم مهما كان مصدره بل كان التحقق من مصدره أساس منهجه، فقد سأله أبو إسحاق قائلا: «يا أبا عبدالرحمن الحديث الذي جاء إن من البر بعد البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك فقال عبدالله: يا أبا إسحاق عن من هذا؟ قال: قلت: هذا من حديث شهاب بن خراش. قال: ثقة عن من قال؟ قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة قال: عن من؟ قلت: قال رسول الله ﷺ.. قال: يا أبا إسحاق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ولكن ليس في الصدقة اختلاف»[6].

فهو حين يتوقف أمام هذا الحديث، لا ينكر ما فيه من البر إلا أنه لا ينسب الحديث إلى النبي مادام لم يتوفر لديه السند إلى رسول الله وإن كان الحجاج ثقة!!

(٤) المرجع السابق ص٥٣.
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي.
(٦) تهذيب الكمال ج١٦/٤٧٦.



منزلته عند الإمام مالك

لأجل هذه الدقة- التي توفرت لدى ابن المبارك، والتزم بها- كان اهتمام الإمام مالك به..

فقد روى عن يحيى بن يحيى الليثي قال: كنا عند مالك، فاستؤذن لعبد الله بن المبارك بالدخول فأذن له، فرأينا مالكا تزحزح له في مجلسه ثم أقعده بلصقه، وما رأيت مالكا تزحزح لأحد في مجلسه غيره، فكان القارىء يقرأ على مالك، فربما مر بشيء فيسأله مالك: ما مذهبكم في هذا؟ أو ما عندكم في هذا؟ فرأيت ابن المبارك يجاوبه، ثم قام فخرج، فأعجب مالك بأدبه، ثم قال لنا مالك: هذا ابن المبارك فقيه خراسان[7].

ولنا أن نستعيد ما قاله والي المدينة حين جاءه الإمام الشافعي يحمل كتاباً من والي مكة ليتمكن الشافعي من لقاء الإمام مالك.. حيث قال والي المدينة للشافعي «يا فتى لو كلفتني المشي من جوف المدينة راجلا حافياً كان أهون عليّ من المشي إلى باب مالك... وليتنا إذا ركبنا ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب»[8]. لنعلم من هذه المقارنة منزلة عبدالله بن المبارك عند الإمام مالك!!

أما منزلته عند ابن عيينة فهي شيء فوق ذلك كله حيث قال: «نظرت في أمر الصحابة فما رأيت لهم فضلاً على ابن المبارك إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه»[9].

طيب خلق وسعة علم

كان ابن المبارك رجلاً يحفظ حق أساتذته ويجل شيوخه.. فلم يكن يُحدِّث في وجود أحد منهم ولكن محبيه طلبوا ذلك في وجود حماد بن زيد وهو من هو في ذلك العصر فما عسى ابن المبارك أن يفعل؟!

يقول إسماعيل الخطبي: بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد، فقال أصحاب الحديث لحماد: سل أبا عبدالرحمن أن يحدثنا. فقال: يا أبا عبدالرحمن، تحدثهم؛ فإنهم قد سألوني؟ قال: سبحان الله، يا أبا إسماعيل، أحدث وأنت حاضر؟! فقال: أقسمت عليك لتفعلن. فقال: خذوا. حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد، فما حدث بحرف إلا عن حماد.

لقد وجد ابن المبارك نفسه أمام قسم حماد.. ولكن ما فعله يشهد له بسعة العلم ودماثة الخلق!!

وقد سُمع ابن المبارك يقول إعظاماً لقدر حماد بن زيد.

أيها الطالب علماً
ايت حماد بن زيد
فخذ العلم بحلم
ثم قيده بقيد

وإن كان شعره هذا يشهد بالعلم لحماد بن زيد، فقد أحسن عندما قال عن أبي حنيفة:

رأيت أبا حنيفة كل يوم
يزيد نبالة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه
إذا ما قال أهل الجور جورا

(٧) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
(٨) د. إبراهيم الفيومي، مجلة الأزهر عام ١٤٢٦هـ.
(٩) تهذيب الكمال جـ١٦/١٦.

لقد كان ابن المبارك خير من يعترف لأساتذته بالفضل وحسبه أن قال: «لولا أن الله - عز وجل - أغاثني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس»[10].

شجاعته

وكان من الشجاعة بالمكان الجهير، وله في ساحة الجهاد نوادر ذائعة، فقد كان في سرية بلاد الروم خرجت للاستطلاع لا للقتال، ففاجأتها قوة ضخمة من الأعداء، واصطف الفريقان ونهض فارس رومي يدعو للمبارزة وفقاً لما كان معهوداً إذ ذاك، فتقدم إليه بطل مسلم، فلم يستطع نزاله، وخر شهيداً، وتقدم ثان فكانت النتيجة هي النتيجة، وتخوف المسلمون وذعروا من رهبة هذا الصائل الفاتك. وغلا الدم في رأس ابن المبارك، فخف إليه، واشتد الصراع بين الفارسين، وكل منهما يبدي من أساليب الصيال ما في طوقه كرا وفرا، في واقعة شديدة، لم ير الناس أرهب منها! ثم حصلت المفاجأة حين طعن ابن المبارك غريمه طعنة أصابت منه مقتلا فسقط على الأرض، وكبر المسلمون، ورجع ابن المبارك إلى المسجد ليؤدي صلاة الشكر، والقوم يتساءلون: أبطل ميدان، أم بطل محراب[11].

ولعل هذه الحادثة هي التي أوحت إليه أن يرسل إلى أخيه الفضيل بن عياض برسالة يقول فيها:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

وفي الأبيات تضمين لحديث رسول الله ﷺ «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[12].

يقول إبراهيم بن أبي سكينة: فلقيت الفضيل في الحرم فلما قرأه (أي الخطاب) ذرفت عيناه، ثم قال: صدق أبا عبدالرحمن ونصح[13].

سخاؤه

أما عن سخائه فحدث ولا حرج، فمواقف سخائه كثيرة مبثوثة في كتب التراث نذكر منها:

ما رواه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، عن أبيه قال: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه[14].

ومنها أنه: جاء رجل إلى ابن المبارك، فسأله أن يقضي دينا عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبع مائة درهم، وإذا عبدالله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبدالله: إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضا قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي[15].

ولكثرة إنفاقه: عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أغنيناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم[16].

وفاته

قال الفسوي في «تاريخه»: سمعت الحسن ابن الربيع يقول: شهدت موت ابن المبارك، مات لعشر مضت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة ومات سحراً، ودفناه بهيت. ولبعض الفضلاء:

مررت بقبر ابن المبارك زائراً
فأوسعني وعظا وليس بناطق
وقد كنتُ بالعلم الذي في جوانحي
غنياً وبالشيب الذي في مفارقي
ولكن أرى الذكرى تنبه عاقلاً
إذا هي جاءت من رجال الحقائق

وعن عبدالرحمن بن عبيد الله يقول كنا عند الفضيل بن عياض فجاء فتى في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة فنعى إليه ابن المبارك فقال فضيل: «إنا لله وإنا إليه راجعون» أما إنه ما خلف بعده مثله[17].

(10) تهذيب الكمال جـ32/428.
(11) د محمد رجب البيومي - أشواق العارفين، ص60.
(12) سنن الترمذي جـ4/171، ومسند الإمام أحمد جـ2/505.
(13) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لابن تغري بردي.
(14، 15، 16) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
(17) تهذيب الكمال جـ16/17، تاريخ جرجان 1/280.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

العدالة
بين جورج بوش وسليمان بن عبدالملك

داخل محكمة عسكرية أمريكية بولاية كولورادو حدثت مفاجأة مدوية قدمت الدليل المادى الذى لا يمكن التشكيك فيه على أن المعركة التى خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية فى العراق ومازالت تخوضها هى معركة ذات طابع عنصرى فى المقام الأول.. معركة ضد العرب، وضد المسلمين.

انعقدت المحاكمة التى مثل أمامها ضابط أمريكى متهم بقتل قائد سلاح الطيران العراقى اللواء عبدالحميد موجوش خنقا بأن وضعه داخل كيس بلاستيكى محكم الغلق وجلس فوقه حتى لفظ أنفاسه الضابط الأمريكى القاتل اعترف بجريمته وقال إنها غلطة وبكى أمام هيئة المحلفين متوسلاً بعدم معاقبته حتى لا يؤثر هذا العقاب على معنويات الجنود الأمريكيين فى العراق!!

تأثرت هيئة المحلفين الأمريكية من دموع الضابط التى انهمرت بغزارة، فكان قرار القاضى الأمريكى بأن حكم على القاتل بغرامة مقدارها ٦٠٠٠ دولار أمريكى تخصم من راتبه على أقساط!! وإيقافه داخل المعسكر الحربى مدة ستين يوماً!!

تعالوا بنا نتخيل مواطنا عربيا مسلما ارتكب ذات الفعل وحُكم عليه بذات الحكم.

ماذا سيكون الموقف داخل جمعيات وهيئات حقوق الإنسان؟

ماذا سيكون الموقف فى الجمعية العامة للأمم المتحدة؟

ماذا سيكون الموقف فى مجلس الأمن الدولى؟

والآن تعالوا بنا لننظر إلى موقف مشابه حدث فى تاريخ أمتنا أيام كنا أمة مرهوبة الجانب يحسب لنا الجميع ألف حساب.

كانت الفتوحات الإسلامية قد بلغت أوج اتساعها حتى دخلت جيوش المسلمين الأراضى الهندية وسقطت مساحات كبيرة منها أمام قوات القائد العربى المسلم محمد بن القاسم الثقفى الذى قام بنفسه



يقتل أحد كبار ملوك الهند وهو «داهر» أثناء إحدى المعارك.

وسيق الأسرى إلى مدينة دمشق حاضرة الخلافة الأموية، وأمام الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك وقفت إحدى الأميرات من بنات الملك الهندى «داهر» تبكى مما تعرضت له من اغتصاب وحشى على يد القائد محمد بن القاسم الثقفى وجاءت بشهود من خدمها ووصيفاتها.

ولاشك أن السمعة التى التصقت بعم القائد محمد بن القاسم الثقفى قد كان لها دورها فى التأثير على تفكير سليمان بن عبدالملك فمحمد بن القاسم الثقفى هو ابن شقيق الحجاج بن يوسف الثقفى وكتب التاريخ حفظت العديد من جرائمه التى كان أشنعها على الإطلاق ضربه للكعبة الشريفة بالمنجنيق أثناء اعتصام عبدالله بن الزبير بها والذى ما لبث أن قتل على يد الحجاج ومثل بجسده أشنع تمثيل، كان لمثل هذه الأمور دورها ولاشك فى إقناع الخليفة سليمان بن عبدالملك بأن هذا الشبل من ذاك الأسد.

تماما مثلما فعل جورج بوش عندما اتهم الأمة الإسلامية كلها بالإرهاب ووصم الدين الإسلامى بالإرهاب لمجرد أن أسامة بن لادن يدين بالإسلام!!

نعود إلى سليمان بن عبدالملك الذى تملكه الغضب كل الغضب وهو يستمع إلى شكاية الأميرة الهندية وشهودها من بنى جنسها. ولعبت الوساوس فى نفس الخليفة من أنه إذا كان هذا هو حال القائد فما هو حال الجند أيعيثون بدورهم فسادا فى الأرض اقتداء بقائدهم؟! فى حين أن المسلمين ما وطئوا أرض الهند إلا من أجل القصاص من رجل أساء معاملة المسلمين على أرضه وطاردهم وألحق بهم كل صنوف الأذى والاضطهاد وهو الملك «داهر» أبسم الإسلام تنتهك الحرمات لتكون وصمة عار تلحق بالإسلام والمسلمين أبد الدهر؟! هكذا حدث الخليفة نفسه!!

استدعى الخليفة قائده الذى أسرع بالمثول أمامه ليجد نفسه متهما بجريمة بشعة لم يقترفها ولكن الخليفة أصر على عقاب قائده ليكون عبرة لغيره من القادة الذين قد تسول لهم أنفسهم ارتكاب ذات الفعل وضربت عُنق القائد محمد بن القاسم الثقفى أمام الخليفة، وأمام الأميرة الهندية التى ذهلت من هول ما رأت فلم يدر بخلدها أبداً أن رئيس الدولة سيستمع لشكايتها ويصدر قرارا رادعا فانهارت الأميرة واعترفت بأن اتهامها كان وليد حقد وانتقام من رجل أزال ملك أسرتها وقتل أباها، وأنه أبدا لم يقدم على اغتصابها لا هى ولا أية فتاة هندية وأن اتهامها له كان محض افتراء.

إنه مجرد مثال نسوقه للتدليل على أصالة معدن الإنسان المسلم ونقائه وسعيه للعدالة التى تحفظ للإنسان أى إنسان بغض النظر عن جنسه أو دينه حقه فى حياة حرة كريمة. نسوقه للمقارنة مع عدالة أولئك الذين يدعون لأنفسهم كل صفات الكمال ويلصقون بغيرهم كل ما عنّ لهم من اتهامات.

الشهيد اللواء عبد الحميد موجوش ما هو إلا فرد واحد من عدد من القتلى قد يصل إلى مليون قتيل فى افغانستان والعراق، وهى مجرد تكهنات، حيث يرفض السيد جورج بوش أن تقوم أى جهة بالحصول على أية معلومات تؤدى إلى معرفة العدد الحقيقى للقتلى لأن الحقيقة مفزعة ومرعبة، فعن أى عدل يتحدثون وعن أية ديمقراطية يهرفون؟!

أحمد تقى الدين



الإسلام والانفتاح الثقافى

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ: «السيد حسين العزازى» وكيل وزارة بالكهرباء والطاقة سابقاً، قال:

يشكل كتاب الله وسنة رسول الله دعوة للتدبر والاستبصار لاستخلاص المعانى واستيعاب الدروس ورحم الله العقاد إذ يقول «التفكير فريضة إسلامية» وقد حض الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والتماسه حيثما وجد وفى ذلك يقول:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[1].

«يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء»[2].

● ومن جملة هذه التوجيهات السامية استقر فى ضمير العلماء أن طلب العلم والسعى لتحصيله جهاد تهون لأجله الصعاب وتكرس الأسباب ويستحب فى المكان من خلال المطالعة الدءوبة والقراءة الرشيدة والبحث المستفيض أو بالانتقال للوقوف على الحال وصياغة المقال.

● ويحسب للمسلمين الأوائل أنهم أحسنوا اختيار العناصر الصالحة من حضارات أهل البلاد المفتوحة وأكملوا النقص فيها ثم أقاموا على هذا الأساس حضارة جديدة تميزت بطابعها العربى وبروحها الإسلامية الأصيلة التى ترتكز على قيم السماحة والسلام وفى ذلك يقول (ربنية جيبون): «لم يدرك كثير من الغربيين قيمة مااقتبسوه من الثقافة الإسلامية ولاتفقهوا حقيقة ما أخذوه من الحضارة العربية فى القرون الماضية». ويكمن السبب فى ازدهار الفكر الإسلامى انفتاحه على الفكر الإنسانى دون تزمت، ودون تعارض مع الثوابت الشرعية فالحكمة ضالتهم والإيمان عدتهم والثقة ومن كان هذا شأنه حالفه النجاح وأدرك الفلاح.

● ونظرة واعية لجهود السلف فى الجوانب العلمية والعلوم الإنسانية والمجالات الاستكشافية والفكر القارن تشير إلى سجل عامر بالعطاء منذ صدر الإسلام وصولاً للعصر الحديث ومن الكندى فيلسوف البصرة (٢٥٢ هـ) وابن رشد فيلسوف قرطبة (٥٩٥ هـ) إلى الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ – ١٨٣٤م) شيخ الأزهر والذى لم يقتصر تكوينه على علوم النقل بل جاوزها إلى المعارف العقلية وكان عالماً عاملاً ومفكراً مبدعاً فى علوم المنطق والطب والهندسة فى عصره وتولى تدريس العلوم العقلية فى الأزهر وشجع تلميذه النجيب الشيخ رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ – ١٨٧٣م) على الاحتكاك بفكر الغرب وسانده فى السفر إلى فرنسا إماماً للبعثة المصرية التى أوفدها محمد على باشا والى مصر ولمدة خمس سنوات من (١٨٢٦ حتى ١٨٣٤م) انفتح خلالها الشيخ رفاعة على فكر الآخر وتعلم لغته وأودع ذلك فى رسالة علمية باللغة الفرنسية عام

(١) الطبرانى فى «المعجم الكبير» ١٠/٢٤٠.

(٢) «كنز العمال» ١٠/١٦٣.



١٨٣٠م حواها كتابه (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز) والذى طبع بالعربية بالقاهرة عام ١٨٣٤ وكتب مقدمته الشيخ حسن العطار. وانبهار الشيخ رفاعة بالحياة الغربية لم يسلبه روحه الشرقية أو يمس قيمه الدينية بل كان يرى ويقارن ويرجو لأمته النهوض من كبوتها بما يقدمه من آراء وأفكار، ودعوته للاهتمام بنهج وأسلوب العالم المتقدم فى مجال الفنون والتربية واحترام دور المرأة ومكانتها فى بناء المجتمع وهو ماأورده فى كتابه (المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) عام ١٨٧٣.

● ولا شك أن الترجمة تعد جسراً لوصل الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقافات وجعلها فى متناول الأفهام فى كل مكان وكان الشيخ رفاعة الطهطاوى رائداً فى هذا المجال حيث أشرف على إنشاء مدرسة الألسن لتخريج كوادر قادرة على نشر الدعوة الإسلامية والإلمام بثقافة العالم وبذلك يتجلى دور علماء الإسلام عبر كافة العصور فى الانفتاح على ثقافة العالم وإثرائها والإضافة إليها نفاذاً للعقول بالطرح المقبول والفكر المصقول الذى يستمد مصداقيته وشفافيته من موسوعية الإسلام ويسره وصلاحيته دستوراً ومنهجاً لكل زمان ومكان.

طريق النجاة

ومن القارئ الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن – ناظر بمدرسة الأورمان بالدقى – كانت هذه الكلمة:

إن الإيمان هو طريق النجاة مما نحن فيه.. وبهذا قضى وحكم الله. قال تعالى:

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس/١٠٣

فإذا ما تخلف المسلمون عن اتباع كتابهم، والسير وراء هدى نبيهم، كانت النتيجة أن سلط الله عليهم من يبعث الرعب فى قلوبهم.

● والواقع يشهد بذلك فما كان لجيوش أوروبا أن تستولى على بيت المقدس وما وقع فى أيديهم من الإمارات العربية إلا عندما ضعف المسلمون فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وتصدعت أركان دولهم سياسياً واجتماعياً فقست القلوب، ودبت فى النفوس عوامل الأنانية والفرقة فكان لابد من دروس يمحص بها الله القلوب، وشدائد تصهر لتظهر المعادن على حقيقتها، ولعل المحن هى البوتقة التى تنصهر فيها النفوس قال تعالى:

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران/١٤٠

الشيخ محمد الخضر حسين

وعن فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق كانت تلك الأسطر التى كتبها الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد كتاب مصر ـ شربين ـ دقهلية، قال:

الشيخ محمد الخضر حسين

- ولد فى تونس سنة ١٨٧٦م، وتخرج فى جامعة الزيتونة بتونس ثم التحق بالأزهر ونال منه شهادة العالمية ثم عاد إلى تونس ليعين مدرسا بجامعة الزيتونة.
- أنشأ عدة مجلات مثل «السعادة العظمى» و«لواء الإسلام» و«نور الإسلام» ورأس تحريرها.
- عندما رأى الخلافة تحتضر قال قصيدته «بكاء على مجد ضائع» ومن أبياتها:

أدمى فؤادى أن أرى الـ أقلام ترسف فى قيود
وأرى سياسة أمتى فى قبضة الخصم العنيد

- عاد إلى مصر وتجنس بالجنسية المصرية وأنشأ جمعية «الهداية الإسلامية» وتولى رئاستها وتحرير مجلتها.
- عين شيخا للأزهر عام ١٩٥٢ ولمدة عامين وقدم استقالته لخلافه مع عبدالناصر بسبب إلغائه المحاكم الشرعية.
- وفى أثناء توليه مشيخة الأزهر طالب أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة بمساواة الجنسين فى الميراث فاتصل الشيخ الخضر بهم وأنذرهم إن لم يتراجعوا عن ذلك فإنه سيلبس كفنه ويستنفر الشعب لزلزلة الحكومة لاعتدائها على حكم من أحكام الله فكان له ما أراد.
- وكان من المؤيدين لاشتغال رجل الدين بالسياسة وكان يرى أن السياسة العادلة قوة للسلطان وأن الأمة لاتتقدم إلا بعلمائها، وكان يتنقل بين الأقطار منددا بالاستعمار عن طريق الخطابة في المساجد والكتابة فى الصحف والمجلات، وكان ينادى بضرورة نبذ الخلافات بين المسلمين من أجل الوقوف ضد الاستعمار.
- توفى سنة ١٩٥٨ فى القاهرة ودفن فى قبر صديقه أحمد تيمور.

***

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

الإرهاب.. والحرية

فى جريدة «الأهرام» كتب الأستاذ أنيس منصور قال:

نحن نعرف الإرهاب نحن نرى حولنا الدماء البريئة فى كل مكان.. ونستنكر كل ذلك ونصرخ ونلعن أنفسنا وغيرنا وبس!

فليكن.. فما هو الإرهاب؟ إن الأمم المتحدة لم تجد الجرأة على هذا التعريف، فمن المؤكد أننا جميعاً نرفض إراقة الدم البرئ، لكن المشكلة ليست الدم وإنما كلمة البرئ.. فالدماء فى فلسطين وفى إسرائيل.. وكل طرف يقول إن دماءه زكية وضحاياه أبرياء.. وتل أبيب ترى أن شعب فلسطين من الإرهابيين الذين يقتلون وينسفون مع أنهم يحررون أرضهم.. والفلسطينيون يرون أن قوات إسرائيل تضربهم براً وبحراً وجواً وعلى شاشات التليفزيون عدواناً إرهابياً وضد الإنسانية التى تحترم حياة الإنسان وحقه فى الحرية.. ويكون الإرهاب جريمة فردية.. ويكون جماعياً ويكون رسمياً ويكون دولياً.

فكما أننا لم نتفق على معنى الإرهاب لا نتفق أيضاً على معنى الحرية والحق والعدل وإذا كان التعريف للقانون هو أنه: حق تحميه قوة فكل هذه الكلمات ألغام وشراك خداعية وانتحارية.. فلا اتفاق أيضاً على معانى هذه الكلمات.. ثم من الذى يسأل ويتساءل.. إن كانت أمريكا فالمعنى مختلف عن الذى يقال فى فلسطين وفى العالم العربى.. أما إسرائيل فهى ترى عكس كل مايراه العالمان العربى والغربى.. وقد نجحت إسرائيل فى إقناع العالم بأن «الهولوكوست» أو الحريق الشامل لليهود فى أفران النازية حقيقة تاريخية وعار إنسانى ويجب أن يعرفه كل الناس وأن يدرسوه فى كتب

التاريخ وأن يرعبوا به العالم حتى لايتكرر. فإسرائيل قد بذلت جهوداً جبارة حتى جعلته حقيقة سوداء دموية مخيفة.. فهل ياترى تستطيع فلسطين الغليانة والعرب الذين لاتعرف لهم رأساً من قدمين أن يزلزلوا الضمير العالمى بما أصابهم فى الحروب الخمس مع إسرائيل.. إن العرب لم يفلحوا فى أن يجعلوا من حق الحياة لشعب فلسطين والعراق وأفغانستان.. بدهية دستورية وسياسية وإنسانية.

ويريحنا جداً أن نلعن الدنيا كلها ولانلعن ضعفنا وتفككنا وجهلنا!

حقيقة النوايا الأمريكية فى العراق

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة التى نشرتها جريدة «الأخبار» فى زاوية «كلمة اليوم»:

تحدث الرئيس الأمريكى جورج بوش فى آخر خطاباته عن توقعاته باستمرار القتال بدرجة أعنف فى العراق خلال العام الحالى. وبذلك تكون الرسالة واضحة إلى العراق والمنطقة، ومفادها أن عليها الانتظار طويلاً قبل أن تنعم بالانفراج. كما يشير حديث بوش إلى أن مانردد عن قرب انسحاب عسكرى أمريكى، لايعدو كونه مجرد إشاعة تم تسريبها والترويج لها عمداً لتخفيف الاعتراضات المتزايدة فى الكونجرس ووسائل الإعلام الأمريكية، على مجرى الحرب وتصاعد تكلفتها.. والحقيقة أن كلام الرئيس الأمريكى فيه أكثر من اعتراف، فهو إقرار ضمنى بأن الحالة الأمنية فى العراق استعصت على الاحتواء والحل.. العمليات صارت أكثر دموية وشراسة.. وربما أدرك بوش، من تجربة سنوات الاحتلال، ان الوعود الوردية ورفع درجة التفاؤل، تكون تكلفتها السياسية عالية إذا تعثرت ترجمتها على الأرض. لذلك تحدث عن «قتال عنيف» وعن «مزيد من التضحيات» حتى تحقيق النصر الكامل فى العراق.

والرئيس بوش يبدو أنه لايريد إدراك أن مثل هذا التأكيد لجأ إليه أحد أسلافه، فى ظروف مشابهة، لكنه اضطر إلى بلعه والتراجع عنه، حيث ردد الرئيس جونسون نفس هذا الكلام أيام حرب فيتنام وفى النهاية حدث العكس وخرجت القوات الأمريكية تجر أذيال الهزيمة.

وتجدر الإشارة إلى أن بوش كان قد عقد لقاء موسعاً مع العديد من وزراء الخارجية والدفاع السابقين، وسمع انتقادات لاذعة لكنه كان مصراً على رفض اللجوء إلى خيار الهرولة، على اعتبار أن الولايات المتحدة لايمكن أن تخرج من العراق هرباً أو مهزومة.

كذلك جاء كلامه بعد صدور تقرير مستقل حمل أرقاماً مخيفة- ٢ تريليون دولار- حول التكلفة المحتملة لحرب العراق.

غير أن السوابق والأرقام، مع الاعتراف بالتعثر وبضراوة المعركة، لم تثن الرئيس الأمريكى عن المضى فى نهجه ورفض أى صيغة من صيغ البحث عن حل لمعضلة بلاده فى العراق وعلى رأسها بالطبع خفض القوات الأمريكية تمهيداً لانسحابها الكامل من أرض العراق.

وفى نفس الوقت، تتزايد النقمة على الحرب فى الشارع الأمريكى وفى مجلس الشيوخ والنواب، وهو مايعنى أن بوش سوف يكون على موعد متجدد مع الانتقادات والاتهامات.

الإعلام الإسلامى

وفى جريدة «عقيدتى» الصادرة فى ٢٠٠٦/١/١٣ كتب الأستاذ إبراهيم نصر متناولاً دور الإعلام الإسلامى فى المرحلة الراهنة، قال:

الإعلام الإسلامى- على قلته وضعفه- مطالب الآن أكثر من أى وقت مضى أن ينتقى القضايا التى يتناولها ويركز على موضوعات بعينها يحافظ بها فى المقام الأول على الثوابت التى تحاول كل وسائل الإعلام الأخرى- تقريباً- تذويبها أو تفريغها من مضمونها أو جعلها- كغيرها من القضايا- يمكن مناقشتها أو تعديلها أو الحذف منها أو الإضافة إليها. كما حدث ويحدث بين الحين والآخر من حديث «أحرق» عن المواريث فى الإسلام مثلاً، ونجد متبجحة تطلب فى غير مواربة أن قضايا المواريث يمكن مراجعتها وإعادة النظر فى توزيع الأنصبة!! وهذا الكلام يسمح بإذاعته للأسف فى برامج تبثها فضائيات وأحياناً أرضيات، وفى الغالب لاتعطى الفرصة للعالم المتخصص أن يلقم هذه الدعاوى الباطلة حجراً أو يكون الضعيف أصلاً ليس على مستوى الرد على مثل هذه القضايا رغم أن الرد عليها لايحتاج أكثر من طالب أزهرى يحفظ آيات المواريث جيداً.

إن الإعلام الإسلامى تقع على عاتقه مسئولية ضخمة فى ظل ظروف بالغة السوء حيث تصدر كل يوم صحيفة ويتم افتتاح قناة فضائية لاعلاقة لها بالإسلام إن لم تكن موجهة أصلاً ضد الإسلام.

ليس مطلوباً إذن من الصحيفة الإسلامية أو الإعلام الإسلامى على وجه العموم أن يتفرغ لملاحقة ماتبثه أجهزة الإعلام الأخرى بقدر ما هو مطلوب منه الحفاظ على عقيدة المسلم سليمة من الشرك والأعمال خالصة من الرياء، والهوية الإسلامية بعيدة عن التغريب والتشويه.

أعتقد أن هذه مهام ليست بسيطة أو سهلة وإنما ممكنة بمزيد من الجهد والإخلاص من كل القائمين على أمر الإعلام الإسلامى ليس فى مصر وحدها وإنما فى كل مكان فى العالم..

خطر على دمشق

حول هذا الخطر كتبت مجلة الاهرام العربى فى كلمتها الأسبوعية فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/١/١٤ قالت فيها:

يبدو أن هناك دوائر إقليمية ودولية، ومحلية لبنانية ترغب فى حرب جديدة فى المنطقة، ومنذ اغتيال الشهيد رفيق الحريرى فى فبراير الماضى تعمل هذه الدوائر وفق منطلق الانتقام السياسى أكثر من منطق معرفة الذين ارتكبوا الجريمة وسط بيروت فى ١٤ من فبراير الماضى، وتقديمهم للعدالة.

ولعل استباق التحقيقات الدولية واتهام سوريا مباشرة وضع دمشق منذ البداية فى مرمى النيران، وجعلها تتصرف بعصبية وهذا الأمر كان مقصودا، ونجحت فيه الأطراف التى رسمت مسار الاغتيال، وكيف ستنتهى تداعياته الخطيرة على المنطقة.

فالسيد وليد جنبلاط الزعيم الدرزى البارز، ورئيس الحزب الاشتراكى اللبنانى لم يتوقف عن الهجوم على سوريا، وقد يكون الرجل معذورا، فهو يتذكر مصرع والده الزعيم كمال جنبلاط عام ٧٦ فى بيروت أثناء الحرب الأهلية السوداء، ويريد أن تنتهى سياسة التصفية من لبنان، ولكن من غير المتصور أن يطالب الولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل العسكرى فى سوريا، واحتلالها كما حدث فى العراق، فقد طالب بذلك صراحة فى حديث لصحيفة الواشنطن بوست الأمريكية الأسبوع الماضى، وحدد لإدارة بوش كيف تحرر لبنان من حزب الله، ومن سوريا معا، فى مفاجأة للمراقبين فى المنطقة، وهذا الأمر يعد خطيرا للغاية.

وكانت مفاجأة عبدالحليم خدام نائب الرئيس السورى السابق وعضو القيادة القومية فى حزب البعث العربى الاشتراكى على مدى سنوات واحدة من أخطر الحلقات فى حصار دمشق، فقد ركز الرجل على أن الرئيس السورى بشار الأسد لابد أن يكون المسئول المباشر عن اغتيال الحريرى، وبعد أن اتهم مجلس الشعب السورى خدام بالخيانة العظمى وطرده من كل مناصبه السياسية، والتلاسن حول فساده فى موضوع دفن النفايات النووية الغربية مقابل رشوة كبرى، عاد خدام وطالب بتغيير الأسد علانية، لتدخل المنطقة حزام الخطر من جديد.

من هذا المنطلق جاء التحرك المصرى فى أعلى مستوياته، فى السعودية وفرنسا، ليحذر من خطر الانزلاق إلى حرب جديدة تحت أدلة مزعومة فتنفجر المنطقة بالكامل، وقد رأينا ما جرى فى العراق، وما سيجرى فى المستقبل نتيجة هذه الحرب الظالمة فى الرافدين، وفى المنطقة بالكامل فالتداعيات لم تظهر بعد، وأى إضافة فوضوية جديدة ستقوض استقرار العالم وسيدخل فى نفق الكراهية المتبادلة.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

مرصد إسلامى لمتابعة ورصد الإسلاموفوبيا بالعالم

أعلنت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى عن إنشاء مرصد إسلامى لمتابعة ورصد ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وكراهية الإسلام والمسلمين وحملات تشويه الإسلام فى العالم أجمع. وذلك بسن قوانين لمحاربة الكراهية ضد الإسلام واتخاذ مواقف دولية صارمة تجاه دول أو منظمات تهاجم الإسلام والمسلمين والعمل على استصدار قرار لمنع «الإسلاموفوبيا» وقوانين عقابية للمروجين لكره الإسلام وتشويه صورته.

وأوضح مفوض أمين عام المنظمة للشئون الثقافية أن إقامة المرصد الإسلامى تأتى نتيجة للحاجة الملحة إلى دراسة ومواجهة مشاعر الكراهية ضد الإسلام والمسلمين وحملات تشويه الإسلام وأن المنظمة ستنتقل من خلال المرصد من الدفاع إلى الهجوم، حيث سيعمل على سن قوانين وأنظمة تنص على محاربة الكراهية ضد الإسلام.. فيما سيدور المحور الثانى عبر الأمم المتحدة، حيث ستطالبها المنظمة باتخاذ مواقف دولية صارمة تجاه دول أو منظمات تهاجم الإسلام والمسلمين وسيعمل القائمون على المرصد على استصدار قرار لمنع «الإسلاموفوبيا» وإصدار قوانين عقابية للمروجين لكره الإسلام وتشويه صورته.

دراسة بلجيكية تؤكد أن الحجاب يحافظ على أنوثة المرأة

أكد بحث بلجيكى أجرته مؤسسة المساواة على طلاب التعليم العالى من المسلمين بالمعاهد والجامعات البلجيكية أن ارتداء المسلمات للحجاب لا يأتى كمؤشر أو دليل خضوع المسلمات أو خنوعهم.

وأكد البحث أن المسلمات لا يرين فى الحجاب مانعا من الخروج للحياة فى حرية، بل يساعدهن من وجهة نظرهن على الاندماج فى الحياة العامة دون حرج كمسلمات، وأن الحجاب يحافظ على قيمتهن الأنثوية ويمنحهن الاحترام والثقة من المحيطين بهن.

وقال البحث إن مشاعر العنصرية التى تواجهها المسلمات المحجبات لا تؤثر عليهن، بل كثيرات منهن يزددن تشبثا بالحجاب لإثبات حقهن فى المساواة فى درجة المواطنة وعدم وجود فوارق بينهن وبين البلجيكيات، حتى وإن ارتدين غطاء للرأس.



اختبار إخلاص للمسلمين بألمانيا

حالة من الغضب تسود مسلمي ألمانيا بسبب القرار الذي اتخذته ولاية «بادن فورتمبرج» الألمانية بإخضاع المسلمين الراغبين في الحصول على الجنسية الألمانية لاختبار الإخلاص.. ويشتمل الاختبار على «ثلاثين سؤالاً شفويًا حول موضوعات مختلفة بما في ذلك تكافؤ الجنسية والرياضة في المؤسسات التعليمية وعن آرائهم في ثياب النساء وضرب الزوجات والمثلية الجنسية، الأمر الذي دفع رئيس المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا إلى رفع دعوى قضائية للطعن بعدم دستورية هذا القانون الذي تصر عليه ولاية «بادن فورتمبرج».

كما اعتبر مدير مركز الدراسات التركية بألمانيا هذه الخطوة من جانب مجلس وزراء ولاية «بادن» تفرقة دينية وعنصرية على أساس ديني، كما أنه يقدح في مدى استعداد المسلمين للتمتع بحق المواطنة.

على الجانب الآخر أعرب وزير الهجرة في ولاية «بادن فورتمبرج» الألمانية عن رفضه لإجراء أية اختبارات للمسلمين دون غيرهم، معتبرًا أن هذا الأمر يعد تصرفًا عنصريًا وغير لائق.. ويعتبر هذا الامتحان الذي وضعته الولاية وتعارضه كل القوى الإسلامية في ألمانيا بالإضافة إلى بعض الأحزاب هو الأول من نوعه في أوروبا.. هذا وتفرض ولاية بادن ثالث أكبر ولاية من حيث عدد السكان حظرًا على ارتداء المعلمات لأغطية الرأس في المدارس، ويعيش في ألمانيا قرابة ثلاثة ملايين مسلم غالبيتهم من الأتراك.

علاقة المسلم بجيرانه في النمسا

أقام منبر المسلمات النمساويات ندوة بمقر الأكاديمية الإسلامية بالعاصمة فيينا حضرها عدد من أعضاء المنبر والعديد من أبناء الجالية الإسلامية من السيدات والرجال، تناول فيها علاقة المسلم بجيرانه سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين على ضوء الأحكام القرآنية والسُّنَّة النبوية الشريفة.

وأكد المتحدثون والحضور على حق الجار الذي نصت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وضرورة التزام المسلم بهذه الأحكام.

واستعرضت الندوة أهلية المسلم للتعايش السلمي مع أصحاب الديانات الأخرى، وهي الأهلية المستمدة من النصوص الشرعية، وكذلك قدرة المسلم على العيش في أي مجتمع غربي مع إعلان إسلامه للآخرين، والاندماج في هذه المجتمعات دون الذوبان فيها أو فقد الهوية الثقافية الإسلامية.

أشارت الندوة إلى أهمية دور الأسرة والمؤسسات التعليمية والدينية في غرس بذور التعايش السلمي والتسامح من أجل مجتمع ينعم بالأمن والسلم الاجتماعي.

تهدف الندوة في الأساس إلى توضيح الموقف المتسامح للدين الإسلامي تجاه أصحاب الديانات الأخرى وخاصة إذا ما كانوا جيرانًا.



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي

الإمام الأكبر يستقبل وفدًا قضائيًا ألبانيًا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدًا قضائيًا من دولة ألبانيا وتأتي هذه الزيارة في إطار الدورات التدريبية التي يعقدها المركز القومي للدراسات القضائية بالتعاون مع وزارة الخارجية المصرية، حيث رحب فضيلته بالسادة أعضاء الوفد في مصر وأزهرها الشريف موضحًا أن العلاقات بين جمهورية مصر العربية وبين ألبانيا علاقات تاريخية وأخوية وثيقة.. وقد أوضح فضيلته أهمية العدل ومكانته السامية في الشريعة الإسلامية التي تقوم على العدل في الأقوال والأفعال وبين أن العدل أساس المُلْك، وبالعدل قامت السموات والأرض، وأمرتنا شريعة الإسلام أن نكون عادلين في أقوالنا وأفعالنا، وفي الأزهر الشريف كلية للشريعة والقانون يتخرج فيها عدد يعمل في القضاء يشاركون مع غيرهم من خريجي كليات الحقوق في الجامعات الأخرى في نشر العدل في الأمة لأن دعامة أي أمة هو القضاء الذي ترتكز عليه مقومات الدولة في الاستقرار الذي يؤدي إلى الرخاء والتقدم والرقي لأن القضاء هو صمام الأمن في كل أمة، وحينما تسود الأحكام العادلة يسود الأمن والأمان والاطمئنان، والعدل في الإسلام هو عدل مطلق بين الناس جميعًا، فيعطي كل إنسان حقه، يعطي للمسلم حقه ويعطي لغير المسلم حقه.

ثم شرح فضيلته نظام الدراسة بالأزهر الشريف ومناهجه التي تمتاز بالاعتدال والتوسط وحفظ القرآن والتوسع في علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية إلى جانب العلوم الأخرى التي تؤهل الطالب أو الطالبة للالتحاق بجامعة الأزهر الشريف في الكليات النظرية والكليات العملية المختلفة حسب تخصصه وحسب مجموعه.. وفي الأزهر الآن حوالي ٨٠٠٠ آلاف معهد أزهري حضانة وابتدائي وإعدادي وثانوي بنين وبنات، والكليات الأزهرية منتشرة في محافظات مصر وعددها يزيد على ٧٠ كلية ويدرس فيها الطلاب والطالبات على السواء، وقد أشاد فضيلته بالطلبة الألبان الذين يدرسون بالأزهر الشريف والذين أتموا دراستهم وعادوا إلى بلادهم يطبقون ما تعلموه وما درسوه في الأزهر الشريف وجامعته، ويعلمون أبناء بلادهم ويساعدون في نهضة بلادهم.



ويستقبل سفير الهند بالقاهرة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / جوبيسنا ثان سفير الهند بالقاهرة بمناسبة تسلمه العمل كسفير لبلاده، رحب فضيلته بسعادة السفير مشيداً بالصلة التاريخية بين مصر ودولة الهند منذ أمد بعيد، وقال: إن عدداً كبيراً من العلماء سافر إلى الهند وانتفع بحضارتها، وهناك أعداد كبيرة من أبناء الهند درسوا في الأزهر الشريف وعادوا إلى بلادهم ونقلوا ما تعلموه إلى إخوانهم وذويهم وأبنائهم، ويوجد بالأزهر الآن ٩٧ طالباً وطالبة من الهند يدرسون بالمعاهد وبكليات جامعة الأزهر الشريف وقد خصص الأزهر هذا العام ٣٢ منحة لطلبة الهند، وأكد فضيلته على أن الدولة العاقلة هي التي تعتبر جميع أبنائها متساوين في الحقوق والواجبات، وبالنسبة للعقائد فلكل إنسان عقيدته والذي يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل ـ، ونحن نتعاون مع دولة الهند الصديقة من خلال سفيرها بقلوب وعقول متفتحة، ونتمنى للسيد السفير إقامة طيبة في مصر وندعو الله أن يسدد خطاه في مهمته.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وقال: إنه جاء يلتمس النصح والإرشاد من فضيلة شيخ الأزهر في بداية عمله بمصر، وقال: إنه شاهد في مصر الآن تطورات مذهلة وتقدماً عظيماً في جميع المجالات مقارنة بما كانت عليه منذ ٢٤ عاماً، حيث كنت متواجداً بمصر في هذه الفترة، وذكر السيد السفير أن أول وزير للتعليم بالهند كان يدرس بالأزهر الشريف، وأن العديد من المسلمين يشغلون مناصب عليا في الهند، وأن الهند تعد من الدول الديمقراطية المتفتحة على العالم، والهند تحترم كافة الأديان وأن عدد المسلمين في الهند يمثل حوالي ١٥٠ مليون نسمة وهم شركاء فاعلون في المجتمع، وقال: إن هذه الزيارة تأتي في إطار دراسة مبدأ تبادل المنح في مختلف العلوم وتبادل الزيارات من أجل التعاون المشترك وخاصة مع الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر: التعقيم حرام شرعاً

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجموعة من المتخصصين في مجال السكان وتنظيم الأسرة بدول نيجيريا وأثيوبيا وباكستان وذلك في إطار الدورات التدريبية التي يعقدها معهد التدريب والبحوث بالإسكندرية التابع للجمعية المصرية للصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة وذلك بالتعاون مع برنامج الصحة الدولي بسانتا كروز بالولايات المتحدة الأمريكية، ويرافق الوفد الأستاذ / عبدالفتاح عبده نائب المدير التنفيذي للجمعية والأستاذة / نجوى سعد الدباح مديرة البرامج بالمعهد، وقد رحب فضيلته بالوفد وقال: إن الأديان السماوية أنزلها الله ـ عز وجل ـ لسعادة البشر ولهدايتهم إلى الصراط المستقيم، ولغرس المعاني الفاضلة، مؤكداً على أن الأولاد نعمة من الله ـ عز وجل ـ وهم أمانة في أيدي آبائهم ويجب على الآباء أن يرعوا هذه الأمانة حق رعايتها وأن يحسنوا تربيتهم دينياً وجسمياً وخلقياً وعلمياً، وأن يقدموا لهم ما هم في حاجة إليه من عناية مادية ومعنوية، ومعنى تنظيم الأسرة أن يتخذ



الزوجان باختيارهما واقتناعهما من الوسائل التي يروا أنها كفيلة بتباعد فترات الحمل، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان، يتفقان عليها فيما بينهما حتى تكون الرعاية كاملة وبدون عسر أو حرج أو احتياج غير كريم، وهناك فرق شاسع بين التنظيم والتحديد والتعقيم والإجهاض، وتحديد النسل بمعنى منعه منعاً مطلقاً حرام شرعاً ومثله التعقيم الذى هو بمعنى القضاء على النسل نهائياً، والإجهاض الذى هو قتل الجنين في بطن أمه أو إنزاله، فقد أجمع الفقهاء على حرمته، والرأى الأول والأخير في مسألة الإجهاض يقول به الطبيب الثقة، ولا يجوز إلا إذا كان في بقاء الجنين في بطن أمه ما يسبب هلاكاً للأم أو ضرراً بليغاً سيصيبها، والغرض من التنظيم تباعد فترات الحمل حتى تتم تربية الطفل تربية سليمة. ونحن نقول إن الكثرة الصالحة القوية مرحب بها، وهناك من الدول من يحب الكثرة لمضاعفة الإنتاج والتطوير وحرص الأفراد على أداء أعمالهم بهمة ونشاط وقوة، أما الذى يعتمد في حياته على غيره والكثرة هزيلة وضعيفة ومريضة وتحتاج إلى ضروريات الحياة، فالقلة خير منها.

الأطفال في الإسلام

● تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وبحضوره.. عقد بمركز مؤتمرات الأزهر الشريف ندوة تحت عنوان: «الأطفال في الإسلام رعيانهم وحمايتهم ونموهم» وهو الدليل الذى قدمه المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بالأزهر الشريف بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» حيث أكد فضيلته على أن إصدار دليل جديد لرعاية الأطفال والعناية بهم عمل جليل يبرز ما يقدمه الإسلام للأجيال المقبلة وأشار إلى أن الإسلام لم يترك شيئاً إلا ووضع له القواعد الشرعية والأخلاقية والإنسانية والروحية حتى يكمل بناء الإنسان الذى هو خليفة الله في الأرض.

وقال فضيلته: إن الأطفال هبة من الله ـ عز وجل ـ وأمانة في أعناقنا، وعلينا أن نحسن رعايتهم، والقواعد التي حددها الإسلام تكفل حقوق الطفل المشروعة في أسرته ومجتمعه، وأن إكرام الأبناء لا يأتي إلا بتربيتهم التربية الكريمة.

وقال: الدكتور / أحمد الطيب ـ رئيس جامعة الأزهر الشريف ـ: إن الإسلام سبق جميع الأديان في توضيح قيمة الأسرة وخطورتها كمؤسسة اجتماعية لأنه ينتقل عبرها كل التراث إلى الأبناء، فلا أمة بدون أسرة، وأحكام الأسرة في الإسلام وضعها المُشرِّع بإتقان، حيث حث الإسلام على الزواج ووقف ضد الحواجز التي تعوقه كالمغالاة في المهور والحواجز الجنسية والطبقية مؤكدا على أن الزواج عند المسلمين وبناء الإسرة هو نصف الدين، وفيما يتعلق بحماية الطفل، فإن التشريعات الإسلامية تطالعنا في دقة وثراء واهتمام بحقوق الطفل منذ كونه جنيناً ومروراً بفترة الرعاية والمصاحبة والتأديب والرشد والاعتماد على النفس، وقال: إن الإسلام نادى بالمساواة بين الوليد والوليدة في جميع الحقوق والواجبات، وحرم التفرقة والتمييز بينهم، فالمسلم طفل أو مراهق أو شاب محكوم بدائرتي الحلال والحرام بما يكلف به.



[Al-Qasas (The Narrative): 57]

The last plan the disbelievers of Quraysh resorted to, as regards the new religion, was to kill the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) so that they could uproot the message. That was when they realized that the message attracted many people not only from among their people but also from people living in other places, and thus, such a message could threaten their position. The chiefs of Quraysh gathered to decide on the matter of the Messenger. Some of them thought to imprison him to death while others thought to exile him. However, both opinions were rejected. A third opinion stated that he should be killed by a group of young, strong men of noble descent to be selected from all tribes, so the Messenger's blood would be dispersed among all tribes and thus Banu Abd Manaf (the Messenger's clan) could not avenge his death and would be satisfied by accepting the blood-money. They forgot that Allah would not let them succeed, as He said:

{And as the ones who have disbelieved were scheming to confine you, or kill you, or to drive you out, and they were scheming, and Allah was scheming; and Allah is The Most Charitable of schemers.}

[Al-Anfal (The Spoils = War Gains): 30]

While the conspirers were standing before the Messenger's house, carrying their swords in their hands awaiting the right time to effect their malicious plot, the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) had commanded Ali Ibn Abu Talib to sleep in his (i.e., the Messenger's) bed. The Messenger got out and passed through them, carrying a handful of dust which he threw on their heads, while reciting:



{And We have made before them[2] a barrier and behind them a barrier, (and) then we enveloped them, so they do not behold (the Truth).}

[Ya Sin: 9]

When leaving Mecca, the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) felt pain and he returned his face towards it and said, "O Mecca, you are the most beloved of Allah's countries to Him, and you are the most beloved country to me. Had your people not driven me out of you, I would not have moved." On that occasion, Jibril (Gabriel) revealed to him, from Allah, the Almighty, the noble verse that reads:

{And (similarly) which town that was more pervasive in power than your town which has driven you out have We caused to perish! So there was no vindicator for them.}

[Muhammad: 13]

The Messenger (may the blessings and peace be upon him) and his companion, Abu Bakr, proceeded in their way heading for the Cave of Thawr. During their way, Abu Bakr would sometimes take the lead and sometimes stay behind the Messenger. When the Messenger asked him why he did so, Abu Bakr answered him saying, "When I walk behind you I fear that something might harm you from the front, and when I walk in front of you I fear that something might harm you from the back.".

[2] Literally, between their hands.



*Lights on the Hegira
By: Dr. Mahmoud Imbaby

Allah, Exalted be He, sent Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) to humanity in order to call the people to worship Allah alone with no partner, purify the souls of the believers and establish unity among them, and elevate the Muslims above all material things. This is due to the fact that Allah, the Almighty, created and honored them, and assigned them a message in this life to undertake; the people should spread justice on earth and fill it with life.

It was expected that such a message would receive approval, but, unfortunately, the people would not consider that idealism; rather, they only paid attention to what was in their hands of wealth, rank and power. They feared that this message might deprive them of all that they had. That is why they did not want to undertake such a message. Not only that but they would stand against the one (i.e., Prophet Muhammad) who defended it though they had given him the name "the truthful and honest man." In addition, they would torture whosoever embraced the new religion and practice all the possible means, even those contradicting the nature and manners of the Arabs, such as generosity, manliness, etc. This did not stop at just torturing the new converts, but went far to plotting to kill the Messenger himself. Their argument was depicted in the Ever-Glorious Qur'an as:

> *{And they have said, "Decidedly (in case) we closely follow the guidance with you, we shall be snatched away from our land."}*

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.



find there a resort, will they listen to him? Will they listen to him while he is telling them to leave whatever ties them with their home? Will they listen to him while he is telling them that in case their enemies should prevent them from taking their property with them, they have to leave their possessions willingly? Will they listen to him while he is telling them that they shall face many dangers during their journey?"

I went on saying, "If a man tells his friends to do this, will they respond to him, despite his rank among them, or will it be hard for them to leave their home and property so they will lag behind?" My friend replied, "For me, if my father came to me and asked me to leave my country and immigrate to a country I know nothing about and take no money with me, I would not listen to him despite the fact that he is the dearest person to me." I said, "But when Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) asked his followers to immigrate to Medina, they responded to him willingly, though there were enjoying high ranks among their own people, and were wealthy people happy with what they would make of profits in their own land. They even preceded him to Medina as if they were going on a journey to a summer resort. Is that not astonishing?!" My friend said, "Yes, it is really astonishing."

I asked him again, "Could it happen that way?!" He thought for a moment and said, "By Allah, this could not be done except by a miracle, and the Hegira was one of the miracles of the honorable Messenger."



A Conversation on the Hegira...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

It happened once that I attended one of the seminars commemorating the Hegira event. In that seminar, numerous orators talked about the wonderful miracle of the Hegira. They did not come with anything new, for all that they said was known by most people.

There, a friend of mine noticed that I was not very happy, so he asked me, "O brother, the Hegira event is a very pleasant one, and those speaking about it are amongst the prominent scholars. The atmosphere is marvelous, so what is annoying you?" I said, "Because I have not heard anything new. I was expecting to hear something I never heard before." He said, "If you wish to hear something new about the Hegira, I can tell you that you will get nothing, for the historians, writers and orators have encompassed all that can be said or written, and keep repeating it since centuries." I said: "Ideas keep coming and thoughts are born. Since each one has his/her own voice and distinguishing features and views, he/she should have his/her own talk on such an occasion."

Hearing this, my friend smiled and said, "Suppose that you are one of those orating in that seminar, and the people wish that you give a speech on that event! What would you say?" My friend surprised me with that question as if he wanted to flabbergast me in a practical manner. I remembered that last night when I could not sleep, I tried to busy my mind by thinking in something and the nearest thing that came into my



mind was the Hegira event for it was its day of commemoration. It was as if Allah wanted me to explore ideas never passed my mind before. I remembered that and so I told my friend that I thought about one of the lessons of the Hegira last night, as if Allah, Exalted be He, wanted me to think about that event for He knew that a conversation would take place between us and He wanted me to avoid embarrassment.

My friend said, "You have filled me with desire to hear from you something other than those tackled in the seminar, such as the companionship of Abu Bakr, hiding in the cave of Thawr, the disappointment of Suraqah, the marvelous reception of the people of Medina to the great visitor." I said, "Listen brother, I was thinking quietly and all that I wanted was to explain, or at least try to explain, what needed to be explained. O brother, listen and do not interrupt me, listen till the end of the story, and when I finish, I shall listen to all your objections." My friend replied, "Go on please, I am all ears."

I began saying, "O brother, I have thought many times about the Hegira miracle, and I see it as a miraculous event that cannot take place in life except with Allah's support. This event would not have taken place except at the hand of a Messenger." My friend asked, "How?" I answered, "If a man, who is trusted by people, comes to his friends to tell them to leave their home, take nothing of their properties, and only take their little children and whoever obey them of their grown-up children, and immigrate to a country where they know no one and not sure whether they will

from other civilizations by its love for justice, abstention from injustice and wrongdoing, and spreading equity among the people. In support of this, the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "All people are equal like the teeth of the comb."

After the Hegira, the society led a sublime way of life that enhanced the ideals of humanity and stressed upon the feelings of brotherhood among the Muslims. In this respect, Allah, Glorified be He, says:

{Surely the believers are only brothers.}

[Al-Hujurat (The Apartments): 10]

The after-Hegira society adhered to the ideals and sublime principles that Islam called for. That society stuck to the rulings of the true religion (i.e., Islam) and followed the ethics of the Qur'an. It was a Hegira to victory, humane loftiness and virtuous civilization. How bad is the need of Muslims today to immigrate to Allah! They can immigrate to Allah through following what He ordered them with and keep away from that which He prohibited for them, especially discord, dissention, hypocrisy, immorality and being away from the morals of Islam. They should also return to the pillars and principles of faith, including kindness, communication, brotherhood and cooperation towards piety and righteousness.

The Muslims suffered tremendous afflictions during the last year of Hegira (1426) and their enemies would not stop giving pain to them. They should beware of their enemies, unite and stick to what Allah commanded them with; Allah, Exalted be He, said to the Muslims:

{And adhere firmly to the Rope[1] of Allah, altogether, and do not be disunited.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 103]

In this regard, Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) represented the Muslim nation as Allah wanted it to be; he said, "You see the believers as regards their being merciful among themselves and showing mutual love among themselves as that of one body; when any part of the body is not well then the whole body shares sleeplessness (insomnia) and fever with it."

There were people of distinction who shared the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) the hardships and burdens of the virtuous society after the Hegira. They sincerely cooperated to build the Muslim nation, through confronting all difficulties with faith and courage. Those people represented a high example of courage and self-denial, so they were able to overcome hard situations and keep themselves away from personal desires.

Hereupon, we should follow their example and face the distresses surrounding us the same as our predecessors did. We do not have a weapon in our hands with which we can deter our enemies, except our unity. We should also resort to Allah, the Almighty, and obey His commands, and take the following Noble Verse as a methodology in our life:

{In case you vindicate Allah, He will give you victory, and confirm your feet.} [Muhammad: 7]

[1] The Covenant of Allah; the Qur'an and Sunnah.

mercenaries equipped with different kinds of weaponry to spread corruption in the land and destroy the heritage of a nation of great civilization? Can we recall back what they have always been claiming regarding human rights and standing in the face of terrorism? Is what they do and practice everyday not amongst the most hideous acts of terrorism?! All the peace-loving people in these countries as well as in other countries have called to stop such brutal acts, but, unfortunately, their calls have been met by disregard. This happens everyday and all the world knows about it in television, radio and newspapers. This happens while the humanity of the world lies asleep.

Many of the peoples living in such hostile countries are not satisfied with the policy of their governments and always cry "stop shedding blood." Till when those imperialists shall pay no regard to the international agreements and human rights and forget about the slogans of democracy they have always been mouthing?! Till when the Security Council and all the international organizations will assume a passive attitude towards such crimes?! Such bodies maybe even supporting the wolves while tearing into the bodies of their helpless preys that have done nothing but saying, "Bear witness that we are Muslims."

[Al-Imran (The Household of Imran): 64]

Those enemies have depicted Islam as a terrifying monster, which their media always warn against. They even exhort their citizens to cooperate to terminate it. On the other hand, their victims can do nothing but crying and waiting for anyone among the killers, who have regained their consciousness and might prevent such destruction and mass killing from befalling them. This happens while the



Muslims everywhere are as if stricken with paralysis and fear so tranquility and happiness are felt no more.

In this connection, we should direct the Muslims' attention to an honorable occasion, namely the Hegira of Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Mecca to Medina. I wish they could learn something from its lessons and get to know the reality of the world in which they live! I wish they could remember the life their ancestors used to lead in a time when they were sticking firmly to the upright path of their Lord and His Messenger, and were willing to sacrifice their lives for what they believed in! Should we not follow in their footsteps, and unite so none can defeat us?

Every Muslim should know that the distinguishing feature of Islam is that it is a religion based on monotheism and universality of its Message. In this regard, Allah, Exalted and Glorified be He, said to His Messenger:

{And in no way have We sent you, except as a bearer of good tidings and a warner to the whole of mankind.}

[Saba' (Sheba): 28]

Allah, Exalted be He, says:

{Say, "O you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether.} [Al-A`raf (The Battlements): 158]
The Message of Islam calls to equality among humankind, brotherhood among the believers, justice among all people, the Muslims and non-Muslims, and pure worship devoted to Allah, the Lord of the worlds.

The Hegira was undertaken by a just Muslim nation that supported the right and truth for Allah's Sake. That nation was the daughter of a lofty civilization distinguished

AL-AZHAR MAGAZINE
Almuharram, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION
February, 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Hegira and the Present Situation of the Muslims...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

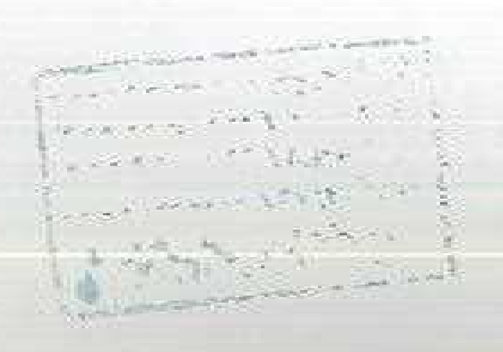
A Hegira year passed and a new year has begun while the Arabs and Muslims witness nothing but misery and sorrow. Bloodbaths remain the same or severer in Afghanistan, Iraq and Palestine. The enemies of Islam have succeeded in neutralizing the effect of the Islamic countries so they have become nothing but watchers. The Muslims feel the grief and sadness squeezing the lives of their Arab and Muslim brothers who commit no sin or misdeed.

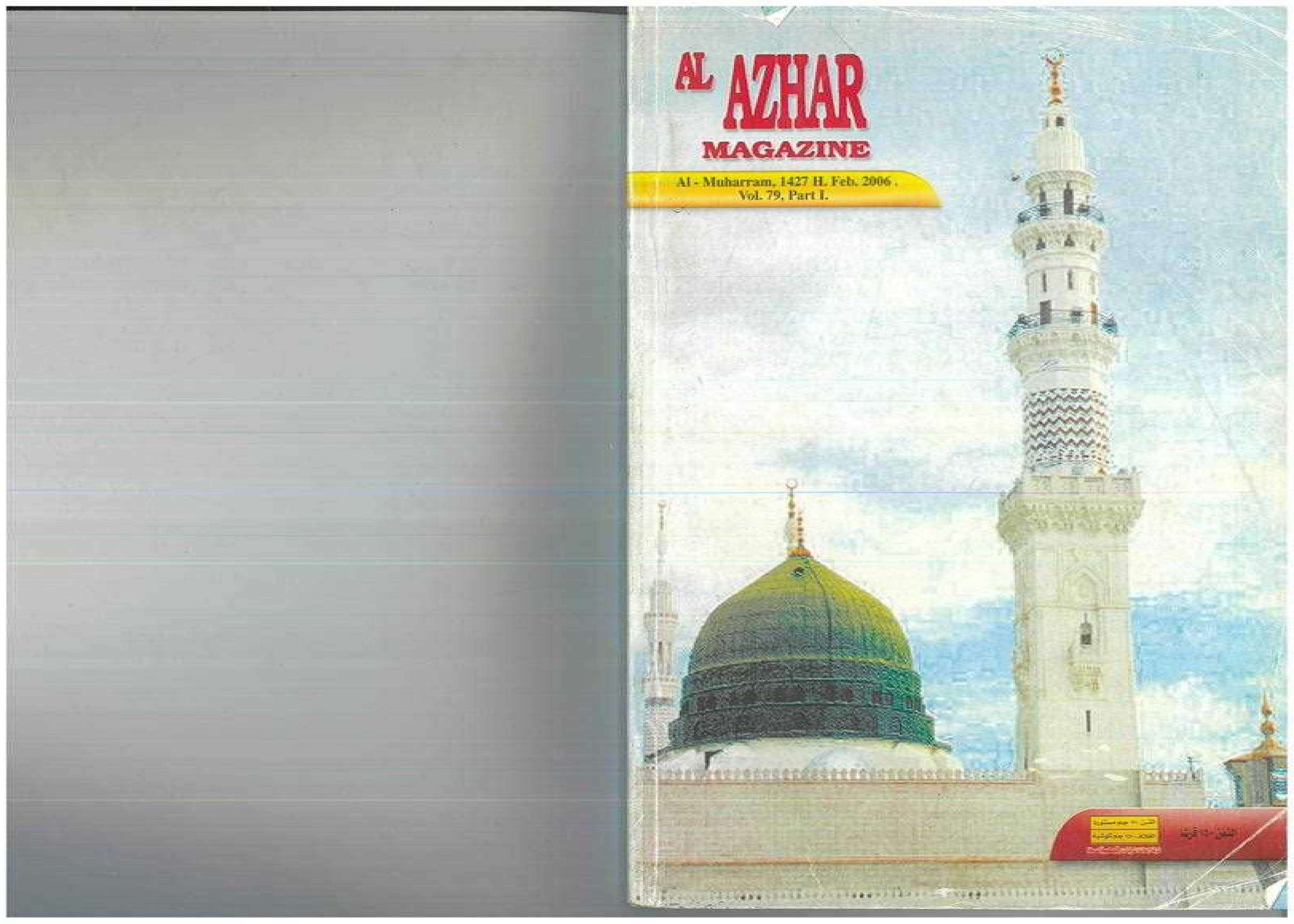
This is the present situation despite the fact that the Muslims, in general, possess the weapons and their treasuries are full in addition to the fact that every Muslim has the will to fight and repulse the enemies. Yet, the enemies have planned, since a long time, to make such weapons but cartoon when they come to face their weapons. Moreover, the enemies have planted dissention among the Muslims so no call can gather them and their blood will not boil when they see the enemy destroying houses over their Muslim inhabitants, including old people, sick women and babies. Those enemies have not felt any shame to use mass destruction weapons and destructive radioactive, phosphorous weapons. No Muslim journalist or reporter mentioned that news, but it was discovered by their own newspapers and news agencies, which substantiated their reports with decisive evidence of scattered bodies of Muslims whose features were completely obliterated by phosphorus.

Can we recall back the fabricated excuse because of which the imperialists amassed thousands of soldiers and



الفهـــــرس




AL AZHAR
MAGAZINE
Al - Muharram, 1427 H. Feb. 2006.
Vol. 79, Part I.



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
صفر ١٤٢٧هـ - مارس ٢٠٠٦ - الجزء ٢ ، السنة ٧٩

هدية العدد
ملاحظات علمية على كتاب
المسيح في الإسلام

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا



بسم الله الرحمن الرحيم





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م.نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

صفـــر ١٤٢٧هـ - مارس ٢٠٠٦م - الجزء الثانى - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

جريمة الاغتصاب تحتاج إلى عقوبة صارمة

تتوالى حوادث الاغتصاب الشنيعة على نحو يدعو إلى الحسرة والغيظ، وتكرر الصحف نشر أنبائها المزعجة وكأنها أخبار طبيعية لا نشاز فيها ولا عجب، ولم نر من رجال القانون والاجتماع من عقدوا الندوات لتشريح أسبابها، ووضع الطرق القانونية لتلافيها، لأن الأحكام التى تصدر فى هذه الجريمة الشنعاء فى حاجة إلى تعديل جوهرى يجعلها ذات حسم فى القضاء على هذا البلاء المريع، ومن أغرب ما تقع فيه الصحافة من أخطاء فى تناول هذه الظاهرة الأليمة أنها ترسل مندوبيها لاستطلاع آراء الجمهور، فلا يختارون ذوى الكفاية من رجال القانون والإصلاح الاجتماعى، والوعى الدينى، بل يسجلون كل كلام يُقال، ومن هؤلاء من يخلطون الحق بالباطل، فيزعمون أن الجريمة قد تكون مشتركة بين الجانى والمجنى عليها، ومن يزعمون أن العلاج أن يتزوج الجانى بالمغتصبة كى لا يحتقرها الناس، ومن يزعمون أن تعقد مسائل الزواج هى التى تدفع إلى هذا الجُرم، وصاحبه معذور، إلى آخر هذه الخزعبلات التافهة التى يجب أن يُصعق عليها بمجرد سماعها، لا أن تكتب وتسجل وتنشر على الناس، وليست الصحافة هى المنفردة وحدها فى هذا المجال فإن القنوات الفضائية قد أحدثت بدعة الاستماع إلى بعض العامة فيما يدور من النقاش، وقد يكون المتكلم شاذاً ضعيف الفكر فيأتى تليفونيا بما يستنكر، ويقابل بالشكر من مديرة الندوة التى لا ترتفع إلى المستوى اللائق، بدل أن تصحح أخطاء المتكلم، أو يتولى التصحيح أحد المنتدين، أذكر أن ندوة كانت تتحدث عن التطرف، ففوجىء المستمعون بمن يتحدث فيتهجم على الإمامين أحمد بن حنبل وابن تيمية وينسب لهما كل منكر، وكان من الواجب أن يوصد الحديث معه دون استرسال، ولكن صاحبة الندوة شكرته، ومن معها من المتحدثين لم يعقبوا بما يدفع الباطل، وهكذا تشترك الصحافة والتليفزيون فى بلبلة الأفكار، وبدل أن نهتدى إلى رأى صائب فى مثل مسألة الاغتصاب! نبحث عن التبرير ووجوه الاعتذار لمن؟ للمجرم الأثيم.



نريد تعديلا جوهريا وعقوبة رادعة

قلت إن الأحكام التى تصدر فى هذه الجريمة فى حاجة إلى تعديل جوهرى، لأن القضاة ملزمون بما لديهم من القوانين التى قد تكون مناسبة حين سنت فى زمان لم تنتشر فيه هذه المأساة على ما نراه الآن من ذيوعها المروّع، فإن شيوع الاغتصاب على هذا النحو المفزع يدعو المشرّع إلى النظر فى عقوبة رادعة تحد من هذا البلاء، وقد قرأت أن ثلاثة من المجرمين قد اغتصبوا فتاة مسكينة، وحُكم على كل منهم بثلاثة أعوام، والمضحك المبكى فى هذه المأساة، أن المحكوم عليهم قد فرحوا فرحاً شديداً بما جوزوا به، وقد قال أحدهم إنه سيجد الطعام والمأوى فى السجن، بدل أن يرهق نفسه فى العمل الكادح كى يقوّت نفسه! وهو قول لا يجب أن يمر هيناً دون نظر، فالمجرم الفاجر قد اعتبر الجريمة مغنماً لا مغرماً ومثله من العاطلين من يسمع هذا العبث البغيض، وقد ضاقت به سبل العيش، فيلجأ إلى الاغتصاب مُرحباً بعقوبته التى تتيح له القوت ثلاثة أعوام، وهنا تكون البطالة التى انتشرت على هذا النحو المفزع سبباً من أسباب الفجور، كما يكون الجزاء القانونى من الهوان بحيث يصبح نعمة لا نقمة فى رأى أوشاب فقدوا الكرامة الإنسانية، ولم يعد للرأى العام فى نظرهم أدنى اعتبار!

والذين يستنكرون حد الزنى فى الشريعة الإسلامية ويرونه قسوة فظيعة لا تناسب مدنية العصر، فى حاجة إلى أن ينظروا عاقبة السهولة المفرطة فى تخفيف العقوبات، وما أدى إليه هذا التخفيف من اللامبالاة! وأنا أرى أن عقوبة المغتصب لا تقف عند حد الزنا فقط بل تندرج فى عقوبة الفساد العام الذى قال الله فى شأنه:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة: ٣٣)

لأن المجرم المفسد الذى يهجم على المنزل، فينهب المال بسيف البغى، أقل خطراً من الذى يهجم على الفتاة المسكينة فيستل شرفها بطشاً وعدواناً، وكل رجل يهون لديه أن يفقد ماله، ولا يهون لديه أن يفقد عرض ابنته أو زوجته أو أخته!! وإذن فالنظر فى سن عقوبة رادعة ذات بطش وشدة هو أول ما يجب أن يقوم به المشرّع دفعاً صارماً لهذا البلاء!

الشاويش..و..خفير الدرك

إن جرائم الاغتصاب قد أحدثت فزعاً هائلاً فى المنازل، فكثير من الآنسات والسيدات وبخاصة ساكنات الضواحى فى العواصم المصرية لا يخرجن من المنازل بعد الغروب، وقد يكون الخروج



ضروريا، فتضطر الفتاة إلى أن تصحب أخاها أو والدها اتقاءً لشر يتوقع، والاستقرار النفسي في مثل هذا الجو لا يتم على وجه ما، وقد كان الشارع المصرى قبل هذا العهد الثورى لا يخلو من (الشاويش) الذى يقطعه رائحاً غاديا ليحفظ أسباب الأمن، كما أن (خفير الدرك) في الريف كان يقبع في الشارع ليليا، فإذا رأى شبحا قادما من بعيد، صاح (مين اللى جاى) وكان للشاويش المدنى، والخفير الريفى أثرهما فى ضبط الأمن، وتعقب اللصوص من ذوى الإجرام، وأنت تسأل عنهما الآن فلا تجد! بل تجد ما يؤلمك حين ترى الاهتمام بشخوص من الحكام يتقدمهم الحرس مباهاة، واستعلاء ولا من موجب لهذه الزفة غير التعاظم وإشباع الرغبات الصغيرة ثم انتقل الأمر إلى الأثرياء فأصبح لكل منهم حرس خاص دون موجب! أمّا الشارع المصرى فقد فقد الحارس الذى ظل يصحبه من عهد الاحتلال الإنجليزى حتى شاهدناه فى سنى الدراسة، ونحن نطالب الآن برجوع الشاويش والخفير كما كانا من قبل حفظاً للنظام كما يقول التعبير الإدارى! ولا شك أن وجودهما قد يمنع كثيرا من الجرائم! ولو وجد الشاويش فى الشارع ما اضطر كثير من الآباء أن يصحبوا بناتهم المدرسات حين يخرجن فى الساعة السادسة إلى المدارس حتى يركبن الأتوبيس آمنات! وقد يكون الأب شيخا يدب على العصا، ولكن خوفه يدعوه إلى التضحية والعناء!

ولا يخفى على الكثيرين أن نسبة هائلة من حوادث الاغتصاب لا يعلن عنها، إذ يؤثر ولى الأمر المسكين أن يتجنب ما يسميه بالفضيحة، ويعمل على مداواة الجرح قدر ما يستطيع، ويتحول المنزل إلى مأتم صامت، بل إن المأتم الخاص بالميت، يجد أصحابه التنفيس بالصراخ والبكاء، وتلقى العزاء، أما هذا المأتم فيربض على أصحابه وجوم قاتل، وتتساقط دموع الأب والأم، والضحية، وكأنها نيران تلذع الخدود، ومن يعرف من أقرب الخلصاء يأتى ليشارك فى الصمت والبكاء! فكيف تهوى بنا الحياة إلى هذا الشقاء.

حـــل خاطـــىء

وبعض ضباط الشرطة بنيّة طيبة، وسعى برىء، حين يجد المجرم ذا قدرة على الكسب، ويستطيع أن يعول زوجة، وينفق على منزل، يرى أن يُعالج الجانى سُوء ما ارتكب، فيقترح عليه أن يعقد قرانه بالضحية، كما يقترح على الأب المتأزم أن يرضى بهذا الوضع، فإذا تم ذلك أوصد المحضر، فلا ينتهى الأمر للنيابة، وهذا الحل خاطىء مخطىء تماما، لأن الجانى برضاه السريع يحاول أن يفلت من العقاب، ويراها حيلة تنقذه قبل أن تنقذ مستقبل الضحية المسكينة، ومثله فى انحدار خلقه الذى دفعه بدءاً إلى هذا الشر الوبىء لن يرعى حرمة الزوجية، فسرعان ما يتنمّر بالزوجة، ويحتسبها مجرمة وهو الذى أوقع بها الشر لعجزها عن دفعه، وآفة الآفات أن تنعكس الأوضاع فيتحول المجرم الحقيقى فى نظر نفسه إلى شهم ذى تضحية يتحمل عبئاً فُرض عليه، وولى الأمر فى ساعة ضعف يقع فى حيرة تضطره اضطرارا إلى قبول ما



يشق على نفسه درءاً لألسنة الناس! وما أقسى هذه الألسنة التى تتلذذ بإذاعة الفاحشة ولا ترحم الجناح الكسير حين تفترض افتراضات بغيضة تحيك الأوهام، وهذا بعض ما عناه الله عز وجل حين قال:

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾

(النور: ١٦)

فليتأكد كل من يحاول أن يرأب الصدع بهذا الزواج المتعجل، أنه لم يرأب صدعاً، بل عمل على اتساع الهوة مستقبلا، وأن الخير كل الخير فى أن يلاقى الآثم عقابه، ويكون عبرة واضحة لمن يحاول أن تزل قدمه فى هذه الوهدة السوداء، وأنا أثق جيداً أن الزوجة حين توافق مرغمة على هذا الاقتراح إنما تحاول النجاة من مأزق ارتطمت فيه، وهى فى أعماقها تكن من الغل الحاقد ما يشتعل نارا فى أعماقها، كراهةً لهذا الوحش الذى افترسها معنويا، فقضى على آمالها الزاهية فى مستقبل كريم وبيت سعيد بنى على تقوى من الله ورضوان، ولم يتأسس على شفا جرف هار، وقد يكون هذا الحل مقبولا إذا كان الأمر فى مبدئه يمثل زناً برضا الطرفين، حين تفقد الأعصاب اتزانها، فتحدث الجريمة ثم يتضح هولها بعد التنفيذ، فيكون الزواج العاجل حلاً ضرورياً وكلمة ضرورى هنا تعطى الكثير من المعانى المستترة التى لو تكشفت لعبّرت عن ألم مرير..

فتوى للدكتور نصر فريد واصل

ولى أن أتعرض بعد هذا الطواف السريع بالمأساة الأليمة، إلى أمر هام خاض فيه الخائضون دون اتئاد، وهو الحديث عن (العذرية) التى يقوم بها بعض الأطباء لهذه المسكينة لتعيد البكارة المنتهكة إلى من ساءها الحظ بفقدها عن طريق الإكراه، فقد وُجه سؤال بشأنها إلى صديقى الكبير الدكتور نصر فريد واصل المفتى الأسبق للجمهورية فأفتى بإباحة استكمال العذرية من جديد على يد طبيب موثوق فى أمانته وخلقه، وصادف أن كنت جالساً بجواره فى مجمع البحوث الإسلامية عقب ذيوع هذه الفتوى فأيدته تأييدا قويا. لأن الرجل الحصيف قدر ملابسات الجريمة الشنعاء، وما نزل بالضحية المسكينة من هول لا طاقة لها باحتماله، فرأى أن يبرىء جراح هذه المنكوبة، فيهدىء من روعها بإباحة ما يحفظ عليها كرامتها، ويصون ماء وجهها أمام بلوى فادحة لم تكن مختارة فى حدوثها ثم كَتبت بجريدة (صوت الأزهر) مقالاً بهذا الشأن قلت فيه: «إنه اهتدى بروح الإسلام الداعية إلى وجوب ستر المآثم، وحجب العورات مواراة للفضائح التى يُولع السفلة بترديدها، ورسول الإسلام ﷺ يقول: «من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[1].

---

(١) صحيح مسلم ج٤/١٩٩٦، كتاب البر والصلة والآداب، ط دار إحياء الكتب العربية.

كما أن الذين يحبّون أن تذيع الفاحشة يجدون لذاذة بغيضة فى إذاعة ما أمر الله بستره، وليست إذاعة الفاحشة سوى سهام يتكرر تسديدها دون رحمة بإنسان مفجوع، وما كنت أظن مفكراً من ذوى الخلق الاجتماعى الرصين يُبيح لنفسه أن يجهر بمعارضة الفتوى، ويشتد فى المعارضة وكأنه أمام رأى شديد الخطورة سيحدث زلزالا فى دنيا الأخلاق، وكل الأدلة الموهومة التى تشدّق بها هؤلاء المفكرون -وهم أكثر من واحد- أن العذرية فى صميمها نوعٌ من الغش والتدليس لأنه يخالف الواقع وفيه تغرير بالزوج القادم الذى يعتقد عذرية زوجته وهى فى واقعها غير ذلك، وقد نَسى هؤلاء أن لكل حكم من الأحكام الجائزة فى الغالب الأعم منافع كثيرة، مع مآخذ يتجاوز عنها، نظراً لما يُرجى من نفع يهون لديه كل مأخذ، فإذا أباح الشارع للمضطر أن يأكل الميتة حفظا لحياته، فلن يقول قائل أن الميتة ذات جراثيم ضارة، وقد تودى بحياة الآكل فلا يجوز أن يأكلها، وإذا أباح الشارع الفطر للمسافر فى رمضان، فلن يقول قائل إن فى ذلك استهانة بالشهر الكريم، وتشجيعا على العبث بفريضة الصوم، وهى من قواعد الإسلام الخمس، وهكذا يستطيع كل متسرع أن يجد منفذا يتعلل به مدّعيا أنه وحده صاحب الرأى الصحيح، وكان عليه أن يُوازن بين نفع كثير، وضرر قليل حرصاً على سعادة أسرة منكوبة داهمها القدر الفاجع بما لا طاقة لها باحتماله، فهى تتطلب النجاة من أيسر طريق.

المسلم للمسلم كالبنيان

وأذكر أنى قلت فى مقالى المشار إليه ما نصه «وأنا أسأل من يجاهر بتحريم هذا الحل الصائب المريح أن يفترض افتراضا أن هذا البلاء قد نزل بإحدى قريباته الدانيات، وأنه وجد نفسه أمام كارثة فادحة بين عشية وضحاها، بل أمام عُقدة معضلة من الممكن أن تحل ببعض الأعمال، أكان فى موقفه الضائق يميل إلى تحريم العذرية أم أن عواطفه الحميمة تدفعه إلى هذه العملية المنقذة، بل إلى استدعاء الطبيب الأمين فى أسرع وقت يتاح، كيلا يطول أمد المأساة ! إنى لأستحلف بالله هؤلاء الذين فتحت لهم الصحف أبوابها فصالوا فى غير مصال، وأبدوا من الغيرة الموهومة مالم يبدوه فى مواقف تتطلب الغيرة الحقيقية رعايةً لبعض الاعتبارات التى توجب فى رأيهم الانتحاء، استحلف بالله هؤلاء أن يفترضوا أن الكارثة قد حلت بساحتهم، فهل سيظلون متمسكين بما يرجمون، لقد جهلوا أن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وأن علينا جميعاً أن نقف مع المصاب المفجوع دون أن نتفنن فى وضع العراقيل !

ثم أنى أسأل من يتشدقون بمسألة التغرير بالزوج القادم، أسألهم عن أى خديعة تُستنكر فى ستر مأساة وقعت إكراهاً دون اختيار، قد يكون التغرير معقولاً إذا كان الفتاة متدنيّة عدة مرات فى سلوكها، وأنها اقترفت العمل عن طوع، وهى فى أتم حالات الرضا والقبول، ثم حاولت أن تستر



فجورها لتأخذ سمة العذراء، فى هذه الحالة قد يكون للتغرير معناه على أنى أخاف أن أفاجئ القارئ برأى قد يستنكره ولا يرتضيه، وهو أن الضعف الإنسانى لا يخلو منه أحد، إنما يتفاوت دائما قوة وضعفا، وقد تزل فتاة برضاها تحت تأثير خديعة إنسان عابث أوهمها بالزواج العاجل ثم نكص على عقبيه لدناءة فى سلوكه، هذه لا تقاس بالمبتذلة التى خلعت برقع الحياء أكثر من مرة، أما الأولى فإذا أدركها الندم اللاذع، ولجأت إلى «العذرية» فذلك أيضاً ستر كريم، والله يعفو عن كثير !

وأجابهُ المعترضين على فتوى الدكتور نصر فريد فأقول: أتريدون أن تبقى هذه المسكينة المغتصبة طيلة حياتها عانساً لا تجد الزوج؟ ! إنها لو لم تتدارك الأمر بهذه العذرية لكانَ ذلك موتاً معنويّا لها، ثم إن الذين يريدون إعلام الزّوج بما كانَ واهمون مخدوعون، لأنه إذا علم فلنْ يخلُو الأمر من شيئين، إما أن ينصرف عن المسكينة، وهذا هو المتوقع فتزدادُ حسرة وألماً، وإمّا أن يُوافق فيكون حادثها المشئوم نقطة ضعف تُحسب عليها، وتظل مهددة بتحقيره وازدرائه، ونحن فى عصر انتشرت فيه بواعث الخلاف بين الزوجين لأوهى الأسباب وكلاهما مُمتّع بحسن سلوكه، وطهارة ماضيه، فما ظنك بخلاف يقع -ولابد أن يقع- بين زوجة عاكسها الحظ، وزوج متعاظم يفكّر فى ماضيها قبل أن يفكر فى حاضرها المستقيم، وهو يُشعرها بما يجرح مشاعرها كناية وتعريضا، إنها فى هذه الحالة ستكون أسيرةً لا طليقة، ومقصّرة فى رأيه مهما أبدت من علائم الطاعة والإخلاص.

ندوات حقوق المرأة!!

ثم أنى أعجب من ندوات السيدات المشتغلات اليوم بما يسمى (حقوق المرأة) تلك الندوات المظهرية التى تتم للوجاهة الكاذبة فى أكثر دوراتها، وتعلن عنها الصحف وكأنها قامت بإنجاز حقيقى لا بادعاء مظهرى، هذه الندوات لم تتحدث أبداً عن مأساة الفتاة المغتصبة وما موقف المجتمع منها، وكيف يُردّ لها اعتبارها إذا أجبرت على ما تكره! وإنما اتجهت فى أكثر أمورها للمناصب البراقة والأمانى الخادعة، وقد قالت إحداهن فى بعض أحاديثها: إنها لاتهدأ حتى ترى كل امرأة جاهلة أو متعلمة تحمل بطاقة انتخاب، ولو رأت آلاف الفقيرات اللاتى لا ينلن رغيف الخبز إلا بعناء مرير، لقالت إنها لا تهدأ حتى ترى كل امرأة تحمل بطاقة تموين! ولعلها لم تر ضحايا الفقر من هؤلاء يبحثن فى القمامات عن لُقمة خبز لا عن بطاقة انتخاب !

نحن نريد للمرأة الأمن قبل كل شيء، الأمن إذا كانت خائفة. والطعام إذا كانت جائعة، والرحمة إذا كانت خادمة، والإنصاف إذا كانت عاملة، أما بطاقة الانتخاب، ومجالس النيابة والوزارة والقضاء، فهذا يأتى بعد الضروريات الملحة، وإلا فنحن نصنع الحذاء اللامع البراق لمقعد كسيح !

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

الآيات: ٩٣ : ٩٥

ذكر بعض المفسرين أن النبى ﷺ قال لليهود فى معرض مناقشته لهم: «أنا على ملة إبراهيم» فقال بعض اليهود: كيف تدعى ذلك وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها؟ فقال النبى ﷺ: «كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله» فقالوا: كل شئ أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله هذه الآيات تكذيبا لهم»[١].

والطعام: مصدر بمعنى الطعوم، والمراد به هنا كل ما يطعم ويؤكل.

وحلا: مصدر أيضا بمعنى حلالا، والمراد الإخبار عن أكل الطعام بكونه حلالا، لا نفس الطعام، لأن الحل كالحرمة مما لا يتعلق بالذوات.

وإسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ

(١) تفسير الآلوسى ج٤ ص٣ - بتصرف يسير.



عليهم الصلاة والسلام ـ.

والمعنى: كل أنواع الأطعمة كانت حلالا لبنى إسرائيل قبل نزول التوراة إلا شيئا واحدا كان محرما عليهم قبل نزولها وهو ما حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه، فإنهم حرموه على أنفسهم اقتداء به، فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها بعض الطيبات بسبب بغيهم وظلمهم.

هذا هو الحق الذى لا شك فيه، فإن جادلوك يا محمد فى هذه المسألة فقل لهم على سبيل التحدى: أحضروا التوراة فاقرءوها ليتبين الصادق منا من الكاذب، إن كنتم صادقين فى زعمكم أن ما حرمه الله عليكم فيها كان محرما على نوح وإبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام.

فالآية الكريمة قد تضمنت أمورا من أهمها:

● أولاً: إبطال حججهم فيما يتعلق بقضية النسخ، إذ زعموا أن النسخ محال، واتخذوا من كون النسخ مشروعا فى الإسلام ذريعة للطعن فى نبوة النبى ﷺ فدحض القرآن مدعاهم وألزمهم الحجة عن طريق كتابهم.

ولذا قال الإمام ابن كثير: الآية مشروع فى الرد على اليهود، وبيان بأن النسخ الذى أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع، فإن الله ـ تعالى ـ قد نص فى كتابهم التوراة أن نوحا ـ عليه السلام ـ لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل وألبانها فاتبعه بنوه فيما حرم على نفسه، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وبتحريم أشياء زيادة على ذلك ـ عقوبة لهم بسبب بغيهم وظلمهم وهذا هو النسخ بعينه»[٢].

وقد صرح ابن كثير وغيره من المفسرين أن ما حرمه إسرائيل على نفسه هو لحوم الإبل وألبانها، وبذلك جاءت بعض الروايات عن النبى ﷺ وكان تحريمه لها تعبدا وزهادة وقهرا للنفس طلبا لمرضاة الله ـ تعالى.

وقيل إن ما حرمه على نفسه هو العروق روى ذلك عن ابن عباس والضحاك والسدى موقوفا عليهم.

قالوا: كان يعتريه عرق النساء وهو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ويسبب آلاما شديدة ـ فنذر إن عوفى منه لا يأكل عرقا، فلما شفاه الله ترك أكل العروق وفاء بنذره.

ثانيا: تضمنت أيضا تكذيبهم فى دعواهم أن ما حرم عليهم لم يكن سبب تحريمه ظلمهم أو بغيهم، وإنما كان محرما على غيرهم ممن سبقهم من الأمم.

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: «وهو ـ أى ما اشتملت عليه الآية ـ رد على اليهود وتكذيب لهم، حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ (النساء/ ١٦٠)

وحيث أرادوا جحود ما غاظهم بسبب ما نطق به القرآن من أن تحريم الطيبات عليهم كان لأجل

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٢ - بتصرف وتلخيص.

بغيهم وظلمهم فقالوا: لسنا بأول من حرمت عليه هذه الأشياء، وما هو إلا تحريم قديم، كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا، إلى أن انتهى التحريم إلينا، فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا.

وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم الله عليهم نوعا من الطيبات عقوبة لهم»[٣].

● ثالثا: تضمنت الآية كذلك أمراً من الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ بأن يتحداهم بالتوراة ويبكتهم بما نطقت به، وذلك بقوله ـ تعالى ـ في الآية الكريمة

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم: مادمتم ـ يا معشر اليهود ـ قد زعمتم أن ما حرم عليكم بسبب بغيكم وظلمكم ليس تحريما حادثا، وإنما هو تحريم قديم على الأمم قبلكم، فها هي ذي التوراة قريبة منكم فأحضروها واتلوها بإمعان وتدبر إن كنتم صادقين في مدعاكم.

والتعبير بـ﴿ إِن ﴾ يشير إلى عدم صدقهم، لأنها تدل على الشك في الشرط.

أي: هم ليسوا صادقين فيما يزعمون، ولذلك لا يتلون ولا يقرؤون، ولو جاءوا بها لكانت مؤيدة لما أخبر به القرآن الكريم، ولذلك لم يجسروا على إخراج التوراة، وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي ﷺ.

وقوله:

﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾

مستثنى من اسم كان، والتقدير: كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه فإنه قد حرم عليهم في التوراة، وليس منه مازادوه من محرمات وادعوا صحة ذلك.

ثم توعدهم ـ سبحانه ـ على كذبهم وجحودهم فقال ـ تعالى ـ

﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

افترى: من الافتراء وهو اختلاق الكذب، وأصله من فرى الأديم إذا قطعه، لأن الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود.

أي: فمن تعمد الكذب على الله ـ تعالى ـ بأن زعم بأن ما حرمته التوراة على بني إسرائيل من الطاعم بسبب ظلمهم وبغيهم، كان محرما عليهم وعلى غيرهم قبل نزولها، فأولئك الذين قالوا هذا القول الكاذب هم المتناهون في الظلم: المتجاوزون للحدود التي شرعها الله ـ تعالى ـ، وسيعاقبهم ـ سبحانه ـ على هذا الظلم والافتراء عذاباً أليما لا مهرب لهم منه ولا نصير.

والفاء في قوله ﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ ﴾ للتفريع، و﴿ مَن ﴾ يحتمل أن تكون شرطية وأن تكون

(٣) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٨٥.

الأزهر

موصولة، وقد روعى في الآية الكريمة لفظها ومعناها.

وقوله ﴿ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ متعلق بافترى، واسم الإشارة ذلك يعود إلى أمرهم بإحضار التوراة وما يترتب عليه من قيام الحجة وظهور البينة.

واسم الإشارة «أولئك» يعود إلى ﴿ مَن ﴾ وهو عبارة عن هؤلاء اليهود الذين جادلوا النبي ﷺ بالباطل وافتروا على الله الكذب.

ويحتمل أن يكون المشار إليه وهو «من» عاما لكل كاذب ويدخل فيه اليهود دخولا أوليا.

وقد أكد الله ـ تعالى ـ وصفهم بالظلم بضمير الفصل الدال على أنهم كاملون فيه وموغلون في اقترافه والتمسك به.

ثم أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى اتباع ملة إبراهيم إن كانوا حقا يريدون اتباعها فقال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

أي: قل ـ يا محمد ـ لهؤلاء اليهود الذين جادلوك بالباطل ولكل من كان على شاكلتهم في الكذب والظلم، قل لهم جميعا: صدق الله فيما أخبرنا به في قوله ـ تعالى ـ

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾

وفي كل ما أخبرنا به في كتابه وعلى لسان رسوله وأنتم الكاذبون في دعواكم.

وإذا كنتم تريدون الوصول إلى الطريق القويم حقا ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ أي فاتبعوا ملة الإسلام التي عليها محمد ﷺ وعليها من آمن به، فهم المتبعون حقا لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وهم أولى الناس به، لأن إبراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما.

أي كان متجها إلى الحق لا ينحرف عنه إلى غيره من الأديان أو الأقوال أو الأفعال الباطلة.

وكان مسلما، أي كان مسلما وجهه لله، مفردا إياه بالعبادة والطاعة والخضوع ثم نفى الله ـ تعالى ـ عن إبراهيم كل لون من ألوان الشرك بأبلغ وجه فقال: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

أي ما كان إبراهيم في أي أمر من أموره من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى، وإنما كان مخلصا عبادته لله وحده.

وفي ذلك تعريض بشرك اليهود وغيرهم من أهل الكفر والضلال، وتنبيه إلى أن النبي ﷺ وأتباعه هم المتبعون حقا لإبراهيم، فقد أمر الله ـ محمداً ﷺ أن يسير على طريقة أبيه إبراهيم فقال:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

«النحل: ١٢٣»

وبذلك نرى أن الآيات الكريمة قد حكت قضية من القضايا الكثيرة التي جادل اليهود فيها النبي ﷺ، وقد لقنت الآيات النبي ﷺ الجواب الذي يخرس ألسنتهم، ويكشف عن كذبهم وافترائهم وظلمهم، ويرشدهم ويرشد كل من يتأتى له الخطاب إلى الملة القويمة إن كانوا حقا يريدون الاهتداء إلى الصراط المستقيم.

السنة

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارى فى صحيحه -كتاب الزكاة- أن حكيم بن حزام «رضى الله عنه» قال: (سألت رسول الله ﷺ، فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم قال: «يا حكيم ان هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذى يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى» قال حكيم: فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق، لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا. فكان أبوبكر «رضى الله عنه» يدعو حكيما إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه ثم إن عمر «رضى الله عنه» دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا فقال عمر: انى أشهدكم يامعشر المسلمين -على حكيم- أنى أعرض عليه حقه من هذا الفىء، فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفى).

التعريف بالراوى

هو حكيم بن حزام بن خويلد القرشى الأسدى ابن أخى أم المؤمنين خديجة «رضى الله عنها» وابن عم الزبير بن العوام «رضى الله عنه» ولد فى الكعبة وهو من مسلمة الفتح وكان من أشراف قريش ووجوهها فى الجاهلية والإسلام وكان من المؤلفة قلوبهم أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة بعير ثم حسن إسلامه وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف فى ذلك ولم يصنع شيئا من المعروف فى الجاهلية إلا وصنع فى الإسلام مثله وكان جوادا. روى عنه ابنه حزام، وابن المسيب، وابن سيرين، وغيرهم. عمى قبل موته ووصى إلى عبدالله بن الزبير «رضى الله عنهما» توفى سنة أربع وخمسين وقيل: سنة ثمان وخمسين عن مائة وعشرين عاما رضى الله عنه.

اللغويات

- المال: المراد به الدنيا، ولذلك أنث الخبر «خضرة حلوة».
- بسخاوة نفس: بغير شره، ولا إلحاح فالمراد: زهد النفس.
- بإشراف نفس: بتطلع إليه وذلة بسؤاله الناس.
- كالذى يأكل ولا يشبع: الذى يسمى جوعه كذابا، لأنه من علة به وسقم، فكلما أكل ازداد سقما، ولم يجد شبعا.
- اليد العليا: المعطية المنفقة، اليد السفلى: الآخذة.
- لا أرزأ أحدا: لا أصيب من ماله بالطلب منه، ولا أنقصه شيئا، ويؤيد ذلك رواية لإسحاق: «قلت: فوالله لا تكون يدى بعدك تحت يد من أيدى العرب» يقول ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى: «وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه لأنه خشى أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لايريده ففطمها عن ذلك وترك ما يريبه إلى ما لايريبه وإنما أشهد عليه عمر لأنه أراد ألا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه».

الشرح والبيان: أعطى النبى ﷺ حكيم ابن حزام رضى الله عنه دون ما أعطى أصحابه فقال حكيم: يارسول الله ما كنت أظن أن يقصر بى دون أحد من الناس فزاده ثم استزاده حتى رضى فأعطاه الرسول ﷺ درسا فى الزهد يحصل به خيرى الدنيا والآخرة وهو ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن وهو أن يقنع بما ساقه الله إليه من رزق فالقناعة بالقليل تغنى عن الكثير وفى الرضا بذلك الأجر الجزيل والخير العميم، لأن الله - سبحانه وتعالى - تكفل بأرزاق العباد ليكون الإنسان غنيا عن الحاجة والافتقار لمخلوق مثله وبالتالى لايحتاج ولايفتقر إلا إلى الله «وحده» قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

(فاطر : ١٥)

فيارب أغننا بالفقر إليك ولا تفقرنا بالاستغناء عنك .

مالي سوى فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك رب أضرع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رددت فأي باب أقرع

ألا وأنت القائل :

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

وقد ذكر الترمذى أن الأشعريين لما هاجروا وقدموا على رسول الله ﷺ وقد أرملوا من الزاد «نفد ما عندهم من طعام» أرسلوا رجلا منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(هود : ٦)

فقال الرجل : ما الأشعريون بأهون الدواب على الله ، فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ وقال لأصحابه : أبشروا أتاكم الغوث ولايظنون إلا أنه كلم رسول الله ﷺ فوعده فبينما هم كذلك أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة خبزا ولحما فأكلوا منها ماشاءوا ، ثم قال بعضهم لبعض : لو أننا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضي به حاجته فقالوا للرجلين : اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإنا قد قضينا منه حاجتنا ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ما رأينا طعاما أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به قال : ما أرسلت إليكم طعاما فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم . فسأله رسول الله ﷺ فأخبره ما صنع وما قال لهم ، فقال رسول الله ﷺ : «ذلك شيء رزقكموه الله» .. وصدق رب العالمين إذ يقول :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾

(الحجر : ٢١)

أى : حسب حاجات الخلق إليه فكل إنسان منا يأكل رزقه وليس فى استطاعته ولا فى إمكانه أن يأكل رزق غيره فالعجب كل العجب لهؤلاء الذين لايثقون فى الرزاق فيطلبون الرزق استعجالا بالطرق المحرمة غير المشروعة ومن ثم جاء قوله سبحانه :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

(الذاريات : ٢٢ : ٢٣)

ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول : «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه» .. أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن البصرى وقال : الأصمعى : أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بنى أصمع قال : أنت الأصمعى ؟ قلت : نعم . قال : ومن أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال : وللرحمن كلام يتلوه الآدميون ؟ ! قلت : نعم . قال : فاتل على منه شيئا ، فقرأت :

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾

(الذاريات : ١)

إلى قوله :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

(الذاريات : ٢٢)

فقال : يا أصمعى حسبك ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها وقال : أعنى على توزيعها ففرقناها على من أقبل وأدبر ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرحل وولى نحو البادية وهو يقول :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

فمقت نفسى ولمتها ثم حججت مع الرشيد فبينما أنا أطوف إذ أنا بصوت رقيق ، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى وهو ناحل مصفر فسلم علىّ وأخذ بيدى وقال : اتل على كلام الرحمن وأجلسنى من وراء المقام فقرأت :

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾

حتى قوله تعالى :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

فقال الأعرابى : لقد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ثم قال : هل غير هذا ؟ قلت : نعم «فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» فصاح الأعرابى وقال : ياسبحان الله ! من الذى أغضب الجليل حتى حلف ؟ ! ألم يصدقوه فى قوله حتى ألجاوه إلى اليمين قالها ثلاثا حتى خرجت بها نفسه ! ولذا كان رسول الله ﷺ يقول : «لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» [1] سطره القرطبى فى

(١) الأثر فى كتاب الكامل ج٦ / ٢٠٤٥ .

تفسيره عن أبي سعيد الخدرى «رضى الله عنه» فمن حل به فقر أو نزلت به ضائقة ولم يسأل مخلوقا وتوجه بحاجته إلى الله «سبحانه» وأخذ يعمل ويجتهد معتمدا على الله «سبحانه» تكفل الله بزيادة رزقه ووضع البركة في معاشه.

روى أبوداود والترمذى عن عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته أى: لم ينته فقره ويزداد احتياجا ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك أى: يسرع الله له برزق عاجل أو آجل».. هذا وقد نقل كعب الأحبار من التوراة هذا النص: «يا بن آدم لاتخافن من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى لاينفد أبدا. يا ابن آدم لاتخش من ضيق الرزق مادامت خزائنى ملآنة وخزائنى لاتنفد أبدا. يا بن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك فإن طلبتنى وجدتنى وإن أنست بغيرى فُتُّك وفاتك الخير كله، يابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وقسمت لك رزقك فلا تتعب وفى أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلاتجزع فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محبوبا، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البر، ولاينالك منها إلا ما قد قسمته لك وكنت عندى مذموما. يابن آدم خلقت السماوات السبع والأرضين السبع ولم أعى بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه لك من غير تعب؟! يابن آدم أنا لك محب، فبحقى عليك كن لى محبا، يابن آدم لاتطالبنى برزق غد، كما لم أطالبك بعمل غد فإنى لم أنس من عصانى، فكيف من أطاعنى وأنا على كل شىء قدير وبكل شىء محيط؟

هذا وقد أوحى الله - تعالى - إلى يوسف «عليه السلام» عندما ألقى فى غيابة الجب: انظر إلى الأرض فنظر إليها فانفجرت فرأى دودة علي صخرة ومعها الطعام فقال له: أتراني لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبى وابن نبى؟ وصدق رب العالمين إذ يقول فى كتابه الكريم:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

(الطلاق: ٢، ٣)

ولكن بعض الناس يحرمون أنفسهم من الرزق الحلال بما يصيبون من الحرام

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيىء له» رواه ابن أبى حاتم عن عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» ولقد دخل على بن أبى طالب «رضى الله عنه» المسجد وقال لرجل كان واقفا بباب المسجد: أمسك علىّ بغلتى وأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على «رضى الله عنه» وفى يده درهمان ليكافىء بهما الرجل على إمساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ثم دفع لغلامه درهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علىّ «رضى الله عنه»: «إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولايزداد على ما قدر له».

هذا وقد روى أن معروفا الكرخى صلى خلف إمام فلما فرغ الإمام من صلاته قال لمعروف: من أين تأكل؟ قال معروف للإمام: اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال: ولم؟ قال: لأن من شك فى رزقه شك فى خالقه.. ولقد روى ابن ماجة -واللفظ له- والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم -عن جابر «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم» وفى رواية «فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لاينال فضله بمعصيته» وأورد الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليس شىء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شىء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه. إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لاتموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله فإن الله لايدرك ما عنده إلا بطاعته».. وقد جاء فى الحديث القدسى عن الله تعالى: «ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بى إلا أعطيته قبل أن يسألنى واستجبت له قبل أن يدعونى وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دونى إلا أغلقت أبواب السماء عليه».

وقد روى أن رجلا أتى إبراهيم بن أدهم «رحمه الله» فقال: يا أبا إسحاق إنى مسرف على نفسى فاعرض علىّ مايكون لها زاجرا ومستنقذا. قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة قال:

هات يا أبا إسحاق. قال: أما الأولى فإنك إذا أردت أن تعصي الله «عز وجل» فلا تأكل رزقه. قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض رزقه؟! قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟! قال: لا، هات الثانية. قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئا من بلاده قال: هذه أعظم من الأولى ياهذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟! قال: أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟ قال: لا، هات الثالثة. قال: وإذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعا لايراك فيه فاعصه فيه قال: يا ابراهيم ما هذا وهو يطلع على ما في السرائر؟! قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به؟! قال: لا، هات الرابعة. قال: فإذا جاءك ملك الموت يقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله صالحا. قال: لايقبل مني! قال: ياهذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك ملك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن لك تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟! قال: هات الخامسة قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلاتذهب معهم. قال: فإنهم لايدعونني ولايقبلون مني! قال: فكيف ترجو النجاة إذاً؟! قال له: يا إبراهيم حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة والطاعة حتى فارق الدنيا «رحمه الله».

لهذا ولغير هذا ينبغي أن يتوجه كل إنسان منا بحاجته إلى خالقه ومولاه فهو ربنا ونحن عباده ونحن محتاجون إليه في كل وقت وفي كل حين ومن كان مع الله كان الله معه ومن اتصل بالله وصله الله ومن رغب عنه فلن يضر الله شيئا والله وليّ المؤمنين ومن ثم جاء في وصية رسول الله ﷺ لابن عباس «رضي الله عنهما»: «ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»

بهذا تتصافى النفوس وتستل منها الأحقاد والعداوات فلايحقد مخلوق على مخلوق وكيف لا؟ والكل يعلم أن رزقه



بيد الله وحده وليس في إمكان بشر أن يحول بينه وبين رزقه ولذلك كان الإمام أحمد بن حنبل «رحمه الله» إمام أهل السنة والجماعة يقول في دعائه: «اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، صن لساني عن المسألة لغيرك، فإنه لايقدر على كشف الضر، وجلب الخير سواك»، وذلك لأن سؤال الناس ذل وخزي وعار ولكن سؤال الله عزّ وشرف وفخار وقد أنشد الشاعر الحكيم:

لاتسألن بني آدم حاجة
وسل الذي أبوابه لاتحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وبني آدم حين يسأل يغضب

أما ما يأتي الإنسان من غير سؤال ولا تطلع فلا بأس به إن كان محتاجا إليه فإن كان في غنى عنه قبله شاكرا وتصدق به على الفقراء والمساكين، روى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن عابد بن عمرو - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من عرض له من هذا الرزق شيء من غير مسألة ولا إشراف نفس فليتوسع به في رزقه، فإن كان غنيا فليوجهه إلى من هو أحوج منه».

وفي النهاية ينبغي أن يتعفف الإنسان عن المسألة ويتنزه عنها لما فيها من الامتهان والمذلة ومن ذل الرد إذا لم يعط. فاللهم أعطنا ولا تحرمنا وكن لنا ولاتكن علينا، اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبسؤالك عمن سواك وارزقنا الرضا في كل الأحوال فأنت ولي ذلك والقادر عليه.

وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه.

***



تكريم الإسلام للمرأة

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

حظيت المرأة فى الشريعة الإسلامية بمكانة لم تحظ بمثلها فى مجتمع إنسانى ولا فى شرع سماوى من قبل الإسلام ولا من بعده ولا أدل على ذلك من أن القرآن الكريم قد عرض لكثير من شئون المرأة فى أكثر من عشر سور منها سورة النساء الكبرى وهى السورة الرابعة بترتيب المصحف الشريف وسورة النساء الصغرى وهى السورة رقم ٦٥ بترتيب المصحف وهى سورة الطلاق وبعد ذلك عرض للمرأة فى سور أخرى جاءت بأرقام ٢، ٥، ٢٤، ٣٣، ٥٨، ٦٠، ٦٦ وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على مدى الرعاية والعناية بمكانة المرأة..

وقد دأب بعض المستشرقين على توجيه الاتهام للشريعة الإسلامية بأنها تسىء معاملة المرأة وعدم المساواة بين الرجل والمرأة...

ونرد عليهم بما جاء في دستور الإسلام فى القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

فهل بعد هذا مساواة بين الرجل والمرأة؟

بل إن الإسلام أعفى المرأة من الأعمال الثقيلة والتى أضيفت كلها على عاتق الرجل سواء كان زوجا أو أبا أو إبنا أو أخا، فهؤلاء الذين يرمون الإسلام بعدم المساواة بين الرجل والمرأة اختلت لديهم موازين العدل، أو أنهم يجهلون أحكام الإسلام كما جاءت فى مصدريها القرآن والسنة. وليس عدلا أن يصدر إنسان حكما دون معرفة بالقضية التي يتحدث عنها أو يحكم لها أو عليها.

والإسلام قد حرص فى جميع تشريعاته على منح المرأة كل خير تصلح به وصانها عن كل شىء تفسد به حياتها وإذا بحثنا عما جاء به الإسلام تجاه هذه القضية لوجدنا:

● أن الإسلام قد صان المرأة عفيفة طاهرة عزيزة غير مبتذلة ولا مستذلة ولا بائعة جسدها ولا معرضة عرضها للغو والعبث ولقد حرم الإسلام على غير الزوج أن يمس المرأة أو أن يخلو بها أو حتى النظر إليها ومن العفة أيضا ستر المرأة جسدها وشرع لها مواصفات الزى الساتر وجاءت مفصلة فى آيتين من كتاب الله الأولى فى سورة النور، وفيها يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾

(النور: ٣١)

والآية الثانية فى سورة الأحزاب وفيها يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٥٩)

● حرم الإسلام الاختلاط بين الرجل والمرأة إلا بعقد الزواج بأركانه وشروطه كما جاءت فى الشريعة الإسلامية..

الحرية لا تعنى الإباحية

● أعطى الإسلام المرأة الحق فى اختيار زوجها وبهذا صان الإسلام المجتمع وحفظه من الأمراض التى انتشرت وفشت فى المجتمعات الإباحية والتى يسمونها الحرية، وهى الفوضى بعينها، نعم لقد انتشرت بينهم الأمراض المهلكة والمعدية وآخرها مرض الإيدز الذى أجمع الأطباء من كل جنس وعقيدة على أنه يكثر فى البلاد التى تنتشر فيها هذه الفوضى الجنسية وشاع فيها اللقاء غير المشروع بين الرجل والمرأة، والإسلام يحرم أى اختلاط جنسى بين رجل وامرأة بغير زواج شرعى بينهما بنص القرآن، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء: ٣٢)

إلى غير ذلك من الآيات التى حرمت اللقاء غير المشروع بين الرجل والمرأة ولعل من أخطر الأمراض المنتشرة بسبب الجنس واللقاء الجنسى غير المشروع هو مرض الإيدز والذى ينتشر بين الشعوب التى تبيح الزنا وتصف ذلك تارة بالحرية وتارة بالصحة الجسدية إلى غير ذلك من

الأوصاف التى زينها لهم الشيطان ومن هنا كان حرص الإسلام على صيانة الأنثى منذ طفولتها وطوال حياتها بالبعد عن الإثارة الجنسية من الرجال فحرم الإسلام الخلوة والتزاحم بين الرجال والنساء وفرض ستر جسد المرأة من قمة الرأس إلى القدمين سترا تاما لا يبين من جسد المرأة إلا الوجه والكفين وهذا من باب الوقاية خير من العلاج وذلك حتى لا تقع الخطيئة الكبرى «الزنا»..

وهل هذا من العيب على الإسلام أن يحمى المجتمع الإسلامى من هذه الأمراض عن طريق تحريمه للزنا ومقدماته ودواعيه حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾

(الإسراء: ٣٢)

ولم يقل ولا تزنوا ليدل على أن الزنا ومقدماته داخلان فى نطاق هذا التحريم..

ومن أجل ذلك نجد أن المجتمع الإسلامى الذى يلتزم بقواعد الدين يقل فيه اللقطاء والأطفال غير الشرعيين الذين يأتون من نساء حملن سفاحا من غير زواج شرعى وهذه الظاهرة نجدها شائعة ومتفشية فى المجتمعات الأخرى التى تبيح الزنا كما ذكرنا آنفا..

● فرض الإسلام عقوبة موحدة على الزنا الفعلى وليس على مقدماته وهذه العقوبة تطبق على كل من الرجل والمرأة اللذين اقترفا هذه الخطيئة سواء كانا قد سبق لهما الزواج أم لم يتزوجا من قبل وهذه العقوبة التى قررها الإسلام هى حماية للمجتمع من الأمراض التى تنتج عن هذه المخالطة التناسلية غير المشروعة.

العقوبة هى حق الله

ونقول لهؤلاء الذين يتحدثون عن قسوة هذه العقوبة فى الإسلام أتريدون الرحمة للمجرم وتنسون حق المجتمع فى أن يعيش آمنا معافى؟!

ونقول لهم: إن هذه العقوبة التى قررها الإسلام هى حق الله، وهو أعلم بالإنسان الذى خلقه، ويعلم ماذا يصلحه وقد قال تعالى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

ونقول لهم أيضا: إن هذه العقوبات الجسدية علاج، والله أرحم بالخلق من أنفسهم.

● قرر الإسلام للمرأة شخصيتها وذمتها المالية المستقلة تتصرف فى أموالها كما تشاء دون وصاية من زوج أو والد أو ولد مادامت هذه المرأة قد بلغت سن الرشد وكانت رشيدة فى تصرفها تحسن التصرف دون توجيه من أحد وهذا ما لم



تصل إليه المرأة المتزوجة فى كثير من دول العالم التى تدعى المساواة وتنادى بحقوق المرأة وهى لم تصل بعد إلى ما أعطاه الإسلام للمرأة..

بل إن الإسلام منع الزوج أن يقرب مال زوجته إلا إذا كان برضاها وإذنها فقال تعالى:

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾

(النساء: ٤)

حقوق وواجبات

● فصل الإسلام الحقوق المتبادلة والواجبات لكل من الزوجين وحددها بعد مراعاة لفطرة كل من الرجل والمرأة التى فطرهما الله عليها تحديدا وبيانا لما بينهما من المشاركة حتى لا تنشأ بينهما خلافات تؤثر على مصلحة الأسرة وعلى المجتمع ككل، وعلى هذا فإن الإسلام جعل على الرجل السعى للكسب وتحصيل الرزق وعلى الزوجة تدبير أمور المنزل ورعاية الأطفال سواء بنفسها أو تحت إشرافها إذا كانت حالة الزوج المالية من اليسار بحيث يستطيع تحمل أجر الخادم أو الخادمة..

● الأولى والأجدر بالاتباع فى تفسير واجبات كل من الزوجين فى مشاركة كل منهما فى أعباء الأسرة ما قضى به رسول الله «ﷺ» بين على بن أبى طالب وزوجه فاطمة بنت رسول الله «ﷺ»، فقد جعل واجبات ابنته - فاطمة - أمور البيت ورعايته ومصالح الأولاد وجعل على زوجها على بن أبى طالب ما كان خارجا عن البيت من عمل ومن هنا كانت القوامة للرجل لأنه يتحمل المسئولية عن الإنفاق على الزوجة والأولاد والمنزل والحماية والرعاية وتحمل الأعمال الشاقة التى تعجز عنها المرأة لأنه «كل ميسر لما خلق له».

ومن هذا يتضح لنا أن المرأة عاشت فى ظلال الإسلام وفى ظلال الشريعة الغراء معززة مكرمة كما لا يتوفر فى أى شريعة جاءت قبل الإسلام ولا بعده.

***

أهمية القدوة فى بنـــــــاء الفرد والمجتمع

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن المسلم في بناء شخصيته لا يبدؤها من فراغ، كما أنه لم يقم أساسها الأول على فراغ، وإنما يقيمه على العقيدة الصحيحة المتمثلة فى الإيمان بالله، فكذلك فى تكوين شخصيته الإسلامية. إنما يبدؤها سلوكاً وتطبيقاً من الكتاب والسنة متخذا أسوته الحسنة من الرسول - ﷺ - المبلغ عن ربه

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣، ٤)

الواجب على المسلم أن يتبع رسوله - ﷺ - اقتداء واهتداء قال الله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

ولقد ذكر القرآن الكريم الصفات الأساسية التى تكون صورة واضحة الملامح لشخصية المؤمن كما أرادها الله -سبحانه وتعالى- وهى الصورة التى تمثلها رسول الله - ﷺ - لأن خلقه القرآن ولأن -الله تعالى- قد أدبه فأحسن تأديبه.

أخرج النسائى أن السيدة عائشة - رضى الله عنها- سئلت عن خلق رسول الله - ﷺ - فقالت: كان خلقه القرآن ثم قرأت:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

(المؤمنون: ١- ٩)

وقالت: هكذا كان رسول الله - ﷺ[1] تلك هى سمات الشخصية الإسلامية تأتى على قمتها صفة الخشوع فى الصلاة:

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

فالخاشع فى صلاته يكون ساكن الجوارح لا يتحرك ولا يلتفت، ناظراً إلى موضع سجوده متصل القلب بالله، وقد روى أن الرسول - ﷺ - رأى رجلا يعبث بلحيته فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه. وهذه الصفة تفيد حسن العلاقة مع -الله تعالى- بالخشوع فى الصلاة، والصفة الثانية: هى الإعراض عن اللغو قال سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾

وذلك لأنهم مشتغلون بالجد والاجتهاد ومنصرفون للعمل والعبادة، وبهاتين الصفتين يكون قد جمع القرآن من تلك الصفات بين العمل والترك، وهما قاعدتا بناء التكليف، ثم يجمع القرآن بين العبادة البدنية التى تمثلت فى الصلاة وبين العبادة المالية بأداء الزكاة التى تعنى التكافل الاجتماعى وسد حاجة المحتاجين والعاجزين، وبهذا تكون تلك الصفات قد وثقت ثقة المسلم بربه وصلته بمجتمعه، وجمعت بين العبادة البدنية والعبادة المالية.

ثم تأتى صفة العفة والطهارة ووقاية البيت الزوجى وحفظ الأسرة والمجتمع من التواحل فى الفاحشة، لأن صيانة العرض والتجمل بالعفاف سمة المؤمنين المفلحين:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم

(١) رواه النسائي.

العادون أما ماتستقيم به حياة المجتمع الإنسانى فذلك بإرساء أسس الأمن والطمأنينة والثقة والاستقرار:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

كما بدأت سمات الشخصية الإسلامية بالصلاة فقد ختمت بها، لبيان أهمية هذه الفريضة ومكانتها العظيمة فى الإسلام، وليظل المسلم بخشوعه فيها ومحافظته عليها موصولا بربه، وتجلى آيات القرآن الأسوة الحسنة فى رسول الله - ﷺ - ملوحة إلى نماذج من الذين معه مركزة على أهم سماتهم التى تشرق بها وجوههم:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

(الفتح: ٢٩)

ومن تتبع الأسوة الحسنة من شخصية الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يطالعنا القرآن الكريم برأفة رسول الله - ﷺ - ورحمته قال تعالى:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(التوبة: ١٢٨)

ويقول سبحانه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

إن عظمته تشرق فى كل جوانب الحياة فى جوده وفى سعة صدره وفى صدقه وأمانته وتبليغه وفطانته وفى لينه ورفائه وفى مهابته وحسن معاشرته. يقول الإمام علىّ كرم الله وجهه «كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس كفا، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه مرة أحبه، يقول ناعته: «لم أر قبله ولا بعده مثله» «وما سئل عن شىء قط إلا أعطاه»[٢].

ويروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال: «كان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أحسن الناس وأجود الناس، وأشجع الناس[٣]. ويجمل القرآن عظمة خلقه فى قول الله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

فإذا تتبعنا أنماط الأسوة الحسنة لنتخذ

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم

منها منهجاً ونبراساً فى بناء الشخصية فإننا سنقف أمام عظمة هائلة ومثاليات فذة من حياة رسولنا عليه الصلاة والسلام وكلها تتسم بالحق والخير، والسمو والاعتدال، ففى جانب السرور أو الحزن وفى المشاعر الظاهرة أو الوجدانية كان صلوات الله وسلامه عليه يتسم بضبط النفس، فيما يسر أو يحزن فإذا فرح بما يسر ابتسم وإذا ضحك لم يقهقه. عن جابر بن سمرة «كان لايضحك إلا تبسما»[٤] وإذا تعرض لما يحزنه طوى الحزن فى داخله، وكظم الغيظ، وإذا زاد حزنه لايخرجه عن طبيعته، الطيبة الكريمة، عن أنس -رضى الله عنه- قال: «دخلنا مع النبى - ﷺ - على ولده إبراهيم وهو يجود بنفسه أى يحتضر، فجعلت عينا رسول الله - ﷺ - تذرفان فقال عبدالرحمن بن عوف: وأنت يارسول الله، فقال: ياابن عوف إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا مايرضى ربنا وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون[٥].

وفى جانب حياته المنزلية وشئون المعيشة مع الأهل كان المتعاون البار بحيث لا تشغله عن عبادة ربه، سئلت السيدة عائشة -رضى الله عنها، ما كان النبى - ﷺ - يصنع فى البيت قالت: كان فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[٦] وبهذا نرى أن أثر الأسوة فى بناء الشخصية يمد الحياة بضوء كاشف لتمضى على رشد وهدى، فلا تحيد يمينه أو يساره ولا تتعثر خطاها فى الدروب المعتمة، وإنما تتجمع خطوطها العريضة من جميع زوايا الحياة عبادة وعملا لتلتقى عند هدف واحد وملتقى ثابت حيث تتمخض الأعمال كلها وتخلص فى اتجاهها لله رب العالمين.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

❊❊❊

(٤) رواه الترمذي

(٥) رواه البخاري

(٦) رواه أحمد والبخاري والترمذي



وَظَلَّ الإسلامُ دينَ السَّلامِ

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الحق سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(الحجرات: ٦)

فى قصة نزول هذه الآية الكريمة يقول المفسرون: إن رسول الله ﷺ بعث «الوليد بن عقبة» ليجمع الصدقة من بنى المصطلق. وكان بينه وبينهم إحنة - ثأر قديم - فلما سمعوا بقدومه. استقبلوه. ولكنه ظن أنهم مقاتلوه. فرجع. وأخبر النبى ﷺ أن القوم ارتدوا عن الإسلام. ومنعوا الزكاة. ولقد هم ﷺ بقتالهم.

غير أنه وفى اللحظة الأخيرة بعث إليهم «خالد بن الوليد» رضى الله عنه، فوجد الأمر على غير ما أخبر الوليد بن عقبة رضى الله عنه،

فالقوم يؤذون الصلاة ويتهجدون بالليل والزكاة معدة للتسليم ثم سلموها إلى «خالد» فعلا.



وعندئذ نزلت الآية الكريمة كاشفة عن أدب من آداب الإسلام فى التثبت قبل الحكم على الناس والأحداث.

من أين تهب رياح الخطأ!؟

إذا كانت وظيفة العقل: ترتيب المقدمات. وصولا إلى نتيجة صحيحة، فإن العقل قد يخدع أحيانا، فلا يهتدى إلى الحكم الصحيح لسببين:

أ- خداع الحواس. أو القصور فى استخدامها.

ب- الحالة الوجدانية عند اتخاذ القرار.

والوليد بن عقبة رضى الله عنه - مع اليقين بحسن نيته - لم يستعمل كل مداركه لكشف أبعاد الموقف.. ثم أسرع بالعودة. وفى ذهنه صورة بتراء لما حدث. وكان عليه أن يدقق النظر جيدا.. وعن قرب.. وأن يصيخ السمع بكل طاقته.. ليتأكد من تفاصيل الموقف، قبل أن يتورط فى رفع هذا التقرير المتسرع إلى رسول الله ﷺ.. والذى كان من الممكن أن تترتب عليه آصار تجر الأمة إلى حرب أهلية.

وما أكثر الأبرياء الذين تسىء الظن بهم.. فتحبسهم فى سجون من ضلوعنا ظلما وعدوانا.. بينما هم غائبون لا يملكون الدفاع عن أنفسهم. ولما سلبناهم حقهم فى البحث والتدقيق ظلمناهم.. بل ظلمنا أنفسنا حين لم نعطها حقها فى التدبر.. فزايلنا الإنصاف.. وكان الإجحاف.

خداع الوجدان

كان هناك ثأر قديم بين الوليد وبنى المصطلق كما أشرنا..

ولقد ألقى ذلك الثأر ظلاله على القلب الذى كان مهيأ لسوء الظن بقوم له معهم تجربة مرة. وهذا هو خداع الوجدان الذى يحب ويكره أحيانا.

والمفروض أنك تحب من أحسن إليك.. وتكره من أساء إليك.. لكن الخطورة أن تطغى العاطفة على العقل وعلى الجوارح.. فتسخر ذلك كله لمصلحة شخصية.

وذلك ما تورط فيه الوليد رضى الله عنه.. عندما تدخل النفور القلبى فساق النشاط العقلى والحركة العملية فى اتجاه ما يهوى القلب!

ولقد كان السلف الصالح على أوفى ما تكون اليقظة.. وها هو ذا أحدهم يتحرر بوجدانه من مضاعفات مثل هذا

الموقف.. فقرر ألا يكون نشاطه خدمة عواطفه المتقلبة، كان إذا عرض له أمر.. فأحس في قلبه يميل إليه.. عرف أنه حرام.. فاجتنبه.. وإذا أحس من نفسه نفورا من أمر.. أحس بأنه حلال فأقدم عليه.

وبذلك انفصلت السلطات داخل كيانه، سلطة العقل.. وسلطة القلب.. فلم تطغ واحدة على أخرى.. ولكنهما يتعاونان.. بينهما برزخ لا يبغيان.

دروس من الآية الكريمة

لقد كان من تدبير الله تعالى أن يتسرع الصحابي الجليل في الحكم على بني المصطلق.. ليظل الدرس حاضرا في ذهن الأمة لا يغيب.. حتى تقدر للرجل قبل الخطر موضعها.. وكأنما أراد الحق سبحانه بمجموع التجاوزات التي حدثت في بواكير الدعوة الأولى.. أن تكون علامات على الطريق.. حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها.. ولتتعلم الأمة من الفشل.. كما تتعلم من النجاح.

والحق سبحانه ينادي الأمة بوصف الإيمان:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

والإيمان نعمة ينبغي أن تشكر بالالتزام بنتائجها وأهمها:

التثبت قبل الحكم.. حتى يظل المجتمع الإسلامي صفا واحدا غير قابل للاختراق.. والمفروض في المؤمنين أن يكونوا على درجة من الوعي لا تسمح لفاسق أن يهز كيانها.. ولو فرض وكان.. فلابد أن يكون عنصرا غريبا يجيئها من الخارج:

﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾

فهو نبات شيطاني مستورد.

أما أن ينبت في أرضها.. فذلك مشكوك فيه بحكم الإيمان المانع اتباعه بصائر واعية.. تشكل سورا عاليا.. حتى لا يتسلق دعي أسوار الأمة المانعة.. لتصبح فريسة لندم.. ما كان أغناها عنه لو أنها وازنت الأمور.. ولم تعط مداركها لزعامة كاذبة خاطئة.. تسلط إعلامها المزيف ليجعل من الرمال قصورا.. ثم تدفع الشعوب ثمن تهورها.. أو تدهورها.

من ثمرات الإيمان

مع أن بطل القصة صحابي جليل.. اجتهد فأخطأ.. لكن القاعدة تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.. لقد أصبحت القضية درسا

عاما.. للمجتمع كله.. ومن ثم.. لم يكن غريبا أن تعبر «بالفاسق».. بلا حساب لما قد يصيب الصحابي من حرج يحسه من قسوة هذا الوصف الذي يأباه الإيمان.

● فالحق سبحانه وتعالى يريد بقوة التعبير شدة الردع حتى لا يتكرر الخطأ مستقبلا.. هذا أولا.

● وثانيا: أن دولة الإيمان لها نظامها المانع من الحرج في أعقاب المعصية.. إنها قد تصيب العاصي بالاكتئاب وقد تحمله على الهروب من مواجهة الموقف وإذن فلينقذ نفسه بالتوبة النصوح.

دولة المؤمن

لقد أخطأ الصحابي الجليل.. وهذا حق.. لكنه بحكم الإيمان يتعلم الدرس.. ثم يعود بالتوبة أطهر مما كان.. يمارس حياته مع الجماعة بلا عقد.. تعقد حياته.

وتلك هي دولة المؤمن التي لا تعرف الأمراض النفسية. ولا الطب النفسي - إن علم نفس «فرويد» و«ادلر» وغيرهم من علماء الغرب. يقف عاجزا خارج أبواب هذه النفس المؤمنة.. ولا حاجة لهذه النفس المؤمنة الكاملة إلى ترهات «فرويد» وعقده وكوابيسه. لأنها تخطت الفلك «الفرويدي» وتخطت النفس الحيوانية، التي يتحدث عنها «فرويد» وارتفعت بإيمانها إلى فلك آخر نوراني. لا يعرفه علم النفس الغربي. وهذا الإيمان العالي هو في ذاته شفاء النفوس. وبلسم الأرواح.

النفس المؤمنة لا تعرف الاكتئاب

وهذا الإيمان هو الذي أصلح بال صاحبه مصداقا للآية الكريمة:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾

(محمد: ٢)

ولقد قال علماؤنا: إذا سمعت:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

فأصغ.. فإنه خير تؤمر به. أو شر تنهى عنه. والنداء بوصف الإيمان في الآية الكريمة فاتحة خير، وبارقة أمل، يوحد الفكر، وينقذ المذنب من الشتات، فتجتمع الهمة، وتنقشع السحب، وتتضح الرؤية، ثم يسود الهدوء، ليتوفر الجو المعين على اتخاذ القرار السديد.. وهكذا وكما قيل بحق:



(إن النفس المؤمنة لا تعرف الاكتئاب.. فهى على العكس نفس متفائلة. تؤمن بأنه لا وجود للكرب مادام هناك رب. وأن العدل فى متناولنا مادام هناك عادل. وإن باب الرجاء مفتوح على مصراعيه مادام المرتجى والقادر حيا لا يموت).

أهمية التثبت قبل الحكم

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(الحجرات: ٧، ٨)

فى موجة حماس طارئة طالب بعض المسلمين بالمسارعة إلى تأديب بنى المصطلق فور سماعهم نبأهم من الوليد بن عقبة. وكانوا مدفوعين بحميتهم وغيرتهم على دين الله.. وجاءت هذه الآية الكريمة لتذكرهم بأن هذا التسرع ليس له ما يسوغه. فالرسول ﷺ حاضر بينهم.. وهو الرائد الذى لا يكذب أهله.. ومن ثم فيجب عرض الأمر عليه ليقول فيه كلمة الفصل.. وهو المؤيد بالوحى الأعلى.. لقد كان الوليد مخلصا فيما فعل.. وكان هذا البعض أيضا مخلصا فيما أشار.

بيد أن الإخلاص وحده لا يكفى.. فالقضية خطيرة.. ونتائجها معروفة سلفا.. وإذن.. فالتثبت واجب.

وإلا.. فلو أن الرسول ﷺ سارع ونفذ مقتضى هذا التقرير الخاطىء.. ثم حقق اقتراح هؤلاء بسرعة عقاب القوم.. لحدث ما لا تحمد عقباه.. وأصابهم من الندم والجهد والتمزق ما الله به عليم. وكان من الممكن أن يحدث هذا التمزق لو لم يكن فيكم رسول الله ﷺ، أما وهو موجود فهذا تناقض. ثم يحدث وقد منحكم الله الإيمان هبة منه.. بعد أن حبب إليكم هذا الإيمان الذى صار نور حياتكم؟ ذلك ما لا يكون.

فلتحذر الأمة المسلمة من خبر الفاسق.. من كل إعلام منحرف يزين من الأقوال والأفعال ما يقضى على الثقة الجامعة قلوب الأمة على كلمة سواء، ولتأخذ معلوماتها من المصدر الموثق، إبقاء على هذه الثقة.. ولتقضى فى نفس الوقت على كل محاولة مغرضة، إن للإيمان تكاليفه، وللرشد ضريبته، فلنكن دائما أهلا لذلك الرشد، وهذا الإيمان.

من آصار التساهل

تقول اللغة: إن «النبأ» يعنى الخبر المهم.. أما الخبر: فهو الأمر العادى المتوقع..

ويعنى ذلك مزيدا من الحذر إذا جاء الفاسق بأمر مهم يترتب عليه فساد ذات البين التى لا تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، مع ملاحظة أن أضرار التساهل فى قبول أخبار المنحرفين لا تصيبنا وحدنا. ولكنها تصيب أقواما أبرياء ولا يقف الجهل حينئذ عذرا مادامت وسائل التثبت من صحة الخبر ميسرة وافرة، ومادام الرسول ﷺ فينا، وأيضا لا ينفع الندم على نهاية مؤلمة صنعناها بأنفسنا.. وكان فى الإمكان تلافيها.

(فاتركوا عبادة الجاهلية.. فإن الله تعالى لم يتركم عليها. ولكن الله حبب إليكم الإيمان..

تثبتوا فى الأمور كما يليق ـ بأهل ـ الإيمان.. فإن الله حبب إليكم الإيمان)(١)

وبعد: فإلى المسئولين فى المواقع القيادية أن يتقوا الله فى قبول التقارير فى شأن مرءوسيهم.. حتى لا يصير تقرير الفاسق فى موقف أشد قبولا من قول الصادق الصالح فيه.

فالتثبت هنا أدخل فى المسئولية من حيث اتصاله بالترقية المادية والأدبية.. فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله.

❊❊❊

(١) الرازى.

الإسلام

دين يحمل أسباب بقائه

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

الإسلام في شرعته التي جاء بها محمد بن عبدالله ـ ﷺ ـ هو الدين الخاتم الذي ارتضاه الله ـ عز وجل ـ ليسوس الناس في هذه الحياة الدنيا وإلى أن يلقوا ربهم.

وهو الرسالة التي حملت إلى البشرية مفتاح الحكم في كل قضاياها.. شرعة كاملة لا تقف مكتوفة أمام ما يعن للبشرية من تطورات في حياتها، ولا تقف حجر عثرة في سبيل تقدمها ونهضتها. وإنما تحث على كل ما من شأنه أن يخفف من آلامها، وتجعل البحث والتنقيب في سبيل الارتقاء بما يقدم للإنسانية من خدمات تدفع عنها آلامها. أو تحقق لها آمالاً تصبو إليها جهاداً في سبيل الله شريطة أن يقصد به وجه الله، وأن يرى الباحث والعالم والمحقق في كل ما يتوصل إليه آية من آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته، وأن يعلم أن هذا الكون بما فيه ومن فيه، مما ظهر أو خفي إنما هو مظهر من مظاهر قدرة مبدعه ـ تبارك وتعالى ـ فيزداد إيمانه، وينهض به يقينه في أن ما عند الله أكبر وأكثر إلى المزيد من البحث والتنقيب فلا يزال يرقى.. ولا يزال إيمانه بالله يقوى..!!

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: آية ٩٦]



﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾

[الحجر: آية ٢١]

إن هذا الدين الذي جاء به محمد ـ ﷺ ـ إنما جاء على فترة من الرسل، ليصحح عقيدة البشرية بعد أن انحرفت عن سواء السبيل، وليجمع الناس كلهم على قبلة واحدة، وعلى كلمة واحدة، وعلى شريعة واحدة، لا تترك الفرصة لانتشار الفوضى، ولا تمهد الأرض لأسباب العداوة والتناحر بين الناس.

إذن فلقد جاء هذا الدين ليبقى إلى يوم القيامة، وليكون عامل استقرار وأمن وسلام ينشر ظله على العالمين..!!

الحصاد في الدار الآخرة

كانت رسالات الله التي شهدتها البشرية قبل هذه الرسالة الخاتمة، تمهيداً لما جاء به هذا النبي الخاتم ـ ﷺ ـ كما كانت تذكيراً للبشرية آناً بعد آن، بأن هناك: رباً هو رب كل شيء، وأن هناك يوماً آخر، فيه يجتمع الخلائق للحساب على ما قدموا من صالح العمل وطالحه. إذ ليست هذه الدنيا التي نحياها هي الغاية وإنما هي مزرعة نحصد ما نبذره فيها في الدار الآخرة.. وبعد أن تنتهي كل رسالة، ويطول الأمد تعود البشرية إلى غيها، وتنسى ما كان من أمر هذه الرسالة السابقة، أو تتناساها، وهكذا دواليك

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾

[النحل: آية ٣٦]

إلى أن تقاربت الأمم، وتعارفت الشعوب؛ فكانت الرسالة الخاتمة، حاملة معها كل أسباب بقائها في يد، وكل أسباب سعادة البشرية في اليد الأخرى.

أما أسباب بقائها، وانتشارها بين الخلائق، فإنها تتمثل في أن هذا الدين إنما هو دين الفطرة من جانب، وأنه دين العقل الرشيد والمنطق السديد من جانب آخر حينما تخلو الفطرة من كل ما يشوبها، وحينما يخلص العقل والمنطق من كل ما يؤثر فيهما تأثيرا يقودهما إلى الانحراف عن سواء السبيل.

«فالإسلام بدعوته إلى إقامة الفطرة، طالب الآخذ به أن يتخلى أولا عن جميع ما ورثه من التقاليد والأوهام، وأن يكون أمام الحقائق كيوم ولدته أمه، خالي الذهن من كل صورة خيالية، أو وراثة تقليدية. ومتى تم له إحداث هذه التخلية الذهنية طالبه بالأخذ بحكم العقل لا بحكم الهوى والوهم؛ ومتى كان الحكم للعقل سهل إقناعه بكل جميل وحق»[1].

(١) الأستاذ محمد فريد وجدي ـ مهمة الإسلام في العالم ص٢٥.

الفطرة هى الإنسانية

يقول خاتم النبيين ـ ﷺ ـ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢) فالفطرة هى الإنسانية خالصة من كل شوب، بعيدة من كل ما يضللها وينحرف بها: بأن يحسن لها القبيح أو يقبح لها الحسن، أو يبذر فى تربتها الشك والريب فيما حولها. هى الإنسانية فى براءتها وطهارتها؛ حيث لاتزال آثار يد الله تحوطها، وتحنو عليها كما تحنو الأم على وليدها، وتحوطه من كل ما يسوؤه:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الروم: آية ٣٠]

إن الفطرة فى الإنسان، هى المدخل الواسع الذى يدخل منه الإسلام إلى القلوب والنفوس، دون ضغط أو إكراه، ودون تكلف أو مشاحة؛ لأنها تمثل الطبيعة البشرية كما خلقها الله، وكما سواها بيديه، وقبل أن تتفرق بها السبل، أو تزيغ بها الأهواء عن الطريق المستقيم، وهى التى تتناسق مع الوجود من حولها وتتفاعل مع الكون فى يسر وبساطة، ودون تصادم أو اعتساف.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

[آل عمران: آية ٨٣]

وكما دعا الإسلام إلى العودة إلى الفطرة الخالصة، دعا إلى إعمال العقل وأولاه عناية خاصة، فى الاحتكام إليه أمام قضايا الحياة كلها، حينما يقف أمام الحقائق حائراً لايهتدى إلى وجه الصواب فيها، ولقد ورد فى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تحث على إعمال العقل، ورفعت من قيمة الذين يعملون على الارتقاء بمواهبهم العقلية:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

[العنكبوت: آية ٤٣]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

[الرعد: آية ٤]

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

[العنكبوت: آية ٣٥]

كما نددت بأولئك الذين ينقادون لغيرهم ولو كانوا آباءهم، دون أن يتعقلوا أمور حياتهم، بخاصة إذا كان هذا الانقياد فى قضايا العقيدة:

(٢) البخارى ٢/١٢٥.



﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

[البقرة: آية ١٧٠]

وغير ذلك من الآيات البينات التى تحث على إعمال العقل وتنعى على أولئك الذين يعطلون هذه الأداة التى زودهم بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما تدل على مكانة العقل فى الإسلام.

وما ذلك إلا لأن هذا الدين جاء ليسوس بشرا اكتملت فيهم آلة العقل، وأصبحت هى الفيصل فيما هو حسن، وما هو قبيح، لا قطيعاً من العجماوات، التى يسوقها راعيها أنى شاء ومتى شاء، لا فرق فى ذلك بين ما إذا كان يسوقها إلى ما فيه مصلحتها أو ما فيه حتفها.

مقومات الإصلاح

وحينما أعلى الدين الإسلامى من شأن العقل، وجعل له هذه المنزلة العالية فى حياة الناس، لم يتركه هكذا، دون أن يزوده بعوامل القوة والنماء، وإنما فتح أمامه أبواب الصلاح على مصاريعها يتزود منها كما يشاء؛ فكانت هذه المقومات التى تتعدد مصادرها كما تتعدد أنواعها.

وهذه المقومات، إما ذاتية تمده بالقوة الداخلية، التى تنمى لديه القدرة على التحليل والتعليل ورد الظواهر إلى أصولها القريبة والبعيدة، وإما خارجية تفتح أمامه صفحات الكون الفسيح بكل أجزائه وأشيائه، ومنها كيانه هو، وما ينتشر بين حناياه مما يدل دلالة قاطعة على قدرة الله ـ تبارك وتعالى.

«فأما من ناحية المقومات الذاتية، فقد حث على طلب العلم، فقال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

[طه: آية ١١٤]

وعلل هذه العناية منه بطلب العلم، بأن العلم يمنح أهله مزايا يتجرد من مثلها المحرومون منه، وهو يريد أن يكون للآخذين به جميع المزايا، التى يمكن أن يتمتع البشر بها فقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الزمر: آية ٩]

وصرح بأن بين المؤمن الجاهل والمؤمن العالم درجات، فقال تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[المجادلة: آية ١١]

«فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد من رفعة، ولذلك يقتدي بالعالم في أفعاله، ولا يُقتدى بغيره، وفي الحديث: فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[٣].

وطلب العلم غالباً يكون بالبحث والدرس والتنقل بين أرجاء الأرض؛ ولذا يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[٤] ويقول أيضاً: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله له به طريقاً إلى الجنة»[٥] وطلب العلم في الإسلام فريضة عامة، تعدل الجهاد في سبيل الله، يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء»[٦] فبالعلم تتكشف الحقائق أمام العقل البشري، ويقوى على الوصول إليها نقية لا يشوبها زيف أو بهتان. والإسلام دين الحقائق الناصعة، وبقدر تكشف الحقائق أمام العقل، يكون إيمانه بالله تعالى. قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[فاطر: آية ٢٨]

وقال عليه السلام: «عالم ينتفع به خير من ألف عابد»[٧].

الإسلام والعلم

«وموقف الإسلام من العلم، يتبين من موقف علمائه المجتهدين في كل حقبة من تاريخه الذي تعاقبت فيه الأجيال بين القوة والضعف والتقدم والتأخر والنشاط والجمود، فقد مرت بالأمم الإسلامية عصور متخلفة جهلت فيها الإسلام نفسه؛ فجهلت فضل العلم، كما جهلت فضل الدين. ولكن الإسلام لم يخل قط تاريخه بين الشرق والمغرب من أئمة مجتهدين، استمدوا حرية الفكر من ينبوع تلك القوة الحيوية التي لاتستنزفها المحن والطوارق، فحفظوا رسالة هذا الدين. ولا فرق بينها وبين رسالة العلم في مقصد من مقاصده، وأوجبوا على المسلم أن يتعلم حيث وجد العلم، وأن ينظر إلى الحكمة كأنها هي ضالته يعنيه أن يبحث عنها ويجدها «وأينما وجدها فهو أحق بها». كما تعلم من رسول الله ـ ﷺ ـ واعتقد الأئمة المجتهدون جميعاً أنهم يؤدون أمانة الكتاب في حثهم جماعة المسلمين على طلب المعرفة حيثما وجدوها. فكل معرفة صحيحة فهي معرفة قرآنية إسلامية على اختلافهم في تفسيرها والنسبة إلى الكتاب الكريم بين فئة ترى أن المعرفة محتواة فيه إجمالاً وتفصيلاً، وفئة ترى أن المعرفة مطلب من مطالب المؤمن بالكتاب لا يعوقه عائق منه أن يتحراها

(٣) محمد فريد وجدي مجلة الأزهر المجلد السابع ص٤٩٩. والحديث أخرجه ابن ماجه ج١ ص٨١.
(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢٤٠.
(٥) سنن الامام أحمد ٢/٣٥٢.
(٦) اتحاف السادة المتقين ١/٤٦.
(٧) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ج٣/ رقم ٤٦٠٠.

ويحققها ويهتدي بها حيثما أصابها»[٨].

فالعلم هو المقوم الذاتي، الذي يُقوي العقل، ويجعله قادراً على تأمل ما في الحياة من أسرار وعجائب لاتنتهي، وهذه الأسرار والعجائب المبثوثة في الكون هي ما يطلق عليه المقومات الخارجية للعقل. والكون كتاب مفتوح يقرأ فيه العقل الناضج كل يوم آية من آيات الله ـ تبارك وتعالى ـ. وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد..!!

غاية النظر والتفكر

● فهذه هي السموات والأرض، وما يلفهما من ليل ونهار، يتعاقبانهما طوال الحياة، بما يشتملان عليه من الآيات الناطقة بقدرة الله ـ عز وجل ـ مما لا يشبع منه العلماء، وإن كان طول الألفة بيننا وبينهما قد يحول دون النظر والتأمل فيهما.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

● وهاهي ذي آيات الله تدعونا دعوة صريحة من خلال كتابه المقروء إلى تأمل ما فيهما مما يقوي إيماننا بالله الذي خلقهما على هذا النحو العجيب. قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾

[ق: ٦، ٧، ٨]

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾

[سبأ: ٩]

وإن هذا النظر والتفكر فيما خلق الله، له غاية لابد من أن تتحقق من ورائه، وإلا فلا قيمة له ولا اعتبار

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾

[يونس: ١٠١]

فإذا لم يوصل النظر في هذه الكائنات إلى تفهم قدرة الله ـ تعالى ـ التي صنعتها بهذه الدقة البالغة، ونسقت بين أجزائها، فلا عبرة به ولا فائدة ترجى من ورائه، وهذا الصنف من الناس ممن يصدق فيهم قول الحق تباركت أسماؤه:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

[يوسف: ١٠٥]

(٨) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية ص٦١، ٦٢ ط دار الهلال.

● وهذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان، ويدرج فوق ترابها طفلا وشابا وكهلا.. حتى آخر يوم من أيام حياته، ألم تلفت نظره ليرى فيها الكثير من آيات الله الدالة على قدرته - سبحانه - وعلى ما أوجده فيها باطناً وظاهراً، مما لو أحسن استغلاله لسعد فى دنياه وفى أخراه. قال تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

[النازعات: ٣٠ - ٣٣]

وقد امتن الله على عباده بأن خلقها هى والسماء مع ما فيها من خير وفير للإنسان؛ مما يدعو إلى إطالة التأمل والتفكر.

قال تعالى:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾

[الرحمن: ١ - ١٣]

وقال أيضاً:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾

[الحجر: ١٩]

استخلاص العبرة

ومن النظر الذى تستخلص منه العبرة، وترى فيه يد الله التى أحاطت بكل شىء، النظر فى هذا التفاعل الحاصل بين مفردات الكون الواسع؛ بحيث نرى كل يوم جديداً يثرى الوجدان، ويقوى الروابط بين الإنسان وبين مظاهر الحياة من حوله، وذلك حينما يرى الماء ينزل من السماء على الأرض الميتة الهامدة، التى لا حركة فيها ولا حس، وإنما هى جماد ساكن؛ فإذا بها بعد أن نزل عليها الماء قد اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج يسر الناظرين، ويعطيهم الأمل فى تجدد الحياة يوماً بعد يوم.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

[ق: ٩ - ١١]

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأنعام: ٩٩]



﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

[الغاشية: ١٧ - ٢٢]

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

[عبس: ٢٤ - ٣٢]

فطرة الله

● وهذا هو الإنسان نفسه، فيه من الآيات الدالة على قدرة مبدعه على غير مثال ما لو تأمله وأعمل فيه عقله، لأدرك أن لله كثيراً من العجائب والأسرار فى هذه البنية الحية، التى تتفاعل مع الكون من حولها، وتستجيب لكل مؤثر من المؤثرات الخارجية بما يتناسب معه وتتحرك حركة ذاتية تنشأ عن إرادة حرة فاعلة، وتحقق من الإنجازات ما يعد إعجازاً فى ذاته

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾

[الأعراف: ١١]

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[الذاريات: ٢٠، ٢١]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

[ق: ١٦]

إن هذا الدين ليخاطب فى الإنسان أكرم ما فيه. حيث يخاطب فيه الفطرة السليمة التى فطره الله عليها، كما يخاطب فيه العقل السليم والمنطق الراشد السديد، الذى يقلب الأمور ويدرك حقيقتها ليأخذ بأفضل ما فيها؛ وبذلك يطلق فى الإنسان طاقاته الحية، ويعمل فيه ملكاته التى وهبه الله إياها، ليرقى بها إلى حياة فضلى كريمة.

نظرات إسلامية

الإسلام ومستقبل البشرية

للدكتور/ حمدى فتوح والى

برغم ما يقع أمام أعيننا من أحداث توحى لقصار النظر بأن الجولة ستكسبها الحضارة الغربية فإننا لا نشك لحظة فى أن قيادة البشرية صائرة إلى الإسلام، لأنه لو لم يكن موجودا لبحثت عنه الإنسانية. ولابتدعت نظاما يشبهه، بعد انحسار الموجتين اللتين كانتا على طرفى نقيض..

● الموجة الأولى التى أفلست فى عالم القيم ولم يعد لديها ما تقدمه لإشباع الخواء الروحى الظامئ بشدة إلى نداوة الإيمان وبرد اليقين وهى الرأسمالية.

● والموجة الثانية التى أرادت أن تشق طريقها ضد الفطرة، وضد مقترحات الإنسان الطبيعية فانتهت إلى مصرعها المحقق، ومصيرها المحتوم على يد المجاهدين الأفغان وأصبحت الشيوعية الملحدة أثرا بعد عين.

وإذا كانت الموجة المادية مازالت تكابر وتتبجح وتظهر للعالم أن لديها ما تقدمه فيما أسمته بـ«العولمة» فإن ذلك لا يعنى أنها على شئ، فالعولمة لا تفرض بالسلاح، ولا تملى على أمم الأرض بالقوة، وإنما النظام الذى يستحق أن يسود ويقود، هو النظام الذى يحظى باحترام أهل الأرض، ليس لأنه يملك سلاحاً لا يملك غيره مثله ولكن لأنه يملك رصيداً من القيم الإنسانية والمبادئ الربانية تجعله يسخر قوته وعبقريته وآلياته لخدمة الإنسان كل الإنسان. دون تمييز أو استعلاء وهذا ما فعله الإسلام أول مرة وهو أيضا ما سيفعله الإسلام اليوم.

يقول الفيلسوف الانجليزى المعاصر «برتراند راسل»:

«لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض - وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونا من قوانين الطبيعة - وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياماً رضية كتلك التى لقيها خلال أربعة قرون»[1].

(1) الأهرام بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٥٩.

الأزهر

تدبير شيطانى

إن بقاء الحضارة الغربية إلى اليوم برغم ما ينخر فى كيانها من أمراض الجنس والقلق والشذوذ والاكتئاب وما يعصف بأعصابهم من سموم المخدرات والخمور والشهوات هو بسبب غياب أبناء الحضارة الإسلامية الذين تخلفوا عن احتلال مقعد القيادة ليس لأن الأمة لا تملك منهجاً ثابتاً أو عقيدة راسخة أو حضارة شامخة وإنما لأن الجيل القائم اليوم هو حصاد تدبير شيطانى محكم، استمر يعمل طيلة قرنين من الزمان ليغيب عن وجه الحياة منهجنا ويميع ثوابتنا ويشكك أبناء الأمة فيما لديهم من رصيد القيم الذى لا تملك الأرض كلها شيئاً منه. لسبب واحد هو أن رصيدنا

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

[النجم: ٤، ٥]

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾

[الشعراء: ١٩٣]

على قلب رسول الله - ﷺ - لينير به الأرض كلها، وما تزال الأرض كلها تسترشد ببقية النور الذى جاء به محمد - ﷺ - برغم المحاولات المستميتة التى يقوم بها شياطين الإنس والجن، ليحجبوا عن وجه الأرض هذا النور الإلهى المبين تلك المحاولات التى أوشكت أن تفقد الأمة الإسلامية ثقتها فيما تملك من هذا الوحى المقدس العظيم بعد أن عجزت عن تغييب القرآن، كتاباً مسطوراً ووحياً محفوظاً.

ولم يكن عجزهم لقلة جهدهم أو ضعف خططهم أو عجز مواردهم. فقد بذلوا مالا طاقة لبشر فى بذله. ولكن لأنهم نسوا أنهم يواجهون جبار السموات والأرض الذى تعهد بحفظ هذا الكتاب بنفسه بقوله سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: ٩]

وإن مما يدعو إلى التفاؤل ويوحى بالثقة، ويبشر بالنصر العظيم لهذه الأمة: أن الله قد جعل فى هذا الكتاب دستورها، وأوضح فيه منهجها وحوى فيه أسرار حياتها ونبع قوتها:

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[الأنبياء: ١٠]

وخاطب نبيه محمد - ﷺ - بهذا الخير وأوضح له حقيقة هذا الفضل بقوله:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

[الزخرف: ٤٣، ٤٤]

الجانب الحقيقى من الحياة

ولهذا فإننى أرى أن أى طفل يتردد على «الكتاب» ويحمل فى يده كتاب الله، هو أحكم وأعلم من أعظم فلاسفة الغرب ومفكريه لأن هذا الطفل بما يتلو من آيات، وبما يعتقد من عقائد إنما ينطلق من حقائق ثابتة وقواعد راسخة وكليات إلهية لا تقبل التخمين والتهويم،

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[فصلت: ٤١، ٤٢]

أما أهل الغرب فينطلقون من أوهام ويتعاملون مع المستقبل والغيب بألوان من التخمين والاستنتاج كما يتعاملون مع الجانب الحقيقى من الحياة وهو جانب الروح والإيمان، بنوع من الاستخفاف والاستهزاء والإنكار.

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾

[الروم: ٧]

إنهم مهما ملكوا من حديد الأرض وحجارتها، ومهما حازوا من ألوان القوة المادية - قوة المخلب والناب - فإنهم سيظلون ملتصقين بالتراب لأن حضارة الأرض لا يمكن أن تطير بجناح واحد

وتلك هى نقطة الضعف فى العولمة الجديدة التى تريد أمريكا أن تفرضها على البشرية اليوم وهى نقطة لا يمكن أن يقوم بدونها منهج أو تستقيم بدونها حياة فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، كما يقول السيد المسيح، الذى يزعمون - زورا - إنهم ينتمون إليه.

وإذا كانت أمتنا تعانى نقصاً فى جوانب الاختراعات المادية، فإن ما تعانيه من نقص فى هذه الجوانب، هو شئ يمكن تعويضه بقليل من الجهد. وغياب الكمال فيه لا يؤثر فى مسيرة الحياة بل إن استيراده ونقله من الغير لا يعيب المستورد الناقل، لأنها أمور كمالية جاءت لتيسير شئون الحياة، أما الحياة نفسها التى هى مجموعة القيم والمبادئ والأفكار. والتى تمثل الإجابة عن كل ما يعتمل فى صدر الإنسان من استفهامات حول الكون والحياة والإنسان، فإن أية فلسفة أرضية لا تملك ما تقدمه لأتباعها حول هذه الأساسيات التى لا يمكن لكيان أن يستقر بدونها، أو أن يعيش دون يقين نحوها. وإنما الإسلام وحده هو القادر على أن يقدم للإنسان جواباً شافياً عن كل ما يجول بخاطره أو يعتمل فى صدره، مما لا يمكن أن يجد له جواباً فى غير الإسلام.

الصورة الإيمان والصورة الواقعية

فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله، التصديق الذى لا يرد عليه شك أو ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذى لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور. والقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لابد مندفع لتحقيق حقيقته فى خارج القلب فى واقع الحياة فى دنيا الناس، لأنه لا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التى هى فى حسه، وبين الصورة الواقعية من حوله، هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه فى كل لحظة ومن هنا كان هذا الانطلاق إلى الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس.

وإذا كانت الفلسفات الأرضية المحدودة بالتفكير البشرى الضيق لا تملك القدرة على الانطلاق وراء المادى المحسوس، فإنها لن تجد مبرراً مقبولاً لما هو فوق مقدور هذا التفكير، مما لا يقع تحت قدرة الحواس البشرية، كقضايا الإيمان بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب والبعث والحساب ومجازاة الناس بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شراً فشر ومع وجود العجز الكامل عن إدراك حقائق الإيمان بالله واليوم الآخر لن يجد هذا العقل أمامه إلا الرفض والشك فى وجود هذه القضايا، والإيمان بهذه المسلمات،

وعندها سيقع ما يقع اليوم فى الأرض من خراب ودمار وما يمارس من ظلم وجور وما تسجله أجهزة الصحة فى تلك البلاد المادية من تزايد نسبة المنتحرين الهاربين من الحياة، بعد أن تحولت الحياة معهم إلى عبء ثقيل وكابوس مخيف لا يمكن أن تتحمله أعصابهم بحال من الأحوال وما ظنك بإنسان لا يجد فى نفسه معنى لقضية وجوده، ولا يستشعر الأمن على مستقبله ولا أمل له فى تعويضه عما يتعرض له فى الدنيا من ظلم وما يقع له من شقاء إنه لن يجد أمامه إلا التفكير الجدى فى إلقاء هذا العبء الثقيل عن كاهله، ولن يجد وقتها إلا أن يهرب من واقعه إلى الموت الحقيقى إن كان شجاعا حاسماً، أو الموت المعنوى البطئ ممثلاً فى تغييب عقله وإدراكه عن الشعور بالحياة من حوله عن طريق إدمان المخدرات بجميع أنواعها راضياً بما يترتب على إدمانها من انهيار فى أعصابه، وتلف فى خلاياه وتقرح فى معدته، واهتراء فى كبده واضطراب فى قلبه، فضلاً عن أمراض النفس من الاكتئاب والانفصام والجنون، فهل تملك أمريكا التى تتبجح بقدرتها على سيادة الأرض وقيادة البشرية - منهجاً سوياً يريح القلب ويطمئن النفس، ويرضى الضمير كالذى يملكه الإسلام؟! وهل استطاعت أن تقدم لإنسانها تصوراً واضحاً حول حقيقة الوجود من حوله، وحقيقة دوره

المقـــوم له فى هذا الوجـود وحـقـيـقـة الطاقة المهيأة له للقيام بهذا الدور؟! هل استطاعت هذه الحضارة أن تقدم له جوابا شافياً لتساؤلاته الحائرة القاسية: من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا هو واجد هناك بعد الذهاب؟

إن إنسان الحضارة الغربية لا يملك جواباً عن هذه التساؤلات.

إن الإسلام دين البشرية الخالد هكذا أراده الله وهكذا ينبغى أن يكون، لأنه الدين الذى يقدم التفسير الشامل الكامل للوجود، وعلاقته بخالقه العظيم، ولمركز الإنسان فى هذا الوجود، ولغاية وجوده الإنسانى، فى حالة من الانسجام الرائع والتوازم الحميم: فالإسلام - بالذات - كان هو الإعلان الشامل لحرية العقل البشرى تجاه الكون المادى، وقوانينه، وقواه، ومدخراته، وكان الإيذان العام بانطلاق هذا العقل ليعمل ويبدع فى ذلك المدى العريض الذى استخلفه فيه ربه.

السيد الحقيقى

إن الحضارة الغربية التى تتبجح اليوم بقوتها المادية - وتظن أنها بحديدها ونارها تستحق أن تسوق البشر إلى ما تريد - ما فعلت ذلك ولا تجرأت عليه إلا عن فراغ الساحة من سيدها الحقيقى الذى خلق ليحكم وخوطب بالقرآن ليسود ويقود. هذا القائد الذى بذل من نفسه ليسعد البشرية وتعب لكى يستريح الناس، هو الذى خاطبه ربه بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

إنه المسلم الذى غُيب عن الساحة بتخطيط محكم وتدبير شيطانى لعين لكى يعربد فى الأرض شياطين الجنس وعباد الشهوات وسأكتفى بتقديم شهادة بعض العقلاء من أمريكا ممن أحسوا بالخطر القادم الذى يتهدد أمريكا وينذر بسقوطها القريب، يقول «روبرت هاى» «Robert P.Hay» أستاذ التاريخ فى جامعة «ماركويت» فى مدينة «Migwaukee» الأمريكية: «إن أمريكا عام ١٩٨١ مفككة إلى حد لا يطاق، ونحن فى أمس الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم أن أمريكا ضائعة الأرواح حيث لا يرتبط الفرد بشئ، فهو يبحث عن هويته، يبحث فى العمل وفى المهنة وفى التقدم الاقتصادى عن علامة تميزه، وتخبره من هو».

ويقول الكاهن المشهور «جيرى فولول» «Jerry Falwell» فى كتابه: «اسمعى يا أمريكا «Listen America»:

«لدى إحصاءات مرعبة عن حوادث الطلاق، وتدمير الأسرة، والإجهاض وجنوح الناشئة، والفوضى الجنسية، وتعاطى المخدرات، وجرائم القتل، إننى أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهدورة بأكداس تفوق الإحصاءات، إن أمريكا بحاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحى والأخلاقى إذا كانت تريد أن لا تهلك فى القرن القادم»، قال ذلك فى عام ١٩٨١م.

ثمن الانحراف عن الفطرة

إن أمريكا اليوم تدفع ثمن انحرافها عن الفطرة وهى فى طريقها إلى السقوط، وإذا كانت ما تزال تملك بعض القوة التى تظهرها وكأنها تتحرك فإن هذه الحركة هى حركة الدفع الذاتى التى تبقى بعد توقف آلات الدفع تمهيدا للسكون النهائى وإذا كان سقوط «الاتحاد السوفياتى» قد جاء على يد المسلمين فى أفغانستان، فإن لعنة أفغانستان والعراق ستتشبث بالجسد الأمريكى ولن تتركه إلا حطاما فالضربات التى تنهال على الجيش الأمريكى ضربات موجعة قاتلة، والخسائر التى يمنى بها خسائر مروعة[٢] وعندما استمع إلى الأرقام الفلكية التى تنفق والأرواح التى تزهق، أتذكر قول ربى سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال: ٣٦]

إن الحضارة الغربية والأمريكية التى عجزت عن صيانة أهلها وكفايتهم، هى عن صيانة غيرها أعجز ولم يبق للبشرية اليوم منقذ ومخلص إلا الإسلام.

إن هتافات كثيرة من هنا ومن هناك، تنبعث من القلوب الحائرة.. تهتف بمنقذ.. وتتلفت على «مخلص» وتتصور لهذا المخلص سمات وملامح معينة تطلبها فيه. وهذه السمات والملامح المعنية لا تنطبق إلا على الإسلام، فهل آن الأوان لكى يتقدم أبناء الإسلام ليقودوا سفينة البشرية بعد أن خلا فيها مقعد الربان؟؟!

***

(٢) «أذاعت قناة الجزيرة يوم ٢٣/٤/٢٠٠٥، اعتماد الكونجرس الأمريكى مبلغ ٨١ مليار دولار لزيادة الإنفاق على الحرب فى العراق وأفغانستان».

خطبة الجمعة :

الإسلام إصلاح لا ثورة

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله، هو ولي الرشاد والتوفيق، وهو الهادي إلى أقوم طريق:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٨)

نشهد أن لا إله إلا أنت، لا خير إلا منك، ولا نصر إلا بك، ولا اعتماد إلا عليك:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

(إبراهيم: ١٢)

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، أصلح الفساد وأنقذ البلاد وهذب العباد:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه:

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

(الزمر: ٣٣، ٣٤)

يا أتباع محمد - عليه السلام -..

في الأمة الإسلامية قوم تربوا على غير مبادئها السليمة، وأهدافها القويمة، تروتهم يحسبون منها وينسبون إليها، وهم لا يؤمنون



بها، ولا يثقون فيها، بل تتجه ثقتهم دائما إلى كل شيء يأتي من الخارج، حتى فيما يتعلق بالقلوب والعقول، أو يتصل بالوقائع والتاريخ.. وخذوا إن شئتم على سبيل المثال تمدحهم الدائم المتكرر بالثورة الفرنسية، فهم يتغنون بها في حفلاتهم وكتاباتهم، ويعتبرونها أكبر حادث قرر حقوق الإنسانية، وأعظم ناشر لمبادئ الإخاء والحرية والمساواة.. وكذبوا والله ثم ضلوا ضلالا بعيدا.. إن الشمس عند أمتهم فكيف تركوها إلى المصباح الضئيل، وإن السبق لدينهم العظيم الذي ينتسبون إليه، فكيف يقدمون عليه لاحقا لا يرتفع عن مرتبة الأقزام والذيول؟!.

الحرية روح الإسلام

لقد سبق الإسلام ثورة فرنسا بأكثر من ألف عام في تقرير حقوق الإنسان، والدفاع عنها بقوة وإيمان، والحرص عليها مع حياطتها بعوامل السلام والأمان، ولم يكتف الإسلام بالنصوص يرددها ويلقيها، أو يسجلها ويبقيها، بل جعلها جزءا من العقيدة لا تكمل صلة المرء بربه إلا إذا أقامها ورعاها، ثم طالب أتباعه بأن يجاهدوا من أجلها، ولا يلقوا أسلحتهم إلا إذا اطمأنوا إلى تنفيذها وسيادتها، كما وضعها أمام أبصارهم وبصائرهم في كتابه المجيد يتلونه صباح مساء، ويتدبرونه في كل آن، ويعبدون ربهم بترتيله مع تطبيق ما فيه، وليس بعد هذا تركيز أو إعزاز!.

وحسبنا في مبدأ الإخاء قوله - تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وقوله:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

(النساء: ١)

وقول رسوله - عليه صلوات ربه -: «وكونوا عباد الله إخوانا»[١] وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

وحسبنا في الحرية قول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»[٣] وقول عمر وهو يترجم عن روح الإسلام الصحيح أصدق ترجمة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»!.

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٣٦١، ٣٦٨.

(٢) البخاري ١/١٠.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/٤٩١.

وحسبنا فى المساواة قوله – تبارك وتعالى – :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وقول رسوله – عليه صلاته وسلامه – : «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى»(٤)، وقول عمر لجبلة الغسانى حين أبى وهو ملك أن يقتص منه سوقة اعتدى جبلة عليه: إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشىء، إلا بالتقوى والعافية!.

إحياء للمشاعر

وهناك بعد هذا فرق جوهرى كبير جدا بين الوثبة الإسلامية والثورة الفرنسية، يبين لكم مدى الاختلاف بين عمل الإنسان وهدى الديان، فقد كان عمل الفرنسيين ثورة، والثورة مؤامرة يحرض عليها الخبثاء، وينفذها الجهلاء، ويجنى ثمرتها الجبناء، وقد كانت حركتهم حركة تمردية غاضبة صاخبة، لا تدرى كيف تخطو، ولا إلى أين تتجه، فليس هناك منهاج معلوم، ولا طريق مرسوم، بل ضاق الشعب الفرنسى من ظلم حكامه، وبغى طواغيته، وترف رؤسائه، وفجور كبرائه، وجاع حتى اشتد به الألم من المسغبة والحرمان، فظن أنه ليس هناك أسوأ مما هو كائن، فقام يهدم ويحطم، ويقتل ويتخلص من الظالمين بلا تأن أو هوادة، وأسرف فى ذلك إسرافا مشينا بلا قانون أو معادلة، وشاءت الأقدار أن تنجح الثورة، لا عن بصر من أصحابها بالعواقب، ولا عن طريق التدرج فى الخطأ والمراتب، بل لأن الحظ كان مواتيا، وانتهت الثورة بمبادئها الثلاثة التى أذاعتها فرنسا وتغنت بها، ولكنها خرقتها ألف مرة، ومآسى فرنسا السود فى التاريخ السابق والمعاصر مستفيضة، تشهد بها فظائعها فى سوريا ولبنان، وفى تونس والجزائر، وفى غير ذلك من الأقطار، وحديث الأفاعى طويل المدى!.

وأما الإسلام فقد كان على العكس من ذلك، لم يكن ثورة عمياء بل كان إصلاحا مبصرا، ولم يكن حركة تمردية تهدم وتحطم، بل كان إحياء للمشاعر وبناء للمجتمع، ولم يكن ضربة طائشة غير محددة الهدف، بل كان صراطا مستقيما نزل به الروح الأمين، من رب العالمين، على قلب الرسول المبين، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور.

الإسلام إصلاح للعقول

جاء الرسول قومه يهدى ربه، وقد بلغوا ما بلغوه من انحطاط وبوار، فأبان لهم ما هم فيه من ضلال، وما يجب أن يعملوا له من نجاة

(٤) مسند الإمام أحمد ٥/٤١١.

وخلاص، ورسم لهم الوسائل والسبل، وحدد أمامهم الأهداف والمقاصد: من التوحيد والفضيلة والإخاء والعزة والعبودية لله وحده، إلى آخر ما فى الإسلام من مبادىء مقررة مصورة، ثم غرس الرسول بنور نبوته وتأييد دعوته وربانى كلمته هذه المبادىء فى نفوس أتباعه، حتى آمنوا بها وحرصوا عليها وعاشوا لها، وأيقنوا أنه لابد للعالم منها حتى يرقى ويسعد، ثم قاموا عن رشاد وسداد يجاهدون من أجلها، ويبذلون دماءهم الزكية رخيصة فى سبيلها، حتى حققوها فى ديارهم، وفى الديار التى فتحوها باسم الإسلام، على صورة لم تشهد لها مثيلا فى التاريخ، ومن هنا يظهر الفرق الواضح بين الإسلام والثورة، فالثورات الهائجة الصاخبة قد تنجح وقد تفشل، وقد تؤدى إلى عكس المراد منها، وأما الإصلاح المرسوم المحدد، المؤيد بالأدلة والشواهد، الموثوق من حقه وصدقه فلابد من نجاحه، لأنه يمشى على نور، ويصل إلى بلاغ، ولقد جاء الإسلام إصلاحا يقنع العقول، ويجذب القلوب، ويفحم الخصوم ويرسم الطريق، ويضع لكل مشكلة علاجا، ولكل مرض دواء، حتى ما خف من الأعراض والنوازل، ولذلك كان من تأديب الله لرسوله فى القرآن:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

ولعل هنا عظة كبرى يجب أن تأخذها عن الإسلام، فالإسلام لا يريد من القادة أيتما كانوا أن يسيروا فى طرقهم صما وعميانا، ولا أن يتصرفوا بلا قاعدة أو منهاج، بل لابد من معرفة الطريق أولا: أين يبدأ وأين ينتهى، ثم الإيمان بتوصيله، ثم الوثوق باستقامته، ثم الثبات عليه، وبذل الجهد والطاقة لبلوغ نهايته أو الشهادة أثناءه.. فليت الذين يضعون فى أيديهم مقاليد أمة محمد فى العالمين يأخذون لأنفسهم درسا أى درس من هذه العظة، حتى يرسموا لأنفسهم خطة، ويضعوا لأمتهم منهاجا، بدل أن يسيروا خاضعين للظروف والمناسبات.

يا أتباع محمد – عليه السلام –

دين الهداية

إن الإسلام القيم الذى هدى الملايين لايزال هو الإسلام:

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠)

وإن الإسلام الذى اهتدى به الملايين لايزال صالحا لهداية ملايين أخرى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

قصيدة العدد

طارق بن زياد

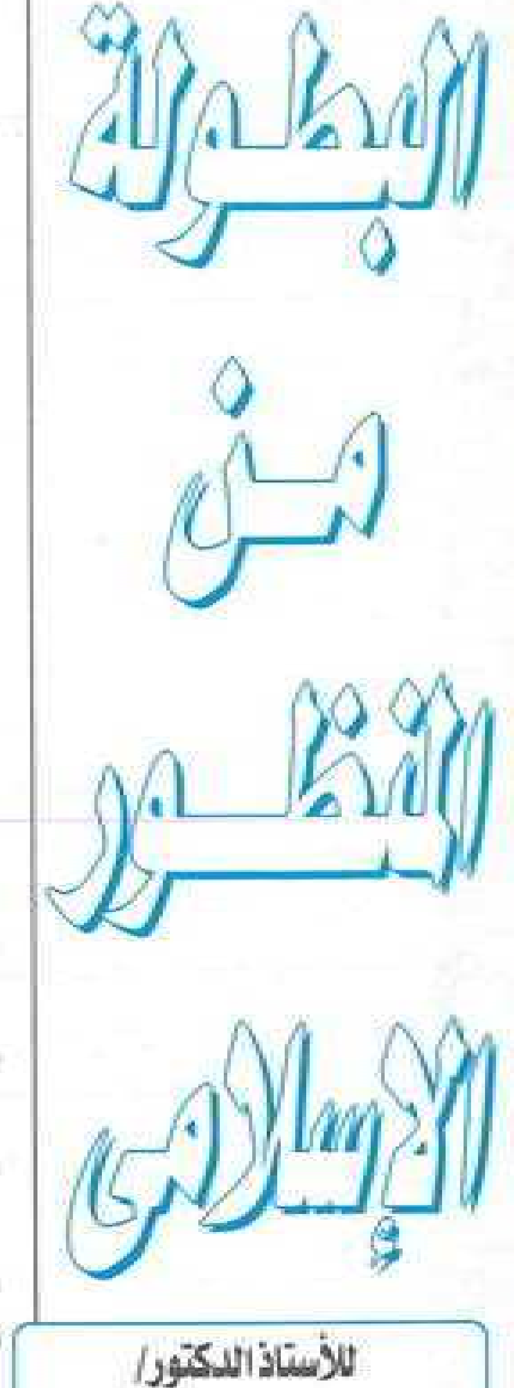
للشاعر الكبير الأستاذ / على محمود طه

أشباحُ جِنٍّ فوقَ صدرِ الماءِ   تهفو بأجنحةٍ من الظلماءِ؟
أم تلك عقبانُ السماءِ وثبنَ من   قُنن الجبالِ على الخضمِّ النائى؟
لا، بل سفينٌ لُحْنَ تحت لواءِ   لِمَنِ السفينُ تُرى وأىُّ لواءِ؟
ومَنِ الفتى الجبّارُ تحت شراعها   متربِّصًا بالموجِ والأنواءِ
يَعلى بقبضته حمائلَ سيفه   ويضمُّ تحت الليلِ فضلَ رداءِ
ويَنيلُ ضوءَ النجمِ عالى جبهةٍ   من وسمِ «إفريقية» السمراءِ
ذهبٌ بيوتقةِ الشمسِ من ذوبه   مسحت محيّاه يدُ الصحراءِ
لونٌ جلتْ فيه الصحارى سحرها   تحتَ النجومِ الغُرِّ والأنداءِ
وسماءُ بحرٍ ما تطامنَ موجُه   من قبلُ لابنِ الواحةِ العذراءِ
بحرُ أساطيرِ الخيالِ شطوطُه   ومسابحُ الإلهامِ والإيحاءِ
ومدائنٌ سحريّةٌ شارفته   بنخيلها وضفافها الخضراءِ
ومعابدٌ شمٌّ، وآلهةٌ على   سُفُنٍ ذوائبِ بينهنَّ جوائى
أبطالُ «يونان» على أمواجه   يطوون كلَّ مفازةٍ وفضاءِ
يتجاذبون الغارَ تحت سمائه   يتناشدون ملاحمَ الشعراءِ



مازال يرمى «الرُّوم» وهو سليلُهم   ويُديلُ من «قرطاجة» العصماءِ
حتى طلعتَ به فكنتَ حديثَه   عجبًا!، وأىُّ عجائبِ الأنباءِ
ويسائلون بكَ البروقَ لوامعًا   والموجَ فى الإزبادِ والإرغاءِ
من علَّم البدوىَّ نشرَ شراعها!   وهداهُ للإبحارِ والإرساءِ!
أين القفارُ من البحارِ وأين من   جنِّ الجبالِ عرائسُ الدأماءِ؟
يا ابنَ القبابِ الحُمرِ ويحكَ! من رمى   بكَ فوقَ هذى اللجّةِ الزرقاءِ؟
تغزو بعينيكَ الفضاءَ وخلفه   أُفقٌ من الأحلامِ والأضواءِ
جُزُرٌ منوَّرةُ الثغورِ كأنّها   قطراتُ ضوءٍ فى حفافِ إناءِ
والشرقُ من بُعدٍ حقيقةُ عالمٍ   والغربُ من قُربٍ خيالةُ رائى
ضحكتْ بصفحته المُنى وتراقصتْ   أطيافُ هذى الجنّةِ الخضراءِ
ووثبتَ فوقَ صخورها وتلمَّستْ   كفّاكَ قلبًا ثائرَ الأهواءِ
فكأنّما لكَ فى ذُراها موعدٌ   ضربتْه أندلسيّةٌ للقاءِ!
ووقفتَ والفتيانُ حولكَ، وانبرتْ   لكَ صيحةٌ مرهوبةُ الأصداءِ:
هذى الجزيرةُ إنْ جهلتم أمرها   أنتمْ بها رهطٌ من الغرباءِ
البحرُ خلفى والعدوُّ إزائى   ضاعَ الطريقُ إلى السفينِ ورائى!!
... وتلفّتوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ   حمراءُ مُطبقةٌ على الأرجاءِ
قد أحرقَ الرُّبّانُ كلَّ سفينةٍ   من خلفه إلا شراعَ رجاءِ
ألقى عليه الفجرُ خيطَ أشعّةٍ   بيضاءَ فوقَ الصخرةِ الشمّاءِ
وأتى النهارُ وسارَ فيه طارقٌ   يبنى لمُلكِ الشرقِ أىَّ بناءِ
حتى إذا عبرتْ ليالٍ طوّقتْ   أحلامَه بالبحرِ ذاتَ مساءِ
يرعى على الأفقِ المُرصَّعِ قريةً   أعظِمْ بها للغزوِ من ميناءِ
مدَّ المساءُ لها على خلجانها   ظلاً، فنامتْ فوقَ صدرِ الماءِ!

***



للأستاذ الدكتور/
محمد أحمد العزب

إذا كانت المرحلة التاريخية الخرافية قد شكلت بطلها على نحو يوحى بأنه بصيص من الحقيقة التاريخية وطوفان من الخرافة الفارغة..

وإذا كانت المرحلة التاريخية الفردية قد شكلت بطلها على نحو يوحى بأنه صانع الحضارة، وقائد التحول، ووحده يقف ليسدد خطا التاريخ.

وإذا كانت المرحلة التاريخية الاجتماعية قد شكلت بطلها على نحو يوحى بأنه ليس الفرد من يستطيع أن يكون بطلاً، وإنما هى حركة التاريخ نفسه، وحتمية أن يصير دائماً، وأن يستحيل أبداً.

إذا كانت كل هذه المراحل التاريخية تشكل بطلها على هذه الأنحاء المتغايرة، فإن الإسلام ينظر إلى القضية كلها نظرة أخرى، ويعيد ترتيب مقدماتها ونتائجها على نحو آخر تماما، ليس ليصل إلى نظرية معادلة أو مغايرة - فإن ذلك لا يدخل فى حسابه - وإنما ليقيم علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالكون، وعلاقة الإنسان بالتاريخ، على أسس حضارية حميمة، تجيش بالحب حين يجيش غيرها بالكراهية، وتلتقى على البناء حين يلتقى غيرها على الهدم، وتتوافق مع الفطر حين لا يتوافق غيرها إلا مع الأهواء!!

إن بطولة البطل - من المنظور الإسلامى - تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء، هذا هو حجم بطولة البطل فى الإسلام بلا محاولة للتزيد، أو مزيد من رفع الشعارات.. وقد تصل فى نهاية الرحلة إلى قناعات نهائية فى هذا الصدد، ليس لمجرد أن نرتفع بالمنظور الإسلامى فوق كل النظريات السائية الملامح، وإنما لنرتفع نحن إلى ذروة الفعل الإسلامى فى واحد من مجالاته الواضحة التى تظل دائما على مستوى الإشعاع والارتفاع.. وقد يبدو قولنا: «إن بطولة البطل - من المنظور الإسلامى - تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء» حماسة جوفاء ليست تنطوى على مضمون ولكننا سنحاول أن نتتبع ملامح هذه البطولة من هذا المنظور لنرى هل هى مجرد فرضية غائمة توحى بها حماسيات معينة؟ أم هى واقع متحرك حر فرض ويفرض نفسه على كل العصور؟

معنى الالتزام

إن خرافية البطل غير واردة من المنظور الإسلامى بالمرة، ولكن فردية هذا البطل أو اجتماعيته هى التى يمكن أن يتناولها المنظور الإسلامى بالتقييم والتقويم.. فبينما يقف أنصار المذهب الفردى فى بطولة البطل عند تخومه الخامدة وبينما يقف أنصار المذهب الاجتماعى فى بطولة البطل عند مشارفه الضاغطة يقتحم الإسلام كل الحواجز والسدود ليقيم بطولة البطل على سواء آخر تماما، فالفردية - من المنظور الإسلامى - لا تعنى فردية مطلقة، ولست أعنى بذلك أن الإسلام يقف فى طريق انطلاق الفرد أو انطلاق المجتمع، وإنما أعنى فقط أن الإسلام لايعطى للفرد ولا للجماعة وجودا عاريا من كل الالتزامات، إن الالتزام الفردى نحو الفرد والجماعة والكون والتاريخ يكمل انطلاقية الفرد من جهة ويعطيها حرية بلا حدود من الجهة المقابلة، وكذلك يعنى الالتزام الاجتماعى نحو الجماعة والفرد والكون والتاريخ.. ومن هنا تصبح الحرية حرية مسئولة، ويصبح الفرد حاملاً آلام المجتمع ويصبح المجتمع حاملا آلام فرده، وبدون هذا الجدل الإنسانى المتحرك النابض يصبح الوجود غابة فاحشة، أو معتركا مائجا بأنانيات من كل لون، وعدوانات من كل اتجاه!!

إن حركة اللقاء الرائع الذى يؤصل له الإسلام بين الفردية الفاعلة والاجتماعية الفاعلة كذلك، تعنى أن الوجود الفردى يصبح بالضرورة وجودا غير أنانى وغير هارب فى أوديته الباطشة، وهى تعنى كذلك أن الوجود الاجتماعى يصبح بالضرورة غير عدوانى وغير ساحق للوجود الفردى الصميمى الوجود!!

الإنسان.. جزء من الكل

والقرآن فى طريقته ونظمه، حينما يتعرض للفرد «كالإنسان» لا يريد الإنسان من جماعة «معينة» وإنما يريد



كل إنسان متمتع بصفات الإنسانية وسماتها، فدعوته الفردية هي دعوة جماعية في عموم انطباقها على كل من يتمتع بهذه الصفة الكريمة صفة الإنسانية إن الإسلام يدمج الفرد في الجماعة ويدمج الجماعة في الفرد، إدماجا يشعر الفرد أنه جزء من كل، ويشعر الكل أنه مؤلف من أجزاء متماسكة، يكفي أن تتداعى جميعا إذا تداعى جزء منها أو أصيب بتجرف عن جماعته أو بتحيز إلى غير جماعته(١).

وإذا كان دمج الفردية في الجماعية، والجماعية في الفردية أول ملامح بطولة البطل من المنظور الإسلامي فإن الظاهرة الفردية نفسها، والظاهرة الاجتماعية نفسها تأخذ في المنظور الإسلامي ملامح غير ملامحها في غير المنظور الإسلامي من كل المذاهب والاتجاهات.. إن الظاهرة الفردية ملتزمة هنا وسائبة هناك، وكذلك فإن الظاهرة الاجتماعية متصلة في حركة نشوئها على المستويين الإسلامي وغير الإسلامي بنوعية من القيم مغايرة ومتخالفة يكاد لا يجمع بينها سوى أن هذه وتلك ظاهرة من الظاهرات!!

ومن هنا.. فإن نظرية الرجل «العظيم» من المنظور الإسلامي غايرت تمام التغاير نظيراتها عند الإغريق والرومان، ليس لأن الإسلام لا يعطي عنايته للبطولة والبطل فتاريخ الحركة الإسلامية غاص ببطولات رائعة من كل لون، وتنظرة الإسلام إلى البطل دائما نظرة حب واعتزاز ولكن مفهوم البطولة هو الذي يتغير، وحدود البطل هي التي يقع حولها الاختلاف!! فغير بعيد من المنظور الإسلامي أن يكون البطل التاريخي ظاهرة فردية، بمعنى أن يكون شخص من الفذاذة والاقتدار بحيث يستطيع أن يغير مسيرة التاريخ، أو يجدد شباب الفكرة، ولعل الحكمة العربية الذائعة «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها فكرها، تلخص هذه الوجهة، وتفلسف هذا الاتجاه.. ولكن ينبغي دائما أن تضع تحت عيوننا أن البطل - من المنظور الإسلامي - لا يتحرك من خلال تسيب جامح، أو انفلات ضابي الحدود، إنه يتحرك من خلال التزامه الصميمي بقضايا متعددة: قضية العقيدة، وقضية الأمة، وقضية الإنسان، وهو في هذا التحرك لا يمكن أن يستوحي ذاته المنغلقة على ذاته، وإنما هو يستوحي

(١) الإسلام اليوم وغدا، بحث في الأخلاق الفردية والاجتماعية في الإسلام الدكتور إبراهيم سلامة ص ١٢.

ذوات متعددة بلا حدود: الفقهاء، والعلماء والعامة وتجارب السابقين، ومن هنا تأخذ الفردية سمتا مغايرا تماما، فأن يستبد البطل التاريخي بالفتوى على كل مستوى، وفي أي اتجاه، فإن ذلك يعني بالضرورة حتمية الخطأ ليس ذلك فحسب، وإنما يعني كذلك حتمية أن ينفر من بين صفوف الجماعة من يقاوم ويدعو إلى المقاومة، حتى تستقيم الموازين، ويتوافق النبض، وتندفع الأشياء في مسارها الصحيح!!

روح العقيدة ونبض الإيمان

والظاهرة الفردية من المنظور الإسلامي تؤكد لنفسها أبدا أنها لا يمكن أن تكون فردية إنفرادية، فحتى حين يغلق الفرد أبوابه ويعود لا يشعر بوجود أحد سواه، يتعالى في وجدانه الوجود الأكبر، فيطمأن من فرديته، ويضائل من غروره!!!

وغير بعيد من المنظور الإسلامي كذلك أن يكون البطل ظاهرة اجتماعية ولكن هذا المنظور الإسلامي يتساءل: «ظاهرة اجتماعية لأي شيء؟».. فإذا صح في المذاهب الأخرى أن البطل ظاهرة اجتماعية لصراع العوامل الطبيعية، إذ العوامل الاقتصادية أو ما شاء من العوامل الأخرى، فإنه لا يصح في المنظور الإسلامي أن يكون البطل ظاهرة اجتماعية إلا لروح العقيدة، ونبض الإيمان والالتزام المصيري بحركة التبليغ.. فالإسلام لا يعطي فردا ما امتيازا من أي لون لمجرد كونه منحدرا من سلالة ما، فالجميع أمامه سواسية لا فضل لواحد على واحد إلا بالعمل والكدح والمعاناة، وبنوعية مايعمل ويكدح ويعاني من أجله!!

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
(الحجرات: ١٣)

ليس معناها أزهدكم أو أعبدكم على مستوى السلب والإيجاب، وإنما معناها أزهدكم في الإخلاد للراحة وأرغبكم في جدل الموت والحياة، معناها أعبدكم تحت راية السيف والحرف، والدموع والدم، إذا هيض للعقيدة جناح، أو استبيح للأمة مجال.. إن أتقانا قد يكون في الحرب أشجعنا، وقد يكون في السلم أنفعنا، وقد يكون في الدين أورعنا.. إن الخرافة التي سادت الفكر الإغريقي والفكر الروماني، لم تستطع أن تعيش في الفكر الإسلامي لأنها اصطدمت ابتداء بحقيقة أن هذا الدين الرائع شكل من أول لحظات حلوله على الأرض ثورة صارمة على كل الخرافات، وقاد للمرة الأولى في تاريخ العقائد حركة تحرير شاملة: للعقول من الخرافة، وللجذوع من

الانحناء، وللقلوب من التشريك، وللأرض من الغاصبين وللتاريخ من الكذب، وللقيم من الادعاءات، وللعلاقات من الدنس، وللأقلام من شهوة التسيب المريض!!

وليت عليكم.. ولست بخيركم!

لقد رأينا خليفة يقف فى يوم توليه للخلافة ليخاطب الأمة: «أيها الناس، إنى وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى».. إن البطل هنا لا يعبر عن قهر اجتماعى، ولا عن تورم فى الإحساس بالذات، ولكنه يصدر عن حس عقائدى سامت الحق ولا يفارقه وهذا هو محور بطولته.. ولم يكن المجتمع الإسلامى الذى يعيش فيه هذا البطل بغافل عن هذه الحقيقة، فإن صيحة رجل من العامة فى وجه هذا الخليفة العادل بقوله: «والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا».. كانت هى الأخرى تعبيرا صميميا عن رأى القاعدة الاجتماعية فى تقديرها للبطولة، وفى نظرتها إلى البطل إن «الحق» هو نقطة الالتقاء بينهما، والحيد عن هذه النقطة المحورية يعنى انفجارات فى كل اتجاه!!

أساسية أخرى من أساسيات للبطولة والبطل من المنظور الإسلامى، وهى «احترام للحياة»، فلقد درجت الحركات البطولية التاريخية جميعا على كل مستوياتها الفردية والاجتماعية حتى والخرافية، على أن يخوض البطل إلى غايته حمامات من الدم بلا حدود وأن يعبر إلى هدفه النهائى على أكداس من الأشلاء الكونية والإنسانية معا.. ولكن الإسلام وحده - يقف من هذه القضية موقف النقيض: «لاتقطعوا شجرا، ولا تقطعوا زرعا، ولا تردموا آبارا، ولا تقتلوا وادعا» هذه كانت وصية القائد البطل - من المنظور الإسلامى - لجيشه الزاحف إلى صدامه المحتوم بأبشع قوى عدوانية طاردت حتى لونية اللون فى اتباع هذا المنظور الإسلامى الواعد الشريف!!

ولكن كل ذلك الحقد العدوانى لم يثر حفائظ القائد، ولم يستدرجه إلى كراهية الحياة فى كل مظهر من مظاهرها فى الإنسان.. والنبات.. والجماد.. والماء.. أبدا لا يفقد البطل من المنظور الإسلامى - إحساسه الملتزم أمام روعة الأشياء.. من الشجر القارع.. إلى الزرع المتنامى.. إلى الآبار المترعة.. إلى الودعاء الذين لا يقاتلون - إن البطولة هنا مؤطرة بإطارها العقائدى، حريصة حتى فى أعقد مراحل الصدام على أن تمضى الحياة إلى غايتها على أن يستمر الشجر فى الإثمار والزرع فى الإيناع والماء فى التدفق، والودعاء فى تقبيل وجه الحياة!!

الحوار.. بالسيف أم بالحرف؟!

إن الحياة تعنى - من المنظور الإسلامى - مجال بطولة البطل، وتخريب هذا المجال يعنى أن البطل يعمل فى غير مجال، والحياة هنا شاملة لكل شىء، حياة الإنسان وحياة الحيوان، وحياة الجماد، وحياة النبات، وحياة الحضارة، فى كلمة واحدة «حياة الحياة» إن الحفاظ على كل هذه الحيوات يعنى بالضرورة الحفاظ على طبيعة الدور الذى يؤدى، وعلى ديمومة الحواربالسيف أو بالحرف.. أن السيف - حين تفرض الضرورة أن يسل - إنما يمهد للحياة أن تمارس حركتها الطبيعية أعنى أن بتر أجزاء شائهة مريضة من هنا أو من هناك لا يعنى شهوة البتر وإنما يعنى حكمة العلاج!!

نستطيع الآن أن نقول: إن بطولة البطل - من المنظور الإسلامى - تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء.. وهذا هو حجمها الطبيعى لأن امتداد أعراقها الواشجة فى تربة الأرض بلا حدود، يبدأ من التعاطف مع حبة الرمل، وينتهى إلى الحفاظ على روح الحضارة العقائدية بمفهومها الشمولى.. ولأن هذا الانتماء المجذر إلى الأرض لا يشكل غائية مطلقة ولكنه - من المنظور الإسلامى اندفاع بكل الملك إلى رحاب الملكوت أعنى بكل الأرض إلى رحائب السماء!!

إن بطولة البطل من هذا المنظور تبدأ من السماء لتنتهى إلى الإنسان الإلهى.. تبدأ من الإنسانية لتنتهى إلى الربانية.. تبدأ من منطلق الجزء - ربما - لتنتهى إلى منطلق الكل آخر الأمر.. وهذا ما عنيته بقولى: إن بطولة البطل من المنظورالإسلامى تبدأ من الأرض لتنتهى فى السماء، وهذا هو حجمها الطبيعى!!

وبعد: فإن المقارنة هنا - بين النمط الإسلامى وبين غيره من الأنماط تصبح بلا مضمون فليس غير النمط الإسلامى من يستطيع أن يبدأ ببطولة البطل من الأرض لينتهى بها فى السماء!! وليس غيره بقادر على أن يعطى بطولة البطل هذا الحجم الشمولى!!! مهما نعانى فى رحلة اللهث وراء أى من المقارنات!!

***

قصة العدد

زواج سعيد

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

١

جلس الحارث بن عوف المرى مع صديقه هرم بن سنان، يتحدثان فيما يبذلان من العطاء، إذ هما سيدان كريمان متفضلان على البؤساء والمعوزين عن سماح وأريحية. وقد عنّ للحارث أن يسأل صاحبه سؤالا ساقه مساق الفكاهة والدعابة، فقال له:

● يا هرم! إن الناس جميعا إذا أرادوا مدح إنسان بالكرم والسخاء قالوا: هو أجود من حاتم، ولم يقل أحد هو أجود من هرم أو أجود من الحارث! مع ما نبذل من العطاء الجزيل!

● فابتسم هرم بن سنان، وقال في دعابة: أتريد الحق يا حارث! إن حاتماً أجود منا بكثير!!

● فقال الحارث منفعلا: أحاتم أجود منا يا هرم، وما كان يفعل إلا أن يذبح لضيفه خروفاً فيأكل منه ما يأكل ويبقى الكثير لأولاده، ونحن نتحمل الديات والمغارم فندفع مئات النياق، ونصلح بين الناس، فهل يكون حاتم أكرم منا وأجود؟!

● فابتسم هرم وقال لصاحبه في رقة:

- اسمع قول الحق يا حارث، لقد كان حاتم لا يملك شيئاً كما تملك، كان يذبح الخروف والناقة وهما كل ما عنده، ويترك الأمر لله في تدبير حياته، أما نحن فندفع الكثير ولكن لدينا الأكثر ولو كان لدى أحد منا ناقة واحدة ما ضحى بها وحسب للغد ألف حساب، فحاتم يجود بكل ما لديه، ونحن نجود بالبعض فقط، ونختزن الكثير.

● سكت الحارث قليلا... ثم قال لصاحبه: وماذا نفعل حتى يصير اسمانا في العرب كاسم حاتم؟

فضحك هرم ضحكة طويلة... وقال

للحارث:

● أنت مولع بتقدير الناس وثنائهم، وهم لا ينسبون لك الجود مهما بذلت، لأن الجود عندهم لا يظهر في جلاله إلا في قبيلة طيء، وهو ميراث تركه حاتم لقبيلته، ولا حيلة لنا فيه!

● فاطرق الحارث... وقال: وكيف أكون من طيء وأنا من غطفان؟

● فنظر له هرم وقال: المسألة يسيرة، ترحل إلى سيد طيء أوس بن حارثة الطائي، وتطلب يد ابنته وهو لن يرد سيد غطفان! وبذلك يصبح أبناؤك من طيء، لأن أمهم من قبيلة حاتم!

● فقال الحارث: أتهزل أم تجد يا هرم؟!

● فقال هرم: بل أجد يا حارث.

● وكان في المجلس خارجة بن سنان شقيق هرم فالتفت إليه الحارث وقال له:

● ماذا تقول في رأي أخيك؟

● فسكت خارجة، وقال وكأنه يسخر من الحارث: أخشى أن تذهب إلى أوس طالبا يد ابنته فيرفض أن يزوجها لمرى من غطفان، فهو لا يصهر إلا لطائي مثله.

● فانتفض الحارث كالملسوع، وقال: أيرفض أوس أن أكون صهره وأنا سيد مثله ورأس قبيلتي، ومكاني في العرب لا يجحد، سأسير إليه من الغد، ولتكن معي لتعرف كيف يكون استقبالي في طيء وكيف يتجمع حولي الناس.

٢

وصدق الحارث قوله فصحب خارجة في رحلة إلى طيء، وفي طريقه الطويل كان يقول في نفسه: ماذا أصنع لو رفض أوس مصاهرتي؟ أو كيف أواجه الناس في غطفان، ومعي خارجة وسيكون أول الشامتين! ثم يدركه الأمل فيتصور أنه سيقابل بالترحاب فيهدأ قليلا ريثما تفد إليه الشكوك.

وانتهى المسير إلى طيء، فسأل الحارث عن خيمة أوس فدل عليها، وما كاد يقابل أوساً حتى قال له:

● أنا الحارث بن عوف سيد غطفان وقد جئتك راغباً في مصاهرتك.

● وفوجيء أوس بما لم يتوقع فقال في غضب: لن تبعد ابنتي عني، فابحث لك عن صهر آخر!

وانكسر قلب الحارث فركب ناقته وتوجه للرحيل وخارجة يقول له:

● ألم أقل لك؟

دخل أوس إلى زوجته منفعلا فقالت له:

● من هذا الرجل الذي كلمك كلمتين وخرج مقطبا، وترك في وجهك علامة الغضب والانفعال؟

● فقال أوس: إنه الحارث المرى سيد غطفان وقد جاء يخطب ابنتي فرددته.

● فضربت كفا على كف، وقالت لأوس:

أتريد أن تجعل بناتك عوانس؟ إذا لم تزوج إحداهن لسيد بنى غطفان فلن تجد فى العرب كفئا مثله، انهض يا رجل والحق به وتدارك ما فات!

وسمع أوس كلام امرأته وانطلق راكبا فرسه الأشهب وأسرع فى السير حتى اقترب من الحارث وصاح به:

● يا حارث.. يا حارث، استمع إلىّ..

فنظر الحارث للقادم، وهو لا يدرى ماذا سيكون فأسرع أوس يقول:

● كنت حزينا أفكر فى أمر ساءنى وجئت إلىّ وأنا موزع الفكر فعجلت بالجواب ثم جئت اعتذر طالبا الصفح، إذ لا أجد خيراً من الحارث بن عوف صهرا كريماً لى. هيا إلى خيمتى لأتدارك ما فات.

وكأن الحارث كان غريقاً ورأى طوق النجاة فعاد فى فرح بهيج.

.٣.

● دخل الحارس خيمة أوس، حيث توجه مضيفه إلى زوجته وسألها: أى البنات الثلاث ترين أن تكون الزوج المختارة؟

● فقالت فى هدوء: هن لديك فاسألهن.

فنادى أوس كبراهن، وعرض عليها أن تكون الزوج المختارة، فقالت فى صراحة:

● لست على جانب من الجمال آتيه به فى ديار غطفان وأخشى أن تكون منزلتى لديهن دون ما أرجو. فاختر له غيرى.

● فقال لها: أنت ورأيك.

ونادى الوسطى، وعرض عليها أن تكون الزوج المختارة، فقالت:

● لا أحب فراق أهلى وشباب القبيلة كثيرون، وأعلم أنهم يتمنون الاقتران بى فلماذا أرحل؟

فسكت أوس حائراً ثم دعا الثالثة ولكنه وجدها تبتسم ضاحكة فعرف أنها ألمت بالأمر فقال لها:

● وأنت يا بنيتى - واسمها بهيسة: ما رأيك؟

● فقالت سيد كريم من سادات العرب، ولئن ضاق بى مكانى فسأرجع عزيزة كريمة وأظنه لن يضيق.

فقام إليها وقبلها سعيداً ورجع إلى الحارث فأخبره بما كان فسر سروراً مفرطا وفى العشاء أفرد له خيمة خاصة به وبعروسه بعد أن أعلن الأمر فى الظهيرة وحضر شيوخ القبيلة وشبابها يهنئون ويباركون.

نظر الحارث فوجد جمالا وشبابا، وحادثها فوجد لباقة وحصافة فلم يطق صبراً عليها ودعاها إلى النوم فى جواره، ولكنها نفرت شامسة، وقالت له فى غضب:

● أفى منزل أبى؟ كأنه ليس لك منزل خاص بك وبى، كن رجلا يا حارث.

● فأعجب برأيها وقال لها: بارك الله فى عقلك ومروءتك وحيائك.

وانتقل إلى غطفان راحلا، وكانت معه فى

هودج كبير فقال لها:

● لقد رحلنا عن منزل أبيك فهيا.

فنفرت شامسة مثل صنيعها من قبل، وقالت فى غضب:

● أفى الطريق كالأسيرة المغتصبة؟ أين منزلى؟

فأعجب للمرة الثانية برأيها، وقال لها كلمته السابقة:

● بارك الله فى عقلك ومروءتك وحيائك.

وما انتهى به المسير إلى قفره حتى لمس ضجيجاً غير معهود وقيل له: إن صديقه هرم ابن سنان حضر إليه عدة مرات، ويطلبه فى أمر عاجل، فقال:

● سأزوره فى الغد.

وعرف فى نفسه أن هرم بن سنان كان قد تكلم معه من قبل فى ضرورة المسعى بين قبيلتى عبس وذبيان كى يتفقوا على الصلح بعد حرب دامت أكثر من عشر سنين وقد سالت الدماء أنهاراً، وضج الفريقان حين تأزم الموقف، فقال لزوجه بهيسة:

● إنى أعرف لماذا حضر هرم بن سنان، فقد عزمنا على أن نكون رسل السلام بين القوم مهما كلفنا ذلك من أعباء!

● فقالت: ولماذا تنتظر إلى الغد؟ هيا واذهب إلى هرم، وواصلا المسعى فى جد، وإذا تم ذلك على يدك، فرح العرب جميعاً بك، وجاءوا يهنئونك فخورين، وإذ ذاك تعلن لهم زواجك منى فتعم الفرحة، ويحتفل الناس بمناسبتين مناسبة الصلح الذى تم على يدك، ومناسبة زفافك الميمون، وأكون أنا طائر سعد ويمن على غطفان وعلى العرب جميعا!

● قال الحارث: لله درك من فتاة، لم أر مثلها من قبل.

ونام فى مكان معتزل حتى إذا أشرقت الشمس، وجد هرم بن سنان يسعى إليه وتقابل الرجلان فأخبره أنه اتصل بالفريقين فى أثناء غيبته، ودار الخلاف حتى كاد يتسع، ولكنه أعلن فى سرور أنه سيتحمل مع الحارث ديات القتلى جميعها، مهما بلغ مقدارها من النياق والجمال. وإذا تأخر منها شىء فسيؤجل إلى عام أو عامين، ولابد أن نسير معاً إلى منازل عبس حيث ينتظرنا هناك أشراف عبس وذبيان، وتقابل ملك عبس قيس بن زهير فهو الذى سيبرم الاتفاق.

استمع الحارث إلى هرم ووافق على ما تم وذهب إلى زوجه يخبرها بما سيقوم به من الرحلة فى سبيل الصلح، فقالت له:

● لا تذهب، بل أرسل إلى القوم ليأتوك فى ديارك هنا، وسيتحدث العرب بأن أشراف عبس وذبيان قد أتوا إلى سيد غطفان، وأنه قام بتحمل الديات مع صديقه هرم بن سنان! ولابد أن يحضر الملك قيس بن زهير، وسيكون لمجيئه صيت مدو فى الجزيرة العربية، إذا يقول الناس: ملك عبس أتى ساعيا إلى سيد غطفان.

● قال الحارث فى خشية: وهل سيقبل قيس أن يجىء؟!



● فأجابت : لابد أن يقبل فأنت وهرم في نظره الآن معجزة الإنقاذ .

وكأن القدر كان يجرى وفق مشيئة بهيسة فأسرع شيوخ عبس وذبيان إلى منازل غطفان، وتم الصلح بعد أن تحمل الرجلان الديات ، وأقيم حفل كبير حضره شيوخ القبائل وأنشد فيه زهير بن أبي سلمى معلقته الشهيرة ، وقد قال فيها مخاطبا الحارث وهرم بن سنان :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

وما انتهى الحفل وتفرق الناس حتى اتجه الحارث إلى زوجته فرحا وصاح بها :

● قدمتم كل شيء وفق ما رأيت فهل تفرحين؟

● فقالت في ابتسامة : ولماذا لا أفرح وقد صرت سيد العرب .

.٤.

ومضت الأيام في سرور وبهجة مع الحارث وزوجه الطائية وفي كل يوم يزداد لها حبا وإجلالا فقد أصبحت بعقلها الراجح ورأيها الحصيف موضع استشارته في أمر القبيلة وشئون الوافدين .

وفي يوم من الأيام جاء إليها الحارث وفي وجهه علائم الحيرة والدهشة ، وقال لها :

● لابد أن أتجه مع رجالي إلى المدينة «يثرب»

● فقالت له متعجبة : ولماذا يا حارث ؟

● فقال : لقد جاء أبو سفيان بن حرب من مكة يطلب من غطفان أن تكون شريكة في حرب محمد ، وقد لبت القبائل مطلبه ، ولا يسع غطفان أن تتخلف .

● فهزت رأسها مستاءة ، وقالت : وماذا فعل محمد بغطفان حتى يذهب شبابها لحربه؟

● فقال : لقد سارت الجموع ولن تتخلف غطفان

● فصاحت في وجهه : أبشروا بالهزيمة والعار ، لأنكم ظالمون معتدون !

● فسكت الحارث حائراً وقال لها : لقد وعدت أبا سفيان ولابد من الرحيل .

● فصاحت به ، دون تفكير : أكرر أنكم ستدحرون وتنهزمون !

ومضت الجيوش من شتى القبائل إلى غزوة الأحزاب ، وظن القوم أنهم بكثرتهم الهائلة سيقتحمون المدينة فوجدوا الخندق أمامهم واقتحمه من اقتحم ودار القتال فهبت ريح عاصفة محملة بالرمال وفزع المعتدون وعلموا أن الأمر عسير عسير .. وأخذوا في الانسحاب مهزومين ورجع الحارث حزينا إلى زوجه فقابلته ساخرة فقال لها في ذلة :

● لاتزال كلماتك ترن في أذني وقد رجعنا الآن نحمل الهزيمة والعار .

● فردت في حماسة : لأنكم ظالمون معتدون .

إنى لأحبك في الله يا معاذ

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

ذات يوم كان الفتى الوضيء - معاذ رضى الله عنه - يمشى مع رسول الله - ﷺ - مصدر الضياء والوضاءة . فيمسك النبى - ﷺ - بيده ويقول له « والله إنى لأحبك يا معاذ » . فكأنى بسيدنا معاذ - رضى الله عنه - لم يتمالك نفسه من شدة الفرح ، ولم تكد قدماه تحملانه . وغارت كل الكلمات فى حلقه ، وطاشت الحروف من ذاكرته لشدة حبوره وأراد أن يجيب المصطفى - ﷺ - لكن تعثرت الكلمات فلم يعثر على جملة يرد بها سوى ما وعاه قلبه وعقله من كلمات المصطفى ﷺ فلم يسعه إلا أن يرد بها ويقول : والله يا رسول الله إنى لأحبك فى الله . ثم يردف النبى ﷺ ويقول للفتى الوضيء العالم العابد : أوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول ... اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك[1] » .

كان سيدنا معاذ عابداً عالماً فقيها ، ونادراً ما يكون العابد عالماً أو العالم عابداً ، وقلما يكون العالمُ فقيها ، فقد تكفى العبادة الرجل عن طلب العلم ، كما قد يكفى العالم علمه عن العبادة وإن كان العلم لا يمنع صاحب الطموح والعقل أن يكون عابداً عالماً فقيهاً وذلك هو التفرد والنبوغ ، لأن العالم قد يكفيه العلم لأنه اقتصر على أن يعرف ، أما الفقه فهو فوق المعرفة التى تعنى بلغة العصر المعلومات ، أما الفقيه فهو ذلك الذى يستخرج ويستنبط من المعلومات أحكاماً وعلماً فوق ما يعرفه الآخرون ، وبلغة العصر : هو الذى يستطيع أن يتخذ القرار المناسب ويستخرج الحُكم والرأى الصائب بما لديه من معلومات .

ومهما يكن من أمر فإن نفع العابد قاصر على نفسه ، أما العالم فإن نفعه مُتعدٍ إلى الناس والمجتمع كله ولمن سيجيء بعده ، فها نحن ننعم بعلم سلفنا الصالح ، ولذلك ورد أن « موت قبيلة

---

(١) النسائى رقم ١٢٨٦، وأبو داود ١٣٠١، ومسند الإمام أحمد ٩-٢٦١ بألفاظ متقاربة

أهون على الله من موت عالم».. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[٢].

ونحن نتحدث عن معاذ وعن علمه نذكر أنه كان عالماً فقيها، ولذلك قال عنه رسول الله ﷺ ـ وقوله الحق فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ـ قال: «أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل»[٣] وفى رواية أخرى: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه»[٤]، وليس سيدنا معاذ عالماً فقط لكنه عالم فقيه يسبق العلماء فى القدر والفهم، فلقد روى أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «يبعث العلماء على منابر من نور يوم القيامة ومعاذ على رتوة» وقد ورد بلفظ: «إن العلماء إذا حضروا ربهم ـ عز وجل ـ كان معاذ بين أيديهم رتوة بحجر» يعنى بينه وبينهم مقدار رمية بحجر، فهو يسبق علماء الأمة بمسافة رمية حجر، وقيل رمية سهم[٥].

وتعجبنى شخصية معاذ لأسباب عدة فإلى جانب عبادته وعلمه وفقهه وتبوغه المبكر.. قال عنه بن مسعود رضى الله عنه «إن معاذ ابن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً» قال ذلك فى جماعة من الناس فردّ واحد ممن سمعه يقول ذلك ظاناً أنه أخطأ وأن لسانه سبق بهذا الوصف، فقال له كأنه ينبهه إلى أن هذا الوصف ورد فى القرآن الكريم وصفاً لسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حيث قال الله ـ عز وجل ـ

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾

(النحل: ١٢٠)

فقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وقد أدرك أن الرجل توهم أنه نسى.. قال: ما نسيت ثم قال محدثه.. أتدرى ما الأمة؟ وما القانت؟؟ فقال الرجل: الله أعلم! فقال ابن مسعود: الأمة الذى يعلّم الناس الخير، والقانت المطيع لله والرسول، وكان معاذ يُعلّمُ الناس الخير ومطيعا لله ورسوله. يقول أبو نعيم فى الحلية[٦] كان ـ سيدنا معاذ ـ إذا قام يتهجد ليلاً يقول: اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حىّ قيوم، اللهم طلبى للجنة بطىء وهربى من النار ضعيف، اللهم أجعل لى عندك هدى تردهُ إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

وكان معاذ رضى الله عنه من الذاكرين الذين يعرفون مكانة الذكر وقدره ومنزلته، فلقد سُمِعَ مرة وهو يقول: «ما من شىء أنجى لابن آدم من عذاب الله ـ عز وجل ـ من ذكر الله» ولا يقول هذا إلا رجل ذاكرٌ مارس الذكر وتلذذ بحلاوته. روى عنه سعيد بن المسيِّب انه قال «لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل أحب إلىّ من أن أحمل على جياد الخيل» وروى أنه قال: «ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله.. قالوا يا أبا عبد الرحمن ولا الجهاد فى سبيل الله.. قال: ولا. إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع لأن الله – تعالى– يقول فى كتابه الكريم:

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

(العنكبوت/ ٤٥)

وإلى جانب أنه كان قانتاً عابداً ذاكراً.. كان عالماً فقيها ذو مستوى رفيع وشاهد ذلك ما سبق أن اسلفناه من قول رسول الله ـ ﷺ ـ عن علوّ منزلته فوق مستوى العلماء يوم القيامة.. ولا يستطيع أن يخبر عن يوم القيامة إلا رسول الله ﷺ.

ودعنى أوجز لك مكانة معاذ وبعض قدره فى مواقف ثلاثة:

●● الأول: أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما أرسله إلى اليمن.. أرسله قاضياً معلّماً وقد كان ﷺ يعرف قيمة الرجال حوله ويصنع الرجال حوله..

خرج ـ ﷺ ـ يودع معاذا وفى الوداع وصية.. فماذا كانت الوصية!! وكيف كان الوداع!! فلقد كان مشهد الوداع فوق ما يحتمله خيالى.. لقد كان رسول الله ﷺ سيد الخلق يمشى ومعاذ راكب راحلته.. هل تتخيل ذلك المشهد العظيم، وذلك التواضع المهيب من سيد الخلق؟ يمشى تحت راحلة معاذ!! فلما فرغ من الوصية قال ـ ﷺ ـ «يا معاذ إنك عسى ألا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى، فبكى معاذ لفراق رسول الله ﷺ.. فقال له النبى ﷺ لا تبك يا معاذ إن البكاء من الشيطان[٧].

أما الوصية فلقد قال النبى– ﷺ– وهو الرحمة المهداة– له ولصاحبه أبى موسى الأشعرى «يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا»

(٢) انظر الترغيب والترهيب جـ١ ـ كتاب العلم.
(٣) حلية الأولياء لأبى نعيم ١/٢٢٨.
(٤) نفس المصدر السابق.
(٥) انظر غريب الحديث جـ٢ ص١٩٥
(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ١ ص٢٣٢

(٧) الذهبى (تاريخ الإسلام جـ١ ص٥٤٩) ومسند الإمام أحمد رقم ٤٢ ـ ٣١٠

• الثـــانـي: أن النبـي - ﷺ أراد أن يطمئن عليـه وعلى قضائه كيف يكون قضاؤه - ﷺ :

• كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟

• قال: اقضي بما في كتاب الله -عز وجل.

• قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟؟

• قال: فبسنة رسول الله- ﷺ.

• قـال: فـإن لم يكن فى سنة رسـول الله - ﷺ ؟

• قال: اجتـهـد رأيي ولا آلو- أى ولا أقصر.

فضرب رسول الله - ﷺ - صدرَ سيدنا معاذ إعجاباً وفرحاً بتوفيق الله له في مـهـمـتـه ثم قـال: الحـمـد لله الذي وفق رسـول رسـول الله - ﷺ - لما يرضى الله ورسـوله.. وكـان هذا الحـديث هو أسـاس العلماء في الاجتهاد والقياس فمعاذ بهذا إمام كل مجتهد ورائد لفقه القياس.. فكم كـانت سن هذا الـفـقـيـه المعلم في ذلك الوقت، يوم بعثه الى اليـمـن -رضى الله عنه- وكـان ذلك الوداع المؤثر في السنة العـاشـرة للـهـجـرة النبـوية وقـبـل حـجـة الوداع، فكانت سنه لم تبلغ الثـلاثين عـامـاً.. لأنه رجع في خـلافـة سيدنا أبي بكر بعد انتقال النبي - ﷺ - .. فهل كان قول النبي- ﷺ - «عسى ألا تلقاني» ثم قوله «لعلك أن تمر بقبري ومسجدي».. هل هو طلب من النبي- ﷺ - أو ترج في أن يمـر ويسلم على حضرته - ﷺ .. يقـول ابن هـشـام في معنى «لعل» إن من معانيها ترجي المحبوب مـثـل: لعل الحـبـيـب قـادم وتخـتـص بالممكن[8]

• الثـالث: «رسالة عزاء»

عن عـبـد الرحـمن ابن غنم قـال: «شهدت معاذ بن جبل -رضى الله عنه- حين أصـيب بولده- أى مات ولده- [9] واشـتـد وجده عليـه فـبلغ ذلك النبي- ﷺ - فكتب إليه يعزيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مـحـمـد رسول الله إلى معـاذ بن جبل.. سلام عليك فإني أحمد الله الذى لا إله إلا هو أما بعـد: فـعظم الله لك الأجـر، وألهـمك الصـبـر، ورزقنا وإياك الشكر إن أنفسنا وأهلينا وأموالنا وأولادنا من مواهب

(٨) مُغْني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام المصرى جـ١ ص٢٨٧

(٩) وما اظنه عن الرحمن الذى كان يكنى به ومات قبله ودفن معه فى الاغوار إنما ذلك ولد آخر فعبد الرحمن مات قبيل وفاة معاذ فى طاعون عمواس سنة ١٨هـ.

الله الهنيئة وعواريه المستودعة يمتع بها إلى أجل معلوم ويقبض لوقت محدود ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى، وكـان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المسـتودعة، متعك بـه في غبطة وسرور، وقبضـه منك بأجر كبير، الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين [10] فيحبط لك أجرك فتندم على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك علمت أن المصيبة قد قصرت في جنب الثواب، فتنجز من الله موعوده وليذهب أسفك ما هو نازل بك، فكأن قد.. والسلام».

- لا أملك أن أشكك في هذ الرسالة بزعم أن ولد معاذ مات في طاعون عمواس الذى مات فيه سيدنا معاذ وأن ذلك كان بعد انتـقـال النبي - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، حيث إن الذين سـاقـوا هذه الحجة لم يستطيعوا أن يثبتوا أن معاذاً كان له ولد واحد هو عبد الرحمن الذى كان يكنى به واحتـمـال أن يكون له أولاد آخرون مات أحدهم وهو باليـمن، فأرسل اليـه النبي- ﷺ - هذه الرسالة يعزيه كما أنه رضى الله عنه كان متزوجاً بأكثر من امرأة واحتمال كثرة الأولاد وارد دون شك.

وبعد:

يقول الإمام الذهبي في كتابة تاريخ الإسلام[11] قال بشير ابن يسار لما بعث معاذ إلى اليمن معلماً وكان رجلاً أعرج فبسط رجله فبسطوا أرجلهم فلما فرغ قال: أحسنتم ولا تعودوا، واعتذر عن رجله.. يحكي هذه الواقـعـة الجاحظ بأسلوبه الساخر الفكه[12] فيقول: صلى معاذ بالناس إماماً وقال لهم افعلوا كما أفعل.. فوقف إماما فرفع رجله «لعرجة» فرفعوا أرجلهم، فلما سجد اعترضته قشة من شجرة كادت أن تؤذى عينه فكسرها ونحاها فأخذ كل واحد منهم قشة وكسرها، فلما فرغ من صلاته قال: احسنتم.. ونبههم برفق إلى مواضع الخلل فيما فعلوه.

وأخيراً وليس آخراً أقول: هذا أحد صحابة رسـول الله- ﷺ - الذين شـرفت وسـعـدت بزيارته في مرقده في المملكة الهاشمية، وكم زرت غيره وتشرفت بالمثول بين يديه من صحابة رسـول الله - ﷺ - وكم يوجـد في المملكة الهاشمية ممن لم يسعفني الوقت بزيارته.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني للكتابة عن كل واحد من صحابة رسول الله ﷺ الذين توجد مراقدهم في المملكة لأعرف الأجيال بهم وبجهادهم حيث إن كثيرين لا يعرفون ما تضمه المملكة الهاشمية من هؤلاء الأبرار والله ولى التوفيق.

(١٠) هما فقد الولد وعدم الصبر والجزع

(١١) تاريخ الإسلام للذهبي جـ٢ ص٧٤

(١٢) انظر كتاب العباقرة من العميان والبرصان والعرجان للجاحظ



التجانس اليهودى والشخصية اليهودية

للدكتور
عبدالوهاب المسيرى

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٤


د. عبدالوهاب المسيرى

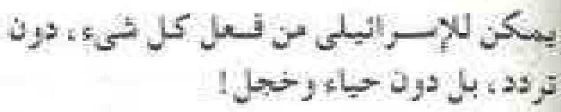
إن أخطر ما يعانى منه العرب ـ فى عمومهم ـ والفلسطينيون بخصوصهم فى مأزقهم الذى فرضه عليهم المستعمرون الغربيون الصليبيون.. هو ذلك التضخيم البالغ فيه لقوة الدولة الإسرائيلية التى زرعوها فى أرض فلسطين، لتكون لهم قوة متقدمة فى عمق العالم العربى والإسلامى يواصلون منها وبها استنزاف قوة العرب وقدراتهم، ويبددون منها وبها طاقاتهم الخلاقة فى شتى مجالات الحياة.

والتضخيم سلاح نفسى أشد فتكاً وضراوة من أسلحة الدمار الشامل ـ نووية كانت أو كيميائية ـ ثقة منهم بأن أقوى الجيوش تتبدد فعالياتها وتصبح هباء لا أثر له.. إذا قتلت معنوياته أو أضعفت.. فماذا يفعل المدفع فى يد مهتزة، يحركها قلب خائف، وعقل مشتت، ونفس فاجرة؟!

بل.. ماذا تفعل بسالة القائد المحنك بجيش ضللته الأكاذيب، واجتذبته متاهات الأباطيل، وسيطرت عليه افتراءات الأساطير؟!

ولثقتهم فى أثر هذا التضخيم.. حرصوا على استغلال كل موقف لإبراز الدولة الإسرائيلية فى الصورة التى لا تقهر ولا تضعف، حتى هيمن على العرب ذلك، وانجرفت قياداتهم إلى زوايا اليأس، وكادوا ـ فى مجموعهم ـ يستسلمون لأسطورة التفوق الإسرائيلى فى شتى مجالات الحياة، تفوقا





يمكن للإسرائيلى من فعل كل شىء، دون تردد، بل دون حياء وخجل!

والمتأمل البصير يرى: أن مثل هذا التضخيم ليس جديداً على اليهود مع العرب المسلمين.. فما يحدث اليوم، حدث مثله بالأمس مع المسلمين فى المدينة، فقد كادت الصورة التضخيمية تنتقل إليهم من قبيلتى الأوس والخزرج مما توارثوه فى أجيال متعاقبة قبل الإسلام!

ولكن القرآن الكريم نبه المسلمين إلى هشاشة تلك القوة المكذوبة، ونبه إلى أنها هواء امتلأت به تلك «البالونة» فبدت فى هذه الهيئة المضخمة المرعبة!

وكان التنبيه القرآنى عملياً، جاء فى لفتة خاطفة موضحة بصراحتها وواقعيتها.. وذلك قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ «الحشر: ٢»

فالدعوة إلى الاعتبار والاتعاظ، وتفهم الحقائق موجهة من الله العزيز الغالب إلى أولى الأبصار من المؤمنين.. أن يعرفوا حقيقة هذا العدو المتعدى والمعتدى من واقعه الذى يعيشه، وليس من أجهزة الإعلام الكاذبة الضالة المضللة.. وذلك كى يتعاملوا معه على أساس تلك الحقيقة، معتزين بالله، واثقين من عونه ونصره إياهم إذا ما نصروه، وسلكوا الطريق القويم.

والدكتور المسيرى ـ فى كتابه هذا ـ يحاول أن يسقط عن الإسرائيليين هذا القناع الخرافى المزيف الذى تخفوا وراءه، حتى أصبحوا هذا الكيان الضخم، الذى يثير المخاوف، ويبث الرعب فى نفس كل من يتطلع إليه!

وحول هدم الهيكل وبنائه.. خرافات

وعلى النهج اليهودى الصهيونى ـ فى استغلال الأحداث، وتحويل مساراتها ـ استغلوا فى معجمهم مصطلح «هدم الهيكل» الذى يشير إلى ما قام به «تيتوس» سنة ٧٠م، واستغلو ما لهذا الحدث من صورة مؤثرة فى الوجدان اليهودى، فجعلوه مما يذكر عند الميلاد، وعند الموت، وعند الزواج، حيث يحطم أمام العروسين كوب فارغ لتذكيرهم بهدم الهيكل. وفى الماضى.. إذا أراد اليهودى أن يطلى منزله.. كان الحاخامات يوصونه بأن يترك مربعاً صغيراً دون طلاء، ليذكر دائماً واقعة هدم الهيكل. وفى كل عام.. يصام يوم التاسع من آب تذكيراً بيوم هدم الهيكل، وعند كل وجبة، ومع كل صلاة فى الصباح يتذكر اليهود الهيكل، ويصلون من أجل أن تتاح لهم فرصة العودة إلى الأرض المقدسة، والاشتراك فى بناء الهيكل، كما تتلى صلاة خاصة فى منتصف الليل للتعجيل بإعادة بناء الهيكل. وعلى اليهودى أن يمزق ثيابه حينما يرى الهيكل لأول مرة بعد مزور

ثلاثين يوماً من آخر مرة رآه فيها.

ويأتى على قمة هذه الخرافات.. ما تروج له الكتابات الصهيونية من أن هدم الهيكل على يد الرومان هو الذى تسبب فى تشتت اليهود فى المنفى، على هيئة أقليات.. متجاهلين: إن انتشار اليهود فى شتى بقاع الأرض كان قد بدأ قبل ذلك بزمن طويل، ومن غير قسر من أحد، حتى إن مجموع اليهود خارج فلسطين كان يفوق بكثير عددهم داخلها قبل الهدم.

بهذه الأساطير التى قدمنا طرفا منها.. توظف الصهيونية الصورة الأساسية فى الوجدان اليهودى لصنع صورة أساسية فى فكر اليهود السياسى، فيعمقون تزاوج الدينى والدنيوى، وتصبح العودة «أى الاستيطان» بالقوة فى فلسطين فعلاً دينياً، مغفلين ما هم عليه من علمانية ملحدة!

وعلى الرغم من تلك الأساطير.. نرى الفرق اليهودى أمام ما يذهب إليه الفقه اليهودى من حتمية إعادة بناء الهيكل، وإقامة شعائر العبادة القربانية فيه، حينما يعود اليهود إلى صهيون ـ أى فلسطين ـ بقيادة «الماشيح» فى آخر الأيام.. نرى هذه الفرق أمام ذلك تنقسم إلى غير صهيونيين، وصهيونيين.

١- أما غير الصهيونيين فيعارضون العودة الفعلية، وبالتالى: يعارضون إعادة بناء الهيكل، حتى إن الإصلاحيين منهم حذفوا الأدعية الخاصة بإعادة بناء الهيكل، واستعملوا كلمة (Temple) الإنجليزية التى تعنى: المعبد، للإشارة إلى الهياكل اليهودية، قاصدين بذلك: أن المعبد أينما وجد حل محل الهيكل، وأن الهيكل لن يتم استرجاعه أبداً.

بينما فضل الأرثوذكس من اليهود غير الصهيونيين استخدام الكلمة اليونانية «سيناجوج» للإشارة إلى المعبد اليهودى، على أن تظل كلمة «هيكل» محددة الدلالة، لا تشير إلى هيكل القدس، وترتبط العودة بعودة «الماشيح».

٢- وأما الصهيونيون، فالمتدينون منهم يرون مسألة إعادة بناء الهيكل مسألة ذات أهمية مركزية، لأنها مسألة عقائدية، وليست علمية ويتبعها ـ فى ذلك ـ كثير من المنظمات الإرهابية الصهيونية الجديدة.

بينما يرى الصهيونيون غير المتدينين: أن محاولة إعادة بناء الهيكل إنما هى نوع من الهوس الدينى، يهدد المستوطن الصهيونى بالخطر، دون عائد ملموس!

ومن هنا.. نجد أن مسألة إعادة بناء الهيكل لا تتمتع بشعبية كبيرة داخل إسرائيل، التى تعد من أعلى مستويات العلمنة فى العالم، بل إن الغالبية الساحقة ليهود العالم وإسرائيل «الإصلاحيون والعلمانيون» لا يكترثون بالهيكل، ولا بالعبادة القربانية، ولا غير القربانية، ويجدونها بقايا تاريخ ميت، لا يعنيهم فى شىء.. حتى إن بعضهم يرى: أن متحف «الهولوكوست» فى واشنطن هو الهيكل الحقيقى!

وبالتضليل الصهيونى.. جعلوا الهياكل هيكلا

ويرى الدكتور المسيرى: أن تلك المواقف المتباينة إزاء الهيكل يخفى الصهيونيون وراءها ما تقرره حقائق التاريخ: من أن اليهود لم يستقروا على هيكل واحد، وإنما هى هياكل كثيرة، فالعبرانيون القدامى كانوا يحجون إلى مكان يسمى «شيلو»، وفى سنة ٩٢٨ قبل الميلاد انقسمت مملكة العبرانيين المتحدة إلى مملكتين صغيرتين، إحداهما فى الشمال، والأخرى فى الجنوب، فبنى «يربعام» أول ملوك الشمال هيكلاً فى «دان»، وآخر فى «بيت إيل» وجعل فيهما عجولا ذهبية، واتخذهما مزاراً مقدساً له، وغير موعد الأعياد، وطرد اللاويين الذين كانوا يشكلون البيروقراطية الدينية للمملكة العبرانية المتحدة، كى يتمكن من الحيلولة بين مواطنى مملكته وبين الذهاب إلى هيكل القدس فى المملكة الجنوبية، حتى لا يستعيد الهيكل مركزيته القديمة.

كما شيد الكاهن الأعظم اليهودى (أونياس) الرابع هيكلا سمى هيكل أونياس فى (ليونتوبوليس) بمصر بالقرب من (هليوبوليس)، مستندا إلى نبوءة أشعيا التى جاء فيها: «إنه سيشيد مذبح الإله فى وسط أرض مصر»، فجعل منه هيكلا مركزيا لإقامة شعائر العبادة القربانية، ورغم اختلافه معماريا عن هيكل القدس.. كان يحوى الأوانى الشعائرية نفسها، ويتدلى من سقفه فانوس يحمل شمعدان (المينوراه)، ولكن الرومان أغلقوا هذا المعبد سنة ٧٣ م، إثر تمرد قام به يهود مصر، وكان هيكل فلسطين قد أغلق قبل ذلك بعامين اثنين.

وهيكل (اونياس) هذا لا يختلف فى تصميمه المعمارى كثيراً عن المعبد الذى أنشىء فى أوكرانيا إبان تبعيتها لبولندا فى القرن السابع عشر الميلادى، وكان أعضاء الجماعة اليهودية يتخذون من هذه المعابد مكانا للعبادة والدراسة، ومع إمكان استخدامها حصونا وقلاعا عسكرية عند الحاجة التى نشأت فى إطار الإقطاع الاستيطانى البولندى فى أوكرانيا، حين وظف النبلاء البولانديون بعض اليهود فى عملية اعتصار أكبر قدر ممكن من الأرباح من الفلاحين الأوكرانيين، مما أسخط الجماهير على اليهود، فاضطروا إلى الانعزال عن جماهير الفلاحين لغويا وثقافيا، ودينيا، واجتماعيا، فلم يكتفوا بحماية العسكرية لهم، وأخذوا أنفسهم بالتدريب على السلاح، والاحتفاظ بالسلاح لديهم كما جاء فى القرار الملكى ببناء معبد لتسك (Lutsk) وكذلك معبد ريسيسوف.

والدكتور المسيرى يلاحظ ما شهدته المرحلة الأخيرة من توسع كبير فى نشاط المنظمات اليهودية الصهيونية، المعنية بقضية الهيكل، وما شهدته من تنسيق عميق فيما بين تلك المنظمات، بالإضافة إلى انتقال تلك المنظمات من الهامش الاسرائيلى الصهيونى إلى المركز، أى صهينة اليهودية!

ويلاحظ أن تطور هذا النشاط راجع إلى سببين، خارجى، وداخلى:

١- أما السبب الخارجي فيتمثل فى التخوف من أية ترتيبات تدعم سيطرة الفلسطينيين على جبل الهيكل.. هذا التخوف الذى أدى إلى الضغط على الحاخامات من أجل إلغاء التشريع الدينى الذى يحظر على اليهود دخول منطقة جبل الهيكل، خشية أن تطأ أقدامهم (قدس الأقداس). واستجابة لهذه الضغوط أعلن حاخامات منظمة ييشا yesha التى تمثل المستوطنين اليهود فى الضفة الغربية وقطاع غزة.. أعلنوا فتوى تجيز لليهود دخول منطقة جبل الهيكل.

٢- وأما السبب الداخلى فيتعلق بتصاعد أهمية مفهوم الهيكل فى الأوساط اليهودية، حيث تركزت الأنشطة على الهيكل، فبعد أن كانت إعادة بناء الهيكل أمرا تقرره الإرادة الإلهية وحدها، برز مؤخراً موقف يدعو إلى ضرورة القيام بأى عمل يمهد لبنائه.

ومن أبرز مظاهر صهينة اليهودية.. تحولهم من اليهودية التقليدية (الإرثوذكسية) التى تحرم عودة اليهود إلى فلسطين، وتراها من أعمال الكفر، وارتكابا لخطيئة التعجيل بالنهاية.. بل تطلب من اليهود أن ينتظروا حتى يأذن الإله بالعودة، ويرسل المسيح المخلص، ليقود شعبه إلى أرض الميعاد. ولكن الصهيونيين غيروا ذلك، وطلبوا من اليهود التبكير بالعودة إلى فلسطين إعدادا لمجئ المسيح المخلص.

والتوقعات والوعود الصهيونية سراب

وفى الفصل الخامس (خرافات صهيونية أخرى) يقدم الدكتور المسيرى طائفة من الوعود الصهيونية التى خدع بها الكثيرون- خصوصا العرب- والتى تبخرت مع الواقع، وتراءت، سرابا خادعا. مثال ذلك:

أ) جمع شمل اليهود المشتتين: فبعد أكثر من خمسين عاما على فوضى دولة إسرائيل.. مازال يهود العالم - خصوصا الأمريكيين- يرفضون الهجرة إلى أرض الميعاد.

ب) تطوير جوهر اليهودى لم يتحقق، لأن الشباب اليهودى - (فى الدياسبورا) فى الشتات الغربى الرأسمالى، وفى البلاد الاشتراكية ـ يتجهون نحو الحضارة العملية العلمانية السائدة.

جـ) الوعود بتحرير اليهودى من (منفى الروح) تبخرت، إذ انخرط عدد كبير من الشباب اليهودى المتمرد فى سلك الحركات اليسارية المعادية للمفاهيم الصهيونية، مؤكدين فشل الصهيونية فى تحقيق وعودها.

د) فشلت الصهيونية فى خلق حياة سوية للشعب اليهودى، خالية من الهامشية والطفيلية، فلم تنجح إلا فى خلق (جيتو) سياسى كبير يسمى (إسرائيل)، يضم قلة من اليهود، تحيا حياة هامشية، لا جذور لها، تتمركز فى المدن، وتعيش على المعونات الآتية من يهود العالم، ومن الدول أصحاب المصالح الخاصة.

هـ) لم تستطع الصهيونية خلق التوحد بين اليهود، وظل توزعهم بين ازدواج الولاء الحضارى، والسياسى مسيطراً عليهم، خصوصاً مع إنشاء دولة إسرائيل، مع ما يفرضه هذا الازدواج من تناقض فى المصالح والقيم.

و) تأكد زيف الصهيونيين أن الدولة اليهودية ستكون نموذجاً للمدينة الفاضلة، فقد قرر الواقع: أن فارقا شاسعا بينها وبين دولة (أمة الروح) التى تقدم لأم الأرض مثلا يحتذى كما وصفها الصهيونيون. فهى لست سوى تكتلات عسكرية ضخمة، تضم ترسانة عسكرية رهيبة، لم يعرف التاريخ الحديث لها مثيلاً، حتى ولا فى ألمانيا النازية.

ز) فكرة (الشعب المختار) تبددت مع رياح الواقع العملى، حيث تواجه الجماعات اليهودية فى إسرائيل معظم المشكلات التى يواجهها أى مجتمع صناعى حديث.

من كل هذا.. يتقرر: أن مزاعم الصهيونية إنما هى نتاج رؤيتهم الخيالية الأسطورية، ولا علاقة لها بأبعاد ما يسمى (الشخصية اليهودية).

ومن هنا.. يفضل كثير من الباحثين أن يميزوا بين اليهود فى الشتات (فى الدياسبورا) وبين الإسرائيليين، خصوصاً من ولدوا فى إسرائيل (الصابرا) الذين يكنون الاحتقار الشديد ليهود (الدياسبورا)، لما تتسم به حياتهم من السلبية، وتقبل حكم الأغيار، فهؤلاء (الصابرا) يعادون العقل والفكر الإنسانى- مع ترحيبهم بالحلول العملية، والتفكير العملى- استجابة خالصة منهم للتوجه الصهيونى الذى يعادى الأخلاق، والفكر، والتنظير، ويفضل اللجوء إلى الفعل، والفعل السريع الذى يخلق حقائق جديدة، ويفضل الاستجابة للثقافة الشعبية، ذات الصيغة الأمريكية، بما تنشره من أفلام رعاة البقر، وأفلام الجريمة، والإثارة الجنسية.

والدكتور المسيرى يخلص من عرض تلك الطائفة من الوعود السرابية.. ليقرر: أن السر فى سيطرة الخوف والقلق على وجدان اليهود راجع إلى شعورهم بما يشعر به كل من يغتصب أرض الآخرين، من ترقب نهوض أصحاب الأرض الأصليين لاسترداد أرضهم من غاصبيها، وليس راجعاً إلى شعور اليهودى بالاضطهاد من الآخرين، على ما يفسرون به موقف النازية من اليهود، كما أنه ليس راجعاً - كذلك إلى ما يزعمه أعداء اليهود من جبن الشخصية اليهودية، وحرصها الشديد على الحياة الدنيا!

فالهاجس الأمنى ليس له جذور يهودية، وإنما جذوره استيطانية، إذ هم فى الحقيقة يشبهون الأمريكيين البيض الذين استوطنوا أمريكا الشمالية، والذين استوطنوا استراليا، ونيوزيلندا والجزائر وجنوب أفريقيا.. فى خوفهم المسيطر عليهم من انتفاضة أصحاب الأرض الأصليين.

فإذا كانت التصريحات السياسية تخفى هذه الحقيقة، ترويجاً لمبدأ الاختيار (آين

برباراً الذي يعني: أن على المستوطنين أن يحاربوا ويحاربوا ضد عدو لم يهدأ له بال.. إذا كانت التصريحات السياسية تخفي الحقيقة لهذا، فإن أدبياتهم تفصح عن تلك الجذور الحقيقية!

أثر التضليل الصهيوني فيمن تنبهوا إليه

والدكتور المسيري لا يقف عند حدود هذا الرصد، ولكنه يتحسس توجه المستوطنين بعد وقوفهم على تلك الخدع، فيرى: أن الصهيونية لم تعد هي الأيديولوجية التي تهديهم، ولا هي الإطار الذي يدركون العالم من خلاله.

ويستدل على ذلك بعدم الاكتراث بالمؤتمرات الصهيونية، كما ظهر واضحاً في المؤتمر الثاني والثلاثين سنة ١٩٩٢ وما تلاه، حتى لقد أثيرت في الآونة الأخيرة شكوك قوية- من جانب كثير من القيادات والتيارات الصهيونية- حول جدوى تلك المؤتمرات، إذ يرون أنها تحولت إلى منتديات كلامية، وأصبحت عاجزة عن مواجهة المظاهر المتفاقمة للأزمة الشاملة للحركة الصهيونية ودولتها، مثل: مشكلات النزوح، والتساقط، واندماج اليهود في مجتمعاتهم، والزواج المختلط، والتمايز بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين، وانفضاض كثير من يهود العالم عن الحركة الصهيونية.

ويؤكد هذا من ظهور ما بعد الصهيونية في الخطاب الفلسفي الغربي- بما يعنيه ذلك من ذبول لها وضمور- وظهور المؤرخين الجدد الذين جعلوا همهم تقويض الأساطير الصهيونية، وإيضاح زيفها بقصد التخفي وراء خدعة أخرى تتظاهر بالرغبة في السلام والبعد عن عقد التاريخ، وتناسي الخلافات القديمة.. تتظاهر بذلك بغية وقف المقاومة، واستسلام المقاومين، نظير تسليم بعض مدن وقرى، لا تنسحب منها القوات الإسرائيلية الغازية، وإنما يعاد نشرها تحت شعار «الأرض مقابل السلام».

فالأساطير هي.. هي.. مازالت تقودهم، وتحركهم في إطارها، ولكن بتعديل في المنهج، إذ تصورات الإسرائيليين للسلام إنما تنبع من أن للإسرائيليين حقوقاً مطلقة في أرض فلسطين، لأنها «أرض بلا شعب»، وأن بقية المنطقة ما هي إلا ساحات وأسواق لهم.

أي: إن عقد التاريخ التي يسعون لإسقاطها لا تتجاوز تاريخ العرب، ليتحولوا إلى جماعات بدون هوية تاريخية، ولا ثقافية.. وبذلك ـ وحده ـ تتحقق الاستراتيجية الإسرائيلية للسلام بدون مواجهة ولا مفاوضات.

ويرى الدكتور المسيري: أنه لا غرابة في ذلك، فالخطاب الإسرائيلي مثل الحرباء يتلون حسب الظروف، فإذا كانت في بداية القرن العشرين قررت استعمار فلسطين بسبب تخلف الفلسطينيين، كما صنع المستعمرون

الغربيون في شتى الدول الأفريقية والآسيوية، فإنها اليوم- مع تزايد قوة حركات التحرر- تحولت هي الأخرى إلى حركة تحرر للشعب اليهودي، ثم تحولت- مع تصاعد الخطاب البيئي- إلى حركة بيئية، فهم يستولون على الأرض لتحقيق التوازن البيئي وليس بغرض الاستغلال.

وعلى الرغم من هذا التلون الحربائي.. كشف الصهيونيون- في المؤتمر الرابع والثلاثين سنة ٢٠٠٢ عن حقيقتهم العنصرية القبيحة بوحشيتها، فلم تخرج مقترحاتهم- لحل مشكلاتهم- عن: الحرب ضد حق عودة الفلسطينيين، والقيام بعمليات طرد واسعة للعمال الأجانب والعرب، ومطالبة الحكومة الإسرائيلية بضرورة دعم الاستيطان بشتى الوسائل في النقب، ووادي عربا، والجليل، والتأكيد على مركزية إسرائيل في حياة يهود الشتات «الدياسبورا»، حتى يصبح بوسع اليهودي أن يكون مواطناً أمريكياً.. وطنه الأصلي إسرائيل، مثله مثل الأمريكي الألماني، والأمريكي المصري، والأمريكي الأيرلندي.. الخ، متغاضين عن الفرق الكبير بين الحالتين، إذ الأمريكي الألماني - مثلاً- مواطن ألماني هاجر إلى أمريكا، أما الإسرائيلي الأمريكي فهو مواطن أمريكي هاجر إلى إسرائيل.. قاصدين بتلك المغالطة الكبرى إقرار جعل إسرائيل وطناً أصلياً، والضغط على يهود العالم، لكي يتخلصوا من وصف «الصهيونية التوطينية» التي يوصف بها اليهودي الذي يفضل الحياة في وطنه الأصلي، ويكتفي بتأييد الاستيطان، والإسهام في توطين الآخرين في فلسطين.. لكي يتخلصوا من هذا الوصف، ويقبلوا وصف «الصهيونية الاستيطانية» التي يوصف بها اليهودي الذي يترك وطنه ليستوطن في فلسطين، ويحمل السلام لطرد أهلها منها، حتى إن «بن جوريون» تصدى ليهود العالم التوطينيين في المؤتمر الخامس والعشرين سنة ١٩٦١ ليؤكد على أن الهجرة إلى إسرائيل واجب ديني وقومي، على كل اليهود.. وواصلوا هذا المنهج في مؤتمراتهم التالية، على الرغم من إصرار التوطينيين على حقهم في البقاء بوطنهم الحقيقي الذي يعيشون فيه.

ولقد احتدم هذا الصراع بين الاستيطانيين والتوطينيين إلى درجة جعلت أمين صندوق الوكالة اليهودية «حاييم تسلر» يعلن تفضيله المهاجرين غير اليهود من الاتحاد السوفيتي السابق على اليهود الأمريكيين الذين يفدون إلى إسرائيل بقصد السياحة، ثم يعودون إلى أمريكا.

والدكتور المسيري يرجع اهتمام هذا الصراع إلى عزوف يهود العالم عن الاستيطان في فلسطين عزوفاً واضحاً، فراراً من أخطار المقاومة الفلسطينية التي أثبتت أن فلسطين ليست أرضاً بلا شعب، تستقبل من شاء ليقيم فيها مستوطناته.

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادئ والتطبيق

الانحراف فى التطبيق

٨

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

البشر بشر يصيبون ويخطئون، تتنازعهم عوامل الخير وعوامل الشر، منهم الملتزم الذى يطبق أحكام وتعاليم دينه، ومنهم المخالف الذى لا يلتزم بتنفيذ ذلك.

ومع أن مبادئ الإسلام، وأحكام الشريعة الإسلامية بهذا الوضوح، وتلك الاستقامة والاعتدال، وهذه السماحة فى تحديد حقوق وواجبات الأقليات غير المسلمة فى ديار الإسلام، على النحو الذى أوضحناه سابقا، والتى كفلت جميع الحقوق التى للمسلمين لهذه الأقليات دون نقص أو حيف، وألزمتهم بأداء جميع الواجبات التى على المسلمين دون زيادة أو إرهاق..

مع هذا فإنه فى بعض الأزمنة والعصور تظهر على مستوى الأفراد والجماعات والدول من يتبع أسلوب التطرف والمغالاة فى الفكر والعقيدة، والسلوك والعمل، والقول والفعل.. وتحدث مواقف شاذة من بعض الحكام أو من بعض الجماعات أو من بعض الأفراد تكون مخالفة تماما لمبادئ الإسلام وأحكام الشريعة الإسلامية فى جميع مجالات الحياة.. وفى تلك الحالة يجب ألا تحمل الإسلام تبعة ووزر هذه التصرفات، وإنما الحق والعدل والإنصاف أن يتحمل وزرها من قام بفعلها..

وأخطر ما فى التطرف والانحراف فى التطبيق، أن المتطرفين يستخدمون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية استخداما فى غير المقصود من معانيها، ويستدلون بها استدلالا خاطئا لتأييد أفكارهم المنحرفة، ودعم آرائهم الباطلة، مجانبين الحق والصواب.. فيأخذون من بعض الآيات القرآنية جملة يقفون عندها -تؤيد فى الظاهر رأيهم- دون أن يكملوا الآية أو الآيات التى تتعلق بهذا الحكم، والتى توضح رأى الإسلام الصحيح فيه.

فمثلا: القتال فى الإسلام شرع للدفاع عن النفس ورد الاعتداء، وهذا حق مشروع تقره كل الشرائع والقوانين الدولية، ولا ينكره صاحب عقل سليم وفكر محايد، يقول الله تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠-١٩٣)

فالآيات القرآنية صريحة وواضحة فى أن أمر المسلمين بالقتال هو أن يكون القتال موجها ضد من يعتدون على المسلمين ويقاتلونهم

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾

وضد الذين يخرجون المسلمين من ديارهم

﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾

أى: قاتلوا فى سبيل الله من يناصبكم القتال من الأعداء، ولا تتجاوزوا فى قتالهم إلى من ليس شأنهم قتالكم، كنسائهم، وصبيانهم، ورهبانهم، وشيوخهم، ويلحق بهؤلاء المريض والمقعد والأعمى والمجنون.. وقد وردت فى النهى عن قتل هؤلاء الأحاديث النبوية ووصايا الخلفاء الراشدين لقواد جيوشهم، إلا من آذر منهم المحاربين من الأعداء.

ولتأكيد هذا المعنى نهت الآيات الكريمة المسلمين عن أن يكون المسلمون هم البادئون بالاعتداء بشتى صوره ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ ثم حذرت الآيات القرآنية المسلمين من أن يكونوا هم البادئون بالعدوان، لأن من يبدأ

بالعدوان لايحبه الله، ومن لايحبه الله فقد خرج من دائرة رحمة الله ومغفرته، واستحق غضب الله وعقوبته

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

فهل هناك تحذير من البدء فى الاعتداء أبلغ من ذلك؟؟

واحتراما لحرمة المسجد الحرام وهيبته ومنزلته السامية نهت الآيات القرآنية المسلمين عن قتال أعدائهم عند المسجد الحرام، إلا أنها أذنت للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم إذا هاجمهم أعداؤهم عنده أو فيه.

ومن شدة حرص الإسلام على السلام، وكرهه للقتال أنه طلب من المسلمين الكف عن القتال عندما يسلم المعتدون، ويوقفوا القتال، ويعلنوا إنهاء القتال من جانبهم، لأنهم قد انتفى عنهم حينئذ وصف الظلم الذى كان يستوجب قتالهم تأديبا لهم ليرجعوا عن الظلم:

﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

ادعاءات كاذبة

غير أن المنحرفين فى التطبيق يقفون عند قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

ويقولون: إن الله أمر بالقتال فى سبيله، وعلى ذلك فإن ما نفعله من قتال غير المسلمين -أو من قتال المسلمين أنفسهم الذين لايؤيدون فكرهم- إنما هو تنفيذ لأمر الله فى قوله تعالى: «وقاتلوا فى سبيل الله» دون أن يكملوا الآية والآيات التى تليها.

وهكذا يسىء المتطرفون استخدام النصوص القرآنية، ويفسرونها على حسب هواهم وتطرفهم..

وللأسف فإن بعض العوام والجهلة بأحكام الشريعة الإسلامية الذين لايعرفون ارتباط الآيات القرآنية بعضها ببعض لمعرفة الحكم الصحيح، ينخدعون بأقوال هؤلاء المتطرفين المنحرفين فى تطبيق الأحكام الإسلامية الصحيحة، ويؤيدونهم فى فكرهم على أنه رأى الإسلام.

على أنه ينبغى إنصافا للحقيقة، ومنعا للظلم، وتحقيقا للعدالة، واعترافا بالواقع، أن نقرر أن الانحراف فى السلوك والتطبيق الذى يحدث أحيانا فى بعض الأزمنة والعصور، ليس قاصرا على أتباع الدين الإسلامى وحدهم، بل إن الانحراف فى السلوك والتطبيق عام عند جميع أتباع الديانات السماوية.. فلماذا تسلط الأضواء، وتركز الأحاديث على الانحراف فى السلوك والتطبيق على المسلمين وحدهم، ونسكت ولا نتحدث عن الانحراف فى السلوك والتطبيق عند أتباع الديانات السماوية الأخرى!!

- يتبع -



معذرة.. سيدى يارسول الله

بقلم / مدير التحرير

تحت ما يسمى بحرية الرأى.. نشرت صحيفة دانماركية وتابعتها فى ذلك صحيفة غربية أخرى رسوما كاريكاتيرية تسخر من النبى المصطفى محمد ﷺ.

وقد ادعى المسئولون عن النشر أن هذه الإساءة تعتبر لونا من ألوان الأدب وأنها وسيلة من وسائل التعبير المشهورة فى العالم.. وما من شك أن الذى يذهب إلى أن السب والإساءة لون من ألوان الأدب، لا يعرف «الأدب».

ولكننا على كل حال نتساءل: هل يخلو قانون هذه البلاد من تجريم سب الأشخاص؟! وإذا كانت الإجابة تأتى بتأكيد وجود نصوص تجرم السب- وبخاصة فى بلدان تدعى لنفسها الديمقراطية- ألا تنسحب تلك النصوص على من يسب الأنبياء من باب أولى؟!

لقد رفض رئيس الوزراء الدانماركى فوغ راسموسن الاجتماع بأحد عشر سفيرا مسلما لعلمه أنهم جاءوا يستنكرون ما حدث!! إن هذا الموقف الذى صدر من رئيس الوزراء الدانماركى يتماشى تماما مع المنطق الغربى القائل: «الذى فى يده السلاح هو الذى يسن القوانين» أو «القوة هى الحق»[1] وهو منطق لايعرفه الدين الإسلامى ولا يستسيغه المسلمون فهذا قول أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- حين ولى أمر المسلمين: «الضعيف فيكم قوى عندى حتى أزيل عنه علته والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله عز وجل»[2] إن أبا بكر رضى الله عنه مع الحق حيث كان وليس مع القوة، وعلى ذلك تربى المسلمون.

إن الإساءة إلى الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين هى الشغل الشاغل لأعداء الدين وأعداء النور والحرية.

فمنذ بداية الدعوة يرفض المشركون الانصياع

(١) راجع مجلة الفكر السياسى العدد ٢٦ السنة ٨.

(٢) حافظ بن أحمد حكمى: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، دار ابن القيم، الدمام جـ٢.

للحق، وبرغم أنهم كانوا يشهدون محمد قبل الدعوة بأنه «الصادق الأمين» لم يؤمنوا له حين جاءهم محمد ﷺ بأمر الله وهو الحق فقد خاف البعض ضياع مصالحهم واستكبر آخرون لذلك جاء قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام/ ٣٣)

لقد أنكر المشركون الرسالة.. واستخدموا كل الوسائل للقضاء عليها فتارة يقولون عن النبي ﷺ أنه مجنون وتارة شاعر وتارة ساحر، ليصرفوا الناس عن دين الله العزيز الحميد ومنهم من نصب نفسه ليؤذي النبي ﷺ مثل لهب بن أبي لهب الذي أصابته دعوة النبي.

فعن أبي نوفل عن أبيه: قال كان لهب بن أبي لهب يسب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبك» قال فخرج يريد الشام في قافلة مع أصحابه قال فنزل منزلا قال: فقال: والله إني لأخاف دعوة محمد ﷺ. قال: قالوا له: كلا، قال: فحوطوا المتاع حوله وقعدوا يحرسونه قال: فجاء السبع فانتزعه فذهب به.[٣]

لقد توعد الله كل من يؤذون الرسول ويدبرون ويخططون لإطفاء نور الحق توعدهم جميعاً باللعنة في الدنيا والآخرة فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

(الأحزاب/ ٥٧)

إننا مؤمنون بأن من وجه هذه الإساءة إلى رسول الله ﷺ ستصله لعنة الله في الدنيا والآخرة كما أننا مؤمنون أيضا أن لنا دورا لابد أن نقوم به، لنصرة دين الله ودفاعا عن الحق حتى ولو لم يكن في أيدينا ما ندافع به، فأرواحنا تهون ونجود بها رخيصة في سبيل الدفاع عمن قال الله تعالى له:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح/ ٤)

ومن قال تعالى في شأنه:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة/ ٢٤)

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: إن «في الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب»[٤] ثم كيف نطمئن على إيماننا إذا غضضنا الطرف عن إساءة وجهت إلى الذي علمنا كيف يكون الإيمان فقال: «والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٥].

(٣) مسند الحارث، زوائد الهيثمي - مركز خدمة السنة والسيرة النبوية جـ٢.

(٤) القرطبي جـ٨ ص٨٧ في تفسير سورة التوبة/٢٤.

(٥) صحيح البخاري.

إن الإهانة قد شعر بها مليار ومائتا مليون مسلم في أنحاء العالم وظهرت واضحة جلية حينما خرج بعضهم ليعبروا عما لحقهم من الأذى في كل أنحاء العالم الإسلامي.

إن الإهانة - فعلا - كبيرة وموجهة لنا جميعاً.. وهي استفزاز صارخ لمشاعرنا نحن المسلمين، وإذا كان من فعلها يقصد بها اختبار الساحة في الدانمارك، إن كان فيها متطرفون - على حد زعمهم - فإن الاختبار قد تم ونتائج الاختبار قد تلقتها اليد الدانماركية وتلقفتها يد أخرى صهيونية - إن لم يكن لها باع في التخطيط - فلن يفوتها استثمار ما حدث.

وأقول: إن خروج الجماهير أمر طبيعي وبخاصة وأن هذا ما نراه في فضائيات العالم تخرج الشعوب للتعبير عن غضبها من شيء ما يحدث ضد إرادتها، ولكني أقول: إنه لايجب أن يبقى رد الفعل عند حد انفعال الجماهير!! فالجماهير تحركها العاطفة وهي في الغالب ذات حركة جارفة سرعان ما تخمد، وهي قبل أن تخمد أداة طيعة لمن يقودها وهي - أيضا - سهلة الاختراق فتتحول بغير قصد إلى أداة تدمر وتخرب وتنفذ ما يرجوه الأعداء، فتهدم في دقائق ما تم بناؤه في سنين، بل وقبل أن تخترق فإنها لا تملك إلا التقليد، فالقماش الذي تصنع منه أعلاما لتحرق تعبيرا عن الغضب وكل ما على شاكلته ما هو إلا بعض أموال المسلمين!! إن أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس ويجب أن يكون رد فعلها خير رد بين شعوب العالم حتى وإن أسيء إليها أليس رسولنا ﷺ القائل «لاتكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»[٦] لذلك فإن ما مرَّ بأمتنا الإسلامية لابد أن نتخذ لأجله خطوات عملية مدروسة جاهزة للتفعيل فيما لو حدث ذلك مرة أخرى؟!! وهو - بلا شك - سيحدث، مادامت الأقليات الإسلامية أصبحت عرضة للتجريب والاختبار!!

وحتى لانقع في مأزق ثورة غير محسوبة لفرد أو توتر زائد لجماعة لاتعبر عن توجه المسلمين كافة فإنه يجب أن تنظم ندوات ومؤتمرات يحضرها الصفوة من رجال الفكر الإسلامي ويدعى إليها من يرغب من رجال الفكر الغربيين لمناقشة مثل هذه الأحداث للوصول إلى أفضل الحلول الصالحة للتنفيذ.

فلا يصح - أبدا - أن نترك أمور هذه الأمة حتى إذا فجأها حدث فاجع تجتمع الدول العربية الإسلامية وهم تحت ضغط الوقت وكل تحكمه ظروفه ومصالحه فتخرج القرارات ضعيفة ما بين الإدانة والاستنكار فهذا ما لايرضى الله ورسوله.

والملاحظ أننا حين وقوع المستجدات على الساحة العربية نتعامل معها من منطق التعامل الإداري والحكومي المتسم بالروتين.. أي عقد اجتماع وعمل دراسة وإصدار توصيات.. وهذا حسن في بعض الأحيان إلا أنه لايتناسب مع تلك المستجدات التي تتسم بالسرعة وضرورة اتخاذ رأي حاسم وسريع!!

- لذلك فلابد من وجود خطة تصلح للدفاع عن هذا الكيان الإسلامي يتفق الجميع على الحد الأدنى

(٦) سنن الترمذي جـ٤ ص٣٦٤.



من نقاطها ويمكن تفعيلها عند الضرورة بإضافة أو حذف لتتلاءم مع مستجدات الأمور تدعى للمشاركة فيها كل الحكومات الإسلامية بدءا من اليوم حتى تتاح الفرصة للمناقشات وعرض وجهات النظر.. ويجب أن تتخذ القرارات التى تراها لصالح أمتنا ولكن أهم ما يجب أن تتسم به هذه القرارات هو البعد عن الخوف والضعف فقد بات جليا أن الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها أمة واحدة لاينقصها غير هدف تلتف حوله!!

ويبقى التساؤل.. من لهذه الجماعة المسلمة التى تعيش فى الدانمارك التى وقعت تحت «الاختبار» و«الاستفزاز» من ينصر هذه الأقلية المسلمة؟! إن أول ما يجب فعله هو العمل الدبلوماسى لوضع المسئولين الدانماركيين أمام حقيقة ما حدث لتوجيه الاعتذار لهذه الجماعة المسلمة التى لم ترتكب جرما بل هى جماعة مسالمة بشهادة الجميع.

أما رئيس تحرير تلك الصحيفة الذى وصف تاريخ المسلمين بأنه تاريخ مظلم فإن ذلك الرجل يعيش - فعلا - فى ظلام الجهل بتاريخ الإسلام الناصع المشرق فعليه أن يقرأ للمنصفين - من بنى جلدته - الذين كتبوا عن الإسلام والمسلمين وعن نبى الإسلام من أمثال: لويس سيديو، وبرنارد شو، موريس بوكاى.. ورجاء جارودى.. وغيرهم كثير؛ ليعلم فضل الإسلام على الحضارة الغربية.

ولذلك فإنه يجب علينا - أيضا - أن نقدم للغرب صورة ما كان عليه العالم قبل البعثة المحمدية وما آل إليه بعد أن أشرقت عليه أنوار الإسلام إننا أصحاب دين متين، لا تنقصنا الحجة ولا البرهان الساطع فقط نحتاج إلى الجهاد بالمال فعلى الدول الإسلامية جميعا كل حسب طاقته أن يساهم فى مشروع وليكن «التعريف بالإسلام ورسول الإسلام» وقد آن الأوان لمثل هذا العمل.

أبله من يظن فى الغرب قداسة

للدكتور/ على أحمد الخطيب

ألم يأن للمسلمين - فى أى مكان كانوا - أن يدركوا خواء الغرب من الروحانية وقدسية الملأ الأعلى؟!....

ألم يدرك المسلمون - بعد - أنهم - بإيمانهم بالغيب - محط سخرية الغرب، وتظراته المستعلاة لهم.

لكن لا بأس...

فلا زلتم - أيها المسلمون - على إيمان والحمد لله - بالله القدوس العزيز الحكيم، وتخشون بأسه، وترجون رحمته، وتستفتحون أيامكم برضاه - جل علاه.

ولازلتم - أيها المسلمون - تؤمنون بأن أرفع البشر شأنا، وأنقاهم سريرة، وأعلاهم أسوة هم رسل الله العلى الأعلى، وأنه - سبحانه - وحده، ولا أحد غيره - هو الذى فضل بعض الرسل على بعض، وهم جميعا شخصيات مطهرة مبجلة، وكل طاهر مبجل صحبته القداسة، فما القداسة إلا طهارة مبجلة، أعلاها قدرا فى ذاته - الله جل جلاله.

ثم مازلتم - أيها المسلمون - تقدرون «الحُرُمات» حق قدرها، وتستجيبون لأمرها، لأنها أنشأت بيننا طهارة، وحظيت منا بـ«بجالة»[1] فهى مقدسة، لأنها أنقت نسلنا من الحرام، وحفظت أمعاءنا من التلوث؛ فلم نأكل الخنزير، ولم نعاقر الخمر، ولم نضاجع أمهاتنا وبناتنا، ولم نجعل بيوتنا «ماخورا» للعاشقين. حتى أصولنا العربية التى اختار الله - تعالى - مُحمَّدا ﷺ منها... أصولنا هذه فى جاهليتها لم تأكُل لحوم البشر، تلك اللحوم التى ظل يأكلها أهل الدانمارك حتى القرن العاشر الميلادى[2]... لا قبل الميلاد؛ بل بعده بعشرة قرون، فخمَّد إحساسهم، فهو كذلك إلا أن يُوخَزُوا.

لقد أكلوا الخنزير ولحوم البشر، أفلا يأكلون لحوم الأنبياء؟!..

إن الجوع - الذى بإمكانكم أيها المسلمون - أن تنزلوه بهم كفيل بوخزهم.

---

(١) بجل - بزنه كرُم - يبْجُل - بجالة: عظم قدرُه وسنُّه.

(٢) انظر: ول ديورانت «قصة الحضارة» المجلد الأول - الجزء الأول ص ١٩ - نشر مكتبة الأسرة. وانظر - على سبيل التوسعة فى الأمر - للأديب المصرى توفيق الحكيم - الفصل الأول من كتابه «تحت شمس الفكر».

فليكم تستمرون!!

لقد ناديتم ـ أيها المسلمون ـ في رؤسائهم أن يكفوا هؤلاء المجرمين العابثين بالحرمات عما يفعلون... فقالوا: حرية لا نستطيع أن نمنعها، وليس بأيدينا أن نفعل، فلما غضب المسلمون، وتعالى استنكارهم، وصحبهم إلى ذلك الإخلاص في مقاطعتهم استجاروا وطلبوا من رؤساء المسلمين في كل مكان أن يكفوا المسلمين عن إبداء مشاعرهم!!!

فما هذا التناقض؟!.. لقد طلب رؤساء المسلمون إلى قادة الغرب أن يكفوا صحافتهم عن هذا الجرم، فامتنعوا وقالوا: حرية تعبير، فلما انطلق المسلمون يعبرون عن مشاعرهم تجاه رسول الله ﷺ، طلب الرؤساء الغربيون أن يكفوهم؟!... فما هذا التناقض: حرام علينا ما تحلونه لأنفسكم؟!...

ثم زادوا الطين بلة بقول كبيرهم: على هؤلاء الرؤساء ـ أي رؤساء المسلمين ـ ليكونوا محترمين أن يكفوا هذه الجموع عن ثورتهم...

يا الله!. رحم الله شوقي:

حرامٌ على بلابله الدوحُ
حلالٌ للطير من كل جنسِ

ثم انتهوا إلى هجمة شرسة ما انطلقت حتى قُهِرت وماتت في مهدها، فقد انبثق خيال كبيرهم المريض عن «تأليف قرآن» من القرآن يتسم المؤلف بمخططهم، فمات ما ألفوه، وإن ربك لبالمرصاد.

ألا فليعلم المسلمون ـ في كل مكان ـ أننا لا نتجنى، ولا نبالغ إذا قلنا: ليس في الغرب شيء مقدس، ولقد نسمع جعجعة، ولا نرى طحنا:

لقد ثارت آنسة مسيحية عربية على مطبوعات أمريكية شاذة تباع علنا بمكتبات برودواى بالقرب من ميدان كولومبس، وما ثورتها إلا غيرة على مقدساتها التي انتهكها الغرب[٣]، ثم إن شت تابع الخيال الجامح الذي تناول المسيح وهو الطاهر المبجل... على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام... فيما كتبه عنه:

مايكل بجنت، وريتشارد لي، وهنري لنكولن، في كتابهم «الكاهن والسلالة والكنز» الصادر بلندن عن دار نشر «جوناثان كيب» في فبراير ١٩٨٢.

وستجد به القرى لا فرية واحدة على المسيح والعذراء البتول ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ، ثم انتهت انجلترا بخاتمة هذه المصائب في «فيلم» جنسي شاذ نسب للمسيح ـ على نبينا وعليه أفضل السلام ـ، وكان صفعة للسيدة تاتشر، التي قالت: إنها مسئولة فقط عن المسيحية.

... وإذا تركت آكلي لحوم البشر، ثم قد علمت منزلة الكتاب المقدس بين أيديهم، فلعلك تظن ـ أو يدور بخلدك ـ أن الغرب أبقى كرامة للمرأة، أو حفظا لشرفها، أو صيانة لجسدها... لا... والله... ولا هذه أيضا.

الإسلام فيه الكفاية

أنسينا ما كان من أمرهم من نحو عشر سنوات فقط، حين أرادوا أن يحملوا الشرق حملا ـ أثناء مؤتمر المرأة ـ على أن يرضى بالنموذجين الشاذين من الأسرة:

أسرة من رجل ورجل..

وأخرى من امرأة وامرأة..

وتصدت لهم «السيدة بناظير بوتو» هنا في القاهرة باسم الله وباسم الإسلام، ثم باسم الأزهر حامل الرسالة، وقالت ـ أعزها الله:

«إن الإسلام فيه الكفاية وفيه طهارة تغنينا عن هذا البلاء».

ولم ينجح مؤتمر المرأة هذا في مصر، ولم تُعره امرأة واحدة في الصين حضورا، بعد انتقاله من القاهرة إلى بكين.. ورجع من حيث أتى بخفي حنين لتمتلئ أحشاؤه بما يريد... لكن في الغرب وحده.!!

إننا نرجو ـ نحن المسلمين ـ ألا يكون بيننا ساذجا يظن أن للغرب قدسية ما.

ونحن نلعن من لعنهم الله ورسوله، ونلعن معه من ساءه أن نلعنهم. قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

[الأحزاب: ٥٧]

والله القدوس ناصر رسله ومنتقم لهم:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

[غافر: ٥١، ٥٢]

ثم المقاطعة، وما هو أشد منها واجب شرعي حتم لازم.. قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[المجادلة: ٢٠-٢٢][٤]

---

(٣) راجع الأهرام العدد ٤٢٨٣٢ بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠٤ ص١٦.

(٤) [يُوَادُّونَ]: يصادقون. [أُولَٰئِكَ]: إشارة إلى المؤمنين الذين يقاطعون هؤلاء المعتدين.

ما كان أروعَ شيخِ أزهرِنا

«من وحى الهجمة الشرسة على رسولنا ﷺ من الفئة الباغية»

شعر ـ أحمد مصطفى حافظ
(وكيل ندوة شعراء العروبة سابقا)

بعد اجتراء الطغمة الحمقاء ... (برسوم) بغى لجَّ فى الغلواء

هبَّت ملايين.. بأعتى ثورة ... عمَّ البسيطة فى مدى الأنحاء

فاضت مشاعرهم خير الخلق.. للْـ ... أغلى من الآباء والأبناء

كانت «صحابته» لأزهى شوكة ... - تنتابه- لاترتضى.. بعناء

بل تفتديه بأى بذل، دونه ... بذْلُ النفوس بساحة الهيجاء

.. ما بالنا فى عصرنا اليوم.. الذى ... قد شاه بعد بلاهة السفهاء

ما بالنا.. لاننتضى إيماننا ... لنُبيد عاصفة الهوى الهوجاء!

.. ما كان أروعَ شيخ أزهرنا الذى ... قاد الجميع بغضبة ومضاء

دوَّى وجلجل صوتُه بحرارة ... ليصك سمعَ الطغمة الرعناء

قبلاً.. عهدناه بنيل سلامة ... وبلاغةٍ.. للأمة السمحاء

واليوم صار مناضلا ومُدافعا ... عن واحد الآحاد والعظماء



واليوم قرَّ قرارُنا وصمودُنا ... بمواقف الأفذاذ والعلماء

تصحيح صورتنا بعين الغرب قد ... آن الأوانُ لها.. بكل جلاء

***

ياأيها الحقد الدفينُ.. تصَعّرا ... للغد.. ماتبغى من الحنفاء؟

ما القصدُ من فتنة يبح نُباحها؟ ... ورسولنا فى سُدَّة العلياء..

الله كرَّمه بأعظم منَّة ... ما نالها أحدٌ من الأحياء

هذا الرسول مضى لنشر رسالة ... فانهارتْ الأصنامُ باستخذاء

لم يبْق منها غير شرذمة بدتْ ... تهفو لوأد الشمس بالإطفاء!

إسلامُنا غُصص تؤرّق جمعهم ... إسلامنا باقٍ مدى الآناء

فليمض كُلُّ موحّد فى سيْره ... ليضوع بالأشذاء والأنداء

مَنْ كان يخشى الله واليوم الذى ... شاب الوليدُ به لهولٍ بلاء

فليمض فى كنف الشريعة راسخاً ... لجهاد نفس، أو جهاد فداء

***

بين المجلة و القارئ

فهل نحن منتهون؟!

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

كان لأحد اليهود في المدينة بئر ماء يقال لها «رومة» وكانت البئر تسقي أهل المدينة، والإنسان لايمكن أن يحيى بدون ماء وهي بدهية لايمكن لأحد أن ينكرها.. أخذ اليهودي يرفع سعر الماء يوما بعد يوم.. والمسلمون يدفعون تحت ضغط الحاجة الشديدة للماء.. حتى جاء يوم عجز فيه الكثيرون عن دفع ثمن الماء فاتجهوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه النصيحة حتى يرفع عنهم بلاء هذا اليهودي الشره الذي يبيعهم قطرات الماء بثمن لايقدرون عليه.

جمع رسول الله ﷺ المسلمين في المسجد وقال لهم: «من يشتري بئر رومة للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله مشرب في الجنة».

فذهب سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لليهودي يساومه على شراء البئر فأبى اليهودي إلا أن يبيعه نصف البئر فقط.. وبكم؟ باثني عشر ألف درهم وهو رقم هائل في هذا الزمان يعادل الملايين في زماننا هذا.

وتم الاتفاق على أن يكون لعثمان يوم يسقي فيه، ولليهودي يوم يسقي فيه.

وقد يتصور رجال الأعمال اليوم وخاصة من يعملون في صناعة المياه المعدنية أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بما هو مشهور عنه من عقلية تجارية فذة سينتهز الفرصة ليحقق ربحا طائلا بعد أن امتلك نصف موارد المدينة المنورة من الماء.. نعم هكذا يفكر أهل زماننا الرديء ممن أعمت أفئدتهم شهوة المال.

ذو النورين - وهو ومن أكبر رجال الأعمال في عصره - حقق بالفعل ربحا طائلا لايملك أحد على وجه الأرض أن يجني مثله! لماذا؟ لأنه تاجر مع الله!! جعل الماء للمسلمين بغير ثمن فكان المسلمون يشربون ويدخرون من الماء في اليوم المخصص لسيدنا عثمان ما يجعلهم يستغنون عن الذهاب للحصول على الماء في اليوم المخصص لليهودي الذي كسدت تجارته فعرض على سيدنا عثمان - رضي الله عنه - شراء النصف الآخر من البئر فاشتراه منه بثمانية آلاف درهم وجعل البئر خالصة للمسلمين يشربون منها كل يوم وفي أي وقت شاءوا ونزل في سيدنا عثمان قول المولى عز وجل:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾

(البقرة/ ٢٦١)

إنها مكافأة إلهية لا تعدلها مكافأة لرجل روى عطش المسلمين وحال بين اليهودي وبين فتنتهم في دينهم.. أجل كان اليهودي يقول لمن لايقدر على دفع ثمن الماء: اذهب إلى محمد الذي آمنت بدينه واسأله أن يوفر لك ثمن الماء ألم يعدك بالجنة!!؟

هكذا كان رجال الأعمال في هذا الزمن الجميل.. زمن رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار.. وبهذا السلوك ملكوا الدنيا واستحوذوا على خزائن الأرض.

وما كان أحرانا أن نقتدي بعثمان - رضي الله عنه -!!

جميل أن نغضب للإساءة الوقحة التي ارتكبها كافر فاجر وفرت له حكومته كل الدعم والحماية تحت شعار الحرية والديمقراطية.. تلك الحرية والديمقراطية التي تبيح سب الأنبياء والزنا وزواج المثلين وكل المفاسد والموبقات.

جميل أن نغضب لرسول الله ﷺ ونقاطع الدولة أو الدول التي سبت نبينا الكريم ﷺ ونقاطع منتجاتهم.

ولكن هل يليق يا معشر رجال الأعمال ويامعشر التجار أن تستغلوا حالة الذعر والقلق التي أصابت الناس من جراء الشائعة السخيفة عن تلوث مياه النيل بفضلات الطيور المصابة بالأنفلونزا وعدم صلاحيتها لا للشرب ولا للاستحمام.. وتضاعفوا أسعار مياه الشرب!! وفي الناس من يقدر على دفع الثمن المغالى فيه ومن لايقدر فتقفوا من المسلمين موقف هذا اليهودي.

أما كان الأجدر بكم يا هؤلاء أن تقفوا بجوار أبناء هذا الشعب لا أقول بتوزيع المياه مجانا ولكن على الأقل بعدم رفع الأسعار واستغلال خوف الناس.

اخترتم جميعا أن تكونوا كذلك اليهودي صاحب بئر رومة.. وأبيتم أن تلتزموا سيرة نبيكم وأصحابه البررة ولعلكم نفذتم تعليمات أرسلها إليكم سادتكم أصحاب شركات المياه المعدنية في الدول الأوروبية وذلك باعتباركم وكلاء لهذه الشركات التي حققت أرباحا طائلة من جراء شائعة سخيفة

إن لم تكونوا أنتم مصدرها، فالمؤكد بالفعل أنكم روجتم لها وأحدثتم حالة من الذعر والهلع بين المواطنين لا توصف وهم يشاهدون سياراتكم الضخمة تجوب الشوارع لنقل كميات هائلة من المياه المعدنية فتصوروا أنكم على ثقة من أن مياه النيل بالفعل ملوثة فاندفعوا يشترون مياهكم المعدنية فقابلتم اندفاعهم بالمغالاة في الثمن، ووقف من لايقدر على دفع الثمن يدعو ويبتهل إلى الله أن يرفع هذه الغمة وألا يبارك لهؤلاء التجار الذين تاجروا في محنة الناس.

وأنتم يا أبناء مصر.. يا من غضبتم لرسول الله ﷺ القارة الأوروبية بأسرها نشرت الرسوم المسيئة لرسول الله ﷺ ومع ذلك دفعكم الخوف والهلع إلى شراء المياه المعدنية التي حملت علامات تجارية أوروبية ونسيتم تماما المقاطعة ودفعتم بإرادتكم أموالا طائلة لوكلاء شركات المياه الفرنسية والدانماركية والانجليزية.. وغيرها.

قلتم: «فداك يا رسول الله» وعجزتم عن تحمل العطش لساعات حتى تتبينوا حقيقة الأمر الذي ثبت أنه مجرد شائعة سخيفة روج لها مستفيدون أحسبهم تجار المياه المعدنية عفوا بل هم تجار أرواح المسلمين تلك الأرواح التي حفظها بعون الله وإرادته ذو النورين سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ منذ ١٤٠٠ عام مضت.

- يا معشر المسلمين قبل أن تطالبوا الغير باحترام دينكم اعملوا انتم بما أمركم به دينكم.
- وقبل أن تطالبوا الغير باحترام نبيكم احترموا سنته وطبقوها في حياتكم، واذكروا قوله ﷺ: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا».
- مأساتنا أننا:
- تصلي ولا تعقل من صلاتنا شيئا.
- تصوم بطوننا عن الطعام وترتع باقي حواسنا في الشهوات.
- تخرج الزكاة ـ إن أخرجناها ـ مباهاة ومنا على الفقراء.
- نمارس في حياتنا العامة والخاصة كل ما نهانا عنه ديننا آملين في عفو الله عندما نؤدي فريضة الحج.
- نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بينما نحن عبيد لهذه الدنيا وشهواتها.

لقد هان ديننا عند الناس لأنه هان علينا.

ووجهت الإساءة لنبينا لأننا نحينا سنته عن حياتنا.

فهل نحن منتهون؟!

أحمد تقي الدين

وإلى رسائل القراء

بل هو خير لكم

من الشيخ مصطفى الأزهري - خطيب مسجد سوق الحمام - القاهرة كانت هذه الرسالة التي حملت الكثير من التفاؤل، قال:

منذ أن بعث الله تبارك وتعالى محمدا المعصوم ﷺ برسالته وقد تضافرت قوى الشر والأذى من الكفار والمشركين واليهود، واتحدت، وساندت بعضها بعضا للقضاء على صاحب الرسالة العصماء وحامل لواء الدعوة الوليدة الجديدة.

وكانت لهؤلاء الأعداء محاولات كثيرة وعديدة لقتل رسول الله ﷺ والخلاص منه بعدما أيقنوا أن اتهاماته ﷺ بتهم مثل الشعر، الكهانة، الجنون، السحر، غير مقنعة ولامجدية، وأن محمدا يثبت للدنيا كل يوم أنه أرجح الخلق عقلا، وأصفى الناس قلبا، وأعظم الناس خلقا.. فلم يكن لهم بد إلا أن يأتمروا على التخلص منه نهائيا بالقتل والاغتيال.

- روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ؟! فقال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبوبكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي ﷺ مرددا قول المولى عز وجل:

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾

(غافر: ٢٨)

صورة من الأذى تنضح حقدا وغلا من أحد أعداء الإسلام، لم يترك الغادر اللئيم عقبة ابن أبي معيط رسول الله ﷺ لينتهي من صلاته فيواجهه وجها لوجه، إنما هي الطباع الخسيسة التي تطعن دائما من الخلف.

- وروى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال: قال أبوجهل: هل يعفر «أي: هل يسجد لله؟» محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» قال: فأنزل الله عز وجل:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩) ﴾

(العلق: ٦-١٩)

- ومن المحاولات القديمة لقتل الحبيب المصطفى ﷺ مارواه الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت لما نزلت:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾

(المسد: ١-٥)



مظاهرة في الهند تندد بالإساءة للنبي الكريم ﷺ

جاءت «العوراء» أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر «حجر ملء الكف» ورسول الله ﷺ جالس وأبوبكر إلى جنبه، فقال أبوبكر: لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك. فقال ﷺ: «إنها لن تراني» وقرأ رسول الله ﷺ قرآنا اعتصم به منها:

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾

(الإسراء: ٤٥)

فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني. فقال أبوبكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك. فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها.

● إن من حكمة الله العليا أن يرفع قدر رسوله محمد ﷺ ذلك أن باب الأذى الذى يظنه الناس شرا والذى أراد به المنافقون النيل من شرف النبي العظيم وبيته المطهر جاء على عكس ما أرادوا وجاءت كلمة الفصل لترفع الأذى عن كاهل النبي الأمين ﷺ وسيكون بإذن الله بشير خير. قال عز وجل:

﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(النور: ١١)

أرادوا أن يكسروا زجاجة المسك ففاح عطرها وملأ الكون كله عبيرها وردد الناس في كل مكان وفي الفضائيات فضائل الحبيب المصطفى تسمعها شعوب الأرض صلى عليك الله يا خير خلق الله.

بعيداً عن المظاهرات

ومن الشيخ الحنفي حسين عسيلي - موجه بالأزهر بدمياط - كانت تلك الرسالة:

أرسل الله سيدنا محمداً ﷺ إماماً للبشرية ورحمة للعالمين قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٤٥، ٤٦]

وأكرمه الله بحسن الصفات والأفعال وكرم الطباع والخصال وحسن الخلق والتواضع، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم: ٤]

ودعا رسول الله إلى كل خير والبعد عن كل شر قال ﷺ. «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأحبه أصحابه الكرام فاقتدوا بهديه وأخلصوا صحبته وأقبلوا عليه بقلوبهم فكم كتبت الأقلام وكم نشرت دور النشر وما أحاطت بحب الصحابة لرسول الله صلي الله عليه وسلم.

لقد أثبت التاريخ العديد من المواقف التى كان الصحابة الكرام يفتدون فيها رسول الله بأرواحهم.

واليوم وعلى صفحات الجرائد يهان سيدنا رسول الله ﷺ وعلى مستوى دولي وعالمي.

وفي الواقع ليس ما نشرته صحيفة الدنمارك وغيرها هو بداية الإساءة لسيدنا رسول الله ﷺ.

فتعطيل شرع الله في بلاد المسلمين إهانة لرسول الله صلي الله عليه وسلم. وإهمال القرآن والعمل بما فيه إهانة لرسول الله ﷺ وخذلان المسلمين لإخوانهم في الدول التى مزقها العدوان وأذاقها أبشع أنواع الذل والهوان إهانة لسيدنا رسول الله ﷺ.

والفجور السافر الذى يهيمن على وسائل الإعلام في بلاد المسلمين إهانة لرسول الله ﷺ ووووو إلخ.

ولكن ما نشرته صحيفة الدنمارك وغيرها من الصحف الأوروبية ليست إساءة مقنعة بل هي إساءة سافرة ومتعمدة واستفزاز حقير وجرح لمشاعر المسلمين.. وقد اعترف رئيس تحرير الصحيفة بأنه منذ سنوات وصلت إليه صور مماثلة لنبي آخر ولكنه رفض نشرها بحجة أنها تجرح مشاعر أصحاب ديانته.

مع العلم أن شريعة الإسلام تحافظ على حرمة جميع الأنبياء والمرسلين دون التفرقة بين نبي وآخر قال تعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة: ٢٨٥]

ثم إن الكفرة المستهزئين يتذرعون بحرية التعبير! فأين ذلك من حرية التعبير؟

ومن الذى قال إن جرح مشاعر الآخرين حرية تعبير، وليتهم يتعلمون من سيد الأنبياء والمرسلين مفهوم الحرية دون الإساءة إلى الغير، لقد أعلنها ﷺ ظاهرة جلية وهو يعطى للناس صورة حقيقية عن المسلم حيث يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وكان الأجدر بكم يا من تدعون أنكم أرباب الحضارة أن تتعلموا الأدب والخلق الحسن من معلم

البشرية العالمي. وهو الرسول العظيم الذى أسأتم إليه. وأردتم بفعلكم الخبيث الاستهزاء به، وفي الواقع لقد أسأتم إلى أنفسكم، أما رسولنا العظيم ﷺ فإن الله قال له منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

[المائدة: ٦٧]

والتعبير بالفعل المضارع فى الآية له مغزى لمن أراد أن يفهم فالعصمة ليست فى زمان معين فقط بل هى عطاء متجدد بالمرصاد لكل من يتجرأ على رسول الله ﷺ. وإننا كمسلمين لا يكفينا اعتذار عادى أو سطحى.

إنما الاعتذار هو أن تقوم نفس الصحيفة وعلى صفحاتها بنشر ملف كامل عن حياة سيدنا رسول الله يظهر عظمته ودعوته إلى كل خير واحترامه للآخرين. ويكون ذلك بإشراف كامل من الأزهر الشريف.

كما نطالب بإغلاق السفارات بيننا وبين كل دولة تسىء إلى رسول الله، وقطع جميع العلاقات بيننا وبينهم حتى يعودوا إلى الحق. وعلى الأزهر أن يقوم بإرسال بعثات تعليمية تظهر صورة الإسلام الحقيقية أمام العالم وتزيل الغبار الذى تكثف على صورة الإسلام أمام الغرب وتعطى فكرة حقيقية عن سيدنا محمد ﷺ لينظروا إليه كما ننظر نحن إليه، ويعرفونه كما نعرفه. ثم بعد ذلك يؤمنون أولا يؤمنون.

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ

ومن القارئ صالح البيطار - جريدة «الجمهورية» - كانت هذه الكلمة:

منذ أن نزل الروح الأمين جبريل - عليه السلام - على سيدنا محمد ﷺ حاملا التكليف الإلهى له بحمل أمانة الرسالة وتبليغها للناس أجمعين وقد أدى ﷺ الأمانة ونصح إلى الأمة بما تركه لنا من سنته «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى».

وجاهد ﷺ وصحابته الكرام فى الله حق جهاده وتحمل من المشاق ما لا طاقة لبشر به أملا فى هداية البشرية وإنقاذها من عذاب يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

وعندما وقف صناديد الكفر عن وجهه يعارضونه قال قولته المشهورة: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أترك هذا الأمر ما تركته أبدا».

ما حدث فى الدانمارك من رسوم مسيئة لنبينا الكريم ﷺ ما هو إلا امتداد ومحاكاة لما فعله صناديد الكفر كأبى جهل وأمية بن خلف وغيرهما ولكن الله ناصر نبيه:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾

وكفى بنبينا الكريم وعد الله له بالنصرة.

أما نحن فلا نملك إلا رفع الأيدى بالضراعة إلى المولى عز وجل أن يثبتنا على الحق فى مواجهة ما يراد بالإسلام وبنبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

بين الصحف والمجلات

إعداد: أ/ محمود الفشنى - أ/ عبدالموجود أمين

خصصت جريدة أخبار اليوم في عددها الصادر في ٢٠٠٦/٢/١١ صفحة كاملة عرضت خلالها ردود أفعال هيئات وشخصيات عالمية رفيعة المستوى، من باريس، والولايات المتحدة الأمريكية، والقاهرة، وروما، وبريطانيا، وسويسرا:

جارودى:

المسلمون قادرون على اتخاذ قرارات موحدة

فمن باريس كتبت الأستاذة «ميرفت ميلاد» قالت:

أدان المفكر الفرنسى الشهير روجيه جارودى بشدة الرسوم الكاريكاتورية التى تسىء لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والتى نشرتها إحدى الصحف الدانماركية وأكد أنها جزء من سياسة الرئيس الأمريكي جورج بوش لإشعال الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ودعا المفكر الفرنسى الذى أشهر إسلامه منذ سنوات المسلمين إلى عدم الانجرار وراء الأفعال العنيفة فى تعبيرهم عن الغضب ورفض الإساءة للرسول الكريم لأنهم بذلك يخدمون أجندة الإدارة الأمريكية التى تريد تشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام العالم، وأكد أن حرق أعلام الدول الغربية ومهاجمة سفاراتها ومنشآتها فى الدول الإسلامية يسىء لسمعة الإسلام والمسلمين، وأشار إلى أنه من حق المسلمين الاحتجاج ورفض كل ما يسىء إلى الرسول الكريم ولكن بالصورة التى تعبر عن الوجه الحقيقى والحضارى للإسلام من خلال التظاهر السلمى وإصدار بيان موحد يعبر عن جميع المسلمين يشرح أسباب الغضب ويتناول الموضوع على جميع المستويات حتى يعرف بوش أن المسلمين قادرون على اتخاذ قرارات موحدة وأنهم على درجة عالية من الوعى والإدراك، وفى الوقت نفسه تتأكد الشعوب الغربية من كذب ما تروج له بعض وسائل الإعلام فى الغرب عن همجية المسلمين.



جارودى

ورفض جارودى ما يقوله بعض الغربيين عن حرية الرأى والتعبير كمبرر لنشر مثل هذه البذاءات مشيرا إلى محنته الشخصية عندما نشر كتابا عن المحرقة اليهودية «الهولوكست» فى ألمانيا أثناء فترة الحكم النازى والذى شكك فيه فى حقيقة رقم ضحايا المحرقة من اليهود وأنه لايمكن أن يتجاوز المليون يهودى وليس ستة ملايين كما يروج اليهود، وأضاف أنه تعرض للمحاكمة وصدر ضده حكم بالغرامة المالية الباهظة ولم يتحدث أحد ساعتها عن حرية التعبير حيث ينظر الغرب إلى قضية الهولوكست باعتبارها خطا أحمر لايمكن لأحد أن يقترب منه.

كوفى عنان:

التعدى على المعتقدات والمشاعر الدينية مرفوض

ومن الولايات المتحدة كتبت الأستاذة «ثناء يوسف» قالت:

أبدى كوفى عنان السكرتير العام الأمم المتحدة تعاطفه الشديد مع الشعوب الإسلامية تجاه الرسوم الكاريكاتورية البذيئة التى نشرتها بعض الصحف ضد الإسلام. وأكد عنان أن حرية التعبير لا تعنى حرية انتهاك المعتقدات الدينية. وقال: إن حرية الصحافة ليست حرية مطلقة بل تقف عندما تصبح تعديا على حريات ومعتقدات ومشاعر الطرف الآخر.

ومن موقف الولايات المتحدة قالت المحررة:

وجدت الولايات المتحدة نفسها فجأة وسط عاصفة الغضب العارم الذى اجتاح العالم الإسلامى نتيجة قيام صحيفة دانماركية بنشر رسوم كاريكاتورية مسيئة لمشاعر المسلمين، وسعت الإدارة الأمريكية إلى اتخاذ موقف متوازن من قضية يعتبرها الغرب تندرج تحت بند حرية التعبير عن الرأى. ويرى المراقبون أن غضب وثورة الشعوب الإسلامية والتى لها ما يبررها تعتبر تحدياً جديداً لإدارة الرئيس بوش التى تسعى إلى الاقتراب من تلك الشعوب..



كوفى عنان

ومع ظهور العلم الأمريكى إلى جانب علم الدانمارك أثناء مظاهرات الاحتجاج التى انتشرت فى العديد من الدول أعلنت حالة الطوارئ بين المسئولين عن التخطيط للدبلوماسية العامة برئاسة كارين هيوز وكيلة وزارة الخارجية.. وسعت الإدارة الأمريكية من خلال تعليقاتها على هذا الوضع المؤسف أن تخلق نوعاً من التوازن فيما بين إدانة الرسوم المسيئة وحرية التعبير ورفض العنف كوسيلة للاحتجاج.

وحرص الرئيس الأمريكى جورج بوش على أن يؤكد أن موضوع الرسوم المسيئة أمر يتطلب مناقشة مستفيضة وتفكيراً يتميز بالحساسية مشيراً إلى أن واشنطن وإن كانت تؤمن بحرية الصحافة فإن هذه الحرية يجب أن تكون مسئولة وملتزمة وتراعى الحساسية فيما يتناول مشاعر الآخرين.

وكانت الصحف ووسائل الإعلام الأمريكية قد تعاملت مع موضوع الرسوم بتحفظ واضح ورفضت إعادة نشرها بعكس العديد من الصحف الأوروبية التى بادرت بنشر الرسوم بعد مرور أربعة أشهر على قيام الصحيفة الدانماركية بنشرها.

ويجدر بالإشارة هنا أن أغلب الصحف الأمريكية تتفادى نشر أى إساءة أو تجريح مباشر بل تنقله عن مصادر تحددها وذلك لتفادى المواجهات فى المحاكم بسبب قواعد الأخلاق أو التعرض للصالح العام وحقوق الآخرين.

وذكر عدد من المحررين الأمريكيين أنهم لم يجدوا مبرراً لإعادة نشر الرسوم لأن إعادة النشر استفزاز غير مقبول خاصة بعد أن أعرب الشارع العربى عن غضبه.

وقد ترددت تقارير حول علاقة رئيس تحرير المجلة الدانماركية بواحد من أكثر العناصر الأمريكية المتشددة والمعادية للإسلام والعرب بصفة عامة وهو دانيال بيبسى.

ويقال إن بيبسى هو اليد السوداء التى حركت المجلة الدانماركية لنشر الرسوم لخلق مناخ من التوتر يحول دون تقارب أمريكى عربى.. وليس هناك أى شك فى أن إعلان كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية أن كلا من إيران وسوريا تعملان على الاثارة والتحريض وتستغلان الأزمة لأغراض خاصة هى أبرز تداعيات قضية الرسوم المسيئة.. والتى حولت مشاعر الاستياء التى لها ما يبررها إلى قضية سياسية..

سفير الدنمارك بالقاهرة:

الدنمارك تقدر الإسلام وتحترم المسلمين!!

ومن القاهرة كتبت الأستاذة وردة الحسينى قالت:

أكد بيارن سورنسن سفير الدنمارك بالقاهرة أن هناك احتراماً كبيراً للمسلمين الذين يعيشون فى بلاده وفى بلاد العالم المختلفة، مشيراً إلى أن هناك ٢٠٠ ألف مسلم فى الدنمارك وبما يمثل ٤٪ من حجم السكان وثانى أكبر ديانة هناك بعد البروتستنتية، وأكد كذلك أن الإسلام له تقدير كبير كأحد الأديان الرئيسية والتعامل يتم على قدم المساواة بين جميع الأديان فى الدنمارك. وأضاف سفير الدنمارك بأن السبب الرئيسى وراء هذه الأزمة التى قامت بين الدنمارك والعالم الإسلامى هو بعض الجماعات المتعصبة فى بلاده وهو ما يوجد كذلك فى الكثير من المناطق فى العالم.

وأشار إلى أن الصحيفة التى نشرت الرسوم المسيئة للنبى «محمد» قد قدمت اعتذارها مؤخراً على موقعها بشبكة الإنترنت وكان اعتذاراً واضحاً وعميقاً. وقال: إن الحكومة الدنماركية لا تستطيع أن تعتذر نيابة عن هذه الصحيفة، حيث إن ما قامت به الصحيفة يعد عملاً فردياً لجهة مستقلة



مظاهرة فى ألمانيا تندد بالرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم

وبالتالي هى التى تملك حق الاعتذار.. مشيرا إلى أن رئيس الوزراء الدنماركى قد أكد من جهته احترامه لجميع الأديان والمعتقدات واستنكاره لأى تشويه لصورة مجموعة من الناس بناء على عقيدتهم أو خلفيتهم العرقية. ونفى سفير الدنمارك بالقاهرة أن تكون هذه الرسوم جزءا من كتب للأطفال أو أن هناك تدبير لحرق القرآن الكريم. وقال: إن ذلك كله كان مجرد شائعات. وأكد أنه لو تم الإقدام على حرق القرآن فإن ذلك سيعد عملا إجراميا يؤدى إلى السجن مشيرا إلى أن قوات الأمن والشرطة فى الدنمارك تراقب وتتابع بعناية هذا الموضوع خاصة وإن أية مظاهرة سيتم تنظيمها لابد من الموافقة عليها مسبقا من جانب الأمن.

وأوضح أن بلاده دولة مسالمة لها قيمها التى تقوم على الاحترام والتسامح والعيش جنبا إلى جنب ما بين جميع الجاليات الموجودة بها.. مشيرا إلى الجهود الإيجابية التى تتم لتحقيق الاندماج داخل المجتمع.. وقال: هناك بالفعل بعض المشكلات التى تواجه عملية الاندماج ولكنها الأقل مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى.

غضب فى الشارع الإيطالى

تجاه الإساءة للإسلام

ومن روما كتب الأستاذ «رضا عماد»:

لاتزال وسائل الإعلام الإيطالية والرأى العام الإيطالى بصفة خاصة يتابع بقلق شديد ردود الفعل الإسلامية والشعبية وردود فعل القيادات السياسية والدينية الإيطالية إزاء إهانة مشاعر الأمة الإسلامية وقد أفردت جميع الصحف الإيطالية فى صفحاتها الرئيسية تحليلات وآراء دينية وسياسية ونشر ردود فعل العالم الإسلامى إزاء الإساءة للرسول الكريم بسبب الرسومات الكاريكاتيرية التى نشرتها إحدى الصحف الدانماركية ونقلتها بعض الصحف الأوروبية. وقد غلب طابع التطرف فى إيطاليا على بعض زعماء أحزاب الائتلاف اليمينى الحاكم برئاسة بيرلوسكونى بالرغم من استياء وغضب رجل الشارع الإيطالى من الحملة الشنعاء ضد الإسلام إلا أن بعض زعماء الأغلبية فى حكومة بيرلوسكونى حاولوا استغلال الموقف التاهب ليخرجوا ما فى نفوسهم من حقد على العالم الإسلامى والدول العربية وأخذوا ينددون بالإسلام ويطالبون الشعوب الأوروبية بمواجهة الدول الإسلامية وطرد كل ما هو مسلم من أراضيها.

من جهة أخرى انتقد بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر الإساءة للديانات السماوية ودعا إلى احترام المشاعر الدينية وأكد أن الحق فى حرية التعبير لا يعطى الحق فى إهانة المشاعر الدينية للمؤمنين، وأن هذا المبدأ يجب أن يحترم فى كل الأديان وأن أى شكل من أشكال الانتقاد المبالغ فيه أو الإهانة للآخرين هو أمر ينقصه الإحساس الإنسانى ويمكن اعتباره فى بعض الحالات على أنه عمل تحريضى.

وقد أكد رئيس الجمهورية الإيطالى كارلو ايزيليو شامبى على أن الحرية مبدأ أساسى وهى أحد الحقوق الأساسية للإنسان إلا أن حدودها تقتصر على عدم المساس بالآخر والمسئولية يجب أن تترجم إلى فعل وممارسة كما أن أوروبا مقتنعة بأهمية الحوار بين الثقافات والأديان المختلفة ويجب أن تكون الحرية مسئولة وتتضمن الجوانب المختلفة: حرية التعبير وحرية التدين.

وقد عبر وزير الداخلية الإيطالى جوزيبى بيسانو عن غضبه الشديد لإهانة الإسلام والمسلمين وأعرب عن ضرورة احترام الأديان وجميع الرموز الدينية لكل الديانات التى لا يجب أن تكون موضع سخرية أو إساءة أو إهانة.

حرية الصحافة لا تعنى حرية الإهانة

ومن سويسرا كتبت الأستاذة «ماجدة طنطاوى»:

أكدت الخارجية السويسرية فى بيان رسمى إدانتها لتجريح مشاعر المسلمين مشيرة إلى أن حرية الدين ركيزة أساسية للدولة السويسرية يضمنها الدستور والقانون واللذان يحددان أيضا حدود ممارسة حرية التعبير.. حيث إن الحريتين تشترطان تسامحا واحتراما متبادلا.. كما أنه يجب التفريق بين واجب الحصول على المعلومات بموضوعية والرغبة فى تجريح إيمان الأشخاص والمجتمعات والشعوب.

وأكدت الخارجية السويسرية للجاليات

الإسلامية فى سويسرا وفى جميع أنحاء العالم أن سويسرا تكن للإسلام أكبر قدر من الاحترام وتدين أى إرادة للاعتداء على عقيدة المسلمين وتجريح مشاعرهم الدينية. وأضافت السلطات السويسرية أن سويسرا تقيم علاقات تعاون وثيقة مع الدول الإسلامية مؤكدة أن الحوار والاستماع للرأى الآخر هما السبيل الوحيد للتفاهم المتبادل بين المجتمعات والثقافات، وأن العنف أسلوب غير مقبول فى أى حال من الأحوال.

من ناحية أخرى نشرت رابطة مسلمى سويسرا والبالغ عددهم ٣٠٠ ألف مسلم يعيشون فى سويسرا بياناً استنكرت فيه نشر الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبى ودعت للتحرك ضد محاولات نشر الكراهية والقطيعة بين الشعوب وإلى عدم تكرار ما حدث.. وأضافت الرابطة أنها تحترم حرية التعبير على ألا تكون بازدراء الأديان وإهانة المقدسات والترويج للأفكار العنصرية مشيرة إلى أن سقف الحريات هو سقف أخلاقى بالمقام الأول.



مظاهرة لمسلمى اندونيسيا ضد الرسوم المسيئة للرسول ﷺ

وقد تطرقت الصحف السويسرية بحذر شديد لأزمة الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبى ﷺ مثل صحيفة لوتان السويسرية الناطقة بالفرنسية التى خلصت إلى أن حرية التعبير والصحافة لاتعنى حرية الإهانة.. وأكدت صحيفة لاتريبون دى جنيف أن الرسوم التى نشرت فى الدنمارك خطيرة ومضرة فى نفس الوقت لأنها لاتعمل إلا على إذكاء الكراهية ضد المسلمين وتعميق عدم التفاهم بين الناس.. وأكدت الصحيفة أن كل المسلمين يكنون احتراماً كبيراً للنبى محمد وأن نشرها من قبل الصحافة بمثابة انحراف واستفزاز ووسيلة من وسائل نسف الحوار المتعثر بالفعل بين المسلمين والغرب..

الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمنية بالاتحاد الأوروبى:

لا عداء للإسلام فى أوروبا

فى جريدة الاهرام الصادرة فى ٢٠٠٦/٢/١٦ أجرى الزميل محمد صابرين حوارا مع «خافير سولانا» الممثل الاعلى للسياسة الخارجية والأمنية بالاتحاد الأوروبى الذى وصل القاهرة مؤخرا ليلتقى بعدد من الشخصيات رفيعة المستوى من بينها فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر لبحث تداعيات أزمة الرسوم المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيه:

● هل يمكن أن توضحوا لنا ما هى ملامح مشروعات القرارات الناهضة لازدراء العقائد الدينية.. وهل سوف تتضمن عقوبات مثلما دعا شيخ الأزهر؟

●● نحن لم نتحدث كثيرا عن عقوبات ولكن حول سبل توضيح الأمر بجلاء ومن خلال أعلى هيئة وهى الأمم المتحدة. إن مسألة احترام عقائد الناس والأديان «أمر حيوى» وأيضا مسألة احترام الأنبياء، ولكن كيف نفعل ذلك؟.. إنها مسألة لاتزال فى مرحلة «التحديد» إلا ان ذلك سوف يحدث.. كما أن عملية احترام العقائد والأديان سوف تحاط بسياج من الضمانات.

● مسألة الاعتماد فقط على أخلاق وسماحة الناس لضمان الامتناع عن التعرض للمعتقدات الدينية للآخرين، لاتكفى ولابد من وجود عقوبات تردعهم؟

●● أنت تعلم أنه حتى مع وجود أقوى قوانين فى المجتمعات فإنها لاتمنع بعض الناس من ارتكاب أشياء ضد القانون أو ضد السلوك القيل واعتقد أننا نتحدث هنا عن عواطف ومعتقدات ومبادىء وأحاسيس والشخص الذى يرتكب اعتداء ضد هذه الأمور لانستطيع أن نعاقبه «بالصورة الكلاسيكية» إن الأمر «أخلاقى» أكثر من أى شىء آخر، وذلك لأننا نتحدث عن سلوك أخلاقى وليس عن رجل يسرق محلا تجاريا أو يقوم بأشياء مادية.. ومن ثم فإن العقوبة يجب أن تكون «روحية وأخلاقية» أيضا.

● دعنى أكون صريحا هنا.. إن المواطنين والكتاب يقولون إن ما حدث نموذج تقليدى على ازدواجية المعايير فهناك قانون ضد «معاداة السامية» يتضمن نوعا من العقوبات الرادعة، إلا أن الأمر عندما يتعلق بالمسلمين فليس هناك شىء يردع!! بل إن الصحفى الدانماركى عندما سئل هل سوف يختبر حرية



سولانا في لقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لبحث تداعيات أزمة الصور المسيئة للرسول ﷺ

التعبير ويتحدث عن الهولوكوست؟.. قال: إنه لايريد جرح مشاعر اليهود.. إذن لماذا المجتمع الدولي يعالج الأمر بصورة مختلفة مع المسلمين فقط؟!

●● إنك تتحدث عن حفنة من الأشخاص ثم يتم القفز إلى المجتمع الدولي وهو ملايين الأشخاص وأحب أن أوضح لكم أن ملايين الأشخاص لاتتصرف بهذه الصورة التي تتحدث عنها إذا ما أخطأت حفنة من الناس فيجب ألا نفكر بأن الغالبية سوف تتصرف بنفس الطريقة وتجرح مشاعر المسلمين.. إن المهم هو احترام الأغلبية ذات النيات الحسنة لمشاعر الآخرين، وبذات القدر احترام حرية التعبير، حرية المعلومات، حرية الصحافة وبالطبع لكل شيء حدود، والحدود هي الإساءة إلى الآخرين وهذه الحدود المانعة للإساءة إلى الآخر هي عميقة الجذور في أخلاقيات الإسلام والمسيحية واليهودية فنحن نحترم الآخرين وعلينا أن نطبق ذلك ليس بالقوة ولكن خلال الإقناع والتعليم، تلك هي الطريقة الوحيدة لكي نحصل على عالم يمكننا أن نعيش فيه جميعا بسلام ونحترم فيه مشاعر ومعتقدات الجميع، وأنا شخصيا لو ارتكبت خطأ من هذا النوع فإنني سأكون مستعدا للاعتذار.

● دعت مجلة «الإيكونوميست» البريطانية في تناولها للقضية إلى رفع القيود المفروضة على تناول جوهر قضية الهولوكوست «المحرقة اليهودية».. هل تؤيدون ذلك؟

●● إنني لم أقرأ مقال الإيكونوميست ولكن علينا أن نكون عادلين بالنسبة لاحترام مشاعر وعواطف كل الناس وهناك أشياء ثبت وقوعها تاريخيا وأمور أخرى لم تثبت إلا أن ذلك ليس له علاقة بمشاعر الناس وليس لدينا الحق في جرح مشاعر الآخرين وبالنسبة للمسلمين فإن طريقة معاملة الرسول «محمد صلى الله عليه وسلم» هي مسألة أساسية لأنها جزء من معتقدهم الديني في حين أن الأمر مختلف بالنسبة لعقائد أخرى ولكن المهم هو ضمان أن كل الناس سوف لايتم الإساءة علنا إلى معتقداتهم.

● هل تؤيدون وضع حدود لحرية التعبير مثلما فعلنا مع مسألة الهولوكوست وأن نضيف الآن إليها ما يتعلق بالأديان مثل الدين الإسلامي.. أم رفع هذه الحدود جميعها معا؟

●● إنني أعتقد أن هناك أمورا هي «حقائق» وأخرى مشاعر مرتبطة بالأديان وربما يتعين التعامل معهما بصورة مختلفة وأعتقد أن كل ما يتعلق بأخلاقيات الناس ومشاعرهم ودينهم يجب أن يتم احترامه من قبل الجميع ولا أعتقد أن هناك أحدا في العالم لديه الحق في جرح مشاعر الآخرين بسبب معتقداتهم.

● إذن أنت تعتقد أن الأمرين مختلفان ولايوجد شيء مشترك بينهما.. أعني الهولوكوست والأديان؟

●● أعتقد أن الأديان هي الأديان.. وهذا ما كنا نناقشه وهذه الفكرة التي تقدم بها أناس من دول مختلفة في العالم الإسلامي وهي أنهم لايريدون أن يخلطوا بين الأمور وهم يريدون الاحترام للأديان وهي مرتبطة بمشاعر عميقة أما الأمور الأخرى بقصد الهولوكوست فهي مرتبطة بأحداث تاريخية ثبتت صحتها علميا.

● لكن دعني أذكركم بأن «العداء للسامية» تتم معاقبته؟

●● نعم.. لكن العداء للسامية يعني للعديد من الناس أشياء مختلفة فهو يعني العداء لليهودية أو العداء لإسرائيل وهي دولة، وبذلك هذه ليست مشاعر ضد الدين وأعتقد أننا يجب أن نكون في غاية القوة في الدفاع عن المشاعر العميقة للناس الذين ينتمون إلى أديان معينة وهذا في رأيي هو أفضل وسيلة للتعامل مع الأمر وفي الوقت نفسه أنا لا أحب الدخول في سجال حول أمور نظرية سوف تأخذ وقتا طويلا من أجل تحديدها وتوصيفها، ولكن بمرور الوقت والذي لن يكون وقتا طويلا سيكون بمقدورنا وضع آلية أو نظام يتم من خلاله احترام جميع الأمور سواء المشاعر أو الحقائق التاريخية.



مظاهرة فى المغرب ضد الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم

والمشكلة الآن من وجهة نظرى هى: كيف يمكن لكل فرد أن يشعر بأن مشاعره العميقة المرتبطة بالدين أو الله والرسول أو كتابه المقدس أو صلاته، هو أمر سيتم احترامه من الجميع، وأحسب أن لا أحد لديه الحق فى الاعتداء على هذه الأمور وأحب أن أعتذر عن ذلك لأنه لا أحد يحق له فعل ذلك.

● فى نهاية المطاف.. رجل الشارع سوف يحكم على حقيقة ما يجرى على الأرض ولن يهمه كثيرا تلك الفروق النظرية، وبالنظر إلى ما يحدث فى الدانمارك، وما يصدر من حكومتها، فإن الأمر لايبدو مقبولا أو مرضيا بالنسبة له؟

●● إن الضمانات هى مسألة مهمة سواء بالنسبة للمثقف أو لرجل الشارع وأعتقد أننا يمكننا أن ننظم الأمر بصورة أفضل وهذه أول مرة يحدث مثل هذا الموقف ولا أعتقد أنه حدث عن عمد وإنما يعود الأمر فى حقيقته إلى الافتقار إلى المعلومات أو الذوق أو المشاعر، وعلينا أن نفكر مليا، حتى نتعلم من هذه الحادثة ونقنع الجميع بأنها لن تتكرر، ونحن نتحدث هنا عن قناعات، ومن ثم علينا أن نقنع الناس بأن ذلك أمر يجب ألا يفعلوه.

● إذن هل توافقون على اتهام ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى واشنطن لحزب الليكود الإسرائيلى بأنه يقف وراء هذه الرسوم المسيئة من خلال تعاون جناحه الدولي مع الصحفي الدانماركي وأيضا الاتهامات الأخرى الموجهة لسوريا وإيران بأنهما استغلتا الموقف لصالح مواجهتما مع الغرب؟

●● لا أعتقد ذلك بشأن مسألة وقوف الليكود وراء ذلك وأتمنى ألا يستغل أحد الموقف وكما تعلم فإن هناك أناسا خبراء فى عملية الاستغلال هذه واستغلال مشاعر الآخرين ولقد سبق أن رأينا ذلك فى التاريخ وفى السنوات الأخيرة.

وأحسب أننا سنرى فى المستقبل وأعتقد أن عملية الاستغلال هى طريقة أخرى لعدم احترام مشاعر الناس وعندما يحاول البعض الاستغلال فإنه لايحترم المشاعر على كلا الجانبين.

● إذن أنت لاتقبل بنظرية المؤامرة هذه؟

●● إننى أحاول ألا أؤمن بنظرية المؤامرة ولا أعتقد ان التاريخ نتاج عملية المؤامرة وأؤمن بأن التاريخ هو من صنع الناس.

● البعض يقول إن الواقعة ليست سوى «القشة الأخيرة» وأنها سبقها تهجمات كثيرة سواء من شخصيات مثل بيرلسكونى الذى قال: إن حضارتنا أفضل من حضارتهم أو نائبة فى برلمان الدانمارك التى وصفت المسلمين بأنهم مثل «الأورام السرطانية» وأخيرا وزير الإصلاحات الدستورية الإيطالية روبرت كالديرولى طالب البابا بحرب صليبية جديدة ضد المسلمين.. والقائمة طويلة ترى ما هو ردكم؟

●● لاتستمر فى سرد ما يقوله أشخاص وذلك لأنه يمكننا عمل بيانات تتضمن تصريحات لأشخاص يقولون العديد من الأمور التى لا نتفق معها إن المهم هو القناعة العامة وتوافق الآراء بعدم الإساءة إلى معتقدات ومشاعر الآخرين.

● للأسف فإنه برغم حالة الغضب فإن الأخبار القادمة من الدانمارك تقول إن الرسوم سيعاد طباعتها فى كتاب وأن أحد المتاحف الدانماركية سوف يعرضها؟!!

-لقد سبق أن قلت لكم ألا تعيروا اهتماما لهذه الأمور المهم هو الاهتمام بما يقوله الناس الحكماء الذين يمكن الوثوق بهم لا الإصغاء إلى «تعليقات غبية» من هنا وهناك لأننا نسمع من حين لآخر تعليقات غير مسئولة، إن المهم هو الإيمان بالأشخاص ذوى النيات الحسنة الذين يحاولون حل المشكلة ولديهم هدف واضح وهو عدم الإساءة لأى أحد. إننى أحب أن أقول بكل وضوح مرة ثانية وبصوت عال: «مع خالص الاحترام لاعتقاد ودين كل شخص خاصة فى هذه المرحلة من الزمن.. والتى تعرض فيها العديد من الناس فى العالم الإسلامى لإساءة العاملة لمعتقداتهم.. أحب أن أقول إننى أشاركهم المعاناة».

وشهد شاهد من أهلها..

تحت هذا العنوان جاءت كلمة كتبها الأستاذ محمد على إبراهيم رئيس تحرير الجمهورية فى عددها الصادر فى ٢٠٠٦/٢/٩م قال:

صحيفة «الجارديان» البريطانية هى إحدى أهم الصحف العالمية، وقد اتخذت فى أحيان كثيرة مواقف مناهضة للعرب والمسلمين، لكن فى قضية الرسوم المسيئة للنبى ﷺ كان لها موقف مغاير تماماً عبر عنه الكاتبان فيليب هينشر وجارى يونغ.. اللذان كتبا مقالاً هاماً اعترفا فيه أن الصحيفة الدانماركية «يولا ناندز بوستن» أخطأت..

تساءل الكاتبان عن مدى السبق أو حرية الصحافة فى نشر رسوم تمس المسلمين.. قال الكاتبان: إن القصة بدأت عندما فشل أحد المؤلفين فى العثور على رسام كاريكاتورى يرسم له رسومات كاريكاتورية فى كتاب يعتزم إصداره عن نبى الإسلام.. وهو الكتاب الذى رفضت عدة دور نشر إصداره..

ويقول الكاتبان البريطانيان: إن الصحيفة الدانماركية صنعت قضية من لاشىء، فقد اعتبرت فشل المؤلف فى العثور على دار نشر لطبع كتابه ضد الرسول بمثابة رقابة داخلية مارستها دور النشر على نفسها ورفضت الكتاب، وبالتالى قررت إدارة الصحيفة التعاقد مع ١٢ رساماً، وطلبت منهم رسومات تصور النبى وقد ارتدى عمامة كبيرة تختفى تحتها قنبلة لها أزيز.. وفى هذا إشارة واضحة إلى أن النبى ﷺ إرهابى ويدعو للعنف..

وقد أعجبنى الصحفيان وهما يقولان: إنهما لا يستطيعان الاقتناع بأن الرسامين الذين أقدموا على هذه الفعلة الشنعاء جهلة، أو لا يعرفون ما الذى يمكن أن تسفر عنه هذه الرسوم.. وأكد الصحفيان أن الهجوم على الإسلام فى الصحيفة الدانماركية لم يكن مصادفة، فالرسم المسىء للرسول كان عبارة عن آية فى القرآن تم إساءة تفسير معناها، لتخدم الغرض الذى من أجله تصدرت الصحيفة، وهو الإساءة للرسول..

فيليب هينشر وزميله جارى يونغ قالا: إن الإساءات الموجهة للنبى لا تمثل إساءة للمسلمين فقط، وإنما تمثل إساءة لكل من يحترم الأخلاق والقيم..

ويدعونا الكاتبان إلى أن نسأل أنفسنا: هل إذا كانت هذه الرسوم قد تعرضت بالإساءة لأصحاب المدارس العلمانية مثل ماركس وداروين، هل كان أتباعهما سيسكتان عن إهانتهما.. هل كان الشيوعيون وأتباع نظرية النشوء والارتقاء سيقبلان المساس بعميد الشيوعية، وبالعالم الذى ألغى فكرة وجود آدم على الأرض؟!.. وقال إن الإنسان هو التطور الطبيعى للقرد؟!..

ويعترف الصحفيان أن هناك إهانة لحقت بالمسلمين، ما فى ذلك شك، وأن غضبهم له ما يبرره..

ويمضى الكاتبان إلى أبعد من ذلك فيقولان: إن الصحيفة الدانماركية كانت ستفكر ألف مرة قبل أن تكتب شيئاً يمس الديانة اليهودية، حتى لا يتهمهم أحد بالعداء للسامية، لأنها تهمة خطيرة فى أوروبا وأمريكا، وقد يدفع المتهم عنها عشرة أعوام من عمره فى السجن.. أما ازدراء الدين الإسلامى ـ على حد قولهما ـ فلم يحدث أن سجن أحد بسببه فى أوروبا..

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

٤١ عالماً إسلامياً يطالبون الدنمارك بالاستجابة للأصوات المنصفة ويدعون المسلمين إلى الالتزام بعدم نقض العهود والمواثيق المحترمة

أصدر ٤١ عالماً إسلامياً بياناً نشرته جريدة الأهرام فى ٢٠٠٦/٢/١٤ للرد على جرائم الاعتداء على مقدسات الأمة، وطالبوا المسلمين بالالتزام بضوابط الشرع الحنيف ورفض مقابلة الإساءة بما لا يجيزه الشرع.

من العلماء والدعاة الذين وقعوا على البيان الدكتور على جمعة مفتى مصر، والشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس، والدكتور محمد رشيد قبانى مفتى لبنان، والدكتور أحمد بدر الدين مفتى سوريا، والدعاة: الحبيب على الجفرى، وعمرو خالد، وخالد الجندى، ود. حسن الصفار، ود. سلمان العودة، ود. طارق السويدان، ود. عائض القرنى، وقال العلماء فى بيانهم:

إننا نشد على يد الأمة التى هبت لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أمر يؤكد أن هذه الأمة حية، كما أننا ننبه على أن تكون هذه النصرة مرآة لنهج الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم من خلال تصرفات أمته، ووجهوا الدعوة إلى الدنمارك حكومة وشعباً إلى الاستجابة للأصوات المنصفة والناضجة التى انبثقت من داخل مجتمعها معتذرة وداعية إلى إدانة هذا التعدى وإيقافه حتى لا تعيش الدنمارك عزلة عن مسيرة المجتمع الدولى الذى يدرج ضمن حدود الحريات ما يمنعها من التعدى على المقدسات الدينية، أو إثارة الكراهية ضد دين أو عرق، وكذلك توجه هذه الدعوة إلى الدول التى دافعت عن هذا التعدى على أنه لا يوجد اليوم مجتمع يقر الحرية غير المسئولة دون أن يضع لهذه الحرية ضوابط تحول بينها وبين الإضرار بالغير، ثم تتفاوت المجتمعات فى هذه الضوابط.

كما وجه العلماء الدعوة إلى المسلمين إلى الالتزام بضوابط الشرع الحنيف، وترفض مقابلة الإساءة بما لا يجيزه شرعنا من نقض العهود والمواثيق المحترمة فى شريعتنا بالاعتداء على السفارات أو الاعتداء على الأنفس المؤمنة وأمثالها من الأعمال غير المرضية التى قد تشوه عدالة

مطالبنا، أو تتسبب في عزلنا عن مخاطبة العالم، فإن نصرة نبينا لا تكون بمخالفة شرعه.

وثمن العلماء المواقف المنصفة التي صدرت عن عدد من المراجع الدينية مستنكرة هذا التعدي الشائن، مما يدعو إلى تأكيد عدم أخذ غير المسلمين في بلادنا وخارجها بجريرة الذين أساءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

وقوله عز وجل: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

وأكدوا أن واجبنا الآن هو الانتقال إلى مرحلة تعريف الأمم بنبينا عبر نشر أخلاقه وأوصافه وشمائله إلقاء وكتابة، وقبل ذلك كله ومعه وبعده سلوكا ومعاملة، وأن تقوم المؤسسات المعنية وأصحاب الإمكانات بواجبهم في دعم هذا التعريف.

بيان اتحاد كتاب مصر حول الرسوم الدنماركية

أصدر اتحاد كتاب مصر بيانا حول الإساءة إلى رسول الله ﷺ، جاء فيه:

«إن اتحاد كتاب مصر إذ يؤكد حرصه الدائم على حماية حرية الفكر والإبداع فهو يستنكر بكل شدة سلوك بعض الصحف الدنماركية والأوروبية بنشر رسوم كاريكاتورية تسيء إلى رسول الإسلام النبي محمد ﷺ مؤكدا أن هذا العمل يعبر عن ازدراء للأديان ولمعتقدات الغير ولا يمت لحرية التعبير بصلة.

إن اتحاد كتاب مصر يدين هذا السلوك المشين ويؤكد أنه من غير المقبول أن تستخدم حرية الرأي والتعبير كذريعة للتهكم على المقدسات والسخرية من الأنبياء لأن هذا السلوك إنما يزيد من استشراء التعصب الديني ويتخذ مبررا لممارسة الإرهاب الذي أصبح الآن خطرا يواجه العالم أجمع.

والاتحاد يدعو في هذه المناسبة جميع الأطراف إلى كلمة سواء يتم الاتفاق بمقتضاها على ضرورة احترام معتقدات الغير وتجنب السخرية من الأنبياء جميعا».

أكبر عريضة ورقية لنصرة الرسول الكريم

قامت مجموعة من الشباب المتطوعين بمدينة جدة السعودية بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإطلاق حملة كبيرة لنصرة النبي محمد ﷺ وذلك من خلال جمع مليون توقيع في أطول عريضة ورقية لرفعها إلى الجهات المعنية في دولة الدانمارك.

وشهدت المبادرة تدفق مئات الشباب من الجنسين الذين اصطفوا في طوابير طويلة لأخذ فرصتهم في التوقيع على أكبر عريضة احتجاج يشهدها العالم.

وقال أحد المنظمين الرئيسيين لفكرة المليون توقيع: «إن الهدف من هذه التظاهرة هو إظهار مدى حب المسلمين لرسولهم الكريم ﷺ والتعبير عن الرفض القاطع للإساءة إلى جانب تعميق وتأصيل محبة رسول الله ﷺ في نفوس عامة المسلمين وبالذات الناشئة منهم.

حزب إيطالي يعرض الرسوم المسيئة في ساحة عامة

قرر حزب رابطة الشمال أحد أحزاب الائتلاف الحاكم الإيطالي عرض الرسومات المسيئة للرسول الكريم ﷺ في الساحة الرئيسية لمدينة بيزارو شمالي إيطاليا.

ودافع المسئول المحلي في الحزب دانتي روشيني عن القرار بقوله: إننا لحسن الحظ نعيش في بلد تتوافر فيه حرية التعبير والفكر والسخرية، لقد نشرت رسومات وكتابات وأنجزت أفلاما تسخر من المسيح ومن الكنيسة الكاثوليكية ولم يحدث شيئ يذكر، وأوضح أن تنظيم هذا المعرض يندرج في إطار تفعيل النقاش حول موضوع استقطب اهتمام الرأي العام.

وكان وزير الإصلاحات الدستورية الإيطالي روبرت كالديرولي أحد اقطاب رابطة الشمال قد دعا منذ أيام إلى استخدام القوة ضد المسلمين، مطالبا بتدخل ضد المسلمين اسوة بما قام به الباباوان السابقان بيو الخامس وإينوشينزو السادس.

وزير إيطالي يطبع الصور المسيئة ويوزعها على الأوروبيين

في تصعيد جديد لأزمة الصور المسيئة للرسول الكريم صنع وزير الإصلاح الإيطالي «روبرتو كالديرولي» قمصاناً مطبوعاً عليها الرسوم المسيئة وقال «كالديرولي» عضو رابطة الشمال المعادي للمهاجرين لوكالة أنباء «انسا» الإيطالية: «إن على الغرب أن يقف ضد المتطرفين الإسلاميين» وعرض أن يقدم القمصان لأي شخص يريدها.

ونقلت وكالة «انسا» عن روبرتو قوله: لدي قمصان مطبوعة عليها الرسوم التي أزعجت الإسلام وسوف أبدأ في ارتدائها.

وقال: إن القمصان ليست المقصود بها الاستفزاز!!!

وقال «كالديرولي»: إن علينا أن نضع حدا لهذه الرواية إننا لا يمكن أن نتحدث مع هؤلاء الناس فهم يريدون فقط إذلالنا.



رعب فى أوساط الشركات الدانماركية من تصاعد المقاطعة الإسلامية

سادت حالة من الرعب فى أوساط الشركات الدانماركية بسبب تصاعد حملات المقاطعة الإسلامية للمنتجات الدانماركية فى أعقاب إصرار الحكومة الدانماركية على عدم الاعتذار عن الرسومات المسيئة للرسول ﷺ وقام عدد من الشركات الدانماركية بنشر إعلانات فى الصحف العربية والإسلامية لمحاولة امتصاص الغضب الإسلامى والتخفيف من حدة الموقف الإسلامى ضد منتجاتها.

كانت عدة دول إسلامية قد صعدت مقاطعتها للمنتجات الدانماركية، وتبنت عدة مؤسسات مدنية واقتصادية إسلامية حملات واسعة عبر الإنترنت والغرف التجارية لمقاطعة المنتجات الدانماركية.

خطة صهيونية لضرب الإسلام فى أوروبا

حذر رئيس المؤتمر العربى الإسلامى الأوروبى «فادى ماضى» من خطة صهيونية مبرمجة تستهدف الوجود العربى والإسلامى لضرب الإسلام فى أوروبا وتوصيف الإسلام على أنه مصدر للقلق والاضطراب والإرهاب وبث بذور الكراهية والطائفية والعنصرية فى المجتمعات الغربية.

وكشف فى رسالة إلى منظمة المؤتمر الإسلامى عن صلات بين رئيسى صحيفتى «بولاند بوسطن» الدنماركية ومجلة «ماجازينيت» النرويجية - اللتين كانتا أول من نشر الصور المسيئة عن الرسول ﷺ وبين المؤتمر اليهودى العالمى. ومما يذكر أن ماضى أكد فى رسالته التى وجهها إلى منظمة المؤتمر الإسلامى والجامعة العربية والمجلس العالمى للفيدرالية الدولية للصحفيين، وإلى لجنة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة، وبعض المنظمات العربية، والدولية أن رئيسى التحرير هما عضوان فى المؤتمر اليهودى العالمى ومن ممولى ومصدرى معلومات قسم الدراسات والأبحاث فى مركز «سايمون ويزنتال» اليهودى الذى يهدد مصالح العرب والمسلمين فى كل أنحاء العالم بحجة دفاعه عن السامية.

وأضاف ماضى: لقد ثبت تورط جهات رسمية دنماركية منها الحزب الحاكم والمدعى العام بموافقتهم على نشر الصور وبدء حملة ترهيب واسعة النطاق ضد المسلمين فى الدانمارك تقودها الجهات الأمنية ووسائل الإعلام الدانماركية والأوروبية واصفة العرب والمسلمين بأنهم جماعات إرهابية ويجب استئصالهم من المجتمعات الغربية.

أكراد العراق

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يعيش الأكراد فى المنطقة الكردية، شمال العراق فيما يعرف باسم «كردستان العراق، أو ما يسمى «كردستان الجنوبية»، بينما يطلق مصطلح «كردستان الشمالية» على كردستان تركيا، و«كردستان الشرقية» على كردستان إيران. وأقصى ما يطمح إليه الأكراد هو تأسيس «كردستان الكبرى».

وتتكون كردستان العراق من ثلاث محافظات: هى أربيل والسليمانية ودهوك. وتعتبر أربيل العاصمة الإقليمية والتاريخية لكردستان العراق، بينما السليمانية هى العاصمة الثقافية. وتبلغ مساحة إقليم كردستان العراق حوالى ٧٩٠٠٠كم٢، تمثل ١٨٪ من المساحة الكلية للعراق، وتمثل فى نفس الوقت ١٥٪ من مساحة كردستان الكلية التى تبلغ ٥٠٠ ألف كيلو متر مربع، منها ٢٣٠,٠٠٠كم٢ فى تركيا، و١٢٥٠٠٠كم٢ فى إيران، وباقى المساحة موزعة على كل من سوريا وأرمينيا وأذربيجان.

ويتألف المجتمع الكردى من جماعات إثنية وعرقية ودينية، منهم الكاكائيون، واليزيديون، والتركمان، والكلدان، والأشوريون، والشيعة والسنة. ويدين أغلبية الأكراد بالإسلام على المذهب السنى، كما يوجد الأكراد الفيليون على المذهب الشيعى، وهناك المسيحيون من السريان، الذين يسمّون حالياً الآشوريين، وهم يعيشون فى النصف الشمالى من كردستان، وهذه الطائفة لها خمسة مقاعد دائمة فى البرلمان الكردى فى أربيل، الذى يعتبر المؤسسة الكردية البرلمانية للإدارتين الكرديتين فى كل من أربيل والسليمانية، والتى توجد لكل منها حكومة محلية.

وفى كردستان أيضاً طائفة مسيحية أخرى

هى الكلدان، وهم أقل عدداً من الآشوريين، ويعيش معظمهم فى السليمانية، وتعتبر اللغة الكردية من عائلة اللغات الإيرانية، التى تنتمى إلى مجموعة اللغات الهند ـ أوروبية، وتتألف اللغة الكردية من أربع لهجات، هى الكرمانجية، والصورانية، والزازية، والهورامية، وتكتب بثلاث أبجديات، بالحروف العربية فى العراق وإيران، وبالحروف اللاتينية «مكونة من ٣٣ حرفا» فى تركيا وسوريا، وبالحروف السريانية فى أرمينيا وأذربيجان.

ويتوزع الأكراد فى كردستان الكبرى على خمس دول هى:

- تركيا «من ١٥-٢٠ مليون كردى».
- وإيران «من ١٠-١٢ مليون كردى».
- والعراق «من ٦-٧ ملايين كردى».
- وسوريا حوالى ٢,٥ مليون كردى.
- والاتحاد السوفيتى «حوالى ٢,٥ مليون كردى».
- وبذلك يبلغ العدد الكلى للأكراد من ٣٦-٤٤ مليون كردى.
- وتشير معظم الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن الأكراد يرجع أصلهم إلى الجنس الآرى من قبائل هند-أوروبية، بينما يذكر «المسعودى» المولود فى بغداد إلى أن نسبهم يرجع إلى أصول عربية فيقول فى كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر»: «إن أجناس الأكراد، وأنواعهم تعود إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان من بكر بن وائل، انفردوا فى قديم الزمان، وانضافوا إلى الجبال والأودية لأحوال دعتهم إلى ذلك»، ويذكر أن الأكراد دخلوا فى الإسلام بعد فتح بلادهم على يد الصحابى الجليل «عياض بن غنم» الذى فتح معظم بلاد الأكراد من جهة الجزيرة سنة ١٨ من الهجرة، وقد سبقه «القعقاع بن عمرو» فى فتح «حلوان» الواقعة جنوب كردستان قبل ذلك سنة ١٦ من الهجرة. وفى هذا السياق يُذكر أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان قد أمر «سعد بن أبى وقاص» أن يرسل ثلاثة جيوش لفتح بلاد الأكراد، وهى ديار بكر، ومدنها المعروفة: حران، ونصيبين، وسنجار، وخابور، والموصل، وجبال هكارى، وبهدينان.

وتعد البرزانية، والزيبارية والقادرية أشهر قبائل الأكراد، ويمثل الحزب الوطنى الكردستانى بزعامة «مسعود البرزانى» فى العراق، البرزانية، فى حين يمثل حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى بزعامة «جلال طالبانى» ائتلاف من قبائل الزيباريين والقادريين.

ثورة العشرين

ويرجع تاريخ الحركة الكردية فى العراق إلى ما قبل تأسيس المملكة العراقية، ففى عام ١٩١٩ نظم الشيخ «محمود الحفيد» صفوف الأكراد، وقاد أول ثورة كردية ضد الاحتلال الإنجليزى، عرفت بثورة العشرين «عام ١٩٢٠»، غير أن الإنجليز تصدوا لها، وقاموا بنفى قائد الثورة، وفى عام ١٩٢٢ أعادوه من المنفى، حيث صدر بيان من كل من العراق وبريطانيا، اعترفا فيه بحق

الأكراد فى أن تكون لهم حكومة باسمهم، ففى عام ١٩٢٣ أعلن الشيخ «محمود الحفيد» نفسه ملكاً على كردستان، ورفع عليها العلم الأخضر الذى يتوسطه الهلال الأحمر لكن الإنجليز واجهوه عسكرياً، وتمكنوا من هزيمته. ومن ثم توجهت المقاومة الكردية شطر منطقة بارزان، حيث تفجرت انتفاضة الشيخ «أحمد البارزانى» عام ١٩٣٢، وخلفه فى قيادتها أخوه «مصطفى البارزانى» الذى قاد انتفاضة عام ١٩٤٣، توجه بعدها إلى إيران حيث انضم إلى أول جمهورية كردية فى تاريخ الأكراد أسسها المجاهد الكبير «قاضى محمد» عام ١٩٤٦ فى مهاباد، عرفت باسم «جمهورية مهاباد الكردية» وتولى فيها الملا مصطفى البرزانى منصب وزير الدفاع، لكن الشاه رفض الاعتراف بهذه الجمهورية الكردية وقام بحملة عسكرية ضدها استعاد بها السيادة الإيرانية على مهاباد الإيرانية، وفر على أثرها «مصطفى البارزانى» إلى الاتحاد السوفيتى، وظل هناك لاجئاً سياسياً، تلاحقه كل من تركيا وإيران، والعراق، إلى أن عاد إلى العراق، مع قيام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ بقيادة عبدالكريم قاسم فأكرم وفادته، واستقبله كزعيم كردى، وأصدر بعد ذلك «الدستور المؤقت للجمهورية العراقية» فقد نصت مادته الثالثة على «أن الأكراد والعرب شركاء فى الجمهورية العراقية».

ثورة أيلول

غير أنه فى عام ١٩٦١ شنت الحكومة العراقية حملة إعلامية لمناهضة المطالب الكردية، فقام الأكراد بثورة عارمة عُرفت باسم «ثورة أيلول ١٩٦١»، تواصل اشتعالها بشكل متقطع إلى أن تفاوضت الحكومة العراقية فى ١٧/٧/١٩٦٨ مع الأكراد، واستمرت هذه المفاوضات بصورة غير متواصلة حيث أسفرت فى النهاية عن عقد «اتفاقية الحكم الذاتى» للأكراد فى ١١ من مارس ١٩٧٠، وقعها من الجانب الكردى الزعيم الملا مصطفى البرزانى، وأهم ما جاء فيها من مكاسب للأكراد:

- أولا: شمول المنطقة الكردية بالحكم الذاتى.
- ثانيا: اللغة الكردية هى اللغة الرسمية للأكراد بجانب اللغة العربية.
- ثالثاً: يتولى إدارة المنطقة الكردية مجلس تشريعى منتخب، ومجلس تنفيذى وهو بمثابة حكومة محلية كردية.
- رابعاً: إنشاء جامعة بمدينة السليمانية.
- خامساً: بناء مجمع علمى كردى.
- سادساً: حق الأكراد فى إصدار الصحف والمجلات الكردية، وإنشاء قناة تليفزيونية كردية وإذاعة كردية، وبالمناسبة فقد صدرت أول صحيفة كردية فى مصر فى ٢٢/٤/١٨٩٨ ويحتفل الأكراد فى هذا اليوم بهذه الذكرى الإعلامية، ويعتبرونه

«عيداً للصحافة الكردية». وقد حددت اتفاقية مارس ١٩٧٠ فترة انتقالية ٤ سنوات لتنفيذ ما جاء فيها خاصاً بالأكراد.

● وفي يناير ١٩٧٤ تم تعديل المادة السابعة من الدستور العراقي وتنص على «أن الحركة الكردية هي حركة تحريرية يتعامل معها حزب البعث بكل تقدير».

اتفاقية الجزائر

وفي ١١ من مارس ١٩٧٤ تم تعديل الدستور العراقي لينص على «أن العرب الأكراد شركاء في الوطن» كما أصدرت الحكومة العراقية «قانون الحكم الذاتي للأكراد» في نفس اليوم. لكن الصدمة العنيفة التي تلقاها الأكراد، ولم تكن في حسبانهم، هو الاتفاق الذي تم في الجزائر بين شاه إيران وصدام حسين في ٧ من مارس ١٩٧٥ فيما يعرف باسم «اتفاقية الجزائر» فبموجبها اقتسم الجانبان الإيراني والعراقي السيادة على شط العرب، مع تعهد الجانب العراقي بطرد المعارضة الدينية الشيعية «الخوميني ورافسنجاني وغيرهما» من الأراضي العراقية، في مقابل قيام شاه إيران برفع يده عن مساندة الحركة الكردية العراقية، وغلق حدود بلاده أمام ميليشياتها، وهو ما جعل الملا مصطفى البرزاني يترك وطنه متوجهاً إلى الولايات المتحدة مع ابنيه «إدريس ومسعود البرزاني» حيث وافته المنية في مستشفى البحرية الأمريكية في ٣٠ من مارس ١٩٧٩، وتولى بعدها «مسعود البرزاني» حمل راية الحركة الكردية بعد أبيه.

الحرب الإيرانية العراقية


شاه إيران

وفي بداية عام ١٩٨٠ أصدرت الحكومة العراقية عفواً عاماً عن الجميع باستثناء الملا مصطفى البرزاني، وولديه، وما كادت الحرب الإيرانية العراقية تشتعل بين الجانبين، حتى أقدمت السلطات العراقية على سحب قواتها العسكرية من الشمال «كردستان» كي تشارك في العمليات العسكرية في الجنوب ضد إيران، وقد أحدث هذا الانسحاب من شمال العراق، فراغاً عسكرياً، استغلته القيادة الكردية لصالحها، فقويت شوكة الأكراد، وسيطروا تماما على كردستان بأكملها.

مأساة حلبجة

وفي أغسطس ١٩٨٨ أسدل الستار على نهاية الحرب الإيرانية العراقية، التي لم ينتصر فيها أحد من الجانبين، بل بدد الطرفان المتحاربان قواهما المادية والبشرية لصالح الأعداء المتربصين بهم الدوائر، وبعدها حاول النظام العراقي استعادة هيمنته على كردستان العراق في الشمال، فقامت السلطات العراقية بتهجير الأكراد والتركمان، وأحلت محلهم عرب الجنوب، بعد أن استخدمت القوات العراقية الغازات السامة في قصف

السكان الأكراد من أطفال وشيوخ ونساء وشباب مفعم بالأمل، وقامت بتدمير المدن والقرى المحيطة بها، ويذكر في هذا الشأن أنه تم تدمير ٤٢٠٠ قرية، واعتقال ١٨٢ ألف كردي، وتعتبر مدينة «حلبجة» خير شاهد على هذه الأعمال البربرية فقد تحولت المدينة إلى مقابر جماعية بسبب القصف الكيماوي لها، وقد استكمل النظام العراقي محاربة الأكراد، بإقامة حزام أمني حول المنطقة الكردية، ومنع المرتبات عن الموظفين الأكراد «حوالي ١٥٠ ألف كردي»، مما عزز الوضع الانفصالي للمنطقة الكردية، وبادرت بالاعتماد على نفسها.

بعد حرب الخليج الثانية، وما وفرته من إمكانيات أمام الأكراد ليحكموا أنفسهم ذاتيا، فيما عرف باسم «المناطق الآمنة» شمال خط عرض ٣٦ انصرف الأكراد الى حشد كل شيء من أجل تعزيز سلطاتهم الذاتية، غير أن الحزبين الكرديين الرئيسيين، وهما الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة «مسعود البرزاني»، وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة «جلال طالباني» تصارعا من أجل اقتسام النفوذ والسلطة، واستمر هذا الصراع بين هذين الفصيلين من مايو ١٩٩٤ حتى عام ١٩٩٨، إذ تمكنت الولايات المتحدة من المصالحة بينهما في سبتمبر ١٩٩٨، واجتمع البرلمان الكردي كاملاً لأول مرة في أربيل، ثم في السليمانية.

وبعد سقوط بغداد ٩/٤/٢٠٠٣ أصبح الأكراد في مقدمة المشهد العراقي، فبعد أن كانوا جزءاً من فصائل المعارضة أصبحوا في طليعة «الصفوة الحاكمة» في بغداد، فقد تولى «جلال طالباني» رئاسة الجمهورية العراقية، فساند بذلك القيادات الكردية، وقد تحدث في ٨/٣/٢٠٠٤ في حوار مع فضائية الحرة حول تقرير مصير الشعب الكردي فقال: «إن الشعب الكردي له الحق في تقرير مصيره، وحق تقرير المصير، يتضمن الانفصال أيضا، والشعب الكردي كان مستقلا عندما أقر باجماع آراء مجلسه الوطني «البرلمان الكردي»، البقاء ضمن الوحدة الوطنية العراقية، والاتحاد الاختياري مع الشعب العربي.

وأضاف قوله: «إن مصلحة الشعب الكردي هي في البقاء ضمن وحدة وطنية عراقية، قائمة على أساس الاختيار والديمقراطية، والفيدرالية، وحقوق الإنسان، وأن الانفصال الآن ليس في صالح الشعب الكردي، ولا يمكن تحقيقه في الظروف الحالية».

كركوك.. مدينة النفط

والجدير بالذكر أن منطقة كردستان العراق في الشمال مقسمة حاليا بين الحزبين الرئيسيين الكرديين، فنجد أن محافظتي أربيل ودهوك بالإضافة إلى المناطق المحيطة بكركوك، تقع في نطاق نفوذ الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة «مسعود البرزاني»، بينما تقع محافظة السليمانية في مجال نفوذ حزب الاتحاد الوطني

الكردستاني بزعامة «جلال طالباني» رئيس الجمهورية العراقية، وقد اختار البرلمان الكردي «مسعود البرزاني» لرئاسة إقليم كردستان بإدارتيه في أربيل والسليمانية، في حين تولى «عدنان المفتي» من حزب الاتحاد الوطني الكردستاني رئاسة برلمان الإقليم، أما رئاسة حكومة إدارة أربيل فقد تولاها «نيجير فان البرزاني»، كما تتداول المنطقة الكردية الدينار العراقي المسمى بالدينار السويسري، وهو غير الدينار المتداول في باقي العراق المسمى بالدينار الطبع، وقيمة الثاني أقل بكثير من قيمة الأول، وقد خصص للأكراد ١٣٪ من عوائد النفط مقابل الغذاء، وهي نسبة لم تكن لتلبي احتياجات الأكراد المعيشية.

ومن جهة أخرى فقد أصر الأكراد على عدد من المطالب من أجل تعزيز حكمهم الذاتي في إقليم كردستان، أهمها:

- أولا: المطالبة بـ ٢٧٪ من ميزانية الدولة العراقية لإقليم كردستان.
- ثانياً: عدم حل قوات البشمركة «١٠٠ ألف مقاتل كردي يمثلون الجيش الكردي»، ودفع رواتبهم من ميزانية الدولة العراقية.
- ثالثاً: عدم دخول قوات الجيش العراقي إلى إقليم كردستان إلا بعد موافقة البرلمان الكردي.
- رابعاً: حسم هوية مدينة كركوك باعتبارها مدينة كردية.

وفي هذا السياق يرى الأكراد أن مدينة كركوك بالنسبة لهم هي قدس الأقداس التي لا يمكن المساومة عليها، فيقول «مسعود البرزاني» رئيس اقليم كردستان في مخاطبته قيادة حزبه «الديمقراطي الكردستاني» في محافظة كركوك في ١٩/٧/٢٠٠٤: «يجب ألا يفكر أحد في المساومة على (كردستانية كركوك)»، ويستند الأكراد في ذلك إلى الإحصاء السكاني الذي أجري عام ١٩٥٧، إذ يعتقدون أنه أدق إحصاء، فقد أثبت أن كركوك ذات أغلبية كردية، وهم يحرصون دائما على كشف وقائع تهجير الأكراد من كركوك في عهد «صدام حسين» وإحلال عرب الجنوب محلهم، لتغيير التركيبة السكانية، فبسبب نفط كركوك، شرد أكراد، وقامت حروب وترجع أهمية كركوك بالنسبة للشعب الكردي ليس فقط لأنها تقوم على بحيرة من النفط، بل لأنها ترمز للاضطهاد الذي تعرض له هذا الشعب المناضل، من أجل تقرير مصيره.



كركوك عاصمة لكردستان

ويتحدث «جلال طالباني» رئيس الجمهورية العراقية مؤخراً حول مدينة كركوك التي يطالب الأكراد بضمها إلى حدود إقليم كردستان العراقي فيقول: «إن مدينة كركوك كردية، والطالبانيون هم من

أعرق سكانها، وهناك خريطة لمنطقة كردستان تعود إلى عهد الدولة العثمانية تبين أن المدينة هي جزء من كردستان وهي تحمل ختم الخليفة العثماني» فهذا النص يؤكد تصميم القيادة الكردية على ضم كركوك للإقليم الكردستاني، على اعتبار هويتها الكردية، بل يجمع الأكراد على أن هذه المدينة هي العاصمة القادمة لإقليم كردستان.

ويضيف «جلال طالباني» مؤكداً ضرورة عودة المرحلين الأكراد إليها من جديد فيقول: «عندما جاء الحكم البعثي إلى السلطة عام ١٩٦٣، كان قاطنو مدينة كركوك خليطاً من الكرد، والتركمان، ونسبة قليلة من العرب تقدر بنحو ٥٪ من مجموع سكانها، وأن حل مشكلة كركوك يحتاج إلى دقة وترو من خلال تطبيع الأوضاع أولاً، وإعادة العائلات الكردية والتركمانية، التي تم تهجيرها، وكذلك بالنسبة للعرب الذين توافدوا على هذه المدينة، يجب أن يعودوا من حيث جاءوا، وبذلك يمكن وضع الحلول الكفيلة بإرضاء جميع الأطراف، وتكون المدينة للجميع، والحكم فيها للجميع، وثرواتها توزع على الجميع.

- وفيما يتعلق بالأوضاع في كردستان يتحدث «جلال طالباني» رئيس الجمهورية العراقية فيقول: «إن إعلان الاستقلال أو الانفصال، لا يفيدنا بشيء، ولا يخدم مصالح الأكراد».



جلال طالباني

ويذكر «طالباني» أنه لأول مرة سيتم تخصيص ميزانية مستقلة عن ميزانية العراق لتفي بتطوير الأوضاع الكردية فيقول: إنه سيتم لأول مرة في التاريخ تخصيص ميزانية لكردستان هذا العام «٢٠٠٦»، تبلغ خمسة آلاف مليون دولار، وهو مبلغ كفيل بتحقيق المطامح المشروعة، والتقدم الحضاري للأكراد».

الفيدرالية.. والتقسيم الطائفي

ويجدر الإشارة في الختام إلى أن ما جاء في المادة الرابعة من قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية وهي:

«أن نظام الحكم في العراق جمهوري اتحادي فيدرالي ديمقراطي تعددي، ويجري تقاسم السلطة فيه بين الحكومة الاتحادية والحكومات الاقليمية»، هو في صالح الأكراد، لأنه يدفع في الحقيقة في اتجاه استقلالية إقليم كردستان، ويخشى البعض من أن تؤدي الفيدرالية إلى تقسيم العراق إلى أقاليم تقوم على الأساس الطائفي وليس الجغرافي خاصة أن الشيعة قد يطالبون بإقليم لهم في الجنوب أسوة بالأكراد، مما قد يفضي إلى تفتيت العراق، وهو ما ليس في صالحه.

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«ثلاثة»

ثلاثة لم يسأل الله - عز وجل - بمثلهم:

أن تقول: اللهم فقهني في الدين، وحببني إلى المسلمين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين.

«حقيقة»

قال بعض الأعراب: قدم علينا الحكم بن المخزومي، ولا مال لنا فأغنانا عن آخرنا، فقلت له: كيف؟

فقال: علمنا مكارم الأخلاق فعاد أغنياؤنا على فقرائنا فصرنا كلنا أجوادا.

«ما نراها قالت إلا خيرا»

دخلت امرأة على هارون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين، أقرَّ الله عينك، وفرّحك بما أتاك، وأتم سعدك، لقد حكمت فقسطت.

فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم [1]

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه، فقال: أتدرون ما قالت المرأة؟

قالوا: ما نراها قالت إلا خيراً.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك، أما قولها: أقر الله عينك، فتعني أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت.

وأما قولها: وفرحك بما أتاك، فأخذته من قوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]

وأما قولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تم أمر بدا نقصه ... ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها: لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴾ (الجن: ١٥)

فتعجبوا من ذلك.

«لا أحب أن يقتل بي بريء»

دخل الحسين - رضي الله عنه - على أخيه الحسن في مرض موته، بعد أن تأثر بالسم الذي دس له في الطعام، فقال الحسين لأخيه الحسن: من تتهم؟

فقال الحسن: لتقتله؟!

فقال الحسين: نعم.

فقال الحسن: يا أخي إن يكن الذي أظن، فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا، وإن لم يكن هو فلا أحب أن يقتل بي بريء.

«اخفض من بصرك»

أكل أعرابي على مائدة الحجاج، فكان يأكل بسرعة ونهم، فقال له الحجاج: يا هذا ارفق بنفسك، فقال الأعرابي:

وأنت اخفض من بصرك.

«ما قيل في فضيلة الوفاء للإخوان»

قال حكيم: «الوفاء أفضل شمائل العبد، وأوضح دلائل المجد، وأقوى أسباب الإخلاص في الود، وأحق الأفعال بالشكر والحمد».

وقال آخر: «الوفاء من شيم الكرام، والغدر من خلائق اللئام».

وقال غيرهما: «من صحب الناس بلسان صادق، وعاملهم بحسن الخلائق، وألزم نفسه رعي العهود والمواثق، فقد أرضى المخلوق والخالق».

(١) النوال: العطاء.

وقال أديب: «من تحلى بالوفاء، وتخلى عن الجفاء، فذلك من إخوان الصفاء».

ولقد أحسن من قال:

إذا أنت صححت المودة صافيا
ولم تر عن وصل الصديق مجافيا
ووفيت بالعهد الذي خانه الورى
ولم أر مخلوقاً على العهد باقيا
فقد حزت أسباب المكارم كلها
وجددت للعليا رسوما عوافيا

ومن أحسن ما قيل في الوفاء قول مسلم بن الوليد:

يجود بالنفس إن ضمن الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومن أغرب ما أثر عن وفاء الإخوان ما ذكره الزبير بن بكار في كتابه (الموفقيات) قال:

«استشهد باليرموك الحرث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه، كلما دفع إلى رجل منهم قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه

أي أن كل واحد منهم آثر صاحبه على نفسه».

«سبعة قبلي»

قال رجل لشريح القاضي: قضيت على بالجور وليدخلنك الله النار.

قال: إذن يدخلها سبعة قبلي من ولاني ومن علمني هذا الحكم، ومن جاء بك مدعيا، والشاهدان، والمزكيان.

«كلامي لست تفهمه»

قال حكيم:

وجاهل يدعى في العلم فلسفة
قد راح يكفر بالرحمن تقليداً
وقال: أعرف معقولا فقلت له
عنيت نفسك معقولا ومعقودا
فقال: إن كلامي لست تفهمه
فقلت لست سليمان بن داودا



اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها، وتعلم حاجاتنا فاقضها، كفى بك وليا، وكفى بك نصيرا يارب العالمين.

***

التضمين اللغوى وأثره فى اللغة العربية

٢

للأستاذ الدكتور/
عبد الغفار حامد هلال

٣ ـ رأى البيانيين والمحدثين:

جمهور البيانيين ـ وفى مقدمتهم الزمخشرى ـ يجعلون المعنى المتضمن تابعا من توابع الفعل المذكور مدلولا عليه بلفظ محذوف مقدر حالا غالبا، فيقولون فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾
(الكهف: ٢٨)

إن تقدير الكلام: ولا تقتحمهم عيناك متجاوزين عنهم فيكون اللفظ المذكور مستعملا فى حقيقته، واللفظ الملحوظ معناه محذوفا لدليل من الكلام وهو حرف الجر أو القرينة، إن لم يوجد حرف جر فهو من باب مجاز الحذف.

وقد يجعلون المحذوف أصلا والفعل المذكور تابعا، على تقدير أنه حال فيقولون فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾
(النساء: ٢)

إن تقدير الكلام: ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم آكلين، أو على تقدير أنه مفعول به فى نحو (أحمد إليك الله) أى أنهى إليك حمد الله، فسبكوا من الفعل (أحمد) مصدرا بدون سابك كسبك الفعل بعد همزة التسوية نحو:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾
(البقرة: ٦) [1]

---

(١) مجلة المجمع ١/١٨٦، ١٨٧ وانظر أيضا ١٨٢ وحاشية يس على التصريح ٢/٥ ويؤولون قوله تعالى: (يؤمنون بالغيب) البقرة/٣ على معنى (يعترفون به مؤمنين)، انظر حاشية يس ٢/٥، ٦.

وللمتأخرين من النحاة والبلاغيين آراء متعددة فى تخريج التضمين مأخوذة من كلام السابقين من البصريين والكوفيين والبيانيين، وقد جمع الشيخ يس فى حاشيته على التصريح كثيرا منها، فذكر مما قاله النحويون، والبيانيون ثمانية أقوال ملخصة فيما يأتى:

- أنه مجاز مرسل: لأن اللفظ استعمل فى غير معناه لعلاقة وقرينة.
- أن فيه جمعا بين الحقيقة والمجاز ولكن بتأويل أن الفعل المذكور فى التركيب دل على معناه الحقيقى بنفسه، وعلى المعنى الملحوظ بطريق اللزوم والقرينة.
- أن الفعل المذكور فى التركيب مستعمل فى حقيقته، لم يشرب معنى غيره (كما جرى عليه صاحب الكشاف ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب بمعونة القرينة اللفظية).
- أن اللفظ المذكور مستعمل فى معناه الحقيقى، ولكنه مستتبع معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل هو فيه، ومن غير أن يستعمل له لفظ آخر، فيكون الكلام من باب الحقيقة التى قصد منها معنى آخر يناسبها، ويتبعها فى الإرادة، كما يدل تأكيد الخبر على إنكار المخاطب، وعليه فلا مجاز ولا كناية ولا حذف، والكلام مستعمل فى معناه الحقيقى.
- أن المعنيين مرادان على طريقة الكناية فيراد المعنى الأصلى توصلا إلى المعنى المقصود، ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى، وضعف هذا القول بأن الكناية يصح معها إرادة المعنى الحقيقى وصرف النظر عن المعنى اللازم.
- أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز وهو غير متسق التخريج كسابقه.
- أنه مجاز عقلى فى النسبة غير التامة أى فى النسبة بين الفعل ومتعلقاته.
- أنه نوع مستقل من أركان الكلام العربى، وقسم رابع للحقيقة والمجاز والكناية.

فالمتأخرون لفقوا مذاهبهم من مجموع المذاهب القديمة ورجح كل منهم ما اختاره من مذهبى المنع والجواز[2].

٤ ـ رأى المحدثين:

عقب بعض الباحثين المحدثين على أقوال العلماء السابقين فى التضمين وأبدوا وجهات نظر جديدة نعرض أهمها وتبين موقفنا منها:

---

(٢) انظر حاشية يس على التصريح ٢/٤ ـ ٧، مجلة المجمع ١٨٧/٦ ـ ١٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤.

١ ـ رأى الإمام محمد الخضر:

يرى الإمام محمد الخضر أن الكلام الذى يشتمل على فعل عُدى بحرف وهو يتعدى بنفسه، أو عُدى بحرف وهو يتعدى بغيره، يأتى على وجهين:

الأول: ألا يكون هناك فعل يناسب المعنى المنطوق به حتى تخرج الجملة على طريقة التضمين، ومثل هذا نصفه بالخطأ والخروج على العربية ولو صدر من العارف بفنون البيان.

الثانى: أن يكون هناك فعل يصح أن يقصد المتكلم لمعناه مع معنى الملفوظ به، وبه يستقيم النظم، وهذا إن صدر ممن شأنه العلم بوضع الألفاظ العربية، وموضع طرق استعمالها حمل على وجه التضمين الصحيح كما قال سعد الدين التفتازانى: (فشمّرت عن ساق الجدّ إلى إقتناء ذخائر العلوم) والتشمير لا يتعدى بإلى فيحمل على أنه قد ضمن (شمر) معنى الميل الذى هو سبب التشمير عن ساق الجد، فإن صدر مثل هذا من عامى أى ممن يدلك حاله على أنه لم يبن كلامه على مراعاة فعل آخر مناسب للفعل الملفوظ كان لك أن تحكم عليه بالخطأ، مثل قوله (أرجو الله قضاء حاجتى) فلا يصح، لأن المتكلم لا يعرف معنى التضمين، على أن يضمن معنى (أسأل) مثلا وإن قام شاهد على أن المتكلم لم يقصد التضمين وإنما تكلم على جهالة بوجه استعمال الفعل كان قضاؤك عليه بالخطأ قضاء لا مرد له[3].

محمد الخضر حسين

والمتأمل لكلام الأستاذ الإمام يرى أنه يعترف بمذهب البصريين القائلين بأن التضمين توسع على طريق المجاز، مع تحقق العلاقة والقرينة المانعة.

ولكن الإمام يشترط أن يكون المتكلم بهذا الأسلوب عالما بأسراره وطريقته بحيث يعرف المعنى الأصلى، والمعنى المضمن، والعلاقة بينهما، ويضع كل شىء فى موضعه، وعلى ذلك يجوز للشخص المتكلم إجراء كلامه على طريق التضمين، أما إذا كان جاهلا بطرائق التعبير فلا يجوز له ذلك، وبناء الأستاذ الإمام رأيه على ملحظ العلم، وعدم العلم خارج عن الوصف المنهجى، إذ لا علاقة لعلم المتكلم أو جهله بذلك، بل الأمر موقوف على تحقق الشروط اللغوية، فمتى وجدت كان الأسلوب صحيحا، صدر ذلك من عالم أو جاهل، ولا ينبغى أن نحكم على أسلوب الجاهل بالخطأ

---

(٣) الشيخ محمد الخضر حسين: دراسات فى العربية وتاريخها ص ٢٠٥، ٢٠٦.

طالما كان موافقا للقواعد العربية وسائرا على نهجها.

ب: رأى الدكتور السامرائى:

اقترح الدكتور إبراهيم السامرائى لنفسه رأيا يعتقد أنه جديد، فقرر أنه لابد للباحث فى علم الدلالات بغية الإفادة فى اللغة العربية أن يعانى صعوبة البحث إذا ما أراد أن يخلص للمنهج السليم ولاسيما فى عصورنا الحديثة.[٤]

وهو يرى أن البصريين والكوفيين فى هذا الباب لم يستقرئوا كلام العرب استقراء واقيا ليسجلوا هذه الاستعمالات، وليقيدوها بقائليها، وبالزمن الذى قيلت فيه مهتمين بموضوع اللغات الخاصة التى أجازت استعمالا دون آخر [٥] ولم يستطيعوا أن يدرسوا المشكلة دراسة أسلوبية حديثة [٦] ولذا فلابد أن تؤرخ الألفاظ، وتقيد بعصورها وبقائليها حاسبين للأقاليم والمجتمعات حسابها فى الاستعمالات وما شاع بينها من فنون القول، وبهذا تفيد المعجمية العربية فائدة كبيرة فيعاد بناء المعجمات المطولة على أساس جديد، بمراعاة الظروف التاريخية وتطورها وانعكاس هذه الظروف المتطورة فى المادة اللغوية،

ومن هنا تأتى ضرورة القيام بمعجم تاريخى.[٧]

والواقع أن القدماء قد استقرأوا الظواهر اللغوية فى هذا الموضوع ووفوه حقه، أما تاريخ الألفاظ وتقيدها بقائليها فإن الأيام لم تمكنهم منه ولايزال حتى الآن فى حاجة إلى من يمضى فى طريقه، وينقب عنه.

جورجى زيدان

جـ - رأى بعض المحدثين كالأستاذ جورجى زيدان:

يرى هؤلاء أن حروف الجر التى تستعمل لعدة معان لها معنى وضعى واحد، والمعانى الأخرى تعد تفننا عربيا، فالباء وضعت للظرفية فى أخوات العربية ويرجح أن هذا هو الأصل فى دلالتها عندنا، وما بقى من المعانى ليس إلا تفننا عربيا[٨].

ويرجع هذا الرأى إلى أن الحروف والأدوات بقايا كلمات مستقلة قديمة أفرغت من معناها الحقيقى، واستعملت مجرد موضحات، أى: مجرد رموز[٩] فالباء بقية لكلمة ذات معنى مستقل

---

(٤) د. السامرائى: دراسات فى اللغة ص١٧٥.
(٥) نفسه ص١٨٣.
(٦) نفسه: دراسات فى اللغة ص١٨٣.
(٧) نفسه ص١٨٤.
(٨) جورجى زيدان: الفلسفة اللغوية (ص٥٠، ٥٦)
(٩) فندريس: اللغة (ص٢١٦)

وهى (بيت) بدليل وجود ذلك فى السريانية والكلدانية وورود الباء بمعنى (فى البيت) فى التلمود والترجوم والكاف بقية كلمة يظهر أنها فقدت من العربية، وحفظت فى أخواتها فهى فى العبرانية بقية Khan (كن) التى مفادها (كذا) فمعنى زيد كالأسد، زيد كذا الأسد، Khan هذه منحوتة من Khan (أكن) فى العبرانية بمعنى (حقيقة).

فبناء على ما تقدم تكون كاف التشبيه بقية أصل يقابل (أكن) العبرانية فقد من العربية، ولم يزل محفوظا فيها مركبا مع (لا) النافية أعنى به (لكن) ولذا قال بعض أئمة اللغة إنها تفيد الاستدراك فكأن أصل مؤداها (لا حقيقة بنفى ما ذكر وتأكيد ما هو آت)[١٠].

ونحن نتفق مع هؤلاء المحدثين فى أن الحرف الموضوع لعدة معان له معنى واحد منها حقيقى، والباقى تفنن عربى على طريق المجاز، وسواء كانت الحروف بقايا كلمات أم لم تكن فالثابت أنها استعملت من أول أمرها أدوات لوصل الكلام وربط بعضه ببعض، بما تحمل من هذه المعانى الحقيقية والمجازية.

قياسية التضمين

يبدو أن هذا التوسع فى تعدى الأفعال وما يشبهها بحروف جر غير التى تتعدى بها قياسى على رأى الكوفيين المحيلين هذا الباب على قياس نيابة بعض الحروف عن بعض، بالوضع بلا تعسف ولا تكلف، وقياسى على رأى بعض البصريين القائلين بالتوسع فيما يمكن فيه من الفعل، وهو ضرب من المجاز وقياسى عند جميع البيانيين، لأنه من باب التوسع فى حذف الحال ونحوه المتعلق به حرف فيكون من باب الحذف لدليل وهو قياس مطرد، وقياسى على رأى أكثر المتأخرين أيضا[١١] وقياسى عند المحدثين إذا دعت إليه الحاجة فيستخدم استخداما فنيا فى الحياة العامة وما جد فيها من ضروب العلم التجريبى والنظرى.[١٢]

وقد أخذ المجمع بقياسيته إلا أنه أوصى بألا يلجأ إليه إلا لغرض بلاغى[١٣] وهذا يجعل التضمين مبدأ لغويا سليما، يمد العربية بطاقات تعبيرية وملامح فنية، تفتح المجالات للغة مرنة مستعدة لكل متطلبات الحياة والحضارة.

---

(١٠) جورجى زيدان: الفلسفة اللغوية ص٥٦ وقد طبق الأستاذ زيدان ذلك على حروف كثيرة (ص٦٨ - ٦٩)
(١١) مجلة المجمع ١/١٩٥
(١٢) د. السامرائى: دراسات فى اللغة: ١٨٤
(١٣) مجلة المجمع ١/١٨٠، ١٨١

بمناسبة مرور مائة عام على رحيله

حول رؤية الإمام محمد عبده لعلاقة الدين بالعلم

الإشارات العلمية فى تفسير الإمام محمد عبده للقرآن الكريم

علم تفسير القرآن الكريم، قد قيض الله - تعالى - له رجالاً قضوا معظم أيام حياتهم فى خدمته وفى دراسة موضوعاته .. فمنهم من كتب فى إعجازه وبلاغته، ومنهم من كتب فى قصصه وأخباره، ومنهم من كتب فى أسباب نزول بعض آياته، ومنهم من كتب فى قراءته ورسمه، ومنهم من كتب فى مكيّه ومدنيّه، ومنهم من اهتم بإبراز الجوانب الفقهية أو الاجتماعية أو النفسية أو السلوكية أو اللغوية أو التربوية أو غير ذلك من الجوانب الإصلاحية. وماذلك كله إلا لأن تفسير القرآن الكريم هو المفتاح الذى يكشف عن تلك الهدايات السامية والتوجيهات النافعة، والعظات الشافية، والكنوز الثمينة التى احتواها القرآن الكريم. وبدون تفسير القرآن الكريم تفسيراً سليماً مستنيراً، لايمكن الوصول إلى ما اشتمل عليه هذا الكتاب من هدايات وتوجيهات، مهما قرأها القارئون، وردد ألفاظه المرددون[1].

مصطلح "التفسير" فى أصله اللغوى راجع - فيما يقول الزركشى - إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله فى اللغة من "التفسرة"، وهى القليل من الماء الذى ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها، والسبب الذى نزلت فيه[2]. ولما كان ذلك كذلك، فإنه يمكن استثمار هذا المعنى وتوجيهه لصالح المعنى الاصطلاحى، كأن ينظر المفسر - مثلاً - إلى الآية ليرى من خلالها أوضاع الأمة وعللها وأسقامها، وليرى أحوال واقعها وموقعها بين الأمم، ويرى كيف يكون القرآن هادياً ومرشداً لها فى جوانب حياتهم المختلفة. فهى أمة الخلافة، وهو رسالة الحضارة إلى البشرية كلها. ومن ثم تصبح أولى مهمات التفسير فى معناه الاصطلاحى هى إظهار

(1) أ. د. محمد سيد طنطاوى، الإمام محمد عبده مفسراً، مجلة الأزهر، الجزء الثامن شعبان ١٤٢٦ هـ سبتمبر ٢٠٠٥ م.

(2) بدر الدين محمد بن بهادر الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبى، مصر (١٩٥٧)، ج ٢، ص: ١٤٧.

٤

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

هداية القرآن وإعجازه فى إطار الواجهات الحضارية بين هذه الأمة والأمم الأخرى على مختلف الصعد، وفى إطار مفهوم الخلافة الذى أنيط تحقيقه بهذه الأمة. هذا فضلاً عن المهمة الأساسية لتفسير القرآن، وهى إظهار الحلول القرآنية للمشكلات التى تواجه أمة الرسالة ابتداء، بل التى تواجه المجتمع البشرى عموماً[3].

وقد انتقد الإمام محمد عبده التفسير حين يطغى عليه الصبغة اللغوية، ووصفه بأنه جاف مبعد عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما ترمى إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، فقال: وهذا لا ينبغى أن يسمى تفسيراً، وإنما هو ضرب من التمرين فى الفنون كالنحو والمعانى[4].

وصرح - رحمه الله - بالمراد الحقيقى من تفسير القرآن، فقال: "التفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين، يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، وما وراء هذه من المباحث تابع له، وأداة أو وسيلة إلى تحصيله". "وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا أو زال



محمد عبده

ماكان لهم من الملك الواسع إلا باعراضهم عن هداية القرآن، وأنه لا يعود إليهم شئ مما فقدوا من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته والاعتصام بحبله"[5].

وانطلاقاً من هذا المبدأ حاول الإمام أن يجعل الحقائق العلمية المتاحة فى عصره خادمة لتفسير بعض آيات القرآن الكريم. والموضوع من هذه الناحية متعلق بقضية مفتعلة بين فريقين من العلماء

(3) د. زياد خليل محمد الدغامين، مجلة المسلم المعاصر، العدد: ٨١ (١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م).

(4) إبراهيم خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، مصر (د. ت).

(5) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار الفكر، بيروت (١٩٧٣) ج ١، ص ص ١٧ - ٣٩.

بشأن ما يعرف «بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم»: أولهما يرى أن القرآن الكريم لا شأن له بالعلوم الطبيعية، ويعتقد أن الإعجاز العلمي فيه خروج بالقرآن عن الهدف الذي أنزل من أجله، وإقحام له في مجال متروك للعقل البشري، يجرب فيه ويخطئ ويصيب، فالقرآن ما هو إلا كتاب أنزل للناس للإرشاد والهداية وبيان التكاليف وأحكام الآخرة. وهذا ولاشك قول حق، ولكنه ليس كل الحق؛ ذلك أن الله قد شاءت حكمته أن يكون إرشاد الناس وهدايتهم بوسائل متنوعة، وهو سبحانه وتعالى خبير بعباده، فهو تارة يخاطبهم بما يمس قلوبهم مساً رقيقاً، وهو تارة أخرى يقرع عقولهم قرعاً قويا شديداً، وكان من أبرز ما جلى به أبصارهم وأثار بصائرهم حضه إياهم على التدبر في آيات خلقه. وهذا ما شجع الفريق الآخر من العلماء الذين يرون في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم لوناً من التفسير فيه فتح جديد وتجديد في طريق الدعوة إلى الله وهداية الناس إلى دين الله. فلقد أنزل الله سبحانه وتعالى - على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً مقروءاً يبلغه للناس، القرآن الكريم، وخلق لنا الكون كتاباً منظوراً يعبر بلسان الحال عما جاء في الكتاب المسطور بألطف الإشارات، وكلا الكتابين مصدران للحقائق الدينية والعلمية على حد سواء، وهما من عند الحق المطلق، فلا ينبغي طلب الحق إلا فيهما، أو على هديهما. وكم من آية قرآنية كريمة إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها وإعجازها. وما تكذيب الكفار بالقرآن وقت نزوله إلا لأنهم اعتزوا بما علموا، فعدوا كذبا كل ما يخالف معارفهم البدائية، فعاب القرآن الكريم ذلك عليهم وشهر بجهلهم في قوله تعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾

(سورة يونس: ٣٩)

ومن ثم، لا يمكن لعاقل أن يتصور وجود تصادم أو تعارض بين الدين الصحيح والعلم الصحيح، وهل يعقل أن يتصادم الحق مع نفسه؟ إن الحق لا يتعارض مع الحق، بل يوافقه ويشهد له[٦]. وليس هناك من شك في أن ارتقاء العلوم الحديثة ونجاحاتها في استكشاف حقائق جديدة عن الكون يعتبر من العوامل التي ساعدت على الاجتهاد في تسخير العلم الكوني لتجلية معاني جديدة لآيات القرآن الكريم، شريطة أن يكون الاجتهاد في ذلك المجال وفق منهاج رصين محدد ينبغي الالتزام به لكي لا يساء إلى الهدف النبيل، على أن يراعي فقه استخدام المفردات اللغوية، وتراعى القواعد النحوية والبلاغية ودلالاتها، خصوصاً قاعدة ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية.

وقد عرض الإمام محمد عبده في حديثه عن الاسلام وأصوله لهذه القضية بصورة عامة، موضحا أن القرآن يذكر إجمالاً من آثار الله في الأكوان

(٦) د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٢م.
د. عبد الحافظ حلمي محمد، العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم، مجلة عالم الفكر، الكويت ١٩٨٢.
د. محمد إبراهيم شريف، هداية القرآن في الآفاق والأنفس وإعجازه العلمي، دعوة ضرورية ومنهج واجب، ١٩٨٦.

الأزهر

تحريكا للعبرة، وتذكيرا بالنعمة وحفزاً للفكرة، لا تقريرا لقواعد الطبيعة، ولا إلزاما باعتقاد خاص في الخليقة. وأن الإسلام أطلق للعقل البشرى أن يجرى في سبيله الذى سنته له الفطرة بدون تقييد، وأن معجزة القرآن جامعة من القول والعلم، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم...». وهو معجزة أعجزت كل طوق أن يأتي بمثلها، ولكنها دعت كل قدرة أن تتناول ما تشاء منها[٧].

ويمكن التعرف على بعض جوانب منهج الإمام محمد عبده في تفسيره للقرآن الكريم، بصورة عامة، من النماذج الثلاثة التالية:

١ - اتجه الإمام إلى إبراز رأيه، ولو خالف رأى جمهور المفسرين، عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

(سورة البقرة: ٢٤٣)

فجمهور المفسرين - وربما جميعهم - يرون أن المراد بالإماتة والإحياء معناهما الحقيقي الحسى، وأن الموت كان موتا حقيقيا حسيا لهم، وأن إعادتهم إلى الحياة بعد ذلك كانت إعادة حقيقية حسية. وقد خالف الإمام محمد عبده - رحمه الله - إجماع المفسرين أو جمهورهم، فرأى أن المراد بالموت في الآية، الموت المعنوى، بمعنى أن موت الأمم إنما هو في جبنها وذلتها، وأن حياتها إنما تكون في عزتها وحريتها، فقال: «والمتبادر من السياق، أن أولئك القوم قد خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم، لا من قلتهم، فقد كانوا ألوفا، وإنما هو الحذر من الموت يولده الجبن في أنفس الجبناء..... لقد خرجوا فارين، فأماتهم الله بإمكان العدو من رقابهم، وأفنى قوتهم، وصاروا لا وجود لهم في أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود من أذلهم، وأزال استقلالهم. فلما غيروا ما بأنفسهم، فجمعوا كلمتهم، وطردوا أعداءهم، عادت إليهم الحياة، وعادت إليهم حريتهم وكرامتهم. وموت الأمم في جبنها وذلتها، وحياتها في استقلالها وحريتها، فهو - رحمه الله - يرى أن الموت والحياة في الآية معنويان[٨].

٢ - أفاد الإمام من المعرفة العلمية المتاحة في عصره وجعلها في خدمة تفسير القرآن الكريم، على غرار ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾

(سورة الشمس: ٥)

فيقول: "السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك. وأنت إنما تتصور - عند سماعك لفظ السماء - هذا الكون الذي فوقك: فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى في مجاريها وتتحرك في مداراتها، هذا هو السماء. وقد بناه الله: أي رفعه، وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب بعضها الى بعض برباط

(٧) الشيخ الإمام محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، مرجع سابق.

(٨) أ.د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق.



الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به" [9].

٣ - على الرغم مما يروى عن ألمعية الإمام محمد عبده وذكائه وجهوده النيرة التي خدمت النص القرآني وكشفت عن جوانب عديدة في هدايته وإعجازه، ومع نقد الإمام الشديد للجوانب السلبية في العمل التفسيري القديم، وحرصه - قبل أن يلقي درسه في التفسير - على أن يطلع على خمسة وعشرين تفسيراً لكتاب الله، إلا أن بعض العلماء والمفسرين والباحثين يرون أن النزعة العقلية عند الأستاذ الإمام، والتي كان فيها متأثراً بمذهب المعتزلة، قد تركت بصماتها على تفسيره للقرآن سلباً وإيجاباً، وكان الجانب السلبي متمثلاً في تضييق مجال الغيبيات، وتفسير كثير منها تفسيراً مادياً، وأدت هذه النزعة إلى إنكار بعض الأحاديث الصحيحة، أو حمل فهمها على مذهبه العقلي، يسعفه في ذلك تمكنه من علوم اللغة والبلاغة. فلقد فسر بعض آيات القرآن على غير وجهها وابتغى فيها غير سبيلها. مثال ذلك تفسيره للمعوذتين في تفسير جزء عم. ويعزي البعض سبب هذه النظرة إلى الوضع المأساوي الذي وصلت اليه الأمة، إضافة إلى الهجمة العلمانية الشرسة على تعاليم هذا الدين في زمن بدأ العلم فيه يقفز قفزات متلاحقة، فكان على الإمام أن يغير هذا الوضع بتفسير ينسجم ورؤى العقل المعاصر، وهو أمر لا يسوغ مهما كانت الدوافع إليه [10].

خاتمة

نخلص من هذه الدراسة المتواضعة إلى أن مرور مائة عام على رحيل الإمام محمد عبده لم يغير كثيراً من الأفكار التي كانت سائدة في عصره، والتي دعته إلى قضاء جل عمره داعية للإصلاح والتنوير. فقضايا عصره لاتزال في الأغلب قضايا عصرنا الحاضر أيضاً، ذلك أن الأمة الإسلامية تعاني اليوم من أزمة مستحكمة، ليس بسبب نقص في قدراتها وإمكاناتها أو عجز في مواردها وثرواتها التي حباها الله بها في البر والبحر والجو، وإنما بسبب افتقادها لمنظومة منهجية متوازنة، تنطلق من مرجعية فكرية رشيدة توجِّه إلى حسن التعامل مع هذه الموارد والثروات من جهة، ومع الآخر من جهة أخرى، وتعين على إبصار الأولويات، وتساعد على ضبط النسب المختلة، في ضوء القراءة الدقيقة المتأنية لمتغيرات العصر المتلاحقة، مع بداية الألفية الثالثة الموسومة "بألفية المعرفة" لتحدد صورة المجتمع الذي نريده في المستقبل القريب والبعيد [11].

ومما يزيد من تفاقم هذه الأزمة التي تعيشها أمتنا العربية والإسلامية اليوم أن معظم المشاركين في الحوار والتنظير لا يستطيعون الفكاك والتحرر من أسر أيديولوجياتهم الخاصة، ويتشبثون بنظريات وفلسفات وأنساق فكرية قديمة أو وافدة، سقط بعضها سقوطاً ذريعاً من حركة التاريخ، لأنها خالفت طبيعة الوجود الإنساني ذاته، وانحرفت عن قواعد الناموس الكوني العام، وهذا من شأنه أن يؤثر سلباً على وضوح الرؤية ومعايير التقييم والمراجعة، فتضيع معه جهود التصويب والإصلاح التي غالباً ما تكون ردود أفعال سريعة للأحداث، فتنصرف إلى معالجات مؤقتة، أو تشغل بإعادة ترميم الأشياء، أكثر مما تنصرف إلى إصلاح جذري للأعطاب التي تلحق بالنسق الفكري، وتنعكس على الحياة والواقع.. ويؤدي تراكمها بمرور الوقت إلى اتساع الخرق على الواقع.

وأزمة الفكر على هذا النحو ذات أبعاد متعددة، يشارك فيها مؤسسات التعليم والإعلام والتربية بصورة مباشرة، وتتحكم فيها كل الموارد الفكرية والثقافية مجتمعة، ومن ثم فإن طريق الإصلاح بطبيعته سيكون طويلاً وشاقاً، ولابد معه من الصبر والحكمة، بعد أن أصبح جدار التخلف سميكاً يحتاج إلى جهد جهيد لحث الهمم واستثارة العزائم، وخاصة أن قضايا الإصلاحات الفكرية تستغرق الكثير من الوقت في البحث والحوار قبل أن تتبلور الأفكار الناضجة.

إن منهج الإصلاح والتنوير الذي خلفه الإمام محمد عبده يؤكد لنا اليوم أن مبدأ الاستخلاف الذي يطرحه الإسلام بحاجة ماسة إلى ترسيخ مفهومه الصحيح في بؤرة اهتمام المسلمين باعتباره واحداً من المبادئ الإسلامية الحاكمة التي يرفدها العلم والعمل معاً ليمكنا لها في الأرض. ونظرة الإسلام الشاملة، بوسطيته الجامعة المحيطة لماهية الإنسان، والنافذة إلى أغوار طبيعته الإيمانية، تفسح له المجال للتعرف على حقيقة موقعه من الوجود، وتدفعه إلى الارتقاء المتوازن على طريق التقدم الحضاري بمعدلات أسرع من غيره أضعافاً مضاعفة، فيحرز بذلك مايوفر له السعادة القصوى في الدارين. ويتضح في المقابل أن تخلف الأمة علمياً وتقنياً يعني أنها تعطل أداء فريضة طلب العلم الواجبة، وأن غياب التحضر والعمران يعني أن المجتمع لايقوم بواجبات الخلافة ولايحقق غايات الإسلام الذي ينتسب إليه.

إن الباحث المدقق في النهج الإصلاحي للإمام محمد عبده لايجد صعوبة اليوم في تحديد القضايا الكبرى للأمة متمثلة في عقيدة إيمانية يجب أن تبقى راسخة في قلوب وعقول أبنائها، ولغة عربية يجب صونها من العجمة، ورصيد حضاري لحضارة متميزة يجب الحفاظ عليه والإفادة منه، وتفوق علمي وتقني ينبغي تحقيقه لتوفير الأمن القومي الشامل، هذه هي روح ما تسميه "ثقافة الإصلاح والتنمية بالعلم والإيمان"، وهي الثقافة التي نحتاج إلى نفخها بكل قوة في كل جوانب الحياة لبعث الأمة من مرقدها ولعلها دعوة لأبناء هذه الأمة أن يرفعوا رءوسهم فوق سطح الماء في هذا المحيط العالمي الهادر، وأن يبصروا طريقهم بنور الله ويتبعوا صراطه المستقيم، وإنهم وأيم الله بذلك مطالبون، وعليه محاسبون. والله المستعان من قبل ومن بعد.

(٩) جزء عم، تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده، مرجع سابق.

(١٠) راجع ذلك: - د. زياد خليل محمد الدغامين، مرجع سابق.

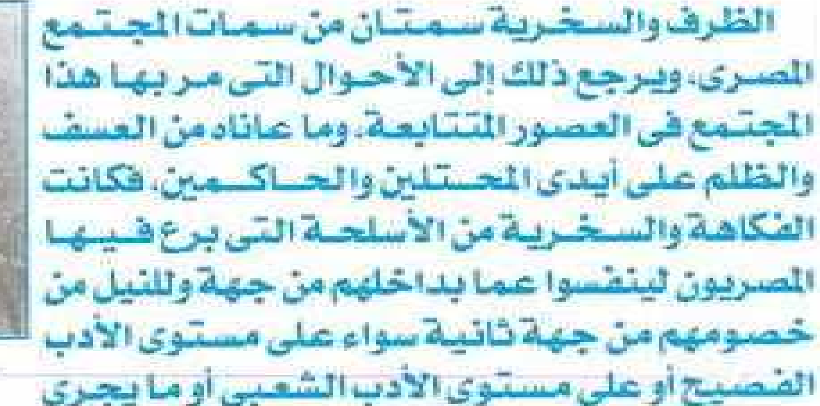
- د. أحمد عمر هاشم، الإمام محمد عبده مجدداً، مجلة الأزهر، الجزء ٩، رمضان ١٤٢٦هـ - أكتوبر ٢٠٠٥م.

- جزء عم، تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده، مرجع سابق.

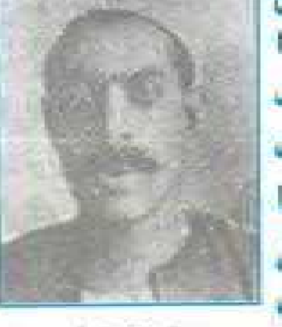
(١١) د. أحمد فؤاد باشا، في التنوير العلمي، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٤م.

صُوَرُ البِشْرِي بَيْنَ الجِدِّ وَالسُّخْرِيَةِ

للدكتور/ متولى محمد البساطى



الظرف والسخرية سمتان من سمات المجتمع المصرى، ويرجع ذلك إلى الأحوال التى مر بها هذا المجتمع فى العصور المتتابعة، وما عاناه من العسف والظلم على أيدى المحتلين والحاكمين، فكانت الفكاهة والسخرية من الأسلحة التى برع فيها المصريون لينفسوا عما بداخلهم من جهة وللنيل من خصومهم من جهة ثانية سواء على مستوى الأدب الفصيح أو على مستوى الأدب الشعبى أو ما يجرى على ألسنة العامة، ويشيع هذا الاتجاه ويسود فى وقت الأزمات، والانتكاسات ويصل الأمر بهذا المجتمع إلى السخرية من نفسه، ونقد عيوبه بشكل صريح لاذع، غير متكتم على ما أصابه.



عبدالعزيز البشرى

ووجد فى كل عصر طائفة من الأدباء كانوا زينة المجالس، فاتسم قولهم وأدبهم بالظرف والفكاهة ومن هؤلاء فى العصر الحديث إبراهيم المويلحى، وحافظ إبراهيم، ومحمد إمام العبد، ومحمد البابلى والشيخ الشربتلى، وإبراهيم عبد القادر المازنى، وجاء بعدهم جيل آخر من أعلامه: فكرى أباظة، وعباس الأسوانى، وعباس خضر، وأنيس منصور، وتوفيق الحكيم، وأحمد بهجت.. وربما يأتى فى مقدمة هؤلاء وأولئك ابن الأزهر الشيخ عبد العزيز البشرى الذى ولد عام ١٨٨٦م فى بيت عرف بالعلم والورع، فوالده هو الشيخ سليم البشرى أحد شيوخ الأزهر الذين عرفوا بالتفقه فى الدين فضلا عن ولوعه بالأدب عامة والشعر خاصة.

ومن الصغر يظهر عند البشرى الابن حبه للأدب وشغفه به، وميله إلى المرح والسخرية منذ كان طالبا فى الأزهر حيث تعلم وتخرج سنة ١٩١١م فانطلق مع طبيعته المحبة للمرح والسخرية، وقوى هذا الميل عنده اطلاعه على آثار الجاحظ الذى كان أحب الأدباء إلى نفسه، وطبيعته المحبة للمرح والسخرية وقراءته للجاحظ ومخالطته للناس، كل ذلك أكسبه خبرة واسعة فى وصفه لعيوب مجتمعه وحديثه عن الناس وتحليله لسلوكهم.

والبشرى على الرغم من شهرته ليس له سوى كتاب واحد هو «فى التربية الوطنية»، وباقى كتبه مجموعة مقالات جمعت ونشرت فى كتاب، منها ما نشر فى حياته وهو «فى المرآة» و«المختار» ومنها ما جمع ونشر بعد وفاته عام ١٩٣٤م وهو كتاب: «قطوف بجزئيه»[1].

لقد استطاع البشرى أن يوجد لنفسه أسلوبا متميزا تبدو فيه ملامح شخصيته من الميل إلى الظرف والفكاهة وخفة الروح والدعابة والسخرية وهو أسلوب حظى بإعجاب القراء والمهتمين بالأدب الذين وجدوا فيه المتعة والفائدة معا ولم يفقد أسلوبه رونقه وتأثيره برغم مرور السنين خاصة فيما كتبه فى المرآة.



إبراهيم المويلحى



محمد إمام العبد

وهو فى أسلوبه يستخدم وسائل مختلفة وإحدى هذه الوسائل التعبير بالصورة التى ترتقى بنثره فى كثير من المواطن إلى مستوى الشعر.

فقد يأتى بالصورة متتبعا أبعادها، كتصويره مثلا لأثر الشاعر حافظ إبراهيم على سامعيه الذى جاء فى صورة ذات أبعاد مختلفة، وذلك فى قوله عنه:

«خفيف الظل عذب الروح، حلو الحديث، حاضر البديهة رائع النكتة، بديع المحاضرة، إذا كتب لك يوما أن تشهد مجلسه أخذك عن نفسك، حتى ليخيل إليك أنك فى بستان تعطفت جداوله، وهتفت على أغصانه بلابله، وأشرق نرجسه، وتألق ورده.. والبدر فى ملكه بين المجرة والجوزاء يخلع إلى الروض حلة فضية بيضاء، فلا ترى أأمت

(١) انظر عبد العزيز البشرى للدكتور جمال الدين الرمادى ص ١٠، ١١ مطبعة مصر سنة ١٩٦٤م.

السماء فى الروض أم أمسى الروض فى السماء؟».

وقد يلجأ إلى رسم الصور القصيرة المتتابعة كحديثه عن لون بشرة حافظ إبراهيم وقد لبس ثيابا غير معهودة ولكنها المناسبة لمظهره وشكله، وهى صورة استكمل فيها مظاهر شخصية حافظ، أو تصويره لحافظ فى ضخامة جسمه بحيوان برى هو الفيل وآخر بحرى هو الدرفيل.

وقد تأتى الصورة توضيحية لوصف سابق كقوله عن حافظ: «جهم الصوت، جهم الخلق، جهم الجسم، كأنما قد من صخرة فى فلاة موحشة» وهى صورة تبرز وصفه لحافظ إبراهيم بالخشونة والعبوس.

وأسلوبه فى مجمله يتميز بالوضوح والسهولة، فى لغة سليمة، مع الاستشهاد بالشعر والحكم والأمثال.

وقد يستخدم أساليب تجرى فى الحياة العامة ولكنها فى أصلها عربية: كقوله: أعوذ بالله، والعياذ بالله، ثم فكر فى آخر ساعة فى أن يكون إنسانا فكان والسلام، وقد يستخدم بعض الألفاظ العامية كقوله فى حديثه عن حافظ رمضان: والجلاء الكامل بلا مساومة، ولا مفاوضات (وكمان) بلا اتفاق على شرط أن تؤخذ عليها التعهدات، بعدم (حططان الكتف) على أوربا وقت الأزمات[٢].

حافظ إبراهيم


وهو فى نوادره يستخدمها بلهجتها التى عرفت بها دون تغيير، وله فى هذا وجهة نظر ذكرها فى المقدمة.

لقد استهل البشرى مراياه فى مجلة السياسة الأسبوعية فى الثالث عشر من مارس سنة ١٩٢٦م بمقالة عن زيور باشا[٣]، وهى مقالة تفيض بالسخرية والتهكم اللاذع، وقد نشرت وقت أن كان زيور باشا رئيسا للحكومة.

وكان البشرى يكتب تلك المقالات فى مجلة السياسة الأسبوعية دون أن يفكر فى نشرها فى كتاب لأنها فى رأيه بنت ساعتها، وحديث يومها، لكنه يذكر أن أحد أصدقائه ألح عليه أن يتخير له صورا من تلك المرايا ليطبعها ويسويها للناس كتابا فاستجاب البشرى لصديقه بعد أن تأبى عليه زمنا، وجمع له طائفة منها، وضم إليها ما كتبه صديقه حافظ إبراهيم عن سعد زغلول، وعاد إليها بألوان التهذيب واستدراك ما فاته من فنون المعانى، ومعالجة ما أضعفت السرعة من القول، وأوهت من نسج الكلام، ثم

(٢) فى المرآة ص ٨٥.

(٣) عبد العزيز البشرى، الدكتور جمال الدين الرمادى ص ٢٢٥.

أضاف إليها طائفة أخرى من رسائل شتى تتصل بجنسها ثم ضبط ألفاظها وفسر ما يحتاج إلى تفسير، وتأتى كل مرآة فى الكتاب مصورة بصورة صاحبها (الكاريكاتورية)، وزين غلاف الكتاب بصورة لسعد زغلول رسمها له مصطفى مختار وأسفل الصورة هذا البيت:

ودعاك حسدك الرئيس وأمسكوا

ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا

وقد راعى البشرى فى ترتيبها تواريخ نشرها فى السياسة الأسبوعية وكانت المقالة الأولى فى الكتاب عن سعد زغلول بعنوان «فى حضرة الرئيس» ويذكر أنها نشرت فى الأهرام فى السابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٢٦م، ويلاحظ فى تلك المقالات أنها تناولت شخصيات كان لها دورها البارز والمهم فى مجالات مختلفة من الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية والفنية فى مصر.

فهى مجموعة من الصور القلمية لإحدى وعشرين شخصية منها اثنتان جاء الحديث عنهما فى موضعين وهما سعد زغلول والدكتور محجوب ثابت ومن هذه الشخصيات شخصية نسائية واحدة وهى هدى شعراوى.

وهو فى حديثه عن الشخص يتناوله بالتحليل والتسلل إلى مداخل طبعه وخلاله فى صورة فكهة مستملحة، وهو فى هذا متأثر بما جاء عن كتاب الغرب من

محجوب ثابت



سعد زغلول

جهة وبالجاحظ من جهة أخرى، وهو يعمد إلى الموضع الناتىء من سمات المرء فيزيد فى وصفه، ويبالغ فى تصويره بما يتهيأ له من وسائل. ففى حديثه عن زيور باشا الذى كان ضخم الجثة يقول عنه: «أما صاحبنا فإذا اطلعت عليه أدركت لأول وهلة أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدرى كيف اتصلت، ولا كيف تعلق بعضها ببعض، وأنك لترى بينها الثابت وبينها المختلج، ومنها ما يدور حول نفسه، ومنها ما يدور حول غيره، ومنها المتيبس المتحجر، ومنها المسترخى المترهل».

ثم يرجع إلى ذلك مرة أخرى فيقول: «إن الحق والعدل ليقضيان أن يؤلف مجلس النواب، إن شاء الله لجنة تقوم بعمل تحقيق فى جسم صاحب الدولة، فتسأل أعضاءه عضوا عضوا، وتحقق مع أشلائه شلوا شلوا، حتى يفرق منها بين المحسن والمسىء، ولا يخلط فى العقوبة بين المجرم والبرىء».

ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته

من كل ما ارتكب من الآثام هو مخ زيور باشا فما أحسبه شارك ولا دخل في شيء من كل ماحصل».

إن الجاحظ قبله «استباح لنفسه التندر بالأصدقاء، فقيد عليهم أنفاسهم، وسجل غرائب أطوارهم وعجائب تصرفاتهم ورسم صوراً شتى لخلجات النفوس وأزمات العقول، وكل ما وقعت عليه عينه وحسه في صدق وتوفيقه»[٤].

ومن خلال هذا الاتجاه اتكأ البشري بصورة ملحوظة على الروح الاجتماعي خاصة من الجانب الشعبي بنكهته المميزة.

والبشري في صوره القلمية في المرآة قد يخالف منهجه المعتاد الذي عرف عنه، واشتهر به وصار قرينا لاسمه بالتندر والسخرية والفكاهة، ليتسم منهجه في بعض هذه الصور بالجد والوقار، ومخالفة البشري لمنهجه هذا تنبع من نظرته لطبيعة الشخصية المصورة من جهة ولمكانتها الاجتماعية من ناحية ثانية.

ومن ذلك حديثه عن الزعيم سعد زغلول، الذي يكن له تقديراً وحباً مثل سائر المصريين، وهو في هذا لا يتكلف الجد والوقار ولا يتجه ضد طبعه، وإنما يأتي الحديث متوافقاً مع طبيعة الشخصية، إذ أن القارئ لن يتقبل صورة يرى فيها مساسا بمكانة زعيمه المهيب الوقور، ولذا كان عنوان حديثه عنه «في حضرة الرئيس» ولم يذكره باسمه، مثل سائر الشخصيات وذلك له دلالته في الحب والتقدير، كما يقدم للحديث عنه بمقدمة تؤكد للقارئ ما لهذه الشخصية من مهابة وحب وتقدير إذ يقول: «ملء السمع، ملء القلب، ملء البصر، لو حاول بكل جهده ألا يكون رجلاً عظيما ما استطاع، وهيهات لامرئ أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله! وقد سوى الله هذه العظمة من يوم مدرجه، فكان طالبا عظيما، وكان مدرهما عظيماً، وكان قاضيا عظيما، ثم تناهت إليه زعامة أمة فهو فيها ملء السهل والجبل»[٥]، وكان الأمر كذلك في تصويره لهدى شعراوي، لأنه يشعر أن هذه السيدة تحيط بها هالة من جلال تحسر النظر عن تصفح ما في معارف وجهها في قسامة وجمال، ويضاف إلى ذلك أنها «سيدة مفكرة، والظاهر أنها لا تنقطع عن تفكير عميق، محتشمة الثوب، محتشمة المجلس، محتشمة القول، محتشمة الابتسام»[٦].

فجاء حديثه عنها متوافقا مع تصوره ورؤيته لها، متسما بالجد والوقار والاحتشام، بعيدا عن التندر والسخرية، وكأنه لا يرى ذلك لائقا ولا متوافقا مع

(٤) الجاحظ. الدكتور/ أحمد الحوفي ص ٩٦. شركة الإعلانات الشرقية.

(٥) في المرآة ص ٨. (٦) في المرآة ص ٩٨.

طبيعتها ومكانتها.

وخاصية الوصف عند البشري تهدف إلى نقل الواقع بكل ملامحه وإيقاعه وروحه.

والوصف عنده بصفة عامة يتداخل مع سمة أساسية في أسلوبه، وهي التجسيم، ويستعين على ذلك عادة بالصورة البديعية المبتكرة ذات الدلالة الشعبية أحيانا.. مع استخدام بعض الألفاظ والعبارات العامية كما سبق.

ولقد جاء استخدامه للعامية هامشيا بالاقتباس والتضمين بحيث لا يؤثر في مسيرة التعبير بالفصحى، كما أنه أحيانا يستخدم بعض الألفاظ الأجنبية بحروفها بجانب مقابلها العربي في مغالاة أثقلت النصوص دون مبرر كما ذهب إلي ذلك الدكتور حلمي القاعود[٧].

لقد تأثر البشري بالجاحظ في أسلوبه، من حيث اختياره للألفاظ القريبة والابتعاد عن الجافي الغليظ، وكل منهما يرى أن ما ورد عن العامة من النكات والملح لا يغير، حتى لا يضيع رواؤه وتذهب ملاحته.

ويذكر البشري أن له عذرا في أنه يتنزل أحيانا إلى العامية، وعذره في ذلك - بجانب ما سبق - أننا نكتب بلغة، ونتناول أسبابنا الدائرة بلغة أخرى «وهيهات لك أن تجلي على القارئ صورة كاملة من حديث قوم في مناقلاتهم ومناداراتهم وما تطارحوا من فنون النكات إلا بأن تورده كما نطقوا به، بخاصة إذا كان يجري في العبارات التي تشيع على ألسن الناس، وتذهب عندهم مذهب الأمثال، فإذا حاولت أن تؤدي هذا بفصيح اللغة فسد الغرض، واختل نظم الكلام»[٨].

لقد كان البشري نموذجا للأداء التعبيري القائم على الرسم والتصوير بالألفاظ والعبارات، المعتمد على تعانق الوسائل اللغوية، والجمالية المغلفة بالفكاهة ليقدم للقارئ لوحات تعبيرية، وصورا قلمية بديعة التكوين، بأضوائها وظلالها وألوانها.

***

(٧) مدرسة البيان والنثر الحديث ص ٣٧٧-٣٨٠ دار الاعتصام سنة ١٩٨٦م.

(٨) في المرآة ص ٨.



مؤتمر مكة السادس يؤكد:

ضرورة التجديد فى مناهج العلــــوم الإسلامية

متابعة الأستاذ / عاطف مصطفى

مناهج العلوم الإسلامية لها أهميتها فى حياة المجتمع المسلم، فى ظل التحديات التى تواجه المسلمين فى عصرنا الحاضر.

وفى مكة المكرمة وقبيل أيام من وقوف المسلمين بعرفات فى الفترة من الخامس إلى السادس من شهر ذى الحجة ١٤٢٦هـ، عقدت رابطة العالم الإسلامى مؤتمر مكة المكرمة السادس لمناقشة كل القضايا التى تتناول مناهج العلوم الإسلامية فى بلاد المسلمين.. لكن لماذا كان هذا المؤتمر، وفى هذا التوقيت بالذات؟

لقد تعرضت مناهج العلوم الإسلامية فى البلاد العربية والإسلامية للكثير من النقد، منه المغرض ومنه الهادف، ومن هنا جاء هذا المؤتمر ليناقش قضية الوسطية الإسلامية دون إفراط أو تفريط، واضعا أهدافا محددة من خلال بحوث المؤتمر، والتى شارك فيها عدد من مفكرى وعلماء الإسلام ومن مختلف البلاد الإسلامية

وتناولت البحوث، تقويم مناهج العلوم الإسلامية فى البلاد العربية والإسلامية، ولدى الأغلبيات المسلمة فى العالم، ومعرفة مواطن الضعف، والسعى إلى إصلاحها، فضلا عن صياغة الشخصية الإسلامية المتزنة من خلال مناهج العلوم الإسلامية، وتشجيع حوار الثقافات والحضارات المعاصرة وتنشيطها، للتعريف بثقافة الإسلام والدفاع عنها، وبيان أثر التعليم الإسلامى فى إقامة العدل والسلم والتعاون بين الأمم والشعوب، وتحقيق مهام التعليم الإسلامى فى معالجة الغلو والتطرف.

وعلى مدار ثلاث جلسات ناقش المشاركون فى المؤتمر المحاور والبحوث، حيث تضمن:

●● المحور الأول: واقع مناهج العلوم الإسلامية لدى المسلمين فى البلاد العربية وفى جنوب شرق آسيا وفى إفريقيا ولدى الجاليات المسلمة فى كل بلاد العالم.

●● المحور الثانى «الدعوة إلى إصلاح المناهج» دارت المناقشات حول «الدعوة إلى إصلاح المناهج» وتضمنت بحوثه مناقشة الحاجة إلى التجديد فى مناهج العلوم الإسلامية، والجوانب التى تحتاج إلى إصلاح فى هذه الجوانب، وصياغة الشخصية الإسلامية المتوازنة من خلال مناهج العلوم الإسلامية والثقافات المعاصرة ومناهج البحوث الإسلامية.

●● المحور الثالث والأخير كان عن أثر التعليم الإسلامى فى إقامة العدل والسلم والتعاون بين الأمم والشعوب ومن بحوثه:

● معالجة التعليم الإسلامى للغلو والتطرف والإرهاب.

● أثر التعليم الإسلامى فى دعم التعايش والسلم الدولى وتوطيد الأمن.

● مسئولية المنظمات الإسلامية فى تحقيق مقاصد الإسلام.

رابطة العالم الإسلامي

مؤتمر مكة المكرمة السادس
مناهج العلوم الإسلامية
برعاية خادم الحرمين الشريفين
الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
- حفظه الله -

قاعة المؤتمرات
مبنى الأمانة العامة للرابطة
٥-٦/١٢/١٤٢٦هـ
٥-٦ يناير ٢٠٠٦م

رسالة الإسلام

إن رسالة الإسلام لا تحصر فقط فى تصورات عقدية فكرية، ولا فى طاقات عاطفية روحانية، بل هى نظام شامل تتناول تشريعاته الحياة كلها بكل تفاصيلها

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢)

من دون إشفاق على النفس البشرية، ولا إعنات لها:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾

(النساء: ٢٨)

كما تناولت رسالة الإسلام نشاط الإنسان الفكرى والعاطفى والقيمى والحركى، وحراك المجتمع فى كافة أوجه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والزراعية وغيرها.

ولذا فإن تعليم الناشئة الإسلام، لا يكفى فيه تزويدهم بالمعارف، بل لابد من إكسابهم السلوك الإسلامى القويم، المؤسس على إيمان عميق راسخ، وهذه بلاشك مهمة جليلة وثقيلة، لا تنهض بها مادة دراسية واحدة لا اثنتان، بل إنها مهمة النظام التعليمى برمته.

البحوث تناولت قضايا كثيرة ومتنوعة ومنها بحث مهم بعنوان «تقويم مناهج العلوم الإسلامية فى البلاد العربية» للدكتور سعيد بن محمد المليص نائب وزير التربية والتعليم بالسعودية، والذى حدد القضية فى البداية بقوله: إننا حينما نتناول مناهج العلوم الإسلامية بالبحث والتقويم فى هذا المؤتمر المبارك، فإننا ننطلق من هذه الحقائق، دون أن يأسرنا الواقع بتفاصيله وظروف تكونه وتكوينه، بل نضع أمام أعيننا حقيقة هذا الدين العظيم الذى أنزل الله لسعادة الإنسان الفرد، والإنسان ضمن مجتمعه، وسعادة المجتمع الإسلامى الكبير، وسعادة العالم الإنسانى أجمع.

إن العالم الإسلامى اليوم فى مأزق، حيث أثخنه الفقر والتخلف العلمى والتقنى، وأربكه التفرق والتنازع، وناشته حراب شرسة يعجز ــ حتى الآن ــ عن دفعها، وانعكست حالته تلك على مجتمعاته وأفراده، حتى تسرب الإحباط إلى نفوس أبنائه وبناته، فآلت الحال ببعضهم إلى التطرف والإرهاب، وبآخرين إلى الذوبان الثقافى، وأتى كل منهم من ضعف التربية والبصيرة.

تفعيل دور التعليم الإسلامى يحقق إقامة العدل والتعاون بين الأمم والشعوب

ولم يعد ملائماً فى ضوء هذه المعطيات أن نسوق تصوراً ضيقاً لمفهوم العلوم الإسلامية، يقتصر على العقيدة وشعائر العبادات والمعاملات فقط، بل ينبغى توسيع تصورنا لها حتى يشمل علوم النهضة والمدنية أيضاً، بدءاً من مهارات التفكير وعمليات العلم والتجريب، وأصول العلوم الطبيعية والرياضية ونحوها، وانتهاء بعلوم الفن والإبداع والجمال وفق ما شرعه الله - تعالى ـ لأن

استعادة أمجاد حضارة المسلمين يتحقق من خلال تنشيط مناهج العلوم الإسلامية وتطويرها المستمر

مسئولية النهضة واجب دينى على مجموع الأمة ومجتمعاتها وأفرادها كل بحسبه.

ولا يعنى هذا إذابة العلوم الشرعية فى غيرها من العلوم، بل يعنى بالدرجة الأولى، تعميق التصور الصحيح فى العلوم الإسلامية، وتحقيق تكامل وانسجام تام بين علوم الشريعة، وبين بقية علوم المدنية، ومعالجة ما قد يبدو بينها من تعارض.

كما أننا يجب أن نسعى فى إزاحة العقبات الفكرية والعاطفية من طريق الناشئة، لينطلقوا فى مضمار المنافسة العلمية بكل طاقاتهم، وذلك يستدعى رعاية روح البناء والتعمير والإحسان فى كل شيء، والنظرة الإيجابية إلى الحياة والأحياء وإثمارها والكد فيها، والتأكيد على واجب الفرد والمجتمع، والصبر والمثابرة، والصدق والعلمية والجهاد فى ميادين المنافسة العلمية الشريفة، فى عمارة الأرض. والنظر إلى هذه الحياة على أنها مزرعة للآخرة، يجب أن نحسن فيها الغرس والزرع، لنكون جديرين بالاستخلاف فيها كما أراد الخالق عزوجل.

وتناول البحث تصوراً تقويمياً يبدأ من الواقع، وتعرض لقصور تطويرى لتدريس العلوم الإسلامية.

عناوين كثيرة وبحوث كلها تصب فى هدف واحد هو ما الذى ينبغى اتباعه فى إصلاح وتطوير مناهج العلوم الإسلامية فى عالمنا الإسلامى منها بحث بعنوان: «مناهج العلوم الإسلامية والتغيرات المعاصرة... نظرة أصولية فى الإصلاح المنشود».

ومن بين ما تناوله هذا البحث: موقع مناهج العلوم الإسلامية فى ثنائية القطع والظن، وعلاقتها بقاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأوضاع، وإبراز الأسباب الموضوعية والعلمية لإصلاح مناهج العلوم الإسلامية، ومرتكزات الإصلاح المنشود لمناهج العلوم الإسلامية، تمكينا لها من الصمود والثبات أمام ما يموج به العالم اليوم من تحديات فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية متلاحقة متتابعة، وإسهاماً منها فى تصحيح ما تراكم من تصورات وانحرافات فكرية، أساءت ولاتزال تسيء إلى سماحة الإسلام وعدله ورحمته للعالمين.

وكان من بين البحوث المقدمة لمؤتمر مكة، بحثان من مصر الأول للدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون الدولي والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وهو بعنوان «مسئولية المنظمات الإسلامية في تحقيق مقاصد التعليم الإسلامي»، والثاني للدكتور نبيل السمالوطي وتناول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: المفهوم ـ الأهمية ـ الجهود العلمية ـ الضوابط المنهجية.

كما قدم بحث مهم بعنوان دور المدرسة في مكافحة الإرهاب من منظور التربية الإسلامية للدكتور خالد الظاهري، وبحث بعنوان «إصلاح منهجية التعليم الإسلامي» للدكتور عبد القادر دونك.

البيان الختامي

وفي نهاية المؤتمر جاء البيان الختامي ليحدد معالم محددة، حيث أكد المشاركون أن من أهم مقاصد العلوم الإسلامية:

● المعرفة الصحيحة بتوحيد الله سبحانه وتعالى، والطريق الصحيح لعبادته وحده، وذلك من أشرف المقاصد.

● رفع الجهل وتعليم الناس أمور دينهم بصورة صحيحة، لا إفراط ولا تفريط.

● تطبيق شريعة الله، والدعوة إليه على بصيرة:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

(يوسف: ١٠٨)

● نشر المعرفة الصحيحة التي تعين الناس على التعامل الصحيح مع شئون الحياة ليحيا الناس حياة إسلامية كريمة يعمها الأمن والسلام.

وأوضح المشاركون في المؤتمر على أن هناك أموراً مهمة ينبغي على المؤسسات المعنية بالتعليم والمناهج الإسلامية الاهتمام بها والتعاون في مجالها وهي:

● علاقة العلوم الإسلامية بالحضارة وأهميتها في استعادة عزة الأمة، حيث أكد المشاركون من العلماء على أن هذه العلوم هي الأساس الثقافي الذي قامت عليه البنية الحضارية. وأن حضارة المسلمين نتاج الإبداع العقلي الإنساني، المسترشد بالوحي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، ولابد من استعادة أمجاد الحضارة، من خلال تنشيط مناهج العلوم الإسلامية وتدريسها للأجيال المسلمة، وربطها بحياتهم.. على أنه من الأهمية بمكان تعهد مناهج هذه العلوم بالتطوير المستمر، تمكينا لها من التعامل مع مستجدات العصر وتحدياته المتلاحقة والمتابعة على كافة الأصعدة.

● وفي علاقة التعليم بتوطيد الأمن: أكد المؤتمر أن الأمة الإسلامية بحاجة إلى التعليم الإسلامي الصحيح، الذي يذكر

الناس بالأخلاق الإسلامية التي تحلى بها رسول الأمة ﷺ من صدق وأمانة وإخلاص في القول والعمل، وتفان في إتقانه وتراحم وتضامن وتعاون واعتصام بحبل الله.

وهذا التعليم يدعو إلى ما فيه خير الناس أجمعين، وينبذ ويحرم كل ما هو ضار بالبشر وبالأرض التي يعيشون عليها، ويغرس في الإنسان المسلم الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، لكي لا يقدم على ارتكاب جريمة أو ما يعكر صفو الأمن، ومن ثم فإن التعليم الإسلامي الصحيح يوطد الأمن، إذ يغرس الإيمان في نفس متلقيه فيمتنع عن ارتكاب الجرائم.

● وفيما يتعلق بالحملة على التعليم الإسلامي ومناهجه والدفاع عنها أوضح مؤتمر مكة السادس أن الحملة على التعليم الإسلامي ومناهجه، جزء من الحملة المغرضة المشبوهة على الإسلام، وحذر المسلمين ومؤسسات التعليم من أهدافها الشريرة، ومن عواقبها الوخيمة، مؤكداً أن هدفها إضعاف التعليم الإسلامي ومناهجه، ليصبح عديم الفائدة وهذا يوجب على المؤسسات الإسلامية التربوية والتعليمية،

ضرورة التطوير وفق ما يحتاج إليه واقع المسلمين دونما رضوخ لأي ضغط خارجي، أو دعوة هدفها تقليص التعليم الإسلامي!

والجامعات الإسلامية أن تتعاون في الدفاع عن التعليم الإسلامي من التهم التي تكال له، ومن وصمة الإرهاب، وذلك من خلال تعاون وثيق مع وسائل الإعلام المختلفة.

مشكلات التعليم الأساسي

● وفي شأن المشكلات التي تواجه التعليم الأساسي، طالب المؤتمر رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للتعليم الإسلامي، التابعة لها بمتابعة جادة، للهيئات والمنظمات الإسلامية المعنية بالتربية والتعليم، لتكثيف عقد الندوات، وورش العمل للبحث عن حلول لمشكلات التعليم الإسلامي وفي مقدمتها:

١ ـ النقص في عدد المدارس التي تقدم التعليم الإسلامي، وضعف قدراتها وأدائها، وخاصة في بلدان الأقليات المسلمة، وفي المناطق التي لا تتكفل فيها الحكومات بهذا التعليم.

٢ ـ ضعف مستوى المعلمين في البلدان التي تعيش فيها أقليات مسلمة، مما يؤثر سلباً على الدارسين والمتعلمين من أبناء المسلمين، مما يوجب وضع برامج علمية للتدريب المستمر.

● وحول علاقة التعليم الأساسي

ومناهجه بالحفاظ على الشخصية الإسلامية، نبه المؤتمر إلى مخاطر العولمة الثقافية على ذات الأمة وضرورة مواجهة تحدياتها المناوئة لحماية الذات الإسلامية، من خلال منهاج إسلامي تأخذ به مؤسسات الدعوة ومؤسسات التعليم والإعلام، لتقديم البرهان على أن المسلمين أمة نشرت حضارة المعرفة والحق والخير والتعاون والعدل والسلام، وأنها بعيدة عن التطرف والإرهاب والعنف في التعامل مع غيرها، وأن ما يحدثه بعض الأفراد منها، لا صلة له بجوهر الثقافة الإسلامية الصحيحة.

لكن كيف يتم التطوير؟

●● وبعد أن تدارس المشاركون في مؤتمر مكة السادس الحاجة إلى تطوير مناهج العلوم الإسلامية وأكدوا أن ذلك مطلب تقتضيه التجربة البشرية تطلعاً للأفضل.. أوصوا عدة توصيات منها:

●● مطالبة مؤسسات التعليم وفي مقدمتها وزارات التعليم ورابطة الجامعات الإسلامية، والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، والهيئة الإسلامية العالمية للتعليم وغيرها بالتنسيق والتعاون في مجالات تطوير مناهج العلوم الإسلامية وذلك كالآتي:

● أن يتم تطوير المناهج وإصلاحها من خلال دراسات علمية متخصصة، تقوم على تحليل واقع هذه المناهج، وتقديم مقترحات لتطويرها وإصلاحها، حتى يتم التعرف على ما يحتاج إلى تطوير في هذه المناهج.

● أن يتولى تطوير التعليم أهل الاختصاص والعالمون بشئون التعليم في البلاد العربية والإسلامية، مع الاستفادة من تجارب الدول والمنظمات المتخصصة فيما لا يمس الثوابت الإسلامية.

● أن يتم تطوير مناهج العلوم الإسلامية تطويرا شاملاً، يحقق غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، وفق منهاج شامل وبرامج تربوية معدة لتكوين جيل عالم بأمور دينه.

● أن تحرص مناهج العلوم الإسلامية على منهاج الوسطية والاعتدال، وأن تكون بعيدة عن التطرف والغلو والإرهاب، وأن تؤكد قيم السلام والتسامح بين المسلمين، ومع غيرهم من الشعوب، لتحقق مقاصد التعليم الإسلامي.

● أن يتم تطوير المناهج وفق ما يحتاج إليه واقع المسلمين، دونما رضوخ لأي ضغط خارجي، أو دعوة هدفها تقليص التعليم الإسلامي، بحيث تنشأ الأجيال المسلمة جاهلة بدينها.

● وتضمن الحديث عن مناهج العلوم ومن خلال البيان الختامي والتوصيات حث مؤسسات التعليم داخل العالم الإسلامي



الحرص على الرقي بمناهج العلوم الإسلامية بهدف إعداد جيل يعيد أمجاد الحضارة الإسلامية

وخارجه على الأخذ بوسائل النهوض باللغة العربية في الجامعات والمراكز المتخصصة باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وضرورة تعليم العربية للمسلمين في بلدان إفريقيا وشرق آسيا وجنوبها. وفي البلدان التي تعيش فيها أقليات مسلمة.

● كذلك تم التأكيد على الرقي بمناهج العلوم الإسلامية، لإعداد جيل مبدع مبتكر، يسهم في بناء مجتمعه، ويعيد أمجاد الحضارة الإسلامية، والأخذ بمعطيات التقنيات الحديثة، بما يخدم العملية التربوية الإسلامية، وضرورة مراجعة الصياغات الاجتهادية الناظمة للأهداف التعليمية.

● وأكد المؤتمر على ضرورة تعزيز ثقافة الحوار مع الثقافات الأخرى من منطلق الخصوصية لا التبعية، مع تضمين المناهج مقررات لها ارتباط وثيق بأصول الدعوة ومناهج الدعاة وأساليب الوعظ والإرشاد.

● دعوة رابطة العالم الإسلامي لتكوين لجنة لمتابعة تنفيذ توصيات مؤتمر مكة المكرمة السادس لمناهج العلوم الإسلامية، على أن يشترك فيها ممثلون من كلية التربية بجامعة أم القرى، ومركز التعليم الإسلامي بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي وكلية المعلمين والمعهد العالي لوحدة الأمة الإسلامية بماليزيا.

كما حرص البيان الختامي لمؤتمر مكة على دعوة مؤسسات التعليم في البلدان التي تعيش فيها أقليات مسلمة للتنسيق والتعاون مع الهيئة الإسلامية العالمية للتعليم التي أنشأتها رابطة العالم الإسلامي لوضع خطط التربية والتعليم، ووضع الخطوط الرئيسية لمناهج مؤسسات التعليم وترقية برامجها.

***

هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات السابقة كلها تصب في هدف واحد هو عرض الرؤى المختلفة لعلماء المسلمين، وإصدار التوصيات والتي نرجو أن تتحقق على أرض الواقع، فذلك كله يصب في مصلحة الأمة الإسلامية التي تواجه التحديات في كل يوم وبشراسة بالغة، تحتاج إلى جهود العلماء وكل المنظمات الإسلامية.. ليعود للمسلمين قوتهم ودورهم الريادي المطلوب منهم في ظل صراع الحضارات والعولمة!

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

دورة تدريبية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر حفل ختام الدورة التدريبية العالمية الحادية والسبعون للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى وعددهم عشرين إماماً وواعظاً من دول: الجزائر، والسودان، وليبريا، والهند، وبروناى، وغانا، واليمن، السنغال؛ وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية.

بدأ الاحتفال بكلمة لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية، أثنى فيها على خريجى الدورة من الأئمة والوعاظ لحرصهم على دروس العلم التى استمعوا إليها من أصحاب الفضيلة علماء الأزهر.

كما ألقى كلمة الوفود الشيخ أحمد الصادق البشير من السودان حيث شكر الأزهر الشريف على تنظيم هذه الدورات التى تعود بالنفع على الأئمة والوعاظ، الذين يتلقون العلوم الشرعية من مصادرها الصحيحة والمعتدلة.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله تتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض حيث نتناقش فى أمور الدين والدنيا، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة...



وفى نهاية الكلمة دعا فضيلة الإمام الأكبر للخرجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم.

ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين ومنح كل واعظ مكتبة دينية تعينه على أداء مهامه بنجاح وتكون مرجعاً له وقت الحاجة.

كما افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أعمال الدورة (٧٢) لعدد (٢١) إماما وواعظاً من دول: الجزائر، والسودان، وبروندى، وغانا، ونيجيريا، والنيجر.

شهد الحفل فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف، والسادة سفراء الدول.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من استراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد الوزير كارلى سكالى وزير شرطة ولاية نيوثاوث ويلز الاسترالية يرافقه السيد فيرجس أوكونور – مدير التخطيط بوزارة الشرطة بنيوساوث ويلز، ويرافقه السيد مايكل كورتن المستشار بسفارة استراليا.

حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسيد الوزير والسادة المرافقين، وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف. مبينا أن الدراسة بالأزهر تقوم على التسامح باعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وعليهم أن يتعاونوا من أجل نشر الأمان والسلام الرخاء فى المجتمع الإنسانى وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن لكل إنسان عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر على ما سمعه من حديث أفاض فيه بما كان يجول بخاطره ورغب فى توصيل ما سمعه لكل الإستراليين ليكونوا على وعى بذلك، وقد حصل على نسخة من القرآن الكريم مترجمة باللغة الإنجليزية للاسترشاد بها فى بعض الأمور.



الإمام الأكبر: حرية التعبير لا تعنى ازدراء الأديان

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى بمكتبه بالسيد السفير بيارن سورتش سفير دولة الدانمارك بالقاهرة ويرافقه السيد/ كريستيان جروتبيك نائب السفير والسيد/ جاكوب سكوبفولد - مدير مركز الحوار المصرى الدانماركى والسيد ناجى عبدالله المستشار المصرى بسفارة الدانمارك - ودار الحوار حول ما نشر بإحدى الصحف الدانماركية التى أساءت إلى نبى الإسلام محمد - ﷺ - حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام تحترم جميع الأنبياء من سيدنا إبراهيم حتى سيدنا محمد - ﷺ - وأن الأزهر الشريف يقدس حرية الكلمة ويحترمها، على ألا تتجاوز هذه الحرية الحدود الإنسانية السليمة، والأزهر الشريف أيضاً يرحب بالحوار وبه لجنة دائمة للحوار بين الأديان السماوية وأبوابها مفتوحة بصفة مستمرة.

ومن جانبه أعرب السيد السفير عن شكره لإتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء، وأن سبب زيارته تأتى من منطلق احترام حكومة وشعب الدانمارك للأديان وخاصة الإسلام الذى يعد أكبر الأديان فى العالم، مما يؤكد على رغبة الحكومة أن تكون علاقتنا قائمة على الاحترام كما أننا نحترم هذا الدين، وأن السيد رئيس وزراء الدانمارك أعرب عن استنكاره الواضح تماماً لأى تصريح أو عمل أو تعبير عن الرأى بقصد تشويه صورة الإسلام حيث أن مثل هذا العمل لا مكان له فى مجتمع يقوم على احترام الفرد، والأزهر الشريف فى بيانه الذى أصدره أكد على توضيح صورة الإسلام الأمر الذى دعا السيد وزير خارجية الدانمارك أن يرسل خطابات لأمين عام الجامعة العربية، ولسكرتير عام المؤتمر الإسلامى أكد فيها على احترام الدانمارك للأديان، كما أشار رئيس الوزراء فى خطابه إلى أهمية الأخذ فى الاعتبار أن حرية التعبير لا تعنى تشويه أو ازدراء للأديان فيما بيننا وترغب حكومة الدانمارك أن يعيش الشعب فى الدانمارك باختلاف أديانه فى وئام تام وفى سلام، كما أعرب السيد السفير عن رغبته فى أن يكون هناك تعاون مثمر وحوارات بناءة فى المستقبل.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب - وكيل الأزهر، وفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف - رئيس لجنة الحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف.



تخصيص ٦٨ منحة دراسية لمسلمى تايلاند

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الوزير/ كنتاتى سوباه ومخونكون - وزير خارجية تايلاند والوفد المرافق له، ورحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى الوزير والوفد المرافق له فى مصر وأزهرها الشريف، موضحاً بأنه يوجد طلاب وطالبات من تايلاند يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وعددهم (٢٥٨٨) طالباً وطالبة، كما أنه قد تم تخصيص عدد (٦٨) منحة دراسية لأبناء تايلاند هذا العام، وأوضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد بأن الدراسة فى الأزهر تقوم على الوسطية والاعتدال، لأننا جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وأوضح فضيلته أن أبناء تايلاند يعيشون فى مصر مع إخوانهم دون تفرقة.

ومن جانبه أعرب السيد الوزير عن تقديره العظيم لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وعلى أهمية دور مصر العربية تجاه الإسلام فى منطقة الشرق الأوسط، مؤكداً على أهمية دور الأزهر فى نشر مفاهيم الإسلام الصحيحة، والعمل على نشر السلام والمحبة، وتقدم لفضيلة الإمام الأكبر بالشكر على ما يقدم لطلاب تايلاند من خدمات جليلة ونافعة.

اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بأعضاء المجلس الأعلى للآباء والمعلمين لمناقشة ما تم إنجازه من أنشطة وخدمات طلابية فى الفترة من ١ / ٧ / ٢٠٠٥ وحتى ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٥م من ميزانية المجلس الأعلى للآباء والمعلمين، وإنجازات الإدارة العامة للرعاية الاجتماعية، وما تم تنفيذه من معسكرات استفاد منها كثير من الطلاب والطالبات، وما تم أيضاً فى مجال إعداد القادة، والمؤتمر الذى عقد لأمناء سر مجالس الآباء والمعلمين بالمناطق الأزهرية بيت شباب طلاب الأزهر بسموحة.



*Western Testimonies Doing Justice to Islam

By: Dr. Muhammad `Imarah

Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) practiced a timely sovereignty that might be practiced by any other independent ruler, but with one unique difference; namely, the religious tie among the Muslims takes the place of the blood tie. With this in mind, Islam has become a political system as much as a religious one.

Moreover, Muhammad's wish was to establish a new religion and he, actually, succeeded in doing so. Meanwhile, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) was able to establish a political system of a unique quality.

The introduction of a new principle of those of the social unity, under the Islamic brotherhood in the Arab society, has begun to weaken the tying strength of the old idea of tribalism. That old idea had been establishing society on the basis of blood relation. Thus, when people started to embrace Islam and enter the new society, one of the most important rules of the basic life of Arabs was demolished. Also, the great number of people who embraced Islam was one of the powerful factors that led to eliminating the tribal system, leaving it weak in front of a powerful, cohesive life system under Islam. The entrance of Islam into the Arab society was not just an issue of getting rid of some of brutal and barbaric habits, but it was a complete alteration of the life existing before.

Furthermore, the performance of the Five Prayers every day represents a great effect, whether in attracting the people or keeping the Muslims among them united. In this

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.



regard, a French philosopher said, "One is more in connection with the religion full of rituals than one is with any other religion of less rituals. This is because one is much attached to the matters that always occupy one's mind."

The religion of the Muslims is always in their mind and represented in the Five Prayers they perform every day. This religion is represented in a submissive ritual manner that affects not only the worshipper but the watcher as well. Al-Hasan Ibn Sa`id – one of the Jews of Alexandria who embraced Islam in 1238 A.D. – spoke about the scene of the Friday Prayer at any mosque as a decisive factor in his conversion to Islam. He was suffering a severe disease when he heard in his sleep a voice ordering him to publicly convert to Islam. He went on saying, "When I entered the mosque and saw how the Muslims were standing in rows like angels, I heard a voice saying, 'This is the congregation about whom the Prophets (may the blessing and peace of Allah be upon them all) told.' When the preacher appeared, I felt deep veneration in my heart. The preacher concluded his sermon with the verse that reads:

> *{Surely Allah commands to justice and fairness and bringing (charity) to a near kinsman, and He forbids obscenity and maleficence and iniquity. He admonishes you that possibly you would be mindful.}*

[An-Nahl (The Bee): 90]

After that, when the Muslims stood to perform their prayer, I felt something pushing me to stand with them because their rows were like those of the angels who see Allah, the Almighty, during their prostration. Then, I heard a voice calling me, 'Allah talked to the people of Israel twice in all that time, but He talks to this congregation in every time of their prayer.' Hereupon, I realized that I was born to be a Muslim."



the authors themselves. Contrarily, the fair and sincere critics should, before launching their criticism, study and examine the ideological and cultural attitude of authors. In case there is any disagreement between the ideas of the two parties, this is nothing but a difference between two attitudes, each of which has its supporters and opposers. This is substantiated by the fact that the Islamic Schools, as regards legislation and creed, do not stand at only one opinion in matters other than the *Tawhid* (i.e., Monotheism) and Message.

After this word about those who have criticized the book "*Manzel Al-Wahy*," I can say that the first merit of this book is that the author reports about himself first. He sees, thinks and explains, then he moves to review all that he has seen and imagines it before his eyes. After studying all the details and hidden features of what he has seen, he draws his pen to write his opinion. The author writes his ideas in a great style that flows before the reader's eyes the same as water runs from the peak down to the mouth of the river. Indeed, the author's style has reached the rank of artistic creativity, as it turns into poetry in the situations of greatness. This can be witnessed when depicting the Cave of Hira', the sacred grave of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), or the grave of Hamza. This is also highly-expressed when you come to the scenes of *Tawaf* (i.e., circumambulating the Ka`ba) and throwing the stones. This seems as if the author does not describe what he has seen but rather he describes himself surrounded by what he has seen. That is why such a book is considered unique in tackling this field.

There are other books, such as those written by Ibrahim Ref`at, Muhammad Labib Al-Batanony and Shakib Arslan, which reach a good level as regards depicting the blessed journey, but it is worth mentioning that reading one of them will suffice for the others. This is because such books



state the information and accompany them with some useful comments and sound suggestions. On the other hand, Dr. Heikal's emotion and feelings have colored the scenes, events and places with a subjective color that can be witnessed in every line. So, I can honestly say that the book "*Manzel Al-Wahy*" cannot be substituted for by any other book despite the fact that it can substitute for others.

The amazing feeling that the unbiased critic experiences concerning both the book and its author was not felt by the author himself, for his feeling of the greatness of the place and its dwellers made him just write without contemplating what he was writing. You can touch that in his saying that goes, "This book is not one of the references of history nor does it include any of the calendars of the Arabs. Rather, it represents poses I has made in the land of Revelation where I recall the situations which Muhammad Ibn Abdullah (i.e., the Prophet) faced. In those situations, my soul transcended and my self was freed, thus I was able to go back in time for centuries seeking to know that guiding noble person (i.e., the Prophet) and the Muslims surrounding him. I was searching for a good example hoping to share it with my believing brothers..."

That is what Dr. Heikal mentions in his book. He shows much humbleness when he says, "This book is not one of the references of history..." This is due to the fact that his book is indeed one of the approved references of history due to what it contains of facts. The author did not feel satisfied by just reporting what was said by other, but he went beyond that, enriching it with what he could encompass. Truly, his creative and well-stated addition has made the book enjoy its celebrated rank among the other books dealing with the subject of the sacred journeys. Therefore, it goes without saying that it is binding for whoever wishes to write a journey-book to refer to this book seeking guidance and take it as an example to be followed.



whoever observes his activities in Washington. No sooner the American newspapers published news on the murder of all the members of some Coptic family in New Jersey at the end of the last year, than he rushed into issuing fake statements. He held news conferences to claim that it was the fanatic Muslims who were responsible about that crime. His exact words were, "Indeed, the hideous crime of slaughtering a Coptic family at the hands of the extremist Muslims does not excite one's rage only, but it has frightening effects on the American Coptic community as well."

He added, "With the increasing crimes of hatred against the Copts in Egypt, they flee to the United States where they seek the freedom of religion and escape from oppression." The journalist went on refuting the lies of that person, which were confuted by the decision of the US courts. Such lies that none could believe to be issued by a an educated person against the citizens of his native country.

There is just one last word I want to say to that rebellious citizen, "Suppose that the judiciary authorities in the United States became quite sure about your conviction, after someone brought suit against you because of arising disturbance between the Muslims and Christians, destroying relations and having a tendency towards extremism, and consequently, the courts issued a verdict ousting you from there. Can I ask you, 'To which spot on the earth will you go?' I think that your likes have no other place but Egypt, the country of the tolerant openhearted Muslims and Christians!"



A Look into the Book "*Manzel Al-Wahy*[1]" by:Dr Muhammad Hussein Heikal

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

I have read all that could reach my hands of the books talking about the journeys related to visiting Al-Hijaz for performing *Hajj* (i.e., Pilgrimage) to the Sacred House (i.e., the Ka`ba) and seeing the Prophet's sacred grave. I have enthusiastically and curiously read them due to the nobleness and religious importance of their subject. However, I truly confess that none of these books has aroused my attention and attracted my admiration as much as the book "*Manzel Al-Wahy.*"

Though sixty-five years has elapsed since the composition of this book, its glow still attracts the cultured readers that they take it with them during their blessed journey to perform *Hajj*. Dr. Heikal was one of the prominent men of letter all over the Arab world and he was characterized by his literary supremacy due to what he wrote of eternal works, the important of which – in my opinion – is the book entitled "*The Life of Muhammad*" then comes the book "*Manzel Al-Wahy.*"

The unanimous agreement of the enlightened on the greatness of these two books has not prevented some opposers to launch criticism against them. This is natural since any book of influence ought to cause high-sounding among the readers and critics. Unfortunately, some of the so-called critics do not reach the level of fair criticism; they may be just beginners in the field of criticism and know little about its methodology or they may be thinking that their degrees as professors or doctors give them superiority over

[1] Manzel Al-Wahy: A book dealing with the journey to the sacred lands where the Revelation had been sent down from Allah to his Prophet and Messenger Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him).



overburden the budget." Immediately, Dr. Taha Hussein replied, "This is the principle supported enthusiastically by the people who strongly demand its application. Thus, it is your duty as a Minister of Finance to afford the required money through the legal and available means." This resulted in issuing the decision which has been a bliss for all the people not only for those living in cities - as was the case previously - but also for those living in villages and hamlets.

That great amount of money demanded by the civilized decision and talked about by the previous Finance Minister was afforded by Egyptian tax payers. According to statistics, the ratio of the Copts to Muslims was 2% at that time. Consequently, it was the Muslims who took the burden of paying taxes so as to cover the expenses of free education in all its stages in addition to the requirements of the other services.

In plain words, we say to this migrating citizen, "You grew up in this country where you freely learnt and enjoyably prospered. You left it and traveled abroad holding a high degree, without which your papers could never be accepted as an emigrant who have the right to live there permanently (i.e. the Green Card) nor could you get the nationality of the new country. Instead of acknowledging the favor of the citizens of your native country, especially the Muslims among them, you fabricate lies against them. This is despite the fact that the Muslims face fierce aggression on the international level at this time. Not only this, you instigate others to be aggressive against the country which brought you up and helped you go to the Unites States. Had it not been for your country and the great decision of free education, you would have remained in your house. If only matters went this way, you would have been a good citizen. I do not have the least doubt that it is well known for you, before others, that what you are claiming, publishing,



holding conferences for, and announcing to journalists is nothing but lies. Moreover, your article about agitation is built on individual incidents which take place all over the world. The heroes of such incidents are some of the male or female Copts who embraced Islam willingly, for they loved that religion and believed in it. You take such happenings and turn it into materials for sowing the seeds of dissention. What can you say about what the news agencies have related recently that one hundred male and female Germans have embraced Islam within one month. This have happened despite the fact that the Muslims, at this time, face vehement attack under various names. This attack has begun after some of the Western leaders have opened the door of aggression against the Muslims without any justification at all. In Germany, however, none has commented on nor criticized that large number of the Germans who have been guided to Islam in this time in particular. You should know well that it is not you who can add new information to the CIA about which they are unaware, nor can you do so as for the European intelligence systems whose activity extends globally, nor the correspondents of the foreign news agencies which publish everything whether it takes place in China, the Middle East or the Western countries. Not to mention that such lies have no existence except in your imagination."

Upon reading the mentioned article, I have taken upon myself to observe carefully in both our Arabic newspapers and the foreign ones the journalistic meetings that person holds assuming that such lies of his have rendered him famous. I have reviewed what he has issued about the Muslim citizens of his native country and those Christians who have not support him in his falsehood and slander. The serious journalist, who has covered the news of that person's fruitless conference, says, "The arranger of that conference has a long history of incredibility. This is well known to

"Allah knows that you are the most beloved country to my heart. He knows that unless your people forced me out, I would not leave."

The laureate poet Ahmed Shawqy expressed this meaning in an eloquent verse where he said:

My homeland, were I in Paradise,
My soul would yearn to it.

I remembered all this when I was reading a reportage in Al-Ahram newspaper issued on Saturday 26-11-2005 under the title "Two Conferences held in Washington: One on love for Egypt while the other abounds with fanaticism and hatred against it."

Here are the words of the editor who has covered both conferences:

"Most of the journalists who have covered what is called "The Second International Conference of Copts," which continued for four days in Washington, have been depressed and distressed. They could not believe such a great amount of lies circulating in the conference, such as "racism," "enslavement" and "sexual molestation." That companion of mine, who was covering that conference which has aroused much controversy and worry, was not mistaken at all when he angrily asked me, "About which country do those people speak?" I replied him, "Alas, they talk about Egypt which is the country of security, safety and kind people. They aggressively and unjustifiably claim that they care about human rights in Egypt, especially those of the Christian Copts."

I finished reading the rest of the article just to know that the person, who was said to be the leader of the group



circulating all such lies, was born and grew up in Al-Minya, a governorate famous for mutual love, brotherly association, complements and cooperation between Muslims and Christians both in weal and woe. This is well represented in the fact that all of them participated in constructing and repairing the buildings of worship.

I witnessed this with my own eyes when one of its people came to me asking for support to afford building a mosque that was being established there. He showed me the receipts of the contributors including both Muslims and Christians. I was totally bewildered for how such a beautiful garden (i.e., Al-Minya) which is called "The Bride of Upper Egypt" could produce such a person who bore all that grudge and ingratitude. Does that person think that there is anyone among the Americans who will believe or sympathize with him for all such lies and libels?

The American people are intelligent and fond of seeking knowledge and tourism. Many of them have visited Egypt more than once. When they come to Egypt, they are accustomed to studying, scrutinizing and establishing facts. Thus, were they to observe any of such libels, they would announce it and circulate it throughout the whole world. In fact, none of them has ever written any of such nonsense.

Furthermore, that persons forgets or pretends to have forgotten that he grew up in a nation that glorifies science and knowledge, and in a governorate that produced "The Dean of Arabic Literature" Minister, Dr. Taha Hussein whose reverberating slogan is, "Science is as important as water and air." The principle of free education beginning from primary education up to university is also attributed to him. Dr. Taha Hussein claimed this when he was the Minister of Education but his claim was opposed by the Minister of Finance at the time, who said, "This will

AL-AZHAR MAGAZINE

Safar, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION

March. 2006

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Virtue of Belonging...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The sense of belonging is a virtue that indicates the soundness and purity of the human soul characterized by it. This sense is a natural disposition that grows as one grows up.

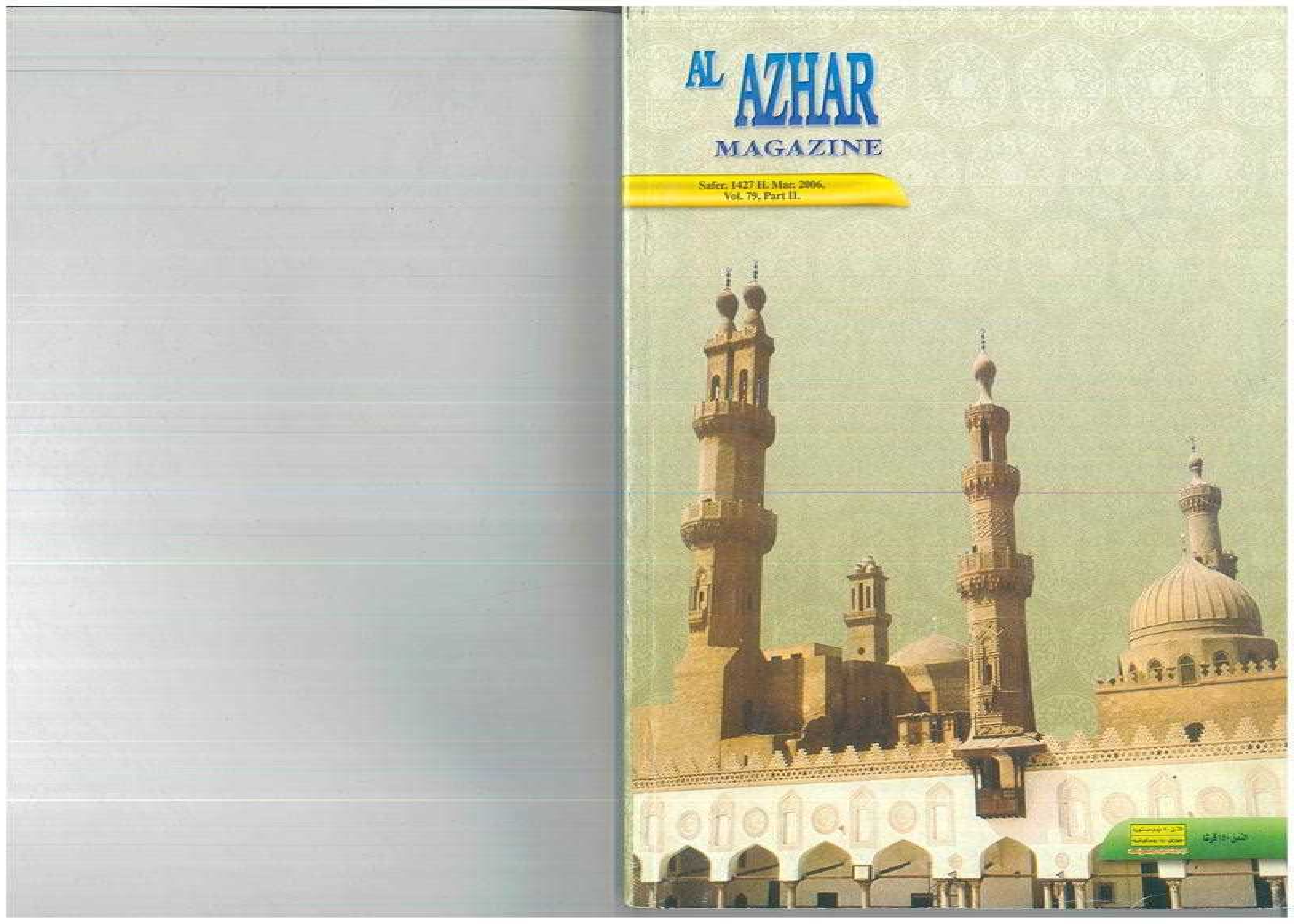
You could see a young boy, who does not have the ability to discern yet, pushing another child, who just wanted to lean his arms against the car of his father parking in front of his house. Moreover, if the latter does not leave quickly, the first will engage in a fight with him, kicking and punching him. That sense of belonging becomes clear and grows with the growth and maturity of the person. At school, this sense is well expressed in watching the sports varsity of his school in competition with that of another school: He participates with his colleagues in support of his team with loud cheers and clapping their hands hard.

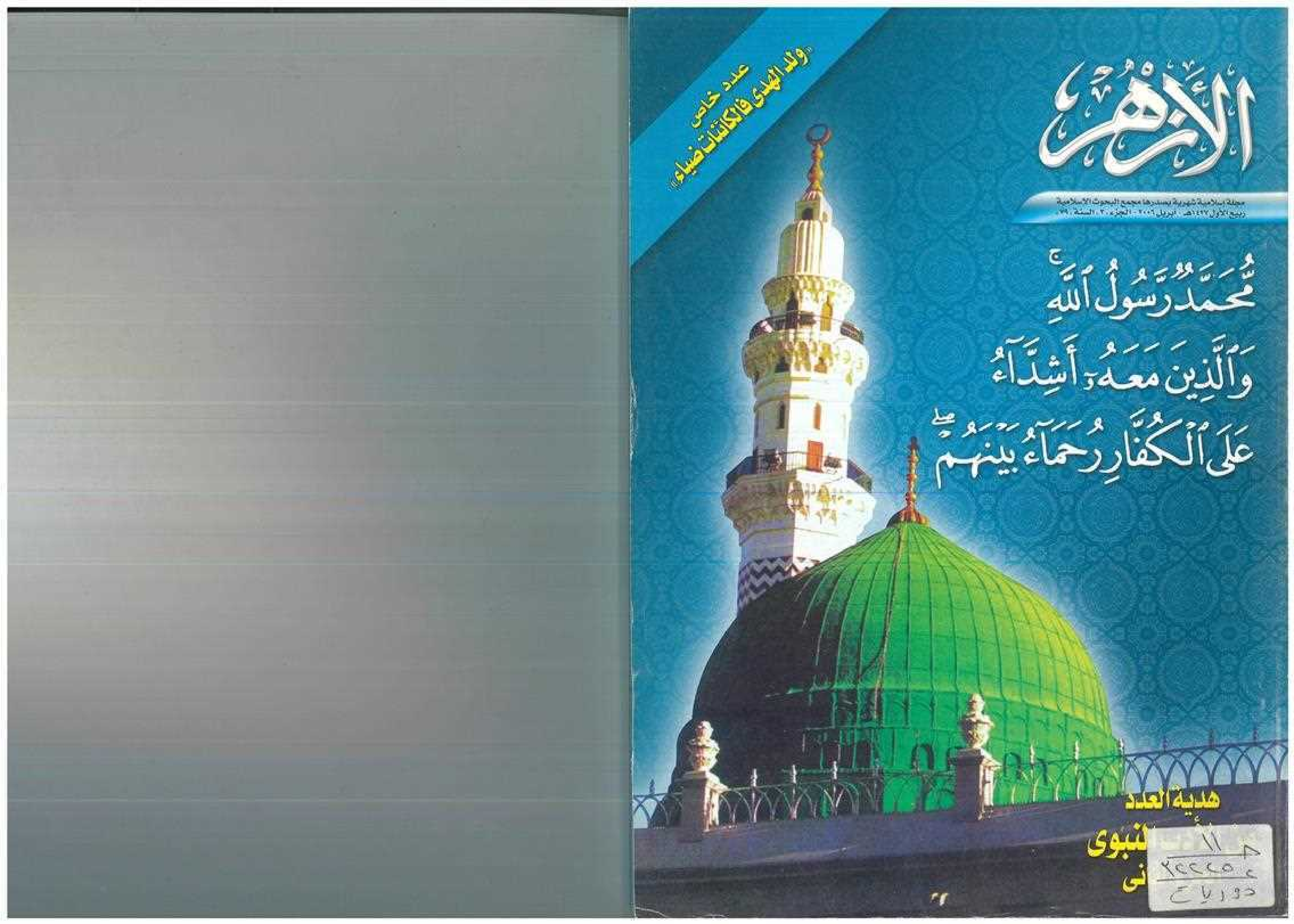
This indicates that neither the presence nor the strength of the sense of belonging needs to be taught. This sense maximizes to involve one's homeland where one was born and grew up. It reaches its utmost at the time of war and catastrophes, when the person endowed with such a virtue does not hesitate to sacrifice his life for the cause of his homeland and its citizens.

Allah's Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) expressed the peak of belonging. That was when the polytheists of Mecca conspired against him to assassinate him. That situation forced him to emigrate from Mecca. When he marched a few steps out of it, he gave it a look full of love, passion and sense of belonging. He said,



الفهـــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Safer. 1427 H. Mar. 2006.
Vol. 79, Part II.


الأزهر
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ربيع الأول ١٤٢٧هـ - أبريل ٢٠٠٦ - الجزء ٣ - السنة ٧٩
عدد خاص
«ولد الهدى فالكائنات ضياء»
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ
هدية العدد





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩




افتتاحية العدد

فى ذكرى المولد النبوى

الحديثُ النبويُّ تشريعٌ مكينٌ

تصنعت الحلم، فلست بحليم، وأنا استمعُ لطبيب مشتهر فى طبه، يتحدث عن السنة المطهرة فى تعاظم كان عليه أن يخفف منه إجلالاً لصاحب السنة الشريفة، فأخذ يقول إن القرآن الكريم وحده هو مرجعه فى فهم الدين وأن السنة تضم أحاديث موضوعة يعترف بها علماء الحديث أنفسهم، فلماذا ألتزم بها. وعلماؤها يشكون فيها»؟

لم أشأ أن أناقشه مناقشة العلماء، لأن حديثه المشتط ينخفض به عن مكانة هؤلاء، فأردت أن أسائله كما يستضعفهم، فقلت له: هؤلاء العلماء الذين اعترفوا بوضع بعض الأحاديث، ألم يعترفوا بأكثر من تسعين فى المائة مما روته كتب الحديث؟ فقال فى حيرة: ماذا تعنى؟ قلت: لماذا تجعل السنة الشريفة مرفوضة لديك مستدلا بشك علماء الحديث فى بعض ما نُسب للرسول، ولا تستدل على صحتها بتصديقهم للكثرة الكاثرة مما رُوى عن رسول الله؟ ما دمت تستند إلى ما يقولون! فاترك إذن الأحاديث الموضوعة كدليل لاتهام الأحاديث! وفتش عن غيرها!

ورأيت الموقف يسمح له بالاستطراد، فقلت: إن اعتراف العلماء بهذه الأحاديث الموضوعة، يدل على أنهم أجهدوا أنفسهم فى الفحص والتنقيب، والجرح والتعديل، حتى ميزوا الطيب من الخبيث، وجعلوا القارىء مطمئنا لما أكدوه، وقد وثق الجمهور بما يقولون، فاستمرت السنة الشريفة تبعث ضياءها للعالمين، فتؤازر القرآن الكريم فى هداية المؤمنين.

إنّ مثل هذا المعترض يناور موقفه بين الحين والحين، وتقوم الردود المفحمة فى وجهه فلا يرتدع، بل إن عصابة من ذوى النيّات المدخولة أرادت أن تلبس الحق بالباطل، فأعلنت

• ولد الهدى فالكائنات ضياء • ولد الهدى فالكائنات ضياء •

أنها «قرآنية» لا تتبعُ غير القرآن، والذى يسمع هذا اللغو، يتخيّل أن القرآن شىء، والسنة المطهرة شىء آخر، والحقيقة أن السنة موضحة للقرآن، مفصلة لمجمله، شارحة لمراميه، فكيف يفترقان؟

قلت لبعض من صدمنى بقوله: «أنا قرآنى ولا أعرف الحديث»: أنت لست قرآنياً. فقال محتجاً: وكيف؟ وأنا أرجع إلى القرآن؟ وأعترف أمامك بما جاء به؟

قلت: لو رجعت إليه لاستمعت إلى قوله تعالى فى محكم كتابه:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[الحشر: ٧]

وقوله:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[النحل: ٤٤]

وقوله:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

[النساء: ٦٥]

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

[النساء: ٥٩]

فالقرآن إذن يأمر بالرجوع إلى الرسول، وقد نزل القرآن فبيَّن الرسول معانيه للناس، فكيف تخالف القرآن وتقول إنك قرآنى!

ثم قل لى: ألست تصلى؟ فمن الذى بيّن لك فروض الصلاة وعدد ركعاتها ووقت

أدائها ! ألست تزكّى ؟ فمن الذى حدّد لك مقدار الزكاة وميعادها . وفى أى شىء تؤدى ؟ ألست تصوم ! فمن الذى شرح لك كيفية الصيام وشروطه ومبطلاته ؟ ألست تحج ؟ فمن الذى وضّح لك مناسك الحج على سننها المعهود ؟ أسئلة لم تجد الجواب ، ولكن سامعها تكبّر على الإذعان .

خطأ الفكرة

وأكثر ما تؤتى الفكرة من ناحيتين ، الأولى اعتناقها مبدئياً دون بحث ، إذ يخطر الوهم فى نفس الباحث ، متجهاً إلى رأى معيّن ، فيزاول البحث لا لينشد الحقيقة ، بل ليلتمس ما يؤيد هذا الوهم من دلائل يجتهد فى تصويبها مع ما بها من العوار ، وهؤلاء الذين ينكرون حجية السنة ، قد سمعوا كلاما زائفا حول هذه الحجية ، فآمنوا به ، وأخذوا يلتمسون أسباب ترجيحه ، فى عبارات تحتمل وجهين ، أو فى نص مريب قذف به قائلة لحاجة مريضة ، أو فى حديث غاب عنه تأويله ، فإذا وجدوا ما يعارض اتجاههم ، أشاحوا عنه ، وحاولوا إخفاءه ، أما الناحية الثانية فالجهل الجاهل بطرق البحث . وادعاء المعرفة سفها دون دراية . وقد كانت التقوى الكاذبة من قبل هى وسيلة الادعاء والتباهى عند من يرون العبادة فى إطلاق اللحية ، وتقليب حبّات المسبحة فينخدع بهم العوام ، أما الآن فقد انتقل التباهى إلى العلم فأصبح أدعياؤه من الكثرة الكاثرة بحيث كاد الفضلاء يتوارون منكمشين ، وكل سلاحهم الرجم بالظنون ، وتصيّد القشور .

لكن الحق لا يعدم النصير ، وقد يكون هذا النصير ممن لا يعتنقون الإسلام ، ولكنه وجد الحق صريحاً فنادى به عن يقين ، ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ فى الجامعة اللبنانية حيث أصدر كتاباً فى الأربعينيات تحت عنوان (مصطلح التاريخ) وقال فى عنوانه : «هو بحث فى نقد الأصول ، وتحرى الحقائق التاريخية وإيضاحها فيما يقابل ذلك من علم الحديث» . وفكرة الكتاب التى يدور حولها هى ما قاله فى المقدمة إذ نصّ على أن :

«أول من نظم نقد الروايات التاريخية . . ووضع القواعد لذلك ، هم علماء الدين الإسلامى فإنهم اضطروا اضطرارا إلى الاعتناء بأقوال النبى وأفعاله ، وتوزيع العدل فقالوا : إن هو إلا وحى يوحى ، ما تُلى منه فهو قرآن ، ومالم يُتل فهو السنة ، فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها ، فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال فى أسسها وجوهرها محترمة فى الأوساط العلمية حتى يومنا هذا وهو ما سيتاح الاطلاع عليه فى تضاعيف هذا الكتاب» .

ثم قال بعد أن سرد اهتمامه بالتاريخ ودرس قواعده فى جامعات الغرب ، وتدريسها فى جامعة بيروت ، قال : «لقد اضطررت أن أرجع إلى مصطلح الحديث لسببين :

أولهما : الاستعانة باصطلاحات المحدثين .

وثانيهما : ربط ما أضعه لأول مرة بما سبق تأليفه فى عصور الأئمة المحدثين . . ومن أهم ما وجدت نسخة من رسالة القاضى عياض فى علم المصطلح [طُبعت هذه الرسالة فيما بعد] فاستنسختها وبدأت فى درسها وتفهم معانيها فإذا هى من أنفس ما صنف فى موضوعها ، وقد سما بها القاضى عياض إلى أعلى درجات العلم فى عصره .

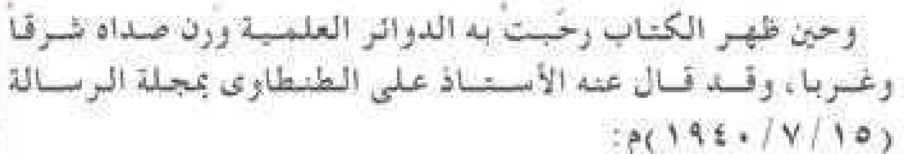
والواقع أنه ليس بإمكان أكابر رجال التاريخ اليوم أن يكتبوا أحسن منها فى بعض نواحيها ، وذلك على الرغم من مرور سبعة قرون عليها ، فإن ما جاء فيها من مظاهر الدقة فى التفكير ، والاستنتاج تحت عنوان (تحرّى الرواية والمجيء باللفظ) يضاهى ما ورد فى الموضوع نفسه فى كتب الفرنجة فى أوروبا وأمريكا ، ولو أن مؤرخى أوربا فى العصور الحديثة اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدثين لما تأخروا فى تأسيس علم الثودولجيه حتى أواخر القرن الماضى ، وبإمكاننا أن نصارح زملاءنا فى الغرب ، فنؤكد لهم بأن ما يفاخرون به من هذا القبيل ، نشأ وترعرع فى بلادنا ، ونحن أحق الناس بتعليمه ، والعمل باسمه وقواعده ، ولعلى أول من حاول أن يربط ما توصل إليه علماء الحديث بما وضعه علماء الغرب فى هذا الحقل من العمل» .

وكتاب (مصطلح التاريخ) يدلّ على أن الدكتور أسد رستم لم يكتف بقراءة رسالة القاضى عياض وحدها ، والتعبير بالرسالة موهم اليوم ، لأنه يوحى بأن المكتوب قدر محدود ، أما هو فى حقيقته فكتاب فخم يعرفه الدارسون ، ويضعونه موضعه الجهير ، وقد جرى القاضى على مصطلح عصره فسماه رسالة ، أقول إن كتاب القاضى عياض كان باعثا حثيثاً للدكتور رستم دفعه إلى استيعاب كثير من المؤلفات الخاصة بمصطلح علم الحديث ، فقرأ لأمثال ابن الصلاح ، وابن المبارك ، والشهر زورى ، وابن أبى حاتم الرازى ، وأبى حامد الغزالى ، وابن تيمية ، وابن خلدون ، ومن قبلهم : مالك بن أنس ، والشافعى ، وابن حنبل ، قرأ هؤلاء قراءة المتأمل الدارس ، فاكتشف كنوزا من التحقيق العلمى الدقيق دفعته إلى تأليف كتابه أملاً أن يتبع المؤرخون فى منهجهم العلمى سبيل المحدثين فيما سطروه بكتب المصطلح ، والكتاب حافل بالنصوص الصريحة التى تؤكد كفاح هؤلاء العلماء فى تصحيح الحديث النبوى ، وبيان صحيحه من موضوعه على نحو دقيق لا يجد أدنى مغمز ! ! فليت شعرى أيجىء اليوم من لا يحسن قراءة نص واحد مما نقله الأستاذ أسد رستم ويقول إن الأحاديث موضوعه ، وأنه قرآنى ، وهو لا يفهم القرآن ولا الحديث !



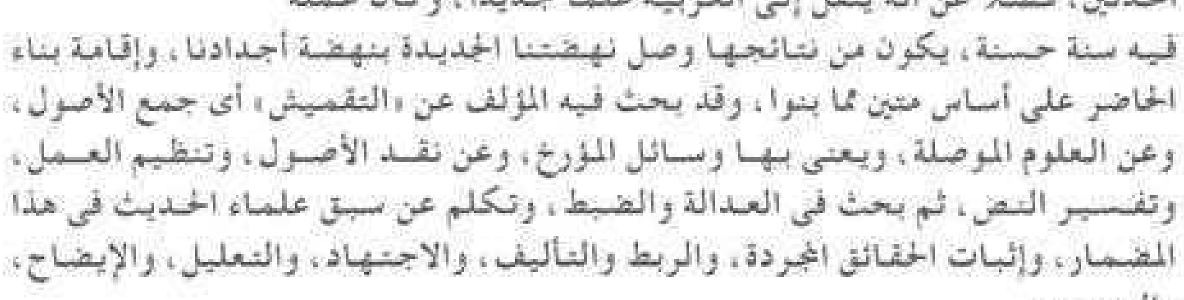


أى غرور هذا؟



وحين ظهر الكتاب رحبتْ به الدوائر العلمية ورن صداه شرقاً وغرباً، وقد قال عنه الأستاذ على الطنطاوى بمجلة الرسالة (١٥ / ٧ / ١٩٤٠)م:

احمد امين



«هو أول كتاب فى موضوعه فى اللغة العربية، وقد نحا فيه المؤلف إلى تطبيق هذا العلم الجديد على قواعد مصطلح الحديث، واستعمال طرائقه، فكان هذا الكتاب تلخيصاً وافيا لمصطلح المحدثين، فضلاً عن أنه ينقل إلى العربية علما جديدا، وكان عمله فيه سنة حسنة، يكون من نتائجها وصل نهضتنا الجديدة بنهضة أجدادنا، وإقامة بناء الحاضر على أساس متين مما بنوا، وقد بحث فيه المؤلف عن «التقميش» أى جمع الأصول، وعن العلوم الموصلة، ويعنى بها وسائل المؤرخ، وعن نقد الأصول، وتنظيم العمل، وتفسير النص، ثم بحث فى العدالة والضبط، وتكلم عن سبق علماء الحديث فى هذا المضمار، وإثبات الحقائق المجردة، والربط والتأليف، والاجتهاد، والتعليل، والإيضاح، والعرض».

وهذه كلها فصول ذات عناصر ونصوص تدلّ على تحرّى أصحاب الحديث جانب الدقة فى الحكم والعدالة فى التجريح، والصواب فى التعديل بما لا مزيد عليه، ولا أدرى لماذا لم ينهج المؤرخون من قبل نهج زملائهم المحدّثين فيما سطروه من أنباء التاريخ، إن أمثال: الطبرى، وابن الأثير، والمسعودى، كانوا علماء قبل أن يكونوا مؤرخين، ومؤلفاتهم تشهد بإلمامهم الوافى بمصطلح الحديث، فلماذا لم يفطنوا إلى ما فطن إليه ابن خلدون فيما بعد، وباعدوا بين منهج المحدثين ومنهج المؤرخين؟ سؤال يبحث عن الجواب!

لقد أخذ الدكتور أحمد أمين فى الجزء الثانى من ضحى الإسلام ص٣٥٩ على المؤرخين، ضعف النقد لديهم، والتعصب لقبائلهم، وتلوين التاريخ ببعض العقائد، وهى مآخذ حقيقية كان الاتجاه إلى منهج المحدثين كافيا للتخلص منها، ولكن فهم الأوائل منهم لطريقة التدوين جاء مسيطرا على من تلوهم من التلاميذ، فصارت الرواية بإسنادها هى الهدف الرئيسى، ولا ننكر أن لهم نظرات نقدية فى بعض ما دوّنوه، ولكنها قطرات تتلاشى فى محيط عجّاج.

وقد آن لنا أن نعرف بالدكتور أسد رستم، فننقل ما ذكره الزركلي عنه فى كتاب (الأعلام) وهو كاف للإضاءة عن حياته العلميّة، حيثُ يقول بعد أن حدّد وجوده ما بين عامى (١٨٩٧ و١٩٦٥): «أسد بن إبراهيم بن رستم. دكتور فى الفلسفة ومؤرخ لبنانى





الزركلى

من العلماء بالوثائق مولده ومدفنه في الشوير، تعلم بالجامعة الأمريكية ببيروت، وتخرج بجامعة شيكاغو، وعاد فعيّن أستاذا بالجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٢٣، فأستاذاً للتاريخ الشرقى سنة ١٩٢٧، وجمع لمكتبتها كتبا كثيرة، من الوثائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن الأقطار الشامية فى عهد الحكومة المصرية، ونشر منها خمسة مجلدات ضخمة وبقى منها ثلاثة من المخطوطات، ... وبلغ ما أصدره منفردا أو بالاشتراك مع البستانى ثلاثين مؤلفاً عدّد الزركلى بعض أسمائها، ونكتفى بالإشارة إليها دون استرسال.

فالرجل ثبتٌ مكين، له جهاده الكبير فى دنيا البحث التاريخى الهادف، ومثله وقد اقتعد مكان أستاذ التاريخ فى جامعة عريقة، لا يكتفى بترداد الذائع المشتهر، بل لابد أن يفكر فى وضع أصول دقيقة يهتدى بها المؤرخون ليخلصوا مما وجّه إليهم من نقد والذى يؤلف أكثر من ثلاثين كتابا بعد أن تلقى العلم فى جامعات الغرب لا بد أن يفكر فى منهج يلتزم به فى بحوثه التاريخية، ويلزم به تلاميذه الذين يتواردون كل عام على الجامعة، وقد اتسع نظره العلمى إلى غير صحف التاريخ، فاهتدى إلى كتب المحدّثين، ورأى من وسائل التوثيق، ما دعاه إلى احتذائها، وأسلوبه علمى دقيق موجز، حيث لم يشأ أن يسهب فى شرح ما دعا إليه إسهاب الأديب الفياض، ولكنه نهج نهج العالم، حين رصد المقدمات، وسار بها إلى النتائج الملزمة فى ظلال النصوص القاطعة، والقول الصريح.

مثال واضح

حين يتعرض الدكتور رستم لموضوع درسه المحدثون، وأفتوا فيه، فإنه قبل إتيانه نصوص المحدثين يمهد بما يجلو حديثهم للقارىء المعاصر كى يكون على وعى دقيق لما سيتلوه من نصوص، فهو يبدأ مثلا باب «تحرى النص، والمجىء باللفظ» بقوله ص٣٣:

«وهذه مأثرة أخرى من مآثر علماء الحديث، فإنهم قالوا بالأمانة فى نقل الحديث، وفرضوا وجوب تحرّى النّص، لأجل الوقوف على اللفظ الأصلى، ومنهم من أبى أن يُصلح الخطأ أو يقوّم اللحن، واكتفى بإبداء رأيه فيه على الهامش.

ثم يأتى بنصوص للقاضى عياض، وللإمام مالك، تدل على هذا المنحى، وفيها ما يُجيز التغيير فى الأصل إذا ظهر الخطأ، مع النص على ما جاء بالأصل، وما لا يجيزه إطلاقا مع



التعليق بالهامش على خطأ الأصل، وكلاهما جائز ذو صواب ثم ينتهي بعد هذه النصوص إلى قوله ص٣٤:

هذا ما توصل إليه علماء الحديث في القرون الأولى. وهو المعول عليه لدى المؤرخين المعاصرين، والفرق بين الإثنين أن المؤرخين المعاصرين يعممون قول المحدثين على الحديث وغيره من النصوص التاريخية. أما المحدثون فقد اقتصروا فيما أوردوه من هذا القبيل على الحديث الشريف».

والمحدثون حين يقتصرون على الحديث في تطبيق ما رأوه من قواعد، لا ملامة عليهم في شيء، لأنهم ليسوا أصحاب سلطة يلزمون غيرهم من المؤرخين والإخباريين باتباعها، وإنما اللوم على المؤرخين الذين أوضح لهم المحدثون سبيل البحث والفحص ولم يسلكوه.

صدى الكتاب

وحين صدر كتاب الدكتور أسد رستم في بيروت، كان موضع انتباه المؤرخين في الجامعات العربية، حيث رأوا به من الجديد ما يحبذ الالتفات إليه، فالدكتور حسن عثمان أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية، اعتمد عليه في كتابه (منهج البحث التاريخي) وقال في مقدمة كتابه: «إن الدكتور أسد رستم يقوم بتدريس منهج البحث التاريخي منذ سنوات في الجامعة الأمريكية ببيروت، وقد نشر نتيجة دراسته في كتابه القيم (مصطلح التاريخ) وهو أول كتاب في اللغة العربية عن منهج البحث التاريخي بالمعنى العلمي الحديث».

وفي الفصل الثامن الذي عقده تحت عنوان (النقد الباطني السلبي) اعتمد اعتماداً واضحا على ما ذكره الدكتور رستم بشأن الفحص الداخلي والخارجي للنص، وأشاد بجهد الدكتور أسد في إيضاح ذلك، وتابعه حين ذكر نصوصا لشيوخ الحديث عن الخبر وعدالة الراوي، والجرح والتعديل، والرواية عن الشخص المجهول، والرواية عن الشخص المبتدع، وعن التائب من الكذب، وعمن أخذ على التحديث أجرا، وعمن عُرف بالتساهل، وعن الألفاظ المستعملة في الجرح والتعديل، ناقلا عن الأئمة، الغزالي، وابن الصلاح، وابن أبي حاتم الرازي، ومشيرا إلى ما نقله عن الدكتور أسد رستم، وهو بذلك يعتبر ميزان المصطلح من أقوى الموازين في تحري الخبر، والحكم على الرواية، ويدعو الدارسين إلى الاهتمام بمصطلح الحديث، وهو علم درسناه لأول مرة في السنة الأولى من القسم الثانوي بالأزهر الشريف، ثم اتسع في دراسته المتخصصون بكليات الشريعة

الإسلامية الآن، وظهرت فيه كتب مبسوطة تناسب روح العصر، ولكنها في الوقت نفسه تدعو إلى مراجعة الأصول وهضم ما بها من حقائق غالية هي عماد ذوي النظر من المؤرخين والمحدثين.

وعلى نحو ما فعل الدكتور حسن عثمان قام الدكتور علي سامي النشار في بحثه (المسلمون ومنهج البحث التاريخي) بالاستفادة من كتاب الدكتور أسد رستم، وقال بصدد حديثه عن جمع الأصول إن عالما مسيحياً هو الدكتور أسد رستم قد أكد جهود المحدثين وأوضح فضلهم على التاريخ، كما قال: إن الدكتور رستم هو أول من توصل إلى تلك النظرات المقارنة بين مصطلح الحديث ومصطلح التاريخ، وفي حديثه عن الجرح والتعديل ذكر الدكتور النشار رأى الدكتور أسد رستم في ما كتبه القاضي عياض عن تحري الألفاظ وضرورة عدم التغيير، مرددا قوله: «إن هذه الرسالة كأحسن ما كتبه علماء المناهج التاريخية في أوروبا بعد كتابتها بقرون طوال».

وبعد.. أفليس من الخجل الفاضح أن يأتي غرٌ من أغرار المسلمين لا يعرف شيئا عن الجهود المضنية التي كتبها علماء المصطلح، وما دار حولها من شروح وتحليلات ملأت عشرات الأسفار، وأصبحت خلاصتها ميزانا وثيقا لرصد الأخبار التاريخية وكل ما يروى عن العلم والعلماء في فن من الفنون، أليس من الخجل الفاضح أن يأتي هذا الغرّ فيقول: إني لا أعتمد على الحديث لأنه موضوع، ثم يجمع حوله ذيولا من طرازه، يدفعهم إلى الخوض فيما لا يعرفون عنه شيئا إذا طالعوه في مصادره، ولأميتهم الفاشية، وبعدهم الشاسع عن موارد العلم الصحيح! وقد يتجرأ فينشر مقالا في جريدة ليس بين القائمين عليها من يفهم شيئا في علوم الثقافة الإسلامية، ويعدّ ذلك نصرا مؤزرا يدفع به إلى مصاف المجددين، وفي زمن التصوير الضوئي يطبع من المقال عشرات النسخ، ويرسلها إلى من يشاء كأنه يقول: هأنذا، وما درى أنه حين يهاجم الراسخ الثابت من الأصول إنما ينطح صخرة تفرى رأسه فريا فيتحول إلى ذرات..

وقد نبح الكلبُ النجومَ ودونها ... منادحُ تُقصي ناظرَ المتأملِ

د./ محمد رجب البيومي

بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف تقدم، مجلة الأزهر، هذا الشهر تفسير الآية (٢٩) من سورة الفتح.

فى ذكرى المولد النبوى الشريف

مع سورة الفتح

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾

مبتدأ وخبر، أو ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، و﴿ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ بدل أو عطف بيان من الاسم الشريف، أى: هذا الرسول الذى أرسله الله ـ تعالى ـ بالهدى ودين الحق، هو محمد رسول الله ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ وهم أصحابه ـ

وعلى رأسهم من شهد معه صلح الحديبية، وبايعه تحت الشجرة ـ من صفاتهم أنهم:

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾

أى: غلاظ عليهم، وأنهم ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

أى: أنهم مع إخوانهم المؤمنين يتوادون ويتعاطفون ويتعاونون على البر والتقوى.. وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾

فيه أسمى التكريم للرسول ﷺ حيث شهد له ـ سبحانه ـ بهذه الصفة، وكفى بشهادته ـ عز وجل ـ شهادة، حيث قدم الحديث عنه بأنه أرسله بالهدى دين الحق، ثم أخر اسمه الشريف على سبيل التنويه بفضله، والتشويق إلى اسمه.

وفى وصف أصحابه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، مدح عظيم لهم، وجمع بين الوصفين على سبيل الاحتراس، فهم ليسوا أشداء مطلقا، ولا رحماء مطلقا، وإنما شدتهم على أعدائهم، ورحمتهم لإخوانهم فى العقيدة، وشبيه بهذه الآية قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾

[المائدة: ٥٤]

قال صاحب الكشاف: «وعن الحسن أنه قال: «بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم، أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه[1]».

وأسمى من هذا كله فى بيان تراحمهم قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

ثم وصفهم بوصف آخر فقال:

﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾

أى: تراهم وتشاهدهم ـ أيها العاقل ـ راكعين ساجدين محافظين على الصلاة ولا يريدون من وراء ذلك إلا التقرب إلى الله ـ تعالى ـ والظفر برضاه وثوابه..

ثم وصفهم بوصف ثالث فقال:

﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

أى: علامتهم وهو نور يجعله الله ـ تعالى ـ فى وجوههم يوم القيامة، وحسن سمت يعلو وجوههم وجباههم فى الدنيا، من أثر كثرة سجودهم وطاعتهم لله رب العالمين.

فالمقصود بهذه الجملة بيان أن الوضاءة

(١) تفسير الكشاف/٤/٣٤٦



والإشراق والصفاء.. يعلو وجوههم من كثرة الصلاة والعبادة لله، وليس المقصود أن هناك علامة معينة ـ كالنكتة التي تكون في الوجه ـ كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان.

واختار ـ سبحانه ـ لفظ السجود، لأنه يمثل أعلى درجات العبودية والإخلاص لله ـ تعالى ـ.

قال الآلوسي: «أخرج ابن مردويه بسند حسن عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

النور يوم القيامة».

ثم قال الآلوسي: ولا يبعد أن يكون النور علامة على وجوههم في الدنيا والآخرة ـ للآثار السابقة ـ لكنه لما كان في الآخرة أظهر وأتم خصه النبي ﷺ بالذكر[٢]

واسم الإشارة في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾

يعود إلى جميع أوصافهم الجليلة السابقة والمثل هو الصفة العجيبة والقصة ذات الشأن أي: ذلك الذي ذكرناه عن هؤلاء المؤمنين الصادقين من صفات كريمة تجري مجرى الأمثال، صفتهم في التوراة التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على نبيه موسى ـ عليه السلام.

ثم بين ـ سبحانه ـ صفتهم في الإنجيل فقال:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾

وقوله:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ﴾

معطوف على ماقبله وهو مثلهم في التوراة، والإنجيل، هو الكتاب الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على نبيه عيسى ـ عليه السلام.

والشط: فروع الزرع، وهو ما خرج منه وتفرع على شاطئيه، أي: جانبيه وجمعه: أشطاء، وشطوء، يقال: شطأ الزرع وأشطأ، إذا أخرج فروعه التي تتولد عن الأصل.

وقوله ﴿ فَآزَرَهُ ﴾ أي: فقوت تلك الفروع أصولها، وآزرتها، وجعلتها مكينة ثابتة في الأرض. وأصله من شد الإزار. تقول: أزرت فلانا، إذا شددت إزاره عليه.

وتقول آزرت البناء ـ بالمد والقصر ـ إذا قويت أساسه وقواعده.

(٢) راجع تفسير الآلوسي جـ٢٦ ص١٢٤



ومنه قوله ـ تعالى ـ حكاية عن موسى ـ على السلام:

﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾

[طه: ٢٩ ـ ٣١]

وقوله: ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ أي: فصار الزرع غليظا بعد أن كان رقيقا.

وقوله:

﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾

أي: فاستقام وتكامل على سيقانه التي يعلو عليها.

وقوله: ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ أي: يعجب الخبراء بالزراعة لقوته وحسن هيئته.

والمعني: أن صفة المؤمنين في الإنجيل، أنهم كالزرع، يظهر في أول أمره رقيقا ضعيفا متفرقا، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد، وتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين بها.

فكذلك النبي ﷺ وأصحابه، كانوا في أول الأمر في قلة وضعف، ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة، حتى بلغوا مابلغوا في ذلك.

وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٣]

[الأنفال: ٢٦]

قال صاحب الكشاف: «وهذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأن النبي ﷺ قام وحده، ثم قواه الله ـ تعالى ـ بمن معه. كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها، حتى يعجب الزراع[٤]».

وعلى هذا التفسير الذي سرنا عليه يكون وصفهم في التوراة، هو المعبر عنه بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

ويكون وصفهم في الإنجيل هو المعبر عنه بقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾

ولاشك أن هذه الأوصاف كانت موجودة في الكتابين قبل أن يحرفا ويبدلا، بل بعض هذه الأوصاف موجودة

(٣) تفسير الكشاف جـ٤ ص٣٤٨

(٤) راجع تفسير سورة الفتح ص١٦٠ للفضيلة أستاذنا الشيخ أحمد الكومي




فى الكتابين، حتى بعد تحريفهما.

فقد أخرج ابن جرير وعبد بن حميد، عن قتادة قال: «مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»(٥).

ويرى بعض المفسرين أن المذكور فى التوراة والإنجيل شىء واحد، وهو الوصف المذكور إلى نهاية قوله:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ﴾

وعلى هذا الرأى يكون الوقف تاما على هذه الجملة. وما بعدها وهو قوله:

﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾

كلام مستأنف.

قال القرطبى: قوله ـ تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ﴾

قال الفراء: فيه وجهان: إن شئت قلت: المعنى: ذلك مثلهم فى التوراة وفى الإنجيل أيضا، كمثلهم فى القرآن، فيكون الوقف على «الإنجيل».

وإن شئت قلت: تمام الكلام: ذلك مثلهم فى التوراة. ثم ابتدأ فقال: ومثلهم فى الإنجيل وكذا قال ابن عباس وغيره: هما مثلان أحدهما فى التوراة والآخر فى الإنجيل(٦).

والذى نراه أن ما ذهب إليه ابن عباس من كونهما مثلين، أحدهما مذكور فى التوراة والآخر في الإنجيل، هو الرأى الراجح، لأن ظاهر الآية يشهد له.

وفى هذه الصفات ما فيها من رسم صورة مشرقة مضيئة لهؤلاء المؤمنين الصادقين.

وقوله ـ تعالى:

﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾

تعليل لما يعرب عنه الكلام، من إيجاده ـ تعالى ـ لهم على هذه الصفات الكريمة.

أى: جعلهم ـ سبحانه ـ كذلك بأن وفقهم لأن يكونوا أشداء على الكفار، لأن يكونوا رحماء فيما بينهم، ولأن يكونوا مواظبين على أداء الطاعات.. لكى يغيظ بهم الكفار، فيعيشوا وفى قلوبهم حسرة مما يرونه من صفات سامية للمؤمنين.

ثم ختم ـ سبحانه ـ السورة الكريمة بهذا الوعد الجميل، فقال:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

و«من» في قوله (منهم) الراجح أنها للبيان والتفسير، كما فى قوله ـ تعالى:

﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾

[الحج: ٣٠]

أى: وعد الله ـ تعالى ـ بفضله وإحسانه، الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم أهل بيعة الرضوان، ومن كان على شاكلتهم فى قوة الإيمان.. وعدهم جميعا مغفرة لذنوبهم، وأجرا عظيما لا يعلم مقداره إلا هو ـ سبحانه.

ويجوز أن تكون من هنا للتبعيض، لكى يخرج من هؤلاء الموعودين بالمغفرة والأجر العظيم أولئك الذين أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر، وهم المنافقون الذين أبوا مبايعة الرسول ﷺ وأبوا الخروج معه للجهاد، والذين من صفاتهم أنهم كانوا إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾

[البقرة: ١٤]

هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية وأمثالها: وجوب احترام الصحابة وتوقيرهم، والثناء عليهم، لأن الله ـ تعالى ـ قد مدحهم ووعدهم بالمغفرة وبالأجر العظيم.

قال القرطبى: «روى أبو عروة الزبيرى من ولد الزبير أنه قال: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

فقال مالك: من أصبح من الناس فى قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. ثم قال الإمام القرطبى ـ رحمه الله: قلت: لقد أحسن مالك فى مقالته وأصاب فى تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه فى روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين.

وبعد: فهذا تفسير لسورة «الفتح» تلك السورة التى بشرت الرسول ﷺ وأصحابه بألوان من البشارات العالية، وأدبتهم بأنواع من الآداب السامية، وعرفتهم بأعدائهم من المنافقين والكافرين، وحكت الكثير من مظاهر فضل الله ـ تعالى ـ ورحمته بعباده المؤمنين..

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعله خالصا لوجهه، ونافعا لعباده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❊❊❊

---

(٥) تفسير القرطبى ١٦/٢٩٤.

(٦) راجع تفسير القرطبى جـ١٦ ص٢٩٦.

السنة



لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارى فى صحيحه أن عائشة - رضى الله عنها - زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت، وأنا مهموم، على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ، ثمّ قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبى ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».

التعريف بالراوى

أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق، أشهر نساء النبى ﷺ، كانت - رضى الله عنها - من أفقه الناس، وأحسنهم رأيا، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، وروت عن النبى ﷺ كثيرا، روى عنها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وكثير من الصحابة، ومن التابعين ما لا يحصى، ولما توفى النبى ﷺ كان عمرها ثمانى عشرة سنة، وتوفيت - رضى الله عنها - سنة



سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلا، وصلى عليها أبوهريرة - رضى الله عنه.

معنى الكلمات

• ابن عبد ياليل: اسمه كنانة، من أكابر أهل الطائف من ثقيف، وروى عن مجاهد أنه أحد الرجلين فى قوله - تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(الزخرف: ٣١)

وقد ذكره ابن عبدالبرّ فى الصحابة، لأنه وفد مع وفد الطائف فأسلموا، لكن ذكر المدينىّ أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم، ومات بها بعد ذلك، والله أعلم.

بعد موت أبى طالب، والسيدة خديجة - رضى الله عنهما - توجه النبى ﷺ إلى الطائف، رجاء أن يؤوه، فعمد إلى سادة ثقيف، وذلك فى شوال سنة عشر من المبعث، فعرض عليهم نفسه، وشكى إليهم ما فعله به قومه، فردّوا عليه أقبح ردّ.

• قرْن الثعالب: يقال له قرن المنازل أيضا، وهو ميقات أهل نجد، وهو على يوم وليلة من مكة.

• والقرن: كل جبل صغير منقطع من جبل كبير.

• ملك الجبال، أى: الملك الموكل بها.

• أطبق: أجعل الجبلين يلتقيان على منْ بمكة، ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقا واحدا.

• الأخشبين: جبلا مكة، أبوقبيس والذى يقابله، سميا بذلك، لصلابتهما وغلظ حجارتهما.

الشرح والبيان

بدأ رسول الله ﷺ دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، وأخذ يتلو على قومه ما يتنزل عليه من كتاب ربه، ويحدثهم من قلبه وعقله ما يفتح عيونهم على ما هم عليه من وثنية وجهل وضلال، ولكن قومه كعادة الأقوام من قبلهم قابلوه بالصدّ والسخرية والاستهزاء

﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(يس/ الآية ٣٠)

ثم بالافتراء والأذى قال - تعالى -:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

(سبأ/ الآية ٤٣، ٤٤، ٤٥)



كما كبر عليهم أن يدعوهم هذه الدعوة هذا الفقير اليتيم، وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك، قال – تعالى –:

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾

(الفرقان/ آية ٧، ٨)

وقالوا:

﴿ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾

(ص/ الآية ٨)

فلما يئس رسول الله ﷺ من نصرة قومه في مكة خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف فدعاهم إلى الإيمان، وسألهم أن ينصروه على قومه، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك؟ وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟، وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبدا، إن كان الله قد أرسلك كما تقول فأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب فما ينبغي لي أن أكلمك.

وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل إنهم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم وصبيانهم يسبونه ويهزأون به ويضحكون عليه ويقذفونه بالحجارة حتى أدموا عقبه الشريف، لأنه عظم عليهم كما عظم على أهل مكة أن يستأثر بهذا الشرف العظيم رجل منهم ليس بالعظيم فيهم كما زعموا وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك قال – تعالى –:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(الزخرف/ آية ٣١، ٣٢)

خلق عظيم وصبر جميل

فلما وجهت إليه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – هذا السؤال: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ حيث وقع رسول الله ﷺ في حفرة حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون وشج وجهه، وكسرت رباعيته ودخلت حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته وجرحت شفتاه وسال دمه الشريف الطاهر على وجهه ولحيته، فأخذ يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدماء؟!»، ومع ذلك رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، لم يكتف بالدعاء لهم حتى بين سبب الدعاء، فهم قومه وعشيرته، واعتذر إلى الله – عز وجل – لجهلهم «فإنهم لا



يعلمون».

عند ذلك أجاب رسول الله ﷺ: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل وذكر لقاء الطائف وما لقيه من ثقيف من صدّ وظلم وتكذيب وعدوان وطغيان، من أجل هذا الخلق العظيم والصبر الجميل يرسل له رب العالمين ملك الجبال يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» فقل لي بربك: هل عرفت البشرية بأسرها رجلا كمحمد ﷺ بهر الدنيا بسيرته، وملأ التاريخ بعظمته، وشمل سائر الخلق برحمته؟! حتى أثنى عليه القرآن الكريم ثناء عاطرا، ثناء وعته الدنيا وسجله القرآن الكريم قال – تعالى –:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء/ آية ١٠٧)

وبذلك تحقق في الأمة فضله، وعمّ الأنام نفعه، وسرت في القلوب والأرواح أنوار هدايته، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا رحمة مهداة»، وذلك فيما رواه أبوهريرة كما في المستدرك للحاكم، والدلائل والشعب للبيهقي.

وحسب رسول الله ﷺ شرفا وفخارا وجلالا ومهابة أن الله – تعالى – وصفه بالرحمة قال – تعالى –:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة/ ١٢٨)

الرحمة.. الطابع الإسلامي الجميل

والرحمة كما تعلمون من صفات الله العليا وأسمائه الحسنى، فالله – تعالى – هو الرحمن الرحيم، وهو أرحم الراحمين، وهو الذى وسع كل شيء رحمة وعلما ورحمته سبقت غضبه، وهو الذى جعل الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.

والرحمة هي الطابع الإسلامي الجميل، وهي ماثلة في دستوره القرآن الكريم حيث يقول عنه رب العالمين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(يونس/ ٥٧، ٥٨)

فالمراد بفضل الله الإسلام، والمراد

بالرحمة القرآن، وبالإسلام والقرآن ينبغى أن يفرح المسلمون، فهما خير مما يجمعون من هذه الدنيا الفانية الزائلة.

والقرآن الكريم شفاء من الله للمؤمنين، لأنه يطهرهم من الأمراض التى تصيبهم، وتحول بينهم وبين طاعة ربهم، وهى الأمراض الماثلة فى مثل قوله - تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

(آل عمران/ آية ١٤)

والقرآن الكريم رحمة من الله للمؤمنين لأنه يدفعهم إلى ما يسعدهم فى معاشهم ومعادهم قال - تعالى - :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الإسراء: ٨٢)

والرحمة اسم للجنة التى هى أمل المؤمنين، ورجاء الطائعين، وبغية المخلصين، قال - تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٧)

هذا ولما كان الجزاء من جنس العمل كان على المسلم أن يكون رحيما حتى يستحق رحمة الله - عز وجل - القائل:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف/ ٥٦)

هذا ويقول رسول الرحمة فيما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص فى السنن الكبرى وشعب الإيمان للبيهقى ومسند ابن المبارك، وسنن الترمذى وقال: حديث حسن صحيح «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» فالرحمة مطلوبة من كل إنسان لكل من هم دونه، مطلوبة من الحاكم للرعية، ومن القائد للجنود، ومن القوى للضعيف، ومن الغنى للفقير، ومن المخدوم للخادم، ومن الرئيس للمرءوس، ومن الكبير للصغير، ومن الطبيب للمرضى، ومن المعلم للتلاميذ، مطلوبة من كل إنسان لأصدقائه وجيرانه وأهل بيته. باختصار مطلوبة من كل قادر عليها، لكل محتاج إليها حتى يستتب الأمن، ويعم الرخاء، وينتشر الخير، وتستقيم الحياة، وبالتالى يعيش الناس سعداء ويرضى عنهم رب العباد لا تفرقهم الدنيا ولا ينزغ بينهم الشيطان.

أما إذا تحجرت القلوب وضلت النفوس وتبلدت المشاعر والأحاسيس وتجرد الناس من الرحمة والشفقة وأهدرت القيم



والمبادىء فإنهم لا يستحقون رحمة الله - عز وجل - لهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء» رواه الطبرانى فى المعجم الكبير.

على أن الرحمة لا تنزع إلا من شقى استحق النار وغضب الجبار قال - تعالى:

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

(الليل/ ١٤ - ١٦)

فالذى ينفق على الأرامل واليتامى والمساكين والمحتاجين هو إنسان رحيم. أما الذى يحرمهم وينهرهم ويستغلهم ويقسو عليهم فهو إنسان شقى لئيم، يقول ﷺ فيما رواه أبوهريرة: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى» رواه أبوداود وأحمد والترمذى وقال: هذا حديث حسن.

رحمة لكل الناس.. مؤمنهم وكافرهم

ولقد ورد فى الحديث الشريف عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته، فمرّ بقوم فيهم امرأة تحصب تنورها ومعها ابن لها فإذا ارتفع وهج التنور تنحّت به، فأتت النبى ﷺ فقالت: أنت رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بأبى أنت وأمى، أليس الله بأرحم الراحمين؟ قال: بلى، قالت: أوليس الله أرحم بعباده من الأم بولدها؟ قال: بلى، قالت: فإن الأم لا تلقى بولدها فى النار، فأكبّ النبى ﷺ يبكى، ثم رفع رأسه إليها فقال: إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذى يتمرّد على الله ويأبى أن يقول لا إله إلا الله» رواه ابن ماجة فى سننه.

ولنا فى رسول الرحمة أسوة حسنة وقدوة طيبة فمع أنه كان رحمة عامة لكل الناس مؤمنهم وكافرهم كما حكى القرطبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله: «كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به، وصدّق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم السابقة من الخسف والغرق»، وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(العنكبوت/ ٤٠)

فرسول الله ﷺ رحمة للمؤمنين فى الدارين، الدنيا والآخرة - ورحمة للكافرين فى الدنيا فقط من عذاب الاستئصال - ومع ذلك قال له ربه:

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الحجر/ ٨٨)

أى: ألن جانبك لأتباعك، فكان ﷺ

يفيض حنانًا ويقطر رحمة للمؤمنين فاستحق بجدارة أن يقول عنه رب العالمين:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

(آل عمران/ ١٥٩)

ومن مظاهر تلك الرحمة ما روى عن أبى مسعود البدرى - رضى الله عنه - قال: «كنت أضرب غلاما لى بالصوت فسمعت صوتا من خلفى، اعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود أن الله - تعالى - أقدر عليك منك على هذا الغلام، فقلت: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله - تعالى - فقال ﷺ: «أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار» رواه مسلم وأبوداود والبيهقى فى الشعب.

ومن مظاهر تلك الرحمة موقفه من الأعرابى الذى جاء يطلب منه شيئا فأعطاه إياه ثم قال له: «أأحسنت إليك يا أعرابى؟ فقال الأعرابى: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفُّوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئا، ثم قال: أأحسنت إليك؟ قال: نعم فجزاك الله به من أهل وعشيرة خيرا، فقال له: إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى من ذلك شىء، فإن أحببت فقل بين أيديهم حتى يذهب ما فى صدورهم عليك، قال: نعم، فلما كان الغد أو العشى جاء، وقال ﷺ: إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه راض أكذلك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال ﷺ: مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحبها: خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها وأعلم، فأخذ لها من قُمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشدَّ عليها رحلها واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل فقتلتموه دخل النار».

النبوة مدرسة الرحمة

هذا وإذا كانت الرحمة صفة الرسول ﷺ فلا غرابة أن تكون صفة أصحابه الذين تربوا فى مدرسته وتتلمذوا على يديه، وتابعوا وحى السماء المنزل عليه وكذلك سائر أتباعه قال - تعالى - فى وصفهم:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

(الفتح/ ٢٩)

● ومن مظاهر تلك الرحمة فى حياة المؤمنين ما ذكره الرسول ﷺ فى قوله فيما رواه النعمان بن بشير: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم وأحمد.

● وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» رواه الشيخان عن أبى موسى الأشعرى.

● وقوله: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا».

● ومن مظاهر تلك الرحمة فى حياة المؤمنين، ما ورد أن الصحابى الجليل أبا ذر - رضى الله عنه - كان يكسو خادمه ثوبا من نفس ثوبه، وحلة من نفس حلته، فلما سئل عن ذلك قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول فيما رواه البخارى: «إخوانكم خولكم - خدمكم - أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون»، رواه عبدالرزاق فى مصنفه.

نعم، إنهم لم ينحتوا من حجر، ولم ينشروا من شجر، أى إنهم خلقوا من نفس الطين الذى خلقتم منه، ولله درُّ من أنشد:

الناس من حيث التكوين أكفاء
أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف
يفاخرون به فالطين والماء

أعداء الإسلام

فلا ينبغى لإنسان أن يتعالى على أخيه الإنسان ولا أن يظلمه ولا أن يستعبده فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأعجمى على عربى إلا بتقوى الله والعمل الصالح، كذلك لا ينبغى لإنسان أن يتجرد من الرحمة فيسفك الدماء ويزهق الأرواح وينتهك الأعراض ويستهين بالمقدسات ويجترىء على المحرمات وإذا فعل ذلك مسلم أخرجه ذلك من صفوف المسلمين، وكفاه بذلك ذمّا وعيبا ألم يقل رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» رواه الترمذى فى سننه، وفى رواية أحمد: «ويعرف لعالمنا حقه».

هذا هو الإسلام وذلك هو رسوله، وهؤلاء هم أتباعه، ولكن أعداءه يشوهون حقيقته ويقلبون معانيه ويرمونه بما ليس فيه، ويتهمون أتباعه بالإرهاب والتطرف والعنف والقسوة وعلينا نحن المسلمين أن نبين لهم محاسنه وأن نوضح لهم ما فيه من خير عظيم ونفع عميم للإنسانية جمعاء والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

❋❋❋

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

سيدنا محمد أكرم الخلق صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

محمد رسول الله ﷺ هو أكرم خلق الله ـ تعالى ـ وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرًا كيف لا؟. وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، وجعل هذا الأدب فى منزلة لا تدانيها منزلة، ومرتبة لا تصل إليها مرتبة، فقد أدب الله ـ تعالى ـ حبيبه وصفيه محمدًا بالقرآن، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه كثير الضراعة والابتهال، دائم السؤال إلى الله ـ تعالى ـ أن يزينه بالأدب الحسن الجم والخلق الكريم، ولهذا كان من دعائه ﷺ: «اللهم حسن خلقى وخلقى»[1] كما جاء فى حديث السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكان أيضًا من دعائه وتضرعه لله ـ تعالى ـ: «اللهم جنبنى منكرات الأخلاق»[2]

فكما دعا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ربه أن يحسن خلقه وأن يزينه بمكارم الأخلاق، دعاه أيضًا أن يباعد بينه وبين منكرات الأخلاق، فاستجاب الله ـ تعالى ـ دعاءه مصداقًا لما جاء فى القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[سورة غافر / ٦٠]

فأنزل الله ـ تعالى ـ عليه القرآن الكريم وأدبه به فكان خُلقه القرآن.

قال سعيد بن هشام: «دخلت على عائشة ـ رضى الله عنها وعن أبيها ـ فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: «أما تقرأ القرآن؟». قلت:

1) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٧/ ٩١.
2) المستدرك للحاكم ١/ ٥٢٢.

بلى. قالت: كان خُلق رسول الله ﷺ القرآن وقد كان من أدب القرآن الكريم له بمثل قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

[الأعراف / ١٩٩]

وقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾

[النحل / ٩٠]

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[لقمان / ١٧]

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[المائدة / ١٣]

وقوله ـ عز من قائل:

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النور / ٢٢]

وقوله:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

[فصلت / ٣٤]

وقوله:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[آل عمران / ١٣٤]

وقوله ـ سبحانه وتعالى:

﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

[الحجرات / ١٢]

ولما نال منه الكفار يوم أحد وكُسرت رُباعيته وشُجّ يوم أحد، فجعل الدم يسيل على وجهه الشريف وهو يمسح الدم ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله ـ تعالى ـ عليه:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

[آل عمران / ١٢٨]

وذلك تأديبًا له وتذكيرًا له بالأدب القرآنى الذى يجعله دائمًا فى معيَّة الله. ومثل تلك الآداب القرآنية فى القرآن الكريم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وهو ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ثم منه يشرق النور على كافة مخلوقات الله فإنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد أدبه ربه بالقرآن وأدب الخلق به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ومن أجل هذا نجده ـ صلوات الله

وسلامه عليه ـ من جوامع كلمه يقول: «بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق» أخرجه الحاكم والبيهقى وأحمد من حديث أبى هريرة.

ولقد رغب رسول الله ﷺ فى مكارم الأخلاق وأمر الناس جميعهم بأن يتحلوا بالأخلاق الحسنة، فمن جوامع كلمه ـ صلوات الله وسلامه عليه: «... وخالق الناس بخلق حسن»(٣) وبعد أن أكمل الله ـ سبحانه وتعالى ـ وتمم خلقه أثنى عليه بقوله ـ تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

فسبحان الله العظيم قد عظّم من شأن النبى ﷺ وأعلا من قدره ورفعه مكانة لم يصل إليها أحد من قبله ولا من بعده، فانظر إلى عميم لطف الله ـ تعالى ـ وعظيم فضله كيف أعطى هذه الأخلاق الفاضلة والمناقب المضيئة ثم أثنى؟. فهو ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى أيده وزينه بالأخلاق الكريمة والصفات الحميدة ثم أضاف كل هذا له ـ جل شأنه ـ وعظم ثناؤه فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

ثم بيّن النبى ﷺ أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها، قال الإمام علىّ ـ رضى الله عنه وكرم وجهه: «يا عجبًا لرجل مسلم يجيؤه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثوابًا ولا يخشى عقابًا، لقد كان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ فقال: نعم»، وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيىء وقفت جارية فى السبى فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى بنت سيد قومى وإن أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائى.. فقال ـ صلوات الله وسلامه عليه: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًا لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق» فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟. فقال: «والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق»(٤)

٣) مسند الإمام أحمد ٥/١٥٣، ١٥٨، ١٧٧، ٢٢٨، ٢٣٦.

٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٧/٩٤.

الإسلام دين مكارم الأخلاق

وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «إن الله حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برًا كان أو فاجرًا، وتشييع جنازة المسلم، وحسن الجوار لمن جاورت مسلمًا كان أم كافرًا، وتوقير ذى الشيبة المسلم، وإجابة الطعام والدعاء عليه، والعفو والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس، واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل، والفلية والكذب والبخل والشح والجفاء، والمكر والخديعة والنميمة، وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاحتيال والاستطالة والبذخ، والفُحْش والتفحش، والحقد والطيرة، والبغي والعدوان والظلم.. قال أنس ـ رضى الله عنه: «فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها، ولم يدع غشًا ـ أو قال عيبًا، أو قال شيئًا ـ إلا حذرنا ونهانا عنه».. قال الإمام الغزالى حديث صحيح.. ويكفى عن كل هذا الآية الكريمة التى يقول فيها المولى ـ عز وجل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾

(النحل: ٩٠)

أعظم حضارة

وقال معاذ: أوصانى رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح. وأنهيك أن تسب حكيمًا أو تكذب صادقًا أو تطيع آثمًا أو تعصى إمامًا عادلاً أو تفسد أرضًا، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية»(٥) بمثل هذه الآداب الربانية والأخلاق القرآنية أدّب رسول الله ﷺ أتباعه وأصحابه وأرشدهم إلى ما يصلح شأنهم ودينهم ودنياهم، وبمثل هذه الأخلاق الفاضلة دخل الناس فى دين الله أفواجًا وكون المسلمون أعظم حضارة

٥) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٧/٩٥.





ظهرت على وجه الأرض، لم تصل إليها تلك الحضارات الزائفة التى يتشدق بها أعداء الإسلام من الغرب وغيره، فكل تلك الحضارات أو ما يسمى بالحضارات جميعها حضارات زائفة لأنها من وضع البشر ومهما ارتقى العقل البشرى فهو قاصر عن إدراك ما وصل إليه التوجيه القرآنى، بل إن الحضارة الإسلامية هى الأصل الذى استمدت منه تلك الحضارات ما فيها من أخلاق فاضلة أو صفات حسنة.

أدعياء الحضارة والحرية الزائفة

انظر إلى ما يتشدق به هؤلاء - أدعياء الحضارة الغربية - من حقوق للإنسان، ومن حريات زائفة، ثم انظر إلى التوجيه السابق الصادر من القائد الأعلى الرسول القائد إلى أحد ولاته وهو معاذ بن جبل - رضى الله عنه - فقد أوصاه أولاً بتقوى الله؛ وتقوى الله وقاية وحصن للمؤمن من الزلل والوقوع فى الخطأ، كما أوصاه بالصدق وأداء الأمانة والمحافظة على الجار، ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وإتقان العمل، وانظر إلى أى مدى تبلغ حضارة الإسلام عندما ينهى النبى ﷺ معاذاً أن يسب حكيماً، وها هم أصحاب وأدعياء الحضارة الحديثة يسبون أنبياء الله وينشرون الصور المسيئة لخاتم الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين ثم يتشدقون بعد ذلك بالحرية المزعومة، وهى حرية مرفوضة، ألا فليتعلموا الحضارة مما جاء به رسول الإسلام عندما يأمر معاذاً بألا يسب حكيماً، تلك هى الحضارة الحقة التى جاء بها الإسلام وذلك هو الهُدى النبوى الشريف لمن أراد أن يتذكر ولمن أراد أن يهتدى، إن هذا الهُدى ذهب لأبعد من ذلك، فها هو المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - يأمر معاذاً ألا يُكذّب صادقاً أو يُطيع عاصياً أو يعصى حاكماً عادلاً، أو يفسد أرضاً، بل إن النبى ﷺ يوصى معاذاً بأن يتقى الله في الحجر والشجر والمدر، فلا يقطع شجراً ولا يؤذى حماراً، بل يكون رحيماً بكل شيء، كيف لا وهو الذى أرسله ربه رحمة وهداية للعالمين؟. هو الرحمة المهداة للخلق جميعاً إنسهم وجنهم، نباتهم وأشجارهم، بل وجمادهم. وصدق الحق - تبارك وتعالى - عندما يحدد ذلك قائلاً:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء:١٠٧)

يتشدقون بحقوق الإنسان ويقتلون المسلمين

وهكذا كان - صلوات الله وسلامه عليه - يدعو إلى حسن الخلق الذى يوجب التحاب والتآلف والتوافق بين جميع البشر ويجعل الجميع يعيشون متحابين متآلفين بعيدين عن التباغض



والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة، وحُسْن الخُلُق لا تخفى فى الدين فضيلته، وهو الذى مدح الله - سبحانه وتعالى - به نبيه ﷺ إذ قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم:٤)

وقال النبى - صلوات الله وسلامه عليه: «أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحُسْن الخُلق»[٦]. وقال أسامة بن شريك: قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان؟. فقال: «خُلُقٌ حَسَن»[٧]، وقال ﷺ: «أثقل ما يوضع فى الميزان خُلُقٌ حَسَن» رواه أبوداود والترمذى، وقال - صلوات الله وسلامه عليه: «ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار»[٨].. وقال ﷺ: «يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق. قال أبو هريرة: وما حسن الخلق يا رسول الله؟. قال: «تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك»[٩] فكل هذه الأخلاق الفاضلة تدعو إلى التعايش السلمى، وقد سبقت تلك الحضارات الزائفة فى الدعوة إلى التآلف والتآخى والعيش فى أمان وسلام وذلك بعيد كل البعد عن دعوى مدعى الحضارة والمدافعين والمتشدقين بحقوق الإنسان الذين يغزون بلاد المسلمين بدون داع، وبلا أية مبررات، ويستولون على أرضهم وديارهم وينهبون ثرواتهم، ينكلون بنسائهم وأطفالهم ويذلون شيوخهم ويقتلون فريقاً منهم من شبابهم! أية مدنية هذه؟. وأية حضارة هذه. تلك التى يزعمون.!؟ ولو ذهب هؤلاء إلى المدنية المحمدية لتعلموا فيها أصول الحضارة الإسلامية واستفادوا من هدى الرسالة المحمدية، ووصلوا بذلك إلى أرقى الحضارات تلك التى جاء بها الإسلام، وبشر بها القرآن.

***

٦) الترغيب والترهيب ٣/٤٠٣.
٧) ابن ابى شيبه ١٣/٢٣٦.
٨) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٣/٢٣٦.
٩) الدر المنثور ٤/١٥٣.

ولد الحبيب محمد ﷺ في قبيلة قريش بمكة في عام الفيل من أبوين قرشيين. ونشأ يتيما، فقد توفي أبوه عبدالله بن عبدالمطلب قبل أن يولد، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وهو في السادسة من عمره، وكفله جده عبدالمطلب، ومن بعد جده كفله عمه أبوطالب. واشتغل الأمين محمد ﷺ برعي الغنم، وسافر مع القوافل في التجارة، وذاع بين الناس حسن أخلاقه وأمانته، فلم يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا وشرفا ونبلا. وقد ارتضته السيدة خديجة بنت خويلد الشريفة الموسرة زوجا لها وهو في الخامسة والعشرين من عمره، بينما كانت هي أرملة في الأربعين. وكان الحنيفي محمد ﷺ يذهب إلى غار حراء بجبل ثور للاعتكاف والتعبد، لأنه كان يعتنق دين الحنيفية، وهو دين إبراهيم -عليه السلام- الذي دان به كثيرون من العرب بعد أن فطنوا إلى انحطاط الوثنية، ورغبوا عن الدخول في اليهودية أو النصرانية

مع الحبيب محمد ﷺ في رحاب (اقرأ)

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدين في قوله -تعالى-:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة آل عمران: ٦٧]

لما بلغ الحبيب محمد ﷺ الأربعين من عمره نزل عليه الوحي وهو يتعبد بغار حراء، وبشره بأنه رسول الله إلى هذا العالم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويدعوهم إلى نبذ عبادة الأصنام، وخرافات الجاهلية، ويهديهم إلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، ويجعلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويعمل على إصلاح المجتمع البشري وتطويره والارتقاء به إلى مستوى الحياة الكريمة التي يجمع فيها المرء بين خير الدنيا وخير الآخرة. وكان أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[سورة العلق/ ١-٥]

ليس هناك دليل أقطع على فضل العلم وأهميته، ولا بيان أبرع لحث الإنسان على طلبه، من افتتاح الله -تعالى- كتابه الكريم وابتدائه الوحي الأمين بهذه الآيات الباهرات التي تأمر مرتين بالقراءة على الإطلاق دون تقييد بمقروء مخصوص، وتذكر مادة (العلم) على إطلاقه أيضا، ثلاث مرات، يستوي في ذلك أن يكون «موضوع» القراءة والعلم موضوعا دينيا أو دنيويا، مادام البحث فيه يهدف لخدمة الإسلام وترقية الحياة وهداية الإنسان في كل زمان ومكان. كذلك تضمنت هذه الآيات الكريمات ذكر «القلم» باعتباره أداة للكتابة. كل ما طلبه القرآن الكريم أن تكون القراءة مقيدة بقيد خاص وهو أن تكون:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

ومن ثم تكون موجهة إلى الحق والخير والهداية لأن الله -تعالى- هو مصدر هذا كله. هذه هي القراءة التي يريدها الإسلام من أجل العلم أيا كان موضوعه، ومجال بحثه، على أن يكون علما في ظل الإيمان، وفي خدمة المثل العليا.

قال القرطبي -رحمه الله-: هذه السورة أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين. نزل بها جبريل على النبي ﷺ وهو قائم على حراء فعلمه خمس آيات من هذه السورة. ثم قال -رحمه الله: قوله- تعالى:

﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾

يعني الخط والكتابة، أي علم الإنسان الخط بالقلم. وروى سعيد عن قتادة قال: القلم نعمة من الله عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش. فدل على كمال كرمه -سبحانه- بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو. ثم قال -رحمه الله: قوله- تعالى:

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

قيل: الإنسان هو آدم -عليه السلام- علمه أسماء كل شيء حسب ما جاء به القرآن في قوله -تعالى-:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

(البقرة: ٣١)

فلم يبق شيء إلا وعلم سبحانه آدم اسمه بكل لغة وذكره آدم للملائكة كما علمه. وبذلك ظهر فضله وتبين قدره وثبتت نبوته وقامت حجة الله على الملائكة وامتثلت الملائكة الأمر، لما رأت من شرف الحال ورأت من جلال القدرة

وسمعت من عظيم الأمر، ثم توارثت ذلك ذريته خلفا بعد سلف وتناقلوه قوما عن قوم.

وقيل: «الإنسان» هنا الرسول ﷺ ودليله قوله -تعالى:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾

[النساء: ١١٣]

على هذا فالمراد بـ«علمك» المستقبل، فإن هذا من أوائل ما نزل. وقيل: هو عام لقوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة النحل: ٧٨][1]

وقال ابن كثير -رحمه الله: أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه -تعالى- أن علم الإنسان مالم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة. والعلم تارة يكون فى الأذهان، وتارة يكون فى اللسان، وتارة يكون فى الكتابة بالبنان، ذهنى ولفظى ورسمى والرسمى يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال[2]:

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

وقال ابن القيم -رحمه الله: ... فافتتح السورة بالأمر بالقراءة الناشئة عن العلم، وذكر خلقه خصوصا وعموما فقال:

﴿ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾

وخص الإنسان من بين المخلوقات لما أودعه من عجائبه وآياته الدالة على ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وكمال رحمته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه. وذكر هنا مبدأ خلقه من علق لكون العلق مبدأ الأطوار التى انتقلت إليها النطفة، فهى مبدأ تعلق التخليق، ثم أعاد الأمر بالقراءة مخبراً عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعل من الكرم وهو كثرة الخير ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه فإن الخير كله بيديه والخير كله منه والنعم كلها هو موليها والكمال كله والمجد كله له، فهو الأكرم حقا. ثم ذكر تعليمه عموما وخصوصا فقال:

(١) تفسير القرطبى ص٧٢١٢، عن أبى عبدالله بن سعيد بن رسلان، فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٢٨.

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

فاشتملت هذه الكلمات على أنه معطى الموجودات كلها بجميع أقسامها. فإن الوجود له مراتب أربعة:

إحداها مرتبتها الخارجية المدلول عليها بقوله: «خلق»

المرتبة الثانية: الذهنية المدلول عليها بقوله:

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

المرتبة الثالثة والرابعة: اللفظية والخطية، فالخطية مصرح بها فى قوله:

﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾

واللفظية من لوازم التعليم بالقلم، فإن الكتابة فرع النطق، والنطق فرع التصوّر. فاشتملت هذه الكلمات على مراتب الوجود كلها وأنه سبحانه هو معطيها بخلقه وتعليمه، فهو الخالق المعلم، وكل شيء فى الخارج فبخلقه وُجد، وكل علم فى الزهد فبتعليمه حصل، وبكل لفظ فى اللسان أو خط فى البنان فبإقداره وخلقه وتعليمه. وهذا من آيات قدرته وبراهين حكمته لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. والمقصود أنه سبحانه تعرف إلى عباده بما علمهم إياه بحكمته من الخط واللفظ والمعنى، فكان العلم أحد الأدلة الدالة عليه، بل من أعظمها وأظهرها، وكفى بهذا شرفا وفضلا له.[3]

وهكذا تدلنا كتب التفسير على بعض دلالات أول ما نزل من آيات القرآن الكريم الداعية إلى طلب العلم، لتبدأ تاريخا جديداً للبشرية، فالخطاب الإلهى موجّه للرسول محمد ﷺ، ولكل إنسان يفهم الخطاب من بعده على أنه مأمور أن يقرأ، والقراءة كما ذكرنا تشير إلى كل علم نافع يقوم به الإنسان. وإنما خص القراءة بالذكر لأنها نقطة الانطلاق للإنسان، ومفتاح رقيّه، ولأن العمل فى الإسلام يجب أن يقوم على العلم، والعلم مفتاحه القراءة ومحو الجهل والأمية.

واستجابة لأول تعاليم القرآن الكريم حرص النبى ﷺ على محاربة الأمية التى كانت منتشرة بين العرب، حتى كانوا يُعرفون بين الأمم «بالأميين». قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾

[سورة الجمعة: ٢]

وقال ﷺ معبرا عن الواقع القائم حينذاك: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» (رواه البخارى). والرائع هنا أن هذا النبى الأمى فى هذه الأمة الأمية، كان أول من عمل على محو الأمية بين أتباعه

(٣) مفتاح دار السعادة جـ١ ص٥٨، عن المرجع السابق.



بكل سبيل. ذلك أنه لما وقع في أيدي المسلمين بعض الأسرى من رجال قريش في غزوة بدر جعل رسول الله ﷺ فدية الكثيرين منهم تعليم الأميين من المسلمين، وفرض على كل أسير تعليم عشرة من المسلمين، وكان ذلك فكاكاً له من الأسر. ذكر ابن سعد عن عامر الشعبي قال: أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون. فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا «حذقوا» فهو فداؤه.(٤)

وذكر أن زيد بن ثابت -أحد كتاب الوحي- كان ممن علمه أسرى قريش. ومعنى هذا أن خطة النبي ﷺ لم تكن قائمة على مجرد «فك الخط» كما يقولون، بل لابد من درجة «الحذق» والإتقان، حتى لا ينسى ويرتد إلى الأمية من جديد.(٥)

ولم يمنع النبي ﷺ اختلاف الدين أن يأخذ من المشركين خير ما عندهم، ولاسيما أن مجرد تعلم الكتابة لا يحمل -في العادة- فكرا ولا ثقافة، ولا يتلون بلون المعلم.

ولم يقف حث النبي ﷺ على تعلم الكتابة عند الرجال فقط، بل شمل النساء أيضا، وقد علمت الشفاء بنت عبدالله أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر.

وعن تعلم اللغات، كان عند الرسول ﷺ من بين أصحابه من يعرف الفارسية والرومية والحبشية، ويكفيه همّ الترجمة منها وإليها، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التي يكتب بها يهود. فأمر بذلك كاتب وحيه الأنصاري النابغة زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ليتقنها قراءة وكتابة ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك(٦). قال زيد: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، فما مرّ لي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته، فكنت أكتب له إليهم، وأقرأ له كتبهم (رواه البخاري وأبوداود والترمذي). ومن هنا حرص كثير من المسلمين على معرفة اللغات، فترجموا منها وإليها.

لقد ضرب لنا الحبيب محمد ﷺ بذلك مثلا لم يسبقه إليه أحد، لا من قبل ولا من بعد، في العناية بنشر القراءة والعلم لإصلاح المجتمع الإسلامي الجديد، بل من

(٤) «طبقات ابن سعد» ج١، ص٢٢ ط بيروت.

(٥) د. يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

(٦) المرجع السابق.



أجل إعداد الإنسان عن طريق العلم أولا ليكون نواة لمجتمع إنساني جديد يعرف طريقه نحو التقدم والرقي.

ومقارنة بما جاء به الإسلام -إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة- بالقراءة وجعل البحث العلمي فريضة واجبة، نجد الأمم المتحدة في ميثاق حقوق الإنسان قد عمدت إلى الاعتراف بحق كل إنسان في الثقافة والتعليم. ولكنها لم تفرض هذا الحق، فظل ذلك وصية من الوصايا.. وشتان ما بين الإيصاء بتعليم الإنسان، وبين إعلان وجوب القراءة والعلم كما أعلنه الإسلام، ترغيبا لا ترهيبا، بعد أن ولد فيهم حبا شديداً للعلم والمعرفة. ولذلك قال «جوستاف لوبون» في كتابه «مدنية العرب»: «إن الاندفاع الذي أبداه العرب في العلم كان مدهشا جدا.. ولئن ساواهم في ذلك كثير من الشعوب فلم يكن منهم فيما أظن من سبقهم.. وكانوا إذا فتحوا مدينة وجهوا عنايتهم في الدرجة الأولى إلى تأسيس جامع وإقامة مدرسة.. وإن هذه المدارس في المراكز الكبرى كانت كثيرة دائما.. وعدا مدارس التعليم البسيطة، فإن المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة، وغيرها، كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمختبرات والمراصد والمكتبات الغنية.. وبكلمة واحدة كانت هذه الجامعات مجهزة بكل المواد الضرورية للبحوث العلمية».

ولقد كانت هذه البداية الحضارية لنهضة المسلمين أحد مظاهر الحلم الذي تميزوا به في فتوحاتهم، وجعل بعض فلاسفة الغرب يقولون: «إن شعوب الأرض لم تر قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ، ولا دينا بلغ في لينه ولطفه هذا الحد» (يريد فاتحي الإسلام وعقيدتهم الإسلامية).

نعم.. إن الميزة الأولى التي امتاز بها الإسلام على غيره من الأديان والأنظمة والمنظمات التي عرفتها الإنسانية حتى اليوم هي دعوته إلى إقامة نظام الحياة والارتقاء بها على أساس من العلم والإيمان، وسجل القرآن الكريم هذه الحقيقة في أول ما نزل من آياته الكريمة التي طبقها الرسول ﷺ على الأرض الواقع.

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله في الأولين.. وفي الآخرين.. وفي كل وقت وحين.. وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊❊❊





للشاعر الكبير الأستاذ على الجارم

تحية ناء من شذى المسك أطيب ... ومن قطرات المزن أصفى وأعذب(1)

وتبريح أشواق إذا ما تنفست ... يكاد لها فحم الدجى يتلهب

وقلب يضيق الصدر عن نبضاته ... فيخفق غيظا بالجناح ويضرب

تلفت في الأضلاع حيران بائسا ... وأن كما أن السجين المعذب(2)

تعاوده الذكرى فتنكأ جرحه ... ويارب جرح حار فيه المطبب!(3)

ويخدعه طيف الخيال إذا سرى ... فيبعث آمال الشجى ويذهب

ومن أبصر الأيام خلف قناعها ... رأى الدهر يلهو، والأماني تكذب

عجائب أحداث تليها عجائب ... وصبرى على تلك العجائب أعجب

ولولا حياة الوهم أودى بأهله ... زمان بأشواك الحقائق مخصب(4)

تبسم إذا ما الدهر قطب وجهه ... وصفق له في دوره حين يلعب(5)

يموت الفتى من قبل أن يعرف الفتى ... من الأمر ما يأتي وما يتجنب

وسيان ما يدريه والشعر فاحم ... أثيث، وما يدريه والشعر أشيب(6)

وقالوا: حياة المرء درس فقهقهت ... صروف الليالي والقضاء المغيب(7)

إذا ما جهلت النفس وهي قريبة ... فأي المعاني بعد نفسك أقرب

***

(1) ناء: بعيد. شذى المسك: رائحة المسك الذكية الفواحة. المزن: السحاب المملوء بالماء.

(2) تبريح أشواق: توهج أشواق. فحم الدجى: المقصود سواد ظلمة الليل. يتلهب: يتقد ويشتعل.

(3) تنكأ جرحه: تهيج وتثير جرحه قبل أن يبرأ. المطبب: الطبيب المداوى.

(4) مخصب: كثير الخير.

(5) قطب وجهه: عبس وتجهم.

(6) أثيث: قوى النمو كثير.

(7) المغيب: ما غاب عنك وهو المستقبل.



حنانا لقلبي، كيف طاحت به المنى ... وعز على الأيام ما يتطلب؟(8)

يغازله في مطرح النسر مأرب ... ويختله في مسبح الحوت مأرب(9)

يكاد إذا مر الحجاز بذكره ... وجيرته من صدره يتوثب

بلاد بها الرحمن ألقى ضياءه ... على لابتيها والعوالم غيهب(10)

تكاد إذا مرت بها الشمس غدوة ... حياء بأهداب السحاب تنقب(11)

يجللها قدس من الله سابغ ... وينفحها نشر من الخلد طيب(12)

إذا نسب الناس البلاد رأيتها ... إلى جنة الفردوس تعزى وتنسب(13)

وإن نضبت أنهارها فبحسبها ... من الدين نهر للهدى ليس ينضب(14)

إذا ما جرى في الأرض فالجدب مخصب ... وإن هو جافى الأرض فالخصب مجدب

يفيض على الأقطار يمنا ورحمة ... ويزأر في أذن العتاة ويصخب

تفجر من نبع النبوة ماؤه ... له الحق ورد والسماحة مشرب

ووحد بين الناس، لا البعد مبعد ... عن الساحة الكبرى، ولا القرب مقرب

فليس لدى الإسلام شرق ومشرق ... وليس لدى الإسلام غرب ومغرب

هم الناس إخوان سواء على الهدى ... بطيء المساعي والشريف المهيب(15)

فما حط من قدر الفزاري فاقة ... ولا زاد في قدر ابن أيهم منصب(16)

يجمعهم قلب على الحق واحد ... وإن فرقت أوطانهم وتشعبوا(17)

إذا صاح في «جيحون» يوما مؤذن ... أجاب على «التاميز» داع مثوب(18)

(8) حنانا: رحمة. طاحت: ذهبت. عز: قل وندر.

(9) يغازله: يلاطفه. مطرح النسر: أعالى الجبال. يختله: يخدعه. مسبح الحوت: البحار الكبيرة. الذكر: التذكر.

(10) لابتيها: اللابة الأرض ذات الحجارة السود وبالمدينة المنورة لابتان تكتنفها. غيهب: فى ظلم الغيب.

(11) أهداب السحاب: أطراف السحاب. تنقب: تهرب.

(12) نشر: رائحة طيبة. (13) تعزى: تنتمى وتنتسب. (14) ينضب: يجف.

(15) بطيء المساعى: الرجل ذو الطموح المحدود. المهيب: الذى يهابه الناس.

(16) الفزارى: أعرابى من بنى فزارة داس على فضل إزار جبلة بن الأيهم وهو من عظماء الروم وكان قد دخل فى الإسلام – فلطم ابن الأيهم الفزارى فشكاه إلى سيدنا عمر بن الخطاب فحكم له بأن يقتص من جبلة.

(17) تشعبوا: تفرقوا.

(18) جيحون: نهر جيحون ببلاد التركستان فى الشرق. التايمز: نهر بإنجلترا فى الغرب. داع: يدعو الناس. مثوب: والتثويب يكون فى أذان الفجر خاصة وهو قول المؤذن «الصلاة خير من النوم» والمقصود الاستجابة للصلاة فى جميع أنحاء العالم.

وإنْ ذرفتْ من جفنِ دجلةَ دمعةٌ   رأيتَ دموعَ النيلِ حَيرى تصبَّبُ[19]
وإنْ مسَّ جُرحٌ من فلسطينَ إصبعًا   شكا حاجزٌ منه وأنَّ المُحصَّبُ[20]

❋❋❋

بنفسي وليدًا في أباطحِ مكةٍ   تتيهُ به الدُّنيا ويشرفُ يعربُ[21]
أطلَّ عليها مثلما تَبسِمُ المُنى   ويسطعُ في الليلِ الخُداريِّ كوكبُ[22]
وكانَ لها رمزَ الحياةِ فأشرقتْ   كما هزَّ أفنانَ الخمائلِ صيِّبُ[23]
وكم مدَّتِ الأعناقَ ترقبُ لمحةً   فطالَ عليها صبرُها والترقُّبُ
توالتْ بها الأيامُ، تذهبُ أحقُبٌ   وتأتي على اليأسِ المُبرِّحِ أحقُبُ[24]
إلى أنْ بدا نورُ الإلهِ فأقبلتْ   عوالمُها تشدو بطه وتطربُ
وليدٌ له عَليا معدٍّ ذؤابةٌ   جلالةُ أنسابٍ، ومجدٌ مؤشَّبُ[25]
حوتهُ كما اعتادَ الأعاريبُ جفنةٌ   وقد ضاقَ عن آمالهِ الفيحِ سبسبُ[26]
يحيِّيهِ من طيفِ الملائكِ موكبٌ   ويرعاهُ من طيفِ النبيينَ موكبُ
فهل علمَ الرومانُ أنَّ مهادَهُ   قرابٌ به ماضي الغِرارِ مُشطَّبُ[27]
وأنَّ به نفسًا يُحطِّمُ دونها   منيعُ الصياصي، والحديدُ المذرَّبُ؟[28]
وأنَّ به من صولةِ اللهِ - جحفلًا   يثُلُّ عُروشَ القاسطينَ ويسلبُ؟[29]
له الكونُ ميدانٌ إذا سلَّ سيفَهُ   وقالَ لفرسانِ الملائكةِ: اركبوا[30]

---

(١٩) دجلة: نهر دجلة في العراق. تصبب: تتسكب.

(٢٠) حاجز: نزل للحجاج بالبادية. المحصب: موضع رمي الحجارة بمنى.

(٢١) بنفسي: أفديه بروحي. وليدا: سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -. أباطح: مسيل واسع فيه حصى. يعرب: أبو العرب.

(٢٢) الخداري: المظلم.   (٢٣) صيّب: السحاب ذو الصوت أي الممتلئ بالماء.

(٢٤) أحقب: سنون.

(٢٥) عليا: الرفعة. معد: قبيلة عربية ذات سيادة. ذؤابة: ذؤابة الشيء أعلاه. المؤشب: الشجر المتلاصق والمراد بالمجد المؤشب الجمع من كثير من أعمال الفضل والنبل.

(٢٦) الأعاريب: سكان البادية. جفنة: وعاء أو قصعة يوضع بها الطفل الرضيع. سبسب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة الواسعة.

(٢٧) قراب: جراب السيف. الغرار: حد السيف. المشطب: السيف في حده خطوط مجوفة.

(٢٨) الصياصي: جمع صيصية: الحصن. الحديد المذرب: الحديد الحاد.

(٢٩) صولة: قوة. يثل: يذهب ملكه أو عزه. القاسطين: الظالمين. يسلب: يختلس.

(٣٠) سل: أخرجه من غمده.

يطيرُ عِداهُ منهُ ذُعرًا وخشيةً   وإنْ ملأوا الأرضَ الفضاءَ وأجلبوا
ومنْ لم يؤدِّبهُ البيانُ وهديهُ   فإنَّ الحُسامَ العضبَ نعمَ المؤدِّبُ[31]
فقدْ أنزلَ اللهُ الحديدَ وبأسَهُ   لمن سدَّ أذنيهِ الهوى والتعصُّبُ
وفي صدعةِ الإيوانِ إنذارُ أُمَّةٍ   بأنَّ من الأشياءِ ما ليسَ يُشعبُ[32]

❋❋❋

محمدُ أنقذتَ الخلائقَ بعدما   تنكَّبتِ الدُّنيا بهم وتنكَّبوا
وأطلقتَ عقلًا كانَ بالأمسِ مُصفَدًا   فدانَ لهُ سرُّ الوجودِ المُحجَّبُ[33]
وأرسلتَها من صيحةٍ نبويةٍ   يمورُ لها قلبُ الجبالِ ويرعبُ[34]
إذا كانَ صوتُ اللهِ في صيحةِ الفتى   فأيُّ عبادِ اللهِ يخشى ويرهبُ؟
وبلَّغتَ آياتٍ، روائعُ لفظِها   من الصبحِ أهدى أو من النجمِ أثقبُ[35]
كأنْ، وما تُغني كأنْ؟ فخلِّها   فإنَّ من التشبيهِ ما يتصعَّبُ
وماذا يقولُ الشعرُ في آيِ رحمةٍ   لها اللهُ يُملي والملائكُ تكتبُ؟
خطبتَ لنا يومَ الوداعِ مُشرِّعًا   وهل لكَ ندٌّ في الورى حينَ تخطبُ؟
فكشَّفتَ أسرارَ السياسةِ موجزًا   وجئتَ بما يعيا به اليومَ مُسهِبُ[36]
وأمليتَ دستورًا شقينا بتركهِ   فسِرنا على الأيامِ نشكو ونعتبُ
إليكَ رسولَ اللهِ طارَ بنا الهوى   وحُلوُ الأماني والرجاءُ المُحبَّبُ
أفِضْها علينا نفحةً هاشميةً   تلُمُّ شتاتَ المسلمينَ وترأبُ[37]
وترجعُ فيهم مثلَ سعدٍ وخالدٍ   وترفعُ من راياتهم حينَ تُنصبُ[38]
سنصحو فقدْ ملَّ الطريحُ وِسادَهُ   وفي نوركَ القُدسيِّ نسعى وندأبُ[39]
عليكَ سلامُ اللهِ ما حنَّ واجدٌ   وفاخرتِ الدُّنيا بقبركَ يثربُ[40]

---

(٣١) الحسام العضب: السيف القاطع.

(٣٢) صدعة الإيوان: شق إيوان كسرى وهدمه وكسره. يشعب: يُصلح.

(٣٣) مصفدا: مقيدا. دان: خضع. المحجب: المستور في علم الغيب.

(٣٤) يمور: يتحرك ويذهب.   (٣٥) أثقب: مضيء.

(٣٦) مسهب: كثير الكلام.   (٣٧) شتات: تفرق. ترأب: تصلح.

(٣٨) سعد وخالد: هما بطلا الإسلام سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد.

(٣٩) ندأب: نجد ونتعب.   (٤٠) واجد: حبيب. يثرب: المدينة المنورة.

بشاشته صلى الله عليه وسلم

كان يمزح ولا يقول إلا حقا

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

(١)

الإسلام دين الوسطية.. ولقد شاء الله، سبحانه وتعالى، أن تكون هذه الوسطية، جعلا إلهيا، وليس مجرد خيار من خيارات المؤمنين بالإسلام. فقال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

[البقرة: ١٤٣]

ونحن نلاحظ أن هذه الآية الكريمة قد جعلت الوسطية علة وسببا يترتب عليه اتخاذ الأمة الإسلامية موقع «الشهود» على العالمين، بما في هذا العالمين من أمم وشعوب وملل ورسالات وثقافات وحضارات.. وذلك التعليل وثيق الصلة بمعنى «الوسطية» ومعنى «الشهود»... فالوسط -كما علمنا رسول الله ﷺ هو العدل، «الوسط، العدل، جعلناكم أمة وسطا» [رواه الإمام أحمد] والعدل هو الشرط المؤهل للشهادة والشهود على العالمين، ولأن هذه الأمة الخاتمة قد آمنت بكل النبوات والرسالات والكتب السماوية، كانت وحدها المؤهلة عدالتها بالشهادة على العالمين، بما في ذلك الشهادة على تبليغ كل الرسل رسالاتهم إلى أمم هذه الرسالات.

وإذا كان العلماء قد أجمعوا على أنه «لا مُشَاحَّة في الألفاظ والمصطلحات».. فإن انتفاء هذه «المشاحة» واقف فقط عند استخدام هذه الألفاظ وهذه المصطلحات، أما المضامين والمفاهيم المقصودة من وراء استخدام هذه المصطلحات فإن فيها الكثير والكثير جدا من المشاحات، وخاصة عندما تتعدد -وأحيانا تتناقض- المفاهيم المرادة من وراء المصطلح الواحد، بسبب تعدد الثقافات والحضارات والفلسفات والمواريث.

• فمصطلح «الدِّين»، تستخدمه وتردده كل الأمم والشعوب، لكن مفهومه ومضمونه عند أهل «الديانات الوضعية» غيره عند أهل الديانات السماوية.. ومفهومه ومضمونه في الفلسفات المادية يعني: الإفراز الخرافي والأسطوري للعقل الإنساني في مرحلة الطفولة من تطور الإنسان!.. بينما يعني «الدِّين»، في النسق الرباني: الوضع الإلهي الذي نزل به الوحي الأمين على الأنبياء والمرسلين، لسَوْق ذوي العقول، باختيارهم المحمود، إلى الهداية والخير في الدنيا والآخرة.

• ومصطلح «السياسة»، تستخدمه وتردده كل الأمم والشعوب والثقافات، لكنه يعني في الحضارة الوضعية الغربية: فن الممكن من الواقع، تحقيقا للقوة، وذلك بصرف النظر عن علاقة هذه التدابير السياسية بالقيم والأخلاق.. بينما يضبط النسق الإسلامي- في فلسفة السياسة- هذه التدابير السياسية بالقيم والأخلاق، فالسياسة -في هذا النسق- «هي التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد».. وفارق جوهري بين هذا المفهوم للسياسة، وبين مفهومها وفلسفتها الغربية عند «ميكافيلي» [١٤٦٩- ١٥٢٧م]، ذلك الذي شاع في فلسفة السياسة بالحضارة الوضعية الغربية ولا يزال شائعا وحاكما حتى هذه اللحظات..

• و«الإقطاع»، مصطلح تردده كل الأمم والشعوب، لكنه يعني في الحضارة الغربية: ملكية الأرض ومن وما عليها.. بينما هو في النسق الإسلامي: تمليك منفعة، لإحياء الأرض الموات، واستثمارها والانتفاع بها، وفق الضوابط التي وضعها -في الشريعة- مالك الرقبة في كل الأموال والثروات، سبحانه وتعالى.

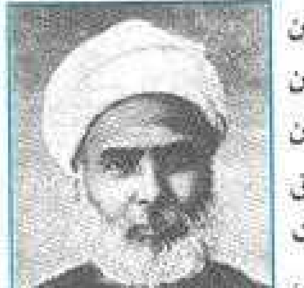
• وكذلك الحال مع مصطلح «الوسطية»، الذي يعني -في الفكر «السُّوقي»-: التَّميُّع، وانعدام التحديد،

وافتقار الموقف «الوسطى» إلى اللون والطعم والرائحة!..

والذى يعنى -فى الفكر الأرسطى.. وفلسفة «أرسطو» [٣٨٤- ٣٢٢ق م]: الفضيلة بين رذيلتين، أى الموقف الثالث، الذى هو بمثابة نقطة رياضية ثابتة بين قطبين، مع المغايرة الكاملة بين هذا الموقف الثالث -الوسطى- وبين هذين القطبين.

لكن المفهوم الإسلامى للوسطية ليس كذلك، فهى وسطية جامعة، تمثل موقفا ثالثا بين القطبين المتقابلين والمتناقضين، لكنها لا تغاير هذين القطبين مغايرة تامة، وإنما هى تجمع منهما عناصر الحق والعدل لتكوّن منهما وبهما هذا الموقف الوسطى الجديد.. فهى، فى حقيقتها، رفض للغلو الذى ينحاز إلى قطب واحد من هذين القطبين -غلو الإفراط أو غلو التفريط.

فوسطية الإسلام، الرافضة للغلو المادى- الذى آلت إليه اليهودية- والرافضة للغلو الروحى- الذى آلت إليه النصرانية- هى وسطية لا تغاير المادة والمادية ولا الروح والروحانية كلية، وإنما هى الوسطية الجامعة لعناصر الحق والعدل من المادية والروحانية جميعا، على النحو الذى يوازن توازن العدل بينهما.. ولذلك، فإنها -هذه الوسطية الإسلامية الجامعة- تصوغ الإنسان الوسط: راهب الليل وفارس النهار.. الجامع بين الفردية والجماعية.. بين الدنيا والآخرة.. بين الدين والدنيا.. بين الدولة والدين.. بين الذات والآخر.. بين التبتل للخالق والاستمتاع بطيبات وجماليات الحياة، التى خلقها الله وسخرها لهذا الإنسان.



محمد عبده

(٢)

ولأن النموذج والقدوة والأسوة تنهض بالدور الأول فى ميدان التربية والتزكية والصياغة للإنسان والمجتمع والثقافة والحضارة، فلقد شاء الله، -سبحانه وتعالى، أن تكون القدوة والأسوة للأمة الوسط ذلك النبى الأمى الذى جسدت حياته أكمل نموذج للوسطية الإسلامية الجامعة يمكن أن يتحقق فى دنيا الناس.. لقد صنعه الله على عينه، ليكون نموذج هذه الوسطية الإسلامية وقدوتها وأسوتها.. فهو بشر يوحى إليه.. بشر تجوز عليه كل عوارض البشرية، يولد.. ويمرض.. ويألم.. ويموت.. وهو يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق.. ولا يأتى من الخوارق إلا ما آتاه الله.. وفى ذات الوقت، ولأنه يوحى إليه، فلقد مثّل رباط و ارتباط الأرض بالسماء، وحلقة الوصل بين عالم الشهادة وعالم الغيب.. وبعبارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

[١٢٦٥- ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩- ١٩٠٥]: «فإن روحه، ﷺ، ممدودة من الجلال الإلهى بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. فهو يشرف فى الغيب بإذن الله، ويعلم ما سيكون من شأن الناس فيه، وهو فى مرتبته العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهو فى الدنيا كأنه ليس من أهلها، وهو وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها... يتلقى من أمر الله ويحدّث عن جلاله بما خفى عن العقول من شئون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه.. معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن متناول أفهامهم.. ثم هو بعد ذلك بشر يعتريه ما يعترى سائر أفراد البشر» مما لا يقدح فى مقتضيات رسالته.

لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، فكان على خلق عظيم، وجمعت حياته وسياساته بين الاجتهاد الإنسانى وبين الوحى المسدِّد للاجتهاد، والحاكم فيما لا يستقل به الاجتهاد.. وهو ﷺ العابد المتبتل، الذى يقف بين يدى مولاه حتى تتورم قدماه، وهو الذى جعل رهبانيته ورهبانية أمته الجهاد فى سبيل الله، حتى لقد كان الفارس المقاتل الذى يحتمى به الفرسان إذا اشتد القتال، وازداد البأس، وحمى الوطيس، واحمرت الحدق، فلا يكون أحد أقرب إلى الأعداء منه ﷺ ومع ذلك، كان أشد حياء من العذراء فى خدرها، ولقد جعل الحياء فى شريعته شعبة من شعب الإيمان.. كان أشجع الناس.. وأحلم الناس.. كانت عبادته مجاهدة وجهادا.. وكان جهاده عبادة وتقربا إلى الله.

وفى قدوته وأسوته جمعت الوسطية بين قوة الصبر والمصابرة وبين ذروة الخشوع والخضوع فى الصلاة

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

[البقرة: ٤٥]

وكذلك جمعت قدوته وأسوته بين الرفق الرفيق بالإنسان -مطلق الإنسان- والحيوان والنبات والبيئة -بما فى ذلك الجماد- لأنها جميعها حية تسبح بحمد خالقها -حتى وإن لم نفقه تسبيحها- وبين الغضب الشديد لدين الله وحرمات الله وحدود الله.

كما جمعت قدوته وأسوته بين زهد الغنىّ فى متاع الدنيا وبين عشق الجمال الذى خلقه الله وبثه زينة فى هذا الكون الجميل.. فكانت وصاياه باختيار الاسم الحسن، والاستمتاع باللهو الحلال، والاستعاذة بالله -فى دعاء السفر- من كآبة المنظر، ودعائه ربه -فى صلاة الاستسقاء-: «اللهم أنزل علينا فى أرضنا زينتها»..

كما جمعت وسطيته بين تفضيل الحياة مع المساكين -لا الملوك الجبارين والمترفين-

وبين الرقة والزينة، حتى لقد جاء فى صفاته وشمائله أنه «لم تكن يد ألين من يده، ولا ريح أطيب من ريحه.. أطيب رائحة من المسك.. فكان وجهه يبرق من السرور.. وكأن عرقه اللؤلؤ» [رواه الإمام أحمد].

كما جمعت وسطيته بين تبتل العابد عندما يعتكف بالمسجد وبين الزينة حتى أثناء الاعتكاف، فكان يناول رأسه لعائشة -رضى الله عنها- وهى فى حجرتها، لترجّل له شعره ﷺ [رواه الإمام أحمد].

هكذا جسدت القدوة والأسوة النبوية، بهذه الوسطية الإسلامية الجامعة، نموذج الإنسان الكامل، الذى امتاز وتميز عن غلو الإفراط والتفريط.

(٣)

هذا النبى الأمىّ، الذى نهض لتغيير العالم فى شئون الدين والدنيا.. وتقدم لتحويل مجرى التاريخ ومفهوم الثقافة والحضارة.. ومعنى إنسانية الإنسان.. والذى كابد ما كابد -ثلاثة عشر عاما فى المرحلة المكية-.. وبنى الدولة، وبلور الأمة، وقاد من الغزوات والسرايا والبعوث مازاد على الستين- فى تسع سنوات من المرحلة المدنية- هو الذى جمعت وسطيته بين هذه المجالدة والمكابدة وبين الترويح عن النفس لتجديد ملكات وطاقات هذه النفس كى تستطيع النهوض بتبعات المجالدة والمكابدة والمجاهدة، وكى تستمتع بما خلق الله فى هذه الحياة من ألوان الجمال وعوامل المتاع والاستمتاع.

وإذا كنا قد أفردنا للسيرة الجمالية والفنية لرسول الله ﷺ دراسات سبق نشرها، فإن سنة هذا النبى الأمى فى الترويح عن النفس الإنسانية بالملح والطرائف والنكات والمزاح هى مهمة هذه الصفحات.

* * *

وبين يدى هذه الإشارات واللمحات عن هذا الجانب من سيرة المصطفى ﷺ لا بد من تحديد المعانى والمفاهيم لمصطلحات: «المُلْحَة».. و«الطُّرْفَة».. و«النُّكْتَة».. و«المَزْح» فى إصطلاح العربية وثقافة الإسلام..

• فالمُلْحَة- بضم الميم وسكون اللام وفتح الحاء- هى القول والفعل الذى فيه ظُرف- وفى [أساس البلاغة] للزمخشرى [٤٦٧- ٥٣٨هـ/ ١٠٧٥- ١١٤٤م]:

«..ومن المجاز: وجه مليح، ووجوه ملاح، وما أملح وجهه وفعله!، وما أُمَيْلحه!، وله حركات مُستملحة. وحدثته بالمُلَح. وفلان يتظرف ويتملّح.

وقال الطرماح (١٢٥ هـ/ ٧٤٣م) يخاطب زوجته سليمة:

تَمَلّحُ ما استطاعتْ ويغلبُ دونها
هوىً لك يُنْسى مُلْحة المتملّح

وفى [لسان العرب] -لابن منظور [٦٣٠- ٧١١هـ/ ١٢٣٢- ١٣١١م]-: «عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الصادق يعطى ثلاث خصال: المُلحة، والمهابة، والمحبة»..

فالمُلحة: هى القول أو الفعل أو الحركات الظريفة، التى تُكْسِب الحديث أو الموقف مُلحة وظُرفا.. وهو قصد زائد على الضرورى من الأقوال والأفعال.. والوسط فيها هو المحمود، لأنه بمثابة الملح للطعام، وسطه مفيد، والإسراف فيه ومنه مفسد لأصل الطعام.

• والطُّرْفَة -بضم الطاء مشددة وسكون الراء وفتح الفاء- وجمعها: الطُّرَف-: هى المُستحدث المُعْجِب المُتحف.. وكل شىء استحدثته فأعجبك.

فهى القول أو الحركة أو الفعل الظريف، الذى يضيف إلى المعنى ما يُعجب ويسر نفوس السامعين والمشاهدين..

• والنُّكْتَة -بضم النون مشددة وسكون الكاف وفتح التاء- وجمعها نُكت ونكات- فى معناها اللغوى: هى النقطة البيضاء فى السواد، أو النقطة السوداء فى البياض.. ومن معانيها: المسألة الدقيقة التى أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر.. وهى -فى المجاز: المعنى غير المألوف، والجملة اللطيفة، التى تؤثر فى النفس انبساطا.. ونُكت الكلام أسراره ولطائفه.

• والمَزْح -بفتح الميم وسكون الزاى-: هو الدعابة.. ونقيض الجد. والمُزّاح من الناس: هم الخارجون من طبع الثقلاء، والمتميزون من طبع البُغضاء.

فالمزاح هو تلوين الكلام أو الحركات بالدعابة التى تُكسبه ظَرفا يُخرجه عن صرامة الثقلاء وجفاف البُغضاء..

هذا عن التعريف بمضامين ومفاهيم هذه المصطلحات.

من أحاديث بشاشته ﷺ

ولأن رسول الله، ﷺ، كان النموذج الأعظم للإنسان الكامل، الذى تكاملت فى صفاته وشمائله وأفعاله الوسطية الجامعة، والتوازن العدل، فإن حياته وأسوته وقدوته لم تخل من الملح والطرائف والنكات، التى نهضت بمهام الترويح عن النفس، وتجديد ملكات وطاقات القلوب، والإعانة على جد الحياة وصعابها، مع التزام الحق والصدق والعدل، أى الوسط والوسطية المتميزة عن الغلو، إفراطا كان أو تفريطا..

إننا نطالع فى السنة النبوية: أن رسول الله ﷺ كان يمزح، أى يداعب أصحابه- رجالا ونساء- ولكنه لا يقول إلا حقا..

حتى لقد قال له صحابته، رضوان الله عليهم:

ـ يا رسول الله، إنك تداعبنا!

ـ فقال: إى، إنى وإن داعبتكم لا أقول إلا حقا.. [رواه الترمذى والإمام أحمد]

• وفى صفاته وشمائله ـ من حديث على بن أبى طالب ـ: «كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخُلق، ليّن الجانب»..

• ومن حديث عبدالله بن الحارث بن جزء: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ» [رواه الترمذى والإمام أحمد]..

كان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه، وتعجُّبا مما تحدثوا به، وخلطا لنفسه بهم.

• وكان ﷺ يرى اللعب المباح ولا يكرهه.. ولقد أفسح لفرقة من الأحباش تلعب وترقص ـ تزفِن ـ وتغنى بمسجد المدينة، وسأل زوجه عائشة ـ رضى الله عنها ـ إن كانت تشتهى أن تشاهدهم، وتستمتع بألعابهم ورقصاتهم وأغنياتهم، فوقفت خلفه وخدها على خده ـ [فى منظر إنسانى رقيق] ـ حتى اكتفت وانصرفت عنهم.. وعندما دخل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ المسجد، وهمّ بنهر الأحباش، أوقفه رسول الله ﷺ وشجّع الأحباش على مواصلة اللعب.. قائلا:

ـ «دونكم بنى أرفدة.. لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة، وأنى أرسلتُ بحنيفية سمحة» (رواه مسلم)

• ومن حديث جابر بن سمرة: أن صحابة رسول الله ﷺ «كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم، ولا يزجرهم إلا عن حرام» [رواه مسلم]

• ومن حديث عبدالله بن مسعود: «ولربما ضحك ﷺ حتى تبدو نواجزه» [متفق عليه].

• ومن حديث كعب بن مالك كان ﷺ: «إذا سُرّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر» [رواه البخارى ومسلم]

• ومن حديث أنس بن مالك: «أن النبى

كان من أفكه الناس مع نسائه».

• ولقد روت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت: كان عندى رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة فصنعتُ حريرة، وجئت به، فقلت لسودة:

ـ كلى..

ـ فقالت: لا أحبه..

ـ فقلتُ: والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك..

ـ فقالت: ما أنا بذائقته..

فأخذتُ بيدى من الصفحة شيئا منه، فلطّختُ به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بينى وبينها، فخفض رسول الله ركبتيه



لتستقيد منى، فتناولتْ من الصفحة شيئا، فمسحت به وجهى، وجعل رسول الله يضحك» (رواه أبويعلى).

• وعن عائشة رضى الله عنها: «سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته، فلما حملتُ اللحم سابقنى فسبقنى، وقال: «هذه بتلك» [رواه أبوداود والإمام أحمد].

• وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن الضحاك بن سفيان الكلابى، كان رجلا دميما قبيحا، فلما بايعه النبى ﷺ، قال:

ـ إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء ـ [وكانت عائشة حاضرة،] قبل أن تنزل آية الحجاب ـ أفلا أنزل لك ـ يا رسول الله ـ عن إحداهما فتتزوجها؟..

فقالت عائشة:

ـ أهى أحسن أم أنت؟!..

ـ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم..

فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه ـ لأنه كان دميما. [رواه الدارقطنى].

• وعن الحسن: أتت عجوز إلى النبى ﷺ فسألته أن يدعو الله لها بالجنة، فقال:

ـ «لا يدخل الجنة عجوز» فبكت، فقال:

ـ «إنك لست بعجوز يومئذ» قال الله تعالى:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾

[الواقعة ـ ٣٥]

والحديث رواه الترمذى.

• وعن زيد بن أسلم قال: إن امرأة يقال لها أم أيمن، جاءت إلى النبى ﷺ فقالت:

ـ إن زوجى يدعوك..

ـ فقال لها: «من هو؟ أهو الذى فى عينه بياض»؟..

ـ قالت: والله ما بعينه بياض..

ـ فقال: «بلى، إن بعينه بياضا»..

ـ قالت: لا، والله.

ـ فقال: «ما من أحد إلا وبعينه بياض»..

• وجاءت امرأة أخرى إلى رسول الله ﷺ فقالت:

ـ يا رسول الله، احملنى على بعير..

ـ فقال: «بل نحملك على ابن البعير»..

ـ فقالت: ما أصنع به؟!.. إنه لا يحملنى..

ـ فقال: «ما من بعير إلا وهو ابن بعير»..

• ومن حديث أنس بن مالك: كان لأبى طلحة ابن يقال له أبوعمير. وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول:

ـ «يا أبا عمير، ما فعل النُغَير»؟..

ـ والنُغَير: فرخ العصفور، كان يلعب

به الغلام [متفق عليه]

● ومن رواية زيد بن أسلم، عن خوات بن جبير الأنصارى، أن خوات كان جالسا إلى نسوة من بنى كعب، بطريق مكة، فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال:

- «يا أبا عبدالله، مالك مع النسوة»؟!..

- فقال: يفتلن ضفيراً لجمل لى شرود..

قال: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته، ثم عاد، فقال:

- «يا أبا عبدالله، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد»؟!..

قال: فسكتُ واستحييتُ. وكنتُ بعد ذلك أتفرَّر منه كلما رأيته حياء منه، حتى قدمتُ المدينة، فرآنى فى المسجد يوما أصلى، فجلس إلىّ، فطولتُ، فقال:

- «لا تُطوِّل، فإنى أنتظرك»..

فلما سلّمتُ قال:

- «يا أبا عبدالله، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد»؟!..

قال: فسكتُ واستحييتُ، فقام، وكنتُ بعد ذلك أتفرَّر منه، حتى لحقنى يوما، وهو على حمار، وقد جعل رجليه فى شق واحد، فقال:

- «يا أبا عبدالله، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد»؟!..

فقلت: والذى بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت. فقال:

- «الله أكبر، الله أكبر، اللهم اهد أبا عبدالله»..

قال -الراوى- فحسن إسلامه وهداه الله» [رواه الطبرانى فى الكبير]

● وروى أن نعيمان الأنصارى كان رجلاً مزّاحا.. وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طُرفة إلا اشترى منها، ثم أتى بها إلى النبى ﷺ فيقول:

- يا رسول الله، هذا قد اشتريته لك، وأهديته لك. فإذا جاء صاحبها يتقاضاه الثمن، جاء به إلى النبى، وقال:

- يا رسول الله أعطه ثمن متاعه. فيقول له الرسول ﷺ:

- ألم تهده إلينا؟!

فيقول: يا رسول الله، إنه لم يكن عندى ثمنه، وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبى ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه» (ذكره الزبير بن بكار.. ونقله ابن عبدالبر).

● وعن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلنى يوما لحاجة. فقلت: والله! لا أذهب. وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبى الله. فخرجت حتى أمرَّ على الصبيان وهم يلعبون فى السوق. فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاى من ورائى، فنظرتُ إليه وهو يضحك فقال:

- «يا أنيس، أذهبتَ حيث أمرتك»؟!

قال: قلتُ: نعم، وأنا أذهب يا رسول الله» [رواه مسلم].

● ● ●

تلك نماذج وإشارات من سيرة المصطفى ﷺ وصفاته وشمائله، ومن سنته القولية والفعلية، مع أهله.. ومع صحابته -من الرجال والنساء- شاهدة على هذا البعد الأصيل فى المنهاج النبوى، والذى يجهله أو يتجاهله الكثيرون، وذلك عندما يحسبون الإسلام خشونة وتجهما، وعندما يريدون من النموذج الإسلامى ومن رجالات العلم الدينى أن يكونوا نماذج للصرامة والتخويف، وكأنهم المرادون بقول الله، سبحانه وتعالى:

﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾

[الزمر: ١٦]

غافلين أو متغافلين عن الصورة القرآنية لنموذج القدوة والأسوة:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

[آل عمران: ١٥٩]

بل وحتى مع الأعداء، أمر الله، -سبحانه وتعالى-، صاحب الخلق العظيم برفق التدافع مع هؤلاء الأعداء- ناهيا عن عنف الصراع- لأن هذا المنهاج هو السبيل لتأليف القلوب وإحداث التحولات فى هذه القلوب

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾

[المؤمنون: ٩٦]

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾

[فصلت: ٣٣، ٣٤]

لقد كان ﷺ نموذجا للإنسان الكامل.. العابد المتبتل.. والفارس المقاتل.. والرحيم الرفيق.. والغاضب لحرمات الله وحدود الله.. والباش الهاش المداعب والمفاكه لأهله وأصحابه بالملح والطرائف والنكات وصولا إلى مفاتيح القلوب، وفقه النفوس والعقول، لتحقيق سعادة الإنسان فى هذه الحياة وفيما وراء هذه الحياة..

وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن الأقرع بن حابس أبصر رسول الله ﷺ يلاعب ويداعب الحسن بن على -رضى الله عنهما- فيريه لسانه، ويقبله، فكأنما استغرب الأقرع بن حابس ذلك من رسول الله، فقال:

- إن لى عشرة من الولد ما قبلتُ واحدا منهم.

فقال -ﷺ-: «من لا يرحم لا يُرحم» [رواه مسلم].

ففى البشاشة.. والدعابة.. والمزاح.. والملح.. والطرائف -إذا استقامت، وأعانت على تهذيب القلوب وتجديد الملكات وتأليف النفوس -رحمة، يكتبها الرحمن فى حسنات الرحماء.

خطبة الجمعة :

الرسول الشهيد

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله ـ تبارك وتعالى ـ هو القاضي بما شاء، والفعال لما يريد، وربك يخلق ما يشاء ويختار، أحمده ـ سبحانه ـ وأشهد أن لا إله إلا الله يحاسب على الفتيل والقطمير، وكفى بالله حسيبا، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، خير من شهد لله وشهد على عباد الله، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وذريته، والفائزين بشرف صحبته، والسائرين على دربه وطريقته

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

[البقرة:١٥٧]

يا أتباع محمد ﷺ:

هناك موقف للنبي المصطفى ﷺ يتطلع إليه المؤمن متذكرا معتبرا، ويقف إماما خاشعا شاعرا بالإجلال والرهبة، مستعرضا عنده ما عمرت به حياة الرسول من جلائل الأعمال، وما احتمله في سبيل الله من المتاعب والأثقال، وما أعده له من مكانة وشرف تتقاصر عنه همم الرجال والأبطال، وهذا الموقف كان للرسول الأعظم ﷺ مع عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ولعله من الخير أن نعرف هنا لمحة عن هذا الصحابي الجليل، فقد أسلم مبكرا في صدر الإسلام حتى قال «رأيتني سادس ما على الأرض مسلم غيرنا»، وهو صاحب الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وشهد مع الرسول غزوات بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان



وسائر المشاهد، وشهد له الرسول بالجنة، وكان كثير الدخول على الرسول، وروى عنه أكثر من ثمانمائة حديث، وكان مقدما في القرآن والفقه والفتوى والعلم، وكان أحد أربعة يؤخذ منهم القرآن، وكان يقول: «والله الذي لا إله غيره، ما في كتاب الله سورة إلا أنا أعلم أين نزلت، وما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحدا هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه»، وكان إذا نامت العيون قام يرتل القرآن فيكون له دوي كدوي النحل حتى يصبح، ولقد مرض ابن مسعود فعاده عثمان ـ رضي الله عنه ـ وسأله: ما تشتكي؟ قال ذنوبي، فقال: ما تشتهي؟، قال: رحمة ربي، فقال: ألا آمر لك بطبيب؟، قال: الطبيب أمرضني، فقال: ألا آمر لك بعطاء، قال: لا حاجة لي فيه، فقال: يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفقر، إني أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا».

بكاء النبي ﷺ

هذه لمحة عن ابن مسعود، ومنها تفهم أنه كان كثير الترتيل للقرآن، حلو النبرات عذب الصوت، وإنه لكثير الدخول على الرسول، والرسول يحبه ويميل إليه، وقد كان الرسول يحب أن يسمع القرآن من غيره، فطالما رتله لغيره، وطالما تلاه في الصلاة وفي المناجاة وعلى أسماع أبناء الحياة، ولكنه يحب أن يسمعه من سواه، ليرى كيف يسري القرآن من القلوب إلى الشفاه، وهنا يأتي الموقف، فقد روى أن الرسول قال لابن مسعود: اقرأ عليَّ، فقال: أقرأ عليك وعليك أنزل؟، قال النبي: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأ عليه ابن مسعود سورة النساء، حتى رتل ما يزيد على أربعين آية، وبلغ قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

[النساء:٤١]

وهنا قال له الرسول: أمسك، حسبك الآن، ورفع ابن مسعود رأسه، فإذا النبي يبكي، وإذا عيناه تذرفان، ورأى ابن مسعود دموعه تسيل، حتى أخضلت وجنتاه ﷺ، وإذا هو يقول: «يا رب، هذا شهدت على من أنا بين أظهرهم، فكيف بمن لم أرهم»؟ ويروى أنه قال: «شهيد عليهم مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد».

المحاسب رقيب مقتدر

ومعنى الآية الكريمة فى إيجاز شديد هو: كيف يكون حال هؤلاء الكفار يوم القيامة، أو كيف يكون حال الأمة كلها، حين لقاء الله ـ جل جلاله، وعز شأنه ـ إذا جمعنا الخلائق من هنا وهناك وهنالك، وجاء فى طليعة كل أمة رسولها يشهد عليها ويتحدث عنها وعما فعلت وتصرفت وجئنا بك يا خاتم النبيين وإمام المرسلين شهيدا على هؤلاء؟ ماذا يكون مصيرهم وجزاؤهم؟ أيكونون معذبين أم منعمين؟ أيكونون فائزين أم خاسرين؟ إنهم لن يفروا مما عملوا، فالحساب دقيق، والمحاسب رقيب مقتدر، وكل كبير وصغير مستطر، فلن يضيع شىء، ولن ينسى شىء:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

[الكهف: ٤٩]

إلا أن الموقف عصيب والحساب ثقيل، والأوزار ضخمة، والجرائم ثابتة، فياويلهم ماذا يكون مصيرهم؟

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

[النساء: ٤٢]

وهذه هى الآية التى جاءت مباشرة بعد آخر آية سمعها الرسول من ابن مسعود وبكى عندها كما رأينا، فأهل الكفر والضلال والإثم يتمنون لو انشقت الأرض وبلعتهم فى أعماق أعماقها أو لو جعلهم الله والأرض سواء، فأصبحوا ترابا من ترابها، أو لو لم يبعثهم الله ـ جل جلاله ـ وظلت الأرض فوقهم مستوية على قبورهم بدل بعثهم لهذا اليوم العصيب الرهيب، وذلك كله من شدة الخزى وعظم الفضيحة وثقل العذاب:

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) ﴾

[عبس: ٣٤ / ٤٢]

فسحقا لهم وبئس المصير.

ولقد قال أهل التفسير إن بكاء الرسول الأكرم ﷺ إنما كان لشدة تأثره بمعانى القرآن وروعته، ولما تضمنته هذه الآية الجليلة من تصوير هول المطلع وشدة الأمر ورهبة الحساب، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق أو التكذيب، ويؤتى بخاتم النبيين يوم القيامة شاهدا على هؤلاء، فيا لجلال التبعة، ويالدقة الإحساس من الرسول بهذا الواجب الجليل، بل هذا سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول:



«ما من يوم إلا تعرض على النبى ﷺ أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، يقول الله ـ تبارك وتعالى:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

[النساء: ٤١]

وهذا القول من ابن المسيب يرينا كيف تتضاعف التبعات والمسئوليات على كاهل الرسول وهو بها خبير ناهض وعليها خير أمين.

يا أتباع محمد ﷺ:

حبنا لرسول الله ﷺ

● إن حبنا لرسول الله ﷺ ألوان وأنواع، إنا نحبه لما حباه الله من فضائل وجلائل:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

● ونحبه لما هدانا الله به على يديه من دلائل الخير وأسباب التوفيق

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٤٥، ٤٦]

● ونحبه لما احتمله فى سبيل الله من متاعب ومصاعب، وما قدمه فى سبيل الله من جهود وأعمال:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[الحجر: ٩٤]

● ونحبه لأن الله قد أكرمنا على يديه بأن جعلنا أمة وسطا شاهدة وجعله لنا شهيدا

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

[البقرة: ١٤٣]

والمرجو من الله أن تكون شهادة لنا لا علينا، وأن تبيض وجوهنا يوم القيامة:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٧]

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

❊❊❊





من وحى ذكرى المـــولد النبوى الشريف

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى

يُعَرف علماء الكلام (التوحيد) المعجزة بأنها: «الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله - سبحانه وتعالى - على يد النبى تصديقاً له فى دعواه، كما يعرفون الإرهاصات - وهى ما يظهر قبل مجىء النبى بدعوى النبوة - بأنها أمور خارقة للعادة - غير مألوفة - يبديها الله - سبحانه وتعالى - فى كونه وبين خلقه، توطئة ومقدمة بين يدى نبى سوف يبعثه الله.

ويمكن فى ضوء ما سبق أن نفسر بعض أحداث التاريخ وحوادث الأيام تفسيراً يتناسب مع ما سبق فى هذه التعريفات، ومادام الله - سبحانه وتعالى - هو الذى يرسل الرسول، كما قال - تعالى -:

﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾

[النساء / ١٦٥]

يبعثهم تفضلاً منه ورحمة وكذلك هو الذى يظهر المعجزة على يد النبى، كما أنه - سبحانه وتعالى - هو الذى يخلق حوادث التاريخ ويوجدها تمهيداً لظهور نبى يُبْعث، فما بالنا والإنسانية تستقبل أشرف وأكمل مخلوق ومبعوث للناس رحمة وللعالمين هداية، كما أن الدنيا قد استشرفت وتطلعت إلى رسالة السماء، تنقذ الإنسانية من وهدة الانحدار الحيوانى الذى سقطت فى حمأته إنسانية الإنسان، فجاءت الرسالة المحمدية لتنقذ الإنسانية، وما أحسن قول الشاعر معبراً عن هذا الاستشراف إلى المنقذ الهادى، حيث يقول:

لما تطلعت الدنيا لخالقها
تشكو له ما تعانيه من الغِيَر
أغاثها بابن عبدالله ينقذها
بشرعه وينجيها من الخطر
فجاء بالنور والإسلام ينشره
بين البريّة نشر الغيث والمطر

ومن حوادث التاريخ التى تدخل فى مفهوم - أو إطار - الإرهاصات والمقدمات لبعثة النبى ﷺ، ما وقع يوم مولده ﷺ مما هو مشهور وثابت فى التاريخ ومؤيد بكتاب الله - تعالى - الحكيم وهو حادثة الفيل حينما صدّ الله أبرهة وجيشه عن بيت الله الحرام وما ذاك فى تصورى إلا أن الله - سبحانه وتعالى - حَمَى نبيه ودافع عن البيت الحرام ودافع عن أهل مكة وحفظهم مما يحدث فى مثل هذه الحوادث على مرّ التاريخ من قتل للرجال المقاتلين الذين يحملون السلاح وسبى واسترقاق للنساء والصبيان، فكيف نتصور ما يمكن أن يفعله الغازى والنبى ﷺ حمل مُسْتكن فى بطن السيدة آمنة بنت وهب؟. ألم يكن محتملاً أن تقع أمه ﷺ مثل أخريات أسيرة مسترقة - حاشا لله - فى يد الغازى المعتدى الغشوم؟. لذلك وحماية لها من هذا المستقبل المهين وإكرامًا له ﷺ، حَمَى الله - سبحانه وتعالى - بيتهُ الحرام وهزم أبرهة شر هزيمة ليكون عبرة لمن يعتبر.

وفى ضوء هذا التدبير الإلهى المحكم نستطيع أن نفهم وأن نتقبل الحوار الذى دار بين عبدالمطلب - جَد النبى ﷺ - وبين أبرهة الغازى المعتدى، ومجمل الحوار - كما رواه التاريخ - أن عبدالمطلب لما أخذ أبرهة إبلَهُ، جاءه عبدالمطلب يسأل عن إبلِه مطالبًا بها ودار الحوار التالى:

أبرهة يقول فى تهكم ظاهر



واستخفاف واضح: يا عبدالمطلب لقد أكبرتك حين رأيتك لكنك نقصت فى نظرى عما كنت حين تكلمت.

عبدالمطلب يرد: ولماذا؟.

أبرهة فى غرور وصلف: كيف تسأل عن إبلك وتترك بيتك ـ يقصد البيت الحرام ـ وأنت تعلم أنى ما جئت إلا لهدم البيت؟.

عبدالمطلب يرد، وكأنه يقرأ سطور الغيب سطّرها الله أمامه، وكأنه يرى تجلى القدرة الإلهية، يقول فى يقين واعٍ: أما الإبل فهى لى، وأما البيت فله ربٌ يحميه.

الله... الله... ما أروع ما قلت يا عبدالمطلب يا أصل ويا نسل السلالة الطيبة، ويا من حويت بين جنبيك نور النبوّة الذى انحدر من يوم آدم حتى وصل إليك ومنك إلى عبدالله ولدك، رأته امرأة ساقطة دعت عبدالله إلى ما تدعو إليه كل امرأة وما تشتهيه كل أنثى من رجل كريم.. رأت نورًا يتلألأ فى جبينه يعجز دهاقين اليوم الذين أعماهم سُعار العولمة الغاشمة عن أن يروا بصيصًا من الضوء فى صاحب الرسالة محمد ﷺ، فباتوا وأصبحوا وقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، ولهم عذابٌ عظيم...

ولقد حمى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بيته وأرسل جنوده على هيئة مخلوق ضعيف لعله يوقظ الغافلين فى سكرة القوة، التائهين فى ضلال الأوثان إلى يوم الناس هذا، ولعلّ المؤمنين أتباع سيدنا رسول الله ﷺ يخلصون لله ولرسوله ولا يخشون فى الدفاع عن دينه لومة لائم، ولا يطلبون من أحد نُصرة ولا معونة، أو مالاً مهما كثر، أو قل ولا يرجون ولا يخافون إلا الله ـ سبحانه ـ ولن تفلح قوة الطُغيان ولا أمواله أن تغير من أمر الله شيئًا...

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال/ ٣٦]

وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين....

إن ما يحدث اليوم من استهزاء وسخرية بسيد الخلق، ليس إلا تطبيقًا عمليًا لسُنَّة من سُنن الله فى خلقه، وهى اختبار ذوى الإيمان، وامتحان الصابرين المجاهدين المخلصين لله ولرسوله ﷺ



﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[الأنفال/ ٣٧]

إذن هو اختبار مدى صلابة المؤمنين وثباتهم فإنهم على الحق، يقول الله:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

[البقرة/ ٢١٤]

ولقد سجل الله ـ سبحانه وتعالى ـ واقعة أبرهة وهزيمته المُنكرة بطير سماه طيرًا أبابيل، حيث قال فى سورة سماها باسم الفيل يقول ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾

[سورة الفيل]

وصدق الله، حيث يقول ـ سبحانه:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

[المدثر/ ٣١]

فهل يدرك العالم اليوم المؤمنون منهم والملحدون ما يجتاح العالم اليوم من أوبئة تدمر ـ من حيث لا يراها أحد ـ الماشية والطيور وتترك الإنسان عاجزًا يرتعد فى رعب وذعر لكنه لا يفيق، وليته يلتجئ إلى الله فيرفع عنه البلاء، وما ذاك إلا لفساد الإنسان وإفساده ما حوله، فلقد ارتقى فى العلم، لكن نفسه وقلبه مازالتا فى ظلمات الضلال، وصدق الله حيث يقول ـ سبحانه وتعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[الروم/ ٤١]

• قلت لصاحبى: أليس فيما فهمناه وسقناه عن واقعة الفيل وجواب عبدالمطلب لأبرهة ما يليق ويوافق الفهم السليم لسيرة رسول الله ﷺ وسُنَّة الله فى كونه ومع أنبيائه ورسله؟.

•• قال صاحبى فى ترحيب مشوب بحذر بالغ: بلى!!

• قلت مغتبطًا بترحيب صاحبى، واستجابته، معرضًا عما بدر من حذره: ألا يمكننا أن نفهم قصة رضاعته ﷺ فى بنى سعد عند حليمة السعدية على هذا




النحو السامى الطيب المشرق؟. ثم أردفت: كم أكره أن نتناولها هذا التناول السطحى الساذج!!! إنه يؤلمنى ويؤرقنى وأحس من خلاله كأننا نسيء إلى نبينا ﷺ ولم نصل بعد إلى تأمل آيات الله وعبره فى كونه الواسع الفسيح.

●● قال صاحبى: هل نغير التاريخ؟.. أو نحرف وقائع حدثت أو نشكك فيما قد حدث وقد كان... فنحكي غير الذى حدث ونروى غير الذى كان؟.

● قلت على الفور: لا نغير، ولا نحرف، ولا نشكك... فتاريخ الإسلام وسيرة النبى ﷺ كتبت بأمانة وسجلت كما حدثت، لأنها دين. فحياته ﷺ منهل عذب رائق صاف ليس فيه ما يعكر صفوه أو ما يحملنا على التشكيك والتبرير.. إن سيرته ﷺ تعطر التاريخ وحياته ﷺ مثال يحتذى وقدوة ونبراس هداية علينا أن نترسم خطاه.

●● قال صاحبى: إذاً ماذا تريد؟.. وما الذى تحب أن تفعله بالتاريخ؟. وبما قد حدث وقد كان؟.

● قلت: مهلاً يا صاحبى إننى أقول لك وللناس: إن التاريخ الإسلامى والقرآن كله نقى صادق نظيف.

●● قال صاحبي: إذاً ما هو المطلوب؟.

● قلت - فى جد وأنا آمل أن تكون كلماتى مشاعل ضوء تهدى الأجيال، ومعاول تهدم أصنام الجاهلين والمزورين: المطلوب أن نفهم التاريخ بصدق ونستوعبه بيقين.. ثم نعرضه بوعى.

●● قال: كيف؟.

● قلت: يزعجنى أن نقرأ فى السيرة كأننا مغيبون أو نائمون، ما روى أن حليمة السعدية قالت وهى تصف ركب المرضعات لما قدمن مكة يبتغين أطفالاً رُضَّعًا.. قالت: فوالله ما علمت امرأة منا إلا وقد عُرض عليها محمد رسول الله ﷺ.. فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم.. إلى آخر القصة. أنا أرفض هذا القول جُملة وتفصيلاً، وأرفض هذا التعليل الأبله.. ولكنى... لا أُكذِّب الرواية.. ولا أُنكر التاريخ، وكل ما عندى أنى استوعبت كلام رسول الله ﷺ حيث قال: «مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأحسنها إلا موضع لَبِنَة فجعل الناس يطوفون بالبيت ويقولون ما أحسن هذا البيت وما أجمله إلا موضع هذه اللَّبِنَة، فأنا اللَّبِنَة»(١).. فبه ﷺ أَكْمَلَ البناء، فهل يُعْقَل أن هذه اللَّبِنَة المكملة للبناء الإلهى والمُجْمِلَة لسلسلة الأنبياء المكرمين أن يُعْرَض فتأباه المراضع؟. كلا

وألف كلا.. لكنى أقول إن الله - سبحانه وتعالى - ادَّخر محمداً ﷺ لحليمة واصطفاها له بحالها، حيث لم تلوثها طبائع الغِنَى والشبع.. ادخرها الله حتى يظهر - سبحانه - بحالها الذى وصفته بعض ما حَبَا به محمداً ﷺ وكما يقول العارفون بالله: «إذا أراد الله شيئاً هيأ له الأسباب».

فى ضوء هذه الكلمة المشرقة أفهم ما حدث.. حيث إن حليمة السعدية تصف حالها حين قدمت على آتان هزيل مع المراضع إلى مكة.. تقول: ومعى صبى ولنا ناقة.. والله ما تبض بقطرة لبن.. وما ننام ليلنا كله من بكاء صبينا.. لا يجد فى ناقتنا ولا فى ثديى ما يكفيه، وبعد أن أخذتُ الصبى على كُره منها حتى تبدل حالها، فقالت: فلما وضعته فى حجرى.. أقبل عليه ثدياى بما شاء الله من لبن فشرب ﷺ حتى روى.. ثم شرب أخوه - ولدها - ثم قام زوجى إلى ناقتنا وإنها حافلة باللبن فحلب فشرب وشربتُ حتى انتهينا..

تقول حليمة تصف هذه الليلة - ليلة الخير والبركة - فبتنا والله بخير ليلة. وقال زوجها - وقد أدرك بعض ما حل بهم -: والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة - أى نفساً طيبة - ألم ترى إلى ما بتنا فيه من الخير والبركة حين أخذناه؟. قالت: والله إنى لأرجو ذلك.

● قلت لصاحبى - وقد أبصرت عينيه قد فاضت خشوعاً لما ذكرت -: أليس ذلك أنسب لمقام النبوة وأليق من أن نقول إنه يتيم تركته المراضع؟.

ثم أردفت مؤكداً أن التاريخ الإسلامى كله نقى صادق نظيف كُتب بأمانة.. وعلينا أن نفهمه بصدق، ونستوعبه بيقين ونعرضه بوعى، حتى ترد عنه جهل الجاهلين، وسفه المبطلين المزورين.

***



حاجة البشرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

للدكتور/ حمدى فتوح والى

مرت بالبشرية أزمات غابت فيها الشرائع الإلهية، والضوابط الأخلاقية والثوابت الشرعية، وضعف منطق العقل، وساد منطق العضلات والأنياب، فازداد الفقير فقرا، والضعيف ضعفا، كما ازداد القوى قوة وازداد الغنى غنى. ولم يعد يسمع فى الأرض إلا منطق المخلب والناب. كان ذلك كله فى الفترة التى سبقت بعثة الرسول ﷺ.

وبالرغم من وجود دين سماوى فى الأرض وقتها، وهو الدين النصرانى فإن الأرض بلغت حدا من الشقاء والعناء، جاوز كل حد، وفاق كل التصورات فقد أصيبت النصرانية بحادثة خطيرة أعجزتها عن أن تقدم للأرض منهجا حاكما، أو شريعة هادية.

«ففى سنة ٣٠٥م اعتلت النصرانية عرش «رومة» الوثنية. وكان ذلك بجلوس «قسطنطين» على سرير الأباطرة، فانتصرت فيه النصرانية على الوثنية، ونالت فجأة ما لم تكن تحلم به، من ملك عريض ودولة مترامية الأطراف، وكلمة لا تعلوها كلمة.

ولما كان قسطنطين إنما توصل إلى الملك على جسر من أشلاء النصارى، وأنهار من دمائهم التى أريقت فى الذب عنه، والانتصار له، فقد عرف لهم الجميل، وبذل لهم وجهه، ووطأ لهم أكنافه، وقلدهم مفاتيح ملكه.

ولكن انتصر النصارى فى ساحة القتال وانهزموا فى معترك الأديان، فقد ربحوا ملكا عظيما، وخسروا دينا جليلا، لأن الوثنية الرومية مسخت دين المسيح، ومسخه أهله، وكان أكثر مسخا له وتحريفا هو قسطنطين الكبير حامى ذمار النصرانية



ورافع لوائها».(١)

يقول «ول ديورانت» فى كتابه «قصة الحضارة».

«ولما أن فتحت المسيحية رومة انتقل إلى الدين الجديد بناء الدين الوثنى القديم، فانتقل إليه لقب: الحبر الأعظم وعبادة: الأم العظمى، وعدد لا يحصى من الأرباب التى بثت الراحة والطمأنينة فى النفوس، والإحساس بوجود كائنات فى كل مكان لاتدركها الحواس وبهجة الأعياد القديمة، والمظاهر الخلابة للمواكب القديمة التى لا يعرف الإنسان بدايتها، نقول: إن هذه كلها انتقلت إلى المسيحية كما ينتقل دم الأم إلى ولدها وأسرت رومة الأسيرة التى فاتحها».(٢)

وخاب أمل أهل الأرض فى النصرانية التى تخلت عن رسالتها وتنازلت عن ثوابتها ورضيت بالوثنية بديلا، وتحول رجال الكنيسة إلى رموز معزولة عن واقع الحياة، بعد أن شاعت بينهم المقولة المعروفة «اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله». وظهر جليا بأن قيصر هو المسيطر على كل شئ. وأن الله عند الوثنية لم يعد له أدنى سلطان على حياة الناس، وهكذا تحولت الدولة الرومية إلى قوة وثنية جبارة. وزاد خطرها عندما ملكت زمام الأرض بانتصارها على الدولة الفارسية المجوسية، التى كانت تشكل نوعا من التوازن بين القوى.

ولم تكن فارس بعبادتها للنار أسعد حظا من وثنية الروم، بل كانت أشقى وأنكى، فالنار لا توحى إلى عبادها شريعة ولا ترسل رسولا، ولا تعاقب العصاة والمجرمين؛ وبهذا ترك الناس لأهوائهم شأن المشركين فى كل زمان ومكان.

فقدت الأرض ربانها

وبدا واضحا أن الأرض كلها فقدت ربانها، وغاب عنها النور الذى يهدى، والحادى الذى يرشد إلى سواء السبيل وباتت البشرية تنشد خلاصها، وتنتظر منقذها، إلى أذن الله للأرض بالسعادة، وللبشرية بالخلاص، فبعث إليها محمدا ﷺ فكانت بعثته فتحا للأرض كلها، وإنقاذا للبشرية بأسرها ورحمة للعاملين.

يقول د. بيرون فى المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الخامس الذى عقده بمدينة أوسلو فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٩م.

«إن ظهور الإسلام كان خاتمة العصور القديمة، وبداية إيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة، حيث بدأت أوروبا

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبوالحسن الندوى ص٢٣٧ مؤسسة الرسالة.

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت المجلد السادس ص٤١٨ ترجمة محمد بدران.

الغربية مدينة جديدة وحياة جديدة، يجب معها اعتبار هذا الحادث العظيم هو بداية عصر جديد».

وقول الأستاذ أبوالحسن الندوى مصورا حالة المجتمع البشرى عند بعثة الرسول ﷺ: «بعث محمد بن عبدالله ﷺ والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزا عنيفا فإذا كل شيء فيه في غير محله، نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنسانا قد هانت عليه إنسانيته، رآه يسجد للحجر والشجر، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضرر.

رأى معاقرة الخمر إلى حد الإدمان، والخلاعة والفجور إلى حد الاستهتار وتعاطى الربا إلى حد الاغتصاب واستلاب الأموال.

ورأى الطمع وشهوة المال إلى حد الجشع والنهامة، ورأى القسوة والظلم إلى حد وأد البنات وقتل الأولاد.

رأى ملوكا اتخذوا بلاد الله دولا، ورأى أحبارا ورهبانا أصبحوا أربابا من دون الله، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، رأى المواهب البشرية ضائعة أو زائفة لم ينتفع بها، ولم توجه التوجيه الصحيح، فعادت وبالا على أصحابها وعلى الإنسانية.


ابو الحسن الندوى

رأى الشجاعة تحولت همجية وفتكا، والجود تبذيرا وإسرافا، والأنفة حمية جاهلية والذكاء شطارة [٣] وخديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات والتفنن فى الشهوات [٤] ولأنه كان رسولا نبيا، ولم يكن مصلحا اجتماعيا، أو قائدا عسكريا أو حاكما سياسيا. فقد هدى بإذن ربه إلى مفتاح قفل الطبيعة البشرية لقد علم صلوات الله وسلامه عليه أن القلب هو سيد الجوارح، وأدرك بهداية الله له، أن هداية الإنسان تبدأ من قلبه، فهو صلوات الله وسلامه عليه القائل: «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» [٥].

والقلب المقصود هنا هو باطن الإنسان وكيانه الروحي ووجدانه الخفى فبدأ معهم بالقرآن المكى يرقق به مشاعرهم ويحيى به ضمائرهم. ويهز به كيانهم ويعمق به

(٣) شطارة اى قطعا للطريق

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ ابوالحسن الندوى ص١١٥ مؤسسة الرسالة.

(٥) مسند الإمام احمد ٤/ ٢٧٠.

يقينهم.

وكانت البداية فى بيت النبوة حيث تلقى الحبيب ﷺ أمر ربه له بالقراءة فكانت إيذانا باتصال السماء بالأرض وبداية لحمل نور الله إلى الناس.

﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

يوم انتصر الإسلام على الجاهلية

وتوالت آيات الله تترى، واستيقظت القلوب والأرواح على مشاهد القيامة ومصارع المكذبين فى سور القرآن المكى يقرع بها آذان الكافرين وينبه بها الغافلين وينذر المشركين ويبشر المؤمنين.

«هذا والرسول ﷺ يغذى أرواحهم بالقرآن، ويربى نفوسهم بالإيمان ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات فى اليوم، عن طهارة بدن، وخشوع قلب، وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون كل يوم سمو روح، ونقاء قلب، ونظافة خلق، وتحررا من سلطان الماديات، ومقاومة للشهوات، ونزوعا إلى رب الأرض والسموات، ويأخذهم بالصفح الجميل والصبر على الأذى وقهر النفس.

ولم يزل صلوات الله وسلامه عليه يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويزكى جمرة قلوبهم ومجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخا فى الدين، وعزوفا عن الشهوات، وتفانيا فى سبيل المرضاة، وحنينا إلى الجنة، وحرصا على العلم وفقها فى الدين ومحاسبة للنفس ويطيعون الرسول فى المنشط والمكره وينفرون فى سبيل الله خفافا وثقالا، قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعا وعشرين مرة فى عشر سنين، وخرجوا بأمره للقاء الأعداء أكثر من مائة مرة فهان عليهم التخلى عن الدنيا وهانت عليهم رزينة أولادهم ونسائهم فى نفوسهم ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه». [٦]

وانتصر الإسلام على الجاهلية فى المعركة الأولى ـ معركة النفس والمشاعر – فكان النصر حليفه فى كل معركة وقد دخلوا فى الإسلام كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم ومشاعرهم، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ولا يجدون فى أنفسهم حرجا مما قضى، ولا يكون لهم الخيرة من أمرهم

(٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ ص١٢٦

بعد أن أمر ونهى.

تلك كانت حالة القلوب التى رباها رسول الله ﷺ فانطلقت بهمة المكلف من خالقه الحامل لدينه المبلغ لرسالته وهم يستشعرون أمانة التبليغ عن الله، ورد قلوب عباده إليه، لا يقعدهم عن أداء مهمتهم جبن أو ضعف ولا يفسد أخلاقهم تلون أو غدر، ولا يشغلهم عن أداء مهمتهم مال ولا بنون

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(النور: ٣٧)

واليوم تعود البشرية مرة أخرى إلى جاهلية جديدة أشد فتكا وأعظم خطرا وأعقد معالجة وأقوى مراسا.

ناجازاكى وهيروشيما.. والجاهلية المعاصرة

فأصحاب الجاهلية الأولى كانوا على قلتهم أعزة وعلى فاقتهم أعفة وعلى جاهليتهم أعلم بالخير أما الجاهلية الجديدة فقد شرح أصحابها بالكفر صدرا وأدركوا أنهم يملكون مفاتيح الكون وأن الأرض كلها ينبغى أن تسمع لهم وأن تنطلق فى تصوراتها كلها من أفكارهم ومبادئهم، فإذا علمت أنهم لا يملكون وحيا إلهيا ولا توجيها ربانيا ولا دينا سماويا، وإنما كل ما لديهم أهواء غلبتها شهوات، وصراعات تفجرها نزاعات، وجشع وطمع يحفز إليهما أنانية كنودة ونفوس حقودة علمت أى نوع من الجاهلية هذه، وأدركت أن الأرض قد وقعت فريسة هذا الحقد الأسود وضحية هذا النهم المسعور.

أما الجاهلية المعاصرة التى بلغت أبعد مدى وصل إليه الإنسان فى التقدم العلمى، هى التى تستخدم الطاقة النووية فى إحداث ألوان من الشر يعجز الإنسان عن تصورها.

ويكفى أن تعلم أن قنبلتى ناجازاكى وهيروشيما اللتين ألقيتا فى الحرب العالمية الثانية على اليابان بضغطة على «زر» فى لحظة حمق أسود وحقد رهيب قد محت عن الوجود مدينتين عامرتين بمئات الآلاف من البشر بل ومحت آثار الحياة كلها من إنسان وحيوان ونبات عن مساحة واسعة حول المدينتين بسبب الإشعاع الذرى الذى مازال إلى هذه اللحظة بعد مرور ستين سنة ينتج أجنة مشوهة تعانى كل ألوان العذاب. ألا ماأتعس هذه الحضارة، وما أشد شقاء من يُبتلى بها، ويتحاكم إليها!!

وما أتعس العالم كله عندما يتغلب على أمره ويستسلم لهذا الغول المخيف منخدعا بهذا الطلاء الخارجى الخادع الذى يسمونه العلم

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾

(الروم: ٣٠)

وإذا كانت الأرض كلها على اختلاف حضاراتها وأجناسها تعانى فراغا روحيا، وغيابا إيمانيا، واكتئابا نفسيا، بسبب انقطاعها عن خالق الكون ومانح الحياة، فإن أمة الإسلام وحدها اليوم هى القادرة على التقدم لأهل الأرض جميعا بالإنقاذ بما اختصها الله به من وحى السماء ورسالة خاتم الأنبياء وشهادة هذه الأمة على أمم الأرض أجمعين.

إن الأرض كلها تنتظر الإسلام ليتقدم للإنقاذ بعد أن أدرك العقلاء من جميع الأمم أن الإسلام هو المنقذ.

الإسلام يحسم النزاع

يقول المستشرق الألمانى (باول شمتز) «سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق الأوسط عودا على بدء، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية فى الصدر الأول للإسلام وستظهر هذه القوة فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها».(٧)

ويقول المستشرق الإنجليزى «هاملتون جب»: «إن الإسلام مازال فى قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة، فليست هناك أى هيئة سواه يمكن أن تنجح مثله نجاحا باهرا فى تأليف الأجناس البشرية المتنافر فى جبهة واحدة أساسها المساواة، فالجامعة الإسلامية العظمى فى أفريقيا والهند وأندونيسيا، بل وتلك الجامعة الصغيرة فى الصين أو اليابان، تبين كلها أن الإسلام مازالت له القدرة على أن يسيطر كلية على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات، فإذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب موضع الدرس فلابد من الالتجاء إلى الإسلام لحسم النزاع»(٨)

ونختم هذا المقال بهذه الشهادة التى يقدمها رجل نصرانى شديد التعصب لنصرانيته هو (ج.هـ.دينسون) فى كتابه (العواطف كأساس للحضارة): «أن شجرة الحضارة البشرية تترنح اليوم وتهتز كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد الرجل الذى وحد العالم جميعه» فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة محمد لتنقذها مرة أخرى».

وما كنا بحاجة إلى شهادة أحد بعد قول ربنا - سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(الصف: ٩)

(٧) الإسلام قوة الغد العالمية - باول شمتز

(٨) صفحات مضيئة من تراث الإسلام - أنور الجندى دار الاعتصام ص ١٥٨

إمام الأنبياء (1)

الشاعر: السيد الصديق حافظ

اهطلي يا سماءُ ودْقًا(2) وبرْقًا   فاض قلبُ الثَّرَى بحبِّك عِشْقًا !

كل ما في الأكوان بالحب يحيا   والعداوات تمحق الحب محقًا !

من يُعادي «محمدًا» أو يُماري   فيه أعمى يرتابُ في الشمسِ حُمْقًا !

ويلَ قومٍ عاشُوا عبيدًا وماتوا   وهْو يرجُو لهم حياةً وعتقًا !

هل خُلقنا لكي نؤلهَ عبدًا ؟!   ليس إلا التوحيدُ عقلاً وذوْقًا !

يا شبابَ الإسلام هاجتْ عليكم   هجْمةُ الكُفْرِ تحلقُ الدِّينَ حَلْقًا !

قد وقفتم ما بين موتٍ وذُلٍّ !   جاهدوهم فالموتُ لا يُتوقَّى(3) !

سوفَ يفني الأعداءُ عنّا ونَبْقى   أهلَ دينٍ لا نَشْربُ الماءَ رَنْقًا(4) !

أينَ جيشٌ على وضُوءٍ يُصلِّي   في سَواءِ الميدانِ(5) والقومُ غَرْقَى

من جيوشٍ لهم طباعُ وحُوشٍ   تقتُلُ الأبرياءَ صعْقًا وحرْقًا ؟!

قد نسُوا اللهَ والحسابَ فضلّوا   واستباحوا الشهْواتِ قهرًا ورِقًّا !

ها هم البِيضُ(6) أشعلوا الأرض حِقدًا   يُحشَرُ المجرمون للنارِ زُرْقًا !

(1) فازت هذه القصيدة بجائزة من نادي القصيد بالمرج، ومطلع القصيدة محور المسابقة كتبه الدكتور إبراهيم صبري رئيس النادي:
سيد الرسل كيف بالشعر نرقى .. مَن يوفيك يامحمدٌ حقا؟!.

(2) الودق: المطر.   (3) الموت لا يتوقى : لا يمكن الفرار منه إذا جاء.

(4) رنقا : كدرا [لا نشرب الماء رنْقًا كناية عن العزة والسيادة.

(5) سواء الميدان : وسط الميدان - إشارة إلى صلاة الخوف في القتال.

(6) البيض : الجنس الذي يزعم لنفسه السيادة والتفوق.

ليس «عيسى» وليس «موسى» دعاهم   للذى أجرموا فبُعْدًا وسُحْقًا !

***

يا نبيَّ الهُدى عليك صلاةٌ   وسلامٌ ما قدّرَ اللهُ رِزقًا !!

يا حبيبَ الرحمن حَقًّا وصِدْقًا   حسبُك اللهُ وهْو خيرٌ وأبقى !

أنتَ من نوره خلاقًا(7) وخَلْقًا   يا رحيمًا يفيض لطفًا ورفقًا !

فُقْتَ إخوانك النبيين فوْقًا(8)   لم يدانوك في سمائك أفقًا !

يا إمامًا على ثرى «القدس» صلى   وارتقى معراجًا إلى الله يرقى !

سدرةُ المنتهَى إليها انتهاءٌ   يا لتلك الأنوار تبرقُ برقًا !

والنبي الأمين يسبح سَبْحًا   في بحارٍ من الجلال ويُسْقَى !

خاشعًا ثابت الجنان حَيِيًّا   ولسان التسبيح ما كل نطقًا !

بصرٌ لا يزيغُ يُمْنى ويُسْرى   مطرقٌ ما طغَى وإن فاض شوقًا !

والتحايا لله تزجي فيلقى   من لدنه السلامَ ريّانَ طلقًا !

واجتباه بكل حسنى ونُعمى   وتلقَّى من فضله ما تلقَّى !!

آه ! لم ينس أمةً من دعاءٍ   يبتغيها أتقى وأرقى وأنقى !!

أمةٌ ترفع الأذانَ وتُعْلي   ذكرَه في الأنام غربًا وشرقًا !

تعرف الفضل للنبيين حتى   لا تمارى ولا تغالى فتشقى !

أمةً وسْطى لم تؤلهْ نبيًّا   أو تبادرْ بالقتل جحدًا وعقًّا !

أمتي يا خير البرايا عطايا   أنت أرقى الأقوام أصلاً وعِرقًا !

هاشمي نبيُّنا عربي   قرشي كالبدر حُسْنًا وعِتْقًا !

يا نبي الهدى عليك صلاةٌ   وسلامٌ ما أبدع الله خَلْقًا !

(7) خلاقا : خلقا وتأتي بمعنى نصيب وحظ.   (8) فاق فوقا : علا علوا.

كالبدر حسنا وعتقاً : جمالا ووضاءةً وتألقا.

فى مدرسة النبوة:



للأستاذ الدكتور/ على أحمد الخطيب

ونعنى بالسكينة «الإلهام» الذى تجلبه «الاستخارة» فيكون بشرى بزوال القلق والشك، واحلال الطمأنينة والاستقرار النفسى رضا بقضاء الله، فإنها أى الاستخارة من قصد التوكل على الله والثقة فى قضائه.

ولقد كان رسول الله ﷺ .. يعلمها المسلمين، فيحفظونها كما يحفظ أحدنا الفاتحة من كتاب الله الكريم.

ويمارس المؤمن، وتمارس المؤمنة «الاستخارة» حين يعرض له، أو يعرض لها أمر، لا يدرى، ولا تدرى: أمن الخير فعله، أم من الخير تركه؟. فحينئذ عليه، وعليها أداء الاستخارة، فإن فيها إلهاما برسالة من الله ـ تعالى ـ تفصل فيه ما انطوى عليه هذا الأمر من خير أو شر، فإن كان خيرا قدم عليه مطمئنا، وإن كان شرا ابتعد عنه.

ولأداء الاستخارة يتوضأ طالبها ـ رجلاً كان أو امرأة ـ ثم يصلى ركعتين، ثم عقب سلامه منهما يدعو بهما، وهو متوجه إلى القبلة على نفس الحال التى سلم عليها فى صلاته.

روى الإمام البخارى ـ بسنده عن جابر ابن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة

فى الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول:

«إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين (من غير الفريضة) ثم يقول: اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.

اللهم، إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال: «فى عاجل أمرى وآجله»، فاقْدُرْهُ لى ويَسِّرْهُ لى[1]، ثم بارك لى فيه.

وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لى فى دينى ومعاشى، وعاقبة أمرى أو قال: «فى عاجل أمرى وآجله»، فاصْرِفْهُ عنى واصرفنى عنه، واقْدُرْ لى الخير حيث كان ثم رَضِّنِى به.

قال: ويسمى حاجته»[2].

وأوقات صلاة الاستخارة اليوم والليلة، إلا ثلاثة أوقات تحرم فيها الصلاة، ووقتان تُكره فيهما ذلك:

أنه لما كانت صلاة الاستخارة نافلة، فلا تُصَلَّى عقب شروق الشمس بربع ساعة، ولا قبل غروبها بربع ساعة، ولا قبل أذان الظهر بدقيقة.

فهذه أوقات ثلاثة تحرم فيها النافلة.

ووقتا الكراهة هما: عقب صلاة الفجر حتى تحل النافلة، وعقب صلاة العصر.

وسُنَّة الاستخارة ركعتان، فإن أحب المستخير أكثر فلا بأس شريطة أن يسلم لكل ركعتين، حتى يتحقق لها ـ بصورة دائمة ـ وقوعها عقب ركعتين.

واستحب ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ بعد استقرائه للقراءة فى الركعتين أن يصلى الأولى بالفاتحة وقوله تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص: ٦٨ ـ ٧٠)

ثم يليها بسورة:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

(١) كذا فى رواية صحيحة بزيادة (ويسره لى...) إلخ. صحيح البخارى ٢/ ٣٠٧، ٣٠٨ إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط الثالثة ١٤١٦هـ.

(٢) صحيح البخارى ـ الدعوات ١٠/ ١١٢ وللبخارى روايتان غير هذه إحداهما بالتهجد والأخرى بالتوحيد.

ويقرأ بعد الفاتحة في الثانية:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

(الأحزاب: ٣٦ - ٧٠)

ثم يقرأ بعدها سورة [الإخلاص][٣]

فأما دعاء الاستخارة، وقد تقدم نصه، فيقع من المستخير، أو من المستخيرة عقب صلاة الركعتين أو فيهما، ويتأتى ذلك في السجود والتشهد، فهما محل الدعاء داخل الصلاة[٤].

وأما «الأمرُ» الذي كان من أجله أداء صلاة الاستخارة، ودفَع المؤمن أو المؤمنة لأن تستخير؛ فهو - عموماً - أمرٌ هام، وهو - في نفس الوقت - مُبْهَمٌ لا يدري المؤمن أو المؤمنة ما يترتب على أدائه من خير أو شر؛ كما لا يعلم - أيضاً - ما يترتب على تركه من خير أو شر.

ولهذا «الأمر» احتياط ينبغي أن يراعيهُ المؤمن، وتراعيهُ المؤمنة قبل أداء الصلاة من أجل الاستخارة، فما هذا «الاحتياط».

قال العلماء: إنه لن يظهر للمستخير، ومثله - تماماً - المستخيرة نتيجة صادقة من استخارته إذا تمكن من قلبه - ابتداء - ميلٌ لهذا الأمر وقويت له عزيمته، أو العكس، بمعنى قوى عنده ابتداء نيةُ الصرف عنه.

جاء - في فتح الباري - شرح صحيح البخاري - لابن حجر:

قوله - أي قول رسول الله ﷺ: «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين» يُشير إلى أول ما يرد على القلب «يستخير»، أي يستخير عندئذ «فيظهر له ببركة الصلاة والدعاء ما هو خير».

«بخلاف ما إذا تمكن الأمر عنده، وقويت فيه عزيمته وإرادته فإنه يصير إليه ميل وحب فيُخْشَى أن يخفى عنه وَجْهُ الأرْشَدية لغلبة ميله إليه.أ.هـ ...

والمعتمد أنه لا يفعل ما ينشرح به صدره مما كان له فيه هوًى قوى قبل الاستخارة.أ.هـ[٥].

فأما ذكرُ «الأمر» نفسه في دعائه؛ فقد نُصَّ عليه في حديث صحيح رواه الإمام البخاري - رضي الله عنه - بسنده إلى سيدنا جابر - رضي الله عنه - فقال: عن رسول الله ﷺ:

(٣) انظر لابن حجر - فتح الباري ١١/١٥٧.

(٤) انظر لابن حجر - فتح الباري ١١/١٥٧.

(٥) راجع لابن حجر - فتح الباري ١١/١٥٦، ١٥٩.



إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: «أي بعد أداء الركعتين»: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم، فإن كنت تعلم هذا الأمر، ثم يُسَمِّيه بعينه...» الحديث.[٦]

إذاً مكان تسمية الأمر الذي من أجله كانت الاستخارة هي هذا المكان عقب قول المستخير: «اللهم إن كنت تعلم...».

بأن يقول - «مثلاً» - أو تقول:

اللهم إن كنت تعلم أن سفري لهذه التجارة خيرٌ لي... إلخ أو:

اللهم إن كنت تعلم أن زواجي بفلان أو فلانة خير لي... إلخ.

قال العلماء:

فإذا فاته ذكر الأمر في موقعه هذا من الدعاء فَقَالَهُ عقب الصلاة أجزأ وصَحَّ.

وعند شرح قوله ﷺ:

«اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر»... إلخ، وقد بيَّنا - والحمد لله تعالى - متى يذكر الأمر قال ابن حجر:

«ومظاهر سياقه أن ينطق به «أي ينطق بهذا الأمر أثناء دعائه» ويحتمل أن يكتفي باستحضاره بقلبه عند الدعاء.أ.هـ[٧].

ولا استخارة في أمر واجب أو مستحب كما لا استخارة في حرام أو مكروه[٨].

ثم ماذا بعد الاستخارة؟. قال الإمام النووي:

«وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره» والله أعلم[٩].أ.هـ.

أي يفعل بعد الاستخارة ما مال إليه قلبه من فعل أو ترك معتمداً على الله - عز وجل - ففي ذلك كل التوفيق، والله - عز وجل - المستعان اللطيف لما يشاء.

***

(٦) صحيح البخاري ١١/١٣١.

(٧) ابن حجر - فتح الباري ١١/١٥٨.

(٨) نفس المرجع ١١/١٥٦.

ويعني ذلك الا يستخير في: هل يحج أو لا؟. لكن يستخير في: هل يحج بالطائرة او بالسفينة...

(٩) الإمام محيي الدين ابوزكريا النووي - الأذكار ص١٨٦، نشر أولاد الشيخ للتراث.

مواقف إسلامية

ليس دفاعا عن الرسول ﷺ

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الله - عز وجل -: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٦١ - ٦٣)

قال لى تلميذى الفتى:

بعد هذه الحملة الظالم أهلها.. على مقام رسول الله ﷺ، ماذا أنت قائل لنا اليوم؟

قلت:

أولا: سجلوا إحساسى العميق بخيبة الأمل.. حين تهب هذه العاصفة بعدما دعونا بالحكمة والموعظة الحسنة.. وبعدما جادلنا «الآخر» بالتى هى أحسن.. معترفين به صاحبا كريما: معا على الطريق؟!!.

وثانيا: إنها ظاهرة صحية على أية حال.. ورب ضارة نافعة.

إنها خطة المستشرق «زويمر» والذى قرر: أن محاولة التشكيك فى حقيقة من حقائق الإسلام مقضى عليها بالفشل.. ولا سبيل لنا إلا بحملة من السخرية على رموز الإسلام.. فى محاولات مكررة لهز شخصياتهم.. وبالتالى: هز المبادىء التى يدعون إليها.. والتى تأخذ قيمتها من قيمة من يمثلها.. ولا بأس أن تكون الحملة الساخرة مركزة على رسول الإسلام لتكون الضربة موجعة.

العودة إلى القرآن

وإذ يضاهى: خصومنا اليوم قول المفترين من قبل.. فمن المناسب أن نعود إلى القرآن الكريم نستغيثه ففيه التذكير.. فلعلنا أن نفيق لنسدد خطونا على ذات الطريق، يقول - عز وجل -:

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(التوبة: ٦١)

فى سبب نزول الآية يقول المفسرون:

قال ابن عباس - رضى الله عنه -: «إن جماعة من المنافقين ذكروا النبى ﷺ بما لا ينبغى من القول، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغه ما نقول، فقال أحدهم: بل نقول ما شئنا، ثم نذهب إليه، ونحلف أنا ما قلنا، فيقبل قولنا، وإنما محمد أذن سامعة.. فنزلت هذه الآية الكريمة..

وهى صورة من سوء الأدب مع الرسول ﷺ فقد وجدوا من حسن سماحته وإقباله على الناس ولما سمعوا من عذب حديثه ما حرك كامن الحقد فى قلوبهم فرموه بدائهم وهو: أنه سماع لكل قول، يجوز عليه الخداع، ولا يفطن إلى غش القول وزوره، فمن حلف له صدقه، ومن دس عليه قولا.. قبله، يتهمونه فى عقله.

وأما قولهم «أذن».. فهو من تسمية الإنسان باسم الجارحة للمبالغة فى وصفه بوظيفتها وهو: كثرة السمع لما يقال، وتصديقه، كأنه كله أذن سامعة.. وهذا من فرط حقدهم عليه، وهو من أخطر العيوب لدى صناع القرار من القادة والزعماء لما يترتب عليه من الخداع.. فيعلوا الخامل، ويهبط العامل.

ولقد كانت الآية الكريمة من أسلوب الحكيم: من حيث موافقتهم أولا على قولهم.. ثم يتبعه بما ينقضه ويبطله ليقلب عليهم مرادهم.. ويلحظ المفسرون هنا: أن ذلك أسلوب ناجع حاسم فهو أولا: إطماع لهم بموافقتهم.. لكنه يكر عليهم بحسم طمعهم، باليأس «ولا شىء أقطع لحجة الخصم من الإطماع ثم يتلوه اليأس ويعقبه» أ. هـ.

والمعنى: إنه فعلا «أذن» ولكنه «أذن خير»: يصدّق بالله وبوحيه تصديقا بالغا حدّ اليقين.. اليقين الثابت الذى لا يتزعزع، ثم بهذا الخير الذى وافى البشرية على يديه.. ثم هو واثق بالمؤمنين - منكم ومن غيركم -



فيطمئن إليهم.. لأنه لا يعرف الالتواء، ولا تلوّن الحرباء، ولو كان كذلك لعاجلكم بالعقوبة فور سماعه اتهامكم.. ولكنه كان معكم متسامحا وهو بهذا رحمة لمن آمن، ممن هو بإيمانه مرشح للثقة به.. أما ما تضمرونه من اتهامه ﷺ بالسطحية.. وخفة العقل فهو داؤكم الذى تحاولون حقا رميه به.. ثم تنسلّون وتلك هى الجريمة التى لن تمر بلا عقاب، وعقابها: عذاب أليم.. ومن هذا العذاب: ما تحسونه من تمزق حين تظهرون ما لا تضمرون أما نحن: فلا يهمنا ما تفترون.. وما تشتمون لأن ذلك أمارة تفوقنا على ما قيل ففى السماء نجوم لا عداد لها وليس يخسف إلا الشمس والقمر.

وعندئذ قال التلميذ لشيخه:

هذا عن الآية الحادية والستين.. فماذا عن الآية بعدها؟

قال الشيخ: يقول الله – عز وجل –:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة: ٦٢)

لأن المنافقين لا يتحملون مسئولية الحق.. فهم يتلوّنون فرارا من الصراحة والمواجهة، والتى تناقض فطرهم الملتوية.. ومن أجل ذلك فهم يحاولون إرضاء من حولهم من الناس بمعسول القول.. طلبا للأمان.. يفعلون ذلك ولو كان ذلك خصما من كرامتهم وعزتهم.. إن كانت لهم من العزة بقايا، وكان عليهم أن ينظروا إلى بعيد.. فلا يقفون عند مجرد إرضاء الناس.. وإنما يتجاوزون ذلك الأفق القريب ليكون مبتغاهم رضاء الله ورسوله.. لأن رضا الناس غاية لا تدرك، وهو مطلب تافه حقير.. وذلك ما يشير إليه قوله – عز وجل:

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾

يقول صاحب الظلال: «ماذا يكون الناس؟ وماذا تبلغ قوّتهم؟ ولكن الذى لا يؤمن بالله عادة ولا يعنوا له.. يعنوا لإنسان مثله ويخشاه، ولقد كان خيرا أن يعنوا لله الذى يتساوى أمامه الجميع، ولا يذل من يخضع له، إنما يذل من يخضع لعباده».

والسؤال الآن.. لماذا يحلفون سبيلا إلى الرضا؟.

إن أحساسهم المتنامى بأنهم كذابون فيما يدّعون.. يحملهم على القسم الكثير.. إسكاتا لأنفسهم التى تكذبهم من داخلهم.. ولئن انطلى حلفهم على المؤمنين.. لأنهم بشر.. فإنه قطعا لا يخفى على خالق هؤلاء البشر – سبحانه – وهو – تعالى – الحقيق بالرضا.

وفى صرف الشك «إنّ» فى قوله – تعالى:

﴿ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

إلقاء ظلال من الشك على ما يدّعونه من أنهم مؤمنون، إذ لو كانوا مؤمنين حقا.. لسعوا إلى مرضاة من يؤمنون به – سبحانه.

وفى الآية الكريمة إشارة إلى أن ذلك ديدن المنافقين فى كل عصر ومصر: يشتمون.. ثم يحلفون تبرئة لأنفسهم، أو يعتذرون.. ثم يعودون لما قالوا.. وقد يصدّقهم السطحيون.. تصديقا لا يمحو من أنفسهم إرادة الإيذاء كلما سنحت فرصة بالإيذاء.

وعلى المؤمنين أيضا أن يكونوا على وعى بهذا العزم المبيت لدى خصومنا.. حتى لا يغتروا باعتذارهم الذى يُخفى إصرارهم.. إصرارهم على شتمنا وفى شخص رسولنا ﷺ.

اما بعد:

إن يشتمونا.. فهذا دورهم.. وهذا قدرنا.. أما أن يرحمونا.. فاللهم لا تجعلنا تحت رحمة أعدائك، وأعدائنا: أعدائك.. الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.. اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك.

وقال التلميذ: وماذا عن الآية الثالثة والستين؟؟

يقول الله – عز وجل –:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ٦٣)

والآية الكريمة تهديد للمنافقين ووعيد.. لأنهم يتجاهلون هذه الحقيقة وهى: أن من يتعدى حدود الله ورسوله فإن مصيره إلى شقوة الأبد فى جهنم.. وهو تهديد فيه رائحة التوبيخ لقوم هم أعداء أنفسهم: فلقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر.. ولكنهم لم يعتبروا ولئن فروا من الخزى الوقتى.. فقد استحقوا الخزى الأبدى.. وفى نار جهنم.. وكأنما تأخذ الآية بحجزهم قائلة لهم: أمّا أن كل إنسان يتحرى مصلحته ويفر مما يضره.. فهذا صحيح.. وأما أنكم حراص على ما يضركم.. فرار مما يصلحكم.. فذلك صحيح أيضا: إن الله – عز وجل – هو: الملك الأعظم والقاهر فوق عباده.. فمن يفعل معه ما يشبه الحرب.. فجزاؤه جنهم خالدا فيها.. ذلك بأنه يواجه: الحصن الذى لا يرام.. والعين التى لا تنام.. والقوة التى لا تضام..

فانى تؤفكون؟!.

وقد يكون المنافقون هنا دولة: دولة قوية غنية.. وقد يحملهم ذلك على الغرور.. اتكالا على ما يحتازون من وسائل الغلب.. وقد ترخى لهم الأقدار من حبالها.. فيحققون نجاحا وقتيا قد يغريهم بأنهم على شىء.. ولكن الرياح تأتيهم بما لا تشتهى السفن.. وإذا بالعزة الكاذبة ممرغة فى نار الجحيم.. بينما المؤمنون هناك فى النعيم المقيم.

إن المنافقين وإن كانت معركتهم مع المؤمنين ظاهرا.. فإن المعركة فى الحقيقة بينهم وبين الله – عز وجل –:

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

«الأنعام: ٣٣»

وخائض هذه المعركة خاسر دنياه وأخراه: فأين قدرة المخلوق من قدرة الخالق؟!!.

وهنا تبدى مظاهر رحمة الله – تعالى –

بعباده: فتحذير المخالفين من هذا العذاب الرهيب رحمة بهم ليقدّروا للرجل قبل الخطو موضعها.. وليحذروا.. حتى لا يسقطوا فى الجحيم.. وقديما قالوا: من أبكانى.. ثم بكى علىّ خير ممن أضحكنى.. ثم فى النهاية ضحك علىّ!، وما بالقدر الأعلى من حاجة إلى تعذيبهم.. ومن أجل ذلك يحذرهم حتى يسدد خطاهم على الطريق:

﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ ﴾

(النساء: ١٤٧)

يقول الله – عز وجل –:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة: ٣٣)

وقلت: قال لى الفتى الغربى: أى هدى هذا الذى تتحدث عنه الآية.. وكيف يكون دين الحق وهو ما أريد له إلا الظهور على كل الأديان.. وما يترتب على ذلك من حروب وأشلاء وضحايا؟

وقلت له: اقرأ الآية قبل هذه الآية مباشرة وهى:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(التوبة: ٣٢)

فقد وجد الإسلام نفسه أمام ناس يريدون أن يطفئوا الشمس: يكيدون له، ويفترون عليه، ويطعنون فيه، وفيمن جاء به.. ويحاولون إخفاءه أو «خنق دعوته، وحصد نبتته»؟؟

وهو المعنى المذكور فى سورة «الصف»:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(الصف: ٨)

وتشير الآية الكريمة إلى أن إرادتهم إطفاء نور الله سوف تستمر فى قابل الأيام: أما محاولاتهم إطفاء نور الله فى الحال فمردود عليه بقوله – عز وجل –:

﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾

أى: متممه فى الحال.. وأما فشل محاولاتهم فى المستقبل فمفهوم من قوله – تعالى:

﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾

وهذا ما أشار إليه المفسرون القائلون: «..فيجتمع منهما إثبات هذا الإتمام فى الحال والاستقبال: فهو النور التام الكامل، الذى لا ينطفئ بالقيل والقال».

وقد أثبتت الأحداث صدق ما تنبأ به القرآن الكريم: فها هم أولاء يشنون الغارة على الرسالة وعلى الرسول فى محاولات مكرورة لإطفاء هذا النور، هذا الدين.. الذى يحاولون تجريده من حق الحياة.. وقد تكفل الحق – سبحانه وتعالى – بإتمام هذا النور بما




أنزل من هدى، من دلائل وما شرع من عمل صالح.. وبهما معا يتم ظهور هذا الدين.. بما يملك من هذه الدلائل.. وما يدعو إليه من قيم وعمل صالح.

وإذن.. فلا يشترط للظهور أن يكون بالسيف والحرب: «فالاستعلاء هنا: بالعلم والحجة أو السيادة والغلبة أو الشرف والمنزلة أو بها كلها، تظهر الرسالة.. أو يظهر الرسول على كل محاولات الافتراء باللسان.. وليس بالسنان.. رغم أنف الحاقدين.. فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض. أجل: يذهب الافتراء جفاء هباء.. والبقاء للأصلح دائما، وإذ يكره المشركون هذه النهاية.. فالمسلم مأمور أن يكون على ما يقول – عز وجل:

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

(الأنعام: ٩١)

وعند هذا الحد.. قال الفتى: ويبقى أن توضح لنا رد ما يحاولون به الدفاع عن أنفسهم تسويغا لهذه الحملة:

أولا: إنه الاحتجاج على ما فى الإسلام من قسوة.. بل وغلظة فى مثل قوله – تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

(التوبة: ٧٣)، (التحريم: ٩)

فى سلسلة الكشف عن فضائح المنافقين وافتراءاتهم، وما صاحب ذلك من نصح وإرشاد بالحسنى.. تجىء هذه الآية الكريمة فيما يشبه إعلان الحرب على من رفضوا السلام.. فلعلهم أن يخافوا.. فيتوقف مسلسل الاتهام، والصدام.. وهذا المعنى الذى قصد إليه الشاعر القائل:

فقسا ليزدجروا.. ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر.. ولكنهم لم يعتبروا.. فكان لابد من هذا التخويف الذى قد يكف بأسهم.

والآية الكريمة: تأمره ﷺ وكما يقرر المفسرون- بمواجهة كل بما يناسبه: فالكافرون معالنون بالكفر.. فلا يناسبهم إلا السيف.. كفاء مصارحتهم بالكفر، أما المنافقون: فهم يسترون كفرهم باللسان.. ومتى كان أمرهم كذلك.. فلا تجوز محاربتهم وإنما: باليد تارة.. وتارة باللسان.. أو تكشير الوجه.. طبق مراحل تغيير المنكر المذكورة فى حديث «من رأى منكم منكرا..».

معنى الغلظة

ولا تعنى الغلظة: القسوة أو القهر وإنما تعنى: «لقاء الكافر أو المنافق بوجه منكر: أى: عبوس مقطب» ولقد كان من صفاته ﷺ طلاقة الوجه والبشاشة فى وجوه جميع من يلقاهم، حتى الكفار والمنافقين ولعل هذا اللطف هو الذى جرأهم فقالوا ما قالوا.

فأمر ﷺ بالإقلاع عن ذلك ردعا لهم وترهيبا.. من حيث إن فيه تفويتا لما يرجون



من مصالح.. ولعلهم أن يتوبوا.. وإلا.. فإن مقابلتهم بالإحسان مع إصرارهم على الكفران من شأنه أن يغريهم بمزيد من التآمر.. قد يؤثر في قلوب مخلصة ترى في هذا التكريم إهمالا لها.. وتدليلا لأعدائها.

وعلى أي حال فالمذكور في الآية الكريمة مادة «الجهاد» «جاهد» وليس مادة القتال.. والمعنى: أبذل كل ما في وسعك من جهد.. في مقاومة من يقعدون لك كل مرصد، وعلى قدر ما يبذلون هم من جهد في محاربتك.. وليس من المعقول ولا من المقبول أن ينام صاحب الحقل.. لتعيث فيه الذئاب.

وإذ يشكّل حزب الأعداء دولة تسوّل لها إمكاناتها أن تغلبكم أحيانا ولو بحملات السخرية.. فإن ذلك هو النجاح الموقوت.. والذي يشكل اختبارا لإرادتكم التي يجب أن تنشط في التصدي لما يرمون الحق من سهام.. إرادة التشويش عليه.. والعبرة بالخواتيم، فإن:

﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

فلا مأوى هناك.. إلا جنهم.. وبئس المصير:

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

قال التلميذ:

ولكنهم يقولون: إن هذه الحملة لا تمثل إرادة شعبية.. وتناشدكم محاكمتنا إلى «الموضوعية».

وقلت: إن الموضوعية هي عقيدتنا: فعندما تحدثت الآية عن الشاتمين لم تنسب ذلك إليهم جميعا.. وإنما قالت: «ومنهم». وعلى هذا الأساس: نرفض مدح المادحين.. إذا لم يكن الممدوح هو الرسول أولا.

وهنا أقول: عندما التقى المشركون بالمؤمنين على الجبهة العسكرية.. فوجئوا بما لم يكونوا يتصورون: فوجئوا بالجندي المسلم ينطلق إلى ساحة الوغى.. وفي ليلة عرسه.. وقد يهوى بسيفه على ولده.. أو أبيه.. انتصارا لعقيدة صارت أغلى عنده من لحمة الدم وواشجة القربى.. وإذن.. فهناك في هذه الحياة.. ما هو أعلى من هذه الحياة.. وعندئذ.. قرروا تغيير خطتهم: فلم يعد السلاح الأبيض بقادر على حسم المعركة ولابد من سلاح آخر.. يواجهون به هذا الطراز الفريد من الرجال: فاختاروا الحرب النفسية بديلا عن السلاح.. فلعل وعسى.

لقد قرروا ركوب الموجة المنطلقة بدل أن يواجهوها علانية.. وحتى لا يكونوا من المغرقين: وفي حلقة من هذه السلسلة قال أبوجهل: ما نكذبك يا محمد.. وإنك عندنا لصدّق.. وإنما نكذب ما جئتنا به؟! ومن معاني ذلك: أنه لا خصومة بيننا وبين شخصك.. فأنت عندنا غير متهم.. وإنما الخصومة بيننا وبين ما تدعيه وهو الرسالة التي جئت بها؟!!.

ويعني ذلك أنهم يستهدفون الرسالة التي هي جوهر القضية! ولما كان المطلب عسيرا..



فلا بأس من هذه الرشوة الرخيصة وهي: مدح الرسول ﷺ أولا.. فلعلهم بهذه المغالطة المكشوفة أن يستميلوا قلوب أتباعه.. ثم تخف قبضتهم على العروة الوثقى.. وقد آثروا هذا التناقض على أن يسلموا بالرسالة والرسول معا.. آثروا: أن يجمعوا بين الصدق والكذب في آن!!.

ونزل قوله - عز وجل -:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٣)

وهكذا ينزل الوحي الأعلى كاشفاً عن هذا المكر السيء.. موضحا عمق المؤامرة التي يراد بها وقف المد الزاحف.. إنهم لا يكذبونك يا محمد.. ولكنهم يكذبون الله - سبحانه وتعالى - بجحد آياته التي تأخذ بحجزهم إلى الحق.. والفصل بين الرسالة والرسول منكر من الفعل وزور من القول مرفوض.. واحتيال جديد يفرض عليكم مزيدا من الحذر واليقظة.. في مواجهة إعلام موجّه.. مسموم.

والمعركة مستمرة

وقد تلقى الخلف عن السلف هذه المحاولة الرامية إلى إنكار الرسالة.. وإن بقي الرسول!! فقد خلف من بعدهم خلف حملوا راية التضليل والخداع.. وتولى كبر المعركة الجديدة مستشرقون من أمثال «رودول» والذي قال يضاهيء قول المضلين من قبل: إن محمدا صادق.. ولكن رسالته كاذبة؟!!.

ويبقى أن نتسلح بالذكاء.. أمام أعداء يحاربوننا اليوم بالذكاء!!، وفي يومنا هذا.. بدت هذه المحاولة الماكرة.. والتي يحاول الأسد فيها أن يضحك.. ولكن أنيابه تتحدث عما في أعماقه من غدر واحتيال، وقد أتيح لي أن أقول رأيا.. فكان مما قلت: عصفوران يتناجيان.. يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا «الصياد» كيف اغرورقت عيناه بالدموع.. شفقة علينا؟ فقال له صاحبه وهو يحاوره: انظر إلى ما في يده.. لا إلى ما في عينيه!!، إن هذه الدموع.. دموع التماسيح: يقدمها لنا رشوة يخدعنا بها.. بينما هو في نفس الوقت يمسك بيده السهم الذي يرصدنا.. ثم يحصدنا!!.

ومن مملكة الطير.. إلى مملكة الإنسان، تجد نفس المعنى: فالرجل الذي لا يدين بديننا.. ها هو ذا يمسح دموعه.. وقد تسمعه يمدح في رسولك.. لكنه في نفس الوقت.. وبنفس القوة.. يضرب بيده أساس الإسلام.. إلى الحد الذي لا يكون لمديحه أثر.. بعدما طرح بالأصل بعيدا.

ولقد حدث هذا فعلا.. حين انبرى رمز من رموز الغرب.. يمدح رسولنا ﷺ: ولكنه - ومن وراء ذلك كله - يقول عنه: إنه مدّع.. يريد أن يقول: إنه فعلا: الصادق الأمين.. لكن لحظة الوحي هذه حالة مرضية يقول فيها كلاما لا يعي مغزاه ولا معناه؟!!.

ردود الفعل

وقد اختلفت ردود الفعل لدى المخلصين من الكاتبين المسلمين.. قالت طائفة: لقد مدح الرسول بما لو مدحه مسلم مثلى لما أثر تأثيره.. ولقد أسال دمع الشجون.. وهو يتحدث عن الرسول.. على نحو.. انتقل بنا من التعجب منه.. إلى الإعجاب به!!.

وقالت طائفة: إن ثمانين فى المائة من حديثه مدح فى الإسلام ورسول الإسلام.. ولم يبق من السلبيات إلا عشرون فى المائة فقط.. ومن أجل ذلك فهو معنا.. وليس علينا.

ويحين الوقت لنقول ردا على هذا: أولا:

قل لمن حدد القيود: رويدا
يعرف الحق كيف يفك قيوده!

وثانيا: إن كل دعوات الإصلاح تذهب أدراج الرياح إذا تجاهلت الأصول: والقوم هناك لا يتجاهلون فقط هذه الأصول.. بل يحاولون هدم المعبد على من فيه، وما فيه.

إن همهم الأكبر هناك هو: رفض الرسالة.. والرسول.. معا.. وفى سبيل تحقيق هذه الغاية يحاولون رشوتنا بما يدغدغ عواطفنا حتى لا نشعر بهم وهم يحاولون «تمرير» هذه الفكرة وهى: أن الرسول مدّعٍ.. وليس رسولا.. وفكرة الوحى مرفوضة أساسا!!.

وقد تحايلوا فى سبيل التمكين لهذه الفكرة فى نفوس المسلمين فقالوا:

- محمد: عبقرى
- محمد: بطل

وانطلى هذا الاحتيال على عظماء الرجال.. ناسين أننا لو قلنا معهم: إن محمدا بطل.. بل هو عبقرى.. لانتهى الأمر كما قال أستاذنا «الغمراوى» إلى أن فى الدنيا غير محمد أبطالا.. وعباقرة.. وإذن فليس هناك أحد أولى بالرسالة من أحد.. وهو المطلوب!!.

ونذكر هنا قول الله - عز وجل -:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ ﴾

(الأحزاب: ٤٠)

إنه ﷺ ليس «أبا».. كما وأنه ليس فقط بطلا، ولا عبقريا.. وإنما هو «رسول» ويكفى الاعتراف برسالته.. وأما الإضافات التى يراد بها التعمية سبيلا إلى إبطال الرسالة من أساسها.. فهو المعنى المرفوض.. مرفوض.. لأنه محاولة ذر الرماد فى العيون حتى لا ترى ما يدور خلف الستار!.

ونحن لا نقبل المديح.. الذى يراد به هدم الصحيح.. إنه - إذا كان أجمل صوت فى الدنيا هو صوت إنسان يمدحك - فإن أكمل الأصوات فى حس المؤمن هو صوت إنسان ينصحك!!.

إن قليل النار غير قليل كما يقول المجربون، والذين يبالغون فى المديح.. وفى يدهم معول الهدم.. لا يمدحون فى الواقع.. وإذا بدا مكرهم فى منطق «الحساب» ضئيلا.. فإن قليل النار غير قليل.. بما يترتب على هدم الأصول من آصار.





ومع هذا فإننا «لا نأخذ المجرم بجيرانه» موقنين بأن هناك من يحبنا.. وهناك من يكرهنا.. ولكننا لا نعطى حبّنا إلا لمن يحبنا.. التزاما بقوله - عز وجل -:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾

(الممتحنة: ٨ - ٩)

ومعنى ذلك: أن قوما ليس بيننا وبينهم تجارب مرة.. فلا بأس من أن نبرهم ونحسن إليهم.. أما من كان عدوا لنا.. فلنسقه من نفس الكأس.. والقوم هناك «لا يقاتلوننا» وإنما «يقتلوننا» فعلا بالقلم، وبالسلاح معا: فلنكن منهم على حذر.. وبخاصة أولئك «المداحين» من أمثال الشاعر: «هيجو» و«لامرتين» والذين لم يكونوا أبدا مثل «حسان بن ثابت» و«كعب بن زهير» لأن ابن ثابت وابن زهير كانا يمدحان من يؤمنان برسالته.. صادرين فى ودهما عن عاطفة صادقة..

أما «هيجو» و«لامرتين» فقد كانا يمدحان.. ثم يلعنان من يقول «آمين» وهما بهذا المديح يضاهئون قول من كان قبلهم والذين قالوا لمحمد يوما: اعبد آلهتنا زمنا ونعبد ربك مثله، يريدون الانتهاء إلى الخلاص من فكرة «الدين» جملة.. ومن معانى ذلك: أن هؤلاء «المداحين» ينطلقوا من مقدمة خاطئة وهى: أنه لا وحى.. ولا موحى إليه.. وإذن.. فأين المنهج.. وكيف الوصول بعد نسف الجسور؟! إنها محاولة فاشلة لإخراج «السمك من البحر» ليموت والماء من حوله.. بعدما توقفت فى صدره أنفاس الحياة.. فهل إلى خروج من سبيل؟..

سمكى اليوم بالجفاف قتيل
هل سيجديه ذا العباب قتيلا؟!!

أما بعد

فلم يكن ذلك دفاعا عن الرسول ﷺ.

أولا: لأن موقف الدفاع فيه ضعف.. وهو ﷺ بعيد المنال، سماء ما طاولتها سماء.

وثانيا: لأن الله - عز وجل - قد حسم المعركة بينه وبين شانئيه.. حسمها لصالحه بقوله - تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾

(الحجر: ٩٥)

فالله - عز وجل - يؤكد أنه فى حماية القدر الأعلى فهو - كما يفيد ضمير العظمة - محروس بحفظ الله - سبحانه.

ثم إن قضية حفظه تقررت وتمكنت «كفيناك» كما يفيد التعبير بالفعل الماضى، لقد تكفل الحق - تعالى - بحفظه من كل المستهزئين.. لأنه فى ذمة مولاه وكيف بمن كان فى ذمة مولاه أن تطوله يد البغاة؟!!.

❊❊❊





• ولد الهدى فالكائنات ضياء • ولد الهدى فالكائنات ضياء •

واجب أمتنا فى ذكـــرى المولد النبوى الشريف

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

أشرقت علينا الذكرى العطرة لميلاد خير البرية ﷺ فلم يكن ميلاده ميلاد فرد عادى، ولكن ميلاده كان ميلاد أمة، لأنه صاغ خير أمة أخرجت للناس بتعاليم الوحى الإلهى، وبعثه الله خاتما للأنبياء والمرسلين، حمل أحسن الحديث تبيانا لكل شئ، يهدى للتى هى أقوم متمما لمكارم الأخلاق هاديا ومبشرا ونذيرا وداعياً إلى الله وسراجا منيرا، وتتجاوب أصداء الذكرى فى مشارق الأرض ومغاربها احتفاء بها وعاطفة دينية لا تستطيع أن توقفها اى قوة فى العالم. ومحبة سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ سرت فى دماء الموحدين فكلما أشرقت عليهم تلك الأيام تشرق عليهم بالفرحة والسرور بالغبطة والحبور لأن الفرح بميلاد خير البرية من أعظم النعم.

إن فرحة الموحدين فى الأرض بميلاد خير البرية ﷺ ليس معناها أنهم تناسوه فلم يذكروه إلا فى هذه الأيام كلا. كلا فنحن لن ننساه أبدا ولم ننسه أبدا ولن ننساه أبدا وكيف ينساه أحد من الناس وفى كل صلاة فى كل تشهد نذكره ونقول «نشهد أن لااله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله» كيف ننساه ومآذن الإسلام تردد اسمه فى كل صلاة بل فى كل لحظة، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فاوت بين المواقيت، فبينما هنا الآن الساعة الواحدة ظهرا فى بقاع أخرى الواحدة وخمس دقائق وعشر دقائق وعشرين وساعة أخرى مقدمة وأخرى مؤخرة، أى أن موعد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يتوقف لحظة فى العالمين، ولذلك لما قال رب العزة

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

(الشرح : ٤)

قال: تدرى كيف رفعت ذكرك؟ لا أذكر إلا ذكرت معى ﷺ لا يذكر رب العزة فى شهادة التوحيد إلا ذكر معه خير البرية ﷺ، تصدح مآذن الإسلام على مدى الأوقات كلها وعلى مدى الأيام والليالى جميعها فى كل لحظة تعلن أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله.

من هنا لم ننس هذه الذكرى العطرة ولن ننساها ما حيينا بل إنه حاضر معنا فى كل وقت ويسمعنا وإلا فما كان الله ليشرع لنا فى الصلاة أن نخاطبه ﷺ وأن نسلم عليه ﷺ وأن نقول «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»، السلام عليك بكاف الخطاب لا يكون إلا لمن يتأتى منه وله الخطاب فنحن لا ننساه أبدا لأنه الذى أحيا الله على يديه أمة وأخرج على يديه خير أمة أخرجت للناس.

فلا ريب كلما أشرق علينا ربيع الأول ـ شهر المولد ـ أن يتنافس فيه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ليتدارسوا سيرته العطرة وآدابه الفاضلة وأخلاقه الراقية التى أخرج الناس بها من الظلمات إلى النور والتى هداهم بها الى صراط ربهم المستقيم.

حين أقبلت يا ربيع المكرم ... أقبلت ذكرياتنا تتبسم

تتهادى وافقها يتهادى ... والأمانى أوشكت تتكلم

وحديث الإيمان رف مع الروح ... فاضحى وجودنا يترنم

تلك ذكرى فقف بنا هل رأيتم ... مثل أيامها أجل وأكرم

تلك ذكرى ميلاد خير البرايا ... وعليه صلى الإله وسلم

يفرح المؤمنون بها وحق لهم أن يفرحوا ويتنافسون فى إحياء لياليها وحق لهم أن يتنافسوا، ذلك لأن فى هذه اللقاءات والأحفال والاجتماعات تدارسا لأشرف سيرة فى الوجود لأعظم مخلوق على الإطلاق وأشرف موجود فى الأرض وفى السبع الطباق صلوت الله وسلامه عليه.

لقد أحدث رب العزة سبحانه قبل هذا المولد الشريف إرهاصات لايستطيع إنكارها إلا جحود، ولايستطيع، إغفالها إلا لمن غفل عن حقيقة القرآن.

كانت أولى هذه الإرهاصات أن رد الله سبحانه وتعالى جيش أبرهه. هذا الجيش العرمرم، المدجج بالأسلحة الذى أراد أن



يهدم الكعبة بيديه وراح فيله كلما وجه إلى الكعبة توقف وكلما وجه إلى مكان توجه إلى مكان آخر لكن الرجل أصر على أن يهدم، واستصرخ عبدالمطلب ربه وقال «لا هم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك. ووقفوا على هضاب مكة ينظرون ماذا يفعل، وإذا بالخالق العظيم سبحانه وتعالى يتدخل

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾

(سورة الفيل)

وهزم الله هذا الجيش، وماذا كنا نتصور لو أنه انتصر وفي هذا العام سيولد خير خلق الله ﷺ فهل يقع وتقع بلده ومجتمعه أسرى لدى هذا الكافر الذى يريد هدم الكعبة ووقوع مكة أسيرة فى يديه؟ لا. كان هذا أول إرهاص للميلاد.

و فى عام مولده ﷺ، تصدعت شرفات إيوان كسرى، أربع عشرة شرفة تشير إلى أربعة عشر ملكا في أربع سنين تولى منهم عشرة ثم بقى أربعة حتى انتهت وسقطت العروش المتسلطة سقطت العروش الظالمة الى غير رجعة لتعلن قيام أمة جديدة هى خير أمة أخرجت للناس يعلن ويرفع راية التوحيد فيها أشرف خلق الله سيدنا رسول الله ﷺ.

وغاضت بحيرة ساوه وكانت هذه الإرهاصات لميلاده بل كان ميلاده نفسه آية تتحدث عنها أمه آمنة عندما أخذت حليمة السعدية الرضيع فى بادية بنى سعد وكانت حريصة على أن يبقى معها فى كل مرة إلا أنها جاءت به إلى أمه فعجبت الأم. قالت: ما كانت عادتك هكذا كنت حريصة على أن يبقى معك. فما الذى دفعك؟ أصدقينى قالت رأيت أخويه يخبرانى بأن رجلين جاءاه ففتحا صدره وأخرجا منه شيئا.

قالت: أكنت تخشين عليه الجن ياحليمة؟ أكنت تخشين عليه الشيطان؟:

والله ما للشيطان على ولدى من سبيل لقد رأيت عجبا حين حملته، ما شعرت بما يشعر به النساء من تعب ورأيت عجبا حين ولدته لقد رأيت أنه خرج منى نور أضاءت له قصور قصرى من أرض الشام، والله ما للشيطان على ولدى من سبيل ويأتى هو ليحكى لنا هذا الموقف ويخبرنا أن رجلين يلبسان ثيابا بيضا جاءاه فشقا صدره الشريف وأخرجا منه علقة ولأماه فالتأم ثم قال أحدهما للآخر زنه بعشرة من أمته. قال: فوزننى فرجحتهم. ثم عاد فقال: زنه بمائة من أمته. قال: فوزننى فرجحتهم. قال زنه بألف من أمته. قال: فوزننى فرجحتهم. قال: دعه فو الله لو وزنته بالأمة لرجح ﷺ».

وتقص علينا أنباء السيرة العطرة الموثقة المحققة إلى أى مدى أجرى الله عليه



خوارق العادات كما أجرى قبل ميلاده تلك الإرهاصات فكانت أخته من الرضاع حين تخرج به فى شدة الظهيرة التى لا يحتملها بشر ولا يتعرض لها رجل قوى إلا أهلكته فتراها تقول لها كيف تخرجين بأخيك القرشى فى هذه الشمس المحرقة؟ فتجيب الشيماء: والله يا أماه ما كان للشمس عليه من سبيل لقد كانت غمامة تظله إن مشى مشت وإن وقف وقفت، صلوت الله وسلامه عليك سيدى يارسول، ياصاحب الذكرى العطرة، يامن نعطر حياتنا بسيرتك وآدابك يامن نحن فى أمس الحاجة إلى هذا الخلق النبيل العظيم الذى وصفك رب العزة به، فلم يصفك بقوة ولا بمال ولا بجاه وإنما قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم : ٤)

لو وقف البشر كل البشر منذ كان لهم تاريخ والى أن تنتهى الدنيا ليحاولوا أن يحصروا أخلاقه ما استطاعوا، لقد كان نبيا وآدم منجدل فى طينته، وكما قال: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين.

وصدق من قال:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم يفتح له إغلاق

أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلاق

نعم هذه عظمته كما أنبانا القرآن:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

وتلك المبادئ التى جاء بها أمرنا الله أن نقتدى به فيها:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الاحزاب : ٢١)

فوجب علينا أن نجدد العهد والبيعة والتوبة والأوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وأن نقتدى بصاحب الذكرى امتثالا لأوامره واتباعا لتعاليمه وسيرا على منهاجه حتى نحقق خيريتنا على ظهر الأرض فلن تتحقق خيريتنا على ظهر الأرض إلا باتباع تعاليمه وإلا بالاقتداء بهديه وإلا بالتعطر بسيرته العطرة التى أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقتدى به فيها. واجبنا أن نستجيب لدعوته وهو يدعونا أن نكون أمة واحدة حتى لانكون لقمة سائغة لعدونا وحتى لا يتربص العدو بنا الدوائر. واجبنا فى ذكراه العطرة ألا نتفرق وألا نتشرذم وألا نتعادى وألا يحمل أحدنا الحقد على أخيه وأن نتحاب وأن نتواد أن نتآلف ونتعاطف وأن نكون أمة واحدة، فإن التفرق والتشرذم تصدع فى جدار هذه الأمة هو الذى تسبب فى ضياع الكثير من عظمتها.

إذا زرت بعد البيت قبر محمد
وشاهدت مثوى الأعظم العطرات
ولاح ضياء عند كل ثنية
وفاح أريج عند كل حصاة
فقل لرسول الله يا خير مرسل
أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات
بأيمانهم نوران: ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

وأمامنا مجدنا وعظمتنا، ما جاء به من منهاج يدعونا أن يكون لنا الريادة والقيادة وأن نكون خير أمة أخرجت للناس. أن ننبذ الخلافات والفرقة بيننا كأفراد وأسر ومجتمعات ودول وشعوب وحكاما ومحكومين فيوم أن نكون كذلك يوم أن يفتح الله علينا بركات من السماء والأرض.

عذرا، سيدى رسول الله إذ إقصرنا فى وصفك أو أهملنا بعض تعاليمك، فإننا نتخذ من ذكراك مثابة وأمنا وتوبة إلى الله ورجوعا نصطلح مع الله، نراجع صفحاتنا وماضينا لنسير من جديد بما يرضيك يا سيدى يارسول الله.

عذرا إن قصرنا فى وصفك. فلنبدأ مسيرتنا، فأنت الذى قلت: توبوا إلى الله واستغفروه إنى أتوب إليه فى اليوم سبعين مرة.

صلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله، يا من بعثك الله رحمة للعالمين.

ما أحوج أمتنا فى هذه اللحظات الحاسمة التى خدعت فيها ولعبت بها الأهواء وحاول عدو الله من اليهود أن يعبث بواحد من مقدساتها.

ما أحوجنا ونحن نسترشد بهديك أن نتداعى إلى وحدة قائمة لنحقق بها خيرية هذه الأمة التى دعوتنا إليها والتى حذرتنا ألا نكون متفرقين فى هذه الدنيا حتى لا نصبح قصعة تتداعى عليها أيدى الأعداء «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن. قيل وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

انبذوا حب الدنيا، وكونوا على يد واحدة وعلى قلب رجل واحد فإذا صلحت الرعية صلح رعاتها وإذا صلح الناس صلحت الأمة وكانت بحق

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

***





حاجة الأمة إليه ﷺ

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

يقول المولى عز وجل فى قرآنه الحكيم مخاطبا نبيه المصطفى ﷺ ومؤكدا دوره فى حمل الرسالة الخاتمة تاريخا، والدائمة أبدا:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

(الأحزاب ٤٥، ٤٦)

السراج المنير

والمتأمل المؤمن المستبصر فى هذه الآيات المحكمات يرى أن الله - سبحانه وتعالى - وصف سيدنا محمدا ﷺ بأنه سراج منير، وقد فسر ذلك سبحانه فى بعض الآيات الأخرى حيث بيّن: ما هو السراج، وما هو المنير، ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يفسر بعضه بعضا، وينبغى أن يفسَّر كليًا وليس جزئيًا كما ذكر الداعية العلامة المجتهد الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فى بعض تراثه العريق والعميق، يقول الله جل وعلا عن النور:

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾

(نوح ١٦)




وفي آية محكمة أخرى

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾

(النبأ ١٣)

وهيا نهيم معًا بجوانحنا دون جوارحنا في هذه الأمواج المكثفة من التعبيرات النورانية المقدسة، ولعلنا إذا ربطنا بين هذه النفحات الإلهية القرآنية نستشعر وصف الحق - سبحانه - لنبيه ﷺ بأنه شمس، وأنه قمر، فهو سراج (أي شمس) وهو منير (أي قمر).

وهذا يؤدي إلى اليقين بأن حبيبنا محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته النورانية العظمى في الكون وبصراطه المستقيم، هو النور الحق الذي يضيء للأنام نهاراً كما تفعل الشمس، وليلا كما يفعل القمر، ففعل محمد صلى الله عليه وسلم برسالته هو فعل الشمس والقمر ولمحمد ﷺ المقام المحمود - في هداية المخلوقات (جميعا) وإخراجها من دياجير التخبط والسفه والضلال إلى سواطع اليقين والحكمة والجلال، وذلك على مدار الليل والنهار أي مدار الزمان.

مولد الكون

ومن هذا المنطلق نقول إن بزوغ النور المحمدي الذي شهد له وبه الذكر الحكيم في آفاق الكون ذات ساعة من ساعات التجلي الإلهي كان مولداً للكون من جديد فكان «ربيع» مولده ربيعا للحياة إيذانا بأن هذا الوليد المنتظر الذي بشرت به الكتب السابقة الصادقة، والذي أنجبته بطن مكة بعد مخاض عامر الكم والكيف سيحمل إلى البشرية جمعاء مشعل الوسطية لتكون أمته أمة

محمود شلتوت

وسطا لا تتسلط تسلط الطغاة، ولا تستكين استكانة العبيد المستضعفين كما كان العهد بأسلوب التضاد السائد آنذاك بين قلوب لا تعرف الرحمة وقلوب لا تملك حق الاسترحام.

استلهام السيرة

وما أحرى المسلمين اليوم، وهم يجتازون مرحلة من المراحل الحاسمة من حياتهم، ولعلها أكثر المراحل حسما وحتما أن يستلهموا دائما السيرة المحمدية الحافلة بكل جميل وجليل بما يدعمون به مكانتهم ويثبتون به عقيدتهم حتى يصبحوا جديرين بأن يكونوا بحق أتباعه ﷺ.

والسيرة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، متشعبة المناحي متعددة النواحي، لا يكفي حديث خاطف، ولا عرض سريع لتبيان ما تزخر به من عبقرية روحانية، وعلو ورفعة وسمو، ومنعة، ولقد انسلخ من عمر الزمن - منذ انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى وحتى اليوم - أعوام تقترب من الألف والخمسمائة عام

تحمل على عاتقها الكثير من العبر والغير والحوادث والأحداث وكلها تثبت وتؤكد صدق القرآن العظيم.

كما أنها تزيد المصطفى صلوات المولى وسلامه عليه حينما قال: «أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب وجُعلت الأرض لي مسجدا وتربتها طهورا، وأعطيتُ الشفاعة، وجعلني الله خاتم الأنبياء والمرسلين»[1] فكانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات وكان رسول الإسلام خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا دليل محسوس ملموس على صدق رسالة محمد وصدق نبوته نسوقه إلى أولئك المشككين المتشككين الضالين المضلين الذين عطلوا عقولهم وألغوا تفكيرهم عن قصد أو غير قصد.. إلى هؤلاء الماديين الذين أنكروا إشراق الروح وحاربوا المعنويات وأنكروا الإلهام والوحي ورسالات السماء.. وإلى هؤلاء الذين غرتهم قواهم المادية وعلمهم الدنيوي فجابوا بقذائفهم وصواريخهم آفاق السماء وأطباق الأرض. غرتهم دنياهم وأعمتهم شهواتهم وجنح بهم إدراكهم فانحرفوا وانجرفوا وتجاهلوا - ولم يجهلوا - عقيدة الإسلام التي دعت البصائر والأبصار إلى النظر والتبصر في ملكوت الله.. وفي الكون ومظاهره وظواهره.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(من سورة الأنبياء من آية ٣٠ إلى ٣٣)

وكذلك

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾

(الفرقان ٤٥)

وغير ذلك من الآيات التي يفيض بها القرآن المجيد.

وهؤلاء الذين غرهم علمهم لو أنهم نظروا لوجدوا أن العلم الذي يسمونه (حديثا) يدين في منهجه وطرائق بحثه إلى علماء المسلمين وما خلفت الحضارة الإسلامية من علوم ومكتشفات.

يقول مستشرق منصف: «لقد كان العلم هو من أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية على البشر وعلى العالم الحديث انطلاقا من تعاليم القرآن الكريم وتوجيهات الحديث الشريف، وإن العبقرية التي ولدتها ثقافة

---

(١) من حديث عن جابر (الجامع الصغير للسيوطي)



العرب في الغرب لم تنهض في عنفوانها إلا بعد مضى وقت طويل على توارى تلك الحضارة وراء سحب الغفلة وضباب الغفوة، ولم يكن العلم الإسلامي وحده هو الذى أعاد إلى أوربا دبيب الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية قد ضخت الدماء المستنيرة إلى الحياة الغربية، فعلى الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة فإن هذه المؤثرات تتجلى أوضح ما تكون في نشأة تلك الطاقة التى هى محور العلم الحديث»[٢].

أو كما يقول منصف آخر: «لقد تحقق علماء المسلمين من أن مجرد الأسلوب العقلى النظرى لا يؤدى إلى التقدم وأن الأمل في الكشف عن الحقيقة يجب أن يكون معتمدا على مشاهدة الحوادث ذاتها، ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبى والدستور العلمي الحسى»[٣].

صدق الرسالة وأمانة الرسول

وهناك غير ذلك أدلة ناطقة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وشاهدة على نبوته، وتأمل في ذلك آيات العتاب في القرآن الكريم، فلو كان القرآن من عند غير الله، أو من عند محمد - وحاشاه - كما يقول المفترون والأدعياء لما ارتضى محمد أن يسجل العتاب على نفسه أو أن يوجه إليه، إذ العتاب يثقل الوطأة على النفس الحساسة وعلى الشعور المرهف.. ولما قرأنا في القرآن قوله تعالى:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾

(عبس ١، ٢)

إلى آخر هذه الآيات الكريمة التى سجلت عتاب المولى - عز وجل - على رسوله الكريم.

وإن السيرة المطهرة لحافلةٌ بغير ذلك من الأسانيد التى تشير - بسطوع وجلاء - إلى صدق نبوة سيد الخلق أجمعين ﷺ، ولا نقول إنها دلائل على صدق هذه النبوة، فنبوة محمد ﷺ مستمدة من رب العزة - سبحانه وتعالى - الذى يتعالى وجوده على البرهان والدليل، إذ المؤمن الحق يستشعر وجود ربه ملء بصيرته وقلبه وعقله وكل كيانه.

ومن هنا أيضا جاءت إجابات القرآن الكريم عن أسئلة هواة الجدل العقيم الذين أرادوا الحرج لمحمد ﷺ إجابات مفحمة ملجمة، وتأمل في ذلك آى الذكر الحكيم:

(٢) بريفولت: كتاب «بناء الإنسانية».

(٣) دريبر: كتاب «الصراع بين العلم والدين».

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

(يس ٧٨، ٧٩)

وقوله سبحانه:

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

(الإسراء ٥١)

وغير ذلك من الآيات المحكمات التى تضىء مع غيرها في القرآن الكريم - معجزة محمد الأولى - العقد النورانى في المسيرة المحمدية الكونية لإخراج الكون من الظلمات إلى النور بإذن البارىء - عز وجل - فالتصديق بالله الواحد الأحد هو في نفس الوقت تصديق برسالة محمد التى تبلورت فيها رسالات الأنبياء والمرسلين السابقين جميعا:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾

(البقرة ٢٨٥)

والتى تنتظم في خيط واحد هو حبل الله المتين وهو دين الإسلام الحنيف ولك - بل عليك - أن تتلو القرآن لتعلم كيف أقر الأنبياء والمرسلون جميعا بأنهم مسلمون وقد مهر إمامهم وخاتمهم ﷺ إقرار هؤلاء الأنبياء بخاتمه النبوى الملهم الذى لا ينطق عن الهوى حين صدع بأمر ربه - سبحانه - الذى أرسله إلى (العالمين) جميعا وليس إلى عالم واحد فنفخ الحق - سبحانه - في روحه بآيات تتلى ويتعد بها إلى أن تقوم الساعة:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

أتيتَ والناسُ فوضى

ويصف المفكر الإسلامي الجليل عباس محمود العقاد العالم قبل مولد النبى ﷺ بأنه «كان عالما متداعيا قد شارف النهاية، خلاصة ما يقال فيه أنه عالم فقد العقيدة كما فقد النظام، أى أنه فقد أسباب الطمأنينة في الباطن والظاهر، طمأنينة الباطن التى تنشأ من الركون إلى قوة في الغيب تبسط العدل وتحمى الضعيف وتجزى الظالم وتختار الأصلح والأكمل من جميع الأمور، وطمأنينة الظاهر التى تنشأ من الركون إلى دولة تقضى بالشريعة وتفصل بين البغاة والأبرياء، وتحرس الطريق وتخيف العائثين بالفساد».

كان ذلك هو العالم، وكانت تلك هى أمة العرب في حالة من الاضطراب والتناقض والفوضى والظلم والضياع، تنافر الناس، وتبعثرت القبائل، وتمزقت الأواصر وتحجرت القلوب حتى على فلذات الأكباد فكان وأدهم لفلذاتهم «خشية إملاق»، أو «خوفا من الإملاق»، وماجت بين الناس الفتن والشرور مما جعل

الإنسان يتنكب طريق الحق ويعمى عن سبيل الرشاد، ودلت على هذا سيرهم وأشعارهم وتأمل قول أحدهم:

ومن لم يذُدْ عن حوضه بسلاحه
يُهدَّمْ (ومن لا يظلم الناس يُظلم)

والكلام فى هذا متشعب وطويل حتى يصبح من نافلة القول، دون أن ينفى هذا وجود القلة القليلة النادرة من بعض أصحاب الأخلاق الرشيدة والفطر السديدة من أمثال القائل:

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مثواها

كما أن سيرة «حاتم الطائى» فى باب الكرم شهيرة وجهيرة، ولعل هذا هو ما يوحى به الحديث النبوى الشريف: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وبُعث محمد ﷺ نموذجًا كاملاً متكاملاً من الخلق العظيم والسلوك القويم والقلب الرحيم وغير ذلك مما ينضوى تحت حديثه ﷺ عن نفسه: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» وقول الصديقة «الحميراء» بنت الصديق - رضى الله عنهما - فى أوجز تعبير وأعمق تفسير، وقد سُئلت عن خُلق الرسول الكريم ﷺ. فأجابت «كان خلقه القرآن» فأعظم بالوصف وأعظم بالموصوف.

وهكذا يؤدى بنا تأمل سيرة ومسيرة حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ إلى أن نستشعر حاجتنا إليه قرآنا يمشى على الأرض، ينبه الغافلين ويحث العاملين، ويشعر كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بأن مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو مولد خلق جديد كأنه تم بالأمس وليس من زمن بعيد، وهكذا يقوى التواصل وتشتد الصلة بيننا وبين رسولنا المصطفى الذى جعلنا الله من حوله خير أمة أخرجت للناس، ولنتساءل دون ملل أو كلل: هل نحن فعلاً كذلك؟

إن الحديث عن النبى ﷺ ليس مجرد سرد ذكريات أو خلجات وإنما هو نور ماثل من حولنا وفى أعماقنا، وإن الحب الذى لا يدفع صاحبه إلى التأسى بالحبيب وطاعته والاستجابة له هو وهم من الأوهام لا يرقى حتى إلى مرتبة الأحلام.

فلنجدد معك - يا محمد - العهد، ولنصدق الوعد، فاشدد على أيدينا ليسدد من بعثك بالحق خُطانا ونكون أهلا للأمانة التى حملها الإنسان والمسئولية التى ألقيتها على كواهلنا جبلا بعد جيل حين ارتفع صوتك العظيم بجوار الصخرات الكبار عند سفح جبل الرحمة فى عرفات «ألا هل بلغت اللهم فاشهد». فاللهم أعنا على تحمل تبعات البلاغ.

❊❊❊

الأمثال فى حديثه ﷺ

بقلم: مدير التحرير

اللغة فى أى مكان لازمة من لوازم الإنسان بها يعبر عن مراده وبها يتعامل مع جيرانه وبها يبين ما يدور فى مكنون نفسه قال تعالى:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن/ ١-٤)

«فالله - سبحانه وتعالى - علم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام والمعايش والمنطق»[1].

وقال الإمام البيضاوى: البيان[2] هو التعبير عما فى الضمير وإفهام الغير».

ولقد شاء الله - سبحانه وتعالى - أن تكون اللغة العربية لغة القرآن دستور الدين الخاتم لرسالات السماء إلى الأرض قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف/٢)

«ذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعانى التى تقوم بالنفوس. فلهذا أنزل الله تعالى أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك فى أشرف بقاع الأرض وابتدىء إنزاله فى أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه»[3].

واللغة العربية غنية بالأساليب المختلفة، والأمثال واحدة من هذه الأساليب وفيها من الإيجاز والوضوح ما يرشحها أن تكون أرقى أساليب اللغة لما تحمله ألفاظها القليلة من استغراق شامل للمعنى.

ولأهمية الأمثال فقد ضرب الله كثيرا من الأمثال فى القرآن الكريم لما لها من قوة إقناع وشدة تأثير ومثول مستمر فى الذهن، فتبقى

(١) الطبرى فى تفسير الآيات من سورة الرحمن.

(٢) تفسير البيضاوى.

(٣) راجع تفسير ابن كثير. تفسير سورة يوسف.

مصاحبة للسامع فترة ليست بالقصيرة لتكون مدعاة للتفكير قال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الحشر / ٢١)

ورسول الله ﷺ أفصح العرب بلا منازع وهو القائل «أوتيت جوامع الكلم»[٤]

وقد كان ﷺ يورد فى كلامه الكثير من الأمثال فى تبشيره وتحذيره فى صياغة فخمة خلابة، ولمَ لا وهو ﷺ أفصح العرب.

المثل فى اللغة

المثل: كلمة تسوية، فشىء مثل شىء يعنى يساويه، أى هو مساوٍ له.[٥]

و«المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول»[٦] وعلى ذلك فالأمثال نوعان:

أحدهما: ما يكون فيه تشبيه المعقول بالمحسوس ليصبح أكثر وضوحًا.

والآخر: ما يُطلق على الكلام الموجز الذى تتناقله الألسنة، وهو يمتاز عن الأول بشدة الإيجاز وقد ذكر العسكرى فى جمهرة الأمثال: «أن كل حكمة سائرة تسمى مثلاً».

الشروط الواجب توافرها فى الأمثال

١- سهولة اللفظ:

لما كان القصد من المثل توضيح الصورة إلى السامع فإن أهم شروط المثل أن يخلو من الكلمات الصعبة أو المهجورة أو المذمومة.

٢- حسن التشبيه:

وهو شرط يحتاج إلى فهم وتيقظ ودقة فى اختيار الألفاظ لإصابة المعنى.

٣- إيجاز العبارة:

فالكلمات القليلة أدعى للحفظ، وأيسر على الذاكرة.

وهذا الشرط أشد ارتباطًا بالنوع الثانى الذى تتناقله الألسنة.

الأمثال فى القرآن الكريم

لقد ورد فى القرآن الكريم الكثير من الأمثال نذكر منها من النوع الأول، قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

إبراهيم: ٢٤، ٢٥

ومما ورد من النوع الثانى قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾

المائدة: ٦٤

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

يوسف: ٤١

(٤) مسند الإمام أحمد.

(٥) لسان العرب. لابن منظور.

(٦) مجمع الأمثال. للميداني.

﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾

يوسف: ٥١

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾

الأنعام: ٦٧

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

المدثر: ٣٨

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

الرحمن: ٦٠

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

فاطر: ١٤

الأمثال فى الحديث النبوى

وكذلك الحال فقد وردت كثير من الأمثال فى الحديث الشريف، منها ما جاء يحمل التشبيه الذى قصد منه إيضاح الصورة وجلاء المعنى ومنها ما جاء شديد الإيجاز فجرى على ألسنة الناس:

أ- ما جاء لإظهار الصورة وجلاء المعنى:

● قال رسول الله ﷺ: «مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله ﷺ فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء».[٧]

فهل هناك أوضح من هذه الصورة دلالة على أن النبى إنما جاء متممًا لما سبقه من الديانات؟!

● وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنت تفلتون من يدى».[٨]

ومقصد الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين - بمعاصيهم وشهواتهم فى النار الآخرة وحرصهم على الوقوع فى تلك المخالفات مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم - بتساقط الفراش فى نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساعٍ فى ذلك لجهله.

● وعن ابن بريدة عن أبيه قال: خرج النبى ﷺ ذات يوم ينادى ثلاث مرات فقال:

«أيها الناس! أتدرون ما مثلى ومثلكم قالوا الله ورسوله أعلم قال إنما مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فبينا هم كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم - أراه قال خشية أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه - فأهوى بثوبه أيها الناس أتيتم! أيها الناس أتيتم ثلاث مرات».[٩]

شبه النبى نفسه ﷺ بالرجل وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه.

● وقال رسول الله ﷺ: «استوصوا

(٧) صحيح مسلم - كتاب الفضائل.

(٨) صحيح مسلم كتاب الفضائل جـ٤ ص١٧٩٠.

(٩) مسند الإمام أحمد/ ٢١٨٧٠.



بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء»[10].

والمثل يفيد أن المرأة لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله وقيل: إن المقصود ضرب المثل للطلاق أي إن أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها»[11].

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة»[12].

والمثل يحض على مجالسة الصالحين وألفاظه غاية في السهولة لا تحتاج إلى مزيد بيان.

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر». [13]

والمثل فيه فضيلة قارئ القرآن.

● عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى ذلك من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا».[14]

ووجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره بالماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبا إلا أسقطته.

ب ـ ما جاء شديد الإيجاز.

ولقد وردت بالسنة أحاديث كثيرة شديدة الإيجاز، فحفظها كثير من الناس وجرت على ألسنتهم مجرى المثل السائر نذكر منها قوله ﷺ:

● «إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى».

وقد قاله النبي ﷺ لرجل اجتهد في العبادة حتى هجمت عيناه أي غارتا فلما رآه قال له: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى». [15]

أي الذي يجد في سيره حتى ينبت سماه

(١٠) البخاري أحاديث الأنبياء.

(١١) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(١٢) رواه البخاري.. ويحذيك: يعطيك.

(١٣) صحيح البخاري.

(١٤) صحيح مسلم/ ١٠٧١.

(١٥) سنن البيهقي الكبرى جـ٣ ص١٨.

بما تؤول إليه عاقبته. والظهر هو كل ما يركب ويستعان به في الوصول إلى الهدف يضرب لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه.

وقوله ﷺ:

● «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». [16]

ضرب النبي ﷺ للمكلف مثلا بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان، وعليه مجاهدة النفس ومجاهدة عدو الدين ليربح خيري الدنيا والآخرة». [17]

وقوله ﷺ:

● «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت». [18]

أي أن العاقل المتبصر في الأمور هو من يبصر العاقبة.

وقال رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». [19]

معنى ذلك أن الشيء إما أن يكون أصله التحريم أو الإباحة أو يشك فيه فما كان من شيء بين الحظر والإباحة فالأولى تركه.

وقال ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله». [20]

والمعنى أن الرفق يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده.

وقال ﷺ: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة». [21]

والمعنى أن الصائم يحوز الأجر من غير أن يمسه حرُّ العطش أو يصيبه ألم الجوع من طول النهار.

قال ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن». [22]

والمعنى أن الحكمة ربما تفوّه بها من ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى أهلها فهو أحق بها من قائلها من غير التفات إلى خساسة من وجدها عنده.

فالناس يتفاوتون في فهم المعاني واستنباط الحقائق المحتجبة. [23]

لقد دعاني ذلك إلى مطالعة بعض الأمثال في الآداب الأخرى فوجدت في الإنجليزية

A Friend in need is a Friend indeed

وترجمته «صديقك الحق هو الصديق الذي يقف إلى جانبك في الشدائد».

(١٦) البخاري كتاب الرقاق.

(١٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(١٨) سنن الترمذي.

(١٩) صحيح البخاري/ البيوع

(٢٠) صحيح البخاري.

(٢١) مسند الامام أحمد.

(٢٢) سنن الترمذي.

(٢٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.



ولاشك أن هذا المثال مثال عظيم وبه معانٍ يحتاجها الإنسان!

وعلى هذا المثال علق الأستاذ منير البعلبكي قائلاً: «وردت أقدم صور هذا المثل عام ١٢٧٠ للميلاد على الشكل التالي: الرفيق الأمين هو من يسعفك عند الحاجة.. وقد جاء في بعض آثار الشاعر الإنجليزي ريتشارد بارنفيلد (١٥٧٤ - ١٦٢٧) قوله: «صديقك الحق هو من يهرع إلى معونتك إذا ألمت بك شدة».

أما المثل في صيغته الدارجة اليوم فيرقى إلى عام ١٦٧٨م».(٢٤)

ووقفت أتأمل هذا المثل في صيغه الثلاث والتغيرات التي لحقته والتي دعت الضرورة إليها بلاشك.. منذ عام ١٢٧٠ حتى عام ١٦٧٨م ووجدت حديث رسول الله «المؤمن مرآة أخيه» يقفز إلى ذهني في مقارنة لم أعمد إليها.. فهذا الحديث الكريم جرى مجرى المثل وهو الأقرب لمعنى المثل الإنجليزي الذي بين أيدينا ولكنه أقدم منه بكثير فقد قاله الرسول الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة وهو مازال على بهائه ورونقه.

مرة أخرى، أقول لقد قفزت إلى ذهني هذه المقارنة عن غير عمد لأن حديث رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إذا وضع في مقارنة مع قول البشر فهي بلا شك مقارنة غير متكافئة. ولكني أتساءل:

أليس في هذا الأسلوب النبوي الكريم الذي وصلنا عبر أربعة عشر قرناً من الزمان ومازال على بهائه ورونقه وسهولته - في حين اندثرت نصوص أخرى كثيرة - أليس فيه دليل على نبوته ﷺ.

وبعد.. فهذا هو رسولنا الكريم، النبي الأمي الذي فاق الجميع بلاغة وأدبا وفصاحة هذا نبينا الذي جاء يمحو التفرقة عن كل البشر ويمحو العنصرية من كل الدنيا، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ولا فرق بين أبيض وأحمر فقد أرسله الله إلى الناس كافة.

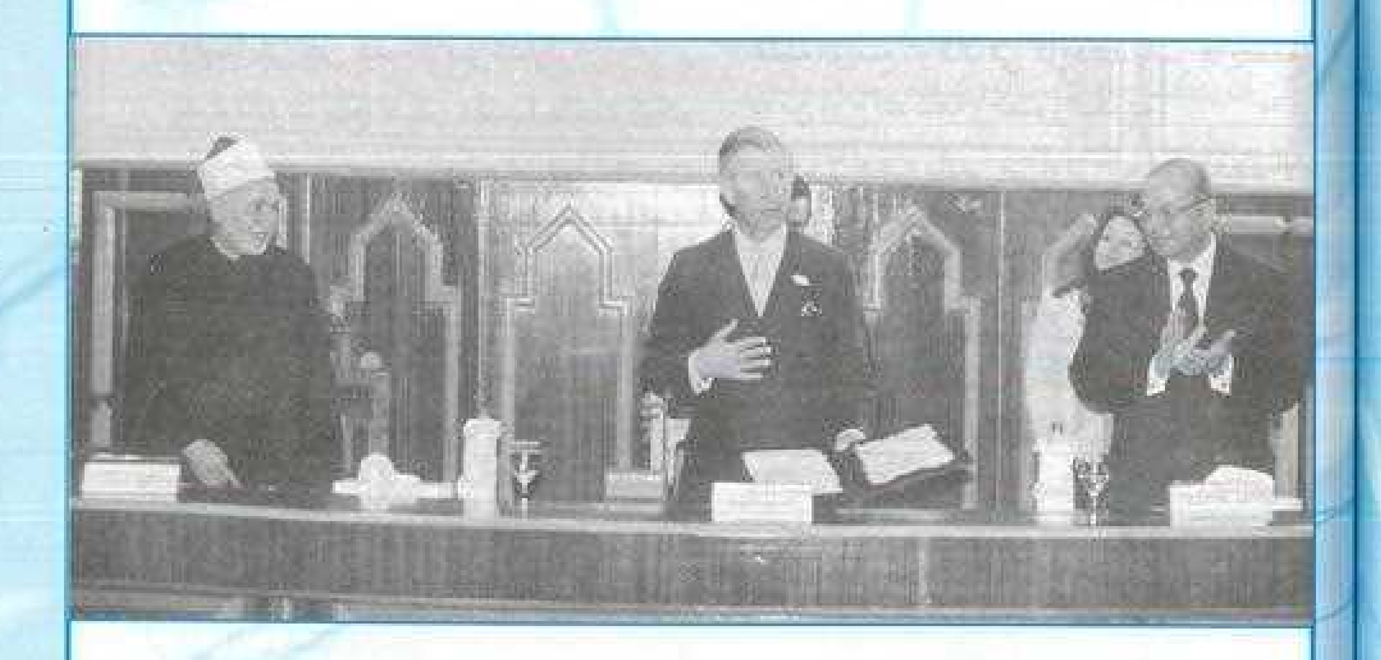
ثم أما بعد

فإن هذه الموضوعات التي قدمتها مجلة الأزهر وشارك فيها عدد من أصحاب الأقلام المخلصة الجادة يتقدمهم فضيلة الإمام الأكبر نقدمها - اعترافا بفضل رسول الله علينا وعلى الإنسانية كافة - للقراء المسلمين الناطقين بالعربية على أمل أن تقدم المجلة ترجمة إنجليزية لها قريبا بمشيئة الله للمسلمين الناطقين بالإنجليزية.

والله ولي التوفيق والسداد

(٢٤) راجع: منير البعلبكي: مصابيح التجربة.. قاموس المورد.

ولي عهد بريطانيا في ضيافة الأزهر الشريف



كلمة الأمير تشارلز

أكد الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا أن المؤمنين بالرسالات السماوية في العالم عليهم واجب مشترك هو الحفاظ على سلامة كل دين لأن ذلك هو الضمان الوحيد ضد سيطرة ثقافة عالمية موحدة أحادية النظرة سواء أكانت دينية أو علمانية.

وقال في كلمته التي ألقاها في قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف علينا أن نتعاون في إيجاد عالم تظهر فيه ثمار الإيمان بما تعنيه من تفاهم وتسامح وتعاطف.

وفيما يلي نص كلمة الأمير تشارلز:

لقد تأثرت بالغ التأثر عندما علمت أنكم قررتم دعوتي لأتحدث إليكم في هذا الصرح الديني والعلمي العتيد والتليد. ولقد أكرمتموني بالغ الإكرام بدعوتكم هذه، كما أنني يشرفني بصورة خاصة أن أزور جامعة الأزهر الشريف وفي الحقيقة أن أزور مصر التي أكن لها محبة خاصة وهي البلد الذي يعتبره الكثيرون بلدا ذا قداسة خاصة إذ كان ملاذا لجأ إليه السيد المسيح في براكير طفولته.

اسمحوا لي أن أبدأ حديثي بذكر محامد الرجل الذي كان أول من شجعني على أن أقبل الدعوة لأتحدث في هذا المكان. إنه صديق عزيز وأحد الذين تخرجوا في هذه الجامعة العريقة، ألا وهو فضيلة الشيخ زكي بدوي، الذي كانت وفاته فجأة في شهر يناير الماضي صدمة هائلة أحزنت العديد من الناس في العالم حزنا عميقا. فقد كان الشيخ زكي بدوي حقا يتصف بالحكمة والمعرفة وبالتواضع الذي هو من شيم العالم الأصيل أدخل رحمه الله الآخرين في رحاب علمه الواسع، وكان في كل ذلك يأسر بما يتمتع به من روح الفكاهة وحضور البديهة.

أنا لا أدعي بأنني من أولي العلم، اللهم إلا إنني درست التاريخ في جامعة كمبريدج ولي اهتمام خاص بالتراث الذي ولدت فيه، وهو تراث إبراهيم الحنيف الذي يجمع اليهود والمسيحيين والمسلمين. فلقد كان لهذا التراث الفضل في تشكيل شخصيتي وتكوين ذاتي. واليوم أقف بينكم واحدا من أولئك الذين ينتمون إلى تلك الأسرة من الأديان التي يربط بينها تراث إبراهيم.

جذور الإيمان.. مشتركة

إن جذور الإيمان في أدياننا جذور مشتركة، فكلنا نؤمن بما آمن به إبراهيم بأن الله إله واحد، وهذا ما يسبغ علينا جميعا قيما ومثلا لا تبلى ولا تزول. علينا أن نتحلى بالشجاعة لنعبّر عن هذه القيم ونؤكدها مرة بعد أخرى في عالم مضطرب بما يشهده من التغيُّرات والاختلافات. وقبل أي شيء آخر، فإن هذا هو ما أود أن أتركه



لكم من حديثي إليكم اليوم أولا، وقبل ما عداه، لنتذكر أسمى القيم في تراثنا المشترك النابعة عن محبة الله، وهي الاحترام الذي يكنه بعضنا لبعض ولكل ما خلقه الله سبحانه وتعالى. فما الاحترام الذي نكنه للخليقة وللبيئة التي نعيش فيها إلا تعبيراً عن الاحترام الذي نكنه للخالق العظيم الذي أوحى بالوجود كله.

ثانيا وتباعا لما سبق، إن معتقداتنا والمبادىء والمثل التي نؤمن بها تدعو إلى إقامة السلام لا إلى الحرب والخصام. فالإنسان مدفوع بحكم طبيعته إلى أن ينتقد أخاه الإنسان ويتنافس معه، ولكن ما يربط بيننا كمؤمنين بالله يدعونا جميعا أن نسمو بأنفسنا إلى تبادل الاحترام والتفاهم.

وثالثا فإن تراث إبراهيم العظيم يعتبر أن مرسى الأديان هو القلب، وهو خارج حدود إدراكات العقل وأحكامه فمهما كانت مكانتنا في المجتمع الإنساني ومهما كانت الامتيازات أو العوائق التي نجدها في قدراتنا ومعارفنا فإننا ننظر إلى حقيقة الإيمان بتلك العين البصيرة، أي «عين القلب»، ويذكرنا النبي موسى عليه السلام بأن القلب هو عرش الإيمان إذ يقول: «فتحب الرب إلهك من كل قلبك» (تثنية ٦ / ٤). وإنني على يقين بأن الأديان السماوية العظمى تخاطب عبر نصوصها المقدسة القلب، فالإيمان بحد ذاته شعور نابع من القلب.

وعلى الرغم من أنني أقدرحق التقدير الروابط التاريخية التي تجمع بين الأديان التي تعود جذورها إلى رسالة النبي إبراهيم عليه السلام، فأنا لا أريدكم أن تظنوا، ولو للحظة واحدة، بأنني أعتبر تلك الأديان كلها متساوية ومتشابهة في كل الأمور. فهناك فوارق علينا أن نعتز بها ونجلها، ولكن لأدياننا في الأمور ذات الأهمية القصوى جذورا مشتركة، وفي نظري أن غاية الله في خلقه لا شك فيها ولا ريب، فقد أراد الله لنا أن نتعارف ونتآلف، متحدين رغم تنوع أدياننا واختلاف مذاهبنا. وكم هي مؤثرة في النفس حقا تلك الآية القرآنية الكريمة حيث يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(سورة الحجرات الآية ١٣)

سوء التفاهم بين الإسلام والغرب

كانت المرة الأولى التي عبرت فيها علنا عن رأيي بالنسبة للعلاقات بين الإسلام والغرب في عام ١٩٩٣ في كلمة ألقيتها في جامعة عظيمة أخرى هي جامعة أكسفورد. وذكرت في حديثي آنذاك أمرا سبب لي منذ تلك اللحظة كثيرا من القلق والتحسّب. فقد قلت في كلمتي:

«... رغم ما تحقق من تقدم في التكنولوجيا وفي انتشار الاتصال الجماهيري في النصف الثاني من القرن العشرين، ورغم قيام جماهير غفيرة من الناس بالسفر والترحال واختلاط الأجناس والأعراق، فإن سوء التفاهم بين الإسلام والغرب مازال قائما، والواقع أنه في تزايد» (محاضرة «الإسلام والغرب» في مسرح شيلدونيان «أكسفورد» ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣).

والمأساة هي أن السنوات الاثنتي عشرة التي مضت منذ إلقائي ذلك الحديث برهنت على مخاوفي . فقد كانت تلك السنوات في معظمها مظلمة ظلاما حالكا وكئيبا بالنسبة للكثير من الناس . ولا أخفيكم أن قلبي موجع يمتلىء حزنا وأسى لمشاهد الموت والدمار التي لا نهاية له ، فأنا أدرك تماما ما يعنيه القتل والدمار ، فقد لمست بنفسي فداحة الخطب عندما فقدت خال والدي الحبيب اللورد مونتباتن الذي اغتيل في عام ١٩٧٩ على يد إرهابيين استخدموا المتفجرات لقتله . فكم هي ملوعة تلك الصور الدامية لمجتمعات تمزقها الصراعات الدينية ، من البوسنة إلى بغداد ، ومن الشيشان إلى فلسطين . وكل هذه ما هي إلا شواهد على استفحال الخلافات القائمة وتفاقمها . فالعنف الذي كثيرا ، ما يرتكب غالبا باسم الدين ويبرر به له آثار رهيبة تحجر القلوب وتزيدها قساوة . فما الفائدة التي يمكن أن تجنى من كل ذلك ؟

ندين بالكثير لعلماء المسلمين

وتناولت في حديثي تاريخ أوروبا والعالم الاسلامي وكيف ارتبطت أوروبا بالعالم الإسلامي ارتباطا وثيقا وكيف جرى التعاطي بين الطرفين عبر القرون المتعاقبة وتحدثت عن تبادل المنافع بين الطرفين واسهامهما الكبير في تشكيل عالم اليوم . وقد أظهر لنا التاريخ الطفرات الهائلة لموهبة الابتكار والإبداع في مجال المعارف كالعلوم والآداب والفنون التي يمكن للبشرية تحقيقها عندما تتضافر قوى أعضاء الأسرة التي رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام ، وتتعاون فيما بينها . فهلا لنا ان نستدر الالهام من ذلك التفاهم والتفجر الهائل في العلوم والمعارف إبان عهد العباسيين بين القرنين التاسع والثالث عشر عندما كانت حاضرتهم بغداد مركزا عالميا للمعرفة والعلوم أو نستدر الإلهام من الأندلس في عصرها الإسلامي بين القرنين العاشر والرابع عشر حين شهدت مدنها من أمثال قرطبة وطليطلة كيف تآزر العلماء المسيحيون والمسلمون واليهود فقادت نشاطاتهم الى ازدهار عصر النهضة في أوروبا . وعلينا نحن الذين نعيش في الغرب أن نتذكر أننا ندين بالكثير لعلماء المسلمين فقد كان الفضل لهم في أنهم حافظوا في العصور المظلمة في أوروبا على كنوز العلوم والمعارف الرومانية واليونانية القديمة .

ولكنني قلت ايضا في حديثي ذاك الذي أشرت إليه إنه من المؤسف رغم هذا التبادل الغني في الآراء والأفكار أن نجد أناسا عديدين في الشرق والغرب ما فتئوا يكنون تعصبا لا هوادة فيه ولا لين تجاه ثقافة بعضهم البعض وانعدام الثقة المتبادلة بين الطرفين لايزال قائما يتمخض عن نتائج رهيبة وأفكر في التجربة التي يمر بها المسلمون الذين يعيشون في أوروبا ويعانون من مظاهر متعددة مستمرة من هوس العداء ضد الإسلام والمسلمين من قبل مواطنيهم من الأوروبيين وأفكر أيضا في المسيحيين الذين يعيشون في بعض الأمم الاسلامية والذين يجدون أنفسهم وقد كبلتهم قيود صارمة ومهينة أو قد يتعرضون للإساءة والأذى من قبل بعض اخوانهم



من المواطنين وأفكر ايضا في أعمال العنف والإرهاب التي ترتكب في العالم بصورة تشوه اسم الدين .

إعادة الاحترام المتبادل

إني علي يقين تام بأن علي المسئولين رجالا ونساء أن يعملوا على إعادة الاحترام المتبادل بين الأديان وأن نجتهد ما وسعنا للقضاء على عوامل سوء الظن وعدم الثقة اللذين يسممان حياة العديد من الناس وما يجعل هذا الأمر أكثر صعوبة هي الصور المشوهة للطرف الآخر والسخافات التي تنشرها بعض وسائل الإعلام وقد حاولت أنا شخصيا وبصورة متواضعة جدا أن أجد الوسائل التي يمكن بها دمج الجماعات المختلفة والاعتزاز بقيم ومثل الثقافة الاسلامية في المملكة المتحدة وسعيت الى تحقيق ذلك عن طريق نشاطات صندوق الامير ومؤسستي المعروفة بالبيئة المعمرة ومدرستي الخاصة بالفنون التقليدية وآمل ان تصبح هذه البرامج مع نموها وتطورها عبر بلاد أخرى نماذج تحتذى من قبل مجتمعات في أماكن أخرى . فحتى من خلال أصغر المشاريع والنماذج يمكن إعادة وضع أسس الاحترام المتبادل ومراعاة شعور الغير والتحلي بالآداب والأخلاق ومن الممكن احيانا إعادة وضع هذه الأسس من خلال بناء المسكن والمحيط المادي والبيئة الخاصة بالناس .

فالمحيط المطلوب هو الذي يساعد علي زيادة شعورنا بإنسانيتنا المشتركة عوضا عن إحساسنا بأننا ملحقات تكنولوجية فيما يحيط بنا من عالم يزداد آلية .

تركة الشيوعية والفاشية

لقد كان للتركة التي خلفتها صراعات الأديان وسوء التفاهم فيما بينها دور رئيسي في التاريخ الفظيع للحرب والعنف . وما أشد انطباق هذا بالطبع على ما خلفه ايضا «المذهبان العلمانيان» اللذان انتحلا صفة دينية خلت من كل تقديس وهما الشيوعية والفاشية بكل ما تأتي عنهما من دمار وبطش وحشي فعلي مما ينذر بعظيم الويلات والكوارث .

وفي مقدورنا الآن التعرف على رد فعل المجتمعات الانسانية مع تطورها عبر القرون تجاه هذه التركة . فنجد أن رد الفعل هذا كان من نوعين متميزين : الأول منهما يتمثل في تمسك البعض بدينه تمسكا شديدا كمصدر للاستقرار في حياته ولا يرى في الاديان الاخرى عند أي صراع سوى أخطار تهدد وجوده . وأما الثاني فيتمثل في فقدان الناس هيبتهم للدين وما له من نفوذ غيبي وبعد يتخطى حدود ذواتنا – إنه عن التخلي عن كل إيمان بالله وتبنٍ للاعتقاد القائل بأن الدين مظهر من مظاهر «التخلف» و«البدائية» و«الزلل» . إن عدم احترام الناس للدين يشكل خطرا على إرثنا الديني وعلي قيمنا الانسانية العامة وتراثنا الحي . واذا اقترن هذا الوضع بهوس التشبث بالماديات وبالأمور الدنيوية التافهة فإن ذلك لا يشكل خطرا على التراث الثقافي لديننا المسيحي وحسب بل وعلى العالم بأسره .

ففي أوروبا فكر بعض المخلصين من الناس مدفوعين برد فعلهم تجاه الحروب التي بدت وكأن

لا نهاية لها بين الطوائف المسيحية المختلفة بأنه لو تم تكوين مجتمعات علمانية حقا يختفي فيها ما ينسبه الناس الى الدين من تعصب وعنف وتنطع وتزول منها الأسباب الكامنة فى أساس الصراعات الدينية فإن ذلك يعود علينا جميعا بالخير ويمكننا من ثمة التعايش على نحو أفضل وكان أملهم أن يحل محل النظام الدينى القائم برنامج لتحسين الأوضاع المادية للناس وضمان أمنهم وسلامتهم عن طريق الاكتشافات العلمية وأن يساعد ذلك مسيرة التآلف والتقدم والرفاهية الانسانية فى المضي قدما عندئذ دون عراقيل.

وكان من المحتوم أن لا تسير الأمور بهذه السهولة فقد اتضح ان المعرفة العلمية التى جلبت لنا واغدقت علينا الكثير مما نقدره حق التقدير ونسلم بأنه نعمة من النعم ليست بمثابة الحكمة ذاتها لأن الحكمة وحدها هى القادرة على أن تكشف لنا تلك الحقائق الشاملة الدائمة التي تكمن فى صميم كل الاديان الكبرى. لكن هذه الحقائق التي وفرت لأسلافنا هيكلا آمنا لوجودهم وأمدتهم بمجموعة واضحة المعالم من القيم الأخلاقية قد انحجبت اليوم عن كثير من الناس وتلاشت كليا من حياتهم وهذه ظاهرة لا تخص الغرب وحده بل نراها فى كل عرق ينتمى الى اسرة ابراهيم الروحية.

فلقد كان لما فقدناه آثار عميقة الجذور فأنا أومن بأن الاعتدال مصدره الحكمة التى انحدرت إلينا من التراث. وأما التطرف فهو استغلال لوضع فقد فيه احترام التراث ففقدان اليقين المبني علي الايمان يدفع بالعديد من الناس الى اللجوء الى المطلقات الجديدة التي تأتي كأى معتقد بدائى لا تتقبل أن تكون موضع السؤال أو التحفظ ولكنها تؤدى الى أشكال مختلفة من أشكال التطرف.

الإسلام كرم اليهود والمسيحيين

علينا أن نعود الى إحياء ما تمتع به العالم الإسلامى في عصوره الذهبية من عمق وحس مرهف ورحابة صدر فى التفكر والروية واحترام وإجلال للحكمة. فلقد كرم الاسلام اليهود والمسيحيين بأن أطلق عليهم اسم «أهل الكتاب» لأنهم كالمسلمين يجتمعون علي دين كتب سماوية: القرآن والتوراة والانجيل ولعل ما يميز تلك العصور العظيمة من عصور الايمان كان الادراك السائد بأنه بالاضافة الى الكتاب هناك حاجة الي تفسيره وتبيانه فى علم خاص به يتسم البحث فيه بالدقة والصعوبة فأدى ذلك الي وضع أسس علم التفسير وقيام المدارس الكبرى من مدارس الفقه والشريعة.

فبين النص وتفسيره أى بين معنى كلمة الله الباقية لكل زمان وما تعنيه لنا فى هذا الزمان يأتي التفسير ولقد كان من عظمة الاسلام أن أدرك المؤمنون به هذه الحقيقية إدراكا عميقا كما أدركوا ما يواجهونه من تحديات وأنتم ايها الافاضل فى هذا الصرح العريق يمكنكم ان تسهموا بمثل هذا ليس بالنسبة للعالم الاسلامى فحسب بل وعن طريق المثل الذى تضربونه بالنسبة لكل الآخرين من أسرة إبراهيم.

فاليوم وفي اغلب الاحيان هناك اتجاه بأن النصوص المقدسة يمكن قراءتها دون ان يحتاج ذلك الى تفسير وتبيين وكأنما المفروض أن نقرأ تلك النصوص قراءة سطحية إن مثل هذه القراءة تسيء الى حقيقة كلمة الله والاساءة فى فهم كلمة الله تقود فى مآل الأمر الى الاساءة الى الانسان والاساءة الى العالم.

اذا كنا لا نسمع في النصوص المقدسة سوى حقائق قاطعة مبسطة واذا كنا لا نرى في رحاب الله الواسعة ذات الألوان سوى الأبيض والأسود نكون عندئذ قد شطرنا الانسانية الى شطرين مبسطين متضادين هما: أهل الخير وأهل الشر أهل التقى وأهل الشطط ونحن واعداؤنا. وهذا ما يقود الى الحقد والكراهية والعنف وبهذا نفقد المبدأ الوحيد الذى لا يعلى عليه والذى يجمع الأديان التى تكون أسرة ابراهيم الروحية وهو المبدأ الذى عبرت عنه التوراة بالقول: «...بل تحب قريبك كنفسك» (اللاويين ١٩/ ١٨) ثم الإنجيل بقوله: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم» (انجيل متى، أصحاح ٧/ ١) وفى الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (حديث شريف).

مواجهة التطرف

إذا كان لنا أن نلتزم بطاعة هذه التعاليم لضمان الاستمرار فى إسماع صوت الاعتدال والعمل على مجابهة التطرف والتصدى له فماذا يمكن لمفاهيمنا عن الله سبحانه وتعالى، وهى المفاهيم الكامنة في صميم دياناتنا، لتساعدنا وتمدنا بالعون لتحقيق هذا الغرض؟ إنه أولاً لا شك في ان الله تعالى لايريد لنا ان يقتل بعضنا بعضا، وهذا ما تأمر به أدياننا جميعها. ثانيا، فى هذا العالم التجريدى المادى الذى يضيع فيه المعنى الروحانى، ألا ينبغى أن يتحد الذين يتشاطرون الايمان ويتخطون الذات ويسمون على الأنانية والشهوات ويترفعون عن عبادة العلم للعلم ذاته، أولئك الذين يؤمنون بوجود كون شامل متكامل يوازن بين العقل والجسد والروح، أى بين الفكر والضمير عبر إدراك شامل لذلك النظام الذى أراده الرحمن للعالم هبة مستورة من لدنه ومحبة من عنده ليكرم به خليقته؟ ألم يعد مؤكداً أن علينا أن نتحد معا بناء على ما يجمعنا من المبادىء المشتركة فى أدياننا؟ أفلا ينبغي للحكمة التى سبق وأشرت إليها أن تنبهنا إلى انه يجب علينا أن نعمل متحدين على أساس معتقداتنا المشتركة للتصدى لأعظم أزمة بيئية يمكن تصورها والتى تهدد العالم بأسره، وأن نفعل ذلك دون أن نقاتل بعضنا بعضا أو نتجادل فى أمور تافهة لا طائل تحتها؟ ثم ما الذى يمكن أن نتعلمه من الإسلام ليساعدنا على العودة الى الاندماج اندماجا سليماً مع الطبيعة التى أبدعها الخالق العظيم؟ أفلا نستطيع ان نتبين الحاجة الملحة لدمج عبقرية الشرق البدهية وعبقرية الغرب الواقعية قبل فوات الأوان؟

إن التشديد على احترام بعضنا البعض هو فى صميم تعاليم أدياننا كلها. وهذه المسألة أهم شأنا من أن تكون مسألة جدل سياسى حول



حقوق الأقليات. فالمسلمون والمسيحيون واليهود متفقون فى الايمان بكرامة الإنسان وقيمته. فكل إنسان منا فريد بذاته وذو قدر فريد عند الله. ونحن عندما نتعرف على أنفسنا وندرك وهننا ونقاط ضعفنا نستطيع أن نتبين أهمية تفهمنا للآخرين ورؤية وجهة نظر الغير.

أزمة الصور الكاريكاتورية

إن احترام الغير، واحترام ما يعتز به الآخرون، بمعنى آخر، أن السلوك الحميد والأدب ودماثة الخلق وحسن الاستماع إلى الرأى الآخر، كل هذه المزايا تضمن وتؤمن احترام القيم والمبادىء. وقد برهنت الأزمة الرهيبة مؤخراً وما صاحب ذلك من انفجار الغضب العارم بسبب الصور الكاريكاتورية الدنماركية على مدى الخطر الذى يتأتى عن إخفاقنا فى الاستماع إلى الآخرين وفى احترام ما هو عزيز على الغير ومقدس عنده فالسمة المميزة لأى مجتمع متحضر، فى رأيى، هى ماتجزيه من احترام للأقليات والغرباء. وإكرام الضيف وحسن استقبال الغرباء وعابرى السبيل من مسافرين عنصر يعتز به حقاً فى الحضارة العربية. ونحن فى بريطانيا بذلنا جهداً كبيراً للترحيب بأتباع الديانات الأخرى وفى تمكينهم من المحافظة على هوياتهم الفريدة وتكيفهم فى الوقت ذاته مع الثقافة البريطانية. وهناك الآن أكثر من مليون ونصف المليون مسلم بريطانى، يثرون المجتمع البريطانى ويغنونه بطرق عديدة، كما اننى على يقين بأن الاقليات المسيحية هى ايضا تثرى مجتمعاتها الإسلامية وتغنيها بأساليب شتى.

ونحن كأهل الإيمان نعلم ايضا أن روح الإنسان تعود إلى بارئها إلى أفق الحياة الخالدة، وندرك بالحدس والبديهة أننا كثيراً ما نركز اهتمامنا على العالم الظاهرى الذى غالبا ما يستبعد ما لا يمكن قياسه ووزنه. ولذا يسقط من الحسبان ما لا يقاس أو يكال ويوزن. ولكن كيف يتسنى لنا أن نقيس ونزن الإيمان أو الجمال أو الولاء أو الفرح، أو حتى كيف يكون لنا أن نقيس المحبة ونكيلها، وكل الأمور التى تجعل الحياة جديرة بالعيش وتساعد على تحديد جوهر إنسانيتنا؟ ألا تشكل هذه السجايا حقيقة روحية داخل نفوسنا؟ وعندما نتحدث عن الحقيقة الكامنة فى داخل الإنسان فإن ما نقصده فى الواقع هو ذلك البعد الذى ماوراء المادة ويتخطى حدودها. وبمعنى آخر نتحدث مرة أخرى عن القلب نتحدث مجازاً عن الفؤاد كمنبع للرحمة والتراحم، أى «المحبة» التى وردت على لسان القديس بولس فى إحدى تراجم الانجيل (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الاصحاح ١٣) والمحبة عند المسيحيين غاية الفضيلة.

الاعتدال والتسامح

وعندما تواجهنا مشكلات التفاهم بين الأديان والثقافات، أليس ما نفتقده بالذات هو الشعور القلبى المتسم بالاعتدال والتسامح؟ إنه ذلك الاحساس الذى يمكننا جميعا أن نتقاسمه. ويذكرنا به أدباؤنا العظام من أهل الرؤية والفكر فيما كتبوه وفى المثل الذى ضربوه. ألم ينصحنا هؤلاء العظام من أصحاب الحكمة الخالدة، رجالا

ونساء، من أمثال جوليانا راهبة نورويتش والحبر اسحاق لوريا والإمام محمد ادريس الشافعى - الم ينصحنا هؤلاء بضرورة أن نعادل تصرفاتنا العدوانية السطحية بسلوك لطيف تأملى، أى التحول عن منطقة الرأس والعقل إلى مجال القلب حيث توجد طيبة إنسانيتنا المشتركة وخيرتها؟ واسمحوا لى بأن أوضح ان ما أعنيه ليس الانكفاء إلى التأمل الانطوائى، وإنما هو وصفة لتفاهم ناشط فعال فى تعاملنا مع الآخرين.. ونحن فوق كل هذا نشترك فى الإرث التقليدى القائم على الوحى الذى شكل اساس أدياننا. ولعل ما يدعو إلى الاهتمام أن العلم بدأ يكتشف النظام والانسجام المتأصلين فى الطبيعة، وهو أمر تكشف للقدامى منذ آلاف السنين. وهذا لا شك مؤشر ينم عن حقيقة أساسية تتعلق بنمط الحياة فى داخل نفوسنا، إنه نمط سر الله الغامض للعالم الظاهر.

أعتقد أن علينا واجبا مشتركا بالنسبة للتعبير عن المبادىء التى تقوم عليها معتقداتنا الدينية. كما اعتقد أن علينا أن نحافظ على سلامة كل دين من أدياننا الإسلامية والمسيحية واليهودية، ونعترف بتنوعنا الغنى ونحترمه فهو فى نهاية المطاف ضماننا الوحيد ضد سيطرة ثقافة عالمية موحدة أحادية الثقافة سواء دينية كانت أو علمانية.

ولكى ندافع عن عالم الروح ضد المادية الدنيوية وعن الكرامة الرفيعة لكل منا ضد التطرف وعبادة الذات، يجب علينا أن نرعى ونشجع ونفعل كل ما يترجم الصفات الإلهية المتمثلة فى التراحم والتعاطف. وهذا بحد ذاته يدعو إلى الرويّة والهدوء وضبط النفس. وهو إن جاز لى القول، يتطلب من كل ذوى النفوذ فى أدياننا المختلفة إسداء الموعظة وايضاح قيمة تلك الصفات والمزايا الإلهية للآخرين.

قال الملك سليمان بن داود قبل نحو ثلاثة آلاف سنة «بلا رؤيا يجمح الشعب» (امثال ٢٩/ ١٨) وإننى لأتطلع بشوق إلى عالم نشترك فيه برؤيا تعترف بما بيننا من فوارق وتحترمها وتتفهمها، عالم نرى فيه أنه لايمكن، ولا ينبغى لنا، أن نسىء إلى أدياننا العظيمة وتعاليمها باتخاذها سلاحا نخدم به مصالح أية سلطة دنيوية تتسم بالأنانية وحب الذات.

العالم الذى نريده

لا يخالجنى أى وهم بالنسبة لصعوبة أداء هذه المهمة. لكننى أعتقد أنها مهمة يتحتم علينا أن نضطلع بها، ونأخذها معا على عواتقنا وننجزها اليوم قبل أى وقت آخر. فليس هناك من سبيل آخر للحفاظ على روح القيم والمبادىء التى نعتز بها فى أدياننا أيما الاعتزاز. ولذا فإن علينا أن نتعاون فى إيجاد عالم تثرى فيه ثمار الإيمان، بما توحيه من تفاهم وتسامح وتعاطف، عالم أبنائنا وأبناء أبنائنا وتحافظ على أمنه وسلامته. ويجب أن لا ندع هذه الفرصة تفوتنا دون أن نلبى هذا النداء فى عصر يتطلب منا بذل جهود مخلصة للعيش معاً فى سلام.

كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وكان فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر قد رحب بالأمير تشارلز بكلمة جاء فيها:

إنا نستقبلكم فى صرح عظيم من صروح العلم والثقافة فى العالم، أسهم بعمق فى نهضة الفكر الإنسانى، وأدى دوره المرموق فى تحقيق الإيمان بأهمية العلم النافع باعتباره القاسم المشترك بين الحضارات التى تسعى إلى خير الإنسانية وسلام مجتمعاتها، انه الأزهر العريق الذى يرحب بسموكم وسمو الأميرة ضيفين عزيزين على مصر وجامعة الأزهر.

سمو الأمير، لقد تعلمنا من ديننا قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

الحجرات: ١٣

وهذا الأمر الإلهى هو المدخل الطبيعى لعالم يسوده السلام والتسامح ويقوم على علاقات متكافئة بين الإسلام والغرب وبين الإسلام وكل شعوب الأرض.

وفى ذهنى، سمو الأمير، عبارات متألقة قلتموها في أكتوبر ١٩٩٣ فى المحاضرة القيمة التى ألقيتموها فى مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عن «الإسلام والغرب» وقلتم فيها: من الغريب أن يسيطر سوء الفهم على العلاقة بين الإسلام والغرب لأن ما يربط بين عالمينا أكبر مما يفرقهما.

كما قلتم: «إن الحكم على الإسلام قد شابه كثير من التحريف، ولاشك أن هذا خطأ جسيم».

وقلتم سموكم أيضاً: «إن علينا ألا ننساق وراء الاعتقاد بأن التطرف سمة المسلم وجوهره، فالتطرف ليس وقفاً على

الإسلام بل ينسحب إلى ديانات أخرى بما فيها الديانة المسيحية، وأن الغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال. وأن الإسلام هو «دين الاعتدال» والنبى محمد ﷺ نفسه كان يمقت التطرف وينكره ويحذر منه.

سمو الأمير: لاتزال كلماتكم الطيبة عن الإسلام ماثلة فى الذهن حين قلتم: «إن حضارة الإسلام جزء من ماضى أوروبا وحاضرها فى جميع مجالات البحث الإنسانى، وانها أسهمت في انشاء أوروبا المعاصرة وانها جزء من تراث أوروبا والغرب وليست شيئاً منفصلاً عنهما».

كما أنه لا يمكن أن يغيب عن الذاكرة ما قلتموه سموكم من أن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش فى العالم فى سعادة، كما يعلمنا الحفاظ على النظرة المتكاملة للكون، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة والجسد والروح، وهذه نظرة صحيحة وحكيمة لرؤية الإسلام للكون والطبيعة والإنسان.

اتهام الإسلام بالتطرف.. مرفوض

ومن المثير للعجب يا سمو الأمير أن تكون فى الإسلام كل هذه المميزات الحضارية الناصعة ثم يتهم بأنه دين يحث على التطرف ويغمط حقوق المرأة. وقد عبرتم سموكم لرفضكم لمثل هذه النظرة الضيقة حين قلتم: إن ثمة موقفاً نشأ فى الغرب يحكم على وضع المرأة فى الإسلام من خلال نظرة الجماعات المتطرفة، وهو موقف مجحف، فالمرأة فى الإسلام تتمتع بالمساواة في مجال الأجور وتتاح لها الفرص للقيام بدور عملى كامل فى كل المجالات وذلك استناداً إلى ما أكده القرآن قبل أربعة عشر قرناً عن حقوق المرأة المسلمة.

سمو الأمير: إن التذكير بالمعانى النبيلة والأفكار القيمة التى وردت فى محاضرتكم يحتاج منا إلي وقت طويل، وهى جميعاً تعد ثمرة لدراستكم الجادة وتعبيراً عن رؤيتكم الثاقبة والمنصفة وموقفكم المتبصر الرشيد مما يحدث فى أرجاء العالم بأسره، كما انها أيضا تمثل دعوة مخلصة للحوار الهادىء القائم على البحث المنصف والتحليل الدقيق والاحترام المتبادل بين الأمم وهى أيضاً فى نهاية المطاف عودة إلى القيم الدينية والروحية الرفيعة.

الدكتوراه الفخرية

لكل ذلك، فإن جامعة الأزهر وتقديراً منها لشخص سموكم ورفيع ثقافتكم، ونزاهة أحكامكم، ترحب بسموكم وتبلغكم قرار مجلس جامعة الأزهر بمنحكم الدكتوراه الفخرية.



معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادىء والتطبيق

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

إن أعداء الإسلام يصرون على المغالطة ومجانبة الحقيقة، فيدعون كذبا وزورا على الإسلام ادعاءات كاذبة باطلة..

هذا التنويه والإقرار ضرورة لأمرين:

الأمر الأول: تحقيق العدالة فى الحكم بين الديانات، فلا توجه تهمة إلى دين -وهو منها برىء- بينما ذات التهمة بنفس المعايير والمقاييس والأوزان موجهة إلى الديانات الأخرى -وهى منها بريئة أيضا- ولكن يسكت الحديث عنها عمدا وقصدا.. وهذا ظلم وغبن واضح..

الأمر الثانى: دعوة قادة جميع الأديان إلى تحمل المسئولية الكاملة فى تصحيح الانحراف فى السلوك الدينى والتطبيق -كل فيما يخصه- حتى تنعم البشرية بالأمن والأمان، والاستقرار والطمأنينة..

محاكم التفتيش

لن أذكر تفاصيل كثيرة، ووقائع متعددة للاستدلال على ذلك، وإنما سأكتفى ببعض الأمثلة فقط، ومن أراد المزيد فليرجع إلى سجل التاريخ ففيه الكثير..

نقول إن: المسيحية تدعو إلى التسامح والمحبة[1]، وبغض الخداع والرياء والنفاق، والتسامح ليس مع المسيحيين فقط، بل مع الأعداء فى أن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم، يقول السيد المسيح: «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل تصنعون؟ أليس العشارون أيضا

(1) د. نبيل لوقا بباوى: الإرهاب صناعة غير إسلامية

يفعلون هكذا؟»، والسيد المسيح لم يشارك فى إراقة الدماء البشرية، ولم يحض أو يوصى بإراقة الدماء البشرية، وبالتالى فإن كل المسيحيين ملتزمون باتباع تعاليم السيد المسيح بعدم إراقة الدماء البشرية وسفك الدماء، وعلى ذلك فإن كل أعمال العنف التى يرتكبها بعض من ينسبون أنفسهم إلى المسيحية مثل ما حدث من الكاثوليك ضد البروتستانت، وكل أعمال العنف التى ارتكبها الكاثوليك فى حق الأقباط الأرثوذكس فى مصر فى فترة الحكم الرومانى قبل دخول عمرو بن العاص مصر فى عام ٦٤٠م لاتتحملها الديانة المسيحية أو الإنجيل بل يتحمل وزرها مرتكبوها.. ما علاقة الإنجيل الذى ذكرنا تعاليمه التى تأمر بعدم سفك الدماء، ما علاقته بهذه المذابح البشرية التى ارتكبها بعض البابوات ضد المسيحيين الذين يعارضون سلطات البابا فى روما؟؟ وما هى محاكم التفتيش لقتل كل من يعارض بابا روما؟

ويحكى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الكثير من المجازر البشرية التى ارتكبها المسيحيون الكاثوليك ضد مخالفيهم فى العقيدة، وقد أشرت إلى بعضها عند الحديث عن: حرية العقيدة الدينية فى الإسلام فى هذا البحث.

وسأكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الوقائع كمثال: وهى مذبحة تمت على أيدى فرسان الصليب، حيث تم حصار مدينة بيزية، وقام الفرسان المسيحيون بقتل وذبح أكثر من عشرين ألف شخص ما بين رضيع ونساء وشيوخ ورجال، رغم أن أغلبهم احتمى داخل كنيسة القديسة مريم المجدلية، ثم قاموا بإحراق المدينة كاملة حتى أصبحت كومة من الرماد، وتحول البشر ومبانى الكنيسة إلى رماد!! هل تعاليم الإنجيل والسيد المسيح تبيح ذلك؟ إن السيد المسيح يقول: «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم»، فما هذا الذى يحدث من مسيحيين ضد مسيحيين مثلهم ولكنهم يختلفون فى بعض الآراء مع بابا روما؟ هل من المسيحية والإنجيل أن يتم

إحراقهم أحياء؟ ويتم حرق عشرين ألف نسمة داخل مدينة بيزية على يد مسيحيين مثلهم!!

إن الإنجيل والمسيحية بريئان من مثل هذه التصرفات اللا إنسانية، مثلما القرآن والإسلام بريئان من كل انحراف في السلوك والتطبيق.. وبريئان من كل الأفعال الإرهابية التي ارتكبتها الجماعات الإرهابية في أي مكان في العالم...

جرائم الصرب في كوسوفا

وسوف نذكر مثالا للانحراف في السلوك والتطبيق المسيحي حدث قريبا حتى نستطيع تذكره، وتذكره الذاكرة، فقد شاهدنا وقائعه البشعة في تليفزيونات العالم، ونقلته كل وكالات الأنباء، وشاهدناه بأعيننا، وهو جرائم المسيحيين الصرب ضد مسلمي كوسوفا، وقتل المسلمين المدنيين العزل، بل وجمعهم ودفنهم جماعات وهم أحياء!!

ولازلنا حتى اليوم تتكشف لنا مقابر جماعية للمسلمين في كوسوفا قتلهم الصرب المسيحيون بلا شفقة ولا رحمة، ونشاهدها في وسائل الإعلام العالمية!! وجرائم اغتصاب الصرب المسيحيين للفتيات والسيدات المسلمات!! كل ذلك ليس ببعيد...

ثم بعد ذلك يمكن أن يقال: إن الانحراف في السلوك والتطبيق قاصر على أتباع الدين الإسلامي؟؟

الديانة اليهودية [٢] باعتبارها ديانة سماوية تلقت شريعتها من الله على يد موسى عليه السلام - وجميع الأديان السماوية لاتبرر القتل، بل تمنع القتل والاعتداء على الآخرين- والتوراة هي الشريعة اليهودية، وهي الوصايا والأحكام التي كلم الله بها موسى، وقد ورد في سفر الخروج الآية ١٢٠ «لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا، لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلا. اذكر يوم السبت المقدسة، أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك على الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك، لاتقتل لاتزني لاتسرق لاتشهد زورا على جارك لاتشته بنت جارك ولازوجته ولا عبده ولا أمته».

فالتوراة وهي دستور اليهود في كل أنحاء العالم تحرم القتل والسرقة والإرهاب، وعلى ذلك فإن كل الجرائم اللا أخلاقية واللا إنسانية التي ارتكبها يهود إسرائيل ولازالوا يرتكبونها ضد الفلسطينيين واللبنانيين لاتقرها التوراة.

من دير ياسين إلى صبرا وشاتيلا

والحديث عن جرائم يهود إسرائيل، والمجازر البشرية التي نفذوها ضد الفلسطينيين منذ احتلال فلسطين من قبل عام ١٩٤٨، ولا زالوا يرتكبونها كل يوم على مرأى ومسمع من العالم يطول شرحها والحديث عنها مثل:

● مذبحة دير ياسين التي لم يكتف اليهود

(٢) أ.د. نبيل لوقا بباوي: الإرهاب صناعة غير إسلامية (بتصرف).

فيها بقتل الشيوخ والأطفال والنساء الحوامل، بل قاموا بشق بطون الحوامل للتمثيل بهن...

● مذبحة قانا في عام ١٩٩٦م التي راح ضحيتها ١٤٧ قتيلا معظمهم من الأطفال والشيوخ والنساء، عدا مئات من الجرحى، والتي لجأ فيها المواطنون اللبنانيون والنساء والأطفال الرضع والشيوخ إلى مبنى الأمم المتحدة في قانا خوفا على حياتهم من شدة القذف والصواريخ والمدافع التي يلقيها اليهود على السكان الآمنين العزل من أي سلاح في مدينة قانا، متصورين أن ذلك المبنى يتبع الأمم المتحدة، ولا يمكن لإسرائيل أن تقذفه بالصواريخ، ولم يعرف هؤلاء الضحايا أن عالم الغابة تحكمه قوانين أخرى!! فإسرائيل الطفل المدلل لدولة هي إحدى الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن تستطيع أن تستخدم حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن، وبالتالي لايمكن أن يحدث لإسرائيل أي لوم حتى لو قتلت أمين عام الأمم المتحدة ذاته طالما حق الفيتو مضمون في جيب حكام إسرائيل..

● والمبكي حقا ما حدث بعد ذلك بعد أن ظهر تقرير الأمم المتحدة عن مذبحة قانا، والذي يصور حالة الدمار في مبنى الأمم المتحدة، والمجزرة البشرية والجثث المقطعة للأطفال والشيوخ والنساء، طالبت إسرائيل وأمريكا الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور/ بطرس غالي -في ذلك الوقت- عدم نشر التقرير، ولكنه رفض وأذاع التقرير -أداء لأمانة المنصب الذي يشغله- فكانت النتيجة عقابه بعدم التجديد له مرة ثانية كأمين عام للأمم المتحدة رغم أن السوابق الدولية منذ إنشاء الأمم المتحدة في عام ١٩٤٦ أن يجدد للأمين العام مرتان، وذلك بشرط أن يسمع كلام المسئولين في أمريكا..

● مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا في ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م، والتي تم فيها تنفيذ أكبر مجزرة بشرية إرهابية عرفها العالم في تاريخ البشرية، والتي لا يتصورها عقل بشري، فالحيوانات لو أرادت أن تتخلص من حيوانات أخرى في غابة يحكمها قانون الغاب لا يمكن أن ترتكب مثل أحداث صبرا وشاتيلا، والتي نفذها وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت - رئيس الحكومة الإسرائيلية حاليا - بالتنسيق القذر بينه وبين الميليشيات المسيحية اللبنانية للقضاء التام على الفلسطينيين في المخيمين..

إن أي كلام لا يستطيع تصوير جثث الأطفال الرضع وهي ممزقة إربا إربا، منهم طفل رضيع مزق جسده إلى ثلاثة أجزاء منها جزء وهو يرضع من ثدي أمه التي مزق جسدها إلى قسمين... لقد كان اليهود يخلعون أبواب البيوت لتصفية العائلات الموجودة داخل المنازل بالمدافع الآلية، حتى الأطفال الذين تمكنوا من الاختباء تحت الكراسي والأسرة تم حصدهم، فقد كان يتم تمشيط المنازل لقتل كل نفس حية، وكان يتم قتل الفلسطينيين وهم راقدون على أسرة

نومهم، أو يتم قتلهم وهم يتناولون طعام عشائهم، حتى من كان داخل دورة المياه يتم فتحها وتنهمر عليه موجات المدافع الرشاشة، وكانت الميليشيات والقوات الإسرائيلية تتصرف بوحشية، فكانوا يطلبون من العائلات الفلسطينية الوقوف أمام الجدران ووجوههم للحائط فى صف واحد، الأطفال والنساء والشيوخ وظهورهم لميليشيات الكتائب المسيحية وقوات اليهود ويتم حصدهم بطلقات الرشاشات...

إن حقد الحيوانات على الحيوانات لا يصل إلى حقد ميليشيات الكتائب المسيحية وقوات اليهود على الفلسطينيين، وكانت قمة المأساة أن أعطى جيش اليهود الجرافات العملاقة لميليشيات الكتائب المسيحية لهدم المنازل على من فيها أحياء إن كان فيها أحد حى...

● ما حدث فى ٢٦ من فبراير عام ١٩٩٤م من قيام المستوطن اليهودى المتطرف باروخ جولدشتاين بارتكاب مجزرة بشرية داخل الحرم الإبراهيمى بمدينة الخليل راح ضحيتها ٩٣ فلسطينيا قتلوا أمام أجهزة الأمن الإسرائيلية، هذا خلاف ٣٠٠ مصاب فلسطينى آخرين.

● ما حدث أخيرا فى جنين بقيادة رئيس وزراء إسرائيل من دك المنازل على سكانها من الفلسطينيين،، وأصبحت المنازل مقابر جماعية للأسر الفلسطينية وذلك فى عام ٢٠٠٢م.

هل هذه الأعمال الإجرامية الوحشية التى يقوم بها يهود إسرائيل كل يوم فى فلسطين من قتل المدنيين الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، وهدم المنازل، وتجريف للأراضى الزراعية التى هى مصدر قوت المواطنين الفلسطينيين تقرها التوراة؟؟؟

ثم بعد ذلك يمكن أن يقال: إن الانحراف فى السلوك والتطبيق قاصر على أتباع الدين الإسلامى؟؟؟؟

الخطأ فى الربط

وضح الآن الآتى:

● أولا: أن الأديان السماوية كلها تدعو إلى التآلف والإخاء بين أبناء البشر، وإلى السماحة والرفق، وإلى الحب والتعاون، وإلى عدم الاعتداء على النفس والمال والعرض، وإلى تحقيق التعايش الإيجابى البناء بين الناس جميعا... وأن صحيح العقيدة الدينية يتمسك بالفضائل التى يدعو إليها دينه، ويتجنب الانحراف فى السلوك والتطبيق...

ثانيا: أن الانحراف فى السلوك والتطبيق عام بين أتباع الديانات السماوية كلها، وليس قاصرا على أتباع دين دون دين آخر...وأن هؤلاء المنحرفين قد خالفوا تعاليم رسالات السماء، وشطوا عن الطريق المستقيم، وابتعدوا عن المنهج السليم، ولم يلتزموا بتعاليم الدين...

فيجب علينا جميعا عدم الربط بين الأديان وبين الانحراف فى السلوك والتطبق لدى أتباع الأديان...

بين المجلة و القارئ



إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

الحوار الذى نريده

الحوار مع الآخر.. جملة كانت عنوانًا رئيسيًا لكثير من البحوث والدراسات الأكاديمية، والمقالات الصحفية، والعديد من الندوات والمؤتمرات.. وكلها تصب فى حيز اتهام الذات أو توزيع الاتهامات على المؤسسات الدينية والإعلامية والثقافية فى الدول العربية والإسلامية واتهامها بالتقصير فى الحوار مع الآخر، وفى تعريف الآخر بالإسلام.

واتفق الجميع على أن هناك تقصيراً كبيراً من جانب المسلمين فى الحوار مع الآخر.

وهذا هو عين الظلم.. لماذا؟

● لأن هذا الآخر يريد خطابًا لا يتعارض مع توجهاته.

● والأكثر من ذلك يريد خطابًا يدعم ويؤيد توجهاته.

● فماذا نفعل مع أناس يريدون خطابًا ينحى الدين جانبًا؟

● كيف نتحاور مع من سخروا من ديننا وسبوا نبينا؟!

● كيف نتحاور مع من حرف وبدل فى القرآن الكريم وصنع مسخا أسماه الفرقان الحق يريد من ذلك أن يهدم أسس ديننا؟

● كيف نتحاور مع من حاصر المسلمين واستخدم ضدهم سلاح التجويع؟

● كيف نتحاور مع من قصف مساجد ومدارس ومنازل المسلمين بالصواريخ والقنابل؟

● كيف نتحاور مع من أهدر آدمية المسلم فى سجون أبو غريب وجوانتانامو وانتهك شرف النساء والأطفال؟!

● اللغة الوحيدة التى يفهمها الغرب هى لغة القوة.

● أنت قوى.. إذا أنت السيد المطاع.

● ومن هذا المنطلق هرولت الشـركـات الدانماركية التى أصابتها المقاطعة الاقتصادية الشعبية فى الصميم لترسل مبعوثيها لاسترضاء الشعوب وتعتذر نيابة عن صحفها عن الإساءة عبر إعلانات مدفوعة الأجر فى العديد من صحف العالم الإسلامى والفضائيات تحمل كل عبارات الأدب والتوقير تجاه سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وحرصوا كل الحرص على استخدام عبارة ﷺ وهى العبارة التى كانت العديد من الدوائر الغربية دينية وغير دينية ترفض استخدامها تماما وبدأوا فى إرسال الوفود والمبعوثين لاسترضائنا خوفا من أمور كثيرة قد تحدث مثل سحب أرصدة الدول البترولية من بنوك أوروبا وأمريكا أو حظر البترول، أو أى وسائل أخرى يمكن أن تدخل فى نطاق رد الفعل من جانب المسلمين، وصدق الله وعده لنبيه الكريم إذ يقول سبحانه:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾

الحجر: ٩٥

ولكن ظهر بيننا من يتحدث من تقصيرنا فى الحوار مع الآخر وعرض الإسلام عليه متناسيا أن الإسلام ليس دينا سريا وأن من يرغب فى التعرف على الإسلام فإن الوسائل عديدة أمامه أبسطها أن يأتوا هم إلينا طلبا للهدى أو يقرأوا القرآن الكريم بلغته العربية أو فى ترجماته الكثيرة.

ولكن المشكلة الحقيقية ليست فى عرض الإسلام على هؤلاء، ولكن فى اقتناعنا نحن بأن



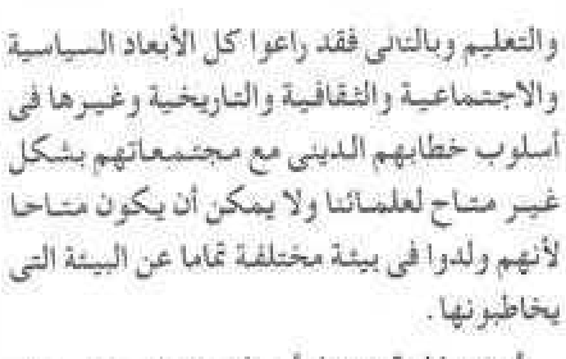


على عزت — مراد هوفمان

هؤلاء حسنو النية تجاهنا، ولكى نقتنع فلابد لهم بأن يقدموا برهانًا على حسن النية.. ولابد أن يشرحوا لنا أسباب اعتدائهم المتواصل علينا اعتبارًا من الحملات الصليبية الأولى ثم الغزوة الاستعمارية الرهيبة التى جعلت الدول العربية بأكملها رهن الاحتلال، وانتهاء بالغزو الهمجى الأمريكى لأفغانستان والعراق.

أما نحن فلا أحد يستطيع أن ينكر أننا بذلنا كل جهدنا فى الحوار مع هذا المدعو بـ (الآخر) المتربص.. وكان فى مقدمة من أدلوا بدلوهم فى هذا الحوار الزعيم البوسنى على عزت بيجوفيتش والدبلوماسى الألمانى مراد هوفمان، والمفكر الفرنسى المعروف رجاء جارودى، والمفكر المجرى عبدالكريم جرمانوس، والمؤرخ النمساوى ليوبولد فايس (محمد أسد)، والمغنى البريطانى يوسف إسلام.. وغيرهم كثير أدلوا بدلوهم فى تقديم الإسلام ولن يستطيع باحث عربى واحد أن يقدم إنتاجا يرقى إلى ما قدمه هؤلاء ليس عن تقصير من علمائنا وباحثينا، ولكن بحكم أن هذه الشخصيات الأوروبية المسلمة خاطبت مجتمعات تنتمى إليها انتماء حضاريا بحكم المولد والنشأة





والتعليم وبالتالى فقد راعوا كل الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية وغيرها فى أسلوب خطابهم الدينى مع مجتمعاتهم بشكل غير متاح لعلمائنا ولا يمكن أن يكون متاحا لأنهم ولدوا فى بيئة مختلفة تماما عن البيئة التى يخاطبونها.

أجل بذل قادة الرأى العام الإسلامى فى أوربا غاية جهدهم فى التعريف بالإسلام مع هذا الآخر الذى صدق عليه قول الشاعر:

قد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

ولكن الحوار الذى نحتاجه وبشدة هو حوار نقيمه بيننا.. مع بعضنا البعض.. فلا يعقل أن يظل المسلمون فى المجتمعات العربية يجهلون تماما أن هناك ملايين المسلمين يعيشون فى دول أوربا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية واستراليا.. وغيرها وهؤلاء تحتاج إلى التواصل والتحاور معهم خاصة وأنهم اليوم وبحكم الكثافة البشرية التى يمثلونها أصبحوا ممثلين للديانة الأكبر انتشارا فى أوروبا بعد المسيحية ولهم ثقلهم السياسى والاجتماعى والاقتصادى، وإذا كانت إسرائيل تستغل يهود العالم فى الدعاية لها ولسياساتها والحط من شأن الآخرين الذين لا يتوافقون معها فلماذا لا نستخدم نفس الأسلوب؟!!

ولماذا لا نبذل جهدا فى التواصل مع المسلمين فى اليابان والصين وكوريا الجنوبية



رجاء جارودى — يوسف إسلام

والذين بح صوتهم فى استجداء دعاة مسلمين يعلمونهم ويعلمون أبناءهم أمور دينهم؟!

لماذا تخلينا عن المسلمين فى القارة الأفريقية رغم ما يملكه أثرياؤنا ولا أقول حكوماتنا من المال المكدس فى البنوك الأوروبية والأمريكية يستثمر فى مشروعات تخدم اقتصاديات أوروبا وامريكا وتركنا إخواننا الأفارقة يعانون الجوع الجهل والمرض والفقر حتى صاروا فريسة سهلة لتجار الأديان.. الذين صاروا يقولون لهؤلاء لماذا تتمسكون بالإسلام الذى أورثكم ما أنتم فيه من جوع ومرض وفقر.. لماذا لا تجربون دينا آخر لعله يخرجكم مما أنتم فيه؟!

أجل.. نحن فى حاجة للحوار مع بعضنا البعض لأن هذا الحوار هو الذى سيرتفع بشأننا لأنه سيكون بداية توحيد صفوفنا لنصبح أمة واحدة على قلب رجل واحد، لا غثاء كغثاء السيل.

ولنتمثل قول رسول الله ﷺ ونحن نحتفل بذكرى مولده ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» متفق عليه.

أحمد تقى الدين



الحرية ليست تجريحاً

ومن القارئ محمد سعيد أبوهاشم رضوان - إمام وخطيب مسجد القدس بسعود - مركز الحسينية - الشرقية كانت هذه الرسالة التي كتبها ليرد على من أساء إلى رسول الله ﷺ قال:

إن سيدنا محمد ﷺ سيد ولد آدم، وخيرة الله من خلقه ومصطفاه وأحب الشفعاء إليه - سبحانه - روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

اختاره الله لرسالته، واصطنعه لنفسه، فنشأ عظيم الأخلاق، كامل الأمانة، عالى الهمة، فكانت حياته ﷺ في هذه الدنيا كالشجرة الطيبة التي ثبتت أصولها، وانبسطت ظلالها، وآتت ثمارها المباركة في كل وقت وحين، بل كالمشكاة النيرة يتألق ضوؤها ذات اليمين وذات الشمال وفي كل مجال، ويهدى الله بها من يشاء من عباده، ولقد عصم الله - عز وجل - رسوله ومصطفاه، كما عصم سائر الرسل والأنبياء فجعلهم مفطورين على الصدق والأمانة مبرئين من العيوب معصومين من الخطايا والذنوب.

ولقد أدب الله رسوله فأحسن تأديبه، ومنحه من كمال الخلق وجميل الصفات ما لم يمنحه لأحد من العالمين ووصفه بذلك في القرآن الكريم فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)

فانظروا أيها المسلمون في كل زمان ومكان إلى هذا الرسول الكريم الذي أدبه ربه وعلمه ربه وعصمه من كل ذلل وجعله رحمة للعالمين وهاديا للخلق أجمعين، نجد أن أقلاما مسمومة وأفكارا منحرفة تحاول النيل والسخرية من هذا النبي الكريم فبين وقت وآخر نرى ونسمع أن هناك من يستهزئ ويتطاول ويشغب على مقام أشرف مخلوق مشى على وجه الأرض، خاصة هذه الهجمة العدائية التي شنتها مؤخرا بعض الصحف الدنماركية ضد الإسلام وتطاول بعض الرسامين على شخص الرسول العظيم بنشر صور كاريكاتيرية مشوهة له وهذا لا يليق بمقام رسول الله فيا أمة رسول الله: لقد آن الأوان ليتحد المسلمون ويتخذوا موقفا حازما للتصدى لهذه الهجمات المغرضة ضد دينهم الحنيف ونبيهم الكريم، بدلا من الشجب والإدانة والاستنكار، فهذه تعتبر مسألة كرامة لأكثر من ألف مليون مسلم حول العالم فلابد من تصعيد هذه القضية إلى أعلى مستوى ممكن حتى لو أدى ذلك التصعيد إلى مقاضاة الحكومة الدنماركية نفسها لعقاب مرتكبي هذه الجريمة النكراء، ولابد من عقوبة صارمة وإصدار قانون عام لحماية كافة الأديان وجميع الأنبياء من الإساءة والتطاول البغيض، يجب على المسلمين جميعا حكاما ومحكومين اتخاذ كافة التدابير اللازمة للرد على هذه الإساءة وألا يكتفوا بالإدانة والشجب والاستنكار وإصدار البيانات أو التقارير فينبغي أن يبدأ التحرك على الفور على كافة الأصعدة السياسية والإعلامية لمخاطبة السلطات الدنماركية لتوقف هذه الحملة الحقيرة وإنه لمن العجيب أن ترفض حكومة الدنمارك مطالبة تلك الصحف بالاعتذار، بحجة حرية التعبير عن الرأى فأية حرية هذه يا دعاة الحرية؟.



إن الحرية لم تكن أبدا تجريحا وإساءة فالحرية مسئولية تقتضى احترام الآخر في نفسه ووطنه وعقيدته فلا شك إذن أنهم يريدون حرية مشوهة، حرية يحتمون بها عندما يتطاولون على الآخرين.

أيها المسلمون في كل بقاع الأرض.. إننا إن ارتضينا بالذل والهوان وعجزنا على أن نحمى مقدساتنا وإذا ما وصلنا إلى هذه الحالة فستكون بلا شك غير جديرين بالانتساب إلى هذا الدين العظيم وإلى أمة هذا الرسول القدير الذى قدسته الملائكة قبل البشر.

ويجب على جميع المؤسسات الإسلامية في شتى أنحاء العالم أن يتصدوا لهذا التيار الإلحادى المنحرف وعلى العالم الإسلامى أن يعمل على قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع من تسول له نفسه التسفيه من عقيدتنا.

لقد ذكر الإمام الراحل عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق في كتابه الحافل «أوروبا والإسلام» أن الأديب الروسى «تولستوى» كتب عن رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ فقال: «لا ريب أن هذا النبى: من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه من الفخر: أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام، وفتح طريق التقدم والرقى وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال».

ما ضر جاهك عصبةٌ سفهاء

تحت هذا العنوان جاءت قصيدة الشاعر: «مجدى عبدالعزيز صالح» الأباجية - الخليفة - القاهرة:

ما ضرَّ جاهك عصبةٌ سفهاءُ   كل الورى لك يا رسولُ فداءُ
ما ضرَّ ضوءَ الشمس في وضح الضحى   ألا تراه المقلةُ العمياءُ
أغناك ربُّك عن مديح متيم   والحاقدون فداك، طبت وساءوا
وقضى الإله لمن أطاعك جنة،   ولمن عصاك جهنمٌ وشقاءُ
لبنات صرح الأنبياء ختمتها   مسك الختام، تبارك البناءُ
ويزينك الخلقُ العظيمُ سجية   تسع الخلائقَ، أحسنوا وأساءوا
بينا قريش يشتمون مذمما[1]   كنت المحمد لم يصبك هجاءُ
فخرجت من خلل الصفوف مُرتلاً   آيات ربك قد علاك بهاءُ
يا أمة المبعوث فينا رحمة   في حب أحمد عصمةٌ ونجاءُ
هبُّوا لنصرته، أقيموا هديه   تجدوا الشفاعة يوم لا شفعاءُ
صلى عليك الله ياخير الورى   ما دام فينا وحيه الوضاءُ

---

(١) روى البخارى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الا تعجبون كيف يصرف الله على شتم قريش، ولعنهم، يشتمون مذمما، ويلعنون مذمما، وانا محمد».

وما علمناه الشعر

ومن القارئ أحمد عبدالمحسن على ـ ناظر بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى ـ جيزة ـ كانت هذه الكلمة:

بُعث رسول الله ﷺ إلى أمة تدرك سر الكلمة، وتعرف سحرها فقد تعددت فنون القول عند العرب منها الخطب والأمثال والأشعار، ومن لم يُرزق من أبنائها موهبة الشعر رزق موهبة الفصاحة والبلاغة فكانوا يقدرون الشعر، وينزلون الشاعر منزلة عظمى، لذلك وصفوا الرسول بأنه شاعر حين جاء بالقرآن، لأنهم لم يعرفوا من هو أقوى تأثيراً من الشاعر، ولا من هو أعلى منزلة منه.

والرسول ﷺ قد أوتي جوامع الكلم حتى كانوا يتعجبون لفصاحته وقد أيده الله بالقرآن وهو الغاية القصوى في البلاغة وقوة التأثير، ووصفوه بأنه شاعر ليجردوه من صفة النبوة ويخلعوا عنه رداء الرسالة وقد جاء هذا الوصف في قوله تعالى:

﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾

«الأنبياء: ٥»

ثم قالوا إنه شاعر، بل أضافوا إلى صفة الشاعرية وصفا آخر بأنه مجنون يريد منهم أن يتخلوا عن آلهتهم:

قال تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾

«الصافات: ٣٦»

لذلك فإن الله ـ تعالى ـ نفى عن رسوله الشاعرية التي حاول المشركون أن يصفوه بها ليخلعوا عنه صفة الرسالة قال تعالى:

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾

«الحاقة: ٤١»

فالنبي لا يكون شاعراً وكذلك الأنبياء، لأن الشعراء يتناولون أغراض الشعر المختلفة ومنها الهجاء، والغزل الفاحش، والمدح الزائف فيتبعهم الغاوون، وأقوالهم تناقض أفعالهم وهذا طبع غالب فيهم وليس حكما مطلقا يسرى علي كل الشعراء ـ فمنهم من يلتزم بالحق ويدعو إلى الخير وقد استوعبت تلك الآيات الكريمة هذه المعاني، قال تعالى:

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

«الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧»



الشيخ النقشبندى.. إمام المنشدين

وعن الشيخ السيد النقشبندى ـرحمه اللهـ كانت هذه المساهمة التى وافانا بها الصديق: «فرج مجاهد عبدالوهاب» عضو اتحاد الكتاب ـ شربين ـ دقهلية ـ قال:

ولد فى قرية دميرة مركز طلخا بمحافظة الدقهلية عام ١٩٢٠م ثم انتقل وهو طفل بصحبة والدته إلى مدينة طهطا بمحافظة سوهاج وهناك تربى تربية صوفية من منطلق الفطرة الصافية، وحفظ القرآن الكريم وتفقه فى الدين وهو فى سن مبكرة من عمره.

بدأت شهرته وعرفته الإذاعات الدينية والعربية من خلال إحيائه الليلة الختامية لمولد الإمام الحسين ـرضى الله عنهـ بدعوة من صديق له وكان يترنم وينشدو يمدح الرسول ﷺ فادهش مستمعيه فذاع صيته وتناقلته الإذاعات عبر موجاتها. وفى عام ١٩٦٧ بدأت الإذاعة فى عمل برامج دينية منها: «الباحث عن الحقيقة ـ سلمان الفارسى» بالإضافة إلى الابتهالات الدينية بصوت الشيخ حتى أصبح صوته مظهر من مظاهر رمضان الدينية والذى ارتبط فى أذهاننا لكل من: الشيخ محمد رفعت (قيثارة السماء) لقراءة القرآن والشيخ السيد النقشبندى فى أدعية الإفطار وتسابيح الفجر.

وكان مدحه للرسول ﷺ نبضا سماويا يغزو القلوب فتنفتح لمدحه. وكان يدعو الناس على بصيرة من ربه إلى هذا الحب الربانى الصافى، فعاش الشيخ فى حياتهم وفى كل أمورهم وصار صوته علامة بارزة فى عصره، ولقبه كبار الكتاب والأدباء فى مصر بالصوت الخاشع والكروان الربانى وإمام المداحين. وقد وصفه الدكتور مصطفى محمود فى برنامج (العلم والإيمان) ذات مرة بأنه مثل النور الكريم الفريد الذى لم يصل إليه أحد.

عاش الشيخ فقيرا زاهدا عابدا محبا مخلصا كريما لم يترك من حطام الدنيا شيئا يذكر وتزوج بشريكة عمره وكانت على شاكلته كرما وصفاء وعطاء وإخلاصا وأنجب منها البنين والبنات ثم توفيت فتزوج من أخرى وأنجب منها أيضاً.

ترك الشيخ النقشبندى تراثا إسلاميا كبيرا ضخما من الابتهالات والأناشيد والموشحات الدينية وكان قارئا للقرآن الكريم بطريقة مختلفة عن بقية قراء عصره ووقته وإن كانت شهرته كمداح للرسول ﷺ ومبتهل دينى هى الصفة التى اقترنت به. وقد ترك تراثا صوتيا مسجلا للإذاعة والتليفزيون فيما نسمعه ونراه.

وقد اشترك فى حفلات وابتهالات وأناشيد وتواشيح دينية فى معظم الدول الإسلامية والعربية بدعوة من هذه الدول ومن حكامها. وحصل على العديد من الأوسمة والنياشين من مختلف الدول التى زارها.

وفى الرابع عشر من فبراير عام ١٩٧٦ توفى الشيخ السيد النقشبندى عن عمر ٥٦ عاما.. رحمه الله.

قصة العدد

أُمَرَاءُ للبَيْعِ

لإمام البيان العربى
الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

● قال الشيخ تاج الدين محمد بن على الملقب طوير الليل، أحد أئمة الفقهاء بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة(١):

كان شيخنا الإمام العظيم شيخ الإسلام تقى الدين بن مجدالدين بن دقيق العيد(٢) لا يخاطب السلطان إلا بقوله: (يا إنسان)! فما يخشاه ولا يتعبد له ولا ينحله ألقاب الجبروت والعظمة ولا يزينه بالنفاق ولا يداجيه كما يصنع غيره من العلماء، وكان هذا عجيبا، غير أن تمام العجب أن الشيخ لم يكن يخاطب أحداً قط من عامة الناس إلا بهذا اللفظ عينه (يا إنسان)، فما يعلو بالسلطان والأمراء ولا ينزل بالضعفاء والمساكين، ولا يرى أحسن ما فى هؤلاء وهؤلاء إلا الحقيقة الإنسانية!

ثم كان لا يعظم فى الخطاب إلا أئمة الفقهاء فإذا خاطب منهم أحدا قال له: (يا فقيه)، على أنه لم يكن يسمح بهذا إلا لمثل شيخ الإسلام نجم الدين بن الرفعة(٣)، ثم يخص علاء الدين بن الباجى وحده بقوله: (يا إمام)، إذ كان آية من آيات الله فى صناعة الحجة، لا يكاد يقطعه أحد فى المناظرة والمباحثة، فهو كالبرهان: إجلاله إجلال الحق، لأن فيه المعنى وتثبيت المعنى.

● وقلت له يوما: يا سيدى، أراك تخاطب السلطان بخطاب العامة، فإن

١- توفى سنة ٧١٧هـ
٢- كانت وفاته سنة ٧٠٢
٣- توفى سنة ٧١٠



علوت قلت: (يا إنسان) وإن نزلت قلت يا إنسان، أفلا يسخطه هذا منك وقد تذوق حلاوة ألفاظ الطاعة والخضوع، وخصه النفاق بكلمات هى ظل الكلمات التى يوصف الله بها، ثم جعله الملك إنسانا بذاته فى وجود ذاته، حتى أصبح من غيره كالحبل والحصاة: يستويان فى العنصر ويتباينان فى القدر، وأقله مهما قل هو أكثرها مهما عظمت، ووجوده شئ ووجودها شيء آخر؟

● فتبسم الشيخ وقال:

يا ولدى، إيش هذا؟ إننا نفوس ألفاظ، والكلمة من قائلها هى بمعناها فى نفسه لا بمعناها فى نفسها، فما يحسن بحامل الشريعة أن ينطق بكلام يرده الشرع عليه، ولو نافق الدين لبطل أن يكون ديناً، ولو نافق العالم الدينى لكان كل منافق أشرف منه، فلطخة فى الثوب الأبيض ليست كلطخة فى الثوب الأسود، والمنافق رجل مغطى فى حياته، ولكن عالم الدين رجل مكشوف فى حياته لا مغطى، فهو للهداية لا للتلبيس، وفيه معانى النور لا معانى الظلمة، وذاك يتصل بالدين من ناحية العمل، فإذا نافق فقد كذب، والعالم يتصل بالدين من ناحية العمل وناحية التبيين، فإذا نافق فقد كذب وغش وخان.

وما معنى العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة فى الناس دهراً بعد دهر، ينطقون بكلمتها، ويقومون بحجتها، ويأخذون من أخلاقها كما تأخذ المرآة النور: تحويه فى نفسها وتلقيه على غيرها، فهى أداة لإظهاره وإظهار جماله معاً.

أتدرى يا ولدى ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء وكلهم آخذ من نور واحد لا يختلف؟ إن أولئك فى أخلاقهم كاللوح من البلور: يظهر النور نفسه فيه ويظهر حقيقته البلورية، وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشب يظهر النور حقيقته الخشبية لا غير!

وعالم السوء يفكر فى كتب الشريعة وحدها، فيسهل عليه أن يتأول ويحتال ويغير ويبدل ويظهر ويخفى، ولكن العالم الحق يفكر مع كتب الشريعة، فى صاحب الشريعة، فهو معه فى كل حالة يسأله: ماذا تفعل وماذا تقول؟

والرجل الدينى لا تتحول أخلاقه ولا تتفاوت ولا يجيء كل يوم من حوادث اليوم، فهو بأخلاقه كلها، لا يكون مرة ببعضها ومرة ببعضها، ولن تراه مع ذوى السلطان وأهل الحكمة والنعمة كعالم السوء هذا الذى لو نطقت أفعاله لقالت لله بلسانه: هم يعطوننى الدراهم والدنانير فأين دراهمك أنت ودنانيرك؟

إن الدينار يا ولدى إذا كان صحيحا فى أحد وجهيه دون الآخر، أو فى بعضه دون بعضه، فهو زائف كله، وأهل الحكم والجاه

حين يتعاملون مع هؤلاء يتعاملون مع قوة الهضم فيهم... فينزلون بذلك منزلة البهائم: تقدم أعمالها لتأخذ لبطونها: والبطن الآكل فى العالم السوء يأكل دين العالم فيما يأكله...

فإذا رأيت لعلماء السوء وقاراً فهو البلادة، أو رقة فسمها الضعف، أو محاسنة فقل إنها النفاق، أو سكوتا عن الظلم فتلك رشوة يأكلون بها!

***

●● قال الإمام:

وما رأيت مثل شيخي سلطان العلماء عزالدين بن عبدالسلام[٤] فلقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيئا تصنعه طبيعته كما يصنع جسمه الحياة، فلا يبالي هلك فيه أو عاش، إذ هو فى الدم كالقلب: لا تناله يد صاحبه ولا يد غيره، ولم يتعلق بمال ولا جاه ولا ترف ولا نعيم، فكان تجرده من أوهام القوة لا تغلب، وانتزع خوف الدنيا من قلبه فعمرته الروح السماوية التي تخيف كل شيء ولا تخاف، وكان بهذه الروح كأنه تحويل وتبديل في طباع الناس، حتى قال الملك الظاهر بيبرس وقد رأى كثرة الخلق فى جنازته حين مرت تحت القلعة: الآن استقر أمرى فى الملك فى، فلو أن هذا الشيخ دعا الناس إلى الخروج عليّ لانتزع مني المملكة!

وكان سلطانه فى دمشق الصالح إسماعيل، فاستنجد بالإفرنج على الملك نجم الدين أيوب سلطان مصر، فغضب الشيخ وأسقط اسم الصالح من الخطبة وخرج مهاجراً، فأتبعه الصالح بعض خواصه يتلطف به ويقول له: ما بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وأكثر مما كنت عليه إلا أن تتخشع للسلطان وتقبل يده.

● فقال له الشيخ: يا مسكين! أنا لا أرضى أن يقبل السلطان يدى! أنتم فى واد وأنا واد!

ثم قدم إلى مصر في سنة ٦٣٩، فأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب وتحفى به وولاه خطابة مصر وقضاءها، وكان أيوب ملكا شديد البأس، لا يجسر أحد أن يخاطبه إلا مجيبا، ولا يتكلم أحد بحضرته ابتداء، وقد جمع من المماليك والترك ما لم يجتمع مثله لغيره من أهل بيته، حتى كان أكثر أمراء عسكره منهم، وهم معروفون بالخشونة والبأس والفظاظة والاستهانة بكل أمر، فلما كان يوم العيد صعد إليه الشيخ وهو يعرض الجند ويظهر ملكه وسطوته والأمراء يقبلون الأرض بين يديه، فناداه الشيخ بأعلى صوته ليسمع هذا الملأ العظيم: يا أيوب! ثم أمره

٤- هو الإمام العظيم شيخ الإسلام عبدالعزيز بن عبدالسلام بركة الدنيا فى عصره، توفى سنة ٦٦٠هـ.

بإبطال منكر انتهى إلى علمه فى حانة تباع فيها الخمر، فرسم السلطان لوقته بإبطال الحانة واعتذر إليه.

فحدثني الباجي، قال: سألت الشيخ بعد رجوعه من القلعة وقد شاع الخبر، فقلت: يا سيدى، كيف كانت الحال؟

● قال: يا بني، رأيته في تلك العظمة فخشيت على نفسه أن يدخلها الغرور فتبطره فكان ما باديته به.

●● قلت: أما خفته؟

● قال: يا بني، استحضرت هيبة الله - تعالى - فكان السلطان أمامي كالقط[٥] ولو أن حاجة من الدنيا كانت في نفسي لرأيته الدنيا كلها، بيد أني نظرت بالآخرة فامتدت عيني فيه إلي غير المنظور للناس، فلا عظمة ولا سلطان ولا بقاء ولا دنيا، بل هو لا شيء في صورة شيء.

نحن يا ولدى مع هؤلاء كالمعنى الذى يصحح معنى آخر، فإذا أمرناهم، فالذى يأمرهم فينا هو الشرع لا الإنسان: وهم قوم يرون لأنفسهم الحق فى إسكات الكلمة الصحيحة أو طمسها أو تحريفها، فما بد أن يقابلوا من العلماء والصالحين بمن يرون لأنفسهم الحق فى إنطاق هذه الكلمة وبيانها وتوضيحها، فإذا كان ذلك فهنا المعنى بإزاء المعنى، فلا خوف ولا مبالاة ولا شأن للحياة والموت.

وإنما الشر كل الشر أن يتقدم إليهم العالم لحظوظ نفسه ومنافعها، فيكون باطلا مزورا فى صورة الحق، وههنا تكون الذات مع الذات، فيخشع الضعف أمام القوة، ويذل الفقر بين يدى الغنى، وترجو الحياة لنفسها وتخشى على نفسها، فإذا العالم من السلطان كالخشبة البالية النخرة حاولت أن تقارع السيف! كلا يا ولدى! إن السلطان والحكام أدوات يجب تعيين عملها قبل إقامتها، فإذا تفككت واحتاجت إلى مسامير دقت فيها المسامير، وإذا انفتق الثوب فمن أين للإبرة أن تسلك بالخيط الذى فيها إذا هى لم تخزه؟

إن العالم الحق كالمسمار، إذا أوجد المسمار لذاته دون عمله كفرت به كل خشبة...

***

● قال الإمام تقى الدين: وطغى الأمراء من المماليك وثقلت وطأتهم على الناس، وحيثما وجدت القوة المسلطة المستبدة جعلت طغيانها واستبدادها أدبا وشريعة، إلا أن تقوم بإزائها قوة معنوية أقوى منها، ففكر شيخنا فى هؤلاء الأمراء وقال: إن خداع القوة الكاذبة لشعور الناس باب من الفساد، إذ يحسبون كل حسن منها هو الحسن، وإن كان قبيحا فى ذاته ولا أقبح

٥- هذه كلمات الشيخ بحروفها.

منه، ويرون كل قبيح عندها هو القبيح، وإن كان حسنا ولا أحسن منه.

● وقال: ما معنى الإمارة والأمراء؟ وإنما قوة الكل الكبير هي عماد الفرد الكبير، فلكل جزء من هذا الكل حقه وأمله، وكان ينبغي أن تكون هذه الإمارة أعمالا نافعة قد كبرت وعظمت فاستحقت هذا اللقب بطبيعة فيها كطبيعة أن العشرة أكثر من الواحد، لا أهواء وشهوات ورذائل ومفاسد تتخذ لقبها في الضعفاء بطبيعة كطبيعة أن الوحش مفترس.

وفكر الشيخ فهداه تفكيره إلى أن هؤلاء الأمراء مماليك، فحكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، ويجب شرعا بيعهم كما يباع الرقيق!

وبلغهم ذلك فجزعوا له وعظم فيه الخطب عليهم، ثم احتدم الأمراء وأيقنوا أنهم بإزاء الشرع لا بإزاء القاضي ابن عبدالسلام.

وأفتى الشيخ أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ولا طلاق ولا معاملة، وأنه لا يصح لهم شيئا من هذا حتى يباعوا ويحصل عتقهم بطريق شرعي!

ثم جعلوا يتسببون إلى رضاه، ويتحملون عليه بالشفاعات، وهو مصر لا يعبأ بجلالة أخطارهم، ولا يخشى اتسامه بعداوتهم، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فأرسل إليه فلم يتحول عن رأيه وحكمه.

واستشنع السلطان فعله وحنق عليه وأنكر منه دخوله فيما لا يعنيه، وقبح عمله وسياسته وما تطاول إليه، وهو رجل ليس له إلا نفسه وما تكاد تصل يده إلى ما يقيمه وهم وافرون وفي أيديهم القوة ولهم الأمر والنهي.

وانتهى ذلك إلى الشيخ الإمام فغضب ولم يبال بالسلطان ولا كبر عليه إعراضه، وأزمع الهجرة من مصر، فاكترى حميرا أركب أهله وولده عليها ومشى هو خلفهم يريد الخروج إلى الشام، فلم يبعد إلا قليلا نحو نصف بريد حتى طار الخبر في القاهرة ففزع الناس وتبعوه لا يتخلف منهم رجل ولا امرأة ولا صبي، وصار فيهم العلماء والصلحاء والتجار والمحترفون كأن خروجه خروج نبي من بين المؤمنين به، واستعلنت قوة الشرع في مظهرها الحاكم الآمر من هذه الجماهير، فقيل للسلطان: إن ذهب هذا الرجل ذهب ملكك!

فارتاع السلطان، فركب بنفسه ولحق بالشيخ يترضاه ويستدفع به غضب الأمة، وأطلق له أن يأمر بما شاء، وقد أيقن أنه ليس رجل الدينار والدرهم والعيش والجاه ولبس طيلسان العلماء كما يلصق الريش على حجر في صورة الطائر.

ورجع الشيخ وأمر أن يعقد المجلس ويجمع الأمراء وينادى عليهم للمساومة في بيعهم، وضرب لذلك أجلا بعد أن يكون الأمر قد تعالمه كل القاهرة، ليتهيأ من يتهيأ للشراء.



والسوم في هذا الرقيق الغالي!

***

وكان من الأمراء المماليك نائب السلطنة، فبعث إلى الشيخ يلاطفه ويسترضيه، فلم يعبأ الشيخ به، فهاج هائجه وقال: كيف يبيعنا هذا الشيخ وينادي علينا وينزلنا منزلة العبيد ويفسد محلنا من الناس ويبتذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض؟

وما الذي يفقد هذا الشيخ من الدنيا فيدرك ما نحن فيه؟ إنه يفقد ما لا يملك، ويفقد غير الموجود، فلا جرم لا يبالي ولا يرجع عن رأيه مادام هذا الرأي لا يمر في منافعه، ولا في شهواته ولا في أطماعه، كالذين نراهم من علماء الدنيا، أما والله لأضربنه بسيفي هذا، فما يموت رأيه وهو حي.

ثم ركب النائب في عسكره وجاء إلى دار الشيخ واستل سيفه وطرق الباب، فخرج ابنه عبداللطيف ورأى ما رأى، فانقلب إلى أبيه وقال له: انج بنفسك، إنه الموت، وإنه السيف، وإنه وإنه...

فما اكترث الشيخ لذلك ولا جزع ولا تغير، بل قال له: يا ولدي! أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله!

وخرج لا يعرف الحياة ولا الموت، فليس فيه الإنساني بل الإلهي، ونظر إلى نائب السلطنة وفي يده السيف، فانطلقت أشعة عينيه في أعصاب هذه اليد فيبست ووقع السيف منها.

وتناوله بروحه القوية، فاضطرب الرجل وتزلزل وكأنما تكسر من أعصابه فهو يرعد ولا يستقر ولا يهدأ.

وأخذ النائب يبكي ويسأل الشيخ أن يدعو له، ثم قال: يا سيدي، ما تصنع بنا؟

● قال الشيخ: أنادي عليكم وأبيعكم!

- وفيم تصرف ثمننا؟

● في مصالح المسلمين

- ومن يقبضه؟

● أنا.

وكان الشرع هو الذي يقول «أنا»، فتم للشيخ ما أراد، ونادى على الأمراء واحدا واحدا، واشتط في ثمنهم، لا يبيع الواحد منهم حتى يبلغ الثمن آخر ما يبلغ، وكان كل أمير قد أعد من شيعته جماعة يستامونه ليشتروه...

ودمغ الظلم والنفاق والطغيان والتكبر والاستطالة على الناس بهذه الكلمة التي أعلنها الشرع:

أمراء للبيع! أمراء للبيع...

***

التَّجرِبَة .. بَيْنَ الخَلْطِ وَالتَّحدِيدِ

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

ليس عن (التجربة الفنية) يدور هذا الحوار، بمعنى أن محور هذه الكلمات لن يكون تجربة الشاعر المبدع فى معاناته الفنية حين يتصدى للخلق فى مجال الشعر.. ولن يكون كذلك تجربة الفنان التشكيلى فى رحلة بحثه الدائخ فى عالم السطوح والألوان!!

وليس عن (التجربة العاطفية) أتصدى للحديث الآن، بمعنى أننى لن أتصدى فى هذه الكلمات لتاريخ (العاطفة) أو لتاريخ أبطالها الذين ملأوا جوانب الأرض عشقا وحكايا حول هذا العشق على مستوى العذرية الخالصة، أو البوهيمية المنفلتة بلا حدود!!

إن (التجربة) التى أعنى هنا، فى هذه الرحلة، هى (التجربة السلوكية، ربما على وجه التقريب!! أن صعوبة فادحة تواجه المصطلح المحدد لنوع التجربة التى أعنيها هنا، ربما لأن إطارها العام قابل بالضرورة لاحتواء كل العناصر والمفردات الحياتية المختلطة والمتمايزة، بما هو إطار شمولى تنحنى أبعاده على كل المستقيمات فى حياة البشر وكل المنحنيات، وأعنى بهذا الإطار الشمولى (الدين)!!

التجربة التى أعنيها إذن هى تجربة الإنسان الكونى على طريق الصواب والخطأ، أو قل على طريق الخير والشر، ما هى؟ وما ملامح أبعادها الكونية!!

قضية تجريم وبراءة

وقد تلوح القضية للأغرار ساذجة بلا قرار، ربما لأن حياتنا الفكرية غاصة فى هذه المرحلة بملايين المسلمات، ولكن هذه القضية تشكل - فيما أزعم - نصف خريطة الفكر الدينى بلا محاولة للتزيد أو طرح

ركام من الشعارات!! إنها قضية تجريم وبراءة، فإذا لم نحسن فهمها على وجهها الحقيقى، فإنه من الممكن فى هذه اللحظة أن نضرب وجه البرئ بدينونة التجريم، وأن نضع إكليل البراءة تاجا على رأس الجارم الحقيقى. أو قل إن أقل مايمكن أن يصيبنا فى هذه اللحظة، نوع من الدوار الفكرى والعقائدى قد يكون، فلا ندرى من الجارم ومن البرئ وتضيع من أيدينا كل الخيوط!!

إن مواجهة مثل هذه القضايا بمثل هذا النوع من المسلمات اليقينية غير المرتكزة فى حركة يقينها على غير العادة والبلادة، يمكن أن يسحب من تحت أقدامنا كل صلابة الأرض، ويتركنا هكذا راقصين رقصة الموت فى فراغ الفراغ!!

إن المسلمة ينبغى أن تولد من رحم المعاناة. بمعنى أننى لا أستطيع أن أنام على وسادة فهم ما دون معاناة هذا الفهم، إن الفهم الذى يقدمه لى الآخرون ينبغى أن لا يكون سوى فهم مساعد لمعاناتى الخاصة والصميمية على طريق الفهم، وإلا فلست سوى صدى صوت ضائع فى أحراش الظلام!!

ولا أدرى متى - على خريطة فكرنا الدينى - نرفض أن نتناول وجبة الخبز الممضوغ، أملا فى وجبة خبز من إبداعنا نحن، دائم البكارة؟؟ إن مواجهة الأشياء بمزيد من المسلمات يخبط قضية الفكر وقضية الدين على السواء، لأن الفكر الدينى أساسا نزوع بلا انتهاء إلى استكناه هذا العالم المتلاغط، وتخط بلا حدود لأسوار هذا الكون إلى ما وراءه من أكوان، فإذا أحلنا هذه القضية الصميمية نحن إلى قناعات باردة العينين والأعماق، فإن وشم الغباوة الكونية لن يفارق وجوهنا الصفراء من هنا - حتى لحظة إسدال الستار!!

إنسان التجربة

ولنبدأ معا: يقولون: إن الإنسان خطاء بطبيعته، ولأنه هكذا خطاء بطبيعته، فقد فتح له الدين كل أبواب الأوبة التائبة، مضاعفا له الأجر، مبدلا سيئاته حسنات، محلقا به فوق مستوى الإنسان النمطى الذى لم يقارف الخطأ، ولم يدخل بحار (التجربة) الفادحة!!

القضية إذن ذات شقين.. إنسان يحمل براءة التجربة بما هو عائد من رحلة انكفائه فى الوهدة.. وإنسان بلا تجربة وبلا رحلة انكفاء على الإطلاق.. أيهما أروع، وأهدى، وأقمن بمعارج الخلود؟؟

وبدءا، لا أريد أن أحارب جيوش (المسلمات) بمسلمة أخرى من أى لون، أعنى أننى لا أريد أن أوافق هنا على أن الإنسان العائد من رحلة انكفائه هو وحده حامل براءة (التجربة) بينما يظل نقيضه المتأبى على قدر الانكفاء إنسانا عاريا من

(التجربة) مكبوح التطوح فى عمائق المعاناة!! لا أريد أن أوافق على هذه المسلمة البليدة الساذجة لأنى هكذا أفهم هذه المعادلة: إن الإنسان العائد من رحلة انكفائه إنسان دخل (تجربته) أجل!! ولكن نقيضه ـ الإنسان المتأبى على قدر الانكفاء ـ دخل (تجربته) كذلك!! إن تجربة الإنسان الأول يمكن أن تفهم على مستوى السلب بما هو مستسلم منذ البدء لهواتف الطبيعة المركوزة فيه إذا شئنا أن نقول... ولكن تجربة نقيضه يمكن أن تفهم على مستوى الإيجاب بما هو مستعصم بأخلاقيات مقاتلة ثابت منذ البدء على قدر النزول!!

أريد أن أقول: إن طاقة (الوعى) هى ما يفرق بين نوعية كل من النمطين، إن نمط الإنسان المخدر الوعى، المستجيب لهواتف الطبيعة، العاجز عن موقف الصمود، إن هذا النمط هو صاحب (التجربة الإنكفائية... بينما يلوح النمط الآخر إنسانا قابضا على وعيه، متأبيا على جواذب الهبوط، شاهرا سلاحه فى وجه خيانة كينونته كإنسان!!

هكذا أفهم هذه المعادلة، وهكذا ينبغى أن نفهم كل معادلات الفكر والدين، إن تعبئة شبه خرافية قد أفلحت فى اقتلاع فهمنا الصوابى للأشياء، وأعطتنا مدادها الأسود نلعب به لعبة الكتابة والقراءة، غير جادين فى شئ على امتداد خريطتنا الجغرافية والإنسانية، كأننا بعض الدمى على مسرح الكون، ولسنا آحاداً من شخوصه الحقيقيين أو حتى المهرجين!!

صدق رسول الله ﷺ

لابد من التحديق جيدا فى مفهوم هذا المصطلح: (التجربة).. إن التجربة قد تكون تجربة الخطأ لا أصادر هذه المقولة.. وقد تكون تجربة التأبى على الخطأ فلماذا تصادرون هذه المقولة؟؟؟ لقد أومأ محمد العظيم ﷺ إلى هذه القضية حين صاح صيحته الرائعة: (يأتى على أمتى زمان يكون القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر)!! إن القابض على دينه هنا هو إنسان (تجربة التأبى) وليس إنسان (تجربة الانكفاء) لأنه (قابض) ليس على زهرة فى عروة قميصه، أو ذراع فاتنة تبيعه الهوى ببطاقة صفراء كما يمارس نقيضه حياته، وإنما هو قابض على (الجمر) ولعل كلمة (قابض) هنا وليس مجرد (ملامس) مثلا.. تعطى (للتجربة) أبعادها المأساوية الرائعة الصمود!!

متى نحيل الأمل إلى عمل!؟

إن القابض على دينه هنا هو القابض على سلاح المقاومة، وهو القابض على (لا) فى مواجهة كل المغريات!! وليس نقيضه صاحب تجربة الانكفاء سوى قابض على خوره الذاتى والكونى، وسوى قابض على (نعم) فى مواجهة كل العدوانات

على كل المستويات!!

وأوشك أن أطل على هذا الأفق المأساوى الصامد فى مواجهة التحلل من خلال هذه الومضة القرآنية كذلك:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

(البلد: ٤)

إن هذا (الكبد) ليس شيئا آخر غير المعاناة الكونية المخيفة التى نيطت منذ البدء بواحد هذا الكون الرائع الذى هو الإنسان، وليست هذه المعاناة الكونية كذلك شيئا آخر سوى ما نطلق عليه نحن مصطلح: (التجربة)!! وقد يقال إن هذه المقولة القرآنية تعطى منطق التعاطف مع إنسان التجربة المنكفأة، وليس منطق التعاطف مع إنسان التجربة المتأبية، ولكنى لا أستطيع ـ أنا الآخر ـ أن استوعب منطق التعاطف مع فهم القضية على هذا النحو البليد!! لأن السياق القرآنى لا يوحى بذلك على الإطلاق من جهة بما هو صادر عن منطق الخير وقاعدته جميعا... ولأن تجربة الانكفاء ينبغى أن تكون أو هى بالضرورة ـ شذوذ القاعدة ونشازموسيقى الخير فى الطبيعة وفى الإنسان وفى الفكر من جهة أخرى بلا حوائط عازلة بين كل هذه الأنماط!!

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

تعنى فى كبد الرفض وليس فى كبد التهافت الاستجابى، هذا ما أفهمه من طبيعة منطق الآية، النابعة من طبيعة المنطق القرآنى، النابع من طبيعة المنطق الإلهى إذا تجوزنا فى التعبير عن طبيعة الوحى القرآنى بهذه الكلمات!!

التجربة السلوكية

(التجربة) التى أعنيها هنا هى التجربة السلوكية بالمعنى الذى حاولت أن أحدد تخومه!!

وتجربة الانكفاء بعض ملامح المسيرة الإنسانية أجل.. ولكنها لا يمكن أن تكون كل خارطة المسيرة الإنسانية بلا حدود!!

وتجربة الانكفاء معاناة وجودية يحمل براءة خوضها الإنسان لا أنفى ذلك.. ولكن تجربة التأبى معاناة وجودية أفدح وأروع.. لا أحب أن تنفى ذلك كذلك!!

إن الخلط تشويه للحقائق والمفاهيم، بينما ينهض التحديد أملا صميميا يجب أن نهرع إلى احتوائه ومعاناته حتى نطل على أفق التطور الحضارى الذى أبدعنا يوما بعض ملامح وجهه الفاتن، ويوما عانقنا نجومه البيضاء.. إن فى قدرتنا أن نحيل الأمل إلى عمل.. والحلم إلى حقيقة، والغد إلى ساحة الحلول فعلنا البطولى الكبير.

***

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

إن الرسول لنور يستضاء به

من قصيدة لكعب بن زهير:

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

أظلم الظالمين

قال الإمام الشافعي - رضى الله عنه: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب فى مودة من لا ينفعه.

التضحية فداء لرسول الله ﷺ

أسر المشركون «زيد بن الدثنة»، وقبل أن يقتلوه جاءه زعيمهم ليقول له: لو قلت بأنى أرضى أن يكون «محمد» - ﷺ - يقتل بدلى لعفونا عنك!!

فقال له وهو يودع الدنيا: والله لا أرضى أن أكون فى بيتى آمنا ويصاب أنف النبى - ﷺ - برعاف!! والتقط بعض الشعراء هذه الكلمات، وأنشد شعرا يقول فيه:

أسرت قريش مسلما فى غزوة ... فمضى بلا وجل إلى السياف

سألوه هل يرضيك أنك سالم ... ولك النبى فدى من الإتلاف

فأجاب كلا لا سلمت من الردى ... ويصاب أنف محمد برعاف

هذه بعض النماذج لمن ضحوا بكل شيء من أجل الدفاع عن عقيدتهم الربانية وعن رسولهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

عليك

عليك إذا ضاقت أمورك والتوت ... بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر

ولا تشكون إلا إلى الله وحده ... فمن عنده تأتى الفوائد واليُسْرُ

عسى فرج يأتى به الله، إنه ... له كل يوم فى خليقته أمر

فاشهد أنى قد عفوت عنك

حكى إبراهيم النخعي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نهى الرجال أن يطوفوا مع النساء، فرأى رجلا يطوف مع النساء فضربه بالدرة، فقال الرجل: والله إن كنتُ أحسنت لقد ظلمتني، وإن كنت أسأت فما علمتني! فقال عمر - رضى الله عنه: أما شهدت عزمتي؟ (أي نهيي)، فقال: ما شهدت لك عزمة، فألقى إليه الدرة، وقال له: اقتص! قال: لا أقتص اليوم! قال: فاعف عني، قال: لا أعفو، فافترقا على ذلك، ثم لقيه في الغد، وقد تغير لون عمر، فقال الرجل: كأني أرى ما كان مني قد أسرع فيك؟ قال: أجل. قال: فأشهد أني قد عفوت عنك!.

رد فعل الأعرابى

وقف أعرابى على قوم فمنعوه، فقال يناجى ربه ويقول: اللهم أشغلنا بذكرك، وأعذنا من سخطك، وأولجنا إلى عفوك، فقد ضن خلقك برزقك، فلا تشغلنا - اللهم - بما عندهم من طلب ما عندك، وآتنا من الدنيا القنعان، وإن كان كثيرها يسخطك فلا خير فيما يُسخطك.

حقا

لدغ العقارب لم يكن لعداوة ... لكن للؤم تقتضيه طباعها

بالعدل قامت السماوات والأرض

قال الله - تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

(النحل: ٥٨)

وقال - تعالى:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٨)

أى ولا يحملنكم كراهتكم لقوم لما سبق من



إيذائهم لكم على ألا تعدلوا فى الحكم بينهم، اعدلوا هو أدنى أن تخشوا الله وتستأهلوا غفرانه.

وهذا من أعلى وأكمل ما تميز به الإسلام من التجرد عن الآثار النفسية البشرية، والتنزه عن الصفات الأرضية، فالحق يدعو أهله لتجريد العدالة من كل الملابسات التعاملية، فإذا حكموا بين رجلين أمرهم ألا ينظروا لما كان بينهم وبينهما من أواصر قومية، أو سخائم نفسية، وأن يصدروا أحكامهم على مقتضى العدل الإلهى المستقيم.

ليس فيما بين أيدينا من مجموعات العدالة العالمية ما يبلغ حد هذه العدالة القدسية أو يقرب منها.

حكى أن الرشيد أمر بحبس أبى العتاهية الشاعر فكتب على حائط الحبس:

أما والله إن الظلم شؤم ... وما زال المسىء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم فى المعاد إذا التقينا ... غدا عند المليك من الظلوم

فقرات بليغة لبعض الأكابر

قال ابن عباس – رضى الله عنه –: الرخصة من الله صدقة، فلا تردوا صدقته.

وقال: لكل داخل هيبة، فابدءوا بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدءوا باليمين.

وقال ابن مسعود: الدنيا كلها هموم، فما كان منها فى سرور فهو ربح.

وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

وقال: أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار.

نقول: لسنا نرى هذا الرأى فإن السفهاء إذا أكرموا استهتروا فى غيهم، وأمعنوا فى بغيهم، فما يكفوننا من العار والنار يكفينا الله إياه بكمال الرجولة، وتمام الفضيلة.

وقال المغيرة بن شعبة: العيش فى لقاء الحشمة، وفى كل شىء سرف إلا فى المعروف.

وقال مصعب بن الزبير: التواضع من مصايد الشرف.

دعاء

سبحانك إلهى! إذا ذكرت خطيئتى، ضاقت علىّ الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتد إلى روحى.

سبحانك إلهى! أتيت أطباء عبادك ليداووا لى خطيئتى فكلهم عليك يدلنى.

***

الأزمة النووية الإيرانية

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يتساءل الجميع كيف نشأت الأزمة النووية الايرانية؟

إن إيران ترى أن من حقها تخصيب اليورانيوم على أراضيها وامتلاك تكنولوجيا نووية للاستخدامات السلمية، واستعدادها لتقديم كافة الضمانات التى تثبت سلمية البرنامج النووى لها لدعم ثقة المجتمع الدولى فى نواياها السلمية وعلى الجانب الآخر ترى الولايات المتحدة الأمريكية أنه من الضرورى التوصل مع إيران إلى إيقاف نهائى وشامل لأنشطة تخصيب اليورانيوم فى مفاعلاتها النووية وهو ما ترفضه إيران حاليا.

ومن هنا نشأت الخلافات حول البرنامج النووى الإيرانى خاصة أن الجانب الإيرانى، يذهب إلى القول أن نصوص معاهدة منع الانتشار النووى يعطى إيران الحق فى تخصيب اليورانيوم على أراضيها، وامتلاك تكنولوجيا نووية سلمية وهو ما لايتعارض فى نفس الوقت مع القانون الدولى العام.

إذن فإن موضوع الأزمة النووية الإيرانية هو «تخصيب اليورانيوم على الأراضى الإيرانية»، وتمسك الجمهورية الإسلامية الإيرانية بهذا الحق، مقابل رفض أمريكى مطلق له بحجة سعى إيران لتطوير برنامج نووى عسكرى هدفه امتلاك سلاح نووى ومن ثم تأخذ الدهشة كثيرا من المحللين السياسيين، لماذا هذا الموقف المتشدد من جانب الولايات المتحدة الأمريكية إزاء البرنامج النووى الإيرانى؟ فى الوقت الذى سمحت فيه أمريكا والغرب الأوروبى لكل من باكستان والهند بتجاوز تخصيب اليورانيوم للأغراض السلمية إلى إنتاج السلاح النووى، ناهيك عن انفراد إسرائيل باحتكار السلاح النووى فى المنطقة، والتزام أمريكى بحماية أمنها، ورفض إسرائيلى للخضوع للتفتيش الدولى من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية تحت ذريعة

عدم توقيعها على معاهدة منع الانتشار النووى وعلى الرغم من ذلك نجد وزير الدفاع الإسرائيلى «شاؤول موفاز» يصرح بقوله: «إن إسرائيل لن تقبل تحت أى ظروف أن تتوصل إيران إلى امتلاك سلاح نووى» ويضيف: «إن المجتمع الدولى يجب أن يتعامل مع التهديد الإيرانى بأكبر قدر من الجدية».

الولايات المتحدة وإسرائيل والترويج للأكاذيب

وفى كلمته فى افتتاح الدورة الستين للجمعية العامة للأمم المتحدة يكشف «سيلفان شالوم» وزير خارجية إسرائيل السابق الموقف الإسرائيلى من الملف النووى الإيرانى بقوله: «ترحب إسرائيل بجهود الجماعة الدولية، وبشكل خاص فرنسا وبريطانيا وألمانيا (الثلاثية الأوروبية المتفاوضة، مع إيران) ومساندة الولايات المتحدة لمنع إيران من إرهاب العالم بالأسلحة النووية وإن الدول الأعضاء فى مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، يجتمعون فى هذه اللحظة فى فيينا لمناقشة هذا الأمر الهام والعاجل، ونحن ندعوهم لمنع هذا النظام المارق من امتلاك الأسلحة النووية، فإن أمن واستقرار الكرة الأرضية بأكملها مهدد بالضياع لهذا من الضرورى أن يقوم مجلس الأمن باتخاذ موقف عاجل وسريع، ولماذا هذه الحملة الإعلامية الشرسة من جانب أمريكا وإسرائيل والعداء السافر لإيران واللافت للنظر أن الخبير النووى الأمريكى «ديفيد أولبرايت» رئيس «معهد الأمن الدولى والعلوم» شكك فى مصداقية تقرير المخابرات الأمريكية حول اعتزام إيران انتاج رأس نووى، ووصف هذا التقرير بأنه مضلل، وأوضح «ديفيد» أن التقرير تحدث عن محتويات جهاز كمبيوتر محمول خاص بتصميم رأس نووى بينما تشير المعلومات الفعلية المنشورة إلى وصف مركبة تستخدم فى إطلاق صاروخ، وأن هناك فرقا بين الأمرين».

إيران لا يمكنها بناء رأس نووى

وفى رأى هذا الخبير النووى الأمريكى «أن إيران لا يمكنها بناء رأس نووى صغير، يمكن إدخاله فى دائرة قطرها ٦٠٠ ملليمتر على الأكثر بإمكانياتها المتاحة حاليا» وهذا السياق جاء على لسان رئيس هيئة الأركان الإسرائيلى «دانى حالوتس» بجريدة هآرتس الإسرائيلية (١٤/١٢/٢٠٠٥) «إن إيران ستستغرق وقتا لتكون قادرة على انتاج قنبلة نووية» وقدر هذا بأنه يمكن أن يحدث بين عامى ٢٠٠٨، ٢٠١٥ ومن جهة أخرى أوضح «د. محمد البرادعى» المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية «أن الوكالة لم تجد دليلا على أن إيران تحاول صنع أسلحة نووية، ويؤكد «جيمس بتراس» عالم الاجتماع الأمريكى البارز

«أن الإيرانيين فى مرحلة أولية فى معالجة اليورانيوم، ولم يصلوا حتى الآن إلى نقطة تخصيبه، الأمر الذى سيستغرق بدوره عدة سنوات، وسيتطلب التغلب على كثير من المشكلات التقنية المعقدة قبل أن تتمكن إيران من صنع قنبلة، ولا يوجد أساس حقيقى للقول بأن إيران تمثل تهديدا نوويا على إسرائيل أو على القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط.

ويضيف مؤكدا حق إيران فى تخصيب اليورانيوم فيقول: «إن عشرات البلدان التى تملك مفاعلات نووية، تستخدم اليورانيوم المخصب بالضرورة، وأن قرار إيران تخصيب اليورانيوم هو من حقوق السيادة، لها شأنها فى ذلك شأن كل البلدان الأخرى التى تملك مفاعلات نووية فى أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية ويكشف هذا العالم الأمريكى المخطط الأمريكى لتحويل الملف النووى الإيرانى لمجلس الأمن فيقول: «من الواضح أن دعم المفاوضات من جانب واشنطن هو حيلة لاستفزاز إيران لترفض، وفى هذه الحالة يمكن لأوروبا إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن لفرض عقوبات دولية».

ويضيف «بتراس» قائلا: «وعندئذ ستحاول الولايات المتحدة أن تضغط على روسيا والصين لتصوتا إلى جانب العقوبات أو لتمتنعا عن التصويت»

ويذهب بعض المحللين السياسيين إلى أن واشنطن تعلم جيدا أن أمام إيران عدة سنوات قبل أن تتمكن من التوصل إلى إنتاج سلاح نووى إذا كان فى نيتها ذلك، إذا أن مراكز التقييم فى الأجهزة الأمريكية ومنها تحديدا «تقييم المخابرات الوطنية NIE»، حددت عدة سنوات قد تصل إلى عشر، قبل أن تتمكن إيران من انتاج سلاح نووى.

بورصة البترول الإيرانية

والسؤال الذى يطرح نفسه فى ضوء ذلك: لماذا هذه الضجة التى تثيرها الولايات المتحدة حول البرنامج النووى الإيرانى؟ وهل هناك سبب آخر وراء افتعال هذه الأزمة؟ يبدو كما يذكر المراقبون أنه قد تسربت أنباء عن خطط إيرانية تهدد الاقتصاد الأمريكى فى الصميم بما لا يمكن السكوت عليه من جانب الأمريكيين على الرغم من أنها ليست لها علاقة بالإرهاب أو السلاح النووى وهو ما يعنى أن هذه الخطط تدخل فيما يعرف بحرية الأسواق، وأن إيران تنوى شن «حرب اقتصادية ضد أمريكا» بإقامة «بورصة بترول مستقلة» تستخدم اليورو وليس الدولار فى تعاملاتها البيعية على أن أمريكا من الناحية العملية هى المحتكرة الوحيدة لتجارة البترول عالميا، سواء فى البورصة الدولية للبترول بلندن أو فى «نيمكس» فكلاهما ـ كما يذكر ـ



ملكية أمريكية وهذا يقتضي بطبيعة الحال ضرورة أن تحتفظ البنوك المركزية في العالم باحتياطي ضخم من الدولارات للوفاء باحتياجات السوق العالمية من هذه العملة سدادا للصفقات البترولية التي تعقدها الدول. واللافت أنه طالما تشترى دول العالم بالدولار، فإن الولايات المتحدة تظل في مركز اقتصادى متين ومتميز، على الرغم من حجم ديونها الذى بلغ ٨ تريليونات دولار خاصة أن الدولار حاليا يشكل ٦٨٪ من احتياطي العملات في العالم ومن هنا يرى هؤلاء المراقبون أن التهديد الوحيد للوضع الاستراتيجي الذى تتمتع به الولايات المتحدة هو أن تقوم إيران بإنشاء «بورصة بترول مستقلة» تبيع باليورو مما يطيح بالدولار جانبا، وينشيء عملة أخرى مستقرة وغير مديونة، وهي اليورو، مما يعنى استغناء كثير من الدول عن التعامل بالدولار، وهذا من شأنه الإضرار البالغ بقطاعات الاقتصاد الأمريكي.

الولايات المتحدة.. والحرب دفاعا عن الدولار

وكل من يعلم بهذا الأمر ويحلل الأوضاع يتوصل إلى حقيقة مقلقة للغاية بالنسبة للولايات المتحدة، وهى أن من السهل على الإيرانيين إقامة مثل هذه البورصة البترولية التي لا تتعامل بالدولار والتي لو أقيمت لكانت ضربة قوية تصيب الاقتصاد الأمريكي في مقتل ومن هنا لا يستبعد كثير من المراقبين أن تؤدى الأمور إلى قيام الولايات المتحدة بعمل عسكرى ضد إيران لإجهاض مثل هذا التوجه تحت شعار إيقاف البرنامج النووى الإيرانى بينما الحقيقة هي الدفاع عن الدولار الأمريكي وأن يظل مهيمنا على احتياطي العملات الأخرى في البنوك المركزية في العالم وفي هذا الشأن كتب الاقتصادى الأمريكي «كراسيمير بتروف» مقالا تحت عنوان «البورصة الإيرانية المقترحة» يقول فيه: «إنه لو حدث وحققت بورصة بترول إيرانية وجودا ستجد قبولا من جميع القوى الاقتصادية الرئيسية في العالم وبالتالى هذا ما يؤدى إلى رفع معدل التضخم درجات فائقة في أمريكا إلى جانب ارتفاع معدل الفائدة بكل ما يجر وراءه من عواقب». وفي هذا الصدد يرى «مايك ويتني» الخبير الاقتصادى «أن الدولار من أهم الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة إلى شن الحرب على العراق، وهذا الدولار هو الذى بسبيل أن يدفعها مرة أخرى إلى توجيه ضربة إلى إيران، ويعتقد بعض المحللين السياسيين أن صقور وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) يترصدون لإيران وهم لا يرونها سوى دولة تجلس على بحر من النفط» وعلى أكوام من المال، وأن جيشها مهما كبر حجمه أو قوته، يمكن تقويضه لتلحق بجارتها العراق، كما أن النوايا الأمريكية لتحقيق الانتصار في

الحرب على الإرهاب تشمل تغييرات كبيرة في خريطة الشرق الأوسط وأنه على إيران ألا تتجاهل ذلك لأن التغييرات المطروحة تشملها إلى جانب دول أخرى في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير.

مخطط العدوان على إيران

ومن هذا المنطلق وضعت وزارة الدفاع الأمريكية خلال شهر نوفمبر ٢٠٠٥ دراستين حول الملف النووى الإيرانى وكيفية التعامل معه فقد صدرت الدراسة الأولى، تحت عنوان: «الوسائل المتاحة لمواجهة القنبلة الذرية الإيرانية» مؤكدة إن إسرائيل لا يمكنها بمفردها ضرب المنشآت النووية الإيرانية فليس لديها قواعد في أى بلد مجاور لإيران، كما أنها لا تمتلك حاملة طائرات وأن قصف المواقع النووية الإيرانية يحتاج ليس فقط إلى طلعة جوية واحدة أو طلعتين، وإنما إلى حملة جوية متكاملة وهو أمر لا يستطيع الطيران الإسرائيلي، بمفرده القيام به وفوق ذلك فإن إسرائيل لا تمتلك صواريخ كروز بالقدر الكافي للقيام بهذه المهمة ويرى بعض المحللين العسكريين أن طول المسافة بين إسرائيل وإيران لن يحول دون إمكانية وصول المقاتلات الإسرائيلية سواء القاذفة (إف ١٦) الحديثة التي يبلغ مداها ٢١٠٠ كم أو الاعتراضية (إف ١٥) إلى أهدافها في إيران، من خلال التزود بالوقود في الجو، والذى تملك إسرائيل إمكاناته بالإضافة إلى إمكانية تزويد هذه المقاتلات بخزانات وقود إضافية، وإن كان ذلك على حساب التحميل بالذخائر كما يمكن لإسرائيل أن تنقل طائراتها مبكرا إلى قواعد قريبة من إيران في دول صديقة تستخدمها في إعادة التزود بالوقود وفي العودة بعد انتهاء المهمة مثل تركيا ودول آسيا الوسطى والمطارات بالمنطقة الكردية في العراق.

أما الدراسة الثانية فصدرت تحت عنوان: «احتواء إيران نووية» وقد أشارت هذه الدراسة أن من الضرورى ضرب حصار نووى محكم حول إيران في حالة امتلاكها قنبلة نووية، وإبلاغها بوضوح أن استخدامها لهذ السلاح تحت أى ظرف من الظروف سيعرضها لرد مماثل يؤدى إلى تدميركل عناصر البنية التحتية فيها ويرى «البنتاجون» أن إيران قد لا تقدم على استخدام السلاح النووى في حالة امتلاكها له، إلا أنه لا يمكن إغفال خطورة امتلاك إيران لهذا السلاح على دول الخليج العربية إذ إنه سيساعد إيران على بسط نفوذها على هذه الدول لذلك فإن إحكام الحصار النووى على إيران من قواعد أمريكية في العراق، وأفغانستان، وتركيا، وبلدان آسيا الوسطى، ومن مياه الخليج، أمر بالغ الأهمية، ناهيك عن أن إسرائيل بما تملكه من ترسانة نووية



وأسلحة تقليدية متطورة سيضاعف من شعور إيران بمدى المخاطر التى تهدد أمنها أما فيما يتعلق باحتمالات فرض عقوبات دولية على إيران، بقرار من مجلس الإمن، فإن هذا القرار، كما يذكر الكثير من المراقبين، سيطلق يد إيران حرة فى استكمال خططها لتخصيب اليورانيوم بلا رقابة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، خاصة بعد إعلان إيران، مؤخرا تعليق العمل بالبروتوكول الإضافى فى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية.

ويعتقد معظم المراقبين أن تنشغل الدول الأعضاء فى مجلس الأمن الدولى، بالمفاضلة بين أنواع العقوبات المختلفة للتأثير فى قرار صنع السياسة فى إيران، ويمكن تقسيم العقوبات الاقتصادية إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

الأولى العقوبات التجارية والاستثمارية التى ستفرض على قطاع النفط، من خلال حصار بحرى لمنع تصدير النفط الإيرانى إلى السوق الخارجى، وبحظر تدفق الاستثمارات الأجنبية فى قطاع الطاقة، مما يؤثر على النظام الإيرانى بشدة، حيث إن النفط يمثل ٨٠٪ إلى ٩٠٪ من الصادرات الإيرانية، كما يشكل ٤٠٪ إلى ٥٠٪ من إيرادات الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

والثانية العقوبات الذكية وهى عبارة عن حزمة من العقوبات تشمل وقف تصدير المنتجات التكنولوجية المتطورة إلى إيران بذريعة استخدامها من أجل أغراض عسكرية أو نووية، وحظر هبوط الطائرات الإيرانية المدنية فى مطارات العالم المختلفة، والتضييق على خطوط الملاحة البحرية الإيرانية، وقد تمتد العقوبات إلى منع الفرق الرياضية الإيرانية من المشاركة فى البطولات العالمية، وقد تصل أيضا إلى وضع أفراد من النخبة الإيرانية على القائمة السوداء، ومنعهم من دخول دول العالم.

إيران.. والاعتماد على الذات

والثالثة العقوبات المالية، وهى تتضمن تجميد الودائع الحكومية، وودائع الشركات والأفراد، ووضع العراقيل أمام جدولة الديون المستحقة على الدول المعاقبة ووقف الدول الصناعية منح قروض التصدير لشركاتها الوطنية التى تتعامل مع الدول المعاقبة ويذكر فى هذا السياق أن استخدام العقوبات الذكية Smart Sanction هو الاحتمال الأكثر واقعية وقبولا فى هذه المرحلة، لممارسة الضغوط على إيران ويرى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية أن إيران لن تتأثر كثيرا بما سيفرض عليها من عقوبات، فيقول «على خامنئى»: «إن سياسة الاحتواء المزدوج، والمقاطعة الأمريكية، كانتا نعمة بالنسبة للشعب الإيرانى بسبب الفوائد التى حصل عليها من هذا الحصار وهو يرى أن عملية العزل التى تعرضت لها إيران منذ قيام الثورة الإسلامية

عام ١٩٧٩، من جانب الولايات المتحدة الأمريكية خلقت لديها روح الصمود، والاعتماد على الذات، والقدرة على تحدى الحصار، والاعتماد على الموارد الوطنية» ومن الملاحظ أن الأزمة النووية الإيرانية تطورت واتخذت أبعادا جديدة، فقد نجحت الولايات المتحدة فى إقناع روسيا والصين بالموافقة على إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن فى الاجتماع الطارىء لمجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، الذى انعقد فى الفترة من ٢-٤ فبراير ٢٠٠٦، حيث اتخذ قرار الإحالة بأغلبية ٢٧ عضو وامتناع خمسة أعضاء عن التصويت (ليبيا، الجزائر، أندونيسيا، جنوب أفريقيا، بيلا روسيا) ورفض ثلاثة أعضاء (سوريا، فنزويلا، كوبا) وكان من نتيجة هذا القرار، إعلان إيران استئنافها تخصيب اليورانيوم، وتعليق العمل بالبروتوكول الإضافى لمعاهدة منع الانتشار النووى، بمنع التفتيش المفاجىء للوكالة على منشآت إيران النووية.

المبادرة الروسية

ومن أجل إيجاد مخرج لهذه الأزمة النووية، أعلنت روسيا مبادرة من جانبها لتخصيب اليورانيوم على أراضيها، تتضمن إقامة منشأة إيرانية، يتم فيها تخصيب اليورانيوم بوسائل تقنية روسية بواسطة أشعة الليزر وليس بواسطة أجهزة الطرد المركزى الموجودة فى مفاعل «دناتنز» الإيرانى، على أن تخضع هذه المنشأة النووية ـ التى ستقام بتمويل إيرانى على الأراضى الروسية لإدارة طهران، ويعمل بها إيرانيون يتقاضون رواتبهم من إيران غير أن التكنولوجيا المستخدمة ستكون مجهزة بحيث تنتج يورانيوم بنسبة تخصيب لا تزيد على ٣٪ ـ ٥٪ وهى النسبة التى تحتاجها الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية، على أن تقدم موسكو «ضمانات مكتوبة» إلى واشنطن ولندن وباريس وبرلين تتعهد فيها روسيا بعدم انتاج يورانيوم عالى النقاء قابل للاستخدام لصنع السلاح النووى وتهدف روسيا من هذه المبادرة إلى منع إيران من القيام بتخصيب اليورانيوم على أراضيها إرضاء للولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين الذى يخشون أن تستخدم إيران هذه التكنولوجيا النووية من أجل صنع السلاح النووى.

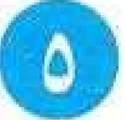
واللافت للنظر، فى الختام أن إيران أبدت استعدادها لقبول الخطة الروسية بشرط أن تكون محددة بوقت معين (تردد أن يكون فى حدود عامين) وأن يصاحبها الاعتراف بحق إيران فى تخصيب اليورانيوم على أراضيها بعد هذه الفترة، وبذلك تؤكد حقها السيادى فى هذا الشأن فهل سيتم حل هذه الأزمة قريبا بالمفاوضات؟



التجانس اليهودي والشخصية اليهودية

للدكتور
عبدالوهاب المسيري

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين




د. عبدالوهاب المسيري

المتتبع للفكر الصهيوني.. يدرك مدى اتساع الهوة بين الدين اليهودي - بتعاليمه الأصيلة السماوية - وبين التوجه الصهيوني فكرا وقيما وسلوكا، ومقاصد، فلا رابط بين هذا وذاك، إذ هذا في أقصى اليمين، وذاك في أقصى اليسار.

غير أن مفكري الصهيونية ودعاتها - وهم لا يكنون أي احترام لليهودية ولا لأي دين سماوي - هؤلاء قد استغلوا أفكار بعض الخارجين على اليهودية الذين استطاعوا بدهائهم ونفاقهم أن يمالئوا حكام الرومان لينالوا حمايتهم، منذ بدأت تظهر بشائر ميلاد المسيح - عليه السلام -، فأدخلوا على الدين اليهودي من الفكر والقصص الخرافية ما شاءت لهم أهواؤهم الشاذة.. وضمنوها كتبهم الدينية حتى غدت اليهودية دينا بلا تدين!.

فلا الإله عندهم إله له من صفات الألوهية ما يجعل المخلوق يخضع له بالعبودية والإجلال.. ولكنه إله فقير يحتاج إلى عبادة الأغنياء فيطلب منهم الصدقات، على ما أوضحه القرآن الكريم في قوله - تعالى - :


﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾

(آل عمران: ١٨١)

وهو إله بخيل مغلول اليد،



﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾

(المائدة: ٦٤)

ومع هذا وذاك يستمرون في الوقاحة الضالة فيزعمون أنهم

﴿ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾

(المائدة: ١٨)

ولا الرسل والأنبياء هداة إلى الحق، لهم من الخصوصية ما أهلهم لأداء ذلك الدور، ولكنهم أشخاص مفرغون من القيم، منهمكون في الخطايا بكل ألوانها، حتى لقد صوروا داود - عليه السلام - الذي يعتزون بانتمائهم إليه رجلا شريرا، دمويا يغتصب الأرض والمال، بل والنساء، دون رادع من قيم أو أخلاق، فهبطوا به إلى أحط درك يصل إليه بشر، حيث استبدت به الشهوة الجنسية، فلم يترك امرأة تروق في عينيه إلا نال منها.. حتى امرأة قائد جيوشه «أوريا» لما أرادها لنفسه.. أرسل هذا القائد على رأس جيش إلى حيث قضى نحبه ليخلو هو بامرأته في أثناء غيابه، ولتخلص له بعد هلاكه.

هؤلاء الصهيونيون - في العصر الحديث - استغلوا تلك الأفكار - وأمثالها كثير يملأ كتبهم التراثية - واستغلوا من بين اليهود من هم على شاكلة هؤلاء الأسلاف.. فبذروا في تربتهم بذور الصهيونية التي نمت، وأثمرت سريعا ما تعاني منه البشرية اليوم في العالم كله، حيث لا يعدمون لهم نصيرا في كل موطن.. خصوصا بين معتنقي العلمانية الإلحادية.

حتى الحقائق الدينية لم تسلم من التضليل

والدكتور المسيري يقف متأملا أمام مصطلحين آخرين من المصطلحات التي اخترعها الصهيونيون، وعملوا على إذاعتها، حتى تقبلها كثير من الناس، على الرغم من تعارضها مع الحقائق الثابتة، وتباينها مع الواقع المقرر.

هذان المصطلحان هما: «التراث اليهودي - المسيحي»، و«الصهيونية - المسيحية»، فقد رأى الصهيونيون أن يستغلوا ما بين الدين المسيحي والدين اليهودي من اشتراك في بعض العناصر الأخلاقية - مغفلين اشتراك الدين الإسلامي معهما في تلك العناصر، لتوحد مصدر الديانات السماوية الثلاثة - رأى الصهيونيون استغلال تلك العناصر المشتركة في اختراع هذين المصطلحين، على الرغم من الخلاف الواسع بين الدينين في كثير من الأخلاقيات والمعتقدات الجوهرية.

«أ» أما مصطلح «التراث اليهودي - المسيحي» فقد أقيم على تضليل بيّن، وتزييف صُراح، يكشفه في يسر أمور كثيرة منها:

١ - أن المسيح - عليه السلام - في العقيدة المسيحية - إله / إنسان، مهمته خلاص كل البشرية، وليس الشعب اليهودي فحسب، أما المسيح - في الرؤية اليهودية - فهو شخصية سياسية قومية، سيقود شعبه إلى «صهيون»، ويعيد بناء الهيكل، ويؤسس المملكة اليهودية مرة أخرى.

٢ - أن العقيدة المسيحية تقرر: أن المسيح

ارتضى أن يصلب، وأن يتحمل آلام الصَّلب، ليفدى أبناء آدم من إثم خطيئة أبيهم آدم.. فإن العنصر الأساسى فى حادثة هذا الصلب هم اليهود الذين حاكموا المسيح، وأصروا على صلبه، فهم قتلة الرب الذين يقتلونه دائما بإنكارهم إياه، كما تقر العقيدة المسيحية.

٣- أن النسق الدينى اليهودى يختلف عن النسق الدينى المسيحى، حيث تقتصر اليهودية على الظاهر، والتفسير الحرفى، دون إدراك المعنى الداخلى، حتى أصبحت اليهودية - فى رؤية المسيحيين - ديانة متدنية، ووصف اليهود بأنهم شعب يحمل كتبا ذكية، ولكنه لا يفقه معنى ما يحمل.

وكان من أبرز مظاهر هذا الاختلاف.. أن أصبحت المسيحية دينا عالميا، بينما ظلت اليهودية دينا حلوليا مغلقا، مقصورا على عرق بعينه، هو وحده موضع الحلول الإلهى.

من هذا.. يتأكد: أن اختراع مصطلح «التراث اليهودى - المسيحى» إنما قصد به العمل على طمس معالم الاختلاف الجوهرى بين العقيدتين، رغبة فى زيادة الدعم الغربى للدولة اليهودية، وكسب موافقة الجماهير الغربية ورضائهم عن هذا الدعم الذى يتنافى مع القيم المسيحية، والأخلاقية، والإنسانية.

«ب» وأما مصطلح «الصهيونية المسيحية» فإنه واضح التناقض، إذ الصهيونية عقيدة علمانية، تقوم على مجموعة من القيم النسبية المتغيرة التى تمكن من يعتنقها من رفضها، والتنكر لها، وتعديلها، وفق مواقفه المتغيرة، واحتياجاته المتطورة، وأهوائه المتقلبة، ورغباته الشخصية الخاصة التى لا تقف عند حد.

أما المسيحية - شأن كل عقيدة دينية - فالمؤمن بها يؤمن بمجموعة من القيم المطلقة المتجاوزة إرادته، لأنها ليست من إبداع أى مخلوق.

ولكن الصهيونيين يغفلون هذا التناقض الأصيل، ويعملون على إجراء تعديلات فى المعتقدات الدينية المسيحية، ويحرصون على إدخال تغييرات عليها، حتى تتلاقى مع القيم الصهيونية، فتختفى ما بين المسيحية والصهيونية من تناقضات صارخة حادة.

وهم يستندون فى هذا إلى المسيحية البروتستانتية، حيث يؤمن كثير من البروتستانت بأنه حينما يعود المسيح المخلص سوف يحكم العالم هو والمتدينون لمدة ألف عام، يسود فيها السلام والعدل.. حيث أضافوا إلى ذلك: أنه لكى يحدث ذلك وتبدأ الألف السعيدة، لابد من أن يتم استرجاع اليهود إلى فلسطين، تمهيدا لمجيء المسيح، فاسترجاع اليهود إلى فلسطين هى بشرى الألف السعيدة.

ولكى يحقق الصهيونيون ما هدفوا إليه من اختراع تلك «الألفية الاسترجاعية» فرضوا الوحدة العضوية بين اليهود فى الماضى والحاضر، والمستقبل.

ولهذا.. نرى كثيرا من يهود أمريكا يرحبون بتلك الصهيونية التى تدعى المسيحية، والتى تطالب بنقلهم إلى إسرائيل، ووضعهم فى حالة حرب دائمة، بخلاف الصهيونيين الدوليين،



الذين يرون أن هؤلاء الصهيونيين المسيحيين يكونون «اللوبى» الصهيونى القوى الذى يعيش فى صلب المجتمع الأمريكى، ويكاد يتحكم فى القرار هناك.

الصهيونية.. فكرة وغاية وواقعا

والدكتور المسيرى - بعد أن أبرز دور الصهيونيين فى هذا التزييف المضلل - يحاول أن يقدم تفسيرا لقيام الصهيونيين بهذا الدور التخريبى فى العالم عموما - وفى فلسطين خصوصا - فيقوم بجولة تأملية، بحثا عن جذورها، والإطار الذى تتحرك فيه.

ومن هذه الجولة.. رأى: أن الصهيونية لا صلة لها - فى الحقيقة - باليهودية، فهى لا تنبع من العقيدة اليهودية، ولا يمكن فهمها فى ضوء ما ورد فى كتب اليهود المقدسة، ولا حتى فى ضوء ما ينسب زورا لأعضاء الجماعات اليهودية من شر أزلى، وتآمر أبدى.

إنما هى وليدة الاستعمار الاستيطانى الغربى، ويمكن فهمها فى إطار الحضارة الغربية. فهى لا تنفصل - فى تاريخها - عن الفكر الغربى، إذ هى حركة استعمارية استيطانية إحلالية، تكتنفها الإمبريالية الغربية وتظللها.

ولذلك.. فهى تقدم على «الداروينية» المادية، وتعتمد على إنكار التاريخ سواء تاريخ الجماعات اليهودية، وتاريخ الشعب الذى تنتزع أرضه.. بل وتعتمد على إنكار الجغرافيا كذلك، كى تصل إلى مقاصدها التوسعية.

وهى تتوسل إلى ما تريد بالإبادات العنصرية التى تنكر على الآخرين حقهم فى الوجود، وليس حقهم الإنسانى والثقافى فحسب.. هذه الإنكارات، وتلك الإبادات التى يعبر عنها شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، هذا الشعار الذى أفرز ستائر من المقولات التى تختفى وراءها إلى حين شعارات أخرى، مثل: «الصهيونية حركة التحرير القومى للشعب اليهودى»، وشعار: «عودة اليهود إلى وطنهم القومى».

والدكتور المسيرى يرى: أن إجماع الصهيونيين على هذه الأسس وتلك الوسائل هو الذى نشأ عنه «اللاءات» الصهيونية المشهورة:

١- لا يمكن أن يوجد جيش غير جيش إسرائيل بين البحر المتوسط، والضفة الغربية لنهر الأردن.

٢- لا يمكن فك المستوطنات القائمة.

٣- لا تكون القدس إلا العاصمة الأزلية والموحدة للدولة الصهيونية.

٤- لا تنازل عن سياسة الأمر الواقع مع العرب.

٥- لا قيام لكيان فلسطينى خارج السيطرة الإسرائيلية.

٦- لا سيادة للفلسطينيين على الأرض بأية حال، إنما تقتصر على الفلسطينيين فقط.

٧- لا مفر من استمرار الدعم الغربى للوجود الصهيونى.

فهذه المقررات السبعة إنما فرضها مسلّمة صهيونية أخرى تقول: إن الوجود اليهودى وجود جوهرى، وحقوقهم مطلقة، أما العرب

فيجب ألا يكون لهم وجود، أو على الأقل: يجب أن يهمشوا، لأن وجودهم عرضى، لا جوهرى.

وغاية هذه المسلّمة الصهيونية هو نفى شعار «صراع وجود، لا صراع حدود» الذى يعنى: أن ثمة وجودا عربيا يود التحقق تاريخيا وحضاريا فى العصر الحديث. ولكى يصل الصهيونيون إلى مأربهم هذا.. فرضوا الحديث عن «الشرق الأقصى» بدل «الشرق العربى»، وحولوا الحديث عن الحقوق التاريخية والجغرافية للعرب، إلى الاشتغال بالمشكلات الاقتصادية، حتى تفرغ الشعارات من أى معايير تستدعى التراث، أو التاريخ، أو الهوية، إلى غير ذلك، مما يؤدى إلى صراع وجود، ومقاومة.

والصهيونيون يسعون - من أجل تحقيق هذا المقصد - إلى تحويل العالم العربى إلى جزر متناثرة ضعيفة، لا يربطها رابط.. وفى مقابلة هذا المسعى تتجه طموحات معظم الجماهير العربية نحو قدر من الوحدة، يضم لها صوتا مسموعا فى عالم التكتلات الكبرى.

كما أن المشكلة السكانية تتهدد الغرب وإسرائيل بفشل مسعاهم الاستيطانى الإبادى لعدة أسباب منها:

١- تكون الفلسطينيين من كتلة بشرية موحدة فى غاية التركيب والوعى، والقدرة على استخدام كل الأسلحة الممكنة.

٢- فضح وسائل الإعلام الحديثة جرائم الإبادة الصهيونية.

٣- صعوبة إبادة الفلسطينيين لوجودهم فى وسط العالم القديم.

٤- التعاطف مع الفلسطينيين من الجماهير العربية المحيطة بهم.

٥- تزايد الفلسطينيين كما وكيفا.

٦- تناقص الاستيطانيين - أو جمود أعدادهم - بسبب جفاف ينابيع المادة البشرية الاستيطانية.

من هذه الأسباب وغيرها.. يتضح زيف الافتراض الصهيونى، القائل: إن فلسطين أرض بلا شعب، الأمر الذى جعل الصهيونيين يحاولون أن يجعلوا اتفاقيات السلام اتفاقيات أمنية، تهدف إلى تحقيق أمن إسرائيل فحسب.

ومن هنا.. تعمق لدى الإسرائيليين أنفسهم الإحساس بأن الصراع الدائر هو صراع وجود، لا صراع حدود، وإن كانوا لا يصرحون بذلك، مسايرة للمتطلبات العالمية الداعية إلى السلام، مع إصرارهم على عدم التنازل عن أى شىء يمس هذا الإجماع.

وهذا يعنى: أن الوجود الإسرائيلى إن هو إلا تحد حضارى، وليس صراعا حضاريا، كما يزعمون؛ استنادا إلى تفوقهم العسكرى الذى يشبه التفوق العسكرى للتتار، خصوصا أن تفوق الصهيونية العسكرى لم يتحقق لهم بإمكاناتهم الذاتية، ولكن حققه لهم الدعم الاقتصادى والعسكرى الغربى.

ويقرر ذلك: خلو هذا التجمع الصهيونى من الحضارة المتجانسة؛ لأن كل مستوطن صهيونى استصحب معه من موطنه الأصلى خطابا حضاريا مختلفا؛ إذ الدولة الإسرائيلية لا تضم مجتمعا



موحدا، وإنما تضم تجمعا يتسم بالشذوذ البنيوى، فرض علينا - بتحديه العسكرى - أن ننحرف عن الاستجابة للتحدى الحضارى الأصلى، المطروح علينا من الحضارة الغربية الحديثة.

فلا يتوقع - بأى حال - استفادة العالم العربى من الدولة الصهيونية فى مرحلة التحديث؛ لأن إسرائيل لا تصلح أن تكون نموذجا يحتذى فى التحديث، لأن إسرائيل ومن وراءها يرون أن تحديث العالم العربى يتعارض مع مصالح الدولة الصهيونية.

فالدولة الصهيونية التى استولت على أرضنا، متوسلة بالإبادة والطرد، والتى أدخلتنا فى سباق تسلح لاهث، وحروب مستمرة.. هذه الدولة لا يمكن أن تكون جزءا من مشروعنا الحضارى.!

وبالتحايل.. تواجه المشكلات

والدكتور المسيرى - فى الفصل السادس (ولكنه ضحك كالبكاء) يرينا: أن الصهيونيين لا يعتمدون فقط على التزييف المضلل، ولكنهم يعتمدون كذلك على التحايل فى مواجهة المشكلات العقيدية التى قد تنقض أكاذيبهم الكثيرة ويقدم مثالا لذلك.. ذلك الذى يواجهون به ما يسمى (سنة شميطاء) أى سنة إراحة الأرض وهى شعيرة دينية تنبثق مما جاء فى سفر اللاويين: أن الرب يأمر شعبه أن يزرع الأرض المقدسة ست سنوات على أن يريحها فى السنة السابعة وأن كل ما ينمو على الأرض فى هذا العام السابع يصبح مشاعا للجميع، يحرم الاتجار فيه، تشبيها للأرض بالإنسان فى إراحته يوم السبت اليوم السابع من كل أسبوع ثم تتسع هذه الشعيرة لتشمل دورات زمنية أوسع فتكون كل سبع دورات وحدة أكبر (مكونة من تسعة وأربعين) عاما، يعقبها الاحتفال فى السنة الخمسين وتسمى السنة اليوبيلية وهى سنة شميطاء وتتسع هذه السنة إلى أن تشمل الزمان كله، فتصل إلى (سبت التاريخ) أى نهايته حيث تستريح الأرض كلها ويأتى (الماشيح) ليقود شعبه بأسره لأرض الميعاد.

ولأن الاحتفال بسنة شميطاء يعنى عندهم أمرين؛ هما: طاعة الرب، وتأكيد الرابطة العميقة التى تربط اليهودى بالأرض، مع استغلالهم هذه الشعيرة فى دعوة جميع اليهود من الشتات لكى تتحقق سنة اليوبيل.. مع هذا عملوا على التحايل إزاء ما ينتج عن تلك الشعيرة من مآزق ومشكلات أخرى تمس العائد المادى لديهم.

١- فلكى يواصلوا استغلال الأرض فى السنة الشميطاء.. صدرت فتوى تبيح للقاطنين فى أرض الميعاد أن يبيعوا الأرض (بشكل صورى) لبعض غير اليهود، حتى تصبح الأرض غير يهودية، يمكنهم أن يقوموا بزرعها وحصدها والاتجار فى ثمارها، والإتيان بكل المحرمات التى تقض مضجع المؤمنين.

ولما رفض بعضهم هذه الفتوى التلفيقية، قاموا بمحاولة للزراعة فى الماء - وليس فى اليابسة - ولما رفض بعض الأتقياء الإسرائيليين هذا التحايل الخبيث لجأ المسيطرون على وزارة الزراعة الإسرائيلية إلى استغلال العلم فى زيادة المحاصيل، زاعمين أن هذه الزيادة تمثل دعوة

ربانية للشعب الإسرائيلى كى يقيم الشعائر الدينية الخاصة بشميطاء حتى إن كثيرا منهم يقومون بتخزين الحبوب، أو الزراعة فى أوقات غير مناسبة ،حتى يؤكدوا على إقامة شعائر شميطاء، شأن الصهيونيين فى مواجهة كل ما يصادفهم من مشكلات.

ولكيلا تتاح للمواطن الإسرائيلى النظرة الناقدة لتلك التخايلات.. يغرقونه فى بحار زاخرة من الرموز، والغيبيات، والطقوس الدينية؛ فيجعلونه يعيش كأنه مقيم فى معبد؛ فالدولة تسمى (إسرائيل): أى المدافع عن الرب، أو المدافع عنه الرب. واللون الأبيض والأزرق فى العلم هو لون الشال الذى يرتديه اليهودى فى الصلاة (الطاليت)، وعلى العلم النجمة السداسية (نجمة داود).

وهذه الغيبيات لا تقتصر على الرموز الإسرائيلية، ولكنها تشمل التفاصيل المختلفة لأسلوب الحياة، مثل تحريم الزواج المختلط الذى يشمل البشر، والحيوانات، والنباتات، والجماد، ومثل شعائر السبت التى تدفعهم إلى شتى الحيل حتى يتجاوزوها خصوصا فى مجال العمل.

ومن أخطر ما يهيمن على الوجدان الإسرائيلى من المتناقضات.. الشعور بعقم الانتصار؛ إذ يجدون أن انتصاراتهم المتوالية لم تحقق الأمن، ولا القبول من جيرانهم، ولا الاستغناء عن الاعتماد المذل والمهين على الآخرين، خصوصا الولايات المتحدة الأمريكية.. هذا الشعور الذى أنطق أحد المثقفين الإسرائيليين بقوله: «إن إسرائيل تركض من نصر إلى نصر، حتى تصل إلى هزيمتها النهائية المحتومة». وهذا الشعور نفسه تمتلىء به آدابهم، وفنونهم المختلفة؛ من نكت عشية، وقصص، وقصائد تعكس اليأس، والسوداوية، والإحساس بدوام الحرب!

وهذا الشعور نفسه يهيمن على الوجدان الإسرائيلى؛ ثمرة لهذا التناقض الناشىء عن التصريحات المعلنة بأنه حين تنشأ الدولة الصهيونية سيعود اليهودى إلى أرضه المقدسة ليزرعها ويخلصها من العرب، ويخلص نفسه من أدران المنفى.. ولكن هذه التصريحات المتكررة بدت سرابا خادعا، أمام الواقع الماثل، الواضح من تغلغل العمالة العربية فى القطاع الزراعى، وقطاع البناء وغير ذلك من ميادين العمل؛ لانشغال الإنسان الإسرائيلى بالمضاربات وأسعار البورصة، وأسعار التحويل، أو بالمتع الاستهلاكية... مما حول هؤلاء المستوطنين إلى وسطاء طفيليين، أو عاملين بالمهن الفكرية، شأنهم فى هذا شأن يهود (الجيتو)، مما جعل أحد الصحفيين يصف الدولة الصهيونية بأنها كلب حراسة رأسه فى واشنطن، وذيله فى القدس.

والدكتور المسيرى يدعم ملاحظاته تلك بطائفة من الأعمال الفنية المختلفة، التى تعبر عن تلك المكنونات الخفية للوجدان واللاشعور، مثل الروائى الإسرائيلى (إبراهام يهوشوا)، والمخرجة السينمائية (راشيل ليه جونز) فى فيلمها (٥٠٠ دونم فى القمر)، وغير ذلك من الأعمال الفنية التى تبرز كذب الأسطورة الصهيونية، والتى تصر على استرجاع التاريخ، وإبراز الحقيقة من خلال أحداثه.. على الرغم من أن نسيان التاريخ وإلغاءه

من أهم ما يعتمد عليه الصهيونيون.

ويرى: أن تصاعد المقاومة الفلسطينية حرك تلك المشاعر الكامنة فى الوجدان الإسرائيلى، فبدت تظهر أبعاد الورطة التاريخية التى اندفعوا إليها، إذ رأى المهجَّرون من أمريكا وأوروبا أن الفلسطينيين لم يختفوا -كما زعمت الأكاذيب الصهيونية- بل إنهم تجمعوا، ونظموا أنفسهم فى حركة مقاومة آخذة فى التصاعد؛ فلم يملك مثل الشاعر الإسرائيلى (حاييم جورى) إلا أن يعبر عما يستكن فى وجدانه من مشاعر مرة، فيقول: «إن المستوطن الإسرائيلى يولد وفى داخله السكين الذى سيذبحه»، ولم يملك غيره من الأدباء إلا أن يعبروا فى آدابهم عن اجتياح المجتمع الإسرائيلى، مثل الأديب (عاموس آلون)، والكاتب الفكاهى (ب مايكل)، ومثل (إيريزطال)، و(أورونا باناى) فى برنامجها التليفزيونى (فى إسرائيل فقط)، ومثل الروائى (أورلى كاستيل بلوم) فى روايته (أشلاء بشرية).

حقيقة العدو

ويأبى الدكتور المسيرى إلا أن يدعم هذه الانعكاسات الفنية بالأرقام التى تكشف أثر الانتفاضة الفلسطينية فى الحياة الإسرائيلية، فيذكر: أن خسائر الاقتصاد الإسرائيلى تتراوح بين ٦٪ إلى ٨٪ من إجمال التاريخ القومى، وأن نسبة العاطلين سنة ٢٠٠١ تجاوزت ١٠٪ من قوة العمل، وأن عدد النازحين سنويا يتراوح بين خمسة عشر ألفا، وعشرين ألفا، وأن ٢٢٪ من الشباب يودون النزوح عن الدولة الصهيونية...

وفى المقابل نرى: أن الذين هاجروا فى الأسبوع الثانى من يونيو سنة ٢٠٠٢ إلى إسرائيل لم يزيدوا على ٦١٦، منهم ٤٤٠ من روسيا وأوكرانيا -وأكثرهم من غير اليهود-، وثمانية أفراد فقط من إنجلترا، وثلاث عشرة من الولايات المتحدة، حتى تنبأ عالم السكان الإسرائيلى (سرجيو ديلا برجولا) بأنه فى خلال ثمانية أعوام سيكون ٩٤٪ من المهاجرين إلى إسرائيل من غير اليهود.

وكأنى بالدكتور المسيرى -مع تقديمه تلك الصورة الشاملة للعدو الإسرائيلى- يستدعى الكيان العربى الحكومى ليفيق من غفلته، وينهض ليؤازر الشعوب العربية، والشعب الفلسطينى على وجه الخصوص، حتى يواصل المقاومة... ومن ناحية أخرى، كأنى به يضىء بتلك الحقائق سماوات العرب وآفاقهم؛ لتتبدد سحب اليأس والاستسلام من الكيان العربى، ويواصلوا العمل لاسترداد الأرض السليبة، واستعادة الكرامة العربية، والشموخ الإسلامى من جديد.

فالكتاب -على ما به من تكرار اضطرارى، واستطرادات حتمية- يقدم حقيقة العدو المغتصب، قد تكون غائبة- أو خافية- على الكثيرين، ولكنها بمصداقيتها المدعومة بشتى الوسائل تهتف بكل عربى ومسلم ألا تيأس ولا تستسلم.

لذلك أرى: أن كل واحد منا فى حاجة ماسة لأن يطلع على ما تضمنه هذا الكتاب ، والله من وراء القصد.

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾

في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢ من مارس ٢٠٠٦م نشرت الزميلة هناء طوبار قصة اعتناق شابة أمريكية للإسلام قالت:

• ولدت لأب بروتستانتي وأم كاثوليكية حاولت أن تنشئها على أفكارها ومعتقداتها حتى أصبحت وهي مازالت صغيرة عضوة نشطة في الكنيسة. وفي الصف السادس الابتدائي بدأت تقوم برعاية الأطفال الصغار أثناء الصلاة، بل وأصبحت الأمريكية «هدى دورج» معاونة لزوجة القس في مدرسة الأحد وهي مازالت في الصف التاسع وفي الثانوية أسست مجموعة شبيبة كنسية وكثيرا ما كانت تطرح تساؤلات عديدة وتحاول إيجاد إجابة لبعضها وكان من تلك التساؤلات ما يتصل بقضايا الدين ومنها بالقطع ذلك الدين الذي أثار عددا كبيرا من التساؤلات بسبب ما أثير حوله من الشائعات التي كانت تقتضي التثبت من كل باحث عن الحقيقة.

• وفي الرابعة عشر من عمرها حصلت «دورج» على أول عمل لها في محل لبيع المثلجات وكانت ترسل خمسة وعشرين دولارا من راتبها لبرنامج يدعى «مشروع الأبوين بالتنشئة» وهدفه الربط بين الأطفال المحتاجين في ماوراء البحار مع مانحيهم الأمريكيين وكانت منحتها على مدى أربع أعوام تصل إلى غلام مصري يتيم اسمه شريف وتبادلت الرسائل معه وكانت أمه مريضة وله أخت تمت خطبتها وهي في السادسة عشر من عمرها أي في مثل سنها وأثار ذلك دهشتها.

• وتعد هذه الرسائل أول علاقة لها بالمسلمين أما الثانية

فنشأت حينما تطوعت في «سان فرانسيسكو» لتعليم اللغة الانجليزية لبعض النساء اللاجئات وتعرفت علي أرملتين مسلمتين والتقت بمجموعة من الطلاب الأجانب في مجموعة المحادثة من بينهم شاب فلسطيني اسمه فارس وكانوا يلتقون جميعا مرتين أسبوعيا ويتطرق الحديث إلى عائلاتهم ودراستهم وطفولتهم والفروق الاجتماعية بينهم وحينما كانت تستمع لفارس يتحدث عن دينه يلمس حديثه وترا من أوتار قلبها، فتتذكر الطفل المصري «شريف» وصديقتيها المسلمين كان دينهم غريبا عنها ومناقضا لثقافتها ولذلك لم تحاول دراسته ولكن كلما تعلمت شيئا عن الإسلام أصبحت أكثر اهتماما به ويقينا بأنه يمكن أن يكون طريقها في الحياة.

• وجاءت فرصة التعرف على حقيقة الإسلام حينما التحقت «دورج» بقسم دراسة الأديان ومن خلال حصة حول «مقدمة عن الإسلام» والتي وجدت فيها إجابات شافية ومقنعة عن جميع أسئلتها وهي أننا لسنا جميعا معاقبين بخطيئة آدم - عليه السلام - فقد سأل آدم ربه الغفران فغفر له الغفور الرحيم والله - سبحانه - لم يضح بدم المسيح - عليه السلام - مقابل الخطيئة وانه لم يكن إلها بل رسولا لله مثل غيره من الرسل ممن حملوا دوما رسالة التوحيد. ووجدت فيما عرفته عن الإسلام ما يروق لعقلها وقلبها ويضع كل شيء في مكانه الصحيح ومايريحها وما ظلت تبحث عنه سنوات عديدة.

• واستمرت «دورج» في دراسة الإسلام من خلال القراءة والحديث مع أصدقائها عن الإسلام وكانوا سعداء بأنها وجدت أخيرا ما تؤمن به لكنهم أثاروا مخاوفها من تأثير الإسلام على حياتها باعتبارها امرأة متحررة من كاليفورنيا ومن موقف عائلتها ومع ذلك استمرت في دراستها داعية الله أن يهديها للصواب وللإسلام الذي وجدت راحتها فيه وبحثت عن مراكز إسلامية في منطقتها فلم تستطع التوفيق بين الذهاب وبين عملها فأكملت رحلة البحث عن الإسلام بمفردها.

• وحينما عادت «دورج» إلى جامعتها اتصلت بالمسجد في «بورتلاند» وطلبت اسم امرأة تستطيع التحدث معها فأعطوها ما طلبته وزارتها في بيتها وبعد برهة من حديثهما أدركت أنها كانت مسلمة حقا ولكنها كانت في حاجة لمن يساعدها في الخطوات العملية لتطبيق الإسلام فقد قرأت عن الصلاة ولكنها لاتعلم كيف تصلي بالفعل ودعتها الأمريكية المسلمة في تلك الليلة لتناول طعام العقيقة لولادة مولود جديد وشعرت براحة تامة مع المسلمات المتواجدات وكن لها صديقات حميمات ونطقت بالشهادتين أمامهن فكثيرات منهن كن أمريكيات مثلها وغادرت ذلك البيت ولديها شعور بأنها بدأت لتوها حياة جديدة.

• وبدأت تفكر جديا في ارتداء الحجاب لكنها كانت خائفة من اتخاذ هذه الخطوة فبدأت بالاحتشام في ملبسها ووضع وشاح



على كتفها وحينما زارت إحدى صديقاتها قالت لها: «كل ما عليك أن تفعليه هو أن تنقلى الوشاح من كتفيك إلى رأسك ورغم فهمها لمعنى الحجاب واقتناعها بلبسه وإعجابها بمن ترتديه إلا أنها لم تملك من القوة ما يمكن لارتدائه خشية أن تنهال عليها تساؤلات الناس فتعجز عن الإجابة عليها ولكن حينما جاء شهر رمضان المبارك شعرت بالقوة والفخر بأنها مسلمة وبقدرتها على الإجابة عن أى سؤال يطرح عليها فبادرت بارتدائه فى أول أيامه وذهبت إلى الكلية بزيها الجديد الذى بدت فخورة به.

● ولم تكن أسرة «دورج» تعلم شيئا عن إسلامها لأنها كانت تعيش فى سكن داخلى قريبا من جامعتها وحينما جاءهم خبر إسلامها لم يستغربوا لشعورهم من خلال أحاديثها عن الإسلام بأن هذه اللحظة ستأتى فتقبلوا بسعة صدر قرارها وتأكدوا أنها مخلصة فى إيمانها رغم عدم مشاركتهم لها ولكنهم أبدوا قلقهم من حجابها خشية أن يعزلها عنصريا ويحول دون تحقيق أهدافها فى الحياة ويشعرهم بالحرج إذا ما شوهدوا معها فى مكان عام معتقدين أنه تصرف متطرف جدا فلا مانع من وجهة نظرهم أن يكون دينها مختلفا ولكن لم يرغبوا فى أن تغير من مظهرها الخارجى وأصيب أهلها بالإحباط حين علموا بقرار زواجها من زميلها المسلم «فارس» والذى يعد الشخص الأول الذى أثار فى نفسها الاهتمام بالإسلام خشية أن تصبح أما صغيرة وتهجر أهدافها فى الحياة وتترك كليتها. ورغم إعجابهم بزوجها إلا أنهم لم يثقوا به معتقدين أنه تزوجها من أجل «البطاقة الخضراء Green Card» وتخاصمت معهم عدة شهور وانقطعت صلتها بهم وانتقلت إلى العيش مع زوجها فى ولاية «اوريجون» وأنهت دراستها فى قسم «تطور الطفل» بامتياز مع مرتبة الشرف وأنهى زوجها دراسته فى الهندسة الإلكترونية وعملت فى عدة وظائف إضافة إلى الأعمال التطوعية ولم تواجه أية مشكلة بخصوص حجابها.

● وعادت لزيارة أهلها وأحسنوا استقبالها بل كانوا فخورين بإنجازاتها وأدركوا أن إسلامها وزواجها من مسلم لم يحطم حياتها بل منحها السعادة وليس الألم والندم، فهى سعيدة بالفعل، وتشعر بالطمأنينة والرضا، ولكن ما يحزنها أحيانا أنها لم تولد مسلمة منذ البداية لتكون كذلك طوال حياتها فهى تغبط من ولدوا مسلمين وتشعر بالأسى على من لايقدرون هذه النعمة ومع ذلك فهى مؤمنة بأن كل ما سبق من حياتها يتناسق مع بعضه ليشكل صورة متكاملة تمثل طريقها إلى الإسلام.

الإسلام فى كوريا الجنوبية

وعن الإسلام فى كوريا الجنوبية أجرى الزميل «جمال نافع» حوارا مع رئيس اتحاد المسلمين الكوريين نشرته جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ١ من مارس ٢٠٠٦ جاء فيه:

الأستاذ الدكتور عبدالرازق سوفين

رئيس اتحاد المسلمين الكوريين وهو أستاذ للغة العربية بجامعة هانكوك، عاش فى القاهرة عشر سنوات حصل خلالها على درجتى الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر الشريف، وكان معه هذا الحوار:

- ما هو اتحاد المسلمين الكوريين الذى ترأسه؟ وما أهدافه؟

● تم تأسيس اتحاد المسلمين الكوريين عام ١٩٦٤ بفضل عون بعض البلاد العربية والإسلامية، وهو الجهة الشرعية الوحيدة التى تمثل المسلمين الكوريين، ويضم تحت لوائه العديد من الجمعيات واللجان منها: جمعية الشباب المسلم، اتحاد الطلاب المسلمين، جمعية النساء المسلمات، لجنة الصحافة والنشر، لجنة لترجمة الكتب والمواد الإسلامية إلى اللغة الكورية، ولجنة إعادة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الكورية.

يهدف الاتحاد إلى نشر التوعية الإسلامية، وتعاليم الدين الحنيف للشعب الكورى داخليا، وتعزيز وتقوية العلاقات الكورية الإسلامية خارجيا.

- ماذا تعنى لجنة إعادة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الكورية؟

● لدينا ثلاثة نماذج قديمة لترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الكورية، إلا أنها نماذج ضعيفة، فتم إنشاء هذه اللجنة لإعداد ترجمة جديدة لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة الكورية على يد أساتذة كوريين درسوا فى الدول الإسلامية.

- كم يبلغ عدد المساجد فى كوريا الجنوبية؟

● يوجد فى كوريا ثمانية مساجد فقط فضلا عن ٥٠ فصلا فرعيا «زاوية» والعاصمة سول لا يوجد بها غير مسجد وحيد هو المسجد المركزى وتم افتتاحه عام ١٩٧٦ ويضم مركزا إسلاميا ومعهدا لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى وهذا بالطبع غير كاف، فى صلاة العيد مثلا يمتد المصلون إلى الشوارع المحيطة به.

- كيف دخل الإسلام إلى كوريا؟

● دخل الإسلام كوريا عام ١٩٥٥ على يد الجنود الأتراك الذين أرسلتهم الأمم المتحدة لحفظ السلام بين الكوريتين بعد الحرب الأهلية الكورية.

وتعلم الكوريون المسلمون تعاليم الإسلام على أيدى الأتراك، ثم بدأوا بأنفسهم فى نشر الدعوة الإسلامية وإنشاء المساجد المؤقتة فى الخيام.. ويحاولون قدر جهدهم نشر دينهم عن طريق الحوار الهادف وعرض تعاليم الإسلام على مختلف الكوريين.

- بعد مرور ٥٠ عاما على دخول الإسلام إلى كوريا، نجد عدد المسلمين لا يتجاوز ٣٥ ألف مسلم من بين ٤٨ مليونا.. فما السبب؟

● يرجع ذلك إلى أن الدعاة المؤهلين لا يتقنون اللغة الكورية، وعدم وجود دعاة كوريين مؤهلين للقيام بهذا الدور، كما أن الفهم المغلوط

عن الإسلام الذى تتسبب فيه الكتب المدرسية، ومحاولة البعض تشويه صورة الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر أحد الأسباب.

- ما المطلوب من المسلمين للمساعدة فى نشر الإسلام فى كوريا؟

● نحتاج إلى دعاة مؤهلين ورغم أن لدينا الآن دعاة من سوريا وتايلاند وتركيا، فإننا فى حاجة إلى دعاة عرب يتحدثون الكورية.

- هل هناك مفت فى كوريا يرد على استفسارات المسلمين، ويحاول أن يحل لهم مشاكلهم الدينية؟

● لدينا مجموعة من الدعاة يساعدون على نشر الدعوة الإسلامية: واحد من تركيا وآخر من سوريا، لكن لا يوجد مفت رسمى لكوريا، فنحن نحتاج إلى مفت من كوريا نفسها يتحدث اللغة الكورية، ويفهم نفسية الكورى.

- ما آمالك كرئيس لاتحاد المسلمين الكوريين؟

● أناشد جميع المسلمين دعم الاتحاد مادياً وإرشادياً من خلال تأهيل الدعاة الكوريين عن طريق منح دراسية تقدم من مختلف الدول الإسلامية لأن الكوريين أقدر الناس على توصيل الفهم الصحيح للإسلام فى كوريا، وإقامة مركز ثقافى إسلامى للتعريف بالإسلام وتصحيح صورته التى تبثها وسائل الإعلام الأخرى، والمساهمة فى إقامة مشروعات حيوية توفر فرص العمل للمسلمين الكوريين والإنفاق على المشروعات الدعوية، وإقامة كلية أو معهد للدراسات الإسلامية لتخريج الكوادر التى تشرف على تنشئة جيل جديد من المسلمين الكوريين، ودعم مشروع إعادة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الكورية، وإصدار مجلة ثقافية إسلامية باللغات العربية والكورية والإنجليزية لمخاطبة المسلمين الكوريين وتعريف العرب والمسلمين بأحوال إخوانهم فى كوريا.

- وما مشروعاتكم المستقبلية؟

● من مشروعات الاتحاد المستقبلية إنشاء مدرسة ابتدائية، ومقبرة للمسلمين، ومشروع المنظمة الخيرية للعمال الأجانب، وبناء مسجد للعمال الأجانب.

الحوار وليس الصدام سمة الحضارة الشرقية

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الاهرام الصادرة فى ٢ من مارس ٢٠٠٦م حوارا إجراه الزميل عادل البطريق مع المفكر الكبير إحسان قاسم الصالحى مدير مركز رسائل النور بتركيا، ومن أعماله الشهيرة ترجمة رسائل النور للإمام المفكر بديع الزمان سعيد النورسى إلى العربية والروسية والأردية والفرنسية والإنجليزية فكان هذا العمل هو الانفتاح على الآخر وكان هذا الحوار.

- كيف ترى حوار الثقافات بين الشرق والغرب؟

● بالنسبة لنا فى تركيا إننا قد تعلمنا من فكر الأستاذ النورسى أن نتفتح على جميع

المستويات ولا توجد حواجز لدينا فى حوار الثقافات وهنا نذكر أن الأستاذ النورسى يقول بالنسبة لحوار الثقافات فى عصره يجب أن نتحاور ويمكن الحوار مع إخواننا النصارى المتدينين فى الشرق والغرب للوقوف ضد دعوات الإلحاد التى ظهرت فى أوائل القرن الماضى مع وضع نقاط الاختلاف جانبا فما بالكم بالخلافات المذهبية بين المسلمين، فيجب أن نخرج منها قبل كل شىء.

وأيضا يمكن الحوار مع ثقافات أخرى ليس مع النصارى فقط ولكن مع جميع الثقافات المنتشرة حاليا. وأنا دائما أرى أن الحوار يجب أن يكون مفتوحا بين جميع الثقافات وأن الحوار يعم بالخير على الجميع.

- هل ترى أن هناك «صداما» بين الحضارات حاليا أم حوارا وأنت تعلم أن صموائيل هنتنجتون أكد ذلك فى كتابه: «صدام الحضارات»؟

● إن هذا الفكر كما تقول يا سيدى لايبشر بالخير لأن تعاليم الحضارة الشرقية النابعة من القرآن والسنة يدعواننا دائما إلى الحوار وليس «الصدام ومن يدعى صدام الحضارات يكون صاحب فكر عنصرى نحن نرفضه، وكذلك ترفضه صفوة المفكرين فى أوروبا والثقافات الأخرى فى شتى أنحاء العالم.

ونحن فى تركيا عقدنا فى العام الماضى مؤتمرا عن ممارسة حياة إيمانية فى بلاد العالم متعددة الثقافات. وحضر المؤتمر أكثر من خمسة وخمسين مفكرا وأستاذا جامعيا من جميع أنحاء العالم كان من بينهم المسلمون وغير المسلمين وقد قدمت أبحاث رائعة فى هذا المؤتمر وقد أصدرنا نحن فى مركز «رسائل النور للدراسات البحثية باسطنبول» كتابا حوى هذه الأبحاث وقمنا بترجمة هذه الأبحاث إلى الفرنسية والإنجليزية لكى يتعرف الغرب على «الحوار» وليس «الصدام».

- ما رأيك فى نهاية التاريخ كما يراه «فوكوياما» وهل سيكون للتاريخ الغربى كما أكد فوكوياما الريادة والنهاية؟

● إن فوكوياما يقصد فى الوقت الراهن أن الغرب يهيمن على الجميع ونحن نؤمن فى الحضارة الإسلامية أن التاريخ ستكون نهايته للأفضل، ولا نستطيع أن نتفق مع فوكوياما فى هذه النظرية ولكن أنا أقول له إذا كانت نهاية التاريخ ستكون للأفضل فنحن نتفق معه.

وفى هذا الصدد أتذكر قول المفكر الأستاذ النورسى فى رسائل النور: إن المستقبل سيكون للإسلام والحضارة الشرقية لأنها تدعو للسعادة الدنيوية والأخروية وتؤمن بالتعايش السلمى بين جميع الثقافات والشعوب فهى الأفضل على الإطلاق.

- هل انتهى الصراع فى تركيا بين الإسلام والعلمانية، وما مستقبل الإسلام فى تركيا؟

● المستقبل - كما يعلم الجميع وكما تقرأون التاريخ سيكون للأفضل وأنت تعلم ياسيدى أن الشعب التركى شعب مسلم ذو حضارة إسلامية وشرقية ضاربة

بجذورها فى عمق التاريخ الإسلامى، وأن الشعب التركى فى عمقه شعب ذو جذور إسلامية ثابتة، وهو شعب مسلم، ليس ظاهريا ولكن مسلم فى عمقه، وأنتم ترون أن أتاتورك أتى إلى سدة الحكم منذ عام ١٩٢٨م والآن ترى فى تركيا كل خير إلى المستقبل المشرق إلى الإسلام وثقافته المستنيرة. وإذا كنا لم نستطع الدخول فى الاتحاد الأوروبى، بسبب رفض دولة دخول تركيا المسلمة إلى أوروبا خوفا من الثقافة الإسلامية فى أوروبا فنحن فى هذا الصدد نتذكر نبوءة الأستاذ المفكر النورسى حين سئل فى أوائل القرن الماضى: ماذا تقول عن الدولة العثمانية؟ وقد كانت فى نهايتها، فقال حكمته الشهيرة ونبوأته الشهيرة أيضا كأنه كان يرى بنور الله: «إتقو فراسة المؤمن» وقال: إن الدولة العثمانية حبلى فى دولة أوروبية أما أوروبا فإنها، حبلى فى دولة إسلامية. ومن هذه الإجابة نرى أن الأفكار الهادفة والداعية إلى الخير والسعادة سوف تستمر وتزدهر لأن النهاية دائما ستكون للأفضل.

إيرفينج.. والهولوكوست

ونشرت جريدة الأهرام الصادرة فى ٢ من مارس ٢٠٠٦ تقريراً كتبه الأستاذ سامى القمحاوى تناول مأساة تعرض لها المؤرخ البريطانى الشهير «ديفيد إيرفينج» الذى حكم عليه فى النمسا بالسجن لمدة ثلاث سنوات.



اكتسب الحكم على المؤرخ البريطانى ديفيد إيرفينج بالسجن ثلاث سنوات فى النمسا بتهمة إنكار محارق اليهود أهمية كبيرة لعدة أسباب أهمها توقيت المحاكمة وطبيعة التهمة الموجهة إليه، فقد كشفت تلك القضية مدى الازدواجية التى تعانى منها القوانين فى معظم الدول الأوروبية، وأعادت المحاكمة بقوة الجدل حول مسألة حرية التعبير وحدودها فى خضم تداعيات نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وفرضت المقارنة بين الحدثين، رغم الفارق الشاسع بين الاختلاف حول حدث تاريخى مثل الهولوكوست والمساس بمعتقد دينى.

فقضية إيرفينج واحدة من عدة قضايا لعلماء تاريخ وغيرهم يتعرضون للملاحقة بسبب آرائهم حول مزاعم المحارق التى أقامها هتلر لليهود، ولن تكون الأخيرة بسبب القوانين الأوروبية التى تجرم أى تشكيك فى «الهولوكوست» أو حتى فى أعداد اليهود الذين قتلوا فيها، الغريب أن اتهام إيرفينج ليس جديدا بل يعود إلى عام ١٩٨٩ عندما أجريت معه مقابلة صحفية بالنمسا شكك خلالها فى حدوث المحرقة، وقال: إن معظم الذين ماتوا فى معسكرات الاعتقال النازية ماتوا بسبب أمراض مختلفة مثل التيفود، وأضاف إن غرف الغاز التى تعرض أمام السياح فى معسكر أوشفيتز مزيفة وبناها البولنديون بعد الحرب.



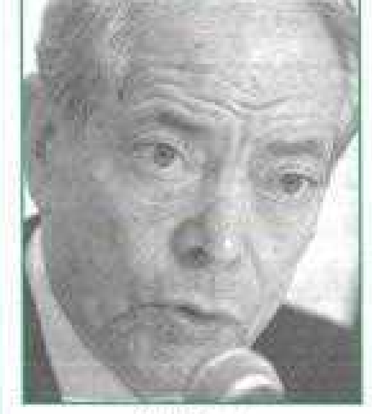


أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

الدكتور أسامة الباز: الدفاع عن الإسلام.. فرض عين على كل مسلم

أكد الدكتور أسامة الباز- المستشار السياسى لرئيس الجمهورية- أن العالم الإسلامى تصدى بجدارة وقوة لما حدث من إساءة لنبينا- ﷺ ولعل ما حدث يجعل الدفاع عن الإسلام فرض عين على كل مسلم وليس مطالب به علماء الأمة فحسب.



أسامة الباز

جاء ذلك فى الملتقى الفكرى المفتوح للدكتور الباز مع طلاب جامعة الأزهر فى إطار الموسم الثقافى للجامعة وبحضور الدكتور أحمد الطيب- رئيس الجامعة- والدكتور محمد عبدالفضيل القوصى- نائب رئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب حيث أشار الدكتور الباز إلى ان كثيراً من دول العالم ينظرون للإسلام على أنه يمثل خطراً وهو عكس الحقيقة متجاهلين فى ذلك لنظرتهم العلمية للأمور التى يذهبون بها دائما ويأخذون ما يقال عن فلسفة الإسلام من أشخاص غير متخصصين.

وطالب الجانب الاسرائيلى باحترام إرادة الشعب الفلسطينى فليس من حق السلطة المحتلة اختيار من تتعامل معه، وعلى إسرائيل أن تدرك أنه ليس بمقدورها وضع قيود للتعامل معها وأن تكون المسألة بينهما متعادلة متوازنة دون عكس لواقع الاحتلال، ولا خيار أمام إسرائيل سوى التعامل مع حماس، وأوضح أن تطوير مجلة الأ زهر لمخاطبة الآخر ويا حبذا لو كان بلغات أجنبية وإنشاء قناة فضائية باسم الأزهر أمران فى غاية الضرورة فى ظل الهجمة الشرسة الأخيرة وهو ما وافقه فيه الدكتور أحمد الطيب مشيراً إلى أنه من الأهمية بمكان أن ننتقى ما نقدمه فالغرب عقليته متسلطة وهم يعرفوننا ربما بأكثر مما نعرفهم والمشكلة فى تكوين هذا الخطاب وكيف نحاورهم.



بعد نجاح التحركات الإسلامية ضد الدانمارك

إطلاق بيان احترام الثقافات والأديان برعاية الأمم المتحدة

نجحت التحركات الإسلامية الشعبية والرسمية دفاعا عن رسول الله ﷺ بعد الرسومات الكاريكاتيرية الدانماركية المسيئة في خلق جو عالمى ضد الإساءة للأديان والرسل حيث احتضنت العاصمة القطرية اجتماعا ترأسه الأمين العام للأمم المتحدة كوفى أنان وتم إطلاق نداء إلى العالم أكد فيه على ضرورة احترام الثقافات والأديان فى تحرك غير مسبوق لاحتواء أزمة الرسوم المسيئة للنبى ﷺ . وتبنى المشاركون فى ختام اجتماع المائدة المستديرة الذى دعا له أنان بيانا مشتركا ناشدوا فيه الجميع بممارسة حق حرية الرأى بمسئولية وعدم استخدامه ذريعة للتحريض على الكراهية وإهانة المعتقدات أو الشعوب.

شارك فى الاجتماع الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى د. أكمل الدين أوغلو والأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى ووزير الخارجية القطرى الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثانى ووزراء خارجية كل من أسبانيا ميغيل موراتينوس وتركيا عبدالله جول. وطلب المجتمعون من كوفى أنان تقديم الوثيقة إلى الجمعية العمومية ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبى ودعت المجموعة فى بيانها الذى تلاه كوفى أنان فى مؤتمر صحفى إلى ضبط النفس والإنهاء الفورى للأجواء الحالية السائدة التى تهدد بزرع بذور الخلاف بين المجتمعات والشعوب والدول. وأعرب البيان عن أسفه للإساءة التى طالت المسلمين بسبب الرسوم الكاريكاتيرية وما تبعها من خسارة فى الأرواح والممتلكات فى عدة دول.

وطالب المجتمعون من الأمين العام للأمم المتحدة عرض هذه الوثيقة على الجمعية العامة فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبى.

كما أكدوا عزمهم على متابعة هذه الوثيقة والالتزام بصياغة استراتيجية مشتركة وإجراءات تساهم فى تجاوز الأزمة الحالية ومنع تكرارها فضلا عن نشر التسامح والاحترام المشترك بين الأديان والمجتمعات فى أوروبا وأماكن أخرى.

جاء الاجتماع على هامش اجتماع مجموعة تحالف الحضارات الذى استضافته قطر بمشاركة كوفى أنان وعدد من الشخصيات الدولية البارزة.

وأعرب المجتمعون عن أملهم فى أن يصل اجتماع الجولة الثانية لمجموعة الأمم المتحدة لتحالف الحضارات إلى سبل تشجيع أوسع وأعمق للاحترام والتفاهم المشترك بين الشعوب من مختلف المعتقدات والثقافات.

عشرات التقارير الأوروبية تؤكد تزايد العنف ضد المسلمين

كشف الدكتور «فتحى سرور» رئيس مجلس الشعب ورئيس الوفد المصرى إلى المؤتمر البرلمانى العربى بالأردن عن وجود ٥٧٠٠ تقرير تؤكد تزايد العنف والإساءات والاستهداف العشوائى للمسلمين، وأوضح فى كلمته فى الجلسة الافتتاحية بالمؤتمر أن هذه التقارير الصادرة عن مركز المراقبة الأوروبى للعنصرية وكراهية الأجانب، وحذر د. سرور الدول الغربية من الازدواج المعايير فى الوقت الذى أصدرت فيه سبع دول أوروبية تشريعات لمعاقبة معاداة السامية.

كما انتقد «نبيه برى» رئيس مجلس النواب اللبنانى ورئيس الاتحاد البرلمانى العربى بشدة موقف بعض الدول الغربية وتحديها لمشاعر الأمة العربية والإسلامية خاصة فيما يتعلق بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ.

من جانب آخر أعلن رئيس مجلس النواب الكويتى «جاسم الخرافى» أن المجموعة العربية فى الاتحاد البرلمانى الدولى ستضغط بهدف إصدار تشريع يمنع المساس بالأديان السماوية كافة معربا عن أمله أن تكون استجابة دول العالم لهذا الطلب جيدة.

وأضاف الخرافى فى تصريحات له على هامش مشاركته فى أعمال الاتحاد البرلمانى العربى والتى عقدت فى البحر الميت بالأردن حول قضية الإساءة للرسول الكريم ﷺ أن الشعب البرلمانية العربية فى الاتحاد البرلمانى الدولى قد بدأت بالتنسيق فيما بينها فى هذا الصدد لتأمين موافقة الدول الأعضاء على المقترح العربى.

حملة جديدة ضد الإسلام فى التليفزيون التشيكى

قدم السفراء العرب فى «براغ» احتجاجا رسميا للحكومة التشيكية على برنامج بثه التليفزيون التشيكى مؤخرا يربط الإسلام بالإرهاب فيما يتزامن ذلك مع حالة السخط التى تعيشها المجتمعات في الكثير من الدول العربية والإسلامية نتيجة قيام صحف أوروبية بنشر صور مسيئة للرسول ﷺ.

ورد هذا الاحتجاج فى مذكرة بعث بها عميد السلك الدبلوماسى العربى فى «براغ» السفير السعودى «الأمير منصور آل سعود» إلى رئيس اللجنة الإعلامية فى البرلمان التشيكى.

جاء فى المذكرة أن البرنامج التليفزيونى قد تجاوز حرية الرأى والتعبير لأن أسلوب العرض والطريقة السرية التى تم فيها تصوير البرنامج داخل المركز الإسلامى فى «براغ» وربط نصوص قرآنية بالتفجيرات الإرهابية التى وقعت فى نيويورك ومدريد ولندن هو محاولة متعمدة للإساءة للدين الإسلامى حسب ما جاء فى المذكرة.

وذكر راديو «سوا» الأمريكى ان مجلس الإشراف على البث التليفزيونى والإذاعى فى

جمهورية التشيك ينظر حاليا فى هذه القضية وإذا ما تأكد وجود إساءة متعمدة للإسلام فى البرنامج المذكور فإن القناة العامة الثانية فى التليفزيون التشيكى ستدفع غرامة مالية تصل إلى عشرة ملايين «كرونا» وهى العملة الرسمية للجمهورية.

«كير» تندد بتصريحات «روبرتسون» المسيئة للإسلام

طالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» قيادات المجتمع الأمريكى السياسية والدينية بإدانة تصريحات الزعيم الدينى المتشدد «بات روبرتسون» المسيئة للإسلام مؤخرا وكان «روبرتسون» قد زعم خلال برنامجه التليفزيونى «نادى السبعمائة» أن «الإسلام ليس دين سلام» وأن هدف الإسلام هو السيطرة على العالم وأن بعض المسلمين مدفوعون «بقوى شيطانية».

أشار المجلس - وهو أكبر منظمات الحقوق المدنية المسلمة فى أمريكا - إلى أن سجل «روبرتسون» ملىء بالعداء للإسلام وقال «نهاد عوض» المدير العام للمجلس: إن «بات روبرتسون» لايمثل عموم الأمريكيين فى نظرتهم أو تعاملهم مع المسلمين.

موقع عبرى يسخر من المسلمين

يسخر موقع عبرى مما أسماه بمحاولات المسلمين الادعاء بوجود بعض الأشياء والثمار التى تحمل أسماء إسلامية فى ظاهرة تتكرر فى بعض البلاد العربية والإسلامية كدليل على صدق منهج المسلمين.

وكان «يونتان دحوت هاليفى» مراسل موقع «نيوز فرست كلاس» العبرى الإخبارى قد ذكر أن عصر المعجزات عند المسلمين لم ينته بعد فبعد الإعلان عن وجود ثمرة برتقال مكتوب عليها اسم الرسول محمد ﷺ وهناك من عثر على بيضة مكتوب عليها «الله» فى مدينة طولكرم وأضاف المراسل أن المسلمين بتلك الأشياء يتخيلون أن الله يعطى لهم إشارات تدلهم على أنه يقف بجوار رسوله محمد. وقال: إن المسلمين مازالوا حتى الآن يبحثون عن علامات وإشارات كدليل على وجود الله بل إن هذا تحول إلى ظاهرة منتشرة فى العالم الإسلامى مشيرا إلى أنه دوما ما يستشهد هؤلاء المسلمون بوجود بعض الأشياء والثمار مثل ثمرة طماطم أو قطعة لحم أوشجرة على شكل رجل يسجد لله كدليل على وجود الله الذى يؤمنون به - على حد قوله.

❊❊❊

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

نداء من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

لقد أحزن قلوب المسلمين جميعاً ماحدث فى العراق من نزاع بين أهل السنة والشيعة وما صحبه من تصرفات يأباها الإسلام الداعى دائماً إلى أخوة المسلمين وتأباها العقول السليمة التى تقدر العواقب وتأباها وحدة الشعب العراقى فى مواجهة المحنة التى يعيشها الآن والتى تدعو إلى الوحدة القوية المتماسكة لإنقاذ هذا الوطن من التداعيات التى يخشى كل المسلمين عواقبها.

إن الله تعالى يأمركم أن توحدوا صفوفكم وأن يجمعكم حبل الله المتين بإسلامكم الذى ارتضاه الله لكم. فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

والرسول ﷺ يقول: «مثل المؤمن للمؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

إن مجمع البحوث الإسلامية الذى يضم نخبة من كبار علماء الإسلام يدعو جميع أهل العراق أن يتقوا الله فى دينهم وفى وحدتهم وأن يتحرك العقلاء الراشدون منهم لمحاصرة هذه الفتنة الهوجاء والعاقبة للمتقين.

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه الدكتور/ عبدالله شكرى زركشى مدير المعهد العصرى/ دار السلام/ كونتور فونوروغو/ إندونيسيا والوفد المرافق له.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف، وقد جاءت هذه الزيارة فى إطار التعاون المشترك بين الأزهر وإندونيسيا حيث قام الضيف بتقديم الدعوة المقدمة من فخامة الرئيس الدكتور/ بامبانج يودويونو/ رئيس جمهورية إندونيسيا لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة إندونيسيا بمناسبة الذكرى الثمانين على تأسيس المعهد العصرى وقد بين فضيلة الإمام الأكبر بأن طلاب وطالبات إندونيسيا يدرسون بالأزهر الشريف بأعداد كثيرة.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على مايقدمه الأزهر الشريف لأبناء إندونيسيا من خدمات تعليمية وصحية وإقامة بمدينة البعوث الإسلامية.

وفى نهاية اللقاء وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الدعوة تمهيداً لتلبيتها.

حضر اللقاء فضيلةالشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى/ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد الدكتور/ يعقوب إبراهيم وزير البيئة والموارد المائية والمسئول عن شئون المسلمين بسنغافورة يرافقه السيد/ أرومار أن موروحيا/ القائم بأعمال سفارة سنغافورة بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف، وأوضح أن الأزهر يستقبل أبناء سنغافورة للدراسة به، ومن جانبه أعرب السيد الدكتور/ يعقوب إبراهيم عن بالغ سعادته لإتاحة الفرصة لهذا اللقاء،وتقدم بدعوة من السيد/ لى سين لونغ/ رئيس وزراء سنغافورة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة سنغافورة، وإلقاء محاضرات عن الإسلام.

هذا وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الدعوة وتلبيتها حينما يتم تحديد الموعد.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الازهر الشريف.

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ رئيس كوريا سيرى/ القائم بأعمال سفارة دولة الفاتيكان بالقاهرة؛ حيث قام بتسليم بيان المكتب الصحفى للكرسى الرسولى هذا نصه:

رداً على طلبات عديدة لتحديد موقف الكرسى الرسولى إزاء بعض الصور المنشورة حديثاً التى تسئ إلى المشاعر الدينية لأفراد أو لجماعات بكاملها، يود المكتب الصحفى للكرسى الرسولى أن يدلى بالبيان التالى:

١- إن حق حرية الفكر والتعبير الذى أقره بيان حقوق الإنسان لا يمكن أن يشتمل حق الإساءة إلى شعور المؤمنين الدينى. وهذا المبدأ يسرى بالطبع على كل دين من الأديان.

٢- إن التعايش الإنسانى يتطلب جوا من الاحترام المتبادل لدفع السلام بين الناس والدول. وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض أشكال النقد الذى يثير السخط أو السخرية من الآخرين تدل على انعدام الإحساس الإنسانى وهذا من شأنه خلق حالات استفزاز كثيرة غير مقبولة. فالقراءة الواعية للتاريخ البشرى تعلمنا أنه ليس بهذه الطريقة يتم التوصل على شفاء الجروح فى حياة الشعوب.

٣- ينبغى القول بإن الإساءات التى يحدثها شخص بمفرده أو إحدى الهيئات الصحفية لايمكن أن تنسب إلى المؤسسات الحكومية فى ذات البلد. فسلطات هذا يمكنها ويجب عليها أن تتدخل بشكل طارئ وفقاً لمبادئ التشريع الوطنى فيه، وفى نفس الوقت يجب إدانة كل أعمال العنف الجارية احتجاجاً على ذلك، ففى الواقع لايمكن التخلى عن روح الدين الحقيقة عند الرد على إهانة ما، وأن عدم التسامح بالفعل أو بالقول من أية جهة كان، وكذلك أى فعل أو رد فعل يمثل دائما تهديداً خطيراً للسلام.

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى/ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ بنيامين بوبوف/ السفير المسئول عن العلاقات مع منظمة المؤتمر الإسلامى ومنظمات دولية أخرى ووفد السفارة الروسية بالقاهرة المرافق له.

رحب فضيلته بالضيف فى مصر، وأكد الضيف بأنهم مع الأزهر فى المطالبة بحوار الحضارات، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على ماقاله الضيف مشيرا بأن الإساءة إلى المقدسات الدينية وإلى الأنبياء جرم، ولابد أن تكون هناك عقوبة رادعة لمن يخالف ذلك.

حضر اللقاء فضيلةالشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى/ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفدا من طلبة جامعة هامبورج الألمانية الدارسين بقسم تاريخ الشرق الأوسط فى إطار الرحلة العلمية للتعريف بالحضارة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى بعض الأفراد والمؤسسات.

رحب فضيلته بالوفد مؤكداً على أن الدراسة بالأزهر الشريف قائمة على الوسطية والاعتدال التى جاء بها محمد رسول الله ﷺ والتى تحترم جميع العقائد الأخرى.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الدين الإسلامى يدعو إلى السلام وله ثوابت فى ذلك، كما يدعو إلى العدل والتعاون بين جميع بنى البشر.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الحضور حول الموضوعات الدينية المختلفة.



The Prophet's Birth: Light to Humanity*

By: Dr. Mahmoud Abdul-Ghany Ashour

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) is too honorable to be evaluated by a human being. This is why the only one who can evaluate him is His Lord who created and chose him to be His Messenger. In this regard, Allah, the Almighty, says:

{Shall He not know, Who created? And He is The Ever-Kind, The Ever-Cognizant.}

[Al-Mulk (The Kingdom): 14]

If we wish to have a look at Allah's evaluation of His Messengers, we shall find Him addressing them by their names. Allah, Exalted and Glorified be He, says:

{"O Adam, surely this is an enemy to you and to your spouse."} [Ta-Ha: 117]

Allah also says:

{O Nuh, get down in Peace from Us.} [Hud: 48]

Moreover, He says:

{Then, as soon as he came up to it, he was called (by name), "O Musa!"} [Ta-Ha: 11]

On the other hand, when Allah, the Almighty, addresses His Messenger Muhammad, He has not called him "Muhammad" nor "Ahmed," but He addresses him saying, *"O Prophet."*

Additionally, we see that Allah, the Ever-High, when swearing to stress anything, swears by numerous things, such as plants, animals and angels, but we have never seen Him swearing by a human, except by His Messenger Muhammad. This came in Allah's saying in which He said:

* An Article Published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.



{By your life, surely they were indeed blundering in their stupor.} [Al-Hijr: 72]

When the people praise someone by being of good manners and noble characteristics, they praise him because they know the characteristics and evaluate them through their human sense. Here we should notice that the human evaluation of something is subject to their knowledge of it. However, Allah, the Almighty, says:

{And surely you are indeed of a magnificent character.}

[Al-Qalam (The Pen): 4]

The intended meaning here is not that known by humans, but "the manners required for Allah." Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) passed that rank so he deserved to be described by Allah as being of "a magnificent character."

Allah, the Exalted, wanted to seal the Heavenly Messages with that of Messenger Muhammad. The Messenger Muhammad is the Seal of all Messengers and Prophets. In order to be the Seal, Allah singled out the Messenger's nation with an attribute that would substitute for sending multiple Messengers and Prophets as well as Messages. This entails that the Message delivered at the hands of the Messenger Muhammad should include the elements of survival, and this should also be the case with his nation.

Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) is qualified to receive the attributes of perfection, but none of his nation can receive all such attributes. Therefore, these attributes are distributed among his nation; one takes an attribute and someone else takes another attribute and so on. Consequently, when the attributes of perfection are met in his nation, the Messenger can be the common example in the whole nation.

environment, depending on his pure natural disposition and enlightened mind. He was always thinking about all that around him; he was looking into the amazing universe trying to discover its secrets. His continuous persistent thinking reached the conclusion that the universe, with all its stars, rivers, seas, mountains, valleys, greeneries and sand, should have a creator who arranged and organized it. In addition, Muhammad's stay in the cave guided him to his Lord, for it was a seclusion full of sincere feelings, not a mere seclusion void of pierce thinking and meditation.

Carlyle went on talking about the revelation that was sent down accompanied by light from the heaven. He also talked about Muhammad's confusion and the attitude of his wife. The writer said that Muhammad was very grateful to feel the kind treatment of his wife, Khadija; this is because there is nothing giving rest to one's spirit more than finding a partner sharing one's feelings and beliefs and standing by one's side in the times of distress.

The author continued to mention the first series of the Messenger's struggle. He faced tremendous difficulties enough to suppress and prevent anyone from calling to the Path of Allah, the Almighty. This could have been the case had he not been one of those of firm determination and infinite trust. Carlyle described such events until he reached the Hegira event and the military struggle the Messenger had to undertake. Carlyle refuted the accusations of those claiming that Islam used the sword to spread. His reply was that Islam resorted to defend itself against the dangers that threatened it and continuously plotted to get rid of it.

The religion of Islam is comprised of great principles and noble rules. The unique thing that man should notice is that Islam contains the spirit of all the heavenly religions. Though this spirit takes different and numerous forms, it is, in fact, one. Had Carlyle read the following verses, he would have declared his Islam.

Allah, Exalted be He, says:

> *{He has legislated for you as the religion what He enjoined on Nuh, and that which We have revealed to you, and what We have enjoined on Ibrahim and Musa and Isa (saying)*

> *{He has legislated for you as the religion what He enjoined on Nuh, and that which We have revealed to you, and what We have enjoined on Ibrahim and Musa and Isa (saying)*
> *"keep up the religion, and do not be disunited therein. Greatly (detested) to the associators is that to which you call them. Allah selects to Himself whomsoever He decides, and guides to Himself whomsoever turns penitent}*
>
> [Ash-Shura (Counsel): 13]

Allah also says:

> *{Say (O Muslims), "We have believed in Allah, and whatever has been sent down to us, and whatever was sent down to Ibrahim, and Isma`il, and Ishaq and Ya`qub and the Grandsons[2], and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims."}* [Al-Baqarah (The Cow): 136]

The author talked in abundance about the power, justice, order and purity. He explained that the religion that involves performing ablution and prayer five times a day, fasting for a whole month every year, and forbidding wine and gambling should be a religion that aims at the prosperity of all the people. For more illustration, the people's conversion to Islam has not been for its simplicity, easiness or less costs - and it is not right that some writers think so – because their conversion to Islam is a result of touching and feeling the elements of honor, dignity and greatness in the believer's soul. Islam is the religion of honor, education and power, and nothing proving that more than its fast spread in most of the world in less than one century.

In that book, the author kept refuting the accusations of those claiming that Islam spread by the sword not by its principles. To that end, he introduced unquestionable evidence.

---

[2] i.e., The Tribes.

Commenting on the declaration of some Islamic countries of boycotting the Danish products, the Grand Sheikh of Al-Azhar Dr. Mohammed Sayed Tantawi said, "We support this boycott, because the love for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is implanted in our hearts and our love for him is a part of our creed, rather, it is the whole of our creed. We live and die while bearing the highest degrees of love for him."

In Pakistan, the streets were crowded with thousands of people expressing their anger against the Danish attitude. In the Kingdom of Saudi Arabia, instructions of complete boycott of the Danish products were directed to the officials. Also, Libya declared cutting its diplomatic relations with the Danish government. In Palestine, an overwhelming demonstration took place, where the enraged people burned the Danish flag.

All the Islamic world was boiling with anger like a volcano. Instead of showing compassion with the attacked people of the Heavenly religion (Islam), the European Union issued a statement warning against boycotting the Danish products. Not only that, but the EU considered that boycotting the Danish products would be viewed as a boycott of the products of all the European Union.

Even when the Danish Newspaper found itself obliged to publish an apology on the internet, many of the Arab and Muslim nations were in doubt of the usefulness of such an apology after the Newspaper refused to publish it in the first time. Andres fogh Rasmussen ,the Danish prime minister said that the consequences of the (offensive) cartoons were a complete surprise," The chief editor of the paper in question has announced that he would not have allowed the printing of the (repulsive) pictures had been able to foresee the reaction we are witnessing " .

Muhammad in the Book of "Heroes"
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

The well-known English writer Thomas Carlyle wrote a book entitled "Heroes and Heroes Worship." In his book, Carlyle selected those who honored humanity with their struggle in all the fields of life. The highest example was that of Prophet Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) who was depicted in the form of hero. Carlyle talked about the rare merits of Allah's Messenger, which were effaced by the injustice and blind fanaticism of Europe. As far as I know, I do not know anyone who took off the garment of fanaticism, when talking about the Messenger, before Carlyle. That is because those who came before him of the so-called thinkers and philosophers were taking the side of the malicious parties without exerting the least effort to get to the bottom of what they were falsely claiming.

Upon the appearance of the book, the darkness of injustice was overcome with the light of truth. That caused confusion among the people in Europe, for they could not decide what to say about Carlyle; the man was sincere and truthful and the examples he mentioned in his book, such as Shakespeare and Cromwell, were proofs of his honesty, so what he wrote about Muhammad (i.e., the Prophet) ought to be also true. How could they believe him when he talks about those people and belie him when he talks about Muhammad?! No one can deny that Carlyle was one of the truth-seekers who declared it loudly to let the malicious hear.

The writer started his book with a description of the Arabian environment, including the vast desert, hot air and wild bareness. In that environment, the Arabs lived. They were characterized with light movement, sharp eyesight, clever hearts and decisive manners which prevented them from psychological degradation. Moreover, they were known for their natural generosity which would drive them to give up all that they possessed in order to be generous towards their guests. Furthermore, they were famous for their eloquence so their wisdom was widespread. Muhammad (i.e., the Prophet; may the blessing and peace of Allah be upon him) grew up in that



the man was wearing a turban of bombs. Unbelievably, this happens in a time when Islam represents the second major religion after the Lutheranism in Denmark.

The first protest was expressed by the Muslim newspaper-sellers who refused to receive or sell these newspapers. When one of the Muslim Imams of a mosque in Arhus town, where the Newspaper's headquarters is, knew about the matter, he hurried at once to the Newspaper and asked the officials to publish an immediate apology but they refused.

That news spread widely among the Muslim community in Denmark. On Friday sermon, the Imams of mosques criticized the attitude of the Newspaper. Sooner, eleven ambassadors of Muslim countries, including Egypt, held an urgent meeting in which they decided to meet the Danish Prime Minister, Anders Fogh Rasmussen, with the aim of getting a condemnation of what the Newspaper did. However, the Danish Prime Minister refused arrogantly to take such a step or even meet the ambassadors. He only satisfied himself by just sending them a letter that expressed his intention not to interfere in that issue. He based his decision on the grounds that the issue had to do with the principle of the freedom of expression as well as the freedom of press, which constitute the backbone of the Danish democratic system.

When the news reached the Muslim people in Denmark, about three thousands of them gathered in the center of Copenhagen in a demonstration expressing their anger. As a result, the news spread widely all over the world, so the Organization of Islamic Conference (OIC), consisting of fifty-seven countries, published a statement in which it condemned the cartoons published by Jyllands-Posten. The Islamic Educational, Scientific, and Cultural Organization (IESCO) demanded boycotting the cultural festival under the title "Images of the Middle East" which will be held in Denmark



in summer. In Denmark, twenty-two retired ambassadors, who represented Denmark in Islamic countries, directed a strongly-worded criticism to the Newspaper as well as the Danish Prime Minister for refusing to meet the ambassadors of the Islamic countries.

Moreover, the former head of the Librarian Party in Denmark, who is considered one of the prominent political figures, criticized what the Newspaper did. Additionally, a delegation representing the Islamic Waqf in Denmark paid a visit to the Middle East in order to exhort the Arab and Muslim countries to take official steps against the Danish government.

Here in Egypt, President Muhammad Husni Mubarak took the initiative to face the crisis before its development into a disaster. He warned, "Criticizing religions is the major danger threatening stability in the world." In his statement to the Middle East News Agency, the President said, "The freedom of expression and press, which we all protect, should not be misused as an excuse to censure the sacred matters, beliefs or religions. Moreover, exceeding the proper limits in that campaign will lead to bad consequences resulting from evoking the feelings of anger of the Islamic world, the Muslim communities in Europe and others."

President Mubarak called the countries of the world to deal wisely and carefully with all that relates to people's creeds, religions and sacred matters. Following the instructions of the President, the Foreign Minister Ahmed Abul-Gheit sent letters to twenty-five foreign ministers in the countries of the European Union. In his letters, Minister Abul-Gheit demanded immediate stopping of abusing Islam and Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him).

The Muslims, due to their unity, solidarity and adherence to the guidance of the Prophet, were superiors and none dared to harm any of them. Contrarily, when they disunited and favored the enemies over their Muslim brothers, dealt carelessly with their *Shari`ah* (i.e., Divine Law) and replaced it with other laws made by others, they reached their present weak condition.

In the present time, it is not allowed to criticize any behavior or person, except for Muslims, or else many accusations will be launched, such as anti-Semitism. The word "Semites" now is used to refer to only the Israelis as if they, alone, were the Semites. Moreover, if this is done by an individual or a group, especially if this group or individual is a Muslim, living in a place far away from the occupied Palestine, such as being in the USA or any European country, such an individual or group will be accused by law. In addition, if someone criticized any religion, but Islam, he or she will be imprisoned under the charge of disdaining religions and hurting the feelings of their followers. This shall be the case even if that religion is not one of the Heavenly Religions. By contrast, when the Muslims' sacred matters are abused and their Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is insulted, or when the Noble Book of the Qur'an is profaned, then this does not exceed being a matter of freedom of expression, which, in the eyes of those claiming modern civilization, does not obligate condemnation or even an apology.

On Friday, 30 September 2005, Jyllands-Posten, one of the biggest Danish newspapers – on its 3rd page, assigned to the cultural section – published twelve cartoons for an Arab character whom they claimed to be the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him, and defend him against the wrongdoers). In one of those pictures,

{And in no way have we sent you except as a mercy to the worlds.} [Al-Anbiya' (The Prophets): 107]

He also says:

{And in no way have We sent you, except as a bearer of good tidings and a warner to the whole of mankind; but most of mankind do not know.}

[Saba' (Sheba): 28]

Moreover, Allah, the Almighty, says:

{And We have sent you to mankind a Messenger, and Allah suffices as Ever-Witnessing.}

[An-Nisa' (Women): 79]

Allah, the Ever-High, replaced the law of diviners with His Law, and replaced idol-worship with sincere worship devoted to Him Alone. He also replaced war and fire with peace and security. Furthermore, He united people after they were disunited. They entered into the religion of Allah in multitudes, so they all lived in peace.

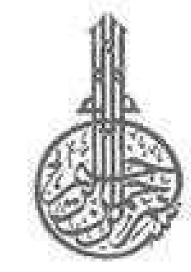
How could the people refuse the Divine Religion according to which Allah commanded them to adhere firmly to His Path so that they would be strong?! Allah also commanded them to be just and kind, and forbade them from immorality and detestable acts. Accordingly, the words of justice and mercy were high, and the weak among the believers became strong until his right was restored while the strong among them became weak until right was taken from him. The religion of Islam commanded its followers to seek their livelihood through the honest means, so they traded and planted gardens and were able to establish a great civilization.

Describing the Prophet Muhammad, a poet said:

All that can be said about him is that he is a human

But he is the best of all Allah's creation

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiul-awwal, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION
April. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Prophet's Birth

"They would (Like) to extinguish the light of Allah with their mouths; and Allah refuses (anything) except to perfect His light, though the disbelievers hate (that)" [1]

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

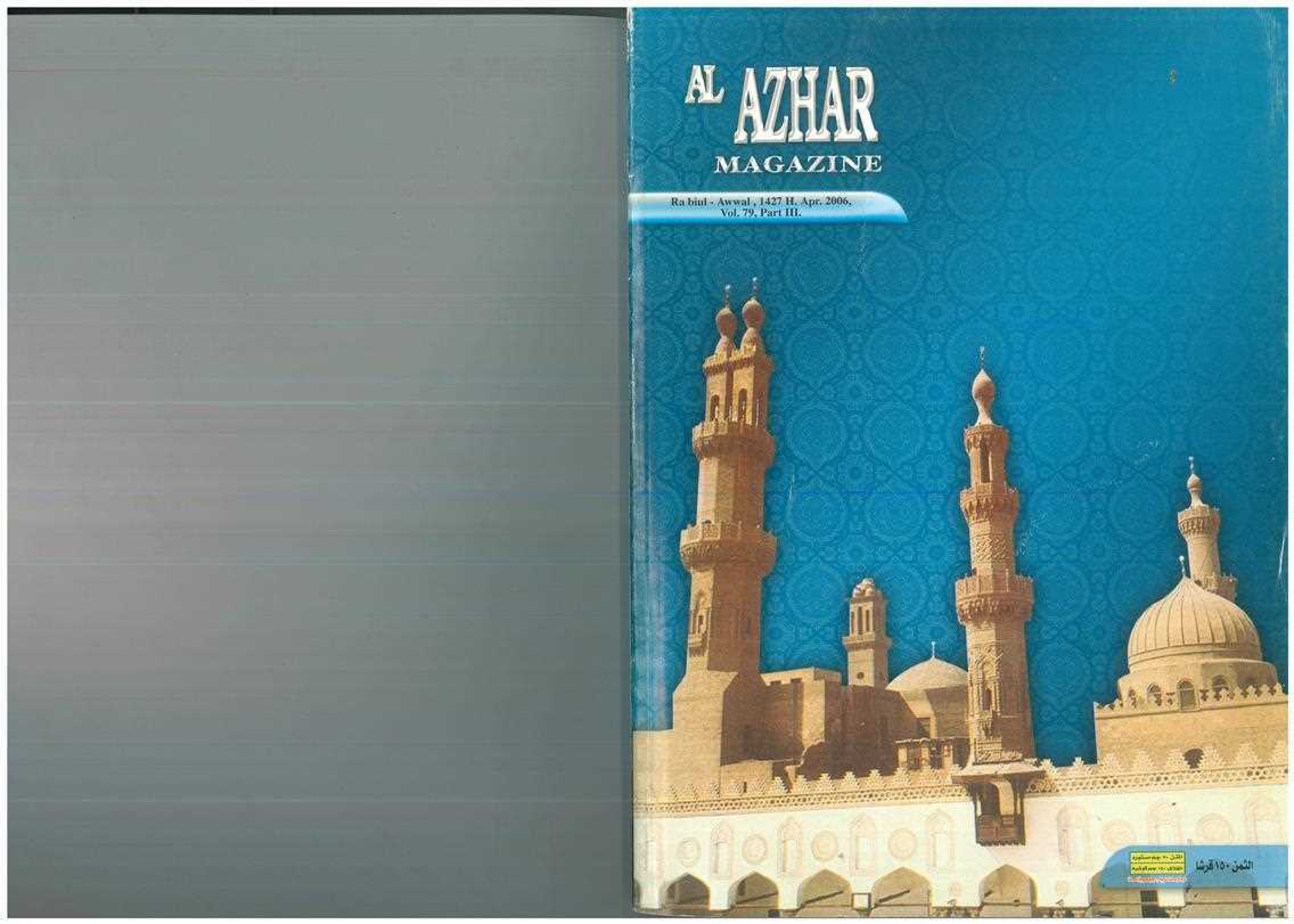
Our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was born in a time when the dark nights of dissention prevailed and the strikes of distress were severe. In that time, the people were unable to make laws to rule and govern them. They were unable to develop the governing systems that would establish justice among them. Moreover, in that time, the right was mixed with wrong and the good was mixed with evil.

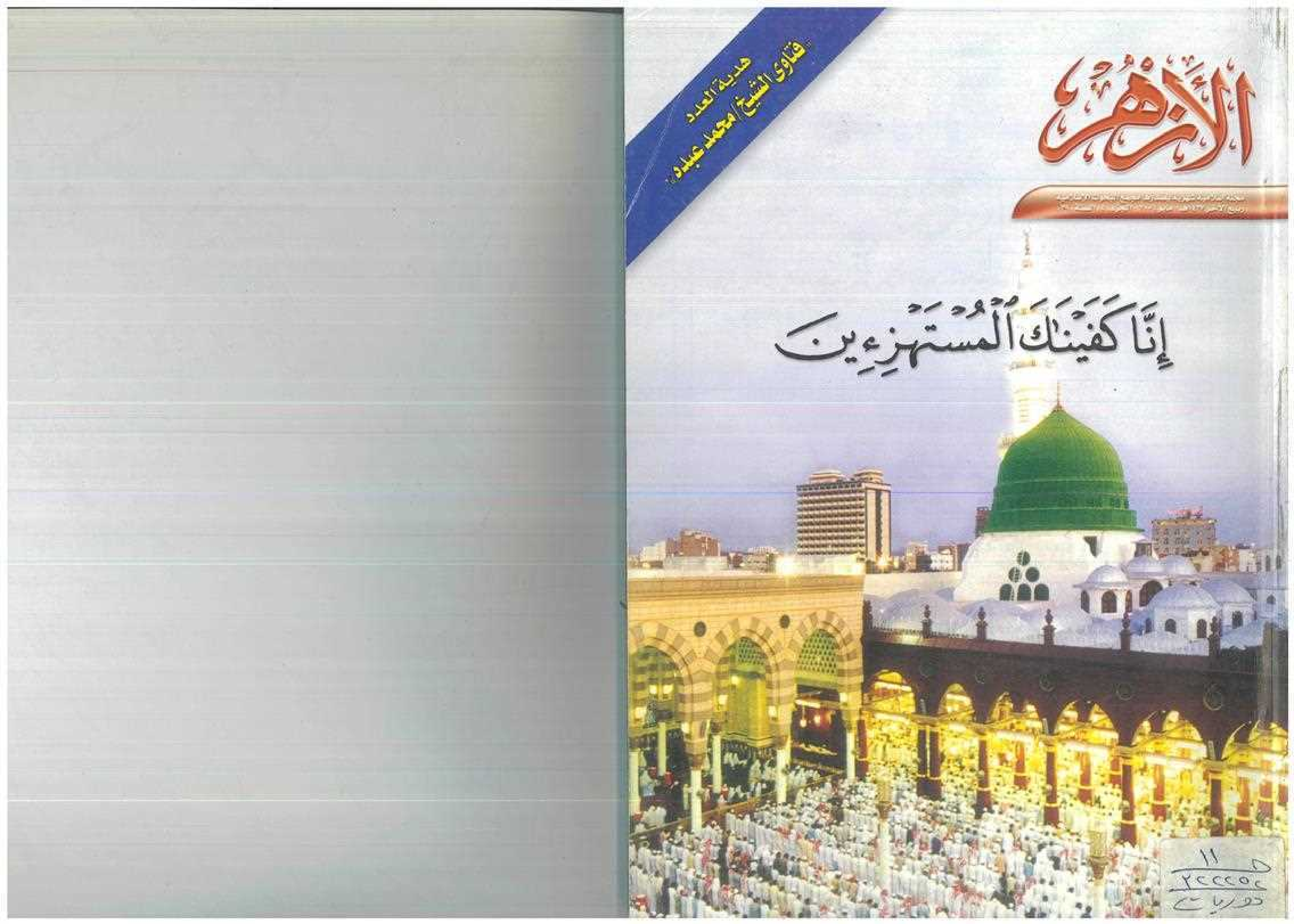
The people, during that era, were far astray, for they sought the judgment of their own desires and personal inclinations. Their life led them to worship idols thinking that they did well; kill their daughters out of shame believing that they did nothing wrong; fight each other for trivial reasons; and drink wine which led them to shed blood carelessly. As for the ties between the people, they were weak because there was no religion to unite them and no wisdom to tie them.

Allah is Ever-Merciful, Most-Merciful and He would never let His servants jumble in a state of confusion, so He chose for them an orphan from amongst the noble Arab lineages. When that orphan reached forty years, Allah sent him as a guide and Messenger to all the people. Allah, Exalted and Glorified be He, says:

[1] Surat of At-Tawbah (Repentance): 32

الفهـــــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Ra biul - Awwal , 1427 H. Apr. 2006.
Vol. 79, Part III.
الثمن ١٥٠ قرشا


الأزهر
هدية العدد
«فتاوى الشيخ محمد عبده»
إنا كفيناك المستهزءين

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشـرف العـام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٧هـ - مايـو ٢٠٠٦م - الجزء الرابع - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

من أخطاء التعليم فى مصر

الإداريون يتحولون إلى مدرسين !

مازلت أذكر فى أوائل الستينيات أن إحدى مدرسات اللغة الإنجليزية بدار المعلمات قامت بإجازة للوضع فرأت عميدة الدار أن تنتدب مدرساً للمواد الاجتماعية اشتهر بإجادته للغة الإنجليزية، كي يقوم بتدريس المادة حتى تُهيىء المنطقة مُدرساً متخصصاً، وجاء المفتش بعد أسبوعين، فرأى مدرس المواد الاجتماعية يقوم بتدريس اللغة الإنجليزية، فهاج هائجه، ومضى إلى مكتب العميدة، متورطاً فى عبارات قاسية، وانتهى الأمر إلى مدير المنطقة فاستدعى المتخاصمين، وكان واسع الصدر، فضمد الجراح، على أن يسرع مكتب اللغة الإنجليزية بانتداب مُدرس متخصص، على وجه سريع، لأن التخصص أمر ضرورى مهما كانت كفاءة غير المتخصص مشهوداً بها.

فهذا مدرس يحمل دبلوم معهد التربية العالى بعد ليسانس كلية الآداب، وقد مارس التدريس ملماً بطرق التربية الحديثة، ولكن الحرص على إتقان التدريس بشرطه التعليمي قد جعل المسألة موضع نظر ومُساءلة، وانتهى الأمر إلى تصحيح ما يُشم منه رائحة التجاوز، ليسير التدريس على أحسن وجوهه، وبهذه الدقة الواجبة، فى الزمن القريب كانت المدرسة مدرسة، وكان المفتشون أيقاظاً صرحاء.

وفي العام الماضى قرأنا فى الصحف أن بعض السادة المحافظين، زار مدرسة ثانوية فقيل له إن بالمدرسة عجزاً ملموساً فى هيئة التدريس، وشاهد من الإداريين من يملئون المكاتب دون عمل



جدى، فأمر سريعا بتحويلهم إلى مدرسين كى يملأوا الفراغ وتم ذلك على وجه سريع، وكان نشر الخبر على هذه الصورة مدعاة تساؤل جاد، وقيل حينئذ إنه إجراء وقتى يمثل الاستثناء الضرورى فقط، وسيعود الإداريون إلى أماكنهم بعد انتهاء العام الدراسى.

ولكن هذا الإجراء السريع لم يكن فى هذا العام استثناء ضروريا، بل صار قاعدة توالى وزارة التربية والتعليم تطبيقها، فقد نشرت جريدة الوفد الصادرة فى ٣ يوليو سنة ٢٠٠٥، تحت عنوان (تحويل الموظفين إلى مدرسين) ما نصه:

جاء إعلان وزارة التربية والتعليم بتحويل الموظفين الإداريين إلى مدرسين صدمة كبيرة لخريجى كليات التربية، ففى الوقت الذى يزداد فيه عدد العاطلين من هؤلاء المتخرجين، تأتى الوزارة لتستعين بالموظفين غير المؤهلين تربويا، لكى تسد العجز فى أعداد المدرسين بالمدارس، وتستبعد خريجى الكليات التربوية الذين تم إعدادهم ليصبحوا مؤهلين للعمل فى التدريس.

وأنا أقول إن الصدمة لم تكن خاصة بخريجى كليات التربية وحدهم، بل كانت عامة للناس جميعا، إذ لا يُعقل أن يتحول موظف لم يؤهل للتدريس بحكم درجته الجامعية البعيدة عن هذا الحقل، إلى مُدرس يقوم بعمل لا يدرى عنه شيئاً، ولو جرينا على هذا النهج لجاز للسيد وزير الصحة، إذا زار مستشفى، ولحظ كثرة الإداريين، مع عجز فى الأطباء، أن يحول الموظفين إلى أطباء، وإذا كان هذا لا يعقل بداهة فى وزارة الصحة، فكيف يُعقل فى وزارة التربية والتعليم.

الدورات التدريبية .. خدعة مضحكة !!

لاشك أن المسئولين فى وزارة التربية والتعليم، قد واجهوا ثلاثة مواقف عسيرة، تتطلب الحل دون قدرة على الاتجاه المصيب، فالموقف الأول هو الفراغ الأليم فى هيئة التدريس، والموقف الثانى هو التضخم الهائل فى الإداريين، والموقف الثالث هو العجز المالى الذى لا يُتيح تعيين مدرسين من خريجى التربية فأقدموا على أن يتخلصوا من الإداريين، بتعيينهم مدرسين، وهم يعلمون تماما أنهم لم يملأوا الفراغ حقيقيا، بل صوريا، تعلم الوزارة ذلك جيداً، ولكنها نظرت نظرة واقعية تعترف بها فى طيات مكنونها، ولكنها لا تجرؤ على الإفصاح عنها، هذه النظرة تقرر أن المدرسة لم تعد فى الواقع الملموس موضع نفع للتلاميذ، وأولياء الأمور قد يئسوا من جدوى التدريس بها كما يئس الكفار من أصحاب القبور، وتأكدوا أن المدرس المتخصص مثل غير المتخصص لا يُعطى شيئا ما، قليلاً أو كثيراً، وأن الدروس الخصوصية هى سيدة الموقف تماما، وإذن فلن يحدث جديد فى عملية التعليم إذا أسند الأمر إلى غير أصحابه، وهؤلاء الإداريون سيملأون الفراغ رسميا دون



أن يقولوا شيئاً ذا بال، ولكنهم لن يكلفوا الدولة مليماً واحداً لأن مرتباتهم ثابتة فى ميزانية وزارة التربية والتعليم، وإظهاراً للمظهرية السطحية ستقوم الوزاة بحلقات تدريبية لهؤلاء، وهى خدعة مضحكة، لأن المدرس المتخرج فى كلية التربية لم تجده دروس التربية شيئاً الآن، مع ما درس، بالكلية من مواد التربية. فكيف تجدى حلقات التدريب التى تستمر شهراً أو شهرين ويدعى إليها المفتشون والنظار ليلقوا محاضرات لا تعتمد على منهج مدروس، ثم يقبضوا المكافآت واهمين أنهم أفادوا الإداريين، وهم لم يفيدوا غير جيوبهم فحسب، بدليل أنهم يعطون شهادات التقدير فى نهاية الحلقات للجميع دون أن يرسب أحد، وإذن فقد انفرجت الأزمة صورياً فى نظر وزارة التربية والتعليم، وقد ملىء الفراغ تماما دون إرهاق مادى تتحمله الوزارة إذا أرادت تعيين خريجى الكليات التربوية الذين يملأون الشوارع والمقاهى عاطلين. وقد خجلوا من أولياء أمورهم إذ أصبحوا كالإخوة الصغار فى مدارس الحضانة والتعليم الابتدائى، وبهذا العمل المظهرى لا يمكن للمدارس أن تشكو نقصا فى هيئة التدريس لأن التدريب الرسمى قد قطع كل اعتراض أما التلاميذ فلم يدخلوا فى حساب أحد، لا شأن لهم فى الواقع بالمدرسة والمدرسين، وأولياء الأمور يلمسون انحدار التعليم، لذلك لا يعترضون على هذه الملهاة، فالثقة فى دروس المدرسة قد تبخرت نهائياً، واتجهت الآمال إلى الدروس الخصوصية، كما شرحت ذلك من قبل فى مقال أليم.

تسعين ألفا من خريجى كليات التربية بلا عمل!!

وقد اقترحت بعض الإدارات التعليمية حين لمست عجز الإداريين المدربين أن تستعين الوزارة بالمدرسين المحالين إلى المعاش، بدل هؤلاء الذين لا يملأون الفراغ عملياً، وهو اقتراح غير مثمر، لأن المحال إلى المعاش بعد الستين، لم يحل وهو مدرس بل أحيل بعد أن تولى منصباً إدارياً مكث فيه عدة سنوات لم يزاول بها التدريس، ولن يكون سعيداً فى عمله، وهو يعمل مع زملاء كان رئيساً عليهم، أو فى مستوى من يرأسونهم اليوم، كما أن ضعفه الصحى لا يؤهله أن يقوم بواجبه كما كان ذلك فى عهد شبابه، وقد يجد من تصرفات الشباب نحوه ما يجعله ضائقاً بهم، فهم يعاملونه كزميل، ولا يشعرون نحوه بعاطفة ترضيه، لذلك وجدنا كثيراً ممن يلتحقون بالمدارس الخاصة بعد خروجهم إلى المعاش، يضيقون ذرعاً بالتدريس، ويقدمون استقالاتهم، حين شعروا عن يقين بأنهم نزلوا عن مستوى كان لهم من قبل، وأن الشباب الذين يزاملونهم فى العمل، لا يرعون ماضيا طالما اعتزوا به، بل يسخرون ممن يحاول أن يساهم معهم، وقد انقضى



دوره الزمنى وولت دولته إلى غير عود.

وإنى لأتساءل بصدد ذلك، إذا كنا سننفق كثيراً فى الدورات التدريبية لهؤلاء الإداريين وإذا كنا سنعطى المكافآت المادية لمن يمارسون التدريس من المحالين إلى المعاش، فلماذا لا ندخر هذه الأموال لتكون رواتب ثابتة لمن يتعينون من عاطلى كليات التربية وقد أوصدت فى وجوههم أبواب الرزق من عدة أعوام، وقد بلغوا فى الإحصاء الأخير تسعين ألفاً يملأون الشوارع كغيرهم من خريجى الكليات الأخرى، لنسهم بذلك فى تيسير أمور العيش لشباب لا يجدون ما ينفقون، وكل ذلك من ألفه إلى يائه علاج مظهرى، أو دواء مسكن، لا يستأصل الداء، لأن الواقع المرير يؤكد أن المدرس الآن قديماً أو حديث التخرج لا يعطى شيئاً، ومواجهة الحقيقة على ألمها الممض أول خطوات العلاج!

فقيه الكتاب

وقد قال أحد المسئولين فى وزارة التربية والتعليم تبريراً لهذا المشروع المعترض عليه: إن التعليم لا يحتاج إلى معجزة تربوية، لأن فقيه الكتاب فى القرية، يعلم التلاميذ ويقدمهم للمدارس، وهو لا يفقه شيئاً من أمور التربية، وقد نسى هذا الفاضل أن فقيه الكتاب ملقن فقط يقوم بالحفظ والتسميع دون أى جهد فى إدراك المعانى، وفى هذه الدائرة المحدودة يتم عمله دون سؤال عن مستوى التلميذ، فهل يكون المدرس الآن مجرد ملقن كفقيه الكتاب؟ وقد تحولت الكتاتيب بالقرى فى العهد الأخير إلى معاهد ابتدائية لا تكتفى بمجرد الحفظ بل تقدم المبادىء الأولى للقراءة والكتابة والحساب وما يتيسر من المعارف الأولية الخاصة بالدين وسيرة الرسول، وأصبحت تعطى شهادة رسمية بعد امتحان فى المواد المقررة. فأين فقيه الكتاب اليوم، ودوره الماضى كان فى حدود ملكته المتواضعة، ولم يطلق على نفسه صفة المدرس؟ وما أظن أحداً من عارفيه نظر إليه بهذا الاعتبار!!

القوى العاملة

لقد كانت إدارة القوى العاملة من قبل ترمى بالخريجين إلى وظائف بعيدة عن تخصصها إذ المراد عندها هو التعيين فقط، وبذلك تكدست الإدارات المختلفة بموظفين لا يعملون شيئاً! ومن هؤلاء موظفوا التربية والتعليم وتحتم الضرورة الملحة فى هذا اليوم أن تقوم وزارة التخطيط بمراجعة بصيرة لكل موظف يشغل مكاناً لا يتكافأ مع مؤهله الدراسى، فتنقله إلى مكان يجد فيه

ما يشغله على أن يكون النقل فى حدود المحافظة التى يعمل بها، كيلا يُضار مالياً ونفسياً بما يكبّده من الأثقال دون موجب، ونحن نعرف أنّ بعض الإدارات الحكومية تشكو العجز، وتطلب من يسد الفراغ. وجوارها إدارات أخرى تشكو التخمة وتسأل حائرة عن وجود أناس لا يكادون يعملون! فهل يستمر هذا التناقض السافر وفى يدنا أن نعمل على تلافيه. وعلى الذين ألفوا الفراغ فى وظيفتهم الصورية ألاّ يركنوا إلى هذا الكسل. لأن كرامة الموظف بينه وبين نفسه أن يكون عاملاً منتجاً، وأن تتوجه إليه الأنظار فى حل المشكلات، وتهيئة وسائل الراحة للمواطنين، أما أن يظل وجوده كعدمه فى الإدارة التى ينتمى إليها، فهذا مما يسىء إلى كرامته، قبل أن يسىء إلى المجتمع بعامة، وأنا أعلم أن اقتراحات مخلصة قدمت بهذا الشأن من أناس لهم اعتبارهم الوظيفى، ولكن كثيرا من الرؤساء يخضعون لاعتبارات ذاتية، أو يريدون ألاّ يتعبوا أنفسهم فى تغيير أوضاع مستقرة، هؤلاء لا يستجيبون سريعاً لما يُرجى منه النفع ولابد من حزم دقيق يمحو الخطأ ويثبت الصواب.

المدرسة بين الماضى الجميل والواقع المرير

وأغرب ما قرأته لمن يشجّعون انتقال الإداريين للتدريس، أن التعليم الحُر في الماضي قبل أن يلحق بوزارة التربية كان يعتمد فى كثير من أحواله على أناس لا يحملون الشهادات المتخصصة، بل يقبل ناظر المدرسة من يجيد التدريس مادام قد نال (الصلاحية) والصلاحية إذ ذاك تعنى امتحاناً يقوم به الناظر يبين مقدار الكفاءة، فإذا اطمأن إلى النتيجة اختار الممتحن لأنه ذو صلاحية، وقد نسى هؤلاء أنّ الناظر فى عهد المدارس الحرة، كان صاحب المدرسة ويدبر أحوالها، فهو فى تسيير أمورها كالتاجر في متجره. والفلاح فى حقله، ممن يحرصون على الجزاء المناسب، ولن يقبل مدرساً يضعف مستواه، لأنه سيغضب التلاميذ وأولياء الأمور، وفى ذلك كساد للمدرسة، وسمعة سيئة لا يرتضيها، بل كان الناظر يغشى الفصول بين الفينة والفينة، ويجلس على كرسي جوار السبورة ليستمع إلى الدرس، وذلك ما يدعو المدرّس إلى الاهتمام بعمله كي يستمر فى وظيفته.

وأذكر أن الأستاذ عبدالمنعم المدبولى قد مثّل دور الناظر فى مسرحية فكاهية، فأعطى مثلاً لما كان، رغم الروح الفكاهى الذى أضحك الجمهور، كما أذكر أن السيد اللّواء سعد



الشربينى رحمه الله حين عُيّن محافظاً للدقهلية اتجه فى الأسبوع الأول إلى مدرسة الأستاذ على الفلال ليقول لجمهور السامعين انه كانَ طالباً بهذه المدرسة الأهلية وأنها كانت تتفوق على المدرسة الثانوية لاهتمام ناظرها بالعمل المدرسى وقد رأى من واجبه وقد صار محافظاً للدقهلية أن يشيد بمعهد كان له أكبر الأثر فى تكوينه، ثم عانق الأستاذ على الفلال صاحب المدرسة مثنياً على جهوده، فليت شعرى أيكون التعليم الحر موضع استشهاد فى هذا المجال، وإذا كنّا لا نرى اليوم فى المدارس الأميرية أدنى اهتمام بالتدريس ومدرسوها متخصصون، فهل سنجد هذا الاهتمام عند من نُقلوا من الإدارة إلى التدريس وهم مكرهون!

العلاج الحاسم

إننا نقولها صريحة واضحة حين نُعلن أن المدارس الحكومية الآن لا تقوم بأدنى ما يُرجى منها من التعليم، وأنّ الدرس الخصوصى قد أصبح سيد الموقف تماماً، وهذا ما يعلمه أولو الأمر عن يقين فإذا أردنا العلاج الحاسم، فلننظر أولاً إلى أرض الواقع، ولنعلم أنّ محدودى الدخل من المواطنين قد انقطع رجاؤهم فى المدارس الحكومية إطلاقاً، لأنها لا تؤدى رسالتها. وما هى إلا مجرد مقاعد وطلاب، لا يجدون ما يرغبهم فى السماع! ومعنى ذلك أنّ الذين ينالون الدرجات العالية هم من يتحمل آباؤهم على ضيق متأزم نفقات الدرس الخصوصى، أما الباقون فستتقاذفهم الطرقات!

ليترك أولو الأمر المسكنات الهشّة من أمثال نقل الإداريين إلى التدريس وليجابهوا الواقع الصريح الذى يُعلن جهراً أن المدارس لم تعد تُعطى شيئاً ما، وأنّ الحسرات تأكل قلب الفقير حين تجده لا يستطيع لأبنائه في المدارس أىّ عون! ومن وراء ذلك مأساة التعليم الجامعى، وقد ألممت بها من قبل، ولها ذيول طويلة تتطلب الإيضاح على وجه صريح، وسأكرّر هذا القول دون سأم، لأنى أستريح به من بخار يتراكم فى صدرى ويتطلب التنفيس!

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

الآيات من ٩٦ : ٩٧

قال الفخر الرازى ما ملخصه: فى اتصال هاتين الآيتين بما قبلهما وجوه:

الأول: أن المراد منهما الجواب عن شبهة أخرى من شبهات اليهود فى إنكار نبوة محمد ﷺ وذلك لأنه لما حُولت القبلة إلى الكعبة طعن اليهود فى نبوته وقالوا: «إن بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال، وذلك لأنه وُضع قبل الكعبة وهو أرض المحشر، وقبلة جملة الأنبياء، وإذا كان كذلك كان تحويل القبلة إلى الكعبة باطلاً، فأجاب الله عنه بقوله:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾

فبين - سبحانه - أن الكعبة أفضل من بيت المقدس وأشرف فكان جعلها قبلة أولى»[1].

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص ١٥١.

والمراد بالأولية أنه أول بيت وضعه الله لعبادته فى الأرض، وقيل المراد بها كونه أولاً فى الوضع وفى البناء، ورووا فى ذلك آثارًا ليس فيها ما يعتمد عليه.

وبكّة: لغة فى مكة عند الأكثرين، والباء والميم تعقب إحداهما الأخرى كثيرا، ومنه النميط والنبيط فهما اسم لموضع. وقيل هما متغايران: فبكة موضع المسجد ومكة اسم البلد بأسرها.

وأصل كلمة بكة من البك وهو الازدحام. يقال تباك القوم إذا تزاحموا، وكأنها سُميت بذلك لازدحام الحجيج فيها. والبك أيضا دق العنق، وكأنها سميت بكة لأن الجبابرة تندق أعناقهم إذا أرادوها بسوء. وقيل إنها مأخوذة من بكأت الناقة أو الشاة إذا قل لبنها، وكأنها إنما سميت بذلك لقلة مائها وخصبها.

والمعنى: إن أول بيت وضعه الله - تعالى - للناس فى الأرض ليكون متعبداً لهم، هو البيت الحرام الذى بمكة، حيث يزدحم الناس أثناء طوافهم حوله، وقد أتوا إليه رجالاً وعلى كل ضامر من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم.

روى الشيخان عن أبى ذر قال: «قلت يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أول؟. قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أى؟. قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟. قال: أربعون سنة، ثم قال: حيثما أدركتك الصلاة فصل. والأرض لك مسجد»[2].

قالوا: وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد منه فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذى بنى المسجد الأقصى، والذى بنى المسجد الحرام هو إبراهيم وابنه إسماعيل، وبينهما وبين سليمان أكثر من ألف سنة فكيف قال ﷺ: «إن بين بناء المسجدين أربعين سنة؟!.

والجواب أن الوضع غير البناء، فالذى أسس المسجد الأقصى ووضعه فى الأرض بأمر الله سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وبين إبراهيم ويعقوب هذه المدة التى جاءت فى الحديث، أما سليمان فلم يكن مؤسساً للمسجد الأقصى أو واضعاً له وإنما كان مجددا، فلا إشكال ولا منافاة.

وإذن فالبيت الحرام أسبق بناء من المسجد الأقصى، وأجمع منه للديانات السماوية، وهو - أى البيت الحرام - أول بيت جعل الله الحج إليه عبادة مفروضة على كل قادر على الحج، وجعل الطواف حوله عبادة، وتقبيل الحجر الأسود الذى هو ضمن بنائه عبادة.. ولا يوجد بيت سواه فى الأرض له من المزايا والخصائص ما لهذا البيت الحرام.

وبذلك ثبت كذب اليهود فى دعواهم أن المسجد الأقصى أفضل من المسجد الحرام، وأن فى تحول الرسول ﷺ إلى الكعبة فى صلاته مخالفة للأنبياء قبله.

ثم مدح الله - تعالى - بيته بكونه ﴿ مُبَارَكًا ﴾ أى كثير الخير دائمه، من البركة وهى النماء والزيادة والدوام.

أى أن هذا البيت كثير الخير والنفع لمن حجه أو اعتمره أو اعتكف فيه، أو طاف حوله، بسبب

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء جـ٤ ص ١٩٧، وأخرجه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة جـ٢ ص ٦٣.

مضاعفة الأجر، وإجابة الدعاء، وتكفير الخطايا لمن قصده بإيمان وإخلاص وطاعة لله رب العالمين.

وإن هذا البيت في الوقت ذاته وفير البركات المادية والمعنوية.

فمن بركاته المادية: قدوم الناس إليه من مشارق الأرض ومغاربها ومعهم خيرات الأرض، يقدمونها على سبيل تبادل المنفعة تارة، وعلى سبيل الصدقة تارة أخرى لمن يسكنون حول هذا البيت الحرام، إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم حيث قال:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

(إبراهيم: ٣٧)

ومن بركاته المعنوية: أنه مكان لأكبر عبادة جامعة للمسلمين وهي فريضة الحج، وإليه يتجه المسلمون في صلاتهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكنهم.

وقوله ﴿ مُبَارَكًا ﴾ حال من الضمير في ﴿ وُضِعَ ﴾

ثم مدحه بأنه ﴿ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ أى بذاته مصدر هداية للعالمين، لأنه قبلتهم ومتعبدهم، وفي استقباله توجيه للقلوب والعقول إلى الخير وإلى ما يوصلهم إلى رضا الله وجنته.

ثم مدحه - ثالثاً - بقوله: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ أى فيه علامات ظاهرات، ودلائل واضحات تدل على شرف منزلته، وعلو مكانته.

وهذه الجملة الكريمة مستأنفة لبيان وتفسير بركته وهداه.

ثم بين - سبحانه - بعض هذه الآيات البينات الدالة على عظمه وشرفه فقال:

﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾

فالآية الأولى الدالة على عظم وشرف البيت الحرام ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ ﴾ أى المقام المعروف بهذا الاسم. وهو الموضع الذى كان يقوم فيه إبراهيم تجاه الكعبة لعبادة الله - تعالى - ولإتمام بناء الكعبة ومعنى أن في البيت مقام إبراهيم أى أنه في فنائه ومتصل به.

قال ابن كثير: عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعا حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ثم قرأ

﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾

[البقرة: ١٢٥]

فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين. والمراد بالمقام إنما هو الحجر الذى كان إبراهيم يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل بهذا الحجر ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار..

ثم قال: وقد كان هذا المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديما، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلى الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك. وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى ناحية المشرق، حيث هو الآن. ليتمكن الطائفون من الطواف، وليصلى المصلون عنده دون تشويش عليهم من الطائفين[3].

وقوله: ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أى مقام إبراهيم منها أى من هذه الآيات البينات. أو خبر لمبتدأ محذوف أى فيه آيات بينات أحدها مقام إبراهيم.

وقد رجح ابن جرير أن قوله - تعالى - ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ ﴾ هو بعض الآيات البينات التى في البيت الحرام فقال: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: الآيات البينات منهن مقام إبراهيم. وهو قول قتادة ومجاهد الذى رواه معمر عنهما فيكون الكلام مرادا فيه منهن فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها. فإن قال قائل: فهذا المقام من الآيات البينات، فما سائر الآيات التى من أجلها قيل ﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾؟. قيل: منهن المقام، ومنهن الحجر، ومنهم الحطيم»[4].

وقال ابن عطية: والراجح عندى أن المقام وأمن الداخلين جُعلا مثالاً لما في حرم الله من الآيات، وخُصا بالذكر لعظمهما وأنهما تقوم بهما الحجة على الكفار، إذ هم مدركون لهاتين الآيتين بحواسهم»[5].

وأما الآية الثانية التى تدل على فضل هذا البيت وشرفه فقد بينها القرآن بقوله:

﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾

أى من التجأ إليه أمن من التعرض له بالأذى أو القتل قال - تعالى -:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ ﴾

[العنكبوت: ٦٧]

وفي ذلك إجابة لسيدنا إبراهيم حيث قال - كما حكى القرآن عنه:

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾

[إبراهيم: ٣٥]

ولا شك أن في أمن من دخل هذا البيت أكبر آية على تعظيمه وعلى علو مكانته عند الله، لأنه موضع أمان الناس في بيئة تغرى بالاعتداء لخلوها من الزرع والنبات.

وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم - عن أبى شريح العدوى أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث لمكة - يعنى لقتال عبدالله بن الزبير -: «ائذن لى أيها الأمير أن أحدثك قولاً قال به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، - سمعته أذناى ووعاه قلبى، وأبصرته عيناى - حين تكلم به[6]: إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لا مرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها - أى أخذ فيه بالرخصة - فقولوا له: إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار، وقد

(٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص١٧٠ بتصرف وتلخيص.

(٤) تفسير ابن جرير جـ٤ ص١١.

(٥) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص٢٩٧.

(٦) أراد بقوله: سمعته أذناى... إلخ المبالغة في تحقيق حفظه إياه، وتيقنه من زمانه ومكانه ولفظه.

عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب».

فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟. فقال أبو شريح: قال لي يا أبا شريح أنا أعلم بذلك منك. إن الحرم لا يعيذ عاصيا ـ أي لا يجيره ولا يعصم دمه ـ ولا فارًا بدم ـ أي أن الحرم لا يجير إنسانًا هاربًا إليه لسبب من الأسباب الموجبة للقتل ـ ولا فارا بخربة ـ أي بسبب سرقة أو خيانة(٧).

ولقد كان أهل الجاهلية يعظمون المسجد الحرام ـ وخصوصا أهل مكة ـ فلما جاء الإسلام أقر له هذه الميزة وزكاها، ووضع لها الضوابط والأحكام التي تضمن استعمالها في الوجوه التي شرعها الله.

فقد اتفق الفقهاء على أن من جنى في الحرم فهو مأخوذ بجنايته سواء أكانت في النفس أم فيما دونها.

واختلفوا فيمن جنى في غير الحرم ثم لاذ إليه. فقال أبوحنيفة وابن حنبل: «إذا قتل في غير الحرم ثم دخل الحرم لا يُقتص منه مادام فيه، ولكن لا يُجالس ولا يُعامل ولا يؤاكل إلى أن يخرج منه فيُقتص منه. وإن كانت جنايته فيما دون النفس في غير الحرم ثم دخل الحرم اقْتُص منه.

وقال مالك والشافعي: يُقتص منه في الحرم، لذلك كله كما يُقتص منه في الحل. ولكل فريق أدلته المبسوطة في كُتب الفقه.

ثم أخبر – سبحانه – عن وجوب الحج على كل قادر عليه فقال:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

أي أن الله ـ تعالى ـ فرض على الناس أن يحجوا بيته في أوقات معينة وبكيفية مخصوصة متى كان في استطاعتهم أداء هذه الفريضة.

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ أي من جحد فرضية الحج وأنكرها، ولم يؤدها مع استطاعته وقدرته على أدائها فإن الله غني عنه وعن حجه وعن الناس جميعًا.

قال صاحب الكشاف: وفي هذا الكلام أنواع من التأكيد والتشديد منها قول:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾

يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته. ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل منه من استطاع إليه سبيلاً وفيه ضربان من التأكيد:

أحدهما: أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له.

والثاني: أن الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين.

ومنها قوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ مكان ومن لم يحج تغليظًا على تارك الحج، ولذلك قال ﷺ: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء الله يهوديًا أو نصرانيًا»(٨) ومنها ذكر الاستغناء عنه، وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان. ومنها قوله:

(٧) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فليبلغ الشاهد الغائب جـ١ ص٣٧ وأخرجه مسلم في كتاب الحج جـ٤ ص١٠٩.

(٨) إتحاف السادة المتقين جـ٤ / ٢٦٧.

﴿ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ولم يقل عنه، لأن فيه الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان، لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل، فكان أدل على عظم السخط(٩).

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ﴾ خبر مقدم متعلق بمحذوف أي واجب. ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ متعلق بهذا المحذوف، قوله: ﴿ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ مبتدأ مؤخر.

والناس عام مخصوص بالمستطيع، وقد خصص ببدل البعض في قوله:

﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

إذ هذه الجملة بدل من الناس بدل البعض من الكل. والضمير في البدل مقدر أي من استطاع منهم إليه سبيلاً.

و«من» في قوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ يحتمل أن تكون شرطية وهو الظاهر، وأن تكون موصولة، وعلى الاحتمالين استغني فيما بعد الفاء عن الرابط بإقامة الظاهر مقام المضمر إذ الأصل ومن كفر فإن الله غني عنه فاستغني بالظاهر عن المضمر.

قال ابن كثير: والجمهور يرى أن هذه الآية هي آية وجوب الحج. وقيل بل هي آية

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

[البقرة:١٩٦]

والأول أظهر. وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقوائمه، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريًا وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع، فعن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟. فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»(١٠).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما السبيل يا رسول الله، فقال: الزاد والراحلة»(١١).

وبذلك تكون هاتان الآيتان والآيات التي قبلهما قد ردت على اليهود في دعواهم أنَّ ما حرمه الله عليهم من طيبات لم يكن عقوبة لهم بسبب ظلمهم وبغيهم، وكذبتهم في دعواهم أن بيت المقدس أفضل من المسجد الحرام.

وقد اشتمل هذا الرد على ما يثبت افتراءهم من واقع التاريخ، فقد أمر الله ـ تعالى ـ النبي ﷺ أن يطالبهم بإحضار التوراة إن كانوا صادقين في دعواهم، فبهتوا وانقلبوا صاغرين، وأثبت القرآن أن البيت الحرام أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله، فهو يسبق بيت المقدس في أولوية الشرف والزمان، وإذن فجدال اليهود للنبي ﷺ في هذه الأمور ما هو إلا نوع من عنادهم وجحودهم للحق، والمعاند والجاحد لا ينفع معهما دليل أو برهان.

(٩) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٩٠. (١٠) القرطبي جـ٤/ ٢٥٣. (١١) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٨٥

السنة النبوية

نصرة الله لأوليائه وتوفيقه لهم (*)

للأستاذ/ محمود فرج العقدة

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه، ومايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته».

رواه البخارى - وفى بعض الروايات: «وفؤاده الذى يعقل به، ولسانه الذى يتكلم به».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد. وقد قيل: إن الولى سمى ولياً من موالاته للطاعات أى متابعته لها. والأول أصح. والولى القريب: فيقال: هذا يلى هذا أى يقرب منه.

والولى كما يكون وصفاً للعبد يكون وصفاً للمولى جل وعلا:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

[البقرة: ٢٥٧]

وذلك أن الله يحب أولياءه كما يحبونه، وينصرهم كما ينصرونه، ويتقرب إليهم بالجود والإحسان كما يتقربون إليه بالعمل والإيمان

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[النحل: ٦٠]

(*) مجلة الأزهر: جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ هـ.

(١) بكسر الراء أى العضبان.

ومثل الولى فى أصله الاشتقاقى وفى المعنى وصف المولى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾

[محمد: ١١]

وحقيقة الولاية قد بينها الله -سبحانه وتعالى- فى قوله:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

[يونس: ٦٢، ٦٣]

وهى حقيقة جامعة لكافة المؤمنين الصادقين، ومراتبهم فيها هى مراتبهم فى الإيمان والتقوى. وفى هذا يقول ابن تيمية: وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم، وأفضلهم محمد ﷺ. فقد تبين بهذا أنه إمام الأولياء، كما أنه إمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد بين هذا الحديث أيضاً حقيقة الولاية التى هى المحبة وما يناسبها، إذ جعلها ثمرة للعمل بالفرائض ومضاعفتها والزيادة فيها، وهو ما عبر عنه بالنوافل، وبهذا يعلم أن لا تنافى بين ما فى الحديث من كون أحب شىء إلى الله من عبده تقربه إليه بالفرائض وبين ما بعده مما هو خاص بالنوافل من حبه لعبده حتى يكون سمعه وبصره. الخ. فإن أحب شىء إلى الله هو هذا الجنس من العبادات المفروضة: كالصلاة والزكاة والصيام والبر والصلة وغير ذلك من أعمال الإسلام دون غيره من القربات المبتدعة المبنية على الحرمان من الرخص والمباحات، كما ورد أن رسول الله ﷺ رخص فى أمر فتنزه عن فعله قوم فخطب فقال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه، فوالله إنى لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية» رواه البخارى.

وأعلى ذلك الجنس ما أدى على جهة الزيادة ومضاعفة العمل والاجتهاد فيه، مما يرجع إلى معنى النفل، وهو (ما تفعله مما لم يجب). فالنظر - على حد تعبير المناطقة - أولا إلى الكيف، وثانيا إلى الكم - إن قبل هذا التعبير -. وإيذان الله أعداء أوليائه بالحرب معناه بطشه بهم وإهلاكه لهم، وذلك لازم لحقيقة الإيذان، التى هى الإعلام والإخبار. وهو سنة من سنن الله فى هذه الحياة، التى استقام بها ما استقام من أمر الأمم والجماعات منذ بعث الله للناس مبشرين ومنذرين

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

[غافر: ٥١]

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾

[الأنبياء: ١٨]

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[المنافقون: ٨]

﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٣٩]

وفي بعض الأحاديث القدسية تصوير ذلك بهذه الصورة التي تنخلع لها قلوب أعداء الأولياء، وتتزيل أعضاؤهم، لو كانوا يسمعون. «وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب [٢]».

***

وتأويل هذه العبارات القدسية العالية: «كنت سمعه وبصره ويده.. الخ» أني أكون له - والله أعلم - في إعلامه ما لم يعلم، وتبشيره بما يحب، كسمعه الذي يوصل إليه الأنباء.

والمعلومات. فإذا ما استمع لم يلتبس عليه الحق بالباطل، ولا الكذب بالصدق، ولا الوسوسة بالإلهام.

وكنت له في تبصيره ما خفي من الآيات، وانبهم من الدلالات، ولطف من اللمحات، كبصره الذي ينقل إليه صور المرئيات. فإذا ما أبصر وجد لله في كل شيء شاهداً وآية، وفي كل حركة وسكنة دليلاً وهداية، وفي كل وجود وعدم أثراً وإرادة.

وكنت له في عمل ما يحب، وإنفاذ ما يريد، وتسخير ما يشاء، وتذليل من يشاء، كيده التي يبطش بها. فإذا ما امتدت يده إلى شيء انقاد لها عصيه، وأسلس أبيه، وإذا بطش بها لم يعجزه جبار عنيد، ولا ذو بأس شديد، لأنه إنما يبطش بيد الله وقدرته، ويصول بحوله وقوته، ويمضي مؤيداً بروح من عنده، ويمدد من جنده، وينازل ببأسه، ويقضي بقضائه، ويرمي بسهامه.

وكنت له في الإيصال إلى المقاصد والمرامي، وإدناء الغايات والأماني، كرجله التي يمشي بها، فإذا ما سعى إلى غاية سعت إليه الغايات، وانطوت لخطواته المهامه والمفازات، وتواضعت لقدمه الجبال الشامخات، والتأمت لها البحار الزاخرات، وأيدته فيما يريد جميع الكائنات، فانقادت لمشيئته الأسباب والمسببات، وأمكنت لعزائمه الأمور المستحيلات. ذلك بأنه إنما يمشي بقدم الله ويمضي بتأييده، وبأنه يخطو بنور الله ويسعى بتسديده، ولأنه حين ذلل نفسه لله وعبدها لوجهه ذلل الله له كل شيء تذليلا، وبعد أن أخضع قلبه لمولاه أخضع لمشيئته كل شيء وإن كان ممتنعاً مستحيلا.

وكنت له في إلهامه الحكمة، وإتيانه البصيرة والفطنة بما أنزل في قلبه من نوري، وما أبديه له من أسراري، كفؤاده الذي يعقل به المعقولات، ويدرك به المدركات، فإذا ما عرض له شأن كان لقلبه فيه فراسة وحكم، وقضاء ورأي، فعرفه معرفة الحاذق اللبيب، والفطن الأريب. لأن الله قد جعل له نوراً يمشي به في الناس، وفرقانا يفرق به مواضع الالتباس، وهدى يهديه إلى سبل الله، ويدله على طريق النجاة. كما يقول جل شأنه:

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٨١.

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾

[الحديد: ٢٨]

وكما يقول:

﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾

[الأنفال: ٢٩]

وكما يقول:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[العنكبوت: ٦٩]

وفي الحديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[٣] ثم كان قلبه منبعاً للإلهام والحكمة، ومنزلا للهدى والسكينة. وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه: «إذا رأيتم الرجل أعطى زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة».

وكنت له في إنطاقه بالحجج والبينات، والقضايا المحكمات، كلسانه الذي هو آلة المقال، وأداة البيان، فإذا ما نطق نطق بالحق والصواب، وقضى بالحكمة وفصل الخطاب، فكان لقوله في كل قلب أثر من آثار رحمة الله التي تحي الموات، وتبرئ السقام، وتنقذ من الضلالة، وتشفي من العمى. فهذا كله - كما ترى - تمثيل لفضل الله على أوليائه، وعظيم عونه وإمداده لأصفيائه.

***

أما الغرض منه فهو - كما يقول البيانيون - تقرير الحال لا بيان المقدار. وذلك لأن معونة الله للولي من أوليائه أجل وأعلى من معونة جوارحه وأعضائه، فهو مما يراد به تصوير الغائب بصورة الشاهد، وتعبير الأمور المعنوية بالأمور الحسية، إيناساً للنفوس، وتبصيراً للقلوب، وتجلية عن خفيات الأمور، كمثل قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾

[النور: ٣٥]

والاقتصار على هذه الجوارح نوع من الاكتفاء، لأن المراد - والله أعلم - توفيق هذا العبد وإمداده ظاهراً وباطناً توفيقا وإمداداً يشملان جميع المدارك والجوارح والحواس.

وإنما اكتفى بهذه المذكورات لأن معظم مساعي العبد إنما هي بها. وكون المراد على الشمول ليس بمشكل، فها هو ذا رسول الله ﷺ يدعو فيقول: (اللهم أعطني نوراً، وزدني نوراً، واجعل لي في قلبي نوراً، وفي قبري نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، إلى أن يقول: وفي شعري، وفي بشري، وفي لحمي ودمي وعظامي).(*)

***

وقد اشتمل هذا الحديث أيضاً على إجابة الله لهذا العبد إذا سأله، وعياذه إياه إذا استعاذ به، وتردده عن قبض روحه تردداً لا يتردده عن شيء غيره، لأنه يكره مساءته.

(٣) حلية الأولياء ج١٠/ ١٥.

(*) صحيح البخاري.



دفاعا عن النبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور محمد عبد الوهاب محفوظ

فوجىء المجتمع الإنسانى فى الأيام القليلة الماضية بهجوم حاد على الإسلام وعلى شخص النبى ﷺ شنته إحدى الصحف الدانماركية وتبعها بعد ذلك بعض الصحف فى دول أخرى كالنرويج. وليست هذه المرة الأولى ولن تكون الأخيرة، فرسول ﷺ تعرض على طول التاريخ للهجوم على شخصه صلوات الله وسلامه عليه، سواء فى حياته أو بعد مماته.

فقد لقى النبى ﷺ من الهجوم ومن المصاعب والمتاعب ما لا يتحمله إلا هو، فقد تعرض للسب واللعن من سفهاء قريش، ورمى بالسفه والجنون، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعرض هو وأصحابه للإيذاء البدنى، فعذب أصحابه وقتلوا أمام عينيه مثل آل ياسر الذين كان ﷺ يقول لهم: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[1]. وتعرض هو نفسه للإيذاء، فوضعت القاذورات أمام بيته وفوق ظهره وهو يصلى، بل تجرأ عليه أحد السفهاء وأمسك برقبته يريد قتله وهو يصلى فدفعه أبوبكر - رضى الله عنه - قائلا: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله».

ولما ذهب صلوات الله وسلامه عليه إلى الطائف سلط عليه أهلها صبيانهم وسفهاءهم يسبونه ويقذفونه بالحجارة حتى أدموا عقبه الشريف. والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر، ومع ذلك فقد زال الحاقدون على رسول الله والمتعرضون له بالأذى، وبقى رسول الله شامخاً، وبقيت رسالته تنير الدنيا.

ولم تمنع هذه التصرفات الصبيانية من الحاقدين على رسول الله الناس من الدخول فى دين الله أفواجاً، ذلك أن الإسلام دين الفطرة، بل إن الهجوم على الإسلام وعلى الرسول كان فى كثير من الأحيان دافعاً إلى إقبال الناس على هذا الدين. وقد أدت الدعاية الفاسدة للحاقدين على رسول الله ﷺ ووصفه بالجنون والسحر وغيرها إلى ذيوع صيته صلوات الله وسلامه عليه وبلوغ دعوته إلى آفاق بعيدة ربما لم تكن لتبلغها إلا بشق الأنفس، فاجتذبت دعوته ﷺ الكثير من أصحاب الفطر السليمة فى هذه الآفاق، وحركت الدعاية السيئة ضد رسول الله ﷺ الفضول البشرى فى نفوس كثير من الناس فراحوا يبحثون عن آراء هذا الرجل، فبهر كثير من الناس بدعوته وبما فيها من سمو ورفعة ونبل، ووجدوا فيها ضالتهم وصدق الشاعر حين قال:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت
أتاح لها لسان حسود

فحقد الحاقدين أدى إلى وصول دعوته إلى كثير من الناس. ولا ننسى فى ذلك موقف النجاشى حينما هاجر إليه بعض المسلمين فأرسلت قريش عمرو بن العاص قبل إسلامه إلى النجاشى، فدخل عليه وراح يعمل لسانه فى الإسلام وفى نبى الإسلام وتسفيه آرائه، مما حدا بالنجاشى إلى أن يرسل فى طلب هؤلاء المسلمين ويستمع إليهم. ويبهر الرجل بما سمع، ويعلنها صراحة أن هذا والذى جاء به عيسى قد خرجا من مشكاة واحدة. ونحن نقول من أين كان للنجاشى أن يسمع بهذا الدين لو لم تتحرك الأفئدة الحاقدة على الدين وعلى رسول الله ﷺ وتسعى للنيل منهما عنده. وقد ظل الهجوم على رسول الله ﷺ متواصلاً حتى اضطر إلى ترك بلده التى أحبها كما لم يحب بلداً غيرها فاراً بدينه من هذه القلوب الحاقدة. ومع ذلك تواصلت الحملة الشرسة على رسول الله ﷺ بعد هجرته بشتى الوسائل، وانبرى الخطباء والشعراء الحاقدون للهجوم على رسول الله ﷺ، لا لشىء إلا للحقد والحسد، وإلا فما الدافع إلى ذلك والإسلام لم يهاجم أحداً يوماً، ولا أمر أحداً بترك دينه عنوة، وأعلنها صراحة بأن لكم دينكم ولى دين، فما هو إلا الحقد والحسد. وإلا فليقل لنا أحد إذا كان رسول الله مجنوناً كما يقولون فلماذا كل هذا الاهتمام بمجنون، فأى مجنون فى التاريخ وقف منه الناس هذا الموقف؟ وهل يجدر بالعقلاء أن يشغلوا أنفسهم بما يصدر عن مجنون، ويجيشون الجيوش عليه، ويتآمرون على قتله وقتل أصحابه؟ أى مجنون هذا الذى يستطيع أن يثير الناس إلى هذه الدرجة حتى فضلوا التضحية بالأموال والدماء فى سبيل التخلص منه فى حروب متتابعة؟

كلهم ذهبوا وبقيت سيرة المصطفى ﷺ وسنته

وقد تواصل الهجوم على رسول الله ﷺ بعد موته، ولم ينقطع هذا الهجوم فى عصر من العصور. وكنا نظن أن البشرية فى عصرنا هذا قد تجاوزت مرحلة الطفولة الفكرية، إذ تدعى البشرية أنها أصبحت أكثر نضجا، وأن الحضارة والمدنية قد بلغت

(1) البداية والنهاية لابن كثير ج3/ 59.



فى هذا العصر مبلغاً لم تبلغه فى أى وقت مضى، وأن إنسان هذا العصر قد أصبح متحضرا بالقدر الذى يسمح له باحترام خصوصية الآخرين ومقدساتهم ومعتقداتهم. وتكلمت كل المواثيق والقوانين فى عصرنا هذا وفى كل مكان على هذا الكوكب عن حرية كل فرد فيما يعتقد، وأن حرية التفكير والاعتقاد حق لكل إنسان، وأن من حق أى إنسان أن يمارس هذه الحرية دون قيود. ومع هذا فقد طالعتنا بعض وسائل الإعلام فى دولتين تنتميان إلى الحضارة الغربية التى تدعى التفوق فى المدنية والحضارة على الآخرين هما الدانمارك والنرويج بالإساءة إلى شخص رسول الله ﷺ بأساليب أبسط ما يقال عنها إنها طفولية، وإننا لنأسى للقائمين على هذه الأمور، ونعجب من لحظات انحطاط العقل البشرى وتدنيه فى التفكير إلى هذا الحد المسف. ونعجب من أن تصدر هذه الأمور فى هذا العصر الذى يبشر بالحرية ويدعو إليها ويدعى المحافظة على مشاعر البشر جميعا دون النظر إلى عرق أو لون أو دين.

إن هذه الأفعال وأمثالها تجعل هذه الدعاوى شعارات جوفاء غير ذات مضمون.

إننا نقول وبصدق إننا لا تشغلنا مثل هذه الأمور التى تنبىء عن تدن فى الفطرة البشرية، وانحدار فى التفكير، وضيق فى الأفق، ونقول صادقين إن هذا لاينال من نبينا، ولا من ديننا، فسيبقى ديننا شامخاً، وسيبقى نبينا علماً، وسيموت حاسدوه كمداً كما مات كل من حاول النيل من رسول الله ﷺ. فمن منا يتذكر اسم الرجل الذى كان يضع القاذورات على باب رسول الله ﷺ؟ أو الرجل الذى حاول أن يعتدى عليه وهو يصلى؟ أو أول من ادعى أنه مجنون أو ساحر؟ لا أحد يذكرهم فقد تجاوزهم التاريخ ووضعهم فى المكان الذى يستحقون، فى أظلم مكان فى التاريخ إذا كانوا قد دخلوا التاريخ أصلاً، وبقى الرسول ﷺ شامخاً، وبقى دينه يعلو ويكسب أرضاً وعقولاً وقلوباً كل يوم حتى يومنا هذا.

ونقول أيضا إننا لايزعجنا حقد حاقد، ولا تنال منا هذه الأفعال التى نشعر معها بالاشمئزاز من فاعليها، وإنما تزيدنا ثقة بأن الإسلام ماض فى طريقه الذى أراده الله - تعالى -، لا تنال منه هذه الأمور وأمثالها، وإنما تثبت لنا مثل هذه الأمور أن الإسلام يصيب هؤلاء بالغصة ويقف فى حلوقهم، وإلا فلماذا يهاجمونه إذا كانوا يعتقدون أن النبى ﷺ شخص لا قيمة له، وإذا كان دينه فاسداً كما يدعون، فلماذا كل هذا الهجوم؟ إن العقلاء لا يأبهون بأشخاص لا قيمة لهم، إنما نحن على يقين من أن الإسلام بما يحويه من عظمة ورفعة ليثير حقد الحاقدين، ويشعل الضغينة فى قلوب أصحاب النفوس الضعيفة التى يؤرقها ويقض مضجعها مكانة الإسلام

ومكانة النبى ﷺ وعظمتهما.

وإن هذه الأفعال لتثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الاسلام ونبى الإسلام ﷺ ليحتلان مكانة كبرى فى أذهان هؤلاء، وليس كما يدعون أو يتظاهرون بأنه دين فاسد ونبى مهرطق، ونقول لهم بصدق إن أفعالكم هذه ستفيد الإسلام ولن تنال منه، فإن العقلاء ستتحرك عقولهم نحو هذا الدين كلما ازدادت الحملة عليه، لأن أصحاب العقول السليمة لا يرضيهم أن يرسما أحد لهم أفكارهم، وإذا ذهبوا لاستكشاف هذا الدين فسوف ينبهر أصحاب الفطر السليمة بهذا الدين، فهذه سنة الله التى لن تتخلف، وهذا ما حدث فى الماضى وما يحدث الآن، وما سوف يحدث فى المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لماذا كل هذا الحقد!؟

وإننا لنعجب من القائمين على مثل هذه الأفعال وهم فى الغالب أهل كتاب (مسيحيون أو يهود)، فهم رغم أنهم أصحاب ديانة سماوية لا يهاجمون عبدة الأوثان والحيوان والملحدين، وإنما يهاجمون أصحاب ديانة سماوية يشتركون معهم فى كثير من الأمور الدينية، ويهاجمون نبيا من أنبياء الله، وحتى إن كانوا لا يؤمنون به ولا يعترفون بنبوته، فهل هم يفعلون هذا مع من يعلنون صراحة أنهم لا يؤمنون بوجود الله وينكرون نبوة كل الأنبياء، أو مع الذين يعبدون الأحجار وغيرها من الديانات الوثنية؟ إن هذا لايحدث، فلماذا كل هذا الحقد على الإسلام ونبى الإسلام دون غيرهما؟ إن هذا لشيء عجاب، ودعونا نريكم عظمة الإسلام فى احترام مشاعر الناس وعقائدهم، وهو الكلام الذى قرره القرآن الكريم منذ زمن بعيد. فبعد أن أعلن القرآن الكريم أن لكل إنسان منهجا وشريعة، وأنه لايكره أحدا على الإسلام، وبعد أن أعلن النبى للكفار أن لهم دينهم يعبدون ما يشاءون وللمسلمين دينهم الذى ينبغى أن تكون لهم حرية ممارسته، يعلن القرآن فى إحدى آياته التى ينبغى أن يقف أمامها التاريخ طويلاً وأن تتأملها العقول السليمة الباحثة عن العظمة والمدنية والتحضر، فالله - سبحانه وتعالى - يقول فى القرآن موجهاً خطابه إلى المسلمين.

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الأنعام ١٠٨)

فالله - سبحانه وتعالى - يطالب المسلمين بعدم سب آلهة زائفة وأصنام لاتنفع ولاتضر، ومع ذلك يطالبهم باحترام عقائد الآخرين وإن كانت باطلة، ويمنعهم من التعرض لآلهتهم الفاسدة التى صنعتها أيديهم والتى يعبدونها من دون الله أو مع الله، ومع ذلك يراعى

مشاعرهم. أية عظمة هذه وأى ترفع عن الدنيا وسفاسف الأمور!؟ وربما يدور فى ذهن بعضهم أن الإسلام يمنع المسلمين من سب آلهة الكفار حتى لايسبوا الله - سبحانه وتعالى - كما تشير الآية، وهذا صحيح، ولكن فى الآية أيضاً يمكننا أن نلحظ أن الله - سبحانه وتعالى - يوضح للمسلمين أن عقائد الناس ولو كانت باطلة يجب ألا تمتهن، لأن هذه العقائدلها من القداسة فى النفوس ما لها، والتعرض لهذه العقائد ولو كانت فاسدة سوف يزيد العداوة بين البشر، وهذا ما لايريده الله - تعالى.

لأن الله يريد للبشر أن يشتركوا جميعاً فى عمارة الأرض بغض النظر عن دياناتهم، ولأن الله زين لكل فئة عملها وأمر بتركهم على ماهم عليه، وحسابهم بعد ذلك على الله، ومن هنا دعانا للمحافظة على مشاعر المخالفين، والله يأمرنا بهذا ليدعونا إلى الترفع عن الدنايا، فلا يليق بالمسلم أن يدخل فى مهاترات هذا النوع من غير المسلمين ومحاولة النيل من معتقداتهم، وقد التزم المسلمون بهذا المنهج التزاماً صارماً على مدى تاريخهم، فلم يرصد التاريخ خرقاً لهذا الالتزام من جانب المسلمين، فلم ينزلق المسلمون يوماً إلى الهجوم على عقائد الآخرين أو مقدساتهم حتى ولو كانت فاسدة.

وعد الله لا يتبدل

أما المسلمون فأقول لهم لا تحزنوا ولا تبتئسوا، فإن الإسلام ونبى الإسلام قد تعرضا على مر التاريخ لحملات مسعورة بغية النيل منهما، وفى كل مرة رد الله كيد الحاقدين إلى نحورهم، وخرج الإسلام قوياً شامخاً، ومات الحاقدون بغيظهم، فالإسلام ظل ينتشر ويكسب أتباعاً كل يوم منذ وجوده حتى اليوم، وسيتواصل هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا ما وعدنا الله - سبحانه وتعالى - به، فقد وعد الله وعداً أكيداً لا يتبدل بأنه سينصر دينه، وسيظل هذا الدين يضىء بنوره الدنيا مهما يفعل أعداؤه، يقول تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

[الصف: ٨]

كما وعد الله - تعالى - أيضاً بأن ينصر دينه ويظهره على كل دين حيث يقول تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

[التوبة: ٣٣]

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا أن هذا الدين وجد ليبقى ويتواصل هديه ليقود البشرية إلى الرشاد والهدى، وإن اجتمعت عليه قوى



الباطل والشرك، فهذا وعد الله - تعالى - والله - سبحانه وتعالى - لا يخلف وعده، وأقول لكم بصدق إن الإسلام إذا لم يكن ديناً من عند الله لما صمد فى وجه هذه الحملات المستمرة والمكائد التى لا تنتهى، فكم من إمبراطوريات تهاوت تحت وطأة الدسائس والمؤامرات، وعلى مر التاريخ لم يتعرض دين أو دولة لمثل هذا الكم الهائل والمتواصل من المؤامرات والمكائد والعداوات السرية والعلنية التى تعرض لها الإسلام. ومع ذلك بقى الإسلام رغم اجتماع الناس عليه فى كل عصر شامخاً عالياً لا تنال منه هذه المكائد، ولن تنال منه مستقبلاً، لأن الله لابد أن ينصر دينه كما وعد. وعلينا مع ذلك ألا نقف مكتوفى الأيدى أمام هذه الحملات، فلابد أن ننصر ديننا ونبينا بكل ما نملك، ولابد أن يفعل كل مسلم كل ما يمكنه فعله فى هذا الاتجاه بكل وسيلة مشروعة ليس من بينها مبادلة البذاءة بالبذاءة، وليس منها الانحدار إلى مثل هذه الأعمال الطفولية التى نهانا الإسلام عنها حتى مع المشركين الذين يعبدون الأصنام، ولنا فى الرسول ﷺ القدوة، حيث قال بعد كل ما ناله من أذى المشركين: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون».

قدرنا أن نكون أمة عظيمة

ويا أيها المسلمون دعونى أقل لكم إن قدرنا أن نكون أمة عظيمة، وخير أمة، وهذه العظمة تمنعنا من التدنى والانسياق وراء الآخرين، والكبار دائماً لابد أن يتحملوا من هم دون ذلك، فلا يمكننا أن نهاجم مقدساتهم كما يفعلون رغم قدرتنا على ذلك، وعندنا من الوقائع التى وجه إليها المفكرون الغربيون أنفسهم سهام نقدهم ما يكفى لتسطير مجلدات فى هذا المجال، إلا أننا نترفع عن هذا عفة وترفعاً عن مثل هذه المهاترات لأن ديننا علمنا هذا.

وعلى حكام المسلمين جميعاً وفقهم الله أن ينصروا نبيهم ودينهم، فليس هناك من هو أعز علينا من النبى ﷺ حتى نصمت إذا تعرض للهجوم، وأقول لكل حاكم مسلم إن هذا هو أوان الغضبة لله والانتصار لدينكم ولنبيكم، وهذا محك يقاس عليه إيمان المسلم، فلن يؤمن أحد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين، كما أخبرنا النبى ﷺ وعلى كل حاكم مسلم أن يسأل نفسه السؤال التالى:

ماذا كنت أفعل لو أن هذه الجريدة الدنمركية تعرضت لشخصى أو لأحد أبنائى بالإساءة؟ ثم ليفعل ما تجيب به نفسه رداً على هذا السؤال، لأنه لا يكمل إيماننا ما لم ننصر الله ورسوله بما ننصر به أنفسنا وأولادنا.

وفقنا الله وإياكم لخدمة ديننا والدفاع عنه، إنه نعم المولى ونعم النصير.



جوانب العظمة في شخصيته صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة

قال مالك بن الحويرث:

(أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة. وكان رسول الله ﷺ رحيما رفيقا.

فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا. أو قد اشتقنا. سألنا عمن تركنا بعدنا. فأخبرناه. قال: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم. وعلموهم. ومروهم.» -وذكر أشياء أحفظها. أو لا أحفظها- وصلوا كما رأيتموني أصلي. فإذا حضرت الصلاة. فليؤذن أحدكم. وليؤمكم أكبركم) [1].

تمهيد

من بين ما تناقلته الألسنة من أساطير الأولين.. ما يحكي قصة الحياة قبل البعثة النبوية. ومنها ما قرأته:

(ظهرت «فينوس» على بحيرة من عطر الياسمين.

أجمل ما يكون الجمال جمالاً.

وجسمها يتوهج كوقدة الشمس.

وفتنتها الآخذة الجامع تثير عاصفة من الإثارة والهوس.

وجاءها رجل يسعى فقالت له: من أنت؟

(١) البخاري. ج٢/ط١ الحلبي كتاب الصلاة. باب الأذان للمسافر.



قال: راعٍ يرعى النفوس الشاردة. ويدلها على ينابيع الماء في الصخر:

وعلى المرج الخضيب في الوادي الجديب.

فقالت: مسكين!.. خذ مكانك بين الذين يمزجون العطر تحت قدمي.. فتملك مثل ما يملكون:

المال.. والجاه.. والشهرة.. والمتاع.

فقال الرجل: كلا يا «فينوس» إنني إن فعلت ذلك.. أفقد الإنسان الذي به وجودي.

وهكذا كانت الحياة قبيل البعثة.. حين أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن المنحرفون أنهم قادرون عليها. ومكروا مكراً كباراً!

فكانوا لصوصاً مهرة يجادلون سرقة ما تبقى من إنسانية الإنسان، وهكذا السارق الماهر الماكر، يقطع الأسلاك.. فيعم الظلام، وعندئذ يمارس جريمته.. فإذا انحسر الظلام خنس.. فلا مكان له تحت الشمس الطالعة. ولقد عاش العالم قبل البعثة تحت وطأة ليل كموج البحر، أرخى سدوله بألوان الهموم.. وانقضت عصابة السوء على الإنسان في محاولة لتدميره.

وإذا كانوا يقولون: إن أشد ساعات الليل ظلاماً هي التي تسبق طلوع الفجر.. فقد شددت الفتنة قبضتها لاستقطاب الإنسان عن طريق غرائز الجنس.. والتملك. وحب الحياة.

ولكن.. إذا كانت الضربة القوية تحطم الزجاج.. فإن هذه الضربة نفسها هي التي تثير في الإنسان جنود المقاومة.. التي هبت تدافع عن كرامة الإنسان.. بهذا الإباء الرافض للفتنة المتحكمة.

وفي هذه اللحظة.. وافته الأقدار العليا.. بالرائد الذي لا يكذب أهله.. والذي كان على موعد مع الإنسان.

المربي العظيم

انتهت بحوث البصراء بطبائع النفوس إلى تلخيص ركائز العظمة في أمور أربعة:

- الأخلاق الرفيعة التي يتميز بها العظيم.
- سمو المبادىء التي يدعو إليها.
- قوة تأثيره وقدرته على تكميل غيره بما كمل به نفسه.
- نجاحه في صياغة جيل يتحمل المسئولية من بعده.

ولقد كان محمد ﷺ في الذروة من هذه الركائز. على ما يشير إليه الحديث الشريف.

وكيف؟.

ذلك ما نحاول تجليته فيما يلي:

التحول الكبير

هؤلاء مجموعة من شباب يستيقظون على دقات الحق المبين. بعدما أحسوا، بالفراغ فى بيئة صار الدين فيها تقليداً، والأدب غزلاً. والحياة كأساً يغيب فيها وجود الإنسان.

وعلى أمواج الحنين.. وهو زاد المشتاق.. ونزهة العشاق.. مضوا يحملون القلوب إلى ديار المحبوب!.. إلى الرائد الذى لا يكذب أهله..

وفى مجتمع من نوع جديد:

(.. فعلى أى شىء كان يجتمع الناس فى مجتمع الجاهلية؟ وفيم يجتمع مع إخوته فى الله ورسوله؟

إنه كما قيل: ألا إنها الإخوة هنا.. حيث لم تكن أخوة هناك.

لقد كان يجتمع مع لدات له من قبل فى المجتمع الجاهلى.. ففيم كانوا يجتمعون؟ يسمرون مثلاً فى لحظات الصفاء؟

نعم..

- ولكن كلٌّ منهم مشغول بذاته. مشغول بإبرازها خشية أن يُبرز أحدٌ ذاته أكثر منه.. فيتميز فى المجلس بشىء.
- أو ينسون أنفسهم فى مجلس لهو وشراب وفارغ من حديث.
- أو يلتقون. أو يتصارعون.. على مصالح التجارة.
- أو يجتمعون فى حلف قبيلة ضد غيرها.. فيدبرون معاً خطة العدوان.
- أو يروون الشعر. ويتفاخرون بالأنساب.

تلك دنيا لقائهم.. وتلك مشاعر اللقاء.. أما اليوم.. فشىء آخر لم يذق طعمه من قبل قبل أبداً. إنه الحب.. إنه الترابط والالتصاق)(٢).

لقد تراجعت مشاعر الكراهية.. والمشاعر المحايدة.. والسلبية البغيضة.. تراجعت الأثرة.. وكان الإيثار.

إنهم لم يكتفوا بمطالعة الأفكار مسطورة فى كتاب.. لكنهم حرصوا على المقابلة الشخصية.. فعن طريقها تنشأ الملكات وتقوى.. إلى جانب ما تثمره من خلال لا بد منها فى تكوين المتعلم.. الذى يجد نفسه فى مجموعة من رفقة الخير.. تزوّده بهذه الخلال التى لا يمتثلها لو كان معزولاً.

فإذا كانت الجماعة محدودة العدد.. آتت التربية أكلها، لأنها

- تتيح الحد الأقصى من التفاعل بين الأعضاء.

(٢) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية.



- تساعد على نمو ملكة التفكير.
- تنمى مشاعر الانتماء.
- يربو الإحساس بمعنى المساواة.
- تساعد على انبثاق قيادات جديدة.. حين تتراءى مواهبها فى نقطة الضوء(٣).

ولا يمكن أن يتربى الإنسان تربية حقيقية متكاملة إلا فى جماعة.

وعلى أهمية التربية الفردية إلى أقصى مدى الأهمية. فإنها وحدها لا تنشىء كياناً سوياً للإنسان. لأن هناك جوانب من النفس الإنسانية لا تنضج، ولا تعمل، إلا فى داخل جماعة فيها أفراد آخرون.فإذا لم يلتق الإنسان بالجماعة. أو لم يتعود التعامل معها، فستظل هذه الجوانب كامنة معطلة غير مدربة على العمل. فتنكمش وتتضاءل. كما ينكمش ويتضاءل كل عضو لا يُستخدم فى جسم الإنسان)(٤).

الرائد.. الإنسان

إنهم شباب.. فهم متحمسون. متقاربون فى السن.. فهم متنافسون.

ومن ثم.. فلا يصلح لقيادتهم قائد عبقرى.. ولا بطل عسكرى..

لقد أشار العقاد إلى أن العبقرية: ندرة لا يطمع الناس أن يكونوها. والبطولة لون من التفرد لا يحكم كل الناس بها.. ومن هنا كانت العبقرية والبطولة تميزاً.. لا يمكن من الاندماج مع الجماهير ولو وكل إلى عبقرى قيادة أمة لأرهقها وما حقق بها ما يريد..

العقاد

ولكن الناس.. والشباب بخاصة فى حاجة إلى القائد.. الإنسان، الذى تهرع إليه آمال البشر.. فيحتويها، ثم يغذيها بما يملك من رصيد الرفق والرحمة.

يقول ابن خلدون: (واعلم أنه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظاً شديد الذكاء من الناس.

وأكثر ما يوجد الرفق فى الغُفل. والمتغفل. وأقل ما يكون فى اليقظ. لأنه يكلف الرعية فوق طاقتهم. لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم. واطلاعه على عواقب الأمور فى مباديها بألمعيته فيهلكون لذلك. قال ﷺ: «سيروا على سير أضعفكم».

ومن هذا الباب اشترط الشارع فى الحاكم قلة الإفراط فى الذكاء. ومأخذه

(٣) راجع القيادة وديناميكية الجماعة.

(٤) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية ٣٨.



من قصة: زياد بن أبي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال له:

لمَ عزلتني يا أمير المؤمنين: ألعجز أم لخيانة؟

فقال عمر: لم أعزلك لواحدة منهما، ولكن كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس. فأخذ من هذا: أن الحاكم لا يكون مفرط الذكاء، والكيس، مثل زياد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الملكة، وحمل الوجود على ما ليس في طبعه، وتقرر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة، لأنه إفراط في الفكر، كما أن البلادة إفراط في الجمود، والطرفان مذمومان من كل صنعة إنسانية، والمحمود هو التوسط)(٥).

مفتاح الشخصية

وإذا كان الإفراط في الذكاء واليقظة عيباً في حكام الدنيا.. فقد كان صاحب الخلق العظيم ﷺ طرازاً فريداً تجمع في قلبه ما تفرق في قلوب الناس من عواطف الخير.. محروساً بالوحي الأعلى.. فأنقذ البشرية من الضلال.. بأخلاقه تلك العظيمة، ومنها ذلك الرفق الذي شهد به هؤلاء الشباب، فكان البلسم الشافي:

أبعاد الرفق النبوي

الرفق.. ضد العنف.

- وهو خلق إيجابي ومن معانيه: الوسط [رفقت في السير].
- والانتفاع: [ارتفقت بالشيء، انتفعت به].
- والحكمة: [رفقت العمل: أحكمته].
- والرفيق: الحاذق في عمله.. وهو ضد الأخرق.. العاجز.
- والرحمة: خليط من مشاعر الحنان.. والإشفاق..
- والرقة: يتجاوز بها الإنسان عن زلات الآخرين..

ومن مزيج الرفق والرحمة يكون الإنسان إنساناً عظيماً..

وإذن فقد كان هذا الشباب المتحمس على موعد مع صاحب الخلق.. الإنسان العظيم.. بعيداً عن العبقرية.. والبطولة.. منفردتين.. معزولتين عن الوحي الأعلى.

إن العش الذي يقوم على غصن هش ليس له قرار.. ومن ثم.. لم تكن رحمته ورفقه لوناً من المجاملة ينتهي به المقابلة.. بيد أنها الفطرة السوية تفتح ذراعيها

(٥) المقدمة الفصل ٢٤.

للحماس المتوقد.. فتفسح له الطريق على جناحين منهما.. حتى لا يكون الحماس شلالاً هادراً، وليكون في النهاية عملاً مثمراً.

سمو مبادئه

ولقد كان في رحمته ورفقه سماء ما طاولتها سماء..

فلم يكن خلقة ذلك عنصرياً ملوناً.. وإنما هو الخلق الطليق يستظل به العاكف والباد!

ولقد كتب الكاتبون محللين شخصيته ﷺ وعظمة ما يدعو إليه من مبادئ وكان من أبرزهم «مايكل هارت» الذي جعل محمداً ﷺ على رأس مائة من عظماء العالم.

ولكنه (لم يتخذ قيمة الأعمال الذين أتوا بها، وكمالاتهم الشخصية مقياساً لعظمتهم، وإنما نظر إلى درجة التأثير الذي أحدثه الشخص في العالم، ومدى تدخله هو في التأثير وسعته.

سواء أكان ما أتى به خيراً للبشرية، أو شراً في الحقيقة والواقع، فمحمد ﷺ انطبق عليه مقياس هذه الناحية من العظمة، وكان له فيها القسط الأكبر فكان فيها أعظم العظماء، لكننا أردنا أن نعرض العظمة في مقوماتها الذاتية، لا في درجة التأثير العظيم فقط، والتي يتكون منها المقياس الصحيح للعظمة..

والتي تكون نموذجاً يحتذى للكمال البشري،

وهذا ما وجدنا أن نبينا محمداً ﷺ قد استجمع فيه دعائم العظمة كلها مما تفرق بين زعماء البشر، فكانت عظمته جماع العظمات، من الوجهة الواقعية التاريخية، وإن لم ينظر إلى صفة النبوة، التي ألقاها الله عليه وأيده بها).

ولقد أشار الحديث الشريف إلى خلاصة هذه المبادئ التي يدعو إليها:

- بداية الإصلاح من الأسرة.. وفاء.
- أهمية القدوة المتمثلة فيهم تحت سقف البيت.
- الدعوة إلى الخير.
- التعليم.
- إقام الصلاة.
- تقديره لدوافع الإنسان.. حين أحس بالشوق إلى الأهل فأمر الشباب بالعودة، صلة الرحم، وحماية للأسرة، من مخاطر الغربة الطويلة.

لقد كان الشباب في الجاهلية.. وفي فارس والروم، واقعين بين شقي الرحى فلقد خدعوا الشباب هناك مرة بالرقة والدلال، ومرة بالقيود والأغلال، وصار الأمر على ما قيل:

[إن غمده فارغ مثل كيسه، فهو أعزل فقير].

فلما جاء ﷺ منحه الخلق العظيم

الذى فتح به العالم.. ووضع فى صدره الكتاب.. الذى سكن منه فى قلب عامر. فغير وجهه العالم كله.

قوة التأثير

يقول «جوستاف لوبون»: «إن ملكة الفنون لا تستحكم فى أمة من الأمم إلا فى ثلاثة أجيال: جيل التقليد. وجيل التحضر. وجيل الإستقلال. وقد شذ العرب. فوصلوا إلى الاستقلال فى جيل واحد».

كانت قدرته ﷺ على التأثير مردودة إلى أنه كان القدوة الحسنة وبهذه القدوة ظل منتصباً من وعى من رآه.. فلا يفلت من جاذبيته. فلم يكن سلطاناً يتاجر بآمال أمته.. ولم يكن مترفاً يتفنن فى أطايب الطعام بينما تموت الأمة جوعاً.. وكان فى تناوله للأمور بسيطاً.. بعيداً عن التعقيد.. يتجاوز الشكليات إلى الأصول. بينما زعماء فارس والروم: تجارتهم قمار.. يربح فيها واحد.. ويخسر الملايين.. ويمارسون أقسى ألوان الظلم.. بينما يتحدثون عن المساواة.. وتضىء فى قصورها الثريات ويموت الود فى القلوب من هجمة شرسة على ثروة الحب فى الأفئدة..

منهج التربية

من أسباب فشل التربية اليوم.

- فساد التصور.
- سوء التطبيق.
- غياب القدوة.

من أجل ذلك. وضع ﷺ للشباب خطة العمل التى يملكون بها المستقبل.. والتى يتلافون بها هذه السلبيات جميعاً.

ولقد كان ﷺ أولاً نعم المربى الشاعر بحاجاتهم النفسية المتطلعة إلى الإشباع.. فلما ظن.. مجرد الظن.. أنهم قد اشتاقوا إلى أهلهم.. أمرهم بالعودة إليهم.. تقديراً منه ﷺ لدوافع الإنسان.. وحتى تؤتى خطة التربية والتعليم ثمارها.. وقبل أن تشوش حاجات النفس على العقل فلا يفهم.. وعلى القلب فلا ينشط.

وقد وضع لهم خطة العمل:

- إنها تبدأ من البيت أولاً.. وخيركم خيركم لأهله. «ارجعوا إلى أهليكم».
- على أن يكونوا لهم القدوة القائمة الدائمة «فأقيموا فيهم».
- ثم لتبدأ مهمة التعليم والتثقيف.. التى تزيد المتعلم وعياً بما حوله ومن حوله «.. وعلموهم..».
- ثم يكون التوجيه.. بأمرهم بالخير «.. ومروهم».
- على أن تظل القدوة أداة التأثير.. لا مجرد بيان الأحكام:

«وصلوا كما رأيتمونى أصلى».. لا كما سمعتمونى!!

لتكون للقدوة تأثيرها.



أهمية الترتيب

وهكذا يتسلسل المنهج.. وبالترتيب..

إن كثيراً من الشباب اليوم يجيدون من الأمر والنهى، متجاوزين مرحلة الإعداد والإرشاد.. والتوعية.. ولا بد من الاستيعاب أولاً ليكون للأمر من بعده قيمة.. أما مجرد الأمر.. قبل أن تتضح الحقائق.. فى الأذهان.. فهو لون من الحكم لا يصل بالمتعلم إلى ما نريده له..

سلم الأولويات

هناك أمور فرعية.. لا تحتمل الخلاف.. والأمر فيها مبنى على التجاوز والتساهل.. ومنها الأذان.. ومن أجل ذلك قال لهم: «فليؤذن أحدكم» أى واحد..

ولما كانت الإمامة قيادة وريادة.. فقد كان للخبرة والسن اعتبارهما ومن أجل ذلك قال لهم: «وليؤمكم أكبركم».. وإذاً.. فلا بد من التدقيق.. فما هو أهل لهذا التدقيق.. وبذلك يحميهم من الاختلاف.. الذى ينسحب على الدعوة فيزهد الناس فيها. وما أحوجنا اليوم إلى الوفاق بعد طول الشقاق

فلننح الغرور جانباً.. ولنتخذ من الحق صاحباً..

ولنفتح أبصارنا على حقيقة ما يراد بنا.

إن بعض الدول الكبرى تسمح لبعض الأنشطة الإسلامية أن تمارس على أرضها..

لكنها فى نفس الوقت. تفتح الطريق لنماذج رديئة تتحدث باسم الإسلام حتى تحبط القول البراق.. بالقدوة الرديئة المتحركة!!

فلنأخذ ذلك فى اعتبارنا.. مدركين خطورة الأعداء المتربصين بنا.

فخذوا حذركم يا دعاة الإسلام:

فلو ألف بان خلفه هادم كفى
فكيف وبان خلفه ألف هادم؟!

***

خطبة الجمعة :

قبسات من نور النبوة

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

الحمد لله العلي الحكيم الذي يقول في حق رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

أحمدك اللهم وأشكرك وأتوب إليك وأستغفرك، وأشهد أن لا إله إلا أنت تفضلت على عبادك فأرسلت إليهم نبيك، وجعلته رحمة للعالمين، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك الذي كان بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، والذي فطرته على خلق عظيم، وجملته بالأدب النبيل والطبع الكريم، فصلواتك اللهم وسلامك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه خير الداعين إلى طريق رب العالمين!.

أما بعد.. فيا أتباع محمد ﷺ...

يقول الله - تبارك وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)

ومن الواجب علينا أن نتعرف إلى جانب من عادات هذا القائد الأعظم والرسول الأكرم، إذ في الوقوف على هذه الأخلاق سلوك إلى التطبع بها والنسج على منوالها،



وبدراستنا لها نجد ما يدفعنا إلى حب صاحبها ﷺ وحب شريعته الخالدة ما دامت السماوات والأرض، وقد قال - ﷺ -: «ما اختلط حبي بقلب أحد فأحبني إلا حرّم الله جسده على النار»(١). فاسمعوا كيف كان رسول الله ﷺ.

كان ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وأشد حياءً من العذراء، وأصبر الناس على أقذار الناس، وكان كلامه فصلاً مبيناً، يفهمه كل من سمعه، وكان أبغض الخلق إليه الكذب، وأحب الألوان إليه الخضرة، وأحب العمل ما داوم عليه صاحبه، وكان أخف الناس صلاة على الناس، وأطول الناس صلاة لنفسه، وكان إذا أتى مريضاً أو أتي به قال: «أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»(٢).. وإذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم! السلام عليكم!. فإن أجابه مجيب دخل وإلا رجع!..

وكان ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»(٣). وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: «الحمد لله على كل حال»(٤). وإذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم قال: «باسمك اللهم أحيا وباسمك أموت، اللهم إن قبضت روحي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(٥). وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»(٦).

وكان إذا أراد أن يودع أحداً قال: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»(٧)، وإذا أراد سفراً قال: «اللهم بك أصول وبك أجول وبك أسير»(٨). وإذا خاف نسيان حاجة ربط في خنصره أو خاتمه خيطاً ليذكرها به، وإذا أصابته شدة قدعا برفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، وإذا أصابه غم أو كرب قال: «حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»(٩).

وكان ﷺ إذا وجد أحداً من أهل بيته كذب كذبة أعرض عنه حتى يتوب، وإذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»(١٠)، وإذا بلغه عن أحد كلام سيىء لا يقول: «ما بال فلان يقول، بل يعرض ويقول: «ما بال أقوام

(١) حلية الأولياء جـ٧ ص٢٥٥.
(٢) البخاري ٧/١٥٧.
(٣) سنن ابن ماجه جـ٢ ص ١٢٥٠.
(٤) سنن ابن ماجه جـ٢ ص ١٢٥٠.
(٥) البخاري ٨/٨٨.
(٦) البخاري ٨/٨٥.
(٧) الحاكم ١/٤٤٢.
(٨) الحاكم ٢/٩٧.
(٩) أحمد ٢/٧.
(١٠) البخاري ١/٢٧.



يقولون كذا وكذا»[11]. وكان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاث مرات حتى تفهم عنه، وإذا جاءه خبر يسره خر ساجدا لله شكرا، وإذا جرى به الضحك وضع يده على فمه، وإذا أهمه أمر فزع إلى الصلاة. وإذا خرج من منزله قال: «اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل، أو نظلم أو نُظلم، أو نجهل أو يُجهل علينا»[12]. وكان إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس، ضحاكا بساما، مثالاً للزوج الكامل.

وكان إذا رفع بصره إلى السماء قال: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك[13]». وإذا شهد جنازة أكثر الصمت وأطال الحديث مع نفسه، وإذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه، وخفض بها صوته في عطاسه. وكان إذا عمل عملاً أحكمه، وإذا سمع بالاسم القبيح حوّله إلى ما هو أحسن منه. وإذا غضب وهو قائم جلس، وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه، وإذا غاب عنه الرجل من أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره، وإن كان مريضا عاده، وكان إذا قدم عليه الوفد من الناس لبس أحسن ثيابه، وأمر عليه أصحابه بذلك، وإذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه لم ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده لم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه، وإذا لقي أحدا من أصحابه فأسر إليه حديثا مال نحوه بأذنه فلا يرفعها حتى ينتهي الرجل من حديثه.

وكان ﷺ إذا مر بآية رحمة سأل الله أن يرحمه، وإذا مر بآية خوف تعوذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه سبح الله.

وكان إذا نظر في المرآة، قال: «الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فحسنها، وجعلني من المسلمين»[14]. وكانت فيه دعابة يمزح، ولا يقول إلا حقا. وكان لا يقبل قول أحد على أحد. ولا يتطير، ولكن يتفاءل، ولا يحدث حديثا إلا تبسم، ولا يدع قيام الليل، وإذا مرض أو كسل صلى قاعدا، بقدر ما يستطيع.

وكان ﷺ لا يرد الطيب، بل يحبه ويكثر منه، ولا يقدم على أهله ليلاً إذا كان في سفر، ولا ينفخ في طعام ولا شراب، ولا يتنفس في الإناء، ولا يواجه أحدا في وجهه بشيء يكرهه، وكان يأتي ضعفاء المسلمين فيزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ويقضي حوائجهم ويتصدق عليهم، ويبيت الليالي المتتابعة طاويا بلا طعام وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير، وكان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء.

وكان ﷺ يخيط ثوبه بيده، ويتتبع الحرير فيه فينزعه، ويخصف نعله ويرقع قميصه، ويحلب شاته ويخدم نفسه، ويحمل حاجته، ويكرم ضيفه، ويعمل ما يعمله الرجال في بيوتهم، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب

(11) سنن النسائي ٦/٦٠.

(12) اتحاف السادة المتقين ٦/٤٠٤.

(13) الحاكم ٤/٣٢١.

(14) اتحاف السادة المتقين ٥/١١٣.

دعوة العبد، وإذا جاءته هرة أمال لها الإناء حتى تشرب بسهولة.

وكان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[15].

وكان يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة. وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي حاجتهم، وكان يمر بالنساء والصبيان فيسلم عليهم ويحادثهم ويتلطف معهم، ويجالس الفقير ويؤاكل المسكين، ومع كل هذه الطاعات وتلك الحسنات كان شديد الخوف والرهبة من الله، فقد روى عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: أتاني رسول الله ﷺ ليلة فدخل معي في «لحافي، ثم قال: «ذريني أتعبد لربي»، فقام ﷺ فتوضأ، ثم قام فصلى فبكى حتى سال دمعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال ـ رضي الله عنه ـ فآذنه بالصلاة، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟». ولم لا أفعل وقد أنزل الله ـ تعالى ـ علىّ في هذه الليلة[16]:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠ : ١٩١)

يا أتباع محمد ﷺ .. هذه نخبة من أخلاق نبيكم وعادات رسولكم، ترون منها أنه كان أنبل الناس وأفضل الناس، وما يراد بتجليتها عليكم إلا أن يحاول كل منا أن يتخلق بهذه الخصال الكريمة ويتعود تلك العادات الفاضلة حتى يكون محبا لرسول الله ﷺ مستحقا لشفاعته

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(الشعراء: ٨٨، ٨٩)

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

(التوبة: ١٢٩)

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(الممتحنة: ١١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)

قال رسول الله ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[17] وقال ـ عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[18].

(15) أبو داود ٢١٣٤.

(16) البخاري ٢/٦٣.

(17) كشف الخفا ج١/ ٨٢.

(18) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/١٩٢.

مَكَانَةُ الشَّبَابِ وَمَكَانُه فِي الإسْلَامِ

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

في هذا الزمن الذي نعيش فيه وفدت علينا ثقافات أجنبية، بل ظهرت نظرية العولمة والتي استهدفت الشباب المسلم كي ينحرف عن نهج الإسلام القويم، وقد حرص أصحاب هذه النظرية على بثها ونشرها في المجتمعات الإسلامية مثل الإقبال على الخمور وعلى الفجور والقمار والربا بشتى أنواعه وعلى الأفلام والصور المثيرة للغرائز، كي ينغمسوا في الحياة المادية الخالصة التي تمهد لهم سبل التهاون في الدين وفروضه وتعاليمه في الاقتصاد والسلوك والأخلاق وفي التعاون على الخير ومن هنا فقد سيطر الإغفال على العقائد والعبادات بما يشبه الاختلال في السلوك بل إنه وفدت فلسفات ومذاهب ضالة استمالت العديد من الشباب بل وغير الشباب بل واستخدمت العلاقات الجنسية والنزعات الإباحية كهدف وغرض انصرف الجميع إلى الظفر به.

فضائيات الغرائز

وقد احتلت وسائل الإعلام المختلفة وعلى رأسها القنوات الفضائية السيطرة على مقدرات الشباب وركزت على هذه الغرائز ومن هنا كان لابد من تشخيص المرض الذي حل بشباب الإسلام حتى نستطيع أن نصل إلى وصف الدواء فإن الله سبحانه قد خلق الداء وخلق الدواء وأمر الرسول ﷺ بالتداوي، ولا يحسبن أحد أن التداوي من أمراض الجسد وفقط بل إن الإسلام يفرض على المجتمع المسلم علاج كل الأمراض الجسدية والنفسية والاجتماعية.

إذن من المسئول عن هذا العلاج؟

إن المسئول عن ذلك هم الآباء والأمهات، أيا كانت مواقعهم، فهم المسئولون عن الأولاد فإن أحسنوا إليهم بالتربية الحسنة في نطاق الدين كانت لهم المثوبة وإن أساءوا وأهملوا في رعايتهم وتربيتهم استحقوا العقوبة وكانت حياة هؤلاء وأولئك غير مستقيمة وصار المجتمع غير



إنساني والأولاد يخرجون إلى هذه الحياة مزودين بفطرة الله صالحين لما يوجهون إليه من خير أو شر.

فالواجب على الآباء والمربين أن ينموا هذه الفطرة ويوجهوها إلى الخير حتى تطبع النفس على العادات الحسنة والخلق القويم وينشأ الأولاد على فعل الخير الذي ينتفعون به في أنفسهم وبالتالي يعود هذا النفع على الأمة كلها وعلى المجتمع بأسره والأمم إنما تقوى وتنهض بقوة أبنائها.

دور الشباب

ولا شك أن الشباب هم عدة الأمة وهم سلاحها الذي يزود عن الأمة ويرد سهام الأعداء عنها فهؤلاء الشباب تمتلئ قلوبهم بالشجاعة والوطنية وعن طريقهم وعلى أيديهم يتم تطور المجتمع ويستطيع الوصول إلى غايته وهدفه في التقدم والقوة والرفاهية والعدل ولابد أن يصاحب هذا عقيدة قوية تتمكن من القلب فتملؤه إيمانا بالله ورسله وكتبه فكرا وعملا ومن هنا كان ثناء القرآن الكريم على جماعة من الشباب التزم الإيمان الكامل فكان قدوة صالحة تضرب بهم الأمثال حيث كانوا يتصفون بالقوة والالتزام يقول تعالى في وصفهم:

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾

(الكهف: ١٣)

هؤلاء الشباب هم الذين يسلكون طريق الهداية ولم ينغمسوا في الرذائل فلهم قوة العزم والإرادة التي تدفعهم إلى اقتحام الصعاب والمخاطر متى آمنوا واعتقدوا أن هذا هو الطريق المستقيم، وقد جاء في القرآن الكريم أمثلة عدة لهؤلاء الشباب وأصحاب العزم فكان لوط عليه السلام شابا، وآمن بدعوة إبراهيم - عليه السلام قال تعالى:

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(العنكبوت: ٢٦)

وقد كان من الذين سبقوا إلى الإيمان برسالة موسى عليه السلام جماعة من الشباب فكانوا له سندا وقوة، قال تعالى:

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾

(يونس: ٨٣)

ولنا في قصة الشاب اسماعيل - عليه السلام - عندما كان فتى يافعا حين أخبره أبوه إبراهيم - عليه السلام - باختبار الله لهما فإذا به يقدم نفسه طائعا ممتثلا لأمر الله ذبيحا وكان باستطاعته أن يرفض لو أراد ولكنه قال كما حكى القرآن عنه:

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

ولهذا استحق ثناء الله -تعالى- عليه في قوله:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾

(مريم: ٥٤)

شباب حول الرسول ﷺ

وفى أخبار الصحابة أمثلة كثيرة لهذا الشباب الصالح المؤمن فهذا سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- أسلم وهو شاب فحاول أبواه أن يرداه عن دينه وجاهدا فى ذلك أملا فى عودته ورجوعه فأوضح الله له الطريق فى قوله:

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(لقمان: ١٥)

وهذا على بن أبى طالب وزيد بن حارثة رضى الله عنهما كانا من أوائل الشباب الذين صدقوا برسالة النبى محمد ﷺ وكل هذا بعزم الشباب وإرادته والعلم للشباب هو الزاد والهدى وهو الطريق إلى العزة والقوة وحتى الأنبياء لم يتوانوا عن طلب العلم والرحيل لطلبه قال تعالى:

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

(الكهف: ٦٥، ٦٦)

ولو عدنا إلى تاريخ الإسلام فى بدء الدعوة نجد فى الشباب المسلم وقت الدعوة الهدى والقدوة الحسنة فلا ينسى التاريخ فدائية على بن أبى طالب وموقفه ليلة الهجرة وشجاعته لينام فى فراش النبى ﷺ وهو يعلم أن الأعداء يطلبون محمدا والقضاء عليه كذلك.

الفتيات المسلمات

يذكر له التاريخ الإسلامى شجاعته وقتاله للأعداء يوم بدر ويوم الخندق ومن هؤلاء الشباب عبدالله بن العباس الذى كان موسوعة فى العلم والمعرفة والنظر الثاقب وبراعته فى فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة بل إن هذا لم يكن قاصرا على الشباب من الذكور بل كانت هناك الفتيات المسلمات التى لم تقصر فى أداء واجبها ومن أمثلة ذلك ما كان من أسماء بنت أبى بكر -رضى الله عنها- وما صنعت وتحملت من المشقة والتعذيب أثناء الهجرة.

ولهذا كان الشباب هم القوة التى لا تعدلها قوة فى إثراء الحياة بالخير والنهوض بالمجتمع.

والشباب فى كل مجتمع وفى كل أمة هم موضع الفخر والاعتزاز وموئل الأمل والرجاء فهم دائما وقوف فى الصفوف الأولى فى جميع ميادين الحياة، فى الزود عن الأوطان، وفى زيادة الإنتاج، وفى العمل على رقى الأوطان وتقدمها، فقد خاطروا بأرواحهم فى أجواء السموات يقودون الطائرات وبين أمواج البحر فى السفن والغواصات وبجهد هذا الشباب استخرجت كنوز الأرض من بترول ومعادن ثمينة وبجهد هؤلاء الشباب كانت حركات التحرير وانطلقت حناجرهم بصيحات الاستقلال فإذا كان الشباب بهذه المنزلة وبتلك المكانة فى حياة الأمة كان من الواجب حسن التوجيه والرعاية فى نطاق أحكام الإسلام.

الإسلام دين السلام العالمى

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عطية

الإسلام يحمل فى يده أسباب بقائه، وفى اليد الأخرى أسباب سعادة البشرية، ومن أسباب بقائه، أنه دين الفطرة الخالصة، وأنه دين العقل الرشيد، والمنطق السديد.

لقد كانت البشرية قبل البعثة المحمدية المباركة تعيش حالة من الفوضى اتسعت لتشمل العالم بأسره، وبخاصة شبه الجزيرة العربية وما حولها، حيث كانت قبائل العرب بينها من العداوة والتناحر أكثر مما بينها من أسباب السلام والتعاون، والعامل الرئيسى فى ذلك قلة أسباب الرزق وندرة الكلأ والماء، الذى يدعو إلى الاستقرار وبناء المجتمعات. فلم يكن العربى يأمن على نفسه وأهله وماله، مما دفع كثيرا منهم إلى وأد بناته خوفا من العار والرق.

وقد سجل القرآن ذلك فى أكثر من موضع حيث قال تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾

(النحل: ٥٨، ٥٩)

وقال عزت كلمته:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾

«التكوير: ٨، ٩»

فلم يكن يجمع العرب كلمة واحدة، أو مصلحة واحدة، ولم يكن العربى يأمن على أهله وماله إلا بقدر ما يملك من أسباب الغلبة على غيره من السلاح والخيل، ولم يكن يفخر بما ينشر بين الناس من الاستقرار والرحمة والعدل والتعاون، وإنما كان يفخر بما يمكن أن يسببه للآخرين من فزع ومهانة حتى قال شاعرهم:

بغــــاة ظالمين ومــــا ظـلمنـا

ولكـنـا سنـبـــــــدأ ظـالمـيـنـا

هذا ما كان بين العربى وأخيه العربى، أما ما كان يسود العلاقة بين العرب من جانب، والقوتين المحيطتين بهم «الفرس والروم» من جانب آخر فلم يكن بأحسن حالا، حيث كانتا تتنازعان السيادة على الجزيرة العربية: فتارة تكون السيادة للفــــرس، وتارة تكون للروم، وتارة يتقاسمان السيادة عليها بينهما، ومن هنا كانت الجزيرة العربية مسرحا للعمليات الحربية على الدوام، ولم تكن بقية شعوب الأرض بأكثر أمنا أو أقل خوفا وفزعا، وإنما كانت تسودها شريعة الغاب، حتى جاء الإسلام، فجمع الكلمة ووحد الصف، ودعا الناس جميعا لعبادة رب واحد، ونبذ عبادة ما سواه، ونشر الأمن والرخاء بين الرعية، وجعلهم جميعا سواء أمام رب واحد لا شريك له فى ملكه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

ومن أصر منهم على البقاء على دينه، ورفض الدخول فى هذا الدين، لم يكرهه على اعتناقه، غير أنه فتح له الباب على مصراعيه ليدخل فى نطاق الأخوة الإنسانية الشاملة التى لا اعتداء فيها ولا انتهاك لحرمة، ولم يحرم على أتباعه التعاون وتبادل المنافع مع غير المسلمين، شريطة أن يعيشوا فى سلام ومودة مع المسلمين، ولا يمدوا إليهم أيديهم بما يسىء للدعوة الإسلامية، وصاحبها ـ ﷺ:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

«الممتحنة: ٨، ٩»

ضوابط الحرب فى الإسلام

على أن الإسلام حينما أراد أن يرد على من ينتهكون حرمات المسلمين، ليؤدبهم ويجعلهم يفكرون قبل أن يندفعوا وراء رغباتهم العدوانية فى النيل من المسلمين والاعتداء عليهم، حث المسلمين على الوقوف عند حدود الأخذ بالحق دون مواصلة الهجوم بعد الحصول عليه، ووضع الضوابط القوية لتكون بمثابة الحدود التى لا يجوز أن يتخطاها المسلمون فى حروبهم ضد الأمم الأخرى:

- (أولا) أن تكون لغرض مشروع، كالدفاع عن الحوزة، لا لهوى ملك، ولا متابعة لأطماع رئيس.
- (ثانيا) أن تكون الرحمة شعار المؤمنين، فلا يقتلوا طفلا ولا شيخا ولا رجل دين، ولا مستسلما، ولا امرأة، ولا أحدا من خدم المحاربين، ولا أن يحرقوا دور أعدائهم، أو يقطعوا أشجارهم.
- (ثالثا) ألا يسرفوا فى استثمار انتصارهم، فلا يجردون المغلوبين من حقوقهم، ولا يصادرون أموالهم، ولا يضطهدونهم لدينهم، ولا يتقاضون منهم إلا الجزية، وهو مبلغ من المال يقل كثيرا عما كانت تتقاضاه منهم حكومات تلك الأمم المغلوبة»[1].

فهذا هو القرآن يأمر المؤمنين به أن يعاملوا الخائن بمثل عمله ولا يتعدوه إلى الجور والتنكيل، ويزين لهم الصبر إذا آثروه على العقاب:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾

«النحل: ١٢٦»

وقد غدر بعض المشركين بصلح الحديبية ـ وهو المقصود بالعهد عند المسجد الحرام فلم يبطل النبى ـ ﷺ ـ عهد سائرهم، ولم يقبل عنده قرشيا مشركا يجيئه فى أثناء قيام العهد عملا بما اتفق عليه المسلمون والمشركون، قال أبو رافع مولى رسول الله: بعثتنى قريش إلى النبى، فلما رأيت النبى وقع فى قلبى الإسلام، فقلت: يا رسول الله، لا أرجع إليهم قال: «إنى لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرود، ولكن ارجع إليهم.. فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع»..

بل روى فى الوفاء بالعهد ما هو أكثر من ذلك، لأنه عهد بين آحاد فى مثل حالة الإكراه، كما جاء فى حديث حذيفة بن اليمان حيث قال: «ما منعنى أن أشهد بدرا إلا أننى خرجت أنا وأبو الحسين فأخذنا كفار قريش، فقالوا إنكم تريدون محمدا. فقلنا ما نريده، وما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر. فقال: انصرفا نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»[2].

تهمة باطلة

لقد اتهم الإسلام فى الآونة الأخيرة بمعاداته لأصحاب الأديان الأخرى، وبأنه اتخذ من السيف وسيلة للانتشار بين الأمم. وارتكز مروجو هذه المقولة الظالمة على بعض ما جاء فى القرآن الكريم من الآيات البينات التى تحث على الجهاد فى سبيل الله، ودفع أذى المشركين، مقتطعين هذه الآيات عن سياقها القرآنى العام، ومتغافلين لكثير من الضوابط التى حددها القرآن وبينتها السنة المطهرة وظهرت آثارها واضحة جلية فى مجريات أحداث تاريخ الغزوات الإسلامية يضاف إلى ذلك كله سوء النية لديهم تجاه هذا الدين. فمن الآيات التى استندوا إليها فى هذه الادعاءات الظالمة قوله تعالى:

(١) محمد فريد وجدى «من معالم الإسلام» مقال بعنوان «الحرب والإسلام» من منشورات مكتبة الأسرة.

(٢) عباس محمود العقاد.. الفلسفة القرآنية. فصل «العلاقات الدولية».

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٣)

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

(التوبة: ٧٣)

وقوله عز شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

(الأنفال: ٦٥)

وبلغت هذه الحملة الظالمة ذروتها بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، التى يبرأ منها الإسلام والمسلمون، والتى أدانتها الأمة الإسلامية قبل غيرها من الأمم. نقول بلغت ذروتها، حتى قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإثارة عدد من الدول ضد ما أطلقوا عليه «الإرهاب الإسلامى» دون أدنى تحقيق فى الحادث، مما كان سببا فى إراقة الدماء المسلمة، وتدمير حضارتها التى لم تعرف طول حياتها سبيلا إلى الإرهاب، بصورة لم يسبق لها مثيل حتى فى عصور الهمجية والبربرية.

والحق أننا لم تعرف إشاعة أكذب من قول القائلين ـ جهلا منهم أو تجاهلا بالقرآن الكريم ـ أن الإسلام دين سيف، وأن العلاقة بينه وبين الأمم علاقة حرب وقتال.

أرفع معاملة

فإن شريعة القرآن لم تضع السيف قط فى غير موضعه، ولم تستخدمه قط حيث يستغنى عنه بغيره.

وقد نشأت الدعوة الإسلامية بين أقوام يحاربونها ويكيدون لها ويصدون الناس عنها. وأمر المسلمون بقتال من يقاتلونهم فى غير عدوان ولا شطط:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

ولو رجعنا إلى حروب العقائد من الوجهة العملية لوجدنا أن أصحاب الأديان الأخرى قد شنوا على غيرهم من الحروب «المقدسة» أضعاف ما أثر عن تاريخ الإسلام. وقد رأينا فى عصرنا هذا من دعاة الإصلاح من يؤلب الأمم على حرب كل حكومة تدين بمبادىء الطغيان فى الحكم، ولا تؤمن بمبادىء الحرية والشورى.

وعلاقات الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم، ومعاهديهم هى أرفع معاملة عرفت فى عصور الحضارة الإنسانية: أمن الطريق، وأمان الوادعين المسالمين، وفتح المسالك للأرزاق والذهاب والمآب. وتنظيم ذلك كله بالعهود والمواثيق، مع حث المسلمين على رعايتها، ومسامحة الغادرين فى غدرهم إذا أمنوا العاقبة، ولم تلجئهم الضرورة إلى مقابلة الغدر بمثله دفعا



للهلاك وصونا للحدود والحرمات[٣].

نعم أباح الإسلام الحرب، ولكنه حاطها من الملطفات بما لم تبلغ إليه حضارة القرن العشرين ولا إلى ما يقرب منه، وخلصها مما كانت تنشره الكتب التى يعتبرها الأوروبيون مقدسة، فقد جاء فى الكتاب الخامس من الزبور «إذا أدخلك ربك فى أرض لتملكها، وقد أباد أمما كثيرة من قبلك، فقاتلهم حتى تفنيهم عن آخرهم، ولا تعطهم عهدا، ولا تأخذك عليهم شفقة أبدا».

شر الحروب

وقد خاض الأوروبيون باسم الدين حروبا كانت شر الحروب التى شبت بين البشر عامة فى قوتها وتناسى كل الحقوق الإنسانية فيها، فالإسلام لم ينفرد بين الأديان السابقة والفلسفات المعاصرة بأنه دين يقر الحرب، ولكنه انفرد كعادته بتلطيف هذه المجازر الإنسانية إلى آخر حد يمكن الوصول إليه، بدون الإخلال بسلامة الحوزة، فوضع للحرب حدودا، وشرط على الغزاة شروطا، كلها ترمى إلى احترام الدماء البشرية والعمل بأرقى ضروب العطف على الإنسانية[٤].

إن الحروب فى الإسلام، لم تكن عدوانا على الحرمات، ولم تكن سلبا للحقوق، واغتصابا للأرض، وانتقاصا من كرامة الشعوب، وإنما كانت لصون الحقوق وردعا لمن تسول له نفسه الاعتداء على الدولة الإسلامية، أو من تجب عليها رعايتهم ممن يدخلون معهم فى حلف أو يكونون تحت رعايتها من أصحاب الديانات الأخرى.

فالإسلام حينما يأمر بإعداد العدة والاستعداد الدائم لملاقاة الأعداء، إنما كان يهدف إلى أن يفكر العدو مرات ومرات قبل الإقدام على العدوان، وبذلك تصان الدماء على الجانبين، وهو ما تؤكده هذه الآيات الكريمة بسياقها الذى جاءت عليه.

قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

ولأن إعداد القوة فى الإسلام إنما جاء لصيانة الحقوق، وحقن الدماء على الجانبين، كانت هذه الوصية الغالية التى تضمنتها الآية التالية مباشرة:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(الأنفال: ٦١)

***

(٣) عباس محمود العقاد «الفلسفة القرآنية» فصل «العلاقات الدولية».

(٤) محمد فريد وجدى «من معالم الإسلام» مقال «الحرب والإسلام».

نحو ميثاق شرف عالمي لصون الأديان

كلمة فضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية إلى الحلقة النقاشية لاتحاد الأطباء العرب المنعقدة بالقاهرة فى الأول من شهر مارس ٢٠٠٦م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين... وبعد.

السيد الأمين العام لاتحاد الأطباء العرب.. الحضور الكرام،

لقد جاءت الأديان لتصحيح مسار البشرية الضالة، وتقويم ما اعوج من الفطرة السليمة، وضبط حركة الأحياء والحياة، وتقنين العلاقات وأحكامها فى صورتها المتوازنة التى تتمتع بالبقاء والمرونة مع تطور المجتمعات.

ولقد واجهت الأديان - ولا تزال تواجه، منذ نزلت - زحف المصالح عليها، فضلا عن شوائب الموروثات، التى يلحقها البعض بها - وهى ليست منها - مع اختلاف اللغة واختلاف الألسنة واللهجات وسوء الفهم والالتباس، بجانب تطور الحياة وما تقذف به كل يوم من مستجدات، ومن مستحدثات العلم وتنوع القضايا والمشاكل والمعضلات التى لا تتوقف، وتسير بإيقاع بالغ السرعة والاندفاع وسط عوامل لا تكف عن صناعة الشر، تحت مسميات جديدة، ولا تتورع - بدورها - عن التزين واصطناع الألبسة..

وتواجه الأديان مع هذا كله، أنها بالطبيعة ثابتة، بينما تتحداها هذه المتغيرات الهائلة، التى تبتعد بها عن الحياة، إن لم تحمل الأديان فى بنيتها بذرة الحياة، والقدرة على الامتداد فى الزمان والمكان وملاحقة واحتواء كل هذه التحديات المتجددة، ومستحدثات التطور، ومستجدات الطوارئ والمشاكل والقضايا والمعضلات !!

والإسلام - بحكم كونه خاتم الأديان - مع عالمية دعوته وما تعنيه من امتداد في المكان والزمان - قد التفت إلى أن يحمل فى بنيته أسباب حياته إلى ما شاء الله، وقدرته على احتواء كل ما تقذف به الأيام والحوادث، وتطورات الحياة وتغير الناس، تتجلى هذه الالتفاتات فى منهجه المتكامل، للتعامل مع الشعوب والحضارات والملل المختلفة، فقد أقر الإسلام باختلاف الناس والأجناس، وقنن هذا الاختلاف، وربط المسلمين مع سائر البشر - على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم الحضارية - برباط من الأخوة الانسانية النابعة من وحدة الأصل البشرى، وألزم المسلمين بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم، وإشاعة الخير مع الجميع، وبين الجميع، بغض النظر عن الديانة أو الجنس أو اللون، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

ولهذا أقبل المسلمون على حضارات الأمم السابقة، يمتصون بسرعة فائقة ما خلفته من حكم وآداب وخبرات سياسية، ومازال الإسلام منفتحا على الحضارة الغربية يعطيها ويأخذ منها، لأن المنهج الإسلامى يدرك ويقدر أن الحكمة موزعة فى الأرض، وما على الخلق إلا أن يتعارفوا ويتواصلوا ويتبادلوا المنافع ويتعاونوا بها على الخير والنماء.

وعلينا أن ندرك معنى ومغزى أن محمدا ﷺ جعل الحكمة ضالة المؤمن، ينشدها أنى وجدها، وإن كانت خارج حدود الاسلام الجغرافى، قائلا: «اطلبوا العلم ولو فى الصين»[1] وفى عهده لم يكن في الصين مسلمون كذلك لم يرفض ﷺ هجرة المسلمين من مكة طلبا للحماية عند النجاشي - وهو نصرانى - قائلا: «اذهبوا إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد»[2] ومن الثابت تاريخيا أنه ﷺ أخذ فى هجرته إلى المدينة (ابن أريقط) ولم يكن مسلما، وأنه ﷺ قبل الهدية من (المقوقس) عظيم أقباط مصر، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى، وذلك حتى يكون هناك حوار المنافع والمعاملات بين المسلمين وغير المسلمين من بنى الإنسان.

لم يحارب الإسلام الطوائف والقوميات ولم يلغها، بل اعترف بها وأفسح لها مكانا فى دولته لتتعايش وتتعاون. إن ما يحاربه الإسلام - تحديدا - هو أن تتعصب هذه الطوائف والقوميات ضد بعضها البعض - فالإسلام لم يحارب القومية لكنه يحارب التعصب القومى والدينى والعرقى والمذهبى، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(الحج: ١٧)

لقد اعترف الإسلام بحق جميع الشعوب فى تمسكها بمصالحها وقيمها القومية والوطنية، والدفاع عنها، وعن مكاسبها، وثرواتها الطبيعية، وتراثها الثقافى وتقاليدها الاجتماعية، وقيمها الروحية: قال تعالى:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(المائدة: ٤٨)

(١) كشف الخفا ج٢/ ٦٥٤.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٥٩.

المساواة بين الحضارات ضرورة

إن الأديان السماوية ليست في مجال المبارزة والمقارنة، بل إنها كلها فطرية تتضمن مبادئ وعقائد مشتركة ومستمدة من جوهر واحد ولابد من العمل على صيانتها.. وهنا تجدر الإشارة إلى التنويه على حسن اختيار اسم الحلقة (نحو ميثاق شرف عالمي لصون الأديان) آملين أن تنقشع معها السحب السوداء من سماء الأجواء الدولية، من جراء الاعتداءات على الأديان وأنبيائها ومعتقداتها.

كما نتمنى على الهيئات والمنظمات تفعيل ثقافة الحوار لإرساء أسس السلام العادل.

كما تجدر الإشارة والتنبيه إلى عدة حقائق تتعلق بالحضارات ونموها وحركتها وفي مقدمتها:

● ضرورة التسليم بمبدأ المساواة بين الحضارات فلا توجد حضارة واحدة مهما علا شأنها قادرة على احتكار عناصر الرشد والعطاء والاستغناء عن الآخرين في مسيرتها نحو المستقبل.

● الاعتراف بوجود الآخر، وتراثه الثقافي، وخصوصيته، ودوره في مسيرة التقدم الإنساني.

● الاعتراف بوجود فوارق كبيرة - أو صغيرة - داخل كل حضارة، وبين الأطر الفكرية والقيمية لكل حضارة، وبين السلوك العلمي لأتباع تلك الحضارة، وهي مفارقة تصنعها الطبيعة البشرية نفسها.

● مقاومة الفوارق والتفاوتات المجحفة بين الشعوب والأمم، فحوار الحضارات لا يمكن أن يكون مجديا، ولا ذا مصداقية إذا ما تم في ظل الفوارق الشاسعة بين الأغنياء والفقراء، فهذا التفاوت يؤدي إلى اختلالات عميقة وانعكاسات خطيرة.

● أن يفهم كل معتنقي الأديان السماوية، أن القيمة الرئيسية التي تحكم الحوار مع الآخر - من المنظور الإسلامي - هي السعي لصالح البشرية وسعادتها، والوصول إلى قواسم مشتركة بين الحضارات.. فالحوار - من المنظور الإسلامي - ليس دعوة ولا مناظرة ولا مجادلة، لكنه صيغة جامعة، وأسلوب من أساليب التقارب والتجاوب والتفاعل.

● إن منطلقات الحوار في الرؤية الإسلامية هي الاحترام المتبادل والإنصاف والعدل ونبذ التعصب والعنف والكراهية.

● إن دراسة وتحليل طبيعة العلاقة بين الحضارتين (الإسلامية والغربية) يوضح أن هذه العلاقة تكتنفها كثير من أوجه سوء الفهم لكثير من الجوانب المتصلة بجوهر الإسلام ومبادئه، ومن ثم يجب العمل على إزالتها، لعل في مقدمتها:

● ربط الإسلام بالإرهاب، والعنف والقوة، والتعصب والتصلب في الرأي، وكل هذه مغالطات لابد من العمل على إزالتها.

● وصف الثقافة الإسلامية بالأصولية، بمعنى رفض الجديد والتمسك بالقديم، أيضا يجب تغيير هذه النظرة، وإظهار تفاعل أطر الإسلام مع الحداثة المتزنة والمنضبطة.

● ادعاء أن الإسلام يظلم المرأة، ولا يعرف حقوق الإنسان، كما هو الحال في الغرب، وهذا ادعاء باطل أيضا، لابد من تغييره، وإبراز عظمة الشريعة الإسلامية في تحقيق حقوق الإنسان بمقاصدها الخمس، الحياة والعقل والدين والعرض والمال.

تفعيل ثقافة الحوار

ثمة نقطة جديرة بالاعتبار، وهي أنه يتعين على أتباع كل دين تفعيل ثقافة الحوار فيما بينهم قبل مطالبة الغير بإجراء الحوار، فلابد أن يكون هناك حوار بين السنة والشيعة وبين أصحاب المذاهب المختلفة مع بعضهم، كذلك لابد أيضا من حوار بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس، حوارا يتصل بمجمل القضايا ويتسم بالآتي:

١- احترام الخلاف، طالما في مجال الاجتهاد ومساحة الرأي والرأي الآخر.

٢- الالتزام بأدب الحوار.. رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب.. نتعارف فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه.

وتبقى كلمة أخيرة، يشرفني أن أنهي بها حديثي إلى حضراتكم، وهي التأكيد على أن الأمة الإسلامية تجتاز مرحلة حاسمة في تاريخها، وتواجهها تحديات صعبة وتحدوها آمال كبيرة.. ونحن جميعا نتحمل مسئولية كبرى تجاه هذه الأمة، لا فرق بين عالم دين وعالم طب في الدفاع عن الإسلام، إلا بتغير طبيعة وشكل المهنة.

وإنه ليؤسفني ما أراه من دعاوى صدام الحضارات، وتصاعد المشاعر المعادية للإسلام والمسلمين، حتى طال هذا العداء نبي الإسلام محمدا ﷺ وفي هذا الصدد يسعدني أن أحيي المشاعر الشعبية العارمة التي عبرت عن استيائها واستنكارها لهذا العمل غير المسئول، وأرغمت الحكومات الإسلامية، على اتخاذ مواقف وردود فعل، تراوحت ما بين استدعاء سفيرها لدى دولة الدنمارك والاحتجاج ومقاطعة المنتجات الدنماركية رضوخا لهذه الضغوط وتقديرا لمشاعر تلك الجماهير الغاضبة.

إنني إذ أحيي اتحاد الأطباء العرب، على تنظيم هذه الحلقة المهمة، آمل أن يفرز هذا الجمع صيغة تحمل وجهة النظر الإسلامية في هذا الصدد، وأن تكون هناك من الهيئات والمؤسسات الدولية، التي تتبنى مقررات وتوصيات هذه الحلقة وتفعيلها حتى يتم استصدار ميثاق شرف عالمي لصون الأديان.. والله أدعو أن يوفق الأمة إلى ذلك وأن يستعملنا جميعا في خدمة دينه الحنيف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حتى يكتمل الإيمان

للدكتور/ حمدى فتوح والى

الأمة كلها منتدبة اليوم لكى تقوم بواجبها نحو إعادة دين الله إلى الأرض، فمن يقوم بهذا الدور؟ أليس المؤمنون هم أولى الناس قياما بهذا الأمر؟ فمن إذن هم المؤمنون؟ ومتى يوصف المؤمن بكمال الإيمان؟

لقد نظرت فى كتاب الله - تبارك وتعالى - لأنظر من هم المؤمنون: فرأيت أربع آيات كل واحدة منها أخذت فى وصف المؤمنين، وكل آية منها بدأت بأداة الحصر والقصر (إنما) فشعرت أن من وراء هذه الأداة هم المؤمنون الكاملون.

قرأت الآيات الأولى من صدر سورة الأنفال فى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

[الأنفال: ٢ - ٤]

فأدركت أن هؤلاء هم المؤمنون، بصفاتهم التى أجملها الحق تبارك وتعالى: وجل القلب عند ذكر الله، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن، وحسن التوكل على الخالق سبحانه وتعالى، والحرص على إقامة الصلاة والإنفاق من الأموال فى سبيل الله.

أولئك هم المؤمنون حقا

وعندما قرأت قول الله - سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[الحجرات: ١٠]

وجدت أن ما بعد أداة الحصر والقصر شيئا يختلف عما كان فى الآية الأولى؛ فقلت: فمن هم المؤمنون إذن؟

وعندما قرأت الآية الثالثة فى سورة النور فوجدت قول الخالق سبحانه:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النور: ٦٢]

رأيت مضمون الآية يختلف عن مضمون آية الأنفال وعن مضمون آية الحجرات، ثم رأيت آية رابعة فى سورة الحجرات أيضا تخص المؤمنين، وتحدد صفاتهم مبدوءة بأداة الحصر والقصر أيضا، وهى صفات تختلف تماما عن صفات المؤمنين فى الآيات الثلاثة السابقة، وهى قول الله - سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

[الحجرات: ١٥]

فقلت: سبحان الله!! أى هؤلاء هم المؤمنون؟ أهم الذين ذكرت صفاتهم فى سورة الأنفال؟ أم الذين ذكرت صفاتهم فى سورة الحجرات؟ أم الذين ذكرت صفاتهم فى سورة النور؟

وكيف نوفق بين هذه الآيات؟

وعند التأمل والتدبر رأيت أن الله - تبارك وتعالى - قد جعل الإيمان لا يكتمل إلا بكمال هذه الآيات الأربعة فى قلب كل مؤمن؛ أى أنه لكى يكون المؤمن مؤمنا حقا لابد أن يحقق فى قلبه ونفسه كل ما ورد وراء أداة الحصر فى جميع هذه الآيات ولكن كيف تتكامل الآيات؟

لقد أدركت أن آيات الأنفال تحدد صفات الفرد المسلم، ولننظر معا لنرى هل يتعسر أو يصعب على كل إنسان أن يستكمل فى نفسه أوصاف آيات سورة الأنفال، ولنقرأها معا:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

[الأنفال: ٢ - ٤]

ألا يستطيع كل مسلم أن يستشعر فى قلبه الوجل فردا؟ وهل يحتاج إلى جهة أخرى حتى يحصل فى نفسه هذا الشعور؟ إنه لا يحتاج إلى جهة أخرى حتى يحقق الوجل عند ذكر الله، و إنما الذى يحتاج إليه هو صدق اللجأ، وعمق



اليقين واستحضار هيبة الله وخشيته، كما أن كل فرد يستطيع وحده أن يحسن التلاوة والتدبر فيزداد إيمانه ويعمق يقينه، ولا يصعب على المسلم فردا أن يحسن التوكل على الله وصدق التفويض إليه، ولا يحتاج لكى يحقق ذلك إلى مساعدة من أحد، كما أن كل مسلم يستطيع أن يؤدى ماشاء من الصلاة، وأن ينفق من أمواله ما يشاء.

فهذه الصفات الخمسة لا تحتاج إلى الجماعة لكى يقوم بها الأفراد؛ لكن الأفراد الذين استكملوا فى أنفسهم تلك الصفات سيظلون أفرادا مؤمنين، ولن يستطيع كل واحد منهم أن يستكمل فى نفسه معنى الأخوة إذا التقى مع أخيه المؤمن الذى استكمل مثله جميع صفات آية الأنفال، وعندما يتم هذا التلاقى ويقع بينهم هذا الالتحام والالتئام فيتكون من مجموع هؤلاء المؤمنين كيان واحد وبناء متين، وجميع أفراده قد استكملوا صفات الأفراد المؤمنين؛ عند ذلك يكون هذا الكيان قد ارتقى إلى الدائرة الثانية التى هى دائرة الأخوة، والتى أشارت إليها آية الحجرات

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

لكنا نتساءل: وهل من الضرورى أن ينتقل أصحاب آية الأنفال من دائرة الأفراد المؤمنين إلى دائرة الأخوة؟

وللإجابة عن هذا السؤال أردك إلى سيرة رسول الله ﷺ لترى كيف كانت بداية الدعوة، وهل كان يُكتفى من المسلم الذى أسلم أن يظل منغمسا وحده فى المجتمع الذى يخالفه الفكر والاعتقاد أم يضمه إلى إخوانه الذين سبقوه بالإيمان ليزداد به عددهم ويزداد هو بهم قوة ويأمن على نفسه من الفتنة والضعف أمام كيد الشيطان ومكر الكفار.

لقد رأينا الإسلام ينتقل من دائرة الفرد إلى دائرة الجماعة انتقالا آليا تلقائيا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، ولأن هذا الجمع الإيمانى الأخوى لا يمكن أن يصلح أمرهم إلا بقيادة حكيمة رشيدة ربانية تقية، نزل قول الخالق الحكيم - سبحانه - يدعو إلى إيجاد هذه القيادة بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النور: ٦٢]

فكانت هذه الآية من سورة النور هى الدائرة الثالثة التى هى دائرة القيادة.

والناس مجمعون بفطرتهم على أن أمر الجماعة لا يصلح إلا بقيادة.

لايصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا



ونبينا ﷺ يرشد أمته إلى ضرورة القيادة بقوله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فى سفر فامروا أحدكم»[1].

وهكذا يلتئم الصف من أفراد مؤمنين صالحين، يلتقون فى كيان أخوى حبيب تحت قيادة ربانية إيمانية تقية.

ولك أن تتصور جماعة لها عقيدتها وتتمايز فى سلوكها وأخلاقها وتعظم وتتنامى فى كيان واحد، وتحت قيادة واحدة، هل تظنها تخفى عن الأعين وتغيب عن الأعداء؟

إن ذلك ما لا يقبله العقل، وإنما الشئ البديهى أنها لابد ستظهر قوتها ويستهدف كيانها، وعند ذلك لا ينفعها إلا أن تتحقق بالآية الرابعة التى أوجبت على هذه الجماعة أمر الجهاد، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

[الحجرات: ١٥]

عندها يكون الإسلام قد بلغ درجة النضج والاستقصاء والقوة، فلا يخشى من أية قوة فى الأرض مادام هذا الرباط قائما ووثيقا بين أفراده وقيادته وبين القيادة وبين ربها - سبحانه -، فيكون المجتمع كله مجتمعا ربانيا يستمد القوة منه ويخلص الولاء له سبحانه.

هذا هو الإيمان كما قدمه القرآن فى حلقات أربعة يتداخل بعضها فى بعض، إذا سقطت إحداها انفرطت جميعا.

إنها صفات أفراد أولا إذا نضجت أسلمته إلى الحلقة التالية ليشعر بكيانه الإيمانى فى جماعة تربط بين أفرادها وشيجة الأخوة، وهى وشيجة لا تكون إلا حيث تصفو القلوب وتنضج المشاعر، وتمتلئ الأحاسيس باليقين الصادق والإيمان العميق.

ولأن الأفراد فى الجماعة يشبهون الأعضاء فى الجسم الواحد؛ فلابد للجسم من رأس يضبط تصرفاته ويحكم تحركاته ويحسن التدبير والتنظيم، كان لا بد للجماعة من رأس يقوم فيها بهذا الدور، وتلك هى الحلقة الثالثة.

ومع اكتمال هذا الكيان المكون من أفراد مؤمنين تجمعهم آصرة الأخوة ورابطة الحب؛ لابد أن يملك القدرة على حماية نفسه وصيانة كيانه من أن تنال منه موجات الحقد الأسود التى دفعت إبليس إلى إعلان موقف العداوة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأعلن أعوان إبليس من الكافرين والمشركين أنهم لن يهدأ لهم بال، ولن يقر لهم قرار، حتى يحرموا هذا الكيان ثمرة تميزه وأسباب تفضيله وهو الإيمان بالله.

(١) اتحاف السادة المتقين ج٦/ ٣٩٨.

فهذا إبليس يعلن متبجحا كافرا

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾

[ص: ٨٢، ٨٣]

بل وبيّن وسائل عمله بتفصيل شديد، فيقول مخاطبا ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾

[النساء: ١١٩]

وهؤلاء أتباع إبليس من اليهود والنصارى يعلنون إصرارهم على استئصال المسلمين وأن يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ويحذرنا ربنا - سبحانه وتعالى - من كيدهم بقوله:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

[البقرة: ٢١٧]

وحتى لا يتركنا الله - سبحانه وتعالى - فى حيرة من هذا الأمر، يظهر لنا أسباب ذلك بقوله:

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾

[النساء: ٨٩]

ويبين العلة فى ذلك بقوله:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾

[البقرة: ١٠٩]

من أجل هذا كانت الآية الرابعة التى كونت الحلقة الأخيرة باشتراط الجهاد فى سبيل الله شرطا لكمال هذا الإيمان:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

[الحجرات: ١٥]

ومن يتأمل هذا التكامل الدقيق بين الآيات، يدرك الفارق الكبير بين الإيمان الكامل، وبين ما يمارسه الناس اليوم من عواطف منقوصة، يغلب عليها الإلف والعادة، بعد أن تحولت تلك العواطف إلى أصداء للممارسات الخاطئة والجاهلة، التى كرسها الاستعمار وصبيانه من السفهاء، الذين باعوا ضمائرهم وأوطانهم للشيطان، وأشعروا الناس أن الإسلام مجرد شعائر منقطعة الصلة عن الواقع، يمارسها كل فرد وحده دون أية علاقة له بأخيه، ودون علاقة له ولأخيه بشئون الحكم ومجالات الحياة.

ولقد أنتجت هذه المؤامرة الفكرية والعقدية أجيالا مشوهة الفكر، مهزوزة العقيدة، ضائعة الانتماء، ضعيفة الولاء، سلبية، خانعة، ذليلة.

وكانت هذه الحالة هى المطلب الأساسى لطلاب السلطة والتحكم وسلب أقوات الشعوب من المغامرين والمقامرين ولصوص الأموال والأعراض الذين وجد الاستعمار الصليبى الحاقد فيهم بغيته؛ فآزرهم وساندهم واطمأن تماما إلى سلامة خططه، وتنفيذ مآربه، على أيدى هؤلاء، فسلم السلطة إليهم ومكن أيديهم من رقاب الناس، ثم انسحب ليتابع مؤامرته من خارج البلاد وهو مطمئن تمام الاطمئنان على أن المنظومة التى أوجدها ستحقق النتائج التى أرادها أكثر مئات المرات من قيامه هو بهذا الدور.

وهكذا صار الربط واضحا ولازما وقويا بين غياب المفهوم الشامل الكامل الصحيح للإيمان وبين الحضور القوى الفعال النشط لدور الاستعمار الصليبى وأذنابه من المجرمين واللصوص والمأجورين الذين باعوا ضمائرهم فى سوق النخاسة لمن يغلى الثمن.

إن اكتمال الإيمان بمراحله الأربعة: دائرة الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، والقيادة المسلمة، ثم الدولة المسلمة، بجندها وجيشها هو صمام الأمان لسيادة الأمة وحيويتها ونهوضها وقوتها وعودتها مرة أخرى

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

فهل يسمح بهذا أعداء الإسلام؟!!! وهل يرضى بذلك عملاؤهم الذين:

﴿ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾

[المائدة: ٥٢]

﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾

[النساء: ١٣٩]

إن ذلك لن يكون إلا إذا أعاد المؤمنون النظر فى إيمانهم، وتلقوه من كتاب ربهم، ومارسوه بصدق وقوة، لا يخشون فى إيمانهم بربهم أحدا، ولا يرهبون أية قوة فى الأرض ماداموا يعلمون

﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾

[البقرة: ١٦٥]

***

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

طهارة القلوب

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

فى طهارة القلوب وصلاحها صلاح لسائر أعمال الإنسان، فالقلب هو مستقر العقيدة، ومصدر الأعمال، وبصلاحه يتم صلاح سائر الجسد، وبفساده يكون فساد سائر الجسد، فالقلب هو مركز الدائرة فى الإنسان، ونظرة الإسلام إليه من أدق ما تكون، لأن عليه مدار العمل كله. قال الله تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(الشعراء: ٨٨، ٨٩)

بل إن الإيمان نفسه لا يستقيم إلا إذا كان التصديق نابعاً من القلب السليم. قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه» ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» [رواه البخارى].

وقد أثنى القرآن الكريم على الأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان، وأخلصوا لله ولإخوانهم، وامتدح صفاء قلوبهم وحبهم للمهاجرين فقال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ



وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر: ٩)

وذلك لطهارة قلوبهم وبراءتها من الحقد والحسد والضغينة بل إنهم آثروا إخوانهم المهاجرين وقدموهم على أنفسهم حتى إن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من أحدهم، أما المهاجرون فإنهم مع صفاء قلوبهم، وقوة إخلاصهم فقد كان تضرعهم إلى الله ودعاؤهم له هو قولهم:

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الحشر: ١٠)

ولقد قاوم الإسلام آفات الشر والفساد التى من شأنها تحريش القلوب وتعكير صفوها فناهضها، وحذرت السنة الشريفة منها، لأنها آفات إذا استبدت بالنفس البشرية أوردتها موارد التهلكة، قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى.. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه.. التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا -ويشير إلى صدره- ألا لا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» [رواه مسلم].

بمثل هذه الدروس البالغة والحكم العالية حذّر الرسول ﷺ من تلك الآفات التى تمزق العلاقات الإنسانية بين الناس، كما نبه الرسول ﷺ أيضاً إلى خطر داهم طالما ترصد المسلمين، وجاءهم من كل طريق إلا أن هناك طرقاً قد لا يستطيع النفاذ منها فيلجأ إلى غيرها أهون منها وأيسر عليه ذلك الخطر هو الشيطان، فربما عجز الشيطان عن أن يحول الإنسان من مؤمن إلى كافر ولكنه لم يعجز أن يشعل نار الكراهية والبغضاء بين القلوب، يقول الرسول ﷺ: «إن الشيطان قد يأس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم» [رواه مسلم].

وللنفس الشريرة الحاقدة أطوار يتضاعف فيها شرها ويفتضح فيها سرها فنبه إليها الرسول ﷺ وكشف وحذر من شر هذه النفوس الماكرة والقلوب اللئيمة فى قوله ﷺ، فيما رواه ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى. إن شئت يا رسول الله. قال: إن شراركم الذى ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رفده، أفلا أنبئكم بشر من ذلك. قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: من يبغض الناس ويبغضونه، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى إن شئت يا

رسول الله. قال: الذين لا يقيلون عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره» [رواه الطبراني]

إن مثل هذا النمط من الناس، يُنفّسُ عن حقده في كثير من الأحوال في صورة الغيبة والنميمة أو في صورة الحسد ويترجم عن هذه المشاعر السيئة بأعمال ذميمة وخلال بعيدة عن الإسلام، من أجل هذا نبّه الرسول ﷺ على تلك الأمور التي تتشكل بها رذائل النفس البشرية، فيقول ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكْرُك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» [رواه مسلم].

وفيما رواه الطبراني: «إن النميمة والحقد في النار لا يجتمعان في قلب مسلم».

وقال ﷺ: «لا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد» [رواه البيهقي].

وقد حذر القرآن الكريم من أسباب الحقد والحسد ومن التمني الذي يؤدي بصاحبه إلى تلك الرذائل ويورث التحسر والندم قال الله -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

(النساء: ٣٢)

وأما عن منهج سلوك المسلم أو الأساس الذي ترتبط به أعماله فتكون صالحة مقبولة ويضاعفها الله - سبحانه - فهو كما سبق أن بيّنا صفاء القلب وطهارته ونقاء النفس من تلك الآفات والرذائل التي لا تجتمع مع الإيمان في قلب الإنسان وثمرة ذلك: الفوز برضوان الله - سبحانه وتعالى - والبشرى له بالجنة، فإن القلب التقي الصافي يقبل الله - تعالى - من صاحبه العمل القليل ويضاعف له ثوابه فهو إذاً أفضل وأكرم عند الله تعالى، روى ابن ماجه بسنده عن عبدالله بن عمرو: قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غلة ولا حسد».

وعن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل



على مثل حاله الأولى»، فلما قام الرجل تبعه عبدالله بن عمرو فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم، قال أنس: فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار -أي تقلب في مكانه وفراشه- ذكر الله - عز وجل - حتى ينهض لصلاة الفجر، قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أحتقر عمله، قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قاله رسول الله؟! قال: ما هو إلا ما رأيت. قال عبدالله، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك. وفي رواية: «ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي إلا أني لم أبت ضاغناً على مسلم» [رواه أحمد والبزار].

إن القلب محل نظر الله العليم الخبير، فهو لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.. ولكن الناس -وقد فرقتهم وأتعبتهم المظاهر- راحوا يكدون ويدأبون في تحلية ظاهرهم ويحاولون أن يراءوا الناس ولا يذكر أحدهم ربه إلا قليلاً فيتسرب إليه النفاق من حيث لا يدري ثم يتفاقم الشر فيبتلون بوجهين، فتدب العداوة والبغضاء في القلوب. ومن نعمة الله - تعالى - التآلف بين القلوب، وتوفيق المسلم إلى التعاون مع أخيه المسلم في غرس أسباب المودة والعطف والرحمة قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» [رواه البخاري].

وقد أمر الله - تعالى - عباده أن يعتصموا بدينهم وقرآنهم حتى لا تدب بينهم الفرقة والشحناء وذكرهم سبحانه بنعمته عليهم حيث ألف بين قلوبهم فقال:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وفقنا الله تعالى إلى ما فيه خير دنيانا وآخرتنا، وجمع بين قلوبنا على الهدى والحق، إنه سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

تذكر الموت

يحول بين الإنسان وارتكاب المعاصى

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: «مات رجل من أصحاب النبى ﷺ فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يثنون عليه، ويذكرون من عبادته، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: (هل كان يكثر ذكر الموت؟) قالوا: لا. قال: (فهل كان يدع كثيرا مما يشتهى؟) قالوا: لا. قال: (ما بلغ صاحبكم كثيرا مما تذهبون إليه)»[1].

صلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله، فقد نبهت أصحابك على شىء لم يلتفتوا إليه، ولم ينتبهوا له، وهو ذكر الموت الذى ينبه الغافل، ويصلح الفاسد، ويقوم المعوج..

إن الناس يشغلهم حاضرهم الذى مصيره إلى زوال عن مستقبلهم الذى يصيرون إلى حتماً وفيه البقاء والخلود، ويستغرق انتباههم عالم الشهادة فيكادون يجحدون عالم الغيب، وتستحوذ على فكرهم وسائل جمع متاع الدنيا فينسون جمع زاد الآخرة..

ومع أن الناس يرون الموت يعدو كل ساعة على الحياة فيسلب ما فيها، ويأخذ منها كل شىء، ويودعون إخوانهم وأقرباءهم وأصدقاءهم إلى القبر كل يوم، إلا أنهم ذاهلون عما يرون، غير متعظين بما يبصرون.

لذلك حرص الإسلام على تجسيد اليوم الآخر، وعلى التأكيد على أنه حقيقة فوق الشكوك، وجعل الاستعداد له آية الرشد، ورجاحة العقل، ودليل الحصافة، وسلامة القصد... فليس عجبا أن يكثر

(1) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٤ ص٢٣٩



القرآن الكريم من ذكر آيات الموت، ومن صور النعيم والجحيم فى العالم الآخر، وأن يسترسل فى وصف ذلك العالم الآخر، ليشعر الإنسان بأن مستقبله الذى يخلد فيه ليس على ظهر هذه الأرض...

ولذا أطال القرآن الكريم الحديث فى إثبات الموت والبعث والجزاء، وأطال التذكير بهذه الحقائق التى عميت الجماهير عنها، أوانتقصت من قدرها، أو صارت فى حالة اللامبالاة بها...

لقد خلق الله ـ جلت قدرته ـ الموت، وحكم به على جميع مخلوقاته قال تعالى:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

(الرحمن: آية ٢٦، ٢٧)

ومنها الإنسان ـ الذى رضى بحمل الأمانة التى عجزت عن حملها السموات والأرض ـ ليختبره ويمتحنه، وليكون أسرع إلى طاعة ربه ـ عز وجل ـ وأبعد ما يكون عن معصيته.

فالموت أقوى داع يدعو الإنسان إلى العمل الصالح وإلى فعل الخير، والموت أقوى رادع يمنع الإنسان من فعل الشر وإلحاق الأذى بنفسه وبغيره، ولولا أن الله قد قدر الموت على الإنسان لطغى هذا الإنسان وتكبر واستعلى.

وعن سفيان بن عيينة قال: «إن الله طاطأ من ابن آدم بثلاث ما أطاقه شئ وإنهن لفيه، وإنه على ذلك لوثاب: الفقر، والمرض، والموت».[2]

والناس أمام الموت متفاوتون على حسب إيمانهم وأعمالهم، وعلى حسب قربهم من الله أو بعدهم عنه: منهم من يبغض الموت ويكرهه فلا يذكره لسوء عمله وغروره بالدنيا، ومنهم من يذكره ولكنه يخاف منه خشية أن يكون مقصرا فى عمله الذى يرضى الله، ومنهم من يذكره ويحبه لأنه موعد لقاء حبيبه «الله».

المنهمك والعارف والتائب

لقد تحدث الإمام أبوحامد الغزالى ـ رحمه الله ـ عن ذكر الموت فقال: [3].

اعلم أن المنهمك فى الدنيا، المنكب على غرورها، المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره. وإذا ذكر به كرهه ونفر منه. أولئك هم الذين قال الله فيهم:

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(الجمعة: آية ٨)

(٢) حلية الأولياء.

(٣) كتاب: إحياء علوم الدين جـ ٥ ص ٤٣، ٤٤.

ثم الناس: إما منهمك، وإما تائب مبتدىء، أو عارف منته.

● أما المنهمك: فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكر للتأسف على دنياه، ويشتغل بمذمته، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً.

● وأما التائب: فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة، وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة، وقبل إصلاح الزاد، وهو معذور في كراهة الموت، و لا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»[٤] فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله، وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه. وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له، لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا.

● وأما العارف: فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطىء مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين، وينتقل إلى جوار رب العالمين. كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقه لا أفلح من ندم، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلىّ من الغنى، والسقم أحب إلىّ من الصحة، والموت أحب إلىّ من العيش، فسهل علىّ الموت حتى ألقاك.

فإن التائب معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره إلى الله -تعالى- فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه. فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا، وهو الغاية والمنتهى...

أكيس الناس

وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك أيضاً يستفيد بذكر الموت، التجافي عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه، ويكدر عليه صفو لذته، وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة...

عن ابن عمر - رضى الله عنه - قال: أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبى الله، مَن أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»[٥].

(٤) متفق عليه

(٥) الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٤ ص٢٣٨

لقد حدد رسول الله ﷺ أفطن الناس وأعقلهم وأحزمهم بأنه الذي يكثر من ذكر الموت، ويستمر يردده على لسانه، ويجعله دائماً نصب عينيه، ويظل على الدوام مستعداً له... لأن الإنسان الذي يكون على هذه الحال دائماً تراه يخشى الله في كل حركاته وسكناته، يبادر بعمل الطاعات، ويبتعد عن المحرمات.

إن تذكر الموت يدفع المرء إلى الحياء من الله، فيجعله لا يقارف ذنباً، ولا يقدم على معصية، عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن نبى الله ﷺ قال: «استحيوا من الله حق الحياء». فقلنا: يا نبى الله، إنا لنستحى قال: «ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[٦].

حديث القبر

إن تذكر الموت بصورة دائمة يجعل المسلم يعطى كل لحظة من عمره حقها من الواجب عليه نحو الله، فيكثر من فعل الأعمال الصالحات التي يثاب عليها بالحسنات، ويبتعد عن فعل المخالفات الشرعية التي يعاقب عليها من يفعلها بالسيئات، ولذا نرى رسول الله ﷺ يحثنا على الإكثار من ذكر الموت.

قال ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[٧].

وزيارة القبور تجدد تذكر الموت عند المسلم، وتصرفه عن انشغاله بالدنيا، وتجعله يفكر دائماً في مصيره، عن بريدة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها تذكر الآخرة»[٨].

دخل أبوبكرة على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية واعلم، أنك في كل يوم يخرج عنك، وفي كل ليلة تأتي عليك، لا تزداد من الدنيا إلا بعداً، ومن الآخرة إلا قرباً، وعلى إثرك طالب لا تفوته، وقد نصب لك علماً لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم، وما أوشك ما يلحق بك الطالب، وإنا وما نحن فيه زائل، وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقال عمر بن عبدالعزيز لأبي حازم: عظني، فقال: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل تلك الساعة قريبة.

(٦) الترمذي (٢٤٥٨)

(٧) الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٤ ص ٢٣٨

(٨) الترمذي (١٠٦٦)

العرب ملائكة بالإسلام ولا يصلحون بغير دين

للدكتور/ عبد الحليم عويس

● قد تمضى بعض الأمم - فى طريق التقدم - كمن يمشى بعين واحدة، ومع ذلك يصنعون حضارة، فى الإطار المادى والدنيوى. لكن الطبيعة الشرقية بعامة، والعرب بخاصة لا يصلحون - كما قال ابن خلدون - بغير نبىّ ودين!!.. بل يبدو أنّ الجنس السامى كله كذلك.

● ويشير علماء اللغة إلى أن مصطلح عربى يعود إلى الأصل السامى «نسبة إلى سام بن نوح»، وهم يرجعون بكلمة عرب إلى فرضيات لغوية قديمة أكادية، وآشورية، وعبرية، بمعنى «أهل الغرب، أو أهل أهل الجنوب، أو البادية».

وأقْدم الإشارات المكتوبة عن العرب تقع فى نقش آشورى يعود إلى سنة (٨٥٣ ق.م) وتطلق هذه النقوش على القاطنين فى بادية الشام، وشمال غرب الجزيرة أسماء (عروبى، عربى، وعربو، عربا).

- ومن المؤسف أن بعض المؤرخين، ومنهم الأستاذ أحمد أمين، يعتمد على بعض (المصادر) المغلوطة (غير المعتمدة) فى حديثها عن الجنس العربى، أو الحياة العقلية العربية، وذلك مثل اعتمادهم على (الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى) و(العقد الفريد لابن عبد ربه)، وهما من المصادر «الأدبية» - وليست التاريخية - المليئة بكثير من الزيف والتحريف... وعن هذين المصدرين نقل أحمد أمين كثيرا من الآراء الحاقدة التى تطعن فى العرب بالجملة[1]؛ دون تمحيص وبلا وعى بطبيعة التطور؛ بل وبدون إدراك للزمن الحضارى الذى يعيشه هؤلاء وأولئك.. وقد ردّ الجاحظ على هؤلاء وغيرهم؛ مُفنّدًا آراءهم ومُبيّنًا فضل العرب.

عرب العصبية العنصرية

يقول الجاحظ فى الرد على الشعوبية؛ الذين ينتقصون من العرب، ويقارنون بين العرب وغيرهم من الأمم: «إن الهند لهم معان مُدوّنة، وكُتب مُجلدة؛ لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف؛ وإنما هى كُتب متوارثة، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة، ولليونان فلسفة ومنطق؛ ولكن صاحب المنطق نفسه بكيءُ اللسان ولا موصوف بالبيان، وفى الفُرس خُطَباء؛ إلا أن كل كلام وكل معنى للعجم؛ فإنما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد وخلوة، وكل شىء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام؛ فتأتيه المعانى أرسالاً، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً؛ وكانوا أُمّيين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر وأقهر.. وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله؛ فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم من غير تكلف، ولا قصد، ولا تحفظ، ولا طلب[2].

***

ولئن كان كثير من الشعوبيين قد حاولوا الانتقاص من العنصر العربى؛ معتمدين على فهمهم لرأى ابن خلدون من نقائص فى الجنس العربى؛ إنما يقصد منها (عرب الجاهلية)؛ الذين يعيشون بعيداً عن الدين والنظام، وأيضًا (عرب ما بعد الإسلام) الذين يخونون الإسلام، ويحيون العصبية الجاهلية العنصرية، ويرون أن العرب يمكن أن يصنعوا حضارة من غير نبوّة ولا دين، وهذا ما يرفضه ابن خلدون بالنسبة للجنس العربى بخاصة.

ابن خلدون ورأيه فى العروبة

لقد كتب العلامة ابن خلدون سبعة فصول، تقدم عناوينها أسلوبًا واضحًا؛ بل يراها بعضهم تشكل منظورا متطورا؛ استفزازيًا أو عدوانيًا؛ ضد العرب؛ وفى الفصل السابع ترد العناوين على النحو التالى:

- فصل أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط[3].
- فصل فى أن العرب إذا تغلبوا على أوطان؛ أسرع عليها الخراب[4].
- فصل فى أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا

---

1) فجر الإسلام: ص٣٠ - ٣١. دار الكتاب العربى ط١/١٩٧٩ - بيروت.

2) فجر الإسلام: ص٣٠ - ٣٥ بتصرف.

3) المقدمة: ص١٤٩. ط دار القلم - بيروت.

4) المقدمة ص١٤٩.

بصبغة دينية، من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة[٥].

● فصل في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك[٦].

● فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع[٧].

● فصل في أن المباني التي كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب[٨] إلا في الأقل.

● فصل في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم[٩].

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون عندما قدم هذه العناوين القاطعة الحاسمة، التي ذكرناها، والتي ترتبط بوضوح كامل - في الرؤية الخلدونية بين ازدهار العنصر العربي عندما يربط بالإسلام، وحين يتمثله فكرا ومنهجا، وبين انحطاطه. حين يتخلى عنه... لم يكتف بتقديم هذه الأحكام المجملة، بل قدم لكل عنوان أو (حكم) أسبابه وتفسيراته التي تبرره، وتدعم نظريته في الربط بين العرب والإسلام ربط وجود وتحضر، فعندما يصف ابن خلدون العرب بأنهم قوم لا يتغلبون إلا على البسائط، وبأنهم لا يقتحمون معركة، أو مجالاً إلا إذا كان الأمر سهلاً ميسوراً، لا يحتاج إلى مكابدة، أو تخطيط، أو أساليب دقيقة، تحقق الغلبة، وعندما يصفهم بهذه الصفة، التي تجعلهم أقرب إلى المتهزين المغتصبين، يبرر ذلك - عن عمد - بطبيعة التوحش فيهم، وذلك لأنهم أهل انتهاب، وعبث، ينتهبون ما قدروا عليه، من غير مغالبة، ولا ركوب خطر، ويفرون إلى منتجعهم بالقفز، ولا يذهبون إلى المزاحفة والمحاربة، إلا إذا دفعوا بذلك عن أنفسهم[١٠].

وابن خلدون يرى أنهم لا يمكن أن يتجاوزوا هذا المستوى الردىء، ولا يمكن - بالتالي - أن يحصل لهم المُلك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة.

بل إن ابن خلدون يرى أن العرب في المستويين الاجتماعي والسياسي لا يصلحون بغير دين، وهم يتنافسون في الرياسة، وقل أن يُسلم أحد منهم الأمر لغيره، ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته، إلا في الأقل، وعلى كره، من أجل الحياء، فيتعدد الحكام منهم والأمراء، وتختلف الأيدي على الرعية، في الجباية، والأحكام، فيفسد العمران وينتقض[١١].

فابن خلدون يجرد العرب من إمكانية أي استقلال عن الدين، فجذورهم البدوية لا تسمح بذلك، وطبيعتهم التي اكتسبوها عبر تاريخهم، شكلتهم تشكيلاً خاصاً، فإما أن يقودهم (وحي) أو فكرة دينية، وإما أن يتآكلوا، أو يكونوا تبعاً لدول كبرى محيطة بهم!!..

ويرى ابن خلدون أن العرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة، وبُعد الهمة، والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، لكن إذا قادهم الدين بالنبوة أو الولاية، كان الوازع لهم

---

٥) المقدمة ص١٥١ ط دار القلم - بيروت.
٦) المقدمة ص١٥١.
٧) المقدمة ص٤٠٤.
٨) المقدمة ص٣٥٩.
٩) المقدمة ص٥٤٣.
١٠) المقدمة ص١٤٩.
١١) المقدمة ص١٥١.

من أنفسهم، وذهب خلق الكبر، والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المُذهب للغلظة، والأنفة، والوازع عن التحاسد والتنافس[١٢].

العرب أفضل الشعوب عندما ينقادون للدين

فالدين هو الذي يوحدهم، ويجعلهم ينقادون لأمير، أو نبي، ويعالج أمراضهم الأخلاقية العنصرية، ويهذب وجدانهم، ويعطيهم الدافع الحضاري لصناعة المُلك، والامتداد في الأرض.

بل إنهم - في رأينا - أفضل الشعوب عندما ينقادون للدين، وقد أثبت التاريخ الإسلامي أنه لا يوجد جنس من الأجناس الإسلامية استطاع أن يخرج للدنيا أمثال: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومصعب بن عمير... وغيرهم من نماذج الصحابة والتابعين الذين شَرُفت بهم الدنيا عندما أصبحت العروبة عُروبةً مؤمنة ذات رسالة دينية عالمية.

***

ومن الجدير بالذكر أن إيماننا بسلامة رأى الجاحظ، ورفضنا - بالتالي - للشعوبية المتحزبة ضد العرب.

وإيماننا - كذلك - وفق تحليلنا - برأى ابن خلدون الذي يربط بين ضرورة تحقق النبوة (والدين) في العرب حتى تتم لهم العزة والقيادة الحضارية... كما يربط ابن خلدون في المقابل بين تخلفهم وتشرذمهم وتآكلهم الداخلي، وبين انفصالهم عن الدين والنبوة (مثلما نرى الآن بأعيننا في القرن الحادي والعشرين)..

إن إيماننا بهذين الرأيين لا يعني الانتقاص من أي جنس من أجناس الحضارة الإسلامية، فلا ننكر أن البربر والترك والفرس والهنود قد قاموا بأدوار إيجابية كثيرة في الحضارة الإسلامية، واندمجوا في العروبة (دينا وعلما وحبا للقرآن النازل من الله بالعربية وللنبي العربي الهاشمي ﷺ)..

وما تحركت فيهم الشعوبية ضد العرب إلا بأخطاء بعض العرب العنصريين المتباهين بقحطانيتهم وعدنانيتهم - على حساب الإسلام وموازينه - التي ترد على لسان رسول الله محمد النبي العربي ﷺ عندما يقول في خطبة الوداع: «ليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالعمل والتقوى»[١٣].. وكذلك ترد في القرآن واضحة كل الوضوح في قوله - تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وإنما أردنا - فقط - إنصاف العرب الذين اختار الله منهم النبي محمداً ﷺ أفضل البشر وخاتم المرسلين، وأنزل القرآن بلغتهم، والله أعلم، حيث يجعل رسالته!!..

---

١٢) المقدمة ص١٥١.
١٣) المعجم الكبير للطبراني ج١٨/ ١٢.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾

شهادات غربية في إنصاف الإسلام





للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

٩

ويمضي المستشرق الإنجليزى الحجة «سيرتوماس أرنولد» [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] فيشهد على سماحة الإسلام.. فيقول:

يقول «كايتاني» [١٨٦٩ - ١٩٢٦م]: «لم يضطهد العرب أحداً في السنوات الأولى من أجل الدين، كما أنهم لم يعملوا على ضم أحد إلى دينهم، ومن ثم تمتع المسيحيون الساميون في ظل الإسلام، بعد الفتوحات الأولى بتجربة لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة».

«وما أثر عن عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣هـ ٥٨٢ - ٦٤٤م] من أنه أمر أن يُعطى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت - [البلاذرى ص١٢٩] -. وهو لا ينسى الذميين حتى في آخر وصاياه إذ عهد فيها إلى من سيخلفه بما ينبغي القيام به في هذا المنصب السامي، فقال: «أوصيه بذمة الله وذمة رسوله، أن يوفى لهم بعهدهم، وألا يكلفوا إلا طاقتهم».

«وهناك شواهد كثيرة تبين أن المسيحيين قلما كانوا في عهد الفتوح الإسلامية الأولى يشكون مما يضعف من قوة دينهم».

«وقد امتاز عهد الخليفة عمر الثاني - ابن عبدالعزيز - (٩٩ - ١٠١هـ ٧١٧ - ٧٢٠م] بحركة تحول إلى الإسلام واسعة النطاق».

***

«ونستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة. وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على التسامح.

يقول «لايارد» Layard: إنه صادف مخيما من العرب المسيحيين في مدينة الكرك، شرقي البحر الميت لا يختلفون عن العرب المسلمين بحال ما، سواء في الزى أو العادات».

«ولاشك أن التحول إلى الإسلام كان يقترن ببعض مزايا مالية معينة، ولكنه لم يكن من الممكن أن يكون للدين القديم إلا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام لا لشيء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية، وعندئذ كان على الذين يتحولون إلى الإسلام أن يؤدوا بدلا من الجزية الصدقات الشرعية، وهي الزكاة التي كانت تفرض سنويا على معظم أنواع الممتلكات المنقولة والعقارية. وقد قل إلى حد بعيد ما كان يحدث من إغراء مادى للتخلص من عبء الضريبة عن طريق التحول إلى الإسلام، وذلك حين اضطرت بعض الاعتبارات المالية الحكومة العربية، حوالى نهاية القرن الأول، إلى أن تشدد على المسلمين الجدد في أن يوالوا دفع الجزية حتى بعد دخولهم في زمرة المؤمنين».

المسلمون أيضا دفعوا الجزية

«ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة [الجزية] على المسيحيين، كما يريدنا بعض الباحثين على الظن، لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة، وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش، في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين.. ومن الواضح أن أي جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي، وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار انطاكية، سالمت المسلمين، وتعهدت أن تكون عونا لهم، وأن تقاتل معهم في مغازيهم، على شريطة ألا تؤخذ بالجزية، وأن تُعطى نصيبها من الغنائم.

ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس في سنة ٢٢هـ أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد، وأعفيت من أداء الجزية

مقابل الخدمة العسكرية.

ونجد أمثلة شبيهة بهذا للإعفاء من الجزية، في حالة المسيحيين الذين عملوا في الجيش أو الأسطول في ظل الحكم التركي، مثال ذلك ما عومل به أهل «ميغاريا» Migaris وهم جماعة من مسيحيي ألبانيا الذين أعفوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يقدموا جماعة من الرجال المسلحين لحراسة الدروب على الجبال Geranes Cithaeron التي كانت تؤدي إلى خليج كورنثة «وكان المسيحيون الذين استخدموا طلائع لمقدمة الجيش التركي لإصلاح الطرق وإقامة الجسور، قد أعفوا من أداء الخراج، ومنحوا هبات من الأرض معفاة من جميع الضرائب» وكذلك لم يدفع أهالي Hydre المسيحيون ضرائب مباشرة للسلطان، وإنما قدموا في مقابلها فرقة من مائتين وخمسين من أشد رجال الأسطول التركي كان ينفق عليهم من بيت المال في تلك الناحية. وقد أعفى أيضا من الضريبة أهالي رومانيا الجنوبية، الذين يطلق عليهم Armaloli وكانوا يؤلفون عنصرا هاما من عناصر القوة في الجيش التركي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ثم المرديون Miradites وهم قبيلة كاثوليكية ألبانية كانت تحتل الجبال الواقعة شمال اسكدار، Scatumi وكان ذلك على شريطة أن يقدموا فرقة مسلحة في زمن الحرب. وبتلك الروح ذاتها لم تقرر جزية الرءوس على نصارى الإغريق الذين أشرفوا على القناطر التي أمدت القسطنطينية بماء الشرب، ولا على الذين كانوا في حراسة مستودعات البارود في تلك المدينة، نظرا إلى ما قدموا للدولة من خدمات. ومن جهة أخرى أعفي الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام، وفرضت عليهم الجزية في نظير ذلك، كما فرضت على المسيحيين».

موسى بن ميمون

«إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق.. إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح، وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى.

وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ الإسلامي قد تلونت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية، ظل الكفار، على وجه الإجمال، ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلا في أوروبا حتى عصور حديثة جدا. وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم، طبقا لتعاليم القرآن:



﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

[البقرة ٢٥٦]

﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾

[يونس: ٩٩]

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾

[يونس: ١٠٠]

وإن مجرد وجود كثير جدا من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قرونا في ظل الحكم الإسلامي، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون، كما يدل على أن الاضطهادات التي كانوا يدعون إلى معاناتها بأيدي الطغاة والمتعصبين، إنما كانت ناجمة من بعض ظروف خاصة وإقليمية، أكثر من أن تكون منبعثة من مبدأ مقرر من التعصب..».

«.. ولما هرب موسى بن ميمون [٥٢٩- ٦٠١هـ- ١١٣٥- ١٢٠٤م]- الذي كان قد تظاهر بالدخول في الإسلام في عهد الموحدين، الذين كان حكمهم ينطوي على التعصب الديني- إلى مصر، وأعلن هناك أمام الملأ أنه يهودي، اتهمه أحد فقهاء المسلمين من إسبانيا بالارتداد عن الإسلام، وطلب بأن يوقع عليه أقصى عقوبة يقضي بها الشرع لهذا الجرم. ولكن القاضي الفاضل، عبدالرحمن بن علي [٥٢٩- ٥٩٦هـ ١١٣٥- ١٢٠٠م] وهو من أشهر قضاة المسلمين، وكبير وزراء صلاح الدين العظيم (٥٣٢- ٥٨٩هـ ١١٣٧- ١١٩٣م) ألغى هذا الحكم، وأعلن بصفة جازمة، أن رجلا قد أرغم على الدخول في الإسلام، لا يصح شرعا أن يعد مسلما.

وبهذه الروح نفسها، نجد «غازان» (٦٩٤- ٧٠٣هـ ١٢٩٥- ١٣٠٤م][1] عندما اكتشف أن عدة البوذية الذين كانوا قد دخلوا في الإسلام في مستهل حكمه (حينما خربت معابدهم) لم يتحولوا إلى هذا الدين إلا تظاهرا ونفاقا، يسمح لجميع هؤلاء الذين كانوا جد راغبين في العودة إلى التبت، حيث يستردون حريتهم مرة أخرى بين مواطنيهم البوذيين، ويتبعون دياناتهم القديمة.

ويقص لنا تافرنير Tavernier [١٦٠٥- ١٦٨٩م][2] قصة مماثلة عن

(١) هو غازي محمود، أحد سلاطين المغول، اعتنق الإسلام، وجعله دين الدولة، وشيد عددا من المؤسسات في تبريز.

(٢) تافرنييه -جان اتنت- رحالة فرنسي، قام بست رحلات في آسيا، ووصل إلى جاوة وجزر الهند الشرقية، ومنحه الملك لويس الرابع عشر لقب «بارون» ومات في رحلته السابعة إلى الشرق.

بعض يهود أصفهان الذين كان الحاكم قد اضطهدهم اضطهادا شديدا إلى حد أنه جعلهم يتحولون إلى الإسلام بالقوة والخديعة كلتيهما، ولكن الملك (الشاه عباس الثانى) [١٦٤٢- ١٧٦٧م] أدرك أن القوة والرهبة وحدهما قد أرغمتاهم على هذا التحول، فأذن لهم أن يستردوا ديانتهم، وأن يعيشوا فى هدوء وأمان».

«.. حتى أن الحاكم المجنون «الحاكم بأمر الله» [٣٨٦- ٤١١هـ ٩٩٦- ١٠٢٠م] الذى حملت اضطهاداته كثيرا من اليهود والمسيحيين على أن يتركوا دينهم ويدخلوا فى الإسلام قد سمح فيما بعد لهؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام عن غير رغبة أن يعودوا مرة أخرى إلى دينهم، وأن يعيدوا بناء أماكن عبادتهم الخربة.

لقد كان من السهل على أى حاكم من حكام الإسلام الأقوياء، أن يستأصل شأفة رعاياه المسيحيين أو ينفيهم من بلادهم، كما فعل الأسبان بالعرب، والإنجليز باليهود مدة أربعة قرون تقريبا. وكان من الممكن تماما أن ينفذ سليم الأول [٨٧٥- ٩٢٦هـ- ١٤٨٠ - ١٤٨- ١٥٢٠م] فى سنة ١٥١٤م- أو إبراهيم [١٠٤٩- ١٠٥٨هـ- ١٦٤٠- ١٦٤٨م] فى سنة ١٦٤٦م.. تلك الفكرة البربرية التى تصوروها للقضاء على رعاياه المسيحيين..

ولكن طبقة المفتى، الذين صرفوا أذهان سادتهم عن مثل هذا الغرض الذى ينطوى على القسوة، إنما فعلوا ذلك باعتبارهم أئمة الشريعة الإسلامية والتسامح الإسلامى.

إن المبدأ الذى وجد قبولا عظيما فى ألمانيا فى القرن السابع عشر. وهو أن لكل منطقة دينها الخاص- لم يقبله قط أى عاهل مسلم..».

بطريق أنطاكية يلعن هرقل ويتغنى بعدل المسلمين

وقد استطاع «ميخائيل الأكبر Michael the Elder بطريق أنطاكية اليعقوبى، أن يحيد فيما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر، ما قرره إخوانه فى الدين، وأن يرى أصبع الله فى الفتوح العربية حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون. وقد كتب يقول -بعد أن سرد اضطهادات «هرقل» [٦١٠- ٦٤١م]-: «.. وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام، الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء، ويرفع الوضيع -لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا

على أيديهم من قبضة الروم، وفى الحق، أننا إذا كنا قد تحملنا شيئا من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا، وإعطائها لأهل خلقيدونية، فقد استمرت هذه الكنائس فى حوزتهم. ولما أسلمت المدن للعرب خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها (وفى ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حران). ومع ذلك لم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»..

«.. ونجد «ركلدوس دى مونت كروسيس - Ricoldus de Monte Crucis - وهو مبشر دومينيقانى، زار الشرق فى نهاية القرن الثالث عشر- ينطلق بالثناء على المسلمين الذين كان قد اشتغل بين أظهرهم، يقول:

«استولى علينا الدهش، كيف أن أعمالا تتصف بمثل هذا الكمال يمكن أن تحيا فى ظل شريعة تصطبغ بمثل هذه النزعة الإلحادية- [كذا!!] لهذا نستعيد الآن فى إيجاز أعمال العرب، تلك المتصفة بالكمال.. من ذا الذى لا يعجب إذا تأمل جيدا أية عناية فائقة بالدراسة يمكن أن توجد بين العرب، وأى إخلاص فى الصلاة، وأية رحمة بالفقير، وأى تبجيل لاسم الله والأنبياء والأماكن المقدسة. وأى وقار فى أخلاقهم وفى معاملتهم للغرباء، وأية مودة تربط بين جنسهم؟..».

مسيحى ينظم شئون الجيش العباسى

«لقد كان الأخطل -وهو عربى نصرانى- شاعرا للبلاط الأموى... وكان القديس يوحنا الدمشقى [٥٥- ١٢٢هـ ٦٧٥- ٧٤٠م] مستشار الخليفة عبدالملك ابن مروان [٦٥- ٨٦هـ ٦٨٥- ٧٠٥م].. وكان فى خدمة الخليفة المعتصم [٢١٨- ٢٢٧هـ ٨٣٣- ٨٤٢م] أخوان مسيحيان بلغا منزلة سامية عند أمير المؤمنين، أحدهما يدعى «سلمويه».. وأخوه «إبراهيم» وشغل الأول منصب الوزير فى العصر الحديث، وكانت الوثائق الملكية لا تتخذ صفة التنفيذ إلا بعد توقيعه عليها، على حين عهد إلى إبراهيم بحفظ خاتم الخليفة. كما عهد إليه بخزانة بيوت الأموال فى البلاد.. واختار عبدالملك بن مروان عالما مسيحيا من مدينة الرها، يدعى اثناس Athansias مؤدبا لأخيه عبدالعزيز.. وفى نهاية القرن الثامن نرى رجلا يدعى أبا نوح الأنبارى، كاتب أبى موسى بن مصعب، والى الموصل.. وفى عهد المعتضد [٢٧٩-

٢٨٩هـ ٨٩٢- ٩٠٢م] كان عمر بن يوسف والى الأنبار مسيحيا.. ولقد عهد الموفق -وكان صاحب السلطان المطلق على أخيه المعتمد [٢٥٦- ٢٧٩هـ ٨٧٠- ٩٢٠م] بأمر تنظيم الجيش إلى مسيحى، يدعى إسرائيل، واتخذ ابنه المعتضد، نصرانيا آخر كاتبا له، وهو ملك ابن الوليد.. وفى عصر متأخر، تولى -فى أيام المقتدر [٢٩٥- ٣٢٠هـ ٩٠٨- ٩٣٢م] نصرانى آخر أمر ديوان الجيش.. وكان نصر بن هارون مسيحيا، وكان كبير وزراء عضد الدولة البويهى [٣٣٧- ٣٧١هـ ٩٤٩- ٩٨٢م]..

وكان البطريق النطورى «طيماوس» Timotheus يعقد المناظرات فى المسائل الدينية بحضرة الخليفة الهادى [١٤٤- ١٧٠هـ ٧٦١- ٧٨٦م] وهارون الرشيد [١٤٩- ١٩٣هـ ٧٦٦- ٨٠٩م].. ولما قدم شخص يدعى «يزدانبخت»، زعيم المانويه[3]، فى زيارة لبغداد، وعقد مناظرة مع المتكلمين المسلمين، وأفحمه فيها المتكلمون منهم، حاول الخليفة المأمون [١٧٠- ٢١٨هـ ٧٨٦- ٨٣٣م] أن يقنعه باعتناق الإسلام، ولكن «يزدانبخت» أبى ذلك، وقال: «نصيحتك، يا أمير المؤمنين، مسموعة، وقولك مقبول، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم»، فلم يبد الخليفة شيئا من الاستياء لإخفاق محاولته، ووكل به من حفظه خوفا عليه من تعصب الغوغاء. [الفهرست. جـ١ ص٣٣٨].

• • •

«.. وأما فيما يتعلق بالسواد الأعظم من هؤلاء المسيحيين العرب، فإن الأخبار الخاصة بزوال المسيحية من بين القبائل العربية النصرانية التى كانت تقيم فى بلاد العرب الشمالية لا تزال بحاجة إلى شيء من التفصيل، والظاهر أنهم قد انتهوا إلى الامتزاج بالمجتمع الإسلامى الذى كان يحيط بهم عن طريق ما يسمونه (الاندماج السلمى) الذى تم بطريقة لم يحسها أحد منهم، ولو أن المسلمين حاولوا إدخالهم فى الإسلام بالقوة عندما انضووا بادىء الأمر تحت لواء الحكم الإسلامى لما كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين ظهرانيهم حتى عصر الخلفاء العباسيين...»

«.. وإن مجرد بقاء الكنيسة المسيحية القومية فى إفريقية الشمالية مثل هذا الوقت الطويل ليدحض أى زعم بأن

(٣) من فرق المذاهب الدينية الفارسية، نسبة إلى «مانى» الذى ادعى النبوة سنة ٢٤٢م. وهى تتخذ إلهين أحدهما للخير والثانى للشر.

تحولهم إلى الإسلام قد قام على القوة والإكراه..»[4].

نشر المسيحية بالعنف

• لقد فرض «شارلمان» [٧٤٢- ٨١٤م][5] التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحد السيف..

• وفى الدانمرك استأصل الملك «كنوت» Cnut [٩٩٥- ١٠٣٥م] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب.

• وجماعة إخوان السيف Bretheren of the Sword وغيرهم من الصليبيين، الذين أدوا رسالتهم بالسيف والنار فى تنصير البروسيين الوثنيين.

• ولقد فرض فرسان Ordo Fratrum Miliae Christ المسيحية على شعب ليفونيا فرضا.

• وفى سنة ١٦٩٩م وجد «فالنتين» Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyna مرسوما يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعى الكنيسة.. وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجبارى محل الدعوة الهادئة إلى «كلمة الله».

الذبح لمن لا يعتنق المسيحية!

• وفى فيكن Viken (القسم الجنوبى من النرويج) كان الملك «أولاف ترايجفيسون» Olaf Trygresson [٩٦٣- ١٠٠٠م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول فى المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم أو بنفيهم وتشريدهم، وبهذه الوسائل نشر الدين فى «فيكن» بأسرها.

• ووصية القديس لويس [١٢١٤- ١٢٧٠م] تقول: «عندما يسمع الرجل العامى أن الشريعة المسيحية قد أسيء إلى سمعتها، فإنه ينبغى ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه، الذى يجب عليه أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء»..

• ولقد ظل الإسلام قائما بين «الباشفردية» من أهل المجر حتى سنة ١٣٤٠م، حين أرغم الملك «شارل روبرت» جميع رعاياه، الذين لم يكونوا مسيحيين بعد، أن يعتنقوا الدين المسيحى أو يغادروا البلاد.

مذبحة لمسلمى الجبل الأسود

• وفى سنة ١٧٠٣م جمع دانيال بيتروفتش D. petrovich، الأسقف الحاكم فى ذلك الحين، القبائل وأخبرهم أن الأمل

(٤) [الدعوة إلى الإسلام] ص٧٠، ٧٥- ٨٢، ١٠٢، ٨٨، ٤٦١، ٤٦٣، ٧٢، ٤٦٧، ١٠٣، ١٠٤، ٦٨، ١٥٣.

(٥) إمبراطور الغرب وملك الفرنجة، توّجه بابا روما إمبراطوراً يوم عيد الميلاد سنة ٨٠٠م.

الوحيد لإنقاذ بلادهم ودينهم ينحصر فى القضاء على المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم. وكان من أثر ذلك أن الذين لم ينقضوا عهد الإسلام وأبوا أن يدخلوا فى المسيحية من مسلمى الجبل الأسود قتلوا فى ليلة عيد الميلاد، فى ثبات ورباطة جأش.

الحكومة الروسية تفرض المسيحية على المسلمين

• وفى روسيا سنة ٩٨٨م -جهر «فلاديمير» Vladimir -إمبراطور روسيا فى ذلك الحين- بالمسيحية، وفى اليوم التالى لتعميده، أصدر مرسوماً يقضى بأن يذعن الروس كافة، سادة وعبيداً، أغنياء وفقراء، للتعميد وفق طقوس الديانة المسيحية، وهكذا أصبحت المسيحية ديانة الروس.. ولم يفتح الباب أمام التدين بالإسلام -فى روسيا- إلا بعد أن صدر مرسوم سنة ١٩٠٥م الذى ينص على التسامح الدينى.. أما قبل ذلك التاريخ، فلقد حاولت الحكومة الروسية فرض المسيحية على رعاياها المسلمين فى أوروبا -بما فى ذلك التتار- وكان القانون الجنائى الروسى يتضمن دائما عقوبات صارمة لهؤلاء الذين حادوا عن الكنيسة الأرثوذكسية، ويعاقب كل شخص تثبت عليه تهمة تحويل مسيحى إلى الإسلام، بتجريده من كافة الحقوق المدنية، وبحبسه مع الأشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثمانى سنين وعشر..

ولقد دونت الأخبار كثيرا عن دخول الناس فى الإسلام أفواجا، بعد صدور مرسوم الحرية الدينية سنة ١٩٠٥م.. ولقد كان أكبر الفضل فى ذلك النجاح للدعوة الإسلامية راجعا إلى مستوى الحياة الأخلاقية فى المجتمع الإسلامى، الذى كان أكثر رقيا، كما يرجع أيضا إلى شعور التآخى الذى كان يشيع فى هذا المجتمع، والذى كان أكثر تماسكا وقوة.. وكان هؤلاء الذين أسلموا يلقون فى قراهم عنتا واضطهادا بتسميتهم «الكلاب المختونين».

ولقد أخذ الخوف من رجال الكنيسة الأرثوذكسية كل مأخذ، حتى أقاموا جمعية خاصة تقوم بتوزيع منشورات دينية بين أهالى القوقاز والأبخازى Abkhazes أملاً فى مناهضة النفوذ الإسلامى..

ملك الحبشة يضطهد المسلمين

• وفى الحبشة، اتخذ الملك «سيف أرعد» [١٣٤٢-١٣٧٠م] -حاكم أمهرة- تدابير صارمة ضد المسلمين فى مملكته، تقضى بإعدام كل من أبى الدخول فى المسيحية أو نفيهم من البلاد.. وقد قيل إن الملك «بئيد ماريان»



[١٤٦٨-١٤٧٨م] قضى الجزء الأكبر من حكمه فى محاربة المسلمين الذين كانوا يقيمون على الحدود الغربية من مملكته.. وقد كان على مسلمى «هدية» أن يدفعوا جزية أخرى للملك، وهى أن يعطوه فى كل سنة بنتا ينصرها له، وجرت هذه العادة فى بلدهم بمقتضى معاهدة كان ملك الحبشة يحكم دائما بها.. ثم إنه حكم عليهم ألا يلبسوا عدة الحرب، ولا يمسكوا السيف، ولا يركبوا خيولهم بالسروج، وإلا قتلهم وخرب مساجدهم.. ولقد كانوا مجبرين على تقديم الأموال إلى رسل الملك، ومعها البنت، يخرجونها على السرير، بعد تغسيلها وتكفينها بثوب والصلاة عليها، بحسبانها قد ماتت!..

• وقبائل الجلا والسومال، أدخلوا كرها فى الديانة المسيحية.. أرغمهم ملك الحبشة على انتحال المسيحية فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

• وفى سنة ١٨٧٨م -بعد حرب [١٨٧٥م بين الحبشة ومصر]- عقد الملك الحبشى «جون» مجمعا يضم رجال الكنيسة الحبشية، ونادوا به حكما أعلى فى المسائل الدينية، فقرر وجوب الاقتصار على دين واحد فى كافة أنحاء المملكة. وأعطى المسيحيون على اختلاف طوائفهم، ما عدا اليعاقبة، مهلة عامين ليصبحوا فيها متفقين فى الرأى مع كنيسة البلاد، وألزم المسلمون بالتسليم فى خلال ثلاث سنين، والوثنيون فى خلال خمس. وأذاع الملك مرسوما بعد ذلك بأيام قليلة، أوضح فيه أن مهلة السنوات الثلاث التى مُنحها المسلمون كانت قليلة الأهمية، وذلك أنه لم يقتصر على إلزامهم ببناء كنائس مسيحية متى كانوا فى حاجة إليها، ودفع العشور للقساوسة الذين فى مقاطعاتهم الخاصة، بل إنه أنذر كل الموظفين المسلمين أن يختاروا فى خلال ثلاثة أشهر بين قبول التعميد أو التخلى عن مناصبهم. وكان مثل هذا التنصير الإجبارى عديم الأثر بطبيعة الحال، ففى الوقت الذى تظاهر المسلمون فيه بالقبول كانوا فى الخفاء يؤكدون ولاءهم للإسلام.

وفى هذه الحملة أرغم الملك جون سنة ١٨٨٠م ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد.. كما أجبر عشرين ألفا من أفراد إحدى القبائل الوثنية.. ونصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية»[٦].

(٦) [الدعوة إلى الإسلام] ص٣٠-٣٢-٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤-٢٧٦، ٢٧٨-٢٨١، ٢٨٢، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ٢٨٤-٢٨٥، ٢٨٧، ١٤١، ١٤٣.

العلاقات الدولية في دستور الدولة الإسلامية

بقلم اللواء الدكتور/
محمود خليل

مقدمة

لقد أولى الإسلام العلاقات الخارجية والدولية اهتماماً بالغاً منذ نشأته فقد أقام الرسول الكريم ﷺ العلاقات الطيبة مع ملوك وأمراء الدول الغير مسلمة وكان الفتح تسبقه العلاقات والرسل، واستخدم ﷺ السفارة أو التوكيل والإنابة في بعض الأعمال الاستخلافية في هذه المجتمعات لأن المهام الشرعية في المجتمعات الغير مسلمة لا يمكن القيام بها على وجهها الأكمل إلا بهذه الطريقة ومن هنا تكمن أهمية العلاقات الخارجية والسفارة وتبادل السفراء بل والأهم من ذلك أن العلاقات الخارجية تستتر وراءها اهتمام الإسلام بتحقيق الأمن لمن يدينون به في المجتمعات الغير مسلمة..

ضرورة وجود السفراء وإقامة العلاقات الخارجية في الإسلام

تبرز مجموعة من المبررات لإقامة العلاقات الخارجية مع المجتمعات الغير مسلمة وتبادل السفراء معها في الإسلام، في مقدمتها منع الفتنة في الدين ذلك أن المسلمين في أية دولة غير مسلمة هم في حقيقة الأمر واجهة الدعوة داخلها والإسلام في ذلك الأمر إنما يريد منهم أن يقدموا نموذجاً حياً لعدالته كمنهج إلهي مستقيم، لكن الإسلام من الناحية الأخرى لا يترك مجسدي نموذجيته بلا حصانة أو حماية، ليعمل فيهم حكام هذه البلاد غير المسلمة ومحكوموها ما قد يريدونه من سياسات أو قرارات تمليها عليهم المصالح القومية وإن اقتضت البطش بهؤلاء المسلمين، إن ترك المسلمين بلا حماية هو عنت وإلقاء في التهلكة من ورائهما الفتنة في الدين، وهي أشد من القتل ولذلك كانت الأوامر صريحة بإزالة هذه الفتنة ولو بالقتال حتى يكون الدين كله لله

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾

(الأنفال: ٣٩)

والمبرر الثاني وجوب الاستنصار في الدين والالتزام به صريح في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾

(الأنفال: ٧٢)

شروط نصرة المسلمين خارج حدود دار الإسلام

إذا كان الدخل لنصرة المسلمين خارج حدود الإسلام واجباً، فإنه يرد على هذا عدة شروط:

● الأول: أن لا يكون الاستنصار في غير الدين لصريح الآية فإذا كان في شيء لا مجال فيه لقيم الدين ومثاليته فهو استنصار في الباطل وليس من الله في شيء.

● والثاني: أن لا يكون الاستنصار على قوم غير مسلمين بينهم وبين المسلمين ميثاق أو ذمة لأن الإسلام يوجب على المسلمين في هذه الحالة الالتزام بعهودهم إلى مدتها، وعدم قطع إيمانهم مع الذين عاهدوا.

● أما الثالث: فلا بد أن تكون النصرة لكونهم مستضعفين في الأرض إما لأنهم أقلية معرضة للاضطهاد والعنت من الأغلبية أو لأنهم مضطرون إلى البقاء بين هذه الأغلبية وغير قادرين على الهجرة إلى دار الإسلام فالتمس لهم العذر في إسقاط واجب الهجرة إلى دار الإسلام، وإسقاط واجب الهجرة عليهم، وقد قيل عن أول حرب بين الروم والمسلمين كانت بسبب الاضطهاد الديني للمسلمين لما أسلم بعض أهل الشام فقتلهم واليها من قبل أهل الروم، فأرسل الرسول ﷺ من حماهم وانتصر لحريتهم، والشرط الرابع: وجوب رفع الظلم عن المسلم حيثما أحل وأقام بنفس القدر الواجب فيه منعه عن ظلم غيره لقوله تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾

(الشورى: ٤٠، ٤١)

وفي الحديث الشريف: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً، فقال تأخذون فوق يديه». وفي رواية أخرى تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره..



وقد ذكر ابن حجر أن نصر المظلوم هو فرض كفاية وهو عام في المظلومين وكذلك في الناصرين، بناء علي أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع وهو الراجح ويتعين أحياناً علي من له القدرة عليه وحده، إذا لم يترتب علي إنكاره مفسدة أشد من مفسدة المنكر فلو علم أو غلب علي ظنه أنه لا يغير سقط الوجوب وبقي أصل الاستحباب بالشرط المذكور فلو تساوت المفسدتان تخير وشرط الناصر أن يكون عالماً بكون الفعل ظلماً ويقع النصر مع وقوع الظلم وهو حينئذ حقيقة وقد يقع قبل وقوعه، والشرط الأخير هو تثبيت هيبة الإسلام في الأرض استمراراً لإفراده والمسلمين بالعزة والمنعة:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون:٨)

سواء من حيث تعميق هذا الشعور في نفس المسلم المقيم بين غير المسلمين، رغم استضعافه أو من حيث تعميقه بالخوف من رد الفعل المسلم في نفوس غير المسلمين لأنهم لو علموا أن المسلم ليس وحده في الأرض، وأن له من يسنده ويملك القدرة علي الدفاع عنه سيفكرون كثيراً قبل الإقدام علي هذا العمل..

حقوق وحدود المسلمين في المجتمعات غير المسلمة

هذه الحدود هي استخلاص لما تعرض له كثير من الفقهاء بشأن ما للمسلم وما عليه داخل هذه البلاد، ليضمن لنفسه قبل أن تضمن له أمته مسئولية الحفاظ علي أمنه واحترام حرياته وحرماته.

• ويقع ضمن هذه الحدود من ناحية أولي احترام عهوده وأماناته ومراعاة أعرافها وقوانينها مالم يكن فيها باطل حرمه الإسلام، والبعد عن الغدر لئلا يعرض نفسه للهلاك، فالمسلمون عند شروطهم ومادامو قد ضمنوا أن لا يتعرض لهم فلا ينبغي أن يتعرضوا لأحد، وإلا صار غدراً والغدر حرام.

• كما يدخل فيها من ناحية ثانية ما يجوز من حمل المسلمين الأمتعة إلي غير المسلمين للتجارة لأن بعضها يحتاج إليه المسلمون فإذا منعوها برهم فقد يمنعون أيضا تجارتهم بالمقابل إلي المسلمين.

• من ناحية ثالثة أن من كانت إقامته في غير بلاد المسلمين بسبب الأسر ثم خلا سبيله وأمن ثم ولي بعض شئونها أو لم يول فأمن غير المسلمين إياه أمن لهم منه، وليس له أن يغتالهم أو يخونهم ويجوز له الحرب، وإن أدرك ليؤخذ فله أن يدافع عن نفسه، وله أن يقتل من يدركه، وأخذ ماله مالم يرجع عن ذلك.



• أما الناحية الرابعة في هذه الحدود أن علي المسلمين المستأمنين في البلد غير المسلم إذا نشبت الحرب بينهما وبين غيرها من البلاد أن يتبينوا قبل تحديد موقفهم، فإن كانت الحرب بسبب إغارة أهالي البلد التي يسكنها المسلمون المستأمنون، وجب علي هؤلاء الآخرين نقض عهودهم، والقتال لتخليص المسلمين إذا كانوا يقدرون علي ذلك، لأن المسلمين في أيدي هؤلاء المعتدين تقرير على الظلم.

• أما الحد الخامس فيتعلق ببعض تعاملات المسلمين داخل المجتمعات غير المسلمة، خاصة في أمور البيع والإقراض وما شاكلها، إذا أدان حربي مسلماً بيع أو قرض أو حدث العكس، أو غصب أحدهما الآخر وخرجا من هذه البلاد الي بلاد المسلمين لا يقض لأحد فيهما بشيء لأن الحربي ما التزم حكم الإسلام فيما مضى بل فيما يستقبل وإن كان يلزم المسلم رد المغصوب من هذا الحربي/ وكذا رد الدين أي التزاماً بأحكام الإسلام القاضية بعدم الغدر والوفاء بالعهود ـ وليس قضاء أما إذا خرج المسلم من بلد غير مسلم ومعه شيء ملكه ملكاً حراماً بسبب الغدر فإنه يلزم التصدق به علي سبيل الوجوب، أما إذا أسلم المسلم في دار الحرب ثم عاد إلي المسلمين خارجا منها، فما أسلم عليه، غصبه أو لم يغصبه فهو له، ويبقى الحد السادس وهو أن إذا كان إسلام المسلم لاحقاً، فسواء أسلم في دار الحرب ثم خرج إلي دار الإسلام أو لم يخرج أو خرج إلي دار الإسلام ثم أسلم، كل ذلك سواء ويترتب عليه أن جميع ماله الذى معه في تلك الأرض الأخيرة من عقار أو دار أو أرض أو حيوان أو غير ذلك من متاع في منزله أو ودائع أو دين هو كله له ولا حق لأحد فيه، ولا يملكه المسلمون إن غنموه أو فتحوا تلك الأرض ومن غصب شيئاً من ذلك حربياً أو مسلماً أو ذمياً رده إلى صاحبه..

أهم مقتضيات أمن السفراء والرسل

• يمكن القول أن أول هذه الأمور ضرورة عقد الأمان لهم لأن الرسول ﷺ كان يؤمن رسل المشركين ولما جاءه رسولا مسيلمة الكذاب قال: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما» ولأن الحاجة تدعو إلى ذلك ولو قتل رسولهم لقتلوا رسل المسلمين فتفوت المصلحة من المراسلة والسفارة، ولأن أمر القتال أو الصلح لا يتم إلا بالرسل فلابد من أمانهم ليتوصل الي ماهو مقصود.

• وثاني متطلبات أمن هذه الفئة استمرار الأمان لهم مدة إقامتهم في بلاد المسلمين ورغم أن المجتمع السياسي المسلم لم يكن يعرف نظام التمثيل السياسي الدائم شأن المجتمعات السياسية التي عاصرته في صدر الإسلام، إلا أن

الفقهاء حاولوا التصدى لهذا الأمر، ولكنهم اختلفوا في مد عقد الأمان مطلقاً ومقيداً للسفراء والرسل، فقد أجاز بعضهم عقد الأمان مطلقاً ومقيداً عدة سنوات قصيرة كانت أو طويلة بخلاف الهدنة فإنها لا تجوز إلا مقيدة لأن في جوازها مطلقاً فرضاً للجهاد، أما الحنفية والشافعية فقد أجازوا تجديد عقد الأمان سنة بعد أخرى بحسب ما تقتضيه مصالح العمل والتجارة.

● وثالثاً فإن من متطلبات أمن السفراء والرسل للخروج من دار الإسلام بما يخرج به المستأمن عموماً، والأصل في ذلك أنه لا يصطحب معه ما يقوي به غير المسلمين علي المسلمين أيا كان شكل ذلك، أما أمواله فلا يجوز مصادرتها أو الاستيلاء عليها أو حبسها ويُعفى من الرسوم المالية، وقد استثنى من هذه القاعدة ما كان مع السفراء والرسل بقصد التجارة فإنه يؤخذ منهم العُشر أما غير ذلك من متاع فلا عُشر عليه.

● وكذلك يلزم لهم كأمر رابع الأمن في ممارسة أعمال العبادة فلا يُحجر حقهم في التزام أحكام دينهم، أما بناء الكنائس الخاصة بهم فلم يكن ممكناً لأن الرسالة محدودة بوقت علي الأغلب لكن إذا أراد السفير أن يتخذ لنفسه موضع عبادة في داره لا يُمنع من ذلك..

الالتزامات الواجبة علي السفراء والرسل

إن الأمن في أمن السفراء والرسل مثله مثل الأمن لغيرهم سواء من المسلمين أو غير المسلمين من حيث ضرورة تلازم متطلباته مما يقع علي المسلمين مع التزاماته بما يقع عليهم أنفسهم، من هنا يمكن القول إن السفير أو الرسول ملتزم برد ما قد يكون قد استحوذ عليه من رعايا المجتمع المسلم من أموال وأمتعة، قبل أن يحمل صفة السفارة أو الرسالة، كذلك هو ملزم بإسقاط ولايته عمن لا يحق له الولاية داخل بلاد المسلمين، كذلك يلتزم بالبعد عن ارتكاب الأعمال العدائية ضد المسلمين خاصة ما يمس أمنهم مباشرة مثل أعمال التجسس، ولو اطلع علي بعض أسرار المسلمين بحيث إذا أعاد إلى بلاده عاد بضرر علي المسلمين لأنه سوف يدل علي عورات المسلمين وسوف يلحق بهم أذى كبير، ففي هذه الحالة يكون للإمام حبس الرسول للأمان فقط، أى حجزه ومنعه من السفر وليس سجنه، لكن ذلك قد يكون مردوده طبقا لمبدأ المعاملة بالمثل ـ منع سفير المسلمين من العودة إليهم باتباع نفس المسلك العدائى معه -لذلك قد يكون من الأبدى في مثل هذه الحوادث ، التجسس، أما بإعلان السفير شخصياً غير مرغوب في بلاد المسلمين، فيخرج ويرد إلي مأمنه في بلاده، أو بالاتفاق المتبادل مسبقاً علي تجريم بعض الأفعال

التي قد يحق بموجبها معاقبته، وبذلك يتجنب اتباع نفس المسلك نزولا عن المعاملة بالمثل كما أنه ملزم كذلك بأن لا يكون عونا علي تحطيم العقود والمعاهدات بين بلده وبين المسلمين، أو يلحق بالالتزامات أيضا أنه لا يحق الاحتجاج بأمن سفارته لارتكاب ما يضر المسلمين، ذلك أن الإسلام لا يسمح بوجود حرم أمن في بلاد المسلمين إلا لبعض الأماكن المقدسة التي شهدت لها الأصول المنزلة بذلك وجري عرف المسلمين علي التسليم لهذه المكانة خاصة مكة والمدينة وما جاورهما، ولكن لا يعنى هذا التخلى عن اتخاذ كافة الوسائل لحماية دار البعثة ضد أى عدوان ومنع أى إخلال بأمنها وصيانة كرامتها مادامت تؤدى دورها حسب ماهو متفق عليه نصا أو عرفا.

الخاتمة

إن العلاقات الخارجية في الإسلام مبدأ أساسي في الإسلام فلقد دعا الإسلام إلي إقامة العلاقات الطيبة مع الدول غير المسلمة ولذلك نجد أن الإسلام اهتم بعمل السفارة والسفراء لاشك في ذلك، والخلاصة في هذا الأمر أن السفارة في المفهوم الإسلامى عمل إصلاحى من جهة لأنها لا تنفصل عن أعمال الدعوة، ومن ضرورات الدعوة إصلاح العمل

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾

(فصلت: ٣٣)

ومقصد السفارة وبالتالى مضمونها الإصلاح وإظهار الحق بين أطرافها وهي هدف دعوة الرسل وهو الإصلاح

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

(هود: ٨٨)

وفي النهاية فإن الدعوة عملية تفاعلية تقوم علي تشابك العلاقات وتفاعلها بين عدة أطراف، والسفراء هم أحد أدوات الدعوة لإنجاح هذا التفاعل فهم خلفاء في أماكنهم يقومون بمهام استخلافية تعمل علي نشر الدعوة وتحقيق أمن المسلمين فى المجتمعات غير المسلمة..........

***

بين الصحف





إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

خلق الرسول ﷺ

كتب الأستاذ/ احمد بهجت فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٦/٤/١٢ فى عموده اليومى «صندوق الدنيا» عن خلق الرسول فكان مما قال:

حسم القرآن بيان درجة النبى ﷺ فى آيتين كريمتين:

الآية الأولى هى قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

أولهم كمالاً ورفعة، وشرفاً وفضلاً ورحمة، برغم كونه جاء آخر الأنبياء.. وربما لأنه جاء آخر الأنبياء، فكان هو اللبنة الأخيرة فى صرح النبوات الشاهق.

الآية الثانية هى قوله تعالى فى سورة الأنبياء:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]

لم يكن رحمة للعرب وحدهم، ولا لقريش فحسب، ولا لزمنه فقط، ولا للجزيرة العربية وحدها، إنما كان رحمة مهداة للعالمين، وأسوة باقية للمؤمنين على مدى الأزمنة والعصور.

وقد جاهد النبى فى حياته جهاداً يجعله أكثر الناس استحقاقاً لحمد أهل الأرض وأهل السماء، ولولا احتماله العناء فى الله ما عرفنا الله.



باحثة ألمانية تستنكر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ

واجرت جريدة الأخبار حواراً مع «سارة ويسل» باحثة من جامعة مونستر الألمانية:

جاءت إلى القاهرة فى إطار منحة دراسية لمدة عام للدراسة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تعود بعدها إلى ألمانيا لاستكمال دراستها فى ثلاث مواد: الإسلام - السياسة - علوم الإنسان.

سارة تبلغ من العمر ٢٤ عاماً، تجيد اللغة العربية وتتمتع بخفة الظل والروح المرحة وتتحدث العامية المصرية بشكل جيد، عندما تتحدث معها تكتشف أنها تعرف الكثير من خبايا الشارع المصرى، وتنطق بمفردات شعبية لا يعرفها إلا أولاد البلد، إلى جانب دراستها عملت فى جريدة «منيستر» التى نشرت فيها دراسة عن السياحة فى مصر، ونشرت فى جريدة «راين فايس» دراسة أخرى عن ثقافة الشخصية المصرية، وتكتب مقالات أخرى فى «ديلى ستار» باللغة الإنجليزية التى تجيدها إلى جانب لغتها الألمانية.

● قالت سارة: إنها تأذت بشدة من الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول ﷺ، التى نشرت فى بعض الصحف الأوروبية، لأنها بحكم دراستها للإسلام توقفت عند ما يحمله من قيم أخلاقية وإنسانية نبيلة، وقالت: إن السخرية من الأديان مرفوضة، والنظر للدين من منطلق سياسى وليس دينى أمر مرفوض وخاطئ، والربط بين الإسلام والإرهاب لا علاقة له بالدين لأن التعميم مرفوض وغير مقبول، والمفترض أن تكون العلاقة بين شعوب الأرض قائمة على الحوار وليس الصدام، على التسامح وليس العنف بأى شكل من الأشكال، ولهذا فهى تطالب بأن يذهب من هم على وعى بالتخاطب مع الغرب لشرح الدين الإسلامى لرجل الشارع الغربى الذى لا يعرف أى شىء عن الإسلام ويتلقى كل معلوماته من أجهزة الإعلام المسيئة.

شعراء أقباط يحتفلون بالمولد النبوى الشريف

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ على عياد بجريدة الأهرام فى مناسبة المولد الشريف قال:

فى وداع التعصب الدينى وفى ظل الإخاء الإنسانى الذى يضم تحت مظلته اتباع الديانات السماوية بعيداً عن أى خلاف أو اختلاف تبارى عدد من شعراء المهجر المسيحيين فى واحدة من الاحتفاليات فى أوروبا فى إحياء ذكرى المولد النبوى الشريف مشاركة لإخوانهم المسلمين.

فينشد الشاعر نصر سمعان:

كوكب رحب الوجود به
يوم تجلى على الوجود شعاعه
كلما مرت العصور وغارت
فى مهادى الزمان زاد ارتفاعه

شهد الله أننا في سبيل الحق
والمجد كلنا أتباعه

وينشد الشاعر إلياس فرحات:

غمر الأرض بأنوار النبوة
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس
فتحت في مكة للنور كوة

وينشد الشاعر محبوب الشربيني:

محمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين إمام
صلى الله على محمد نبي
الإنسانية في ذكراه وفي كل أوان

فاطيما

وأجرت مجلة آخر ساعة في عددها الصادر في ١٥ مارس ٢٠٠٦ حواره مع مسلمة أمريكية انتقلت للعيش في مدينة الاسكندرية بمصر مؤخرا وهو تصرف أثار دهشة الكثيرين وأصبح حديث كثير من الأوساط في مصر وغيرها: منذ أكثر من ١٢ عاما اعتنقت الإسلام، ووجدت فيه دين الرحمة والتسامح والمساواة.. وظلت منذ هذا الوقت تحلم بأن تكون سفيرة إلى كل الدنيا، تنشر رسالة الإسلام وتعاليمه الحقيقية، وتنقل صورة صادقة عن هذا الدين بعد أن حاولت جهات كثيرة في الغرب تشويه صورة الدين الإسلامي والإساءة إلى رسوله الكريم ﷺ واختارت أن تأتي إلى مصر لأنها بلد الأمن والحرية والتسامح، بلد عريق يضرب بجذوره في أعماق التاريخ.. هكذا تقول «فاطيما» الأمريكية المسلمة.

وقصة اعتناق «فاطيما» الإسلام في بلاد العم سام طويلة وغريبة ومثيرة كان العقل هو البطل الأساسي فيها.. فوالدها مغربي مسلم هاجر إلى أمريكا وعمره لا يتجاوز عشر سنوات ووالدتها كوبية «كاثوليكية» وتم زواج الأب والأم وكل منهما على ديانته وأنجبا «فاطيما» والتي ظلت تذهب مع أمها إلى الكنيسة حتى سن الـ ٢٠ عاما وبعد تأمل طويل قررت أن تكون راهبة.. لكنها - كما تقول - تحرك شيء بداخلها وسمعت ما يشبه صوتاً يناديها لماذا لا تقرأ عن الإسلام وتحاول أن تقترب منه أكثر؟ فكان القرار، وبدأت تتعامل أولاً مع المسلمين قبل أن تقرأ في الإسلام ولكن كان هناك حاجز بينها وبين الإسلام من خلال الصورة التي نقلت عن الأزواج المسلمين من أنهم يمارسون القسوة ضد زوجاتهم.

وتؤكد أنها قررت قراءة القرآن وظلت تدرس الإسلام عشر سنوات قبل أن تدخل في الدين الإسلامي ولكنها عندما نطقت الشهادة كانت لديها قناعة تامة أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأن الدين الإسلامي هو دين الرحمة والسماحة

والطهر والمساواة.. فكان اعتناقها للإسلام هو النور الذي يضيء.

ورسالة فاطيما التي جاءت من أجلها هي تعلم اللغة العربية لتستطيع نشر الإسلام في جميع أنحاء العالم.. وأيضاً تعلم أبناء مصر اللغة الإنجليزية دون مقابل واختارت الإسكندرية مقراً لها لفترة محدودة، لتنطلق منها إلى أماكن أخرى من أجل نشر رسالة الإسلام السامية.

وفاطيما تعيش حياة أبسط مما يتخيل أي إنسان فهي تأكل أي شيء وكل شيء وتسكن في مكان غاية في التواضع.. وتعيش فقط من أجل العمل والصلاة وقراءة القرآن الكريم.

وتزامن وجود.. فاطيما في مصر الآن مع الهجمة الشرسة على الرسول الكريم ﷺ من قبل الغرب وخاصة الرسوم المسيئة لشخص الرسول الكريم في عدة صحف أوروبية.. وحالة الفوضى وعدم الاتزان في التصريحات تجاه هذا الموضوع.. وكذلك الغضب الإسلامي الشديد لعظم مكانة نبيهم ورسولهم الكريم..

قالت فاطيما:

● فجر ١١ سبتمبر ٢٠٠١ العديد من الأسئلة لدى الغرب وليس الأمريكان فقط عن الإسلام.. خاصة أن صورة المسلم كانت لدى الغرب أنه إنسان همجي ومتوحش وإرهابي.. فزادت هذه الصورة سوءاً بعد أحداث ١١ سبتمبر وذلك بفضل الإعلام الأمريكي والغربي الذي يسعى إلى ذلك دائماً ففقد الكثير من المسلمين وظائفهم وتم اضطهادهم بشكل وحشي والناس في الغرب منقسمون إلى ثلاثة أنواع نوع ملحد.. ونوع يستخدم الديانات بدون نقاش لأغراض معينة مثل الزواج وتكوين صداقات ومراسم الجنازات.. والنوع الثالث المتعصب المتشدد وهذا النوع أكثر خطورة.

● لا أقبل أي حرب بين الديانات لأن الله لم يخلق حروباً.. البشر هم الذين اخترعوها من أجل المال والنفوذ.. وخلق الله السلام.

● تحول سياسة الغرب تجاه الدول العربية والإسلامية سببه الرئيسي الإعلام السيىء وعدم وجود ثقافة عند بعض المسلمين للإجابة عن بعض أسئلة الغرب.

● تأثرت الشعوب بسياسة الحكومة وهذا أمر طبيعي وكذلك العداء تجاه المسلمين وهناك في أمريكا والغرب متطرفون أكثر من البلاد الإسلامية والعربية ولكنهم يلعبون لعبة دنيئة جداً حيث يأتون بمجموعة دعاة مسلمين متشددين ويقدمونهم من خلال وسائل الإعلام للغرب وهذا يظهر الإسلام على أنه ديانة متطرفة.

● سبب زيادة المسلمين في الفترة الأخيرة في الغرب هو أن الرسول ﷺ كان قدوة فلم يظلم ولم يقتل ولم يشرب خمراً

ولم يؤذ أحداً وكان كريماً ومتسامحاً وساهم فى نشر هذا فيلم عرض عن الرسول تحت اسم «الإمبراطورية الإسلامية» وكان خير رسول للغرب يوضح صورة الإسلام باعتباره دين التسامح والرحمة.. الفيلم عرض بالتليفزيون الأمريكى.

● الهجوم على الرسول الكريم ليس حرية تعبير ولكنه وقاحة.. فحرية التعبير لها خطوط حمراء.. فماذا لو حدث ذلك مع اليهود.. فلابد من وضع حد لمثل هذه الإهانات والاستخفاف بمشاعر المسلمين وأعتقد أن مثل هذا الحدث هو اختبار لقوة المسلمين وقوة عقيدتهم.

المستشرقون يشوهون الإسلام فى إيطاليا

وعلقت جريدة «اللواء الإسلامى» الصادرة فى ٣٠ / ٣ / ٢٠٠٦ على دراسة للأستاذ الدكتور صلاح رمضان - الأستاذ بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر - تناول فيها الكتب المدرسية الإيطالية التى تقدم صوراً مشوهة عن الإسلام للتلاميذ الإيطاليين من خلال مفاهيم مغلوطة حول مفهوم الجهاد والخلافة وتعدد الزوجات وحرية الاعتقاد والتعبير عن الرأى وغير ذلك من تعاليم الإسلام بشكل مخالف تماماً لما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية وأن ذلك كان له أثر بالغ فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين عند الإيطاليين وأنه خلق نوعاً من العزلة للمسلمين الإيطاليين عن مجتمعهم وبناء مواقف عامة تجاه قضايا المسلمين العالمية على أساس هذه المغالطات والأكاذيب.

وتؤكد الدراسة أن كتب التاريخ الإيطالية تقدم مفهوماً عن الإسلام بطريقة سلبية توحى للقارئ بأن الإسلام دين يدعو المسلمين إلى الإرهاب والقتل وسفك الدماء وأن المسلمين قوم متعطشون لسفك الدماء وكذلك شخصية النبى ﷺ الذى يقدم كرجل حرب، مشيرة إلى أنه تحت تأثير الحملة الإعلامية الغربية ضد الإسلام يقدم الجهاد فى كتب التاريخ المدرسية دائماً على أنه الحرب المقدسة التى يحتم الإسلام على أتباعه القيام بها ضد غير المسلمين لإرغامهم قهراً على اعتناق هذا الدين وذلك من خلال استخدام عبارات تضمنتها الكتب الدراسية الإيطالية مثل التوسع الإسلامى والسيطرة الإسلامية على العالم ولقد عرفت هذه الكتب الجهاد على أنه عدوان واعتداء على الآخرين وحرب مقدسة لنشر الإسلام والدفاع عنه.

وعرضت الدراسة عدة أسباب للظهور المشوه للإسلام فى الكتب الدراسية الإيطالية التى وضعها المستشرقون لإقامة حاجز يمنع معرفة تلك الشعوب للإسلام الصحيح بالإضافة إلى عدم معرفة مؤلفى هذه الكتب بالثقافة الإسلامية وتأثرهم فقط بالحروب الصليبية وعصر الاستعمار وصورة المسلمين المتطرفين فى وسائل

الإعلام وخاصة اليهودية منها.

إن مؤلفى هذه الكتب يخلطون بين الدين الإسلامى والعادات والتقاليد السائدة فى بعض البلدان الإسلامية ولا يميزون بين الإسلام وسلوك بعض المتطرفين الذين يتلاعبون بالدين لتحقيق أهداف خفية.

الحوار الإسلامى أولاً

وأجرت مجلة «الأهرام العربى» الصادرة فى ١١ / ٣ / ٢٠٠٦ حواراً مع السيد شفق جوكتورك سفير تركيا بالقاهرة تحدث فيه عن المبادرة التركية لعقد مؤتمر لدول الجوار العراقى بمشاركة مصر لوقف نار الفتنة بين السنة والشيعة فى العراق.

● وأوضح السفير التركى بأنه فى ظل التطورات الجارية فى العراق وتداعيات الخلاف بين السُّنة والشيعة وتدمير المساجد والمراقد جاءت الدعوة التركية بالتعجيل بعقد الاجتماع رغبة فى بلورة الخطوات الكفيلة بتهدئة الوضع وتوفير الاستقرار فى العراق.

وتهدف مبادرة دول الجوار فى المقام الأول إلى طرح منظور إقليمى مشترك بشأن التطورات الحاصلة فى العراق، وتحظى المبادرة من حيث الدور والتأثير بقبول كبير واسع على الصعيد الدولى أيضاً. وبالتالى يتعين تقييم اجتماع وزراء الخارجية المزمع عقده فى طهران ضمن هذا السياق.

كما أنها تأتى فى إطار الاهتمام الكبير الذى توليه تركيا للعراق وحفاظاً على وحدته واستقراره، وعلى دول المنطقة أن تقدم إسهاماتها الفعالة وفى حينها تجاه تطورات تهم مصائرها وما أقدمت عليه تركيا اليوم ما هو إلا دعوة للتحرك ضمن هذا الهدف انطلاقاً من دورها الإسلامى، وكذلك باعتبارها حلقة وصل جغرافية وسياسية بين الإسلام والغرب.

● وعن الموقف تجاه الحوار الإسلامى مع الغرب فى ظل تداعيات أزمة الرسوم الدنماركية ومطالبة العديد من الدول والجهات ذات الصلة بحوار إسلامى غربى يعتمد آليات جديدة قال السفير التركى:

تصاعد وتيرة الأحداث فى أزمة الرسوم الكاريكاتيرية أظهر الحاجة إلى الحوار ما بين الثقافات وبات أكثر إلحاحاً عن ذى قبل، ولقد دشن السكرتير العام للأمم المتحدة كوفى أنان فى يوليو ٢٠٠٥ مبادرة تحالف الحضارات برعاية إسبانيا وتركيا من أجل تلبية هذه الحاجة الملحة للحوار.

وتستهدف تلك المبادرة الإسهام فى تحقيق حوار شامل ومتناغم يرتكز على احترام حقيقى متبادل وذلك من خلال تأكيد القيم المشتركة لثقافتنا وأدياننا وهو ما اصطلح على تسميتها «القيم» التى منبعها الضمير والحكمة.

مراقد الصحابة في المملكة الهاشمية

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

ذكرت فى أعداد سابقة من مجلة «الأزهر» الغراء أن ثرى المملكة الأردنية الهاشمية يضم أجساد كثرة كثيرة من الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وعرّفت بأمكانهم قدر المستطاع.

وكما أن هذا الثرى طاب بالأنبياء.. عَمُر وتعطر بأجساد ثلة من أصحاب النبى ﷺ كما أننى طيبت ممشاى بالسعى إليهم وعطرت الفؤاد، وكحلت العين بزيارتهم والمثول بين أيديهم.. وتحدثت عن المشاهد والتاريخ قدر ما استطعت لمن شرفت بزيارتهم.

واليوم نتناول شخصية ممن عمرت بهم أرض المملكة نحاول أن نستجلى معالم النور من خطوها المبارك وهى تصنع التاريخ الإسلامى الناصع وتعلى بناء الحضارة الإسلامية.. تلك الحضارة التى تمتاز بأن ظاهرها ناصع مشرق.. وباطنها نقى طاهر.. وبهذا تختلف عن كثير من الحضارات والدعوات التى علت وارتفعت بكثير من الضجيج والصياح!! فهى لا تعدو أن تكون تقدما ماديا أجوف!! لم يقدم للإنسان شيئا يُسعد روحه.. ويُنمّى نوازع الخير داخله.. إنما كل همها أن كرست فيه الأنانية وحب السيطرة والاستعلاء.. كما أنها أكسبته مهارة المراوغة والخداع.. جعلته يُفسِدُ فى صلف.. ويدمر فى جشع.. ويقتل فى حقد ثم يزعم أنه ما يريد إلا الإصلاح.. وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾

(البقرة: ١١، ١٢)

فبعد مذابح العراق وتدميره وفضائح السجون والمعتقلات داخل العراق وخارجه وكذب الزعم بوجود أسلحة الدمار الشامل بكل وقاحة وبلا حياء.. تقف وزيرة خارجية الطغيان كله - لتقول وتعترف - تريد أن تخلى بلدها وحلفاءها من المسئولية بعبارات ساذجة جوفاء هى فى الواقع دليل إدانة.. حيث إنها تعترف بأن آلاف الأخطاء ارتكبت فى غزو العراق[1].

***

يذكر التاريخ أن آخر جيش سيَّرَهُ النبى ﷺ فى حياته كان على حدود الجزيرة العربية شمالا على مشارف الشام فى موقعة تسمى فى التاريخ الإسلامى «غزوة مؤتة».. حيث إن جيش أسامة بن زيد الذى كان آخر جيش جهزه رسول الله ﷺ فى حياته إلا أنه خرج فى خلافة الصديق - رضى الله عنه - بعد انتقال النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى - سبحانه.

● قال صاحبى: حدثنى عن مؤتة وعن قادتها؟

●● قلت: أما قادة مؤتة فهم كما سمّاهم النبى ﷺ على الترتيب هم: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبدالله بن رواحة.

يروى ابن كثير[2] عن الواقدى.. يقول: حدثنى ربيعة عن عمرو بن الحكم عن أبيه قال: جاء النعمان بن فنحص اليهودى، فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس.. فقال رسول الله ﷺ: زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد فجعفر بن أبى طالب، فإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة، فإن قتل عبدالله بن رواحة فليرتضى المسلمون رجلا فيجعلوه عليهم، فقال النعمان بن فنحص اليهودى يخاطب النبى ﷺ أبا القاسم إن كنت نبيا فلو سميت من سميت قليلا أو كثيرا لأصيبوا جميعا.. ثم قال - يذكر علامة الأنبياء فى بنى إسرائيل - إن الأنبياء فى بنى إسرائيل كانوا إذا سمّوا الرجل على القوم - يعنى إذا جعلوه قائدا عليهم - فقالوا إن أصيب فلان ففلان، فلو سمّوا مائة لأصيبوا جميعا، ثم جعل يقول لزيد اعهد - أى اذكر وعيّن وصيتك - فإنك لا ترجع أبدا إن كان محمدٌ نبيا.. فقال زيد: أشهد أنه نبى صادق بار ﷺ يعنى أن زيداً - رضى الله عنه - كما رأيت يعلم أنه سوف يستشهد ومع هذا يسير إلى المعركة غير هياب.

●● قلت لصاحبى: أما عن مؤتة - مكان المعركة - هى قرية تقع فى محافظة

(١) وكالات الأنباء العالمية بتاريخ ٢٠٠٦/٤/١م.

(٢) البداية والنهاية جـ٢ ص٦٨٦ «وقال رواه البيهقى».



الكرك جنوب عمّان – عاصمة المملكة الأردنية – بمسافة مائة وعشرين كيلومتراً تقريبا، الطريق إليها مرصوف ناعم، يتلوى يمنة ويسرة في ارتفاع وانخفاض لكنه إلى الارتفاع أميل، فما أن ينحدر منخفضا إلا ليعاود الارتفاع حتى يتسلق قمم الجبال، وأقيمت هناك جامعة مؤتة، وقرية المزار وفيها مساجد باسم القادة الثلاثة.. زيد بن حارثة.. وجعفر بن أبي طالب.. وعبدالله بن رواحة.

***

كما أرجف المستشرقون طولا وعرضا في النَّيل من الإسلام، وكثرت سهامهم أو سمومهم خصوصا في تاريخ الدعوة وجهاد النبي ﷺ وصحبه، وهالهم أن الإسلام يزداد قوة وأن الدعوة تنتشر طولا وعرضا وعمقا.. نعم عمقا.. كما هالهم أن يصيبهم في العمق رغم ضجيج الإعلام وزيف الدعاية الغربية.

● قال صاحبي: زدني وضوحا؟؟

●● قلت: أقصد بالعمق تلك الشخصيات المرموقة ذات المكانة العالية والعقل الراجح التي اعتنقت الإسلام عن قناعة ورضا وحب، فليست شخصيات عادية أو أناس في حاجة إلى معونة!! لا.. إنهم أفذاذ ليس في بلادهم فقط ولكن على مستوى العالم.. أمثال جارودي.. ذلك المفكر والفيلسوف الفرنسي العظيم.. وأيضا ذلك الألماني النابه مراد هوفمان سكرتير حلف الناتو والذي كتب مذكراته تحت عنوان «يوميات ألماني مسلم»!!.

ماذا فعل الغرب الذي يدّعي الحرية ويزعم أنه لا يعرف التعصب؟؟، هاجم جارودي وقدمه زورا إلى محاكمة غوغائية همجية وحكم عليه بغرامة مالية باهظة ومنعت كتبه وهددت المطابع ودور النشر التي تطبع كتبه وتوزعها.. لكن الكتب لم تستطع قوى الطغيان أن تمنع ظهورها خارج بلاد الغرب فإن الفكر لا يصادر مهما ارتفعت جدران السجون أو تعددت زنزانات الطغيان.

وهوفمان لم يكن أحسن حظا من سابقه.. فلقد أقيل من منصبه وأحيل إلى التقاعد الجبري.. وهكذا يفعل العالم الذي يسمي نفسه متحضرا ويدعي أنه العالم الحر.. وهو عالم القهر والتضليل.

●●●●●

زعم المستشرقون والمرجفون أن غزوة مؤتة كانت طموحا أو تطلعا من النبي ﷺ في التوسع بعد أن دانت له الجزيرة العربية.

لكن الواقع الذي سجله التاريخ يفيد أن جرثومة الغطرسة تجري في عروق الغرب من قديم الأزل ونقض العهود ديدنهم ماداموا أقوياء.. وأن الغدر شيمتهم ماداموا يملكون وسيلة الوصول إلى أغراضهم.. أما رسول الله ﷺ

والمسلمون فإنهم حملة دعوة، أصحاب مبادىء، يضيئون بدعوتهم جنبات العالم، ويخاطبون ويُنَمّون ويبعثون إنسانية الإنسان، فالمجتمع الإسلامي نظيف نقي لا يعرف الغدر.

أما عن سبب غزوة مؤتة فلم يكن توسعا ولا طموحا مستبداً.. إنما هو سعي في نشر الدعوة – كما هو الشأن في جهاد النبي كله والمسلمون من بعده – قال محمد بن سعد: أنبأنا محمد بن عثمان، حدثني ربيعة بن عثمان، عن عمر بن الحكم قال: بعث رسول الله ﷺ الحارث ابن عمير الأسدي إلى ملك بُصرى بكتابه فلما نزل مؤتة عرض للحارث شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟؟ قال: الشام.. قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم.. فأمر به فضربت عنقه. ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره.. وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه وندب الناس فأسرعوا وكان ذلك سبب خروجهم إلى غزوة مؤتة(٣).

فبالله عليك هل ترى في سبب خروج جيش النبي ﷺ طموحا في التوسع أو رغبة في السيطرة؟؟ أم أنك ترى معي أنه بعد قتل رسول الرسول وبلغة العصر السفير.. ألا ترى أنه لزم التأديب ووجب رد المتغطرسين وإلا فإن السكوت يصبح في هذه الحالة جبنا.. والعفو عجزا.. فجهز النبي ﷺ جيشا لردع هذا الغدر الخسيس..

ودائما أقول إن التاريخ الإسلامي كُتب بأمانة لكن علينا أن نفهمه بيقين، وأن نعرضه بوعي، فواجب أن نفهم أن حقيقة جهاده ﷺ إنما كان لنشر الدعوة وإصلاحا لفساد وقهراً للظلم وإقامة للعدالة في معاملة الناس تحقيقا لقوله ﷺ: «الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله»(٤).

لكن من هو قائد الجيش في هذه المعركة.. هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي من بني معن بن طيء.. قدمت به أمه سُعدى تزور قومها فأغارت عليهم خيل فاحتملوا زيدا فأتوا به سوق عكاظ وعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة أم المؤمنين – رضى الله عنها – وذلك قبل البعثة، فلما تزوجها النبي ﷺ وهبته له وتبناه النبي ﷺ على عادة الجاهلية وأصبح يدعى زيد ابن محمد.. يقول ابن عمر – رضى الله عنه – ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزل قوله – تعالى:

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي جـ١ ص٤٤٧.

(٤) كشف الخفا ٢/ ١٨٤٥.

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾

[الأحزاب: ٥]

يروى أنه حج ناس من قوم زيد فتعرفوا عليه وأعلموا أباه به، فخرج حارثة لفداء ولده حتى قدم مكة فسأل عن النبى ﷺ قيل هو فى المسجد فدخل عليه فقال: يا ابن عبدالمطلب يا بن سيد قومه.. أنتم أهل حرم الله تطعمون العانى وتفكون الأسير.. جئناك فى ولدنا عبدك فامنن علينا وأحسن فى فدائه.. فقال ﷺ وما ذاك؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال ﷺ أو غير ذلك؟؟، ثم قال ﷺ: ادعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى فداء.. قالوا: زدتنا على النَّصف - أى عاملتنا بما هو أفضل من الإنصاف - فدعاه النبى ﷺ فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: هذا أبى وهذا عمى - وعمه قد كان جاء مع أبيه.

قال النبى ﷺ: فأنا من قد علمت وقد رأيت صحبتى لك، فاخترنى أو اخترهما؟ فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحدا!! أنت منى بمكان الأب والعم.. فقالا: ويحك يا زيد.. أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟.

قال: نعم.. إنى قد رأيت من هذا الرجل - يقصد النبى ﷺ شيئا ما أنا بالذى أختار عليه أحدا.. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجْر - حجر إسماعيل داخل المسجد الحرام - فقال: اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه.. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.. ومنذ ذلك الحين أصبح يدعى زيد بن محمد حتى جاء الإسلام.

وكان أول من أسلم من الموالى.. وشهد بدرا وما بعدها.. واستشهد فى مؤتة وهو أمير على الجيش.. واستخلفه النبى ﷺ فى بعض أسفاره.. ويروى أنه لم يخرج زيد فى سرية إلا أمّره عليهم ولو بقى لاستخلفه بعده.. وعن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله ﷺ ويروى أن رسول الله ﷺ قال له: «أنت مولاى ومنى وإلىّ وأحبُّ الناس إلىّ»(٥).

أما عن المعركة وما دار فيها، فقد كانت عدة جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل ودعنى أسألك: كم تتخيل عدد جيش العدو؟؟ عشرة آلاف.. مثلا.. لا بل عشرون ألفا.. لا بل خمسون.. أو سبعون.. لا بل مائة ألف.. وقيل إن مددا آخر قوامه مائة ألف.. فجيش العدو

(٥) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة جـ١.



أصبح قوامه مائتا ألفا.. فقال المسلمون: نبعث إلى رسول الله ﷺ لأنهم رأوا عددا مهولا وعتادا وعدة.. فوقف الفارس الشجاع عبدالله بن رواحة يقول: يا قوم والله إن التى تكرهون هى التى خرجتم لها تطلبون.. الشهادة.. ثم يعلن مبادىء الإسلام فى القتال.. فيقول: ولا نقاتل الناس بعدد ولا كثرة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به.. فإن يظهرنا الله عليهم فهو النصر.. وإن تكن الأخرى فهى الشهادة.. فقال الناس: والله لقد صدق ابن رواحة.. فانشمر الناس وهم ثلاثة آلاف حتى لقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء.. ثم انحازوا إلى مؤتة..

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين.. رأينا ما لا قِبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والذهب فبرق بصرى فقال لى ثابت بن أقرم: مالك يا أبا هريرة كأنك ترى جموعا كثيرة؟ قلت: نعم.. قال: ألم تشهد بدرا معنا؟؟.. إنا لم نُنصر بالكثرة.

هذه هى عقيدة المسلمين.. الشهادة فى سبيل الدعوة.. تلك التى لا يستطيع الغرب أن يستوعبها.. فهى أسمى ما يتمناه المحارب فجهاد المسلمين وفتوحهم فتوح علم وسلم وعدالة وسماحة.. لا فتوح علو وعتو وإشباع للغرائز الجامحة واستنزاف للدماء والثروات. والنصر على الأعداء لا يكون بالكثرة، إنما بتقوى الله - تعالى - وصلاح الجند واستقامتهم مع الله.. زيد بن حارثة تبناه النبى ﷺ ثم زوجه الشريفة ذات النسب السيدة زينب بنت جحش ثم طلقها زيد وأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه بزواجها إبطالا لعادة التبنى التى كانت معروفة فى الجاهلية، وأنزل فى ذلك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

وزيد بن حارثة هو الصحابى الوحيد الذى ذكر اسمه صريحا فى القرآن الكريم لم يذكر فى القرآن غيره، وتزوج النبى ﷺ زينب بنت جحش، رغم عادة الجاهلية ولم يبعث ﷺ إلا ليهدم عادات الجاهلية.

رضى الله عن سيدنا زيد بن حارثة وسلام عليه فى الخالدين وإلى لقاء آخر مع ثانى قواد مؤتة - رضى الله عنهم - جميعا.

❊❊❊

متى تعود للأمة ريادتها العلمية والتقنية

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

سبقت حضارتنا العربية الاسلامية الى تأسيس المجتمع الصناعى والتقنى على أساس العلم والخبرة، وذلك قبل ظهور ما يسمى بالثورة الصناعية فى أوروبا بعدة قرون، ثم الثورة التقنية بعد ذلك، فقد اهتم الخلفاء وكبار رجال الدولة الاسلامية بالعمل على الاستثمار الجيد لثروات الأمة الاسلامية، انطلاقا من اعتبار الصناعة موردا مهما من موارد «الدخل القومى» بتعبير الاقتصاديين المعاصرين.

صناعة الزجاج نموذجا

من الصناعات التى ازدهرت ـ على سبيل المثال ـ فى عصر الحضارة العربية الإسلامية صناعة الزجاج التى لايزال المعروض منها حتى الآن فى متاحف العالم المختلفة خير شاهد على خصائص الزجاج الفريدة فى كل مراكز انتاجه وصناعته، فقد انتشرت صناعة الزجاج فى مدن إسلامية عديدة مثل الموصل والنجف وحلب والرقة وصور وعكا والخليل والرصافة والقاهرة والإسكندرية، إلى جانب صناعته فى فارس والمغرب وأسبانيا وبقية البلدان الإسلامية، وكانت صناعة الزجاج الدمشقى مشهورة فى التاريخ الإسلامى، وبقيت سورية البلد المصنع الأكبر للزجاج طوال عدة قرون حتى ظهور صناعة الزجاج في البندقية خلال القرن الثالث عشر الميلادى. كما كان الزجاج المصنوع فى سامراء منذ القرن الثالث الهجرى «التاسع الميلادى» لا ينافس فى جودته، واشتهرت الآنية الزجاجية المحفورة من القوارير التى كانت تصنعها سامراء بأنها تشابه البلور الصخرى فى السمك والأحجار الكريمة في لونها القاتم، وقد ذكرت المخطوطات العربية أهمية «الماجنيزيا» «أكسيد المنجنيز» كمادة مضافة إلى العناصر الرئيسية فى صناعة الزجاج لانتاج نوعية ممتازة من

الزجاج الشفاف النقى غير الملون، أما الألوان فيمكن الحصول عليها عند الحاجة بإضافة كميات قليلة من الأكاسيد المعدنية التى تعمل على تلوين الزجاج باللون الأسود أو الأزرق الياقوتى أو الأحمر القرميدى أو الأصفر الكهرمانى أو الأخضر الفستقى، أما الصقل والتلميع والطلاء بالذهب فكانت من إنجازات المسلمين الرفيعة فى صناعة الزجاج بشقيه: الملون والعادى، مثال ذلك: الآنية الزجاجية المستخدمة للشرب أو فى مصابيح الإنارة بالجوامع، وغيرها، وكانت مصانع الزجاج الإسلامية ذات حجم كبير يكفى للأغراض التجارية ولتشغيل عدد كبير من العمال.

قد انتقلت تقنية صناعة الزجاج من العالم الإسلامى إلى العالم الغربى فى القرن الخامس الهجرى «الحادى عشر الميلادى» عندما أنشأ الحرفيون المصريون مصنعين لإنتاج الزجاج فى بلاد اليونان، ثم خربهما النورمان أثناء غزوهم عام ١١٤٧م، فتحول العمال المهرة صوب الغرب ليسهموا فى نهضة صناعة الزجاج التى شهدتها أوروبا بعد ذلك، كما أن الغزو المغولى إبان القرن الثالث عشر الميلادى دفع أعداداً كبيرة من خبراء صناعة الزجاج فى دمشق وحلب إلى اللحاق بمراكز صناعته فى الغرب، ويبدو أيضا أن بعض جوانب هذه التقنية الإسلامية انتقلت إلى الغرب بسبب الاتصال الذى حدث خلال الحروب الصليبية وبعدها وفوق هذا كله، أوردت بعض المصادر أن فن صناعة الزجاج الدمشقى انتقل إلى البندقية بموجب معاهدة تم التوصل إليها فى يونيو ١٢٧٧م بين كل من «بوهيموند السابع» Bohemond VII أمير أنطاكية الشرقى و«دوق» البندقية، وكان كل ما يلزم هذه الصناعة يستورد مباشرة من سورية، بما فى ذلك المواد الخام، إلى جانب الحرفيين أصحاب الخبرة العالية والمهارة المتميزة وحفظت البندقية أسرار هذه التقنية الإسلامية الخالصة وأحاطتها بعناية فائقة وظلت محتكرة لها فى أوروبا إلى أن عرفتها فرنسا فى القرن السابع عشر الميلادى، ثم واصلت صناعة الزجاج تطورها فى العصر الحديث بظهور أنواع جديدة.

ففى عام ١٨٨٤م اكتشف كيميائى ألمانى يدعى «أوتوشوت» أن إضافة أكسيد البورون إلى الزجاج فى أثناء صهره يحسن كثيرا من خواصه الحرارية، وأقام مصنعاً فى مدينة «يينا» لصنع هذا النوع من الزجاج المعروف باسم «زجاج يينا» وقامت شركة «كورنتج» الأمريكية فى عام ١٩١٥م بانتاج نوع جديد من زجاج البوروسيليكات أطلق عليه اسم «بايريكس» ويستخدم فى صنع أوانى الطهو وأجهزة المعامل وغيرها، وعندما تضاف إلى الزجاج عناصر الفلور والزنك

والألومنيوم، يُنتج زجاجا أبيض غير شفاف يعرف باسم زجاج «الأوبال»، ويستخدم فى صنع بعض المصابيح الضوئية، وهناك أنواع أخرى عديدة من الزجاج الذى يتميز بصلابته العالية وخواصه الضوئية الجيدة، وتصنع منه المرايا العاكسة للمقاريب «التلسكوبات»، وإطارات خاصة لنوافذ مكوك الفضاء، وتغليف مقدمات الصواريخ، وفى عام ١٩٣١م أمكن تحضير «الألياف الزجاجية» بسحب الزجاج المنصهر إلى خيوط رفيعة يمكن لفها على بكرة، وتستخدم فى أغراض عديدة، مثل صنع بعض المنسوجات، ونقل إشارات التليفون والتليفزيون، كما تستخدم فى صنع المناظير الطبية والمجاهر «الميكروسكوبات» والحاسبات الالكترونية، وهناك ما يسمى «الزجاج الرقائقى» فائق الصلابة الذى يستعمل فى صنع بعض هياكل السيارات والطائرات وسفن الفضاء، ولايزال الباب مفتوحا على مصراعيه لصنع أنواع جديدة من الزجاج تحقق بعض أحلام الإنسان وطموحاته فى المستقبل.. فهل سيدور الزمان دورته وتعود الريادة فى هذه الصناعة مرة أخرى للمسلمين؟!

الطريق إلى توطين العلم والتقنية فى بلاد المسلمين

إن الطريق إلى توطين العلم والتقنية فى بلاد المسلمين يتطلب فهماً سليماً لطبيعة العلاقة الصحيحة بين تطور العلم من جهة، واستحداث أجيال تقنية جديدة من ناحية أخرى، هذا بالإضافة إلى التشخيص السليم لواقع البحث العلمى فى العالم الإسلامى، ووضع تصور لحل إشكالية التدريب على الأجهزة العلمية المتقدمة بحيث يحقق الباحث دائما أفضل الفرص والنجاح، ويؤتى البحث العلمى ثماره المرجوة فى التنمية المستدامة للمجتمع الإسلامى ودفع حركة التقدم الحضارى على جميع المستويات، ذلك أن العلم والتقنية من النشاطات الإنسانية التى لا يمكن ازدهارها إلا إذا حظيت بالرعاية والأولوية على ما عداها لتحقيق القفزة الحضارية اللازمة لمواكبة حركة العصر، فإذا كان العلم كمنهج ونشاط اجتماعى يعتبر بمثابة المحرك الضرورى لعملية النمو الاقتصادى والاجتماعى فى كل بلد متقدم، فإن حدوث اكتشافات علمية بين الحين والحين لا يؤثر فقط فى طبيعة فهم الإنسان ورسم تصوراته بالنسبة للعالم من حوله، بل يؤدى أيضا إلى كشف مناطق جديدة من المعلومات والاحتمالات التطبيقية التى سرعان ما تتحول إلى وسائل وأدوات تقنية جديدة للانتاج والخدمات، ومن هنا أصبحت التقنيات تمثل المقدرة على تحويل الإبداع العلمي إلى أهداف اجتماعية مفيدة، وفى ضوء هذه المعانى ينبغى فهم رسالة العلم فى أحد جوانبها المهمة على أنها أداة أساسية لتحويل التقنية إلى قوة عاملة وفعالة فى تطوير حركة المجتمع نحو الأفضل.



ولما كانت العلاقة بين العلم والتقنية عبر تاريخها الطويل علاقة متبادلة، أخذاً وعطاءً، على فترات متباعدة فى بادىء الأمر، ثم متقاربة تدريجيا بعد ذلك، فإن الناظر لطبيعة هذه العلاقة في عصرنا يجد أنها أصبحت أكثر التحاماً من ذى قبل، ذلك أن التقنية، أو التكنولوجيا ـ بحكم مقطعيها ـ أصبحت تستخدم بمعنى علم «التطبيقات العلمية على نطاق واسع»، أى دراستها المنظمة وفق أسس وقواعد ومناهج علمية، بالإضافة إلى استخدامها للتعبير عن عملية الانتاج التقنى، وهذا يعنى أن التقنية أصبحت قائمة على العلم، وهو تصحيح للمفهوم الشائع حاليا للتقنية التقليدية المتضمنة فى «المهارة الحرفية»، وهكذا يكون الفهم الدقيق لثنائية العلم/ التقنية، والإلمام الواعي بالخصائص المميزة لكل من عنصريها من المطالب الأساسية عند وضع أى استراتيجية لتنمية القدرات العلمية والتقنية فى العالم العربى والإسلامى.

يقودنا فهم طبيعة العلاقة بين العلم والتقنية على النحو الذى أوضحناه إلى أهمية تفنيد مقولة «نقل أحدث تكنولوجيا العصر»، باعتبارها مقولة مضللة يظل الآخذون بها مجرد سوق استهلاكية لتصريف ما ينتجه الآخرون من تقنيات متقدمة، ذلك أن عملية «نقل التكنولوجيا» أصبحت من أكثر العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية خطورة، وأبعدها أثراً، وأكثر مدعاة للحذر والوعى والرقابة وينبغى عند البحث عن سبل التنمية فى الدول النامية عموماً ـ ومن بينها معظم بلدان العالم الإسلامى ـ أن يبدأ التخطيط لإنتاج التقنية باتباع أسلوب وسط، يعمل على بناء القدرة التقنية الذاتية ودعمها وتطويرها، وذلك من خلال انتقاء التقنية الملائمة المنقولة وتطويعها، مع تطوير التقنية المحلية وتشجيع الإبداع التقنى، على أن يتم ذلك كله فى مرحلة من التحول التقنى تحدد معالمها استراتيجية عامة رشيدة للبحث العلمى والتقنى وفى كل بلد إسلامى حسب إمكانياته، وبالتنسيق والتكامل مع باقى البلدان الإسلامية من دون عزلة عن العلم العالمى، عندئذ يكون تطبيق شعار «نقل التقنية أفقيا ورأسيا» من أهم عوامل الإسراع باستيعاب ما تتطلبه التنمية الشاملة المستدامة للمجتمعات الإسلامية من أحدث التقنيات التي توفر الجهد والوقت، وعندئذ فقط يبدأ الطريق الحقيقى نحو إنتاج التقنية وتوطينها وتجديدها وتكاثرها فى العالم الإسلامى، ذلك أن العلم والتقنية من النشاطات الإنسانية التي لا يمكن ازدهارها إلا إذا حظيت بالرعاية والأولوية على ما عداها لتحقيق القفزة الحضارية لمواكبة حركة العصر وركب المتقدمين.



المعرفة الإنسانية بين فطرة التوحد وافتعال التفرق

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

على قدر علمنا المتواضع فإننا نرى أن منطلقات المعرفة البشرية تلازم وتلائم مقومات الكيان البشري في تواؤم واتساق، وأن هذا يتفق مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، فهو سبحانه بارىء هذا الكيان الآدمي، كما أنه جل وعلا هو خالق المجالات المعرفية جميعاً، وهو الذي لا يحض فقط بل يأمر الإنسان بمعالجة هذه المجالات والبحث فيها في دأب واصطبار حتى يكتشف ما يعينه على التزود بالتقوى وبالتعمق في الإيمان، وبالتالي ما يمده بالطاقة الحيوية النشطة التي تدفعه إلى السعي وتشجعه على العمل المتواصل لعمارة الأرض في إطار التكليفات الربانية الحكيمة التي تضع هذا الإنسان دائماً على صراط الدنيا وتجتاز به صراط الآخرة.

مقومات الكيان البشري

ونرجو أن تكون هذه المقدمة التي فرضت نفسها في مستهل هذه السطور قد مهدت لما نريد بسطه في هذا المجال فنعود إلى التساؤل: كيف تتلازم منطلقات المعرفة البشرية ومقومات الكيان البشري؟

ولعله من المفيد أن نوجز منطلقات المعرفة البشرية في ثلاثة مجالات هي:

- أولاً ما يسمى «بالعلم الطبيعي»
- ثم ما يطلق عليه «التفلسف».
- ثم ما يعرف «بالتصوف».

ولعله من المفيد أيضاً أن نقابل هذه المجالات بما يوائمها من مقومات الكيان الإنساني فنوجزها في ثلاثة مقومات أيضاً هي:

- «الحواس الجسمية»
- و«العمليات العقلية»
- ثم «الروح» التي نبادر بادىء بدء فنقول إنها من أمر ربي والتي دلنا عليها سبحانه بآثارها دون أسرارها، وحسبنا تصديقاً لهذا قول ربنا سبحانه

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(سورة الإسراء: ٨٥)

هذا وقد آثرنا هنا ذكر هذه المجالات المعرفية وحدها دون غيرها وذلك دون إغفال أو إهمال لأنها عناوين كبرى في مجالات العلم والمعرفة.

وندعو الحق - عز وجل - أن يوفقنا بتوفيقه العظيم في معالجة هذا الموضوع الواسع، والمجال الشاسع في حيز بسيط غير مبسوط إن قل في الكم فقد دل في الكيف، فنضعه أمام مرآة (مقعرة) كما يسميها العالم المسلم «الحسن بن الهيثم» رائد علم الضوء في كتابه الأشهر «المناظر» ففي المرآة المقعرة تتجمع الأشعة ولا تتفرق ويمكنها بهذا أن تجمع (منظر) الشمس مثلاً ذلك الجرم الهائل في حيز محدود بقدر ما يدركه الإمكان المحدود.

ونحن بهذا نستبعد ما يثار حول هذه المسائل من جدل تزدحم به الهوامش والحواشي قبل المتون تاركين ذلك لهواة التوسع والتخريج من المتخصصين وغير المتخصصين وكثير ما هم، ملتزمين باصطناع الخط المستقيم الذي هو أقصر الخطوط وأقرب المسافات بين نقطتين كما يقول أيضاً العالم المسلم «الخوارزمي» رائد علوم الرياضيات وصاحب علم «الهندسة التحليلية» التي تقرن بين الكم المنفصل «الحساب والجبر» والكم المتصل «الهندسة والميكانيكا» والتي نُسبت في غفلة منا للفيلسوف الفرنسي (الشاك) رينيه ديكارت.

ولعله من المفيد أن نضع فيما يلي الخطوط التوضيحية لبيان العلاقة بين منطلقات المعرفة البشرية ومقومات الكيان البشري.

منطلقات المعرفة البشرية	مقومات الكيان البشري
العلم الطبيعي	الحواس + العقل
التفلسف	العقل المجرد
التصوف	الروح

العلم الطبيعي يعتمد على الحواس

ونرى هنا أن العلم الطبيعي (من فيزياء وكيمياء وأحياء) كأحد منطلقات المعرفة البشرية، يعتمد في الكيان

البشرى على الحواس بالدرجة الأولى، ففى المختبر حيث إجراء التجارب على الظواهر «الطبيعية» يستخدم الباحث ما لديه من حواس ليلحظ بها خطوات التجربة ونتائجها، فهو مثلا يشاهد ذلك ببصره، ويستمع إليه بسمعه، وأحيانا يشمها بأنفه وغير ذلك، ثم يحيل هذه المحسوسات الجزئية إلى (حاسوب العقل) الذى يعمل فيها ما يملك من قدرات لتتحول بالتالى إلى مدركات عقلية معنوية كلية تسمى «بالقوانين العلمية» أو «السنن الكونية» حيث يمكن من خلالها فهم أية محسوسات جزئية أخرى مشابهة لم تقع من قبل ضمن عملية التجريب، ومثال ذلك أن نكتشف (بالتجربة) أن نقطة الماء (أ) تتألف من جزء من الأكسجين وجزئين من الأيدروجين، وأن نقطة الماء (ب) كذلك و (جـ) كذلك، وعندئذ يقول لنا العقل بالتعميم المعنوى والإدراك العقلى أن كل نقطة ماء تتكون مما تكونت منه أ، ب، ج للاشتراك فى الخصائص والمقومات بين كل منها»، وهنا يمكن تطبيق هذه القاعدة العقلية أو ما نسميه (بالقانون العلمى) على أية نقطة مياه لم نجر عليها التجربة، وهذا ما يسميه العلماء حينا والمناطقة حينا آخر بتكامل الاستقراء (العلمى) والقياس (النظرى) فى خدمة المعرفة، ويذكر القرآن الكريم ذلك كله فى إيجاز وإعجاز:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٦)

فأنت مسئول عما تتلقى بحواسك، وتستنتج بعقلك، ومسئول أيضا عن مدى إفادتك وإفادة الآخرين بما تصل إليه من نتائج، وحسن اصطناع هذه النتائج للبنيان والعمران وليس للتدمير والخسران.

وينبغى ملاحظة أن كل حيوان يسمع، ويرى، ولعله (يميز أحيانا) بين ما يراه وبين ما يسمعه ولكنه أبدا لا يستطيع توظيف حواسه تلك فى استنتاج الكليات من الجزئيات، ومن هنا ظلت علاقات الحيوانات تنظمها (تجمعات) جامدة وليس (مجتمعات) متطورة، ونتأمل هذا فى إضافة القرآن الكريم لكلمة (الفؤاد) إلى الحواس لأن الفؤاد (وهو فى بعض معانيه العقل) هو الذى يميز الإنسان عن الحيوان ويقوده إلى التطور والتغير ولا سيما إذا أحسن الإنسان اصطناع عقله وتوظيفه كما أسلفنا فيما يفيد وفيما يدور فى إطار (المسئولية) التى أرادها الحق سبحانه له.

وهذا بعض ما أردنا أن نسوقه فى علاقة الحواس (مع العقل) فى مجال العلم (التجريبى).



التفلسف يعتمد على العقل

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى التعرف على علاقة العقل (المجرد) بمجال التفلسف، حيث يقال أن التفلسف يقوم على (التأمل)[1] الذى هو فى بعض معانيه (انعكاس الفكر على نفسه) أو (تقويم الفكر لنفسه) فى مسألة ما مما يجعل المتفلسف (ولا أقول هنا «الفيلسوف» لأن هذا شىء آخر) يتراجع فى كثير من الأحيان عما سبق له من قول أو رأى أو وجهة نظر كما نطالع فى تاريخ أصحاب هذا الفن قديما وحديثا.[2]

ونحن نقول بارتباط التفلسف بالعقل فقط لأن العقل هو الذى يمكنه أن ينظر إلى الأمور (نظرة كلية) كما أنه يستطيع أن يكون (وجهة النظر) فى أية مشكلة، وأبرز من هذا وذاك أن العقل يمكنه أن يخترق الظواهر المحسوسة إلى الجذور المعنوية والأصول العميقة للمشكلات وذلك ما يسميه المشتغلون بالفلسفة (العلل البعيدة)، فالتأمل والنظرة الكلية وتكوين وجهة نظر «ومحاولة» البحث عن العلل البعيدة للمشكلة هى آليات التفلسف وهى آليات يمسك بها العقل ليضع الإنسان المتفلسف فيما يحاول أن يصل إليه.

وهكذا نرى أن العقل عنصر فريد فى التفلسف وهو عامل (قائد) فى اكتشاف القانون العلمى فى البحث التجريبى، جُنده الحواس التى تعمل من أجله حيث يقوم عملها ويتوج جهدها بالتنظير والتعميم، وإذا لم تدفع الحواس إلى العقل بمعطياتها فالأولى بها أن تكون فى حيوان أعجم لا إنسان يبدع ويبتكر ويتطور ويهتدى إلى خالقه- عز وجل- الذى يباهى ملائكته الأبرار بسلالة آدم المؤمنين:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(آل عمران: ١٩١)

التصوف يعتمد على القوة الروحية

ثم نأتى بتوفيقه تعالى إلى المنطلق الثالث فى المعرفة البشرية وهو منطلق «التصوف» الذى هو المشعل الذى يحمل نورانية العنصر الثالث فى الكيان الإنسانى وهو «الروح» بقدر ما يتجلى الحق سبحانه على عبده الصالح فيؤتيه رحمة من عنده ويعلمه من لدنه علما.

ولقد فهمنا عن حجة الإسلام «الإمام الغزالى» رحمه الله وغفر له أن قوى الإنسان ثلاث: قوة جسمية، وأخرى عقلية، وثالثة روحية، ولكل قوة منها رياضتها التى تقويها وتدعمها وتشد أزرها وتجعل صاحبها الذى

---

(١) Contemplate

(٢) من أشهر ما يتضح ذلك عندهم «أرسطو» فى الفلسفة الإغريقية، و«روسو» فى الفلسفة الحديثة.

يمارس هذه الرياضة متميزاً على غيره من الذين يقعدون عن ممارستها ويتكاسلون في رعايتها والعناية بها:

● فالذى يمارس «الرياضة الجسمية» في حمل الأثقال مثلاً قد وُهب القدرة على حمل أكبر قدر من الأوزان، بينما غيره لا طاقة له بحمل نفسه ليس إلا، فذلك متميز على غيره في هذه الاستطاعة البدنية.

● والذى يمارس «الرياضة العقلية» كمداومة التأمل ومواجهة الأُحجيات والرياضيات وغير ذلك قد ازداد عقله بسطة وقوة و مقدرة، فهو يتفوق على غيره في هذا المجال إذ أنه عبقرى العقل في تحليل المشكلات، وفهم العلاقات، وتعليل المعلولات فهو في هذا بالنسبة لغيره فارس الميدان وحجة البرهان.

● وأما الذى شرح الحق صدره للرياضة الروحية من عمق الشعور بالعبودية ومداومة الحنين إلى الحضرة الإلهية، والاستغراق في التعامل مع الدنيا بروح الآخرة، وما يصحب هذا وذاك من زهد وتقشف (٣) واستحضار مهابة الجليل - جل وعلا - وجبه ورحمته، وذلك فيما يعرف «بالمجاهدة الروحية»، والإقبال بكنه الهمة على الله - تعالى - فذلكم الذى تدخل الرياضة الروحية عنده دور (التخلى) عن المغريات والشهوات ثم تدخل بعد ذلك في دائرة (التحلى) بمكارم الأخلاق كالأمانة والصدق والعدل ومثلها حيث تسمو هذه الرياضة الروحية بعد ذلك إلى مرحلة (التجلى) الذى هو (نور يقذفه الله في قلب عبده) فينير بصيرته، ويضيء حدسه ويجود عليه المولى بالقبول فيخصه بمعرفة ما لا يعرفه غيره ممن لا يمارسون هذه الرياضة، وهى معرفة تتم بالذوق لا بالوصف يعبر عنها الغزالى بقوله..

فكان ما كان مما لست أذكره
فظن خيراً ولا تسأل عن السبب

كما يعبر عنها بقوله «من ذاق عرف» (وهذا النور هو مفتاح أكثر المعارف) (٤)

الرياضة الروحية ليست عزلة عن الحياة

وليس معنى هذا أن التصوف هو انعزال عن الخلق، وتقوقع على الذات وانكفاء على النفس، لكن مثله كمثل الدافع الوجدانى الذى يملأ المحب عشقاً للمحبوب، ويستغرق طاقته هياماً به وشوقاً إليه، وفى سبيل ذلك تراه يبذل الجهد، والطاقة كى يرضى هذا المحبوب بأداء مطلوبه وتنفيذ مرغوبه فيسير على دربه ويتعلق بسربه.

(٣) سئل الراحل الكريم الدكتور عبدالحليم محمود أثناء محاضرة له عن التصوف (هل يمكن أن يكون الملياردير زاهداً؟) فقال: نعم طالما أخذ بثلاث: أن يوقن بأن ملايينه هى ملك لله (قل اللهم مالك الملك) وأن ينفقها بالتالى في حدود ما أمر مالكها الحق -سبحانه- وألا تهتز منه شعرة إذا زالت عنه في لحظة إيماناً منه بأنه سبحانه ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]

(٤) الغزالى: المنقذ من الضلال.

وما أجل المعشوق هنا عندما يكون هو الذات العلية العلوية التى تصل العبد المتصوف بشعاع من التجليات تملأ بصيرته معرفة وحباً واستجابة لما يريد الله - عز وجل - ولله در شهيدة العشق الإلهى رابعة العدوية يرحمها الله عندما تناجى معشوقها من الأعماق..

أحبك حبين: حب الهوى
وحباً لأنك أهل لذاكا

وفى مناجاة أخرى تنطق بالقلب قبل اللسان:

فيا ليت ما بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

فالتصرف بهذه الصورة المبسطة التى حاولنا أن نعرضها هنا - دون الدخول في الدروب المتشابكة حوله - هو «حال» وجدانية تعبر عن مردود الرياضة الروحية المؤمنة والصادقة وتمتزج بهذه الحال طاقة إيجابية عاشقة تحيل العلم بالله إلى عمل له وفى سبيله - عز وجل.

وهكذا نرى أن آليات المعرفة التى جبل عليها الإنسان من حواس وعقل وروح تسعى دائماً إلى ما يناسبها من مجالات المعرفة من علم طبيعى وتفلسف عقلى وتصوف روحى، كما أن هذا يؤدى بنا إلى أن هذه المجالات المعرفية لا تقبل ولا تحتمل افتعال التفرقة بينها إلى ما يشبه العداوة والبغضاء، لأنها صادرة عن كيان إنسانى واحد ذى حس وعقل وروح، وأى اختلاف أو خلاف يطفو على السطح في هذا الباب إنما هو خلاف مفكرين لا خلاف معرفة طالما كانت هذه المعرفة بفروعها بريئة من الشطط وتعلو على سوء الاستخدام، وذلك حين يسخرها أصحابها في صالح الإنسان ودعم العمران، أما إذا كان اصطناع التناحر بين المشتغلين في مجالات المعرفة ناشئاً عن الرغبة في الزهو والتباهى تحت شعار «خالف تعرف» ليس إلا فلا نعتقد أن الحق «الواحد» سبحانه قد أراد هذا عندما خلق «وحدة» الكيان البشرى لتتكامل عنه «وحدة» المعرفة.

خلاصة تربوية

وكم نود أن تربى أجيالنا على هذه الروح المعرفية السمحة والمتطلعة إلى الحقيقة المبرأة من التشويه والتشويش بحجة حرية الجدل وبراعة الحوار فلقد كان «بروتاجوراس» زعيم الاتجاه السوفسطائى عند الاغريق القدماء ومن شايعه أكثر من عرفه التاريخ في المغالطات الجدلية والتخبط بين تشويه الأفكار والتشويش عليها، ومن هنا استحق هو وأشياعه أن يلفظه المفكرون الجادون سواء من معاصريه أو ممن جاءوا بعدهم حتى اليوم، بعد أن أدرك الجميع كيف أدى هذا الفكر المريض إلى انهيار الحضارة اليونانية القديمة، ويمكن أن يؤدى في أى عصر إلى تحويل الحضارات السامقة إلى أطلال وأنقاض حيث يصبح



الفكر المنحرف وبالاً على أهله وقومه، وحيث لا تنفع التكنولوجيا إلا كما نفعت «الدبة» الشهيرة عندما قتلت صاحبها حمقاً وجهلاً.

وهكذا نرى أنه قد أصبح «الجدل السوفسطائي» وصمة في جبين أي مجتمع إنساني يريد أن يقيم بناءه على موضوعية الاتجاه ونزاهة البحث وسلامة المنهج تحت قاعدة «يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال».

وكل من يريد أن يتعلم كيف يكون الجدل الهادف والحجة البالغة والبرهان الساطع بما يجمع المخلصين حول الفكر الجاد ولا يفرقهم أيدي سبأ، فعليه بتأمل القرآن الكريم في آياته المحكمات التي يرد فيها على المغالطين والساخرين والمارقين، مع وضع «الجدل» في الحسبان عندما يخاطب الحق - تعالى - نبيه ﷺ:

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾

[سورة النحل: ١٢٥]

وذلك بالأسلوب المحكم الحكيم الذي يقرب اللدود ويهدي الشرود:

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾

[فصلت: ٣٤]

وعلى هذا الأساس نقوم العبارة التي تقول: «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية» فنراها تصدق في مجال الرأي القويم، والود الخالص المستقيم.

ولا نحسب أن هذه المقومات المعرفية في الإنسان تتميز فقط بين أهل الاختصاص في فروع المعرفة المختلفة، ولكننا نراها تتمثل عند الناس في حياتهم اليومية وفي سلوكهم إزاء ما يعرض لهم من مواقف.

وعلى سبيل المثال نرى الإنسان المؤمن الذي قد يحزنه أمر، أو يصعب عليه شأن يحاول أن يستنفد في مواجهة ذلك ما يستطيع من قدرات «مادية حسية» وأساليب «فكرية عقلية» فإذا ضاقت به هذه السبل، وعجزت هذه الإمكانيات فتح الله عليه بالتوجه إليه - سبحانه - «بروحه» حيث الباب الذي لا يسد، والأمل الذي لا يرد، وعندئذ يجتبيه الحق في رحابه، ويتعهده بجنابه ولاسيما إذا سلم القصد، وحسنت الغاية، وصدق التضرع، وانطلق الشعاع الروحي من المخلوق المحدود إلى الآفاق الإلهية اللامحدودة وعندئذ يتجلى وعد المبعوث رحمة للعالمين ﷺ: «إن الله يستحي أن يمد العبد إليه يديه بالدعاء فيردهما خائبتين».

ثم أليس لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فنتأمل موقفه ﷺ في «غزوة الخندق» أو «الأحزاب» وقد جهز العدة «المادية» والعتاد «المادي» من قوة ومن رباط الخيل، ثم أعد ﷺ الخطة «الفكرية العقلية» استعداداً لخوض المعركة وهي الخطة المتمثلة في حفر الخندق حول المدينة، وإبرام العهد مع اليهود الذين «تعهدوا» بالمشاركة في الدفاع عن المدينة، وهكذا يضرب النبي القائد ﷺ لأمته على مر العصور المثل في أهمية الإعداد المادي والفكري الذي يستنفد الطاقة البشرية قدر ما



يستطيع، ثم يبقى بعد ذلك الثقة في تدخل القوة الإلهية التي تؤيد بنصرها العباد الموقنين المؤمنين والتي تنتظر بجلالها وعزتها انتهاء العبد المخلص من أداء ما حباه الله من قوة في مواجهة المواقف، حيث يتدخل نصر الله - جل وعلا - مصداقاً لقوله سبحانه:

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾

[محمد: ٧]

وذلك ليس في مواقف القتال مع العدو فحسب، بل في مواقف السجال مع الحياة، وكثير ما هي(٥)

فالطاقة «الروحية» في التوجه إلى طلب المدد الإلهي هي تتويج لمنظومة القدرات البشرية «الحسية والعقلية»، وهذا ما يسميه الإسلام «بالتوكل» الذي ذكره القرآن الكريم:

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾

[الفرقان: ٥٨]

وتأمل هنا بعمق عبارة:

﴿ ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾

وذكرته السنة المشرفة «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»، وتأمل هنا أيضاً بعمق عبارة «حق توكله».

مثال معاصر

شاهدت في بعض البرامج المرئية النافعة عالماً مصرياً معاصراً جهيراً من علماء الطب والجراحة وقد سأله المذيع..

- هل توجد علاقة بين الدين والجراحة؟

- نعم بالتأكيد.

- وكيف ذلك؟

- سأعطيك مثالاً، فإنني قبل أن أقوم بإجراء أية جراحة لمريض أولاً أصلي ركعتين لله - تعالى - في مدخل غرفة العمليات لحين إعداد المساعدين لمتطلبات العملية، حتى إذا دخلت الغرفة وجدت الله - سبحانه وتعالى - قد سبقني إليها.

- وكيف ذلك؟

- يا سيدي إني أخطط للعملية قبل إجرائها ولكني أفاجأ بأنني أثناء ذلك أتبع خطوات جديدة لم تكن في الحسبان ثم يتضح أن هذه الخطوات هي الأصح عما كنت أعددته من قبل «أليس ذلك بقادر».

«٥» جاء في السيرة الحلبية أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم. يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي» وقال له المسلمون - رضي الله عنهم - هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: «نعم، قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» واستجيب له فعرف السرور في وجهه - صلى الله عليه وسلم - وفي رواية عن حذيفة - رضي الله عنه - يقول - فدخلت العسكر - أي معسكر المشركين - فإذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا تجاوز عسكرهم.

قصة العدد

في مجلس معاوية

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدي

أراد معاوية بعد أن استتب له الأمر في دمشق، أن يستمع إلى خصومه من أنصار الإمام علي، فدعا السيدات منهن من أماكنهن البعيدة. وعقد مجلساً كان من بين حاضريه مروان بن الحكم وعمرو بن العاص، وقال للقوم: سترون من الوافدات بكاء على ما فات، فقال عمرو: كلا ياأمير المؤمنين، بل سترى حمية واستعلاء إن أصحاب علي لا يرهبون غير الله.

• قال معاوية: حتى النساء! فقال عمرو: هن أشد وأصلب.

•• فأطرق معاوية وقال: سأحضرهن الآن لترى غير ما توهمت.

• فابتسم مروان بن الحكم وقال: أشير بأن يحضرن منفردات لا تسمع أحدهن كلام الأخرى فيتشجعن على مجابهتك.

•• فالتفت إلى عمرو وقال: أترى ذلك؟

• فقال: كان رأيي ألا يحضرن أصلاً، أما وقد قدمن إليك إجابة لرغبتك ووقفن على الباب فادعهن واحدة واحدة، فإن النار تزكي النار.

•• قال معاوية: أوصل الأمر إلى اشتعال النار واتقادها؟

فابتسم عمرو، وقال: سترى!

•• فصفق معاوية بيده وقال للحاجب: أدخل أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب.

• فقال مروان: بدأت بأقواهن شكيمة إنها بنت عم علي بن أبي طالب وتعتز ببيتها، وقرابتها من رسول الله، وتراك بالنسبة إليها لا شيء.

•• فقال معاوية: صه يامروان، فقد يكون الأمر على غير ما قلت، ثم حضر الحاجب ومعه أروى بنت الحارث.

فقال معاوية، وقد ظهرت عليها علائم الشيخوخة: كيف أنت اليوم ياخالة؟



• فقالت في غير حذر: نحن أهل بيت النبي ﷺ وأصحاب الحق في حمل رسالته وأداء أمانته وقد اغتصبتم حقوقنا، وقد كان علي – رضي الله عنه – من رسول الله بمنزلة هارون من موسى فأين أنتم منه.

• فقال عمرو: كفى أيتها المرأة واقصري من قولك فأنت في حضرة أمير المؤمنين.

• فصاحت أروى: وأنت ياابن العاص الذي تتكلم، فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها، ولا الكريم في عشيرتها، ولو أردت أن أتحدث عن أبيك وأمك لأطلت!

• فقال مروان: كفى أيتها المرأة.

• فضحكت مستهزئة وقالت لمعاوية: كف عني كلابك يامعاوية، فما دعوتني لأسمع اللغو ممن لا يصل إلى مكانتي في قريش، وموقعي من رسول الله!

•• فنظر معاوية إلى عمرو ومروان وقال: جئتما لتستمعا لا لتناقشا، فأنا الداعي وحدي، وقد عرضتماني إلى سماع ما لا أحب!

• فقالا معا: سنسكت ياأمير المؤمنين. ولا تنس أنك الذي بعثت إلى هؤلاء، وأعلنت الحرب عليك وعلينا.

•• فتحول بوجهه عنهما، وقال لأروى: لن نتحدث عما كان، ولكنني أسألك عن حاجتك لدى.

• فقالت: حاجتي من بيت مال المسلمين لا من بيتك يامعاوية!

•• قال: نعم من بيت مال المسلمين.

• قالت: أربعة آلاف دينار، أوزعها على المحتاجين والمحتاجات من قريش.

•• فقال في ابتسام: قد سمحت لك بها، ولكن تذكري، أنك لو كنت طلبت من علي أقل المال ما دفعه إليك.

• فتطلعت في وجوه القوم، وقالت: صدقت ياأمير المؤمنين، إن علياً أدى الأمانة، وعمل بأمر الله، ولم يوزع الأموال على من يختار من الناس ليكونوا عوناً له على الباطل، وأين ا لباطل من عليّ، ولكنه يضع الأموال موضعها من رضا الله ابتغاء لرحمته. وطاعة لأمره، وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به عليّ.

ونهضت للخروج فأرسل معاوية وراءها من يعطيها ما طلبت دون نقصان. وخلا المجلس، فقال عمرو:

أسمعت ياأمير المؤمنين منها شيئاً يرضيك؟

•• فقال معاوية: هي تدل بقرابتها من رسول الله، وربما أسمع ما يرضي من سواها. ثم صفق بيده فأتى الحاجب فقال: أدخل الزرقاء بنت عدي.

• دخلت الزرقاء، وتطلعت في وجوه القوم، وقالت: هنا عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، لا أرى مجلساً يبشر



باالخير!

● فصاح عمرو: ألست صاحبة الجمل الأحمر يوم صفين! تخترقين الصفوف، وتوقدين نار الحرب على أمير المؤمنين معاوية.

● فقالت فى صيحة: وما زلت مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولو عاد حيًا لكنت فى مقدمة جيشه، اسمع يامعاوية: إن المصباح لا يضىء مع الشمس، وإن النجوم لا تضىء مع القمر، وإن البغل لا تسبق الفرس، وإن عليًا وحده السابق، ولا يشق له غبار من بنى هاشم فكيف من بنى أمية؟

●● قال عمرو: ياأمير المؤمنين إنى لأحفظ كل ما قالت، وهى تخطر على جملها الأحمر، فقد قالت: يامعشر الأنصار والمهاجرين إنه لا يستوى الحق والباطل، أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. النزال النزال والصبر الصبر فإنها عداوات بدرية وإحن أحدية، ولا يعلم غير الله ما سيكون إذا وسد الأمر إلى غير أهله.

●● وهنا قال معاوية: لقد شاركت عليًا فى كل دم سفكه.

● فصاحت الزرقاء: أحسن الله بشارتك ياأمير المؤمنين. وأدام سلامتك فمثلك من يبشر بجنة الله، ونعيم الفردوس، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

●● فقال معاوية فى هدوء: والله لوفاؤكم له بعد موته، أعجب عندى من حبكم له فى حياته، لنترك هذا الموضوع، وإنى أسألك عن حاجتك وحاجة أهلك!

● قالت: يامعاوية لقد آليت على نفسى ألا أسأل أحداً حاجة أبداً لأن المسئول هو الله وحده.

●● فرد معاوية: لقد أشار علىَّ بعض خصومك بقتلك فماذا ترين؟

● قالت: لؤم المشير، ولو أطعته لاشتركتما فى دمى يوم الحساب!

فابتسم، وقال: بل عفوت عنك، وسيصلك عطاؤك وافيا، ليس من عندى ولكن من حقك فى بيت المال، ثم كتب إلى والى الكوفة باسترضائها ومنحها كل ما تريد!

●● وخلا المجلس، فالتفت معاوية إلى صاحبيه وسألهما: ماذا رأيتما هى أم أروى بنت الحارث؟

● فقال مروان: إن جميع اللواتى كن مع علىّ لا يرضين به بديلاً، وإن اختلفت بعض الأقوال، فالهدف واضح لا نزاع فيه.

●● ثم صفق معاوية، فدخل الحاجب، فقال له: أدخل أم الخير البارقية.

دخلت أم الخير البارقية، رافعة الرأس فى شمم، وتطلعت للحاضرين فى كبرياء، وكأنها تتوعدهم بما ستقول.

● فقال عمرو: ياأمير المؤمنين كيف دعوت هذه العشواء، والله إنى لأحفظ قولها

فى معركة صفين يوم قتل عمار بن ياسر فترتعد فرائصى من هول صعقاتها الملتهبة!

●● قال معاوية: إذ كنت قد حفظته فأعده ياعمرو.

●● فقالت أم الخير: لا ياأمير المؤمنين أنا لا أثق فيه ولا فيمن يعتصم بالمكر والدهاء، فربما زاد وتقول، وليس ذلك بغريب منه.

●● فابتسم معاوية، بينما أطرق عمرو ولم يتكلم، ثم قال: تحدثى أنت بما كان من قولك.

● فقالت أم الخير: ليس بالألفاظ ولكن بالمعانى فهى منقوشة فى صدرى كأنما نحتت فى حجر. ثم انطلقت تقول:

«أيها الناس، ماذا تريدون أفرارا عن أمير المؤمنين أم رهبة عن الحق وارتداداً عن سبيل الله أما سمعتم قول الله عز وجل:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد: ٣١)

لقد عيل الصبر وضعف اليقين، وانتشر الرعب، إنها أحقاد جاهلية، وإحن بدرية، وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بنى عبد شمس، فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم، لعلهم ينتهون، إلى أين تريدون أيها القوم عن ابن عم رسول الله وزوج ابنته فاطمة، ووالد الحسن والحسين وهو مفلق الهام، ومكسر الأصنام، صلى والناس جميعا مشركون، وأطاع والناس مرتابون، ولم يزل كذلك حتى قتل مبارزى بدر، وأفنى أهل أحد، وفرق جمع هوازن. فيا لها وقائع زرعت فى قلوب قوم نفاقا وردة وشقاقا.

●● فتجهم الحاضرون وقال معاوية فى اضطراب: والله ياأم الخير ما أردت بهذا إلا قتلى، ولو قتلتك اليوم لا حرج على.

●● فقالت فى قوة: والله ما يسوءنى يابن هند أن يجرى الله ذلك على يدى من يسعدنى بشقائه.

●● فقال: هيهات ياكثيرة اللجاج.

ثم تناول الحديث أسئلة عن رأيها فى صحابة الرسول ممن خالفوا عاليًا أمثال طلحة والزبير فأجابت بما أحرج معاوية ولم يرضه، وكان يظن أنها ستتورط فى سب صحابة رسول الله ممن خالفوا عليًا، فوجدها محترزة تكل أمرهم إلى الله، فهو الذى يعلم خافيات النفوس.

●● وسكت معاوية، فقال بعد وقت طال بعض الشىء: وما تريدين منى ياأم الخير؟

● فقالت: أن تردنى إلى أهلى معززة مكرمة.

●● قال: أو غير ذلك أيضاً.

● قالت: لا أسأل غير الله وقد عودنى البر والمعروف.

وخرجت دون انتظار.

●● فقال معاوية لصاحبيه: لقد واجهنا من الأعرابيات ما لم نتوقع!

● قال عمرو: ولكنى توقعت ما حدث، ولم يخب ظنى قيد بنان!



للأستاذ الدكتور/
محمد أحمد العزب

من طبائع الأشياء أن تكون الحركة الفكرية فى طور لاحق أثرى من الحركة الفكرية فى طور سابق، وتتأكد هذه الفرضية إذا كان مسار (الحياة العامة) ـ سياسياً واقتصادياً وحضارياً ـ متجهاً إلى الأمام وليس إلى الوراء، فإن بين حركة الفن ـ على كل مستويات هذا الفكر وبين أطر الحياة العامة أواصر واشجة تلهم وتستلهم فى جدل وجودى لا يكف عن المعاطاة!!

فإذا انتكست الحركة الفكرية فى طور لاحق عنها فى طور سابق مع تدفق الأطر الحياتية الأخرى فى اتجاهها الصاعد فلابد أن تكون هناك خلفية فاجعة تحتم هذه الرجعة أو قل هذا البوار!!

والمتأمل فى حركة (الفكر الإسلامى) يروعه مايلاحظ من انحسار فاجع بلا تبرير، مع توافر المتاحات الفكرية والعلمية والتقنية على مستوى لم يكن متاحاً لكل المبدعين فى هذا الصدد قبل هذه السنوات الخصيبة العجاف فى آن.. بمعنى أن جيل الرواد من أمثال عباس محمود العقاد، ومحمد حسين هيكل ـ وغيرهما ـ مايزال هو الجيل الوحيد القادر على التحرك فى اتجاه تشكيل ملامح المرحلة، وإعطاء حركة الفكر الإسلامى أسلحة معاصرة ماتزال تقاتل بها حتى اليوم!!

لابد أن وراء هذه الظاهرة عوامل جذب وراثية تعيق من تقدم الفكر وتحد من انطلاقه إلى أرحب الآماد، وفى رأيى أن هذه العوامل ليست من النوع المادى الذى يمكن القبض عليه فى عفوية بادهة، وإنما هى على النقيض من ذلك تكاد تشكل قضية بذاتها تحتاج فى تأمل أبعادها إلى دراسات واستقصاءات.. أعنى أن تأمل هوية العوامل الوراثية فى قضية الفكر الإسلامى ليس أقل خطورة وصميمية من تأمل قضية الفكر الإسلامى نفسها، فإن

جانباً هائلاً من تعديل المسارات التاريخية يرجع بالضرورة إلى فهم أسلحتنا المنتضاة فى هذا الصدد، وإلى فهم نوعية استعمالنا الصوابى لهذه الأسلحة المنتضاة، وإلى تأمل فرضية الفشل إلى جانب تأمل فرضية النجاح هكذا بلا تفريق.. إن الاندفاع المتحمس فى طريق التفاؤل لن يجدى على الاطلاق، وخير منه بملايين الأحجام أن تتوقع نقيضه حتى ندرب طاقاتنا على السبح فى أمواج الظلام وضد طبيعة التيار!!

ولست بقادر فى هذه السطور على رصد كل الظاهرة واستقصاء كل عوامل جذبها الوراثى ولست أطمح هنا إلا إلى لون من الاستنفار الحقيقى، والدعوة إلى تعبئة شاملة لتحريك جهودنا الفكرية على هذا الطريق، تماماً كما حاولت فى دراستها لهوية (الأدب الإسلامى) ودراسته (للفكر الملحد) فيما يقرأ شبابنا من إبداعات مسرحية مترجمة.

جيل المبدعين

القضية الآن هى بالتحديد: لماذا استطاع جيل الرواد أن يبدع لنا هذه الشوامخ (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل.. و(الله) و(حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) و(العبقريات) لعباس محمود العقاد، و(فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) إلخ.. لأحمد أمين، وغيرها.. وغيرها.. ولم نستطع نحن إلا على مستوى هامشى أن نضيف إلى مابذلوا، أو حتى أن نواصل مسيرتهم الجادة المثقفة على هذا الطريق؟؟


هيكل


احمد امين

إن معاناة بلا حدود يحسها الباحث المعاصر حين يتصدى لدراسة أكاديمية فى هذا المجال، لأن كل الجهود المبذولة الآن تعيش عالة على هذه الدراسات الرائدة، وتكاد من فرط العجز أو من فرط التشاؤب لا أدرى أن تمضغ مفاهيمها فى اجترار مكرور و ذابل وبليد!!

لقد تصدى الدكتور حسين هيكل فى (حياةمحمد) لمقولات هابطة حاصرت تاريخنا الإسلامى من شرق الأرض وغربها جميعاً وبعقلية رائعة، ومنهجية أروع، استطاع الرجل أن يحيل مناطق الهجوم إلى مناطق استسلام، أو قل إلى مناطق دفاع على أهون الفروض!!

ولقد تصدى العقاد فى (عبقرية محمد) لمقولات أبشع هبوطاً حاولت أن تجعل من قائد الحركة الإسلامية مجرد فاتك بالسيف، أو مجرد عاشق للجميلات، واستطاع العقاد أن يرسخ ـ من منظور عقلى معاصر مستوعب ـ مسلَّمة أن هذا النبى القائد كان ومايزال أعدل من قبض على حمائل سيف، وأعف من نظر إلى المرأة فى رحائب الوجود!!

ولقد تصدى أحمد أمين في سلسلة دراساته الفذة عن الحضارة الإسلامية بمعناها المتكامل لمقولة الجدب الحضاري على مستوى إسلامي، واستطاع بجهود الباحث الباذل وعقلية العالم المثقف أن يديل من الباطل للحق، وأن يضع الحضارة الإسلامية في مناطها الصوابي رافدة لكل الحضارات البازغة ومجددة لشباب كل الحضارات الهرمة المتهرئة!!

وتستطيع أن تقول ذلك في إبداعات أخرى مما أبدع هذا الجيل الرائد العظيم، الشيء الذي يرسب في الأذهان قضية أن هذا الجيل الرائد كان يعرف من أي المنطلقات يبدأ زحفه الهائل وإلى أي الآماد ينتهي مساره الكبير..

الجيل المرتعش

فلماذا إذن توقف الزحف؟ ولماذا إذن انتهى بهذا الجيل هذا المسار؟ لماذا لم يواصل الجيل الخالف اندفاعه المؤمن قابضاً على حركة التصدي، فاعلاً في حومة الحوار؟

أكاد أزعم هنا أن الفارق الصميمي بين موقف كل من الجيلين:

- أن الجيل الرائد حين خرج إلى القتال بالقلم فقد خرج بإيمانه بنفسه وبإيمانه بعقائديته، وبإيمانه بروعة مواريثه الثاوية - لا يهم - في بطون الكتب الصفراء!!!

في حين خرج الجيل الخالف إلى القتال بإيمانه المرتعش، وبعقائديته المدخولة، وبمزيد من الشك في مواريثه، والخجل من أن يقال إنه قارئ كتب صفراء لا حمراء!! لقد انعكس هذا التسيب العقائدي والفكري على موقف هذا الجيل الخالف فلم يستطع أن يصمد على جبهة المواجهة مقاتلاً هاجماً، أو حتى مقاتلاً على جبهة الدفاع!!

لا تقولوا: إن الزحف هنا يوشك أن يكون كاسحاً بأفدح مما تعرض له الجيل الرائد تحت وطأة تفتح الفكر المهاجم على آفاق لم يكن يحلم بها في قمة المرحلة الفائتة.. فإن هذه المقولة مرفوضة من طرفين.

الأول: أن عرامة أي هجوم تقتضي بالضرورة استجابة دفاع أذكى وأقدر..

والثاني: أننا مانزال نقاتل هذا الهجوم الكاسح بفكر جيلنا الرائد، ومايزال فكر هذا الجيل الرائد يقاتل لنا على كل الجبهات!!

ويوشك المتتبع لحركة الفكر الإسلامي من خلال أولئك الرواد أن يركز على أساسيات بارزة في إبداعهم، فلقد كان بعض هذا الإبداع بمثابة (تفجير للينابيع).. وكان بعضه بمثابة (تأصيل للمفاهيم).. وكان بعضه بمثابة (طموح إلى التنظير) وكان بعضه بمثابة (ارتفاق منهج نصي) وكان بعضه بمثابة (التجول الفني في حدائق العقائديات).

إن (حياة محمد) لهيكل كانت خطوة على طريق (تفجير الينابيع) وكانت (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) للعقاد

وأعمال أحمد أمين الإسلامية خطوة على طريق (تأصيل المفاهيم) وكانت دراسة العقاد الفذة عن (الله) خطوة على طريق الطموح إلى خلق (نظرية إسلامية) في هذا المجال..

وهنا أستطيع أن أزعم أن إبداع هؤلاء الرواد لم يكن حركة بوح يستريح من معاناته الكاتب بنفثه كلمات في سطور، وإنما كان حركة فكر ريادي يتكئ في اندفاعه على حس تكاملي كان يسيطر على حركة أولئك الرواد في حركة إبداعهم الفكري والفني، بمعنى أن كل واحد منهم كان صوتاً لايريد لنفسه أن يكون صوتاً مكروراً، ولا صدى لصوت مفرداً ومكرور، وبهذا الحس المغامر الطموح استطاع جميعهم أن يشكلوا هذه الدائرة المتكاملة التي يفضي أولها إلى آخرها بلا نشاز، فحين نرى اتجاهاً إلى تفجير الينابيع هنا، نرى إلى جواره اتجاهاً إلى تأصيل المفاهيم هناك، وحين نرى غير بعيد ملامح اتجاه إلى محاولة التنظير نرى غير بعيد كذلك اتجاهاً إلى اعتماد المنهج النصي، وحين نرى ميلاً هادفاً إلى التجول الفني في رحائب العقائديات نحس بأن هذا المتجه يأتي لتمام دائرة لا تتم في غيابه إلى الاطلاق... وهكذا تنتهي الدائرة إلى تفرد بارز من ناحية، وإلى تكامل رائع من ناحية أخرى، ولا تكون قضية المبدع هنا أن ينوّع على لحن أساسي غامر بابتكاره سواه، وإنما تكون قضيته أن يبحث في المداد الفكري والفني عن مناطق البكارة والأمل الصميمي في إضافة لبنة إلى جدار الواقع العقائدي حتى ينهض الجدار ويتشامخ البناء!!

الجيل الرائد فجر الينابيع

ولست في حاجة إلى شجب الجانب الآخر أو الدعوة إلى شجبه، أعني أنني لست في حاجة إلى إدانة الجيل الخالف الذي يتحرك بالفكر والفن في مناطق النفوذ التي أفرغت أمعاءها تماماً.. لقد شهدت المرحلة الأخيرة موجات من (الدعاية) الفكرية للقضية العقائدية مكرورة بلا سلال، ومقلدة بلا حياء، وتافهة بلا قرار.. ولم نلمح من خلال كل هذا اللجب قضية واحدة قادرة على البقاء، ولا دراسة واحدة يمكن أن تضيف إلى ضمير العصر أبعاداً جديدة تثري حركة الفكر فيه أو حتى حركة الحوار!!

أن يكون الجيل الرائد مفجراً للينابيع.. مؤصلاً للمفاهيم طموحاً إلى التنظير.. مقترحاً مناهج متعددة، ومتجولاً - على مستوى فني - في حدائق العقائديات.. فإن هذا كله يعطي هذا الجيل جدارة التمدد في أخلاد الأبد، وجدارة التخطي لملايين السدود!!

والجيل الخالف سقط

وأن يكون الجيل الخالف عاجزاً بقدرية فادحة عن مجرد العطاء في أي من هذه المنطلقات - فكرياً وفنياً - فإن هذا كله

يعطيه جدارة السقوط الفادح تحت سنابك التاريخ. أعلم أن جهودا بذلت ـ على مستوى الجيل الخالف ـ فى كل من هذه المجالات ولكننى لست عن مجرد الجهد المبذول أبحث، فقضيتى أوغل تجذيراً فى تربة الواقع الفكرى من مجرد الحركة أو مجرد الدوار.. وأوشك أن أجزم بأن محاولات مستحدثة قد بذلت بالفعل وهى ليست قريبة الغور فى هذا المجال، ولكنها فى النهاية تبقى محاولات مفردة تفتقر إلى مايعاونها على تكامل الدورة وانسياب البعض فى حركة الكل الكبير، من هذه المحاولات ـ مثلا ـ بعض جهود مالك بن نبى فى الجزائر، وبعض جهود نديم الجسر فى لبنان، وبعض جهود محمد البهى فى مصر.. وهى محاولات موفقة وغيورة وطموحة من غير شك، ولكنها كما قلت لا ترتكز فى تمامها على حس تكاملى يفضى فى النهاية إلى ظاهرة بارزة التمام!!

لقد كان من الممكن أن يشكل الفكر الإسلامى بمناخاته المعاصرة حركة أروع من الحركة الرائدة – وثورة أشمل من كل ثورات الفكر الإسلامى فى عهد كل العصور، ولكنه – فيما يخيل إلىّ ـ فكر قانع ومستسلم، وغير باحث عن حركة الكدح أو حركة المعاناة، أو قل أنه فكر غير قابض على قناعاته النهائية، بما هو عاجز عن ديمومة الحوار مع فكر المراحل غابرها ومعاصرها على السواء!!



مالك بن نبى

محمد البهى

دعــــوة

وحتى لا أنتهى إلى مجرد التشنج أو إلى مجرد الصراخ.. فإننى أود أن أوجه من هنا دعوة إلى مفكرى الحركة الإسلامية على امتداد الرقعة التى يتقاسمون فوقها خبز العصر وهواءه أن يتلاقوا على كلمة سواء، وأن يتدارسوا إمكانية العطاء المتكامل. وأن يتصدوا للقضايا الصميمة وليس للقضايا القشرية، وأن يحركوا أقلامهم فى اتجاه الحياة وليس فى اتجاه الموت، وأن يكون حاضر الجيل ومستقبله وهمومه المثقفة هى محور اهتماماتهم الحقيقية، وأن يهيلوا تلالاً من الرمال على الإحساس الفاجع بإقليمية الحركة وإقليمية الفكر، فإن جناح الإسلام يغطى حتى الآفاق غير المنظورة فى هذا الكون اللامتناهى إلى آماد، وأن يقاتلوا.. أو يستسلموا، فلسنا فى حاجة إلى نائحين مأجورين.. والحركة المسلمة بعد قادرة على انتخاب عناصرها القادرة حتى من تحت أطباق الظلام!!

والأفق ممتد.. والسواعد هائلة.. والنداءات بحجم مابين الأرض والسماء!!

الأزهر

مؤامرة سجن أريحا

للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد

كانت البداية من جانب إسرائيل، حينما اغتالت قواتها الخاصة «أبو على مصطفى» أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فى أغسطس ٢٠٠١ ولم يمر شهر واحد، على هذا العمل الإرهابى، حتى فاجأت الجبهة الشعبية إسرائيل بضربة مباغتة بإعلانها اغتيال وزير السياحة الإسرائيلى السابق «رحبعام زئيفى» فى أكتوبر ٢٠٠١، أثناء الانتفاضة الفلسطينية الثانية ومن هنا بادرت القيادة السياسية الإسرائيلية، وعلى رأسها شارون، بفرض الحصار على مقر الرئيس الفلسطينى الراحل «ياسر عرفات» فى رام الله، مطالبة بتسليمها «أحمد سعدات» ورفاقه الأربعة وهم «إياد غلمى»، «حمدى قرعان»، «مجدى الريماوى»، و«باسل الأسمر» إضافة إلى اللواء «فؤاد الشبكى» المتهم بتمويل صفقة السلاح التى استولت عليها إسرائيل من السفينة «كارين إيه».

وفى مايو ٢٠٠٢ تم اتفاق بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، بإشراف أمريكى بريطانى، على نقل «أحمد سعدات» ورفاقه الخمسة من رام الله إلى «سجن أريحا» على أن يتولى حراستهم الأمنية مجموعة من المراقبين الأمريكيين والبريطانيين، وهو الاتفاق الذى جرى نقضه فى الرابع عشر من مارس ٢٠٠٦ عندما اقتحمت القوات الإسرائيلية سجن أريحا، بعد سحب أمريكا وبريطانيا لمراقبيهم المكلفين بالحراسة الأمنية للسجناء الستة، وتسهيل مهمة هذه القوات فى اختطافهم، وإيداعهم «سجن المسكوبية» فى القدس تمهيدا للتحقيق معهم، واللافت للنظر أنه على الرغم من صدور حكم المحكمة العليا الفلسطينية، فى يونيه ٢٠٠٢ بإطلاق سراح «أحمد سعدات» ورفاقه، لانتفاء وجود دليل على قيامه باغتيال وزير السياحة الإسرائيلى السابق «رحبعام زئيفى»، فإن إسرائيل، كانت قد هددت علنا بقتل «سعدات» فى حالة الإفراج عنه بمعرفة السلطة الفلسطينية ومن ثم كان حرص الرئيس الفلسطينى على بقاء «أحمد سعدات» فى سجن أريحا، تحت الحراسة الأمنية الأمريكية والبريطانية خوفا على حياته، والجدير بالذكر أن الرئيس الفلسطينى «محمود عباس» كان قد أعلن فى السابق أنه لا يمانع

فى إطلاق سراح «سعدات» أمام طلبات الجبهة الشعبية المتكررة فى هذا الشأن، بشرط أن تضمن الجبهة سلامته الشخصية.

ويصف «أحمد سعدات» لحظات اعتقاله هو ورفاقه الخمسة، فيقول: «إن الجيش الإسرائيلى ظل يواصل هدم غرف السجن، وأجنحته من صباح الثلاثاء (١٤/٣/٢٠٠٦) إلى المساء ويلاحقهم من مكان لآخر، حتى وجدوا أنفسهم فى الساحة، بعد هدم آخر غرفة كانوا فيها» وأضاف «سعدات» واصفا العملية الإرهابية بقوله: «وحينئذ طلبوا منا خلع ملابسنا، ووضع أيدينا على رؤوسنا، لكننا رفضنا ذلك، فتقدموا منا وقيدوا أيدينا، وعصبوا عيوننا»، ويذكر «أحمد سعدات» أنه تم نقلهم بعد ذلك إلى معسكر للجيش، ثم إلى «سجن المسكوبية» فى القدس، حيث جرى عزل كل منهم فى زنزانة منفصلة.

ويتحدث المحامى «محمود حسان» رئيس لجنة المحامين المكلف بالدفاع عن «سعدات» ورفاقه الخمسة فيقول: «إن أحمد سعدات»، أبلغه أن الإسرائيليين حاصروا السجن قبل مغادرة المراقبين الأمريكيين والبريطانيين، وأن الجيش الإسرائيلى قام بحصار مبنى المقاطعة أولا، وأنه هو وزملاءه بحثوا عن المراقبين فلم يجدوهم» ويضيف المحامى قوله: إن «سعدات» أبلغه أن المحققين الإسرائيليين وجهوا إليه تهمة إصدار أوامر لاغتيال وزير السياحة الإسرائيلى «رحبعام زئيفى» وأوامر أخرى للقيام بهجمات عسكرية، لكنه رفض الإجابة عن أسئلتهم، مؤكدا أن لا يعترف بتحقيقهم، وأن عملية اعتقاله غير قانونية».



ياسر عرفات

الإنذار الأمريكى البريطانى

وفى إطار تنسيق الأطراف الثلاثة لخطط عملية اقتحام سجن أريحا، التى تولت إسرائيل تنفيذها بعد عشر دقائق من انسحاب المراقبين من السجن، تلقى الرئيس الفلسطينى «محمود عباس» رسالة موقعة من القنصل الأمريكى «جاكوب دالاس» والقنصل البريطانى «جون جنكين» فى الثامن من مارس ٢٠٠٦ - أى قبل مهمة الاختطاف بسبعة أيام - كشفت عن نية مبيته لانسحاب مراقبى الدولتين المكلفين بالحراسة الأمنية للسجناء الستة، فقد جاء فى هذه الرسالة «أن الإدارتين الأمريكية والبريطانية تريان أن السلطة الفلسطينية لم تلتزم بالكامل بالاتفاقية التى وقعت بشأن وجود المراقبين فى سجن أريحا فى مايو ٢٠٠٢ وأشارت أيضا إلى أن السلطة الفلسطينية لم توفر الظروف التى تضمن السلامة الشخصية للمراقبين العاملين فى سجن أريحا، وطالبت الرسالة أن تقوم

السلطة الفلسطينية بالسعى إلى إبرام اتفاق جديد مع الجانب الإسرائيلى بشأن احتجاز «أحمد سعدات» ورفاقه الخمسة، كما حذرت هذه الرسالة السلطة الفلسطينية بأنه فى حالة عدم ضمان السلامة الشخصية للمراقبين الأمريكيين والبريطانيين فى سجن أريحا، سوف ينسحب هؤلاء المراقبون. فتقول الرسالة: «إذا لم تلتزم السلطة الفلسطينية بأية ترتيبات أمنية كاملة فيما يتصل بالأمن الشخصى للمراقبين العاملين فى أريحا، وإذا لم تتجه السلطة الفلسطينية إلى اتفاق جديد مع الحكومة الإسرائيلية فنحن سنوقف تدخلنا فى ترتيبات الرقابة فى سجن أريحا، وسنسحب مراقبينا».

مخطط ثلاثى

واختتم القنصلان رسالتهما المشتركة الموجهة إلى الرئيس الفلسطينى «محمود عباس» بالقول: «نأمل أنك ستتفهم اهتمامنا بالقضية، وجديتنا فى الحديث عن هذه المسألة»

هذه هى الرسالة التى وقعها كل من القنصل الأمريكى بالنيابة عن الولايات المتحدة الأمريكية، والقنصل البريطانى عن المملكة المتحدة التى تجسد أبعاد المخطط الثلاثى الذى اتفقت عليه الدول الثلاث لقيام إسرائيل بتدمير سجن أريحا واختطاف السجناء الستة.

هل جاء المراقبون بحثا عن سلامتهم الشخصية؟!

القراءة الواعية لما جاء فى هذه الرسالة الأمريكية البريطانية المشتركة يمكن وصفها بـ«رسالة الخداع» لأنه يشتم منها نوع من المخادعة، والاتفاق المبيت بين أطراف دولية ثلاثة على تنفيذ عملية اختطاف ستة سجناء، والتمهيد لها بانسحاب المراقبين الأمريكيين والبريطانيين المكلفين بأمن وحماية هؤلاء السجناء من سجن أريحا.

وفى ضوء ما جاء فى هذه الرسالة يمكن رصد عدد من الملاحظات الكاشفة عن التواطؤ الأمريكى البريطانى مع إسرائيل فى عملية اقتحام سجن أريحا واختطاف ستة سجناء.

● الملاحظة الأولى: أن الرسالة جاءت موقعة من طرفين، أحدهما القنصل البريطانى والآخر القنصل الأمريكى فى القدس، أى أنها رسالة واحدة مشتركة، وليست رسالتين منفصلتين وهذا ما يشير إلى وجود اتفاق ثنائى ومبيت مع إسرائيل لقيامها بتنفيذ هذه المهمة الإرهابية برضاء أمريكى بريطانى.

● الملاحظة الثانية: اتفاق الإدارتين الأمريكية والبريطانية على إلصاق شبهة التقصير إلى السلطة الفلسطينية فى ضمان السلامة الشخصية للمراقبين فى سجن أريحا وهنا نتساءل: أليس من الواجب أن يتولى المراقبون الأمريكيون

والبريطانيون مهمة توفير السلامة الشخصية للسجناء الستة بالتعاون مع عناصر الأمن الفلسطينية؟ ومن يوفر الأمن لمن؟ ولماذا جاء هؤلاء المراقبون؟ وهل جاءوا للمطالبة بسلامتهم الشخصية أم لتوفير السلامة الشخصية للسجناء الستة؟

● الملاحظة الثالثة: إن هذه الرسالة تطالب السلطة الفلسطينية بإلغاء اتفاق مايو ٢٠٠٢ وتدعوها إلى السعى لإبرام اتفاق جديد مع الحكومة الإسرائيلية. ونتساءل: أليس ذلك دليلا دامغا على الاتفاق المسبق بين الدول الثلاث على نقض اتفاق مايو ٢٠٠٢ والتنسيق فيما بينها على توزيع الأدوار فيما يتعلق بعملية أريحا؟

● الملاحظة الرابعة: ربطت الرسالة وجود المراقبين الأمريكيين والبريطانيين فى سجن أريحا بأمرين.

الأول: ضمان السلطة الفلسطينية السلامة الشخصية للمراقبين.

والثانى: ضرورة التوصل إلى اتفاق جديد مع إسرائيل يحل محل اتفاق مايو ٢٠٠٢ وهذا ما يوضح بجلاء التواطؤ الفج من جانب أمريكا وبريطانيا مع إسرائيل، وإظهار الجانب الفلسطينى بأنه غير متعاون على توفير الأمن للمراقبين، وغير ملتزم باتفاق مايو ٢٠٠٢.

● الملاحظة الخامسة: أن الرسالة لم تحدد موعدا لانسحاب المراقبين، وهو ما يؤكد الاتفاق المبيت بين الدول الثلاث على السحب المفاجىء للمراقبين الأمريكيين والبريطانيين من سجن أريحا، لتباشر إسرائيل تنفيذ عملية الاختطاف بسهولة ويسر دون أى مواجهة مؤثرة من جانب الفلسطينيين لمنع هذه العملية الإرهابية لعدم علمهم بموعد انسحاب المراقبين.

وفى هذا السياق فإن الرئيس الفلسطينى قام بإبلاغ القنصلين الأمريكى والبريطانى من خلال رسالة حملها.. «صائب عريقات» باقتراح نقل «أحمد سعدات»، ورفاقه الخمسة من أريحا إلى رام الله ليكونوا تحت إشرافه، غير أن الرئيس الفلسطينى لم يتلق أى رد بالنفى أوالإيجاب بشأن هذا الاقتراح، وهو ما يعنى التعمد المقصود لإخفاء ما بيتته بريطانيا وأمريكا لسحب مراقبيهما، فى وقت لا يعلمه أحد من الفلسطينيين حتى تفاجأ السلطة الفلسطينية بالهجوم الإسرائيلى المباغت على سجن أريحا، فلا تستطيع منع عملية الاختطاف.

واللافت للانتباه أن التنسيق بين الدول الثلاث لم يقتصر فقط على مهمة اختطاف السجناء الستة، بل تعداه إلى مجال التصريحات التى يجب أن تقال عقب تنفيذ العملية الإرهابية، فتقول «كونداليزارايس» وزير الخارجية الأمريكية فى أعقاب عملية الاختطاف «إن مهمة المراقبين الأمريكيين والبريطانيين كانت محصورة فقط فى المراقبة فى السجن»

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الصدد هو ما الذى يدعو المراقبين إلى التخلى عن مهمتهم المقصورة على المراقبة فقط، والإسراع فى الانسحاب الذى فاجأ الفلسطينيين، قبل قيام إسرائيل بمهمة تدمير السجن بعشر دقائق، بدون إبلاغ السلطة الفلسطينية بذلك؟!.

وثمة دليل آخر يؤكد الخطط المبيت بين الأطراف الدولية الثلاث، هو ما صرحت به وزير الخارجية الأمريكية «رايس» بقولها: «إن الولايات المتحدة على اتصال مع إسرائيل والفلسطينيين لحثهما على ضبط النفس وأتساءل أى «ضبط نفس» تعنى «كونداليزارايس»؟ أتقف السلطة الفلسطينية صامتة أمام هذه العملية الإرهابية؟ «أليس من العدل أن تطالب وزير الخارجية الأمريكية إسرائيل باطلاق سراح المختطفين الستة فورا بدلا من الدعوة إلى ضبط النفس؟ إن هذا التصريح يكشف النقاب عن التواطؤ الأمريكى الواضح مع إسرائيل فى هذه العملية القبيحة الشكل التى ليس لها نظير فى عالم الدول المتحضرة؟

تبريرات ساذجة من تونى بلير

ويقول «تونى بلير» رئيس الوزراء البريطانى فى هذا الشأن.

«إن بريطانيا أجبرت على سحب ثلاثة مراقبين من السجن، بسبب فشل الفلسطينيين فى ضمان سلامتهم»

ونتساءل من أجبر بريطانيا على ذلك غير إسرائيل لتنفيذ عملية الاختطاف؟ وفى هذا السياق نفت «تسيبى ليفنى» وزيرة الخارجية الإسرائيلية «أن تكون إسرائيل نسقت مع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، اقتحام سجن أريحا» بل وصل الأمر إلى اتهامها رئيس السلطة الفلسطينية بعدم التجاوب مع الأمريكيين والبريطانيين لضمان أمن المراقبين فى سجن أريحا، فتقول: «إن البريطانيين والأمريكيين حذروا السلطة، أنهم سيغادرون السجن، لأن «أبومازن» لم يفعل شيئا، وأن الفلسطينيين خرقوا شروط الاتفاق المتعلق بسجن أريحا» وهنا نتساءل بغرابة شديدة من خرق الاتفاق المبرم بين الأطراف الأربعة فى مايو ٢٠٠٢؟ أليست إسرائيل هى التى فاجأت الجميع ودمرت سجن أريحا، وقامت بخطف ستة سجناء تحت تهديد السلاح؟ ولماذا تدافع «تسيبى ليفنى» عن انسحاب المراقبين الأمريكيين والبريطانيين؟ إن هذا التصريح من جانب وزيرة الخارجية الاسرائيلية تفوح منه راحة التآمر الثلاثى والتنسيق الواضح فيما بين الدول الثلاث للمهمة الإسرائيلية الإرهابية، التى ليس لها مثيل فى القرن الحادى والعشرين.

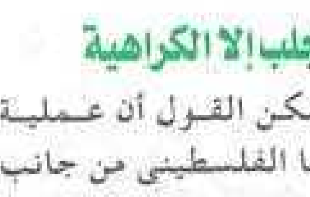
والمدهش أن «تسيبى ليفنى» ربطت بين انسحاب المراقبين من سجن أريحا، ووصول «حماس» إلى السلطة برباط زائف

حينما قالت: «إن البريطانيين والأمريكيين أيقنوا بعد صعود حماس إلى السلطة أن حياة المراقبين في السجن في خطر، وعليه فإنهم قرروا الانسحاب».

وتساءل ما دخل صعود «حماس» إلى السلطة في تهديد سلامة المراقبين، وهي تحاول أن تكسب ثقة العالم؟.

إرهاب دولة

ومن جانب آخر فإن المسئول الأول عن النيابة العامة في إسرائيل قرر تقديم «أحمد سعدات» ورفاقه المختطفين إلى محكمة إسرائيلية بتهمة اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي السابق «رحبعام زئيفي»، فتقول «ميني مزوز» المستشار القضائي: «إن لإسرائيل الصلاحية لمحاكمة القتلة وليس للسلطة الفلسطينية»، وفي هذا الصدد يقول الدكتور «إبراهيم العناني» أستاذ القانون الدولي: «أنه لايجوز قانونا محاكمة الشخص عن الفعل الواحد مرتين، إلا في حالة ما إذا ثبت أن المحاكمة الأولى، كانت صورية، وكان الهدف منها تخليص المتهم من العقاب، وهذا ما لايمكن القول به لأن إسرائيل قد قبلت وأقرت المحاكمة التي أدارتها السلطة الفلسطينية، ووافقت على أن يتم التحقيق مع المتهمين بمعرفة هذه السلطة، ومعاقبتهم في سجن أريحا تحت مراقبة دولية ومن ثم فإنها (أي إسرائيل) لا تملك اليوم أن تدعى أن هذه المحاكمات كانت صورية، لأن قبولها السابق، أغلق عليها أي حق في الرجوع عن هذا الموقف».



ابو مازن

ويرى أساتذة القانون الدولي «أن عملية اقتحام سجن أريحا هو عمل من أعمال إرهاب الدولة، ويحمل إسرائيل مسئولية جنائية دولية تقتضي تحرك الأمم المتحدة ومجلس الأمن، تجاه ما يلزم من إجراءات لإعادة الأوضاع القانونية إلى حالتها الطبيعية مرة أخرى، ويتمثل ذلك في إعادة من تم اعتقاله من مسجونين إلى حوزة السلطة الوطنية الفلسطينية» ويؤكد الدكتور «فؤاد عبدالمنعم رياض» أستاذ القانون الدولي، والقاضي السابق بمحكمة الجزاء الدولية: «أن إسرائيل تتحمل مسئولية قانونية دولية، وأن ما صدر عن أمريكا وبريطانيا من سحب لمراقبيهما، دون اتخاذ التدابير اللازمة لحماية المسجونين داخل سجن أريحا، يمثل تخليا عن التزاماتهما المترتبة على اتفاق مايو ٢٠٠٢».

كما يؤكد وجود تواطؤ بين أمريكا وبريطانيا مع إسرائيل لأنه كان ينبغي على هاتين الدولتين ـ بحكم كونهما مراقبين ـ الحيلولة دون قيام إسرائيل بمهاجمة السجن وتدميره، واختطاف «أحمد سعدات» ورفاقه وفي هذا إخلال بالاتفاق الرباعي في هذا الصدد»

عملية لا تجلب إلا الكراهية

وفي الختام يمكن القول أن عملية اقتحام سجن أريحا الفلسطيني من جانب إسرائيل، بعد عشر دقائق فقط من انسحاب المراقبين الأمريكيين والبريطانيين، والتخلي عن مهمتهم في الحراسة الأمنية للسجناء الستة بموجب اتفاق مايو ٢٠٠٢، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن ثمة اتفاقا مبيتا بين كل من أمريكا وبريطانيا وإسرائيل على قيام الأخيرة بهذه العملية الإرهابية غير المسبوقة في دنيا العلاقات الدولية، واختطاف «أحمد سعدات» ورفاقه الخمسة، بعد تدمير سجن أريحا حجرة حجرة ومحاصرة السجناء الستة في حجرة صغيرة، وإجبارهم تحت تهديد السلاح على خلع ملابسهم إلا مما يستر العورة ورفع أيديهم فوق رؤوسهم، وهم معصوبي العيون. إنها عملية بربرية لا يمكن أن تحدث حتى في عالم الغابات، إنها عملية إرهاب دولة لا يمكن أن تصدر من دولة تزعم أنها واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط، إنها عملية في غاية الوحشية والقسوة، لا تجلب إلا الكراهية والعنف المضاد إنها استخفاف بالعقل العربي، واستهانة بالسلطة الفلسطينية، وإحراج لرأس هذه السلطة، فلقد طالب البعض باستقالة الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» في حين دعا البعض الآخر إلى حل السلطة الفلسطينية.

اتفاقات اوسلو والخليل وخريطة الطريق

إن هذه العملية الإرهابية، وما شهدته من تنسيق ثلاثي (أمريكي بريطاني إسرائيلي) تثير تساؤلا جوهريا حول مدى قيمة الاتفاقيات التي توقعها السلطة الفلسطينية مع إسرائيل، وتشكك في مدى الاعتماد على الضمانات أو التعهدات التي توقعها قوى دولية، ونتساءل أين اتفاق أوسلو، واتفاق الخليل، وخريطة الطريق؟ ومن أين يمكن أن تتوفر الثقة في إسرائيل من جانب «حماس» بعد وصولها إلى السلطة، وإسرائيل لا تحترم أية اتفاقيات وتنتهك التعهدات الدولية، وتصر على مواصلة عدوانها على الحقوق الفلسطينية؟ إن السبيل الوحيد أمام إسرائيل إذا ما أرادت أن تكسب ثقة دول المنطقة هو أن تبادر برد الحقوق إلى أصحابها واحترام التعهدات والمواثيق الدولية والاتفاقيات التي توقعها، وتتخلى عن شريعة الغاب.

❊❊❊

مأساة فلسطين

للشاعر الكبير الأستاذ/ كمال النجمى (*)

خلت فلسطين من ساداتها النجب ... وأقفرت من بنى آبائها الشهب

طارت عن الشاطئ الخالى حمائمه ... وأقلعت سفن الإسلام والعرب

ذادوا عن الدار حتى ذادهم قدر ... عدا على الدار والأسوار والرحب

يا أخت غرناطة عزاً وقرطبة ... فى موثق من شباب الدهر مختلب

سلبت من يد أهل الحق مثلهما ... بسيف منتهك للحق مستلب

أهلوك أين هم؟ شطت مهاجرهم ... وأسلموا كخماص الطير للعطب

عاشوا جياعاً فلما حان حينهم ... جادوا بأنفسهم حرى من السغب

باتوا رماماً جفاه الذئب من شفق ... ورحمة، وعداه الصقر من أدب

تحوزهم ساريات الريح معولة ... عويل ثاكلة مرت على الترب

اللاجئون بأهليهم وصبيتهم ... والتائهون بهم فى كل مضطرب

والنازحون عن الأوطان شتتهم ... بطش العدو وبأس الحادث الحزب

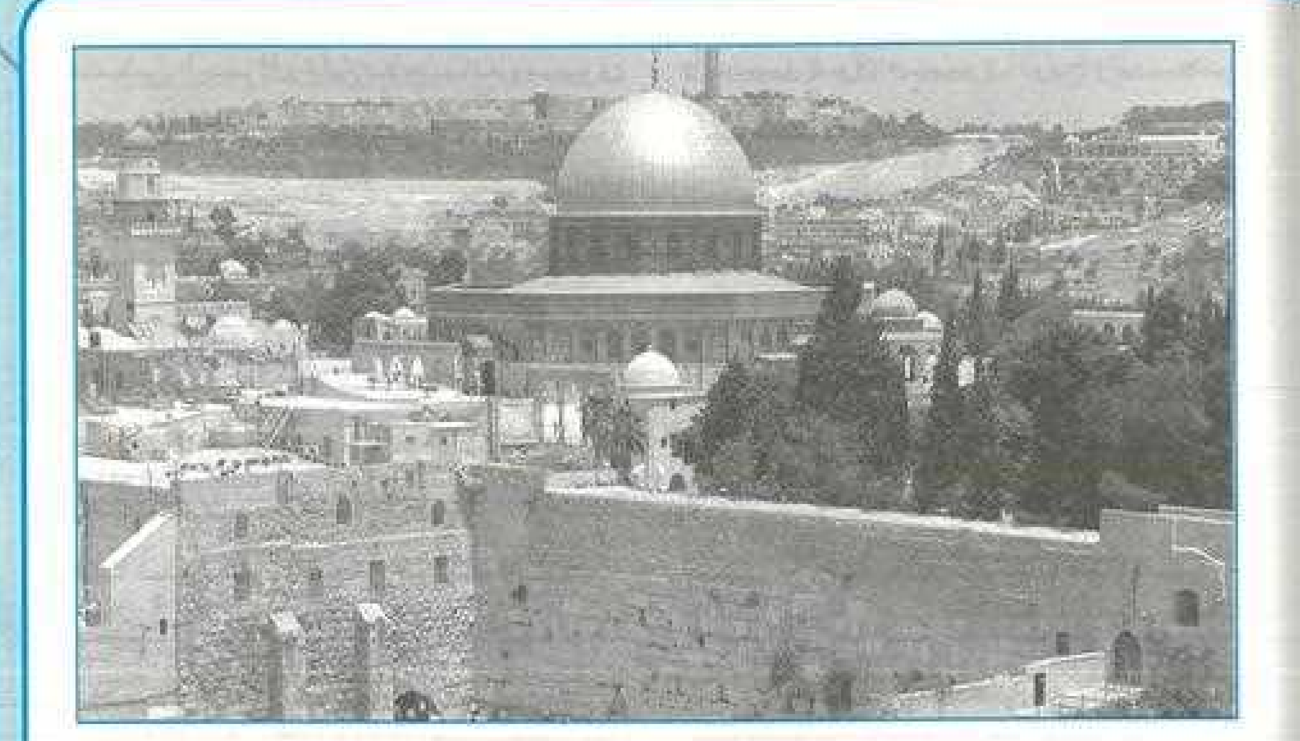
نأوا بأطفالهم خوفاً كأنهم ... حمائم هاجرت بالأفرخ الزغب

ويقتل النفس من غم ومن كمد ... فناؤهم وهم منا على كثب!

ديارهم كيف باتت بعدما نزحوا ... عنها وباتوا على الأحجار والكثب؟!

منازل خفتت أضواؤها، ونأت ... أطلاؤها، وخلت للبوم والغرب

(*) كتبت هذه القصيدة سنة ١٩٥١م.



يحلق الشهداء الأوفياء على ... ركامها نحبا فى ربعها الخرب

كم مسجد بعدهم عاث اليهود به ... نشوى رءوسهم من سكرة الطرب

وبيعة سكرت فيها بناتهم ... وما خجلن وأخجلن ابنة العنب!

معابد لا الدعاء السمح منطلق ... منها ولا لغة القرآن والأدب

أضحت طلولا يلم الرسل من جزع ... برسمها وينوح الصحب (١) من حرب

***

يا آل يعرب في مصر وجيرتها ... ملأتم سمع هذا الكون بالصخب (٢)

لما تكلم صهيون بلهذمه ... جاوبتم السيف بالأسجاع والخطب

أضعتم بلدا عاش الخليل به ... وأنزل الله فيه أول الكتب

(١) الصحب: صحابة الأنبياء، وحواريوهم.

(٢) هذا البيت وما يليه، تنديد بسياسة الكلام والخطب الجوفاء، التي درجت عليها الحكومات العربية منذ نكبة فلسطين في عام ١٩٤٨، وكانت هذه الحكومات - كما هو معروف - خاضعة لتوجيه الاستعمار وسيطرته، مسرفة في تضليل العرب بالخطب الحماسية

مشى البراق على بطحائه وسرى ... بأحمد فوق مسرى الريح والسحب
فليهنأ العرب بالنصر الذى زعموا ... وليغمد القضب الأبطال فى القرب!

❊❊❊

ضحية الغدر أسبلنا مدامعنا ... بريئة كدموع الحزن لم تشب
أجرت عليك مآق غير كاذبة ... دما تنزه مسفوحا عن الكذب
إن لم يعنك على عاد فمعذرة ... لإخوة لم يضنوا بالدم السرب
فقد تحكم فيهم أجنب شرس ... مسيطر فوقهم بالقهر والغلب
يعينه سادة عرب أبالسة ... أزرى بهم كلف بالحكم واللقب
ما فيهم غير خوان لأمته ... مضيع لحقوق الشعب مغتصب
يسير فى خيلة الأبطال منتفخا ... يهز فى يده سيفا من الخشب
يجر أذيال ألقاب منمقة ... يختال فيهن كالطاووس ذى الذنب!

❊❊❊

أخيذة الغرب هل فى الشرق من رجل ... مُشَوَّب في سبيل الحق معتصب
ذى مرةٍ لم يشب أخلاقه دنس ... ولا أطباهُ هوى اللذات واللعب
يقود يعرب نحو المجد منطلقا ... في مهيع واضح عالي الصوى لحب
لا تيأسى فرحاب الصبر واسعة ... والحظ في صعد آنا وفي صبب
ولن تكونى لصهيون ودعوته ... إلا جهنم فاضت منه بالحطب
هل بين هارون أو موسى وبينهم ... من واشج يصل الأرحام أو نسب؟
ما قوم موسى كليم الله شرذمة ... تبيع أعراضها للناس بالذهب!

❊❊❊

يا فلذة من فؤاد الحق قد قطعت ... بخنجر من دماء الحق مختضب
وجذوة من جذى التوحيد أطفأها ... ضرام حقد على التوحيد ملتهب
لم يبق غير رمادٍ منك محترق ... مبدد كرماد النار منتهب
هفا إليك صلاح الدين مدكرا ... خالى الوقائع من تاريخك العجب
أطل فوقك شوقا وانثنى ولهاً ... بمدمع غارق فى الدمع منتحب

يدعو إليك أسود الله ضارية ... تعدو على مُهَج الأعداء والقصب (٣)
دعاءَ ليث له فى كل معترك ... طعن القنا وزئير الضغيم الغضب
ماض على سنة الآباء، مقترب ... لله، مغترب فى الله، محترب
بما أدرَتْ لبوءات الفلاة غذا ... أعراقه ونما فى خيسها وربى

❊❊❊

يا يوم حطين عد للشرق ثانية ... واخلع على العرب من أثوابك القشب
أعد إلينا صلاح الدين في أجم ... من القنا وخميس زاخر لجب
كأن للجن فى حطين مزدحما ... منه يمس قلوب الجن بالرعب
ساروا كتائب للرحمن داعية ... بالبيض تغمر وجه الأرض واليلب
يفرجون عن الإسلام كربته ... ويمنعون كريم المجد والحسب
ويقهرون العدا إما التقوا بهم ... فى ساحة رحبة أو معقل أشب
القاحمون على الآساد معقلها ... والواثبون وثوب الجن فى اللهب
والقارئون كتاب الله فى رهب ... والواردون حياض الموت فى رغب
سادوا الدنا فى ظلال الله راضية ... وغادروها فنالوا أجر محتسب

❊❊❊

إيه فلسطين والأيام راكضة ... بنا تقطع قلب الدهر بالخبب
ماذا سقتك يد الأيام من غصص ... أليمة ورماك الدهر من كرب
لما سقطت بكي القرطاس من وله ... عليك وانشق صدر السيف من غضب
يبكي عليك بنو الإسلام من عدن ... إلى الرياض إلى مصر إلى حلب
قد ذاب كل فؤاد حرقة وجوى ... وانشق كل جماد منك لم يذب
بى منك جرح فتى ضيمت عروبته ... ومسلم حيز منه عرضه وسبى (٤)
ولم أزل كأبى أهفو إليك أسىً ... وينثنى لاعج الأشواق نحوك بى
قاسمت فيك الأسى شعرى فقاسمنى ... حتى وهيت وضج الشعر من لغب (٥)

---

(٣) القصب بضم القاف: الاحشاء.

(٤) إشارة إلي سبي النساء العربيات فى فلسطين واعتداء الصهيونيين عليهن!!

(٥) اللغب بمعني الضعف.



الإرهاب الغربى

تأليف

روجيه جارودى

ترجمة

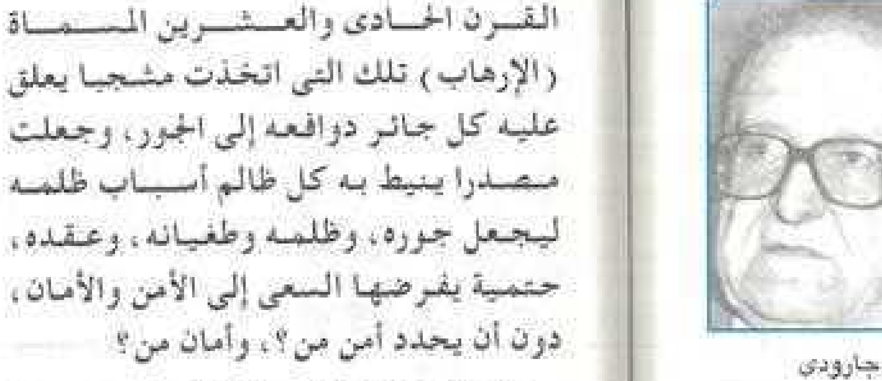
د. داليا الطوخى   د. ناهد عبدالحميد
د. سامى مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين





جارودى

حياة المفكرين -على وجه الخصوص- وعاء زمنى يتسع لكل ما صادفه المفكر فى حياته، وما قابله من عقبات، وما صادفه من أحداث قد تتباين، وقد تتشابه- تبدو فى مرأى عامة الناس ركاما لا صلة بينها ولكن المفكر يجد من قدراته الفكرية وطاقاته التأملية ما يمثل السلك الذى تنتظم فيه جميع تلك الحلقات.. حتى إذا وصل به العمر إلى مشارف النهاية عاد بنظره المتأمل، ليجتر تلك الأحداث فى تواليها وكرورها، فإذا هى أمامه تجربة واحدة -أو متوحدة- يرى فيها العالم لوحة واحدة، لا يكاد ينفصل فيها مشهد عما يليه وما يقاربه، فالأحداث التى تمر به، وما سبقها، وما قد يليها.. جميعها تبدو أطوارا لتوجه واحد، على الرغم مما يكسو ظاهر كل حدث من تميز وخصوصية.

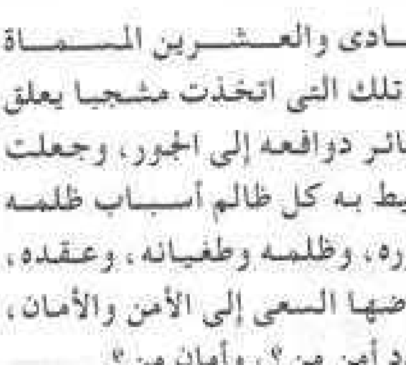
المفكر الفيلسوف الفرنسى رجاء (روجيه) جارودى- بما استغرقه من فكر فلسفى جاد- بعد أن ولج به العمر فى العقد العاشر.. يعيد نظره اليوم فى أكبر حدث يهيمن على عالم اليوم من أقصاه إلى أقصاه، ويكاد يندفع بالأحياء جميعا إلى حرب كونية مدمرة تأتى على الأخضر واليابس، وتذيب الجماد، وتفنى الأحياء، وتفقد الكرة الأرضية صلاحيتها لسكنى البشر وغير البشر، بل تكاد تغرق تلك الأرض بمن عليها وما عليها بفعل أسطورة



القرن الحادى والعشرين المسماة (الإرهاب) تلك التى اتخذت مشجبا يعلق عليه كل جائر دوافعه إلى الجور، وجعلت مصدرا ينيط به كل ظالم أسباب ظلمه ليجعل جوره، وظلمه وطغيانه، وعقده، حتمية يفرضها السعى إلى الأمن والأمان، دون أن يحدد أمن من؟، وأمان من؟.

هذا المفكر الفيلسوف الفرنسى- بعد أن دلف إلى العقد العاشر- استعاد نشاط الشباب الذهنى، وأرجع بصره فيما يتهدد البشرية جمعها من ويلات بفعل قادة الغرب الأوروبيين، وما يصدر عنهم اليوم، فوجد العلاقة وطيدة بين ما يفعله هؤلاء اليوم، وما فعله أسلافهم على مدى قرون متطاولة من الزمان، فقام بالربط بين أحداث اليوم وأحداث الأمس، هاتكا بذلك الثياب التى حاول طغاة العصر أن يلبسوها أفعالهم، إصرارا منهم على التزييف والتزوير الذى تخصصوا فيه، حتى أصبح علامة عليهم.

وجارودى الذى عرفته مجلة الأزهر مع أكثر من كتاب.. قدم رؤيته تلك فى كتابه (الإرهاب الغربى) الذى قامت مكتبة الشروق الدولية بنشره مترجما إلى العربية بطبعته الأولى سنة ٢٠٠٤ فى جزأين، عرب أولهما: الدكتورة داليا الطوخى، والدكتورة ناهد عبدالحميد، والدكتور سامى مندور، وعرب الجزء الثانى الأستاذ عبدالمسيح فلى.



والكتاب بجزأيه يضم ستة فصول، وتقديما، وتمهيدا، ومقدمة، تشغل جميعها ثمانية وعشرين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط.



بن لادن

طريق الهيمنة الغربية

مهد (جارودى) لدراسته هذه مصرحا: إنه أتم تلك الدراسة قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١ ومنبها إلى أنه لم يغير مما كتبه كلمة واحدة، لأنه يرى فيه تبيانا لدلالة الحدث فى إطار ثلاثين قرنا من الزمان التى كونت الغرب بتناقضاته الداخلية، وتقدمه الهش الذى يعكس انقلابا ممكنا فى مساره المتصاعد.

ويرى: أن الولايات المتحدة -بعد أن قضى الحلفاء الأوروبيون بقيادتها على آخر حلقة من حلقات البربرية القديمة بهزيمة هتلر سنة ١٩٤٥م- عملت على أن يكون زمام الحلقة الجديدة بيدها هى، على أن تأخذ تلك الحلقة الجديدة من حلقات البربرية الغربية شكلا جديداً، بدا واضحا من تردد عربدتها بين (جواتيمالا)، و(فيتنام)، وبين (نيكاراجوا)، و(العراق)، و(يوغوسلافيا)، و(أفغانستان)، مختلقة فى كل حالة الأسباب والعلل وكانت آخر تلك

الأسباب مطاردة (بن لادن)، وما استلزمه ذلك من قصف مدمر لأفغانستان، ومن تأكيد حقدها على الإسلام، وجعله ممثلا جديدا لإمبراطورية الشر، لتحله محل الاتحاد السوفيتي بعد انهياره، خصوصا مع ملاحظتهم انتشار الإسلام في كل مكان في العالم.

وقد وضح هذا التوجه الأمريكي بقيادة الرئيس الأسبق (رونالدريجان) ومرورا بالرئيس (بوش) الأب، وانتهاء اليوم بالرئيس بوش الابن، الذي اتخذ من حادث ١١ / ٩ / ٢٠٠١ ذريعة لتكريس الحقد على الإسلام، بدعوى أن «بن لادن» وأتباعه المسلمين هم الذين أوقعوا تلك الكارثة بمركز التجارة العالمى، متجاهلين ضعف تلك الذريعة، خصوصا من الناحية التقنية، على ما كشفه نقاش متعمق دار بين عدد كبير من الطيارين المدنيين والعسكريين الأمريكيين.. حيث توصل هذا النقاش إلى استحالة صدور هذا الحادث إلا بالتعاون الكامل والدقيق من المخابرات المركزية الأمريكية التى دبرت هى ومعاونوها من السياسيين والمسئولين ذلك الحادث لإقناع الشعب الأمريكي بحتمية القيام بحرب إبادة للمسلمين.

فقد انتهى نقاش هؤلاء الطيارين الأمريكيين إلى أمور من أبرزها:



بوش

١- حاجة مثل هذه العملية إلى طيارين محترفين مؤهلين تأهيلا عاليا، ليصيبوا بدقة هدفا مثل (البرج) الذى يبدو بارتفاعه الشاهق مثل عامود رفيع.

٢- حاجة مثل هذه العملية إلى معرفة دقيقة باللوائح، والمحظورات، والشفرات السرية في سماء كل متر مربع فيها تحت سيطرة الأمن العسكرى، والمخابرات المركزية الأمريكية.

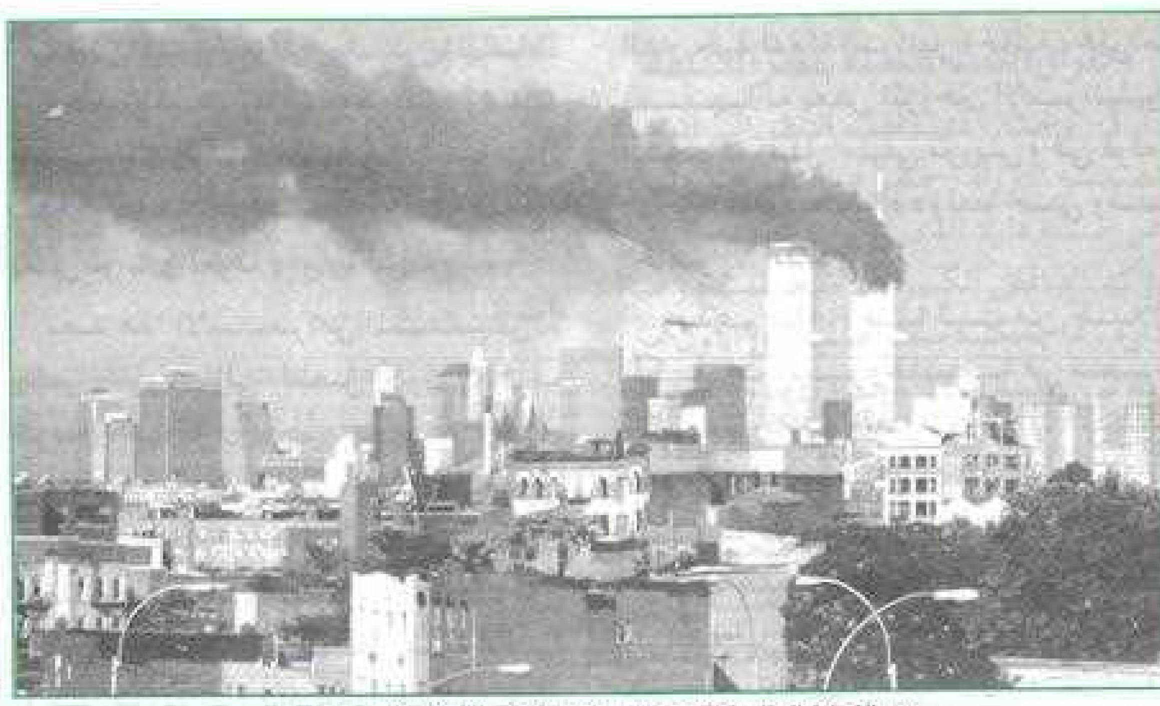
٣- عدم تحرك سلاح الطيران بأى شكل، على الرغم من تأهبه الدائم للقضاء على أى طائرة مشبوهة.

٤- عدم استخدام أى وسيلة من وسائل مكافحة خطف الطائرات، التى تملك أمريكا منها أحدث الوسائل المتمثلة فى القدرة على تدميرها من بعد أو إجبارها على الهبوط.

مما يؤكد: أن تدبير المخابرات المركزية الأمريكية كان وراء ذلك، بقصد إجبار الشعب الأمريكى على قبول القيام بحرب إبادة ثأرية، على نحو ما سبق لهم صنيعه فى (كوبا)، تخلصا من سياسة (كنيدى) المائعة.

ولم يغفل المدبرون إضافة أدلة تشير





برج التجارة العالمى وشكوك حول ضلوع المخابرات الأمريكية فى تفجيره

إلى الهوية الإسلامية بين الأنقاض، مثل كتب تعليم الطيران بالعربية، ونسخ مختلفة من القرآن الكريم، وجواز سفر عربى.

وهكذا.. هيأ المتآمرون الفرصة أمام (بوش) الابن ليواصل السياسة الهجومية التى بدأها الرئيس السابق (رونالد ريجان) وليعلن فى شهر أكتوبر ٢٠٠١ الحرب الصليبية ثم عاد ليعلنها حربا على الإرهاب، حرصا على (نفط) البلاد الإسلامية، وسعيا إلى فرض الهيمنة الأمريكية على العالم، مستغلا فى ذلك قوته العسكرية الهائلة، وصندوق النقد الدولى، والبنك الدولى.. إلخ.

أسطورة الشعب المختار!!

وبعد أن استعرض فى المقدمة طرفا من أطوار حياته، وما مر به من تردد بين الديانات السماوية، والأفكار البشرية، انتهى به إلى الإسلام الخالص الذى يعترف بالأنبياء السابقين، ويقدر جهد المفكرين المجتهدين، متجاوزا انحرافات بعض الحكام ورجال الدين اليهودى، والمسيحى، والإسلامى، وميلهم عن أسس تلك الديانات التى تحرص على إسعاد البشرية، والنهوض بها.

وبتجاوزه تلك الانحرافات.. أدرك ما تقوم به البربرية الجديدة، والمتسلحة بأحدث الإنتاج (التكنولوجى) من تدمير لكل شىء، مدعومة بسيطرة إعلامية



رهيبة، تقلب الحقائق، وتبشر بالفساد، فتفقد الإنسان إدراكه ووعيه، وتوازنه وهويته، فلا يملك إلا الاستسلام الكامل لما تقوده إليه من خراب شامل ودمار مروع، يلبس ثوب (العولمة) أو (الحداثة).

بعد هذا الاستعراض المستفيض.. خلص جارودى إلى الفصل الأول (الغرب غرب)، فذكر: أن طريق الهيمنة الذى أخذ اليوم اسم (العولمة) يضرب بجذوره إلى آلاف السنين، منذ أسطورة (الشعب المختار) التى برر بها إبادة الآخرين، فتلك الأسطورة لا تختلف عما ادعته الإمبراطورية الرومانية من أنها تضم فى حدودها كل العالم المعروف آنذاك، كما لو كان حكرا عليها، وهذا هو الذى سمته أوروبا (الحضارة)، لكى تعطى الشرعية لاستعباد الشعوب الأخرى واستعمارها، فهذا الادعاء، وأسطورة (الشعب المختار) لا يختلف فى شىء عما يزعمه قادة الولايات المتحدة اليوم: أن القدر كلفهم قيادة العالم لإقامة نوع من (العولمة).

أسطورة لا يدعمها التاريخ

ومما يؤكد أن (الشعب المختار) أسطورة..

ما تبين -على ضوء تقدم علم الآثار- إن تاريخ العبرانيين المزعوم لا يظهر إلا كأسطورة محضة تمثل كل الشرعية التاريخية لدولة إسرائيل الحالية، على ما يصفها به بعض المؤرخين الإسرائيليين الشجعان، مثل «بينى موريس» فى قوله: «لا يوجد منذ نشأة دولتنا حتى وقتنا الحاضر إلا أسطورة؟!

ويدعم هذا.. ما ثبت من خلال الكتابات الهيروغليفية فى مصر، والمسمارية فى العراق، من أن المنطقة التى عرفت باسم الهلال الخصيب، الممتدة من العراق إلى مصر.. هذه المنطقة قدمت إليها فى نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد (العصر البرونزى)- هجرات كثيفة من البلاد المجاورة- خصوصا شبه الجزيرة العربية- فرارا من الغزو أو من التغيرات المناخية التى أصابت أرضهم بالتصحر، وكان الآراميون أول القادمين، حيث استقروا فيما يسمى الآن: أرض الشام.. وشكلوا فى منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد- مركز حضارة فى بلاد الكنعانيين.

ثم جاءت هجرات البدو العبرانيين متأخرة، واندمجوا بشكل عام سلميا مع السكان الأصليين الذين لا يتصور مواجهتهم عسكريا، لتمكنهم -بتحضرهم- من إنشاء مدن محصنة.

أما ما جاء فى التوراة من صعود قوة إسرائيل فليس صحيحا، لعدم ظهور اسم داود أو تاريخه فى أى مصدر غير التوراة لا فى نص، ولا فى نقش، ولا فى بقايا أثرية.

اختراق الكتب المقدسة لطمر الحقيقة

١- وجارودى يلفت النظر إلى أن ما تضمنته التوراة -خصوصا سفر صموئيل- عن حياة داود الذى ينسب المسيح إليه.. يؤكد التناقض الكبير بين حياة المسيح وحياة داود، مما يحكيه سفر صموئيل الأول من: أنه لبى طلب الملك (شاول)، وانطلق مع رجاله، وقتل مائتى رجل من الفلسطينيين وقدم غلفانهم لتكون مهرا لزواجه من (ميكال) ابنة الملك وأنه لما أعجب بامرأة (أوريا الحثى) أحد قواده.. استدعاها، وضاجعها، فلما عرف أنها حملت منه دبر مكيدة لزوجها (أوريا) حتى لقى حتفه. وأنه كان يقاتل ضد الفلسطينيين تارة، وتارة يطلب أن ينضم إليهم فى قتالهم العبرانيين وأنه كان فى قتال مستمر مع (الجشوريين) و(الجرزيين) و(العمالقة)، بل وقاتل ابنه (أبشالوم) لمعاشرته محظيات أبيه داود، ويجمل صموئيل ما فعله فى قوله: «وهاجم داود سكان الأرض، فلم يستبق نفسا واحدة.. واستولى على الغنم، والبقر، والحمير، والجمال، والثياب، ولم يكن داود يستبقى رجلا أو امرأة على قيد الحياة» (صموئيل الأول: ٢٧/ ٨-١١).

وبعد إفاضته فى سرد طائفة مما قدمته أسفار التوراة من مغامرات داود النسائية والعسكرية.. يذكر جارودى -فى تهكم ساخر-: أن تلك هى قائمة أعمال داود التى جاء كتاب (تعاليم الكنيسة الكاثوليكية) الصادر عن البابا يوحنا بولس الثانى ١٩٩٢م ليقول: «إننا نستطيع أن نتعرف فى عيسى على صفات ابن داود الأساسية»، وليقول: «هو خليفة داود، ويتمتع بجميع صفاته الرئيسية»، وليقول هو «عيسى مخلص بنى إسرائيل».

٢- وجارودى يلفت النظر كذلك إلى أن كذب ما تروج له التوراة من الزعم بأن العبرانيين هم أول من ابتدأ الوحدانية، فالعبرانيون خلال قرون من الشرك القبلى لم يستبعدوا وجود آلهة أخرى، ولكنهم اعتقدوا أن إلههم هو الأقوى، والضامن للنصر.

ويؤكد كذب هذا الزعم: أن الإله الذى مجده اليهود لم يكن مختلفا عن (بعل) شعوب الهلال الخصيب الأخرى، تلك التى وضعت فيها بذرة فكرة التوحيد.. وأن ما يسمى (التوراة الكنعانية) بدءا من سنة ١٩٢٩م توضح بجلاء أن الكنعانيين -بما فيهم اليهود- استقبلوا بحماسة شكل الوحدانية الجديد الذى وضعه (أخناتون)، حتى إن المزمور (١٠٤) يبدو كأنه مستوحى بكامله من نشيد الشمس لأخناتون الذى محا من واجهات المعابد جمع كلمة (إله)، والذى يقول فى نشيده إلى (آتون) فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد «أنت الواحد خلقت كل موجود».

ولكن التراث الكهنوتى العبرى احتكر

هذا التطور الناضج للوحدانية من العراق إلى مصر، وكتب التاريخ بروح عرقية ضيقة، حيث جعل من فلسطين مركز الخلق فردد سفر التثنية: أن القدس هى المكان الذى اختاره الرب إلهكم ليضع عليه اسمه»، رغم أن يشوع يضعه على جبل عيبال وأرمياء يضعه فى شيلوه.

٣- وجارودى يقف أيضاً أمام الموضوع التوراتى (تخصيص بلد)، فيرى: أن أصله مستمد من (الوعد الأبوى) من الله لإبراهيم، على ما جاء فى سفر التكوين. ووجد أن (ألبير دى بورى) الأستاذ فى جامعة جنيف البروتستانتية توصل إلى أن غالبية مفسرى (الوعد الإلهى) فى تعبيره التقليدى مثل: «لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات).. توصل (ألبير..) إلى أن غالبية المفسرين هؤلاء.. يجعلونه نوعا من إعطاء الشرعية -بعد الحدث- للغزو الإسرائيلى لفلسطين وجعله امتدادا للسيادة الإسرائيلية خلال حكم داود.

ويرى: أن هذا الوعد -على فرض التسليم بوجوده- لم يكن خاصا بالإسرائيليين، ولا بتلك الأرض، فالوعد هذا.. أسطورة عالية يجب أن يوضع فى إطارها الوعد الخاص بأرض كنعان، إذ إن جميع شعوب الشرق الأوسط -مثلا- قد أخذت وعودا مشابهة، حيث تزعم كل قبيلة: أن إلهها قد وعدها بالأرض حتى ترعى بها، واستقرار القبائل البدو فى الأرض يرتبط عند جميع الشعوب بالسيطرة على الأرض التى وعدهم بها إلههم.. ففى مصر.

وعلى مسلة الكرنك التى أقامها تحتمس الثالث (١٤٨٠- ١٤٧٥) قبل الميلاد.. نجد الإله يقول: «سأعطيك -بقدرى- الأرض طولا وعرضا، لقد أتيت وسأجعلك تجتاح أرض الغرب».

وفى العراق، فى اللوحة السادسة من قصيدة الخلق البابلية نجد الإله (مردوك) يعطى لكل نصيبه ولكى يرسخ العهد أمر ببناء بابل ومعبدها.

وفيما بين مصر والعراق.. يمجد الحيثيون (أرينًا) آلهة الشمس، قائلين لها: «تحرسين أمن السماوات والأرض وتقيمين حدود البلاد.

ويختتم جارودى عرضه هذا بقوله: «فإذا لم يكن اليهود قد تلقوا وعدا مماثلا، فإنهم -بذلك- قد يمثلون استثناء!

ولكن جارودى يعاود استطراداته فيذكر: أن البحث العلمى المحايد يكشف زيف هذا الموضوع التوراتى (تخصيص بلد) مستشهدا بـ كاتلين كينون) التى اكدت -بأبحاثها الأثرية-: «إن هذا الموضوع إحدى الصعوبات التى تواجهنا ونحن نضع تاريخا زمنيا لدخول الإسرائيليين، إذ لا يوجد شىء فى أى موقع يجعلنا نقول إن هناك دليلا ماديا على وصول شعب جديد.. وكل ما

يمكن قبوله: أن مجموعات بنى إسرائيل التى وصلت إلى هذا المكان كانت فى أساسها من البدو الرحل الذين يأخذون أمتعة من سبقوهم على هذه الأرض عندما يستقرون عليها أما الثقافة الفلسطينية فكانت فى أساسها كنعانية.

تبرير إبادة الشعوب

وهكذا.. تحولت حركة هؤلاء البدو الرحل الباحثين عن ملاذ إلى أسطورة الوعد، والقوة القاهرة.

٤- ويقف جارودى -كذلك- أمام أسطورة (الشعب المختار) فيذكر: أن فكرة (الشعب المختار) تعد أكثر الأفكار دموية فى التاريخ، فكما أنها بررت ما نسب إلى يشوع من قتل وإبادة للشعوب الأخرى كى يمكن للإسرائيليين فى الأرض.. اتخذها (البروتستانت) الإنجليز الذين وصلوا إلى أمريكا مبررا لاستئصال الهنود أصحاب الأرض الأصليين، حتى لقد اندفع أحد البابوات يتساءل فى استنكار عما إذا كان هؤلاء الهنود يتمتعون بروح مثل البيض، ثم قسم أراضيهم بين إسبانيا والبرتغال. بل وقد استصحب هذه الأسطورة المهاجرون الإنجليز عندما وصلوا إلى (ماساشوستس) بحجة أن هدفهم هو إقامة (أرض الميعاد)، مستندين إلى أسطورة: (إن خروجهم من إنجلترا يعد خروجا توراتيا جديدا)، وكان هؤلاء هم النواة التى كونت الولايات المتحدة فى بلد لم يكن لهم فيها أبدا تاريخ.

وكانت تلك الأسطورة -كذلك- مبررا لكثير من أنماط الاستعمار، بل إنها جعلت كنيسة القديس (بولس) بروما من نفسها وريثة لهذا (الاختيار الإلهى)، فقررت: أن تدمير ملايين الهنود، وذبحهم نوع من التنصير.

ومن هذا المنطلق.. رأينا البابا (سانت دومانج) سنة ١٩٩٢ يثنى على أوروبا لدورها الحضارى فى العالم، ورأينا الولايات المتحدة الأمريكية تمارس السياسة الاستعمارية بكل أبعادها، وتحاول أن تخضع دول العالم لقوانينها تحت ذريعة (القدر المحتوم)، أو (القدر المبين) للشعب المختار الجديد.. وتجعل ذلك من البديهيات التى لا تحتمل حوارا، ولا معارضة، على نحو ما كتب أحدهم يقول: «بديهى: أن الله دعا المستعمرين للحرب، والهنود مثلهم مثل قبائل العمالقة، والفلسطينيين السابقين الذين تحالفوا مع آخرين ضد إسرائيل».

وها هو ذا (جون آدمز) خليفة (جورج واشنطن) يكتب فى السيرة الذاتية: «لن أكف عن الاعتقاد بأن تأسيس أمريكا ليس إلا إرادة العناية الإلهية لتعليم وتحرير قطاع كبير من البشرية التى مازالت خاضعة للرق.. لقد أوجدت العناية الإلهية أمريكا لتكون مسرحا يحقق فيه الإنسان مكانته الخاصة.

- يتبع -

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

العهد الإسلامى

للعمل المشترك بين علماء المسلمين

ثلاثمائة عالم ومفكر يناقشون فى مكة المكرمة وحدة الأمة الإسلامية

متابعة: الأستاذ / عاطف مصطفى

كانت الوحدة ولا تزال تمثل إحدى المقومات الأساسية المهمة لتقدم الشعوب ونهضة الأمم ولقد حث الإسلام المسلمين على الوحدة والتضامن والتعاون فى مختلف المجالات والميادين.

يقول الله عزل وجل:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

[آل عمران: ١٠٣]

وأرشد الرسول ﷺ إلى وحدة الأمة الإسلامية فى حديثه الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه».

وقد سجل التاريخ بمداد من ذهب مجد تلك القيادة الشامخة والطليعة الفذة للأمة الإسلامية، يوم أن كانت الأمة متحدة متضامنة ومتعاونة بل إن تمسك المسلمين الأوائل بالتوجيه الربانى، هو الذى جعل أمة الإسلام، خير أمة أخرجت للناس.

والمسلمون اليوم يواجهون تحديات جمة بسبب تفرقهم، مما يوجب عليهم مراجعة أوضاعهم، ومعالجة أسباب الفرقة والحرص على جمع الكلمة ووحدة الصف.

الملتقى العالمى الأول للمسلمين

يقول الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى «إن الرابطة واستشعارا منها بما يعيشه المسلمون: من ظروف صعبة، من أبرز أسبابها الفرقة، وتقديرا لأهمية استنهاض همة المسلمين حكومات وعلماء، وتقوية شوكتها، وتوثيق عرى الأخوة الإيمانية، حتى تجمع إمكاناتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويستعيد المسلمون مكانهم القيادى والريادى فى هذا العالم».

لأجل ذلك عقدت رابطة العالم الإسلامى الملتقى الأول للعلماء المسلمين بمكة المكرمة تحت عنوان «وحدة الأمة الاسلامية» وتحت رعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود فى الفترة من ٣ - ٥ ربيع الأول ١٤٢٧ والتى توافق ١ - ٣ ابريل ٢٠٠٦.

فضيلة الإمام الأكبر يؤكد على وحدة المسلمين

وشهد حفل الافتتاح كلمة الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى ثم تلاه بعد ذلك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى والذى ألقى كلمة المشاركين فى المؤتمر والذين زاد عددهم على ثلاثمائة عالم ومفكر من أنحاء العالم.

عبدالله بن عبدالمحسن التركى



د. محمد سيد طنطاوى

وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلى ضرورة وحدة المسلمين ومواجهة التحديات وتوحيد كل الطاقات والجهود موضحا أن اختيار موضوع هذا المؤتمر يأتى تأكيدا لأهمية الوحدة واعتبارها أحد المقومات الأساسية لتقدم الشعوب الإسلامية ونهضتها.

وكان الأمين العام للرابطة قد أشار فى كلمة الافتتاح أن مؤتمر الوحدة الإسلامية الأول الدولى يهدف إلى وضع رؤية إسلامية تعالج التحديات الداخلية والخارجية التى تواجه الأمة، وتؤثر فى مسيرتها نحو التنمية، والتعامل مع الآخر وبين أن المؤتمر يعالج خمسة محاور هى: وحدة الأمة الإسلامية فى القرآن والسنة، ونماذج لوحدة الأمة الإسلامية فى التاريخ، ودواعى الوحدة ومسئولية تحقيقها، والمعوقات وسبل علاجها، كما تناول إعداد برامج عملية لتحقيق طموحات الأمة الإسلامية، والوحدة الاجتماعية بين المسلمين ووحدة العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية.

وأكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى تقديره لما دعا إليه قادة الأمة الإسلامية فى مؤتمر القمة الاستثنائى الثالث ومن خلال بيانه الختامى،

وفى بلاغ مكة وما تضمنه من رؤية لإصلاح حال الأمة الإسلامية، ومعالجة المشكلات التى تحياها مشيرا إلى أن المرحلة الحالية تتطلب تضافر الجهود للخروج من هذا النفق المظلم!

مشاركة مصرية متميزة

وقد شارك وفد رفيع المستوى من علماء مصر، كان فى مقدمتهم فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر والدكتور أحمد عمر هاشم والذى قدم بحثا بعنوان وحدة الأمة الإسلامية فى السنة النبوية، والدكتور رأفت غنيمى الشيخ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الزقازيق وقدم بحثا عنوانه «رابطة العالم الإسلامى أنموذج مضىء للوحدة فى التاريخ الإسلامى المعاصر، والدكتور صوفى حسن أبو طالب والذى قدم بحثا عنوانه «التشريعات كطريق لوحدة الأمة الإسلامية».

كما قدم الدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر بحثا مهما بعنوان «الوحدة الاقتصادية للأمة الإسلامية».

كما شارك الدكتور اسماعيل عبد الرحيم شلبى الأستاذ بكلية الحقوق جامعة الزقازيق ببحث عنوانه «أهمية وحدة الأمة الإسلامية ومقوماتها» وقدم الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية بحثا تناول تطوير منظمة المؤتمر الإسلامى، كما شارك الدكتور محيى الدين على عشماوى أستاذ القانون العام بجامعة المنصورة ببحث عنوانه «جهود منظمة المؤتمر الإسلامى فى تحقيق الوحدة» أما الأستاذ الدكتور نبيل السمالوطى أستاذ الاجتماع بجامعة الأزهر فقدم بحثا بعنوان «نحو تشخيص نقدى لتمزق الأمة الإسلامية».

وهذه البحوث وغيرها التى نوقشت فى المؤتمر حققت أهدافا كثيرة، لاشك أن لمردودها قيمة تحقق ما ننشده من هذا المؤتمر المهم.

وفى سؤال وجهته مجلة الأزهر إلى الدكتور جعفر عبد السلام حول أهمية المؤتمر قال: إن هذا المؤتمر شهد تقديم آليات طموحة للوحدة الإسلامية تقدم بها وفد رابطة الجامعات الإسلامية، ومن بين هذه الآليات إقامة نظام الأمن الجماعى الإسلامى أو أول ما يقتضيه تكوين جيش إسلامى دفاعى تسهم فيه كل الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى ويكون على أهبة الاستعداد لمناصرة القضايا الاسلامية، والدفاع ضد أى عدوان يمس الدول والشعوب الإسلامية، أو يهز كرامتها.

وأوضح فى بحثه أن فكرة الدعوة إلى إنشاء هذا الجيش الإسلامى هى الأساس القرآنى الذى ذكره المولى - عز وجل - وفى قوله:

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الحجرات: ٩، ١٠]

وإلى أن يتم تعديل وتطوير ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامى، بصورة يتم من خلالها تفعيل نظام الأمن الجماعى، يمكن بصفة استثنائية تبنى ما ورد فى ميثاق الأمم المتحدة من تدابير، خاصة أن الصلة وثيقة بين المنظمتين بصورة تدفع إلى التأكيد من قبل منظمة المؤتمر الإسلامى على الالتزام بكثير من قرارات وأعمال الأمم المتحدة، مع ملاحظة أن يكون ذلك مقيدا بالذاتية الإسلامية، بحيث تقوم هذه التدابير على أساس الحق والعدل ولا تخالف الشريعة الإسلامية فى شيء.

العهد الإسلامى للعمل المشترك بين العلماء المسلمين

وحرصا من أعضاء الملتقى العالمى الأول للعلماء المسلمين على وحدة الأمة الإسلامية، وترسيخا للعمل الإسلامى المشترك، ونهوضا بما يفرضه عليهم دينهم، ومشاركة من قادة الأمة الإسلامية الذين دعوا فى مؤتمر القمة الإسلامية الاستثنائى بمكة المكرمة فى شهر ذى القعدة من عام ١٤٢٦هـ لمعالجة التفرق فى صفوف المسلمين.. فقد أصدروا العهد الإسلامى للعمل المشترك بين العلماء المسلمين أملا فى تحقيق الآمال المنوطة بهم وفيما يلى نص العهد:

الحمد لله رب العالمين الذى وصف أولى الألباب من عباده بقوله الحق:

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾

[الرعد: ٢٠]

والصلاة والسلام على نبينا محمد الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وعلى آله وصحبه.. أما بعد فإن العلماء المسلمين الذين اجتمعوا فى ملتقاهم الأول، بجوار بيت الله العتيق فى مكة المكرمة، أشرف بقاع الأرض، استعرضوا أوضاع الأمة الإسلامية والتحديات التى تواجهها وتدارسوا البيان الختامى وبيان مكة المكرمة الصادرين عن مؤتمر القمة الإسلامية الاستثنائى الذى دعا إليه ورعاه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود فى شهر ذى القعدة من عام ١٤٢٦هـ.

يعاهدون - الله سبحانه وتعالى - على حمل أمانة الإسلام والإخلاص فى أدائها والتعاون فى تحقيق أهدافها التى توحد ولا تفرق، مدركين واجباتهم فى تحمل أعباء الهداية للأجيال، وتصحيح الأخطاء فى المجتمعات الإسلامية وفق منهج نبى الأمة وهاديها محمد ﷺ.

ويستلهمون مهامهم لإنجاز هذا العهد من التكليف الإلهى

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٤]

ويستشعرون مسئولياتهم أمام - الله سبحانه - وتعالى أمام أجيال الأمة الإسلامية المتعاقبة لمواصلة الدعوة إلى الله على بصيرة فى مرحلة حرجة كثرت فيها التحديات، واضطربت خلالها العديد من المفاهيم وانصرفت فئات من أبناء المسلمين عن حقيقة الإسلام، وجنحت فئات أخرى عن عدله ووسطيته إفراطا أو تفريطا.

وفى هذا يؤكد المشاركون فى الملتقى أن الإسلام يوجب على المسلمين اتباع المنهج الوسطى ونبذ الغلو والتطرف، واتخاذ موقف معتدل وفق ما ارتضاه الله - عز وجل - لهم فى قوله لهم

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

[البقرة: ١٤٣]

وأكد المشاركون على أن التمسك بالقيم الخلقية فى الإسلام، كان سببا فى استمرار الدعوة وانتشارها بين الناس على اختلاف بلدانهم وألوانهم وألسنتهم وأجناسهم، وصدق الله سبحانه فى وصف رسوله ﷺ بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم: ٤]

ومن منطلق هذا الخلق الإسلامى لنبى الرحمة فإن المشاركين فى الملتقى يتعهدون على التمسك بالمنهج الأخلاقى النبوى فى عرض الإسلام فى صورة صحيحة، كما أمر الله - عز وجل - نبيه ﷺ بقوله:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[يوسف: ١٠٨]

ويؤكد المجتمعون حاجتهم إلى تعاون يستند إلى كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله القائل: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، كتاب الله وسنتى».

إن الملتقى الأول لعلماء المسلمين وهو يدرك مكانة العلماء فى الإسلام التى بوأهم إياها رب العالمين فى قوله:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[المجادلة: ١١]

التى بينها الرسول فى قوله: (العلماء ورثة الأنبياء) فإنه يذكرهم بعظيم مسئوليتهم.

ولعل الجميع يعلم أن الهجمة الظالمة على الإسلام، تمضى قدما فى النيل من أسسه، وتشوه صورته، وتعمد إلى غمط حقائقه الناصعة بسلوكيات خاطئة، لبعض من ينتسبون إليه، وهو ما يحتم على العلماء والمثقفين التعريف بالإسلام، ومشروعه الحضارى الذى ينبغى أن يتعاون الجميع فى صياغته وإنضاجه وتنقيته.

إن الأمة تعلق آمالا كبيرة على جهود علمائها ومثقفيها في مواجهة المظاهر السلبية التى تطفو فى مجتمعاتنا كالإرهاب، والانحلال الخلقى، والفوضى الفكرية وغيرها.

إن العلماء يتعاهدون على العمل المشترك وفق ما يلى:

- الدعوة المستمرة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله فى حياة المسلمين والمتابعة لمنهاج السلف الصالح ونشر ذلك بين المسلمين حكاما وشعوبا، حتى يتجه المسلمون جميعا نحو هدف واحد وغاية واحدة.



- القيام بجهد مشترك لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية وتضامنها، والدعوة إلى تنفيذ مشروعات التعاون والوحدة، مثل السوق الإسلامية المشتركة وغيرها مما أقرته مؤتمرات القمة الإسلامية، وطالبت به رابطة العالم الإسلامى، مع التأكيد على أهمية التعاون والتكامل بين المؤسسات الحكومية والشعبية.
- الدراسة الجادة لأسباب الخلل فى سلوك بعض الشباب وثقافتهم واهتماماتهم، والتعاون على تصحيح ذلك بالأسلوب الإسلامى الأمثل.
- الانطلاق فى خطاب الدعوة الإسلامية، من مصادر الإسلام الصحيحة وأهدافه الإنسانية العالمية، وأسسه الخلقية فرسالة الإسلام رسالة عالمية، جاءت رحمة للناس وهى تتسم بالشمول والكمال.
- التعاون والتنسيق فى مجال الفتوى، وفى كل ما يهم المسلمين مع ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة والرجوع إلى أهل العلم الثقات عند الاختلاف، والتجرد للحق واتباعه متى ظهر الدليل

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

(النساء: ٥٩)

- وإذ يشيد الملتقى الإسلامى بمكة بالجهود التى تبذلها المجامع الفقهية ومجامع البحوث ومراكزها وهيئات كبار العلماء ودور الفتوى فى العالم الإسلامى لمعالجة المشكلات التى جدت فى حياة المسلمين، فإنه يدعو رابطة العالم الإسلامى، إلى التنسيق بين هذه المجامع والهيئات لتحقيق الأهداف المشتركة بينها من خلال إقامة هيئة عليا للتنسيق والمبادرة فى ذلك.
- العمل على تحقيق التواصل مع مختلف الشعوب والأمم والتركيز على القيم المشتركة فى علاقات المسلمين بغيرهم، ووضع التعامل مع الآخرين فى الإطار الشرعى الصحيح مع توخى العدل فى ذلك:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٨)

إن قيادة الأمة أمانة عظيمة أمام الله ثم أمام الناس، ومن هنا فإن العلماء المسلمين المجتمعين فى رحاب البيت العتيق يتوجهون إلى قادة أمتهم ويضعون أيديهم فى أيديهم، من أجل جمع كلمة المسلمين ووحدتهم فى مواجهة التحديات وفتن العصر، ففى ذلك خلاص للأمة مما تكابده، فهى أمة سلام وسماحة، صانعة للحضارة والتقدم والرقى حريصة على خير الناس جميعا، عاملة على العدالة والاستقرار والسلام فى أرجاء المعمورة.

وإذ يتعاهد المشاركون فى الملتقى على الوفاء بما تضمنه هذا العهد، يبتهلون إلى الله - سبحانه وتعالى - أن يعينهم ويسدد أعمالهم، ويوفق قادتهم إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

***



لحظات طيبات مع الإمام النووي

للأستاذ/ عادل خفاجة

زارنا أستاذ فاضل ضليع في اللغة العربية وكنا نتناقش في حديث رسول الله ﷺ :

"من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة "[1]

وكان النقاش عن سبب تنكير عبارة "مقاما محمودا" مع أن السياق يقتضي التعريف وقد أتحفنا ذلك الأستاذ بكثير مما أفاضه الله عليه من علم حيث أثبت صحة الوجهين وذكر وجود الإعراب في كل منهما وانصرف الرجل وظل السؤال عالقا بفكري أبحث عن سبب التنكير لا عن وجه الصواب عند النحويين إلى أن وجدت ضالتي عند الإمام النووي في كتاب له بعنوان : (تحرير ألفاظ التنبيه) حيث يقول :

«الدعوة التامة هي دعوة الأذان سميت بذلك لكمالها وعظم موقعها ، والصلاة القائمة أي : التي ستقوم أي : تقام وتفعل بصفاتها ، الوسيلة منزلة في الجنة ثبت ذلك في صحيح مسلم من كلام رسول الله ﷺ .

قوله وابعثه المقام المحمود الذي وعدته هكذا هو في التنبيه وكتب الفقه ، المقام المحمود بالألف واللام وهو من حيث المعنى والإعراب صحيح ولكن الصواب مقاما محمودا بحذف الألف واللام فيهما هكذا رواه البخاري في صحيحه وكذلك هو في سائر كتب الحديث المعتمدة وإنما قال النبي ﷺ تأدبا مع القرآن ومحافظة على حكاية لفظه في قوله تعالى :

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾

(الإسراء / ٧٩)

فعلى هذا قوله : «الذي وعدته» يكون بدلا من الأول أو منصوبا بفعل محذوف تقديره أعني الذي

(١) صحيح البخاري.

وعدته أو مرفوعا خبر مبتدأ محذوف أي هو الذي وعدته.

والمقام المحمود هو مقام الشفاعة العظمى في موقف القيامة سمي بذلك لأنه ﷺ يحمده فيه الأولون والآخرون كما ثبت في الأحاديث الصحيحة وسؤال هذا المقام مع أنه موعود به إنما هو إظهار لشرفه ﷺ وكمال منزلته وعظم حقه ورفع ذكره وتوقيره "[2]

لقد أثارت هذه الكلمات في نفسي إعجابا أيما إعجاب بعلم ذلك الرجل الفذ دفعني إلى طلب الاستزادة ، فعدت إلى ما كتبه الأستاذ الدكتورمحمد رجب البيومي عنه بمجلة الأزهر فوجدت أول ما استهل به أستاذنا تعريفا بذلك الإمام قوله :

إن مصباح الهداية الإسلامية لينتقل من جيل إلى جيل دون أن ينطفئ نوره على مدى الحياة ، فلم يكد (العز بن عبدالسلام) ينتقل إلى جوار ربه حتى نهج نهجه في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عالم من طرازه ، يشاركه الفهم الصائب ، والعزة العالية ، والمجابهة الصريحة السافرة للطغيان ، ذلكم هو الإمام الفقيه الورع (محيي الدين النووى).[3]

ثم يقول :

كان الفقيه العلامة (محيى الدين النووى) ذا هيبة وجلال ، وقد تنقل فى جميع العواصم الإسلامية لينهل من حياض الثقافة فى كل مركز من مراكزها النائية : ورجع إلى دمشق يجر وراءه فقهاً وعلماً وورعاً ، فقام بالتدريس ، وأخذ فى التأليف المستوعب الجامع حتى طارت له شهرة واسعة فى فقه المذهب الشافعى ، ونحن نجد آراءه الدقيقة حتى فى غير كتبه ، يتناقلها المؤلفون لتكون أداة ترجيح بين رأى ورأى . وقد جرى العامة والخاصة من الفقهاء على اعتقاد الصلاح والولاية فيه ، حتى نرى شيخاً جليلا كتقى الدين السبكى ينزل إلى قاعة الحديث الأشرفية حيث يجلس النووى ويسير فيمرغ وجهه على بساطه ويقول لمن حوله :

عسى أنى أمس بحر وجهى
مكاناً مسه قدم النواوى[4]

فالرجل إذن مصباح من مصابيح الهداية التي ولت وبقي نوره باق نهتدي به في ظلمات ليل بهيم وتعريفا بذلك الإمام الفذ نقول :

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه ج١ ص ٥٤ .

(٣ ، ٤) د. محمد رجب البيومي. علماء فى وجه الطغيان/ هدية مجلة الأزهر صفر ١٤٢٣هـ ص ٣٢: ٣٥.



نسبه

هو يحيى بن شرف بن حسن بن حسين ابن جمعة بن حزام الحازمي العالم محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه [٥]

مولده ونشأته

"ولد النووي رحمه الله تعالى في المحرم من سنة ٦٣١ هجرية في قرية نوى من أبوين صالحين ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم هناك وصادف أن مر بتلك القرية الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي فرأى الصبيان يكرهونه على اللعب وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن فذهب إلى والده ونصحه أن يفرغه لطلب العلم فاستجاب له.

وفي سنة ٦٤٩ هجرية قدم مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث وسكن المدرسة الرواحية وهي ملاصقة للمسجد الأموي من جهة الشرق . وفي عام ٦٥١ هجرية حج مع أبيه ثم رجع إلى دمشق" . [٦]

تميزت حياة النووي العلمية بعد وصوله إلى دمشق بثلاثة أمور :

الأول : الجد في طلب العلم والتحصيل في أول نشأته وفي شبابه.

الثاني : سعة علمه وثقافته وقد جمع إلى جانب الجد في الطلب غزارة العلم والثقافة المتعددة.

الثالث : غزارة إنتاجه [٧].

يقول تلميذه ابن العطار : "ذكر لي شيخي قدس الله روحه قال : كنت أقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً درسين في الوسيط وثالثاً في المهذب ودرساً في الجمع بين الصحيحين وخامساً في صحيح مسلم ودرساً في اللمع لابن جني في النحو، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السكيت في اللغة ودرساً في الصرف، ودرساً في أصول الفقه وتارة في اللمع لأبي إسحاق، وتارة في المنتخب للفخر الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين قال وكنت أعلق ما يتعلق بها من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة

قال رحمه الله : وبارك الله لي في وقتي واشتغالي وأعانني عليه" [٨]

(٥) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٧٨.

(٦) مقدمة كتاب الأذكار للنووي ج١ص؟

(٧) مقدمة كتاب الأذكار للنووي ج١ ص ٤.

(٨) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي لابن العطار.

تصانيفه

صنف الإمام النووى الكثير من الكتب ويكفى أن نقول : "أنه أعطى أحد تلاميذه (وهو ابن الملقن) نحو ألف كراس بخطه وأمره بأبادتها وأبادها وفى نفسه حسرات.

وتبلغ مؤلفاته الخمسين كتابا عد أكثرها السخاوى فى الجزء الذى أفرده لترجمته" [٩].

نذكر من هذه المؤلفات "شرح صحيح مسلم" و "المجموع" شرح المهذب و "رياض الصالحين" و "تهذيب الأسماء واللغات" "والروضة" روضة الطالبين وعمدة المفتين" و "المنهاج" في الفقه و "الأربعين النووية" "والتبيان في آداب حملة القرآن" "والأذكار" حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار" و "الإيضاح" في المناسك.

جولة مع بعض تصانيفه

- التبيان في آداب حملة القرآن.

يشتمل هذا الكتاب على عشرة أبواب : الباب الأول : في أطراف من فضيلة تلاوة القرآن وحملته الباب الثاني : في ترجيح القرآن والقارئ على غيرهما الباب الثالث : في إكرام أهل القرآن والنهي عن أذاهم الباب الرابع : في آداب حامل القرآن ومعلمه الباب الخامس : في آداب حامل القرآن الباب السادس : في آداب القرآن وهو معظم الكتاب ومقصوده الباب السابع : في آداب الناس كلهم مع القرآن الباب الثامن : في الآيات والسور المستحبة في أوقات وأحوال مخصوصة الباب التاسع : في كتابة القرآن وإكرام المصحف الباب العاشر : في ضبط ألفاظ هذا الكتاب وفيه حرص المؤلف على

ضبط كل ما وقع من غريب الأسماء واللغات في الأبواب فأفرده بالشرح والضبط الوجيز الواضح على ترتيب وقوعه في الكتاب ليكتمل انتفاع صاحبه.

والإمام النووي أستاذ بحق ترى هذه الأستاذيه ظاهرة دافقة لا يخطئها من مارس التعليم فهو حريص على أن لا يصاب طلابه بالملل أو أن تتشتت أفكارهم إذا ما ساق العديد من الأفكار بغير تبويب وتصنيف ومع سلامة أسلوبه نجد حرصه على تهيئة طلابه إلى تلقي لب اللباب ومقصد الكتاب فنراه في الباب الرابع يقول :

هذا الباب مع البابين بعده هو مقصود الكتاب وهو طويل منتشر جدا فإني أشير إلى مقاصده مختصرة في فصول ليسهل

(٩) الإمام النووى - للشيخ على الطنطاوى - سلسلة أعلام التاريخ ص١٩.



حفظه وضبطه إن شاء الله تعالى .

وتقدم للقارئ ومضات مما حملته فصول هذا الكتاب :

فصل (أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى قال الله تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

(البينة / ٥)

أي الملة المستقيمة وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» وهذا الحديث من أصول الإسلام وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما يعطى الرجل على قدر نيته، وعن غيره: إنما يعطى الناس على قدر نياتهم وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى قال : الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة أو مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى قال ويصح أن يقال : الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

ويقول في أحد فصول الباب السادس:

وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره ثم يسوق الإمام النووي شرحا دقيقا لهذه المسألة فيقول :

قال الماوردي من أصحاب الشافعي : ويستحب أن يستاك في ظاهر الأسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وكراسي أضراسه وسقف حلقه إمرارا رفيقا قالوا : وينبغي أن يستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد الرطوبة قال فإن اشتد يبسه لينه بالماء»(*)

أما الباب العاشر الذي خصه بضبط الأسماء واللغات المذكورة في الكتاب فيقول في مقدمته عن هذه المادة أنها كثيرة واستيفاء ضبطها وإيضاحها وبسطها يحتمل مجلدة ضخمة لكنه يشير إليها بأوجز الإشارات ويرمز إلى مقاصدها بأخصر العبارات فيقول:

● المنان : روينا عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن معناه الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال.

ثم يقول في نهاية الباب : هذه أحرف وجيزة في ضبط مشكل ما وقع في هذا الكتاب وما بقي منها تركته لظهوره وما ذكرته من الظاهر قصدت بيانه لمن لا يخالط العلماء فإنه ينتفع به إن شاء الله .

(*) (وهذه الطريقة لتنظيف الفم هي ما ينصح بها أطباء الأسنان اليوم ..... فتأمل).

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج

ويقول في أهمية شرح الأحاديث : جاء في فضل إحياء السنن المماتات أحاديث كثيرة معروفات مشهورات فينبغي الاعتناء بعلم الحديث والتحريض عليه لما ذكرنا من الدلالات ولكونه أيضا من النصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ وللأئمة والمسلمين والمسلمات وذلك هو الدين.

فقد استخرت الله تعالى الكريم الرءوف الرحيم في جمع كتاب، شرحه متوسط بين المختصرات والمبسوطات لا من المختصرات المخلات ولا من المطولات المملات ولولا ضعف الهمم وقلة الراغبين وخوف عدم انتشار الكتاب لقلة الطالبين للمطولات لبسطه فبلغت به ما يزيد على مائة من المجلدات من غير تكرار ولا زيادات عاطلات بل ذلك لكثرة فوائده وعظم عوائده الخفيات والبارزات.

ترى.. أي علم هذا الذي كان الإمام النووي يريد أن يودعه في مائة من المجلدات وكم من الفوائد حجبها ضعف همم الراغبين عن المطولات؟!

آداب الفتوى والمفتي والمستفتي

يقول الإمام النووي في مستهل هذا الكتاب : اعلم أن هذا الباب مهم جدا فأحببت تقديمه لعموم الحاجة إليه وقد صنف في هذا جماعة من أصحابنا منهم أبو القاسم الصيمري شيخ صاحب الحاوي ثم الخطيب أبو بكر الحافظ البغدادي ثم الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح وكل منهم ذكر نفائس لم يذكرها الآخران وقد طالعت كتب الثلاثة ولخصت منها جملة مختصرة مستوعبة لكل ما ذكروه من المهم وضممت إليها نفائس من متفرقات كلام الأصحاب وبالله التوفيق

الأصول والضوابط

يقول الإمام النووي عن هذا الكتاب وما ورد به من قواعد : «هذه قواعد وضوابط وأصول مهمات ومقاصد مطلوبات يحتاج إليها طالب المذهب بل طالب العلوم مطلقا ولا يستغني عن مثلها من أهل الفقه إلا المقتصرون على الرسوم والمقصود بها بيان القواعد الجامعة والضوابط المضطردات وجمع المسائل المتشابهات والتمثيل بفروع مستخرجة من أصل أو مبنية عليه وحصر نفائس من الأحكام المتفرقات وبيان شروط كثير من الأصول المشهورات، واحرص ان شاء الله تعالى في جميعها على الإيضاح الجلي بالعبارات الواضحات».

تحرير ألفاظ التنبيه

وعن سبب تحرير الألفاظ يقول الإمام: أما بعد فإن التنبيه من الكتب المشهورات النافعات المباركات المنتشرات الشائعات لأنه كتاب نفيس حفيل صنفه إمام معتمد جليل فينبغي لمن يريد نصح الطالبين وهداية المسترشدين والمساعدة على الخيرات والمسارعة إلى

المكرمات أن يعتني بتقريبه وتحريره وتهذيبه ومن ذلك نوعان أهمهما ما يفتى به من مسائله وتصحيح ما ترك المصنف تصحيحه أو خولف فيه أو جزم به خلاف المذهب أو أنكر عليه من حيث الأحكام وقد جمعت ذلك.. وفيه يقول:

- الصلاة هي في اللغة الدعاء وسميت الصلاة الشرعية صلاة لاشتمالها عليه هذا هو الصواب الذي قاله الجمهور من أهل اللغة وغيرهم من أهل التحقيق وهي مشتقة من الصلوين ولهذا كتبت الصلاة في المصحف بالواو وقيل في اشتقاقها أقوال كثيرة أكثرها باطلة لا سيما قول من قال إنها مشتقة من صليت العود على النار إذا قومته والصلاة تقومه للطاعة وهذا القول غباوة ظاهرة من قائله لأن لام الكلمة في الصلاة واو وفي صليت ياء فكيف يصح الاشتقاق مع اختلاف الحروف الأصلية؟!
- الحيعلة هي قوله حي على الصلاة حي على الفلاح قال الأزهري قال الخليل لا تجتمع العين والحاء في كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن تؤلف كلمة من كلمتين مثل حي على فيقال منه حيعل وهي الحيعلة.

هذه ومضات خاطفة ولمحات سريعة قصدنا منها إظهار نفاسة موضوعاته وأن مصنفات الإمام تستحق أن تفرد لها الأبحاث والدراسات المستفيضة. لا مجرد إشارات مقتضبة في مقال.

ورعه

كثيرة هي الأمثلة التي تدلُّ على ورعه منها: "أنه كان لا يأكل من فواكه دمشق ولما سُئل عن سبب ذلك قال: إنها كثيرة الأوقاف والأملاك لمن تحت الحجر شرعاً ولا يجوز التصرف في ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة والمعاملة فيها على وجه المساقاة وفيها اختلاف بين العلماء. ومن جوّزها قال: بشرط المصلحة والغبطة لليتيم والمحجور عليه والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك فكيف تطيب نفسي؟"(١٠)

مناصحته الحكام

لقد توفرت في النووي صفات العالم الناصح الذي يُجاهد في سبيل الله بلسانه ويقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو مخلصٌ في مناصحته وليس له أيّ غرض خاص أو مصلحة شخصية وشجاعٌ لا يخشى في الله لومة لائم وكان يملك البيان والحجة لتأييد دعواه

«لقد اشتد الظاهر في جمع الضرائب والمكوس من العامة ليستعين بها على الجهاد حتى وصل به الشطط إلى ضروب من العنت والإرهاق، ودار الشيخ بعينيه فرأى كثيراً من التجار يجردون من أموالهم، وتحيط بهم طائفة من غلاظ الجباة يغتصبون ويسلبون،

(١٠) مقدمة كتاب الأذكار للنووي ج١ ص١٥.

فإذا اعتذر أحدهم بضيق اليد تعرض متجره للنهب، وقد تتهاوى عليه السياط المحرقة دون رحمة وإشفاق، فكتب إلى السلطان يلفته إلى ذلك، ويوصيه بالعدالة والحق فيما يأخذ ويدع من الأموال، ويشرح ما شهده بنفسه من مآس قاسية تنفطر لها الأكباد، وقد أغلظ عليه القول، إذ بالغ فى التهديد والوعيد، وطار الخطاب إلى الظاهر، فرأى أن العز بن عبدالسلام قد رجع فى صورة عالم جديد هو محيى الدين النووى، فظن أن المدافع الثانى ليست له مكانة العز ومنزلته ورأى أن يواجهه بالشدة قبل أن تلتف حوله النفوس، ويصير ذا صدى مسموع يقلق ويهيج، فرد عليه بكتاب قارص يحمل الإنكار والتوبيخ، ويشير بالوعيد القاهر لكل من يتدخل فيما ليس يعنيه، ثم هو لا يقتصر على الشيخ وأتباعه من العلماء، بل ينتقل إلى الرعية فيرميها بالبخل والشغب، ويعلن أن أمر الجباة نافذ الطاعة مهما غلوا فى المكوس وتهجموا بالسلب والضرب، إذ هم أعوان الدولة ورسلها لدى الناس، وقد ظن الملك الظاهر أنه بذلك قد أطفأ الثائرة وكمم الأفواه».(١١)

ولم يتردد الإمام النووى ولم يحس بخوف، بل أسرع فى كتابة رد آخر.

«ولما وصل الرد الجرئ إلى صاحب الأمر، أثار فى نفسه ضروبا من الانفعالات الناقمة، وجمع مستشاريه ليأخذ رأيهم فيما يجب أن يقوم به إزاء هذا العالم العنيد، وقد استمع إلى كثير مما يتعارض ويتناقض بين داع إلى العقاب ومشير بالتسامح والإغضاء، وقد رأى الظاهر بعد ما سمع أن يجنح إلى التهادن، إذ أنه لو سارع بإعلان غضبه على الشيخ لجعله بطلا كبيراً على مرأى من العامة، ولأصبح رمزاً للدفاع المخلص، ولواء يلتف حوله المعارضون وذوو الأغراض.

والواقع أن نصيحة الشيخ - برغم قسوتها الصريحة - قد فعلت فعلها فى نفس الحاكم، فاضطر إلى أن يجمع الجباة ويشير عليهم بالرفق والملاينة، وأن يحذرهم غضب العلماء من الخاصة والجمهور من العامة، وإن كان فى واقعه لا يستطيع أن يتخلص من حنق مكظوم أثاره الشيخ فى نفسه، وأنى له وهو إنسان يحب أن يأمر فيطاع.(١٢)

وفاته

وفي سنة ٦٧٦ هجرية رجع إلى نوى بعد أن زار مقبرة شيوخه فدعا لهم وبكى وزار أصحابه الأحياء وودّعهم وبعد أن زار والده زار بيت المقدس والخليل وعاد إلى نوى فمرض بها وتوفي في ٢٤من رجب.

رحم الله الإمام النووي رحمة واسعة جزاء ما قدم ونفعنا بعلمه العميم.

(١١، ١٢) د/ محمد رجب البيومي: علماء في وجه الطغيان هدية مجلة الأزهر عدد صفر ١٤٢٣هـ ص ٣٦: ٣٨.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

الخطيب يخطب فى نفسه

كان سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يعظ نفسه قبل أن يعظ الناس، ويخطب فى نفسه قبل أن يخطب فيهم! فيما يشبه النقد الذاتى واللاذع المعترف بعيب نفسه، حتى لا يبقى لأحد عذر فى محاولة التخلص من عيوبه أسوة بحاكمه.

صعد المنبر يوماً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس إنى داع فأمّنوا: اللهم إنى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة.

وارزقنى الشدة والغلظة على أعدائك، وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منى لهم، ولا اعتداء عليهم. اللهم ارزقنى خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين. اللهم إنى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف، قصدا من غير سرف ولا تبذير، ولا رياء ولا سمعة، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة.

حائط الإسلام

خطب سعيد بن شريك بحمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناسُ، إن الإسلامَ حائط منيعٌ، وباب وثيقٌ، فحائطُ الإسلام الحقُّ، وبابهُ العدلُ. ولايزالُ الإسلامُ منيعا ما اشتدّ السلطانُ، وليس شدةُ السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط، ولكنْ قضاءً بالحق، وأخذٌ بالعدل.



بر الوالدين

قيل لعمرو بن ذر: كيف ابنك؟ قال: ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رقى سطحا وأنا تحته.

المرء بأصغريه

لما رأى النعمان بن المنذر ضمرة بن ضمة، وكان دميما، فقال له: «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه».. فأجاب ضمرة: إن الرجال لا تكال بالمكيال! وإنما المرء بأصغرية: «قلبه ولسانه».

حقـا

عليك إذا ضاقت أمورك والتوت
بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكون إلا إلى الله وحده
فمن عنده تأتى الفوائد والنصر

صفة العلماء العاملين

سئل خالد بن صفوان عن الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ فقال: كان أشبه الناس علانية بسريرة، وسريرة بعلانية، وآخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره، واستغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم، واحتاجوا إلى ما فى يديه من دينهم.

فإنك.. فان

قيل لرجل صالح: خذ حظك من الدنيا فإنك فان فقال: الآن وجبت أن لا آخذ حظى منها، ولله در القائل:

هبك بلغت ما تشتهيه
وملكت الزمان تحكما فيه
هل قصارى الحياة إلا ممات
يسلب المرء كل ما يقتنيه

حقيقة

نظر رجل من الحذاق إلى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة، ويتكلم ويلحن فقال له: تكلم على قدر ثيابك أو البس على قدر كلامك.

أدب العيادة

دخل كثير عزة على عبد العزيز بن مروان وهو مريض فقال له:

لو أن سرورك لا يتم إلا بأن تسلم وأسقم لدعوت ربى أن يصرف ما بك إلىَّ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية، ولى فى كنفك النعمة.

فضحك عبد العزيز وأمر له بجائزة.

اسم الذئب

قال دحية القاضي، وكان من مجانين القصاص: كان اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا فقالوا له: إن الذئب لم يأكل سيدنا يوسف، فقال: فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف.

علاج

جاء رجل إلى أبى حازم القاضي، وقال له: إن الشيطان يأتيني، فيقول: إنك قد طلقت امرأتك فيشككني!! فقال له: أو ليس قد طلقتها؟ قال: لا، قال له: ألم تأتنى أمس فطلقتها عندى؟ فقال: والله ما جئتك إلا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه، فقال له: فاحلف للشيطان كما حلفت لي وأنت فى عافية.

إياك أن تمدحني

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة. فقال لأصحابه: إذا شئتم فقوموا. فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك: إياك أن تمدحني، فأنا أعلم بنفسى منك، أو تكذبنى فإنه لا رأى لكذوب، أو تسعى إلى بأحد، وإن شئت أقلتك. فقال الرجل: أقلني يا أمير المؤمنين وانصرف.

انظروا من بالباب من العلماء

كان المنصور جالسا، فألح عليه الذباب حتى أضجره. فقال: انظروا من بالباب من العلماء؟

فقالوا: مقاتل بن سليمان.

فدعا به، ثم قال له: هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة، قال: صدقت، ثم أجازه.



كان «عراك بن مالك» إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: «اللهم إنى أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتنى، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين».

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

عجبت لأحد العلماء يرفع شعار «الإسلام هو الحل» كيف سولت له نفسه أن يُكفر مسلما يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ألم ينظر إلى سيرة المصطفى ﷺ ويتأمل السلوك النبوى الشريف إزاء كثير من الأحداث الجسام فى تاريخ الدولة الإسلامية الوليدة!؟

ألم يبلغه نبأ الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج مع النبى ﷺ للحرب مع شدة الحاجة إلى كل سيف مسلم فى قتال دولة كانت تعد إحدى القوى العظمى فى ذلك العصر وهى الدولة الرومانية!؟

لقد أبى رسول الله ﷺ أن يصدر حكما فوريا بحقهم وإنما أوكل أمرهم إلى من يعلم السر وأخفى، إلى الله عز وجل الذى تاب عليهم وغفر لهم عظيم ذنبهم.

لقد حال رسول الله ﷺ بين عمر بن الخطاب وبين حاطب بن بلتعة بعد أن أقدم الأخير على إعلام قريش بنبأ سير رسول الله إليهم فاتحا! ومع مافى الأمر من خطورة فقد رفض رسول الله ﷺ أن يوافق عمر بن الخطاب على ضرب عنق حاطب بن بلتعة جزاء فعلته لماذا؟ لأن المصطفى ﷺ كان كما وصفه المولى - عز وجل:

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[التوبة: ١٢٨]

فلماذا لا نتأسى بسيرة المصطفى فى هذا الموقف!؟

ألم يبلغه قول رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١)

---

١) رواه البخارى فى الأدب، باب ماينهى عن السباب واللعن، وفى الإيمان والفتن ١٠/ ٣٨٧؛ ومسلم فى الإيمان، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق»



ألم يبلغه الحديث الذى رواه الصحابى الجليل أبو ذر – رضى الله عنه – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لايرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[٢]

وأخيرا ألم يبلغه أن النبى ﷺ لم يتهم رجلا شهد «أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» بالكفر أبدا إلا أن يصدر حكما إلهيا بذلك.. لأنه يعلم أن المولى جلا وعلا هو وحده المطلع على سرائر النفوس، ومن هنا كان تعنيفه لأسامة بن زيد عندما قتل فى أحد الحروب رجلا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعندما دافع أسامة بن زيد عن نفسه بقوله: يارسول الله إنما قالها تقية. كان الجواب القاطع: «هلا شققت عن صدره».

العالم من حولنا يكره سلوكياتنا ويتهمنا بالتشدد وبالتعصب لأننا لانحسن تطبيق تعاليم ديننا على أرض الواقع فى حياتنا اليومية لأن العالم يرى تعاليم ديننا فى سلوكياتنا، تلك السلوكيات التى أدخلت قديما آلاف البشر فى الإسلام ونشرت تعاليم الدين الحنيف فى بقاع لم يدخلها المسلمون فاتحين بالسيف، بل فتحوها بالأسوة الحسنة والكلمة الطيبة.

أجل نحن نحفظ القرآن ونقيم المسابقات بين الحفظة ونكرمهم فى حين لانعمل بما أمر به القرآن الذى حذر من إيذاء المسلمين فى قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾

[الأحزاب: ٥٨]

ونحفظ الكثير من أحاديث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.. نحفظها لنتباهى بحفظها، لالنسير على هديها حتى صرنا موضع سخرية العالم، بل وكراهيته ثم نتهم الكثيرين بالتعصب ضدنا دون أن نحاسب أنفسنا على تقصيرنا فى الامتثال لأوامر ديننا ونواهيه.. ونتباكى على ماض كنا فيه ملء السمع والبصر، ونتهم الاستعمار ونتهم أنظمة الحكم ونتبارى فى توزيع الاتهامات دون أن نحاسب أنفسنا على سلوكياتنا البعيدة كل البعد عن أوامر ديننا الحنيف. وهذا هو سر أزمتنا.. نتمسك بالدين ولانعمل به!!

بل نجعل الدين موضع جدال ونقاش حاد يصل إلى مستوى التكفير وهذا المسلك وجد طريقه إلى العالم الإسلامى منذ ظهور الخوارج ضمن تداعيات الفتنة الكبرى فى زمن الخليفة الراشد على بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وإلى يومنا هذا والأمثلة كثير آخرها فرمان عسكرى صدر عن شخص يقول: «الإسلام هو الحل».. ونحن نقول مثل مقولته ولكن ليته وليتنا نعمل بها، غفر الله لنا وله. كان يفترض فيه ألا يسقط مثل هذه السقطة، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

أحمد تقى الدين

---

٢) رواه البخارى فى الأدب، باب ماينهى عن السباب واللعن. ١٠/ ٣٨٨

بعض صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ «ياسر الكنانى» المنصورة -دقهلية- قال:

عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال: «قلت: يارسول الله ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟

قال: «كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث: تزود لمعاد أو إصلاح لمعاش أو لذة فى غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه»

قلت: يارسول الله فما كانت صحف موسى عيه السلام؟

قال: «كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت، ثم هو يفرح، عجبت لم أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل»

قلت: يا رسول الله أوصنى.

قال: «أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس الأمر كله»

قلت: يا رسول الله زدنى.

قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنها نور لك فى الأرض، وذخر لك فى السماء»

قلت: يارسول الله زدنى.

قال: «إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه»

قلت: يا رسول الله زدنى.

قال: «عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتى»

قلت: يا رسول الله زدنى.

قال: «أحب المساكين وجالسهم»

قلت: يا رسول الله زدنى.

قال: «انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك».

قلت: يا رسول الله زدنى.

قال: «قل الحق، وإن كان مراً».

قلت: يا رسول الله زدنى.

قال: «ليردك عن الناس ما تعلمه فى نفسك، ولا تجد (أى: تغضب) عليهم فيما تأتى وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك وتجد عليهم فيما تأتى» ثم ضرب بيده على صدرى فقال: «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق»

(رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. قال الحافظ المنذرى: وهو حديث طويل ذكرت منه هذه القطعة لما فيها من الحكم العظيمة والمواعظ الحسنة. الترغيب ج ٣ ص ٧٢)



الدعــاء هــو العبــادة

ومن القارئ «على عبد الجابر» بولاق الدكرور ـ القاهرة كانت هذه الرسالة التى حوت جملة أدعية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

- عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» [رواه أبو داود، والترمذى].
- عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: «كان أكثر دعاء النبى ﷺ: «اللهم آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» [متفق عليه].
- وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر» [رواه مسلم فى الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل].
- وعن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنه قال لرسول الله ﷺ: علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى. قال: «قل: اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم» [متفق عليه].
- وعن شكل بن حميد ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، علمنى دعاء. قال: «قل: اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى، ومن شر بصرى، ومن شر لسانى، ومن شر قلبى، ومن شر منيى» [رواه أبو داود والترمذى].
- وعن زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز، والكسل، والبخل، والهرم، وعذاب القبر. اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. واللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها» [رواه مسلم].
- وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك» [رواه مسلم].

لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه لله

ومن القارىء هشام عبدالموجود ـ روض الفرج ـ القاهرة كانت هذه الرسالة:

تجاوزت أمة الإسلام فى تعدادها ألف مليون نسمة، ترى كم واحد منهم يقيم حدود الله على نفسه، وعلى أهل بيته؟! كم واحد منهم وضع سيرة المصطفى وسنته نصب عينيه يسير فى هداها؟ كم واحد منهم يستشعر حلاوة الإيمان فى قلبه؟! كم واحد منهم يلتزم أوامر ديننا الحنيف ويجتنب نواهيه؟

عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ عز وجل ـ قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله – عز وجل – يعطى الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه لله – عز وجل – ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه» قلنا يارسول الله، وما بوائقه؟ قال: غشه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله ـ عز وجل ـ لا يمحو السيىء بالسيىء، ولكن يمحو السيىء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث».

[رواه أحمد والبزار].

الشيخ طاهر الجزائرى من علماء الإسلام

ومن الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو إتحاد الكتاب - شربين - دقهلية - كانت هذه الكلمة عن الشيخ طاهر الجزائرى، قال:

ولد الشيخ طاهر الجزائرى بدمشق عام ١٢٦٨ هـ وتلقى علوم العربية وآدابها على يد مشاهير علماء عصره، ودرس اللغتين الفارسية والتركية، تنقل فى بلاد مختلفة بسبب هوايته فى جمع الكتب والمخطوطات النادرة حتى صار مرجعًا فى فن وصف المخطوطات ومعرفة مظانها.

أسس المدرسة الظاهرية بدمشق وأنشأ مكتبتها الكبيرة، كما أنشأ المكتبة الخالدية بالقدس.

وفى عام ١٨٩٨م عُيِّن مفتشًا لمكاتب الشام ولبث فى هذا المنصب أربع سنوات قدم خلالها العديد من الخدمات الجليلة للنهوض بهذه المكاتب. وفى عام ١٩٠٥ قرر الهجرة إلى مصر ورحب به علماء مصر وأدباؤها وبقى محاطاً بالإجلال والتكريم ثم أصيب بمرض طال علاجه فعاد عام ١٩١٩ إلى دمشق حيث عُيِّن مديراً للمكتبة الظاهرية، ثم عضواً بالمجمع العلمى هناك، ولكن مرضه اشتد فأسلم روحه إلى بارئها عام ١٣٣٨هـ.

وقد ترك العديد من المؤلفات منها: «التفسير»، و«المعجم العربى»، و«السيرة النبوية»، و«جلاء الطبع فى معرفة مقاصد الشرع»، وموسوعة باسم «التذكرة» فى عدة مجلدات ضمنها ما اختاره من فرائد المخطوطات النادرة.

وله أيضاً كتاب «بديع التلخيص وتلخيص البديع» صدر سنة ١٨٧٨م وكتاب «مُنْية الأذكياء فى قصص الأنبياء»، وكتاب «الفوائد الجسام فى معرفة خواص الأجسام» وكتاب «عقود اللآلى فى الأسانيد العوالى» وكتاب «تمهيد العُروض إلى فن العَروض» وفى علم الحديث كتب: «مبتدأ الخبر فى مبادئ علم الأثر» و«توجيه النظر إلى أصول الأثر»، وكتاب فى التجويد اسمه «تدريب اللسان على تجويد البيان».. وقد انتفع بهذه المؤلفات فى حياته وبعد مماته كثيرون من طلاب العلم والمعرفة فى سوريا ومصر وغيرهما من البلاد العربية.

يذكر أن الشيخ طاهر الجزائرى يرجع نسبه إلى أسرة الأدارسة بالمغرب، ويعتبر والده السيد محمد صالح بن أحمد موهوب الجزائرى الإدريسى الحسينى، آخر مَن قدم من أفراد أسرته إلى المشرق سنة ١٢٦٣هـ واشتهر بتبحره فى العلوم والمعارف، وتوفى فى سنة ١٢٥٨هـ.



توصيات مهمة لمؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

اختتم المؤتمر الثامن عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أعماله بإصدار مجموعة من التوصيات التى تناولت الأبعاد السياسية والاقتصادية لمشكلات العالم الإسلامى وعلاجها فى ظل العولمة:

● أوصى المؤتمر بأن لكل معتدى عليه الحق فى رد الاعتداء باعتبار ذلك مقاومة مشروعة لايمكن أن تدخل فى مفهوم الإرهاب وأن مفهوم الجهاد فى الفكر الإسلامى له معنى روحى واسع يشمل الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، والجهاد الأصغر وهو القتال بين الجيوش النظامية طبقاً لقواعد الحرب المشروعة لدفع العدوان. ورفض المؤتمر ازدواجية المعايير بالنسبة للشعوب التى تطالب بحقها فى تقرير المصير حيث اعتبر المحتل مقاومة الاحتلال إرهاباً وسمح لنفسه باستعمال القوة والعنف ضد المقاومة المشروعة للاحتلال تحت اسم الدفاع عن النفس ولهذا لابد من عدم الخلط بين مقاومة المحتل والإرهاب.

ورفض الازدواجية فى تطبيق حقوق الإنسان مع مطالبة الدول الكبرى والمنظمات الدولية بعدم الالتجاء إلى التمييز بين الشعوب والكيل بمكيالين.

● طالب المؤتمر بضرورة التنسيق فى مجال الإعلام للتعريف بالإسلام والدفاع عن مصالح الأمة -خاصة بعد الحملة الشرسة والمغرضة ضد الإسلام والتى كان آخرها الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم- وذلك من خلال ذوى الكفاءة الذين يجيدون اللغات

ويفهمون عقلية الآخر مع زيادة الاهتمام بمحو الأمية والارتقاء بالتعليم والحفاظ على التراث والقيم الدينية فى مدارسنا وفى نفس الوقت القيام بجهد أكبر من علماء الشرع فى تدريس الدين بدور التعليم فى مراحله المختلفة. مع ضرورة التنسيق بين المجامع الفقهية وتأصيل فقه المقاومة المشروعة وفقه الدعوة والاستفادة من مزايا العولمة فى بعض القضايا مع بيان جوانب تكريم الإسلام للمرأة وإدانة ما تحاول بعض منظمات الأمم المتحدة فرضه من أشكال جديدة للأسرة تخالف الأديان.

● كما ناشد المؤتمر الدول الإسلامية اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ قرارات منظمة المؤتمر الإسلامى بشأن إقامة سوق إسلامية مشتركة ومحكمة عدل إسلامية وإصدار عملة إسلامية موحدة مع زيادة الاهتمام بالتجمعات الإسلامية التى تعيش بالخارج وتقوية تضامنها بحيث تصبح قوة ضغط سياسية تدافع عن مصالحنا.

● وأوصى المؤتمر بإزالة العقبات والقيود التى تواجه التجارة البينية وتشجيع الاستثمار وزيادة تبرعات الدول الإسلامية الغنية للفقيرة وتفعيل دور الزكاة والوقف فى معالجة الفقر والبطالة ودعم البحث العلمى وزيادة الاستثمار لمال المسلمين فى بلادهم.

فعاليات مؤتمر البرلمان الإسلامى باسطنبول

أكدت مصر ضرورة التحرك الدولى الجاد لردع إسرائيل عن التفكير فى العدوان على المسجد الأقصى ومطالبة مجلس الأمن الدولى بتدويل الأمن فى الحرم الأقصى ووجود قوات دولية مدربة لمكافحة الإرهاب الإسرائيلى والتحريض الدينى اليهودى.

دعت مصر فى القرار الذى قدمه الوفد البرلمانى فى اجتماعات الدورة الثانية لمجلس اتحاد برلمانات الدول الإسلامية باسطنبول المنظمات الدولية بتفعيل دورها لحماية الأمن والمقدسات الإسلامية بالقدس.

ناشد مشروع القرار المصرى والذى حاز تأييداً كبيراً من جانب الوفود البرلمانية الإسلامية المرجعيات الإسلامية فى العالم بالدفاع عن المسجد الأقصى كجزء هام من مسئولياتها فى حماية المقدسات الدينية للأديان السماوية.

كما حذر الوفد البرلمانى المصرى من استمرار بناء الجدار العنصرى العازل والذى يعد أخطر مشروع لاحتواء القدس وفصلها عن محيطها الفلسطينى وطالب القرار المصرى بتقديم الدعم المادى اللازم للشعب الفلسطينى وتخصيص جزء من ميزانيات حكومات الدول الإسلامية لهذا الغرض فى ضوء التهديدات الغربية بوقف المساعدات للضغط على الحكومة الفلسطينية الجديدة.

وسيطرت أزمة الملف النووى الإيرانى على مشاورات الوفود البرلمانية الإسلامية خاصة فى ضوء قرار مجلس الأمن بمنح إيران مهلة قبل إصدار قرار بفرض عقوبات ضدها حيث يسعى الوفد البرلمانى الإيرانى لحشد الدعم الإسلامى واصدار قرار من برلمانات الدول الإسلامية لدعم موقفه.

الحكومة الهولندية تلجأ للمسلمين من أجل مكافحة الشذوذ

رغم أن الجالية الإسلامية فى هولندا تعرضت العام الماضى لهجوم ضار من قبل أجهزة الأمن الهولندية بالإضافة إلى بعض التيارات المتشددة المعادية للإسلام إلا أن الحكومة الهولندية أجرت اتصالاتها مؤخراً بالجاليات الإسلامية هناك بغرض إقناعها بالانضمام إلى حملة هولندية للتعريف بمخاطر الشذوذ الصحية. وقالت مصادر هولندية إن العديد من الدراسات الطبية أكدت المخاطر الصحية التى تنجم عن الشذوذ ولكن القانون الهولندى لا يمنع الشذوذ. وعلى هذا فقد قررت الاستفادة من الوضع الصحى الآمن للمسلمين الهولنديين والذين لا يوجد بينهم أمراض جنسية خبيثة بسبب ممارساتهم الأخلاقية وبعدهم عن الشذوذ.

عشرات الفرنسيين يقبلون على اعتناق الإسلام

كشفت صحيفة «لاكسبريس» الفرنسية النقاب عن تزايد أعداد الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام مؤخراً بصورة كبيرة، وقالت الصحيفة فى تقرير لها نشرته مؤخراً إن أعداد المسلمين فى ازدياد من كافة الطبقات والمهن فى المجتمع الفرنسى وكذلك من مختلف المذاهب الفكرية والأديان من علمانيين وبوذيين إلى كاثوليك وغيرهم.

وأشار التقرير إلى نشاط بعض الجاليات المسلمة وجماعات مثل جماعة التبليغ والدعوة فى الدعوة إلى الإسلام فى المجتمع الفرنسى مما كان سبباً فى زيادة عدد المعتنقين للإسلام والذى يصل إلى حوالى «٦٠ ألفاً» سواء أولئك الذين أسلموا بدافع حبهم وإعجابهم بهذا الدين أوبدافع البحث عن الهوية والذات، كما ذكرت الصحيفة أن غالبية هؤلاء من شباب المدن الفرنسية الكبيرة

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يؤكد: لا نقبل أن يساء للرسل

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى- شيخ الأزهر الشريف السيد/ هانو هالينين- سفير فنلندا بالقاهرة يرافقه الدكتور/ مارتى ايرولا- قنصل فنلندا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بسعادة السفير بمناسبة توليه العمل كسفير جديد لبلاده بالقاهرة وأوضح أن الأزهر الشريف بابه مفتوح للسادة الضيوف فى أى وقت، وأن مثل هذه اللقاءات تؤكد على عمق الحوار وتزيد من معرفة بعضنا ببعض، موضحا بأن الدراسة بالأزهر تقوم على الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء، لأننا كمسلمين نؤمن بأن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة ونحن أخوة فى الإنسانية، فكل إنسان يتعاون مع الآخر من أجل المصلحة العامة وتبادل المنافع التى أحلها الله.

ومن جانبه أعرب السيد السفير عن سعادته لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء، وأنه يقدر سياسات مصر ويعتبرها دولة رائدة فى الشرق الأوسط ولها مواقفها وقراراتها التى تقدرها الأوساط العالمية، وأنه من منطلق إيمانه بدور الأزهر الشريف ومكانته العالمية يرى أن الحوار مع فضيلة الأمام الأكبر له أهمية كبرى بصفته ممثلا للعالم الإسلامى، كما أعرب السفير عن اعتراض وزير خارجية فنلندا عما نشر من صور مسيئة للرسول «صلى الله عليه وسلم». ومؤكدا بأنه على الرغم من أن حق التعبير هو حرية أساسية إلا إنه يجب على كل إنسان أن يكون مسئولا عما يحدث من مشاعر تسىء للجانب الآخر

فنحن نرفض هذه الإساءة، وأخذنا على عاتقنا فى المجتمع الأوروبى أن يتعاون كل منا مع الآخر، وأن نبتعد عن الصراعات والمشاحنات التى تؤدى إلى التصادم، حتى يكون هناك تسامح ومزيد من الحوار والتقارب بين الحضارات والثقافات، ومن خلال تعاون فنلندا مع الأزهر سيكون هناك المزيد من التقارب الذى يجعلنا نتوصل لنتائج إيجابية للحوار.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر يؤيد الحوار للتعارف وليفهم كلٌّ منا الآخر، فنحن كمسلمين لابد أن يفهم الغرب أننا لا نقبل إطلاقا الإساءة للأنبياء، ودفاعنا عنهم أشد من دفاعنا عن أنفسنا، فجميع الرسل نحترمهم، وإذا كان هناك من لم يؤمن بالرسل فهم أحرار ولكن لا نقبل أن يساء للرسل.

وأنهى السيد السفير اللقاء بشكره العميق على حفاوة اللقاء، ومواقف فضيلة الإمام الأكبر الفعالة فى التعاون المثمر بين الأزهر الشريف ودولة فنلندا. حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب- وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية العراق

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور- محمد سيد طنطاوى- شيخ الأزهر الشريف معالى السيد- هوشيار زيبارى- وزير خارجية العراق- يرافقه سعادة السفير- سعد محمد رضا سفير العراق بالقاهرة، والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى وزير الخارجية والوفد المرافق له، مؤكدا على أن العراق ركن ركين من الأمة العربية والإسلامية، ومصر دائما مع العراق ولا نقصر فى أى دعم لأشقائنا العراقيين، موضحا بأن المسلمين جميعا سنة وشيعة أخوة، والكل يؤدى أركان الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن أهم شيء هو وقف التخريب لدور العبادة ثم يأتى بعد ذلك التفاهم والتراضى بين الأفراد ليستتب الأمن فى دولة العراق من جديد.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء، وقدم شكره وشكر بلاده لفضيلة الإمام الأكبر لتوجهه لسفارة العراق بالقاهرة، مستنكرا فيها محاولة خلق نزاع بين السنة والشيعة، ومستنكرا العمليات التخريبية التى طالت الأفراد والبنية الأساسية لشعب العراق وبخاصة المقدسات الدينية متمثلة فى تدمير دور العبادة.

كما أوضح الضيف أن زيارة فضيلة الإمام للسفارة العراقية بالقاهرة كان لها الأثر البالغ فى التهدئة لمواجهة محاولة خلق نزاع بين أبناء الشعب الواحد، وأن الخطر مازال

قائما ونخشى من عمل أكبر وأشنع. وقد وجه الضيف الدعوة المقدمة من معالى رئيس وزراء العراق الدكتور/ إبراهيم الأشيقر الجعفرى لفضيلة الإمام الأكبر ولمن يختارهم فضيلته لمرافقته لزيارة العراق لما لهذه الزيارة من آثار إيجابية لدى شعب العراق فى نبذ العنف وتوحيد الصف ضد محاولات التفرقة المذهبية وخلق نزاع بين أهل السنة والشيعة لإحداث فتنة بين أبناء الدين الواحد والرسالة الإسلامية الواحدة والوطن الواحد فى العراق، مؤكدا بأن على كل إنسان أن يتنازل عن مصلحته الخاصة الأمر الذى يؤدى إلى وقف التخريب، وأن يعم الأمن وهنا سيرحل المحتل من بلادنا وتستعيد العراق وحدتها.

الإمام الأكبر:
أذن الله لنا أن ندافع عن ديننا ووطننا وكرامتنا

● كما استقبل فضيلته الدكتور- أحمد وهدان- المشرف على المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ووكلاء النائب العام الدارسين بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور فى الأزهر الشريف مؤكدا على أهمية العدل ومكانته السامية فى شريعة الإسلام التى تقوم على العدل فى الأقوال والأفعال، ووجوبها على الأغنياء والفقراء.

كما أن القضاة هم الذين يشاركون مع غيرهم فى نشر العدل فى الدولة لأن القضاء فى الأمة هو الدعامة التى ترتكز عليها مقومات الدولة فى الاستقرار والرخاء والرقى والتقدم، وهو صمام الأمن فحينما تسود الأحكام العادلة فى الأمة يسود الأمن والرخاء والاطمئنان. وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام أمرتنا جميعا أن نكون عادلين فى أحكامنا، لأن العدل أساس الملك مستدلاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تؤكد أن العدل فى شريعة الإسلام هو عدل مطلق بين الناس يعطى كل إنسان حقه، يعطى المسلم حقه، وغير المسلم حقه، وأن شريعة الإسلام تمد يدها بالسلام إلى كل من يمد يده إليها بالسلام، ولكن من يسيء إلى ديننا أو وطننا أو كرامتنا فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا.

كما أن شريعة الإسلام تمتاز بالسماحة واليسر ورعاية مصالح الناس، وتقوم على العدل مع العدو ومع الصديق، والعدل فى الأحكام والأقوال، العدل مع الغنى والفقير، العدل مع القوى والضعيف، العدل مع الحاكم والمحكوم، فنحن مسلمون ومسيحيون فى مصر نعيش على أرض واحدة وتظلنا سماء واحدة نتساوى فى الحقوق والواجبات، والقانون المصرى الذى يحكم الدولة لا يفرق بين مسلم ومسيحى، كما أن هناك مساواة



في الحقوق والواجبات وأن لكل إنسان عقيدته ولا إكراه على العقائد وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله، والذى يحاسب على الأعمال هو الله أما القضاء فهو الذى يحكم بين الناس فى التعاملات الإنسانية.

الإمام الأكبر:

الإسلام يرحب بكل مايعود بالخير على الإنسانية

● واستقبل فضيلته السيدة الدكتورة مشيطة إبراهيم يعقوب- السكرتير البرلمانى بمكتب رئيس وزراء ماليزيا يرافقها أعضاء نادى الإسلام الحضارى بماليزيا فرع جامعة ملايا.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيراً إلى أن العلاقات بين الأزهر الشريف ودولة ماليزيا علاقات قديمة ومميزة، وأن أبناء ماليزيا يفدون إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف، وهم بذلك سفراء للأزهر حينما يعودون إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه من علوم دينية لذويهم. فالأزهر يعلمهم سماحة الإسلام والتصرف فى الأمور الدينية بالوسطية والاعتدال كما أن الأزهر لا يدخر وسعاً فى خدمة أبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض وخاصة أبناء ماليزيا.

هذا وقد قدم فضيلته شرحاً موجزاً عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة مؤكداً على أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال مع الاهتمام بحفظ القرآن الكريم مبيناً أن الدين الإسلامى ينبذ العنف والإرهاب بكل صورهما لأنه دين التسامح والمحبة والتعاون والتعارف والإسلام يدعو إلى العدل والإنصاف والوقوف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر.

ومن جانبها شكرت السيدة رئيسة الوفد فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة لها وللوفد المرافق لهذا اللقاء مشيدة بالأزهر الشريف شيخه وعلمائه.

هذا وقد استفسرت السيدة رئيسة الوفد عن مفهوم الإسلام الحضارى فأجاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن مفهوم الإسلام الحضارى هو الإسلام الذى يؤيد كل تقدم فى كافة المجالات التكنولوجية والاقتصادية وغيرها مما ينفع الإنسانية فالإسلام يرحب بكل ما يعمر الحياة ويعود بالخير على الإنسانية فى حدود ما أحله الله تعالى.

كما أوصى فضيلته بضرورة الاهتمام باللغة العربية فى التعليم بدولة ماليزيا لأن فهم اللغة العربية يعين على فهم الإسلام فهماً صحيحاً.

هذا وقد أبدى الوفد ترحيبه بالزيارة المرتقبة التى يزمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن يقوم بها إلى دولة ماليزيا خلال شهر مايو القادم.

تنظيم النسل حلال والإسلام يرفض الكثرة الهزيلة

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن تنظيم النسل حلال، وأوضح أن من أهم مرتكزات السياسة السكانية فى الإسلام أنها لا تؤيد الكثرة الهزيلة، وشرح فضيلته منهج الإسلام فى التفريق بين تحديد النسل والإجهاض، وتنظيم النسل.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها أمام الجلسة الافتتاحية لندوة السياسات السكانية من منظور إسلامى اقتصادى، والتى نظمها مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر، أن من مقاصد الشريعة الإسلامية الحفاظ على النفس البشرية والعمل على تنميتها بما يتفق ومبادىء الشريعة الإسلامية وقال:

«لكى تتواصل الأجيال ويعمر الكون يجب أن يتعاون الجميع على إحداث التنمية والاستفادة من ثمارها ولايمكن للتنمية أن تتحقق إلا بتوفير التوازن بين السكان والموارد».

مؤتمر دولى عن المرأة المسلمة بجامعة الأزهر

كما أكد فضيلته فى المؤتمر الدولى عن المرأة المسلمة والذى تنظمه كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر على دور المرأة وقال: إنه لامانع شرعا من تلاوتها القرآن الكريم أمام الرجال بل إنه أثنى على الطالبة التى تلت القرآن فى الافتتاحية، وقال فضيلته: إن الأزهر افتتح كثيرا من معاهد القراءات للطلبة والطالبات بل إنه أكد أن جميع المجالات العلمية متاحة أمام المرأة بشرط عدم مخالفتها الشريعة الإسلامية.

وأضاف أن المساواة هنا بين الطرفين هى مساواة الشقين المتكاملين وليس المتصارعين محذرا من تقليد المرأة للرجل أو العكس لأن لكل من الرجل والمرأة خصائص تميزه عن الآخر.

***



O Messenger of Allah! Forgive Us…!

By: *Ustaz* Adel Rifa`y Khafaja

Under the slogan "Freedom of Expression," a Danish newspaper, followed by another Western newspaper, published some caricatures mocking and offending the Noble Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Those in charge of publishing claimed that such an offence was nothing but a color of 'decency' and a means of expression known all over the world. Undoubtedly, the one who claims that insult and offence are among the actions of 'decency' is someone who actually knows nothing about the meaning of decency.

Anyway, we just wonder, "Does the law of those countries contain no texts which criminate defaming and slandering people?" If the answer is "Yes, there are texts that criminate slander and defamation," especially in countries claiming democracy, so, are these texts not applicable to whoever offends the Prophet with greater reason?!

With regard to the above, the Danish Prime Minister Andres Fogh Rasmussen refused to meet with eleven Muslim ambassadors for he knew that they came to condemn what happened. That situation done by the Prime Minister goes in complete conformity with the Western logic stating "Who has the gun is the one who makes law" or "Power is the Truth." Contrarily, this logic is not witnessed in Islam or even known by the Muslims. In this connection, Abu Bakr As-Siddiq (may Allah be pleased with him) said, "The weak among you is strong before me until I take his right, and the strong among you is weak before me until right is taken from him." Hereupon, Abu Bakr was standing by the truth not with power, and upon this principle the Muslims were raised. On the other side, offending Islam and the Prophet of Islam and Muslims occupy the minds of the enemies of the true religion, light and freedom.

Allah, Exalted and Glorified be He, threatens whoever hurts or offends the Messenger or plots to extinguish the light of



truth. He threatens them with curse in this life and the Afterlife. In Addition, Allah, the Almighty, says:

{Surely the ones who hurt Allah and His Messenger – them Allah has cursed in the present (life) and the Hereafter, and He has prepared for them a degrading torment.}

[Al-Ahzab (The Allied Parties): 57]

We believe that those who have offended the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) shall be afflicted with the curse which Allah has prepared for them in this life and the life to come. Further, we believe that there is a role that should be played by us for vindicating Allah's true religion (i.e., Islam) and the Truth, even if we do not possess what we can use in defense, for our souls are to be sacrificed for the sake of defending the one about whom Allah said:

{And did We not raise for you your remembrance?}

[Ash-Sharh (Expanding): 4]

In order for us not to fall a prey to clashes, forums, conferences and meetings should be held and attended by the prominent Muslims thinkers as well as invitees from among the Western thinkers for the aim of discussing such events so as to reach the best applicable solutions. This is because the affairs of our nation should not be left that way. For more illustration, whenever an incident comes to the surface and surprises us, the Arab and Muslim countries meet – while under the pressure of time, conditions and interests – and weak decisions are issued, wavering between condemnation and rejection. This does not satisfy Allah and His Messenger.

Last but not least, we have to introduce to the West the life before the appearance of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the life after his appearance and his call to Islam. Additionally, all the Muslim countries should contribute to a project under the title, let us say, "Informing about Islam and the Messenger." It is time for such an action.



increased in number. The newspapers also began to publish some of his lessons as if they were scientific researches that should be known by all the people. At the same time, Sheikh Abdou was not disregarding the afflictions befalling the Arab world in particular and the Islamic world in general.

Sheikh Muhammad Abdou and Jamalud-Din Al-Afghany founded 'Al-Urwah Al-Wuthqa' Association and thus, they selected for it honorable and sincere people from Egypt, India, Iran, Turkey and Al-Sham (The Levant: Syria, Lebanon, Palestine and Jordan), who would wish to free the Muslim nation from the claws of imperialism.

In Paris, Jamalud-Din Al-Afghany thought that 'Al-Urwah Al-Wuthqa' Association should have a magazine that would express its goals and unite all the Muslims behind one word. He believed that the Association's members, who welcomed his invitation, could not be influential unless they always had open communication with his and his outstanding student's (Muhammad Abdou's) ideas. That is why he sent to Muhammad Abdou asking him to leave Beirut and immediately head for Paris. There, they succeeded in issuing 'Al-Urwah Al-Wuthqa Magazine' so as to be the salvation miracle that would spread hope and resurrect will. That Magazine was launched from a small room in a humble house in Paris. However, that small room was seen as a huge embassy of the Muslim world in the West.

As soon as the first issue was published and sent to the Association's members all over the Islamic world, countless visitors interested in the Muslim world's affairs, whether friends or enemies, began to come to the Association. The friends would support, offer advice and donations while the enemies would seek to discover the aims and motivations behind the Association, and they would burn with anger when they detected that the Magazine bore the seeds of light.

As for the plan of the Magazine, Sheikh Abdou clarified it in the editorial of the first issue. He stated that the Magazine



would serve the peoples of the East, since it would shed light on the points of weakness and show the means of curing them. It would also clarify the reasons and conditions that led to deterioration and declare to the desperate among the believers that the distance between the disease and treatment could be crossed so easily through hard work and decisive aim. This is in addition to adhering and following the instructions stated in the Ever-Glorious Qur'an and the Prophetic *hadiths* so as to be a guiding star for those people in the dark situations. Sheikh Jamalud-Din Al-Afghany and Sheikh Muhammad Abdou explained that the first step that should be done was the preparation of power to confront the enemies, since there had to be equivalence in self as well as acquired power so that the imperialists would know and feel that injustice should not be tolerated no more.

The newspapers and magazines manipulated by the imperialists in both France and England were struck with terror of the strong influence of "Al-Urwah Al-Wuthqa" and they realized how dangerous it could impose on the existence of occupation. As a result, England persistently sought to confiscate it in Egypt and India, as expressed by "Al-Urwah Al-Wuthqa" in its ninth issue:

"The Ministers Council in Cairo was hold and they discussed the case of 'Al-Urwah Al-Wuthqa' and they decided that the Ministry of Interior should prevent the Magazine from entering Egypt. They also decided that whoever possessed any issue of 'Al-Urwah Al-Wuthqa' should be fined with a sum ranging between 5 and 25 pounds. We do not think that any minister had a choice in this decision and no Egyptian would see such a decision as fair. However, we declare that people's strong will and determination should not be disappointed by such unjust actions, and we shall not fail to deliver the Magazine to any part of the world besieged by the unjust British power."

said, "Al-Azhar has the right to take that legal procedure on behalf of all the Muslims. This is in addition to urging the Muslim governments to move in such a direction."

In a press statement, Mr. Ahmed Al-Khalid Samha, the Muslim Community Head in Denmark, who came to Egypt to meet with the Grand Sheikh of Al-Azhar Dr.Muhammad Sayyid Tantawy, said, "The official attitude of the Danish government was very fractious. The Danish Prime Minister Andres Fogh Rasmussen refused to meet the ambassadors of the Arab and Muslim countries. Not only this, but he refused to meet the representatives of the Muslim Community in Denmark, and claimed that what happened was included in the freedom of expression protected by the Danish constitution. By doing this, he intentionally forgets that the constitution of his country protects the right of belief of every person in Denmark." Mr. Samha added, "Our protest was faced with threats of killing the members of the Muslim Community, burning their houses, and throwing them out from Denmark. That was their response to the expression of our protest in a civilized way."

The Danish government, represented in its prime minister, has disregarded the religious feelings, insulted the symbol of the Muslim Creed represented in their Messenger, and allowed themselves to offend Allah's Messengers while claiming that they practice the freedom of expression principle. By committing such hideous acts, they only violate such freedom, since the first principle of the freedom of expression is to allow the other to answer and express their ideas as well as totally reject disdaining or abusing others' basic values, especially the religious ones.

Muhammad Abdou's Journeys to Europe...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Muhammad Abdou's ideological attitudes diversified, but all of them aimed to develop the Islamic nation in general and the Egyptian one in particular. That is why he was distinguished among his peers in Al-Azhar by being a person of new trend. He was greatly influenced by his Sheikh Jamalud-Din Al-Afghany who was teaching at Al-Azhar at that time. However, Sheikh Muhammad Abdou did not teach the common sciences taught to the students of Al-Azhar, such as Grammar, *Fiqh* (Religious Jurisprudence), *Tafsir* (Interpretation) and *Hadith* (Prophetic Tradition), though he mastered them, but he taught ethics, Which was not known to the students before him, such as *'Tahzib Al-Akhlaq'* (Rectifying Ethics) by Ibn Maskawih. Moreover, he did not stop at that level but he already studied foreign books, such as 'History of Modernity in Europe' by the French author Fransoa Gizo, which was translated into Arabic by the Syrian writer Hunayn Ni'matullah Al-Khory. Due to Muhammad Abdou's strong character, wide knowledge and eloquent tongue, none of the students opposed him, rather they began to attend his lessons in multitudes. As for those who opposed him, they were some of the sheikhs who did not read the book. All that they could say about him was that he introduced something new to Al-Azhar.

After the failure of Orabi's revolution, Sheikh Muhammad Abdou was exiled to Beirut, but his strong faith made him so determined to continue his struggle. In Lebanon, the people acknowledged his favor and knowledge. Thus, Sheikh Muhammad Abdou decided to raise individuals looking forward to glory in every place he could reach. He would do this through education. To that end, Sheikh Muhammad Abdou started teaching books not known to the students and he would practice rhetoric and explanation so that his lessons would be fruitful. Accordingly, the students attending his lessons



circles, especially the atrocious caricatures published by Jyllands-Posten. The ambassadors expressed their strong protest and rejection and urged the prime minister to instruct his government to punish those responsible for such campaign by virtue of the Danish law. In the light of the sensitivity of the issue, they requested urgent meeting with the prime minister. Foolishly, he refused to meet the ambassadors, which resulted in the eruption of the volcano of Muslims anger all over the world. He took the weak excuse that what the newspaper did would be considered a part of the freedom of expression principle protected by the Danish law.

In this respect, Dr. Ussama Al Baz, the political advisor of President Mubarak, replied, "The Danish caricatures that attacked the Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) undoubtedly fall under the incidents punished by any criminal law on the international level, due to the fact that they represent a 'libel,' 'slander' and 'defamation.' Hence, there is no way to defend such caricatures or consider the one who has drawn them to be actually practicing the freedom of expression, for this person and those who publish such caricatures have transgressed the right of belief enjoyed by the Muslims. Not only that but such people have also transgressed the limits of their freedom of expression."

In the Egyptian-German dialogue seminar held as a part of the activities of the Cairo International Book Fair, the German ambassador in Cairo, Mr. Martin Koebler explained his attitude as regards the offensive Danish caricatures. He said, "The issue reflects the relation between the freedom of expression to which the West clings and the limits of such freedom, that should not transgress the sensitive religious matters of any human community."



The German ambassador also stated, "If such an incident had taken place in Germany, the law would have punished those responsible for it and the judiciary system would have estimated the degree of such negative action on the beliefs and sensitive religious matters of others."

In this regard, Professor Ibrahim Al-Anany, the head of the International Law Department at Ain Shams University, shed light on the judicial procedures that should be taken to face such abuses. He said, "There are many ways before the Muslims. First, the Danish Newspaper can be sued through the internal courts in Denmark as well as the other countries that republished such caricatures. The lawsuit should be brought by the people hurt by such an action from among those resident in these countries, namely the Muslim communities. In case the Danish courts or the courts of other countries should not be just to those aggrieved or abstain from issuing a fair judgment against those responsible for such an offensive action, a lawsuit can be brought before the European Court on Human Rights, since Denmark and other countries are members of the European Convention on Human Rights." He added, "The European countries are also members in the International Convention for Human Rights issued by the United Nations, and represented in the International Convention for Civil and Political Rights, the International Convention for Economic and Social Rights as well as the International Declaration for Human Rights. In addition, the apology that came recently by governmental and non-governmental entities in Denmark does not discharge Denmark from its responsibility or prevent bringing a lawsuit against it."

Professor Ibrahim Al-Anany also referred to the role that should be played by Al-Azhar in this connection. He



President, Dr. Ali Jom'a, the Mofti of Egypt, and a group of the university staff side by side with a huge number of students. The Grand Sheikh called for boycotting any country that insults Islam or the Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). He also declared, in the name of Al-Azhar and its university, that the whole of Egypt will defend Allah's Messenger more than it defends itself or its property. Dr. Mahmoud Hamdy Zaqzuq, the Minister of *Awqaf* (Endowments), stated, "We are ready to sacrifice our souls and whatever dearest to us for the sake of our religion." In addition, Dr. Ahmed Al-Tayyib said, "The Danish Newspaper has transgressed all the red lines. We know that the civilization of the West is covered by massive darkness and the Westerners have previously declared the death of God and that they only believe in the material." He added, "We prefer to die out of hunger over eating what they produce in case we shall not find anything else. If the newspaper is free to express its opinions, we are also free to trod on it with our feet. Where is such freedom they claim when we witness their coward stance of Zionism and holocaust."

Dr. Ali Jom'a, the Mofti of Egypt, said, "Why the Western curricula that defame the picture of Islam and Muslims do not undergo change?" He also demanded a courageous stance to be expressed by the world media to condemn that malicious campaign launched against Islam. Moreover,

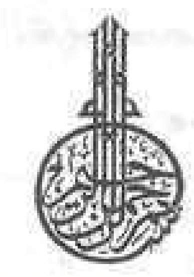
Demonstrations were organized in numerous places all over Egypt. The students of Helwan University went in a demonstration led by Dr. Abdul-Hayy Ibeid, the University President. In Banha University, more than five thousand students organized a demonstration inside the campus of the Faculty of Medicine as a means of stressing



boycott against the Danish products. Dr. Nabil Shedid, the Dean of the Faculty of Medicine, said, "The Students Union issued an audiovisual statement of the Danish products through a huge screen as well as another statement of the medications that should be boycotted." More demonstrations covered Egypt, from Alexandria to Aswan, as a means of condemning any insult against the honorable Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him), and disapproving of the attitude of the Danish government which insisted not to apologize. The Danish Foreign Minister Per Stig Moeller declared that his government refuses to apologize for such an insult. In his press statements, he demanded the Arab governments to insure the safety of the Danish embassies in them. By doing this, he is following the same foolish methodology of the Danish Prime Minister Andres Fogh Rasmussen when he refused to meet the ambassadors of the Arab and Islamic countries representing one billion and three hundred million Muslims. If he could understand the basics of policy,diplomacy and sence of taste he would have resigned as soon as the crisis outburst all over the world because of his unsound attitude.

On 30 September 2005, i.e., after these caricatures were published, President Muhammad Husni Mubarak issued his instructions to the Egyptian government to take the initiative and handle the situation. Immediately,Mr. Ahmed Abul Gheit, the Foreign Minister, asked the Egyptian Ambassadress in Copenhagen to exhort the Islamic countries' ambassadors in Denmark to discuss the issue of the offensive caricatures. On 12 October 2005, the ambassadors sent a letter to the Danish prime minister in which they condemned the campaign launched to defame the image of Islam and Muslims by the Danish media

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabuil-akher, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION
May. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Atrocious Danish Caricatures: Roots and Consequences...!

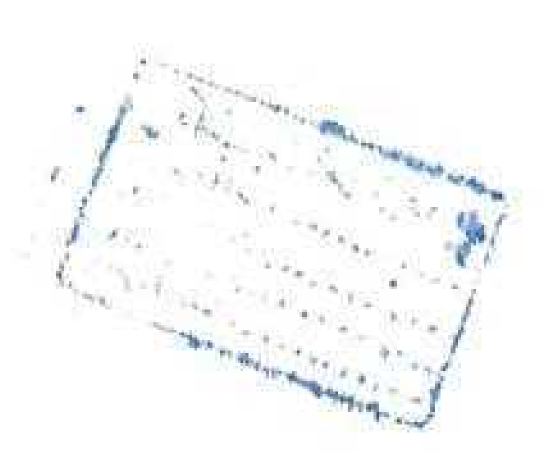
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

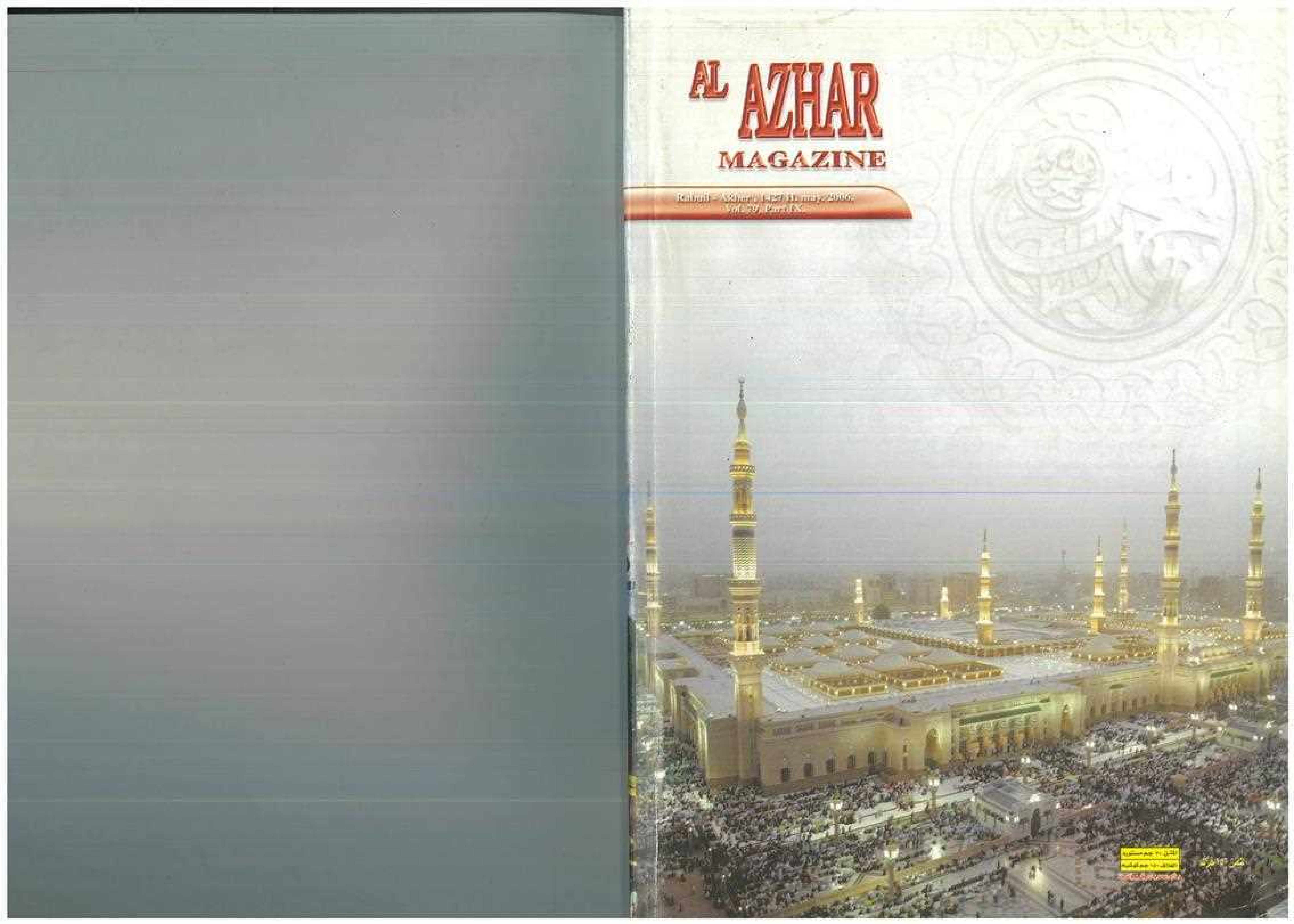
The caricatures published by the Danish newspaper Jyllands-Posten in September 2005 about the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) represented extreme offence against every Muslim and every human being of sound feeling who respects the other's creeds and religions. On the other hand, Islam respects the creeds and religions of the non-Muslims, as Allah, Exalted and Glorified be He, says:
{And do not abuse the ones whom they invoke, apart from Allah, (or) then they would abuse Allah, aggressively without knowledge. Even thus We have adorned to every nation their deed(s); (and) thereafter to their Lord shall be their return; (and) so He will fully inform them of whatsoever they were doing.} |Al-An`am (Cattle): 108|

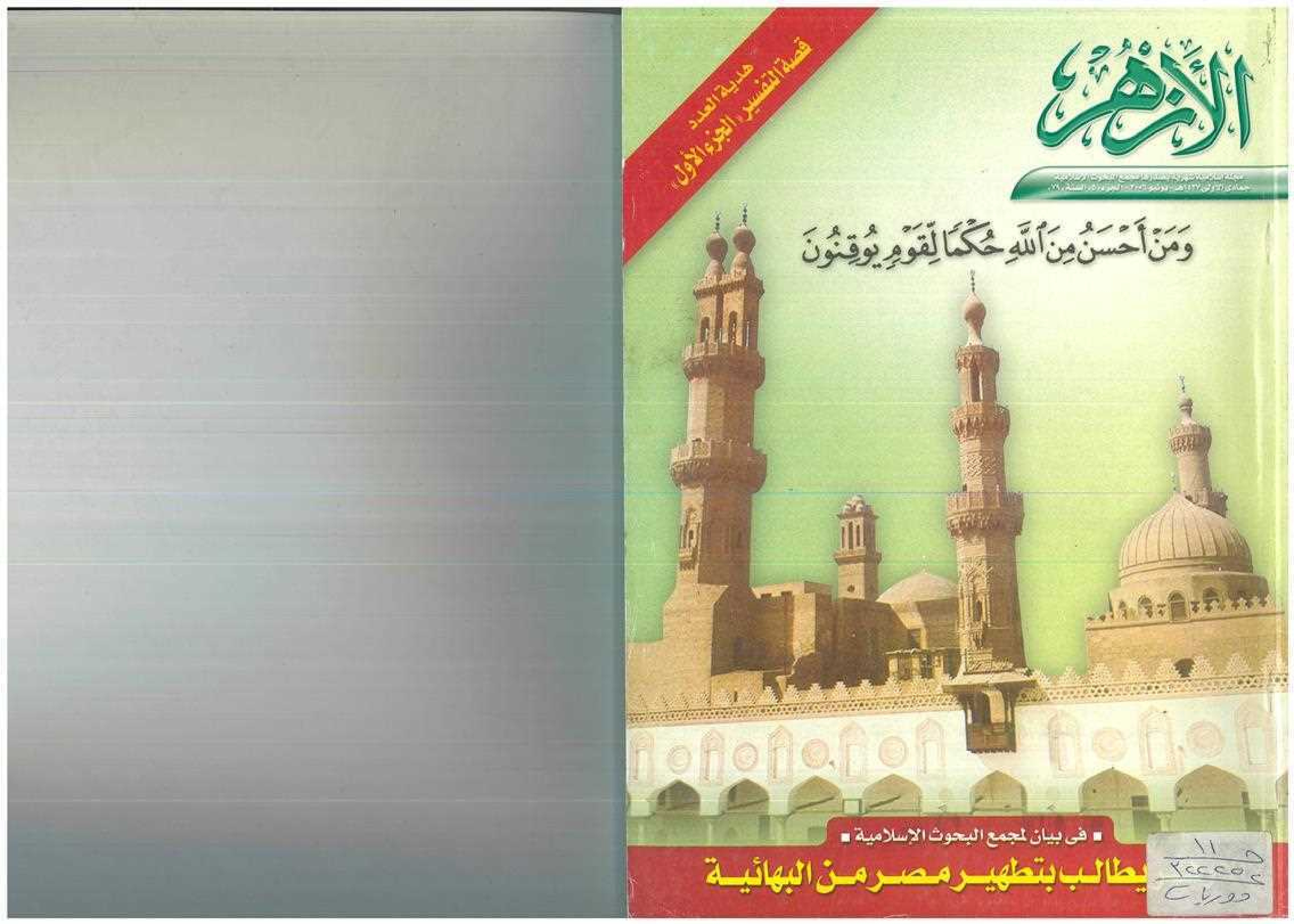
The Muslim community in Denmark was the first to express their anger, condemn this hideous act and work on facing this event. They have done this as a means of defending the noble Prophet and Islam. The feelings of anger spread all over the Islamic world from Indonesia reaching Morocco. In Egypt, multitudes from the university students followed by the people went in demonstrations condemning these atrocious caricatures. The people have also demanded boycotting the Danish products.
At Al-Azhar University, the Grand Sheikh Dr.Muhammad Sayyid Tantawy led a demonstration in which Dr. Mahmoud Hamdy Zaqzuq, the Minister of *Awqaf* (Endowments), Dr. Ahmed Al-Tayyib, Al-Azhar University



الفهـــرس




AL AZHAR
MAGAZINE
Rabi-ul - Akhar , 1427 H. may , 2006.
Vol. 39, Part IX.


الأزهر
هدية العدد
قصة التفسير «الجزء الأول»
ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون
في بيان لمجمع البحوث الإسلامية
يطالب بتطهير مصر من البهائية





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - يونيه ٢٠٠٦م - الجزء الخامس - السنة التاسعة والسبعون

من مآسي الزواج العرفي

يتفاقم خطرُ الزواج العُرفي يوماً بعد يوم، فمع قِيام الصّيحات العالية المتكررة منادية باستنكاره، والعمل السريع على التخلص من شره، فإنه يزداد انتشاراً، وقد تنوعتْ وسائله واختلفتْ طُرق تداوله، إذ كان بالأمس مقصوراً على كتابة ورقة، وحضور شاهدين، فأصبح اليوم ذا طُرق شتّى، منها الوشمُ بأن يكتب كلا الزّوجين اسم صاحبه بحجم بارز في جزء من أجزاء جسمه، ويكُون ذلك اعترافاً لا يَقبل النقض، ومنها أن يَمتزج الدّم بالدم بأن تسيلُ الإصبع بواسطة إبرة لتلصق بدم الإصبع الأخرى أمام الشاهدَين، ويكوّن ذلكَ دليلاً على الالتحام التام، ولعمري إنها لمهزلة حقاً، إذ أنها لا تُثبتُ فيما بعد أي دليل على الزوجية إذا لجأ أحدُهما إلى الإنكار، ولكن الخيال العاطفي لدى المراهقين يجيز ما لايُستساغ، ويجعلُ المحالَ في حكم الجائز ومنها أن يقوم الكاسيت مقام الورقة المعهودة إذ يُسجّل الإيجاب والقبول بين الطرفين، مع شهادة الزّميلين اللذَين تطوّعا بالشهادة، ليتبادلا الموقف في حالات كثيرة بهذه الطريقة فكلا الزوجين شاهد ومشهود، لقد تعددت الوسائل وانتشرت كالوباء الذي لا يجد أيّة مقاومة تقفُ في وجهه فتتكاثر ضحاياه ولم أكنْ لأفكّر في كتابة مقال عن الزواج المزعوم، لأنّ غيري من رجال التشريع والاجتماع أقدرُ على تشخيصه واستيعاب معاضله، واقتراح ما يُمكن من أسباب تلافيه، ولكنني أدركتُ خُطورته القاسية في

موقف استدعيت إليه، وشاهدتُ من شرره اللافح، ما جعلني أستعيذُ بالله من شره، فقد جاءني أب يعرفُ صلتي بأب مثله، جاء ليقول إنه يريد حلاً لابنته الرعناء التي تزوجت دُون علمه منذُ ثلاثة أشهر زواجاً عرفياً من نجل فلان، وقد تركها، وعليها دلائلُ الحمل، والزوج المراهق لا يُنكر، بل يعترف اعترافاً لا شبهة فيه، ولكنه طالبٌ يُنفق عليه أبوه، ولا يستطيع أن يُكلفهُ بنفقة زوجة لم يستشره في أمرها، وما يرجُوه الأبُ المفجوع مني أنْ أتوسل لأب الزوج كي يجد مقراً للأسرة الجديدة، فلا يتسع الخرق على الراقع، ولو كان لديه حُجرةٌ تتحمل بقاءها لديه لهان الأمر، ولكنْ منزلهُ لا يحتملُ ساكنيه إلاّ بكثير من الصبر والضيق، وذهبتُ إلى الوالد أنمق له من الكلمات ما أستميله بها إلى الحل المرتقب، فأحزنني أنْ رأيت الرجل يبكي وتتقاطر دموعه ويقولُ في حزن : أنا أقدر موقف صاحبك، وأعلمُ أنه مسكين، فقد فُوجيء بما فُوجئتُ به تماما، ولكن منزلي أضيقُ من منزله، فليبق ابنته عنده، وسأقُوم بما يلزمْ ولديّ من النفقة قدر طاقتي، ثم تطلع إليّ وقال: ماذا أفعلُ بعد ذلك ؛ كُنْ عوْني!

نظام التدريس بالجامعة

ولا أتركُ هذه الحادثة المتكررة دُون أنْ أقف عندها وقفةً سريعة، فالزوجان الصغيران هُنا لم يتجاوزا معاً سنّ الثانية والعشرين، فليسا يشكُوان العُنوسة، ولايزال المستقبل فسيحاً أمام أحلامهما فما الذي عجّل بهما إلى هذا النشاز الأليم، إن نظام التدريس بالجامعة هو أكبر الأسباب في هذه الانحرافات، لأنّ أكثر الكليات لا تسيرُ المحاضرات بها على نحو متتابع، فقد يحضر الطالب المحاضرة الأولى في الساعة الثامنة، وتأتي المحاضرة الثانية في الساعة الحادية عشرة وقد تأتي الثالثة في الساعة الواحدة، وفقاً لانتظام المحاضرين، وتحقيقاً لرغباتهم الشخصية، فماذا يفعلُ الطلاب في هذه المساحات التي تتسع يوميا، للخروج إلى ما حول الكلية ذهاباً وإياباً وكُل طالب يبحث عن صديقة تسعى إليه بدورها، ولا يكادان يفترقان! ونحن نشاهد ازدحام



الطلاب خارج الحرم الجامعي، فنعلم أن الجدول الدراسي قد ساعد في هذا الفراغ السقيم، وماذا يقول الطالب والطالبة في غدوهما ورواحهما سوى الحديث عما يشاهدانه في الأفلام السينمائية على الشاشة الصغيرة، والإعجاب بفلان وفلانة من الممثلين والممثلات، وكل ذلك تمهيد لقصة عاطفية سيقومان بتمثيلها، وسرعان ما تتم الأدوار على نحو يعجل بالنهاية المؤسفة.

لقد كانت الجامعة من قبلُ ذات ارتباط خلقي يكف دواعي النزق، ونحن لم نسمع عن الزواج العرفي في الستينيات والسبعينيات، وسمعنا عنه على استحياء في أول الثمانينيات، ثم فاض الكيل بعد ذلك حتى أصبح الزواج العرفي بين الطلاب جامعة ومدرسة ثانوية مما يهول المصلحين، فالقول بأن الاختلاط في التعليم سبب هذه المأساة مبالغ فيه، إذ كان الاختلاط موجوداً منذ نشأة الجامعة الأولى وتبعها هذا الحشد من الجامعات ولكن حسن النظام، وانتظام المواعيد، ويقظة الأساتذة، وتربية المنزل والمدرسة، كل ذلك قد وقف سداً منيعاً دون أعتى العواصف، بل كان الأستاذ الملتزم يفرض نظاما خاصا بمحاضراته فيستجيب له جميع الطلاب في حب واعتزاز، كان الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة يفرض على الطالبات أن يجلسن في محاضراته بالصفوف الأولى وحدهن، وخلفهن صفوف الطلاب، فلم يجد من يعترض من الطلاب ولا من الإدارة الجامعية! بل عرف الجميع قيوداً من الالتزام الخلقي باعدت بينهم وبين الإسفاف! فلا نقل بعد ذلك إن الاختلاط قد أدى إلي هذه الكوارث، بل نقول إن ضياع القدوة، قد انتهيا إلي شر كبير.

أربعمائة ألف حالة زواج عرفي

ولنترك حديث الطلبة والطالبات ممن وقعوا في شرك الزواج العرفي إلي حديث السواد الأعظم ممن غادروا التعليم إلى الفضاء العام في محيط الحياة، فقد ذكرت جريدة الوفد (٢٣ / ٢ / ٢٠٠٥م) أن إحصاء قامت به إحدى الهيئات الرسمية للذين

أعلنوا عن زواجهم العرفي، يقرر أن هؤلاء قد بلغوا أربعمائة ألف حالة! وهم بطبيعة الحال غير الذين تستروا في هذه الناحية فلم يشاءوا أن يبوحوا بزواجهم العرفي، وهم بالضرورة كثيرون كثيرون، ولن يعجب القارئ لضخامة هذا العدد، فإن الحالة المادية في مصر، وهي أول الأسباب الداعية، قد فرضت عليهم هذا السلوك فرضاً لا محيد عنه، إذ أن صاحب الزواج العرفي لا يبحث عن الشقة المريحة، ولا عن الجهاز المعهود بثمنه المرهق، ولا عن متطلبات العرس من خطبة وزفاف، ولا عن المهر المماثل للنظراء، وكلها مرهقات لا تتاح للخاصة إلا ببذل الجهد دون انقباض، فكيف بالرجل المتواضع والآنسة التي بلغت من العمر ما أصبحت به موضع الحرج الجارح في نفسها، قبل أن يجرح ذويها، كل ذلك يدفع إلى الزواج المستقر، بأعبائه النفسية.

إعلانات التليفزيون

والحق أن أكثر المصائب المادية في هذه الحياة لاتأتي من طبيعة الأمر المشفق عليه، وحدها بل إن مصائب الناس تأتي في أكثرها من الناس، فلولا خوف الرقابة المشينة من المعارف والأقرباء، إذ يعقدون الموازنات بين مهر ومهر، وشقة وشقة، وجهاز وجهاز، ويميلون بالتهكم على من قد رضي بالقليل، لولا هذا الخوف البغيض من هذه المقارنات البغيضة، لانحلت أكثر العقد في هذا الموضوع بالذات، فلا يصبح عيباً أن يكون السكن متواضعاً في حجرتين أو أن تتزوج الجامعية بغير الجامعي، أو أن يكتفى بالضروري من الجهاز الذي يقضي الحاجة دون إسراف. ولكن الألسنة الطويلة تنهال كالسهام في مجتمع غمرته دعايات الترف في إعلانات التليفزيون، وفي مباهاة أهل اليسار بما يبذلون من تبذير سفيه، أضف إلي ذلك غول البطالة الذي جعل المتخرجين من كليات القمة لا يجدون ما ينفقون، فما ظنك بمن تخرج في المدارس الفنية أواقتصر علي الثانوية، وطالت به الأيام دون أن يوفق إلى عمل يسعى إليه جاهداً مهما انحط مستواه، وكان على القائمين بالأمر في مصر أن يتوقعوا هذه الشرور، قبل أن يندفعوا

فى إنشاء الكليات الجامعية على وجه مُدمر فاض طوفانه الجارف عاماً بعد عام، ومازال يفيض دون أن يجد المجرى الطبيعى لتدفقه فى الجداول والأنهار، فأحدث من النكبات النفسية والجسمية ما أصبح حديث الناس.

ومما يضاعف البلوى أن مثل هذا الزواج فى كثير من أحواله لا يستقر على وضع مريح، فسرعان ما تتكشف الثغرات بعد زمن ما يقصر أو يطول، ويراجع كلا الزوجين نفسه، مراجعة من يلومها على تسرع مُنشط وقع فيه اضطراراً دون اختيار، وقد لا يوفق أصحاب النيات الحسنة فى رأب الصدع، فتكون المحكمة هى الحل الوحيد، الذى يلجأ إليه الطرفان، وكلاهما خائر العزم، متضايق النفس وأمله فى النجاح ضئيل.

المأذون الشرعى

ولننتقل إلى الناحية الشرعية فى الزواج العرفى، وهى واضحة لا لبس فيها، ولكن الذى يُبلبل الأذهان، هو ما تذهب إليه بعض الصحف من استطلاع الآراء المختلفة فى المسائل، فقهية وغير فقهية، فتأتى إلى أنصاف العلماء أو من لم يصلوا إلى مقام الفتوى من الأثبات الراسخين فتسألهم عما لا يملكون الإجابة الصحيحة عنه، فيفتون بغير علم، وتُقرن فتواهم المتعارضة بفتوى ذوى الرأى الصحيح، وتكون مصدر لغط مخطىء لا مُبرر له، وقد حدث ذلك حين أصدرت محكمة الإسماعيلية منذ ثلاثة أعوام حكماً بأن ورقة الزواج العرفى تصلح دليلاً لإثبات الميراث للزوجة طبقاً لما نص عليه قانون الأحوال الشخصية الجديد رقم (١) لعام ٢٠٠٠ .

وقبل أن نصل إلى الرأى القاطع نُعلق أن توثيق الزواج على يد المأذون الشرعى لم يكن معروفاً إطلاقاً قبل مطلع القرن العشرين، حيث رأى الإمام محمد عبده - رحمه الله - فى ذلك الوقت أن يكون التوثيق على يد مأذون يُسجل الزواج، ويُقدمه للمحكمة الشرعية، تلافياً لأخطاء حدثت، وتحدث حين يموت الزوج وينكر أهلوه



واقعة الزوجية، لمنعها من الميراث، ولا تستطيع المسكينة أن تجد شهود الإثبات إذ يكونون قد سبقوا إلى الرحيل، وقد قامت مناقشة حادة حول هذا الإجراء بين المؤيدين والمعارضين انتهت إلى صحة ما ذهب إليه الإمام، وبدأ التنفيذ الفورى للنظام الجديد فى محافظات القاهرة والجيزة والفيوم، ثم شمل القطر المصرى جميعه، فأصبح الطريق الرسمى للزواج، ولم يمنع ذلك أن يتخلى عنه بعض الناس فيعقدون رابطة الزواج بالشاهدين والإيجاب والقبول دون حاجة إلى المأذون مع الحفل العلنى وهو زواج صحيح شرعياً، ولكنه غير الأولى، ولازالت بعض القبائل البدوية المنتسبة لمصر تُغفل هذا العقد، وتكتفى بالشهود، ويجرى الأمر على ذلك إذ لا خطر لديهم بعد إعلان الزواج فى محفل علنى يشهده الأقرباء والبعداء ولكن ما جد الآن من موجة انتشار هذا الزواج بين الشباب العابث الذى لا يدرى خطورة ما يأتيه، قد جعل الأمر موضع التباس يجب إزالته، والمقرر المعترف به شرعاً شىء، وما أقترح إضافته شىء آخر فالمقرر المعترف به شرعاً أن الزواج يكون صحيحاً مع حضور الشاهدين فى موقف علنى يتم فيه الإيجاب والقبول، وهو زواج شرعى لا ينقصه إلا التوثيق على يد المأذون ليكون رسمياً لا مجال للشك فيه، فإذا تمت العلانية وشهد الشاهدان ووقع الإيجاب والقبول، فهو زواج لا خلاف عليه، أما ما يُكتب على الجلد، أو يُعلن فى الكاسيت دون العلانية الصريحة فهو زواج باطل ولكل من الزوجين الحق فى الميراث دون اعتراض إذا ثبت الزواج على النحو المشار إليه.

وقد لوحظ من إجابات الذين يمنعون الميراث عن طريق الزواج العرفى أنهم يخافون من انتشاره إذا تكرر ذلك مع عبث العابثين من الشبان والشواب، ولكن الفرائض الشرعية، يجب أن تؤدى على وجهها الصحيح، وهذا ما أقرته محكمة الإسماعيلية مؤكدة أن ورقة الزواج العرفى كافية فى إثبات الميراث لأنها وثيقة صحيحة لم يُحاول أحد الطعن فى ثبوتها!

شرط ضرورى

وبعد، فالذى أريد أن أنتهى إليه، أريد أن أقرر أنه مادام عقدُ الزوجية معترفاً به شرعاً سواء كان على يد المأذون، أمْ كان عقداً عرفيّاً، وهذا ما لا يُمكن الاعتراض عليه، فإنَّ علينا أن نُشير إلى شرطٍ واجب فى صحّة العقد، وبمراعاة هذا الشرط الضرورى يتقلّص كثيرٌ من الأضرار التى يتسبّبها عبث المستهترين بعقد النكاح، فيكفّ بأسهم عن هذا العبث وتعودُ لعقد الزوجية حُرمته سواء كان شرعياً على يد المأذُون أو كان شرعياً عن طريق العُرف الذى يأخذ به المُستَسْهلون.

أما هذا الشرط الضرورى فهو ألاّ يَصح العقد إلا بوُجود ولىٍ للزوجة سواء كان أباً، أم قريباً عاصباً كابن أو أخ، أو عم أو ابن عم بحيثُ يقدّم الأقرب فالأقرب وفق الترتيب المُتّبَع، وإلى هذا ذهبَ جميع علماء الشافعية والمالكية والحنابلة، أما الحَنفية، فلم يوُجبوا اشتراطَ الولىّ، كما هو ذائع عند الفقهاء ولكنَّ الذى يتأملُ نُصوصهم الملحقة بما قرّروه يجد أنهم مع علماء المذاهب الأخرى على حدٍ سواء! ووجهة نظر الجُمهور هى أن المرأة فى بعض أحوالها قد تخضعُ لعاطفتها فيما لا تُعرف عقباه، أما وليّها المسئول عنها فبعيدٌ عن التيار العاطفى، ناظرٌ بعين الواقع إلى المستقبل، وما يُكن أن يجد فيه من أحوال لا ينهض فيها هذا الوافد الجديد، وهنا يكون الولى صمام الأمان.

والحنفيّة يقولون إن للمرأة أن تَتصرّف فى مالها وعقارها دُون وصاية من أحد، فالأولى تتصرّف في أخصّ شئونها، وهو ارتباطُها بزواجٍ يُنتظر له الدوام والاستقرار، وهذا رأى لهُ وجاهته، ولكنّ السكوت عنده، لا يُبرز الرأىَ على حقيقته كما جلاّه كبار العلماء من الحنفية، لأنهم اشترطوا أن يكونَ اختيار المرأة سليماً من النقد، فلا تُسىء باختيارها إلى نفسها وإلى أسرتها جريا وراءَ شهوة لا تَعرف عُقباها، وهُنا كانَ لولىّ أمْرها أن يرفض الزواج، ويردّها إلى الطريق القويم.

رأى للأحناف

وللجلاء هذه الناحية أنْقُلُ ما قاله الأستاذ الكبير عبدالرحمن الجزيرى عضو جماعة كبار العلماء ومؤلف الموسوعة الحافلة (الفقه على المذاهب الأربعة) في أجزائها الكبار، حيثُ قال هذا الفقيه الثّبت فى المجلد الثامن من مجلة الأزهر الصادر فى سنة ١٣٥٦ ص ٢٣١ تحت عنوان: (اشتراط الولى فى عقد الزواج)، ما نصّه: «يجبُ أن يناطَ أمر زواج المرأة بها، ولا يُجعل لأحد مَطْمعاً فى حرمانها من الكفء، ولكن يشرط ألاّ يترتب على تصرفها ضررٌ يمسها أو يمسّ أسرتها، بأن تندفع وراء شهوتها فتقع فى غير الكفء المناسب، فإنها إن فعلت ذلك كانت جديرةً بالحجر عليها، وكانَ لوليّها حق الاعتراض وفسخ العقد، فإذا كان لها أخٌ أو أب أو نحوهما من الأقربين كانَ من اللائق أن تفوضَ لهم ليتصرفوا فى أمْر زواجها كما يحبّون فلا تَخرج عن إرادتهم، ولا تحاول إحراجهم بما لا ينفعها، بل يضرها بفقد عطفهم عليها».

هذا رأى كبير من كبار الأحناف فيما ذهب إليه أعيان مذهبه، حيثُ حدّدَ الأمر تحديداً دقيقاً لايحتمل الخلاف، وهو بذلك يجعل رضى ولى الأمر أساساً لصحة العقد، فتلتقى جميع الآراء على منهج واحد!

أقول بعد ذلك إن اشتراط الولىّ فى صحة العقد أمرٌ واجب التنفيذ، وبمقتضاه لا نسمح للمراهقات والمراهقين أن يجلبوا الشرور على أنفسهم وعلى مجتمعهم الحائر فى شذوذهم وسواءٌ بعد ذلك كان العَقد رسمياً أو عُرفياً، فقد سلم من التهوّر والنشاز.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الآيات من ٩٨ : ١٠٥

أخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم قال: مر شاس بن قيس- وكان شيخا قد عسا (١) فى الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم- مر على نفر من الصحابة من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية.

فقال: قد اجتمع ملأ بنى قيلة (٢) بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار.

(١) عسا الشيخ: كبر وأسن من عسا القضيب إذا يبس.

(٢) قيلة: هى قيلة بنت كاهل بن عذرة وهى أم الأوس والخزرج.



فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم، وذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار- وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج- ففعل. فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب: أوس بن قيظى من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج. فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة (٣)، وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح موعدكم الظاهرة- والظاهرة: الحرة- فخرجوا إليها وتحاور الناس. فانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية.. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم.. فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس، وما صنع.

فأنزل الله فى شاس بن قيس وما صنع

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾

الآية وأنزل فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾

إلى قوله

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤)

فما كان يوم أقبح أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم.

وقوله- تعالى-

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾

أمر من الله- تعالى- لنبيه ﷺ بأن يوبخ

(٣) جذعة: شابة فتية. يريد عودة الحرب قوية كما كانت.

(٤) تفسير ابن جرير جـ٤ ص٢٣

هؤلاء اليهود ومن لف لفهم على مسالكهم الخبيثة لكيد الدعوة الإسلامية، وإيذاء أتباعها ومحاولتهم صرف الناس عنها.

أى: قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين كفروا بالحق بعد أن جاءتهم البينات: لم تعاندون الحق وتكفرون بآيات الله السمعية والعقلية الدالة على صدقى فيما أبلغه عن ربى، والحال أن الله مطلع عليكم وعالم علم المعاين المشاهد لأعمالكم الظاهرة والخفية، وسيجازيكم عليها بما تستحقونه من عقاب أليم.

فالآية الكريمة قد تضمنت تأنيبهم على الكفر، وتهديدهم بالعقاب إذا استمروا فى مسالكهم الأثيمة.

ولكى يكون التأنيب أوجع، أمر الله- تعالى- نبيه ﷺ أن يناديهم بقوله:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾

لأن علمهم بالكتاب يستلزم منهم الإيمان، والإذعان للحق، ولكنهم اتخذوا علمهم وسيلة للشرور والتضليل فكان مسلكهم هذا دليلاً على فساد فطرتهم، وخبث طويتهم، وسوء طباعهم.

وبعد أن أنبهم القرآن الكريم فى هذه الآية على كفرهم وضلالهم، أمر الله- تعالى- نبيه ﷺ فى آية ثانية أن يوبخهم على محاولتهم إضلال غيرهم فقال- تعالى:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ ﴾

وقوله: ﴿ تَصُدُّونَ ﴾ من الصد وهو صرف الغير عن الشئ ومنعه منه. يقال: صد يصد صدودا، وصدا.

وقوله: ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أى طريقه الموصلة إليه وهى ملة الإسلام.

وقوله: ﴿ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾ أى تطلبون لها العوج. يقال: بغيت له كذا أى طلبته والعوج- بكسر العين- الميل والزيغ في الدين والقول والعمل، وكل ما خرج عن طريق الهدي إلي طريق الضلال فهو عوج. والعوج - بفتح العين- يكون فى المحسوسات كالميل فى الحائط والرمح وكل شئ منتصب قائم أى أن مكسور العين يكون فى المعانى ومفتوحها فى الأعيان.

والمعنى: قل يا محمد لأهل الكتاب مرة أخرى مبالغة فى تقريعهم وإزاحة لأعذارهم. لأى شئ تصرفون المؤمنين عن الإيمان الحق، وتمنعون من آمن بالنبى ﷺ عن الاستمرار على اتباعه، وتثيرون الفتنة والوقيعة بين أصحابه.

وقوله: ﴿ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾ أى تطلبون العوج والميل لسبيل الله الواضحة والميل بها عن القصد والاستقامة، وتريدون أن تكون ملتوية غير واضحة فى أعين

المهتدين، كما التوت نفوسكم، وانحرفت عقولكم.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت كيف قال تبغونها عوجاً وهو محال؟ قلت: فيه معنيان: أحدهما: أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها اعوجاجا بقولكم إن شريعة موسى لا تنسخ، وبتغييركم صفة رسول الله ﷺ عن وجهها وغير ذلك.

والثانى: أنكم تتعبون أنفسكم فى إخفاء الحق ابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم.(٥)

وقوله: ﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ مفعول به لتصدون. والضمير المنصوب فى قوله: ﴿ تَبۡغُونَهَا ﴾ يعود إلى سبيل الله أى تبغون لها فحذفت اللام كما فى قوله- تعالى- : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ ﴾ المطففين/ ٣ أى كالوا لهم.

وقوله: ﴿ عِوَجٗا ﴾ مفعول به لتبغون.

وبعضهم جعل الضمير المنصوب فى ﴿ تَبۡغُونَهَا ﴾ وهو الهاء هو المفعول.. وجعل عوجاً حال من سبيل الله.. أى تبغونها أن تكون معوجة وتريدونها فى حال عوج واضطراب.

وقوله: ﴿ وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ ﴾ حال من فاعل ﴿ تَصُدُّونَ ﴾ أو «تبغون».

أى والحال أنكم تعلمون بأن سبيل الإسلام هى السبيل الحق علم من يعاين ويشاهد الشئ على حقيقته فجحودكم عن علم وكفركم ليس عن جهل، ولقد كان المتوقع منكم يا من ترون الحق الذى جاء به محمد ﷺ فى كتابكم، أن تكونوا أول المسارعين إلى الإيمان به، ولكن الحسد والعناد حالا بينكم وبين الانتفاع بالنور الذى جاء به محمد ﷺ.

وقوله:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾

تهديد لهم ووعيد على ضلالهم ومحاولتهم إضلال غيرهم، لأنه- سبحانه- ليس غافلا عن أعمالهم، بل هو سيجازيهم على هذه المسالك الخبيثة بالفشل والذلة فى الدنيا، وبالعذاب والهوان في الآخرة ولما كان صدهم المؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حياتهم، ببيان أن الله- تعالى- محيط بكل ما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال وليس غافلاً عنها،

(٥) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٩٣

بخلاف الآية الأولى فقد كان كفرهم بطريق العلانية إذ ختمت ببيان أن الله مشاهد لما يعملونه ولما يجاهرون به.

وبعد أن بين - سبحانه - في هاتين الآيتين أن اليهود قد جمعوا الخستين ضلالهم أنفسهم، ثم محاولتهم تضليل غيرهم، تركهم مؤقتاً في طغيانهم يعمهون، ووجه نداء إلى المؤمنين يحذرهم فيه من دسائس اليهود وكيدهم، وينهاهم عن الركون إليهم، والاستماع إلى مكرهم فقال - تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾

والمعنى: إنكم أيها المؤمنون أن استمعتم إلى ما يلقيه بعض أهل الكتاب بينكم من دسائس ولنتم لهم، لا يكتفون بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم كما في الجاهلية، بل يتجاوزون ذلك إلى محاولتهم إعادتهم إلى وثنيتكم القديمة وكفركم بالله بعد إيمانكم.

وقد خاطب الله المؤمنين بذاته في هذه الآية بعد أن أمر رسوله ﷺ بأن يخاطب أهل الكتاب في الآيتين السابقتين، إظهار لجلالة قدرهم، وإشعارا بأنهم الأحقاء بالمخاطبة من الله - تعالى.

وناداهم بصفة الإيمان لتحريك حرارة العقيدة في قلوبهم وتوجيه عقولهم إلى ما يستدعيه الإيمان من فطنة ويقظة فالمؤمن ليس خبا ولكن الخب لا يخدعه.

وفي التعبير «بإن» في قوله:

﴿ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا ﴾

إشارة إلى أن طاعتهم لليهود ليست متوقعة، لأن إيمانهم يمنعهم من ذلك.

ووصف - سبحانه - الذين يحاولون الوقيعة بين المؤمنين بأنهم فريق من الذين أوتوا الكتاب، إنصافاً لمن لم يفعل ذلك منهم.

ونعتهم بأنهم ﴿ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ للإشعار بأن تضليلهم متعمد وبأن تآمرهم على المؤمنين مقصود، فهم أهل كتاب وعلم، ولكنهم استعملوا علمهم في الشرور والآثام.

وقوله: ﴿ يَرُدُّوكُم ﴾ أصل الرد الصرف والإرجاع، إلا أن هنا مستعار لتغير الحال بعد المخالطة فيفيد معنى التصيير كقول الشاعر:

فرد شعورهن السود بيضاً
ورد وجوههن البيض سوداً

أي: يصيروكم بعد إيمانكم كافرين.. والكاف مفعول الأول وكافرين مفعوله الثاني.

وشبيه بهذه الآية قوله - تعالى - في آية أخرى:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾

﴿البقرة: ١٠٩﴾

ثم بين القرآن بعد ذلك أنه ما يسوغ للمؤمنين أن يطيعوا هذا الفريق من الذين أوتوا الكتاب، أو أن يكفروا بعد إيمانهم، أو أن يتفرقوا بعد وحدتهم فقال - تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾

الاستفهام في قوله:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾

للإنكار، ولاستبعاد كفرهم في حال اجتمع لهم فيها كل الأسباب الداعية إلى الإيمان.

أي: كيف يتصور منكم الكفر، أو يسوغ لكم أن تسيروا في أسبابه وآيات الله تقرأ على مسامعكم غضة طرية صباح مساء، ورسول الله ﷺ بين ظهرانيكم، يردكم إلى الصواب إن أخطأتم، ويزيح شبهكم إن التبس عليكم أمر.

وفي هذا ما يومئ إلى إلقاء اليأس في قلوب هذا الفريق من اليهود من أن يصلوا إلى ما يبغونه بين المؤمنين في وقت يذكر النبي ﷺ المؤمنين بما ينفعهم، ويحذرهم مما يؤذيهم ويضرهم.

وفي توجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر مبالغة، لأن كل موجود لابد أن يكون وجوده على حال من الأحوال، فإذا أنكر ونفي في جميع الأحوال انتفى وجوده بالكلية بالطريق البرهاني.

وقوله:

﴿ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾

جملتان حاليتان من فاعل ﴿ تَكْفُرُونَ ﴾ وهو ضمير الجماعة، وهاتان الجملتان هما محط الإنكار والاستبعاد.

أي أن كلا تلاوة آيات الله وإقامة الرسول ﷺ فيهم، وازع لهم عن الكفر، ودافع لهم إلي التمسك بعري الإيمان.

ففي الآية الكريمة دلالة علي عظمة قدر الصحابة، وأن لهم وازعين عن مواقعة الضلال: سماع القرآن، ومشاهدة أنوار الرسول ﷺ فإن وجوده عصمة من ضلالهم.

قال قتادة: أما الرسول ﷺ فقد مضى إلى رحمة الله، وأما الكتاب فباق علي وجه الدهر.

ثم أرشد الله - تعالى - المؤمنين إلى الوسيلة التي متى تمسكوا بها عصموا أنفسهم من مكر اليهود فقال - تعالى:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

أى ومن يلتجئ إلى الله فى كل أحواله ويتوكل عليه حق التوكل، ويتمسك بدينه، فقد هدى إلى الطريق الذى لا عوج فيه ولا انحراف.

وفى هذا إشارة إلى أن التمسك بدين الله وبكتابه كفيل بأن يبعد المسلمين الذين لم يشاهدوا الرسول ﷺ عما يبيته لهم أعداؤهم من مكر وخداع.

قال ابن جرير ما ملخصه: وأصل العصم: المنع، فكل مانع شيئاً فهو عاصمه، والممتنع به معتصم به ولذلك قيل للحبل: عصام، وللسبب الذى يتسبب به الرجل إلى حاجته عصام، وأفصح اللغتين :إدخال الباء كما قال- عز وجل-

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾

وقد جاء اعتصمته [6] ثم أمر الله - تعالى - المؤمنين بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

وقوله ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ التقاة مصدر وهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها إذ الأصل: اتقوا الله التقاة الحق، أى: الثابتة، كقولك ضربت زيدا أشد الضرب تريد الضرب الشديد وقيل التقاة اسم مصدر من اتقى كالتؤدة من اتأد.

والمعنى: بالغوا أيها المؤمنون فى التمسك بتقوى الله ومراقبته وخشيته حتى لا تتركوا منها شيئا ولا تكونن على ملة سوى ملة الإسلام إذا أدرككم الموت، وإنما عليكم أن تستمروا على دينكم القويم حتى يأتيكم الأجل الذى لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون.

وقد ساق ابن كثير بعض الآثار التى وردت عن بعض السلف فى تفسير هذه الآية الكريمة فمن ذلك ماروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال فى معنى الآية

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾

«أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر».

وروى عن أنس أنه قال: لا يتقى الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه.

وقوله:

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

هو نهى فى الصورة عن موتهم إلا على هذه الحالة والمراد دوامهم على الإسلام وذلك أن الموت لابد منه فكأنه قيل:

(٦) تفسير ابن جرير جـ٤ ص ٢٦

دوموا على الإسلام إلى أن يدرككم الموت فتموتوا على هذه الملة السمحاء وهى ملة الإسلام، لكى تفوزوا برضا الله وحسن ثوابه.

والجملة الكريمة فى محل نصب على الحال من ضمير الجماعة فى ﴿ اتَّقُوا ﴾.

والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال: أى لا تموتن على حالة من الأحوال إلا على هذه الحالة الحسنة التى هى حالة المداومة على التمسك بالإسلام وتعاليمه وآدابه.

وقال صاحب الكشاف: قوله ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ ﴾ معناه ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، وذلك كان تقول لمن تستعين به على لقاء العدو: لا تأتنى إلا وأنت على حصان، فأنت لا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التى شرطت عليه فى وقت الإتيان»[7].

وبعد أن أمرهم - سبحانه - بمداومة خشيته، والاستمرار على دينه أتبع ذلك بأمرهم بالاعتصام بدينه وبكتابه فقال - تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

فهذه الآية الكريمة تأكيد لما اشتملت عليه سابقتها من مداومة التقوى والطاعة لله رب العالمين.

والاعتصام: افتعال من عصم وهو طلب ما يعصم أى يمنع من السقوط والوقوع.

وأصل الحبل: ما يشد به للارتقاء أو التدلى أو للنجاة من غرق أو نحوه، أو للوصول إلى شيء معين.

والمراد بحبل الله هنا: دينه، أو عهده، أو كتابه، لأن التمسك بهذه الأشياء يوصل إلى النجاة والفلاح.

والمعانى: كونوا جميعا مستمسكين بكتاب الله وبدينه وبعهوده، ولا تتفرقوا كما كان شأنكم فى الجاهلية بضرب بعضكم رقاب بعض، بل عليكم أن تجتمعوا على طاعة الله وأن تكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وبذلك تفوزون وتسعدون وتنتصرون على أعدائكم.

ففى الجملة الكريمة استعارة تمثيلية حيث شبه - سبحانه - الحالة الحاصلة من تمسك المؤمنين بدينهم وبكتابهم وبعهودهم وبوحدة كلمتهم، بالحالة الحاصلة من تمسك جماعة بحبل وثيق مأمون الانقطاع ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط أو نحوهما.

وإضافة الحبل إلى الله - تعالى - قرينة

(٧) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٩٤



على هذا التمثيل.

وقوله ﴿ جَمِيعًا ﴾ حال من ضمير الجماعة فى قوله ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ ﴾.

فالجملة الكريمة تأمر المسلمين جميعا أن يعتصموا بعهود الله وبدينه، وبكتابه، وأن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأن ينبذوا التفرق والاختلاف الذى يؤدى إلى ضعفهم وفشلهم.

قال الفخر الرازى عند تفسيره لهذه الآية ما ملخصه: واعلم أن كل من يمشى على طريق دقيق يخاف أن ينزلق رجله، فإنه إذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك الطريق أمن من الخوف، ولاشك أن طريق الحق طريق دقيق، وقد انزلقت أرجل كثير من الخلق عنه، فمن اعتصم بدلائل الله وبيناته فإنه يأمن من ذلك الخوف فكان المراد من الحبل هنا: كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق فى طريق الدين، وهو أنواع كثيرة فمنهم من قال المراد به عهد الله.. ومنهم من قال المراد به القرآن، فقد جاء فى الحديث «هو حبل الله المتين» ومنهم من قال المراد به طاعة الله.. وهذه الأقوال كلها متقاربة والتحقيق ما ذكرنا من أنه لما كان النازل فى البئر يعتصم بحبل تحرزا من السقوط فيها وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين حرزا لصاحبه من السقوط فى جهنم، جعل ذلك حبلا لله وأمروا بالاعتصام به[8]، ثم أمرهم - سبحانه - بتذكر نعم الله عليهم فقال:

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾

قوله ﴿ شَفَا حُفْرَةٍ ﴾ الشفا طرف الشيء وحرفه مثل شفا البئر، وشفا الحفرة ومنه يقال: فلان أشفى على الشيء إذا أشرف عليه، كأنه بلغ شفاه أى حده وحرفه.

والمعنى: واذكروا أيها المؤمنون وتنبهوا بعقولكم وقلوبكم إلى نعمة الله عليكم بتأليف نفوسكم ورأب صدوعكم، فقد كنتم فى الجاهلية أعداء متقاتلين متنازعين، فألف بين قلوبكم بأخوة الإسلام فأصبحتم متحابين متناصحين متوادين وكنتم على وشك الوقوع فى النار بسبب اختلافكم وضلالكم فمن الله عليكم وأنقذكم من التردى فيها بهدايتكم إلى الحق عن طريق رسول الله ﷺ الذى أرسله ربه رحمة للعالمين. إذا فمن الواجب

(8) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ١٧٣، طبعة عبد الرحمن محمد

عليكم وفاء لهذه النعم أن تشكروا الله عليها وأن تطيعوا رسولكم ﷺ وأن تتمسكوا بعرى المحبة والمودة والأخوة فيما بينكم.

قال ابن كثير: قوله - تعالى:

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾

إلخ، هذا السياق فى شأن الأوس والخزرج، فإنه كان بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية وعداوة شديدة وضغائن وإحن طال بسببها قتالهم، والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام، فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانا متحابين بجلال الله، متواصلين فى ذات الله، متعاونين على البر والتقوى وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم فأنقذهم الله منها إذ هداهم للإيمان وقد امتن عليهم بذلك رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم حنين، فعتب من عتب منهم بما فضل عليهم فى القسمة بما رآه، فخطبهم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى، وعالة فأغناكم الله بى؟ فكانوا كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن»[9].

وفى هذه الآية الكريمة تصوير بديع مؤثر لحالة المسلمين قبل الإسلام وحالتهم بعد الإسلام.

فقد صور - سبحانه - حالهم وترديهم فى الكفر والاختلاف والتقاتل قبل أن يدخلوا فى الإسلام بحال من يكون على حافة حفرة من النار يوشك أن يقع فيها.

وصور هدايته لهم إلى سبيل الحق والمحبة والإخاء بدخولهم فى الإسلام عن طريق محمد ﷺ بحالة من يبعد غيره عن التردى فى النار وينقذه من الوقوع فيها.

قال صاحب الكشاف: «والضمير المجرور فى قوله ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ يعود للحفرة أو للنار أو للشفا، وإنما أنث لإضافته إلى الحفرة - فاكتسب التأنيث من المضاف إليه - كما قال: كما شرقت صدر القناة من الدم.. وشفا الحفرة وشفتها: حرفها بالتذكير والتأنيث.

فإن قلت: كيف جعلوا على حرف حفرة من النار؟ قلت: لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا فى النار، فمثلت حياتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها، مشفين - أى مشرفين - على الوقوع فيها»[10].

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

أى كهذا البيان الواضح الذى سمعتموه فى هذه الآيات، يبين الله لكم

(9) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٨٩

(10) تفسير الكشاف جـ١ ص ٣٩٦

دائما من آياته ودلائله وحججه ما يسعدكم فى الدنيا والآخرة، وما يأخذ بيدكم إلى وسائل الهداية وأسبابها، رجاء أن تكونوا ممن رضى الله عنهم وأرضاهم بسبب اهتدائهم إلى الصراط المستقيم.

وبعد أن أمرهم - سبحانه - بتكميل أنفسهم عن طريق خشيته وتقواه والاعتصام بدينه وبكتابه، عقب ذلك بأمرهم بالعمل على تكميل غيرهم وإصلاح شأنه عن طريق دعوته إلى الخير وإبعاده عن الشر فقال - تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

الأمة: الجماعة التى تؤم وتقصد لأمر ما وتطلق على أتباع الأنبياء كما تقول: نحن من أمة محمد ﷺ وعلى الرجل الجامع للخير الذى يقتدى به كقوله - تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾

(النحل: ١٢٠)

وعلى الدين والملة كقوله - تعالى:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾

(الزخرف: ٢٢)

وعلى الحين والزمان كقوله - تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾

(يوسف: ٤٥)

والمراد بالأمة هنا الطائفة من الناس التى تصلح لمباشرة الدعوة إلى الخير والنهى عن المنكر.

والمراد بالخير ما فيه صلاح للناس دينى أو دنيوى.

والمراد بالمعروف ما حسنه الشرع وتعارف العقلاء على حسنه والمنكر ضد ذلك.

والمعنى: ولتكن منكم أيها المؤمنون طائفة قوية الإيمان عظيمة الإخلاص، تبذل أقصى طاقتها وجهدها فى الدعوة إلى الخير الذى يصلح من شأن الناس، وفى أمرهم بالتمسك بالتعليم وبالأخلاق التى توافق الكتاب والسنة والعقول السليمة، وفى نهيهم عن المنكر الذى يأباه شرع الله، وتنفر منه الطباع الحسنة.

وقوله: ﴿ وَلْتَكُن ﴾ صيغة وجوب من الله - تعالى - على كل من يصلح لمهمة الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وتكن إما من كان التامة أى: ولتوجد منكم أمة فيكون قوله: ﴿ أُمَّةٌ ﴾ فاعلا لتكن وجملة ﴿ يَدْعُونَ ﴾ صفة لأمة، و﴿ مِّنكُمْ ﴾ متعلق بتكن.



وإما من كان الناقصة فيكون قوله ﴿ أُمَّةٌ ﴾ اسمها، وجملة ﴿ يَدْعُونَ ﴾ خبرها، وقوله ﴿ مِّنكُمْ ﴾ متعلق بكان الناقصة، أو بمحذوف وقع حالا من أمة.

و﴿ من ﴾ فى قوله تعالى

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾

يرى أكثر العلماء أنها للتبعيض.

أى: ليكن بعض منكم أمة أى طائفة تبذل جهدها فى تبليغ رسالات الله وفى دعوة الناس إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وفى هذا التبعيض وتنكير «أمة» تنبيه على قلة العاملين بذلك وأنه لا يخاطب به إلا الخواص.

ومن هذا الأسلوب قوله - تعالى -:

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾

(الحشر: ١٨)

فقد وجه الخطاب إلى نفس منكرة تنبيها على قلة الناظر فى معاده.

وعلى هذا فكأن الآية الكريمة قد اشتملت على طلبين:

أحدهما: وجه إلى الأمة كلها يطالبها بأن تعد طائفة من بينها لهذه المهمة السامية وهى دعوة الناس إلى الخير وأن تزود هذه الطائفة الصالحة لهذه المهمة بكل ما يمكنها من أداء مهمتها.

وثانيهما: موجه إلى تلك الطائفة الصالحة لهذه المهمة، بأن تخلص فيها وتؤديها على الوجه الأكمل الذى يرضى الله تعالى.

ويرى بعض العلماء أن «من» فى قوله - تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ بيانية.

فيكون المعنى أن الأمة كلها عليها واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا على سبيل الفرض الكفائى، بل على سبيل الفرض العينى.

أى: لتكونوا أيها المؤمنون جميعا أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فمن هنا ليس المراد بها التبعيض على هذا الرأى بل المراد بها البيان وذلك كقولك: لفلان من أولاده جند، وللأمير من غلمانه عسكر، تريد بذلك جميع أولاده وغلمانه.

ويبدو لنا أن الرأى الأول وهو أن «من» للتبعيض أقرب إلى الصواب، لأن الأمة كلها برجالها ونسائها وشبابها وشيوخها لا تصلح لهذه المهمة السامية، وإنما يصلح لها من يجيدها ويحسنها بأن تكون عنده القدرة العقلية، والعلمية، والنفسية، والخلقية، لأدائها.

ولذا قال صاحب الكشاف مرجحا أن «من» للتبعيض: قوله

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾

من للتبعيض، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، لأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشره فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا أو على من الإنكار عليه عبث.

وقيل «من» للتبيين بمعنى: وكونوا أمة تأمرون، كقوله – تعالى –

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(11)

(آل عمران: ١١٠)

وقوله – تعالى:

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

معطوف على قوله:

﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾

من باب عطف الخاص على العام.

وفائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء إلى الخير عاما ثم مفصلا على هذين الوجهين وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهما أشرف ألوان الدعوة إلى الخير.

وقوله:

﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾

المفعول فيه محذوف وكذلك في قوله ﴿ وَيَأْمُرُونَ ﴾ و﴿ وَيَنْهَوْنَ ﴾ والتقدير يدعون الناس إلى الخير ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

وحذف المفعول للإيذان بظهوره، أو للقصد إلى إيجاد نفس الفعل، أي يفعلون الدعاء إلى الخير أو لقصد التعميم أي يدعون كل من تتأتى له الدعوة.

وقد ختم – سبحانه – الآية الكريمة بتبشير هؤلاء الداعين إلى الخير بالفلاح فقال:

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

والفلاح هو الظفر وإدراك البغية.

أي: وأولئك القائمون بواجب الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم الكاملون في الفلاح والنجاح ولا يمكن أن يفلح سواهم ممن لم يقم بهذا

(11) تفسير الكشاف جـ1 – ص 397

الواجب الذي هو مناط عزة الجماعات والأفراد، وأساس رفعتهم وقوتهم وسعادتهم.

قال بعض العلماء: في الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها وبه يرتفع سنامها ويكمل نظامها.

وقال الإمام الغزالي: في هذه الآية بيان الإيجاب فإن قوله: ﴿ وَلْتَكُن ﴾ أمر، وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به، إذ حصر وقال:

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به البعض سقط الفرض عن الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف، بل قال:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾

وإن تقاعد عنه الخلق جميعا عم الإثم كافة القادرين عليه لا محالة(12).

هذا وقد وردت أحاديث متعددة في فضل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي بيان العاقبة السيئة التي تترتب على ترك هذا الواجب ومن ذلك:

ما رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وروى الترمذي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».

وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم.

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

(12) تفسير القاسمي جـ4 ص 921



وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»(١٣).

وبعد أن أمر الله - تعالى - بالمواظبة على الدعوة إلى الخير عقب ذلك بنهيهم عن التفرق والاختلاف فقال :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾

أى ولا تكونوا أيها المؤمنون كأولئك اليهود والنصارى وغيرهم من الذين تفرقوا شيعا وأحزابا، وصار :

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

واختلفوا فيما بينهم اختلافا شنيعا، وقد ترتب على ذلك أن كفر بعضهم بعضا، وقاتل بعضهم بعضا، وزعم كل فريق منهم أنه على الحق وغيره على الباطل وأنه هو وحده الذى يستطيع ان يدرك ما فى الكتب السماوية من حقائق وهو وحده الذى يستطيع تفسيره تفسيرا سليما.

ولقد كان تفرقهم هذا واختلافهم

﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾

أى الآيات والحجج والبراهين الدالة على الحق والداعية إلى الاتحاد والوئام لا التفرق والاختلاف.

وقوله :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾

معطوف على قوله :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ ﴾

ويرجع إلى قوله من قبل :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

لما فيه من تمثيل حال التفرق فى أبشع صوره المعروفة لديهم من مطالعة أحوال اليهود وفيه إشارة إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يفضى إلى التفرق والاختلاف إذ يترتب على هذا الترك أن تكثر المنازعات والأهواء والمظالم وتنشق الأمة بسبب ذلك انشقاقا شديدا.

والمقصود بهذا النهى إنما هو التفرق والاختلاف فى أصول الدين وأسسه، أما الفروع التى لا يصادم الخلاف فيها نصا صحيحا من نصوص الدين فلا تندرج تحت هذا النهى، فنحن نرى أن أصحاب النبى ﷺ والتابعين من بعدهم قد اختلفوا فيما بينهم فى بعض المسائل التى لا تخالف نصا صحيحا من نصوص الشريعة وتأولها كل واحد أو كل فريق منهم على حسب فهمه الذى أداه إليه اجتهاده.

(١٣) هذه الأحاديث من كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٢٢٣ وقد ذكر أحاديث أخرى فى هذا الموضوع فارجع إليه إن شئت

ومن الأحاديث التى ذمت الاختلاف فى الدين ما رواه أبو داود والإمام أحمد عن أبى عامر عبد الله بن يحيى قال : «حججنا مع معاوية بن أبى سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى الظهر فقال إن رسول الله ﷺ قال : «إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعنى الأهواء - كلها فى النار إلا واحدة - وهى الجماعة - أنه سيخرج فى أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاءكم به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به»(١٤).

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة ببيان سوء عاقبة المتفرقين، والمختلفين فى الحق فقال :

﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

أى وأولئك الموصوفون بتلك الصفات الذميمة لهم عذاب عظيم بسبب تفرقهم واختلافهم الباطل.

فأنت ترى أن القرآن الكريم قد نهى المؤمنين عن التفرق والاختلاف بأبلغ تعبير وألطف إشارة، وذلك بأن بين لهم حسن عاقبة المعتصمين بحبل الله دون أن يتفرقوا، وما بشر به - سبحانه - المواظبين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أنهم هم المفلحون الفائزون.

ثم بين لهم بعد ذلك سوء عاقبة التفرقة والاختلاف الذى وقع فيه من سبقهم من اليهود والنصارى وكيف أنه ترتب على تفرقهم واختلافهم أن كفر بعضهم بعضا، وقاتل بعضهم بعضا، ورمى بعضهم بعضا بالزيغ والضلال.

هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فلهؤلاء المتفرقين والمختلفين العذاب العظيم من الله - تعالى - فالقرآن قد أتى بالأوامر ومعها الأسباب التى تدعو إلى الاستجابة لها، وأتى بالنواهى ومعها كذلك الأسباب التى تحمل على البعد عنها.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت مسلكا من مسالك اليهود الخبيثة لكيد الإسلام والمسلمين، ووبختهم على ذلك توبيخا موجعا، وفضحتهم على مر العصور والدهور، وحذرت المؤمنين من شرورهم وأرشدتهم إلى ما يعصمهم من كيدهم، وذكرتهم بنعم الله الجليلة عليهم وأمرتهم بالمواظبة على الدعوة إلى الخير، ونهتهم عن التفرق والاختلاف لكي يسعدوا فى دينهم ودنياهم.

(١٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٩٠.

السنة

أدب الجوار

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارىّ فى صحيحه (كتاب الأدب - عن أبى شريح) أن النبى ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه».

التعريف بالراوى

هو أبو شُريح الخُزاعىّ الكعبىّ - كما نصّ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى - اختلفوا فى اسمه، فقيل: خويلد بن عمرو، وقيل: عمرو بن خويلد، وقيل: كعب بن عمرو، وقيل: هانئ بن عمرو. أسلم قبل فتح مكة، وكان يحمل أحد ألوية بنى كعب بن خُزاعة يوم الفتح، وكان من عقلاء الرجال. توفى سنة ثمان وستين.

اللغويات

بوائقه: البوائق جمع بائقة، وهى الداهية، والشرّ، والأشياء المهلكة.

الشرح والبيان

إنّ الله -تعالى- لحكمة جليلة أرادها جعل الحياة متشابكة المصالح، مُتشعّبة المناحى، متعددة المنافع، لا يستطيع القيام بأعبائها إنسان واحد مهما أوتى هذا الإنسان من قوة العزم، ومتانة الجسم، وسعة الحيلة، والقدرة على التصرُّف، ونحن فى كلّ يوم من الأيام نواجه تعدُّد مشاكلها، وقسوة مطالبها، وكلما أنهى الإنسان أمراً يشغله فاجأه أمر آخر لا قِبَل له به، ولا طاقة له عليه، ومن هنا كان ضروريًا للإنسان حتّى تسهل عليه شدّة الحياة، وحتّى تلين له قوة العيش - أن يتعاون مع جيرانه وأصدقائه وأقربائه تعاونًا يبدو فيه حُسن الخُلق، وسماحة المعاملة، ورقّة الطبع، والناس بخير ما تعاونوا، وإذا كان التعاون مطلوباً بين الناس بالطلب العام - فهو مطلوب بين الجيران على وجه أخصّ، ونحو ألزم، فالجار أقرب الناس إلى الإنسان؛ أسمعهم لصيحته، وأسرعهم لنُصْرته، وأقربهم لنجدته، يسعفه وقت الشدّة، ويسرع إليه حين النازلة؛ يخفف عنه ما نزل به من كرب، وما حلّ به من ضيق، بما يبذل من مساعدة، وما يقدمه من إسعافات سريعة، ومعونات عاجلة، يحتاج إليه المرء فى أشدّ ساعات الليل ظلاما وبردا وشدة، فلا يعز عليه طلبه، وفى أشد أوقات الضيق حرجاً فلا يصعب عليه وجوده، بخلاف القريب البعيد الذى يحتاج الإنسان إلى رسول يرسله إليه، أو رسالة يبعث بها إليه؛ لهذا وذاك، ولغير هذا وذاك، وهو كثير - أمر الله بحسن الجوار، ودعا إلى بذل الخير للجار، وكفّ الأذى عنه، قال -تعالى-:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

(النساء: ٣٦)

وفى الآية الكريمة إشارة واضحة إلى أن كلّ جار له فى عنق جاره حق، مهما كان لونه، أو دينه، أو جنسه، فالناس جميعاً من أب واحد، وأمّ واحدة، قال -تعالى-:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾

(النساء: ١)

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾

(الحجرات: ١٣)

والجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حقّ واحد، فالجار المسلم القريب له حق الجوار وحقّ الإسلام، وحق القرابة، والجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار المشرك له حق الجوار فقط. فلننظر كيف يحترم الإسلام حق الجوار حتى ولو كان الجار مشركا، فالجار المشرك ينبغى أن نحسن معاملته، وأن نقدّم الخير له، وأن نكُفّ الأذى عنه، وهذا ردّ على من يرمى الإسلام بما ليس فيه من التعسُّف والإرهاب، والعدوان على الآخرين، فالعرب حتى فى جاهليتهم كانوا يكرمون الجار، ويقدسون حق الجوار، ولقد أنشد شاعرهم:

ونُكرِم جارنا ما دام فينا
ونتبعه الكرامة حيث كانا

فالعربىّ لا يقتصر كرمه على جاره حال جواره، بل إذا رحل وانتقل إلى ديار أخرى - ولو كانت بعيدة - يصله بالإحسان، وبالزيارة، وبالسؤال، ولقد أنشد الآخر:



قَـدْرِى وقَـدْرُ الجـارِ واحـدة
وإليـه قَبْلى تُرفعُ القِـدْرُ

مبالغة فى الكرم والإحسان؛ إذ هو لا يأكل من طعامه حتى يأكل منه الجيران، فهل عرفت الدنيا بأسرها كرمًا يُطاول هذا الكرم، وجاء الإسلام فأقرَّ هذه الخصال الحميدة، وزكَّاها ونمَّاها، ودعا إليها، ورغَّب فيها، ولنا فى معاملته ﷺ مع اليهود والنصارى ـ القدوة الحسنة ـ والأسوة الطيبة، فقد بهر الدنيا بسيرته، وملأ التاريخ بعظمته، وعطَّر الدنيا بأريج شمائله، فإذا استوى الجيران فى الحقوق، فأولاهم الأقرب فالأقرب؛ لأن الله -تبارك وتعالى- يقول:

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾

(القيامة: ٣٤، ٣٥)

وعن أمِّ المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- قالت: «يا رسول الله ﷺ إنَّ لى جارين، فإلى أيهما أُهدى؟. قال: «إلى أقربهما منك بابًا»- رواه البخارى فى صحيحه.

وروى الإمام البخارىّ أيضًا فى صحيحه عن أم المؤمنين عائشة -عليها رضوان الله- عن النبىّ ﷺ قال: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وكذا رواه عن ابن عمر -رضى الله عنهما-.

والمراد أنه ظنَّ أنه سيلحقه بالقرابة القريبة التى يئول إليها مال الإنسان بعد وفاته، ويجعل له نصيبًا معلومًا، وحقًّا مقدرًا من التركة، فلم يكن عجبًا - والحال هكذا - أن نفى رسول الله ﷺ كمال الإيمان عمَّن يؤذى جاره؛ ورد فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «منْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو ليصمت».. ويؤكد هذا أيضًا حديثنا، وفيه يقول رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!. قيل: من يا رسول الله؟. قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه»، أى: غوائله، وشروره.

أدب الإسلام وأخلاقه

هذا هو أدب الإسلام وأخلاقه، وتلك محاسنه ومزاياه، ولكنَّ كثيرًا ممَّن لم يهذبهم الإسلام، ولم تستنر بصائرهم بآدابه، ممَّن جهلوا أدب الاجتماع، وحقوق الجوار يشوهون هذه المعانى، من خلال تصرفات لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، من ذلك ما رواه أحمد عن عامر بن واثلة: أنَّ رجلًا مرَّ على قوم فى حياة رسول الله ﷺ فسلَّم عليهم، فردوا عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: إنِّى لأُبغضُ هذا فى الله -تعالى-، فقال أهل المجلس: لبئس ما قُلْت، والله لَنُنبئنَّه، ثم قالوا: يا فلان، قُم فأدركه، وأخبِرْهُ بما قال، فأدركه رسولهم فأخبره، فأتى الرجل الرسول ﷺ



وحكى له ما قال، وسأله الرسول ﷺ أن يدعوه له، فدعاه له، وسأله الرسول ﷺ، فقال: «قد قُلْتُ ذلك، فقال رسول الله ﷺ: لم تُبْغضه؟. فقال: أنا جاره، وأنا به خابر، والله ما رأيتُه يصلى صلاة قطّ إلاّ هذه المكتوبة، قال: فاسأله يا رسولَ الله، هل رآنى أخَّرتُها عن وقتها؟. أو أسأت الوضوء لها، أو الركوع، أو السجود فيها؟. فسأله، فقال: لا، ثم استطرد: والله ما رأيته يصوم شهرًا قط إلا هذا الشهر الذى يصومه البرّ والفاجر، قال: فاسأله يا رسول الله، هل رآنى أفطرت فيه، أو نقصت من حقه شيئًا؟. قال: لا، والله ما رأيته يعطى سائلًا، ولا مسكينًا قطّ، ولا رأيته ينفق شيئًا من ماله فى سبيل الله إلا هذه الزكاة التى يؤديها البرّ والفاجر، قال: فاسأله يا رسول الله، هل رآنى نقصتُ منها، أو ماكست فيها طالبها الذى يسألها؟. فسأله فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ فلعله خير منك».

الجار أحق بشفعته

فإذا كان هذا الجار قد أساء إلى جاره، واتهمه بما ليس فيه، فهذه صورة شاذة ينبغى أن تختفى من المجتمع الإسلامىّ، وقد أنكرها رسول الله ﷺ على هذا الرجل، حيث قال له: «قُم، فلعله خير منك»، ولذلك جعل رسول الله ﷺ الفيصل فى الحكم على إنسان ـ جيرته ـ وقد ورد أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف لى أن أعلم إذا أنا أحسنت أو أسأت؟. فقال رسول الله ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت»، وفى كتاب «الوصايا»: «لو أوصى لجيرانه دفع لأربعين دارًا من كلّ جانب إن اتسعت الوصية لذلك»، ومعنى هذا أن أهل كلّ حىّ جيران، وأنّ أهل كل قريْة جيران، كما أعطى الإسلام الأولوية للجار فى شراء دار جاره أو أرضه إذا أراد جاره البيع.

وقد أورد الإمامان الجليلان البخارى ومسلم فى صحيحيهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الجار أحق بشُفعته»، فهل بعد هذا احترام لصلات الجوار، وهل بعد هذا حثّ على أن تقوم العلائق، وتنهض الروابط بين الناس على أساس متين من الحبّ والألفة، ورباط قوىّ من المودّة والأخلاق؛ ليشعر الإنسان منَّا حين يبذل عونه ونُصرته، ويقدم جميله ومعروفه لجاره، إنما يقدم طاعة لربه، وزُلْفى لخالقه الذى وهبه الخير، ومنحه الصحة، وأنعم عليه بالمال.

ولكنَّ المسافة شاسعة بين ديننا وسلوكنا، بين شريعتنا وواقعنا، فما يأمرنا به الدين شىء، وما نحن عليه شىء آخر، فالإنسان يجاور شقيقه، وليس بينهما إلا أفحش ألوان المعاملة، وأقسى ضروب الحقد، وأبشع صنوف الكيد، أول ما يجرب الإنسان شروره يجربها فى

جيرانه، وأول شرارة تنبعث من آثامه تنقض على جيرانه، جواره يكون مدعاة لانتهاك الحُرمات، وكشف العورات، وغمط الحقوق، فإن رأى من جيرانه قوة بيّت لهم المكائد والشرور، وإن رأى ضعفا ظلمهم، واحتقرهم، فأين ذلك من قول الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه، وأن يظن به إلا خيرا».

الداء.. والدواء

تعالوا بنا إخوة الإسلام نعش مع طبيب الإنسانية الأوحد، وهو يشخص الداء، ويصف الدواء، روى أبو هريرة -رضى الله عنه- قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ يشكو جاره، فقال: اذهب فاصبر، فأتاه مرتين أو ثلاث، فقال: (اذهب فاطرح متاعك فى الطريق)، فذهب فطرح متاعه فى الطريق، فجعل الناس يسألونه، فأخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه، أى يقولون: فعل الله به وفعل -أى بجاره- فجاء إليه جاره، فقال له: ارجع لا ترى منى شيئا تكرهه».

تأملوا كيف استطاع الرسول ﷺ -بنور بصيرته، وسداد حكمته- أن يرد هذا الرجل عن أذى جاره، وأن يفهمه أن هذه صفة تجلب غضب الله والناس، وتجلب لصاحبها الخزى والعار، الأمر الذى دفع الرجل أن يقول -كما فى الرواية الأخرى-: «ارفع متاعك، فقد كُفيت».

وفى عصرنا الحاضر نرى أن أكثر القضايا المعروضة على أقسام الشرطة ومراكزها، ودوائر المحاكم، ترجع فى معظمها إلى سوء معاملة الجيران، ونحن فى هذا لا نتحاكم إلى دين، ولا نتذكر أدب الإسلام، وحقوق الجوار، وقد قيل لرسول الله ﷺ -كما ورد فى الحديث الذى رواه أبوهريرة -رضى الله عنه-: «إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: (هى فى النار)، قيل: فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار -جمع ثور، وهى قطعة من الأقط- أى: بشيء يسير من الأقط، ولا تؤذى جيرانها، قال (هى فى الجنة!.)» -رواه أحمد والبزار وابن حبان والحكم- وقال: صحيح الإسناد.

فقيام الأولى بالليل، وصيامها وعبادتها لم تغن عنها شيئا؛ لأنها سيئة الخُلق مع جيرانها، أما الثانية، فمع قلة عبادتها، وامتناعها عن أذى جيرانها دخلت الجنة.

لذلك كان من وصايا لقمان الحكيم لابنه: «يا بنىّ، حملت الجندل والحديد، فلم أر أثقل من جار السوء؛ إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها وأفشاها».

أعتقد أنه ما من مسلم يقرأ الوارد فى هذا الباب عن كتاب الله وسنة رسول الله

ﷺ أو تلك الوصايا إلا ويغطى وجهه حياء وخجلا إن كان لديه ذرة من خجل أو بقية من حياء، وذلك لتقصيره فى حق جيرانه، وحين يتذكر الإنسان منا الجرائم التى يقدمها الأوغاد إلى جيرانهم يشفق عليهم من العاقبة الوخيمة التى ارتضوها لأنفسهم، والمصير السيىء الذى تؤدى إليه أعمالهم؛ لأنهم مع جيرانهم نسوا ربهم، وأطاعوا الهوى والشيطان.

وفيما يلى صور من الصور المخزية الفاضحة التى ينبغى أن تختفى من مجتمعاتنا؛ فهذا جار يسرق جاره، وهذا يهتك عرضه، ويلوث شرفه، ويظهر عيبه، وهذا جار يذيع عن جاره أقاويل السوء، وأحاديث الشر، وهذا جار يعيش بجوار أخيه، يسمع صوته، ويشاهد من أحواله ما لا يطلع عليه إلا أقرب الناس إليه، وأمسهم رحما به، فإذا تقابل معه فى الطريق لوى وجهه، وأعرض عنه، فلا سلام، ولا تحية، ولا زيارة، ولا اتصال، ولا عيادة فى مرض، ولا تهنئة فى فرح، ولا تعزية فى مصيبة، إلى آخر الصور الكريهة التى تدل على فساد الخلق، وضعف الإيمان، ووهن العقيدة.

دستور قويم

من أجل ذلك، ولغير ذلك جعل لنا رسول الله ﷺ دستورا قويما فى معاملة الجيران، إن اتبعناه شعرنا بالسعادة، وأحسسنا بالرضا، والاطمئنان، وامتلأت حياتنا أمنا وأمانا وخيرا وبركة، هذا الدستور القويم هو الماثل فى هذا الحديث النبوى الشريف الذى رواه عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- وأورده المنذرى فى الترغيب، وابن حبان فى التوبيخ أن النبى ﷺ قال: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه. أتدرى ما حق الجار؟. إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عُدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبُنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقُتار ريح قدرك -والقُتار: دخان ذو رائحة خاصة ينبعث من الطبيخ أو الشواء- إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده».

فالجار الصالح إذا علامة من علامات السعادة، ودليل على الخيرية، فعن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله -تعالى- خيرهم لجيرانه».

هذا هو أدب الجوار فى الإسلام، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمى فعليها، وما ربك بظلام للعبيد، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾

الحِكمةُ الرّبّانيّةُ مِن تربيَتِه ﷺ يَتيمًا

لفضيلة الشيخ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

لما ماتت أمه آمنة وهو ابن ست سنين وذلك بالأبواء [1] وهى راجعة به إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار فلما دفنت حملته أم أيمن مولاته إلى جده فى مكة فكان فى كفالته إلى أن توفى جده وللنبى ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبو طالب

جاء فى سيرة ابن هشام، «وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليهم لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأت وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى فوالله إن له لشأناً ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع [2]

ولقد كان رسول الله ﷺ باراً بأمه بعد وفاتها فكان يدعو لها ولأبيه وجاء في الطبقات الكبرى: «فلما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال: «إن الله قد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ فقيل له: فقال أدركتنى رحمتها فبكيت» ومن أجل هذه الرحمة كان النبى ﷺ يحرص على زيارة قبرها حيث إن النبى ﷺ قد استأذن فى زيارتها والاستغفار لها، فأذن ـ الله سبحانه وتعالى ـ في الزيارة ولم يأذن له بالاستغفار فعن أبى هريرة ـ رضى

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفُرْع في المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة حوالي أربعين كيلو متراً وجاء في معجم البلدان ثلاثة وعشرون ميلاً، ج ٢ صـ ٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام١/ ١٩٤.



الله عنه ـ قال: «زار النبى ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربى أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لى، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» [3].

الحكمة الربانية من تربيته يتيماً

لقد مات أبوه ﷺ وهو مازال جنيناً في بطن أمه وماتت أمه لما بلغ سن السادسة ومات جده وهو فى الثامنة من عمره. يقول شراح السيرة النبوية إن الحكمة من ذلك:

● - أن تكون رعايته وكمالها ـ لله تعالى ـ ونعمته عليه بأن يكون فى عناية الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورعايته، حتى إن الله ـ تعالى ـ امتن عليه فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾

(الضحى: ٦)

وكما يقول الشاعر: -

وإذا العناية لاحظتك عيونها..

نم فالمخاوف كلهن أمان

● - أن يشب معتمداً على نفسه فقط فلا يساعده أو يعلمه والد، ولا يجد أماً تحنو عليه وتعطف عند الشدائد وتزيل عنه أو تخفف الآلام والمشاق التى عادة ما يتعرض لها أى طفل وبخاصة فى هذه السن المبكرة.

● - البعد به عن التدليل وتهيئته لحمل ما ينتظره من تبليغ رسالة ربه حتى يستطيع تحمل المشاق التى سوف يلاقيها فى سبيل تبليغ هذه الدعوة وحتى يتقبل أذى قومه بروح إيمانية ويصمد أمام أذاهم فهو الذى سيكون رسول رب العالمين الذى سيطل على العالم كله بهذه الدعوة وهو الذى سيعمل قدر طاقته وفوقها على إعلاء هذا الدين وتبليغ تلك الدعوة».

وعندما يتحمل الداعية ألم اليتم والعيش وهو صغير السن فإن ذلك يجعله أكثر إحساساً بجميع المعانى الإنسانية، وامتلاء بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذبين وأكثر عملاً لإنصاف اليتامى والفقراء والمساكين.

كفالة عمه أبى طالب ورحلته إلى الشام

ذاق النبى ﷺ مرارة اليُتم فى سن مبكرة وذلك عندما شاهد وفاة أمه ودفنها بالصحراء ثم فقده جده بعد وفاة أمه بسنتين كل هذا جعله يحس بالواقع الذى يعيشه اليتيم ويعيش ألم اليتم ومرارته، فيكون بذلك أبا لكل يتيم فى هذا الكون ويدون ذلك فى السنة المطَهرة بكلمات من نور فيقول فى جوامع كلمه ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار إلى السبابة والوسطى [4]».

روى أنه لما خرج أبو طالب فى ركب إلى الشام قاصداً التجارة فلما تهيأ للرحيل أمسك

(٣) أخرجه مسلم جـ ٢ صـ ٩٨ فى كتاب الجنائز

(٤) أخرجه مسلم جـ ٤ صـ ٥٩٣



به النبى ﷺ فرقَ له أبو طالب وقال: «والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبداً» فصحبه معه إلى الشام وكان ما كان حيث رآه الراهب النصرانى بحيرى فظل بحيرى يسأل الرسول ﷺ كثيراً وهو يقول في نفسه: لعله نبى آخر الزمان الوارد ذكره فى الكتب المقدسة؟ فلما سأل أبا طالب عنه قال له: إنه ابن أخي. وسأله عن أبيه، فقال: إنه مات وعندئذ تيقن أنه النبى المنتظر. فقال له: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا ما عرفت ليلحقن به شراً فإنه كائن لابن أخيك شأن عظيم.

فأسرع به إلى بلاده ولم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه بعض الناس وزوده الراهب ببعض الكعك والزيت (٥).

وورد أن النبى ﷺ كانت سنه وقتذاك اثنتى عشرة سنة وقيل خمسة وعشرين عاماً إلى غير ذلك من الروايات والتى ذكرت أن النبى ﷺ قد خرج فى تجارة للسيدة خديجة ـ رضى الله ـ عنها وبهذا يكون قد ذهب إلى الشام مرتين.

اشتغاله بالرعى والتجارة

عندما عاد الرسول ﷺ كان يرعى الغنم لأهل مكة مقابل أجر يحصل عليه يستطيع الإنفاق منه على نفسه وكى يخفف عبء هذه النفقة عن جده وعمه أثناء كفالتهما له، ويؤيد ذلك ما روى فى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة (٦)».

والسر فى عمل جميع الأنبياء بمهنة الرعى كى يعدهم الله ـ تعالى ـ ليكونوا رعاة لأممهم ورعاة للخلق وإن اشتغال النبى ﷺ بالرعى ثم بالتجارة بعد ذلك لهو دعوة للشباب ولمن يعملون فى مجال الدعوة أن يتقربوا إلى الله ـ تعالى ـ بالعمل والكسب من عمل أيديهم، ولقد اشتغل النبى ﷺ بهذه الأعمال كى يكون له كسب مستقل يعف به نفسه عن السؤال وكى يعين عمه وجده على نفقات الحياة فاشتغل فى كل سن بما يناسبها فاشتغل فى صغره بالرعى وهى المهنة المناسبة لتلك السن وكما أنها إعداد له ليكون راعٍ لأمته وللخلق أجمعين كما سبق ثم عمل شاباً بالتجارة وهى أشهر وأشرف المهن فى ذلك الوقت، فإن الداعية الذى يتكفف الناس ويسألهم مما عندهم وينظر إلى ما متعهم الله به من متاع الحياة الدنيا لن يكون بمقدوره إقناع الناس بدعوته ولا أن يؤثر فى عقولهم وأفئدتهم ولايستطيع تغييرهم من حال إلى حال. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

﴿طه: ١٣١﴾

(٥) السيرة النبوية للذهبى بتصرف جـ١ ص ٥٨

(٦) البخارى جـ ٣ صـ ٦٥

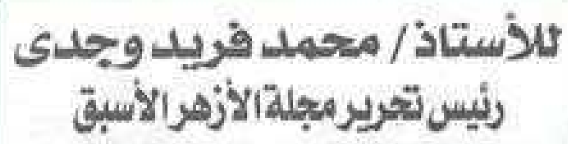
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

طهروا مصر من البهائية

نظرة فى الديانة البهائية





• بمناسبة ما أثير حول البهائية، نعيد نشر هذا المقال القيّم للأستاذ الكبير «محمد فريد وجدى» رئيس تحرير مجلة «الأزهر» الأسبق. والذى سبق نشره فى مجلة «الأزهر» سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ ص١١١ بالجزء الثانى من المجلد الخامس.

ظهر فى نحو منتصف القرن التاسع عشر ببلاد الفرس مذهب جديد فى الدين دعا إليه الميرزا على محمد هنالك ملقباً نفسه بالباب، يريد الباب الموصل إلى الحقيقة، وسمى مذهبه بالبابية. ولما انتهى الأمر فيه إلى خليفته الملقب ببهاء الله نسخ اسمه الأول وسمى مذهبه بالبهائية. وإنا لناظرون فى أصول هذا المذهب نظرة نقد وتمحيص، لما نراه من نشاط الدعوة إليه، إحقاقًا للحق وإزهاقًا للباطل، فنقول:

للبهائية عقيدة فى الله على طريقة الذين يقولون بأنه مجموع الكائنات، كما ورد فى كتابهم (البيان) مترجمًا عن الفرنسية من قوله: «الحق يا مخلوقاتى أنك أنا».

وعندهم أن الله - تعالى - أرسل رسله بالحقائق الكلية على طريقة الرمز لقصور عقول الناس عن إدراكها، مدخرًا بيانها وكشف الأسرار عنها إلى (بهاء الله) مظهره الأكمل فى آخر الزمان.

والرسل عندهم مظاهر لله نفسه، يتجلى بهم على الناس لهداية خلقه، فالسابقون على بهاء الله إنما بُعثوا لينبهوا



الطبيعة الإنسانية النائمة، فلما تم لها هذا التنبه، واستعدت لقبول الحقيقة سافرة، ظهر الله أولاً بمظهر (الباب) الملقب بحضرة العلى، ثم تم ظهوره وإشراقه أخيراً فى (بهاء الله) الذى كان منفيا فى عكاء، فهو فى اعتقادهم المظهر الإلهى الأكمل، تجلى على خلقه ليوحى إليهم الحقائق الخالدة التى توصلهم إلى حظيرته القدسية العليا. قال داعيتهم الشيخ أبوالفضل الجرفادقانى فى كتابه (الدرر البهية) فى هذا الموضوع عن الأنبياء الأولين:

«وإنما بُعثوا لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة. واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالى حتى يبلغ الكتاب أجله، وينتهى سير الأفئدة إلى رتبة البلوغ، فيظهر (روح الله الموعود) يكشف لهم الحقائق المكنونة فى اليوم المشهود» يريد بروح الله الموعود خليفة الباب المسمى (بهاء الله).

وهم بعد أن قرروا هذه الأصول عمدوا إلى نصوص الكتب السماوية، وأخذوا يؤولونها تأويلات غريبة وبعيدة، أملاها عليهم تعمقهم فى الخيال، ليصلوا من ذلك إلى ما يؤيدون به أهواءهم ومزاعمهم الزائفة، وضلالاتهم السخيفة.

من التناقض الغريب أن يكون أساس الديانة التى تدعى كشف غوامض الأديان من الغموض والإبهام، بحيث تستعصى على الأفهام، ولا يقبلها العقل فى أى زمان، فإن القول بأن الله هو جميع الكائنات، وأنه - جل وعز - قد يظهر فى بعض الأفراد، ليهدى الناس إلى سبيل الرشاد، يرد عليه من النقد الداحض ما لا قبل لأحد على دفعه بالوسائل الكلامية. فإذا كان المذهب الذى يدّعى بأنه كشف المشكلات، وحل المعميات، يجعل أساسه أغمض مسألة فى تاريخ المعقولات الإنسانية، كان ذلك خروجا منه على أصله، وعدوانًا صارخًا منه على أساسه.

وإذا نظرنا من ناحية فلسفية، فى تاريخ المسائل الدينية، رأينا أن عاملين خطيرين قد فرقا بين الأديان، وجعلا أهلها شيعا يضلل بعضهم بعضًا:

(أولهما) ما تجرأ عليه قادتها من التهافت على تصوير الخالق بصورة ذهنية.

و(ثانيهما) اعتمادهم على تأويل ما لم يحيطوا بعلمه، ولم يكلفوا البحث فيه من الشئون العلوية.

فبالعامل الأول اختلف أهل الملل فى تحديد ذات الخالق، فأصبحوا بين معدد ومجسم، ومشبه ومعطل، وجميعهم لا يصدرون عن علم مقرر، ولا أصل محقق، ولكن عن الخيال المحض. وقد تأدى أكثرهم إلى تأليه أنبيائهم وقديسيهم، فلما جاء الإسلام حسم مادة هذا العامل المفرق، فقرر أن الإنسان مهما حلّق فى جو الخيال والتصوير، وأبعد فى مجال النظر والتفكير، فلن يصل إلى إدراك ذات الخالق، فأمر متبعيه بأن يقتنعوا بمحض الاعتقاد بوجوده مع تنزيهه الكامل عن كل ما يحول فى خيال المشبهين، وهو ما تدل عليه بداهة

العقل. أما أى جهد يبذل فيما وراء ذلك، فضلاً عن أنه لا يأتى إلا بخيال لا حقيقة له، يكون أثره المباشر اختلاف النحل إلى مذاهب لا عداد لها، فلا تعود تجمعهم جامعة الدين الحق، الموافق للفطرة البشرية، والمناسب لدرجة قواها المعنوية، فقد قال - تعالى -:

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾

(طه:١١٠)

وقال - تعالى -:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الشورى:١١)

وقال - تعالى -:

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾

(الأنعام:١٠٣)

وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يدرك إلى اليوم حقيقة المادة التى بين يديه، ولا حقيقة نفسه التى بين جنبيه، ولا تركيب الوجود الذى يراه بعينيه، فمن الفضول أن يتطاول إلى تصوير ذات الله بأى صورة تخطر بباله.

وأما العامل الثانى الذى مزق وحدة الأمم وجعلها شيعًا، فهو صرف نصوص الكتب السماوية عن ظواهرها إلى ما يوافق أهواء البهائيين، ويؤيد مزاعمهم التى يتشيعون لها.

جاء فى الإنجيل على لسان عيسى - عليه السلام -: «إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ليبعث لكم الفارقليط الذى ينبئكم بالتأويل» وقوله: «إن الفارقليط الذى يرسله أبى باسمى» فذهب المسيحيون إلى أن المراد بالفارقليط روح القدس، ولكن البهائية التى أولعت بصرف النصوص عن ظاهرها إلى ما يؤيد أهواءهم قالوا إن المراد بالفارقليط بهاء الله. (انظر كتاب الدرر البهية).

ومن هذا الشطط ما ذهبوا إليه فى تأويل يوم الحسرة، ويوم التلاق، ويوم القيامة، والساعة وأمثالها، مما ورد فى القرآن الكريم، فقد أوّلوا كل ذلك بيوم نزول روح القدس، وقيام مظهر أمر الله وهو البهاء فى زعمهم. وليس يخفى على عاقل أنه إذا سوّغ البهائيون لأنفسهم مثل هذا التأويل الزائف، فإنه يجوز لكل طائفة أن تتخذ ما تشاء من التأويلات التى لا يرضاها عقل ليؤيدوا بها أهواءهم، مادام الأمر جاريًا على قاعدة الترجيح بلا مرجح من أى ضرب كان.

ومن أغرب ما رأيناه من ضروب التأويل ما ذكره الشيخ الجرفادقانى فى كتابه (الدرر البهية) فى تفسير قوله - تعالى -:

﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾

(ق:٤١، ٤٢)

فقال: «إن فيها تعيين محل نزول الموعود، وتصريحًا بأن نداء الرب تعالى يرتفع من الأرض المقدسة أقرب الأراضى إلى الأقطار

العربية، وهى الجزء الغربى من البلاد السورية». يريد أن فى هذه الآية إشارة إلى عكاء، حيث كان يقيم بها بهاء الله، وأنه هو المنادى المذكور فيها، وبداهة العقل تشهد بأن هذه الآية وردت فى يوم القيامة، كما هو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل.

يتضح للقارئ مما مر أن الديانة البهائية قد تأسست على العاملين اللذين فرقا الأديان وجعلا أهلها شيعًا، وهما الخوض فى تناول ذات الله بالخيال، وإطلاق العنان للتأويل بدون ضابط من العقل، ولا ترجيح من العلم، ولا مسوغ من اللغة.

طموح البهائية إلى أن تكون دينًا عامًا للبشر

إن طموح البهائية إلى أن تكون دينًا عامًا يدخل فيه الناس على اختلاف جنسياتهم ونحلهم هو مما يقضى بالعجب، لأنها ليست بدين سماوى، وليس فيها من الأصول والمبادئ ما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت فى عرض نفسها على الأمم. فأين هى من الإسلام الذى بنى أممًا قوية ومدنيات فاضلة فى خلال عصور متعاقبة؟!. ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم (برنارد شو) الفيلسوف الإنجليزى المشهور. على أن مبادئ الإسلام يوشك أن تعم العالم أجمع. فهذه الحيوية القوية الدائمة فى الديانة الإسلامية، وصلاحيتها لأن تكون دينًا عامًا للناس كافة، إنما حصلتا لها بسبب قيامها على حقائق إلهية خالدة:

(أولاها) موافقتها للفطرة التى فطر الله الناس عليها.

(ثانيتها) اعتمادها على العقل والعلم.

فبموافقتها للفطرة الإنسانية ارتكنت على جملة الغرائز النفسية، وينبوع قواها المعنوية. ولا يخفى أن هذه الفطرة واحدة فى جميع أفراد النوع البشرى، وما ترمى إليه من أغراض الوجود لا يتعدد إلا بعارض من التربية الفاسدة، أو الوراثات الضالة، ولكن الفطرة خلقت سليمة، فلا تلبث حتى تستقيم على جادتها، وتخلع كل ما صبغت به قهراً من الصيغ الوقتية، فمصيرها محتوم ومتعين، وهو الوحدة العامة، فلا مناص من أن الذى يقوم على الفطرة الإلهية هو الذى سيكون له السيادة العامة حتمًا.

وباعتماد الديانة الإسلامية على العقل الكامل والعلم الصحيح، قد ضمنت لنفسها العاقبة التى لا مفر منها، وهى الإجماع البشرى على أنها الدين الحق الذى لا معدل عنه.

فأنت ترى أن الإسلام قد استجمع جميع العوامل التى تضمن له التعميم والخلود، وترد إليه الخلائق محفوزة بغرائزها الفطرية، وبقوى الوجود التى تتولى الإنسانية.

فأين البهائية من هذا الموقف العلمى الحق، وهى تقوم على أصلين، أحدهما: عتيق غامض، قال به أفراد من محبى السبح فى الخيالات فى كل زمان ومكان، ولم تصادف مذاهبهم إلا إعراضًا ونفورًا، وهو تصوير ذات

الله بصور المخلوقين. تعالى الله عما يقوله المبطلون علواً كبيراً.

وثانيهما: وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها مجال فسيح للظنون والأوهام والخبط، قامت عليه فرق قبلها وجلت عن الأرض ولم تخلف أثراً.

ليس العالم فى حاجة إلى البهائية

إن من يستقرى أدوات التطورات العقلية، والنظم الاجتماعية، والديانات السماوية يجد أن كل تجديد فى هذه المجالات نشأ عن حاجة ماسة إليه من الشعوب والأمم، وأن كل نجاح يصيبه دين من الأديان أو نظام من النظم يكون مناسباً للقدر الذى يحمله إلى الناس من الوفاء بتلك الحاجات. فقد نشأت الفلسفات والمذاهب متعاقبة، فكان كل متأخر منها يكمل نقصاً فى سابقه، وجرت النظم الاجتماعية على هذا السمت نفسه، فكان منها سلسلة متتالية الحلقات تسد كلُّ تالية منها خلة فى سابقتها.

وعلى هذا التدرج الطبيعى المطرد تتابعت الديانات على الإنسانية، فكانت كل واحدة منها تحمل للعالم نظاماً جديداً دعت إليه الحاجة إليه، واقتضته الضرورة، ناسخة ما بطلت الحاجة إليه، أو ما كانت ضرورته محلية، وتزيد على ذلك بيان ما أخطأ البشر فى فهمه من الوحى السابق عليها، أو تصحيح ما تعمدوه من تحريفه.

فمن يتأمل فى الأديان السماوية الثلاثة التى محص العلم تاريخها، وهى اليهودية والنصرانية والإسلامية، يجد هذه التجديدات المتعاقبة ماثلة فيها مثولاً محسوساً. فموسى - عليه السلام - قضى على الوثنية فى أمته، وجاء بشريعة هادمة لها، وكافح الضلالات التى كان يقول بها قومه كفاحاً شديداً، وبيَّن أخطاءهم فيها بياناً صريحاً. وعيسى - عليه السلام - أرسل لتعديل ما اعوج من أمر بنى إسرائيل، وتصحيح ما تحرف من أصولهم، مقرراً أصولاً جديدة دعت إليها ضرورة الاجتماع على عهده. ومحمد ﷺ خاتم المرسلين قضى على الوثنية التى كانت سائدة فى بيئته، وتصدى لليهودية والنصرانية، فرد أصولهما إلى حقائقها، وقوّم نظر الآخذين بهما، ونسخ ما بطلت الحاجة إليه منهما، ودعا العالم كله إلى وحدة الدين، ووحدة الوجهة والغاية، مؤسساً دعوته هذه على أصل لا يمكن أن يختلف فيه عاقلان، وهو: أن الله واحد، ودينه لجميع خلقه واحد. فإن آنس ناقد أن الأديان متخالفة، فإنما حدث ذلك من فعل قادتها، والقائمين بشرحها وتأويلها، فطالب كل آخذ بها، بالرجوع إلى أصلها، وأصلها هو الإسلام الذى أوحى إلى كل الرسل السابقين. ثم إلى خاتمهم محمد ﷺ على فترة منهم. وشفع هذا البيان الحاسم بنظام اجتماعى محكم، أقامه على الفطرة والعقل والعلم والأعلام الكونية. وأودع ذلك كتاباً لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه.

فهل العالم بعد هذا البيان فى حاجة إلى البهائية؟!. ما هى الأصول التى تسمح لها أن تطمح إلى قيادة العالم كله، وأن تقر بها السلام العام فى الأرض؟!.

هى ما تحلم به من أنها تفسر غوامض المسائل الدينية، وتوفق بين نصوصها الكتابية من طريق صرفها عن ظواهرها، زاعمة أنها ترمى بذلك إلى ربط الأمم برابطة أخوية مجردة عن الخلافات المذهبية. وقد رأيت أثر هذا الأصل فى إفساد كيان الأديان وصرفها عن حقائقها الأولية.

هل آتت البهائية العالم أصولاً جديدة؟!..

تدعى البهائية أنها آتت العالم بجديد من الأصول لم يدر فى خلد المصلحين قبلها، كاتحاد الأديان، وترك التعصبات، واتحاد الأجناس، ومساواة المرأة بالرجل، والسلام العام، متذرعين بذلك إلى القول بأن القرآن ليس ختام الوحى السماوى، وأن النبى ﷺ وإن كان آخر المرسلين إلا أنه ليس المظهر الأكمل لله - تعالى -، وهى المنزلة التى حفظت فى زعمهم لبهاء الله وحده، وأن الإسلام ليس بالدين العام الأخير، فهذا الوصف لا ينصرف فى وهمهم إلا على البهائية دون سواها.

كل هذا ليس بحق، وليس عليه مسحة من علم، ولا عقبة من عدل.

فأما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق إليه الإسلام وأسسه على أقوى الأصول، وحاطه بأحكم الدلائل، فقرر أن أصل الأديان كلها واحد، وأن الخلافات التى بينها ما حدثت إلا بسبب ما أدخله قادتها عليها من الأضاليل والأوهام، فقد قال - تعالى -:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

(الشورى: ١٣-١٥)

وقال - تعالى -:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٨٣، ٨٤)

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥٩)

فالإسلام يفرض على أهله القول بوحدة الدين فرضا، ويأمرهم بالاعتقاد بجميع الرسل من غير تفريق بينهم، جاعلا القول بهذه الوحدة أساسا للدين الحق، لا يقبل إيمان يقوم على أساس غيره، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

(النساء: ١٥٠، ١٥١)

فوحدة الدين كما ترى هى الأساس الذى يقوم عليه الإسلام، والإيمان بجميع الرسل والكتب السماوية شرط أولى فيه مع فارق كبير بينه وبين البهائية، وهو أنه مع تأسسه على وحدة الدين، يبين الأسباب التى ولدت من هذه الوحدة تعددا، وهى ما دسه قادة الدين فيه من ضلالاتهم وخزعبلاتهم، ثم يكر عليها بالنقض والتجريح، على طريقة التمحيص العلمى الصحيح، لا كما تفعل البهائية من تكلف تأويل كل هذه الضلالات التى ثبت علميا أنها من مولدات الأوهام فى عصور الطفولة البشرية.

أما ترك التعصبات، فإن كان المراد منه التعصبات الجاهلية التى تحمل على اضطهاد المخالفين فى الدين، فهذا قد سبق إلى تقريره الإسلام، وعمل به أهله، مما أصبح مضرب الأمثال، فقال تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة: ٨)

ولكن ليس من التسامح فى شىء أن تقول للناس وهم يختلفون فى النظر، ويتفاوتون فى الفهم، ويتباينون فى التمحيص: «إنكم كلكم على الحق، وإن ما تتخالفون فيه له عندى وجوه من التأويل، فاثبتوا على ما أنتم عليه منها، فإنه يؤديكم جميعاً إلى غاية واحدة». ولكن الإصلاح كل الإصلاح أن تبين الحق عندى أى فريق كان، وتؤيده، وأن تنقد الباطل وتدحضه وتحذر منه وأن تبتعد فيما أنت بسبيله عن تأويل الوساوس لتعيرها مظهراً من الحق، فإنها بذلك تصبح أفتك لأهلها، وأضل لهم مما كانت عليه مجردة من الزخارف الكلامية».

هذا ما نفهمه، وما فهمه الناس قديما، وما يفهمه أهل البصر حديثا، وليس وراءه مذهب، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾

(يونس: ٣٢)

أما اتحاد الأجناس فإن الإسلام سبق العالم كافة إلى الدعوة إليه، وأيده بالدلائل العلمية التى لا تقبل الدحض، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وقال النبى ﷺ: «إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء، لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح، كلكم من آدم وآدم من تراب». وقد جرى العمل فى العالم الإسلامى على هذا الأصل منذ صدره الأول إلى اليوم، فالبهائية قد تأخرت فيه عن الإسلام نحو ثلاثة عشر قرنا.

أما مساواة المرأة بالرجل، فإن كانت فى الحقوق الطبيعية والمدنية والشرعية والعلمية، فإن الإسلام قد بلغ من كل ذلك المدى الذى ليس بعده مطمح، فاعتبر المرأة إنسانا حرا لها أن تتصرف فى ممتلكاتها وأموالها بدون توقف تنفيذ إرادتها على إرادة زوجها، وهو ما لم تصل إليه المرأة الغربية بعد، وأن تعامل أمام القضاء بما يعامل به الرجل على قدم المساواة، وأن تطلب من العلم ما تطمح همتها إليه دون حجر ولا تحديد، وأن تحضر الصلوات فى المساجد، وأن تشهد الأمور العامة للمسلمين، وأن تبدى رأيها فيها، وأن تعلم الناس إن بلغت مرتبة التعليم، وأن تفتى فى المعاضل. وزادت الشريعة الإسلامية فى العناية بها، ففرضت على أبيها ثم على زوجها أن يكفياها الكد لنيل العيش، فإن لم يكن لها أب ولا زوج وجب على أقاربها القيام بذلك، فإن تجردت من كل قرابة وجب على بيت المال أن يسد عنها هذه الخلة.

نعم إن الإسلام جعل نصيبها من الميراث النصف مما للذكور، ولكن لم يكن منه ذلك احتقارا لشأنها، بل لأنه لم يكلفها السعى لتحصيل قوتها.

فإذا أريد بالمساواة أن يُلقى حبلها على غاربها، وأن تتبرج تبرج الجاهلية، طائفة الشوارع، وغاشية الأسواق لفتنة الرجال، فإن الإسلام لا يسمح لها بذلك ولا يعده من الإكبار لها، بل إنه قد حرم ذلك على الرجال أيضا. وأنت ترى أن أوروبا تجنى اليوم الشر المستطير الناجم من هذه الإباحة، وتعمل جاهدة على تلافى مضارها.

بقيت مسألة السلام العام بين الأمم، وفيها نقول:

لا يجوز أن يتحدث متحدث عن السلام العام إلا بعد أن يدقق البحث فى الحوائل التى تحول دونه، ليعرف ما هو منها متأصل فى طبائع البشر، وما هو عارض من عوارض طبيعة العمران، وما هو ناشئ من تأثير



التربية، وما هو صادر من التقاليد الوراثية للجماعات، وما هو مبنى على حاجات اقتصادية قاهرة إلخ إلخ، ليعالج ما يقبل العلاج منها، ويترك ما لا يقبله إلى التطورات المقبلة. هذا إذا أراد الداعى إلى السلام العام أن لا تكون دعوته كلمة جوفاء تجوب الجواء ولا تحدث أثرا، كما حصل فى كل زمان ومكان.

وفى رأينا أنه لا يجوز الكلام فى السلام العام قبل أن يتوطد السلام الخاص لكل أمة بين آحادها، فإننا نرى حروبا ومعارك تشب نيرانها بين طبقات الأمة الواحدة فيسفك بعضها دماء بعض تحت اسم ثورات أهلية، أو انقلابات اجتماعية، أو اغتصابات اقتصادية. بل نرى ما هو أخص من ذلك من العدوانات الفردية، فيقتتل الآحاد لأقل الأمور شأنا، أو لمجرد النهب والسلب، وإشباعا للشهوات البهيمية، وتضطر الحكومات إزاء هذه الحالات أن تتخذ جنودا مسلحين للضرب على أيدى المعتدين.

فإذا كانت الحرب تشب بين آحاد ذوى قومية واحدة، ودين واحد، رغما عن النظم التى تتذرع بها الحكومة لقيادتهم، ورغما عن المواعظ التى تلقى عليهم، والآداب التى لُقنوها فى طفولتهم، فهل يطمع طامع أن يوجد سلاما عاما بين أمم من قوميات متخالفة، وقوى متباينة، وهى تحت تأثير عوامل وبواعث من كل ضرب؟

فإذا كانت البهائية تكتفى من التحكك بمبدأ السلام العام، بمجرد الدعوة إليه، فلها ما أرادت، ولكنها تكون منها على حد ما سبقها وما تلاها من الطوائف والجمعيات الكثيرة.

نظر الإسلام على عادته فى كل شأن خطير إلى هذه المسألة من أخفى نواحيها، وأتى بالقول الفصل فيها.

فقرر أولاً الأصل الطبيعى الذى تقوم عليه الجماعات فى وحداتها، وفى مجموعها، وهو الأصل الذى يكفل بقاءها، ويضمن استمرارها، وينفى العوامل المفسدة عن كيانها، فقال تعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾

(البقرة: ٢٥١)

نعم: لفسدت الأرض، ألا ترى أن الله يدفع بالحكومة عدوان العادين على نظمها المقررة، وعلى الآحاد الوادعين منها؟ ولولا ذلك لحلت الفوضى، وتغلب أقوياؤها على ضعفائها وسلبوهم ما بأيديهم، فيفسد كيانها، وتنحل ربطها، وتجلو عن سطح الأرض.

ولولا أن الأمم قد ألهمت أن تستعد لرد المغيرين عليها، ودفع الطامعين فيها، لانحلت عراها، وتفرق آحادها، ولم يبق لها وجود بين الأمم.

فهل كان يراد من الإسلام أن يخالف فى ذلك السنن الاجتماعية ليُقضى عليه وليدا فى مهده، قبل أن يؤدى للعالم الخدم المنتظرة منه؟

ألا تعجب أن البهائية نفسها لجأت فى آخر عهدها ببلادها إلى التحاكم إلى السيف، فابتنى أشياعها حصنا لهم فى مازندران وأصلوا جيوش الحكومة نارا حامية، ثم اعتراهم الوهن فأخذتهم الأسنة من كل مكان، حتى لم تبق لهم دعوة علنية فى عقر بلادهم.

فإذا كان الذين يفخرون بأنهم يدعون إلى السلام العام اضطروا إلى اللجأ إلى الحرب، أليس هذا دليلا محسوسا على أن هذه الوسيلة لا تزال من حاجات الحياة الاجتماعية، وأن الضرورة قد تدفع إليها فلا يكون بد منها، وقد شرعت فى الإسلام للدفاع عن الحوزة وحماية الدعوة:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

(الحج: ٣٩)

وقال تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

(الأنفال: ٦١)

خاتمة

يتبين مما مر أن البهائية لا تصلح أن تكون دينا قائما بنفسه، ولا إصلاحا فى دين سابق عليها، بله أن تكون دينا عاما للبشر كافة.

فأما وجه عدم صلاحيتها لأن تكون دينا قائما بنفسه، فقد سبق بيانه.

وأما وجه عدم صلاحيتها أن تكون إصلاحا فى دين سابق عليها كالبوذية فى البرهمية، وكالبروتستانتية فى المسيحية، فلأنها لم تتصد لدين واحد لتقويم نظر أهله فيه، وتعديل عوجهم فى فهمه، ولكنها تناولت الأديان جملة محاولة التوحيد بينها، على ما فى غالبها من التحريفات الظاهرة، والآراء الباطلة.

ولكن الإسلام بعد أن أسس بنيانه على الأصول الخالدة التى تذعن إليها الإنسانية، قرر أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أوحى دين الفطرة هذا إلى رسله فى خلال العصور، ولكن قادته من بعدهم أخرجوه عن صراطه، وحرفوا أصوله على ما تصوره لهم أوهامهم. لهذا السبب اختلفت الأديان كل الاختلاف، فأعاد الله وحى هذا الدين إلى خاتم رسله محمد ﷺ، ليرد إليه الغالين والمقصرين، وأمره بأن يبلغ ذلك إلى الأمم كافة، ففعل.

فهذه الدعوة التى يذعن لها العقل ويؤيدها العلم والفلسفة والتاريخ من كل وجه تصلح أن تعمم بين البشر، وهى مادة الإسلام، وصبغته الإلهية التى واجه بها العالم كله.

فإذا كانت الفطرة الإنسانية قد ألهمت أن لابد لها من دين تسكن إليه، فلا يمكن أن يكون ذلك الدين إلا موافقا لتلك الفطرة، ولا يجوز أن يكون مخالفا للعقل الذى جعله الله مميزا بين الحق والباطل، ولا مناقضا للعلم الذى كتب له أن يعم الناس كافة.

وقد نقد العقل والعلم كل ما ورد عن الأمم فى دور طفولتها من التقاليد والموروثات

الضالة، واعتبرها وساوس لا يصح أن تبقى فى عهد الرشد الذى بلغته الإنسانية، فألقيا بها بعيدا عن مجال النظر. فإذا كان قد بقى فى الناس من يأخذون بتلك الوساوس، فلن يطول عهدهم فى هذه الطفولة ولا بد من أن يأتى عليهم حين من الدهر يخضعون فيه تحت تأثير التربية القويمة والثقافة العلمية لمقررات العلم فيجدوا الإسلام عنده.

نحن نعلم أن الذى حدا البهائية إلى سلوك طريقة التأويل إنما هو تألف عامة الشعوب لتسارع إلى الدخول فيها محفوزة بتقاليدها وموروثاتها، وكان الأولى بها أن تتألف العقل والعلم، فإنهما دائبان على القضاء على تلك البقايا الطفلية من الأوهام الرثة، وقد لا يمضى قرن أو قرنان حتى لا يبقى لهذه الأوهام أثر فى عقلية الجماعات الإنسانية. فإلى أية حالة يؤول أمر البهائية يومئذ؟ لا شك فى أنها تؤول إلى التلاشى الذى لا قيام لها بعده.

فالدين العام كما ترى هو الذى يكون بطبيعته وجوهره مشايعا لأدوار رقى العقل السليم، ومنتهيا معها إلى حيث تنتهى من درجات الكمال المنتظر من إدراك الحق مجردا من كل صبغة بشرية، أو نزغة وهمية، يوم لا تبقى إلا صبغة الله وحده

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾

(البقرة: ١٣٨)

وهذا الوصف ينطبق على الإسلام وحده كما رأيت، سواء أكان من ناحية طريقته الإصلاحية فى تطهير النفوس، وإحياء القلوب، أم من ناحية أسلوبه فى مسايرة العلم والفلسفة إلى غاياتهما.

فالمآل للإسلام حتما مقضيا، وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى ذلك فقال:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

(آل عمران: ٨٣)

وقد اعتقد هذا المصير كثير من الأجانب عن الإسلام، فقال المؤرخ الإنجليزى الكبير بوسورث سميث فى كتابه (محمد والديانة المحمدية): «إنه سيأتى يوم تعترف فيه أدق فلسفة، وأخلص مسيحية بأن محمدا رسول الله حقا».

يستخلص مما مر كله أن البشرية ليست فى حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام، فإنه استكمل جميع شرائط الدين العام، وقام على نفس الدرب الذى تسلكه العقول للوصول إلى الحقائق الخالدة. وقد أعلن كتابه أن آيات الله فى الآفاق وفى الأنفس ستكشف للناس بالدلائل القاطعة أنه الحق، فيجمعون على الأخذ به، والانضواء تحت علمه، فقال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت: ٥٣)

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف عن:

البهائية والبهائيين

أكد الأزهر الشريف فى بيانه الصادر مؤخراً أن مصر وفيها الأزهر الشريف الذى انعقدت لها به راية إمامة العالم الإسلامى ينبغى أن يطارد فيها كل فكر منحرف عن الإسلام بكل الحزم حتى تظل فى مكان القيادة والريادة الإسلامية.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى أن الأزهر يؤكد على ما جاء فى البيان الذى أصدره فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق - رحمه الله - من أن الإسلام لا يقر أى ديانة أخرى غير ما أمرنا القرآن الكريم باحترامه، فلا ينبغى، بل يمتنع أن تكون فى مصر ديانة غير الأديان السماوية. وهاهو نص البيان.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد

فقد ظهرت البابية أو البهائية فى بلاد فارس بدعة نشرها نفر من الخارجين على الإسلام، بل وعن سائر الديانات السماوية الأخرى. وقد حمل وزرها رجل يدعى «ميرزا على محمد الشيرازى» الذى أطلق على نفسه لقب «الباب» أى الواسطة الموصلة إلى الحقيقة الإلهية، وكان هذا اللقب من قبل شائعاً عند الشيعة التى ظهرت بينها هذه البدعة مأخوذة من حديث الترمذى «أنا مدينة العلم وعلى بابها».. ومن ثم أطلق على هذه البدعة «البابية».

ثم كان من خلفاء هذا المبتدع رجل اسمه «حسين نورى» أطلق على نفسه لقب «بهاء الله» وأطلق على هذه البدعة اسم «البهائية».

وكان من آخر زعمائها وأشهرهم «عباس أفندى عبدالبهاء» المتوفى عام ١٩٢٣ ثم «شوقى أفندى الربانى» المتوفى عام ١٩٥٧. ولقد كان مصير صاحب هذه البدعة الأول القتل فى عام ١٨٥٠م بمعرفة الحكومة الإيرانية القائمة فى ذلك الوقت. استجابة لآراء العلماء والفقهاء الذين أفتوا بردته عن الإسلام.

كما نفت حكومة إيران خليفته ميرزا «حسين على



نورى» إلى تركيا حيث انتقل إلى أرض فلسطين ومات فيها ودفن فى حيفا عام ١٨٩٢م.

والبابية أو البهائية فكر خليط من فلسفات وأديان متعددة، ليس فيها جديد تحتاجه الأمة الإسلامية لإصلاح شأنها وجمع شملها، بل وضح أنها تعمل لخدمة الصهيونية والاستعمار، فهى سليلة أفكار ونحل ابتليت بها الأمة الإسلامية حرباً على الإسلام وباسم الدين.







د. محمد سيد طنطاوى — الشيخ جاد الحق على جاد الحق

ومبادىء هذه البدعة كلها منافية للإسلام ومن أبرزها:

١- القول بالحلول بمعنى: أن الله - سبحانه وتعالى- بعد ظهوره فى الأئمة الاثنى عشر وهم أئمة الشيعة ظهر فى شخص اسمه «أحمد الاحسائى» ثم فى شخص الباب ثم فى أشخاص من تزعموا هذه الدعوة من بعده. ولقد ادعى «بهاء الله» أولاً أنه الباب، ثم ادعى أنه المهدى، ثم ادعى النبوة الخاصة، ثم ادعى النبوة العامة، ثم الألوهية. وذلك كله باطل ومخالف لنصوص القرآن الكريم.

فالله - سبحانه - منزه عن المكان وبالتالى عن الحلول، وادعاء النبوة تكذيب للقرآن الكريم أو جحود له إذ قال الله سبحانه:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

[الأحزاب: ٤٠]

٢- جحود البهائيين «يوم القيامة» المعروف فى الإسلام، ويقولون إن المراد به ظهور المظهر الإلهى، وأن الجنة هى الحياة الروحانية. وأن النار هى الموت الروحانى.

٣- ادعاء بعضهم نزول الوحى عليهم وأن بعضهم أفضل من سيدنا محمد ﷺ ووضعهم كتباً تعارض القرآن، وادعاء أن إعجازها أكبر من إعجاز القرآن.

وتلك قضايا يضللون بها الناس، ويصرفونهم عما جاء به القرآن فى شأن كل أفاك أثيم.

٤- ادعاء أن بدعتهم هذه بتطوراتها منذ نشأت ناسخة لجميع الأديان.

٥- الإسراف فى تأويل القرآن والميل بآياته إلى ما يوافق مذهبهم، حتى شرعوا من الأحكام ما يخالف ما أجمع عليه المسلمون من ذلك أنهم:

١- جعلوا الصلاة تسع ركعات والقبلة حيث يكون بهاء الله. وهم يتجهون إلى حيفا بدلاً من المسجد الحرام مخالفين قول الله سبحانه:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[البقرة: ١٤٤]

إذ صارت قبلة المسلمين هذه أمراً معلوماً من الدين بالضرورة لا يحل لمسلم إنكاره أو التحول عن هذه القبلة، وكذلك عدد الصلوات ومواقيتها وركعاتها وسجداتها وما يتلى فيها من القرآن، وما يبدى فيها من دعاء كل ذلك مجمع عليه من المسلمين بعد ثبوته ومعلوم من الدين بالضرورة.

٢- إبطال الحج إلى مكة، وحجهم حيث «بهاء الله» إلى حيفا مخالفين بهذا صريح القرآن الكريم فى شأن فريضة الحج.

٣- تقديمهم العدد ١٩ ووضع تفريعات كثيرة عليه فهم يقولون: الصوم تسعة عشر يوماً بالمخالفة لنصوص القرآن فى الصوم وأنه مفروض به صيام شهر رمضان.

ويقولون: إن السنة تسعة عشر شهراً، والشهر تسعة عشر يوماً، مخالفين قول الله ـ سبحانه:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾

[التوبة: ٣٦]

وقول الله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾

[البقرة: ١٨٩]

ومخالفين الأمر المحسوس المحسوب أن الشهر القمرى إما تسعة وعشرون يوماً وإما ثلاثون يوماً، وهو أيضاً ما أنبأ به الرسول محمد ﷺ.

٤- إلغاؤهم فريضة الجهاد ضد الأعداء الثابتة بصريح القرآن، وصحيح السنة النبوية ودعوتهم هذه قضاء على الأمة الإسلامية، بل وعلى كل دولة من دولها. إذ فى الاستجابة لها قضاء على روح الكفاح ودعوة إلى الاستسلام للمستعمرين والمغامرين، وهذا ما يؤكد انتماءهم للصهيونية العالمية، بل وأنهم نبت يعيش فى ظلها وبأموالها وجاهها.

مقاومة المجتمع الإسلامى لهذه البدعة

لقد عارض الشعب الإيرانى وعلماؤه وحكومته هذه البدعة حين ظهورها، وناظروا مبتدعها الأول «الباب» وحكم عليه بالردة وأعدم فى تبريز فى شهر يولية سنة ١٨٥٠.

وحين وفدت هذه البهائية إلى مصر قاومتها كل السلطات على الوجه التالى:

أولاً :

١- أفتى الشيخ سليم البشرى - شيخ الجامع الأزهر بكفر «ميرزا عباس» زعيم البهائيين - ونشرت هذه الفتوى فى جريدة مصر الفتاة فى ٢٧ / ١٢ / ١٩١٠ بالعدد ٦٩٢ .

٢- صدر حكم محكمة المحلة الكبرى الشرعية فى ٣٠ / ٦ / ١٩٤٦ بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية باعتباره مرتداً .

٣- أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر فى ٢٣ / ٩ / ١٩٤٧ ، وفى ٣ / ٩ / ١٩٤٩ فتويين بردة من يعتنق البهائية .

٤- صدرت فتاوى دار الإفتاء المصرية فى ١١ / ٣ / ١٩٣٩ ، وفى ٢٥ / ٣ / ١٩٦٨ ، وفى ١٣ / ٤ / ١٩٥٠ بأن البهائيين مرتدون عن الإسلام .

٥- وأخيراً أجابت أمانة مجمع البحوث الإسلامية على استفسار نيابة أمن الدولة العليا عن حكم البهائية ، بأنها نحلة باطلة لخروجها عن الإسلام بدعوتها للإلحاد وللكفر ، وأن من يعتنقها يكون مرتدا عن الإسلام .

ثانيـــــــاً :

عندما سجل البهائيون محفلهم فى المحاكم المختلطة برقم ٧٧٦ فى ٢٦ / ١٢ / ١٩٣٤م حاولوا أن يوجدوا لهم صفة الشرعية لكن الحكومة قاومتهم ويتضح هذا مما يلى :

١- قدم المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بمصر والسودان طلباً إلى وزارة الشئون الاجتماعية لتسجيله ، وقد رفض هذا الطلب بناء على ما رأته إدارة قضايا الحكومة فى ٥ / ٧ / ١٩٤٧ . كما رفض طلب صرف إعانة له من هذه الوزارة .

٢- رأت إدارة الرأى بوزارتى الداخلية والشئون البلدية والقروية فى ٨ / ١٢ / ١٩٥١م أن فى قيام المحفل البهائى إخلالاً بالأمن العام ، وأنه يمكن لوزارة الداخلية منع إقامة الشعائر الدينية الخاصة بالبهائيين .

وقد تأيد هذا بما رآه مجلس الدولة فى ٢٦ / ٥ / ١٩٥٨ من عدم الموافقة على طبع إعلان دعاية لمذهب البهائية لأنه ينطوى على تبشير غير مشروع ، ودعوة سافرة للخروج على أحكام الدين الإسلامى ، وغيره من الأديان المعترف بها ، ورأى منع ذلك لمخالفته للنظام العام فى البلاد الإسلامية .

٣- حكمت محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة فى مصر فى القضية رقم ١٩٥ لسنة ٤ ق بتاريخ ٢٦ / ٥ / ١٩٥٢ برفض دعوى أقامها بهائى وجاء فى تسبيب هذا الحكم تقريرها : أن البهائيين مرتدون عن الإسلام .

٤- صدر القرار الجمهورى رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م ونص فى مادته الأولى على أنه : تحل المحافل



البهائية ومراكزها الموجودة فى الجمهورية ويوقف نشاطها ويحظر على الأفراد والمؤسسات والهيئات القيام بأى نشاط مما كانت تباشره هذه المحافل والمراكز . ونص فى مادته الأخيرة على تجريم كل مخالف وعقابه بالحبس وبالغرامة .

٥- وتنفيذاً لهذا القرار بقانون أصدر وزير الداخلية قراره رقم ١٠٦ لسنة ١٩٦٠ بتاريخ ٣١ / ٧ / ١٩٦٠ بأيلولة أموال وموجودات المحافل البهائية ومراكزها إلى جمعية المحافظة على القرآن الكريم .

٦- حكم بالحبس والغرامة فى القضية رقم ٣١٦ لسنة ١٩٦٥ على عناصر من أتباع البهائية لقيامهم بممارسة نشاطهم فى القاهرة ، كما قبض على غيرهم فى طنطا فى سنة ١٩٧٢ وكذلك فى سوهاج .

٧- قبض على مجموعة منهم أخيراً فى فبراير سنة ١٩٨٥ برئاسة أحد الصحفيين وقد اعترفوا بإيمانهم برسولهم بهاء الله وكتابهم المقدس ، وأن قبلتهم جبل الكرمل بحيفا فى إسرائيل .

وقد وجهت إليهم تهمة مناهضة المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى البلاد والترويج لأفكار متطرفة بقصد تحقير وازدراء الأديان السماوية الأخرى .

٨- أوصى المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية بتحريم هذا المذهب وتجريم معتنقيه ..

وبعـــــد :

فإن فيما تقدم تعرية للبهائية وكشفاً لخطوطها الفكرية الموجهة نحو العقيدة الإسلامية وجحودها بل وضررها وأنها تظاهر أعداء الأمة الإسلامية وتناصرهم فى القضاء على هذه الأمة وعلى الإسلام .

إن البهائيين (ودعوتهم هذه التى مرت بهذه التطورات وُوجهت بتلك المقاومة فى البلاد التى نبتت فيها «إيران» حيث أعدم مبتدعها بوصفه مرتداً عن الإسلام ، ونفى خليفته) مازالوا مثابرين عليها .

وفى مصر صدرت الفتاوى من علماء الإسلام ، والأحكام من جهات القضاء المختلفة ثم الفتاوى القانونية المتعاقبة وكل أولئك قد أثّموا هذا المذهب وحكموا ببطلانه .

ثم صدر القرار الجمهورى الذى حظر نشاط البهائية دون أن يجرمها بعقاب رادع ، يتساوى مع خطورتها على عقيدة الناس الإسلامية بل وعلى العقائد السماوية الأخرى بوجه عام «اليهودية والمسيحية» .

ومن ثم أطلت الفتنة برأسها مرة أخرى فى وقت تزاحمت فيه الأفكار الموفدة الفاسدة التى ساعدت على بروز طوائف من الجماعات كل له فكر شارد ، بل وادعى بعض الناس النبوة ومازال محاكمة هذا وذاك تسير الهوينى ، ومازال المجتمع يترقب ما تسفر عنه هذه المحاكمات .

إن مصر – وفيها الأزهر الذى انعقدت لها به راية زعامة العالم الإسلامى – ينبغى أن يطارد فيها كل فكر منحرف عن الإسلام بكل الحزم حتى تظل فى مكان القيادة والريادة الإسلامية.

– إن هذا المذهب البهائى وأمثاله من نوعيات الأوبئة الفكرية الفتاكة التى يجب أن تجند الدولة كل إمكاناتها لمكافحته والقضاء عليه.

– إذ إن عقيدة الإسلام وصيانتها لا تقل فى مرتبتها عن حماية الأجساد من الأوبئة المرضية التى تسارع الدولة لعلاجها بالحزم والحسم، بل العقيدة أولى لأن فى صحتها نقاء الحياة وعبادة الله.

إن الأمة إذا فقدت عقيدتها، انمحت ذاتيتها وغلبها أعداؤها..

إن مصر يجب أن تذكر أنها تقوم بالدفاع عن الإسلام وعن أرض المسلمين منذ دخلت فيه وأنها سبق أن استردت القدس وحررت فلسطين باسم الإسلام. ولنذكر أن مصر إنما حاربت فى رمضان سنة ١٣٩٣ هـ – أكتوبر ١٩٧٣ تحت نداء الإسلام «الله أكبر» وبهذا النداء وتحت لوائه انتصرت وأن عليها أن تطهر أرضها من هذه الأرجاس، وأن تنفى عنها هذا الخبث ليستقيم بها الأمر وتظل باسم الإسلام رائدة ناهضة.

والأزهر يقرر:

أن الإسلام لا يقر أى ديانة أخرى غير ما أمرنا القرآن الكريم باحترامه، فلا ينبغى بل يمتنع أن تكون فى مصر ديانة غير الإسلام ثم المسيحية واليهودية لأن كل ديانة أخرى غير مشروعة ومخالفة للنظام العام.

وإن الأزهر ليهيب بالمسئولين فى جمهورية مصر العربية أن يقفوا بحزم ضد هذه الفئة الباغية على دين الله وعلى النظام العام لهذا المجتمع، وأن ينفذوا حكم الله عليها، ويسنوا القانون الذى يستأصلها ويهيل التراب عليها، وعلى أفكارها، حماية للمواطنين جميعاً من التردى فى هذه الأفكار المنحرفة عن صراط الله المستقيم.

إن هؤلاء الذين أجرموا فى حق الإسلام والوطن يجب أن يختفوا من الحياة لا أن يجاهروا بالخروج على الإسلام.

إن الأمر جد يدعو إلى المسارعة النشطة من السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية لإعمال شئونها ولنذكر دائماً أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

إن هذه الفتنة لم تحظ بالاهتمام المناسب مع أنها جريمة الجرائم ومن الكبائر.

ألا هل بلغ الأزهر.. اللهم فاشهد

كيف نصنع مستقبل الأمة؟

للدكتور/ حمدى فتوح والى

أمور كثيرة طرأت على حياة أمتنا الإسلامية فأفقدتها حريتها وأوقعتها ما بين التضليل والتجهيل وغيبتها طويلاً عن إيقاع الحياة. وأفاقت بعد طول غياب، فإذا الخلافة قد سقطت، والشريعة قد تعطلت، والمناهج قد تغيرت، والمرأة قد تبرجت، ومشاعر الناس قد تبدلت، فغلظت بعد رقة، وتكدرت بعد صفو، واضطربت بعد هدوء واطمئنان.

وأصبحت الأمة تحكم بغير شريعتها وتساس بغير إرادتها، وتوجه لغير وجهتها، وتنقاد لرغبة ذابحها الذى أوصلها بطول مكر ودقيق كيد إلى هذا الحال.

لقد أصبحنا لأول مرة أمام ظاهرة خطف الأمم، فإذا كان الناس قد عرفوا فى هذا الزمان خطف أشخاص أو خطف سفن أو خطف طائرات، فإن الذى يقع اليوم خطف لأمة الإسلام، ومن هنا تأتى دعوتى إلى ضرورة إيقاظ الأمة وإعادة النظر فى طرائق التربية ووسائل الإيقاظ بدءاً من المنزل والمسجد والمدرسة وانتهاء بالبرلمان ومجالس التشريع وآلية الحكم.

والبداية تأتى بأن نذكر الناس جميعاً بأن الله هو خلقهم أسوياء متساوين فى الحقوق والواجبات، وكفل لهم جميعاً ما يكفيهم من ضرورات العيش وأسباب الحياة، قال تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

﴿ هود: ٦ ﴾

وهذا الفهم إذا توافر لإنسان فلابد أن يمنحه الأمان على رزقه فلا ينافق أو يتملق أو يخاف، وعلى أجله فلا يجبن أو يتأخر عن أداء ما ينبغى أن يؤدى من نصرة العقيدة وأداء الحق، إنه لابد أن يفقه جيداً أمر رسولنا ﷺ: «اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجرى بالمقادير»(١).

---

(١) رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر.

وعندما يستقر فى ضمير الإنسان شعوره بأن أجله ورزقه فى يد الله وحده، فإنه يطمئن ويتحرر من عقدتى الدونية والفوقية، ويتمتع بنفس متوازنة سوية.

ومن المؤسف أن الإنسان الذى خلق سوياً فى أحسن تقويم نراه إذا شب وكبر يصيبه التشويه والانحراف بسبب ما يتسلط عليه من أمور تفسد فطرته وتلوث طبيعته.

قال رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٢].

ولما كان الإنسان يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً، ثم يبدأ فى اكتساب معارفه وميوله وعاداته وعقائده من خلال ما يرد إليه من أبويه وأهله وبيئته لذا كان الأبوان مسئولين عن طبيعة هذا التكوين وكيفيته، وكانت الطريقة التى يتبعانها فى تربية النشء وتنميته هى المسئول الأول عن كل ما يصيب الطفل من سلبية وأنانية وخوف ورعب وما يسيطر عليه من شعور بالدونية والهوان.

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

إن كثيراً من الآباء والأمهات لا يسمحون للطفل بأية مساحة من الحرية أو استقلال الشخصية فى إبداء الرأى أو التعبير عن الذات، ويقلقهم كثيراً أن يروا منه إحساساً بذاته أو شعوراً بكرامته، أو استنكاف من الهزء به، أو السخرية منه، أو النيل من كرامته، وكلما رأت الأم طفلها يبدى استياء من قهرها له وتسلطها عليه عدت ذلك تمرداً عليها واستهزاء بها وإهانة لها، فتزداد له إهانة وتضاعف له الألم ولا تصبر على سماع كلمة اعتراض منه أو إبداء أدنى شعور بالإباء أو التعبير عن ألمه للحوق الأذى والإهانة به. وهكذا لا يجد الطفل أمامه أدنى مساحة إلا أن ينهزم ذليلاً مهيناً بائساً كسيراً، ويظل هذا السلوك يمارس عليه حتى ييأس من محاولة إبداء أى شعور بالإحساس بالإهانة، ويظل كذلك حتى يألف هذه الحال ويتحول الخنوع والرضوخ والانهزام فى حياته إلى سلوك عادى لا يأنف منه ولا يتحرج من إظهاره، بل قد يصل الأمر به إلى اعتبار كل سلوك سوى عزيز كريم هو الشائن الغريب، فهل يدرك الآباء والأمهات أنهم يصنعون للأمة ـ عن طريق التربية ـ الكرام الأعزاء أو العبيد الأذلاء. وأنهم بفعلهم هذا يقدمون لأعداء الأمة أعظم خدمة عندما يخرجون جيلاً خانعاً خائفاً جباناً، وهكذا تتوارث الأمة ـ نتيجة الفهم الخاطىء لطرق التربية وكيفية التعامل مع الغير ـ أساليب القهر وتبنى ثقافة

(٢) رواه الشيخان عن أبى هريرة.

الاستبداد والخنوع، فتتخرج أجيال لا تعرف لها حقاً فى إبداء الرأى أو إباء الضيم أو الحرص على ممارسة حقها الطبيعى فى حياة كريمة عزيزة.

وكما يحدث من الآباء والأمهات فى البيوت، يمارس السلوك نفسه مع التلميذ فى المدرسة، فالمعلمة التى تلقته من أبويه وحلت فى حياته محلهما، وكان المفترض فيها الوعى بطريقة السلوك ومراحل النمو، نجدها قد نشأت هى الأخرى على سلطة الاستبداد وثقافة الفردية والتسلط.

وإذا كان الأبوان يمارسان هذا الدور مع استصحاب غريزة الأبوة وحنان الأمومة، بما يخفف من أثره قليلاً أو كثيراً فإن المعلمة تمارس الدور مع كثير من الغلظة والجفاء والقسوة. ناسية أن الطفل جاء إليها بعد إلف طويل للحركة والنشاط واللعب فى بيته، فإذا حاولت مصادرة هذه المساحة فى حياته مرة واحدة مستعينة على ذلك بسلطتها وغلظتها وقسوتها فسوف تصنع بين يديها كياناً بائساً منكسراً حزيناً، وسيظل يكره اليوم الذى ألقى به بين يدى هذه السجانة، ويكره الظروف التى ألقته فى هذا السجن المحكم. لكنه مع الزمن عندما لا يجد أملاً فى بديل آخر عن هذه الحال فسيألفها ويتعايش معها، مدركاً أنه لا حظ له فى الحركة، ولا نصيب له فى الحرية، وليست له أدنى مساحة فى إبداء الرأى أو الاعتراض، وإنما هو كيان منهزم خائف. ومن مجموع هؤلاء المنهزمين البؤساء تتكون مدارسنا الابتدائية التى تسلم حصادها إلى الإعدادية ثم إلى الثانوية. وكلما كان الولد أكثر استكانة واستسلاماً كان أقرب إلى المثالية والأدب والاحترام فى نظر المسئولين، وهكذا يكرس الاستسلام والخنوع مرة أخرى عن طريق الأخصائى الاجتماعى الذى خلط بين السلبية والخضوع والاستسلام والخوف وبين الأدب وحسن الخلق وسلامة السلوك. وإذا بأبنائنا يلاحظون أن من كان مطواعاً خائفاً مستكيناً هو النموذج الأمثل والشاب المكرم من أساتذته ومجتمعه.

فمتى يدرك الآباء والأمهات، ومتى يدرك المعلمون والمعلمات أن أبناءنا هم وطننا القادم ومستقبلنا الواعد وعزتنا الغائبة وأنهم نصف الحاضر وكل المستقبل؟!.

إن من بين الأطفال فى سن الحضانة والمراحل الدنيا من الصفوف الابتدائية نماذج هم مشروع عباقرة وعلماء ومخترعين، لو وجدوا من يحسن فهمهم، ويقدر مواهبهم، ويستثمر طاقاتهم ويوجهها التوجيه الأمثل. إن الطفل الكثير الحركة، الزائد النشاط، السابق لعمره وأوانه، طفل موهوب عبقرى ذكى. لكنه يمتنع عن إبداء تلك العبقرية لعدم وجود من يثريها، أو يدعو إلى إدراكها واكتشافها.

إن على أجهزة التربية والتعليم مسئولية



النزول إلى الواقع وإعادة النظر فى منظومة التربية، ومناهج الدراسة، وتحرير العقل فى مراحل تكوينه وإبداعه الأولى من قيود الحفظ والتلقين، وإطلاق طاقاته العملية والإبداعية والابتكارية كل فى الميدان الذى يحبه، وفى التخصص الذى يهواه.

إننى أحلم اليوم الذى يهيىء للطالب فرصة الدراسة تبعاً للذى يحبه ويحسنه من مهارات وميول، غير مقيد بنصف درجة صعدت أو نزلت، ليتحول على أساسها مستقبله ويتغير بها مسار حياته.

إننى أعجب أشد العجب لأمة تهدر عبقريات بنيها لتحولها إلى مجالات خدمات واستهلاك نائية بها عن مجالات التنظير والابتكار والإبداع.

إن قطف زبد العقول والقلوب وتحويلها جميعاً إلى أطباء ليس بالأمر الحكيم، فالطبيب مهما برع لن يمتد أثره إلى أكثر من جسد المريض، أما مجالات التنظير والإبداع واستشراف المستقبل ووضع الخطط ورسم الملامح لمجتمع سليم نظيف كريم، فهذا مما لا يقع فى دائرة الأطباء والمهندسين، وإنما هو شأن المفكرين والسياسيين والعلماء. فإذا كان نصيب هذه الكليات التى تخرج هؤلاء هم الضعاف المهازيل، فهذا يعنى أننا حكمنا بالتخبط والعجز والجهل على مستقبل أمتنا ممثلاً فى المتصدين لهذا المقام الرفيع، وتجارب الأمم الأخرى دليل على شذوذ الطرق المتبعة فى بلادنا، وبعدها عن الواقع، فالأصل فى دراسة أى علم هو الميل إليه والشعور بالتميز فيه وليس الإجبار والقصر، تجريع الطالب ما لا يحب وما لا يتوافق مع ميوله وقدراته، ثم الحكم عليه بأن يتخصص فى ذلك وأن يبنى حياته على ذلك. لاشك فى أن عطاء هذا الطالب لن يكون بنفس عطاء من تهيأ لهذا التخصص منذ الصغر ومال إليه بطبعه واشتاق أن يرى نفسه كبيراً فيه بقية حياته.

إن الدول التى قطعت شوطاً فى حسن التخطيط، وعقلانية الإدارة، واحترام ميول الناس ورغباتهم، يهيئون الطالب لتخصصه منذ مراحل التعليم الأولى دون إجبار مادى أو معنوى، ولهذا فقد استوت أمام أعينهم جميع الكليات ودخل كل طالب كليته عن قناعة وحب، ولو خير بينها وبين غيرها ما اختار غير كليته، ولذا لم يقع التنافس المحموم على كلية بعينها كالذى يقع على كليتى الطب والصيدلة فى بلادنا.

إن نظام التعليم لدينا يحتاج إلى تغيير فى المضمون والشكل يساير ما طرأ على حياة الناس من تطور وينسجم مع ما تملكه الأمة من قيم وينهض لمواجهة ما تعانيه من تحديات، وهذا يتطلب عقلية تؤمن بالتغيير لا الترقيع، وتنطلق من ثوابت لا من ردود أفعال، وتراعى فى نهضتها عقيدة الأمة ومبادئها التى ينبغى أن يأتى التعليم ليدعمها ويقويها ويحافظ على لونها

وصبغتها وليس القفز فوقها أو الطعن فيها أو النيل منها ورفع غيرها عليه وإلا كان ذلك خيانة من أعظم الخيانات.

لابد أن يأخذ واضع السياسة التعليمية فى اعتباره معرفة الثابت والمتغير فى منظومة القيم، فالثابت هو مجموعة القيم الأصيلة التى جاءت بها الأديان السماوية، واعتنقها الناس عقيدة، ومارسوا شعائرها عبادة، واستقاموا على نهجها أخلاقاً وسلوكاً وبها تتمايز الأمة عن باقى الأمم، فليس شرطاً أبداً لكى تنهض الأمم أن تتبنى أفكار غيرها لكى تنتج ما أنتجوا أو تصل إلى ما وصلوا إليه، وإنما ينبغى أن تستفيد منه طرائق التفكير ووسائل تيسير المعلومة وتوصيلها، أما المعلومة نفسها فإن كانت من الكم المشترك بين البشر من علوم الكون والحياة كالطب والفلك والأدوية والكيماويات وعلوم الفضاء والبحار والمعلومات الحديثة فلا بأس بأخذها والاجتهاد فى ذلك، وأما إذا كانت المعلومة تناقض قيمة أصيلة من قيم مجتمعنا وأخلاقنا فهنا ينبغى أن يدق جرس الخطر وأن يظهر الخط الأحمر وأن يقال لناقل الكفر، (لا). ففرق بين أن نشرب من النهر وأن نغرق فيه، ولنتذكر دائماً أن الأسد يتغذى على الخراف لا ليصير خروفاً، وإنما ليقوى فيه كيان الأسدية، فلنمد العقل بما شئنا من غذاء معرفى وعلمى شريطة أن يكون الغذاء تقوية لكياننا وليس إفساداً لعقولنا وتشويهاً لأفكارنا.

إن أمم الأرض جميعاً تأنف من الاندماج فى غيرها والتنازل عن هويتها وعقيدتها لتنتسب إلى دولة أخرى أو عقيدة مخالفة مهما كان هذا الآخر قوياً أو غنياً أو عظيماً، ولم أر شيئاً من المخلوقات رضى أن يتنازل عن جنسه أو ينتسب إلى سواه حتى فى عالم الحيوانات أو الطيور.

ومما يحكى من باب التندر أن الغراب أعجبته مشية الحمامة فجعل يقلد مشيتها فلم يستطع فأراد العودة إلى مشيته فنسيها، فأصبح مشيه قفزاً كما نراه الآن، وهو مثل يضرب لمن ترك أصوله ليقلد الآخرين فعجز عن تقليدهم ولم يستطع الرجوع إلى أصله، فصار كالغراب لم يلحق بغيره ولم يحتفظ بأصله. وهو ما نرى عليه أمتنا اليوم، فلقد تركت أصولها الإسلامية وذهبت تقلد الغرب فى حضارته وطريقة حياته فعجزت عن تقليده، وأرادت العودة إلى أصولها اليوم فوجدت من يضيعون لها معاملها ويشككون فى ثوابتها ويحولون بينها وبين عقيدتها، ويبقى الدور اليوم على عقلاء الأمة وحكمائها كى يساعدوا الأمة فى الخروج من مأزقها الحضارى والتصدى للسفهاء من بنيها حتى يسلم لنا ديننا وعقيدتنا ويسرى فى كياننا تيار الإيمان فنعود بحق

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

﴿آل عمران: ١١٠﴾

المواطنة فى الخطاب الدينى رؤية إسلامية

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

قبل أن أتحدث عن الرؤية الإسلامية للمواطنة، أبدأ بذكر الواقع الملموس فى مصر. سواء كان هذا الواقع قريبًا منذ عدة عقود، أو حديثًا نعيشه الآن، لأن الواقع الملموس بحقائقه المشهودة دليل عملى لا يقبل الاعتراض، وهو أقرب الأدلة إلى الإقناع العقلى لأنه مشاهد ملموس.

إن مصر الآمنة المطمئنة برعاية الله وتوفيقه، لم تصلِ إلى الأمان، إلا بما سَنّتهُ من المساواة العادلة بين مختلف الطوائف، فالمساواةُ نص دستورى يخضع له الجميع فى أداء الواجبات، والتمتع بالحقوق، لذلك كانت الأزمات السياسية فى مصر تُعطى المفهوم الأكيد لهذه المواطنة الصحيحة التى لا تفرق بين إنسان وإنسان مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا، وقد عاشت الأديان الثلاثة فى مصر متجاورة، يشعر أبناؤها بالشعور الواحد دون تفريق، وهذه المساواة نابعة من شريعة الإسلام التى هى المرجع الأول للقانون بنص الدستور!

ففى الواقع القريب فى سنة ١٩١٩، حين هَبَّ الشعب المصرى مُطالباً بحقوقه السياسية فى الاستقلال وطرد الاستعمار، كان منبرُ الأزهر الشريف يضم الخطيب المسلم والخطيب المسيحى فى ندوة واحدة، وقد اشتهرت خُطب القمص سرجيوس بالأزهر ونشرتها الجرائد مع خُطب



علماء الأزهر، فكانت هذه الخطب تعبّر عن رأى واحد، وتوضح اتجاهًا واحدا، حتى إنك لو جردت الخطب من الأسماء، وأخذت تقرأ ما ميزت خطب الشيخ المسلم عن خُطب القس المسيحى، لأن القمص سرجيوس كان يستشهد بآيات القرآن الكريم، والشيخ محمود أبوالعيون من كبار علماء الأزهر كان يستشهد بآيات الإنجيل، فإذا خرجت المظاهرات السياسية إلى الشارع كان فى الصف الأول رجل الدين المسيحى يضع يده فى يد رجل الدين المسلم، وهو أمر سجّله كل الذين تحدثوا عن الثورة المصرية، وقد قال شاعر الأزهر الشيخ إبراهيم سليمان الأستاذ بمعهد الاسكندرية الدينى إذ ذاك قصيدة ثورية كان منها هذا البيت الشهير:

الشيخ والقسيس قسّيسان..
وإن تشأ فَقُلْ هما شيخان

هذا فى الماضى القريب، أما الحاضر المشهود الآن فأمامنا المظاهرة الكبرى التى قامت بالقاهرة يوم الأربعاء ٥ من مارس سنة ٢٠٠٣ يتقدمها شيوخ الأزهر ورجال الكنيسة معاً فى صف واحد، ولم يأت ذلك عن ترتيب سياسى مصطنع، ولكنه شعور وطنى بالأخوة الصادقة والزمالة المشتركة تحت سماء واحدة، وفى أرض واحدة، فهذان واقعان مشهودان يُعبران عن حقيقة المواطنة المصرية دون تزوير أو تلفيق، وكذلك يجب أن تكون المواطن فى جميع البلاد!

مثل الإسلام العليا

وقد نبع هذا السلوك الإسلامى من واقع القرآن الكريم، ومن واقع السنة النبوية الشريفة، ومن المثل العليا التى سنّها خلفاء الإسلام، اقتداء بكتاب الله وتنفيذا لأوامر الرسول الكريم.

فالإسلام قد جعل الحرية ا لدينية حقاً لجميع الأفراد، فللفرد أن يعتنق ما يشاء كما يشاء إذ يقول الله عز وجل:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

ويقول ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط»، ويقول عليه السلام: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه فأنا خصيمه يوم القيامة»، ويدعو الإسلام إلى حرية المناقشة الدينية مع أهل الكتاب فيقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

[العنكبوت: ٤٦]

ويقول:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

[النحل: ١٢٥]

ثم يقول مخاطباً أصحاب الديانات الأخرى:

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[البقرة: ١١١]

ويقول عز من قائل:

﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾

[الأنعام: ١٤٨]

بل يدفع المجادلين من غير المسلمين إلى المناقشة فيمهد لهم السبيل. يقول الله عز وجل:

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

[سبأ: ٢٤]

يقول الدكتور علي عبدالواحد في كتاب «الحرية في الإسلام»:

«وكان الخلفاء من بني العباس وغيرهم يعقدون المجالس للمناقشات الدينية، فيجتمع عندهم علماء كثيرون ينتمون إلى مختلف الطوائف والأديان وشتى الفرق المختلفة ويتناقشون في شئون العقائد ويوازنون بين الأديان، كل يدلي برأيه، ويبين حجته، في حرية وأمن واطمئنان، ولم يكن الخلفاء يحتملون هذه المناقشات فحسب، بل كانوا كذلك يشجعون عليها بمختلف وسائل التشجيع».

وإذا كانت بعض الأديان تحرم طعام من لا ينتمون إليها، فإن الإسلام قد أباح طعام أهل الكتاب، فقال:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾

[المائدة: ٥]

تسامح الإسلام

وقد أمر الإسلام بالبر بغير المسلمين حتى لو كانوا مشركين ليسوا من أهل الكتاب. قال تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[الممتحنة: ٨]

وبذلك كانت الإنسانية وحدها في منطق الإسلام هي داعية البر والعطف والإخاء والمساواة.

ولا أظن أن هناك من التسامح البالغ في الإسلام أكثر من اعتراف الإسلام بما سبقه من الديانات السماوية حيث يقول الله عز وجل:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة: ٢٨٥]



وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان: قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله».

هذه النصوص المحكمة التي لا شبهة فيها ولا تأويل تمثل المنهج الإسلامي في معاملة غير المسلمين. كما هي عماد الخطاب الديني الذي يوجه للإنسانية جمعاء، وكل خطاب يخرج عن هذه الأصول المقررة في كتاب الله وسنة رسوله، فقد خرج عن الصراط المستقيم في رأي الإسلام.

المتشددون والمنحرفون

ثم نتساءل عن أسباب الانحراف الديني الذي نجده عند بعض المتشددين فنقول: إن في كل طائفة من الطوائف أفراداً لم يتعمقوا في مسائل الدين، ولم يفهموا منه غير ما يسمعونه من أقوال الجهلاء، وهؤلاء بحماسهم الديني يظنون أنهم بما سمعوا من جهالة الجهلاء قد صاروا علماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويلتمسون الوجاهة بين الناس، وبخاصة العوام، حين يدعون المعرفة، مع أن لكل علم علماءه المتخصصين، وهم ليسوا منهم عن يقين، ويغرهم كثيراً أن يجدوا من يستمع إلى باطلهم الزائف فيحسبون أنفسهم على شيء.

أضف إلى ذلك أن كتباً مغرضة يكتبها من لا يفقه شيئاً من أمور الناس، تجمع من الآيات ما تفسر على غير وجهها، وتجمع من الأحاديث مالم يثبت عن رسول الله ﷺ، وتروى عن الصحابة أساطير لم تثبت في ميزان صحيح، ويكون كل ذلك الخلط الكاذب بضاعتهم المموهة، فإذا انتشرت هذه الكتب الضالة، فإنها تكون السبب الأول في الانحراف عن الرأي الصحيح.

إشاعة الأكاذيب

وقد شاهدنا جماعة من المنحرفين يؤلفون الكتب الضالة التي تفرق بين الناس، وتبذر بذور الخلاف لأنهم يتبعون من لهم غرض في بث الفتن، وإثارة الزعازع، ويمولون بأموال تسوق أهل الباطل إلى الانحراف، وقد يأتون بآية من الآيات فيفسرونها على غير وجهها الصحيح، ويحسبون مضمونها من مبادىء الإسلام، وللأسف إذا قام الأزهر بنقد هذه الكتب وبيان ما حملت من أضاليل وجدنا من لا يخشى الله من مشجعي هذه الضلالات يضجون في الصحف، ويعلنون أن الأزهر ضد حرية الفكر وأنه يحارب ما أنتجه المفكرون! وهم بهذه الحملات المؤسفة يعملون على رواج المفتريات، وإشاعة الأكاذيب!

فانحراف الخطاب الديني يرجع أول ما يرجع إلى هؤلاء الذين يتحدثون عن

الدين دون أن يفهموه، إذ يتمسكون بقشور ليست من لباب الدين، ثم يشنون الحملة على من يهديهم إلى الصواب بدعوى أنهم وحدهم المهتدون. كما يرجع إلى الأيدى الخفية التى تُحرّك هذه الفئات الضالة، وتمهّد لكتابها سبيل الذيوع، ولآرائها أوجه الانتشار، حتى تعم الفوضى، ومن هذه الكتب وُجد الانحراف فى شتى وجوهه، وقام المصلحون بإبداء الرأى فيما يلزم تجاه هذا الانحراف! ولم يقصر علماء الإسلام فى محاربة هذه الأراجيف فكتبوا وألقوا وخطبوا بما يوضح الصواب!

تصحيح الانحراف

أما وقد عرفنا كيف جاء الانحراف فى الخطاب الدينى، فلتصحيح هذا الانحراف نقترح ما يأتى:

• أولاً: يجب أن يُمنع من الخطاب الدينى كل من لم يتأهل له علمياً، بأن يكون بعيداً عن الدراسة العلمية التى تعتمد على الأصول الثابتة من أركان التشريع الإسلامى، كما يُمنع من التأليف من لم يتأهل كذلك، وإذا كنا نُحرّم على غير الطبيب أن يُزاول أعمال الطب، وعلى غير المهندس أن يقوم بأعمال البناء والعمارة والتشييد ونعد ذلك مصدر خطر يجب التصدى له، فلماذا لا نحرّم على الجاهل بشئون الدين أن يتحدث عن الدين، ولا تكفى قراءة القرآن أو الحديث فى الإلمام بقواعد الدين، فللقرآن وللحديث علماؤهما المتخصصون فى الشرح والتوجيه!

• ثانياً: يجب أن يكون صاحب الخطاب الدينى مثقفا بثقافة عصره، فقد كان الداعية فى الزمان الماضى يجد محصوله الأوفى فى كتب الشريعة والتفسير والحديث، بحيث تكون هى المادة لخطابه الدينى، أما الداعية فى هذا العصر فعليه أن يدرس المجتمع وما يجرى فيه من تيارات مختلفة. وأن يُلم بعلوم جديدة تتعلق بالاجتماع والتربية والتاريخ والسياسة، لأنه يُخاطب أناساً درسوا هذه العلوم ورأوا فيها وجهاً جديداً للثقافة المعاصرة، ووصلت مقرراتها لديهم إلى حد اليقين.

النصوص وحدها لا تكفى

وإذن فمن الضرورى أن يُحيط الخطاب الدينى بنوازعهم الفكرية، وأن يعرف صاحبه أبعادهم المترامية، فلا تكفى النصوص الدينية وحدها فى الإقناع، بل لابد من الاعتماد على ما يعتقده الناس من المقررات العلمية التى ثبتت بيقين جازم لا شك فيه، هذه المقررات من الضروريات اللازمة لصاحب الخطاب الدينى حتى يكون جديرا بالتوجيه والإرشاد، وهى إذا صحت من صميم

مقررات الإسلام فالخطاب الدينى فى هذا العصر يواجه من التحديات ما لا يدفع إلا بالثقافة المعاصرة.

ويزيد فى خطورة الأمر أن بعض الذين ملكوا ناصية العلوم العصرية ماديون لا يعتقدون بوحى سماوى، فصاغوا بعض المقررات فى علوم النفس والاجتماع والسياسة بناء على عقيدتهم المادية، ولهم طلاب فى الجامعات قد تشبعوا بآرائهم، ولا يكفى الرد عليهم بالنصوص الدينية بل لا بد أن يصول فكر على فكر بالمنطق السديد، والحجة المقنعة ليتميز الطيب من الخبيث، وفى التراث الإسلامى ما يدحض كل افتراء.

تصحيح المسار

إن إعداد صاحب الخطاب الدينى فى هذا العصر ليس من السهولة بحيث يقوم به كل من يحمل شهادة دينية، بل لا بد أن يكون مزوّدا بثقافة العصر، وهذا ما اتجهت إليه كليات الدعوة فى عهدها الأخير، ونأمل أن تؤتى ثمارها الطيبة عن قريب.

وإذا كنا نسأل عن تصحيح المسار للخطاب الدينى، ففى ذكر أسباب الانحراف المتقدمة، ما يدفع إلى تجنبها وبذلك يصحّ المسار، وتتلخص أهم هذه الأسباب الداعية إلى نجاح الحوار فى شيئين:

• تأكيد المعنى الإنسانى فى المجتمع، هذا المعنى المستمد من أصول الأديان السماوية، التى تنص على أن جميع الناس يرجعون لأب واحد وأم واحدة، فكلهم لآدم وآدم من تراب، وهذا المعنى الذى يؤكد الأخوة الإنسانية تجعل المتعصبين غُرباء فى شذوذهم بعيدين عن الروح الدينى، وإذا فهموا ذلك عملوا على الاستقامة والاعتدال إذا كانوا مخلصين غير مأجورين.

• أن يكون الدعاة فى كل الأديان متجهين إلى النواحى الخلقية التى ترعاها جميع الأديان السماوية، فالصدق والأمانة والحُب والوفاء والعدالة قيم إنسانية ترعاها جميع الأديان، والتأكيد عليها الآن يقضى على أسباب الانحراف فى الخطاب الدينى، لأن التعصب والعنصرية والانطوائية تنافى هذه المبادىء الخُلقية الرفيعة.

كما يجب البُعد التام عن النقاش فى العقائد إذ ليست محلا للجدال، فلكل أتباع دين عقائدهم الراسخة، واختلافها لا يمنع الاتفاق على المعانى الإنسانية، التى يجب أن تسود العالم الإنسانى، وما حصلت الحروب الدينية فى القديم إلا لمجافاة هذه المعانى الإنسانية التى تدعو إلى الوفاق لا إلى الخلاف.

***

«وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا»

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

١٠ أما الشهادة الغربية الثانية، فإنها هى الأخرى -لعالم غربى مرموق، هو حجة فى تخصصه العلمى، وفى مكانته بين علماء الاستشراق، وفى الآثار العلمية التى أبدعها.. إنه العلامة «دافيد دى سانتيلانا» Devid de Suatillana [١٨٤٥-١٩٣١م].

وهو مستشرق إيطالى، ولد بتونس، وتخرّج فى جامعة روما، وأحرز درجة الدكتوراة فى القانون.. ولقد تفقه -إلى جانب القانون الرومانى والقوانين الغربية.. فى الفقه الإسلامى، وخاصة فى مذهبى الإمام مالك [٩٣-١٧٩هـ ٧١٢-٧٩٥م] والإمام الشافعى [١٥٠-٢٠٤هـ ٧٦٧- ٨٢٠م].. وذلك إلى جانب تاريخ الفلسفة.. والتاريخ الإسلامى..

وهو الذى درّس ووضع القانونين المدنى والتجارى لتونس، وفق قواعد الشريعة الإسلامية، وبالاتساق مع القوانين الأوروبية- فى حقبة الاستعمار الفرنسى لتونس- سنة ١٨٩٦م-.. كما درّس تاريخ الفلسفة الإسلامية واليونانية والسريانية- باللغة العربية- فى الجامعة المصرية الأهلية.. سنة ١٩١٠م- ودرّس فى جامعة روما التاريخ الإسلامى، وتاريخ الجمعيات الدينية الإسلامية.

ومن آثاره الفكرية -غير محاضراته-: [ترجمة وشرح الأحكام المالكية] و[الفقه الإسلامى المالكى ومقارنته بالمذهب الشافعى]- فى نحو ١٣٠٠ صفحة- و[القانون والمجتمع].. فى المقارنة بين الفقه الإسلامى والقوانين الأوروبية.. و[القوانين المدنية والتجارية]- سنة ١٨٩٨م- وهو مصنف كبير وبحث جامع لفقه الحقوق الإسلامية.. وله أيضا: [ملخص ابن الإنسان للشيخ طنطاوى جوهرى] و[الخلافة والسلطان فى الشرع الإسلامى].. كما ترجم الجزء الثانى من كتاب [مختصر خليل] -فى الفقه المالكى- لابن اسحاق- وفيه مجموعة الأحكام المالكية الأكثر شيوعا فى الحقوق المدنية والجزائية -مع تعليق عليه- سنة ١٩١٩م.



***

وهذه الشهادة التى نقدمها هنا لهذا العالم الحجة، تؤكد على تميز الإسلام- الدين.. والشريعة- عن الأديان الأخرى:

- إن الإسلام دين ودولة، دون أن تكون دولته كهانة كنسية، تحكم بالحق الإلهى، كتلك التى عرفتها الحضارة المسيحية فى أوروبا إبان عصورها الوسطى والمظلمة.
- وإن الشريعة الإسلامية متميزة بالقانون الجامع بين الأحكام وبين منظومة القيم والأخلاق الدينية، والرابط بين المنفعة والمصلحة الدنيوية وبين الدين والجزاء الأخروى.

***

ونحن نختار هذه الشهادة للعلامة «سانتيلانا» من بحثه عن [القانون والمجتمع] المنشور فى الكتاب العمدة [تراث الإسلام] الذى أشرف على التخطيط له والتأليف فيه العلامة «سير توماس أرنولد» [١٨٦٤- ١٩٣٠م].. وهو الكتاب الذى ضم مجموعة من الدراسات العلمية الرصينة التى كتبها أساطين الاستشراق الأوروبى عن معالم الحضارة الإسلامية وإبداعات علماء الإسلام..

فهى شهادة علم من أعلام الفكر- الغربى والإسلامى- تأخذها من مصدر متميز، وجامع لشهادات أساطين علماء الاستشراق».

الدولة الإسلامية

يقول العلامة «دافيد دى سانتيلانا»:

«إن أساس رأس المجتمع الإسلامى.. يعمل كنائب دولة، أو رئيس حكومة.. أو كخليفة الرسول.. وخلفاء الرسول ما هم بوارثى رسالته الروحية (وإن كان يؤثر عنهم فى الحقيقة صفة النيابة أو الوكالة بتنفيذ رسالته وتعضيد المصالح الدينية والدنيوية للمجتمع الإسلامى).. لقد أبى (أبوبكر) [٥١ ق.هـ-١٣هـ ٥٧٣-٦٣٤م] قبول لقب «خليفة الله». واكتفى باسم «خليفة رسول الله» ثم درج لقب «أمير المؤمنين» منذ زمن (عمر بن الخطاب) [٤٠ ق.هـ-٢٣هـ ٥٨٤-

٦٤٤م]، فحدد بكل وضوح صفة ممثل السلطة العليا، الذى هو فى الحقيقة ليس عاهلا -«ملكا»- بل هو (أمير)، نظرا إلى المدلول الأصلى للعبارة الرومانية «رئيس الأقران».

إن اسم الإمام، الذى يطابق بمدلوله لفظة antistes أى قائد الصلاة، بقى حتى الأخير عنوانا لأعظم وأسمى صفة، فى العاهل الإسلامى، وبكلمة أخرى، كانت وظيفته الدينية أصل جميع وظائفه الأخرى، وهى فى الشريعة الإسلامية: (العدل، الجهاد، الجباية، تحكيم العادات والتقاليد).

فإذا ذكر الكُتّاب لفظة «الإمام»، غير موضحة فإنهم يقصدون أمير الدولة مطلقا، ويريدون مصدر جميع السلطات التى تُصرِّف شئون المملكة كافة باسمه، وليس فى هذه الأمور ما يضفى على الخليفة صفة القداسة أو يسمه بميسم الكهنوت، كما ادعت بهذه السمة هيئات حاكمة معينة فى تاريخ العالم.

والحقيقة هى أن سلطة الخليفة -كرئيس دينى- لا يمكن أن تعتبر سلطة حبرية أو بابوية، مثلا، فهو متجرد تماما من صفة الكهنوت. لأن حكومة المسلمين ما كانت فى أى زمن أو ظرف حكومة دينية -hierar-chy ولم يوجد فيها تعاقب رسولى، والإمام فى سلطانه الدنيوى ليس سيدا (ربا)..

فالأمير: وكيل جماعة المسلمين، وأعماله تستمد قوتها وقانونيتها من المبدأ القائل إن الأمير يجب أن يضع نصب عينيه مصلحة المجموع، فلهذه الغاية «أمّر الأمراء على الناس».. كما يجب أن يقدم الوكيل حسابا صحيحا على ما أنجزه لموكله وسيده، كذلك يتحتم على الخليفة أن يسترشد بالله..».

***

«الزعيم والشعب، الإمام والجماعة، اصطلاحان بسيطان يحملان كل النظام السياسى الإسلامى، ويفسران معنى الدولة كذلك، إنه تمثيل الدولة وسلطة الحكومة التنفيذية، متمركزا فى شخص الخليفة الذى تحتم عليه وظيفته أن يمارس تلك السلطة عندما يكون القانون واضح المدلول صريحا، فهو من هذه الناحية لا يملك أية مقدرة على تحوير القانون، بل هو مضطر إلى تطبيقه بحذافيره، كما فى الأحوال التى لا يسوّغ القانون للقاضى أن يجتهد. لكن حريته فى فض القضايا التى لم يرد فيها نص، هى حرية غير محدودة، لأنه ليس وكيلا عاديا، بل محل ثقة، كما وأن تنفيذ القانون موكول إليه بصورة خاصة.. وبجانب حريته هذه فى التصرف القضائى، تمتد سلطته إلى شئون عديدة عامة أخرى، كإدارة دفة الحرب، وتقسيم الغنائم، وفرض الضرائب على الأموال، وصرف أموال الدولة فى شتى الوجوه،

وتعيين العمال (الحكام) والموظفين..».

***

«إن الرابطة التعاونية الموجودة بين الخليفة والشعب تبقى متينة وثيقة العُرى مادام الخليفة صالحا للقيام بواجبه فى حماية المجتمع الإسلامى، فإذا لم يعد أهلا لمنح شعبه ما يريده منه، بطل سلطانه، وفسخ العقد شرعا بين المتعاقدين. ويتم هذا الفسخ والإلغاء عند العجز الجسمانى أو عند فقدان الحرية، كوقوع الخليفة أسيرا فى يد المشركين والكفار..».

***

«إن اختيار رئيس المجتمع الإسلامى لا يمكن تركه للظروف والصدف أو لأعمال العنف والطغيان. بل يجب أن يجرى انتقاؤه بعد التفكير الملى والتأمل الحكيم الناضج، وتقوم بانتقائه تلك الصفوة المنتخبة من أهل الرأى، الذين هم وحدهم يقدّرون أن المرشح للخلافة صالح لملء هذا المنصب الجليل أم لا؟

فلا يمكن أن يكون مجموع الناخبين أمة المسلمين كلها. إن الناخبين هم أولئك الذين عُرفوا بعلمهم ومنزلتهم وتجاربهم فى أمور الدين والدنيا، وبأخلاقهم المتينة، هؤلاء وحدهم يصلحون لأن يكونوا المحكمين فى هذا الشأن، وإليهم، أى إلى رجال السيف والقلم، يرجع أمر انتخاب الإمام، وأعنى بهم مشاهير الشخصيات المدنية والعسكرية، أصحاب الحل والعقد. هؤلاء مخولون باسم المجتمع كله أن يشترطوا بالاشتراك شكل الرباط أو الواجب الذى تنبثق منه سلطة الأمير، ويعينوا مقدار الطاعة الواجبة له من الرعية.

إن الانتخاب، فى عُرف القانون، إنما هو الفعل الذى يمنح به الشعب السلطة العليا لفرد ما بملء اختياره، ويتم هذا المنح بوساطة مشاهير رجاله نيابة عن مجموعة. إنه عروض للتعاقد (عُقاد)، فإذا قبل به الشخص (المُنتخب) أصبح (عقدا)..»[1].

«يتبع»

***

(١) سانتيلانا: [القانون والمجتمع] كتاب [تراث الإسلام] ص٤٢٤- ٤٢٧، ٤٢٢، ٤٢٣. ترجمة: جرجيس فتح الله، طبعة بيروت- الثانية- سنة ١٩٧٢م.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

فسادُ المنهجِ .. وآثارُه

للدكتور/ عبد الحليم عويس

لانستطيع أن نزعم أن كثيراً من الذين يتطرفون أو يفرطون جهلاء بالإسلام أو القرآن، فالحق أن الكثيرين منهم يملكون قدراً من العلم بالقرآن والسنة وبعلومهما، وإنما جاء الانحراف عن طريق المنهج الذى يطبقونه - عن عمد أو جهل - فى فقه النصوص، فهذا المنهج إما أن يكون موجها - ابتداء لخدمة مذهبية سياسية أوفكرية، فهو ينتقى من النصوص ما يخدمها، ويترك النصوص التى تعارضها.. وإما أن يكون منهجاً سطحياً عجلاً يسعى لإنجاز عمل علمى لا يجد صاحبه الوقت الكافى.. ولا الجهد المطلوب - من أجل استقصاء النصوص فى القرآن والسنة.. بالإضافة إلى ما ورد من تطبيقات لها فى عصرى الرسالة أو الراشدين، وما ورد من فقه أئمة التفسير، أو الفقه، أو الحديث متعلقا بها.

ويدخل فى فساد المنهج - أيضاً - جرأة هؤلاء على استخلاص النتائج ودون معرفة آراء أهل الاختصاص الموجودين منهم سواء بكتبهم أم بأشخاصهم، فهؤلاء المتخصصون أبصر بجوانب القضية، وبظرفها الزمانى، وبتكييفها التكييف الذى لا يجعل تطبيقها يتعارض مع مقاصد الشريعة وعلى رأسها الحفاظ



على الدين فى مواجهة المتربصين به، الذين يستثمرون كل الاجتهادات الخاطئة والآراء الشاذة، أو الظرفية، أو الجامدة لتشويهه وتجاهل المساحة الكبيرة المضيئة التى يقدمها الفقه الموضوعى والتطبيق الرشيد.

وليست مقاصد الشريعة وحدها هى التى يجب أن تكون ماثلة فى وعى المجتهد، بل ينبغى كذلك أن تكون القواعد الأصولية والفقهية والنوازل السابقة، والمصالح الإسلامية العليا المرتبطة باللحظة التاريخية التى يمارس فيها الاجتهاد.. حاضرة كذلك فى وعى المجتهد..

غياب المنهج

وتدلنا اجتهادات الخليفة الراشدى الثانى عمر بن الخطاب الرائعة على مدى استيعابه لكل هذه الضوابط فى اجتهاداته كلها.. وإلا لما جرأ على إيقاف عقوبة حد السرقة فى عام الرمادة، نظراً للمجاعة الشديدة المهلكة التى لا تتوافر معها شروط تطبيق الحد، وكذلك إيقافه لتوزيع أرض الخراج إيثاراً للمصلحة الاقتصادية المستقبلية للأمة.. إلى غير ذلك.

إن غياب المنهج المستوعب الذى تتوافر فيه الضوابط السابقة يقف وراء كثير من الآراء المنحرفة- بين إفراط وتفريط-التى تروج فى الساحة.. والتى عالجت قضايا كثيرة خطيرة بعيداً عن الوسطية الإسلامية القائمة على المنهج الذى ألمحنا إليه.. هذه القضايا عقبات فى طريق تقديم الإسلام للعالم بطريقة تشرف الإسلام، وتظهر الوجه الإنسانى له، ذلك الوجه الذى قدمه «رحمة للعالمين» نبى الرحمة الذى بعث ميسراً عليه الصلاة والسلام، وأمرنا أن نمشى على خطاه، وقال لنا: «إنما بعثتم ميسرين» [رواه البخارى]. وعلمنا أن الوسطية التى لا تقهر النفس: أوتقضى على النزعات الحلال هى سنته، ومن رغب عن سنته فليس منه، ونهانا عن منهج بنى إسرائيل فى الجدال والتعسير فيشددا الله علينا.. وحذرنا من منهج اختلاق التعارض ـ نتيجة الهوى المسيطر أو العجز العلمى ـ بين النصوص، حين سمع ﷺ قوماً يتدارءون فى القرآن فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعضه، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض..» (رواه أحمد فى المسند).

رهبان الليل وفرسان النهار

إن الطرح الذى يطرح به بعضهم قضايا مثل الجهاد، وقتال الكافرين، والجزية، ومعاملة غير المسلمين من المواطنين فى الدولة المسلمة أو المجتمع



الإسلامى، والولاء، والبراء، والتعامل مع غير المسلمين فى مجتمعاتهم غير الإسلامية، وقبول التعدديه الحزبية أو السياسية فى المجتمعات الإسلامية، وأسلوب التفاعل مع تركيبة المجتمعات غير الإسلامية، عندما يكون المسلم مواطناً أو مقيماً فيها، والفروق الدقيقة بين مصطلحات الجهاد والقتال، والترهيب، والآداب والضوابط الإسلامية المحيطة بكل مصطلح، والتعامل ـ بصفة عامة ـ مع مجموع المواطنين، مسلمين، أو غير مسلمين أو منافقين، أو علمانيين، أو ماركسيين، فى ضوء دستور المدينة، وتعامل الرسول عليه الصلاة والسلام مع اليهود والمنافقين، كذلك التعامل مع مفاهيم الوطن والمواطنة والقومية غير العنصرية وغير الرافضة للإسلام، ومفهوم الدعوة إلى الإسلام، والفتوحات الإسلامية، والفرق بينهما، باعتبار الفتوحات عمل دولة، بينما الدعوة رسالة كل الأمة.. وإطار دارى الحرب، والعهد (الأمان)، وما ينبغى أن يكون فى كل.. ومن القضايا الداخلة فى إطار فساد المنهج أيضاً، الجنوح إلى التكثيف العاطفى تحت شعار (التصوف) ومن ثم اتخاذ موقف ثابت إجمالى من أهل السلف، وفى المقابل النظرة بحذر شديد إلى الجانب العاطفى فى الإسلام، ورفض أصحابه حفاظا على سلامة العقيدة وعلى وجوه التركيز على العقيدة، بينما السلوك النبوى الكريم قام على التوازن بين الجانبين، وقد كان صحابته على نهجه، فهم رهبان ـ بالليل وبين تهجد، وذكر، ومدارسة للقرآن، لدرجة اقتضت تدخل الرسول لتحقيق الوسطية عندما اختل الميزان لدى بعضهم لحساب هذا الجانب، لكنهم ـ من جانب آخر ـ كانوا يفعلون العقيدة الصحيحة، ويطبقون شريعة الإسلام ـ بالنهار ـ من خلال العمل، والحركة والإعمار.. فهم ـ بالتالى فرسان بالنهار.

الاعتزال

ويدخل فى فساد المنهج رغبة بعضهم فى اعتزال المجتمع بدعوى أن نبى الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ اعتزل قومه ونزل فى ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾

(مريم: ٤٨)

وقد جهل هؤلاء أن الاعتزال هنا هو اعتزال ما يعبدون من دون الله، وهى الأصنام، وليس المجتمع، وكذلك يستند هؤلاء إلى قول النبى ﷺ لحذيفة بن اليمان رضى الله عنه: «اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على جذع شجرة حتى يدركك الموت وأنت على

ذلك» متجاهلين أن هذا الاعتزال يقع عند اكتمال فساد المجتمع.

ومن فساد المنهج فتاوى بعضهم بتحريم الانتساب إلى جنسية الدول غير الإسلامية، والتوظف فى هذه الدول، لأن ذلك من باب الولاء لغير المسلمين، وقد قال الله تعالى:

﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾

(آل عمران: ٢٨)

وجهل هؤلاء أن الولاء هو المناصرة أو المساعدة ضد المسلمين.

وكذلك من فساد المنهج دعوى بعضهم استحلال أموال غير المسلمين، مع أن هذا السلوك ليس مجرد سرقة؛ بل هو تشريع من دون الله، بالفتيا باستحلال المحرمات، ومن أصر على استحلال الحرام يكون بعد العلم بالحكم مرتدا عن الإسلام. وجهل هؤلاء أن النبى ﷺ كلف على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أن يتخلف عن الهجرة معه ليؤدى إلى الكفار الأمانات والأموال التى أودعوها عنده فلم يستحلها ﷺ.

المرأة والرجل

ومن فساد المنهج إبعاد المرأة عن مجال مشاركة الرجل، أو التعامل معه بالضوابط الشرعية مع أن هناك حالات اختلاط شرعية مثل السؤال فى أمور الدين، والدفاع فى الحرب؛ كما فعلت أم سليم فى أحد، والزيارة؛ فقد زار أبوبكر وعمر أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، ورؤية الخاطب، وفى صلاة العيدين، وفى صلاة الكسوف، وفى موسم الحج، وفى الجهاد والإسعافات، وفى الرعاية الطبية[1].

إن فساد المنهج كان ـ ومازال ـ وراء الانحراف إلى اليمين وإلى اليسار، وقد آن أن نعود إلى هدى القرآن وسنة نبيه.. إلى المنهج الوسط.. منهج الفطرة النقية.

❋❋❋

(١) قواعد التعامل مع غير المسلمين من ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٩٤، دار الوفاء بالمنصورة ط/ ٣، ٢٠٠٤م.

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٢٢١ لسنة ٢٠٠٥ المتضمن الأسئلة الآتية:

مسألة فى الزكاة

● السؤال من السيد / ح.ح يقول : نحن نعيش فى إحدى قرى مصر ويوجد بين الناس من هو غنى ويشارك الفقراء من الفلاحين على الماشية، وقد يصل عدد الماشية التى يشارك عليها ذلك الثرى إلى المئات. فهل على هذه الماشية زكاة حيث يعتقد البعض أنه ليست عليها زكاة، بل يعمد البعض إلى المشاركة اعتقاداً منهم بخلوها من الزكاة؟ وماهو النصاب والمقدار الذى يخرجه إذا وجبت فيها الزكاة؟

●● الجواب : الزكاة شعيرة فيها معنى التكافل وتطهير المال، ولكنها قبل ذلك عبادة قائمة على الاتباع : فتجب فى أموال مخصوصة، بشروط مخصوصة، بنسب مخصوصة، لتنفق فى مصارفها المخصوصة، وقد بين الشرع الشريف ذلك كله بياناً واضحاً، ومن شروط وجوب الزكاة فى بهيمة الأنعام أن تكون سائمة، أى أن يكون طعامها من الكلأ المباح ولا يتكلف صاحبها علفاً ولا سقياً لها، فإن تكلف لها العلف والسقى فلا زكاة فيها، مهما بلغ عددها أو قيمتها، لحديث أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «وفى صدقة الغنم فى سائمتها» رواه البخارى وغيره.

ومشاركة الثرى للفلاحين فى الماشية إما أن تكون على سبيل التجارة أو من قبيل المستغلات، والفرق بينهما : أن التجارة هى أن تشترى لتبيع لتربح، من غير أن يتخلل ذلك عنصر الصناعة أو الإنتاج أو الاستغلال، أما المستغلات فهى الأموال التى لم تتخذ للتجارة فى أعيانها ولكنها تتخذ للنماء، فتغل لأصحابها كسباً بتأجير أعيانها، كالشقق والسيارات، أو ببيع ما يحصل من إنتاجها، كالمصانع وشركات التعمير التى تشترى الأراضى وتعمرها لتبيعها وحدات سكنية، وكبهيمة الأنعام التى تتخذ لبيع لبنها وصوفها وتسمينها وبيع نتاجها، فما كان على سبيل التجارة فزكاته عروض التجارة التى تحسب بضم رأس المال إلى الأرباح عند تمام الحول القمرى بعد طرح الأصول الثابتة (الجدك) والخصوم المتداولة (الديون) ويخرج من الناتج ربع العشر.

أما المستغلات فالذى عليه الفتوى أنه لا زكاة فيها، وإن كان بعض الفقهاء المعاصرين - ممن يميلون إلى توسيع نطاق الأموال التى تجب فيها الزكاة - يرون الزكاة فيها، إلا أننا نرجح الوقوف عند مورد النص فى ذلك، تغليباً لمعنى الاتباع فى الزكاة، ولأن الأصل براءة الذمة مما لم يرد النص بإيجاب الزكاة فيه.

وعلى ذلك فإن كانت مشاركة الثرى للفلاحين فى الماشية لأجل التجارة فيها بشرائها وبيعها بأعيانها من غير استغلال لها بتسمين أو حلب أو أخذ صوف أو جلد أو تأجير ففيها زكاة عروض التجارة بحسب ثمنها وربحها وقت تمام الحول ثم إخراج ربع العشر عنها، وإن كانت المشاركة لاستغلالها بشىء مما ذكر أو علفها وسقيها ثم بيعها بعد ذلك سمينة فلا زكاة فيها.

والله سبحانه وتعالى أعلم



وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

● السؤال من السيد أ. م يقول فى سؤاله : نذر شخص نذراً لله تعالى إن حقق له حاجة أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر تقت حاجته والحمد لله وواظب

على الصيام خمس سنوات، ولكنه يشعر بالتعب والإرهاق ويريد أن يكفر عن هذا النذر. فهل يجوز له أن يكفر عنه، أم يداوم على الصيام برغم التعب والإرهاق؟

●● الجواب: يجب على المسلم إذا نذر لله - تعالى - شيئاً أن يوفي بنذره على الوجه الذي التزمه، لقوله تعالى:

﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾

(الحج: ٢٩)

فإذا نذر شيئاً ثم عجز عن أدائه لوقوعه في حرج في دينه أو بدنه أو ماله أو في ذلك ممن يعولهم فيجوز له أن يكفر عنه كفارة يمين بأن يطعم عشرة مساكين من أوسط طعامه أو يكسوهم، فإن عجز عن ذلك أيضاً صام ثلاثة أيام، لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كفارة النذر كفارة اليمين» رواه مسلم.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من نذر نذراً لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً في معصية فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذراً أطاقه فليف به» رواه أبوداود.

وذلك لأن الشريعة المطهرة مبنية على السعة ورفع الحرج، فكلما ضاق الأمر على المكلف اتسع له بالرخص والكفارات والعفو، قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج: ٧٨)

وقال سبحانه:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الدين يسر» رواه البخاري.

وعليه وفي واقعة السؤال: فإنه يجوز للسائل أن يكفر عن نذره بكفارة يمين ولا يجب عليه الصيام مع تعبه وإرهاقه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

توقيت الفجر صحيح

● السؤال من السيد/ ص. ص. م يقول في سؤاله: أرجو بيان القول الفصل في وقت صلاة الفجر، حيث إنه دار جدل واسع حول الوقت الصحيح، فبعضهم يقول إن التوقيت الذي نصلي فيه الآن غير صحيح والتوقيت الصحيح بعد هذا الوقت بحوالي نصف ساعة.

●● الجواب: بل التوقيت الحالي صحيح يجب الأخذ به، لأنه ثابت بإقرار المتخصصين، وليس للأفراد أن يأخذوا بما يخالف ذلك حتى يقره المتخصصون وتستقر عليه اللجان العلمية، ولا ينبغي إثارة أمثال هذه المسائل إلا في الغرف



العلمية المغلقة التي يخرج بعدها أهل الذكر فيها من الفلكيين وعلماء الجيوديسيا بقرار موحد يسير عليه الناس، لقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

(النساء: ٨٣)

وما لم يحصل ذلك فالأصل بقاء ما كان على ما كان، لأن أمر العبادات الجماعية المشتركة في الإسلام مبني على إقرار النظام العام بجمع كلمة المسلمين ورفض التناولات الانفرادية العشوائية للشعائر العامة، وفي مثل ذلك يقول المصطفى ﷺ: «الفطر يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحي الناس» أخرجه الترمذي وصححه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الصلاة خير محل للذكر والدعاء

● السؤال من السيدة/ هـ. ع. ع تقول: عندما أسمع الأذان لا أصلي بعد انتهاء الأذان صلاة نافلة، ولكن أنتظر حتى الإقامة وأقضي ذلك الوقت في الاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ لأنني سمعت أن الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب. فهل ما أفعله صحيح؟

●● الجواب: لا بأس بهذا التصرف مالم تكن هناك سنة راتبة قبلية مؤكدة للصلاة المكتوبة كما في العصر والمغرب والعشاء، لأن النبي ﷺ جعل الأمر في ذلك على السعة حيث علقه بالمشيئة في قوله عليه الصلاة والسلام: «بين كل أذانين صلاة» قاله مرتين، وقال في الثالثة: «لمن شاء» متفق عليه، والمراد بالأذانين هنا: الأذان والإقامة.

أما إذا كان للصلاة المكتوبة سنة راتبة قبلية مؤكدة - كما في الفجر والظهر - فالاشتغال بها أولى من الاشتغال بغيرها من العبادات والأذكار، لأن هذا هو المأثور عن النبي ﷺ، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح» رواه البخاري.

فالسنة أن يشتغل المسلم عقب الأذان بالصلاة على النبي ﷺ وسؤال الله له الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود ثم يدعو بما تيسر، ثم يؤدي السنة الراتبة القبلية، فلكل مقام مقال ولكل وقت عمل، والاهتمام بواجب الوقت من المقاصد الشريفة التي راعتها الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى أن الجمع أولى من الترجيح، فالصلاة هي خير محل للذكر والدعاء والصلاة على النبي ﷺ.

والله سبحانه وتعالى أعلم



الأمثال سبيلنا إلى الامتثال

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

في عدد «ربيع الأول من مجلتنا الغراء «الأزهر»، وفي إطار احتفالها بمولده ﷺ ذكر الأستاذ «عادل رفاعي» في مقاله «الأمثال في حديثه ﷺ».. ذكر كيف كانت الأمثال في طليعة الأساليب التي تبلغ مكمن الإقناع في قلب الإنسان.

وكان من بركة هذا المقال أن حرك في قلبي الرغبة لأسهم في بيان كيف كان المثال طريقا إلى الامتثال. كيف كان وسيلة فعالة في إلزام المدعوين كلمة التقوى؟

وكانت هذه الصفحات:

من قبل عرف الأعداء أن سر قوتنا في هذا القرآن العظيم.. فكادوا له كيداً.

هذا الكيد الذي انتهى بعجزهم عن إقصائه عنا أو عن إقصائنا عنه.. فقالوا ما حكاه القرآن عنهم:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾

(فصلت: ٢٦)

ومن هذا اللغو: تعجب المعاندين لما نزل قوله عز وجل:

﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ ﴾

(العنكبوت: ٤١)

وقوله تعالى:

﴿ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾

(الحج: ٧٣)

وعندئذ نزل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة: ٢٦)



ومن معاني ذلك: أن الله - عز وجل - هو الخالق.. فهو تعالى يقسم بما يشاء من خلقه.. ويضرب الأمثال بما شاء منه سبحانه.

ثم إن ضرب المثل بالبعوضة أبلغ؛ لأن البعوضة صغيرة، فهي دقيقة التركيب.. لا يخلقها على هذا النحو إلا القادر سبحانه. وإذن.. فهي أدل على عظمة الخالق سبحانه من خلق «الفيل» ومن خصائصها: أنها لو جاعت.. عاشت، ولو شبعت ماتت، وهكذا طلاب الدنيا، حتفهم في بطونهم!!

وكأنما الآية الكريمة دعوة إلى الاعتبار: فإن كل مكونات الحياة في الفيل.. هي في البعوضة بل إن البعوضة تزيد على «الفيل» عضوين فاعتبروا يا أولي الأبصار.

معنى المثل

هو قول: شبه مضربه بمورده، ومضربه هو: الحال المشبه، ومورده هو: الحال المشبه بها.

مثل قوله عز وجل:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾

(البقرة: ١٧)

«ظاهرة الرعد والبرق يفسرها علماء الطبيعة بأنها نتيجة اتحاد كهرباء السحاب الموجبة والسالبة»

ب ـ كقولك عن رجل داهية: (يعرف من أين تؤكل الكتف)

جـ ـ وتقول عن رجل أضاع أمرا كان طوع يده، ثم جاء يطلبه بعد فوات أوانه.. تقول:

«الصيف ضيعت اللبن» شبه مضربه بمورده؟

ومورده: أن امرأة تزوجت شيخا موسرا. ثم طلبت الطلاق في الصيف وتزوجت شابا فقيرا.. فجاءت تستسقيه اللبن فقال لها: «الصيف ضيعت اللبن»

ومن معاني المثل: أنه (الكلام البليغ، الشائع، المشهور، لحسنه واشتماله على الحكمة)

ومعنى المثال: اسم: من ماثله مماثلة: إذا شابهه والمَثُلة والمُثْلة: العقوبة.

معنى المثل والمثيل: الشبيه، نفس الشئ وذاته. والجمع: أمثال.

ويوصف به المؤنث والمذكر، والجمع. فيقال: هو، وهي، وهما، وهم، وهن: مثله.. وفي التنزيل:

﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾

(المؤمنون: ٤٧)

ومعنى الذات:

﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾

(الأنعام: ١٢٢)

يعني: كمن هو، وإذا قلنا: «مثلك من يعرف الجميل»

فالمعنى: «أنت من جماعة شأنهم كذا.. ليكون أثبت للأمر إذا كان له فيه أشباه وأضراب..

ولو انفرد هو به لكان انتقاله عنه غير مأمون. وإذا كان له فيه أشباه: كان أحرى بالثبوت والدوام وعليه قوله.

(ومثلي لا تنبو عليه مضاربه) «المصباح المنير»

أهميـــة المثـــل

قال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثال فى القرآن، تذكيراً، ووعظا.

فمـا اشتمل منها تفاوت فى ثواب أو على إحباط عمل، أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على الإحكام. (1)

ولا تقتصر وظيفة المثل على هذه الفوائد، ولكن يضيف العلماء إلى ذلك: الحث. والزجر. والاعتبار. والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس. (2)

قال الاصبهانى: لضرب العرب الأمثال.. واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفى فى إبراز خفيات الدقائق. ورفع الأستار عن الحقائق: تريك المتخيل فى صورة المتحقق، والمتوهم فى معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد.

وفى ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة.. وقمع لضراوة الجامح الأبى.. فإنه يؤثر فى القلوب ما لا يؤثر وصف الشئ فى نفسه.

ولذلك أكثر الله – تعالى – فى كتابه وفى سائر كتبه الأمثال.

ومن سور الإنجيل سورة تسمى: سورة الأمثال وفشت فى كلام النبى وكلام الأنبياء والحكماء. (3)

وقد أخرج البيهقى عن أبى هريرة: قال « قال رسول الله ﷺ: إن القرآن نزل على على خمسة أوجه، حلال. وحرام. ومحكم. ومتشابه. وأمثال. فاعملوا بالحلال. واجتنبوا الحرام. واتبعوا المحكم. وآمنوا بالمتشابه. واعتبروا بالأمثال

ولقد امتن الله تعالى علينا بالأمثال فى قوله سبحانه:

﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾

(إبراهيم: ٤٥)

وقال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

(الزمر: ٢٧)

وقال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٣)

وقد عده الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال:

(ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه)

ومن هنا نستبين أهمية ضرب المثل للداعية الراغب فى الوصول بمعانيه إلى قلوب الناس، فإن الأمثال تصور المعانى بصورة الأشخاص لأنها أثبت فى الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس.

(1) الإتقان ٢/١٣١، ط الحلبى.
(2) المرجع السابق.
(3) المرجع السابق.

طبيعـــة المثـــل

هو جزء من حياة الجماعة بكل تقاليدها وعرفها. وعاداتها ومن ورائها، الخبرة والذكاء.. والروح المرحة

ثم هو يحمل خصيصة اللغة العربية وهى الإيجاز وفى الإيجاز توفير للطاقة والوقت.. ثم إنه احترام لعقل الإنسان..

الفرق بين المثل والحكمة

أما الحكمة فهى جملة محبوكة الصياغة. جميلة التركيب.

مضمونه على تجاريب الإنسان.

ومن أهم خواص المثل:

الإيجاز. وجودة العبارة وأن يكون فيه نوع غرابة.

قال أبو عبيدة: «اجتمع فى المثل ثلاث خلال»:

- إيجاز اللفظ.
- وإصابة المعنى.
- وحسن التشبيه.

قال الفارابى:

«المثل ما ترضاه العامة والخاصة فى لفظه ومعناه.. حتى فاهوا به فى السراء والضراء».

يقول الزمخشرى:

«ولم يضربوا مثلا.. ولا رأوه أهلا للسير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه».

وقد شُغل الناس بفن المثل عن المثلات.. أى: عن الاعتبار.

ومن دلائل أهمية المثل قوله عز وجل:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٣)

فالأمثال فى دقتها وحكمتها بحيث لا يدرك مراميها إلا العالمون.. حتى قال واحد من الصالحين:

(إذا نظرت إلى المثل ولم أفهمه.. بكيت! لماذا؟ ثم تلا هذه الآية الكريمة..

وظيفـــة المثـــل

للمثل مجموعة من الوظائف تجعل منه وسيلة من وسائل البيان.. منها:

- تشبيه الخفى بالجلى.
- والغائب بالشاهد.
- والمتوهم بالمتيقن.

فإذا بك ترى الحقيقة فى أجلى صورة.. والمعانى الكثيرة فى الكلمات القليلة.

ومن وظائفه:

- تزيين الكلام إغراء بالإقبال عليه. ثم وفى النهاية قبوله.
- الحث والتقرير وتجسيد المعانى.
- للتذكير والاعتبار

وإذن.. فالمثل: ملتقى كل الأذواق. والتى تلجأ إليه لما له من فوائد.. ولا يكون جديرا بهذا الإسم إلا من استجمع خصائصه.

قصة العدد

فجائع لا تزال تتكرر

جلاد الشيطان



بقلم: الكاتب الكبير

الأستاذ / أحمد حسن الزيات

(رئيس تحرير مجلة الأزهر سابقاً)

-١-

كان أهل القرية يسمونه (البحبوح) لأنه كان غيثاً من الكرم يصيب الأيادى المنكودة، ونسيماً من المرح ينعش الأجسام المجهودة، وشعاعاً من البهجة يغمر النفوس المظلمة. كان ابتسامه الدائم يفيض على وجهه البرنزى إشراقاً من الروح العذب يجعله أقرب إلى البياض المشبوب. وكانت نكته على طرف لسانه يرسلها فى المناسبة الجميلة فتفجر الضحك من الصدور الكظيمة، حتى وصفوه بأنه يضحك حجارة القبر!

كان جميل الهندام، يلبس الجلباب الأنيق المحكم على صدار من الشاهى أو الجوخ قد زر لفقيه صف منضود من الأزرار الحريرية، ويضع على رأسه طاقية من القماش الأبيض المخرم قد أمالها قليلاً إلى الجهة اليمنى من رأسه. ويجعل فى يديه المطرزتين بالوشم الأزرق خاتماً من الفضة البيضاء والعقيق الأحمر. أما قدماه فكانتا حافيتين فى الغيط، ناعلتين فى القرية. وهو على أية حال كان مثال الظرف للشباب، ونموذج للفتوة فى البلد.

كان المهدى - وهذا هو اسمه - ممشوق القوام، مجدول العضل، جرىء الصدر، شهم الفؤاد، لا يتأخر عن الصف الأول فى كل ما يصيب القرية من أمراض ومآتم ومعارك، فكان رابع ثلاثة من أقرانه اشتركوا فى زعامة القوة، وانفرد كل منهم بموهبة من المواهب النادرة تجعله رجل وحده. فالمهدى يجيد الزمر فى الأرغول، وأحمد يتقن غناء المواويل الحمر، وحسن يحذق النقر على (الدربكة)، وعلى يدير حفلات الأنس وغزوات الليل. وتقسموا على هذه المزايا هوى الشبان وإعجاب الشواب، فكان لكل منهم حزب من الجنسين يتعصب له ويهتف به وينقاد إليه، فى غير وقاحة تسقط حياء الفتيات، ولا خصومة تكدر صفاء الفتيان.

كانوا يدخنون الحشيش لا لأنه حكم من أحكام (الكيف) ومرض من أمراض العادة، ولكن لأنه كان فى زمنهم من صبوات الشباب ونزوات الفتوة. وكانوا هم وأتباعهم يسرقون القطن ليلاً من حقوله، لا لأن السرقة فيهم أثر من لوم الفطرة، بل لأن قوى الشباب الجياشة كانت تحتدم فى رءوسهم وتصطدم فى نفوسهم فلا يجدون لها متنفساً ولا مفيضاً إلا هذه الغزوات الليلية يتحدون فيها يقظة الحراس وسطوة الحكومة.

كانت المزرعة البعيدة من مزارع (الأمير طوسون) تمسى وهى بيضاء تتألق بلوز القطن المتفتح كما تتألق السماء الصافية بالكواكب الزهر، ثم تصبح وهى سوداء كأنها الأرض بعد الجراد أو الدار بعد الحريق. فيرغى (التفتيش) ويزبد، ويبرق (المركز) ويرعد، ودار المهدى تغنى وترقص، وقد أولمت (للجدعان) الذين قضوا ليلهم فى العمل الجرىء وليمة سخية لا يقدم فيها غير الحلاوة الطحينية على الصوانى وفى الأناجر، ثم يخرجون بعد المأدبة إلى ضفاف الترعة الجارية فيناموين على بساط النجيل، تحت الصفصاف الظليل، يفعمهم عبير الفلية والسعد، وينفحهم نسيم أكتوبر المنعش وقد خلص من حرور الصيف إلى فتور الخريف. ثم يستيقظون على أنغام الناى الحنون يرسلها المهدى فى الفضاء الصافى فتمتزج بأغانى القرويات الجميلات وهن يقطفن فى أحجارهن لوزات القطن العزيز.

كان الناى أو الأرغول للمهدى كاللسان للشاعر أو الحنجرة للبلبل، ينفخ فيه روحه، ويصور به عواطفه، ويرسل منه رسائله، ويفعل به ما يفعله كوبيدون بسهمه، فهو فى النهار الروح الطروب الهائم فى هبات النسيم، يرفه عن اللاعبين فى استراحة الطنبور، أو ظهيرة الحراث، أو وحشة الساقية، وفى الليل رسول الطرب المتبوع فى حفلات الأعراس، يجتمع هو ورفاقه الثلاثة فى دار العريس فيجتمع عليهم نساء البلد ورجالها وأطفالها يتمتعون بنغمات المهدى، ورقصات على، ونقرات حسن، ومواويل أحمد.

وكان الفتيات الناهدات يتكدسن فى دهليز الدار يتوسمن الوجوه الراغبة أو الخاطبة بعيونهم العسلية الحالمة، وكنا نندس بينهن ونحن صغار فنسمع من بين شفاههن اللعس ذلك الإعجاب المتردد الهامس بأولئك الذين يدخلون السرور فى كل قلب، ويبعثون الإعجاب فى كل نفس، ويقذفون الرعب فى كل مكان خارج القرية. وكان المهدى على الأخص غرض الأنظار المسددة،

وموضوع الأحاديث المرددة. وبغية كل فتاة منهن أن يكون خاطبها الموعود ورجلها المنتظر.

لم يكن المهدى قارئا ولا كاتبا، ولكنه كان خيرا من القارىء والكاتب.

كان يحسب قطنه قبل أن يضربه الوزان، ويكعب أرضه قبل أن يقيسها المساح. وكان يحل الألغاز ويقسم الميراث ويعلم من الشئون العامة ما لا يعلمه الشيخ عبدالجبار معلم القرية. جمع فى بيته مكتبة صغيرة من سيرة أبوزيد الهلالى وقصة عنترة ابن شداد وكتاب فى المواويل وآخر فى الفوازير والنكت، ثم كان يلتمس المتقدمين من صبيان الكتاب، أو المبصرين من فقهاء البلد، فيقرأون له ولرفاقه فى هذه الكتب حتى حفظ الأشعار والأخبار عن ظهر قلب. وأذكر - وما أجمل ما أذكر - أنى كنت أحب قرائه إلى نفسه. ولولاه لما امتلأ ذهنى الصغير بمعانى الشعر وأساطير العرب وأناشيد البطولة.

٢.

نزحت إلى القاهرة فى طلب العلم. ثم كنت فى الصيف أعود إلى القرية فأنسجم فى حياتها، واختلط بينيها وبناتها، فأغسل دمى بهوائها الطهر، وأجلو شعورى بجوها المستنير، وأهدهد أحلام مستقبلى فى مهد الطفولة.

ففى ذات صيف لاحظت أن بالمهدى مسحة من هزال لا يعللها مرض.

ورأيت أنه قليل الدعابة كثير الوجوم، يطرق إطراق المهموم ويذهل ذهول الشاعر، وأعجب أمره أنه آثر الأرغول على الناى، ومال عن سير الحرب إلى أقاصيص الحب، وهجر مجالس الفتوة، وحافظ على الصلوات الخمس فى أوقاتها وراء الإمام. فسألته ذات يوم وقد جاءنى بعد انصراف الناس يسألنى عن الكتاب الذى يجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر منشد قصة المولد.

● مالك يا مهدى تغيرت بعض التغير؟ أبك علة؟ ألك حاجة؟

فأجابنى وقد استراح إلى موضوع الحديث كأنما أصاب به نفسا من كربه:

●● علتى «ريّا»، وحاجتى هى!

● ريا؟ أتحبها؟

●● أموت فيها!

● ولم لا تخطبها إلى أهلها؟!

●● يقول أبوها إننى أسرق غيطان الناس وأتعاطى الحرام ولا أصلى.

● وماذا ترى أن تفعل؟

●● لا شىء سيتركها خاطبوها إلىّ، وسيغير أبوها بالطبع رأيه فىّ.

***

أنا أعرف ريّا! وهل فى قريتى الصغيرة من أجهله حتى أجهل ريا؟

كانت وحيدة أبيها الحاج حسين، فطبعها على الدلال، ونشأها على الدعة، ووسع لها فى الثياب والزينة، وأعفاها من أكثر عمل الغيط والبيت، فشبت على أخلاق المترفين عزوفة النفس مرهفة الحس واهنة الأعصاب رقيقة البدن، ولكنها كانت على الغاية من ملاحة الشكل وصفاء البشرة وعذوبة الروح وسحر الملامح. وأبلغ آيات الجمال

فيها عينان ساجيتان وأهداب وطف ينبعث منها فى القلوب ما لا تستطيع اللغة أن تسميه ولا العلم أن يصفه. فإذا خرجت ساعة الأصيل فى أترابها الجميلات يحملن الجرار إلى النهر أو من النهر، ميزتها فى مقدمة السرب بقدها الممشوق اللدن، ومشيتها المختالة الموزونة، وخلخالها الفضى اللامع من خلال ذيلها الهفهاف، وجرتها المائلة فى أناقة إلى يمين رأسها كأنها طاقية المهدى، فلا يسعك إلا أن تصدق ما يقولون من أن أباها يضن بها على الفلاح الذى يبتذل جمالها فى إدارة الطنبور وخدمة الماشية.

***

● وكيف تلقاها يا مهدى ورأى أبيها فيك هذا الرأى؟

●● ألقاها كل يوم وهى تسقى الجاموسة من الترعة، تتركها تبترد فى الماء ثم تجلس إلى تحت شجرة التوت فنتساقط أعذب الأحاديث من غرام وشكوى، وأصحبها وهى ذاهبة على حمارها الأسود الفاره، تحمل الغداء إلى أبيها فى غيطه البعيد، حتى إذا قاربناه جلست على حوض الساقية أتعقبها بنظرى حتى ترجع فأعود معها إلى القرية. وفى بعض الأيام يذهب أبوها إلى السوق فأقضى معها ومع أمها ذلك اليوم السعيد، لا يكل النظر المثبت فى النظر، ولا يفتر الحديث المتصل بالحديث، ولا نشعر بالمكان الذى يحصر، ولا بالزمان الذى يمر، ولا بالموعد الذى يقترب.

وربما ظلت النهار كله مع أبيها فى المزرعة تضع بذور القطن فى الأرض، أو تنثر حب الذرة وراء المحراث، أوتنقى غلة الرز فى وسط الماء، فلا أستطيع أن أراها، فأحاول أن أخفف برحاء الشوق عن قلبى العميد بالنظر إلى حمارها وهو يتمرغ فى الحارة، أو إلى كلبها وهو رابض على عتبة البيت، أو إلى عجلتها وهى تمشى متئدة أمام أمها إلى الترعة.

أرجو ألا تضحك! إن حب ريا قد صور لى الأشخاص والأشياء على غير الصور التى تراها، فأنا حقيقة أرى حمارها أجمل الحمير، وكلبها أظرف الكلاب، وجاموستها ألطف الجاموس! إن فى كل أولئك شيئا منها لا أعرفه. ولو كنت تعلمت لعرفت..!

لقد أحببت غير ريا، ولكنه كان حبا غير هذا الحب، لم يتعد السطح ولم ينفذ إلى ما وراء الإحساس فلم يتغير فىّ عادة ولا صفة. أما حبها فقد خلقنى خلقة أخرى. حتى لألتمس المهدى القديم فى إهابى فلا أجده. أصبحت لا أميل إلى غزو الليل، ولا أرغب فى لهو النهار، ولا أفكر فى غير الخير. وفى بعض الساعات والخلوات أشعر أن فى رأسى عالما عجيب الألوان غريب الصور تموج فيه الزهور وتطوف به العرائس، فأستغرق فيه استغراق الطفل فى «صندوق الدنيا»، وأحس سيلا من المعانى ينهمر على لسانى فأحاول الكلام فلا يعبر، وأجرب الغناء فلا يجدى، وأجد الأشعار التى حفظتها من عنترة وأبوزيد لا تصور ما فى خيالى ولا تنقل ما فى خاطرى. ولذلك جئت أسألك عن الكتاب الذى أجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر المغنى فإنها أقرب إلى ما أريد.

***

لا تظن يا سيدى أنى أزور لك كلام المهدى على عادة الكتاب لطرد الحديث على أسلوب واحد.

الحق أن المهدى كان بذكائه وعقله كاتبا لا ينقصه إلا القلم، وبخياله وحسه شاعرا لا يعوزه إلا القيثار. هذه هى معانيه لم أنقص منها ولم أزد عليها، ولو كنت أذكر اليوم ألفاظه لما ترددت فى تسجيلها.

انصرف المهدى عنى وغاب فلم أعد ألقاه عندى ولا أراه عند غيرى. فسألت عنه ذات يوم رفيقه أحمد صاحب الصوت الأبيض والموال الأحمر، فقال وهو يبتسم فى خبث ويشير فى يأس:

● أوه! إنه لا يكاد يفارق ريا ولا أهل ريا.

يعمل مع أبيها فى الغيط، ويكاد يعمل مع أمها فى المنزل. وهو الذى يسقى الجاموسة ويعلف الحمار ويرعى شئون الأسرة.

●● إذن قبل أبوها أن يزوجها منه؟

● نعم، قبل بعد أن تحقق أنه ترك الحرام وعزف عن اللهو وعكف على العبادة وأخذ عهدا على السيد التصبى. وهم الآن يرصدون الأهبة لحفلة العقد، ويعدون العدة لزفة الزواج.

٣.

بيع القطن ومسحت على الجيوب الفارغة يد قارون. ومست الشبان الأعزاب مواس الهوى فذهب كل منهم يسمى لأهله البنت التى ضفر لها (الضفائر)، واشترى لها (الغوايش)، وأهدى إليها (الحلاوة)، وأخذ الشيخ عبدالوهاب مأذون القرية ينتقل من دار إلى دار وتحت إبطه دفتره العريض وفى حزامه دواته النحاس، يعقد العقد ويأخذ المنديل ويشرب السكر ويسمع طلقة البندقية التى تعلن عقد الزواج للفتيات المنتظرات حين يقول للعريس: «بارك الله لك فيها»، وأقبل الزمار الصيت (أبوسعد) بطبوله ومزاميره ومهرجيه، فلبث فى القرية الساكنة أسبوعين جعلها فيهما صورة صغيرة من (مولد السيد). وتساءل الوافدون على الأفراح: أين المهدى؟ لم يظهر فى زفة من الزفات، ولم يسهر فى سامر من السوامر! وكان العرف الجارى أنه هو الذى يقاول (الطبل)، ويهندم العريس، وينظم الزفة، ويقترح الأدوار على (أبوسعد)، ويرسم لموكب الزفاف لزائط مكان الوقوف وزمان الحركة. ولقد تحدثت المصاطب منذ شهرين أن زفاف ريا إلى المهدى سيكون افتتاح الموسم، وأن شعراء (الربابة) ومنشدى المواويل، ولاعبى البرجاس، وضاربى (الحطب) سيتقاطرون على البلد يؤدون إلى المهدى بعض ما أولاهم فى سالف العهد من أياد وصنائع.

● هل عندك يا على خبر عن المهدى؟ هل هو مريض؟

●● هو فى أمان الله، ولكن ريا هى المريضة.

● منذ كم؟

●● منذ شهر.

● وماذا تشكو؟

●● يقولون إنها (معذورة)، فهى لا تتكلم، ولا تبتسم، ولا تشتهى الطعام، ولا تذوق الكرى، وقد عدتها بالأمس فوجدتها مسبوتة على الحصير، زائغة البصر، ساهمة الوجه، ترفع يدا وتضع أخرى. ثم تبكى من غير سبب، وتنتفض من غير حمى، ويدركها الذهول حينا فتغمض عينيها ولا تتحرك. وكانت أمها على رأسها تروح عليها، والمهدى بجانبها يذب عنها، وأبوها أمام الحجرة يدخن فى تفكير وحزن. فسألت أمها:

● كيف حال ريا اليوم؟



●● كما ترى. ولقد ذهبت اليوم ومعى منديلها إلى الشيخ فرج، فقاس الأثر وفتح الكتاب، ثم قال إنها ألقت ماء بالليل أمام الفرن ولم تبسمل، فوقع على أطفال من الجن فركبها أبوهم. ولقد كتب لها حجابا كبيرا حملناه إليها فحملته، ورسم بالحبر أشكالا فى طبق ثم محاها بالماء وسقيناها إياه فشربته، ولكن ريا لا تزال ذابلة ذاهلة، لا يطمئن بها فراش، ولا يسكن لها عصب!

● ولماذا لاتطلبون لها الشيخ عبدالجبار؟

●● لقد فكرنا فى ذلك.. وسيذهب المهدى بعد صلاة العشاء يدعوه.

***

والشيخ عبدالجبار هذا ضرير فى حدود السبعين نحيل البدن لاصب الجلد، ولكنه ممسور الجسم متين العصب. كان شيخ (الفقهاء) ومعلم الصبيان فى القرية. وقد تنفس به العمر حتى ربى جيلين من رجالها - فكان يتمتع لذلك بنفوذ واسع واحترام عظيم. وكان وافر اللب شديد الدهاء رزين الطبع، ثم أكسبته مزاولة التعليم على الأسلوب القديم سلاطة اللسان وخشونة اليد وقساوة القلب، فقلما تخرج من كتابه متخرج دون أن تصاحبه عاهة فى بدنه. لقد كان يضرب الصبى بالجريدة حتى يفقد الوعى. ثم يتركه لأنه تعب لا لأنه أشفق. وكان إذا تهدد أو توعد ظهر غضبه المتسعر فى مقلتيه الجاحظتين على رغم انطفائهما، فلم أر أعمى يؤثر بعينيه غيره. وكانوا يسمونه (جلاد الشيطان) لأن الجن الذين يركبون الجميلات كانوا يرتدعون خوفا من طلعته. وليس الجن وحدهم هم الذين كانوا يرهبونه، فقد كنا وكان الصبيان إذا مر الشيخ عبدالجبار فى زعبوطه الأسود، يده على كتف قائده، ورأسه الدقيق غائب فى عمامته الضخمة، وخده الشاحب مصعر للناس، وأذنه المنصوبة مرهفة للغط الطريق، وقفنا صامتين راهبين كأن جنازة تمر!

٤.

لقد كنت وأسفا من شهود هذا الحادث الفاجع، فأنا أقصه عليك كما حدث. لايزال على طول العهد حيا فى ذاكرتى رهيبا فى نفسى كأنه وقع أمس، والحوادث اليسيرة تجد خلودها فى أعماق الحافظة الصغيرة. فكيف بالحادث الجلل؟

جاء المهدى بالشيخ عبدالجبار بعد صلاة العشاء إلى ريا. وأقبل أهل الحارة ومن سمع من رجال القرية إلى البيت الحزين القلق يساهمون فى الرجاء والدعاء والأسف. فملأوا الحجرة وشغلوا الدهليز وسالوا خارج العتبة. وكانت ريا ساهمة كأنها صورة الحلم الهنيء. فلما دخل الشيخ عليها حملقت بعينيها ثم صرخت صرخة شديدة. فدمدم النساء آسفات وقال بعضهن لبعض: عرف جلاده ففزع! ليت ذلك كان من زمان!

جلس عبدالجبار عند قدمى ريا، وجلس بجانبه عريف الكتاب ومعه حزمة من جريد النخل المشذب المصقول مما يستعمله فى تأديب الغلاظ الشداد من «أولاد المكتب»، ودواة من الخزف الأخضر، وقلم من القصب الأبيض، وخرقة بالية معقودة على شىء. ثم أخذ يسألها سؤال العارف:

● ماذا بك يا ريا؟

●● لا شيء يا سيدنا.

فلما رأى سيدنا الصوت طبيعيا والجواب عاديا قال لنفسه وهو يسمع الناس:

● هيه! لقد هرب. ولابد من استحضاره.

ثم فك العقدة عما فى الخرقة فإذا هو فتات من اللبان والجاوى. ودعا العريف بموقد النار فوضع فيه البخور فملأ أرجاء الحجرة. حينئذ أخذ الشيخ يتلو العزائم بصوت يشبه الدمدمة فلا يكاد يتبين منه حرف. ثم كان يتحمس عند بعض المقاطع فيشتد ويحتد ويذكر بعض الأسماء الغريبة، حتى هيج دخان البخور وهمهمة الشيخ وازدحام الحجرة أعصاب المريضة المسكينة فاختلجت أطرافها اختلاجا أحسه الأعمى. فأمسك عن التلاوة وأمر برفع الموقد وأشار إلى عريفه أن يبدأ العمل.

تقدم العريف المجرب وتناول يدها اليمنى وكتب على ظفر إبهامها كلمة أملاها عليه الشيخ همسا. ثم كتب كلمة أخرى على ظفر السبابة، ثم على أظفار الوسطى والبنصر والخنصر. وفعل باليد اليسرى ما فعل باليد اليمنى. ثم تناول القدمين متعاقبتين فكتب على أظفارهما العشرة ما أملاه الفقيه عليه، ثم أعلن بعد ذلك جلاد الشيطان أنه حبس العفريت فى جسمها فلا يستطيع أن يخرج. وانقلبت سحنة الشيخ فجأة، فاربد وجهه، وجحظت عيناه، وغلى دمه، وصاح فى غلامه:

● جاد! هات (الفلقة)!

وجاء جاد بالفلقة فوضعها فى قدمى ريا مكان الخلخال الفضى اللامع، ثم شدها وأمسك من طرف وأمسك شاب آخر من طرف. واستل الأعمى الجريدة من الحزمة وبرك على ركبتيه وبصق فى يده، ثم انحنى على المريضة المنهوكة ضربا دراكا يهدم جسم الجان بله الإنسان!

كانت ريا تصرخ صراخا عاليا متواليا من الضرب الموجع، والقوم صامتون وفى سرهم الشماتة بالشيطان الذى يلتمس الرحمة فلا يجد، ويحاول الفرار فلا يستطيع.

تحطمت الجريدة الأولى فوقف عبدالجبار وأقبل بوجهه الضامر على ريا الضارعة وقال فى تهديد وحنق:

● هيه! قل لى ما اسمك؟

●● ؟

● أمؤمن أنت أم كافر؟

●● ؟

● قل لى من أى القبائل والفصائل أنت؟

●● ؟

● أتعاهدنى على تركها وأنا أسامحك وأطلقك؟

●● ؟

كان الأعمى يلقى هذه الأسئلة المتحدية على العفريت الأسير فى جسم، وريا تئن أنينا متصلا فى استرخاء وخفوت وضراعة، والقوم حولها ينتظرون إجابة الشيطان وأبصارهم شاخصة وأنفاسهم معلقة، والألسنة خارج الحجرة تتناقل صمته الغريب فى همس وعجب، والشيخ عبدالجبار يحدق بعينه البيضاء فى عين المصباح الخافت ويقول: يا سلام! ما رأيت أعند من هذا

الملعون! ياجاد! هات الجريدة الثانية!

وشد الفلقة جاد من جديد، وبرك الشيخ الجبار على ركبتيه من جديد، ثم شرع يدق القدمين النحيلتين دقا عنيفا بالجريدة الثقيلة! وهبت قوى الفتاة المذخورة تدافع الألم الممض بالصراخ الدامع والاستغاثة المبتهلة:

- أنا فى عرض النبى! أنقذينى يا أماه! أغثنى يا مهدى: أنا أموت! ليس علىّ شىء! آه!

لم يجد هذا الهتاف المؤلم سميعا من أحد، لأنهم يعتقدون بإخلاص أن المارد العنيد يخدعهم عن نفسه، وأن ريا الحقيقية النائمة فى غلاف من العفريت لاتدرى ولا تحس. وكلت يد الجبار من الضرب فحل محله شاب قوى. وتحطمت الجريدة الثانية والثالثة، وجلاد الشيطان يعيد الأسئلة بين فترة وفترة فلا يسمع إلا الجواب الطبيعى أو الأنين المستسلم.

وزاد عجب الناس من عناد الجنى الكافر، واشتد سخط المهدى على هذا الرجيم الذى غلبه على حبيبته، فتناول الجريدة الرابعة ووقف بجانبه الأعمى وقد كان يهمهم ويدمدم، وأخذ يلهب قدمى حبيبته المعبودتين بالعصا المضرسة المبرومة! وريا.. أوه! لا تسلنى حينئذ عن حال ريا. إن فى بعض مظاهر النفس ودلالات الملامح ما يقف أمامه البيان الإنسانى أبكم لاينطق، وعييا لايبين، وماذا عسى اللفظ العصى الجامد أن يصور لك حال ريا وقد فتحت الداميتين فوجدت المهدى - ملجأ فزعها ومرفأ دمعها - يصب على جسمها الناحل هذا العذاب؟

لم تعد ريا تصرخ ولا تستغيث، وإنما كانت تنتفض للضربة والضربة انتفاضة الملسوع. ثم ترسل مدامعها الغزار فى صمت، وتقلص شفتيها الرقيقتين فى مضض، ووقعت عين المهدى على هذا الوجه الشهيد المحتضر فاسترخت يده وارتمى على الأرض مستخرطا فى البكاء. فانتهر عبدالجبار هذا الضارب الخرع وتناول الجريدة وصاح:

● جاد! أعد نظرك فى الأظافر فلعل بعضها قد أمحت عنه الكتابة فيهرب.

ففحص العريف أطراف البنان المرسلة وأصابع القدمين الممزقة، ثم قال فى اطمئنان الواثق بعمله.

●● الكتابة سليمة يا سيدنا.

حينئذ أخذ الجبار يفكر فى عذاب آخر، ولكنه أراد أن ينذر به الجنى قبل تنفيذه. فزحف حتى بلغ رأس المريضة، ثم ألصق فمه بأذنها وأخذ يسار الجنى. ولكن ما باله ارتبك؟ إنه ولا ريب لاحظ كما لاحظ القوم أن ريا تنسم نسما لا يكاد لضعفه يدرك، وأن العفريت مهما عُذب لا يخمد هذا الخمود. فأحس الخطر وتوقع الكارثة. وأراد الخبيث أن (ينقذ الموقف) كما يعبرون فقال:

لقد وعدنى العفريت أن يشاور نفسه! فدعوه الآن هادئاً يفكر حتى يصبح الصباح!

***

وفى الصباح ذهب عبدالجبار وادعا يفتح الكتاب، وذهب أبوريا هالعاً يفتح القبر!

ومنذ ذلك اليوم المشئوم مات المهدى الذى عرفته فى أول القصة، وعاش فى جسمه المهدود مخلوق آخر لا هو شخص ولا هو شىء!

أُحِبُّ وأَحْتَقِرُ

للشاعر الأستاذ: أمجد الطرابلسي
وزير التربية والتعليم سابقاً بسوريا

أحبُّ الجبالَ الشامخاتِ كأنها ... على جبهةِ الدنيا تصولُ عواتيا
تضاحكُ من عصفِ الرياحِ وزأرِها ... وتحتضنُ السيلَ الحرونَ المُعاديا
وتلهو عن الزلزالِ وهو مُزمجرٌ ... يضجُّ ببطنِ الأرضِ غضبانَ واريا
وأحتقرُ الكُثبانَ تُرعِشها الصَّبا ... ويفزعها الإعصارُ إن مرَّ لاهيا
وتحملُها الأرياحُ أنى توجهت ... ألاعيبَ في أسفارِها وألاهيا

●●●

وإني لأهوى السيلَ ينحطُّ مُزبِداً ... ويدفقُ جيَّاشاً ويهدرُ صاخبا
عتيّاً على السدِّ المنيعِ يدُكُّه ... ويحملُه نحوَ السهولِ خرائبا
يمرُّ على العُشبِ الضعيفِ مُسامِحاً ... ويلتقفُ الدوحَ العنيدَ المغالبا
وتحقرُ عيني جدولاً في خميلةٍ ... يحوِّلُ طفلُ الحيِّ مجراهُ لاعبا
يُكدِّرُهُ حتى النسيمُ ملاطفاً ... ويُفزِعُه حتى فمُ الطفلِ شاربا

●●●

أحبُّ العُقابَ الجَوْنَ يختالُ في الذرا ... ويركبُ متنَ الجوِّ جذلانَ باسما
ويخترقُ الريحَ العصوفَ لقصدِه ... ولو حطَّمت من جانحيه القوادما
يموتُ ولا يشكو الجراحَ ولا ترى ... له آكلاً بين الأنامِ وهاضما
وأحتقرُ الورقاءَ تألفُ سجنَها ... وتبكي وما تلقى من الناسِ راحما
وهل غيرُ ضعفِ الوُرْقِ سوَّغَ حبسَها ... وصيَّرَ شدوا نوحَها والمآتما

●●●

وإني لأهوى نحلةً تدهمُ الرُّبا ... فتنهلُ من ثغرِ الزهورِ رحيقَها

ترشُفُ من كأسِ الأقاحي صَبوحَها ... ومن خمرةِ الوردِ النَّدى غَبوقَها
حَصانٌ تروعُ العاشقينَ بوخزِها ... إذا ما تمنَّوا لو يذوقونَ ريقَها
وتحقرُ عيني نملةً تألفُ الوَلى ... وتملأُ من بخسِ الفُتاتِ خُروقَها
تدبُّ على الأقدامِ هُوناً وذلةً ... وتسلكُ من تحتِ النِّعالِ طريقَها

●●●

أحبُّ شموخَ الدوحِ في رَبَواتِه ... يُجابِهُ هولَ العاصفاتِ ويثبُتُ
أبيّاً على حربِ الأعاصيرِ ظافراً ... تكُرُّ جموعاً حولَه فتُشتَّتُ
وإن خرَّ في الميدانِ بعدَ نضالِها ... تراها عليه نائحاتٍ تُصوِّتُ
وأحتقرُ الأعشابَ تحني رؤوسَها ... فتسلَمُ من رَيبِ المنونِ وتُفلِتُ
تدورُ مع الإعصارِ حيثُ يُديرُها ... ويلطِمُها هوناً فترضى وتسكُتُ

●●●

وإني لأهوى الليثَ يستعذبُ الطوى ... ويأنفُ أن يُدني إلى جيفةٍ يدا
يسيرُ أشمَّ الأنفِ مستكبِراً الخُطا ... فترجفُ البيداءُ إن راحَ أو غدا
ويَجبُنُه وحشُ البيدِ في حُرِّ وجهِها ... ولا يدري أعداؤه متصيِّدا
وتحقرُ عيني ثُعلباناً مخادعاً ... جَباناً خليعَ القلبِ يغدرُ بالعدا
يُصيبُ فُضالاتِ السِّباعِ وينثني ... ليشكرَ رزّاقَ العبيدِ ويحمدا

●●●

أحبُّ الفتى يفري الفلاةَ مُهجِّراً ... فلا يشتكي أيناً ولا يتظلَّمُ
إذا لذَعته الشمسُ سدَّدَ وجهَه ... إليها حديدَ الطرفِ لا يتبرَّمُ
ويمشي على الرمضاءِ مُتئداً الخُطا ... جليداً، ونيرانُ الرمالِ تضرَّمُ
وأحتقرُ نِكساً يستظلُّ بنيرِه ... ويخفضُ رأساً وهو شاكٍ يدمدمُ
تساوِرُه الأشباحُ في القفرِ رهبةً ... فيرعشُ منه القلبُ والطرفُ والفمُ

●●●

أحبُّ الفتى والغُلُّ يثقلُ عُنقَه ... وسيفُ الأعادي بين عينيه مُشهَرُ
يصيحُ بأعلى صوتِه ينكرُ الأذى ... ويضحكُ من بطشِ الطُّغاةِ ويسخرُ
ويشمخُ بالأغلالِ رأساً وإن غدت ... تحزُّ ومن أنيابِها الدمُ يقطرُ
وأحتقرُ الأحرارَ يحنونَ رأسَهم ... وليس عليهم سيِّدٌ أو مسيطرُ
إذا كان قلبُ المرءِ عبداً ورأيُه ... فقل لي - هُديتَ الخيرَ - ماذا تحرَّرُ

طائرٌ في الجنَّة وسفيرٌ فوق العادة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

هو جعفر بن أبى طالب ثانى قواد مؤتة، وغزوة مؤتة هكذا يسميها المؤرخون المسلمون وهذه التسمية تفيد أن المسلمين هم الذين بدءوا الحرب لكن الواقع أن هذه المعركة أو الموقعة لم تكن إلا دفاعا عن مبدأ دولى يجب أن يسود ويصان، وأن الخارجين على القانون لزم تأديبهم وأن الساعين فى الأرض فسادا مثل كل نبات متسلق ضار يجب أن يستأصلوا لأنهم قتلوا مبعوث النبى صلى الله عليه وسلم ومن اللافت للنظر الداعى إلى الانتباه، أن أصحاب المبادىء والمثل عندما يهبون للنجدة ويهرعون لإغاثة الملهوف قلما يفكرون فى خط الرجعة، بل كثيرا ما تراهم يدمرون بأنفسهم خطوط الرجعة ويقطعون جسور العودة، لأن نيل الهدف وتأسيس المبدأ هو الذى يسعون إليه.

وعلى النقيض من ذلك نرى قطاع الطرق واللصوص يحددون بدقة ويرسمون بوضوح طريق الهرب قبل أن يبدءوا الغزو أو النهب، ذلك قسم الله فى كلا الفريقين، كل ذو سلوك بل كل فى طريق لا يلتقيان أبدا، وكذلك قسم الله بين الإنسان والحيوان فكن على حذر من الحيوان ولا تأمنه إذا جاع، أما الإنسان فلا تأمنه وكن على حذر منه إذا شبع، هكذا، أودع الله فى كلٍ طبعه الذى هو عليه.

لقد كانت عدة جيش الروم مائة ألف وكانت عدة المسلمين ثلاثة آلاف فقط ويقال إنه جاء مدد للروم مائة ألف أخرى، وقد يهولك هذا التفاوت البيِّن بين القوتين فى العدد، فضلا عن العُدة والعتاد. لكن موازين القوة والغلبة تختلف اختلافا بيِّنا بين الطامعين اللصوص وبين أصحاب المبادىء وبين حملة الرسالة وبين قطاع الطرق.

فأصحاب المبادىء حملة الرسالة الداعين إلى الله الخارجين فى سبيله كل ما يعنيهم أنهم يهرعون عند النداء، لا يألون بشر ولا يخطر على بالهم غلبة أو غنيمة.. إنما الذى يشغل بالهم، أن يصلحوا اعوجاج البشر ويقوموا ويصوبوا ميزان العدل الذى انحرف، ويجب أن يرجع إلى الصواب، وذلك بعض ما يومىء إليه قوله - ﷺ - : «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه، إذا سمع هيعة طار لها»[1].. أما عبدة الدينار والدرهم فليس لهم فى ميدان الرسالات وزن أو نصيب.. وذلك قوله - ﷺ في الحديث نفسه: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش...»[2].

هكذا كان أصحاب الدعوة حملة الرسالة المحمدية، هكذا كان أصحاب بدر، كانت عدتهم ثلاثمائة وسبعة عشر فيهم فارس واحد، وبلا مدد منتظر أو عتاد متوقع محتمل يواجهون ألفا فى عتاد وعدة، ومدد منتظر إذا لزم الأمر، وهكذا كان أصحاب مؤتة.. قد تردد النفس هنيهة تردد الشريث الحصيف يقلب الرأى يبتغى أحسنه وأصوبه لا تردد الجبان يلتمس طريقا للفرار أو سبيلا إلى النهب والغلول[3].

لقد وقف أصحاب مؤتة هنيهة يقلبون الرأى يتخيرون أصوبه فلما بلغتهم عدة جيش العدو وعدده، قالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمضى له؟ فشجع الناس عبدالله بن رواحة، وقال: معلنا ومذكرا بقاعدة مهمة وبنيه إلى أساس راسخ متين من أسس الدعوة والتبليغ وأنه لا قيمة للعدو والعدة فى ميزان النصر، ولا رهبة للموت من أجل القيم والتبليغ، قال: «يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون.. الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة»، قال الناس: «قد والله صدق ابن رواحة»

أقول نعم والله صدق ابن رواحة، فتلك مقاييس النصر فى ميزان الدعوة إلى الله، وتلك أهداف القتال فى شريعة المبادىء الرفيعة والقيم السامية التى لا تقبل التغيير ولا التبديل فى شريعة النبلاء بحق الداعين إلى الله فى صدق فالأمانة هى الأمانة والصدق هو الصدق.

هى.. هى نفس المثل الرفيعة والرسالة المحمدية ذات الهداية الصافية هى التى دفعت طارق بن زياد بعد مئات السنين، أن لا يفكر فى خط الرجعة فى سبيل أهدافه، بل جعله يحطم خط الرجعة ويحطم سفنه التى عبر بها إلى الشاطىء الآخر حتى لا يتردد أصحاب النفوس الضعيفة أو تلعب هواجس الهرب بأفئدة بعض الرجال.

كان سيدنا جعفر بن أبى طالب ثانى قواد جيش مؤتة الضامر، الضامر عدده والضامرة بطون رجاله وبلدة مؤتة تقع فى محافظة الكرك جنوب العاصمة عمان.

وفى قرية «المزار» التى تبعد عن مؤته ثلاثة كيلو مترات يقع مسجد سيدنا جعفر بن أبى طالب، الطيار.

---

(١) نصب الراية جـ٢.

(٢) البخارى جـ٢.

(٣) الغلول: السرقة من الغنيمة والأخذ منها قبل التقسيم

ويوجد للمسجد ثلاثة مداخل وحيث البوابة الرئيسية من جهة الشمال، والتى منها يطل الزائر على مقام سيدنا جعفر ومرقده الذى يوجد منفصلا عن المسجد وبهذا يمكن الزيارة دون الحاجة لدخول المسجد[4]، حيث توجهنا لزيارة الشهيد الطيار ثم دخلنا المسجد عن طريق الممرات البديعة المكشوفة الموصلة إليه فى انسياب جميل وصلينا العصر والحمد لله، ثم قفلنا راجعين إلى العاصمة عمان.

كان أبوطالب ذا عيال، فقير، وأصاب قريشا قحط فأهاب النبى ﷺ إلى عميه حمزة والعباس أن يشاركوا أباطالب ويحملوا عنه بعض عياله فأخذ النبى ﷺ عليا وأخذ العباس طالبا، وكان جعفر من نصيب أسد الله حمزة.. فتربى جعفر فى كنف حمزة، وأخذ من أخلاقه وطباعه البطولة والفداء، ونعم ما أخذ، وتحمل المسئولية، ومنذ أعلن النبى دعوته وبلاء قريش يشتد عليه ﷺ وعلى كل من أسلم معه فلما طفح الكيل وأصبح الأمر فوق الطاقة أذن النبى لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة فإن بها ملكا عادلا لا يظلم عنده أحد عسى أن يأمنوا على أنفسهم ويمارسون شعائر دينهم فى أمن وطمأنينة.

وفى سنة خمس هاجر إلى الحبشة ثلاثة وثمانون بين رجل وامرأة عدا الصبيان ومن ولد بأرض الحبشة، وعلمت قريش بهجرتهم فأهم كبراء الكفر أن يجد المسلمون الأمان وأن يعيشوا فى هدوء فربما وجدت الدعوة قلوبا واعية ودب الإسلام إلى الأفئدة والعقول.

فارسلت قريش إلى النجاشى عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا إلى النجاشى عسى أن يردَّ المهاجرين واغتم المسلمون المهاجرون وأصابهم الفزع من تتبع قريش لهم وتحيروا.. ماذا يفعلون.

تروى السيدة أم سلمة أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بعثت قريش عبدالله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص بهداياهم إلى النجاشى وبطارقته أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علّمنا وما أمرنا به نبينا، كائنا فى ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه قال لهم: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الأمم؟،

فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب - وفى رواية فقال لنا جعفر لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم.

● فقال له: أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف.. حتى بعث الله - تعالى - إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى

(٤) من منشورات وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية صدر فى ٥ من شعبان ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/١٢/٥.

الله - تعالى - لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله - عز وجل - فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله - عز وجل - وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك فاخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك، أيها الملك.

●● فقال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله شىء؟

● فقال جعفر: نعم

●● فقال له: اقرأ علىّ.

● فقرأ عليه صدرا من «كهيعص».

●● فبكى النجاشى وبكت أساقفته، ثم قال: إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.. إلى آخر ما ورد فى الرواية[5].

وبعد أيها القارىء الكريم أرأيت إلى الأخلاق العالية والخصال العُلى التى يتحلى بها الرجال من بنى المطلب من بيت النبوة، أرأيت إلى مجلى شمائل بيت النبوة وتملى وتأمل إلى ما اقتبسه جعفر وهو فى كنف عمه حمزة الفارس الذى يأبى الدنية ويهفوا إلى كل خير وتأرز إليه كل خصال الفضل والرفعة.

أتدرى كيف كان إسلام سيد الشهداء حمزة؟!..

إن قصة إسلامه تشهد بميل فطرىّ إلى العزة والكرامة وبغض الاستعلاء والاستبداد، فإنه برغم أنه لم يعلن إسلامه إلا فى السنة السادسة للبعثة إلا أنه بفطرته كان يميل إلى ما جاء به النبى ﷺ فكل ما جاء به يوافقه العقل، ولا يقول عاقل ليت ما أمر به نهى عنه، أو ليت ما نهى عنه أمر به.. وهو صادق أمين عفيف، لذلك فلا يرغب عن دينه إلا منحرف الفطرة معوج الفؤاد، ومع هذا فإن ما جاء به يقول:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾

[البقرة: ٢٥٦]

فهو لا يكره أحدا على الدخول فى دينه، فهذا هو العقل والمنطق، أما أن يهان محمد ﷺ أو يستهزأ به، فهو مرفوض وغير مقبول ومردود على صاحب العدوان كائنا من كان المعتدى الآثم الأثيم، ولم يكن إسلام سيد الشهداء اندفاعا بلا تريث أو تثبت - كما يصوره بعض الذين كتبوا عن قصة إسلامه - وفى رأيى أنه كان عن إيمان وقناعة.

وللحديث بقية بإذن الله

(٥) انظر الحلية لأبى نعيم، البداية والنهاية لابن كثير، والروض الأنف للسهيلى، وابن هشام وكتب الحديث والسيرة بروايات متقاربة.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾



القيمة التربوية للضمير في الإسلام

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

١

ليس ثمة شك فى أنك لكى تطمئن إلى صلاح سيارتك على المضى فوق الطريق لابد أن تُجرى الصيانة والفحص دائماً على آليات السير، وآليات الوقوف، وآليات التوجيه وهكذا، فإذا اطمأننت إلى سلامة هذه الآليات الأساسية قلت (توكلتُ على الله) وشرعت فى المسير، فإذا تعطلت إحدى هذه الآليات، ومع ذلك جازفت بالانطلاق بالسيارة، فلن تضمن ما يقابلك فى الطريق من الحوادث والأحداث والمصادمات، وقاك الله وإيانا شرورها.

وهذه الآليات التى تُعين سيارتك على سلامة الانطلاق وسلامة الوصول بإذن الله يناظرها فى الآلة البشرية ما يُعرف (بالضمير)[1] وهو كما يعَرفه الجرجانى[2] فى كتابه (التعريفات) «تكوين نفسى تتكامل فيه القيم، ويكون أساساً لقبول أو رفض ما يعمله الفرد أو ينوى عمله»، وفى المعاجم (أضمر الأمر. أخفاه، وأضمر فى نفسه شيئاً عزم عليه، والأمر المضمر هو الأمر الخفى، والضمير هو باطن الإنسان).

وهكذا يتفق الجرجانى فى تعريفه للضمير، وما تقوله اللغة فى معاجمها.

ويوافق الفلاسفة وعلماء الأخلاق هذا النسق من معانى الضمير فهو فى نظرهم «خاصية العقل فى إصدار أحكام (معيارية) تلقائية ومباشرة على القيمة الأخلاقية لبعض الأفعال الفردية المعينة»، ومعنى هذا أن الضمير حين يتعلق بالأفعال فإنه يتخذ شكل صوت (باطنى) يأمر أو ينهى.

ومعنى أن أحكام الضمير (معيارية) أى أنها ترتبط (بما ينبغى أن يكون) وليس بما هو كائن فعلاً، وهذه سمة الأحكام الأخلاقية، ونحن نلاحظ هذا فى أنفسنا حين تضطرب بنا الحياة فى أمورنا اليومية، وسلوكياتنا العملية، فإن الإنسان يلاحظ فى كل يوم فى أعماق نفسه قوة تحذره فعلَ الشر إذا أُغرى به، وتحاول أن تمنعه من فعله، فإذا هو أصر على إتيانه أحس بانقباض نفسه أثناء ذلك لعصيانه تلك القوة وتجاهله ذلك النداء، حتى إذا أتم الفعل أخذت هذه القوة تؤنبه على ارتكابه له، وشرع يندم على ما فعل، وهذا شأنه مثلا شأن التاجر الذى يحاول غش سلعته، أو حجبها عن الناس ليحتكرها بعد ذلك فيتاجر بأقوات الناس فيحس صوتاً باطنياً يهيب به «لا تفعل» فإذا لم يستمع لهذا الصوت وأخذ فى الغش والاحتكار أحسَّ أن هذه القوة الداخلية تحاول تثبيطه ومنعه حتى إذا ضرب بنصحها عرض الحائط وتمادى فى سلوكه المنحرف المشين وخزته ولامته علّه يندم ويعزم على ألا يعود.

كذلك يحس المرء أن هذه القوة الباطنية تأمره بفعل الواجب، فإذا بدأ فى القيام بعمله المشروع شجعته على الاستمرار فيه، حتى إذا أنجزه شعر بالارتياح والطمأنينة والرضا وسمو نفسه ورفعتها.

ولقد كان الواحد من الرعيل الأول من أتباع محمد ﷺ يشعر بسعادة وأية سعادة إذا أحس بأن أحد أفراد عائلته أو قبيلته أو عشيرته قد هداه الله واستجاب للدين الحق على يديه، وهذا مما يحفزه على مواصلة الدعوة للآخرين عسى الله أن يأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم.

هذه القوة الآمرة الناهية التى أودعها الحق - سبحانه - كيان الإنسان هى التى حثت والدَينا آدم وحواء على الاستغفار بعد أن تبين لهما مخالفتهما الخالق - عزوجل - والميل عن أمره إلى وسوسة الشيطان فسرعان ما تضرعا إلى الحق سبحانه وتعالى:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(الأعراف: ٢٣)

وهى التى أهابت «بذى النون» يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت أن يبتهل فى ضراعة ضارعة إلى ربه

﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

(الأنبياء: ٨٧)

---

(١) conscience

(٢) على بن محمد بن على الشريف الجرجانى، ينسب إلى جُرجان بضم النون بين طبرستان وخراسان (١٣٣٩ - ١٤١٣)

كما أن هذه القوة الملهمة هي التي دفعت موسى - عليه السلام - بعد أن قطى على الرجل الذى من عدوه انتصاراً على الذى من شيعته فتوجه تائباً إلى غافر الذنب وقابل التوب سبحانه:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾

(القصص: ١٦)

وغير هذا من الإيحاءات القرآنية والإيماءات الإيمانية التي تبرز لنا قيمة الضمير الإنساني فى توجيهه - بإذن الله - للأنبياء فضلاً عن النماذج التى نعلمها فى مواكب السير والتاريخ، بل وفى الحياة العملية الميدانية والسلوكيات اليومية التى يمارسها كل منا عندما يخطىء فيستفيق، ويسعد بعد ضيق.

وهذه الشعلة النورانية التى خلقها الله - سبحانه - فى كيان بنى آدم سمها إن شئت (الضمير) لخفائها، أو ادعها. إذا أردت (بالنفس اللوامة) التى تلوم صاحبها على اختياره للسيئة مع إتاحة الحسنة، أو قل إنها هى من ثمار (النفخة الإلهية المقدسة) التى نفخها البارىء سبحانه فى آدم وبنيه من بعده والتى استحقت السجود من الملائكة عرفاناً بقدرة الخالق وتقديراً لقدر المخلوق.

ولا عجب فى الاختلاف حول تأويل هذه القوة [الناقدة] التى غرست فى كيان الإنسان والتى (تنقد) [٣] أعماله مميزة له الطيب من الخبيث، والحلال من الحرام، والخير من الشر.. ليس من عجب أن يختلف الناس حول تأويلها وتسميتها لعظم أثرها فى حياة المرء فى الدنيا وتحمل تبعات أعماله فى الآخرة.

لقد أطلق عليها الفلاسفة فى الشرق والغرب مفهوم (الضمير) كما نجد عند الفيلسوف جوزيف بطلر (١٦٩٢ - ١٧٥٢) الذى يرى أن مصدر الإلزام الخلقى هو الضمير الذى يعتبر عنده قمة الطبيعة البشرية، ويبدو أن (علم النفس) هو أيضاً أراد أن يدلى بدلوه فى تفسير الضمير فكان هناك رأى [٤] للطبيب اليهودى النمساوى (سيجموند فرويد) الذى يحلل النفس إلى ثلاثة عناصر فيما يسميه (بالتحليل النفسى)[٥] وهى:

أ - الأنا السفلى: وهى إشارة إلى الجانب الحيوانى الشهوانى فى الإنسان.

(٣) criticize

(٤) ولا نقول (نظرية) لأن النظرية هى النتيجة الموضوعية النهائية للبحث العلمى التى لا تقبل الخلافات أو الاختلاف وعلى هذا الطريق تقف أفكار (دارون) صاحب فكرة (النشوء والارتقاء) التى يزعمون أنها نظرية وهى ليست نظرية لأنها لم تثبت ثبوتاً قاطعاً

(٥) psychoanalsis



ب - الأنا العليا: وهى إشارة إلى تأثير المجتمع والتربية على الإنسان.

ج - الأنا الواقعية: وهى تشير إلى الإنسان نفسه الذى يقف موزعاً فى صراع دائم بين الشهوات ومقومات التربية.

وقد فهم شراح «فرويد» أن الضمير هو (الأنا العليا) بزعم أنها الضابط للسلوك الذى يُخضع الأنا السفلى للالتزام بقيم الأنا العليا، غير أن فرويد نفسه قد أشار إلى الخطر الناجم عن ذلك بما يُعرف بالكبت مرة، والصراع مرة أخرى، والإحباط مرة ثالثة.

وهكذا نستخلص من وجهات نظر الفلسفة واجتهادات علم النفس أن أياً منها لم يهتد إلى المعنى الأقرب للضمير وإنما هى (وجهات نظر) فى الفلسفة، (ومحاولات) تقوم وتكبو فى علم النفس.

فأما المعنى الذى ترتاح إليه النفس، ويطمئن إليه القلب ويقره العقل فهو أن (الضمير) هو (النفس اللوامة) [٦] التى ذكرت فى سورة القيامة [٧] والتى أقسم بها الحق جل وعلا فى قرآنه الحكيم فى مستهل تلك السورة

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

(القيامة: ١، ٢)

والتى ذكرتها بعض معاجم اللغة بأنها هى التى اكتسبت بعض الفضيلة فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروها[٨].

كما يلتقى الضمير بهذا المعنى بمفهوم (النية) وهى القصد [٩]، كما روى عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى) [١٠] وإن كان الضمير له صفة تقويم الفعل والحكم عليه، أما النية فإنها قصد (مضمر) للقيام بأمر ما دون تقويم ويطلق عليها أحياناً فى القانون الوضعى (سبق إصرار).

ونقطة الالتقاء هنا بين الضمير وبين النية هى الشعور بالمسئولية فعندما يلوم الضمير صاحبه على ارتكاب العمل القبيح ويحثه على إتيان العمل الحسن فإنما يجسم إمامه ما يرتبط بهذا وذاك من المسئولية وما يترتب على هذه المسئولية من جزاء[١١] إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وكذلك (النية) التى هى (القصد الخفى)

(٦) Self- repoaching Spirit

(٧) Day of Resswrection

(٨) يفسرها (البيضاوى) بأنها النفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها، أو التى تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت فى الطاعة، كما يقول (النسفى) إنها النفس التقية التى تلوم على التقصير فى التقوى.

(٩) intention

(١٠) رواه البخارى ومسلم.

(١١) كتاب المسئولية والجزاء للدكتور - على عبدالواحد وافى



الذى لا يعلمه إلا من يعلم السر وأخفى سبحانه حيث يحاسب المرء فى إطار القانون الإلهى السرمدى العادل :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة : ٧، ٨)

وذلك يوم الزلزلة الكبرى التى تجعل الولدان شيبا، ومن هنا أعطانا النبى ﷺ أمثلة لهذه النوايا البشرية التى هى مناط الحساب والثواب والعقاب فقال فى بقية حديثه الشريف : (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[١٢]

وقد اختص البارىء - عز وجل - الإنسان بهذا (المحاسب الداخلى) المعروف بالضمير رحمةً من الله بعباده ليحاسبوا أنفسهم أولا بأول قبل أن يحاسبوا، ولاسيما أن الإنسان هو الذى قبل حمل أمانة الخلافة فى الأرض فتحمل بهذا المسئولية وجزاءها حتى إذا كان (اليوم العقيم) ولقى كتابه منشوراً وقيل له :

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

(الإسراء : ١٤)

بُعث ضميره وحاجّه عناده إبان الحياة الدنيا وإذا به لا يملك آنذاك إلا أن يندم ولات مَندم ويردد فى حسرة

﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾

(النبأ : ٤٠)

ولا شك فى أننا نشعر جميعاً بهذا الضمير كأنه صوت ينبعث من أعماقنا يأمرنا بالخير، وينهانا عن الشر، وليتنا نستجيب لنداءاته الخيرة قبل فوات الأوان.

الضمير والإرادة

وهكذا نرى أنه لا قيمة للضمير فى أعمال الإنسان وهو يأمر وينهى، ويرضى ويخط إذا لم يدعم بإرادة حازمة ومؤمنة تنفذ أمره ونهيه فقد يشعر الإنسان بالواجب ويتأكد من أنه واجب حقاً ومن أن ضميره يأمره بفعله، ولكن هذا كله يذهب أدراج الرياح كما يقال إذا لم تسانده إرادة مريدة فعلاً تخرج هذا الأمر من حدود القوة إلى حيز الفعل، فالإرادة - وهى فى بعض معانيها ما أسميناه من قبل «بالنية» - هى الشحنة الفاعلة فى الحركة السلوكية

(١٢) رواه البخارى ومسلم. (رياض الصالحين للنووى)

للإنسان، وبدونها تكون أوامرُ الضمير ونواهيه أحلاماً وهمية ليست بأفضل حظاً ولا بأحسن حالاً مما يعرف فى علم النفس (بأحلام اليقظة)[١٣] التى هى مجرد خيالات مخبوءة فى الأذهان دون الأعيان لدى المراهقين وذوى الأنفس غير السوية[١٤] من المتقدمين فى السن.

تربية الضمير

وقد أبدع الحق - سبحانه وتعالى - ملكات الإنسان وقواه ونزعاته ودوافعه بحيث تقوى بالتربية الجادة الواعية، وتضعف بالإهمال والتربية العشوائية الواهية. والضمير ككل هذه الملكات البشرية يقوى فى المناخ التربوى المسئول، ويضعف فى المناخ المستهتر المظهرى المخبول.

ولقد علّمنا عبر تأمل مسيرة السيرة النبوية المشرّفة كيف كان المربى الملهم ﷺ يتعهد أتباعه وأبناءهم ولاسيما فى مراحل الطفولة والصبا والشباب بالرعاية الأخلاقية والعناية السلوكية من أمثال على بن أبى طالب وعبدالله بن العباس، ومعاذ بن جبل، وأسامة بن زيد - رضى الله عنهم - وغيرهم وغيرهم ممن حُمّلوا التبعات العسيرة فحملوها، واستؤمنوا على الرسالة الخطيرة فأمنوها وذلك اعتماداً على البذور الأخلاقية التى غرسها محمد ﷺ فى ضمائرهم فأينعت بها أفعالهم وأثمرت بها خصالهم، حتى لقد رُوى أن علياً كرم الله وجهه - قال فى خطبة له : (أيها الناس اتقوا الله الذى إن قلتم سمع، وإن «أضمرتم» علم)[١٥].

ومن هنا استحق هؤلاء الفتية الأفذاذ ذوى الفتوة المبكرة ألقاباً كان يخلعها عليهم معلمهم ومعلم البشرية عليه الصلاة والسلام وذلك من قبيل : «إن لكل نبى أميناً، وأمينى أبو عبيدة بن الجراح»[١٦]، ومثل «إن لكل نبى حوارياً، وإن حوارى الزبير»[١٧] ومثل «معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه»[١٨] وغير ذلك من الألقاب التى كان يمنحها النبى الحكيم العادل ﷺ من يستحق من أصحاب «الضمائر» الحية والهمم العالية والألباب الواعية الذين رفعوا لواء معلمهم - خير المعلمين وإمام المرسلين ﷺ - ومنهم من جاد بنفسه ونفيسه فى سبيل الحفاظ على هذا اللواء مرفوعاً فوق هام الزمان والمكان ناطقاً بأصدق لسان وأحكم بيان، وأنصع سلطان وبرهان.

«يتبع»

(١٣) day dreaming

(١٤) abnormal

(١٥) التعريفات للجرجانى

(١٦) عن عمر

(١٧) عن جابر

(١٨) عن أبى سعيد



الإرهاب الغربي

تأليف

روجيه جارودي

ترجمة

د. داليا الطوخي د. ناهد عبدالحميد
د. سامي مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



كل إنسان يعرف أنه إلى زوال - من يؤمن بالبعث، ومن لا يؤمن- لأن الواقع الماثل أمامه يعلنه بتلك الحقيقة في كل لحظة تمر به، من ولادته، وانتظامه بين كائنات الحياة الدنيا.. لكن هذه المعرفة قد تغيب عنه وراء ما تمتلىء به الدنيا من زخارف ومغريات، فيغفل عنها، ولا يلتفت إلى ما يحيطه من صرخات مدوية، وصيحات مترددة، تحاول أن تعيده إلى معارفه الفطرية، أو ترد تلك المعارف عليه.. فإذا هو كائن آخر لا يدرى في الكون إلا ذاته، وكل ما عداها مما يحيط به يجب أن يكونوا عبيدا مسخرين لطاعته؛ فلا قداسة إلا لذاته، ولا قيم إلا ما يصدر عنه، ولا حقيقة إلا ما يقرره هو.. حتى لقد يصل به الحال إلى أن يدعي الألوهية؛ مستغلا ضعف من حوله، واستخذاءهم تجاهه، واستهوالهم أمره لحاجتهم إليه في آمال كذاب:

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

[الزخرف: ٥٤]

فلم يكن إلا يصيح فيهم بدعوى الألوهية المتفردة:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾

[القصص: ٣٨]

يدعى هذا.. على الرغم من أنه - في قرارة نفسه - يسخر من هذا الادعاء الكاذب، إذ تصرخ فيه حاجاته الفطرية: إنك كاذب، ضال مضل، ويظل الناس من حوله في غيهم يعمهون، حتى تفجؤهم الساعة التي يطوى فيها جبروته، وطغيانه، ويتعرى من الباطل الذي كسا نفسه به، فتتبدد أكاذيبه - على ضخامتها - ويعرف الملأ مدى ما خدعتهم أضاليله، التي قد لا تعيش أكثر من مائة عام.

أما الأخطر من ادعاء الألوهية.. فذلك الذي اتسم به بعض علماء بني إسرائيل من تحريفهم كلام الله، وتلبيسهم الحق بالباطل؛ إذ يصعب على الأيام أن تكشف هذا الزيف، ويتعذر هتك تلك الأباطيل، حيث تتوارثها الأجيال تلو الأجيال، فترسخ الأكاذيب وتتفاقم، حتى تزاحم الحقائق، فلا يسهل على الخلف تمييز الحق من الباطل، لاختلاط العقائد، واضطراب القيم، واختلال المعايير، فإذا بالرسالة السامية تصبح وسيلة قهر وصراع، وطغيان، وإفساد، وإذا بالإنسان يزيغ عن الاستقامة، وينجرف إلى الظلام، فينقطع عنه الأمل في الاهتداء إلا أن يرحمه الله بقوة تدفعه إلى النظر المتأني البصير.. على نحو ما نبه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ٧٥]

فليس أخطر على البشرية من عاقل استغل عقله في الإضلال والتضليل.

الإصرار على تزييف الثوابت

وفي الفصل الثاني (مسيح بولس ليس هو يسوع) ترجمة د. داليا الطوخي.. يعود جارودي إلى ما لفتنا إليه في سفر (صموئيل) من حرصه على تشويه صورة الأنبياء، خصوصا صورة داود -عليه السلام-، الذي ينسب المسيح إليه.. حيث حصر أعماله في القتل والإبادة؛ ليمكن اليهود من أرض فلسطين.. يعود جارودي إلى تلك الملحوظة؛ منبها إلى أن (بولس) - في رسائله التي بدأها سنة ٥٠م، وأنهاها سنة ٦٣م - كان استمرارا لسفر صموئيل على وجه الخصوص.

‹ فقد حرص بولس أولا - على: تقرير أن يسوع كان من نسل داود، وأنه كان امتدادا له، وأنه جاء مخلصا لشعب إسرائيل؛ فقال «وأخرج الله من نسل داود حسب الوعد يسوع مخلصا لشعب إسرائيل» [أعمال الرسل: ١٣/ ٢٣].

‹ وحرص بولس - ثانيا - على إضافة عقيدة الفداء، وعلى إلحاق اسم يسوع بالشريعة اليهودية، فقال: «سلمت إليكم قبل كل شيء ما تلقيته، وهو أن المسيح عائد من أجل خطايانا، كما جاء في الكتب، وأنه دفن وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب» [رسالة كورنثوس الأولى ١٥/ ٣-٤]؛ فتكرار (كما جاء في الكتب) - ويقصد العهد القديم - يوضح حرص (بولس) على إلحاق اسم يسوع بالشريعة اليهودية.



ويعلن جارودى بقوله: وهذا يعنى أن عقيدة (بولس) قد نشأت من الرغبة فى جعل النبى داود ملكا إلهيا، بإرادة الرب، كما صرح بذلك فى قوله: «ثم عزله، وأقام داود ملكا عليهم، شهد له بقوله: وجدت داود بن يسى رجلا يرتضيه قلبى، وسيعمل كل ما أريده» [أعمال الرسل: ١٣ / ٢٢]، ويدعم جارودى رؤيته تلك بما أوردته كتب (التعاليم المسيحية سنة ١٩٩٢م فى ص١٥٤، ونصه: «إن هذا الإله ـ كما بينته لنا رسائل بولس، وأعمال الرسل ـ هو فى حقيقة الأمر إله غريب علينا، فهو إله الجيوش، إله يشوع ومذابحه، وهو ليس بالطبع إله المحبة الذى أسماه يسوع (أبى).

إن ذلك الإله هو رب (بولس)، والكنيسة الرومانية بل هو ـ كما رآه (ديستويفسكى) ـ استمرار للإمبراطورية الرومانية فى الغرب.

ويخلص جارودى من ذلك إلى أن القديس (بولس) - بصنيعه هذا - يكون قد طمس نافذة الأمل التى فتحها يسوع فى تاريخ البشرية، وذلك لكى يدخل (بولس) مبدأ (التعالى والتنزيل) ليس لقدرة ملك يحكم على وجه الأرض، ولكن ـ على العكس ـ لأكثر الرجال فقرا وتواضعا.. لمن هو مع الفقراء فى قاع المجتمع، حتى إن عالم اللاهوت الإسبانى (جونزالس فوس) علق على ذلك قائلا: «لقد سقط يسوع ولم نعد نجد فيه سوى الرب الذى نعرفه، أو الذى نعتقد أننا نعرفه.. إن يسوع بهذه الطريقة لا يوحى بشىء».

بل إن بعض تلاميذ يسوع أدانتهم الكنيسة عندما سعوا إلى اتباع نمط حياته، وليس حياة داود قائد الجنود.

معاداة السامية.. وميلادها

ويستطرد جارودى منبها إلى دور (بولس) فى جعل مسيحه ملكا لليهود، على الرغم من أن ذلك لو كان صحيحا لما تردد رئيس الكهنة اليهود لحظة واحدة فى الحكم عليه بالموت، بحجة انشقاقه عن الإمبراطورية الرومانية، أو باتهامه بالمتاجرة بالربوبية باسم الرب ولكن (بيلاطس) أعلن على رؤساء الكهنة والجموع بعد محاكمة يسوع قائلا: «لا أجد ذنبا فى هذا الإنسان» (لوقا: ٢٣ / ٤)، ثم اتجه إلى كهنة المجمع اليهودى قائلا: «هاهو ملككم» [يوحنا: ١٩ / ١٤].

ويستنتج (جارودى) من ذلك: أن كهنة اليهود والفريسيين هم الذين أثاروا الشعب من أجل إدانة يسوع، والتخلص منه، ولكن الكنيسة أدانت اليهود جميعهم، واتهمتهم بأنهم شعب هادم للأديان، فتوارت بذلك قضية (معاداة السامية)، ولو أن الكنيسة أنصفت الحقيقة لوجهت معاداتها إلى كهنة اليهود فقط، فهم وحدهم الذين أجرموا فى حق يسوع وينضم إليهم اليوم دعاة الصهيونية، واللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة التى تختصر باسم (ايباك) -Al PAC والجماعات التابعة لها فى مختلف أنحاء العالم مثل مافيا (مجموعة (ليكرا) LICRA، المناهضة للعنصرية واللاسامية والتى لا تمثل سوى ١٠٪ من اليهود، والتى استبدلت دولة إسرائيل بدلا من إله إسرائيل.

فكبار كهنة اليهود الذى ضحوا بيسوع دفاعا عن صلاحيتهم السياسية بجانب إمبراطور روما، هم أنفسهم الذى عملوا على إرساء قواعد (معاداة السامية)، حيث نسبوا ما صنعوه هم إلى الشعب اليهودى، وجعلوه فريسة للمافيا التى تستغله وتتلاعب به حتى يومنا هذا..!

ثم جاء (بولس) على طريقة هؤلاء الكهنة، فقدم (قيادة المسيح) لليهود على أنها «معجزة تدل على قدرة الرب» لتحقيق وعد الله لهم، فقال: «ونحن نبشركم بأن ما وعد الله به آباءنا تم لنا- نحن أبناءهم ـ حين أقام يسوع من بين الأموات».

وفقا لما كتب فى المزمور الثانى: «أنت ابنى أنا اليوم ولدتك» [أعمال الرسل: ١٣ / ٣٢ـ٣٣].

وبهذا يتضح أن بولس يرى فى قيامة (يسوع) استمرارا لأعمال داود الطيبة، القائمة على التدمير مثل سلفه (يشوع)، حتى لقد استطاع أن يحفر فى أذهان اليهود واليونانيين فكرة اتسام يسوع بالسمات التقليدية لآلهة القدرة اليونانية القديمة، مثل القدرة على التدمير والخلق، مثل قدرة (زيوس) فى تسخير الصواعق، ومثل قدرة إله الجيوش عند اليهود (يهوه).


جارودى

وفاته أن تلك الصورة التى يرسمها ليسوع تتناقض تماما مع ما تضمنته الأناجيل الأربعة عن حياته التى بدأت بولادته فى حظيرة، وانتهت بموته على الصليب مع العبيد، وعاش فيما بين هذه وتلك متنقلا بين المدن، دون أن يدعى صنع المعجزات، فقد كان ينسبها إلى الإيمان، مرددا: «إيمانك هو الذى شفاك» [متى: ٩ / ٢٩]؛ فأين هذا من ذاك الذى يقول عنه بولس: «فإنه لابد أن يملك إلى أن يضع جميع الأعداء تحت قدميه [رسالة بولس الأولى: ١٥ـ٢٥].

بل لقد فات بولس أن يسوع الذى جعله منقذا لإسرائيل، وجعله «سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره، ومجىء ملكوته» [رسالة بولس الثانية: ٤ / ١]... فاته أن يسوع هذا، لا يمكن أن يكون هو يسوع الذى كان يقول: «أنا لن أكون ديان أحد»، ويقول لأحد المجرمين المصلوبين معه: «الحق أقول لك: ستكون اليوم معى فى الفردوس» [لوقا: ٢٣ / ٤٣]، والذى قال للأحبار: «الحق أقول لكم: جباة الضرائب والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله» [متى: ٢١ / ٣١]، فأين هذا الجبار القاسى من ذلك السمح المتواضع؟!

وبحنكة.. استغلت هذه المتناقضات

وجارودى يربط بين ما قرره (بولس) من جبروت يسوع وعنفه الذى استمده من داود، ويشوع، وبين نشأة ما يسمى (اليهودية المسيحية) الذى بدأه بولس، خصوصا عندما دمر الرومان (أورشليم) سنة ٧٠م، فتفرق اليهود فى جنوب البحر الأبيض المتوسط، فانطلق هو فى قوة وبراعة مستغلا ثقافته اليهودية واليونانية ـ ليمزج المعتقدات اليهودية بالثقافة اليونانية، فحول المسيحية إلى ديانة (هيلينستية) حيث لاقت نجاحا كبيرا إلى الدرجة التى جعلتها تشكل قوة فى الإمبراطورية الرومانية... وبتعبير آخر: إن بولس قد أرسى قواعد الديانة اليهودية المعدلة التى تشبه تلك البقية من القبائل اليهودية التى ينقذها الرب ـ بعد كل خيانة ـ بمسيح منقذ.

ويرى جارودى: أن بولس بدأ مسيرته تلك بتسمية تعاليمه (إنجيلا) ينسبه إلى نفسه، لا إلى (يسوع المسيح)، كما يتضح من قوله: «يوم يدين الله خفايا الناس وفقا لإنجيلى على يد يسوع المسيح» [الرسالة إلى مؤمنى رومية: ٢ / ١٦]، حتى إنه لم يذكر فى رسائله أقوال يسوع أو أعماله؛ لأن حياة يسوع البائسة، وموته بهذه الصورة الوحشية على الصليب، لا يتفق مع ما ينتظره الشعب اليهودى من مجىء أحد الغزاة على طريقة داود لينصر ملكهم، بل إنه حول القيامة إلى نصر على ممالك الأرض التى خضعت جميعها لعقابه، وكان مصيرها الدمار، وذلك فى قوله: «ويكون المنتهى حين يسلم المسيح الملك إلى الله الآب، بعد أن يبيد كل رئاسة، وكل سلطة وقوة، فلا بد أن يملك حتى يضع جميع أعدائه تحت قدميه» [كورنثوس الأولى: ١٥ / ٢٤ـ٢٥].

ويرى جارودى: أن بولس أراد أن يبدأ التاريخ المسيحى بإنجيله فقط الذى يلغى كل الأناجيل الأخرى، وأنه جرد (يسوع) من كل ما نعتز به من تعاليمه، وجعل منه ممثلا ينفذ (السيناريو) الذى كتب له فى العهد القديم بما تضمنه من عنف وتدمير توافقا مع (عقيدة آلهة القدرة).

ويستطرد جارودى، داعما رؤيته بما رأى أن بولس أدخله على العقيدة من مفاهيم وأفكار مستمدة من أفكار اليهود ومفاهيمهم القائمة على القتل والإبادة لتحقيق وعود الرب.

من إرهاب التزييف إلى إرهاب القوة

ويواصل جارودى استطراداته الكاشفة عن الإرهاب الغربى ـ فى جذوره ـ فينقلنا إلى مبتدأ القرن الرابع الميلادى، حيث رأى (آريوس) أسقف الإسكندرية يحظر ما يراد إدخاله على العقيدة المسيحية ـ بواسطة بعض رجال الكنيسة المنافقين ـ بإحلال يسوع الرب خالق كل شىء مكان الله المطلق ـ استجابة منهم لقول بولس: «فلنا نحن إله واحد ـ وهو الرب الذى منه كل شىء، وإليه نرجع ـ ورب واحد، وهو يسوع الذى به كل شىء وبه نحيا» [كورنثوس الأولى: ٨ / ٦].

وتلبية لطلب الإمبراطور (قسطنطين)

الذى أراد استغلال الطاعة الكنسية فى إضفاء القدسية عليه، وذلك بالتوفيق بين عقيدته الوثنية والعقيدة المسيحية.

لما رأى (آريوس) هذا التوجه من بعض رجال الكنيسة نهض ـ ومن معه ـ متصديا لذلك؛ حفاظا على وحدة الذات الإلهية، وفقا لما جاء فى إنجيل يوحنا: «لا تمسكى بى، فإنى لم أصعد بعد إلى الآب، بل اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم: إنى سأصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» [يوحنا: ٢٠ / ١٧].

ولقد لاقت نهضة (آريوس) تلك نجاحا كبيرا أفزع (قسطنطين) الذى لم يجد مفراً من مقاومتها بالقوة؛ فدعا المجمع الكنسى إلى الاجتماع فى مدينة (نيقية) القريبة من (نيكوميديا) من أجل أدانة (آريوس)، حيث أخبر الإمبراطور آباء المجمع وأساقفته: أن أى شخص سيرفض هذا القرار النهائى سيتم نفيه.

واختار مستشار (قسطنطين) التعبير اليونانى: Om OOusios الذى يعنى: أن الابن خلق من جوهر الأب: كى يفرض التعبير عن الإيمان المسيحى بطريقة وأسلوب يونانى خالص يجعله غريبا تماما عن الشريعة اليهودية للإله الحى الخالق، وغريبا عن الشريعة الإنجيلية التى تنص على: أن الله محبة.

ولتوقع (قسطنطين) رفض (آريوس) وأتباعه هذا القرار.. لذلك أمر بنفى جميع (الآريوسيين) بالإضافة إلى ثلاثة أساقفة آخرين انسحبوا من المجمع ورفضوا التصويت.

وهذا يعنى: أن جوهر المشكلة لم يكن العقيدة، بل هى السياسة والنظام العام حيث فرض فى (نيقية) الانصياع لأوامر الإمبراطور فكان لابد من أن يصبح (يسوع) إلها كغيره من الآلهة، بل ومثل الإله (جوبيتر) أى (قسطنطين) نفسه الذى أطلق عليه الحبر الأعظم.

وهكذا.. أقر مجمع (نيقية) أرثوذكسية بولس بصورة نهائية؛ إذ كان ذلك أفضل ضمان للإمبراطور (قسطنطين) من أجل إخضاع الشعب للوضع الراهن؛ ولذلك عنى (قسطنطين) بأن يصبح الأساقفة من بين موظفى الدولة، وفى خدمتها.

ويخلص (جارودى) من ذلك ـ بتفاصيله اللغوية ـ إلى: أن ما حدث فى مجمع (نيقية) كان منشأ هوس الجدل بين المسيحيين، واليهود، والمسلمين، فالمسلمون يتهمون المسيحى بتثليث الله، وهو اتهام قد يكون حقيقيا خصوصا فى نظر الديانة اليهودية والإسلام.

وتفاقم الإرهاب فى صورتى

ويذكر (جارودى): أن (قسطنطين) بعد أن وطأ الكنيسة لمقاصده وأفكاره، وانضوى بين رجالها لينال فى تصرفاته القداسة الدينية.. بعد هذا انطلق بسلاحه الإرهابى معربدا فى شتى الميادين، وكان من أبرزها: الحرب التى شنها ضد (الهرطقة) فى أسبانيا، والتى أدت توابعها إلى إعدام الأب (بريستليان) أسقف (آفيلا) بإيطاليا سنة ٣٨٥م.

وفى أفريقيا استعان القديس (أغسطينس) أسقف قرطاج فى القرن الرابع الميلادى

بالقوات الرومانية لبث الرعب فى نفوس المسيحيين وإبادتهم، حتى لا يعارضوه وسانده فى ذلك ـ القديس (إمبرسبوس) أسقف ميلانو.

ولما رفض الأسقف (نيسطوربوس) جعل مريم العذراء (أم الرب) لم يكتف بعزله، بل أمر بنفيه واستبعاده فى صحراء مصر حيث توفى سنة ٤٥٠م.

ولما قامت حركة (الطبيعة الواحدة) للمسيح، رافضة تأييد أى سلطة دينية لا تؤمن بالإله الواحد.. تم إرسال الجيش الرومانى لقمع تلك الحركة، ومع وحشية القمع.. لم تستطع تقويض التوجه التوحيدى بين الشعب بل لقد امتد تأثيره إلى النوبة، وجنوب آسيا، حتى أن هذا التوجه التوحيدى كان ـ فيما يرى جارودى ـ من أسباب انتشار الإسلام فى هذه المنطقة، حيث لم يجد الناس أى غرابة فيه، كما كان من أسباب انتشار الإسلام فى أسبانيا التى انتشر فيها المذهب الآريوسى؛ لاشتراكهما فى الإيمان الموحد، الذى يقرر: أن (يسوع) كان نبيا عظيما وليس إلها.

ويعود (جارودى) فيذكر بامتداد الفكر السياسي لبولس إلى عهد الإمبراطور (أغسطينس)، والإمبراطور (قسطنطين): لتوافقه مع هوى السلطات؛ مما هيأ للكنيسة أن تطبق سياسة شمولية، وقمعية، وتقرر بها سلطتها المطلقة على الصعيد السياسى والصعيد الدينى. حتى أصبحت الكنيسة هى المتحدث باسم الإمبراطورية الرومانية بتقديرها ممثلة لروما عاصمة الإمبراطورية، وليس بتقديرها ممثلة لأورشليم.

ومن هنا.. تحقق للغربيين الضمان الذى يسهل لهم ارتكاب تلك الجرائم الكبرى، التى تحمل وزرها القادة السياسيون فى الغرب سواء بالتزام الصمت إزاء تلك الجرائم، أو بالتواطؤ معها ـ ويأتى فى مقدمة تلك الجرائم ما عرف بالحروب الصليبية ضد المسلمين. وهذا الاضطهاد الوحشى الذى أنزل بالبروتستانت المسيحيين وما لاقاه الهنود الحمر فى أمريكا من إبادة استئصالية، وماصب على أفريقيا من تجارة العبيد، وما كان فى القرن العشرين من تعاون مع الفاشية.

وقد وضح هذا التعاون فى ازدواج اللغة الكنسية؛ فعلى الرغم من الخطاب البابوى بعنوان (مع الأحزان).. كانت الاتفاقية التى عقدها البابا مع (هتلر) لاتزال قائمة.

وبهذه اللغة المزدوجة.. كتب الأساقفة الألمان بالإجماع خطاب تأييد لهتلر فى مدينة (فولدا) ٢٠/٨/١٩٣٥، قالوا فيه:

«ليساعد الرب (الفوهرر) من أجل إنجاح هذه المهمة الضخمة» ـ يعنون مناهضة الشيوعية ـ وفى خطاب آخر ٢٤/١٢/١٩٣٦ قالوا: «إن الأساقفة الألمان يعتبرون من واجبهم مساندة زعيم الرايخ فى هذا الصراع، وذلك بكامل ما لديهم من وسائل فى المجال الدينى»

والحال نفسه تم فى أسبانيا.. فإن الكاردينال (جوما) كبير الأساقفة أيد ـ باسم الأسقفية ـ الانقلاب الذى قام به (فرانكو) فكتب

فى ٤/١٢/١٩٣٦ واصفا ما فعله بأنه: «روح حرب صليبية حقيقية من أجل الدفاع عن الديانة الكاثوليكية» وفى العاشر من أكتوبر ١٩٣٧ أضاف فى كتاب آخر قائلا: «إن طبقة الكهنة الإسبان تؤيد حركة الفداء الإسبانية المجيدة».

كما إن الأسقفية الفرنسية تورطت هى الإخرى فى تعاونها مع السلطة بكتيبها المتوالية، مثل ما ضمنوه رسالتهم فى ٢٤/٧/١٩٤١ من قولهم: «إننا نشجع المؤمنين على مساندة السلطة القائمة فى عملية الإصلاح، بل والتعاون معها دون خوف».

وينهى جارودى هذا الاستعراض المستفيض بتوضيح قصده من استعادة تلك الأحداث الماضية مؤكدا: أنه لم يقصد فتح جراح قديمة ولكن أراد التنبيه إلى أن جميع طبقات الكنيسة الرومانية ظلت على إخلاصها طوال ألفى عام لفكر القديس (بولس) على الرغم من أن ملايين المسيحيين قد استمروا فى إخلاصهم لرسالة (يسوع) ووقوفهم ضد تيار الفكر (القسطنطينى)، واهبين حياتهم من أجل التوحد مع يسوع الحى دائما.. وإن لم يمكن أحدهم من الاتصال بالكنيسة لتعارض إيمانهم ـ فى الغالب ـ مع العقيدة السائدة.

ولكنهم ـ مع ذلك ـ يواجهون حربا شرسة، مثل تلك الحرب التى شنتها الكنيسة والمخابرات الأمريكية ضد (لاهوت التحرير) فى أمريكا اللاتينية، ثم امتدت لتشمل أفريقيا وآسيا.

وهكذا.. يتضح بكل جلاء.. كيف سارت الأمور بالكنيسة حتى اعتنقت دين (قسطنطين) القائم على العنف والإبادة والتدمير وغير ذلك من وسائل الإرهاب.. على الرغم من أن المعلن المذاع بكل الوسائل: أن (القسطنطينيين) هم الذين اعتنقوا مسيحية (يسوع) القائمة على التسامح والمحبة.. وإيثار العدل وإشاعته بين الناس جميعا.

كما يتضح بجلاء.. كيف استطاعت أوروبا بتلك المعادلة الشاذة أن يصبح لها تاريخ بعد أن لم يكن لها وجود، حيث كست ولوغها فى دماء الأبرياء برداء المسيحية، ورفضت بشراسة: أن يكون هناك صوت ـ ولو كان هامسا ـ يرفض ذلك الإرهاب اللعين، ناسبة هذا الرفض إلى إرادة الرب كما نسبت إلى إرادة الرب دعوة الصليبيين لإبادة المسلمين.

وامتد ذلك إلى القرن العشرين الميلادى وبدايات القرن الحادى والعشرين، فباسم هذه الأخلاق الدينية الغربية.. قام الشعب الأمريكى ـ بعد أن حولته وسائل الإعلام إلى شعب وديع لاه ـ بنشر هذه الأفكار، وصوتوا جميعا لصالح قاتل سفاح، تم ـ فى أثناء حكمه لولاية تكساس ـ إعدام عشرة أشخاص خلال ثلاثين يوما.

وبأفكار هذه الدين الأمريكى.. تحول الرب إلى أمير مستبد متقلب الأطوار يتحاز إلى جماعة من البشر ويجعل منها (الشعب المختار) الذى يمنح كل الوسائل والسلطات للتدمير، وبث الرعب فى النفوس، والطرد والسعى للسيادة على كل الشعوب الأخرى..!

«يتبع»

حماس .. وتحديات السلطة

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

نالت حماس فوزاً عظيماً فى الانتخابات التشريعية فى ٢٥ من يناير الماضى، على منافستها الرئيسية «فتح» وحصلت على ٧٤ مقعداً من أصل ١٣٢ مقعداً هى مجموع مقاعد البرلمان الفلسطينى، كما حازت حركة فتح ٤٥ مقعداً، وهبطت بذلك من قمة الحكم الذى ظلت فيه اثنى عشر عاماً إلى موقع المعارضة بينما حققت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ثلاثة مقاعد، وقائمة فلسطين المستقلة مقعدين، وائتلاف اليسار (قائمة البديل) مقعدين وقائمة الطريق الثالث مقعدين، كما فاز أيضاً أربعة من المستقلين.

ولقد نشأت حركة حماس فى التاسع من ديسمبر ١٩٨٧، فى قطاع غزة بقيادة المجاهد الشهيد «أحمد ياسين» وهى فى الأصل ولدت من رحم الإخوان المسلمين فى الأردن. ويرجع العداء الإسرائيلى لها، أنها لا تعترف بالاحتلال الصهيونى لفلسطين وإصرارها على تحريرها من النهر إلى البحر، وترى فى غزة قاعدة للنضال فقط وليست نواة الدولة الفلسطينية المأمولة، وأن هدفها الرئيسى هو التحرير الكامل لفلسطين التاريخية، وليس الضفة الغربية وقطاع غزة فقط، وحماس لا تعترف باتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، الذى تم بموجبه الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. واللافت أن حماس ليست عضواً فى منظمة التحرير الفلسطينية، لكن المنطقى أن نوابها الـ ٧٤ فى المجلس التشريعى أصبحوا بذلك أعضاء فى المجلس الوطنى الفلسطينى الذى هو بمثابة برلمان لمنظمة التحرير، وهو يضم أكثر من ٧٠٠ عضو.

وبعد قيام «إسماعيل هنية» بتشكيل حكومته من حماس فقط، ورفض فتح المشاركة فيها، استعرض رئيس الحكومة الجديد فى بيان حكومته أمام المجلس التشريعى الفلسطينى فى ٢٨ من مارس الماضى، ما أطلق عليه «المهمات الجسام»، وهى سبع مهمات



ستتولى حكومته تنفيذها:

- الأولى: تتعلق بأوضاع الاحتلال وممارساته العدوانية ضد الأرض، والإنسان والمقدسات.
- والثانية: تتعلق بالأوضاع الاقتصادية الصعبة التى يعانى منها الشعب الفلسطينى.
- والثالثة: تتعلق بالإصلاح، ومحاربة الفساد الإدارى والمالى.
- والرابعة: توفير الأمن، وإنهاء الفوضى.
- والخامسة: ترتيب البيت الفلسطينى من الداخل، وتشكيل المؤسسات الفلسطينية على أسس ديمقراطية.
- والسادسة: تعزيز مكانة القضية الفلسطينية.
- والسابعة: تطوير العلاقة مع المحيط الإقليمى والدولى،، بما يخدم المصالح العليا للشعب الفلسطينى.

والجدير بالذكر أن «إسماعيل هنية» أكد فى بيان وزارته أن حكومته ستتعامل مع الاتفاقات التى وقعتها منظمة التحرير بمسئولية وطنية عالية وستتعاون حكومته مع المجلس التشريعى فى إصدار القوانين التى تعزز الإصلاح ومحاربة الفساد، وتعهد بالتزام حكومته بحماية الديمقراطية والتداول السلمى للسلطة، والتأكيد على التعددية السياسية لضمان سلامة النظام السياسى الفلسطينى واستقراره.

الضغوط المالية والتحدى الصعب

ومن المؤكد أن أهم الشئون التى تشغل بال حكومة حماس منذ اجتماعها الأول يوم ٥/٤/٢٠٠٦ هو كيفية تدبير المرتبات الشهرية لـ ١٤٠ ألف موظف خاصة بعد وقف إسرائيل تحويل المستحقات الفلسطينية من ضرائب وجمارك وهى حوالى ٦٠ مليون دولار شهرياً. ومن هنا تبقى هذه المسألة الحيوية بالإضافة إلى إنهاء مظاهر الفلتان الأمنى، وتفكيك مراكز القوى، والقضاء على الفساد المالى والإدارى الذى استشرى فى عهد الحكومة السابقة «فتح» هى التحديات الكبرى التى تواجهها هذه الحكومة الجديدة.

وتبدو الضغوط المالية هى أصعب التحديات التى تواجه حكومة حماس، لا سيما بعد أن أعلنت الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبى إيقاف الدعم المالى المستحق للسلطة الفلسطينية لإجبار حكومة حماس على الاعتراف بإسرائيل، فيشير وزير المال الفلسطينى «عمر عبدالرازق» إلى استخدام «موجودات صندوق الاستثمار الفلسطينى» فى حل مسألة المرتبات «١١٨ مليون دولار» غير أن مصادر فى هذا الصندوق أفادت أن معظم موجوداته مرهونة للبنوك المحلية نتيجة لقروض سابقة، فى عهد فتح، حصلت عليها السلطة لدفع رواتب متأخرة، وتبلغ قيمة هذه الموجودات المرهونة ١.٣ بليون دولار، ومعظمها غير سائلة

(أصول ثابتة). كما وجدت حكومة حماس أن هناك ديوناً على الحكومة السابقة، قدها ١.٣ بليون دولار، نصفها ديون للبنوك المحلية، ونصفها الآخر ديون متأخرة ومستحقة للقطاع الخاص.

المساعدات العربية والاعتراض الأمريكي

وفى ظل هذه الأزمة المالية التى تعيشها السلطة الفلسطينية بسبب فقدان السيولة لدى حكومة حماس، يعانى المواطن الفلسطينى أزمة حادة فى تدبير شئون حياته اليومية ومن المبشر فى هذا السياق أن هناك إشارات طيبة من بعض الدول العربية والإسلامية مثل السعودية ومصر وقطر والجزائر والإمارات وإيران باستعدادها لتقديم الدعم المالى لحكومة حماس بعد الجولة التى قام بها «محمود الزهار» وزير الخارجية الفلسطينى لبعض الدول العربية والإسلامية من أجل تعزيز الصمود الفلسطينى فى مواجهة الحصار الاقتصادى الدولى على حكومة حماس. وقد بلغت المساعدات المالية للسلطة الفلسطينية عام ٢٠٠٥، ما قيمته ١.١ مليار دولار (ثلث للمساعدات الإنسانية، وثلث لدعم الموازنة المباشرة للسلطة الفلسطينية، وثلث للمشروعات) واللافت أن نصيب المساعدات للموازنة عام ٢٠٠٥ بلغ ٣٦٠ مليون دولار، كانت حصة الدول العربية منها ٢٠٠ مليون دولار أما اللجنة الأوروبية، فقد دفعت نحو ٨٠ مليون دولار، والباقى وقدره ٨٠ مليونا، تم الحصول عليه من دول عديدة مثل اليابان، علماً بأن العجز الشهرى للسلطة الفلسطينية بلغ نحو ٧٠ مليون دولار شهرياً، وبات جلياً أن الولايات المتحدة لم تكتف بفرض الحصار المالى على حكومة حماس، بل امتدت لتنال من قرارات القمة العربية، التى أقرت فى الخرطوم، فى نهاية مارس الماضى مساعدة السلطة الفلسطينية، فحينما بادرت قطر بتقديم مستحقاتها من هذه المساعدات (٥٠ مليون دولار) بدأت واشنطن فى مساءلة قطر عن القنوات التى ستذهب إليها هذه الأموال، وكيفية تقديمها، فى إشارة إلى عدم الرضاء الأمريكى عن السلوك القطرى تجاه حكومة حماس.

وهنا نتساءل إلى هذا الحد بلغ الاستخفاف الأمريكى بالعرب؟ وهل من حق الولايات المتحدة مساءلة دولة عربية على تصرف يدخل فى إطار المصلحة العربية؟ وهل هناك وصاية أمريكية مخولة من الأمم المتحدة على بعض الدول العربية؟

خطة إفشال حماس

من الواضح أن لدى الولايات المتحدة وإسرائيل «خطة جاهزة» للتعامل مع حكومة حماس الجديدة تسمى «خطة إفشال حماس» تقوم على عدد من العناصر، أهمها:

• أولاً: توليد أكبر قدر من الضغوط الدولية والإقليمية والمحلية على حماس



لإجبارها على الاعتراف بإسرائيل، وبالاتفاقات السابقة.

• وثانياً: تعميق التناقضات بين الحكومة الجديدة وبقية الفصائل الفلسطينية الأخرى، خاصة فتح مع اتخاذ احتياطات قانونية تسمح لرئيس السلطة الفلسطينية فى حالة نشوء نزاع أو أزمة بين جناحى السلطة «رئاسة السلطة ورئاسة الحكومة الجديدة» حل المجلس التشريعى، فى الوقت المناسب، بعد تحميل حماس مسئولية تفجير الأزمة.

• ثالثاً: تلى الخطوة السابقة إجراء انتخابات جديدة، تتيح عودة الجناح الأكثر اعتدالاً فى حركة فتح إلى سلطة الحكم، بعد وصف حماس بالطرف غير المؤهل لقيادة وتحمل مسئولية الشعب الفلسطينى، أو العاجز عن التعاطى بكفاءة مع المعطيات الإقليمية والدولية.

فى هذا الصدد يذكر أن ثمة ثلاث مستويات من الضغوط تؤثر على كل من حماس والسلطة الفلسطينية:

• الأول: الضغوط الدولية وهى تتنوع ما بين ضغوط سياسية وأخرى اقتصادية.

وتتمثل الأولى فى عدم الاعتراف بحكومة حماس والحصار السياسى لها، وعدم تنفيذ الوعود بإقامة الدولة الفلسطينية.

بينما تتمثل الضغوط الاقتصادية فى محاولة حجب الدعم المالى الدولى عن السلطة الفلسطينية وعدم تحويل المستحقات المالية الفلسطينية لدى إسرائيل إلى الطرف الفلسطينى، وهى ضغوط لا شك تقلص من قدرة حكومة حماس على مواصلة بقائها فى الحكم.

• والثانى: الضغوط الإقليمية، وتتمثل فى مطالبة حكومة حماس بالاعتدال، ومسايرة المتغيرات الدولية، والمرونة بصدد القضايا الرئيسية المتعلقة بالتسوية السياسية، والتعامل مع إسرائيل، والتجاوب مع مستجدات الموقف الدولى.

• الثالث: الضغوط الداخلية وتتمثل فى العمل على تأجيج الصراع بين مختلف الفصائل الفلسطينية، والإبقاء على الفلتان الأمنى، وتعميق الفجوة بين رئاسة السلطة الفلسطينية وحكومة حماس، وتحريض فتح والقوى الأخرى على عدم المشاركة مع حماس لتشكيل «حكومة وحدة وطنية» حتى تواجه بمفردها الضغوط والتحديات الدولية من أجل حملها على الاعتراف بالوجود الصهيونى فى فلسطين.

إنذاران

وفى هذا الإطار تلقت حكومة حماس إنذارين:

• الأول: جاءها من اللجنة الرباعية الدولية التى أعلنت أنها قد تُوقف الدعم المخصص لميزانية حماس فى حالة عدم الاستجابة لشروطها، وفى مقدمتها الاعتراف بإسرائيل، ونبذ العنف.

● والثانى : جاءها من «كوندليزا رايس» وزيرة الخارجية الأمريكية، حينما قالت : «إن إدارة «جورج بوش» قد تتفهم قيام إسرائيل برسم الحدود من جانب واحد بسبب وجود حماس فى الحكم» وهذا التصريح من جانب وزيرة الخارجية الأمريكية يعنى أن الإدارة الأمريكية تبارك أى إجراء من جانب إسرائيل فيما يتعلق بضم الكتل الاستيطانية الكبيرة الموجودة فى الضفة الغربية إلى إسرائيل وعزل كل من القدس الشرقية وقطاع غزة عن الضفة الغربية من ناحية أخرى، وكذلك اعتبار غور الأردن يمثل الحدود الشرقية لإسرائيل، وهو ما يتعارض مع خريطة الطريق، ومحادثات قضايا الوضع النهائى.

فى حين أدلى الرئيس الأمريكى «بوش» بتصريح لشبكة «سى.بى.إس» الأمريكية حذر فيه حماس بقوله: «إن على حماس أن تتخلص من جناحها المسلح، وذلك الجزء من برنامجها السياسى الذى يدعو إلى تدمير إسرائيل» وأضاف الرئيس الأمريكى قوله: «إذا لم تفعل حماس ذلك فإننا لن نتعامل معهم، ولن نقدم المساعدة لحكومة تريد تدمير حليفتنا وصديقتنا إسرائيل».

الحصار يدعم حماس !!

وتنسيقاً مع الدور الأمريكى، فإن القادة الإسرائيليين، وعلى رأسهم «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلى المكلف، ووزير دفاعه «شاؤول موفاز» يزعمون دائماً «أن حركة حماس منظمة إرهابية، لا يجوز التعامل معها، وأنه لا يوجد شريك فلسطينى يمكن التفاوض معه» ولا شك أن هذه التصريحات تستهدف الضغط على كل من رئاسة السلطة الفلسطينية وحكومة حماس من أجل التفريق بينهما من جهة، وحمل حماس على الاعتراف بإسرائيل من جهة أخرى.

ولم تقتصر حملة التصريحات عند هذا الحد فقد أعلنت إسرائيل أنها تعتبر مجلس الوزراء الفلسطينى كله، بقيادة حركة حماس هدفاً مشروعاً للاغتيال، فقد أعلن «دانى ياتوم» الرئيس الأسبق للمخابرات الإسرائيلية «الموساد» لراديو إسرائيل فى ٢١ / ٤ / ٢٠٠٦ أن أنظار إسرائيل الآن تتركز على وزراء حماس، وليس فقط مراقب عام وزارة الداخلية الجديدة «جمال أبو سمهدانة» وكانت حماس قد عينته مؤخراً وعارضه الرئيس الفلسطينى «محمود عباس» ويرى الكثير من المحللين السياسيين أن الحصار المالى والسياسى الذى تفرضه الولايات المتحدة وإسرائيل على حكومة حماس حملها على الاعتراف بحق إسرائيل فى الوجود، لا يُلزم حماس، بالضرورة على الاعتراف بها، بل يمكنها الصمود فى مواجهته مستندة فى ذلك إلى عدد من السوابق:

● أولاً: عدم اعتراف حركة فتح بإسرائيل اعترافاً مباشراً، حيث إن منظمة التحرير الفلسطينية هى التى اعترفت بإسرائيل فى إطار اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، وبالمثل فإن حماس ليست مضطرة رسمياً للاعتراف بإسرائيل، ويكفى اعتراف منظمة التحرير بإسرائيل.

● ثانياً: إن حكومة حماس ليست مُلزمة بالتفاوض مع إسرائيل، حيث إن منظمة التحرير الفلسطينية، وليست حركة فتح، هى من تفاوض مع إسرائيل ووقع اتفاق أوسلو، واتفاق طابا، واتفاق القاهرة عام ١٩٩٤، واتفاق الخليل، وواى ريفر. كما أن المنظمة هى أيضاً من تفاوض مع إسرائيل فى كامب ديفيد ٢٠٠٠، من دون فتح.

● ثالثاً: إن المسئول الوحيد عن ملف العلاقات مع إسرائيل هى رئاسة السلطة الفلسطينية وليست حكومة حماس أو رئيسها، ومن هنا فلا ضرورة لاعتراف جديد من حماس. ومع ذلك فإن حماس على استعداد للاعتراف بإسرائيل بشروط معينة، فقد أعلن «خالد مشعل» رئيس المكتب السياسى لحركة حماس أن الحركة ستكون مستعدة للعيش بسلام مع إسرائيل إذا انسحبت من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، بما فيها القدس الشرقية، وسمحت بحق العودة للاجئين، وفككت المستوطنات اليهودية، ودمرت الجدار الفاصل، وأفرجت عن جميع الأسرى. وهى مطالب سبق لفتح التأكيد عليها مراراً وتكراراً، وفى هذا السياق يقول «باتريك سيل» الكاتب البريطانى المتخصص فى شئون الشرق الأوسط: فى حين أن «حماس» التزمت بالتهدئة طوال ١٥ شهراً، على رغم حملات إسرائيل المستمرة واغتيالاتها، فإنها «أى حماس» أعلنت استعدادها للدخول فى مفاوضات السلام مع إسرائيل. كما نصت عليها خريطة الطريق والتى من شأنها فى حال نجاحها أن تؤدى إلى اعتراف متبادل، غير أن إسرائيل رفضت التفاوض مع حكومة حماس، وقطعت كل الإتصالات السياسية معها، ووصفتها بالشيطان، وبأنها منظمة إرهابية، وجمّدت نحو ٥٠ مليون دولار، من عائدات الجمارك التى تحصلها إسرائيل لحساب السلطة الفلسطينية.

مقاومة المحتل حق مشروع

ويضيف الكاتب البريطانى موضحاً كيف أن إسرائيل لا تحترم الاتفاقيات التى توقعها فيقول: «وغنى عن القول، والحالة هذه، أن إسرائيل خرقت بذلك كل الاتفاقات التى عقدتها مع الفلسطينيين» ويذهب بعض المحللين إلى أنه من الناحية القانونية، لا يمكن الاعتراف بإسرائيل إلا فى إطار «اتفاقية سلام» لأن اتفاق أوسلو لا يمكن أن يكون اتفاقية، بل هو مجرد «إعلان للمبادئ» يمكن التفاوض حولها للتوصل إلى تسوية سياسية، ولا يجوز القول بأن وجود السلطة قائم قانوناً، أو هو ثمرة أو أحد نتائج اتفاق أوسلو ١٩٩٣، لأن السلطة منتخبة من الشعب الفلسطينى، وتستمد شرعيتها السياسية والقانونية من هذا الشعب.

أما نبذ العنف الذى تقصده إسرائيل فهو التصدى للعدوان الإسرائيلى وهو فى الأصل «حق مقاومة المحتل» وهو حق مشروع أقرته التشريعات الدولية.

وكـان من الأولى أن تطالب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى، إسرائيل كدولة احتلال، بوقف عدوانها على الشعب الفلسطينى والانسحاب من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ لأن الأصل هو الاحتلال.

ويكاد يجمع الكثيرون أن إسرائيل قد تقع فى خطأ كبير إذا هى اعتقدت أن حكومة حماس يمكنها أن تصدر وعداً مكتوباً، يماثل وعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧)، تعترف فيه بإسرائيل «كوطن قومى لليهود»، فقد استوعبت حماس الدرس منذ اتفاق أوسلو ١٩٩٣، فلم يسفر الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل عن شىء، من شأنه، دعم القضية الفلسطينية، فلا تزال إسرائيل تزعم «عدم وجود شريك فلسطينى» وتعمل على تجميد عملية السلام.

إدارة الشعوب لا يمكن كسرها

ويعتقد البعض أنه يمكن لحكومة حماس أن تقدم اعترافاً ضمنياً ومشروطاً بإسرائيل من خلال خطابها السياسى الذى يتضمن ذلك، ويستندون فى ذلك إلى ما تزخر به الأدبيات السياسية من أشكال الاعتراف الضمنى الذى يُعد «اعترافاً مؤقتاً» يجوز الرجوع فيه، فى حين لا يمكن سحب الاعتراف القانونى. ومن أمثلة الاعتراف الضمنى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو الاعتراف بمبادرة السلام العربية التى أطلقها العاهل السعودى «عبدالله بن عبدالعزيز» فى القمة العربية ببيروت فى مارس ٢٠٠٢، ومن هنا يمكن لحماس إذا أقدمت على مثل هذا الاعتراف الضمنى، أن تكسب عطف المجتمع الدولى، وهو ما يؤدى إلى تقليص الضغوط الدولية المفروضة عليها، دون أن تفقد مبدأ من مبادئها، خصوصاً أن حماس الآن أضحت فى موقع السلطة، تمثل الشعب الفلسطينى بكل فئاته وتياراته، وهذا ما يفرض عليها التعامل مع الواقع الراهن بمسئولية وطنية عالية فى إدارة العلاقات الخارجية.

وفى الختام

يمكن القول إن حجب المستحقات المالية الفلسطينية من جانب إسرائيل، ووقف المساعدات الدولية من جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى وغيرها من الضغوط ليس فى صالح عملية السلام، ولن تجبر الشعب الفلسطينى على الركوع والخضوع لهذه الضغوط، بل ستزيده صلابة فى مواجهة هذه التحديات الدولية، والالتفاف حول حكومة حماس. وإذا كانت الولايات المتحدة تريد عقاب الشعب الفلسطينى، على خياره الديمقراطى بتجويعه، فإنها تكون مخطئة، وتقع فى وهم كبير، اسمه غرور القوة، فإن إرادة الشعوب، لا يمكن كسرها أو هزيمتها، فما يحدث فى العراق الآن خير شاهد على ذلك.



للأستاذ الدكتور/
أحمد عمر هاشم

اشتملت الشريعة الإسلامية على كل ما فيه سعادة البشرية فى الدنيا والآخرة، واستوفت بتعاليمها السمحة، وقوانينها الثابتة المحكمة، كل ما يكفل للفرد والجماعة حياة طيبة فى الدنيا، ومثوبة عظيمة فى الآخرة، قال الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[النحل: ٩٧]

وكان للشريعة الإسلامية فضلها الذى لاينكر حتى من أعداء الإسلام فى ترسيخ دعائم الحق ونشر قوانين العدالة التى أنقذت الإنسانية المعذبة من مخالب الجهالة والضلالة، وأخذت بيد الضعيف ورفعت من قيمة البسطاء العاديين والفقراء والكادحين وكل فئات النوع الإنسانى التى كادت تجرفها تيارات الضياع والهلاك وهى معزولة وضعيفة لاتملك من أمرها شيئاً، وكان للشريعة فضلها الذى لاينكر فى نظرتها الحانية إلى الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل واليتامى والأرقاء والخدم وأصحاب المهن البسيطة والحرف العادية، فجعلت الشريعة لهم فى صفوف الحياة الكريمة مكاناً واضحاً ووضعاً لا يغبنون فيه.. كل ذلك قبل أن تعرف المواثيق الدولية حقوق الإنسان بأربعة عشر قرناً. وكان للشريعة فضلها فى إعطاء المرأة حقها بعد أن كانت لاحق لها، بل كانت محرومة من كل الحقوق حتى من حق الحياة نفسها إذ كانت توأد وهى طفلة صغيرة.. إلى غير ذلك من الحقوق التى

لاتحصى، فى شتى المجالات، ولسائر فئات الناس من رجل أو امرأة من حر أو عبد، ومن غنى أو فقير، ومن أفراد أو جماعات، ومن أمم أو شعوب. لقد كفلت الشريعة الإسلامية لبنى الإنسان الكرامة والعزة يتمتع بها المؤمنون السائرون على هديها قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[المنافقون: ٨]

أساس حقوق الإنسان

وأقامت شريعة الحق بناء دعوتها، وجميع ماطبعها من حقوق للإنسان على أساس الإيمان بالله ـ تعالى ـ وحده لاشريك له، وهنا نقف على عظمة الشريعة الإسلامية وحكمتها، وعلى قوة تنفيذ هذه الحقوق من الحاكم ومن المحكوم، ومن الرئيس والمرؤوس ومن الغنى والفقير وهكذا.. فإذا كان الإيمان هو القاعدة التى تنطلق منها دعوات المصلحين والنداء بحقوق الإنسان تشريعاً وتطبيقاً، فإن للإيمان أثره فى الالتزام بتحقيق العدل والخير، وبسرعة الطاعة فى كل أمر وتنفيذ كل حق من الحقوق، ويظهر جانب الالتزام بتنفيذ كل الحقوق على هدى من الكتاب والسنة وطاعة لله ولرسوله..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

[النساء: ٥٩]

وبين الله ـ تعالى ـ أن فى تنفيذ ما أمر به وفى طاعة رسوله ﷺ الرحمة للإنسان قال سبحانه:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[النور: ٥٦]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[الحشر: ٧]

وهنا نرى الفارق الكبير بين دعوة الشريعة إلى حقوق الإنسان، وبين الدعوات الأخرى التى تنادى بها المواثيق الدولية، فإن الدعوة إلى حقوق الإنسان فى رحاب الشريعة نابعة من الإيمان، صادرة عن العقيدة الإسلامية التى يلتزم أمامها الإنسان المسلم، ويرى ضرورة العمل والتطبيق وتنفيذ الحقوق بأسرع مايكون، ففى تنفيذها الأمن وفى تطبيقها الرحمة.. وفى البعد عنها والنكوص عما تنادى به بعد عن حقيقة الإيمان ووقوع فى الخسران، فثمرة حقوق الإنسان، فى رحاب الإيمان، أنها مأمونة الجوانب



لاخوف عليها من أحد، لأن المسلمين يصدرون عن عقيدة وراءها حساب ـ ثواب أو عقاب ـ بخلاف غيرها.

وأما الجانب الثانى الذى يلتزم فيه بتطبيق وتحقيق حقوق الإنسان، انطلاقاً من الإيمان فهو جانب المراقبة، وهذا ليس موجوداً إلا فى الإسلام، ويظهر أثر ذلك فى سرعة إعطاء كل ذى حق حقه، وعدم الجور على حقوق الآخرين، فالإنسان إذا حدثته نفسه أن يسطو على مال الغير، أو حياته، أو عرضه، أو حريته، أو أن يسلبه حقاً ما من الحقوق، فإن عنصر المراقبة يوقظ فى أعماقه الضمير الدينى، الذى يجعله يدرك خطورة مايقع فيه ومدى عاقبة الجرم الذى يرتكبه فإنه يؤمن بأن الله مطلع يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ويعلم ماتبدون وماتكتمون..

وكما رأينا بأن الإيمان هو الأساس الأصيل ومنه يكون الالتزام بأداء الحقوق ومراقبة الله السميع البصير فيها، فإن فى الشريعة الإسلامية تطبيقات لحقوق الإنسان واجبة الأداء: كالزكاة، وصلة الرحم، وإكرام الجار، وحسن معاملته، وإعطاء كل ذى حق حقه، فى البيع والشراء، وفى العمل وفى الشركة وفى الإجارة، وغير ذلك من المعاملات التى استوفاها الفقه الإسلامى بأبوابه وفصوله.

ثم كان فى الجانب الأخلاقى استثمار لهذه الحقوق وسمو بها إلى المثالية العالية حيث لا يكتفى الإنسان بالقيام بالواجب فحسب بل إن هناك جوانب نادى بها الإسلام ارتفاعاً بحقوق الإنسان وشمولاً لكل مناحى الحياة وجوانبها المختلفة وعلاقاتها المتعددة.

حقيقة الحدود

وتحقيقاً للأمان لهذه الحقوق نجد فى الحدود الإسلامية ما يحفظ للإنسان حقه فى: الحياة، وفى المال، وفى العرض، وفى الحرية، والمساواة، والعمل، والشورى، والكرامة، وما إلى ذلك من الحقوق التى كفلها الإسلام وحافظ عليها ودعا لها.

ففى الاعتداء على حق «الحياة» تكون العقوبة من جنس الجريمة قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٨، ١٧٩]

وبالنسبة لحق الإنسان فى الأمن نجد الشريعة قد جعلت للاعتداء على هذا الحق حداً هو حد الحرابة، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[المائدة : ٣٣ ، ٣٤]

وبالنسبة لحق المال نجد الشريعة قد جعلت عقوبة الاعتداء على هذا الحق ماوضحه القرآن الكريم فى قول الله تعالى :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[المائدة : ٣٨]

وعن حق النسل أو العرض، نرى عقوبة ذلك فى قوله تعالى :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾

[النور : ٢]

وبالنسبة للمحصن الرجم وهكذا.. إلى آخر الحدود والعقوبات التى جاءت فى الشريعة الإسلامية ولانجد لها مثيلا فى أى قانون من القوانين الوضعية.

إنها حدود وعقوبات عادلة تقوم بحفظ حقوق الإنسان ورعايتها وصيانتها من التعرض لها. إنها تصون حقوق الإنسان فى حياته ونفسه وفى ماله ونسبه وعرضه، وهكذا نرى فى شريعة الله المحافظة على حقوق الإنسان واستتاب الأمن والطمأنينة فى الحياة على شتى مجالاتها، ومما سبق يتضح أن الشريعة الإسلامية، قد استوفت كل الحقوق بعقيدتها الصحيحة التى هى أساس العبادة والعمل والأحكام والأخلاق، وبتشريعاتها ومبادئها المستقيمة التى تصون حقوق الإنسان وتحافظ عليها وتدعو لها على هدى وبصيرة إنها الشريعة التامه الكاملة التى أكملها الله وأتم بها النعمة قال سبحانه:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[المائدة : ٣]

قال رسول الله ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى»[١]

(١) رواه الحاكم.



الإسلام صان حقوق الإنسان

وبهذا التشريع الربانى المحكم، والوحى الإلهى صان الإسلام حقوق الإنسان، ونادى بتطبيقها وشرع الحدود عقوبة للمعتدين عليها والمقتحمين حماها بغير حق، وبهذا أعطى الإنسان حقه فى الحياة الكريمة بعد حقبة من الزمن عاشها الإنسان يرسف فى أغلال الظلم والاستعباد حتى جاء الإسلام ففك هذه الأغلال وحرره وكرمه وجعل حياة المجتمع الإسلامى تشرق بالتوحيد الخالص الذى لاشرك فيه وبالعدالة الكاملة التى لاظلم معها، وأحل الإسلام الكرامة محل الاستذلال والمساواة، محل التفرقة، والعلم، محل الجهل، والحرية بدل الاستعباد، والتعارف والتآلف بدل التناكر والاختلاف، والعمل بدل البطالة، والشورى بدل الاستبداد بالرأى، والإيثار بدل الأنانية، والحق بدل الباطل.

وأكد الإسلام على حرمات المسلمين.

فلقد جاء فى خطبة رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، قوله : «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٢].

أصول الحق

ويدعم القرآن أصول الحق وركائز الإيمان، مناديا بالأصول الأساسية لحقوق الإنسان فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

[النساء : ٥٨]

وإن حماية الإسلام لحقوق الإنسان تستوجب على المسلمين فى كل الأرض أن يصونوا هذه الحقوق، ففى صيانة المسلم لحق غيره صيانة لحقه، وفى إهماله لحق غيره إهمال لحقه.. وإنها لتستوجب على كل من ولى أمرا أن يرفق بعباد الله دون تضييع للحق ودون إهمال، وألا يشق على أحد، فقد قال ﷺ : «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه»[٣].

وهو بهذا يقضى على كل أمراض التعتيم الروتينى، والتعقيد الوظيفى، أو مايسمى بالبيروقراطية..

وفق الله المجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية إلى ما فيه الخير والرشد والصلاح،،،

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

الأزهر

هل أنصف المستشرقون والمــــؤرخون حضــارة الإسلام؟

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

إن الباحث المدقق فى كتابات المستشرقين والمؤرخين عن الإسلام وحضارته يلحظ أحيانا بعض الخلط واللبس بين المفاهيم، والتسرع فى صياغة الأحكام وإطلاقها من دون أساس علمى، أو برهان منطقى وعملى. هذا فضلا عن انطلاق بعض الكتاب فى دعواهم من مواقف متميزة بدرجات متفاوتة لأسباب تخصهم ولم تعد خافية على أحد.

فهناك مثلا أصحاب النزعة العرقية الذين يتخذون من «علم نفس الأجناس» ذريعة لتقرير دونية الجنس السامى عن الجنس الآرى فى الموهبة والقدرة والذكاء، ثم يبنون على أساس هذه المقولة التعصبية زعهم بأن السلالة الآرية التى تنتمى إليها الأمم الغربية هى وحدها الصفوة المؤهلة للرقى والسيادة، وإليها يرد كل ماله قيمة فى تاريخ المعرفة والحضارة، أما العرب فلا قبل لهم بذلك، ومن العبث أن يتلمس المرء لديهم إبداعا فكريا أو إنجازا حضاريا أو منهجا عقلانيا، خصوصا وأن الإسلام ـ فيما يزعمون ـ قد ضيق آفاق العقل العربى وحرمه من البحث الحر والنظر الطليق ـ وإن ما ينسبه العرب لأنفسهم من فلسفة ومعرفة إسلامية خاصة بهم ليست إلا محاكاة لفلاسفة الإغريق وصياغة عربية لآراء وأفكار يونانية. وقد مكن لهذه النزعة «أرنست رينان» E.Renan، وسايره المستشرق الألمانى «كريستيان لاسن» Ch.lassen والفيلسوف الفرنسى «فيكتور كوزان» V. Cosin وغيرهما لكن تحايل بعض المؤرخين والمستشرقين على الإسلام وحضارته لم يمنع وجود باحثين منصفين أعلنوا فى أمانة علمية أنهم كانوا كلما أوغلوا فى دراسة التراث الإسلامى العلمى والتقنى ازدادوا إعجابا بصناعه وتقديرا لقيمته، فمنهم من يقرر أن جابر بن حيان له فى الكيمياء ما لأرسطو فى المنطق، وأن البتانى من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله، وأن البيرونى أعظم عقلية فى التاريخ، وأن أبا بكر الرازى هو جالينوس العرب ويقول «سيديو» عن علماء المسلمين: «إن أفكارهم القيمة وابتكاراتهم النفيسة تشهد بأنهم أساتذة أهل أوروبا فى جميع فروع المعرفة، ويقول «كاربنسكى»: إن العلوم الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم حينما كانت أوروبا غارقة فى ظلمات القرون الوسطى، وأن العرب لم يقتصروا على نقل علوم الإغريق، بل زادوا عليها، وأسهموا بإضافات هامة» ويعترف «بريفولت» بأن المنهج العلمى التجريبى كان أعظم هدية قدمتها الحضارة الإسلامية لتاريخ البشرية كلها، بعد أن اتخذه علماؤها أساسا للبحث فى الظواهر الكونية توطئة لاكتساب معارف جديدة، ويقول فى كتابه «بناة الإنسانية»: «..... إن العلم الذى نعرفه نشأ نتيجة لطرائق جديدة أدخلها العرب إلى أوروبا استنادا إلى التجربة والملاحظة والقياس.

إن العلم الحديث يعتبر أهم إسهامات الحضارة الإسلامية» وتؤكد حقائق التاريخ العلمى والحضارى أن الأوروبيين تأثروا بالحضارة الإسلامية ولجأوا إلى دراسة ثقافتها ونقلوا الكثير من علومها، فكانت النهضة الأوروبية الحديثة فى حقيقتها اقتباسا من الحضارات السابقة بعامة، والحضارة الإسلامية بخاصة، قبل أن

تكون صياغة جديدة للمعرفة بما يلائم العقلية الجديدة المتحررة من كل القيود والثائرة على كل مظاهر التخلف والانحطاط فى عصور الظلام الوسيطة.

أوروبا والإسلام

يقول الدكتور عبدالحليم محمود ـ رحمه الله ـ فى كتابه أوروبا والإسلام: إن الحروب الصليبية كانت سببا من الأسباب الأولى التى جعلت الكثير من الأوروبيين يغيرون وجهة نظرهم فيما يتعلق بالشرق على العموم، وبالإسلام [وحضارته] على الخصوص فقد رأى الغربيون صفات الشهامة والنبل والفروسية يتحلى بها أعداؤهم الشرقيون، ورأوا أن ديانة المسلمين ليست على ما يصوره الاستعمار من الانحطاط والتخريف، وبدأ الغربيون يدرسون، فى شىء من التدبر والروية، هذا الشرق الذى كان لا يثير فى نفوسهم إلا مارسمه رجال مغرضون من صور تبعث فى النفس النفور والاشمئزاز.. ثم كانت الرحلات الكثيرة والاتصالات المستمرة، والصلات المباشرة الوثيقة، من العوامل الفعالة فى إزالة كثير من الأوهام التى علقت بأذهان الغربيون عن الشرق وعن الإسلام.

الشيخ عبدالحليم محمود

ولم يقف الأمر عند حد إزالة الأوهام، ولكن تيار تفهم الإسلام على نحو أفضل قد سرى فى النفوس والعقول الباحثة عن الحقيقة بعد أن امتدت إليها محاولات الطمس والتشويه، حتى لقد أخذنا نسمع ونقرأ من خلال وسائل الإعلام والاتصالات الحديثة عن آراء منصفة فى حق الإسلام عقيدة وتاريخا وشريعة وحضارة وثقافة، ونجد من بين أصحاب هذه الآراء المنصفة من أحب الإسلام ومدحه، ولا ندرى ماذا أسر فى نفسه، كما نجد من آمن به فى غير لبث ولا مراءاة، وجابه الرأى العام فى بيئته بعقيدته، ثم أخذ يشرح أسباب تحوله إلى هذه العقيدة ويدعو إليها مكرسا وقته وجهده لنشرها يقول اللورد «هيدلى» أحد الذين تحولوا إلى الإسلام: «إننى اعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا، مسلمون قلبا، ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى



الابتعاد عن التعب الناشىء عن التغيير، تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم».

وسوف نعرض فيما يلى لنماذج متنوعة من كبار الكتاب والمفكرين والمؤرخين الذين اهتموا بدراسة حضارتنا الإسلامية كما بدت فى عيونهم، سواء من اعتنق منهم الإسلام قلبا، أو من أحبوه، وأعجبوا بما فيه من تعاليم وقيم حضارية، أو من حاول إنصاف الحقيقة، ولكنه خلط عملا صالحا بآخر سيىء وآثرنا فى جميع الأحوال أن نسجل شهادتهم من واقع مؤلفاتهم، على أن نفند بعض الدعاوى والافتراءات التى وردت فى كتابات بعضهم عمدا أو بدون قصد.

١.فرانسواز ميشو

تعمل فرانسواز ميشو Francoise Micheau حاليا أستاذا بجامعة باريس، وتشير فى إحدى دراساتها التى ضمتها موسوعة تاريخ العلوم العربية إلى أن أهم ما يميز الحضارة الإسلامية هى ظاهرة المؤسسات العلمية والحضارية كالمكتبات والمستشفيات والمراصد الفلكية والمدارس التعليمية وغيرها وانطلقت فى تأصيلها لنشأة هذه المؤسسات من سيرة الحكام المولعين بالبحث العلمى ودعمهم السخى للعلماء، فلم يكن يتم تأسيس مكتبة كبيرة، أو إنشاء مستشفى، أو مشروع ترجمة، دون الحصول على دعم مالى من وزير أو أمير أو أحد الأعيان والموسرين.

وعن الكتب والمكتبات تقول فرانسواز ميشو: إن العديد من الشعراء العرب تغنوا بالرفقة الأمينة للكتب، وتستشهد بوصف ابن أبى أصيبعة لمكتبة الطبيب ابن المطران الغنية بأكثر من ثلاثة آلاف مجلد، وكان يعمل فيها لحسابه ثلاثة ناسخين من دون انقطاع، كما أن ابن المطران نسخ بنفسه عددا من الكتب، وعند موته سنة ٥٧٨هـ/ ١١٩١م بيعت مجموعته الفريدة هذه إلى عمران، وهو طبيب آخر مولع بالمكتبات، وأصبح مالكها المحظوظ، وقد انتشرت تجارة النسخ بفضل تهافت الطبقات المثقفة للحصول على الكتب.

من ناحية أخرى، تنبه الباحثة المعاصرة فرانسواز ميشو إلى أن «الوقف» - وهو عبارة عن عقارات من الأراضى - قد أنشىء فى الفسطاط لحساب «دار الحكمة» وعدد من

الجوامع فى مصر، وكان أكثر من عشر هذا الربع بقليل مخصصا لهذه الدار لدفع رواتب كل من المسئول الإدارى والناسخين والخدم، ولتأمين إصلاح الكتب وترميمها، ولتزويد القراء بالحبر والورق والأقلام، ولشراء السجاد والأبسطة وكان للمؤسسات الشبيهة بدار الحكمة دور مماثل فى كل من الموصل والبصرة وحلب وطرابلس.

دار العلم

وعندما أنشأ الوزير البويهى سابور ابن أردشير «دار العلم» حوالى سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م فى حى الكرخ فى بغداد تبين من مقدمة الفهرس الخاص بهذه الدار- وهى للأسف القطعة الوحيدة التى بقيت منه - أن الدار تضم إلى جانب القرآن ومؤلفات التفسير والفقه والشريعة وعلم الأنساب والقواعد والشعر، ومخطوطات فى الطب والفلك والفلسفة وغيرها من العلوم.

وعن المستشفيات، أو البيمارستانات، باعتبارها مؤسسات علمية حضارية، تقول الأستاذة فرانسواز ميشو: إنها تكاثرت فى العواصم والمدن الإسلامية ابتداء من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، ويشكل هذا التكاثر دليلا ساطعا على تسخير العلوم الطبية لخدمة السكان المحليين. وعندما جال ابن جبير فى الشرق الأدنى خلال السنوات ٥٧٨-٥٨١هـ/ ١١٨٣-١١٨٥م أشار إلى وجود مستشفى أو عدة مستشفيات، فى غالبية المدن التى اجتازها، واعتبر الرحالة الأندلسى أن هذه أجمل شهادة عن مجد الإسلام. وأصبحت المستشفيات الكبرى مراكز لتعليم مهنة الطب. فقد أهدى نورالدين لمستشفى دمشق مكتبة رائعة متخصصة لتعزيز التدريس فيها، وأشارت فرانسواز ميشو إلى ما ذكره «المقريزى» من أن المستشفى المنصورى فى القاهرة كان يضم مكانا يجلس فيه رئيس الأطباء لإعطاء دروس فى الطب، وتحتوى هذه الوثيقة على تسمية الأساتذة المتخصصين لتدريس العلوم الطبية والفقه والحديث وعلوم القرآن.

نتيجة مهمة

وتخرج الباحثة فى المؤسسات الإسلامية الحضارية بنتيجة مهمة مؤداها أن الطب الإسلامى كمادة



علمية قد اندمج مع الثقافة الإسلامية كعلم تطبيقى مفيد، وأن إنشاء الأوقاف لمصلحة المستشفيات يؤكد هذا التطور المميز للحضارة الإسلامية الرائدة.

أما المراصد الفلكية ومراكز المراقبة فقد كانت حتى القرن الخامس للهجرة/ الحادى عشر للميلاد مقتصرة على أعمال يقوم بها بعض الفلكيين إذا ما توفر لديهم بعض الأجهزة على غرار ما فعل بنو موسى بن شاكر عندما كانوا يراقبون السماء من منزلهم الواقع فى باب الطاق على ضفاف دجلة. وعندما طور البويهيون ووزراؤهم برامج رصد فى الرى وأصفهان وشيراز، تطلب الأمر إقامة محطات متخصصة لاستخدام أجهزة ضخمة يصعب نقلها. وتشير «فرانسواز ميشو» فى هذا السياق بصفة خاصة إلى المرصدين الكبيرين فى مراغة وسمرقند كدليل على ظهور مؤسسات طموحة ومكلفة فى مجال الأبحاث الفلكية للحصول على دقة أكبر فى القياسات والأرصاد وتصف الأبنية الضخمة الواقعة على هضبة قريبة من مدينة مراغة بأذربيجان بأنها قد امتدت على مساحة طولها ٣٥٠ مترا وعرضها ١٥٠ مترا، وقد أشارت النصوص التى تصف المركز بإعجاب إلى قبة مثقوبة فى أعلاه للسماح بدخول ضوء الشمس إلى مكتبة حوت أربعين ألف مجلد.

وقد عمل فى هذا المرصد فريق من جنسيات مختلفة، واستمر نشاطه حتى أوائل القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى لكن الجغرافى «القزوينى» لم ير منه بعد ذلك سوى الأنقاض.. إلا أن هذه الأنقاض هى التى أوحت إلى الفتى «أولغ بك» عندما زارها بإنشاء مرصد مماثل فى سمرقند بعد أن أصبح حاكما فى القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد (٨٣٣هـ/ ١٤٢٠م)، وقد اكتشف آثاره سنة ١٩٠٨م على رابية فى الضواحى الشمالية الشرقية للمدينة على يد عالم الآثار الروسى «فياتكين».

ولما كانت أسبانيا تمثل مركز الاتصالات الثقافية بين الإسلام وأوروبا المسيحية فإن الباحثة تدعو الباحثين إلى أن ينظروا بعين جديدة إلى تأثير المؤسسات العلمية للحضارة الإسلامية فى نظيراتها الغربية.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

سؤال العافية

قال ﷺ : «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»

قالوا : فما نقول ؟

قال : «اسألوا الله العافية فى الدنيا والآخرة» «رواه الترمذى وحسنه».

وقال ﷺ : «من رأى صاحب بلاء، فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يضره البلاء» «رواه الترمذى والطبرانى»

وقال معاوية : العافية بيت يؤويه، وثوب يكفيه، وسلطان لا يعرفه فيؤذيه، وزوجة ترضيه.

وقال سهل التسترى : أجمع العلماء أن تفسير العافية : ألا يكل الله العبد إلى نفسه.

إنزال الناس منازلهم

كان رسول الله ﷺ فى يوم من الأيام جالسا فى المسجد يخاطب أصحابه، وكان المجلس مزدحما بالناس، وكان سيدنا أبوبكر - رضى الله عنه - جالسا على يمين النبى ﷺ ومصغيا إلى حديثه.

وخلال ذلك أقبل سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فوقف وسلم ثم أخذ يبحث عن مكان له فى المجلس فلم يجد، وهنا تزحزح سيدنا أبوبكر - رضى الله عنه - قليلا فى مجلسه، ثم قال : مكانك ها هنا يا أبا الحسن، وأجلسه بينه وبين النبى ﷺ، وهنا ظهر السرور على وجه النبى ﷺ والتفت إلى سيدنا أبوبكر، وقال له :



«يا أبابكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل».

لمن تكون العزة؟

قيل للحسن بن على - رضى الله عنهما - : إن الناس يزعمون أن فيك كبرا وتيها.

فقال : ليس بتيه ولكنه عزة المسلم ثم تلا الآية :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة المنافقون : ٨)

حقائق

قال الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

وقال أبوالأسود الدؤلى :

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا
فإنك لا تدرى متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مباين
فإنك لا تدرى متى أنت راجع

وفى فرائد اللآلىء :

ولا يكن حبك دوما كلفا
ولا يرى بغضك يوما تلفا

ما قيل فى تأديب الصغار

قال بعض حكماء المسلمين : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا.

وقالوا : اطبع الطين ما كان رطبا، وقوم العود ما كان لدنا.

وقالوا : من أدب ولده، أرغم حسده.

وقال ابن عباس - رضى الله عنه : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره، لم يجلس فى الكبر حيث يحب.

وقال حكيم : ما أشد فطام الكبير، وأعسر رياضة الهرم.

وقال صالح بن عبدالقدوس شعرا :

وإن من أدبته فى الصبا
كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا
بعد الذى أبصرت فى يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يوارى فى ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد له جهله
كذى الضنا عاد إلى نكسه
ما تبلغ الأعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال شاعر غيره :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا
فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك ولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت.

الأخذ بالثأر

دخل ظريف على قوم يأكلون السمك، وقال: هذا والله عدوى، ولى عليه ثأر، فقد مات أبى غريقا فأكله السمك، قالوا: هون عليك نحن ننتقم لك.

فقال: لا بل الابن أحرى بأخذ الثأر.

حقـا

إنا لنفـرح بالأيام نقطعـهـا
وكل يوم مـضى نقص من الأجل

طبع إنساني

قال حكيم: من غريب طبع الإنسان أنه يحب العدالة مظلوما، ويكرهها ظالما، ويطلب الحرية مرءوسا وينكرها رئيسا.

علامات

كان ذوالنون المصرى يقول: علامة السعادة للمرء ثلاث: متى ما زيد فى عمره نقص من حرصه، ومتى ما زيد من ماله زيد فى سخائه، ومتى ما زيد فى قدره زيد فى تواضعه.

وعلامات الشقاء ثلاث:

- متى ما زيد فى عمره زيد فى حرصه.
- ومتى ما زيد فى ماله زيد فى بخله.
- ومتى ما زيد فى قدره زيد فى تجبره وتكبره.



اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبك أصبحت وأمسيت، ذنوبى بين يديك وأستغفرك وأتوب إليك، فلا حول ولا قوة إلا بك.

العمل وقيمة الإنسان

للأستاذ / عادل خفاجة

وجدته غارقا فى حساباته، فلم أشأ أن أقطع عليه أفكاره وجلست أرقبه من كثب حتى ينتهى من عمله، فنبدأ عملنا المشترك ثم رفع عينيه - وفيها كثير من الأسف - قائلا: هل تتخيل أننى أساوى مبلغ «كذا»؟!

وأدهشنى هذا القول جدا فقلت له: ماذا دعاك إلى هذا القول يا أستاذ «فلان»؟

قال: إن لى مبلغا من المال يدر علىّ ربحا مقداره «كذا» وهو ما يساوى تماما ما أربحه من عملى طوال العام أى أننى أساوى هذا المقدار!!

لم أتمالك نفسى وقلت مازحا: أخيرا عرفت قيمتك يا أستاذ (فلان).

ولكنى رحت أتساءل أى فكر هذا الذى استولى على الرجل برغم سنى خبرته الطويلة؟

لاشك أن الرجل قد تأثر بشىء مما تقذفه الفضائيات ليل نهار، أو من أفواه تتباهى بالنقل عن الغرب ثم وجدت فى الفكر الغربى - قريبا من هذا المعنى إذ ينظرون إلى السلعة - التى هى نتاج الجهد البشرى - باعتبارها «شىء» كان فى الأصل جهدا بشريا ومن هذا المنطلق يكون عمل الإنسان مجموعة أشياء قابلة للتقييم والتداول. وينسحب هذا الحكم على الإنسان ذاته!!

وهكذا وجدنا الغرب يقيّم الإنسان هذا التقدير المادى، وكأن الإنسان مجرد آلة أنتجت مجموعة أشياء وهو يوازيها قيمة.

إن الغرب يعلى من قيمة العمل ويجعله مقياسا لقيمة الإنسان.. ولكنه لا يستطيع الخروج من معاييره المادية!!

إن التقدم العلمى قد ساعد علماء الغرب فى التوصل إلى تحديد مقادير العناصر التى يتكون منها جسم الإنسان وأن فيه من المعادن مايكفى لصناعة مسمار صغير - وعلبه طباشير.. وفيه من الأملاح كذا ومن المياه كذا.. الخ.

وهنا نجد بعض علمائهم - بناء على ذلك - يقولون إن مجموعة العناصر التى يتكون منها جسم الإنسان لاتتجاوز حفنة دولارات، وإنما



الإنسان بالعمل أقيم وأغلى.

وإن كان من شيء قيم في هذا الفكر فإنه الحث على العمل.. أي دفع الإنسان إلى العمل الجاد، حتى تزداد قيمته في المجتمع.

هذا ما ذهب إليه الفكر الغربي.. فماذا فعل الإسلام للحث على العمل؟

لقد قرن الله تعالى العمل بالعبادة في أكثر من موضع بالكتاب العزيز يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا۟ فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾

(الجمعة/ ١٠)

فبعد أن يؤدى الإنسان صلاته عليه أن يلتمس الخير من الله بالسعي.

وبعد أن يؤدى مناسك حجه فعليه أيضا أن يلتمس الخير بالسعي في طلب الرزق.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا۟ ﴾

(المائدة/ ٢)

ويقول تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(البقرة: ١٩٨)

ويقول:

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾

(المزمل: ٢٠)

فقد سن الله للمؤمنين في هذه الآيات سنة الانتشار في الأرض وطلب الفضل منه سبحانه.

وهو ما نراه من حرص بعض المسلمين - بعد انتهاء صلاة الجمعة - على تحرى الشراء طلباً لفضل الله، وهذا التصرف وإن كان لا يشوبه الخطأ إلا أن فضل الله ليس مقصوراً على التجارة، وإنما يلتمس في سائر المهن كالزراعة والصناعة. وإن ديننا الذي يعتبر كل هذه الأعمال قربة إلى الله وإنه لذلك لجدير بأن نبذل كل ما في الوسع لنصل إلى قمة كل المجالات العلمية والأدبية.

أما في السنة النبوية فالأحاديث الحاثة على العمل أكثر من أن يحصيها مقال نذكر منها قول النبي ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[١]

وكم نحتاج في عالمنا الإسلامي أن نضع أحاديث الرسول ﷺ موضع التنفيذ، ومنها هذا الحديث الذي يحث على العمل اليدوي.. والذي لم يصل العالم الإسلامي لهذه الدرجة من الفقر إلا بترك المسلمين العمل بحديث الرسول الكريم في هذا الشأن بل واحتقارهم للأعمال اليدوية والعزوف عنها والهرب منها.

أما من مارس منهم الأعمال اليدوية وعلم ما بها من خير فعليهم أن يستمسكوا بقول النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن

(١) صحيح البخاري.

يتقنه»[٢] فإن في هذا التوجيه الكريم مايضمن لهم كريم العيش في الدنيا وحسن القبول في الآخرة.

وإن كان الإتقان مطلوباً في كل شيء إلا أنه أكثر ارتباطا بما يصنعه الإنسان ليقدمه لأخيه الإنسان، قال المناوى في فيض القدير عند ذكره لهذا الحديث: أن يتقنه أي يحكمه - كما جاء في رواية العسكري - فعلى الصانع الذي استعمله الله في الصور والآلات والعدد مثلا أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله.. ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة»[٣]

لقد حبب الإسلام العمل إلى أتباعه وحثهم عليه وجعل في العمل أجرين أولهما يحصله العامل في الدنيا والآخر مدخرا عند لقاء ربه. بل وجعل العمل سبيلاً ووسيلة للمغفرة.

فمن هذه الأحاديث:

(*) «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده»[٤]

(*) «من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له»[٥]

ويحث الإسلام أتباعه على امتهان الزراعة فيقول ﷺ: «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٦]

ولفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر حديثاً مستفيضاً عن حديث القرآن والسنة عن الزراعة ملحقاً بمجلة الأزهر بعدد ذي الحجة ١٤٢١ هـ. فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

وفي رعي الغنم شرف أيما شرف، وتهذيب للنفس أيما تهذيب أكدت عليه السنة النبوية، حيث قال ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم. قالوا: وأنت يارسول الله؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[٧]

وعن أهمية الأعمال الحرفية ورد عن ابن عباس: «أن داود كان يصنع الدروع وكان نوح نجاراً وكان إدريس خياطاً وكان موسى راعياً»[٨]

ويروى ايضا عن عمر بن الخطاب أنه قال: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فإذا سألت عنه فقيل لاحرفة له، سقط من عيني»

ولعل أمير المؤمنين أعجبه من الرجل علمه، فجعله في مكانة عالية لم يلبث أن نحاه عنها عند علمه أن لا حرفة له!!

وقال صاحب تحفة الملوك: «طلب الكسب لازم كطلب العلم: وهو أربعة»:

● فرض: وهو كسب أقل الكفاية لنفسه وعياله وقضاء دينه

● ومستحب: وهو كسب الزائد على أقل

(٢) كنز العمال.
(٣) فيض القدير جـ٢.
(٤) صحيح البخاري/ البيوع.
(٥) فتح الباري.
(٦، ٧) صحيح البخاري.
(٨) مختصراً عن المستدرك جـ٢.



الكفاية ليواسى به فقيراً أو يصل به قريباً وهو أفضل من نفل العبادة.

- ومبـاح: وهو كـسب الزائد على ذلك للتنعيم والتجمل
- وحـرام: وهو كـسب مـا كـان للتكاثر والتفاخر وإن كان من حل.

فلننظر كيف يكون المال وبالا على صاحبه وإن جمعه حلالاً فالعبرة ليست بالكثرة وإنما العبرة أن يراد بالعمل وجه الله.

وعلى هذا النهج سار صحابة رسول الله ﷺ فقد روى أن عمر - رضي الله عنه - رأى بعد الصلاة قوماً قابعين فى المسجد بدعوى التوكل على الله، فعلاهم بدرته وقال: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة[9]، وإن الله تعالى يقول:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾

[الجمعة: ١٠]

والعمل فى الإسلام مطلوب لذاته ونلمح هذا المعنى فى حديثه ﷺ القائل: «إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل».[10]

ولنا أن نقف وقفة نتأمل فيها هذا المعنى فى حديثه ﷺ فإنه إن قامت الساعة فإننا أمام يوم شديد الهول:

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾

[عبس: ٣٤ - ٣٦]

إنه يوم الحساب وهو يوم نجنى فيه ثمار ما غرسنا من قبل فهل هذا الوقت يصلح للغرس؟!

وهل فى هذا العمل فائدة مرجوة غير الثواب المرجو من الله!! حتى ولو كان العمل خالياً من النفع!

أليس فى ذلك ما يشير إلى أن الإسلام يحبب العمل إلى أتباعه ويريد منهم حب العمل لذاته؟!

إن الإسلام يطلب من أتباعه أن يعملوا وأن يتقنوا العمل وأن يخلصوا النية لله وأن يقصدوا بعملهم وجه الله.

ومن أوفق ما قرأت عن التقرب إلى الله بالعمل هذه الكلمة للأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق حيث قال:

«يخيل لبعض السطحيين أن التقرب إلى الله - تعالى - ينحصر فى الانقطاع عن أعمال الدنيا، والتفرغ للعبادات كالصلاة والصوم وما إلى ذلك، وما دروا أن الله - تعالى - يتقرب إليه بكل عمل مباح قصد به إسداء الخير لجهة خاصة أو للناس كافة متى تمحضت فيه النية الخالصة، وأريد به وجه الله - تعالى - فقد روى أن النبى ﷺ قال: «إن المؤمن ليؤجر فى كل شيء حتى فى القمة يرفعها إلى امرأته» وهذه ميزة للإسلام جعلت منه دينا مدنيا يصلح لكل زمان ولكل أمة فى أى عهد

(٩) تخريج احاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، محمد ناصر الألبانى جـ١ صـ٢٠.

(١٠) كنز العمال.

من العهود الإنسانية»[11]

إن من يعمل يريد بما يعمله وجه الله لابد أن يكون لحمة هذا العمل وسداه هو الإخلاص.

وعلى هذا الأساس من الإخلاص تقبل أعمال العباد أو تصبح «كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف».

لذلك قال ﷺ: «إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم: فلان يقاتل للدنيا، فلان يقاتل حمية، فلان يقاتل عصبية، ألا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله، فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله».[12]

ويقول الأستاذ فريد وجدى عن دعوة الإسلام إلى تجريد العمل لله لا للأغراض المادية:

«وقد طالب الإسلام أهله بأن يجعلوا وجه الله مطمع أنظارهم حتى فى صغريات الأمور لتأتى أعمالهم كلها مبنية على أساس ركين من الطهر والنزاهة.. فقال ﷺ: «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة»[13]

إن الاخلاص هو المحك الرئيسى فى قبول العمل لذلك «لما: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[14]

ولكى يصفى المسلم جميع أعماله من شوائب الرياء قال ﷺ: «الدنيا ملعونة - ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله عز وجل»[15]

وعن الربيع بن خيثم قال: «كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل»[16]

بعد هذا العرض لبعض الأحاديث التى توضح أهمية العمل فى الإسلام وأن هدف العمل الأول ليس جمع المال وإنما لابد أن يراد به وجه الله فى المقام الأول أستطيع أن أقول لصديقى يكفى المسلم فخراً - وقد أخلص لله العمل - أن تكتب أعماله فى صحائف بيضاء بأيدى ملائكة كرام.

وعندئذ فلن يعنيه كثيراً أو قليلا إن كان يعمل نجاراً أو حطّاباً أو طبيباً ولن يعنيه - أيضا - إن كان ما حصّله من مال نظير عمله قليلاً أم كثيراً، فقد نال من الله الرضا وفاز بنعيم مقيم.

أما مسألة قيمة الإنسان، فأقول له يا صديقى: إنها قيمة تفوق حسابات كل البشر، لأن الإنسان صنعة الله فهو لا يقدر بمال.. والإنسان هو ذلك المخلوق الذى أسجد الله له الملائكة.

أليس الفارق كبيرا وشاسعا بين دعوة الإسلام ودعوة الغرب للعمل؟!

أليس الفارق بين المنهجين يساوى الفارق بين الخالق والمخلوق؟!

(١١) محمد فريد وجدى.. الإسلام يحث على العمل.. مجلة الأزهر السنة الخامسة صـ٢١١ والحديث بمسند الإمام أحمد

(١٢) تخريج احاديث الاحياء جـ١

(١٣) محمد فريد وجدى.. مهمة الدين الإسلامى فى العالم مجلة الأزهر المجلد الخامس صـ١٥٧ والحديث فى جـ٤ من تخريج أحاديث الاحياء.

(١٤) سنن الترمذى. (١٥) شعب الإيمان. (١٦) الزهد لابن المبارك.





إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

حق الرد مكفول

ورد إلى مجلة الأزهر كتاب فضيلة الشيخ السيد عبدالمقصود عسكر.. هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد صاحب الفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

السيد الدكتور رئيس تحرير مجلة «الأزهر»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،،،

يسعدنى أن أرفق برسالتى هذه ردا على ما جاء بالمجلة فى عدد ربيع الآخر ١٤٢٧هـ مما يعد مساسا بشخصى باللمز والغمز تصريحا وتلميحا وإنكم لتعلمون أن الرد على ذلك حق من حقوقى وأنتم إن شاء الله لن تغمطونى هذا الحق وستردون لى اعتبارى بنشر المقال المرفق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعم الإسلام هو الحل.. إنه حين عم الظلم ربوع الأرض وخيم الظلام على كل الآفاق، وتخبط الخلق فى دياجير الفساد العقدى والخلقى والاجتماعى بعث الله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق فهدى الله به من الضلالة، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وعرفت به البشرية طريقها إلى الله وسبيلها إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وقد أثبت التاريخ كله أن المؤمنين بدعوة محمد ﷺ هم أرحم الناس بالخلق، وأطهر الناس قلبا وأعفهم لسانا، وأنظفهم يدا وأكثرهم حلما وإحسانا.

وحين كانت لهم دولة أقاموا العدل بين الناس بلا تفرقة بين عدو وصديق ولا بين بعيد وقريب،، وقوفا عند حدود الله وامتثالا لقوله - عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾

(النساء: ١٣٥)

وقد نجح الإسلام فى حل مشكلات البشرية كلها، ومن الأدلة على ذلك آيات كريمة لفت الله فيها أنظار المؤمنين إلى نعم الله عليهم - حتى استجابوا لله وللرسول إذ دعاهم لما يحييهم - كيف أن الله بدل حالهم إلى أحسن حال فبدلهم بالقلة المستضعفة كثرة متمكنة، وأبدلهم بالضعف قوة وعزة، وبالخوف أمنا، وبالفقر والعوز رزقا طيبا وعيشا رغدا.

ومما يلفت النظر أن القرآن الكريم - فى ثنايا التذكير بهذا كله كى نشكر الله على نعمه - يحذر من الفتنة التى تطال البرءاء وتقطع الأواصر، ويتطاير منها الشرر ليلحق الضرر بالمجتمع كله، إذا لم توءد الفتنة فى مهدها وإذا سقط البعض فيها بدون وعى أو تدبر.

يقول الله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(الأنفال: ٢٤-٢٦)

وبعد أن تم بناء المجتمع المسلم على تقوى من الله ورضوان وضع الله لهذا المجتمع ضمانات الحفاظ على كيانه وسلامته، من تلك الضمانات تحذير المؤمنين من إطلاق الشائعات أو ترديدها من غير تبين أو تحقيق، لأن الشائعات من أشد معاول الهدم التى يستغلها أعداء الإسلام المتربصون به، ومن فى قلوبهم مرض من الذين يكرهون الإسلام ويدعون الانتماء إليه، والله أعلم بهم.

وفى حديث الإفك الذى سجله القرآن الكريم فى سورة النور وفصلته السيرة النبوية المطهرة دروس وعظات عملية، لو وعاها المسلمون لنجوا من كثير من المفاسد والشرور، وتكفينا الإشارة هنا إلى قول الله - تعالى:

﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾

(النور: ١٢)

وإلى قول الله - تعالى:

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(النور: ١٦-١٧)

وينبغى ألا ننسى فى هذا المجال قول الله - تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(الحجرات: ٦)

ولا يخفى على عاقل أن نقل الأخبار ورواية الحوادث دون التأكد من صدقها يفتح بابا خطيرا من أبواب الفتنة ويحدث شرخا خطيرا فى كيان المجتمع المسلم ربما أدى إلى انهياره وقد قال الشاعر: «وما آفة الأخبار إلا رواتها»، ومن أخطر القضايا التى يخوض فيها الجهلة والمتعالمون قضية التكفير ذلك أن الخوض فيها يمزق المجتمع





ويفتت وحدته ويفرق شمله ويمكن منه أعداءه كما يهلك الخائضين ويكبهم في النار. ومن أجل هذا وردت في السنة المطهرة تحذيرات شديدة تخوف من الخوض في هذه القضية ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه» «متفق عليه عن ابن عمر».

بل إن مجرد الحكم على رجل بأن الله لن يغفر له يستوجب غضب الله ويحبط عمل صاحبه، ذلك ما ورد في الحديث الشريف : «قال رجل والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله - عز وجل: من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك» «رواه مسلم عن جندب».

ومن المعلوم أن عقيدة أهل السنة والجماعة - عقيدة أهل الحق - أن لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، وقد قال الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله: «إذا صدر من مسلم قول أو فعل يحتمل الإيمان من وجه ويحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها حمل على الإيمان».

وعلى هذا فكل من يدعو إلى الله على بصيرة يبذل قصارى جهده لإدخال الناس في دين الله الحق ولا يرى لنفسه حقا في إخراج أحد من الإسلام بعد أن دخل فيه، ورحم الله من رسم معالم هذا الطريق في كتاب بعنوان «دعاة لا قضاة».

ويشهد الله أن هذا هو اعتقادي الذي أومن به، وهو سبيلي الذي أحمل لواء الدعوة إليه، وأقاوم بكل قوة من تنكب هذا السبيل وخالف هذا الاعتقاد.

ومن هنا فإني عجبت أشد العجب حين وجدت مجلة «الأزهر» التي أكن لها كل احترام، والتي أوثرها بمقالاتي، وكنت يوما ما مسئولا عن المسئول عن إدارتها بصفتي الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية.

أقول: إنني عجبت أشد العجب حين وجدت مجلتنا الرصينة تلوك سيرتي وتخوض في عرضي بالباطل وتتهمني بما أنا برىء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

وما كان يليق بالمجلة المحترمة أن تقع في هذا المحظور جريا وراء شائعة كاذبة، سيكون لي مع مطلقها شأن.

ومما يؤسف له أن كاتب المقال المشار إليه وهو سكرتير تحرير المجلة الأستاذ أحمد تقي الدين لم يكلف نفسه عناء تبين الحقيقة قبل أن يلمزني ويغمزني ويجرحني تلميحا وتصريحا كما جاء بالمجلة في عددها الصادر في شهر ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.

وإني لا أجد في مقاله شيئا أختلف معه فيه سوى ذلك الاتهام الباطل الذي رماني به وذلك الغمز واللمز الذي خصني به وعممه على أصحاب شعار «الإسلام هو الحل»، مع أني أعتقد أنه يعرفني جيدا ويعرف أنني أبعد الناس عما رماني به، فكيف سولت له نفسه أن يقع في هذا التجني؟.

ولست أجد ما أختم به مقالي هذا أفضل من مقالة موسى - عليه السلام - كما جاء في كتاب الله - عز وجل:

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

(الأعراف: ١٥١)

الشيخ السيد عبدالمقصود محمد عسكر

الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية سابقا

وعضو مجلس الشعب

نحو تربية إسلامية

تحت هذا العنوان كانت رسالة القارئ د. محمد محمود العطار - كفر الشيخ:

قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(سورة الجمعة: الآية ٢)

التربية هي السبيل الأوحد للإصلاح والبناء والتطوير والتغيير، وإقامة مجتمعات المستقبل، وهي الرحم التي تتخلق فيه وتنمو وتتغذى وتمتد وتتوجه إليها الحياة المتدفقة والممتدة.

ويقول الرسول - ﷺ -: «إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً».

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى التربية وتطهير النفس من المعاصي، وحملها على الطاعات، وتدريبها على معاني الخير، هي سبيل النجاح، والتفوق في الدنيا، وسبيل الفلاح والفوز برضا الله في الآخرة

كما جعل التربية الفاسدة التي تشيع الفاحشة وتشجعها وتحط على كرامة الإنسان، سبباً في التخلف والجهل وحياة الضنك في الدنيا وسبيلاً للخيبة وإحباط العمل في الآخرة.

قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

(سورة الشمس: الآيات ٧ - ١٠)

ويحدد لنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - التربية المستقبلية للأطفال المسلمين حين يقول: «علموا بنيكم أخلاقاً غير أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم».

ويقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه يجب عليهما المحافظة عليه عن طريق توجيهه إلى فعل الخير وهما مسئولان أمام الله إذا أهملا تربيته وأغفلا توجيهه.

إن مسئولية خلق الأجيال الصاعدة وإعدادها لمواجهة التزاماتها مسئولية دقيقة، حيث يجب الاهتمام بتربية الأطفال تربية إسلامية منذ الصغر وتتعدهم صبية وشباباً بالمثل الرفيعة والقيم الأصلية ليكونوا رجالاً عاملين في المستقبل يمكن الاعتماد عليهم في بناء الوطن، وبذل التضحيات من أجل كرامة أمتهم وعزة وطنهم وبما يعود عليهم وعلى دينهم ودنياهم بالخير والرخاء.

الإمــــام البخـــــارى

ومن الصديق الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب كانت تلك الكلمات التي كتبها عن الإمام البخاري رحمه الله:

لم يحظ أحد من علماء الإسلام عامة أو علماء الحديث خاصة بما حظى به الإمام البخارى من شهرة وتقدير فى كل العصور وصار لقبه علما على كتابه الذى أجمع العلماء على أنه أصح كتاب صُنف فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم وكانت حياته التى استمرت ٦٢ عاما زاخرة بالعمل والبحث.

وقد ولد الإمام محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة فى ١٣ من شوال ١٩٤هـ فى بلدة بخارى التى تنسب إليها وأظهر فى طفولته نبوغا كبيرا حتى إنه أصلح خطأ لأحد شيوخه فى إسناد حديث وهو مازال فى الحادية عشرة من عمره وامتاز بقوة الحفظ حتى أذهل شيوخه وزملاءه.

ومضى البخارى فى رحلته مع الحديث الذى جعله همه الأكبر حتى يتحقق مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن حفظ ستمائة ألف حديث مختلفة الأسانيد وردت عن الرسول.

ويروى عنه أنه كان قد أخرج كتابه العظيم من بين مائة ألف حديث صحيح، وكان يقول أنه ترك الكثير من الأحاديث الضعيفة حتى لايطول كتابه. ويروى أنه بدأ فى الإعداد لهذا الكتاب العظيم عندما كان فى مجلس الإمام المحدث إسحاق بن راهوية وهو يوجه الدعوة لتلاميذه بكتابة كتاب مختصر لصحيح ماورد عن رسول الله من أحاديث فقرر البدء فى جمع مواد الكتاب وأسماه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) وقد اشتهر الكتاب باسم صحيح البخارى أو بالبخارى فقط كما يطلق عليه الناس فصار الإسم علما على الكتاب والكاتب معا. ومثلما يحدث مع العلماء فإن البخارى لم ينج من الحسد لشهرته وتقدير الناس له فكان كلما دخل بلدا خرج إليه الناس لاستقباله تقديرا لعلمه ويجتمع إليه عشرات الآلاف فى المساجد التى كان يلقى فيها دروسه مما أوغر صدر أحد الشيوخ عليه وهو محمد بن يحيى الذهلى حتى أوغر صدر أمير بخارى فى ذلك الوقت خالد بن أحمد الذهلى الذى استفز البخارى وطلب منه أن يحمل كتبه ويأتيه فتمسك البخارى بموقف العالم المعتز بعلمه قائلا: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس فما كان من الأمير إلا أن أمر بنفيه وهو العالم الجليل الذى وسعت شهرته الآفاق وكان كتابه أصح كتاب بعد القرآن الكريم.. وذهب الإمام الصابر إلى قرية خرتنك بسمرقند، حتى ضاق صدره من الظلم فدعا الله قائلا: «اللهم قد ضاقت علىّ الأرض بما رحبت فاقبضنى إليك» فلم يلبث أكثر من شهر حتى فاضت روحه الطاهرة فى ليلة عيد الفطر من سنة ٢٥٦ لتنتهى حياة عالم من أجلّ علماء الأرض. ورغم ماأطلق عليه من ألقاب تعظيم وتبجيل إلا أن اسمه ظل أكبر وأجلّ من كل لقب منحه له الناس حتى استعملوا اسم البخارى فى الأمثال العامية للدلالة على الجلال وعلى القدر.



كلمة أخيرة

ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء. فقال النبى ﷺ: «من يضيف هذه الليلة؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يارسول الله. فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ وفى رواية قال لامرأته: هل عندك شىء؟ فقالت: لا إلا قوت صبيانى. قال: فعلليهم بشىء، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل. فقعدوا، وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فقال: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»

(متفق عليه)

واليوم نعيش ما أطلق عليه الباحثون مصطلح «الجوع فى زمن الوفرة».

«الجوع فى زمن الوفرة» مصطلح عالمى أطلق على ماتعانيه العديد من شعوب العالم الثالث والرابع والخامس والسادس من مجاعات يندى لها جبين الإنسانية.

ولماذا يندى لها جبين الإنسانية؟

لأن هناك من يقوم بإتلاف ملايين الملايين من أطنان المحاصيل الزراعية مثل القمح والأرز والموز والتفاح للحفاظ على استقرار الأسعار العالمية والحيلولة دون انخفاضها دونما مبالاة بأرواح الملايين من البشر الذين يعانون من أمراض سوء التغذية.

هذا الكلام نقوله نحن المسلمين عما يقترفه الغرب بحق البشرية من جرائم ولنا أن نستنكره ونندد به.

ولكننا للأسف نرتكب نفس الجرم.. نرتكبه يومياً بلا خجل وبلا حياء.

مشهد لا يمكن أن يوصف إلا بالبشاعة: أسرة تجلس فى سيارتها أمام أحد المطاعم.. يتناولون الطعام داخل السيارة.. على مقربة منهم جلس عدد من الأطفال يتضورون جوعاً ينظرون إلى الطعام الذى تتناوله هذه الأسرة وعيونهم تتحدث بأطلق لسان وتقول: أطعمونا.. نحن جياع.. لم نذق طعاماً منذ أمد.. سنموت جوعاً.. عيون يملؤها الطهر والبراءة.. تستجدى الرحمة.. ولكن هيهات فقد انتزعت الرحمة من القلوب.

انتهت الأسرة من تناول طعامها، وقامت بتجميع فضلات الطعام فى لفافة والقت بها من نافذة السيارة.. اندفع الأطفال إلى اللفافة يفضونها وجلسوا يأكلون هذه الفضلات على الرصيف فخرج لهم أحد العاملين بالمطعم ليوسعهم سباً ثم ركل اللفافة التى فضها الأطفال ليتناولوا ما بها من بقايا بقدمه ناثراً

اللقيمات القليلة فى عرض الشارع.. ابتعد الاطفال مذعورين.. وعاد هذا الذى من المفروض أنه إنسان لمطعمه ليستقبل الزبائن القادرين على دفع ثمن ماياكلون أما ما عداهم فليس لهم إلا الجوع.. والجوع فقط إلا إذا التقطتهم أيد رحيمة تنتشلهم مما هم فيه من ضياع، أو أيد أثيمة تعمق ماهم فيه من ضياع فتدربهم على فنون السرقة وماهو أفظع من ذلك.

والغريب أن مؤتمرات متعاقبة نظمت للبحث فى مأساة أطفال الشوارع قدمت فيها العديد من الأبحاث والتى أصدرت بدورها العديد من التوصيات، والتى طالبت باحتضانهم وتجميعهم فى دور للرعاية والاستفادة منهم فى مشروعات إنتاجية تفيدهم وتفيد المجتمع.

ولكن كانت المشكلة الكبرى هى مشكلة التمويل.. وهى مشكلة مضحكة ومؤلمة فى آن واحد.. لماذا؟

- لأن ما ننفقه جميعاً موسرين وكادحين، أغنياء وفقراء على العديد من المظاهر مثل أجهزة التليفون المحمول التى صارت فى أيدى كل طبقات الشعب يكفى لحل مأساة أطفال الشوارع.
- لأن ما ننفقه جميعاً موسرين وكادحين أغنياء وفقراء على حفلات الزفاف يكفى لحل مأساة أطفال الشوارع.
- لأن ما ننفقه جميعاً موسرين وكادحين، أغنياء وفقراء فى رحلات المصايف يكفى لحل مأساة أطفال الشوارع.
- لأن ما أنفق منذ بضعة أشهر لتمويل حملات الدعاية الانتخابية يكفى لحل مأساة أطفال الشوارع.
- بل أحسب أن قيمة بضع سيارات تجوب شوارع بلادنا تكفى لحل مأساة أطفال الشوارع.

وغير ذلك كثير كثير لا يحصى من صور سوء الإنفاق بل السفه فى مجتمعنا الذى من المفترض أنه مجتمع مسلم.. ولكن هيهات فشتان بين مانحن عليه وبين ماكان عليه الرعيل الأول!!

الرعيل الأول ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين نافحوا بقوة فى سبيل نشر تعاليم الإسلام بوازع من إيمان عميق.

وإن تعاليم الإسلام لا تطبق ولا يمكن أن تطبق بقرار من جهة رسمية.

تعاليم الإسلام لا تطبق إلا بوازع من ضمائر المسلمين أنفسهم، فهذه الضمائر بيدها - متى صلحت وحازت رضا الله وقبوله - علاج ما نعانيه من مشكلات الفقر والبطالة والأسعار، تلك المشكلات التي لم يعانيها الرعيل الأول مع ما كانوا عليه من شظف فى العيش ومع ذلك كانوا رحماء بينهم يعطف بعضهم على بعض.

تأملوا الحديث الشريف وانظروا إلى ما يحمله من معان وقيم وأخلاق وفضائل عزت اليوم بيننا فصرنا إلى ماصرنا إليه، بعد أن ضاعت منا أخلاقنا وفى مقدمتها الرحمة، بل فقدنا ما كنا به أعزة ذات يوم.. تعاليم ديننا الذى أمرنا بالرحمة فى غير موضع من سور القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ القائل «الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء»[1].

فهل نحن فاعلون؟!

أحمد تقى الدين

(1) البيهقى فى السنن الكبرى.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

البهائية

أثار الحكم الصادر من القضاء الإدارى فى ٤ أبريل الماضى بإلزام مصلحة الأحوال المدنية والجوازات والهجرة بتدوين عبارة «بهائى» فى خانة الديانة ببطاقات وجوازات سفر زوج وزوجته وبناتهما الثلاث ضجة كبرى، حيث فرض حكم القضاء الإدارى بالاعتراف بالبهائية نفسه على الساحة واهتمت وسائل الإعلام بالقضية بصورة كبيرة وهللت بعض منظمات المجتمع المدنى بالحكم وأشادت به واعتبرته انتصارا للبهائيين بينما استنكرت جميع الدول العربية والإسلامية الحكم ووصفته بأنه كارثة كبرى.

واجتمع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف برئاسة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وأصدر فتوى بردة من يعتنق البهائية.. كما استنكر مجلس الشعب الحكم وطلب من الحكومة التصدى لهذه الفئة الضالة.

وخطورة القضية أن الكثيرين يعتقدون أن البهائية هى مذهب أو طائفة مثل الشيعة أو السنة أو الدروز لا يعلمون أنها ديانة تتعارض تماما مع الأديان السماوية وتمثل جريمة فى حق الدين الإسلامى الحنيف ولا يعرف البعض متى ظهرت البهائية.. وأين.. ومن مؤسسها.. وما هى أفكارها ومعتقداتها وعلاقتها بالديانات السماوية.. وكم عدد البهائيين فى مصر والعالم.. ولماذا تدافع الولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلدان الأوروبية عنهم؟.. للإجابة عن هذه الأسئلةأعد الأستاذ جمال عبدالرحيم دراسة نشرتها جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ١٢/٥/٢٠٠٦ عن الحركة البهائية منذ ظهورها فى إيران قال فيها:

البابية ثم البهائية ظهرت فى بلاد فارس واحتضنها الاستعمار وخاصة الروسى وكان لأثر ذلك دور بارز فى انضمام الكثيرين إليها.. وهيأت النفسية الفارسية والشيعية لتقبل الأفكار الغربية.. وكانت محاربة الحكومة لهذه الفرق الضالة عاملا مهما فى انضمام الكثيرين إليها ليس حبا فيها ولكن كراهية وعنادا للحكومة التى ظلمت شعبها.

وأعلنت هذه الفرق انفصالها عن الإسلام نهائيا وزعموا وجود

أنبياء لهم وكتب نزلت عليهم من عند الله يتبعونها ولا يتبعون القرآن الكريم وجعلوا لهم مواسم وأعيادا خاصة بهم علاوة على أدائهم لفريضة الحج فى عكا بدلا من مكة المكرمة.

مع بداية القرن التاسع عشر الميلادى انتقل رجل دين عراقى اسمه الشيخ أحمد الأحسائى إلى إيران ودعا إلى مذهب اجتهادى جديد أسماه المذهب «الشيخى» نسبة إليه وأخذ يجوب أنحاء إيران مبشرا بقرب ظهور الإمام المهدى ليملأ الأرض عدلا بعد أن مُلئت ظلما وفجورا – على حد قوله – وهى فكرة شيعية تجمع عليها كل الفرق الشيعية على اختلاف مذاهبها.

وبلغ من تأثير دعوة الإحسائى أن انقسم عليه الناس بين مؤيد ومعارض.. وكانت المناقشات تجرى بينهم علنا فى المقاهى والشوارع والمنازل.. وكان من أتباع الإحسائى تلميذ له يدعى كاظم الرشتى من أصل إيرانى أوصى له قبل وفاته عام ١٨٢٦م بقيادة المذهب وأمره أن يرقب ظهور الإمام الغائب باهتمام شديد.. وأخذ الرشتى يتنقل بين إيران والعراق باحثا عن الإمام المنتظر.

وأثناء تجول الرشتى فى مدن إيران والعراق التقى شابا إيرانيا يعمل بالتجارة يدعى أحمد على محمد الشيرازى وكان مولعا بالرياضة الروحية وجعله يعتنق أفكاره ومبادئه بضرورة البحث عن الإمام الغائب وأطلق الشيرازى على نفسه لقب «الباب» أى الواسطة إلى الإمام الغائب أو سكرتير المهدى المنتظر والمتحدث باسمه وكان ذلك إيذانا بمولد الدعوة البابية عام ١٨٤٤م.

استغل الشيرازى «الباب» معرفته بالرياضة الروحية والهندسة والسحر وتمكن من اجتذاب عناصر كثيرة من المسلمين.. كما استغل كراهية الشعب الإيرانى لحكومته واحتضان الاستعمار لدعوته فى ارتفاع عدد المنضمين إليه وألف كتابا أطلق عليه «البيان» وادعى النبوة وروج له الروس على أنه المهدى المنتظر.

وعندما شاع أمر «البابية» قبضت الحكومة الإيرانية على الشيرازى وأودعته السجن فى مارس ١٨٤٧م غير أن هذا لم يمنع أتباعه من زيارته فى محبسه والاجتماع به واستعدوا لعقد مؤتمر يجتمع فيه أقطاب البابية لبحث إمكانية تخليص الباب من سجنه.. وعقد أتباع الشيرازى مؤتمرهم فى صحراء «بدشت» بإيران فى يونية ١٨٤٧م برز فيه اسم حسين على بن عباس بزرك حيث استطاع أن يؤثر فى الحاضرين بأفكاره الخبيثة.. كما برزت كذلك امرأة من أتباع الشيرازى يطلق عليها «قرة العين» وعرفت بالخطابة وطلاقة اللسان وكانت تنكر الإسلام جهرا وتوطدت علاقتها بالميرزا حسين على.

وانتهت حياة الشيرازى فى يولية ١٨٥٠م عندما نفذت الحكومة الإيرانية حكم الإعدام فيه رميا بالرصاص بإحدى الحدائق العامة بعد فتوى علماء الدين الإسلامى رغم وساطة الروس والإنجليز للصفح عنه.

ظهور البهائية

لم يكن إعدام الشيرازى نهاية الحركة البابية فقد أعلن أحد أعوانه يدعى الميرزا يحيى على بن عباس بزرك تنصيب نفسه بدلا منه تنفيذا لوصيته قبل إعدامه وساعده فى ذلك شقيقه الميرزا حسين على بعد أن عينه نائبا له.

شارك الميرزا يحيى وشقيقه الميرزا حسين فى محاولة اغتيال الشاة ناصر الدين القاجارى



وألقى القبض عليهما وتدخلت السفارة الروسية لدى الحكومة الإيرانية لعدم توقيع عقوبة الإعدام عليهما وبعد فترة من الاعتقال قامت الحكومة الإيرانية بنفيهما إلى بغداد عام ١٨٥٣م.

فى بغداد واصل الشقيقان الدعوة لفكرهما المنحرف إلا أن الأخير بدأ تنفيذ خطة للاستقلال بالزعامة والاستئثار بالأمر دون أخيه فحجبه عن الناس بحجة أن ذاته مقدسة لا تغيب عن الأحباب وإن كانوا لا يرونها.. وبهذه الحيلة وثق صلته بالأتباع الذين ضعف ارتباطهم بالميرزا يحيى شيئا فشيئا.

النفى إلى اسطنبول

فى عام ١٨٦٨م طلبت السلطات الإيرانية من دولة الخلافة العثمانية طرد الميرزا يحيى وأخيه حسين إلى منطقة بعيدة عن الحدود الإيرانية بسبب خطورتهما وتصديرهما لاضطرابات دموية فى إيران فاستجابت السلطات العثمانية وتم نفيهما إلى اسطنبول وأقام الميرزا حسين فى حديقة نجيب باشا خارج المدينة إثنى عشر يوما قبل الرحيل إلى «أدرنة».

وخلال هذه المدة أعلن الميرزا حسين عن دعوته فى نطاق ضيق بين أتباعه وفى سرية تامة حتى لا يعلم شقيقه يحيى وزعم أنه هو خليفة الشيرازى فى الدعوة البابية.

فى «ادرنة» مكث الميرزا حسين على وشقيقه يحيى ٤ سنوات ونصف السنة قام الأول خلالها بنشر دعوته بين عامة الناس فالتفت حوله مجموعات من الأتباع وأطلق على نفسه «بهاء الله» ومن هنا ولدت الحركة البهائية فى حين بقيت مجموعة مع شقيقه يحيى وأدى هذا إلى وقوع الخلاف بين الأخوين وبدأ يكيد كل منهما للآخر ويحاول التخلص منه ووصل الحال بينهما إلى أن يقوم البهاء بدس السم لأخيه الميرزا يحيى على.

قبرص وعكا

عندما أدركت الدولة العثمانية خطورة الميرزا حسين وأخيه الميرزا يحيى قررت نفيهما حيث نفت الأخير إلى قبرص بصحبة بعض أعوانه وظل بها حتى توفى فى حين نفت الميرزا حسين وبعض أتباعه إلى مدينة عكا بفلسطين.

وما إن وصل الميرزا حسين «بهاء الله» إلى عكا واستمر فى سجنها حوالى أربعة أشهر حتى امتدت الأيدى الماسونية والصهيونية لامداده بالمال الوفير وتهيئته للدعوة لدينه الجديد وأطلق سراحه من السجن فاستقبل مع أتباعه استقبالاً حافلاً من قبل اليهود الذين دعموه بالمال وخالفوا فرمانات الباب العالى القاضية بفرض الإقامة الجبرية عليه وأسكنوه قصر «البهجة».. وفى عكا ما لبث أن دبر مؤامرة لأتباع أخيه فأبادهم ليلاً بالحراب والسواطير.

وفى عكا بذل «البهاء» جهداً كبيراً فى نشر دعوته وكسب الأنصار والأتباع مطمئنا إلى حمايته فأعلن حقيقة شخصه وأبطل ما كان يدعيه «الباب» حتى انسلخ هو وأتباعه من شريعة الباب ولم يبق من كلامه إلا ما كان فيه إشارة أو إيماءة تبشر بمقدم «البهاء».. ثم ادعى لنفسه النبوة وزاد فى تبجحه وادعى أنه إله السموات والأرض!!

استمر الميرزا حسين «البهاء» فى نشر افتراءاته بدعم من المؤسسات الماسونية

والصهيونية التى اتخذته مطية لتحقيق أهدافها.. وفى أواخر حياته أصيب بالجنون فتم حبسه حتى لا يراه الناس إلى أن هلك فى مايو ١٨٩٢ وقيل إنه قتل على يد بعض البابيين فتولى ابنه عباس أفندى أكبر أولاده الذى كان قد سماه «عبدالبهاء» زعامة البهائيين

عقيدتهم وعباداتهم

استمر البهائيون حتى يومنا هذا بإظهار عقيدة وسلوكيات غير ما يبطنون فلهم من المعتقدات مالا يظهر حتى فى كتبهم المتداولة عملاً بمبدأ «التقية» واخترع هؤلاء الأفاقون لأنفسهم تاريخاً جعلوا مبدأه يوم إعلان دعوة الباب وهو ٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هـ وجعلوا أشهر السنة تسعة عشر شهراً واخترعوا لهذه الشهور أسماء من خيالهم.

ومن معتقدات البهائية الإيمان بحلول الله فى بعض خلقه وان الله قد حل فى «الباب» و«البهاء» وجحدوا أسماء الله الحسنى وصفاته العلا.

والبهائيون يحرمون حجاب المرأة ويحللون المتعة ويدعون إلى شيوعية النساء والأموال وينكرون معجزات الأنبياء ويقولون إن دين الباب ناسخ لشريعة محمد - ﷺ.

كتاب «الأقدس» الذى وضعه البهاء حسين يتضمن كل أفكاره ويعتقدون أنه ناسخ لجميع الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم.. ويعتقدون بألوهية الفرد.. ويصفون المسلمين بأوصاف قبيحة ويحرمون ذكر الله فى الأماكن العامة ولو بصوت خافت.

ويعتقد البهائيون بقدسية العدد ١٩ فالسنة ١٩ شهراً والشهر ١٩ يوماً وأن القيامة مجيء البهاء فى مظهر الله تعالى ولا يؤمنون بالجنة أو النار أو الملائكة والجن.. ويحرمون الجهاد والحرب وهذا أحد أسرار علاقتهم بالقوى الاستعمارية كما أن كتب البهاء تدعو للتجمع الصهيونى فى فلسطين.. ولا يعتقدون بالانتماء للوطن.

وبهاء الله جعل الصلاة ثلاث مرات: صبحاً وظهراً ومساءً.. وفى كل مرة ثلاث ركعات وأبطل صلاة الجماعة إلا فى الصلاة على الميت وقصر الوضوء على غسل الوجه واليدين وحدد شهر الصوم بتسعة عشر يوماً من كل عام كما غيّر فى أحكام الزواج والمواريث.

علاقتهم بالصهيونية

إن علاقة البهائية بقوى الاستعمار والامبريالية قديمة فالميرزا حسين «بهاء الله» ينتمى إلى عائلة مرتبطة بروسيا ولقد بذلت روسيا وبريطانيا جهوداً حثيثة لإخراجه من السجن بعد محاولة اغتيال الشاه ناصر الدين.

عددهم وأماكن تواجدهم

يقدر عدد البهائية فى العالم بحوالى خمسة ملايين بهائى يعيشون فى أكثر من ١٩٠ دولة.. ويعيش حوالى ٤ آلاف منهم فى مصر رغم عدم توافر إحصاءات رسمية.. وفى العراق انحسر وجودهم وحتى الدار الذى أقام بها الميرزا حسين على «بهاء الله» بعد نفيه إلى العراق اشتراها مسلمون.. ولهم وجود فى بعض مناطق إيران وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بين الحين والآخر بإثارة قضيتهم تحت زعم أن الحكومة فى طهران تضطهدهم وعددهم أكبر نسبياً فى فلسطين إلا أن أهم وجود لهم فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يبلغ عددهم حوالى ٢ مليون بهائى.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

نـــدوة

الإسلام بين الوسطية والتشدد

متابعة الأستاذ / عاطف مصطفى

الإسلام دين الوسطية، والوسط هو نقطة بين طرفين، لذا فهو يبعد عن الغلو وعن التطرف.. ويكتسب مدلول الوسطية في الشرع الإسلامي معانيه من هذا المنطلق وبالتالي فإن كافة الأحكام تقوم علي اليسر والتسامح، ومراعاة حاجات الإنسان دون إسراف أو تقتير، سواء كان هذا في جانب العبادات، أو في جانب السلوك الاجتماعي والثقافي في المجتمع.

وقد عرف تاريخ الإسلام نشوء بعض الجماعات المتشددة. كالمعتزلة والخوارج والقرامطة وغيرهم، ولكن نظرا لقوة الوسطية الإسلامية فقد وندت بعض تلك الجماعات في مهدها، وانحسر انتشار البعض الآخر.

ولمناقشة «الإسلام بين الوسطية والتشدد» عقدت بجامعة الأزهر ندوة علمية، تم تنظيمها بالتعاون بين جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية ومؤسسة اقرأ الخيرية تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف وبحضور كل من: فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية، وفضيلة الدكتور أحمد محمد الطيب رئيس جامعة الأزهر والشيخ صالح كامل رئيس مجلس أمناء مؤسسة اقرأ الخيرية والدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية والأمين العام لمؤسسة اقرأ الخيرية، وحضرها لفيف من العلماء والباحثين.

وفي افتتاح الندوة ألقيت كلمات مهمة تلقي الضوء علي الوسطية في الإسلام والتشدد من بعض الجماعات، وضرورة اقتلاع هذا الفكر.

الأزهر والفكر الوسطي

قال د. جعفر عبدالسلام في البداية: علي الرغم من أن الإسلام يتميز بالفكر الوسطي، ويتميز بالتيسير علي الناس في العبادات، وفي مختلف الأحكام، إلا أنه خرج علينا، ويخرج علينا في هذه الأيام بين الحين والآخر، من يعطون فكر آخر لا يتفق ـ في تصوري ـ مع صحيح الفكر الإسلامي يكفرون المجتمع، ويرهبون الناس، ويستخدمون وسائل للدعوة ـ في زعمهم ـ لا يمكن أن تتفق مع أي عقل، ولا أي منطق.

وقد فكرنا وكان هذا في مدينة جدة مع الدكتور محمد عبده يماني، وفي ضرورة أن نعمل أعمالا مستمرة، لكي نواجه هذا الفكر خاصة وأنه قد وقع أنظارنا على بعض الكتب التي صدرت من بعض من كانوا يؤمنون بالفكر المتشدد وراجعوا أنفسهم، وذهبوا يقنعون غيرهم بأنهم كانوا مخطئين وأن الإسلام غير ما تصوروا!

هذه الكتب في تصوري، تصور رصيدا مهما للفكر الوسطي الآن، وأيضا لإقناع من لم يقتنع بعد، بأن ما عليه من أعمال تخالف الدين.

أقول: إن هذه الفكرة هي التي سيطرت علينا لكي نعقد هذه الندوة من ناحية، ومن ناحية أخري، لكي نظل علي اتصال بهذا الفكر الوسطي، ونوضحه للناس في مسائل متعددة، وفي ندوات وأعمال وفعاليات أخري بشكل مستمر، فما نحن فيه يحتاج دائما إلي المواجهة.

وطالما أن هناك فكرا يدعو إلي التشدد، فلابد لاقتلاع جذور هذا الفكر، من فكر آخر رشيد يدخل عليه يوضحه ويبين ما فيه من أخطاء.

وهذه الندوة هي إحدي الحلقات في سلسلة متصلة، دعت إليها مؤسسة اقرأ الخيرية، وأيضا جامعة الأزهر الشريف، الذي يعرف الكل أنه يبلور الفكر الوسطي، ولم يدع أبدا إلي تشدد، ولم يدع أبدا إلي غلو في الفكر، ولا في العبادة ولا في أحكام الشريعة بشكل عام؛ وسوف نبدأ هذا العمل الذي يواجه الفكر غير السوي، بفكر مأخوذ من الكتاب والسنة، ومن عمل السلف الصالح.. وهذه هي أولي هذه الحلقات.

وتقوم على مجموعة من حلقات النقاش: أولها عن الوسطية في الإسلام ورقة أساسية تمت المناقشات حولها من مراجع إسلامية كبري وأيضا حلقة نقاشية عن الغلو في الفكر الإسلامي.

التطرف وأسبابه، حلقة نقاشية أيضا، قدمت فيها ورقة أساسية والمهم الذي نخرج به من هذه الندوة، هو تصحيح الفكر بالفكر كما ذكرت وهناك حلقة لبحث كيفية معالجة هذه الظواهر الشاذة في مجتمعاتنا.



فضيلة الإمام الأكبر:

الوسطية منهج الإسلام.. ومنهج التوسط هو منهج العدل وإعطاء كل ذى حق حقه

وقال فضيلة الإمام الأكبر في كلمة ضافية من الحقائق التي اتفق عليها العقلاء في كل زمان وفي كل مكان، أن الناس منذ أوجدهم -الله عزوجل- هم مختلفون في أفكارهم، مختلفون في مقاصدهم وفي عقائدهم وفي غاياتهم، ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

﴿هود: ١١٩﴾

والخلاف بين الناس قد يكون محمودا في الأمور الفرعية، لكن في الأمور التي تتعلق بالعقائد، وتتعلق بالأركان، وتتعلق بمكارم الأخلاق، يجب ألا يكون هناك أي اختلاف فيما يتعلق فيما قلنا بالأصول.

أما الاختلاف في الأمور الفرعية، فالله سبحانه وتعالي يقول:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

﴿المائدة: ٤٨﴾

والذي أعتقده أن الوسطية تتمثل تمثلا كاملا في كل ما أحله الله -عزوجل- وكل ما بينه الرسول ﷺ ووضحه، في قوله «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات، فمن اتقي الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

وكل ما أحله الله -سبحانه وتعالي- فهو من التوسط والاعتدال، ومن الخير، ومن الذي يسعد الناس في دينهم وفي دنياهم وهناك أحاديث نبوية متعددة، نرى فيها هذا التوسط الذي يسعد الناس في دينهم وفي دنياهم.

يقول فضيلة الإمام: عندما نقرأ قوله ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه ويعلم أن لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان وهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يتخبط في ماله بغير حق لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علما. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو سيىء النية يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان. ويقصد بفلان هذا قارون وأمثاله؛ ويقصد أيضا بفلان صاحب المال الذي ينفقه في الشهوات ويتكبر ويختر ويقول ما قاله قارون:

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾

﴿القصص: ٧٨﴾

هذا هو التوسط في التقسيم والاعتدال وبيان أن هذه الدنيا التي أوجدها الله -سبحانه وتعالي- وأوجدنا فيها لكي يعمرها بكل ما أحله الله بالزراعة والصناعة والتجارة وكل وسائل التنمية.

هنا يبين سيدنا رسول الله ﷺ معني التوسط والاعتدال.



ويعود فضيلة الإمام ليؤكد في كلمته علي أن الإنسان وما أعطاه الله من العلم فينبغي أن يستعمل هذا العلم في الخير لا في الشر، وفي الطاعة، لا في المعصية، وفي اعتناق الفضائل لا في اقتراف الرذائل.

وهذا هو التوسط والاعتدال، حيث يستعمل الإنسان ما أعطاه الله من نعم، سواء أكانت النعم تتعلق بالصحة أو المال أو تتعلق بالمنصب أو الجاه، أو تتعلق بأي لون من الألوان التي أحلها الله، ويستعمل هذه النعم في طاعة الله، وفي تبادل المنافع بين الناس، فيما أحله الله، وفي جذب الخير ودفع الشر، وفي الإصلاح وفي البناء، لا في الهدم. وفي الطاعة لا في المعصية، يكون هذا هو التوسط والاعتدال ونعم المال الصالح للرجل الصالح، فكل ما أحله الله- سبحانه وتعالي- هو التوسط وهو الاعتدال.

وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلي أن التشدد والتطرف أحيانا يأتي بأسباب متعددة علي رأسها العناد، والمصالح الخاصة، والتكبر والغرور والتعصب الأعمي والعنصرية البلهاء.

وفي كثير من الأحيان نجد أن هذا التشدد مبعثه الغرور والمصالح الخاصة فهذا الشخص كون جماعة، ويريد أن تكون هذه الجماعة هي الظاهرة، وهو يريد أن يكون زعيما، فيريد أن يقول ما قال من أجل أن يصبح صاحب كلمة.

ونحن نقرأ في القرآن الكريم قول الله- سبحانه وتعالي:

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ﴿الأنعام: ٣٣﴾



ونقرأ أنه عندما ظهر مسيلمة الكذاب وتزوج بتلك المرأة، وقال لها أنا وأنت نأكل العرب، وجلس مسيلمة يصول ويجول ويخطب في جماعة تؤازره لأنها تبغي من هذه المؤازرة المصلحة!

ودخل رجل من أقارب مسيلمة الكذاب، ونظر إليه وقال: أشهد أن وجهك وجه كذاب.. لكن لا بأس!.. كذاب ربيعة خير عندي من صادق مضر!

التعصب الأعمي

فهذه المسألة هي أس البلاء وأس البلاء هو التعصب الأعمي والغرور، وأحيانا نجد هذا الغرور هو الطافح، لأنه قد كثر عدد الذين يودن «مسك العصا من الوسط».. لكن عندما يكثر عدد الذين يتمسكون بالتوسط والاعتدال، ويخوضون المعركة بغير تقاعس وبغير جبن، وإنما يخوضونها بوضوح، ويقفون إلي جانب الحق حتي ينتصر، ويقفون في وجه الباطل حتي يندحر.

عندما يكثر عدد الذين يتمسكون بالوسطية، ويتعاونون ويتكاتفون ويخلصون ويراقبون الله- تعالي- في أقوالهم وفي أعمالهم، فلابد أن ينتصروا لأن سنة الله- سبحانه وتعالي- اقتضت ذلك، اقتضت أن يجعل في النهاية النصر للمتوسطين المعتدلين، الذين يقصدون بأقوالهم وبأعمالهم وجه الله، وخدمة الحق وخدمة الأمة، وليس خدمة طائفة معينة وإنما خدمة الأمة كافة.

ويقول فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر: عندما يكثر عدد هؤلاء الذين فهموا الإسلام فهما سليما، وساروا علي منهج التوسط والاعتدال، في حدود ما أحله الله عن طريق كتابه، وعن طريق سنة النبي ﷺ، عندما يتكاتفون، ويقوي بعضهم بعضا، ويقف بعضهم إلي جانب بعض. إذا لابد أن ينتصر التوسط، وينتصر الاعتدال، وينتصر الحق، وينتصر الإسلام، الذي جعل دستوره، ودستور علاقة المسلمين بغير المسلمين في آيتين كريمتين.. وفي كل مجلس أذكرهما:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿الممتحنة: ٨، ٩﴾

هاتان الآيتان دستور علاقة المسلمين بغيرهم.

من مد يد السلام إلينا مددنا إليه يد السلام، ومن أساء إلينا أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا.

واختتم فضيلة الإمام كلمته حول الوسطية والتشدد بقوله: هذا هو منهج الإسلام.. منهج التوسط، منهج العدل، منهج إعطاء كل ذي حق حقه، لكن عندما يوجد من يتاجر في الدين، ومن يريد أن يصور نفسه علي أنه غيور علي الإسلام أكثر من غيره.. هذا هو الخطأ الأكبر فيجب أن يتكاتف المعتدلون، الفاهمون للإسلام فهما سليما، الذين يعرفون ما أحله الله ويعرفون ما حرمه.. الذين يتعاونون علي البر والتقوي.. لا علي الإثم والعدوان.. الذين يحرمون ما حرمه الله، ويحلون ما أحله الله.

عندما يكثر عدد هؤلاء سيقل التشدد وسيقل المتشددون.

لم؟.. لأن هذه سنة الله- سبحانه وتعالي.

رئيس جامعة الأزهر:

بذل الأزهر وشيوخه جهودا جبارة ومضنية لصيانة المذهب الوسطي.. ولكن!

وفي كلمة ضافية استعرض فضيلة الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر ما يقال حول المذاهب بقوله: إلي عهد قريب حينما كنت طالبا بكلية أصول الدين، لم تكن الفجوة أو الجفوة بين المناهج العقدية والفقهية، بهذه الحدة التي نشهدها الآن والتي وصلت إلي ما يشبه انسداد الشرايين الفكرية، بين أبناء الدين الواحد والثقافة الواحدة.

لقد بدأت دراستي في الأزهر الشريف عام ١٩٥٦ من القرن الماضي، وكانت استمارة القبول آنذاك تشتمل علي خانة المذهب الذي يختاره الطالب الصغير المبتديء وثبت في الذهن وفي الشعور أيضا من الطفولة الباكرة، أن هناك مذاهب فقهية متعددة، وأنها كلها مما تتسع لها شريعة الإسلام، وأنها كلها تتعايش جنبا إلي جنب في أذهان طلاب يدرسون في معهد واحد.

وفي المرحلة الابتدائية درسنا علم التوحيد في كتاب «الخريدة» وفهمنا في دروسنا أن أهل السنة هم الأشاعرة والماتوريدية، وأنهم ليسوا وحدهم أئمة علم التوحيد، بل سمعنا إلي جوارهم المعتزلة وغيرهم وصحيح أنه كانت هناك تنبيهات شبه منتظمة تشير إلي أن الحق مع أهل السنة لا مع غيرهم، لكننا لم نسمع أبدا بتكفير المعتزلة مثلا أو إخراجهم من ربقة الإسلام وتعودنا منذ ذلك الحين تقبل الرأيين، والآراء المختلفة ومنا من كان ينتصر للمعتزلة، ومنا من كان ينتصر لغيرهم بل من شيوخنا من كان ينصف أهل الاعتزال مرة وأهل السنة مرة، واستمر الحال علي هذا التلاقح المذهبي في المرحلة الثانوية حتي جئنا كلية أصول الدين، حتي كان شيوخنا ينبهون علي نقاط ضعف أو قوة في هذا المذهب أو ذاك، دون أن يصاحب ذلك تكفير أو حرب كلامية تنتقل آثارها إلي مواقف عملية.

الفتن المذهبية

يقول الدكتور الطيب: هذا المنهج المفتوح في أكثر المواد حساسية، وهو علم الكلام، أو علم التوحيد، نجح في أن يجنب الطلاب الانغلاق، أو التخندق في أفكار هذا المذهب أو ذاك، ورغم الجدال والحوار المستعر، حول نصرة الأشاعرة أو المعتزلة، إلا أن أحداً من المتحاورين لم يخطر بباله قط أنه يحاور خصما خارجا عن حدود عقيدة الإسلام.

وإلي عهد قريب كانت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية تمثل المدرسة الأشعرية بقيادة د. سامي النشار وكانت كلية دار العلوم تمثل مدرسة المعتزلة بقيادة د. محمود قاسم - رحمهما الله.



وكانت جامعة الأزهر تحرص علي المذاق الأشعري والصوفي أيضا ولم تسمع أن تكفيرا أو تفسيقا أو تبديعا تبودل بين هذه المعاهد الثلاثة، بل كثيرا ما كان الأستاذ المعتزلي يشترك مع زميله الأشعري في مناقشة رسالة تغوص في دقائق الأشاعرة أو المعتزلة أو الصوفية.

وشيئا فشيئا بدأنا نلاحظ في جامعة الأزهر شيئا من الانحسار في علوم التراث لصالح تيار وافد انتشر بين قطاع لا يستهان به من الطلاب والأساتذة علي حد سواء وقد واكب هذا الانحسار علي المستوي العلمي، رواج علي المستوي الشعبي، لمقولات ومذاهب أريد لها أن تكون المتحدث الرسمي لمذهب السلف في العقيدة والشريعة علي السواء، وقدمت على أنها عقيدة الإسلام الوحيدة، وأن غيرها ضلال وانحراف، وخروج صريح علي الإسلام.

وفي هذا الإطار بعثت فتن مذهبية، تغذيها مقولات خلافية، كالتأويل والتنزيل والتجسيم والمجاز، وسرعان ما انقلبت إلي حواجز خرسانية، تشطر الناس إلي مسلمين وكفار!

الفتن الفكرية والاعتقادية

وإلي عهد قريب كانت هذه الخلافيات مجرد مسائل دراسية، لا يتعدي خطر الخلاف حولها أبواب المدرجات والفصول في الكليات المعنية وبعد أن كانت مدرجات الدراسة في مسرح هذه الخلافيات، أصبح كثير من المساجد الآن مسرحا لهذه الفتن الفكرية والاعتقادية وبعد أن كان المخاطب طلاب الجامعة، أصبح المخاطب بها هم الجماهير والأطفال، وانتشرت التسجيلات الصوتية المسجلة هنا، أو المصدرة من وراء البحار، وأصبح من المألوف أن يسألك الطبيب أو التاجر البسيط مثلا، عن المذهب الأشعري، وعن انحراف علماء الأزهر الذين يدرسون هذا المذهب، ويؤمنون به.

وقال د. أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر مواصلا هذا الكلمات الطيبة في هذه الندوة المهمة: أود أن ألفت النظر إلي أن الذي يقال، ويروج ويسوق من هذه المذاهب، موجوده في تراثنا، ولكنه موجود في صورة مذهب معين وقد درسناه، وتعلمناه وقبلنا منه أشياء ورددنا منه أشياء أخري، لكن المشكلة تكمن تحديدا في أن دعاة هذا المذهب، لا يعرضونه على أنه أحد المذاهب الموجودة في التراث، بل يستميتون في تقديمه علي أنه الإسلام، وغيره الضلال!

وهنا مكن الخطر، إذ مع ترويج هذا المذهب وتسويقه، وهو يملك فعلا أدوات ومقومات النشر والترويج والتوزيع مع ترويج هذا المذهب، لا نأمن أن نصل إلي وضع تنشطر فيه الجماهير شطرين، يكفر كل منهما الآخر، إن لم نكن فعلا على مشارف هذه الكارثة الحقيقية.

صيانة المذهب الوسطي

أيها السادة أن المنهج الوسطي المعتدل في دراسة العقيدة، وفي دراسة الشريعة، هو منهج الأزهر وهو المنهج الذي درسناه وتعلمناه، وقد بذل الأزهر وشيوخه جهوداً جبارة مضنية لصيانة المذهب الوسطي، وإن كنت ألاحظ أن هذه الجهود بدأت تتآكل الآن تحت تأثير عوامل عديدة منها:

- عامل الاعتماد علي المذكرات مع قلة المعروض من نصوص التراث.
- ومنها رواج المنهج الآخر أحادي النظرة والاتجاه، وفي دراسة العقيدة وفي دراسة الفقة والشريعة، وتقديمه على أنه الحق، الذي لا حق غيره، ورفض كل ما يخرج علي أصول هذا المنهج أو فروعه، ثم تبني بعض الجامعات الإسلامية ذات النفوذ المادي في هذا المنهج الضيق المنغلق وترويج ثماره المذهبية، وإنفاق الملايين لنشره في العالم العربي والإسلامي، وبخاصة بين الشباب والطلاب، إن لم أقل بين كثير من الأساتذة أيضا، وقد أدي كل ذلك إلي تراجع في المنهج الوسطي، متزامنا مع اطراد المنهج المتشدد.

وليس عندي شك في أن الحل ليس له إلا طريقة واحدة، هو إحياء المنهج الوسطي، في دراسة العقيدة ودراسة الشريعة وتأصيل هذا المنهج، وتطعيم المناهج الأخري به، وذلك غير تكشيف جرعات النصوص القديمة: الأشعرية والصوفية والاعتزالية والسلفية أيضا، وتدريس كل ذلك في كليات أصول الدين وأقسام العقيدة بكليات الدراسات الإسلامية، وكليات الدعوة علي وجه الخصوص، وكذلك تدريس كتب التراث التي تلقي الضوء علي شريعة الاختلاف، وأسباب الاختلاف بين الفقهاء كالانصاف لابن عبدالبر ورفع الملام لابن تيمية وغيرها.. وذلك في أقسام الفقه وكليات الشريعة والقانون، وهذا ما تجعله جامعة الأزهر نصب عينيها الآن، وتسير بخطي ثابتة وواثقة في حول الله تعالي وطوله، نحو تحقيقه والتسلح به ذهنيا وفكريا، أملا في مجابهة الفكر المتشدد، فلا يهزم الفكر إلا فكراً مقابلاً، أعقل منه وأثبت منه قدما في المعقول وفي المنقول.

واختتم د. أحمد الطيب كلمته قائلا: إن هذا المنهج هو ما يجب أن تنتبه إليه رابطة الجامعات الإسلامية وأن تدعمه وتقف خلفه، وأن تستيقظ لخطورة الأمر فيه، فإنه ربما يساعدها على خلق ذهنية مملوءة متوازنة غير مسطحة، ولا متشنجة ولا رافضة للآخر، ولا متهمة للمخالف بالكفر وفساد العقيدة، أو عدم صحة الصلاة خلفه حتى لو كان من أكابر علماء الإسلام وفضلائهم.

هذا المنهج كما صنع في الماضي علماء يجمعون بين المشاركة والمحافظة على التميز، فإنه فيما أرى كفيل بإعادة التوازن والوسطية إلى ذهنية هذا الجيل الضائع في بعض الجامعات الإسلامية، والذى نرجو له ولمناهجه الهداية والاستقامة والتوفيق.



فضيلة المفتي:

لا نستطيع أن نخرج من الوباء الذى نشهده إلا باتخاذ منهج الوسطية

وقال فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية: الفكر المتشدد موجود فى كل زمان وفى كل مكان وقد ظهر مع الجيل الأول مع الصحابة الكرام فى صور مختلفة وكانت الخوارج أعنف تلك الصور.

وحدث فى الساحة الفكرية الإسلامية، التردد بين الأخذ بالمنهجية وبين الأخذ بالانطباع، فاختارت فرقة من المسلمين اعتماد الانطباع حتى سمى علماء العقيدة هؤلاء الذين اختاروا الانطباع أهل الأهواء لأنهم يعتمدون على الهوى واختار أهل السنة المنهجية فى دراسة النص، وفى إدراك الواقع وفى إيقاع النص المطلق على الواقع النسبى.

وتردد فى الساحة الفقهية أيضا التشدد والوسطية واختار أهل السنة الوسطية باعتبارها منهجا ربانيا، ورفضوا التشدد بكل صوره.

كما تردد في الساحة الفكرية الأخذ بالرأى الواحد أو التعددية وتكلموا فى هذا الحق أنه واحد، أو يتعدد أو أنه واحد له وجوه متعددة واختار أهل السنة ذلك التعدد الذى يقبل الاجتهاد، ويجعل للمجتهد المخطيء أجرا، وللمجتهد المصيب أجران.

كما تردد فى الساحة الفكرية الكلام بين التخصص والانفلات، وهل لكل أحد أن يجتهد.

واختار أهل السنة أن الاجتهاد لا يكون إلا بشروطه وجعلوا الاجتهاد أصلا من أصول الفقه وأسموا هذا العلم بالجمع أصول الفقه من أجل أنه يقوم على ثلاثة أركان:

الأول: الأدلة، والثانى: طرق البحث والثالث: شروط المجتمع.

وصفوا هذا الانفلات الذى يتصدر به كل أحد لدين الله، وتردد فى مساحة الفكر الإسلامى، الأخذ بالإجماع من عدمه، وتركوا هذا الانفلات الذى لا يجعل للإسلام هوية.

أهل السنة والجماعة، هو المذهب الذى تبناه الأزهر الشريف فى اعتماده للإجماع وفى اعتماده للمنهجيه العلمية وفى اعتماده للوسطية واعتماده للتعددية، فخرج بذلك منهجا مقبولا عنه جماهير المسلمين. والنبى ﷺ يحذرنا من كل أولئك الذين لم يتخذوا هذا المنهج، وتكلم عن أولئك المتشددين وقال تحقرون صلاتكم إلى صلاتي، وصيامكم إلى



صيامى. وقال فى شأنهم طوبى لمن قتلهم وقتلوه من قتلهم كان أولى بالله منه وقال: من خرج على أمتى يقتل برها وفاجرها فهو فى النار وقال «الخوارج كلاب النار» وشدد فى ذلك، ونبه على الرغم من أنهم يصلون ويصومون ويدعون ويزعمون بأنهم على الإسلام.

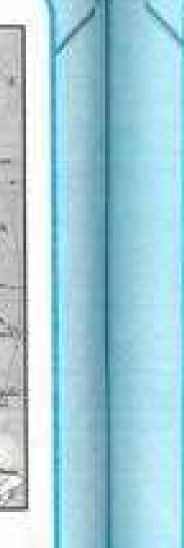
وأكد د. على جمعة على منهج الوسطية بقوله: لا نستطيع أن نخرج من هذا الوباء إلا كما خرج السلف الصالح منه باتخاذ منهج الوسطية الذى أصبح الآن تحت عنوان «المنهج الأزهر».

فبدون الأزهر لا يمكن للمسلمين أن يخرجوا من ورطتهم ولا يمكن للعقلاء ولا للعلماء ولا المثقفين.. لا يمكن لأولئك جميعا أن يخرجوا من هذه الأزمة الفعلية والفكرية والواقعية، إلا بالعودة إلى الأزهر الشريف.

.. الأزهر متعنا الله ببقائه عاليا شامخا، برجاله، ومنهجه، ولو رفض الرافضون، أو لسن عليهم الملسنون فإنه هو المخرج الوحيد من تلك الظلمة التى تشيع.

لا يمكن أن تنقشع إلا من باب الأزهر الشريف، ومن نوره الذى أضاء العالمين عبر التاريخ.

إذا فالحل موجود.. فمن أراد فليتخذه حلا ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

فتوى يهودية تحلل دم أطفال فلسطين

أكد تقرير نشرته منظمة حقوقية أمريكية معنية بحقوق الأطفال أن الجيش الإسرائيلى أخذ على عاتقه التخلص من أطفال فلسطين وتبنى فى ذلك فلسفة غريبة مفادها أن ذلك الطفل الفلسطينى من الأفضل أن يتم قتله اليوم بدلا من أن ينمو ويصبح أحد عناصر المقاومة الفلسطينية ووقتها ستقوم إسرائيل بالتخلص منه عن طريق الاغتيال أى أنه فى كل الأحوال سيلقى مصرعه برصاصات الجيش الإسرائيلى.

وبدلا من أن تدفع إسرائيل عن نفسها هذا الاتهام ولو بنفى ذلك الأمر تماما والتنصل منه إذا برئيس الأركان الإسرائيلى يخرج بتصريحات مفادها أن القيادة العسكرية الإسرائيلية حصلت على فتوى دينية يهودية رسمية من كبير حاخامات إسرائيل مفادها أن قيام الجيش الإسرائيلى بقصف البيوت والمدارس الفلسطينية التى يتواجد بها الأطفال الفلسطينيون أمر حلال ولا يحتوى أى شبهة إثم طالما أن ذلك فى صالح الشعب اليهودى وكيان دولة إسرائيل.

وكانت بعض المنظمات العاملة فى مجال حقوق الأطفال قد وجهت هجوما لاذعا إلى الحكومة والجيش فى إسرائيل بعد تصاعد أعداد الشهداء من الأطفال الفلسطينيين على يد قوات الاحتلال الإسرائيلية التى أصبحت لا تفرق بين حضانة للأطفال وبين عناصر المقاومة الفلسطينية حتى إن إحدى الطفلات القتيلات وجدت وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة وقد تعلقت بثدى أمها التى لقيت مصرعها أيضا جراء القصف العنيف.



المثير للدهشة أن الحاخام اليهودى الأكبر فى إسرائيل «سرائيل مستجيرى» أكد فى فتواه التى منح بها صك الغفران لقتلة الأطفال أن الفلسطينى يجب أن يموت فى كافة الأحوال طالما أن كل فلسطينى يؤمن ولا يريد أن يتنازل عن إيمانه هذا بأن القدس حق فلسطينى أصيل.

الدانمارك تستكشف صورتها أمام المسلمين

تعاقدت الدانمارك مع مؤسسة بحثية أوروبية بارزة لمساعدتها فى التعرف على رؤية العالم الإسلامى لها يأتى ذلك فى محاولة لاستيعاب التحرك بشأن الأزمة العالمية التى تسببت فيها إحدى الصحف الدانماركية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم ومن المقرر أن ترفع مؤسسة «الرابطة الحمراء» إحدى أبرز مؤسسات الأبحاث والاستراتيجيات الابتكارية فى أوروبا بنتائج دراستها للوضع وتوصياتها إلى وزارة الخارجية الدانماركية.

كانت صحيفة «البوليتكن ـ السياسة» الدانماركية قد اعتبرت استمرار المقاطعة للمنتجات الدانماركية هزيمة قاسية وتضر بمصالح الشركات والاقتصاد الدانماركى كله.

اليهود يريدون تغيير علم السعودية

اليهود هم اليهود لا يستطيعون إخفاء كراهيتم للإسلام بأى شكل من الأشكال ففى خطوة استفزازية جديدة نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية تقريرا جاء فيه أن جماعات ومنظمات يهودية إسرائيلية عديدة تلقت شكاوى من آلاف اليهود مفادها أن العلم السعودى والذى ترفعه العديد من المنظمات والمؤسسات الإسلامية يثير غضب هؤلاء اليهود والسبب الذى ساقه هؤلاء اليهود عن سر غضبهم هو أنها كلها أعلام تحمل نفس الشكل التقليدى الذى تحمله أعلام حركة حماس ولكن الحقيقة التى جاءت فى سياق التقرير الذى نشرته الصحيفة العبرية هى: أن وجود الشهادتين على أى علم هو أمر يثير اليهود وخاصة المتطرفين منهم حيث يرون أن وجود الشهادتين على أى علم مرفوع يعنى أن المسلمين مازالوا يتربصون بهم ومازالوا ينظرون للإسلام على أنه الدين المنتصر فى صراع الحضارات.

المثير للدهشة أن إسرائيل أو بمعنى أدق الحكومة الإسرائيلية استجابت للطلبات الخاصة بالمواطنين اليهود وبدأت تطالب الحركة الإسلامية فى المدن الفلسطينية التى احتلتها عام ١٩٤٨ بالتخلى عن علمها التقليدى الذى يحمل اللون الأخضر ومكتوب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله».



مطالبة إسلامية بمقاضاة إذاعة هولندا

أدان مسلمون وأئمة فى هولندا قيام إذاعة هولندا العالمية بنشر صور جنسية على خلفيات من أوارق المصحف الشريف.

وقال مسئول أحد المراكز الإسلامية بأمستردام: إن التطاول على الإسلام لن ينتهى طالما لم يتم وضع أى ميثاق أوروبى وعالمى لحماية واحترام قدسية الأديان السماوية وعدم المساس بها؛ مؤكدا أن من اختار القرآن ليكون خلفية لمثل هذه الصور لم يفكر فى أبعاد ذلك وتأثيره على المسلمين وأكد أن من المحزن أن يأتى هذا التصرف من هولندا التى تدعو إلى احترام الأديان وإلى التعايش السلمى فى المجتمع المتعدد الثقافات.

وقال مسئول الجالية الإسلامية فى هولندا: إن تكرار الإساءة للإسلام على هذا النحو يؤكد أن الأوروبيين لا يدركون مدى عمق وتجذر هذا الدين بنفوس المسلمين مشيرا إلى أن الاستناد إلى حرية الرأى والفكر والإعلام ليس إلا ذرائع يتعلل بها هؤلاء للنيل من الدين الإسلامى وأن هؤلاء لا يمكنهم الاقتراب من الأديان الأخرى، وأكد على ضرورة إقامة دعوى قضائية ضد من أساءوا استخدام صفحات من المصحف الشريف.

حذف مقررات الثقافة العربية من مناهج الجامعة الأمريكية

أصدر ديفيد ارنولد رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة قرارا بحذف وإلغاء كافة المقررات الدراسية الخاصة بالثقافة والهوية العربية من المناهج الأساسية للطلاب على اختلاف تخصصاتهم العلمية وعلى إثر هذا القرار حدثت أزمة حادة داخل أروقة الجامعة.

حيث أعلن عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس رفضهم للقرار واستنكارهم لطريقة إصداره دون طرح القضية للنقاش والشروع فى طبع المناهج المعدلة الحالية بالكامل من مقررات التاريخ الإسلامى والشعر والفن العربى الأصيل.

ومن جانبه برر رئيس الجامعة القرار باحتياج الطلاب للمزيد من الوقت لمواد التخصص العلمى وأنه تلقى العديد من المطالب بحذف مقررات الثقافة.

على الجانب الآخر شكل أساتذة الجامعة معارضة للتصدى لممارسات الجامعة التى وصفوها بغير الديمقراطية وقاموا بإرسال خطاب رسمى له يطالبونه بتوضيح الأسباب الحقيقية وراء حذف هذه المناهج مؤكدين أنه فى حالة تجاهل رئيس الجامعة للخطاب سيتم تصعيد الموضوع لكشف الأمر أمام الرأى العام خاصة وأن ما قام به رئيس الجامعة يمثل خرقا للبروتوكول الثقافى

الذى وقعته الجامعة مع وزارة المعارف آنذاك والذى ينص على المزج بين الثقافتين العربية والغربية فى مناهج الجامعة الدراسية.

كما تقدم (٥٠٠) طالب وطالبة بمذكرات احتجاج ضد قرار رئيس الجامعة يرفضون فيها حذف مناهج الدراسات العربية كما تقدم عدد كبير من أولياء الأمور بمذكرات مماثلة يؤكدون فيها رفضهم لقرار رئيس الجامعة الذى اعتبروه يمثل إقلالا من شأن الحضارة الإسلامية إضافة إلى كونها تمثل محاولة للعبث بالهوية العربية للطلاب الدارسين بالعربية و قد أشار أعضاء هيئة التدريس فى بيان صدر عنهم أن هناك إقبالا واضحا للدراسة فى أقسام الدراسات العربية سواء با لجامعة الأمريكية بالقاهرة أو بالخارج للحد الذى جعل مجلة «لوس أنجلوس» الأمريكية تشير إلى أنها تمثل ظاهرة فريدة.

هذا وقد شمل الحذف ثلاثة مناهج أساسية هى: التاريخ الإسلامى، والأدب العربى والعلوم الاجتماعية.

المحرقة إدعاء زائف واليهود ماتوا بالتيفود

أكد «لاردابى» العضو البار فى الحزب الديمقراطى الأمريكى والمرشح لمنصب المدعى العام فى ولاية «ألباما» الأمريكية أنه ليس مقتنعا بوقوع محرقة لليهود وقال: إن عدد اليهود الذين ماتوا فى أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية لا يتجاوز «١٤٠» ألف شخص ماتوا جميعا بسبب تفشى مرض التيفود.

ووصف «دارابى» مزاعم المؤرخين حول وفاة ستة ملايين يهودى فى محرقة النازيين بأنها ادعاءات زائفة وأكد أنه لم تكن هناك عملية إبادة منهجية لليهود وليس هناك دليل واحد على ذلك.

الأمير تشارلز يوجه رسالة شكر للأزهر الشريف

وجه الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا رسالة شكر للدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر عبر فيها عن سعادته وحرمه وتأثرهما العميق بالحفاوة التى لقياها من جامعة الأزهر وأوضح «جيمس كندر» السكرتير الخاص للأمير تشارلز وحامل الرسالة أن الأمير تشارلز يقدر الحفاوة التى قوبل بها من قيادات الأزهر الشريف جامعا وجامعة ومنحه الدكتوراه الفخرية، مما ترك فى نفسه أثرا كبيرا مؤكدا أن الأمير تشارلز وحرمه لم يستمتعا أبدا أكثر من استمتاعهما بزيارة الجامع الأزهر والجامعة معربا عن امتنانه من الكرم غير العادى الذى أولاه إياه رئيس جامعة الأزهر.

وأضاف أن الأمير تشارلز وحرمه يتمنيان للأزهر والجامعة كل التوفيق على أنه يسعدهما أن تتاح لهما فرصة الزيارة مرة أخرى.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يؤكد:

المسجد الأقصى يجب أن يكون خالصا للمسلمين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر سماحة الشيخ عكرمة صبرى - مفتى القدس والوفد المرافق له.

وقد دار اللقاء حول أوضاع المسجد الأقصى وما يتعرض له من أضرار جراء استمرار الحفريات من الجهة الشرقية أسفل المسجد مما يهدد المسجد وبنيانه. وعلى الرغم من تصدى المحامين والحركة القضائية لهذه الاعتداءات الصارخة إلا أن العمل مازال مستمرا.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر أن المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للنبى ﷺ وللمسلمين، وإسراء النبى كان إليه، والأمة الإسلامية كلها تحترم هذا التاريخ وتحترم القبلة الأولى للدعوة الإسلامية، والاعتداء على المسجد الأقصى هو اعتداء على كل المساجد الإسلامية فى كل مكان، ونحن نؤيد المطالب العادلة والمشروعة للفلسطينيين ونطالب بأن يكون المسجد الأقصى خالصا للمسلمين.

● كما استقبل فضيلته سعادة السفير فاديون اندستاسيو - سفير جمهورية قبرص بالقاهرة والذى أكد على احترام حرية الصحافة بجانب احترام الأديان، وبخاصة الدين الإسلامى وأن الذين أساءوا للرسول محمد ﷺ هم يفهمون حرية التعبير واحترام الأديان، مشيدا بأن المسلمين والمسيحيين فى قبرص يتعاونون سويا ويحترم كل منهما الدين الآخر والأديان الأخرى، والدليل على ذلك أن قبرص سوف تستضيف قريبا مؤتمرا للحوار بين الأديان.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر:

نحن ننادى بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادمها

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر السفيرة سلامة شاكر ـ مساعد وزير الخارجية المصرية لشئون الأمريكتين والسيد الدكتور استيفن كوان رئيس منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية للسلام ـ والسيدة مارجاريت كوان ـ مندوب من جامعتى هارفارد وجامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف موضحا أن المجتمع المصرى مسلمين ومسيحيين نسيج واحد يعيشون فى مصر ويتساوون فى الحقوق والواجبات ويتعاونون من أجل مصلحة مصر، وإننا ندعو الله أن يكون عدد العقلاء فى كل بلد فى العالم أكثر من غير العقلاء، كما نؤكد بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، وندعو الله أن يكون السلام والأمان والتعاون والإخاء الإنسانى هو الصبغة الغالبة لدول العالم، ونحن ننادى بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات، ونقول كمتخصصين فى الأمور الدينية: نحن نتحاور فى كيفية مساعدة المحتاج والمظلوم ونشر المحبة والإخاء الإنسانى بين الناس ليعم الخير جميع البشر.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد وزارة التربية والتعليم ببروناى ـ دار السلام برئاسة السيد الدكتور الحاج محمد بن فنجيران عبدالرحمن ـ نائب وزير التربية والتعليم والسفير محرم بن بياه سفير بروناى بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور مشيدا بالصلة القديمة بين بروناى والأزهر الشريف حيث للأزهر علماء يقومون بالمساهمة مع إخوانهم بدولة بروناى فى تدريس الثقافة الإسلامية والعربية كما يوجد بالأزهر طلاب وطالبات من دولة بروناى يتلقون العلوم الدينية إلى جانبهم إخوانهم الدارسين بالأزهر من دول العالم الإسلامى.

وقدم فضيلته شرحاً موجزا لمراحل التعليم الأزهرى بدءا من مرحلة الحضانة وحتى إتمام الدراسة الجامعية، وأكد فضيلته بأن الأزهر لا يدخر وسعا فى تقديم العون



والمساعدة فى تعليم أبناء المسلمين بالأزهر الشريف.

ومن جانبه قدم الدكتور محمد بن فينجران الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر لأبناء بروناى الذين يتلقون تعليمهم بالأزهر كما أعرب عن رغبة بلاده حكومة وشعبا بأن يقوم فضيلة الإمام الأكبر بزيارة لدولة بروناى فى الوقت الذى يراه فضيلته مناسبا وقد وعد فضيلة الإمام بتلبية هذه الدعوة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر: الناس جميعا أخوة فى الانسانية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد البرلمان السويسرى يرافقهم الدكتور أحمد الأشقر ـ رئيس النادى الثقافى المصرى السويسرى بسويسرا، والسيد هيلد سفير سويسرا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور موضحا سير الدراسة بالأزهر وأنها مكفولة للبنين والبنات، وأنها تمتاز بالسماحة واليسر والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء ونبذ الإرهاب، كما أننا نؤمن بتعاون بنى البشر لإسعاد الإنسانية جمعاء ونقول بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون كما أنه يوجد تعاون بين مصر وسويسرا فى مجالات شتى لصالح البلدين، ونحن كرجال دين ننصح ونقول: إن الناس جميعا إخوة فى الإنسانية ونتعاون لصالح بنى البشر.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر سعادة السفير نوبادون تيبتاك سفير تايلاند بالقاهرة بمناسبة توليه مهام عمله كسفير جديد لتايلاند.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير داعيا له بدوام السداد والتوفيق فى أداء مهام عمله بنجاح.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء، وعلى حسن الحفاوة والاستقبال، وأنه ينقل تحيات حكومة وشعب تايلاند لفضيلة الإمام الأكبر، كما أعرب عن رغبة بلاده فى أن يقوم فضيلة الإمام الأكبر بزيارة لتايلاند فى أول يونيو ٢٠٠٦.

هذا وقد وعد فضيلة الإمام بدراسة هذه الدعوة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

نحترم جميع الأديان والرسل

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الوفد الألمانى من طلبة جامعة فرانكفورت والكنيسة الإنجلية برئاسة القس ـ ثروت قادس وتأتى هذه الزيارة فى إطار برنامج تبادل العلاقات الثقافية والدينية بين الشباب الألمانى والمصرى.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف وقدم شرحا موجزا مبينا فيه مراحل التعليم الأزهرى بدءا من الحضانة وحتى نهاية المرحلة الجامعية، وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال مع التأكيد على حفظ القرآن الكريم والتوسع فى دراسة العلوم الشرعية والعربية، وأن الدراسة مكفولة للبنين والبنات فى كل المراحل الدراسية والجامعية وأن الأزهر يدرس المناهج الثقافية التى تدرس فى وزارة التربية والتعليم فى كل مراحله بالإضافة إلى المناهج العربية والشرعية، كما أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الشعب المصرى مسلمين ومسيحيين نسيج واحد يعيشون مع بعضهم البعض ولا فرق بينهم فى الحقوق والواجبات لأنهم جميعا يحملون الجنسية المصرية، كما أننا نحترم جميع الأديان والرسل، وأن الإساءة إلى أى من الأنبياء هى إساءة إلينا جميعا لأن هؤلاء الأنبياء هم الذين حملوا رسالات الهداية للبشرية جمعاء وهم الذين قدموا إلينا الخير والفضائل وعلمونا التعاون ونشر السلام.

وأضاف الدكتور ثروت قادس ـ أنه باسم الكنيسة الإنجيلية بمصر نتضامن مع المسلمين فى موقفهم تجاه ما يسىء للإسلام والرسل مستطردا القول بأننا نحن المصريين مسلمين ومسيحيين نحترم بعضنا البعض.

وفى نهاية اللقاء قدم القس ثروت قادس ـ الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ على حسن الحفاوة والاستقبال للوفد، مؤكدا أنهم جاءوا للأزهر بيت الجميع الذى يتسع صدره دائما لزواره، ومثل هذه اللقاءات توضح دائما مدى تأثير الثقافة والدين على حياة الشباب المصرى والشباب الألمانى من خلال التعريف بالمفهوم الصحيح للإسلام والمسيحية، وأن الحوار الدائم يأتى بتوضيح الرؤية والمعرفة للجانب الآخر.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر.



الإمام الأكبر يجتمع بمديرى المناطق الأزهرية

● اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بالسادة رؤساء الإدارات المركزية ومديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية وذلك فى العاشرة من صباح السبت الموافق ٢٢/٤/٢٠٠٦ بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر وقد تم مناقشة ما يتعلق بامتحانات النقل بالمعاهد الأزهرية وبعض الأمور ذات الصلة المتعلقة بالعملية التعليمية من حيث:

١ـ مناقشة ما يجب اتخاذه من إجراءات وتدابير تتعلق بمقار اللجان واختيار المشرفين والملاحظين والمعايير التى يجب توافرها فى المصححين والمراجعين ضمانا لتوفير المناخ الملائم لهذه الأعمال.

٢ـ استعراض الدور الذى تضطلع به مراكز توزيع الأسئلة ومراكز التصحيح، ووضع الرؤى الخاصة باختيار موقع كل منهما، والكوادر العاملة بها تحقيقا للغرض الذى من أجله أنشئت هذه المراكز.

٣ـ مناقشة الجوانب المتعلقة بكنترولات المعاهد وعناصرها العاملة ولفت نظر المناطق إلى السعى نحو تجديد دمائها بعناصر جديدة تكتسب خبرة العمل بها مستقبلا.

٤ـ تحديد درجة القرابة المانعة من الاشتراك فى كل أعمال الامتحانات على نحو يحقق الشفافية المطلوبة.

٥ـ التأكيد على ما يجب اتخاذه من إجراءات حيال تأمين المقار التى تجرى بها أعمال الامتحانات فى جميع مراحلها.

وفى نهاية الاجتماع أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضرورة متابعة سير الدراسة حتى نهاية المواعيد المقررة لها والحرص على الالتزام بالخطة والمنهج والمراجعة خلال هذه الفترة حفاظا على مصلحة الطلاب وتحقيقا للصالح العام.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف والسيد صاحب الفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة أصحاب الفضيلة والأساتذة القائمون على العملية التعليمية بكافة تخصصاتها.

***



{O, for the regrets of the bondmen! In no way does a Messenger come up to them except that they used to mock at him.} [Ya Sin: 30]

Not only that, but they would cause him much suffering; Allah, the Almighty, says:

{And when Our *ayat* (i.e., verses) are recited to them, clear evident (signs), they say, "In no way is this (anything) except a man who is willing to bar you from what your fathers were worshipping." And they say, "In no way is this (anything) except fabricated falsehood." And the disbelievers say to the Truth, as soon as it has come to them, "Decidedly this is (nothing) except an evident sorcery." And in no way have We brought them any Books which they study, and in no way have We sent them before you any warner. And (the ones) before them cried lies, and in no way did they reach a tenth of what We brought them; So they cried lies to My Messengers. Then how was My disclaiming!}

[Saba' (Sheba): 43-45]

Has humanity ever seen a man like Muhammad, who astonishes the whole world with his character and fills history with his greatness?! He has encompassed all creation with his mercy, so Allah, the Almighty, praises him in the Noble Qur'an. Allah, the Almighty, says:

{And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds.} [Al-Anbiyaa' (The Prophets): 107]

Thus, if the hearts hardened, souls deviated, feelings got cold, people gave up mercy and pity, and values and principles were lost, then the people would not be deserving Allah's mercy. Yet, mercy and pity will never be lost among the believers, for they take Allah's Messenger as their example that must be followed.



In no way have We sent you except as a mercy to the worlds* ...!

By: The honourable Sheikh Ibrahim `Atta Al-Fioumy

The Mother of the Believers and the Prophet's wife Lady `A'ishah (may Allah be pleased with her) asked the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him):

"Have you encountered a day harder than the day of (the Battle) of Uhud?" The Prophet replied, "Your tribes have caused me much trouble, and the worst trouble was the trouble on the day of 'Aqaba when I presented myself to Ibn `Abd-Yalayl Ibn `Abd-Kulal and he did not respond to my demand. So, I departed, overwhelmed with excessive sorrow, and proceeded on, and could not relax till I found myself at Qarna Al-Tha`alib where I lifted my head towards the sky to see a cloud shading me unexpectedly. I looked up and saw Angel Jibril (i.e., Gabriel) in it. He called me saying, 'Allah has heard your people's saying to you, and what they have replied back to you, and He has sent the Angel of the Mountains so that you may order him to do whatever you wish to these people.' The Angel of the Mountains called and greeted me, and then said, 'O Muhammad! Order what you wish. If you like, I will let Al-Akhshabayn (i.e. two mountains) fall on them.' I said, 'No but I hope that Allah will let them beget children who will worship Him Alone, and will worship none besides Him.' "

The Prophet's *hadith* is a strong indication that he started his call with wisdom and good admonition. He kept reciting to his people what was revealed to him from His Lord, and would talk to them from his heart and mind so that they could perceive the paganism, ignorance and falsehood they were living in. However, his people, the same as the people before them, received his sayings with sarcasm and resistance. In this regard, Allah, Exalted be He, says:

---

*An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

Sunnah goes on spreading its light over the whole world and stand next to the Ever-Glorious Qur'an in guiding the believers."

Such a protester changes his attitude every now and then, and when dumbfounding answers are introduced against him, he is not deterred from his opposing attitude. Moreover, a group of those of malicious intentions want to mix the right with the wrong, so they declare that they are "Qur'anic"; that is, they do not follow except the Qur'an. Whoever listens to such nonsense imagines that the Qur'an is something and the *Sunnah* is another thing. In fact, the *Sunnah* is actually explaining the Qur'an and showing what has come in it, so how can we separate them?!

To some of those who shocked me by saying, "We are Qur'anic and know nothing about the *Sunnah,*" I said, "You are not Qur'anic." One of them protested saying, "How is that? I refer to the Qur'an and confess before you that I believe in what has come in it." I said, "If you go back to the Qur'an, you will listen to Allah's Words in which He says:

> *{And whatever the Messenger brings you, then take it; and whatever he forbids you then give over. And be pious to Allah, surely Allah is strict in punishment.}*
>
> [Al-Hashr (The Mustering): 7]

And:

> *{And We have sent down to you the remembrance that you may make evident to mankind what has been sent down (ever since) and that possibly they would meditate.}*
>
> [An-Nahl (Bees): 44]

And:

> *{(Yet) no, by your Lord, they will not believe till they make you judge regarding what they controvert among themselves, (and) thereafter they should not find in themselves any restriction about whatever you have decreed, and should submit in full submission.}*
>
> [An-Nisa' (Women): 65]

And:

> *{O you who have believed, obey Allah and obey the Messenger, and the ones endowed[1] with the Command among you. So in case you contend together about anything, then refer it to Allah and the Messenger, in case you (really) believe in Allah and the last Day; that is most charitable[2] and fairest in interpretation.}*
>
> [An-Nisa' (Women): 59]

I went on saying, "Hereupon, the Qur'an commands us to refer to the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). Also, when the Qur'an was revealed, the Messenger was the one who explained its meanings to the people. So, how do you contradict the Qur'an and claim that you are "Qur'anic"?! Do you establish prayer? Then, who demonstrated to you the manner of prayer and its *rak`as* (i.e., units of prayer) and prescribed times? Do you pay the *Zakah* (i.e., poor due charity)? Who was the one who specified its amount and due time? Do you fast? Then tell me who explained to you the manner of fasting and its conditions and things that nullify it? Do you perform *Hajj* (Pilgrimage)? Who showed you the rituals of Hajj?"

These questions could not find their answers since the asked person showed arrogance against the truth.

Is it not shame that one of the Muslims, who is ignorant of the hard efforts exerted by the scholars of *Hadith*, say, "I do not depend on the *Hadith* (*Sunnah*) because it is fabricated?!"

But when someone does so, he is like the one who hits his head against a hard rock; the rock will not be affected, but his head will be smashed. This is the fate of the ignorant.

---

[1] i.e., those in authority.
[2] i.e., most beneficial.



and a half British Muslims. They enrich British society in countless ways, as, I am sure, do the Christian minorities in Muslim nations."

Then, Prince Charles concluded his speech saying:

"I believe we have a shared duty to speak for the principles of our religious faiths. I believe we must protect the integrity of all our traditions, acknowledging and celebrating our rich diversity which, at the end of the day, is our only guarantee against the domination of a uniform, monocultural, global culture, whether religious or secular. We must work together to create a world in which the fruits of faith - understanding, tolerance and compassion - enrich and safeguard the world of our children, and our children's children. We must not let slip this opportunity and this challenge in an age which requires our determined, committed and heartfelt efforts to live in peace together."

To conclude our speech on that historic visit paid by Prince Charles to Al-Azhar, where he has been granted an honorary doctorate, we see that it is very important to appreciate the call launched by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Sayyid Tantawy, in which he demands the United Nations to issue a resolution incriminating the act of abusing religions. He has also called all the nations of the world to apply such a resolution as soon as it is issued, so that the atrocious abuse of the character of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) may not be repeated.



The Noble Hadith Is a Firmly Established Legislation ...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

I pretended to be patient, since I do not possess such a gift, when I was listening to a doctor well-known in his field, haughtily talking about the honorable *Sunnah*, while he should show less haughtiness since he was talking about the Prophet's *Sunnah*. He kept saying, "Only the Glorious Qur'an is my sole reference in understanding the religion and the *Sunnah* contains fabricated *hadiths* as affirmed by the scholars of *Hadith* themselves. So why should I stick to the *Sunnah* while our scholars doubt it?!!"

I did not want to argue with him as I would do with scholars, for his immoderate speech put him in a lower rank. Thus, I asked him as someone inquiring about something. I said, "Have those scholars, who admit that there are some fabricated *hadiths*, not acknowledged the authenticity of more than ninety percent of what is mentioned in the books of *Hadith*?" He confusedly asked, "What do you mean?" I replied, "Why do you reject the Noble *Sunnah*, while basing your argument on the suspicion of scholars as regards some *hadiths*, and do not admit its authenticity since such scholars accept most of its *hadiths* as authentic? Since you base your opinion on what those scholars say, then leave the fabricated *hadiths* and search for the others."

The situation allowed me to go on, so I said, "When the scholars admit that there are fabricated *hadiths*, this means that they have exerted much effort to examine and discover them, until they have differentiated between the good and the fabricated. By doing so, they have put the reader's mind at ease and made him sure about the rest. Moreover, the majority of scholars trust their opinion, so the honorable



"We are receiving you in one of the oldest buildings of knowledge and culture in the world. That building has deeply contributed to the renaissance of the human thought, and has played its unique role in achieving the faith in the importance of fruitful science, which is considered the link between all the civilizations seeking to achieve good to humanity and peace to its communities. The great Al-Azhar welcomes both you and your wife as two dear friends to Egypt and Al-Azhar University. We have learned from our True Religion the statement of Allah in which He says:

{O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted.}

[Al-Hujurat (The Apartments): 13]

This Divine Command is the natural entrance to a world filled with peace and tolerance, and based on equal relation between Islam and the West, and between Islam and all the peoples of the world."

The Grand Sheikh went to say, "No one can forget what you have said that Islam teaches people a way to understand and live together happily, as well as teaches them how to keep a complete vision of the universe. You have also said that Islam rejects separation between man and nature, religion and science, mind and matter, and body and soul. This is a sound view of Islam's vision concerning the universe, nature and man."

The Grand Sheikh of Al-Azhar concluded his speech saying, "In recognition of your character and moderate views, the University of Al-Azhar welcomes



you and is pleased to grant you an honorary doctorate."

Dr. Ahmed Al-Tayyib, the President of Al-Azhar University, proceeded and awarded the prince an honorary doctorate in recognition of his work to promote the understanding of Islam in the West.

After that, Price Charles gave a statement filled with moderation, objectivity and appreciation to the Islamic teachings. He said:

"But in that same speech I also spoke of how, sadly, despite this fertile flow of ideas, many on both sides had still been left with uncompromising prejudices towards each other's cultures. This lingering mutual distrust persists, and with dreadful results. I think of the experience of Muslims living in Europe who are subject to varied and continuous expressions of Islamphobia by fellow-Europeans."

He went on to say:

"Respect for others, and for what is precious to others - in other words good manners, civility, and a willingness to listen - ensures respect towards our own values and ideals. The recent ghastly strife and anger over the Danish cartoons shows the danger that comes of our failure to listen and to respect what is precious and sacred to others. In my view, the true mark of a civilized society is the respect it pays to minorities and to strangers. Generous, hospitable welcome to strangers and to those on their travels is justifiably a proud element of Arab culture. We in Britain have made great efforts to welcome people of other faiths, and to enable them to preserve their unique identities, while at the same time accommodating themselves to British culture. There are now more than a million



expression. She answered that unjustified blame, and the huge media uproar aroused about her historic attitude, by resigning from her office.

Recently, Prince Charles, heir to the British throne, has paid a visit to Egypt. Prince Charles is a very cultured man who has praised Islam on more than one occasion. He has supported Islam and talked abundantly about its role and favor over Europe in its dark ages. He said, "We need to remember that we in the West are in debt to the scholars of Islam, for it was thanks to them that during the Dark Ages in Europe the treasures of classical learning were kept alive."

Prince Charles has been always speaking about Islam since the nineties and denying that the Muslims are terrorists. At the international circles, he expressed, more than once, his good opinions about Islam. In 1993, at Oxford University, Prince Charles gave a high valued speech about Islam. He did the same at other universities.

Moreover, Prince Charles has a good statement on how to know the culture of the other. He said that if the West continued to ignore the culture of the other, their Western culture would be negatively affected, and if such ignorance grew and increased along time, that could cause a damage of incalculable consequences.

Prince Charles suggested sending for a great number of Muslim teachers to come to teach at the British schools. He also encouraged exchanging teachers and instructors between the West and the Muslim world. He said that in the West, they needed



the Muslims to teach them how to learn with their hearts side by side with their minds.

Unfortunately, Prince Charles has been the subject of criticism more than once due to his amicable stance regarding Islam and how he praises it. In addition, some British writers and journalists rushed to attack him and fasten many accusations on him. Despite the harshness of all these accusations, Prince Charles has never changed his opinions on Islam.

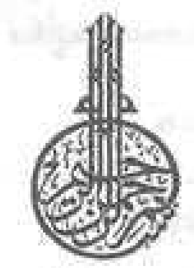
In Egypt, Prince Charles and his wife Camilla, the Duchess of Cornwall, have been received in great ovation by President Mubarak. On their honor, a dinner party was prepared to welcome Prince Charles and his wife at the Presidential Palace. The party was attended by the Egyptian statesmen and dignitaries, such as the Egyptian Prime Minister Ahmed Nazif, in addition to the British Ambassador in Cairo, Sir Derek Plumbly, and five of the Board of Trustees of the British University in Cairo inaugurated by the Prince of Wales and a number of the outstanding British figures.

It is worth mentioning that the first thing on the Prince's agenda to Egypt was to tour Al-Azhar University. There, Prince Charles and his wife were hosted by the Grand Sheik of Al-Azhar Dr. Muhammad Sayyid Tantawi, Dr. Mahmoud Hamdy Zaqzouq, Al-Awqaf Minister, and Dr. Ahmed Muhammad Al-Tayyib, the President of the University.

On that occasion, the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Sayyid Tantawi, welcomed Prince Charles saying:

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumadal-Oula, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION

June. 2006

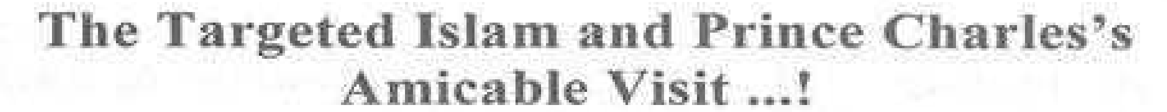
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

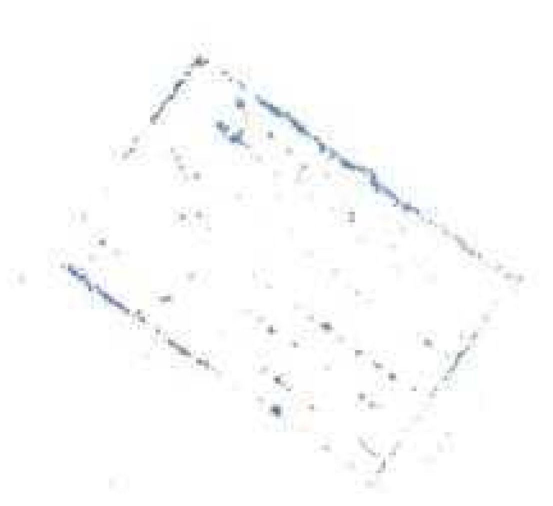


The Targeted Islam and Prince Charles's Amicable Visit ...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Danish atrocious caricatures offending the Noble Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) represented the most aggressive campaign against Islam. This came at the hands of some ignorant individuals characterized by their spiritual degradation and fake masks of democracy, freedom and civilization. They, and their supporters, raised their voices with hollow statements supporting falsehoods, justifying insolence and abusiveness, and insulting and degrading the other's creeds. Such a hideous act was caused by some people blinded with their ignorance and fanaticism. They were led by a foolish Italian minister, who wore a shirt carrying these foul caricatures. By doing so, he was like a clown in the circus, who evokes the laughter and sarcasm of whoever sees him. His malicious act caused him to be dismissed from his office, for he was in a country known for its Christian traditions and guided by the Vatican's Pope.

In this regard, we cannot forget a noble attitude by the Swedish Foreign Minister Laila Freivalds who opposed these offensive caricatures. She courageously shut down an extreme-rightist website attributed to Sweden and on which the atrocious caricatures were republished. Minster Laila Freivalds bravely bore the consequences of her decision, as well as the blame of a big number of the Swedish parliament members under the pretext of her violation of the freedom of





الفهـــــرس

AL AZHAR MAGAZINE

Jumada-l-Ula, 1427 A.H. June, 2006.
Vol. 79, Part V.



الثمن ١٥٠ قرشا

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - يوليو ٢٠٠٦ - الجزء ٦ - السنة ٧٩

هدية العدد
الإسلام في جنوب شرق آسيا

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ

■ طهروا مصر من البهائية ■









الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

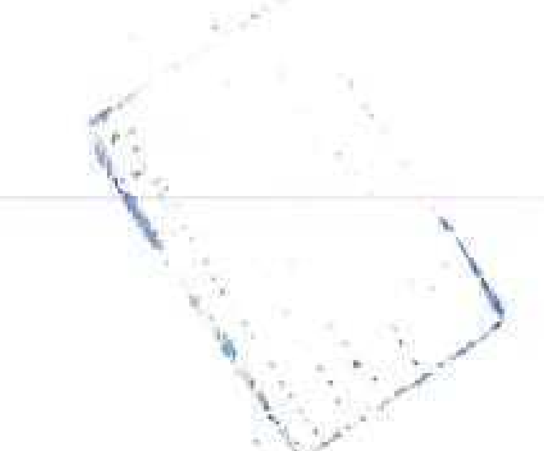
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - يوليو ٢٠٠٦م - الجزء السادس - السنة التاسعة والسبعون





من أمراض المجتمع

فزع الجار من الجار

أصبح خوف الناس من الناس بلاء موجعا يسبب من المشكلات المستعصية ما لا طاقة لرب الأسرة باحتماله، ويولّد من الأزمات الطارئة ما كان القوم في غنى عنه لولا هذا الخوف المزعج الكريه، وقد يستغرب القارئ ذلك بادئ ذي بدء، ولكن الحقائق الأليمة تنطق بهذا الخوف بما لا يستطيع باحث أمين أن يتجاهله، وكان في النظرة المتأنية والعقل البصير ما يجتث هذا الخوف باجتثاث أسبابه، ولكن ما طرأ على المجتمع من ملابسات شاذة، وكماليات مظهرية صارت بتكرارها ضروريات ملزمة لا مفر منها، كان مصدر الأزمات الطاحنة التي ينوء الكثيرون تحت أثقالها المتراكمة، وقد كان في غلاء الأسعار الملتهب يوما بعد يوم، وعجز المرتبات الناحلة عن استيعاب الضروريات ما يلزم العقلاء بمعالجة أمورهم على وجه مريح قانع، ولكن الغلاء يشتعل ويستفحل، ثم تكون الكماليات أمرا لا مفرّ منه، خوفا من انتقاد الناس، وتوقيًا من ألسنة تتلمس أوجه النقص لدى المعارف والزملاء، فإذا لم تجد هذا النقص على وجه صريح حاولت أن تختلقه اختلاقا، وأخذت تتلذذ بشيوعه وإعلانه على نحو بغيض.



كلام الناس

جاءني إنسان فاضل يشغل منصب المدير العام في إحدى المرافق الحكومية، وكان تلميذا لي بالمدرسة الثانوية منذ عهد بعيد، وظلّت أواصر الود وطيدة بيني وبينه إذ يحرص على مراسلتي في المناسبات الداعية، ويتفضل بزيارتي من وقت لوقت، فهو صاحب الفضل الأول في تدعيم هذه الصداقة الكريمة، وقد زارني ذات عشية، ووجدت في ملامحه ما يدل على عدم الارتياح، فسألته عن حقيقة ما يشغله، فقال لي في أسف: كنت أود لو أتاح الله لي مسكنا في منزل متواضع أعيش به مع أسرتي حيث لا يجاورني أحد، لأني أسكن في عمارة ذات شقق وأدوار، وقد توشجت صلاتنا بالجيران على نحو طبيعي لا نشاز فيه، ولكن هذه الصلات أصبحت تجر عليّ من المتاعب المادية ما لاطاقة لي به، فأصبحت أعاني رهقا شديدا في استواء معيشتي، وإذا أردت أن أنكمش في حدود مقدرتي المادية، ثار أولادي وغضبت زوجتي، ومصدر غضبها الأول هو الخوف من كلام الناس.

ووجد زائري منيّ اهتماما بحديثه، فواصل القول في ارتياح، وقال: في العيد الماضي -عيد الأضحى المبارك- ارتفع ثمن الأضاحي، بحيث أصبح الخروف المتواضع يُباع بأكثر مما أقبضه من مرتبي الشهري، فلم أجد ضرورة تدفعني إلى أن أتكلف ما لا أطيق، ولكن جارة كريمة تفضلت بزيارة زوجتي، وأعلنت أنّ زوجها قد اشترى عجلا، لهذه المناسبة، وأنه سيفرّق اللحم أمام العمارة حيث يجتمع المحتاجون، كما أن الجيران سيذبحون الخرفان فقط، ولن يبلغوا مبلغ ما تضحي به، وكأنها تقول إن منزلتها قد أصبحت فوق الجميع، وما رحلت هذه المتغطرسة حتى جاءت زوجتي إليّ عابسة تصرّ على أن نذبح، ولا نكون موضع انتقاد! قلت: إننا نذبح لله لا للناس، ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها، فثارت وتجهمت، وجاء الأولاد، وكلهم يؤيدونها، ثم نزل الفرج من السماء على غير انتظار، إذ حدثني أخي من القرية تليفونيا بأن زفاف ولده في ليلة العيد وأنه يدعو الأسرة جميعها إلى تشريفه بهذه المناسبة، فأسرعت لأخبر الأسرة بهذا الحل الموفق، وأعددنا العدة للرحلة الميمونة التي أنقذت الموقف، واطمأنت الزوجة لأنها -كما قلت- وجدت العذر المقبول أمام الجيران، فلن ينبسوا بالملام!



وأسأل نفسى أى عذر؟ وهل وقع ذنب يوجب الاعتذار؟

هذه واحدة، أما الثانية فشبيهة بها وقد وقعت فى الصيف الماضى، إذ انتهت الدراسة بعد عناء الدروس الخصوصية التى لم تقتصر على طلاب المدارس بل تعدتهم إلى طلاب الجامعة! حيث فرض الأستاذ الدكتور ألفين فى المادة الواحدة، وذلك ما جعلنى أستدين، وألعن الأيام التى دفعت بأولياء الأمور إلى الشقاء المرير، وقد تهيأت فئة من سكان العمارة إلى المصيف فى أماكن أقلها الاسكندرية ورأس البر! وجاءت زوجتى ومعها الأولاد يُصرون على رحلة المصيف كما كنا نفعل من قبل، قبل فراغ اليد والجيب، فأعلمهم أنّ ذلك مما يستحيل هذا العام، فأنا مدين وقد أواصل الدين فى العام المقبل كى أفى بحاجة الدروس الخصوصية! ومرّ بنا أسبوع لم يَخْلُ من نزاع، وصَل إلى درجة الغضب من الزوجة، فالبكاء من الأطفال، ثم نزل الفرج من السماء، إن كان المرض يُدعى فرجاً فقد مرضت زوجتى، واستدعى الأمر مراجعة الطبيب يوما بعد يوم، وأصبحت الرحلة الصيفية فى هذا الموسم ممتنعة تماما، ومع ذلك فالأولاد غاضبون، ومنهم من يقول: إننى السبب الأول فى مرض زوجتى، لأنها تأثرت كثيراً بامتناعى عن المصيف، وذلك ما يجعلها فى مستوى أقل من مستوى الجيران! وقالت إحدى بناتى: إن الجزار الذى يسكن معنا فى هذه العمارة قد ذهب بأسرته شهرا كاملا، فهل لا يقدر المدير العام على رحلة تستمر أسبوعاً واحداً. فقلت لها فى ألم: يا بنيتى، إن ما يكسبه الجزار الكريم فى اليوم الواحد أكثر مما يقبضه المدير العام فى الشهر الطويل! فماذا تقولين؟

الكماليات أصبحت ضروريات

كان حديث صاحبى بالغاً موضع التأثير من نفسى، فحاولت أن أخفف عنه بعض ما يتلبسه من شجن، وأذكر أنّى قلت له: إنى أعرف رجلاً فاضلاً من طرازك فوجىء بالأعباء الكمالية التى لا يُطيقُ دفعها، فرأى بعد تفكير أن يُشرك زوجته فى تيسير العسير، وكانت ذات حصافة وقناعة، فقال لها: سأضع راتبى فى يدك جميعه، لتتصرفى فيه كما ترين، وعليك أن تقنعى الأولاد بما يجب أن يكون من

الاعتدال والقصد، فقدّرت الموقف حقّ قدره، ولم تُرهق الأب الكادح فى مطلب لا يناله، وسارت السفينة باتزان فى هبة العاصفة، ورضى الأولاد بالأمر الواقع، فلم يعقدوا موازنة بينهم وبين الجيران! فعليك أن تحاول ذلك مع زوجتك، لتكون عوناً لك بدل أن تُثقل عليك بما لا تطيق.

وهنا يجب أن نتساءل، لماذا كثرت الكماليات فى هذا الزمن، ولماذا أصبحت لدى الكثير من الضروريات! وقد كُنا فى الجيل الماضى نرى ربّ الأسرة آخذاً أولاده وزوجته بالحزم، فلا يتطلعون إلى ما لا يملكون، وكانت الحياة تجرى رخاءً، بحيث يفيض المرتب فى كثير من الأحيان عن حاجة المنزل، فيدخر منه إلى حين! ولن نعجز عن الجواب الصحيح، حين نُوازن بين البيت والمدرسة والجامعة فى الماضى وفى الحاضر.

كانت الأم فى المنزل كأنها مُدرّسة فى المدرسة، ترعى شئون الأطفال، وترشدهم إلى النهج الصحيح خطوة خطوة، فهى تفرضُ عليهم آداباً من السلوك، وتقيم علائقهم مع أطفال الجيران على نحو من الحزم يمنع التأثر والتطلع إلى ما ليس باليد، وتساعد على هدوء المنزل للاستذكار بعد العودة من المدرسة، وإذا رأت من سلوك الإبن ما لا ترتضيه وجّهته وحذرته، وقضت على أسباب التنافس بين أبنائها. ويأتى الوالد بعد الظهيرة فلا يلمس غير ما يحب من الهدوء، واعتدال الرغبات، والتفكير فى الغد الذى لابد أن يحين بأعبائه، وكل ذلك قد ساعد على النشأة الهادئة، والاعتدال السديد.

هذا هو المنزل، أما المدرسة فقد كانت مثالاً للمساواة العادلة، لا يتقدم فيها التلميذ على زميله إلا بما يبذل من الجهد والمثابرة، وقد يكون الأول فى الفصل الدراسى ابن عامل صغير أو فلاح أجير، فيلاقى من التشجيع ما يزيده التفاتاً إلى واجبه، أما دروس التربية الرياضية وأوجه النشاط المختلفة فى الجمعيات الطلابيّة، فتدفع إلى التنافس الشريف، وتجعل من التلميذ رجل المستقبل فى اتزانه وضبط عواطفه، فإذا انتقل إلى الجامعة وجد المجال الرحب لإنماء قواه الفكرية وحُسن التعامل مع النظراء، والمساواة هى الميزان السائد فى التعامل، دراسةً ورحلةً، ونشاطاً، وذلك ما يمنع الإنسان أن يتطلع إلى حظوة خاصة، أو مكانة ملحوظة لاتصاله بمسئول كبير.



الأم والأب تخليا عن دورهما والمدرسة فقدت روح المساواة

وننتقل إلى المنزل والمدرسة والجامعة الآن، فماذا نجد؟ لقد تخلت الأم تماما عن رسالتها التربوية، وانتقلت عدوى التليفزيون إلى الأطفال، فكثرت بواعث الشجار والتنافس وعادى الأخ أخاه، لما لحظه من ميزة فى عقله أو سلوكه، وتطلع إلى رُفقائه من أبناء الجيران طالباً ما ليس بيده مما يملكون، فإذا عاد الأب المرهق من عمله، لم يجد من أعصابه ما يُتيح له الجلوس الهادىء مع أبنائه ولم يعيأ بما يسمع عن مشاجراتهم، وقد تكون الأم عاملةً فترجع فى حاجة إلى الراحة بعد أن تؤدى حاجات المنزل، وبهذا فقد الابن درس التربية العملية فى بيته، وأسلمته الظروف الجديدة إلى ميوله الذاتية دون ضبط أو توجيه.

والمدرسة، فقدت رُوح المساواة تماما، فليس بها من أوجه النشاط العملى ما يجمع الطلاب على عمل تربوى يتيح لمواهبهم الكامنة أن تلوح، ولن يترأس من الطلاب غير ذوى الثراء، ممّن يجيئون إلى المدرسة فى العربة الخاصة، ويرتدون الحلل الزاهية ولهم مكانتهم عند متصيّدى الدروس الخصوصية من المدرسين، وإذا كُنا قد افتقدنا أوجه النشاط تماماً فى هذا المحيط، فإن الدروس العملية فقد فُقدت تماما، وأصبحت مظهرية تُدوّن عناوينها على السبورة فقط، والناظر والمفتش والمدير يعلمون ذلك تماما، ولا من نكير! فأىّ خلق إنسانى ينمو فى هذا الهرج الهائج، وكيف يتربّى التلميذ على نماذج طيبة من السلوك الحميد؟

وخريج الجامعة لا يعرف شيئا عن تخصصه

والجامعة بأعدادها المكدّسة فى المدرجات، بين قُعُود ووقوف، لا تتيح للطالب نوعاً من المعرفة الصحيحة، فضلاً عن أن تُتيح له نوعاً من التربية الصالحة! وقد يحمل المتخرج درجة الليسانس أو البكالوريوس، وهو لا يعرف شيئا عن تخصّصه! ذكر الدكتور مهدى علام -رحمه الله- أنه سأل ممتحنا فى لجنة من لجان الجامعيين المتقدمين إلى بعض الوظائف. وكان ممّن تخرج فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب، سأله عن الصومال أين هى؟ فقال: إنها فى أوروبا؟ وحين لحظ هيئة الاستنكار قال: لا، إنها فى أمريكا!! وهذا ممن درس الجغرافيا، ونال درجة الليسانس! أفنقرن أبناء الجيل الماضى بطلاب اليوم! ذلك رجع بعيد!



الخوف صنع الفساد

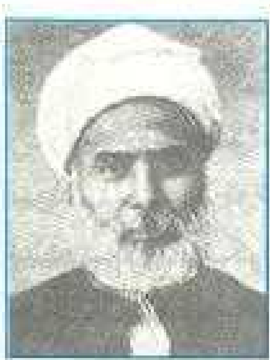
وأعود إلى خوف الناس من الناس فأذكر أن ما سطرته عنه، أهون وأضال من خوف سواه. ذلك هو خوف الكثير من الناس أن يقولوا كلمة الحق فى وجه الظالم الآثم، وليتهم اعتصموا بالسكوت فلم ينطقوا بخير أو شر. ولكنهم انساقوا إلى المديح الكاذب فى مداهنة بغيضة، وأخذوا يُبدون من مظاهر الولاء ما ينكره الممدوح نفسه، إذ هو فى أعماقه يزدريهم كل ازدراء.

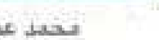
لقد زكمت الأنوف لدينا رائحة المرتشين واللصوص من ذوى المناصب فى مجلس الشعب، وإدارات البنوك، ومجال الاستيراد والتصدير، وكان الحق كل الحق أن يلاقوا بالازدراء والتحقير، ولكن خوف الناس من الناس جعل السفلة من الوصوليين يُقابلونهم بالإعزاز والتوقير! وقد يقوم شرير من مُدعى الوجاهة الكاذبة بجريمة اغتيال، ويجتهد المحامون فى تبرئته بالباطل. وتؤثر العائلة بنفوذها فى تهديد الشهود فيعدلون عن قول الحق، ويخرج المجرم من القفص، فماذا يحدث؟ نجد هؤلاء الذين يعتقدون فى صميم قلوبهم إجرامه، وفحش جنايته، يُسارعون إلى الاحتفاء بتكريمه، ويحجون لمنزله مبتهجين، ويصفقون له، وكأنه جاء بنصر مبين، ويسارعون بتهنئته فى الجرائد اتقاءً لشره، وخوفاً من عقبى مغاضبته، بل نجد الثرى ينتزع الأرض غصباً من الضعفاء، ويقدّم الأدلة الزائفة تبريراً لما ارتكب من الجرم، ولا يستطيع المجنى عليه مقاومة هذا الحشد المزدحم المتربص به، ويصدر الحكم وفق ما توجبه الأدلة المصطنعة، وإذ ذاك يُسارعُ مَن يعلمون علم اليقين أن البرىء فى حكم القضاء مجرم أمام الله، يأتون للتهنئة ويستنكرون أن يعارضه معارض! بل قد يُرشح أحد هؤلاء نفسه لمجلس الشعب أو لمجلس مشابه، فيجد آلاف المؤيدين من الخائفين، ويعلوا الهتاف باسم الغاصب دون نكير، ولو كان لدينا رأى عام يحترم الحق. ويحتقر الظالم الغاصب، ما تمت هذه المسرحيات الهزلية، ولما كان اللصوص وأشباه اللصوص فى مقدمة الصفوف وجاهةً واستعلاء! وأغرب ما فى الأمر أن أحدهم يُتهم صراحةً بالدعارة، ويُقابله الناس بالتحية، خيفة من بطشه، أليس هذا الخوف القاتل مما يحتاج إلى دواءٍ حاسم يرتفع بنفوس المرضى من وهدة الرياء إلى منزلة الصدق والإخلاص!

التعليم الصحيح وسيلة لإيقاظ الشعور الهامد



مصطفى كامل





محمد عبده

لقد وصفت بعض مظاهر الخوف في ناحيتيه المختلفتين، وبقى أن أشير إلى ما أعتقده وسيلة حاسمة لعلاجه. وقد لا أكون مؤهلاً لتحديد هذا العلاج كما ينبغي أن يكون، ولكنى أسترشد بموقف سابق للأستاذ الإمام محمد عبده حين رأى الأمة المصرية قد أصابها الفتور القاتل بعد إخفاق الثورة العرابية، فسكن الصوت الوطنى الذى ارتفع قبل الثورة، ولولا صيحات مصطفى كامل ما شعر أحد أن البلاد مصابة بالاحتلال لانصراف كل مصرى إلى شأنه الخاص، هنا رأى الإمام محمد عبده أن يكون التعليم الصحيح وسيلة لإيقاظ الشعور الهامد، وتطلع الأمة إلى المستقبل عن طريق شديد لا تكتنفه العثرات.

وأنا أرى تبعاً له أن تكون التربية الصحيحة في المنزل أولاً ثم في المدرسة والجامعة ثانيا هي التي تقضي على الانهيار الخلقي الملموس، فإذا رجعت للمنزل رعايته الصحيحة في إنماء الحاسة الخلقية لدى الطفل، وبعث عوامل الصدق والوفاء والقناعة في كيانه الآخذ في التدرج، ثم جاءت المدرسة لتؤكد معاني الحرية والصراحة، ومحاسبة المخطىء على خطئه، وإثابة المحسن على إحسانه في جو من المساواة الحقيقية التي لا تغلفها الأهواء، ثم كانت الجامعة هادية إلى ترسيخ هذه المعاني سلوكا وعملاً قبل أن يكون ذلك كلمات تسطر في المذكرات دون تنفيذ، إذا تم ذلك على وجهه البصير، فإن الأمل في الإصلاح الخلقي يتحقق على وجهه المنشود، وإن الخوف القاتل من الجهر بالحق، والمداهنة المقيتة لذوى الانحطاط الوضيع، مما سيمحق أثره في نفوس تعشق الفضيلة وتمقت الإرهاب الدنيء، أما الخوف من انتقاد الجيران، وعيون المتطلعين إلى ما لا يعنيهم من المواقف، فسيكون تاريخا أليما مضى ولن يعود، وهذا ما نرجوه.

التربية الخلقية

إن التربية الخلقية يجب أن تعود، وإن الغضب من الاندحار الخلقى في المجتمع يجب أن يحفز الغاضبين إلى تغيير سريع في كل ما يتصل بأدوات التعليم والإعلام ليأخذ كل مواطن ما يستحق من الإجلال أو الإهمال وفق سلوكه الصريح، وختاماً أستأذن القارىء في أن أقص عليه قصة لطيفة، تصور مدى خوف الناس من الناس، وبطلتها امرأة ريفية ساذجة، فقد فوجىء أهل القرية بها ذات صباح تصيح في الشارع صارخة، فتجمع حولها الناس يسألونها ما شأنها؟ فقالت في تشنج مزعج! ابنتى الطائشة، هربت منى، وعقدت قرانها على ابن فلان، دون أن أعلم، وواصلت الضجيج، فجعل الناس يصبرونها، ويقولون الزوج شاب مستقيم فلا تفزعى، ورجعت إلى المنزل دون أن أشهد هذا الموقف، فقالت لى والدتى -رحمها الله- اذهب يابنى إلى فلانة، فصبرها وطيب خاطرها، أنت طالب في الأزهر وتعرف تتكلم. وأطعت أمى، وذهبت، فوجدت الجارة متماسكة طبيعية لا يوجد في ملامحها بعض ما يدل على الفجيعة، فبدأت أقول، يا خالتى (وكل امرأة في سن والدتك في الريف النبيل هي خالتك) ابنتك تزوجت على سنة الله، ولم تعمل شيئا يغضب الله، فلم تغضبين وتفزعين؟ ففوجئت بها تقول: «أعرف ذلك تماما، ولكن أولاد الحرام من حولى سيملئون البيت ويقولون: بنت قليلة الأدب. بنت عديمة التربية، ماشية على حل شعرها، فأردت أن أقطع لسانهم، وأستريح من شرهم بما صنعت، والحمدلله انقطع (الواغش) ولم يأت إلا من يصبرنى ويقول مثلك: تزوجت على سنة الله ورسوله!». وقد سعدت بحديثها وخرجت مسرورا، أقول في نفسى: ويل الناس من الناس! ولم أكن حفظت بعدُ قول الشاعر:

وما ساءنى إلا الذين عرفتهم ... جزى الله خيراً كل من لست أعرف

***

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

(الآيات من ١٠٦ إلى ١٠٩)

قوله – تعالى –

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾

بياض الوجوه وسوادها محمولان على الحقيقة عند جمهور العلماء. وذلك لأن اللفظ حقيقة فيهما، ولا دليل يوجب ترك هذه الحقيقة فوجب الحمل على ذلك.

قال الآلوسي: قال بعضهم يوسم أهل الحق ببياض الوجه وإشراق البشرة تشريفاً لهم وإظهاراً لآثار أعمالهم في ذلك الجمع. ويوسم أهل الباطل بضد ذلك.

والظاهر أن الإبيضاض والإسوداد يكونان لجميع الجسد إلا أنهما أسندا للوجوه، لأن الوجه أول ما يلقاك من الشخص وتراه، وهو

أشرف أعضائه واختلف في وقت ذلك فقيل: وقت البعث من القبور وقيل وقت قراءة الصحف[1].

ويرى بعض العلماء أن بياض الوجوه هنا المراد منه لازمه وهو الفرح والسرور، كما أن سوادها المراد منه لازمه أيضاً وهو الحزن والغم وعليه يكون التعبير القرآني محمولا على المجاز لا على الحقيقة.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: وهذا مجاز مشهور قال – تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

[النحل / ٥٨]

ويقال: لفلان عندي يد بيضاء وتقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيض وجهه ومعناه الاستبشار والتهلل.. ويقال لمن وصل إليه مكروه: اربد وجهه واغبر لونه وتبدلت صورته.. وعلى هذا فمعنى الآية: أن المؤمن يرد يوم القيامة على ماقدمت يداه، فإن رأى مايسره ابيض وجهه بمعنى أنه استبشر بنعم الله وفضله، وعلى ضد ذلك إذا رأى الكافر أعماله القبيحة محصاة عليه اسود وجهه بمعنى أنه يشتد حزنه وغمه»[2]

والظرف «يوم» في قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ ﴾ إلخ منصوب على أنه مفعول به بفعل محذوف والتقدير: اذكر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه والمراد الاعتبار والاتعاظ ويجوز أن يكون العامل فيه قوله ﴿ عَظِيمٌ ﴾ في قوله قبل ذلك

﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

أي أولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات لهم عذاب في هذا اليوم الهائل الشديد الذي تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود فيه وجوه الكافرين والفاسقين.

وفي وصف هذا اليوم بأنه تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه تهويل لأمره. وتعظيم لشأنه وتشويق لما يرد بعد ذلك من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة وأصحاب الوجوه المسودة، وترغيب للمؤمنين في الإكثار من التزود بالعمل الصالح وترهيب للكافرين من التمادي في كفرهم وضلالهم.

والتنكير في قوله ﴿ وُجُوهٌ ﴾ للتكثير. أي تبيض وجوه عدد كثير من المؤمنين وتسود وجوه كثيرة للكافرين.

وشبيه بهذه الآية قوله – تعالى:

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾

[الزمر / ٦٠]

وقوله – تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾

[القيامة / ٢٢ – ٢٥]

(١) تفسير الآلوسي جـ٤ ص٢٥.
(٢) تفسير الفخر الرازي جـ٨ ص١٨١

قال صاحب الكاشف: «البياض من النور والسواد من الظلمة. فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه وابيضت صحيفته، وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه. ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب. نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمة الباطل وأهله(٣).

ثم بين - سبحانه - حال الذين اسودت وجوههم وسوء عاقبتهم فقال:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾

بسبب كفرهم وأعمالهم القبيحة فيقال لهم

﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾

وحذف هذا القول المقدر والذي هو جواب أما للدلالة الكلام عليه، ومثله كثير في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله - تعالى -

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾

[السجدة/ ١٢]

أى قائلين ربنا أبصرنا وسمعنا وقوله تعالى:

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾

[الرعد/ ٢٣ : ٢٤]

أى قائلين لهم: سلام عليكم.

والاستفهام فى قوله: ﴿ أَكَفَرْتُم ﴾ للتوبيخ والتعجب من حالهم.

قال الآلوسى والظاهر من السياق أن هؤلاء هم أهل الكتاب وكفرهم بعد إيمانهم، هو كفرهم برسول الله ﷺ بعد الإيمان به قبل مبعثه. وقيل هم جميع الكفار لإعراضهم عما وجب عليهم من الإقرار بالتوحيد حين أشهدهم على أنفسهم

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾

[الأعراف/ ١٧٢]

ويحتمل أن يراد بالإيمان الإيمان بالقوة والفطرة، وكفر جميع الكفار كان بعد هذا الإيمان، لتمكنهم بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة من الإيمان بالله - تعالى - وبرسوله ﷺ(٤).

وقوله:

﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

أى فادخلوا جهنم وذوقوا مرارة العذاب وآلامه بسبب استمراركم على الكفر وموتكم عليه.

والأمر فى قوله ﴿ فَذُوقُوا ﴾ للإهانة والإذلال، وهو من باب الاستعارة فى ﴿ فَذُوقُوا ﴾ استعارة تبعية تخييلية. وفى العذاب استعارة مكنية: حيث شبه العذاب

(٣) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٦٩

(٤) تفسير الآلوسى جـ٤ ص٢٦

بشيء يدرك بحاسة الأكل والذوق تصويراً له بصورة ما يذاق، وأثبت له الذوق تخييلا - وهو قرينة المكنية.

وأل فى العذاب للعهد أى فذوقوا العذاب المعهود الموصوف بالعظم، والذى سبق أن حذركم الله - تعالى - منه، ولكنكم لم تعيروا التحذير انتباهاً، بل تماديتم فى كفركم وضلالكم حتى أدرككم الموت وأنتم على هذا الحال الشنيعة.

ثم بين - سبحانه - حال الذين ابيضت وجوههم وحسن عاقبتهم فقال:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾

ببركة إيمانهم وعملهم الصالح

﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾

أى ففى جنته. والتعبير عن الجنة بالرحمة من باب التعبير بالحال عن المحل فتكون الظرفية حقيقة. وإذا أريد برحمة الله ثوابه وجزاؤه تكون الظرفية مجازية.

وفى التعبير عن الجنة بالرحمة إشعار بأن دخولها إنما هو بمحض فضل الله - تعالى - فهو - سبحانه - المالك لكل شيء، والخالق لكل شيء.

وقوله:

﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

بيان لما خصهم الله - تعالى - من خلود فى هذا النعيم الذى لا يحد بحد، ولا يرسم برسم، ولا تبلغ العقول مداه. أى هم فى الرحمة باقون دائمون فقد أعطاهم الله - تعالى - عطاء غير مجذوذ.

وقد بدأ - سبحانه - كلامه عن الفريقين بالذين ابيضت وجوههم ثم قدم الحديث عن حال الذين اسودت وجوههم على الذين ابيضت وجوههم، ليكون ابتداء الكلام واختتامه عن هؤلاء السعداء بما يسر القلب ويشرح الصدر ويغرى الناس بالتمسك بعرى الإيمان وبالإكثار من العمل الصالح الذى يوصلهم إلى رحمة الله ورضاه.

ووصف - سبحانه - الذين ابيضت وجوههم بأنهم خالدون فى رحمته، ولم يصف الذين اسودت وجوههم بالخلود فى العذاب للتصريح فى غير هذا الموضع بخلودهم فى هذا العذاب كما فى قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾

[البينة/ ٦]

وللإشعار بأن باب رحمته - سبحانه - مفتوح أمام هؤلاء الضالين فعليهم أن يتوبوا إلى رشدهم، وأن يقلعوا عن الكفر إلى الإيمان والعمل الصالح حتى ينجوا من عذاب الله وسخطه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

وبعد أن أفاض - سبحانه - فى الحديث عن أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وعن رذائل الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم ممن أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وبعد أن ساق - سبحانه - من التوجيهات الحكيمة،

والإرشادات النافعة مايشفى الصدور ويهدى النفوس، بعد كل ذلك، خاطب - سبحانه - نبيه ﷺ بقوله:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

والمراد بالآيات ما سبق ذكره فى هذه السورة وغيرها من آيات قرآنية تهدى إلى الرشد وتشهد بوحدانية الله - تعالى - وبصدق رسوله ﷺ فيما يبلغه عنه.

وكانت الإشارة بتلك الدالة على البعد للإشعار بعلو شأن هذه الآيات وسمو منزلتها وعظم قدرها.

ومعنى ﴿ نَتْلُوهَا ﴾ نقرؤها عليك يامحمد شيئا فشيئا قراءة واضحة جلية لتبلغها للناس على مكث وتدبر وروية.

وأسند - سبحانه: التلاوة إليه مع أن التالى فى الحقيقة جبريل - عليه السلام - للتنبيه على شرف هذه الآيات المتلوة، ولأن تلاوة جبريل إنما هى بأمر منه - سبحانه -.

وقال - سبحانه:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا ﴾

فأظهر لفظ الجلالة ولم يقل تلك آياتنا نتلوها، ليكون التصريح باسمه - سبحانه - مربيا فى النفوس المهابة والإجلال له، إذ هو المستحق وحده لوصف الألوهية فلا إله سواه ولامعبود بحق غيره، وهو ذو الجلال والإكرام، وهو المنشىء الموجد لهذا الكون وما فيه ومن فيه.

فالتصريح باسمه - تعالى - يزيد البيان جلالاً ويبعث فى النفوس الخشية والمراقبة والبعد عما يوجب العقاب والإقبال على ما يوصل إلى الثواب.

وقوله ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ فى موضع الحال المؤكدة من الفاعل أو المفعول.

أى نتلوها عليك متلبسة بالحق أو متلبسين بالصدق أو العدل فى كل مادلت عليه هذه الآيات ونطقت به، مما لاتختلف فيه العقول السليمة، والمدارك القويمة.

وقوله - تعالى:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

نفى للظلم بأبلغ وجه فإنه - سبحانه - لم ينف فقط الظلم عن ذاته بل نفى عن ذاته إرادة الظلم إذ هو أمر لا يليق به - سبحانه - ولا يتصور وقوعه منه.

وكيف يريد الظلم من منح هذا العالم كله الوجود، وخلق هذا الكون برحمته وقدرته وعدله؟

والظلم - كما يقول الراغب - وضع الشىء فى غير موضعه المختص به إما بزيادة أو بنقصان وإما بعدول عن وقته ومكانه. ومن هذا يقال: ظلمت السقاء إذا تناولته فى غير وقته، وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر.

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة أنواع:

● الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله - تعالى

- وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، وإياه قصد - سبحانه - بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

[لقمان/ ١٣]

● والثانى: ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾

[الشورى/ ٤٢]

● والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله(٥):

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾

[فاطر/ ٣٢]

والظلم الذى نفى إرادته - سبحانه - عن ذاته عام لايخص نوعاً دون نوع، إذ من المعروف عند علماء اللغة أن النكرة فى سياق النفى تعم، وهنا جاء لفظ الظلم منكراً فى سياق النفى وهو ما.

قال الجمل: واللام فى قوله ﴿ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ زائدة لا تعلق لها بشىء زيدت فى مفعول المصدر وهو «ظلم» والفاعل محذوف. وهو فى التقدير ضمير البارىء - سبحانه - والمعنى ما الله يريد أن يظلم العالمين، فزيدت اللام تقوية للعامل كقوله(٦)

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

[هود/ ١٠٧]

ثم بين - سبحانه - بعد ذلك أنه هو المالك لكل شىء وأنه هو وحده الذى إليه تصير الأمور فقال:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

أى له - سبحانه - وحده ما فيهما من المخلوقات ملكا وخلقا وتدبيراً وتصرفاً وإحياء وإماتة وإثابة وتعذيباً.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾

أى إلى حكمه وقضائه تعود أمور الناس وشئونهم فيجازى الذين أساؤوا بما عملوا ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى، لأنه - سبحانه - منه المبدأ وإليه المآب فيجازى كل إنسان على حسب اعتقاده وعمله بدون ظلم أو محاباة.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد حذرت الناس من أهوال يوم القيامة الذى تبيض فيه وجوه وتسود وجوه وبينت الأسباب التى أدت إلى فوز من فاز وإلى شقاء من شقى، ونوهت بشأن الآيات التى أنزلها الله - تعالى - على نبيه ﷺ لتكون هداية للناس وصرحت بأن الله - تعالى - هو الخالق لكل شىء وإليه مرجع الأمور ومصيرها فيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

❋❋❋

(٥) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص٣١٦

(٦) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص٣٠٣

السنة

دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم «رحمه الله» فى صحيحه أن أم الدرداء «رضى الله عنها» قالت لصفوان بن عبدالله بن صفوان -لما قدم عليها الشام-: أتريد الحج العام؟ قال: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل».

التعريف بالراوى

التحقيق أن أبا الدرداء «رضى الله عنه» كانت له زوجان، كلتاهما تكنى أم الدرداء، أما الكبرى فاسمها خيرة بنت أبى حدرد الأسلمى «رضى الله عنها»، وهى صحابيَّة، كانت من فضليات النساء وعقلائهن، ومن ذوات العبادة، وتوفيت قبل أبى الدرداء بسنتين، وكانت وفاتها بالشام فى خلافة عثمان بن عفان «رضى الله عنه»، وحفظت عن رسول الله ﷺ، وعن زوجها أبى الدرداء «رضى الله عنه».. أما الصغرى فهى هجيمة الوصابيَّة، أو جهيمة، وهى تابعيَّة لم تر النبىَّ ﷺ، يقول الإمام النووى «رحمه الله» فى شرح باب حديثنا هذا: «وأم الدرداء هذه هى الصغرى التابعية، واسمها هجيمة، وقيل: جهيمة».

اللغـويات

بظهر الغيب: فى غيبة المدعوّ له، وفى سر الداعى، لأنه أبلغ فى الإخلاص.. ولك بمثل: أى: مثله ومثيله فى هذه الفضيلة، وكذلك لو دعا المرء لجملة المسلمين، لذلك كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب، ويحصل له مثلها.



الشرح والبيان

الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله (عزّ وجلّ)، والاستكانة له، وقيل: هو طلب كشف الغمّة. بتطلع موضع القسمة، وهو نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمّن لدعاء العبادة، قال تعالى عن الخليل إبراهيم (عليه السلام):

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾

[مريم: ٤٨ - ٥٠]

ومن ثمّ فإن الدعاء راحة القلوب، وأمل الأفئدة، وغذاء الروح، ورجاء الإنسان من الله (عزّ وجل)، والفرج المنتظر من القريب المجيب (سبحانه)، ولذلك تعددت أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، كى يناديه كل إنسان بحاجته، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾

[فاطر: ١٥]

فالمذنب مثلاً يجد راحته عندما يناجى ربه قائلاً: يا توّاب، يا غفّار، تب علىّ واغفر ذنبى، والمظلوم يجد السلوى، ويستشعر الراحة عندما يناجى خالقه: يا منتقم، يا جبّار، انتقم لى ممن ظلمنى، وخذ لى بحقّى، والفقير المعدم يجد سعادته وأنسه عندما يتوجّه بحاجته إلى مولاه قائلاً: يا رزاق، ياوهاب، ارزقنى وهب لى من فضلك، والضعيف يجد قوته وسلواه عندما يقول: ياقوىّ، يا عزيز، قوّنى، وأعنّى على عملى وطاعتك، وهكذا. قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾

[الأعراف: ١٨٠]

وقال:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

[الإسراء/ ١١٠]

ولقد روى الحاكم عن على «رضى الله عنه» عن النبى «ﷺ» قال: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض».. وروى أيضاً عن أم المؤمنين عائشة (عليها الرضوان) قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة»، أى: يتصارعان، فالدعاء يردّ البلاء..

إذاً الدعاء عبادة من أعظم العبادات التى يقدّمها المرء طاعة لربّه، وزلفى لخالقه، وكيف لا؟ وهو مظهر من مظاهر العبودية الصادقة، والمناجاة المخلصة لله (عزّ وجلّ)، ففيه يقف العبد بين يدى خالقه ومولاه موقف الضراعة

والرجاء سائلاً مولاه رفع بلاء، أو نزول رخاء، طالباً منه (سبحانه) كشف غمّة، أو قضاء مهمّة، ولقد روى النعمان بن البشير «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

[غافر/ ٦٠]

رواه الترمذىّ، وقال: حديث حسن صحيح.

هذا والله -تعالى- يحبّ من عبده أن يسأله، ففى الحديث الشريف عن عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» أنّ رسول الله ﷺ قال: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحبّ أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»(١). وبالتالى يغضب على عبده إن أعرض عنه واستكبر عن دعائه، ففى الحديث عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»(٢)، والعجب كل العجب لهؤلاء الناس الذين يتوجهون بسؤالهم إلى الخلق، ويتركون الخالق (جلّ وعلا)، لقد تلقف هذا المعنى الشاعر الحكيم فأنشد:

لا تسألن بنىّ آدم حاجة
وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وبنىّ آدم حين يُسأل يغضب

هذا وقد طلب منا الحقّ (سبحانه) أن ندعوه، ووعدنا فى الوقت نفسه باستجابة الدعاء، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[غافر/ ٦٠]

وعن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ ربكم حيّى كريم يستحيى من عبده إذا رفع يديه إليه بدعوة أن يردّهما صفراً ليس فيهما شيء»، رواه الترمذى وغيره، وصححه الشيخ الألبانى (رحمه الله).

وروى الشيخان عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ ومن يسألنى فأعطيه؟ ومن يستغفرنى فأغفر له؟».

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «إنّ فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه الله إياه، وذلك كلّ ليلة»(٣).. ولكنّ كثيراً من

(١) سنن الترمذى.
(٢) سنن الترمذى.
(٣) سنن ابن ماجه جـ١/ ٤٤١.

الناس قد يقول: دعوت الله فلم يستجب لى، وأقول له: لقد سئل المصطفى ﷺ السؤال نفسه، قيل له: ما بال أقوام يدعون الله فلم يستجب لهم؟! فقال: «لأنه دعاهم فلم يستجيبوا له». ألا وإن ربّ العالمين يقول:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

[المائدة/ ٢٧]

ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعين لا تدمع، ودعوة لا يستجاب لها. هذا وقد تتخلف الإجابة لاستعجال الداعى، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم مالم يعجل، يقول: قد دعوت ربى فلم يستجب لى»(٤).

هذا وإجابة الدعاء تختلف باختلاف مصالح الناس وأحوالهم، والله -سبحانه وتعالى- وحده هو العليم بما يصلحهم فى معاشهم ومعادهم، فى دنياهم وآخرتهم:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

[الملك/ ١٤]

ولهذا قد يجيب المطلوب بعينه، وقد يجيب بعوض عن المطلوب خير منه، وقد يدّخر المطلوب أو بديله لوقت خير من الوقت المطلوب فيه، فعن أبى سعيد الخدرىّ (رضى الله عنه) عن النبىّ ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمّا أن يعجّل له دعوته، وإمّا أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر، قال: الله أكثر»(٥).

فهل بعد هذا نجد من يغفل عن الدعاء؟! لاشك أنّ من يغفل عن الدعاء هو العاجز، بل هو أشدّ الناس عجزاً، ورد فى الحديث الشريف عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام» [رواه الطبرانى، وإسناده حسن].

هذا وللدعاء شروط يجب تحققها كى تتحقق الإجابة، وبعضها يتصل بالداعى وهى أن يكون الداعى مؤمناً عالماً بأنّ الله -تعالى- (وحده) هو القادر على قضاء حاجته، أو تفريج كربته، أو سداد دينه، أو كشف همّه، أو تحقيق أمله، وأن يدعو بنيّة صادقة، مع حضور القلب، وألاّ يملّ الدعاء، وأن يكون ملتزماً طاعة الله، مجتنباً كلّ ما حرّم الله عليه من الكسب الخبيث، وارتكاب المظالم، واقتراف الآثام، وفى الحديث: «إنّ الله -تعالى- طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله -تعالى- أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ١٢٦٦.
(٥) الحاكم ١/ ٤٩٣.

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

[المؤمنون/ ٥١]

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له!»(٦).

وبعض شروط الدعاء تتصل بالدعاء، وهى أن يكون الدعاء فى تضرّع وخوف ورجاء، وخشوع وإخلاص، قال تعالى:

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾

[الأعراف: ٥٥]

ومنها ما يتصل بالمدعوّ به وهى أن يكون المدعوّ به من الأمور الجائزة المطلب والفعل شرعًا، فلا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾

[يونس: ١١]

وقال:

﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾

[الإسراء: ١١]

وبعد هذا وذاك لا بدّ للداعى أن يلحّ فى الدعاء، فقد قال - ﷺ -: «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»(٧)، وإذا كان هذا هو الدعاء، وتلك شروطه، والإجابة تتحقق ما تحققت الشروط، فلماذا لا يتوجه كلّ منا بحاجته إلى مولاه، فهو ربّنا ونحن عباده، ونحن محتاجون إليه فى كلّ وقت وحين، ولماذا لا نتوجه بطلب الدعاء إلى الصالحين المخلصين، وإلى الوالدين، وإلى العبّاد الطائعين، وخاصة الذاهبين لأداء فريضة الحج، أو المسافرين لأداء العمرة، لماذا لا نتوجه إليهم ألا ينسونا من صالح دعائهم فى تلك البقاع الطاهرة، والأماكن المقدسة التى يستجاب فيها الدعاء؟! فها هى ذى السيدة أم الدرداء (رضى الله عنها) تقرّر أنها علمت أن النبى ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكّل، كلّما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»، والمعنى: أى لك مثله، أو مثيله، أى: أن أجر المدعوّ له لا ينقص أجر الداعى، فكلاهما يحصّل الأجر كاملاً غير منقوص، وفى الدعاء بظهر الغيب إظهار الحبّ الصادق، والإخلاص

(٦) صحيح مسلم جـ٢/ ٧٠٣.

(٧) سنن الترمذى.

الكامل للمدعوّ له، بهذا تتأكد العلائق، وتتوطد الروابط، ويعيش الناس جميعاً سعداء، ويرضى عنهم ربّ العباد، وتعمّ البركة، ويكثر الخير، وينتشر الرخاء.

وعلى كلّ فاللجوء إلى الله يسهّل كل صعب، وييسّر كل عسير، ويقضى الحاجات، ويفرّج الكربات، ويرفع الغمّ والهمّ، ويحلّ محله الاطمئنان والاستقرار، وقد ورد فى الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرىّ (رضى الله عنه) قال: «دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة، ما لى أراك جالساً فى المسجد لغير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتنى، وديون يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن أذهب الله -عز وجل- عنك همّك وقضى دينك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. قال: فقلت ذلك، فأذهب الله غمّى، وقضى دينى»(٨).

هذا وقد جاء فى بعض الكتب المنزّلة: «وعزّتى وجلالى، لأقطعن أمل كل مؤمّل غيرى باليأس، ولألبسنّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأخيبنه من قربى، ولأبعدنه من وصلى، ولأجعلنه متفكراً حيران، يؤمّل غيرى فى الشدائد، والشدائد بيدى، وأنا الحىّ القيوم، ويرجو غيرى، ويطرق بالفكر أبواب غيرى، وبيدى مفاتيح الأبواب، وهى مغلقة، وبابى مفتوح لمن دعانى».

هذا. والدعاء من الأمور التى امتازت بها أمتنا الإسلامية على غيرها من الأمم، حيث كان الدعاء من خواص الأنبياء وحدهم، فالناس يتوجهون بحاجاتهم إلى أنبيائهم، ليسألوا ربهم إيّاهم، وليس لهذه الأمّة وساطة بينها، وبين خالقها، جاء فى الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت أمتى ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء، كان الله إذا بعث نبيّاً قال: (ادعنى أستجب لك)، وقال لهذه الأمة:

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[غافر: ٦٠]

وكان الله إذا بعث نبيّاً قال له: ما جعل عليك فى الدين من حرج، وقال لهذه الأمة:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج: ٧٨]

وكان الله إذا بعث نبيّا جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمة

(٨) البخارى جـ٤/ ٢٣.

﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

[البقرة: ١٤٣]

وما دام الحقّ (سبحانه) قد منحنا إجابة الدعاء، فيلزمنا أن نتخير أفضل أوقاته، وأفضل أوقاته -كما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه أنس بن مالك (رضى الله عنه)- بين الأذان والإقامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء لا يردّ بين الأذان والإقامة»(٩).

وكذلك ثلث الليل الأخير، روى الترمذى عن أبى أمامة (رضى الله عنه) قال «قيل لرسول الله -ﷺ-: أىّ الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»، وكذلك فى السجود، ولكن بغير ما يشغل عن العبادة والصلاة، ففى الحديث الشريف الذى رواه الإمام مسلم (رحمه الله) فى صحيحه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى -ﷺ- قال: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

ألا وإن الله تعالى يقول:

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾

[العلق: ١٩]

وعلى كلّ فمن عرف الله -عز وجل- عرفه الله، والجزاء من جنس العمل، كما أن العقوبة من جنس الجريمة، ومن ثمّ وجب على المسلم أن يعرف ربّه فى أوقات الرخاء والأمن والصحّة والسلم، ليعرفه ربّه فى أوقات الشدّة والخوف والمرض والحرب، قال رسول الله ﷺ: «تضرعوا إلى ربكم، وادعوه فى الرخاء، فإن الله تعالى قال: «من دعانى فى الرخاء أجبته فى الشدة، ومن سألنى أعطيته، ومن تواضع لى رفعته، ومن تضرّع إلىّ رحمته، ومن استغفرنى غفرت له».

ومن ثمّ جاء قوله (سبحانه):

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

[البقرة: ١٨٦]

والمعنى: إذا سألك عبادى عنّى فإنى قريب أجيب دعوة من يدعونى، أعطيه إذا سألنى، وأثيبه إذا عبدنى.

وما أحوج أمتنا الإسلامية فى هذه الظروف الصعبة التى تمرّ بها الأمّة، والتى أقضّت مضجعها، وعصفت بها -أن يدعو كلّ المخلصين لها بقلوب عامرة بالإيمان، وألسنة صادقة- أن يُقيلها الله من عثرتها، وأن يردّ إليها قوتها ومنعتها وعزّتها ومجدها، لترفع راية الإسلام عالية خفاقة على أمم وشعوب طالما أرهقها الظلم، وأناخ عليها الطغيان، ولن يكون ذلك إلا بقادتها المخلصين، وجنودها المؤمنين، وقضاتها العادلين، وأئمتها المصلحين... والله نسأل أن يلهم الجميع الصواب، وأن يوفقهم جميعًا لما فيه خير العباد، وصلاح البلاد، والله يقول الحقّ، وهو يهدى السبيل.

(٩) مسند الإمام أحمد جـ٣/١١٩.

توجيه الشباب مسئولية الفرد والجماعة

لفضيلة الشيخ عمر الديب محمود
وكيل الأزهر الشريف

إن المقولة الحكيمة (الوقاية خير من العلاج) نجدها فيما أمر به القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾

«التحريم: ٦»

فهذا الأمر الربانى ما هو إلا توجيه إلى اتباع المنهج السليم وأقصر السبل إلى الاستقامة والوقاية فنحن نحصن أولادنا ضد الأوبئة والأمراض التى تصيب أجسادهم مثل شلل الأطفال - الحصبة - الحمى الشوكية.. وغيرها.

ونبذل الجهد والمال للوصول للعلاج الناجع لهذه الأمراض والوقاية منها ومع كل هذا ترانا نترك عن عمد وقصد وقاية أنفسنا وأهلينا وبالأخص أولادنا من أمراض أخرى هى أشد فتكاً وأكبر ضرراً على مجتمعاتنا الإسلامية وهذه الأمراض تتمثل فى هذا الفراغ الدينى المخيف الذى يعيش فيه أبناؤنا بل إنهم تاهوا فى هذا

الفراغ ولم يجدوا دليلاً ومرشداً أميناً يهديهم سواء السبيل، وإنهم لم يصلوا إلى بر الأمان، وإنهم لن يصلوا حتى يجدوا من يرشدهم من الآباء والمعلمين ويأخذ بيدهم إلى جادة الطريق، بل ويأخذ على أيديهم تارة أخرى حتى تطهر نفوسهم وقلوبهم فتأتمر بأوامر الدين وتنتهي بنواهيه وذلك عن رغبة وحب في هذه التعاليم السمحة.

وهذه الآية الكريمة التي ترشد إلى التربية الدينية التي، وتحث على العناية بالأولاد بدنياً وعقلياً وروحياً وسلوكاً، وقد شرع الإسلام الأحكام التي تسلك بنا سبل الرشاد، ولعل توجيه أفضل الخلق وأعظمهم ومعلم البشرية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى تعليم الأولاد الصلاة في سن السابعة من أعمارهم أولى خطوات هذه الوقاية والتحصين ضد سبل الإغراء والفساد في هذه الحياة، لأن للصلاة آداب وشروط متى تعود عليها الأبناء ونشأوا أصحاء أقوياء جسماً وروحاً وعقلاً فإنهم ظاهرهم النظافة وباطنهم الطهارة وهذه وقاية إيجابية فنظافة الظاهر تقيهم من شتى الأمراض فحين يتوضأ المسلم للصلاة خمس مرات في اليوم والليلة فإن هذا يحصنه ضد كثير من الأمراض ولا غرو، فقد أجرى بعض الباحثين في إحدى الدول غير الإسلامية وبها أقلية من المسلمين ـ أجرى ـ بحثاً لبعض الأمراض التي تصيب الأنف والأذن والعين فوجد أن هذه الأمراض تنتشر بين طوائف الناس وتقل بشكل واضح وكبير بين المسلمين ولكنه عرف أخيراً أنهم يتوضأون للصلاة خمس مرات وهذا يقي تلك الحواس من الأمراض المعدية التي عادة ما تصيب تلك الحواس وكذلك الغسل من الجنابة والغسل للجمعة والغسل للعيدين كل هذه الطهارات دعوة للنظافة وحصن ووقاية من الأمراض الجسدية.

وأما عن علاج الصلاة للأمراض الباطنية فحدث ولا حرج وكفى بها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والذي يتتبع آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يجد في ذلك الرشد والإرشاد حيث يدعو الإسلام إلى أصول التربية الصحيحة والقويمة التي بها يحيا الإنسان مستقيماً وينبه إلى أن القدوة أمر خطير في أصول التربية فيقول الحق تبارك وتعالى في محكم آياته:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

«الطور: ٢١»

وعن القدوة السيئة يقول الحق جل شأنه:

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾

«الصافات: ٦٩ : ٧٠»

من هذا المنطلق كانت مساءلة الآباء عن تربية أولادهم والحفاظ عليهم من الأمراض الوافدة وفي تأكيد هذا المعنى جاء الهدى النوراني من أفضل الخلق وسيدهم سيدنا وإمامنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم:

(من ولد له مولود فليحسن أدبه واسمه فإذا بلغ فليزوجه فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثماً باء بإثمه)[١].

مسئولية الفرد نحو الشباب

الإسلام حمل كل فرد مسئولية عمله ومسئولية عقيدته إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهذا واضح في آيات عديدة في القرآن الكريم ويتجلى ذلك في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

«النجم: ٣٩»

وفي قوله عز من قائل:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾

«الإسراء: ٧»

وهذه المسئولية الفردية تتجلى في تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة ولعمته صفية بن عبدالمطلب بهديه النبوي الشريف:

(يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبدالمطلب، يا بني عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم)[٢].

وهذه المسئولية الفردية التي دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم متنوعة تشمل كل علاقات الفرد مع نفسه ومع ربه ومع غيره ومن هنا كانت مسئولية الشباب عن نفسه على هدى ما تعلمه وما فعله.

المسئولية الجماعية عن الشباب

هذه المسئولية تشترك فيها الأسرة باعتبارها التي تهيىء المناخ الذي يحياه الشباب وهي الحاضن والكفيل الذي يرتمي الشباب في حضانته ويكلؤه بكفالته وتشترك فيها الدولة أيضاً باعتبارها القوامة على تقديم الخدمات المختلفة وأهمها التعليم والثقافة وتوفير العمل للشباب وتيسير الحصول على الأرزاق بل إن المجتمع كله وهو يمثل الرأي العام مسئول عن توجيه الشباب التوجيه السليم ومسئول أن يأخذ بيد هؤلاء

١ـ رواه الصيرفي في من اسمه أحمد ومحمد.

٢ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ج٣ ص٨٠.



الشباب حتى يصبحوا مواطنين صالحين ينفعون أنفسهم ويقودون بلادهم إلى التقدم والرقى يدافعون عنها بكل ما يستطيعون ويذودون عنها كل طامع ودخيل يحمون أرضها وسماءها وبحارها من كل غاصب.

وآيات القرآن الكريم بينت ما هو الرأى العام ومدى مسئوليته عن الفساد والإفساد.

قال تعالى:

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾

«المائدة: ٧٩»

ولذلك نرى أن المفسدين الذين ينشرون الأفعال السيئة وينطقون بالأقوال الموجهة إلى الفساد المحرضة عليه أى صورة من صور الفساد يحرضون هذا الشباب على أن ينشأ بعيداً عن دينه وأخلاقيات هذا الدين التى تدعو إلى الفضائل وتنهى عن الرذائل وهؤلاء المفسدون يدعون الشباب إلى:

● اتباع أهواء النفس وتحقيق نزواتها ورغباتها وذلك باسم الحرية الزائفة التى يروجها هؤلاء المفسدين وتقليداً للأفكار الهدامة الوافدة من هنا وهناك لتثنيهم عن اتباع ما جاء به دينهم الحنيف.

● كذلك يدعون الشباب إلى رفض نصيحة الآباء وتوجيه المربين بدعوى أن هذه الأفكار رجعية وأن الآباء والمربين قد صدأت أفكارهم ولم تعد تساير الزمن الذى يعيشون فيه لأن هذا كان لزمن غير زمان الآباء والمعلمين.

● التقليد الأعمى لكل ما هو وافد علينا من الأمم التى تدعو إلى الإباحية والإنحلال الخلقى والعقائدى بل إن هذه الدعوة تقوم على تقليد بعض الأخلاق والسلوكيات التى هجرها عند الوافد منه هذه السلوكيات وهجرة أهله، ولكننا نقلدهم حباً فى تقليد كل ما هو أجنبى.

● سوء فهم الدين وتفسير ما جاء به حسب أهوائهم إما عن جهل تام بالدين أو لفقدان المرشد الأمين الذى يبين لهم المنهج القويم فى فهم هذا الدين، ولهذا كان لابد لنا من وضع منهج للعلاج وعمل وقائى وتربوى، وهذا المنهج يتمثل فى:

١- المثل الأعلى والقدوة الصالحة فى المنزل وفى المدرسة.

٢- أن نتعامل مع الأفكار والمذاهب الفاسدة والضارة تعاملها معاملة الأوبئة الضارة بالصحة وأن نحصن شبابنا ضد هذه الأمراض لتوضيح الطريق المستقيم الذى يهديه سواء السبيل ويرشده إلى أقوم طريق.

٣- أن نعتنى بدراسة أساليب التربية فى الإسلام التى كانت أسسها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآثار العلماء والراشدين ونستنتج منها الوسائل التى تتبع فى تنشئة أبنائنا من

مرحلة الطفولة وحتى مرحلة الشباب وأهمها الوعى الدينى الذى يدعو إلى الوسطية فى كل شىء وينهى عن الغلو والتطرف والتشدد فى كل الأمور بل يدعو إلى المحبة والتعايش السلمى بين جميع الأفراد والجماعات.

٤- لابد أن نظهر لهؤلاء الشباب خصائص المجتمع الإسلامى وما فيه من ميزات لأن التربية ليست بعيدة عن نظام المجتمع ولا تفارق عقيدته.

٥- عمل الدراسات الموضوعية عن الأخطاء الشائعة فى المجتمع التى تبعد الشباب عن الالتزام بأخلاقيات وسلوك الإسلام وتعاليمه.

٦- مقاومة سلبيات الفكر الدينى ومن أهم هذه السلبيات تبنى بعض الأفكار الهدامة والمتطرفة وذلك عن طريق ربط الشباب بالمفهوم الصحيح للتدين دون أن نضطره للانعزال ورفض المجتمع وممارسة التدين دون معرفة سليمة بأصوله أو عن طريق اتباع بعض الأدعياء الذين يدعون معرفتهم بالدين وأنهم وحدهم القادرون على إقامة هذا الدين ويذهبون إلى معاداة جميع من سواهم الذين لايتبعون أفكارهم وأيضاً تكون مقاومة هذه السلبيات بالحوار الهادىء من القادرين على إدارة هذا الحوار وذلك من العلماء المتخصصين الذين يستطيعون توصيل الدين الصحيح إلى أفهام الشباب ويقوه من الشوائب التى عرضت على أفكارهم نتيجة تأثرهم بتلك الأفكار الهدامة ويكون أيضا بمراجعة مناهج التربية الدينية التى تدرس بمراحل التعليم المختلفة من حيث الموضوعات التى تشملها ومراجعة المشاكل الحاضرة وكذلك خطب الجمعة والدروس الدينية لابد لها من مواجهة المشاكل الحاضرة والتوجيه السليم للشباب للتغلب على تلك المشاكل وفقا لما جاء به دينهم الحنيف وما أرشد إليه نبيهم صلوات الله وسلامه عليه.

٧- تنقية وسائل الإعلام من مظاهر الانحلال والدعوة إلى الإباحية والفساد الخلقى والتزامها بآداب التربية والحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية والدعوة إلى إقامة حوار فكرى بين الشباب وبين العلماء المتخصصين فى جميع المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية، وغيرها من المجالات التى يهتم بها الشباب وإذاعة هذا الحوار على الهواء بواسطة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية حتى ينتفع بها أكبر عدد من الشباب بل ويشارك فى إدارتها النابهون من الشباب الذين لديهم القدرة على الحوار والفهم حتى يكون ذلك وسيلة للأخذ بأيديهم وغيرهم من الشباب ويصبحوا فى أمن وأمان من استقطابهم فى تنظيمات مشبوهة.

والله نسأل أن يهدى شبابنا إلى سواء السبيل.

تحليل الطيبات وتحريم الخبائث

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٧٢، ١٧٣]

فى الآيات السابقة لهاتين الآيتين، وجه القرآن الكريم دعوته للناس جميعا أن يستمتعوا بما فى الأرض من الحلال الطيب، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان إلا أن جماعة من هؤلاء لم يستمعوا إلى دعوة الله ولم يهتدوا بهديه، وإنما اتبعوا ما وجدوا آباءهم عليه دون تمييز بين الطيب والخبيث، والحلال والحرام، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ١٦٨-١٧١]

بعد ما وجه الدعوة السابقة إلى الناس عامة، وجه الدعوة إلى المؤمنين وحدهم، وقد ناداهم بالوصف القائم فيهم وهو وصف الإيمان الذى يقتضى أن يستجيب له المؤمن، وأن يكون مهتديا بهدى الله، بعيدا عما حرم الله. وأن يتنبه المؤمن بعد بيان ما سبق، فلا يلتفت إلى ما كان عليه غيره، وكان أولئك العاصون الحمقى الذين أحل الله لهم خيرات الأرض وطيباتها، قد أحلوا بعضها وحرموا بعضها وهنا جاء الأمر بأكل الطيبات بعد بيان أحوال أولئك ليأكل المؤمنون من طيبات ما أحل الله ولا يضيقوا على أنفسهم كما ضيق أولئك.

وأن هذا الأمر الذى أمر الله -تعالى- به المؤمنين من الأكل من الطيبات، قد أمر به أيضا المرسلين عليهم السلام، عن أبى هريرة -رضى الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»، فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾

[المؤمنون: ٥١]

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: «يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[1] والطيبات: هى التى يستلذ بها الناس ويستطيبونها من الحلال يقول الرازى فى تفسيره: الطيب فى الأصل هو ما يستلذ به ويستطاب ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه، لأن النجس تكرهه النفس فلا تستلذه، والحرام غير مستلذ لأن الشرع يزجر عنه وفى بيان الرسول ﷺ، أن الله وجه الأمر إلى رسله كما وجهه للمؤمنين بالأكل من الطيبات فى هذا البيان ما يشير إلى أهمية الحرص على الطيبات وأنه أمر من الأهمية بمكان بحيث يجب على المؤمنين أن يحرصوا عليه غاية الحرص، ولذا فإن الأمر به جاء قبل الأمر بعمل الصالحات قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾

[المؤمنون: ٥١]

أطب مطعمك

وأن المال الطيب والأكل من الحلال يكون سببا للعمل الطيب وقبوله عند الله تعالى، والمال الحرام، والأكل منه يورث العمل الخبيث ولا يقبل لصاحبه عمل ما.

وقد روى أن سعد بن أبى وقاص قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة. فقال النبى: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت -أى حرام- فالنار أولى به»[2].

بل إنه لو تقرب إلى الله أو تصدق بالمال الحرام فإنه لا يقبل من صاحبه، ففى الحديث: «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به، أو أنفقه فى سبيل الله، جمع ذلك جميعا ثم قذف به فى نار جهنم»[3].

وقال ﷺ: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»[4] وفى قوله تعالى:

(١) صحيح مسلم جـ٢/ ٧٠٣.

(٢) الترغيب والترهيب جـ٢/ ٥٤٧.

(٣) اتحاف السادة المتقين جـ٦/ ٩.

(٤) صحيح مسلم (٢٠٤).

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة، فلو جرى الحديث على الأسلوب الأول فى التكلم لقال واشكرونا، ولكنه التفت ليصرح باسم الله تعالى لتربية المهابة، وشكر الله تعالى على نعمة عبادة أمر بها الله تعالى فى قوله:

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

وقوله:

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

[البقرة: ١٥٢]

والشكر طريق لزيادة النعمة، قال سبحانه:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

[إبراهيم: ٧]

وطريق– أيضا لرضاء الله على الإنسان وفيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أنس –رضى الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها» وفى قوله تعالى:

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

[البقرة:١٧٢]

بيان من الله تعالى بأن شكر الله عبادة، فإن الله يعلم أنهم يعبدونه، وهم بالفعل يعبدونه فبين بقوله:

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

إن شكر الله صاحب الفضل والإنعام على نعمه ورزقه وإباحة الطيبات من أهم وسائل العبادة، كما أن هذه العبادة كما يقول الألوسى بمنزلة التعليل لطلب الشكر كأنه قيل: واشكروا له لأنكم تخصونه بالعبادة وتخصيصكم إياه بالعبادة يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه وهى لا تتم إلا بالشكر، لأنه من أجلّ العبادات، ولذا جعله نصف الإيمان وورد من حديث أبى الدرداء مرفوعا:

يقول الله تعالى: «إنى والإنس والجن فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى..»(٥).

شريعة اليسر والسماحة

وبعد أن ذكر الطيبات وأمر بالأكل منها بين أنواعا من الحرام فقال:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾

[البقرة:١٧٣]

وقد جاء التعبير هنا بصيغة القصر التى تفيد حصر الحرمة فى الأمور المذكورة مع العلم بأن

(٥) تاريخ ابن عساكر جـ٥/١٨٩.



هناك أمورا محرمة أخرى وذلك لرد اعتقادهم أن هذه الأشياء حلال وهو رد بأبلغ وجه وأقوى صورة مؤكدة، فالحصر مقيد بما اعتقدوه حلالا بقرينة أنهم كانوا يستحلون ما ذكر.

وهذه الأمور المحرمة منها ما كان تحريمه لعلة فيه، وسبب منع حله ومنها ما كان تحريمه لغير علة فيه فالميتة والدم ولحم الخنزير معروف أن الميتة والدم تأباهما النفوس السليمة، واستثنى من الميتة السمك والجراد للحديث الذى أخرجه ابن ماجة والحاكم من حديث ابن عمر –رضى الله تعالى عنهما–: «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وقد ألحق بالميتة أيضا ما قطع من حى للحديث الذى أخرجه أبوداود والترمذى عن أبى واقد الليثى قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قطع فى البهيمة وهى حية فهى ميتة» والدم وقيد فى سورة الأنعام بالمسفوح وخص لحم الخنزير مع أن سائر جنسه حرام لأن معظم ما يؤكل من الحيوان هو اللحم وباقى أجزائه تابعة له ويدل أيضا على أن عين الخنزير حرام سواء ذكى أم لم يذك هذا وقد اكتشف العلم الحديث أن بالخنزير بعض الديدان الشديدة الخطورة وقد سبق القرآن العلم الحديث إذ حرم الخنزير فى أوائل القرن الهجرى الأول وشريعة لها هذا السبق جديرة بالثقة بها وتحريم ما حرمته وتحليل ما حللته، وأما النوع الثانى وهو ما كان محرما بسبب التوجه به لغير الله وهذا سبب روحى يجافى سلامة العقيدة والاتجاه لله الواحد وهو المذكور فى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾

[البقرة:١٧٣]

ومع هذا فإن شريعة الإسلام عرفت باليسر والسماحة وجعلت الضرورات تبيح المحظورات فأحلت لمن اضطر لهذه المحرمات أن يأكل منها بالقدر الذى تنتفى معه بالضرورة دون أن يتجاوزها أو يتعدى حدودها:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

[البقرة: ١٧٣]

فالدين يسر لا عسر. قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج: ٧٨]

ولذا ختم الآية بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٧٣]

ومن رحمته أنه أسقط الحرمة ورخص فى تناول هذه الأمور وقت الضرورة وهذه الأمور كانت محرمة فى التوراة إلا أن اليهود كتموا الآيات الدالة على تحريم بعضها رغبة منهم فى كسب مادى هو فى زعمهم كثير، ولكنه عند الله قليل ولذا عقبت الآيات على ما سبق ببيان أنهم صائرون إلى النار وكأن ما يأكلونه هو نار فى بطونهم. قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٧٤]

وبهذا يتبين لنا حرص الإسلام على سلامة النفس وسلامة العقيدة، فسلامة النفس تتضح بتحريم ما يضر بصحة الإنسان من أكل الخبيث كالميتة والدم ولحم الخنزير وسلامة العقيدة بتحريم الذبح الذى لا يذكر عليه اسم الله، حتى تظل العقيدة فى نفوس أصحابها نقية لا تشوبها شائبة شرك.. قال تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[الكهف: ١١٠]

العلم الحديث

وإذا كان ما سبق من تحريم الإسلام للميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله أمورا أشار القرآن إلى تحريمها وضررها فلننظر إلى ما قاله العلم الحديث وما اكتشفه الطب عنها:

أما عن الميتة فهى مضرة بالصحة وقد نقلت المجلة البيطرية من كتاب: «الفوائد الحسان لمعالجة الحيوان» لمؤلفه الدكتور على رمضان: هذه اللحوم فضلا عن كونها يحرم تعاطيها دينيا فهى مضرة بالصحة وعلاماتها أنها سريعة التعفن سهلة التمزق رطبة رخوة صفراء اللون تسيل منها مادة مصلية وإن شفت سال منها دم أسود ولها رائحة مخصوصة وشكل ظاهرى يمجه النظر ودهنها رخو مائل للزرقة» أ.هـ.

وأما عن لحوم الخنزير فقد ذكر الكتاب أنها: أكثر تعرضا للتلوث بالميكروبات المرضية البكتيرية أو الطفيلية من لحوم الأبقار والأغنام وذلك مثل ميكروبات التسمم الغذائى والحويصلات الديدانية والتريخينا.

وأعتقد أنه مع التقدم العلمى سيتضح ما خفى من أسباب تحريم أكل لحوم الخنزير، والمعروف حاليا أن هذا الحيوان يصاب بنوع من الحويصلات الديدانية التى تؤدى إلى إصابة الإنسان بنوع خبيث من الديدان الشريطية ويتم التعرف على هذه الحويصلات عند الكشف على لحوم الخنزير بالعين المجردة للطبيب وقد لا يمكن مشاهدتها رغم وجودها فى اللحوم.

ومن كتاب «أمراض الحيوان» إعداد: مراقبة الإرشاد والتسجيل البيطرى والإدارة العامة للمعامل والبحوث البيطرية طبع المطبعة الأميرية سنة ١٩٦٣م تذكر أهم الأمراض المشتركة التى تنتقل من تعاطى لحم الخنزير إلى الإنسان:

- الكلب وهو الصرع.
- التهاب الفم الفقاعى وهو مثل الحمى وتنتج عنه التهابات.
- الحمى الفحمية.
- الحمى المالطية المتموجة.
- الدودة الوحيدة.
- التسمم الدموى.

- مرض الصفراء الدموى وهو التهاب كبدى
- حمرة الخنزير وهى التهابات فى الجلد
- السل الكاذب.
- السل الآدمى والبقرى.
- سالمونيلا التسمم الغذائى.
- الدوسنتاريا الأميبية.
- مرض النوم الأفريقى «داء الفيل».
- التهاب الجلد.
- مرض التريكينيلا «ديدان».

علة التحريم دفع الضرر

ويتسبب عن تعاطى لحم الخنزير الإصابة بالدودة الشريطية أو الدودة الوحيدة وقد ثبت أن الخنزير هو المستودع الحيوانى الذى تعيش فيه الدودة فى شكل حويصلة حتى إذا ما وصلت فى الغذاء إلى أمعاء الإنسان تحولت الحويصلة إلى دودة بالغة تستقر فى الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة ويبلغ متوسط طولها عندما يتم نموها بين مترين وثلاثة أمتار وقد تصل أحيانا إلى ثمانية أمتار.

وهى تبقى فى لحم الخنزير مترقبة وصولها إلى أمعاء الإنسان لكى تكمل دورة حياتها وتصبح دودة بالغة.

وبهذا يتبين لنا دقة التشريع الإسلامى وحكمته العالية فى تحريم الخنزير وغيره من الأمور التى حرمها الله وقد أشار القرآن الكريم فى سورة الأنعام إلى هذه الأمور بقوله:

﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾

[الأنعام: ١٤٥]

ومعنى قوله:

﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾

أى مصبوبا كالدماء التى فى العروق لا كالطحال والكبد، وقد وصف الخنزير بأنه نجس لأن لحمه قذر لتعوده أكل النجاسات، ولأنه فى ذاته خبيث. وفى سورة المائدة ذكر القرآن هذه الأمور وغيرها من المحرمات الأخرى فى قوله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾

[المائدة: ٣]

- والمنخنقة: هى التى ماتت بالخنق.
- والموقوذة: هى التى قتلت بالضرب.
- والمتردية: هى التى تردت من علو أو إلى بئر فماتت.
- والنطيحة: هى التى نطحتها أختها فماتت.

وأن شريعة لها هذا السمو فى أحكامها والدقة فى المحافظة على النفس والصحة لجديرة بالاتباع والحرص على التمسك بها، والدفاع عنها.

الدين المعاملة

ماذا جرى للمسلمين فى فهمهم لتعاليم الدين ومقاصده؟ وماذا وقع من خلل فى مقياس أعمالهم بأوامر الدين الصحيح؟ ولماذ انحصر فكرهم فى معنى التدين على أنه أداء شكلى لفرائض خلا أداؤها من تحقيق غاياتها وأهداف الهداية الربانية منها؟

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

إن من يتتبع أحوال المسلمين ويلقى نظرة فاحصة على سلوكهم وتصرفاتهم، ويختبر أقوالهم وأفعالهم ليعرف منازلهم من التدين، ومدى انطباق الحكمة البالغة «الدين المعاملة» عليهم يجد:

أن من المسلمين من يكتفون بالتدين بمجرد الانتساب إليه، وأداء رمزه الأول، وهو النطق بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» ويرون أنهم بذلك قد قاموا بحق التدين، فأعلنوا شهادة الإيمان بالله، والشهادة بأن محمدا رسول الله، وهم بعد ذلك بعيدون كل البعد عن جميع التكاليف والعبادات، والمعانى الفاضلة والتوجيهات الرشيدة التى يدعو إليها الدين، يطلقون لأنفسهم وجوارحهم العنان فى تحقيق رغباتهم وشهواتهم فى كل شىء.. فلا حد فى عقيدة، ولا ضابط فى تفكر ولا وازع عن شهوة، ولا حائل دون رغبة، ولا مانع من معصية، ولا حياء من عيب، ولا زاجر من ضمير، ولا حرمة من الاعتداء على الآخرين.. كأنه لا إله موجود يراقب، ولا ملائكة مخلوقة تسجل، ولا جوارح عندهم تشهد، ولا بعث ولا نشور قادم، ولا حساب ولا ميزان سيقام، ولا عقاب ولا جزاء سيتم.

صنف من الناس

ومن المسلمين من يرون أن التدين يقع فى دائرة مادية بحتة، ينحصر فى صلاة وصيام، وهمهمة وتسبيح، وسمت وزى خاص، وخطوات وحركات خاصة، وكلمات محفوظة، وجمل محددة تقال فى مناسبات معينة.. وبلغ بهم التبجح أنهم يعلنون تباكيهم على الأخلاق التى ضاعت، وعلى الدين الذى أهمل، وعلى الفضائل التى تركت.. ويوجهون اللوم

والتقريع والتوبيخ لكل من تحدثه نفسه بالخروج على شىء من المظاهر التى رسموا بها حدود الدين، وجعلوها علامة على الإيمان والتدين فى رأيهم وفكرهم ومنهجهم.. كما بلغت بهم الجرأة أنهم أعطوا لأنفسهم حق الهيمنة على عباد الله، فالمؤمن عندهم من وصفوه بالإيمان تبعا لإيمانهم، والمارق عندهم من وصفوه بالمروق تبعا لرأيهم، والمقبول عندهم من اتبع أهواءهم، والمطرود من الإيمان من حاد عن سنتهم ومنهجهم.

هذه هى أبرز صفاتهم من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فهم أبعد الناس عن آثار التدين الصحيح، وأبطأ الناس عن تلبية الدعوة إلى الخير، يثقل عليهم أداء الحقوق، وإذا تعاملوا ببيع أو شراء ماكسوا فى القليل والكثير، والخسيس والنفيس، يبخسون الناس أشياءهم، وإذا اكتالوا عليهم يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، يقطعون الأرحام، ولا يصلون الفقير، ولا يخففون عن مكروب، يقبضون أيديهم عن البذل والعطاء، يأكلون التراث أكلا لما، ويحبون المال حبا جما، امتلأت نفوسهم بالشح، وتمثل لهم فى كل شأن من شئونهم شبح الفقر، فهم منه فى وجل دائم وفزع مستمر.

يستبيحون الكذب، ويكتمون الشهادة، وينكرون الحق والصدق، يستحلون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم، ينقضون العهد والميثاق، يفجرون فى الخصومة، يستغلون مراكزهم وسطوتهم وقوتهم فى التنكيل بمخالفيهم فى الرأى.. استدرجهم الشيطان فارتموا فى أحضانه ووقعوا فى شباكه، فحاربوا الناس فى أرزاقهم وأقواتهم.. وتراهم إذا دعا داعى الدين، أو استغاث الخلق، أو استنصرت الفضيلة أجبن الناس: يفرون وينكصون على أعقابهم، ويجعلون أصابعهم فى آذانهم، ويثنون صدورهم، ويستغشون ثيابهم، ويؤثرون العافية والانكماش على متاعب الحق، ومواجهة آثار الحق.

وليس هناك أبلغ ولا أوضح ولا أقوى فى تصوير هؤلاء، وإبراز خصائصهم وبيان مقدار تجافيهم عن الدين، وبعدهم عن هدايته وتعاليمه، من هذا البيان الإلهى الذى تضمنته هذه السورة القصيرة، التى لا يكاد مسلم يجهلها

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾

(الماعون: ١-٧)

أى: إن كنت يا محمد، أو أيها العاقل، لا تعرف المكذب بيوم البعث والجزاء والحساب فآياته الواضحة،

وعلاماته البارزة أنه شخص قد نزعت الرحمة من قلبه، وهانت عليه الحقوق فأهدرها، فيقسو على اليتيم، ويزجره زجرا عنيفا، ويسد كل باب خير فى وجهه، ويمنع كل حق له، ولا يحث أهله وغيرهم من الأغنياء على بذل الطعام للبائس المسكين، لشحه الشديد، واستيلاء الشيطان عليه، وانطماس بصيرته عن كل خير، ونسى ما تقتضيه صلاته من روح الخوف والمراقبة، والشعور بغيرة الله على الحق وعلى عباده الضعفاء، وقد اتخذ صلاته ثوبا من الرياء يلبس به على الناس، ويخفى وراءه نفسا مظلمة قابضة ممسكة، لا تنضح بخير، ولا تعين على معروف.

وقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ فى الإرشاد والتوجيه، وشرح حقيقة الدين مؤذنة بأن وضع هؤلاء، وما اتخذوه لأنفسهم هو وضع بعيد عن الدين، بعيد عن مرضاة الله ونعيمه، جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم مرة بين يديه وسأله: ما الدين يا رسول الله؟ فأجابه بقوله: الدين حسن الخلق»، فأتاه من قبل يمينه وسأله: ما الدين يا رسول الله؟ فأجابه: «الدين حسن الخلق»، ثم أتاه من وراءه وسأله: ما الدين يا رسول الله؟ فالتفت إليه الرسول وقال له: «أما تفقه؟ هو ألا تغضب»[1].

وقيل لرسول الله: إن فلانة تصوم نهارها وتقوم ليلها، ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها، فقال ﷺ: «لا خير فيها هى من أهل النار»[2].

وقال على رضى الله عنه: كنا جلوسا عند النبى ﷺ فأقبل علينا رجل من أهل العالية، فقال: أخبرنى يا محمد عن أشد شىء فى هذا الدين وألينه، فقال له: «يا أخا العالية ألين شىء فى هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأشده يا أخا العالية الأمانة، ألا إنه لا دين لمن لا أمانة له وإن صام وصلى»[3].

مكانة الدين وحقيقة التدين

هذه هى مكانة الدين ساء فهمهم للدين، وظنوه مظهرا من المظاهر، ولونا من الألوان، دون أن يكون له أثر فى أخلاقهم ومعاملاتهم.

ولا نجد ما يصور لنا حقيقة التدين الصحيح، ويبرز لنا أوصاف أهله، كقول الله - تعالى -:

---

(١) إتحاف السادة المتقين جـ٧/٣١٣.

(٢) إتحاف السادة المتقين جـ٧/٣١٩.

(٣) الترغيب والترهيب جـ١/٨١.

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

البر: اسم جامع لكل خير، ولكل طاعة وقربة يتقرب بها العبد إلى خالقه - عز وجل - وللمفسرين أقوال كثيرة فى المخاطبين بهذه الآية الكريمة، وهل الخطاب هنا خاص أم عام؟ والرأى الراجح أن هذا الخطاب عام للكل، وهو الرأى الذى تطمئن إليه النفس، لأن المقصود من الآية الكريمة إنما هو إفهام الناس وإعلامهم فى كل زمان ومكان أن مجرد تولية وجه الإنسان إلى قبلة مخصوصة فى الصلاة ليس هو البر الكامل الذى يعنيه الإسلام، وإنما البر الكامل الذى يعنيه ويقصده الإسلام يتأتى ويتحقق فى استجابة الإنسان للتمسك بالخصال الشريفة، والأعمال الجليلة التى اشتملت عليها هذه الآية الكريمة.. فالإنسان الذى يلتزم ويتمسك بتنفيذ هذه الأعمال الإيمانية المذكورة يكون على صلة طيبة بخالقه، وعلى صلة طيبة بالناس، ويكون قد استكمل تعاليم الدين فى المعاملات.

والمعنى: ليس البر - الذى هو كل طاعة يتقرب بها الإنسان إلى خالقه - يكون فى تولية الوجه عند الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب، وإنما البر الذى يجب الاهتمام به والعناية بتحقيقه والالتزام بتنفيذه، لأنه هو الذى يؤدى إلى الفوز والفلاح، ويحقق السعادة فى الدنيا والآخرة، هذا البر يكون فى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والقرآن ورسل الله... إلى آخر ما ذكرته الآية الكريمة من الأعمال الصالحة، والخصال الجليلة.. والإيمان بالله الواحد الفرد الصمد الذى لا شريك له ولا ولد، والذى لا تتجه القلوب بالعبادة والطاعة إلا إليه، هو أساس كل بر «طاعة»، وأصل كل قربة، فإذا تحقق فى القلب، ورسخ فى النفس، وصدقته الجوارح، اكتملت فى صاحبه كل خصال الخير بعد ذلك.. ولذا ابتدأت الآية الكريمة به، وذكرت بعده الإيمان باليوم الآخر.. والإيمان باليوم الآخر يلزم التصديق بالبعث والنشور، وما يقع فيه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب.. ويترتب على هذا الإيمان مبادرة الإنسان إلى فعل الخير والأعمال الصالحة، وعدم اقتراف الذنوب والآثام.

ثم ذكرت الآية الكريمة أن من البر الإيمان بالملائكة والقرآن والنبيين الذين ثبتت نبوتهم، وكل من أنكر نبوة نبى



قد ثبتت نبوته فقد خرج عن طريق الإيمان وقد جمعت هذه الأمور الخمسة التي ذكرتها الآية الكريمة كل ما يلزم أن يصدق به الإنسان لكي يكون ذا عقيدة سليمة، تصل به إلى الفلاح والسعادة..

أصول الأعمال الصالحة

ثم ذكرت الآية الكريمة بعد ذلك أصول الأعمال الصالحة فقالت:

﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أي: ومن البر انفاق المال وبذله عن طيب خاطر - مع محبة المنفق لهذا المال - لأقاربه المحتاجين لأنهم أولى بالمعروف، ولأن إعطائهم فيه إحسان وصلة رحم.

عن سلمان بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»(٤)، وانفاق المال على «اليتامى» وهم من فقدوا آباءهم بالموت ولم يبلغوا الحلم ولا يملكون ما يكفي حاجتهم، وعلى «المساكين» وهم من لا يملكون شيئا من المال أو يملكون ما لا يكفي حاجتهم.. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئا»(٥)، «وابن السبيل» وهو المنقطع عن بلده وماله، «والسائلين» وهم الطالبون للإحسان والمعروف، «وفي الرقاب» أي: وفي تخليص الأسرى من أيدي العدو بفدائهم، وتخليص الأرقاء بشرائهم وإعتاقهم.

وذكر هذه الأنواع الستة من البر ليس المقصود بها الحصر، ولكنها ذكرت كأمثلة، وخصت بالذكر لأنها أحوج من غيرها إلى العون والمساعدة.

ثم ذكرت الآية الكريمة أنواعا أخرى من البر «الطاعة» تدل على قوة الإيمان بالله وعلى طاعته وعلى حسن الخلق،

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أي: أدى الصلاة في مواعيدها مستوفية لأركانها وسننها وخشوعها، محققة غاياتها.. وأعطى الزكاة

(٤) سنن النسائي جـ٥/٩٢.

(٥) الترغيب والترهيب جـ٦/٥٨٩.

المفروضة لمستحقيها، وفي هذا دليل على أن في الأموال حقوقا لأصحاب الحاجات سوى الزكاة، لذكر الزكاة المفروضة بعد ذكر إيتاء المال على حبه.

﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أي: الذين إذا وعدوا بالخير أنجزوا، وإذا حلفوا على فعل خير بروا في أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم، وإذا ائتمنوا أدوا الأمانة.

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أي: والصابرين عندما يصابون في أموالهم كالفقر، أو عندما يصابون في أنفسهم كالمرض، أو في وقت القتال في سبيل الله.

هذا هو الدين

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أي: أولئك الذين تقدم ذكرهم، الجامعون لخصال البر هم الصادقون في إيمانهم، وهم المتقون الذين يخشون الله ويسارعون إلى فعل الطاعات، وتلك هي صفاتهم، وظهر أثر الدين في أخلاقهم: فلا غل ولا حقد، ولا حسد ولا غضب، ولا بغضاء ولا شح، ولا قطيعة ولا جبن، ولا أثرة ولا استغلال.. كما ظهر في معاملاتهم فلا غش ولا خديعة، ولا كذب ولا كتمان شهادة، ولا تلبيس ولا مخاصمة، ولا احتيال على أكل أموال الناس بالباطل، ولا نكوص عن العهود، ولا تشويه للحقائق، ولا خيانة للأمانة.

هذا هو الدين عقيدة نقية، ونفس سخية، وأخلاق رضية، وقلوب وفية، وروح صفية، وما إلى ذلك مما تنتظمه هذه العبارة الجامعة القوية «الدين المعاملة».

***

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى اله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٢٢١ لسنة ٢٠٠٥ المتضمن الأسئلة الآتية:

مسألة فى الزكاة

● السؤال من السيد / محمد فرج ناصف يقول فيه:

أ- ما المقصود بتقدير الزكاة فى الثمار بطريق الخرص؟

ب- ما مقدار النصاب الشرعى فى الزروع والثمار والخضروات بالموازين والمكاييل المصرية المعروفة، لأننا لا نفهم ما يكتب فى كتب الفقه من مصطلحات مثل: الأوسق - الأفرق - الرطل البغدادى - الصاع؟

جـ- فى مصرف الغارمين:

هل يجوز إعطاء الزكاة للضامن إذا كان المدين قادراً ومماطلاً؟ هل يشترط أن يكون الضامن معسراً لإعطائه من الزكاة؟

●● الجواب:

أ- المقصود بتقدير الزكاة فى الثمار بطريق الخرص هو ماذهب إليه جمهور الفقهاء من أنه ينبغى للإمام إذا بدا صلاح الثمار أن يرسل ساعياً يخرصها - أى يقدر كم سيكون مقدارها بعد الجفاف - ليعرف قدر الزكاة الواجبة على أصحابها، وذلك لمعرفة حق الفقراء وأهل استحقاق الزكاة، وللتوسعة على أهل الثمار ليخلى بينهم وبينها فيأكلوا منها رطباً، ثم يؤدون الزكاة بحساب الخرص المتقدم، وذلك عند جفاف الثمر.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

واستدل الجمهور لمشروعية الخرص بحديث عتاب بن أسد - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ أمر أن يخرص العنب كما يخرص النخل، وتؤخذ زكاته زبيباً كما تؤخذ زكاة النخل تمراً» رواه أبوداود والترمذى.

أما الحنفية فإنهم لا يرون الخرص، ويرون أن النبى ﷺ إنما فعله من باب السياسة الشرعية ضبطاً للمقدار العام للزكاة فى الجملة ومنعاً للتهرب منها، فأما أن يلزم به حكم على جهة التفصيل فلا.

وبذلك يتبين أن الخرص فى زكاة الثمار إنما هو للإمام إذا رأى أن يفعله، أما الأفراد فلا مدخل للخرص والتخمين فى حسابهم لزكاة ثمارهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ب- روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» فالنصاب فى زكاة الزروع والثمار معتبر بالكيل، لأن الوسق مكيال، والمكيلات تختلف بعض الاختلاف فى أوزانها، فمكيال الأرز مثلا يختلف وزناً عن نفس المكيال من القمح والذرة، ومعيار الربط بين الكيل والوزن هو الماء الصافى الذى يستوى كيله ووزنه، وقد أجمع العلماء على أن الوسق ستون صاعاً، وعند الجمهور أن الصاع خمسة أرطال وثلث بالرطل البغدادى، و«الفرق» بفتحتين هو مكيال يسع ستة عشر رطلاً بغدادياً - أى ثلاثة آصع - وهو يختلف عن «الفرق» بسكون الراء الذى يسع خمسمائة وعشرين رطلاً، والرطل البغدادى يزن عند الجمهور ٣٨٢,٥ جرام، وعند الحنفية ٤٠٦,٢٥ جرام، أما الرطل المصرى فيزن ٤٤٩,٢٨ جرام.

وقد حرر علماء مصر النصاب بالمكيال المصرى فى القرون المتأخرة فوجدوه أربعة أرادب وويبة - كما نص عليه العلامة الباجورى وغيره فى حواشيهم الفقهية - وذلك بالأردب الحالى الذى كبر عما كان

عليه فى القرن العاشر الهجرى، والأردب اثنتا عشرة كيلة، والويبة كيلتان، وهما سدس أردب، والكيلة ستة عشر لترا ونصف اللتر، فجملة النصاب ثمانمائة وخمسة وعشرون لترا تختلف أوزانها باختلاف ما يكال فيها، والكيل يكون للمحصول خالياً من القشر الذى يمكن أن يبقى سليماً بدونه، فالقمح والذرة مثلا بعد نزعهما من الكوالح وكذلك الأرز بعد نزعه من قشره يبلغ النصاب فيها ستمائة وخمسة وعشرين كيلو جراماً تقريباً، ونصاب الأرز قبل إزالة قشره سبعمائة وثمانون كيلو جراماً تقريباً.

والخضروات لا زكاة فيها، وكذلك الفواكه ما عدا التمر والعنب كما هو مذهب الإمامين مالك والشافعى، وهو المفتى به.

أما الزروع فزكاتها فيما يقتات منها، من قمح وشعير وأرز وذرة وحمص وعدس وأمثالها مما تقوم البنية بتعاطيه وتكتفى وتستغنى به، ويشترط أن يكون القوت مما يصلح للادخار بحيث لو ادخر للاقتيات لم يفسد.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ج - يعد الضامن من الغارمين الذين يستحقون الزكاة فى سداد ما ضمنه إذا أعسر الضامن والمضمون عنه وكان الضمان بإذن المضمون عنه، فإن ضمن بلا إذنه لم يعط من الزكاة إلا إن أعسر هو، وإن لم يعسر المضمون عنه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

النقاب

● السؤال من السيد / م.م. أ. يقول:

أ - هل النقاب فرض أم سنة؟

ب - ما حكم تناول المشروبات الغازية مع العلم أن البعض يقول بأنها تحتوى على مادة الببسين وهى مستخرجة من الخنزير؟

●● الجواب:

أ - النقاب - بكسر النون - ما تنتقب به المرأة، يقال انتقبت المرأة، وتنقبت: غطت وجهها بالنقاب والفرق بين الحجاب والنقاب: أن الحجاب ساتر عام، أما النقاب فساتر لوجه المرأة فقط.

وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن جسد المرأة كله عورة بالنسبة للرجل الأجنبى عدا الوجه والكفين، لأن المرأة تحتاج إلى المعاملة مع الرجال، وإلى الأخذ والعطاء، وورد عن أبى حنيفة القول بجواز إظهار قدميها، لأنه سبحانه وتعالى نهى عن إبداء الزينة واستثنى ما ظهر منها، والقدمان ظاهرتان.

وظاهر مذهب أحمد بن حنبل أن كل شىء من المرأة عورة بالنسبة للأجنبى عنها حتى ظفرها، وروى عن الإمام أحمد أنه قال: «إن من تبين زوجته لا يجوز أن يأكل معها»، لأنه مع الأكل يرى كفها، وقال القاضى من الحنابلة: يحرم نظر الأجنبى إلى الأجنبية ما عدا الوجه والكفين.

وقد اعتمد الجمهور على أدلة من القرآن والسنة، منها: قوله تعالى:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(النور ٣١)

أى موضعها، فالكحل زينة الوجه، والخاتم زينة الكف، وقد ذكر ابن كثير الآية وعقبها بقوله: «قال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهما:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(النور: ٣١)

قال: وجهها وكفيها والخاتم، وروى عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعى وغيرهم نحو ذلك».

وفى السنة ما روته السيدة عائشة - رضى الله عنها: أن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه. رواه أبو داود.

وحديث تذكير النبى ﷺ النساء بالصدقة لتوقى النار، فقالت امرأة من سطة النساء - أى من خيارهن - سفعاء الخدين: لم يا رسول الله؟...... رواه مسلم، وراوى الحديث هو جابر رضى الله عنه، وفيه إشارة إلى أن هذه المرأة كانت كاشفة عن وجهها، وأن راوى الحديث رأى ذلك منها. وغير ذلك من الأحاديث.

ويرى بعض العلماء أن هذا نسخ بالنقاب، ولكن لا دليل على ذلك النسخ، كما استشهدوا بآية الأحزاب:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

(الأحزاب ٥٩)

وليس فيها تصريح بتغطية الوجه.

قال المرغينانى من الحنفية: «وبدن الحرة كلها عورة إلا وجهها وكفيها»، لقوله ﷺ: «المرأة عورة مستورة»، واستثناء العضوين للابتلاء بإبدائهما «قال رضى الله عنه: «وهذا تنصيص على أن القدم عورة، ويروى أنها ليست بعورة، وهو الأصح».

(الهداية ١/ ٢٥٨، ٢٩٥).

ومن المالكية قال الشيخ ابن خلف الباجى: «وجميع المرأة عورة إلا وجهها وكفيها»، وقال فى موضع آخر: «وقوله: وقد تأكل المرأة مع زوجها وغيره ممن تؤاكله أو مع أخيها على مثل ذلك يقتضى أن نظر الرجل إلى وجه المرأة وكفيها مباح، لأن ذلك يبدو منها عند مؤاكلتها.

(المنتقى شرح الموطأ ٤/ ١٠٥، ٧/ ٢٥٢).

وقد نقل ابن حجر الهيتمى عن القاضى عياض أن المرأة غير ملتزمة بستر وجهها إجماعاً حيث قال: «نقل المصنف عن عياض الإجماع على أنه لا يلزمها فى طريقها ستر



وجهها، وإنما هو سنة، وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية».

(تحفة المحتاج ٧ / ١٩٣).

وقضية الثياب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعادات القوم، وبالنسبة للواقع المصرى فالأنسب له أن يلتزم رأى الجمهور، لأن غطاء المرأة وجهها مستغرب فى مجتمعنا المعاصر، ويتسبب فى شرذمة للعائلات، أما المجتمعات الأخرى التى يتناسب معها مذهب الحنابلة، فلا بأس بأن تلتزم النساء فيها بهذا المذهب لموافقته لعاداتها وعدم ارتباطه بتدين المرأة، وإنما جرى العرف عندهم والعادة أن تغطى المرأة وجهها.

ولذا فنرجح مذهب الجمهور، وهو جواز كشف الوجه والكفين، وتغطية ما عدا ذلك من جسد المرأة، كما نرى أن غطاء الوجه إذا كان علامة على التفريق بين الأمة، أو شعاراً للتعبد والتدين، فإنه يخرج من حكم الندب أو الإباحة إلى البدعية، فيكون عندئذ بدعة، خاصة إذا تم استخدامه فى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المشروبات الغازية

ب- سبق أن أصدر مجمع البحوث الإسلامية فتوى فى هذا الشأن هذا نصها:

بناء على التقرير العلمى الذى ورد إلى اللجنة من السادة أعضاء هيئة البحوث المتخصصين فى هذا المجال بالمركز القومى للبحوث عن تحليل عينات من مشروب البيبسى كولا، حيث أفاد التقرير أن العينات المختلفة التى جمعت من مشروب البيبسى كولا لم يثبت بها وجود أى نوع من أنواع البروتينات أو الأنزيمات، ولم تحتو على أى بروتين مماثل لإنزيم البيبسين القياسى المنقى من معدة الخنزير، وكذلك لم يثبت بها وجود نشاط لإنزيم البيبسين، فبناء على ذلك ترى اللجنة أنه لا مانع من تناول مشروب البيبسى كولا.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الطلاق المتعدد لا يقع إلا واحدة

● السؤال من السيد / م. ع. م يقول: قلت لزوجتى: «أنت طالق طالق طالق»، وبعد أقل من دقيقة قلت لها: «أنت طالق طالق طالق» فما الحكم؟

●● الجواب: الذى عليه الفتوى والقضاء فى الديار المصرية أن الطلاق المتعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة، وذلك أخذاً بما عليه بعض أهل العلم كابن تيمية، والتاج السبكى - رحمهما الله تعالى - خلافاً للأئمة الأربعة، وفى معناه الطلاق المتتابع فى مجلس واحد، فقول الزوج لزوجته: «أنت طالق طالق طالق» مرتين بينهما أقل من دقيقة هو طلاق متتابع فى مجلس واحد ويقع به طلاق واحد على ما هو المفتى والمقضى به.

والله سبحانه وتعالى أعلم

طائرٌ فى الجنة وسفيرٌ فوق العادة



لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

أشرنا فى المقال السابق إلى أن إسلام سيد الشهداء لم يكن نعرة أو اندفاعاً بلا تريث أو تثبت، كما يصوره بعض الذين كتبوا عن قصة إسلامه، وفى رأيى أنه كان عن إيمان وقناعة لم يحن وقتها، وتمشياً مع طبيعته السلسة وشبابه الفتى وهوايته للصيد التى شغلت جل وقته، كل ذلك جعله يترك التفكير فى إعلان إسلامه، لأن الإسلام فى رأيه قضية مسلمة، فهو يحب محمداً - صلى الله عليه وسلم - ويرى فيه الصدق والأمانة وأنه مثال يحتذى، بل ويفاخر به مكة كلها.

فالأمر ليس فى حاجة إلى إعلان، وعندما تمادى المفكرون وظهرت طبائع الاستبداد الكريهة، وجب الإعلان ولزم التأديب فضرب أبا جهل حتى شج رأسه، فسال الدم الكريه على الجبهة القبيحة، ثم قال فى بسالة ورجولة، أتسب محمداً وأنا على دينه.. وانهار الجمع، ونسى الجميع الدم الكريه وشغلوا بانهيار التجمع الكافر.. وهكذا أعلن جعفر قائلاً أنا خطيبكم اليوم.. وتلك خسارة فى موقف عصيب، لا ينهض له إلا الرجال وهذه سفارة فوق العادة كما يقولون فى العرف الدبلوماسى، يقوم بها رجال المهمات الصعبة..

تأملت موقعة مؤته، وقارنت بين القوتين المتقابلتين، جيش قوامه مائتا ألف فى العدد، لكن أراه لا يساوى فى ميزان القتال مايثيره من غبار، وجيش فى مقابلته تعداده ثلاثة آلاف مقاتل، لكنهم بميزان البسالة والقتال يساوون مقدار أمة، فكأنهم زحف التاريخ يمثل سنة من سنن الحياة والنماء لا تقاوم مهما كان المناخ وتلبدت الغيوم.

يقاتل المسلمون تحت قيادة زيد بن حارثة، ويستشهد ابن حارثة، ويتسلم القيادة بعده جعفر بن أبى طالب....

قال صاحبى فى تعجب وذهول: أيَّة قيادة تبقى لثلاثة آلاف قتل قائدهم فى مقابلة مائتا ألف؟ بل أى جيش ذلك الذى تتحدث عنه؟

قلت على الفور: مازلتَ غافلاً عن موازين النصر والقوة فى الإسلام، ومازلت تقدرُ الأشياء بالكم والحجم، إن ميزان الإسلام بالنوع، والحلال الطيب فى كل شيء فليس للكثرة والكم أىّ حساب، فشق

تمرة من كسب طيب ـ ليس لها وزن في عالم الدنيا ـ يتقبلها الله بيمينه ويربيها كما يربي أحدنا مُهْره حتى تصير مثل جبل أحد....

بالعظمة المقابل.... آه لو عقل المسلمون دينهم وتمسكوا به!!!!!

كانت الزوجة المؤمنة توصي زوجها عندما يخرج للعمل أو للتجارة، تقول له: اتق الله فينا ولا تجعلنا طعاماً للنار، لأنها آمنت بقول الحبيب ﷺ «كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به». (١)

أين زوجة اليوم من ذلك النبل العفيف والعفة النبيلة، وعدم التطلع إلى الكم والرغبة في الكثرة من زهد زوجة الأمس؟؟؟ لا بل أين الثرى من الثريا؟؟؟

بهذا المقياس تسلم جعفر القيادة وبهذه المثل، وماغرس في قلبه من يقين بوعد الله في كتابه، وبما جاء به ﷺ عن ثواب المجاهد في سبيل الله، نعم في سبيل الله، خالصاً مخلصاً، لا حمية ولا شجاعة ولا لدنيا أو غلبة، سبيل الله واضح بيّن، وصدق الله حيث يقول:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

«يوسف: ١٠٨»

وسبيل الله صراطه المستقيم.

ذات يوم ندب رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحه ـ وهو ثالث قواد مؤته ـ للخروج في سرية، وكان ذلك يوم جمعة، فتراءى لعبد الله بن رواحه أن يصلي الجمعة مع رسول الله ﷺ ثم يلحق بالسرية، فماذا قال له رسول الله ﷺ؟

يروى ابن عباس رضي الله عنهما يقول: بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحه في سرية فوافق ذلك يوم جمعة، فقدّم أصحابه وقال: أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم، فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال له «مامنعك أن تغدو مع أصحابك؟» «قال: أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم، فقال رسول الله ﷺ «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم». (٢)

قلت لصاحبي: أبعد هذا يمكن أن يُحجم، أو يتردد جعفر بن أبي طالب، وهو الجسور المقدام الجرئ الطاهر، الذي لم تخطر الدنيا بساحته؟ إن الساعي إلى الله تعالى في صدق نسي الدنيا، وهكذا أفهم قوله تعالى:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾

«القصص: ٧٧»

ولهذا قال له ربه:

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾

«القصص: ٧٧»

(١) الدر المنثور جـ٣/٢٨٤.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ١/٢٢٤.

أبعد أن خرج مع الجيش وهو يعلم أنه شهيد لن يرجع لدنيا الناس، لأن النبي ﷺ الصادق المصدوق لما حدّد قواد الجيش قال «إن قُتلوا فليتخذ المسلمون من يشاؤون قائداً عليهم»، هل يمكن أن يفر ولماذا يفر؟ أو يهرب؟

إن المسلم الحق وهو في جهاده الرشيد وتبليغ دعوة الله إلى الناس، فإنه لا يهرب ولا يفر!!! كيف يفر؟ أيرجع إلى الدنيا وماجاءت دعوته إلا لتعلن للناس أن ماعند الله خير وأبقى؟ وأن الدنيا فانية، فلا عراك عليها ولا ينبغي أن نأخذها إلا من حلال وطيب نفس، وإن الإسلام ليرد على هؤلاء الذين يقولون:

﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾

«الجاثية: ٢٤»

لا بل هناك حياة أخرى:

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

«العنكبوت: ٦٤»

فيها حساب وجزاء، ثواب وعقاب، ثواب للطائعين وعقاب للعصاة.

فلماذا الفرار وعلام الهرب؟ ومن الذي يفر ويهرب؟ هل جعفر بن أبي طالب البطل المغوار؟ كيف وهو يحفظ كتاب الله تعالى ويعلم جزاء الفارين من الزحف

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

«الأنفال: ١٥، ١٦»

لا ليس هو الذي يفر، فأمثاله لا يفرون، فبمثله يضئ الله الكون ويزين الحياة.

أقْدَمَ جعفر وتسلم الراية بيمينه وخاض غمار الحرب وجاهد في بسالة حتى قطعت يده اليمنى، فلم يتوان ولم يتراجع، فالتراجع ليس من خلقه وليس وارداً في قاموسه، فأمسك الراية بشماله فقطعت شماله فاحتضن الراية بعضديه وظل على ذلك حتى استشهد رضي الله عنه.

لكن كيف استشهد هذا البطل الباسل النموذج الذي يحتذى ويقتدى به؟

نسمع هذا من شاهد عيان، عن عبدالله ابن الزبير عن أبيه قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل ثم أنشد يقول:

ياحبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
عليَّ إن لاقيتها ضرابها

أحسست أن صاحبي يريد أن يبادر بكلام يقطع عليّ انبهارى بهذه البسالة الفدائية، فبادرته قبل أن يفتح فمه، وقلت لصاحبي: هكذا الرواية، وهكذا تقتضي أمانة النقل، لكني أحسب أن السياق لابد أن يكون هكذا: اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وأنشد يقول: ياحبذا.... إلى آخر الأبيات، ثم قاتل حتى قتل.

ونظرت إلى صاحبي فشاهدت على وجهه بعض ابتسامة وهو يقول: يعجبني فيك سد الثغرات في التاريخ والروايات، ثم قلت: ليست ثغرات، ثم واصلت في مودة صادقة قائلاً: كنت أحب أن تسأل عن قول الفارس البصير:

ياحبذا الجنة واقترابها
طيّبة وبارد شرابها

كنت أود أن تسأل وتقول: هذا قول من شاهد وذاق؟ شاهد قرب الجنة، وذاق طيب ثمرها وبرد شرابها، فكيف ذلك؟ فهل شاهد أو ذاق حتى يقول ماقال؟

قلت وقلبي يقطر أسى، وتساءلت في مرارة: هل ضلت أقدام المسلمين الطريق؟ هل أوشك قطارهم أن يخرج عن القضبان وتوشك أن تقع الكارثة؟ أم أنه خرج فعلا؟ فلماذا وأين القدوة؟ قلت ذلك وأنا أشاهد وأسمع وأرى أكثر من ١٥٠٠ شاب وفتاة يتظاهرون باكين لشاب سقط ضحية فتنة مزورة، أو مزورا سقط ضحيته جياع طامعون، وظاهرة فشت ونمت وترعرعت وكادت أن تصبح هي القاعدة، وأن يكون الشرفاء هم الاستثناء.

لماذا تهرأت الأمة؟ لماذا تمزق الثوب حتى لم يعد إلا ورقة التوت وأراها تهتز مرتعشة تكاد أن تسقط.

فجأة انتفض صاحبي مذعوراً لما نبهته كأن شيئاً لدغه وهو ناعس يغط ثم قال: نعم.. نعم.. هل شاهد أو ذاق؟

قلت لصاحبي وأنا أعترف في خجل: إستفهامك هذا يعني أننا غيبناك عن التراث، أو شاركنا ولو بالصمت المريب في اغترابك، ثم أمسكت بيد صاحبي وأخذته برفق قائلاً: تعال معي نقرأ حديث رسول الله ﷺ الذي لو سمعته ما أعجبك هذا السؤال، لكن قبل أن آخذك إلى الحديث أقول لك: نعم شاهد جعفر الجنة وقربها، وذاق طيب الثمر وبرد الشراب، ذاقه ببصيرته وشهوده وفؤاده، ثم قلت: ألا تجد متسعاً في قوله تعالى:

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

«محمد: ٦»

ثم واصلت حديثي قائلاً:

ذات صباح لقي النبي ﷺ أحد أصحابه، فقال له رسول الله ﷺ «كيف أصبحت ياحارثة؟».

حارثة يجيبه: أصبحت مؤمناً حقاً.

ولفتت الإجابة النبي ﷺ، أو أنه ﷺ أراد أن يلفت انتباهنا إلى الإجابة، فقال

لحارثة «انظر ماتقول؟» يعني لا تتعجل في الجواب، وتأمل وفكر في جوابك أولاً، إذ لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟.

فيجيب حارثة في صدق وحق ويقين، لم يتلعثم ولم يتردد، لأن الأمر ملموس ومشاهد عن معاناة ومعالجة مستمرة، وليس مجرد جواب وردّ!!!

قال حارثة: أسهرت ليلي بالعبادة والذكر والصلاة والقيام وتلاوة القرآن، وأظمأت نهاري بالصوم ومادخل جوفي حرام أو شبهة، وهذا لأنه لازم القيام والصيام ونتيجة حتمية له.

فكأني أرى عرش ربي بارزاً، وكأني أرى أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يتضاغون.

فقال النبي ﷺ لما سمع هذه الإجابة العملية الموفقة ـ وهي مقدمة ناجحة توصل إلى نتيجة حتمية ـ قال ﷺ «عرفت فالزم»[٢].

أي أنك عرفت طريق الوصول الصحيح، فالزم ما أنت عليه.

إذاً فالرجل شاهد الجنة وأهلها، ولولا ذلك لأبى عليه رسول الله ﷺ أن يقول: كأني أرى أهل الجنة يتنعمون... إلخ.

قاطعني صاحبي: فهل ذاق؟

قلت: إن مشكلتنا أننا عطلنا حواسنا وأغمضنا عيوننا، ونريد في عناد غريب أن نقلد لاعب السيرك، كيف؟ صعب ذلك، بل مستحيل! علينا أولاً أن نعمل حواسنا في كون الله بطاعة الله لنرفع الغشاوة عن العيون، والران من على القلوب.

ثم قلت: بالله عليك لو أنك رأيت رجلاً يأكل طعاماً شهياً، ورأيت رجلاً يزدرد دواء مراً، مرة أخرى أقول رأيت، بالله عليك ألا تستطيع أن تحكم بيقين أن الطعام شهي حلو، وأن مايتجرعه الرجل مر لا يكاد يطاق بمجرد الرؤية؟

أرجوك لا تتعجل في الجواب، ولا تتحجر في الفكر، أو تتجمد وتعاند الطبيعة البشرية السهلة، وتعاند في كبرياء، وتتكبر في عناد، وترفض الإجابة، والاعتراف بالحق الواضح، إن الطبائع المستقيمة تستطيع أن تحكم بمجرد المشاهدة.

قال صاحبي ـ في تشف واضح ـ قل لي بالله عليك لماذا عقر فرسه؟ ـ لعله رأى شدة القتال، فخاف على نفسه أن تغريه بالفرار، فيقع في المحظور! وأردف: ألا يكفيه أنه ترجل عنها؟ ماكان أغناه عن قتلها؟ كأن المسلمين لا يعرفون الرفق بالحيوان!

قلت غير مكترث: اسمح لي أن أقول

(٢) مجمع الزوائد جـ١/٥٧.

لك أننى لا أطيق أن أتعامل مع النفوس المعوجة والطبائع المختلة، خصوصاً إذا كانت تدّعى المعرفة وتفسير الحوادث، بالله عليك ألا يوجد احتمال آخر يحسّن الظن بالرجل ويقدّر ماضيه المشرف المجيد؟ أو تضع نفسه مكان الناس فى الحدث نفسه، حتى تحكم على الموقف كله بميزان هو أقرب إلى العدل وأبعد عن الشطط؟ كان عليك أن تعرف أولاً أن جعفر قائد مقاتل جسور مؤمن بالله ومصدّق بنبيه فى كل حال، لو أنك كنت كذلك ـ أو بعضه ـ لم يتطرق إلى ذهنك هذا الفكر المريب المشبوه، والملوث، أو تدرى معنى أنه قائد؟ يعنى أنه مسئول عن الجيش كله، إنه ربان السفينة، آخر من يتخلى عنها عندما تتعرض للخطر، وليس أول من يهرب منها، هكذا القيادة فى الإسلام، تبعة يجب أن تقدّر أولاً، وأمانة يجب أن تصان ثانياً، وأولاً وأخيراً هى مسئولية سوف يسأل عنها يوم القيامة، وهكذا تعلّم وتربّى هذا الجيل الرائد، لقد وعى قول رسول الله ﷺ «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»،[4] وهذا المعنى فهمه الفاروق، بل استوعبه الفاروق عمر لدرجة أنه كان يئن تحت وطأته من ثقله ويقول: لو أن بغلة عثرت بالعراق، خشيت أن يسأل عنها عمر، إيه ياعمر، بخ بخ يابن الخطاب، آه لو رأيت العراق اليوم كم من بغال عثرت فيه؟ وكم من طيور ماتت وتركت أعشاشها؟

ولولا المزعجات من الليالى

لما ترك القطا طيب المنام

لن نقول آدميون يقتلون كل ساعة وكل لحظة!!! وآلاف غيرهم فى السجون يسحلون وتهدر آدميتهم!!! ولكننى أقول حيوانات وطيور، لأن عالم اليوم يتشدق بالرفق بالحيوان ويسحق كرامة الإنسان.

إن جعفر قائد مسئول عن جيش قوامه ثلاثة آلاف رجل فى مقابلة مائتا ألف، تأمل معى بالله عليك لو أنه ترجّل عن الفرس وتركها تفر بلا فارس؟ قل لى بتجرد ونزاهة وأجبنى بصدق، ألا يمكن أن توزع الفزع وتطيّر خبر مقتل الفارس القائد، فينفرط عقد الجيش؟ وهل يحتمل الجيش هذا الخبر الموهن لعزم الرجال، المفتت من عزائم المقاتلين؟ الحق أننى أضن بهذه الفئة المؤمنة أن تزعزع أو تبدد فينطفئ سراج الإنسانية.

إذن لا مفر من عقرها، وأعتقد أنه لم يفعل ذلك إلا عن كره منه فلابد أنها جفلت ـ ذعرت ـ وخافت ـ وتباطأت والفارس الشهيد قلبه ينادى: واهاً ريح الجنة!! إنه يمضى إلى جنة الخلد، بل إنه

(٤) صحيح البخارى ج٢/٦.

يطير إلى جنات الخلد، لكنه مع كل هذا المشهد الرهيب، والشوق العارم إلى الجنة، لا ينسى الجيش، إنه يأبى أن يزرع الوهن فيه.

كان جعفر ﷺ رقيق القلب يحب المساكين، يقول أبو هريرة رضي الله عنه (كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم يحدثهم ويحدثونه)، ما أحلى وأعمق كلمة (ويحدثونه)، وهي تدل على عمق التواضع السهل الميسور غير المتكلف، حيث إنه من الممكن أن يجلس المرء إلى المساكين ويحدثهم إذا عرضوا له أو تعرض لهم فى جمهرة من الناس، أو كما يقولون بلغة العصر لحظة التصوير، أما أن يتجرأ المساكين البسطاء على الرجل المهيب الفارس ويحدثونه دون وجل أو خوف، وقد أمنوا طباعه وأنسوا إلى جانبه، فتلك خصال لا يعرفها إلا جعفر، ولماذا لا يعرفها جعفر وقد تربى فى حجر سيد الشهداء؟! ويقول أبوهريرة أيضاً: كان خير الناس للمساكين جعفر، ولذلك سماه النبى ﷺ أبا المساكين.

إن جعفر، هذا المتواضع للمساكين المحب لهم، ليس بجبان فرار.

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال (فقدنا جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة، فطلبناه فى القتلى ـ فبحثنا عنه فى القتلى ـ فوجدنا به بضعاً وتسعين طعنة ورمية، ووجدنا ذلك فيما أقبل من جسده)، أو تدرى معنى كلمة (فيما أقبل من جسده)؟ يعنى أنه لم يفر ولم يهرب بل ولم يحاول ذلك ولم يفكر فيه.

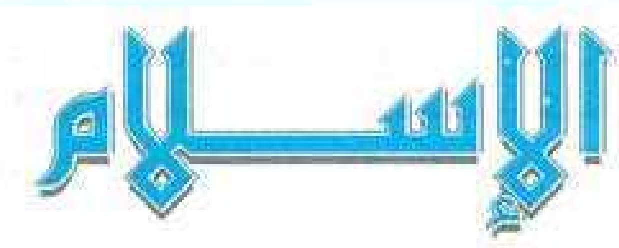
رُوى أنه بينما كان رسول الله ﷺ جالساً وأسماء بنت عميس ـ زوجة الشهيد ـ قريبة منه، إذ قال ﷺ «يا أسماء، هذا جعفر بن أبى طالب قد مرّ مع جبرائيل وميكائيل، فردى عليه السلام، وقد عوضه الله من يديه جناحين يطير بهما حيث يشاء».[5]

وعن نافع عن بن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ فرفع رأسه إلى السماء فقال «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»، فقال الناس: يارسول الله ماكنت تصنع هذا؟ (يعنى أننا لم نتعود منك أن ترد السلام دون أن يلقى عليك أحد السلام)، قال «مرّ بى جعفر بن أبى طالب فى ملأ من الملائكة فسلم علىّ»[6].

هكذا فعل رسول الله ﷺ ولا نملك إلا أن نحاول الاقتداء برسول الله ﷺ فنقول: وعليك السلام ياجعفر يا ذا الجناحين فى الجنة، ياسفير الإسلام والمتحدث باسمه سلام عليك فى الخالدين.

(٥) المستدرك جـ٣/٢١٠، ٢١١.

(٦) مسند الإمام أحمد ج٢/١٥٨.



الإسلام دين الحضارة والمدنية

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

رب ضارة نافعة..!! وقد يلبس الله عباده المنحة فى ثوب المحنة..!! لقد لقى المسلمون فى الآونة الأخيرة من أعدائهم بلاء كثيرا، بدعوى أن دينهم يحض على العنف والإرهاب، وسفك الدماء، وبدعوى أن دينهم الإسلامى دين الهمجية، التى لا تعرف التحضر أو المدنية، ولقد زادت هذه الادعاءات والافتراءات بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، حتى أصبحنا نقرأ.. ونسمع.. ونشاهد صباحا ومساء وكل يوم من هذه «الوجبات السخية» ومن الأكاذيب الرخيصة ما يدعو إلى «القرف» من هؤلاء الناس، مما لم يعد معه أى مجال لأن نصدقهم فى دعاواهم أنهم منصفون، أو أنهم يبغون العيش فى سلام مع المسلمين..!!

والحقيقة التى صدقتها الأحداث، أن ما حدث أخيرا بالولايات المتحدة الأمريكية - بصرف النظر عن الفاعل الحقيقى لها - وأطلق عليه ظلما وبهتانا أنه «حادث إرهابى وقع بأيدى المسلمين»، كان فاتحة خير للدعوة الإسلامية والمسلمين، لا لأن المسلمين - معاذ الله - شامتون لما وقع للأمريكان أو لغيرهم، فهذا ليس من طبيعة الإسلام، وليس من طبيعة من تأدبوا بآدابه.. فالمسلمون، أول من أدانوا هذا العمل الإجرامى، حتى قبل أن يعرفوا أن جريمته ستلصق بهم.. ولكن نقول إنه كان فاتحة خير وبركة للإسلام والمسلمين من باب



آخر: نعم لقد هبت على المسلمين رياح سموم عاتية، ولا تزال تهب، ولا يعلم إلا الله كم ستحصد من شباب الإسلام، وكم من الأنهار ستجرى بدمائهم..!! ولكن هذه الأحداث المؤسفة كانت مفتاحا لباب يخفى خلفه كثيرا من شياطين الصهيونية العالمية، وممن ينساقون وراءهم من نصارى الغرب المتعصب، الذين يناصبون الإسلام العداء.. بعد أن كانوا يتسترون وراء دعاوى التسامح والتحضر فى معاملة الغير، ولكن هذه الأحداث أخرجتهم جميعا من حالة الخداع والكذب هذه إلى حالة الوضوح، ودفعتهم إلى الكشف عن وجههم القبيح، حتى وجهوا كل أسلحتهم الغادرة صوب الإسلام والمسلمين، ومن هنا كان لنا أن نردد هذه العبارة المشهورة «رب ضارة نافعة» و«قد يلبس الله عباده المنحة فى ثوب المحنة».

الأزمات هى التى تصنع الرجال

لقد كانت هذه الأحداث سببا مباشرا لهذه الصدمات، التى تتوالى فى كل لحظة من ليل أو نهار، على مشاعر المسلمين ووجداناتهم، مما يجب أن يوقظهم من غفلتهم، وينهضهم من رقدتهم للدفاع عن هذا الدين، وإن هذا لقريب إن شاء الله، وذلك لأن الأزمات هى التى تصنع الرجال، ولأن الأمور العظيمة والإنجازات الهائلة لا تتم إلا على نار المواجهات الساخنة والصريحة..!!

قالو عن الإسلام: إنه دين الهمجية والعدوان، وأنه ليس دين حضارة ومدنية.. وكذبوا فى هذه المقولة..!! وإلا، فكيف يدعو دين سماوى إلى الإرهاب والقتل، وكيف يرفض الحضارة والمدنية والتقدم، وكتابه الأقدس يدعو إلى إعمار الأرض، وإقامة أركان الحياة على أساس متين من السلم والاطمئنان والتعاون؟! وذلك فى مثل قول الله عز وجل:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

[هود: ٦١]

وقوله سبحانه:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾

[الأعراف: ٥٦]

وكيف يكون هذا فى دين يندد بالمفسدين فى الأرض، الذين ينشرون الرعب والخوف بين الناس؟! قال عز من قائل:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾

[محمد: ٢٢]

وكيف يجتمع هذا مع بيان عاقبة المفسدين فى الأرض، الذين ينشرون الخوف والرعب بين الأبرياء الآمنين، فى الدنيا والآخرة؟! قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[المائدة: ٣٣]



الإسلام دين الأمن والسلامة

إن الإسلام العظيم يحبب الحياة إلى الناس، ويرغب فى الاستزادة من خيرات الأرض، التى تنشر الأمن والسلام والاستقرار بين ربوعها، قال ـ تعالى ـ فى محكم التنزيل:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأنعام: ٩٩]

وقال أيضا:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأنعام: ١٤١]

وهاهو ذا رسول الله ﷺ يضع العمل لخير البشرية فى مصاف العبادات التى يؤجر عليها الإنسان يوم القيامة عندما قال: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقة»[1].

ويستمر هذا المبدأ حتى آخر لحظة فى عمر الدنيا، وذلك من خلال قوله صلوات الله وسلامه عليه: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[2] وهناك غير ذلك الكثير والكثير من الآيات المباركات والأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو إلى المزيد من بذل الجهد والعرق فى سبيل إعمار الأرض، ونشر الأمن والسلام فيها.

***

نقلة حضارية كبرى

إن هذا الدين المبارك، لم يكن نقلة إنسانية فى سبيل التعرف على أوجه العبادة الصحيحة لله رب العالمين فحسب.. وإنما كان بالإضافة إلى ذلك نقلة حضارية كبرى طافت العالم كله شرقا وغربا، وكان لها الأثر الأكبر فى حضارة البشرية كلها على السواء، وليس هذا من جانبنا ادعاء نؤكد به على ما ذهبنا إليه، وإنما هو حقيقة ثابتة شهد لها وللتاريخ كثير من مفكرى الغرب وكتابهم المنصفين، الذين يستحيل فى حقهم محاباة العرب المسلمين على حساب حضارتهم وتاريخهم الحقيقى: فها هو ذا العلامة «جوستاف لوبون» يقول تحت عنوان «تمدين العرب لأوروبا ـ تأثير العرب فى الشرق والغرب»: خضع الشرق لكثير من

(١) البخارى ج٣/١٣٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٨٤، ١٩١.

الشعوب كالفرس والإغريق والرومان... إلخ، ولكن تأثير هذه الشعوب السياسى، إذا كان عظيما فيه، فإن تأثيره المدنى فيه كان ضعيفا للغاية».

«وما عجز الإغريق والفرس والرومان عنه، قدر عليه العرب بسرعة ومن غير إكراه».

«وما وفق العرب له فى مصر اتفق لهم مثله فى كل بلد خفقت فوق رايتهم كافريقية «يريد تونس» وسورية وفارس، وقد بلغ نفوذهم بلاد الهند التى لم يدخلوها إلا عابرى سبيل، وقد كان لهم تأثير واضح فى بلاد الصين التى لم يزوروها إلا تجارا».

«ولا نرى فى التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب،، فجميع الأمم التى كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولو حينا من الزمن».

حضارة الإسلام وضعت حدا لهمجية أوروبا

«ولم يتجل تأثير العرب فى الشرق فى الديانة واللغة والفنون وحدها، بل كان لهم الأثر البالغ فى ثقافته العلمية أيضا، وقد نقل العرب إلى الهند والصين أثناء صلاتهم بها قسما كبيرا من معارفهم العلمية التى عدها الأوربيون على غير حق من أصل هندى أو صينى.

إلى أن قال:

ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب فى الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخل العرب الحضارة إليها، فإذا رجعنا إلى القرن التاسع من الميلاد حين كانت حضارة العرب الأندلسية فى أوج نضارتها، رأينا أن مراكز الثقافة فى الغرب كانت أبراجا يسكنها أمراء إقطاعيون متوحشون يفخرون بعجزهم عن القراءة، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة هم الرهبان المساكين الجاهلون الذين كانوا يصرفون أوقاتهم فى أديارهم، ليكشطوا بخشوع كتب الأقدمين النفيسة، ليكون عندهم بذلك من الرقوق «الصحائف» ما هو ضرورى لنسخ كتب العبادة.

«ومضت مدة طويلة قبل شعور أوروبا بهمجيتها، ولم يبد ميلها إلى العلم إلا فى القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر من الميلاد، فلما ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل عنهم، ولوا وجوههم شطر العرب»[3].

وفى سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة أخذت دول الإسلام تعتنى بدور الكتب عناية لم يسبقها مثلها من دون سواها، حتى كان فى القاهرة فى أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد، منها ستة آلاف فى الطب والفلك لا غير، وكان من نظامها أن تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين فى القاهرة، وكان فيها كرتان سماويتان: إحداهما من الفضة، يقال إن صانعها بطليموس نفسه، وإنه أنفق فيها

(٣) اقرأ كتاب «من معالم الإسلام للأستاذ محمد فريد وجدى ص٥٧، ٥٩ مكتبة الأسرة.

ثلاثة آلاف دينار، والثانية من البرونز، ومكتبة الخلفاء في إسبانيا بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد، وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلدا، وقد حققوا أنه كان في إسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية، وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة.

«وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون دورهم معاهد دراسة لما تحتوى عليه، يقال إن سلطان بخارى دعا طبيبا أندلسيا ليزوره، فأجابه أن ذلك لا يمكنه لأن كتبه تحتاج إلى أربعمائة جمل لتحملها، وهو لا يستغنى عنها كلها، وكان حنين بن إسحق النسطورى في بغداد ممن جعل في داره مكتبة عامة يفد إليها طلاب العلوم العقلية والرياضية، وكان يتبرع بمذاكراتهم فيما يريدون المذاكرة فيه»[٤].

***

ولم يقف أثر العرب والمسلمين في الشعوب الأخرى وبخاصة شعوب أوروبا عند حد تعليمهم القراءة والكتابة، وإنشاء المكتبات العامة لإخراجهم من دياجير الجهل إلى نور العلم، بل امتد إلى ترقيتهم في مجال العمران والمدنية، وبخاصة بعد أن تغلغلت مبادىء القرآن العظيم بين صدورهم، وتشبعت نفوسهم بآدابه وأخلاقه، فانساحوا في الأقطار الأخرى شرقا وغربا، نماذج بشرية قوية نظيفة حققت من أسباب التقدم العمراني ما اعتبرته هذه الشعوب في عداد المعجزات، يقول الدكتور عبدالحليم محمود - رحمه الله ورضي عنه - في كتابه «أوروبا والإسلام»:


د. عبدالحليم محمود

لقد أدهشت كل تلك العجائب عقول أوروبا، حتى في أعنف أيام عدائهم.. وقد نقلوا كثيرا من العرب في ميدان الزخرفة والمعمار، ولاشك أن دراسة أكثر عمقا لهذا الموضوع من شأنها أن تبرهن على أن أوروبا قد تأثرت بالفنون العربية أكثر مما تأثرت بالفنون الإغريقية واللاتينية، ويكتفى هنا - على سبيل التلميح - بالإشارة إلى المؤرخ «وولور» الذي يقول: إن مهندسي العرب، قد عملوا في بناء كنيسة نوتردام بباريس».

«أما في ميدان ترقية العلوم والنهوض بها، فإن أثر المسلمين لم يكن بأقل خصبا، ولا نرى من وسيلة لتوضيح هذا أفضل من نقل رأى الدكتور «جوستاف لوبون» في ذلك، ونجده في كتابه القيم «حضارة العرب» حيث يقول: «ويعزى إلى بيكون - على العموم - أنه أول من أقام التجربة والملاحظة اللتين هي أساس المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ..

(٤) الإسلام دين العلم والمدنية للإمام الشيخ محمد عبده ص ١٤٨، ١٤٩ مكتبة الأسرة.

ولكنه يجب أن نعترف قبل كل شيء بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم».

ويقول العلامة الشهير «همبولد» - بعد أن يذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة هو أرفع درجة في العلوم: إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريبا.

وكانت دراسة العلوم الرياضية من الدراسات الزائعة لديهم، وقد تقدم علم الجبر بفضلهم حتى قيل إنهم مخترعوه.. ولقد كان لهم قصب السبق في تطبيق الجبر والهندسة، وهم الذين أدخلوا التماس في حساب المثلثات.

«وكان علم الفلك يدرس بحماس في مدارس بغداد، ودمشق، وسمرقند، والقاهرة، وفاس، وطليطلة، وقرطبة.. وغيرها، تلك المدارس التي وصلت إلى اكتشافات عديدة»[٥].

***

الأندلس

كانت جزيرة الأندلس أهم المعابر التي عبر منها العرب والمسلمون إلى أوروبا، ولذا نعمت هذه البلاد أيام الحكم العربي الإسلامي بحضارة غير مسبوقة، مما جعلها تعيش أزهى عصورها تحت ظل هذا الحكم «لقد كانت المدن الأندلسية أعمر المدن في القارة الأوروبية من أقصاها إلى أقصاها، وكان في قرطبة وحدها دكان نسخ واحد، يستخدم مائة وسبعين جارية في نقل المؤلفات لطلاب الكتب النادرة، وكان في قصر الخليفة أربعمائة ألف كتاب، وكان سادات أوروبا يفاخرون بما يقتنونه من منسوخاتها أو مصوغاتها المعدنية أو آنية الفخار التي لا يعرف لها نظير في بلد آخر..

«وإلى قرطبة وزميلاتها: غرناطة، وأشبيلية، وطليطلة، ومرسية، ومالقة كانت تتجه وفود العواهل الأوروبيين في طلب الأدوية، أو التحف أو أدوات الترف والزينة وفرق الموسيقى والغناء.. وأجمل بعض هذا المؤرخ الإنجليزي «استانلي لاين بول» فقال:

«إن حكم عبدالرحمن الثالث الذي قارب خمسين سنة، أدخل على أحوال أسبانيا تجديدا لا يلم الخيال - على أجمع ما يكون - بحقيقة فحواه..

«ولا نعرف شهادة لهذا العصر الذهبي أعظم ولا أصدق من ذلك الحنين الذي يذكره به غلاة الوطنيين الإسبان، وكبار كتابهم حين يلتفتون إلى ماضي بلادهم، ويتمنون له حاضرا كماضيها في أيام الدولة العربية. فلم تنجب إسبانيا في عصرها الحديث وطنيا غيورا ولا كاتبا مبرزا أشهر من «بلاسكو أبانيز» ولكنك لا تقرأ لعربي ولا شرقي كلاما في الإشادة الحماسية بمجد العرب الأندلسيين إلا في النادر القليل.

(٥) اقرأ كتاب «أوروبا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود ص١٥٩، ١٦٢ط مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٣



للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب

لا أزعم أنى فى هذه السطور سأستبدل قضية فى الفهم القرآنى بقضية أخرى، فإن التطوح وراء هذا الوهم الكبير مغامرة لا أستطيع أن أحمل وزرها، كل الذى أستطيع أن أزعمه إن هذه المحاولة بكل ماتنحنى عليه من إخلاص للنص القرآنى يمكن أن تطرح فهماً قد يكون جانحاً وقد يكون سديداً، ولكنه على أية حال.. نابع من منطلق إيمانى، وصائر فيما يخيل إلىّ إلى غائية إيمانية كذلك.. والقرآن بعد.. مناط لا ينتهى لاجتهادات العقول المدربة على كل المسارات!! لقد يجوز أن نتفق حول فهمنا «الإنسانى» للقرآن الكريم أو نختلف، ولكن الذى لا يجوز بحق هو أن نغلق فى وجه كل المحاولات كل النوافذ، أو أن نصادر فهماً فى القرآن لا يلهث على دروب مهدها السابقون، مهما كان انتماؤنا المجذر لهم، واعتزازنا بهم.. إن معنى ذلك لو حدث، أننا نلغى تواتر الزمن والعصور، إن معناه أن حركة الإسلام، صائرة إلى الجمود والبوار، إن معناه أن المعاصرة ارتداد.. والمخاطرة دوران، والتطور خرافة، وليس منطقاً محكوماً بالقوانين!!

لقد تعددت عشرات الأمثلة.. على أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى لم يحتكر الفهم لطائفة معينة وأن أساس تحركه «المجموع» لا «المفرد» وأن حرية الفكر.. والفهم.. والتوافق والتخالف والالتحام والانشقاق، كل أولئك كان بعض صيحاته الأولى التى ماتزال حتى اليوم عاملة فى مناطق الفكر جالبة «للإسلام» وليس «على الإسلام» أروع قضايا التأييد العادل والراشد والغائص فى حقائق الأشياء!! صحيح أن الإسلام

بما هو دين شمولى.. يضع شروطاً لأهلية الفهم والاستيعاب من جهة.. وأهلية المنح والعطاء الفكرى من جهة أخرى ولا يترك العطاء والمنح والاستيعاب، والفهم.. حديقة مفتوحة الأبواب لكل الجائلين، إن الشروط التى يضعها الإسلام «للاجتهاد» مثلاً هى من نوع مايمكن أن يسمى «بالحوافز البنائية» لأن بناء الفكر القادر على الفهم معادلة تحتاج إلى مساحات زمنية.. وثقافية وسلوكية.. وإيمانية.. بلا حدود.. إن الشروط هنا لا تشكل نوعاً من العبء الباهظ المقعد بقدر ماتشكل لوناً من ألوان التحدى لذاكرة المجموع البشرى يشحذ ولا يثبط، يعمق ولا يسطح.. إن الشروط هنا تكاد تكون شروطاً تاريخية لازمة لتدفق تيار التاريخ فى الزمن والزمن فى التاريخ!!

القضية التى أطرحها من خلال هذه السطور يمكن أن تعايش قضايا أخرى ويمكن أن تستفيد من كل القضايا وأيضاً يمكن أن تعطى فائدة من لون ما لهذه القضايا جميعاً وهى كما قلت قضية «فهم» وليس قضية «اعتقاد» ولئن لم يجز لنا أن نختلف حول عقائديات وصلنا معها إلى درجة اليقين.. فقد يجوز لنا أن نختلف حول مفاهيم قابلة بالضرورة لمزيد من الحركة، ومزيد من الحوار!!

الترهيب والترغيب

القضية التى أطرحها الآن.. هى قضية الترهيب والترغيب فى القرآن الكريم، لاأعنى الترهيب فى شكله العام، ولا أعنى الترغيب فى شكله العام كذلك، فإن ديناً من الأديان أو حتى إطاراً من الأطر الاجتماعية البحتة لا يمكن أن يسقط من حسابه قضية الترهيب والترغيب.. إلا إذا أسقط من حسابه أساسا رغبته المشروعة فى البقاء وحفاظه الأكيد على أن يظل فى مناطق التحقق والحلول.. إننى أعنى على وجه التحديد قضية الترهيب والترغيب فى مخاطبة الفطرة بالعقيدة. إن خطاب القرآن «للذين آمنوا» بترهيب مرة وترغيب مرة أخرى.. مبرراً «إنسانياً» على كل المستويات لأن التزام المؤمن بإيمانه يجب أن يظل دائماً فى مناطق الضوء، يجب أن يظل دائماً فى حراسة النمط التشريعى، ولكن خطاب القرآن الكريم «للناس» عامة بترهيب مرة، وترغيب مرة أخرى، هو الذى يثير هذا التساؤل وبالضرورة يستدعى هذه الإجابة التى نطرحها من خلال هذه السطور...

التساؤل الذى يثار هنا هو: لماذا لم يطرح القرآن الكريم قضاياه العقائدية والسلوكية «للذين لم يؤمنوا بعد» طرحاً موضوعياً محايداً دون رهبوت ما.. ودون رغبوت ماكذلك.. حتى تتحقق للناس

عناصر التجربة الأولى فى التلقى أو الطرح؟؟ فى القبول أو الرفض؟؟ إن قضية عقائدية تساق فى حراسة مدجّجة من الوعيد والوعد.. معناه أن إيمان المتلقى يكون خاضعاً بالضرورة لسيف ملوح.. أو جنة موعودة.. معناه كذلك أن قضية «الإيمان» إذا طرحت على هذا النحو، أو اعتنقت على هذا المستوى، تكون قضية بلا فهم، بما هى خاضعة فى أساسها لسيف الخوف، أو إغراء الخلود!! معناه أن «الحرية» هنا مقصودة، وأن «الطوع» هنا مفروض!!

إذن لماذا يطرح القرآن القضية هكذا فى آيات من سورة البقرة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(البقرة: ٢١: ٢٥)

لماذا تساق القضية على هذا النحو.. فى هذه الصيغة المتوعدة مرة، والمؤملة مرة أخرى أليس فى هذا قسراً للحرية؟ أليس فيه كسراً لإرادات القبول والرفض فى الإنسان؟؟!

باستقراء غير، شامل بالطبع، لما قاله المفسرون.. وعلماء الكلام وفلاسفة المسلمين فى هذا الصدد نستطيع أن نستخلص جوهر ماقالوه إجابة على هذا التساؤل يقولون: إن هذا الأسلوب «الترهيبى.. الترغيبى» معاً مما يزع النفس الأمارة بالسوء، ومما يغرس فيها وجدانها الحى الذى يرتعش أمام زواجر التهديد.. ويتفتح للوعد برحلة فى النعيم، ولأنه هكذا ملائم لطبائع الخلق ومخلوقية المخلوقين، فهو أروع أساليب التربية وأقمنها جميعاً بروعة الديمومة، والانتماء لمصادر الخلود!!

التربية فى القرآن الكريم

هكذا يقولون، وهو قول حقيقى إذا كان المراد من التساؤل أن نقف على نوعية التربية فى القرآن الكريم، ولكن ماهكذا كان التساؤل حول هذه القضية، إن الحوار المتفجر هنا ليس دائراً حول صوابية هذا المنهج «التربوى» فى القرآن انحساراً أو مداً فللقرآن دائماً صيغته الراشدة فى هذا الصدد، وإنما هو دائر أساساً حول موضوعية العرض القرآنى أو انحسار هذه الموضوعية من خلال

الترهيب والترغيب فى المتلقى الذى ينبغى أن تصون له حرية القبول والرفض فى لحظات بدء المخاطبة كما يجلجل بذلك القرآن الكريم نفسه، وكما تؤكده كل تفاسير الرائعين من أسلافنا الكبار:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾

(الأنفال: ٤٢)

أى أن عرض القضايا فى القرآن كان ينبغى أن يكون موضوعياً بحتاً، بلا تلويح بثواب، أو تعريض بعقاب!! أو هكذايقولون!!

فطرة الاستجابة

هنا لابد من معايشة حقيقية لمنطلق الفهم فى القرآن الكريم فإن ذلك وحده هو القادر على أن يعطينا إجابة مغايرة تماماً.. أو قل هو القادر على أن يعطينا إجابة صميمية على هذا التساؤل وليس إجابة عن شيء لا يثور من حوله الحوار ـ فلو أن القرآن الكريم ـ وذلك من منطق جدلى مفترض. ساق تعاليمه كما يقال فى «موضوعية» بحتة دون ترهيب وترغيب لأمكن وقتها أن يقال: إن النص متكئ هنا على مفردات الطاعة المركوزة «خلقياً» فى طبائع البشر، بمعنى أنه خلق فيهم فطرة الاستجابة وجعلهم أسرى هذه الفطرة، فهو يخاطبهم فى موضوعية بحتة وهو عالم تماما أنهم لابد مستجيبون له.. لأنهم واقعون بالضرورة فى منطقة «القبول» الفطرى المركوز فيهم حتى من قبل لحظة الميلاد!! إذن فالقرآن حين يهدد تارة، ويؤمل تارة أخرى فكأنه يفترض فى الإنسان ابتداء حرية أن يقول «نعم» وحرية أن يقول «لا» وإلا لما تهدد الرافض وتودد المريد، إنه يعطى الإنسان شهادة حريته فى نفس اللحظة التى قال الله له فيها «كن» فكان!! ثم يخاطب فيه هذه الحرية وهذه الإرادة، فى محاولة حادبة بالفعل إلى ترشيد إرادته الحرة، وحرياته الإرادية إذا شئنا أن نقول.. وكم فى القرآن العظيم من كنوز!!

إذن.. فقضية الترهيب والترغيب فى هذا الضوء لا يمكن أن تكون خروجاً على «موضوعية» منشودة، بقدر ماهى تأصيل لمفهوم «الموضوعية» فى أروع أنساقها جميعاً، ولا يمكن أن تكون كذلك افتياتاً على حرية المتلقى الأنساق، بقدر ماهى ترسيخ لحقائق هذه الحرية، وحقائق وضعية الإنسان إزاء هذه الحرية بالذات!!

حرية الإنسان

إن قضية الترهيب والترغيب إلى جوار كونها أسلوباً فى التربية، وصيغة فى

ترشيد العلاقات الكونية، كما لاحظ بحق أسلافنا الكبار، تشكل في النهاية تأكيدات جذرية لحرية الإنسان على الأرض، وامتلاكه الواعي لمصائره وأقداره.. وبالتالي لأهليته المطلقة لقضية الحساب والثواب والعقاب.. إنك في حاجة إلى تهديد الإنسان القابض على حريته حتى تظفر منه بولاء مراد، وأنت في حاجة كذلك إلى ترضيته للظفر منه بكل الولاءات، إنك حين تهدد أو تسترضي إنما تخاطب فيه حريته، حريته القادرة في كل اللحظات أن ترفض دائماً.. أو تقبل بلا حدود!! ولكنك لست في حاجة إلى تهديد أو مناشدة الإنسان فيما هو مركوز فيه بالطبيعة، أنت لا تناشده حركة الفكر فإن الفكر مزروع فيه منذ البدء.. حتى وهو يرفض أن يفكر.. فإنه من خلال ذلك يفكر في أنه يرفض أن يفكر!! أنت لا تهدد أو تناشد الإنسان أن يأكل.. فإن الجوع حركة كيانية غير قابلة لصيغة من صيغ المساومات.. مهما كان محتواها فوقياً.. أو تحتياً!!

.. هل أفلحت في الإفصاح عما أريد أن أقوله؟ إن اللاغطين بقضايا العصر من «موضوعية» إلى «حيادية» إلى «حرية القبول والرفض» يجب أن نجري معهم دائماً مزيداً من الحوار لا أن نغلق دونهم آذاننا حتى الصمم إن ارتباط الموضوعية بتعريتها تماماً من الزجر والإغراء يلغي فطرة الحرية في المتلقي، أو يوشك أن يكون.. أما أن أعرض القضية عرضاً موضوعياً، في بادئ الأمر، ثم أردف هذا العرض بترهيب معين أو ترغيب معين، فمعنى ذلك بلا حدود أنني افترض في المتلقي حرية بلا حدود كذلك، وهذا مافعلته الآيات الكريمة من سورة البقرة، في خطابها «للناس» لقد أهابت بكل الجموع أن تعبد ربها الواحد، بما هي مخلوقة له أولاً، ثم بما هي عائشة على أرضه وتحت سمائه وفي أحضان آلائه ثانياً..

ثم انتقلت الآيات الكريمة إلى لون من الجدل العقلي الرشيد.. متحدية كل ملكات الإبداع في المعارضين، حتى إذا أحسسنا مع الآيات بوجوم المعارضة وتعطيلها المطلق لكل إمكانيات الفعل وتخريبها الغني لكل طاقات الإيجاب، كان تقبلنا الطبيعي لقعقعة النذير في هذا السياق:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة: ٢٤)

الثقافة الوافدة

إن افتراض حرية المتلقي هنا موجود بلا جدال، ولكن القرآن الكريم يعلمنا أن الحرية ليس تعطيلاً مطلقاً.. وليست رفضاً بلا سبب، وإلا كان معنى ذلك أن



نعفي كل الوجود من كل الفكر ليستحيل بدءاً بلا هدف، وصيرورة بلا غاية وانتهاء إلى خواء عبثي على الإطلاق!!

إن التساؤل الذي طرح تساؤل جاد من غير شك، ولا ينبغي أن ندينه على أي مستوى من المستويات، فالفكر الإسلامي أرحب من أن ينغلق على نفسه، وأثرى من أن يشهر إفلاسهم أمام تساؤل معاصر مهما كان لون هذا التساؤل ومن أي مأتى جاء..

إن الثقافة الوافدة تحمل إلينا أعاصيرها بغير حد، ولن يفلح أسلوب الكبت، أو اللامبالاة في معالجة عكابيلها في وجدانات شبابنا الطالع مهما قيل من مبررات إن الحوار الفاهم المتصدي وحده هو الذي يمكن أن يصوب، أو يخطئ، يهدي أو يضل، يقف الإنسان المعاصر أمام قدره (مع) أو ضد كل الأشياء إن هذه المعيّة أو هذه الضدّية هي العاصم اليوم من طوفان اللامبالاة، إن المعية تضيف إلى الصف الملتزم مقاتلين، كما أن الضدية تبرز من بين الصفوف الملتزمة مقاتلين، فالفكر الديني هو المنتصر في كل من هذه الجولات!!

ولست أزعم كما قلت في مطالع هذه السطور أن هذا الفهم لقضية من قضايا قرآننا العظيم يمكن أن يستبدل شيئاً بشيء بقدر ماهو محاولة لفتح جبهات الحوار مع الفكر العالمي المعاصر.. المسلح شئنا أو أبينا بفلسفات مقتحمة غائرة العمق مما يهيب بكل الطلائع على أرضنا المسلمة أن تنهض إلى دورها الريادي وأن تفتح صدورها جيداً للرصاص والحوار.. غير عابئة بشيء إلا بما يتضرّب داخلها من روافد العطاء.. ومايجيش في أطوائها من توافق مع الكون، إنسانه، وأشيائه وقيمه الرائعة!!

ومخطئاً قد أكون!!

ولكني في نهاية الأمر، هادف إلى ترشيد وعيي العقائدي بلا مبالاة من سيف، وبلا انتظار لهدايا من مطر السماء فالسماء كما علمتنا، أسلافنا لا تمطر ذهباً ولا تمطر فضة.

***





للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

٢

الضمير مناط التربية

ومن تأملاتنا فى الأسلوب النبوى التربوى العظيم نرى أنه ﷺ كان يجعل ضمير المتلقى من أبرز الغايات فى العملية التربوية، انظر إلى طريقته الشارحة الواضحة عليه السلام وهو يمد «عبدالله بن عباس» رضى الله عنهما بمدده الأخلاقى الرفيع المرتبط بالضمير «يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» (١) إلى آخر هذا الحديث المحكم السديد، ألا ترى أنه يهدف إلى تربية الضمير، إذ أن توجه العبد إلى ربه سائلاً له ومستعيناً به هو أمر مضمر لا يدركه إلا صاحبه فى علاقته بخالقه، وذلك من قبيل ما نعرفه عن الحديث القدسى الشريف حول الصوم «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» (٢) الأمر إذن أولاً وأخيراً يتعلق بالضمير فالله أعلم بالسرائر.

وكيف لا يحظى الضمير بالنصيب الأوفى من الاتجاهات التربوية؟ أليس الضمير غيباً مضمراً ومن هنا كان الاحتفال به هو من سمات الإيمان الذى حض عليه القرآن الكريم فى مستهل سورة البقرة أكثر سور القرآن آياً وثانيتها موقعاً فى المصحف الكريم بعد أم الكتاب حيث يصف الذكر الحكيم «المتقين» بأنهم

(١) رواه الترمذى.

(٢) الإمام أحمد فى مسنده ج٢/٢٧٣.



﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾

(البقرة: ٣)

إلى آخر الآية.

عن الأهداف التربوية

ويقودنا طلبُ المزيد من الإيضاح إلى القول بأن المحدثين من علماء التربية قد حددوا أهداف أى درس فى أية مادة بثلاثة أهداف هى ما يعرف بالهدف المعرفى (أى ما ينبغى أن يعرفه الدارس من الدرس) ثم الهدف الوجدانى (أى ما يجب أن يستشعره الدارس من أحاسيس نحو هذا الدرس) وأخيراً الهدف المهارى (أى المهارات السلوكية التى يرى المعلم تنميتها لدى الدارسين)، وقد لوحظ أن كلاً من هذه الأهداف الثلاثة يمكن قياسه وتقويمه بسهولة ببعض (الإجراءات)(٣) حتى يتحقق المعلم من أن الدارس قد تحققت لديه هذه الأهداف من هذا الدرس إلا (الهدف الوجدانى) فإنه من العسير - إن لم يكن من المستحيل - الوقوف على مدى ما تحقق منه لدى الدارس لأن (الوجدان) أمر (باطن) لا يعلمه إلا الله وصاحب هذا الوجدان فى حالة استبطانه لنفسه ليرى إذا كان قد تأثر (وجدانيا) بهذا الدرس بالإيجاب أو السلب أم لم يتأثر مطلقا.

وعلى سبيل المثال: إذا كان موضوع الدراسة عن (الخير والشر) فى باب الأخلاق، فمن الميسور أن نُعرِّف الدارس بماهية الخير وماهية الشر كما يقول الشراح فى الدين والفلسفة، كما أنه من الميسور أيضا أن يتقن الدارس بعض المهارات المرتبطة بهذا الموضوع مثل إلقاء كلمة مفوهة أو كتابة مقالة منمقة عن ذلك، وبهذا نكون قد وقفنا على التحقق من الهدفين (المعرفى والمهارى)، ولكننا مهما بذلنا من جهد، واصطنعنا من الفراسة فلن نقف على حقيقة «مشاعر» الدارس نحو الخير والشر وهو (الهدف الوجدانى) ونظل نتساءل هل (الدارس) أصبح (يميل إلى) الخير مثلا و (يميل عن) الشر؟؟

ذلك أن الوجدان هو عبارة عن مشاعر باطنية خفية موغلة فى الخفاء، بل إن الخطورة فى هذا تكمن فى أن (يتظاهر) الدارس بأنه (أحب) الخير و(كره) الشر لكى يرضينا كآباء ومربين، وهذه هى أولى خطوات الكذب وبداية حلقات النفاق.

وهنا مكن الخطورة إذا لم تكن العملية التربوية مصحوبة دائما بالمتابعة الواعية المستنيرة من أصحاب (الضمائر) من المربين حتى لا يصبح (المتلقى) شخصية متداعية تكاد تعصف بها الرياح مما يصدق عليه التعبير النبوى الدقيق «ذو الوجهين» وذلك فى قوله ﷺ من حديث رواه أبو هريرة رضى

(٣) تسمى هذه الأهداف الإجرائية execurive

الله عنه «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» [٤] وبهذا يصبح «معظم النار من مستصغر الشرر» فينشأ سوء الخلق عن سوء التربية.

وقد يؤدى هذا الاهتزاز فى الشخصية إلى خصال النفاق كما ذكرنا فيكذب الشخص فى حديثه، ويُخلف فى وعوده، ويخون أمانات الناس التى أمر الله - عز وجل - بأدائها إلى أهلها:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

(النساء: ٥٨)

وهذا لعمرك أقبح من الكفر، لأن الكافر - على خُلقه الشيطانى اللعين - صريح فى كفره، واضح فى عناده، أما المنافق فإنه يجبن عن التصريح، بل عن التلميح، فهو مخادع لئيم، ومراء أثيم، ومن هنا استحق - بعدل الحق - أن يهوى فى قاع الجحيم:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

(النساء: ١٤٥)

الضمير والوجدان

وهكذا نرى أن تربية الضمير ترتبط أشد الارتباط بوجدان الإنسان. فإذا أفلح الوالدان والمعلمون ومؤسسات التربية والتثقيف فى تربية الضمير تربية جادة وحقيقية وليست مظهرية روتينية كان النجاح حليف المربين، وكان الفلاح حليف الأبناء والدارسين، وذلك من خلال المتابعة الكيّسة الفطنة لسلوك الناشئين، وأهم من هذا وذاك إعطاء الناشئة الصاعدة صورا مشرقة ومشرّفة وصادقة للقدوة المحببة، والأسوة الحسنة التى كان يتحلى بها إمامنا وسيدنا ﷺ.

ومن هنا فإننا لا نملك - عن إيمان ويقين - إلا أن نشهد لهذا النبى الصادق الأمين ﷺ بالعبقرية التى لاتعدلها عبقرية، وبالإخلاص الدءوب الذى لا يدانيه إخلاص دءوب، وذلك عندما نعكف على تأمل سنته ﷺ فى تربية البشر، وهى لعمرك تربية لا يجيدها - على وجهها - إلا المتفوقون - علماً وسلوكاً - من هؤلاء البشر ممن سماهم المولى عز وجل «أولى العزم من الرسل» وكان - ولم يزل وسيظل - على رأسهم وفى موقع الإمامة والريادة منهم سيدنا الكريم ونبينا العظيم محمد ﷺ وهو الشخصية الكاملة والمتكاملة، والذى وصف نفسه بوحى من خالقه عز وجل «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر» ﷺ. [٥]

وننطلق من هذا إلى أن تربية الضمير - هذه الحكمة الباطنية والمرتبطة بالمشاعر والأحاسيس - هى أم التربية [٦]، ولا سيما إذا حرصنا فى تربية أبنائنا على إبراز العلاقة الوثيقة أشد الوثوق بين الضمير وبين

(٤) متفق عليه (رياض الصالحين لأبى زكريا النووى).

(٥) من حديث عن أنس (الشفا للقاضى عياض).

(٦) الضياء عن أنس (الجامع الصغير) للسيوطى.



تكليفات الدين - أوامره ونواهيه - فى كل صغيرة وكبيرة من مواقف الحياة، على أن نكون - نحن المربين - فى موقف الحساسية والدقة دائما فى التعامل سلوكيا مع أبنائنا وبناتنا فلا نقول لهم مالا نفعل، ولا نفعل أمامهم مانقول وذلك تمسكاً بالآية القرآنية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف: ٢، ٣)

ومن أهمية تربية الضمير ومميزاتها أن الناشئ يربّى على ألا يقوم بعمل ما إلا إذا عرضه على ذلك (القاضى المضمر) فى باطنه فلا يعمل إلا مايعتقد - حقاً - أنه الحق والخير والصواب وحتى لايرتكب فعلاً يضطر أخيرا إلى الاعتذار منه، لأنه يكون قد وعى (بضميره) معنى الحديث الشريف الذى يقول «إياك وكل أمر يعتذر منه» [٧]

الضمير لا يموت

وإنه لمن مميزات تربية الضمير أن أحكامه أشد فاعلية من أحكام الشرائع الوضعية المتمثلة فى القوانين والعادات والتقاليد والعرف وغيرها. فهذه الشرائع يمكن الخروج عليها والتحايل إزاءها بحيل يرسمها الشيطان لصاحبها ليتنصل من المسئولية وما يترتب عليها من الجزاء تنصل «الشعرة من العجين» كما يقول المثل الدارج الذكى الدقيق، بينما أحكام الضمير تظل هواجس مسلطة على عنق صاحبها إن كان مذنبا كما تظل طمأنينة مريحة فى جنبات كيانه إن كان بريئاً.

ويعنينا هنا أيضا أن نرد على من يقول: (إن فلاناً قد مات ضميره) لأنه لا يوجد ضمير ميت، وضمير حى ولكن هناك ضميراً واحداً خلقه الله فى باطن الإنسان إما أن يكون له «وخز الإبر» وإما أن يكون له «أشهى الثمر» أما إذا أطلق المرء حباله مع حبائل الشيطان فعندئذ يقال إن ضميره قد أعياه الجهد مع صاحبه الضال وينتظر له التوفيق إلى أن يستفيق.

وبعد: فإن إهمال تربية الضمير التربية الهادفة المنشودة هو إصابة الفرد والجماعة فى مقتل، بل استهداف الكيان البشرى فى الصميم، وتفريغ للشخصية الإنسانية من أهم مقومات الاتزان والتوازن فيها، وهى مسئولية كل من ألقى الله على كاهله و(ضميره) دورا تربويا يضطلع به فى الأسرة، وفى دار التعليم وفى وسائل الذيوع والتثقيف، وهى لعمرك مسئولية يحاسب عليها أصحابها فى الدنيا والآخرة حساب من أغفل خلافة الإنسان فى الأرض، وياله من حساب.

(٧) أم هنا بمعنى أصل Origin وليس Mother



من نبع القرآن

في شعب الحجون

للدكتور أبي حسام

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢]

قوافل تطفو نحو الحجون   عجبت لهم فجأة يظهرون
قوافل سود تغطي الثرى   فتحسبه قد كسته الدجون
كأن هضابا جفت أرضها   وخفت كما ينهض السائرون



وللليل من فوقها طيلسان   يمد فيحجب ضوء العيون
كساها جلالا وأوحى وقارا   كأن ملائكة يخطرون..!
وقد سكن الحي، لا نأمة   كأن الورى في الثرى هامدون
جحافل تزحف دون ضجيج   وعهدي بأبطالها يصخبون
تواصوا بسر فهم يصمتون   وخفوا نجد فهم يأملون
وطاروا خفافا فمن مخبري   إلى أي معركة يذهبون
يغطون أوجههم يسترون   لظى قد تضرم بين الجفون
ولو يكشفون لطار اللهيب   فأذكى الحريق وهاج الشجون
طوائف جن توالت تباعا   على نسق سنه العاقلون
يسيرون هونا فان تمتموا   فهم بتسابيحهم يهمسون
وعهدي بهم صرصرا عاتيا   وزلزال كون يدك الحصون
فكيف مضوا نسقا واحدا   كقوم بمسجدهم يركعون
يؤمون نورا وضيء السنا   فهم بأشعته يهتدون..!
يقودهم باسل فارع   أصم الملامح صلب القرون
تزعمهم ورعوا حقه   فهم رهن طينته يقتفون
يحلق آنا فيعلو الذرا   كنسر يطير لأعلى الوكون
وهم خلفه سحب ترتمي   بأفق تضل لديه الظنون
ويهوي فيهوون في خفة   غزار الحشود كغيث هتون
رأى هضبة فاعتلى أوجها   خطيبا تهش له المنصتون
ورق الهواء بليل الحجون   فطاب الخشوع ولذ السكون
وما يبعث القول مثل الظلام   سجا فاستهل به الملهمون
وصاح: رفاقي أعود بكم   إلى الأمس إن كنتمو تذكرون
صعدتم قديما لأعلى السماء   وكنتم بأجوازها تمرحون

قعدتم مقاعد للسمع من   ملائكة في العلا ينطقون
فتسترقون الحديث الخفي   وتمضون في أرضكم ترجفون
تعيثون شرا بأرجائها   كذاك بسكانها تعبثون
وقلتم علمنا غيوب السماء   وأنتم لشأن الورى تجهلون
خدعتم سواكم ولم تنتهوا   فصرتم لأنفسكم تخدعون
تماديتمو فهوت فوقكم   نيازك أنتم بها تصطلون
فإن رمتمو سرقات الغيوب   غدوتم بنيرانها ترجمون
سألتم عن السر قبل نبي   سيأتي، به يدحر الظالمون
سمعتم رفاقي فعودوا معي   إلى الأمس أن كنتمو تذكرون
بسطتم على الأرض طغيانكم   فصرتم قياصرة تحكمون
مناطق تحمونها، من يلج   قريبا، أنتم به تبطشون
رجال من الإنس عاذوا بكم   فكنتم بمن عاذ تستهزئون
ولن تعجزو الله في أرضه   وفي وهمكم أنكم تعجزون..!
أتاكم نبي يجب الفساد   ويحمي العباد، فهل تهتدون..؟
بني الجن إنا سمعنا الهدى   بيانا به يشتفي السامعون
مثان من الذكر وضاءة   تهدى بمصباحها المدلجون
حدائق زهر تهيج الرؤى   فلله ما يلمح الناظرون
تظل الورى بربى أينعت   ثمارا ورفت عليها الغصون
تساقط منها شهي الجنى   فلله ما يقطف الآكلون
وأنتم بني عبقر تقرضون   شهي القصيد فتستعذبون
إذا نظم الشعراء البيان   فعن وحي عبقركم يصدرون
هلموا اسمعوا الوحي من معجز   يرج القلوب ويبكي العيون
تعالى فحلق عن شعركم   إلى حيث ينبهر المفصحون..!

تجيبونني! مرحبا مرحبا   ويا خيبة العقل إذ ترفضون
تباعد أبليس مستكبرا   فأصبح يلعنه اللاعنون
أتى الذنب أول من قد أتاه   فسرتم على نهجه تذنبون
وأنتم بنوه فهل تذعنون   لداعي السموات أو ترفضون
كفاكم من الأمس أوضاره   فقد جاء يوم به تطهرون
رويد الأباطيل في أمة   يزلزل أطوادها المفسدون
فإنس على ظهرها يعتدون   وجن بأعماقها يجرمون
كلا الثقلين استحلوا الشرور   فهم في دياجيرهم يعمهون
تخالون كسب الخنا لذة   ورشفة كأس بها تسكرون
محمد المصطفى عنده   سعادتكم، وهي ما تنشدون
توجهت صوب السنا مسلما   لربي فهل أنتمو مسلمون..؟
ورق الهواء بليل الحجون   فطاب الخشوع ولذ السكون
وحلق طير وضيء الجناح   شفيف الرداء رخيم اللحون
تنزل من فرجات السحاب   فقلنا ملائكة يهبطون
غلائل نور ترف قريبا   فتسبي، ولا يلمس اللامسون
وأوجه حسن إذا لألأت   فكل متاع سواها يهون
لها أرج قد سألنا الربى   بجد، فلم تدر ماذا يكون
وهب النسيم فكان عبيرا   من الخلد ينشقه الناشقون
دلائل إيمانهم إذ غدوا   بإسلامهم هتفا يجأرون
فحنت ضلوع بما أوقدت   وسالت دموع وهاجت شجون
وأذن في الفجر غريده   فخروا إلى ربهم يسجدون
وأعلن قائدهم سيره   فخفوا إلى قومهم ينذرون
نسيت ولم أنس ما قد حييت   جلال الظلام وسحر الحجون

دلائل ربوبية الرسالة المحمـــــدية ودعوتها للحق والخير

لواء دكتور/ محمود خليل

مقدمة:

يجب على كل مسلم أن يتعرف على فضل الرسالة المحمدية على البشرية ومعجزاتها ودلائلها الإلهية على ربوبيتها وصدقها، وكذلك تفضيل الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد ﷺ على سائر الخلق أجمعين، فما من شك أن المسلم يؤمن بأن النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي المنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليه السلام - هو عبد الله ورسوله أرسله إلى كافة الناس أحمرهم وأبيضهم، وختم بنبوته النبوات وبرسالته الرسالات، فلا نبي بعده ولا رسول، أيده بالمعجزات وفضله على سائر الأنبياء كما فضل أمته على سائر الأمم، فرض محبته وأوجب طاعته وألزم متابعته، وخصه بخصائص لم تكن سواء منها الوسيلة والكوثر والحوض والمقام المحمود..

منزلة النبي ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى

فضل الله - سبحانه وتعالى - نبيه محمد ﷺ على البشر ومن دلائل ذلك:

١- شهادته - سبحانه وتعالى - وملائكته له ﷺ بالوحي في قوله تعالى:

﴿ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

[النساء: ١٦٦]

٢- إخباره - سبحانه وتعالى - عن عموم رسالته وختم نبوته ووجوب طاعته ومحبته وكونه خاتم النبيين في قوله جلت قدرته:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء: ١٧٠]

وفي قوله - سبحانه وتعالى -

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾

[الفتح: ٢٩]

وقوله سبحانه وتعالى -

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

[التوبة: ٢٤]

وأخيراً قوله لا إله إلا هو:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

[آل عمران: ٣١]

٣- إخباره ﷺ عن نبوته وختم النبوات بها وعن وجوب طاعته وعموم رسالته في قوله ﷺ: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» [البخاري وأحمد وابن حبان]

وكذلك قوله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة واحدة، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» [متفق عليه].

وأخيراً قوله - ﷺ -: «كلكم يدخل الجنة إلا من أبى قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» - [رواه البخاري].

٤- شهادة التوارة والإنجيل ببعثته ﷺ وبرسالته ونبوته وتبشير كل من موسى وعيسى به ﷺ فقد قال - سبحانه وتعالى - فيما حكاه عن عيسى - عليه السلام - في القرآن الكريم:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

[الصف: ٦]

وقد جاء فى التوراة: «سوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوانهم وأجعل كلامى فى فيه ويكلمهم بكل شئ وأمره به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك»، فهذه البشارة الثابتة فى التوراة تشهد بنبوة نبينا ﷺ ورسالته ووجوب اتباعه ولزوم طاعته، وهى حجة على اليهود، وإن تأولوها وجحدوها فقوله تعالى: سوف أقيم لهم نبياً، يشهد بلا شك لنبوته ورسالته، إذ المخاطب هنا هو موسى عليه السلام وهو نبى ورسول، ومتى كان مثله فهو نبى ورسول وقوله: من بين أخواتهم صريح فى أنه محمد ﷺ وقوله: أجعل كلامى فى فيه، لا ينطبق إلا على نبينا محمد ﷺ لأنه هو الذى يقرأ كلام الله ويحفظه وهو القرآن الكريم وقوله: يكلمهم بكل شئ شاهد على ذلك، إذ أن النبى ﷺ تكلم بغيب لم يتكلم به نبى سواه، إذ أخبر ببعض ما كان ويكون إلى يوم القيامة.

كما كان فى الإنجيل الإشارات التالية:ـ

أـ فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز ـ أى يوعظ وينادى مبشراً بنبوة نبى ـ فى برية اليهود قائلاً: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات» فقوله: قد اقترب ملكوت السماوات إشارة إلى محمد ﷺ كما هو بشارة بقرب بعثته إذ هو الذى ملك وحكم بقانون السماء.

ب ـ قد لهم مثلاً آخر قائلاً «يشبه ملكوت السماوات والأرض حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله، وهى أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهى أكبر البقول» فهذه العبارة فى الإنجيل هى عين ما ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن الكريم إذ قال تعالى:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾

[الفتح: ٢٩]

المراد من ذلك محمد ﷺ وأصحابه.

جـ ـ «انطلق لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم «البارقليط» ـ ترجمتها من اليونانية إلى العربية: بالذى له حمد كثير وهو يوافق معنى محمد أو أحمد فإما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء ذاك يوبخ العالم على خطيئته» ـ أليست هذه الجملة من

الإنجيل صريحة فى التبشير بمحمد ﷺ فمن هو «البارقليط» إن لم يكن محمداً؟ ومن هو الذى وبخ العالم على خطيئته سواه؟! إذ هو الذى بُعث والعالم يسبح فى بحور الفساد والشرور، والوثنية ضاربة أطنابها حتى فى أهل الكتاب؟ ومن هو الذى جاء بعد رفع عيسى يدعو إلى الله رب السماوات والأرض غير محمد ﷺ.

إعمال العقل يثبت ربوبية

الرسالة المحمدية ودعوتها للخير

إذا تركنا الأدلة النقلية والإلهية الدالة على ربوبية الرسالة المحمدية، فإنه إذا ما أعمل الإنسان عقله ولو وهلة لوجد أن هناك دلائل كثيرة على ربوبية الرسالة المحمدية ودعوتها للحق وللخير ومن هذه الدلائل ما يلى:ـ

١ـ ما المانع من أن يرسل الله محمداً نبياً ورسولاً، وقد أرسل من قبله مئات المرسلين ونبأ آلاف الأنبياء؟! وإذا كان لا مانع من ذلك عقلاً وشرعاً فبأى وجه تنكر رسالته وتكفر نبوته ﷺ إلى عموم الناس؟!.

٢ـ الظروف التى اكتنفت بعثته صلى الله عليه وسلم كانت تتطلب رسالة سماوية ورسولاً يجدد للبشرية عهد معرفتها بخالقها ـ عز وجل.

٣ـ انتشار الإسلام بسرعة فى أنحاء العالم، وأقطار شتى فى أنحاء العالم المعمورة وقبول الناس له وإيثاره على غيره من الأديان دليل على صدق نبوته ﷺ.

٤ـ صحة المبادئ التى جاء بها ﷺ وصدقها وصلاحيتها، وظهور نتائجها طيبة مباركة تشهد أنها من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأن صاحبها رسول الله ونبيه.

٥ـ ما ظهر على يديه ﷺ من المعجزات والخوارق التى يحيل العقل صدورها على يد غير نبى ورسول..

من معجزات الرسالة المحمدية

وهذا طرف من معجزات رسول الله ﷺ كما هى ثابتة فى الحديث الصحيح الأشبه المتواتر الذى لا يكذبه إلا ضعيف العقل أو فاقده، وقد أعطى الله هذه المعجزات لنبيه لتثبت ربوبية رسالته وتوقف الكفار عند حدهم ومن هذه المعجزات:ـ

● انشقاق القمر له ـ ﷺ ـ فقد طلب الوليد بن المغيره وغيره من كفار قريش آية ـ معجزة منه عليه السلام وتدل على

صدقه في دعوى النبوة والرسالة فانشق له القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال لهم النبي ﷺ اشهدوا، قال بعضهم: رأيت القمر بين فرجتي الجبل ـ جبل أبي قبيس ـ وقد سألت قريش أهل بلاد أخرى، هل شاهدوا انشقاق القمر؟ فأخبروا به كما رأوا، ونزل قول الله ـ تعالى:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[القمر: ١ ـ ٣]

- أصيبت عين قتادة يوم أحد حتى وقعت على وجنته فردها الرسول ﷺ فكانت أحسن منها من قبل.
- رمدت عينا علي بن أبي طالب يوم خيبر فتفث فيهما رسول الله ـ ﷺ ـ فبرئتا كأن لم يكن بهما شئ أبداً.
- انكسرت ساق ابن الحكم يوم «بدر» فتفث عليها ﷺ فبرئ لوقته ولم يحصل له ألم قط.
- نطق الشجر له ـ ﷺ فقد دنا منه أعرابي، فقال له يا أعرابي أين تريد؟ قال: إلى أهلي، قال: هل لك إلى خير؟ فقال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فقال الأعرابي من يشهد لك على ما تقوله؟ فقال ﷺ هذه الشجرة ويشير إلى شجرة بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدت ثلاثاً فشهدت كما قال عليه الصلاة والسلام.
- حنين جذع النخلة له ﷺ وبكاؤه بصوت سمعه من في مسجده قاطبة وذلك لما فارقه ﷺ بعدما كان يخطب عليه كمنبر، ولما صنع له المنبر وترك الصعود عليه بكى حنيناً وشوقاً إليه ﷺ فقد سمع صوت كصوت العشار ولم يسكت حتى جاءه الرسول عليه الصلاة والسلام ووضع يده الشريفة عليه فسكت.
- دعاؤه ﷺ على كسرى بتمزيق ملكه فتمزق.
- دعاؤه عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقه في الدين، فكان عبدالله بن عباس حبر هذه الأمة.
- تكثير الطعام بدعائه ﷺ فقد أكل من مدى شعير فقط أكثر من ثمانين رجلاً.
- تكثر الماء بدعائه ﷺ فقد عطش

الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ماء يتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا إلا ما في ركوتك فوضع ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشرب القوم وتوضأوا وكانوا ألفاً وخمسمائة نفر.

- المعجزة الكبرى وهي الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى وعاد إلى فراشه لم يبرد.

الخاتمة

إن المعجزات والفضائل والصفات التي وهبها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ﷺ لإثبات ربوبية الرسالة ودعوتها للخير والهدى والحق ولتثبيت قلب المؤمن والقرآن الكريم خير معجزة لهذه الرسالة فهو الكتاب الذي فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم فيما بيننا، وفيه الهدى والنور، فهو معجزتها العظمى ونورها الهادي للخير والحق والخير فالقرآن الكريم أعظم ما أوتي نبينا ﷺ ومن أكبر البينات الخالدة والباقية على مر الأيام وكر العصور ليظل به الدليل قائماً على صدق نبوته ﷺ وربوبية رسالته ودعوتها للخير والهدى والحق والحجة الثابتة للخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...

***

الأزهر

هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟



للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

> «إن المسلمين أتاحوا لنا نحن الغربيين أن نصل إلى النهضة العلمية الحديثة ولهذا يجدر بنا ألا نكف عن البكاء كلما تذكرنا اليوم الذى سقطت فيه غرناطة.»

٢- دافيد كينج

عمل دافيد كينج David King مديراً لمعهد تاريخ العلوم التابع لجامعة يوهان فولفجانج، جوته فرانكفورت. وقد قام منذ سنوات بفهرسة مقتنيات دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية والفارسية والتركية المتعلقة بعلوم الفلك والرياضيات والميكانيكا والبصريات، ونشر أبحاثه فى ثلاثة مجلدات ضخمة. كما طاف باحثا عن المزيد من المخطوطات فى مكتبات العواصم الإسلامية، وأولى اهتماماً خاصا بما أسماه «جغرافيا الإسلام المقدسة» والطرق الفلكية والرياضية لتحديد اتجاهات القبلة.

القبلة فى حياة المسلمين

يوضح «دافيد كينج» أهمية القبلة فى حياة المسلمين، حيث إنهم يولون وجوههم شطر الكعبة المشرفة فى صلواتهم، كما أن مساجدهم موجهة نحوها، ويشير المحراب فى الجامع إلى القبلة، أى إلى الاتجاه المحلىّ لمكة المكرمة. كذلك يدفن المسلمون موتاهم تبعا لاتجاه القبلة، ويتوجهون نحوها عند تلاوة القرآن والدعاء والذبح الشعائرى للحيوانات بهدف الأكل. وقد حرص علماء المسلمين على تطوير علوم الفلك والجغرافيا والرياضيات، بالإضافة إلى تطوير أجهزة القياس والرصد، لتحديد الاتجاهات والمواقيت المقدسة بأعلى دقة ممكنة. وتوضح النصوص التراثية أن الكعبة نفسها موجّهة فلكيا، فيتجه المحور الكبير نحو بزوغ النجم «سهيل» الأكثر إشراقا فى نصف الكرة الجنوبى، ويتجه المحور الصغير نحو شروق الشمس فى الانقلاب الصيفى، وهذان الاتجاهان متعامدان تقريبا فى خط عرض مكة المكرمة. وتؤكد الخرائط الحديثة للكعبة وللجبال المحيطة بها، والمبنيّة على التصوير الجوى، تلك المعلومات الأساسية الموجودة فى المخطوطات الإسلامية. وتذكر هذه المصادر أن القبلة بالنسبة لشمال غربى أفريقيا تكون فى اتجاه شروق الشمس فى الاعتدالين (شرق حقيقى)، والقبلة بالنسبة لليمن فى الاتجاه الذى تهبّ منه ريح الشمال أو فى اتجاه النجم القطبى (الذى لا يبزغ ولا يأفل، لكن موقعه يحدد الشمال). والقبلة بالنسبة لسورية فى اتجاه بزوغ النجم سهيل، وبالنسبة للعراق فى اتجاه غروب الشمس فى الانقلاب الشتوى، وبالنسبة للهند فى اتجاه غروب الشمس فى الاعتدالين (غرب حقيقى). إلا أن الوضع لم يكن أبداً بمثل هذه الدرجة من البساطة، واقترح بعض الفقهاء حلولاً تعتبر أن الوضع الأمثل للمؤمن هو الوضع الذى يسمح بالتقاء خط الرؤية مع الكعبة، على افتراض أن رؤيتها ممكنة بالفعل.

وأغلب الملخصات الفلكية الإسلامية المزودة بأزياج (جداول) تتضمن فصلاً عن تحديد القبلة بوسائل رياضية. كذلك صنفت مؤلفات مستقلة خاصة بمسألة القبلة فقط، وأعدت عمليات دقيقة معقدة بواسطة الهندسة المستوية أو الهندسة الفراغية، أو بواسطة حساب المثلثات الكروى. وقد صنّف ابن الهيثم مؤلفين لحل مسألة القبلة. ورصد الفلكيون منذ بداية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، وفى آن واحد، الخسوف فى بغداد ومكة من أجل قياس فرق خط الطول بين هاتين المدينتين، وذلك لهدف واضح هو تحديد القبلة فى بغداد. كذلك خصّص البيرونى مؤلفا كاملاً لتحديد القبلة فى مدينة غزنة (كابول حاليا فى أفغانستان)، حيث استخدم طرقا عديدة متنوعة لقياس فرق خط الطول بين مكة وغزنة، وأخذ المعدل الوسطى للنتائج، ثم أجرى بعد ذلك حساب اتجاه القبلة بواسطة عمليات مختلفة دقيقة.



علب البوصلة

ويعتبر مؤلف البيرونى عملاً نموذجياً فى الجغرافيا الرياضية وفى المنهج العلمى. ولمزيد من التبسيط لجأ الفلكيون المسلمون إلى حساب جداول تحدد اتجاه القبلة تبعاً لخطى العرض والطول الأرضيين، وهناك نحو ثمانية جداول مختلفة معروفة من خلال المصادر المخطوطة التى توصل إليها «دافيد كينج». وابتداء من القرن الرابع عشر الميلادى انتشرت عُلب البوصلة التى كانت تحمل لوائح بالأماكن مع اتجاهات القبلة الخاصة بها، أو تصويراً خرائطيا بسيطا للعالم حول مكة. وقد لقى هذا النوع من الاختراعات مجدداً اهتماماً لافتاً للنظر فى السنوات الأخيرة.

من ناحية أخرى، اهتم «دافيد كينج» بتوضيح تفاصيل علم المواقيت وصناعة المزاول لقياس الوقت وتحديد أوقات الصلاة، وأسهم الفلكيون المسلمون بشكل جوهرى فى هذا العلم من الناحيتين النظرية والتطبيقية معاً. ويحمل أغلب المزاول الإسلامية خطوطاً للساعات ولصلاتى الظهر والعصر. وبما أن بدء هاتين الصلاتين يتحدد بواسطة أطوال الظل، لذلك كان تعيين أوقات الصلاة بواسطة المزولة ملائماً تماماً.

مزولة ابن الشاطر

وذكر «دافيد كينج» أن الفلكى ابن الشاطر، وهو رئيس الموقتين فى جامع بنى أمية فى دمشق فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى، صنع فى العام ١٣٧١ / ١٣٧٢م مزولة أفقية رائعة قوامها متران على متر تقريبا، وقد نصبت فى باحة المسجد فى الجهة الجنوبية من المئذنة الرئيسية للجامع، ولا تزال أجزاؤها معروضة فى حديقة المتحف الوطنى فى دمشق. وقد صنع الموقِّت الطنطاوى فى عام ١٨٧٦م نسخة مطابقة للأصلية مازالت مستقرة أيضا فى مكانها على المئذنة، ويمكن استخدامها لقياس المنقضى بعد شروق الشمس فى فترة الصباح والوقت المتبقى للانقضاء قبل غروبها فى فترة ما بعد الظهر، وكذلك الوقت قبل الظهر وبعده. كما تستخدم المنحنيات المرتبطة بهبوط الليل وقيام النهار لقياس الوقت بالنسبة لصلاتى العشاء والفجر. إن مزولة ابن الشاطر تعد تحفة فى الإبداع والاختراع، ومثالاً يدل على براعة تقنية غير عادية. وقد وصفت هذه المزولة للمرة الأولى فى المصنفات العلمية عام ١٩٨٢م.

أفكار خاطئة

على أن «دافيد كينج» بالرغم من جهوده الفائقة فى إحياء كنوز التراث العلمى والتقنى للحضارة الإسلامية -لم يسلم هو الآخر من الوقوع فى الخطأ. ففى مقال كتبه لمجلة العلم والمجتمع بعنوان «العلم فى خدمة الدين- حالة الإسلام» نجده، فى غمرة انشغاله بالقضايا المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية، يثير أسئلة غريبة لا تؤهله ثقافته للردّ عليها، فهو مثلا يتساءل عن سبب اعتماد المسلمين لخمس صلوات رئيسية فقط، زاعماً أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح



فى آيات القرآن الكريم، أو فى أحاديث الرسول ﷺ. ويظهر لنا من خلال مناقشته لهذه القضية التى أقحمها على موضوع بحثه إقحاما أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع، ويسوق روايات من عنده تنسب إلى الرسول ﷺ قوله بأن صلاة الضحى بدعة موروثة، وأن هذا كان سببا واضحاً -فيما يزعم- لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية المفروضة[1].

وهذا مجرد مثال ينبهنا إلى محاولات التستر بالعلم من جانب بعض المؤرخين والمستشرقين حديثا للتشكيك فى أمور من صميم العقيدة الإسلامية، ويدعونا إلى توخى الحذر دائماً عند قراءة أعمالهم للوقوف على ما يتخللها أحيانا من ترويج أفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين.

٣- خوان فيرنيه:

يعمل «خوان فيرنيه» Juan Vernet حالياً أستاذاً لتاريخ العلوم العربية فى جامعة برشلونة، وله بحوث مهمة حول تطورات العلم العربى فى الأندلس والإنجازات الحضارية فى الغرب الإسلامى، بالإضافة إلى اهتمامه بالبحث عن المخطوطات العلمية واختراعات المهندسين المسلمين التى كان لها فى الغرب تطبيقات عملية، وذلك على امتداد ثمانية قرون تقريبا بدأت من سنة ٧١١م، تاريخ الفتح الإسلامى الأول لشبه الجزيرة الإيبيرية، إلى سنة ١٤٩٢م تاريخ استيلاء الملوك الكاثوليك على مدينة غرناطة وسقوط بنى نصر آخر السلالات المسلمة المستقلة التى حكمت فى أسبانيا.

عباس بن فرناس

يتحدث «خوان فيرنيه» فى إحدى مقالاته فى مجلة Pour La Science (١٩٩٤م) عن بعض المظاهر الحضارية وأعلامها فى الغرب الإسلامى، فيقول: تذكر كتب منتصف القرن التاسع الميلادى مخترعاً عربيا، اسمه عباس بن فرناس، اندفع من مكان عال فى الجو مرتدياً كساء ذا جناحين من الريش يساعده على الطيران، فطار إلى مسافة ما، ثم سقط وأصيب بجراح، وإلى هذا الرجل بالذات يُعزى اختراع آلة تشير إلى الوقت (أى الساعة) فى النهار والليل. وتذكر بعض النصوص صُنّاعاً حرفيين -غير مهندسين بالضرورة- يدعى الواحد منهم باسم «العارف»، وهى كلمة لا تزال موجودة فى اللغة الأسبانية بمعناها العربى منذ ألف عام. وعندما أراد الخليفة عبدالرحمن الناصر إرسال معونة فنية إلى أحد

---

(١) نشر المقال المشار إليه بعنوان: Science in the service of religion the case of Islam فى مجلة Impact of science on society, no. 159 pp 245- 265 التى تصدرها اليونسكو بست لغات عالمية، وقد قمنا بترجمته فى النسخة العربية وفندنا ما جاء فى مقاله من مغالطات لوضع الأمور فى نصابها الدينى السليم أمام القارئ العربى. من ذلك أن صلاة الضحى عبادة مستحبة، فقد جاء فى كتب فقه السنة عن أبى سعيد -رضى الله عنه- قال: «كان صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول لا يدعها، ويدعها حتى نقول لا يصليها» (رواه الترمذى وحسنه). انظر: السيد سابق، فقه السنة، الجزء الأول، باب التطوع، ص٢٠٨- ٢١٠، دار الريان للتراث.



حلفائه فى شمال أفريقيا (سنة ١٩٣٥م) أوفد إليه المهندس محمد بن الوليد بن فستيق على رأس فريق من أمهر الصناع ذوى الخبرة بكل أنواع الحرف. وبفضل هذه المساعدة استطاع هذا الخليف تحصين أحد القصور القديمة.

ويقول «خوان فيرنيه» أيضا: نحن نعلم أن خطيب جامع قرطبة كان فى القرن العاشر الميلادى، يلقى خطبته معتليا منبرا يوضع فى المكان المناسب ثم يُنقل بعد الخطبة إلى مكان آخر قرب الجدار بانتظار الخطبة التالية. وكان نقل هذا المنبر سهلاً لأنه كان محمولاً على دواليب ويتحرك بطريقة آلية. وفى القرن الحادى عشر الميلادى صنع الزرقالى، الذى كان حرفياً فى طليطلة ثم أصبح أكبر فلكيى أسبانيا العربية، بالقرب من نهر تاجة ساعتين مائيتين تشيران إلى الساعات والأيام والشهور القمرية، وكانت الدورة فيها تتكرر دون انقطاع بهامش خطأ مقبول، وظلتا تعملان قرابة أربعين عاما إلى أن احتلت المدينة جيوش ألفونسو السادس المسيحية.

ويشير فيرنيه أيضاً إلى وجود أعواد موسيقية ميكانيكية فى ذلك العصر تقريبا، وكذلك وجود سيور (لفائف) جلدية تستخدم لنقل المشروبات والمأكولات المعدّة فى المطبخ إلى غرفة الطعام وإعادة الصحون عليها إلى أوعية غسلها. كانت أمثال هذه المعدات موجودة فى دمشق حيث كان يوجد أيضا آلات لرفع أو إنزال أنابيب الماء الذى يحرك الطاحونة، وذلك بهدف التحكم فى سرعة دوران حجر الطاحونة.

الأسرار فى نتائج الأفكار

وعن أحد المخطوطات النادرة التى اكتشفت حديثا فى مكتبة لورنسيين بفرنسا، وهو مخطوط فى الحيل النافعة (أى الآلات الميكانيكية المفيدة) بعنوان «الأسرار فى نتائج الأفكار» يعود إلى العصر العربى الأسبانى، ويحوى أجزاء مهمة حول الطواحين والمكابس المائية ويشرح أكثر من ثلاثين نوعاً من الآلات الميكانيكية، وساعة شمسية متطورة جدا، يقول «خوان فيرنيه»: «لقد تأكدت نسبة هذا المخطوط للمؤلف العربى الأسبانى أحمد (أو محمد) بن خلف المرادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى).. ويهدف إلى تعليم صنع لُعب ميكانيكية كان الكثير منها قابلاً للاستعمال كساعة مائية».

وقد لحظ فيرنيه وجود قرابة بين هذا المخطوط وكتاب آخر ترجمه «شميللر» Schmeller إلى الألمانية عام ١٩٢٢م، وأكد على أن المهندس المعمارى الفرنسى المعروف «فيلار دوهنكور»، الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى كان على علم بتقنيات العالم العربى التى تقوم بحركات دائمة.

حامل المصحف

ومن أمثلة التقنيات الدقيقة المتقدمة Advanced fine technology التى صوّرها كتاب المرادى «حامل المصحف» الموجود فى جامع قرطبة ويتيح تناول نسخة نادرة من القرآن الكريم وقراءتها دون أن تمسها الأيدى. ينفتح حامل المصحف بطريقة

آلية، حيث توضع المجموعة المكونة من الحامل والمصحف على رفّ متحرك فى صندوق مغلق بالجزء العلوى من المسجد، وعندما يدار مفتاح الصندوق ينفتح باباه فوراً وآليا نحو الداخل ويصعد الرف من تلقاء ذاته حاملاً نسخة القرآن إلى مكان محدد، وفى الوقت نفسه ينفتح حامل المصحف وينغلق بابا الصندوق. وإذا أدخل المفتاح من جديد فى قفل الصندوق وأدير بالاتجاه المعاكس تتوالى الحركات السابقة بالترتيب المعاكس، وذلك بفضل سيور وآليات أخفيت عن الأنظار. وفى موضع آخر من هذا المخطوط النادر يقدم المرادى شرحاً وافيا لتقنية أخرى متقدمة فى قصر جبل طارق، تعمل بالتحكم عن بُعد Remote Control، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آلياً عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها، وهذا يؤكد أن الأمر لم يكن مقتصرا -كما يزعم البعض- على مجرد صنع ألعاب فقط من أجل التسلية.

تشريق الثقافة الأندلسية

وفى مقال آخر «لخوان فيرنيه» و«خوليو سامسو»، الأستاذين بجامعة برشلونة، نقرأ أن عملية تشريق الثقافة الأندلسية بدأت -على الأقل منذ اعتلى أول أموىّ العرش سنة ٧٥٦م- بمرحلة أولى طبعت بالتأثير السورى، تلتها مرحلة من التأثير العراقى الذى بدأ مع القرن التاسع الميلادى فى ظل إمارة عبدالرحمن الثانى (٨٢١- ٨٥٢م). فالمسافرون الذين ذهبوا إلى الشرق، إما للدراسة أو لأداء فريضة الحج، كانوا يعودون بآخر المستجدات. وقد أضحى الجامع الكبير لمدينة قرطبة الذى أسسه عبدالرحمن الأول سنة ٧٨٦م مركزاً لنشر الثقافة، وأدخلت تدريجيا علوم الطب والفلك والرياضيات فى التعليم العالى الذى كان يجرى فى الجوامع أو فى بيوت خاصة. وظهرت «المدرسة التعليمية» بعد ذلك إلى جانب مؤسسات علمية أخرى كالمكتبات والمراصد والمستشفيات. ويحدد المؤلفان فيرنيه وسامسو ثلاثة مآثر تعبر عن التطور الحقيقى لحضارة الأندلس فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى هى:

تقويم قرطبة الذى يحوى علم الميقات الأندلسى.

وتطور علم العقاقير.

ومدرسة مسلمة المجريطى فى مدريد التى شكلت نقطة انطلاق العلم الأسبانى العربى. وذكر المؤلفان من أعلام العلم الأندلسى فى القرن الحادى عشر للميلاد أبا القاسم الزهراوى فخر الجراحة العربية، ومسلمة المجريطى الذى كان من بين نقاد بطليموس، وعالم الفلاحة (الزراعة) ابن بصال، والفلكى الزرقالية صاحب «الصفيحة الزرقاوية»، وابن رشد صاحب كتاب «الكليات» الشهير، والذى علل الكلف الشمسى بمرور كوكبى عطارد والزهرة أمام الشمس، وغيرهم كثير جداً.

إنها بحق صفحات مشرقة للحضارة الإسلامية فى الأندلس قال عنها أحد المستشرقين المنصفين: «إن المسلمين أتاحوا لنا نحن الغربيين أن نصل إلى النهضة العلمية الحديثة، ولهذا يجدر بنا ألاّ نكفّ عن البكاء كلما تذكرنا اليوم الذى سقطت فيه غرناطة».

الغرب يعرف قدر الإسلام

للدكتور/ حمدى فتوح والى

ما أحوج أمتنا إلى قيادة روحية وفكرية وثقافية تعيد لها رسم عقلها وصياغة فكرها وترتيب أولوياتها وتحديد ملامح أصدقائها وأعدائها حتى تحسن ممارسة الحب والبغض وحتى تدرك من جديد كيف تعبد الله - سبحانه وتعالى - بإحسان الولاء والبراء وكيف تحسن الدعوة إليه على بصيرة.

لقد نجح أعداؤنا فى تهميش دور العقيدة فى حياتنا واستطاعوا أن يقنعوا قادة الفكر فى أمتنا بأن الانطلاق فى التعامل الدولى من منطلق العقيدة واليقين تعصب شائن وانغلاق أحمق وتطرف مقيت.

ولم يقفوا عند حدود القول فى ذلك وإنما انطلقوا ليبشعوا فى نظر الأمة كل رمز يمت إلى الفكرة الإسلامية بصلة.

ولما كان أمر الأمة كله قائما على الإسلام ومصبوغا به فقد وجد الأعداء أنفسهم أمام معضلة عويصة إذ كيف يقنعون أمة تحكم بالإسلام سياسة وتتحاكم إليه شريعة وتتعامل به سلوكا وتهتدى به أخلاقا وتستند إليه تاريخا وترجع إليه عقيدة ودستورا بما هو مخالف لذلك كله بل بما هو ضده؟!

وبرغم صعوبة تلك المعضلة وخطورتها فإن الإصرار اليهودى الصليبى لم ييأس وإنما أحسن دراسة الحالة، ودقق فى التشخيص ثم ذهب ليضع منظومة العمل التى وزعت أدوارها بكل براعة وهيئت لها الأسباب لتؤدى هذه الأدوار بكل إتقان.

لقد بدأ القوم بدراسة عناصر القوة التى تضمن قيام هذا الكيان فعمدوا إلى استهدافها وأصروا على ضرورة إضعافها ثم إسقاطها.

المستشرقون

وحتى لايكون الكلام مجرد اجتهاد منى أو استنباط واستنتاج سأترك كبار مفكرى الغرب ممن

قادوا حملته الصليبية الأخيرة وحققوا لأنفسهم المراد وبلغوا بتخطيطهم وقيادتهم لجحافل تلك الجيوش إلى أخطر النتائج سأترك لهم المجال لنتعرف منهم على أخطر عناصر القوة فى ديننا، ثم ننظر كيف تعاملوا مع هذه العناصر؟ وكيف كانت نتيجة تخطيطهم؟

يقول أحد المسئولين فى وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م:

«إن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الإسلامى... (ويتابع) فلنعط هذا العالم ما يشاء ولنقو فى نفسه عدم الرغبة فى الإنتاج الصناعى والفنى فإذا عجزنا عن تخطيط هذه الخطة وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفنى والصناعى، أصبح خطر العالم العربى وماوراءه من الطاقة الإسلامية الضخمة خطرا داهما ينتهى به الغرب وينتهى معه دوره القيادى فى العالم»[١].

ويقول المستشرق الأمريكى و.ك. سميث:

«إذا أعطى المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى وعاشوا فى ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام سينتصر فى هذه البلاد وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها».

وينصح رئيس مجلة تايم فى كتابه «سفر آسيا» الحكومة الأمريكية أن تنشىء فى البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون سيطرة دعوة الإسلام على الأمة الإسلامية وبالتالى الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره».

إن الغرب كان واقعيا وعاقلا عندما فكر لنفسه ورصد الخطر بموضوعية ووضوح وأدرك عن طريق عقلائه وحكمائه طبيعة هذا الخطر وكيف يسقطوه؛ فكانت مرئيات المستشرقين الذين فرغوا جهودهم لدراسة الإسلام والولوج إلى أسراره تقابل بكل جدية واهتمام.

ولهذا فلم يكن غريبا أن ينشط هؤلاء لدراسة ديننا وعقيدتنا دراسة حولت علماء المسلمين تلامذة على أيدى هؤلاء المستشرقين الذين خدموا عقيدتهم أعظم خدمة عندما أهدوا إلى حكامهم وقادتهم نتائج أبحاثهم وخلاصة مرئياتهم فكانت تلك النتائج والأبحاث بمثابة المفاتيح التى أداروها فى نفوس أبناء المسلمين فغيروها.

---

(١) جند الله ـ سعيد حوى ص٢٢.

الغاية الشيطانية

لقد أدركوا مواضع القوة فى الإسلام فحذروا قادتهم منها وأعدوا الخطط المحكمة الدقيقة لكيفية إضعاف تلك العناصر وإسقاطها.

كما درسوا نقاط الضعف واستطاعوا ببراعة أن يستثمروا وينفذوا منها إلى ما يشاءون.

ولقد وضح جيدا أن نظام الخلافة الإسلامية الذى يضم أمة الإسلام جميعا فى كيان واحد هو أخطر ما يخشى منه الغرب على كيانه ومستقبله.

فهؤلاء الحاقدون لم ينسوا أبدا ما أصيب به آباؤهم من هزائم منكرة وضربات مرة إبان حروبهم الصليبية المتكررة مع المسلمين.

ولم ينسوا أبدا أن جيشا لايتحرك إلا بكلمة رجل واحد هو خليفة المسلمين أمر خطير فكان هدفهم الأول هو إسقاط ذلك الرمز الذى يستطيع أن يهز عروشهم ويذل كبرياءهم بإشارة من يده أو بكلمة من فمه.

وقد صرح أحد المستشرقين بقوله:

«إن أوروبا كانت تفزع من الرجل المريض لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بإشارة من إصبعه»[٢].

ومن منطلق إدراك الغرب لخطر الإسلام وإحاطتهم ومعرفتهم لحقيقته التغييرية رأينا الخوف الشديد فيما صدر عن كبار مفكريهم الذين تخصصوا فى تحصين أقوامهم ضد الإسلام واجتهدوا فى تشويه صورته لديهم حتى يطمئنوا إلى عمق الهوة بين أتباعهم الغربيين وبين الإسلام.

يقول المستشرق «هاملتون.جب»:

«إن تغريب الشرق إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع فى كل ناحية من النواحى وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله؛ فتفقد الأمة بذلك أعظم جانب من حيويتها وتبقى عالة على الغرب تتطلع إليه تطلع إعجاب وتقديس وعبادة وترى فى خضوعها له شرفا كبيرا»[٣].

تلك هى الغاية الشيطانية التى يحلم بها ويخطط لها المستشرقون قطع صلة

(٢) الغارة على العالم الإسلامى - محب الدين الخطيب.

(٣) هاملتون. جب، من كتابه «وجهة الإسلام».

المسلم عن ماضيه وتفريغه من الإحساس بعظمة هذا الماضى وقداسته بل يريدون له أن يتحول كارها لدينه زاهدا فيه وعند ذلك لايجد أمامه إلا ما يقدمه له أسياده المستعمرون فيتبعهم ويلهث وراءهم وهو فى هذه التبعية لن يكون شريكا وإنما هو تابع ذليل ولن يرقى فيهم إلى درجة المواطنة أو الشعور بالانتماء وإنما سيظل منبوذا محتقرا من هذا الكافر الذى أغراه وأضله لأن هذا النوع من الناس الذى سهل عليه خيانة أهله وازدرائهم لايكثر عليه خلع أسياده الجدد.

الإسلام دين الرحمة والتسامح

إن المؤامرة على المسلم لكى ينقطع عن أصوله ويكره ماضيه لايقصد منها أن يدخل النصرانية فذلك شرف فى نظرهم لايستحقه هؤلاء المتخلفون وإنما المقصود أن يفرغ من عوامل القوة التى تجعله يستعصى على التبعية والرضا بالكفر الصليبى أو اليهودى بعد أن يفرغ من عقيدته ومبادئه وهذا وحده مكسب كبير

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾

(النساء: ٨٩)

إن أبالسة الغرب يدركون عن يقين أن قوة المسلم فى عقيدته ولهذا كان استهدافها هو الهدف الأهم والأعظم فى أولويات حياتهم.

يقول جوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب»:

«الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب. إن الإسلام هو الذى أعطى المسلمين هذه الرحمة، وهذا التسامح، ونحن رأينا صورا مختلفة: مثل حرب الأفيون، وأقسى منها حروب الاستعمار الحديث وأشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبها للدماء والعدوان والإبادة».

وتلك شهادة من رجل رضع لبان النصرانية وتغذى على الكيد للإسلام، جاء إلى بلاد المسلمين باحثا عن نقاط الضعف لينفذ منها ويقدمها هدية لقادة الحروب من الصليبيين، ولكنه لم يجد مهربا أمام وضوح هذه الحقيقة من أن يعترف بها خاصة وأنها حقيقة تحظى بإجماع إخوانه من المستشرقين لكن منهم من ملك القدرة النفسية فأعلنها وكثيرون لم يستطيعوا إعلان ذلك.

ومن الصنف الأول الذى لم يجد بدا من إعلان إعجابه برغم شدة تعصبه لدينه: المؤرخ الإنجليزى المعروف «أرنولد توينبى» الذى يقول:

«أننى أغبط أتباع المجتمع العربى لما



تضفيه عليهم الأمة العربية، إنه فى داره ما دام فى بلاد عربية إسلامية».

هل يعى المسلمون دورهم؟

وهذه شهادة لرجل من أعظم كتاب الغرب فى القرن العشرين هو المستشرق الألمانى «باول شميز» يقول فى كتابه «الإسلام قوة الغد العالمية» الذى كتبه فى الثلاثينات من القرن العشرين: «سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق عودا على بدء، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية فى الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها».

فهل يعى المسلمون دورهم وهل ينتبهون إلى قوتهم ويدركون طبيعة المهمة التى وكلها الله إليهم فيتقدموا للعالم اليوم بطوق النجاة.

إن الغرب يعترف بقوة الإسلام وعظمته ويدرك حقيقة الإسلام ومدى خطورته لكن ذلك كله لاينبع من نفوس منصفة أو مشاعر متعاطفة وإنما مرد ذلك كله الخوف الشديد من أن يعود العملاق إلى القيادة ويستيقظ المسلم من جديد إنهم يجتهدون فى رصد الحقائق والاعتراف بالواقع حتى لايخدعوا أنفسهم وقادتهم فيضلون عن الحقيقة فيصابون فى تخطيطهم بانتكاسة أو يفاجئون بما لايحتسبون ولهذا فهم يقولون ما يقولون من باب التحذير والتهويل.

وإليك هذا النموذج من التحليلات السياسية الدقيقة التى يرفعها المستشرق الإنجليزى «هاملتون.جب» المستشار الثقافى لوزير المستعمرات البريطانى فى مصر لقادته يقول فى كتابه «وجهة الإسلام»: «هل يمكن أن نقع يوما ما تحت وطأة الخطر الإسلامى؟!» وبعد أن يذكر الأجوبة المختلفة التى تستبعد هذا الخطر أو مجرد توقعه يقول: «أجل إنهم اليوم ضعاف متفرقون لا نرى عزما أكيدا لدى شبابهم يحملهم على التضحية ولا نرى عند ذوى الرأى والوجاهة فيهم أنهم يستطيعون الجلوس معا جلسة جدية يتحدثون فيها عن مشاكلهم فضلا من أن يتمكنوا من حلها».

صلاح الدين الجديد

وبعد استعراض دقيق لأصول العالم الإسلامى واتجاهه نحو عقد المؤتمرات منذ بداية القرن العشرين وتشكيكه فى جدوى هذه المؤتمرات وأنها لن تبلغ غايتها حتى بعد مدة طويلة من الزمن



يعود فيقول: «ولكن ينبغى ألا تبالغ فى تقدير هذه المدة؛ لأن هناك ظاهرة كثيرا ما يهملها الباحثون فى حركات المجتمع الإسلامى مهما كان نوعها وهى أنها تنضج بسرعة مدهشة؛ حتى إن وجودها يندر أن يخطر على بال أحد قبل أن يندلع لهيبها ويروع العالم» ويختتم الرجل كلامه بقوله: «إن المسألة الكبرى هى مسألة الزعامة فحينما يجد الإسلام صلاح الدين الجديد رجلا يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة وبين شعوره برسالته الدينية يبلغ أعماق نفسه؛ فإن ما عدا ذلك ينحل من تلقاء نفسه»[٤].

وأختم هذه الشهادة التى يقدمها كتاب الغرب اعترافا بقدر الإسلام بما كتبه الدكتور أحمد شوكت عن المستشرق الغربى «ألبير شارود» الذى تناول الحديث عن المسلمين فقال:

«إن هذا المسلم الذكى الشجاع قد ترك لنا حيث حل آثار علمه وفنه، آثار مجده وفخاره، إن هذا المسلم الذى نام نوما عميقا مئات السنين قد استيقظ وأخذ ينادى ها أنذا لم أمت إنى أعود إلى الحياة لا لأكون أداة طيعة أو كتلا من البشر تسيرها العواصم الكبرى»، إلى أن يقول: «ومن يدرى؟ قد يعود اليوم الذى تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالمسلمين فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية فى الوقت المناسب أو الزمن الموقوت.. لست أدعى النبوءة ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها»[٥].

***

---

(٤) الأستاذ جوزيت سنعيد. لم هذا الرعب كله من الإسلام؟ ص١٦.

(٥) المصدر نفسه ص١٧.

من يقف وراء الإرهاب العالمى؟!!

للدكتور/ عبد الحليم عويس

عندما يكون الظلم هو القاعدة القانونية المسيطرة، وليس الشذوذ ـ يكون هذا إيذانا بخراب العالم وقيام القيامة، عندما يتحول المظلوم إلى ظالم والمجرم إلى قاضى ـ يقف العالم أمام منزلق خطير. فإما أن يناضل ضد قوى الظلم وإما أن يندثر وينتحر جماعيا.

ومن الغريب أن اليهودية العالمية وقوى الحضارة الأوروبية لم تحاول التعرف على الحق والعدل أبدا فلمدة (خمسة قرون والغزو مستمر..) هكذا يطلق هذا الشعار (نعوم تشومسكى) عنوانا لكتابه... وهو عنوان واضح الدلالة على أننا نواجه بأساليب مختلفة. سرية وعلنية. حربا صليبية منذ عدة قرون... فلم تضع الحرب الصليبية الواضحة أوزارها حتى هرع الأوروبيون. من خلال كتابات المستشرقين وطلائع الاستعمار الحديث ـ إلى تغيير خططهم والبدء بحرب أخرى ذات طبيعة خاصة (!!)..

إنه الصراع الدائم بأساليب مختلفة.. الإبادة للآخرين ولا شئ غير هذا..!!

● وقد حصلت بريطانيا على شرف تدمير ملايين المسلمين وإبادتهم فى شبه القارة الهندية وإفريقيا... أما فرنسا فقد كان لها فى الجزائر وحدها شرف إبادة ثمانية ملايين مسلم خلال مائة وثلاثين سنة...

● وهكذا نجد أن التوجه الصراعى خط مستمر شبه ثابت فى موقف الحضارة الأوروأمريكية من الآخر المسلم...

وانطلاقاً من الفكر الدينى الوثنى القديم القائم على (صراع الآلهة) فى اليونان، والفكر الفلسفى القائم على مقولات (نيتشة وهيجل) والفكر الاقتصادى القائم على (صراع الطبقات)، و(وحشية الرأسمالية) لصالح الأغنياء تحقيقاً لقاعدة عولمة الفقر لإبادة أربعة أخماس البشرية... ومروراً (بنهاية التاريخ) لصالح الرأسمالية عند فوكاياما، و(صدام الحضارات) عند (هنتنجتون) وأستاذه (برنارد لويس) المنظر (اليهودى البريطانى الأمريكى) الدائم لوجوب إبادة المسلمين بكل الطرق.

وانطلاقاً من هذه الرؤية العنصرية العنيفة ضد المسلمين يتعامل الغرب بمعايير مزدوجة لصالح اليهود

دائماً، ويعطل فعالية الأمم المتحدة ومجلس الأمن دائماً، ويفتعل صوراً من الإرهاب عن طريق أفراد مستأجرين أو ممسوخى العقل، أو جهلاء لا يُؤْبَه بهم من أجل تبرير إبادته الجماعية لشعوب إسلامية فى مقابل أخطاء فردية... والعجيب أنه يدين دون محاكمة أو إجراءات قانونية... وحتى اليوم مازالت حوادث ١١ سبتمبر بعيدة عن أن تخضع لمحكمة دولية عادلة... تعرف فيها الحقائق كما هى لا كما صورها طرف من الأطراف...

أرخص دماء

● إن الشعوب الإسلامية تواجه مشكلة مأساوية غريبة تدفع بعض أبنائها عن حدود الوسطية والاعتدال، فالجرم الصليبى والصهيونى هو القاضى، وعلاقته ببعض الحكام العرب علاقة غير معروفة المعالم، لدرجة تحار فيها بعض العقول فتتساءل: أحكامنا لنا ومعنا، أم معهم ولهم؟ وتمشى الشعوب بلا حارس يحميها ويقودها.. وكل ذلك يمضى والشعوب المسلمة تعانى من إذلال الدول الكبرى والصهيونية وقهرها وإبادتها للمسلمين أصحاب أرخص الدماء فى الأرض.. سواء فى فلسطين أم العراق أم أفغانستان أم غيرها.. وكما يقول رجاء جارودى: فإن الغرب سلب ونهب وقتل الآخرين طوال خمسة قرون بمنهجية مؤسسة تارة على أصولية دينية طبقاً لأخطر أساطير التاريخ الإنسانى: الشعب المختار، وأرض الميعاد، ومملكة المسيح على الأرض التى تشيَّد على دماء عشرات الملايين من القتلى... وتارة على علمانية ليبرالية طبقاً للداروينية الشاملة ذات البقاء للأقوى، وأن للأعراق الأعلى حقوقاً على الأعراق الأدنى، ومع ذلك كله، أى مع غزو الغرب للشرق لمدة خمسة قرون، ومع أن الغرب هو الذى أطلق حلقة العنف الشرير الأولى، فإنه إذا هبت شعوب الشرق والإسلام تدافع عن نفسها أصبحت إرهابية جديرة بسحقها[1].

ويرى مكولى: C.Mcauley فى دراسته عن سيكولوجية الإرهاب أن ردّ الفعل المتحيز ضد العرب والمسلمين يجعلهم يتجهون من مؤيدين ومساندين للجهود المبذولة لمكافحة «الإرهاب» إلى مساندين «للإرهاب»، كما يؤدى أيضاً إلى رد الفعل المتحيز إلى الشك بقوة، والكره الموجّه نحو العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية... أى تبادل الكراهية المستمر.

ويرى مكولى ـ أيضاً ـ أن العنف الذى تمارسه بعض المؤسسات الإسلامية ناتج أساساً عن السياسة الأمريكية التى تكيل بمكيالين بانحيازها الشديد لإسرائيل، واستناد هذه السياسة على الهيمنة والسيطرة والابتزاز والاستغلال لموارد الدول الأخرى فيما يخدم

---

١) روجيه جارودى، الإرهاب الغربى، ج٢، مكتبة الشروق الدولية ط١، ١٤٢٥هـ



المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى، فهؤلاء الذين يمارسون العنف من المسلمين يدركون أن الولايات المتحدة كانت ومازالت تؤذى المسلمين وتذلهم منذ خمسين عاما.

السيطرة الاستعمارية

لقد أشارت دراسة أعدتها سكرتارية الأمم المتحدة عن الإرهاب عام (١٩٧٩م) إلى أن أهم الدوافع وراء ممارسة الأنشطة الإرهابية هي السيطرة الاستعمارية والعدوانية على بعض الدول وممارسة التمييز العنصرى، واستخدام القوة من جانب بعض الدول، والتدخل في الشئون الداخلية، والاحتلال الأجنبى للشعوب، وممارسة العنف والقمع بهدف السيطرة على بعض الشعوب، أو إجبار السكان على التخلى عن أراضيهم.

كذلك أشارت الدراسة إلى أن أهم الأسباب استمرار النظام الاقتصادى الدولى غير العادل، وغير المتوازن.

- الاستغلال الأجنبى للموارد الطبيعية للدول بالقوة.
- التدمير المستمر أو المنظم من قوى أجنبية لدولة أو سكانها، أو للبيئة الطبيعية.
- الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان سواء من خلال السجن والتعذيب، أو الأعمال الانتقامية، والشعور بالجوع والحرمان والبؤس[٢].

لقد أصبحت الولايات المتحدة القوة الوحيدة فى العالم، وأصبحت الرمز الفعلى للجيش العلمانى والغربى، والقوة الاقتصادية الكبرى، ورمز الهيمنة والسيادة على بقية دول العالم «شرطى العالم».

ولقد أصبح ينظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدى الدول بأنها تجسيد للاستعمار الجديد، ورمز للقوى العلمانية والاقتصادية التى تفرض التغير الخارجي على كثير من دول العالم المستقرة فى الماضى بالترهيب والتهديد.

وبالنسبة للجانب الاقتصادى تدل إحصاءات البنك الدولى على أن ثلث أقطار العالم يعيش ما بين (٣٠-٤٠٪) من سكانها تحت خط الفقر، ويعيش (٤٠٪) من سكان العالم فى اقتصاديات يقل فيها معدل الدخل السنوى لكل فرد عن (٨٠٠ دولار)، وهناك (٢.٨) مليار نسمة فى العالم يقل دخل كل فرد منهم عن دولار فى اليوم، و(١.٣) مليار نسمة يقل دخل كل فرد منهم عن دولار واحد فى اليوم... وكل ذلك نتيجة جشع أمريكا، وأوروبا، والصهيونية، وتعمدهم السيطرة على مصادر الثروة وفرض الفقر باسم العولمة على أربعة أخماس البشرية، كما أثبت العالمان الألمانيان مارتن وشومان فى كتابهما الرائع عن (فخ العولمة)[٣].

---

٢) الأبعاد القانونية للإرهاب الدولى، مجلة السياسة الدولية، عدد (٨٥) يوليو ١٩٨٦

٣) سلسلة عالم المعرفة، دولة الكويت



انتهك الأمريكيون الحرمات وروعوا الأطفال و النساء فى العراق وفى غير العراق ومع ذلك اتهموا المسلمين بالإرهاب!!

وتدل الاتجاهات العالمية على أن (٢٠٪) من سكان العالم الأكثر فقراً لديهم (١.٢٪) من دخل العالم عام ١٩٩٧م، ويقدر البنك الدولى أن ما بين (٦٠٠) مليون إلى مليار سيولدون فى فقر مدقع ما بين عامى (٢٠٠٠-٢٠١٥م) وأن ثلاثة مليارات من الناس سيكونون فقراء فى هذا الوقت.

وهكذا فإن الموقف الظالم للدول الكبرى والصهيونية - مع سلبية كثير من مسئولى العالم العربى، ومنعهم شعوبهم - من الوقوف مع إخوانهم المسلمين الذين يتعرضون للقتل اليومى، والتعذيب الوحشى من جانب الديمقراطية الأمريكية والصهيونية...

هذا الواقع يفرض ظلاله النفسية والوجدانية على الإنسان المسلم فيندفع - لاسيما فى مرحلة الشباب التى يصعب معها الصبر والنظر فى عواقب الأمور - إلى الخروج عن الوسطية والاعتدال، فيميل إما إلى التفريط السلبى الذى يجعله ينحدر إلى السلوكيات المبددة لطاقته وعقله فيهمل كل شئ، وقد ينحدر إلى المخدرات والانحرافات القاتلة - أو يميل إلى الإفراط فينخرط فى سلك جماعة من تلك التى تجنح إلى التكفير والإرهاب.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾











للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

١١ الشريعة الإسلامية.. والقانون الإسلامى

«فى الإسلام، حل الله محل الآلهة البائدة الزائفة، وصار سيدا وحاميا لشعبه المختار، أمة المسلمين عندما أسلم أحد شيوخ القبائل فى الجاهلية، بادر النبى بقوله: «أنت ربنا».

فأسرع محمد يجيبه: «ربك الله».

فالإسلام هو دولة الله المباشرة، هو حكم الله الذى يرعى شعبه بعينه، ويكلؤه بحسن تدبيره. إن أساس الوحدة الاجتماعية، المسمى فى المجتمعات الأخرى «بولس» Polis و«كيفيتاس» Civi-tas (أى حكومة) يمثله (الله) عند الإسلام. فالله هو الاسم الذى يطلق على السلطة، العاملة فى حقل المصلحة العامة. وعلى هذا المنوال يكون بيت المال (هو بيت الله) والجند هم (جند الله).. حتى الموظفين العموميين هم (عمال الله)..».

***

«.. وعبثا نحاول أن نجد أصولا واحدة تلتقى فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأى على ذلك..

إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادىء الثابتة لايمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلا، وقد يحصل فى العادة خلط بين ناحيتين، فالإسلام كالمسيحية أو كأى دين آخر له عقائد مخصوصة ينفرد بها، مما لايمكن بالطبع أن يعرّضها أولئك الذين نزلت فيهم إلى النقد والبحث. ولكن من الظلم والتجنى أن



نصمها بالجمود والشدة، كما لو ألصقنا بالمسيحية التهمة نفسها، إذ يوجد فى أى نظام دينى عظيم الخطر جليل الشأن شىء أكثر من محض العقيدة..».

***

أسس المجتمع الإسلامى

وهى القانون الإلهى (الشريعة). إن طبيعة هذه الجمعية الملتفة حول الدين، والمستكنة تحت حكم الله، هى التى تحدد معنى الفقه والقانون، وهى بالنظر إلينا وإلى الأسلاف: مجموعة من القواعد السائدة التى أقرها الشعب، إما رأسا عن طريق ممثليه، وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق البشر وعاداتهم.

إلا أن التفسير الإسلامى للقانون هو خلاف ذلك، فإن صح أن الله هو رأس المجتمع الإسلامى وسائسه الأعلى، فالقانون لاشىء أمام إرادته. والقاعدة القانونية هى القاعدة التى يطبقها المشرع الأعظم (الله) على شعبه المختار، والخضوع لهذا القانون إنما هو واجب اجتماعى وفرض دينى فى الوقت نفسه. ومن ينتهك حرمته أو يشق عصا الطاعة عليه لا يأثم تجاه النظام الاجتماعى، بل يقترف خطيئة دينية أيضا، لأنه «لا حق ثم لما ليس لله فيه نصيب»..».

«فكل مسائل الفقه كان مرجعها الأخير- علم الكلام (اللاهوت)»..

***

الإيمان الصحيح

«هذا القانون، أو الشريعة، التى توزع العدالة بالقسطاس على الجميع بلا تفضيل، تستند إلى الإيمان القويم أساسا، فعلى المسلمين أن يفوا بالعهود التى يقطعونها على أنفسهم، وليس لهم أن ينتفعوا بمال مسلم آخر لم يجزهم..».

«وهذا التفسير للإيمان القويم إنما هو تفسير خُلقى أدبى بصورة جوهرية، حتى إنه ليرتفع إلى فكرة «المطلق» ومبدأ «الدولية». ومن المدهش أن يكون ذلك أقرب لفهمنا من التفسير الألمانى الإقطاعى للإيمان الصحيح، ذلك التفسير الذى يرى الإيمان منبثقا من الولاء والخضوع الشخصى، ولذلك، فإن شريعة الإسلام تفسح أوسع المجال لتحكيم الإرادة البشرية، وتعلق أعظم الأهمية على القصد القانونى، لا على نص القانون الحرفى. إن إرادة البشر كافية مهما كانت لخلق رابطة قانونية، ولكن قلما كان بطلان أو صحة أى مبدأ قانونى مرهونا بأمر شكلى أو بنص حرفى فى الشريعة الإسلامية. يتجلى ذلك بمقارنته بما لا يُحصى من القواعد الشكلية فى قوانين الجرمان. فقاعدة: «الرضا فى العقود يجعلها ملزمة» هى قاعدة جوهرية فى نظر فقهاء القانون..».

***

المساواة

«تحريم الربا بأى شكل كان، النفور من كل أنواع المضاربة، بطلان أى اتفاق أو عقد غير مؤكد النتيجة. كل هذه المميزات فى الشريعة الإسلامية انبثقت من هذا الأصل وبنيت على المبدأ العام

(المساواة) وبكلمة أخرى : تكون العدالة رائدة المساواة فى كل مرحلة من مراحلها ، والافتئات عليها إنما هو ضرب من المستحيل .

ولقد اعتاد الفقيه القانونى أن يضع نصب عينيه تثبيت كفتى الميزان كلما رجحت إحداهما على الأخرى ، أعنى إلغاء وخنق كل محاولة ترمى إلى تطبيق النص الحرفى مدفوعا « بخدمة العدالة » كما جرى علماء القانون عندنا على تسميته . . » .

***

« . . ومن بين المسائل القانونية التى غنمناها من الشريعة الإسلامية ، الأنظمة القانونية الخاصة بالشركة المحدودة (القيراط) وبعض المصطلحات القانونية الفنية فى قانون التجارة . وإننا لو ضربنا صفحا عن كل ما تقدم ، فلا شك أن المستوى الأخلاقى الرفيع الذى يسم الجانب الأكبر من شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية ، وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقى على مر الدهور . . » .

***

« أيكون معنى أن الشريعة الإسلامية مرجعيتها دينية ، أن الفكرة الدينية قد أعاقت تطور القانون الإسلامى ؟ . .

هذا الاستنتاج ليس إلا سوء فهم لتلك الوحدة الفكرية التى يتمثل فيها مصدر قوة الإسلام الرئيسى . إن علم القانون ليس إلا جزءا من علم الكلام (الثيولوجيا) ، وربما كانت الشريعة الإسلامية ، قد صرحت بالثيوقراطية أكثر من الشريعة المسيحية بمقارنتها مع الحكم المدنى ، ولكن يجب ألا ننساق كثيرا وراء هذا التفسير ، فلو ازددنا تأملا لوجدنا أن ما ذهبنا إليه هو المعنى الذى قصده فقهاء المسلمين .

إن الفارق بين حقوق الله وحقوق العباد ليس فيه من معنى أكثر من الفارق بين القانون العام والقانون الخاص ، وللفكرة الدينية بلا ريب أثر عظيم ، ولكن ليس بالمقدار الذى يظنه المرء ، هذا التأثير مستمد من الصبغة الأخلاقية التى تسود القانون ، أى من العلاقة التى تقترب غالبا لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيدا تاما . فأحكام الشركة والقرض وشروط الشهادة وعلاقة العبد بالسيد وعلاقة المدعى والمدعى عليه ، وكل اتفاق أو عقد يتهيأ فيه موضوع علاقة قانونية ذات صبغة أخلاقية ، لهو أسمى درجة من أن يكون محض منفعة . فالرهن مثلا شكل من أشكال المعونة المتبادلة ، لأن المرتهن يعين المالك على الاحتفاظ بملكه :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[المائدة : ٢]

وفى الحديث : « الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » [رواه الإمام أحمد] .

« . . وهكذا ترسم الأخلاق والآداب فى كل مسألة حدود القانون ، وبذلك جاء الحديث النبوى : « ما ليس لله فيه سهم ليس للمرء فيه حق »(١) . . وسهم الله هو إرادته فى منحه كل شخص ما

(١) مسند الإمام أحمد ج٦/١٤٥ بلفظ مختلف.

يستحقه ، وليس له أن يجور على ما يعود لغيره . وإنا لنجد أنفسنا أخيرا وقد بلغنا مرحلة « الحق المطلق » ، الذى هو أساس المجتمعات المتمدنة قاطبة . . » .

***

« . . إن الفقه حقيقة اجتماعية ، يتعلق قسم منها بالفرد وقسم بالمجتمع ، فكل شيء لا ينضوى تحت لواء المنافع الشخصية يطلق عليه اسم (حقوق الله) ، لأن الله فى الشرع الإسلامى يقوم مقام سلطة المدنية أى Givita وهو المبدأ الرومانى القديم . ومن الحقوق الإلهية ، القوانين المتعلقة بالعتق والوصاية والأنكحة وصلة الرحم وقانون الجزاء وتحريم الربا ، هذه القوانين لا يمكن التغاضى عنها أو التقليل من شأنها ، لأنها متعلقة بمصلحة المجموع ، أو بتعبير أصح « بالنظام العام » ، وهى خارجة عن إرادة الفرد .

أما القسم الثانى من الحقوق ، وهى الحقوق المتعلقة بالفرد وشئونه الخاصة ، فتسمى « بحقوق العباد » . فإذا جعلنا الحرية نقطة البدء (الحرية هى أولى القواعد فى الشرع الإسلامى) ، وجدنا فقهاء المسلمين قد وصلوا إلى هاتين النتيجتين :

١- تجد الحرية حدودها فى طبيعتها نفسها ، لأن الحرية المطلقة معناها فناء البشرية .

والحدود التى تقف عندها الحرية هى ما اصطلح على تسميته : بالقواعد القانونية (الشريعة) .

٢- ليس فى هذه الحدود اشتطاط أو غلو ، لأن الغاية المتوخاة من فرضها هى المنفعة والصلاح والخير بأعظم ما يستطيع الفرد أو المجموع أن يجنى منها تلك المنفعة والصلاح والخير بأعظم ما يستطيع الفرد أو المجموع أن يجنى منها تلك المنفعة -وهى الغاية التى تهدف إليها الشريعة- إنها أيضا محدودة ومقيدة .

إن لمحة خاطفة نلقيها على مختلف الأنظمة القضائية ، قد يكون لنا فيها بعض العون -على تعريفنا- بالقواعد العملية لهذه الشريعة .

لما كان الفرد خليفة الله فى أرضه ، فقد وهبه خالقه ملكات تدرك الحقوق ، وأسماها حق المرء -بوصفه فردا- فى السلامة والحرية ، فالحرية هى الحق الطبيعى لكل مخلوق بشرى ، أما الرق فهو استثناء تلك القاعدة « كان آدم وحواء وكلاهما حر » . . من هذا المبدأ استخلص الفقهاء المبادئ العديدة » .

فللمرء أن يقتنى ما يشتهى ، ويصنع بماله ما يريد ، لأن متاع الدنيا جميعه خُلق لاستعمال البشر وانتفاعه ، ولكن الله ، مقرر حق الملكية والحيازة ، وضع لهذا الحق حدا ، وأتاح الفرصة لكل امرئ فى معرفة المقدار المخصص له من مصادر الثروة العامة ، صيانة للنظام الاجتماعى .

لكن يخطئ من يظن أن الملكية -باعتبارها حقا- إنما هى غير محدودة ، فهى فى الواقع تجد حدودها فى طبيعتها نفسها ، أو فى الهدف الذى تسعى إليه .

إن الله وهب المرء متاع هذه الدنيا ليصلح بها حاله ويكفى حاجته ، وبمعنى آخر ليحسن الانتفاع به لا ليبدده أو ليبعثره نزولا عنه أهوائه ونزواته الطارئة .

فلو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية المستوحاة من القرآن الكريم والعُرف لوجدناها تتجاهل مايسمى « بحق الاستعمال والتمتع » ، فهى ترى فى كل

صرف لا نفع فيه تبذيرا، وهو إثم بالنتيجة. فالسفه فى نظر الشريعة هو نوع من الخلل العقلى يحجر على كل مبتل به شرعا.. هذه الشريعة حريصة على الاعتدال والقسط فى كل شىء، واتباع الطريق الوسط فى إنفاق الثروة، لكونه يتفق تماما مع حكمة الشارع وطبيعة الشريعة من حكمة الله فى إغداق آلائه ونعمه على البشر..»

***

«ومما لامراء فيه أن الشريعة لم تتدخل فى جميع التفاصيل. حسبها أن تتناول عددا معينا من القضايا ذات الطابع القانونى البارز فتبحثها وتشرحها. وقديما قال المشترعون الرومان: «إن قوة القانون هى فى الأمر والنهى، والسماح والعقاب». على أن الشريعة الإسلامية، ذات الطابع الدينى، لم تلبث أن أضافت مبدأين قانونيين إلى ما سبق ذكره، وهما: المقبولات والمستهجنات. فإذا أسقطنا القسم العقابى من الشق الأول وأضفنا إليه المبدأين الجديدين، تم لدينا أوجه خمسة للقانون السائد بشكله التام.

إن هذه المبادىء القانونية، على تعدد أشكالها، تؤول إلى غاية واحدة هى الرفاه العام (المصلحة)، لذلك، فليس لهذا القانون الإلهى مصدرا والبشرى هدفا، إلا سعادة البشر ورفاهه.. والعين النافذة لا يمكن أن تخطىء رؤية هذه الغاية وإن شق عليها أن تتوضحها لأول وهلة.

إن القانون السائد (الشريعة) -ومعناها بالعربية «الطريق القويمة»- هو نظام لضروب أشكال النشاط البشرى الذى يهدف إلى تيسير الحاجات الدنيوية»..

***

«إن الشريعة الجديدة ألغت القيود الصارمة والمحرمات التى فرضتها شريعة موسى على اليهود، ونسخت الرهبانية المسيحية، وأعلنت رغبتها الصادقة فى مسايرة الطبيعة البشرية، والنزول إلى مستواها، واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية فى الحياة..

«يسروا ولا تعسروا»[2]، تلك هى التعاليم والأوامر التى كان النبى يبلغها إلى من أرسل إليهم».

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

[البقرة: ٢٨٦]

إن للإسلام بعض الميل إلى الصوفية، ولكن لا إلى الزهد. وبعبارة أجلى، إنه لا يقر تعذيب النفس وإماتتها بالتقشف وبسائر الوسائل الأخرى التى تضعف البدن وتكبت الغرائز البشرية الطبيعية. إنه يحض المؤمن على التمتع بـ[الطيبات] التى أنعم الله بها عليه، شريطة أن يقيم الحدود ويخضع للسنة التى وردت فى القرآن، وهى ليست بالكثيرة ولا بالصارمة.

إن الشريعة الإسلامية تحبذ كل نشاط عملى مجد، فهى تشجع الزراعة والتجارة وكل أنواع العمل، وتعزر أولئك الطفيليين الذين يعيشون على كواهل غيرهم، وتحتم على كل فرد أن ينفق

(٢) البخارى ١/ ٢٧.

على نفسه من كدحه وكسبه، ولا تحتقر أى عمل متى أغنى صاحبه عن غيره وكفاه ذل السؤال.

يقول «رينان» [١٨٢٣- ١٨٩٢م] «الإسلام هو دين الإنسان، فروح الشريعة الإسلامية تتسم بطابع جلى، هو إفساح أرحب المجالات للأعمال البشرية».

***

«ولما كان الشرع الإسلامى يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية، غير جامدة، خلافا لشريعتنا [الرومانية] -من بعض الوجوه- ثم إنها علم مادامت تعتمد على المنطق الجدلى الديالكتى، وتستند إلى اللغة، إنها ليست جامدة، ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة، ومدارسها الفقهية العظيمة تتفق كلها على هذا الرأى، فيقول أتباع المذهب الحنفى: إن القاعدة القانونية ليست بالشىء الجامد الذى لا يقبل التغيير، إنها لا تشبه قواعد النحو والمنطق، ففيها يتمثل كل ما يحدث فى المجتمع بصورة عامة، وهى تتغير بتغير الظروف والأحوال، والقانون أيضا عرضة للتبديل والتغيير نظرا للاستعمال والتطبيق. وتتفق المالكية مع الحنفية فى هذا الصدد، ويقولون: «المنفعة هى مبدأ الفقهاء والمشرعين». ولقد أدرك الغرب بوضوح تام سر هذه المرونة، وهو الاستعمال بلا ريب. فالمجتمعات بوصفها أعضاء حية تعترضها فى حياتها تغييرات مستمرة..»

«إن أسس السلطة العظيمة التى منحها الفقهاء المسلمون للعرف والعادة هذه، إنما هى شكل من أشكال القواعد غير المكتوبة التى تكمن فيها القدرة على صنع القانون وتبديله وتحويره «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن»، فعندما يكون هذا الاستحسان (الاستعمال) ثابتا موافقا للنظام العام، غير مخالف للأخلاق الحميدة، أو مضاد لقواعد الشريعة العامة، كان له إذ ذاك قوة القانون، لا بل كان الجزء المتمم له..»

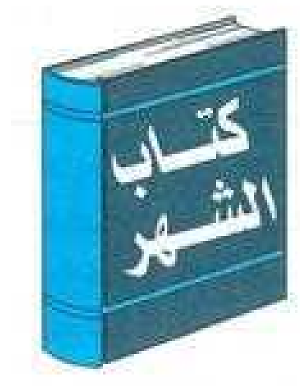
«إن الشريعة لم تقتصر على قبول العرف وحده، بل أخذت تتبعه فى كل تغيراته (القاعدة العامة تقضى بأن تكون الممارسة والعادة مصدر كل قانون، تلك العادة التى لا تتغير إلا بعادة)».

تلك هى الميزات التى تسم الشريعة الإسلامية فى كبد حقيقتها، قد تجرؤ على وضعها فى أرفع مكان، وتقليدها أجل مديح علماء القانون، وهو خليق بها.

ومجمل القول: أنها سمت حتى أصبح علينا أن نترسم وجه مقارنة بينها وبين قواعد وإجراءات القوانين الإقطاعية السائدة -[يقصد فى الغرب]- أيام ازدهرت الشريعة الإسلامية.

أما ما يفتقر إليه الشرع الإسلامى، فهو ما كانت تفتقر إليه جميع الشرائع التى سبقتها وعاصرتها وكثير من الشرائع التى لحقت بها، أعنى وجود مسحة من الفوضى وعجز فى التبويب والتنظيم، تلك الأسباب التى أدت بالعرب إلى الضعف السياسى، وكانت فى الوقت نفسه مصدر الضعف الذى تخلل نظامهم القانونى..»[3].

(٣) المصدر السابق ص٤٠٩، ٤٢١، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٢، ٤٣٣-٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٣٦، ٤٣٨- ٤٣٨، ٤١٦- ٤١٨، ٤١٣، ٤٣٨.



الإرهاب الغربى

تأليف

روجيه جارودى

ترجمة

د. داليا الطوخى د. ناهد عبدالحميد
د. سامى مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



الإنســـان - بأصل تكوينه وإيجـــاده - مفطور على كل ماينمو به فى المسار الذى يؤدى به دور الاستخلاف فى الأرض الذى أناطه به الخالق جل وعلا وفق علمه وتدبيره، على ماأوضحه سبحانه وتعالى لملائكته فى قوله:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة:٣٠)

وقد هيأ هذا الخالق العليم فى كيان ذلك الإنسان بذور الدوافع التى تحركه وتقوده لأداء دوره فى الأرض، وهيأ له من الإمكانات مايستعين به على أداء ذلك الدور، وربط بين الدوافع والإمكانات المحدودة بحدود الذاتية الفردية، وبين الدوافع والإمكانات المطلقة العامة والشاملة، وجعل الأرض ومايكنفها من الاتساع والرحابة بالقدر الذى لايضيق بالإنسان فيها مسعى مستقيم، ولايعجز أمامه مكان عن تلبية حاجاته الحيوية!

ولكن هذا الإنسان - فى مسيرته الوديعة تلك - عنت له عوارض الأثرة والذاتية، فزلزلت الأرض الثابتة تحت قدميه، فمادت تلك العوارض بمن استجاب لها عن الطريق السوى، واستولى عليه من الأوهام الخادعة ما أفقده الاستبصار. ونأى به عن توازن الفطرة، فرأى نفسه على غير حقيقتها.. حتى ادعى الألوهية.. بل الألوهية المتفردة، على نحو ما قرره فرعون موسى فى قوله:

﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾

(النازعات: ٢٤)



ثم فى قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾

(القصص:٣٨)

وبهذا صار الإنسان فى الأرض غير الإنسان، بعد أن انخلع من مقومات الفطرة التى فطره الله عليها، وتجلى ماأرشدنا إليه المصطفى ﷺ فى قوله:

«كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه، وينصرانه..» (سنن أبى داود: ٤/ ٢٢٩).

وهكذا.. حل الفساد فى الأرض محل النماء، وذاق الإنسان - كل إنسان - ألوان الذل والهوان على يدى أخيه الإنسان، على مانبه إليه المولى سبحانه فى قوله:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾

(الروم:٤١)

وقد بدأ ذلك أول مابدأ فى هيئة سلوك فردى، كان من أحد أبناء آدم قبل أخيه، حيث نفس أن تُقُبِّل قربانه. ولم يتقبل منه هو ماتقرب به، فقتله.. ثم أصبح هذا السلوك الشاذ - مع مرور الزمان - ظاهرة عامة، ضجت منها الأرض التى أفعمت تربتها بدماء الضحايا، وتحول الإنسان بذلك عما أناطه الله به من استخلافه فى الأرض.

وجارودى - فى ثنايا كتابه هذا - يقدم إحدى مراحل هذا التحول الإنسانى عن فطرة الله سبحانه.

ميلاد الوحش فى الإنسان وتطوره

وفى الفصل الثالث (نشأة المتوحشين) ترجمه الدكتورة ناهد عبدالحميد.. ينتقل (جارودى) مع الإرهاب الغربى إلى ميدان آخر أفرخ فيه هذا الإرهاب وتفاقم، لينتهى بالإنسان الى المذهب الذى يدفع إلى تحقيق المنفعة البحتة، وفرض السيطرة الرأسمالية، بعد التجرد من أى معنى إنسانى يميزعن الوحش الكاسر فى الغابة.

ويذكر جارودى: أن الطريق إلى هذه المنفعة وتلك السيطرة لم يكن سوى قصر الإنسان على غاية واحدة، يصل إليها بالتطور المستمر للعلوم والتكنولوجيا، وماهذه الغاية إلا السيطرة والمنفعة، أو (رأسمالية المجتمع).

ومن هنا.. تبدو حتمية الاستعمار الذى يلزم هذا الإنسان الوحش بأن يدمر كل الثقافات غير الغربية، ويمحو كل الأخرى للتفكير والحياة، وذلك لكى يتمكن من خنق أى توجه مقاوم.

ومثل جارودى لذلك المسعى من هذا الوحش بشعار (التنمية)، ذلك الشعار الذى يعمى به أعين فريسته، ويضم

آذانه، حتى يخلد إلى الاستسلام المطلق أمام ما يفعل به وبثرواته، وبقيمة، وبثقافاته.

وإذا كانت (التنمية) تعنى فى المفهوم السوى: البدء بتنمية الفرد، وتعهد طاقاته الجسمانية والفكرية، والروحية بالازدهار، حتى يتمكن من المشاركة الخلاقة فى تحسين القديم من المخترعات، وتقديم الحديث من الإبداعات.. بما يستلزمه هذا من إقامة علاقات اجتماعية، تعمل على إذابة الفروق العميقة، ومن توفير للحرية ذات المسئولية، ومن خلق الوسائل التنموية التى تتلاءم مع تنمية كل أفراد المجتمع، ومن توفير للحاجات المباشرة اللازمة للمتطلبات المعيشية، والاحتياجات الثقافية والروحية والفكرية.. يقول جارودى : إذا كانت التنمية فى المفهوم السوى تعنى هذا، فإن التنمية فى التعبيرات الغربية المعاصرة يتم تحديدها وفقا لمعايير معينة أحادية الجانب، واقتصادية صرفة، فهى تنمية نوعية للانتاج والاستهلاك، لاتعتمد على إرادة الإنسان، ولا على أى خاصية من خواص الحياة.

أى : إن التنمية التى تسود المجتمعات الغربية المعاصرة.. إن هى إلا سعى لتحقيق المنفعة المادية الاستهلاكية، وليس لتحقيق تنمية الإنسان.

ولهذا.. كان الشرط الأساسى لتنمية الغرب.. هو نهب القارات الثلاثة، واستنزاف ثرواتها لصالح أوروبا وأمريكا الشمالية، مما أدى إلى تخلف مايطلق عليه نفاقا (العالم الثالث)، فالتخلف هو التعبير الواقعى عن علاقة استغلال بلد بلدا آخر، إذ التنمية والتخلف هما الأساس للنظام الرأسمالى.

فالنمو الغربى قام على إبادة الهنود فى أمريكا، وماصاحب ذلك من حماية تجارة العبيد لاستغلالهم فى المناجم، وزراعة الأراضى الأمريكية. ومن السيطرة السياسية والعسكرية على أفريقيا، وأكبر جزء من آسيا وأمريكا اللاتينية، وذلك لضمان الاستثمارات المربحة للغاية فى الصناعة والتجارة، عن طريق بخس أجر الأيدى العاملة، ورفع أسعار المنتجات المستوردة.

ثم ظهر أخيرا نمط جديد من استغلال العالم الثالث .. تمثل فى الشركات متعددة الجنسيات الأجنبية التى تقام داخل الحدود الوطنية، لتنظيم عملية النهب فى حماية القوى الكبرى، مثل الولايات المتحدة.، كما رأينا صنيعها فى (جواتيمالا) وفى (فيتنام) ثم فى (العراق).

وهكذا.. استطاعت أوروبا أن تقضى على صفة (الإنسانية) لتقيم نهضتها

على سيطرة السوق وتفرده، وتقديس المال، فقسمت العالم قسمين، من يملك، ومن لايملك. وجعلت المال هو القوة المحركة لكل الأفعال، فحولت العالم مرة أخرى إلى عالم متوحش، يحيا فى أدغال رأس المال، على الرغم من المحاولات الحادة التى بذلها كثير من المفكرين لإيقاف زحف هذه البربرية المتوحشة.

ومثل جارودى لهؤلاء بـ(توماس مور) الذى أعدمه الملك (هنرى الثامن) ١٥٣٤م، لمحاولته التصدى لزحف هذا الوحش، ودعوته إلى التنمية التى تهدف إلى تحقيق رفاهية الإنسان، لا إلى تكديس الذهب.

ومثل بالكاتب الفرنسى (مونتانى) ١٥٣٣ / ١٥٩٢م، الذى أدان التوجهات الجديدة للتاريخ، وأشار إلى الحال التى يمكن أن يصبح عليه التقاء العالمين، إذا التقيا على الحوار، والتفاعل المتبادل، وليس على إلغاء الآخر، والسلب بالقوة والإبادة، ثم تساءل عن الحال التى كانت سيصبح عليه العالم لو التقت أوروبا وأمريكا الهندية فى أمور تختلف عن طموحات المرتزقة، والتجار المتعطشين للذهب.. إن معظم الأحاديث والمفاوضات التى أجريناها - نحن الأوروبيين - معهم تدل على أنهم ليسوا فى مرتبة أدنى منا، من حيث وضوح الفكر التلقائى، والفطنة! كم كان الأمر سهلا لتحقيق المنفعة المادية فى تعاملنا مع هذه النفوس البريئة، ولكنا استغللنا جهلهم وعدم خبرتهم.. فى إخضاعهم لعاداتنا، كى يحذو حذونا، سواء بالخيانة، أو بالإغراء، وبالترف، أو بالبخل. وبكل أنواع الممارسات اللاإنسانية والقسوة القاهرة.

ومثّل بالسيد (Bartolomede las casas) الذى يؤكد همجية الغازين قائلا: «كى يطعموا كلابهم، كانوا يكبلون الهنود، ويقتادونهم، ويقتلونهم، ويجعلون من لحمهم البشرى جزارة متنقلة»، «إن همجيتهم لايمكن أن تقارن بهمجيتنا، فلقد تفوقنا عليهم فى كل أنواع البربرية».

مقومات الإرهاب الأوربى الحديث

ورجاء جارودى - بنظراته المتأنية الفاحصة - يرى: أن الغرب انتقل بمسلمات (بولس) التى باركت القوة الغاشمة، والعنف المدمر، وفرضتها.. مع دعمها من الغرب بمسلمات ثلاثة جديدة تمد الثقافة الغربية بالقيم المناسبة للتحديث، وتصنع المحور الفريد للمبادرة التاريخية.. هذه المسلمات هى مسلمة (آدم سميث) الإنجليزى فى العلاقات الإنسانية، ومسلمة (ديكارت) الفرنسى فى علاقتنا مع الوجود، ومسلمة (فاوست) الألمانى فى علاقاتنا

الأرباح، هما المضاربة، والطفيلية، دون تفكير فى أى إنتاج مفيد للبشرية. حتى أصبح أفضل معيار يحدد العمل الخلاق هو العمل الذى يزيد من معدل تراكم الثروات، وحتى أصبحت كلمة (التقدم) تعنى: الانحراف الأعمى الذى يقود إلى تدمير الطبيعة البشرية، وحتى أصبحت كلمة (الديمقراطية) تعنى: انتهاك حقوق الإنسان، وحماية الأغنياء فى تحقيق مزيد من الثروات، وتغذية الصراعات والحروب الأهلية فى الدول الأفريقية والآسيوية، والتدخل السافر فى الشئون الداخلية للدول المقهورة فى العالم الثالث بدعوى صيانة حقوق الإنسان.

وحتى أصبح مايطلق عليه (التبادل الحر) أو (السوق الحرة) وسيلة يفرض بها الأقوياء قواعدهم الديكتاتورية غير الإنسانية لافتراس الضعفاء.

وحتى أصبح مايطلق عليه (العولمة) لايعنى سوى الاتحاد الاستعمارى لتدمير التنوع الحضارى، وفرض أحادية ثقافية، تطمع فى الهيمنة على هذا الكوكب.

وهكذا.. أصبح مايطلق عليه (تنمية) إنما يعبر عن نمو اقتصادى بلا نهاية، دون اكتراث بكونه مفيدا أو ضارا، حيث عُدَّ من التنمية.. إنتاج الأسلحة بكافة صورها، والمخدرات بكافة أنواعها.

وبذلك.. انتصر حفارو القبور الذين حاولوا وضع قواعد منظمة لكل العلاقات الإنسانية فى السوق، فأضافوا (توحيد السوق) إلى (الذرَّة)، و(الصاروخ) لتحقيق وحدة تدمير العالم، على الرغم من توفر الوسائل التى يمكن أن تسمح بتحقيق نوع آخر من توحيد العالم. مثل وسائل الاتصال البرى والبحرى، والجوى المستحدثة.

فتزايد معدل الدمار والخراب فى ظل هيمنة جماعات المافيا، وتزايد أعداد العاطلين والمستبعدين ليملؤا شوارع كل الدول، تحقيقا لما ترمى إليه الأصولية العولمية - بتعصبها المتطرف - والاستعمار ببطشه الطاغى من فرض عالم واحد، له اقتصاده، وسياسته، وجيوشه وثقافته، وديانته الواحدة، ورفض أى تنوع.

من وسائلهم التدميرية

وينبه جارودى إلى: أن انتصار هؤلاء الأصوليين المنتمين إلى الكنيسة الشمولية التى تهيمن عليها عقلية استحوازية تجلب البؤس، والحرب، والتفرقة النوعية.. انتصار هؤلاء دفعهم إلى السخرية من قيامة (يسوع) واختياره التفضيلى للفقراء.

وساعد على ذلك.. ماأصيب به المسلمون من مرض الانغلاق، والعصبية

العمياء، والقصور فى فهم جوهر الإسلام بعالميته التى تجلت كل الأنبياء، وأسهمت فى مزج الثقافات والحضارات، دون انغلاق.

١- ثم يذكر جارودى أن هؤلاء الأصوليين يعتمدون - فى تحقيق مآربهم - على طائفة من الحكام الدمويين يمكنون لهم فى كل موطن يريدون استعماره، من دول أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وآسيا، وبخاصة فى الدول المهددة بالمجاعة، وتفشى الأمراض المعدية.

٢- ويرى جارودى أن من الوسائل التى تقود بها أمريكا دول العالم - خصوصا أوروبا - مايقوم على ماقرره من قبل (ترومان) فى قوله: إذا رأينا أن ألمانيا تتفوق فعلينا مساعدة روسيا، وإذا احتلت روسيا مكان السبق والانتصار فعلينا مساعدة ألمانيا بطريقة تقود إلى الاقتتال المستمر بين الاثنتين قدر الإمكان.

وفى الوقت نفسه.. تقوم على مارصده المدير التنفيذى لصندوق النقد الدولى فى ٣٠ مارس ١٩٩٢ فى قوله: «لقد أظهر النظام الذى قمنا بصياغته وتطبيقه والدفاع عنه أنه يتمتع بقدرة عالية على خلق وتكوين الثراء وزيادة معدل التراكم الرأسمالى.. دون أن يكون للجانب الإنسانى فى هذا النظام الأهمية اللازمة. وقد أصبح الفرد فى هذا النظام يعمل وفق هدف وحيد، مفاده: الإنتاج، ثم الإنتاج لزيادة معدل التراكم الرأسمالى فى المجتمع لصالح قلة مهيمنة، حيث إننا تجاهلنا الوظيفة والبعد الاجتماعى والإنسانى لهذا النظام الذى ندافع عنه من خلال توظيفنا للأفراد حسب أهداف النظام».

٣- ومن وسائلهم - كذلك - تقبل الفساد أساسا من أسس النظام، بل والثناء عليه.

ففى فرنسا مثلا: عرف (آلان كونا) منطق نظام (اقتصاد السوق) بأنه: «صعود الفساد والأنانية التى تدفع الأنشطة المالية والإعلامية حيث تتيح بعض المعلومات ثروة لايمكن لأى عمل جاد أن يحققها طيلة حياة كاملة»، ويضيف: «يلعب الفساد دوراً مهما فى تحقيق بعض الأهداف التى يتم صياغتها، والتخطيط لها فى هذا الاقتصاد».

وفى ألمانيا، قرر (هورست إبرهارد): أن «من يريد أن يحكم عليه أن يمارس الفساد، والتفاعل بين فن الفساد والخضوع للفساد يخلق، ويحفظ، ويحمى النظام.. فى السياسة لا يوجد مكان للضمير، لأن هذا يعنى: غياب القدرة على التحرك».

«يتبع»

الخيار العسكرى وإيران النووية

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يشغل الملف النووى الإيرانى، بال الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس «جورج بوش»، فهو يمثل التحدى الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد أن أعلنت إيران، برئاسة «محمود أحمدى نجاد»، أنها على أعتاب دخول النادى النووى العالمى، بعد نجاحها فى تخصيب اليورانيوم بنسبة ٤,٨٪، وأن ما يقلق أمريكا كثيراً، أن يتحول البرنامج النووى الإيرانى.. فى ظل احتكار إسرائيل لترسانة نووية ضخمة الى إنتاج السلاح النووى حتى لا تكسر إيران هذا الاحتكار النووى الإسرائيلى فى المنطقة.

وعلى الرغم من تأكيد طهران أن برنامجها النووى مخصص فقط لإنتاج الطاقة الكهربائية، لكن الإدارة الأمريكية لا تثق فى النوايا الإيرانية، وتصر على إيقاف تخصيب اليورانيوم على الأراضى الإيرانية، حتى لو أدى ذلك إلى استخدامها القوة العسكرية ضد إيران الشيعية المسلمة، فتؤكد تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزا رايس» مدى ضيق الخيارات أمام الإدارة الأمريكية الحالية، خصوصا الخيار العسكرى، فتقول: «إن الولايات المتحدة، قد تلجأ إلى خيار شن الحرب ضد إيران، من دون موافقة مجلس الأمن الدولى، إذا عجزت عن إصدار قرار من هذا المجلس، وذلك اعتماداً على حقها فى الدفاع عن النفس».

العاصفة تتجمع

ويبدو - كما يذهب البعض - الى أن الضربة العسكرية ضد إيران، قد انتقلت من دائرة الفكر إلى دائرة التخطيط، فإن تدفق العديد من التقارير والتحليلات عبر وسائل الإعلام المختلفة، فى الآونة الأخيرة تكاد تجمع على أن احتمال اللجوء إلى الخيار



العسكرى بات وشيك التحقيق. فقد نشرت جريدة «واشنطن بوست» فى التاسع من ابريل ٢٠٠٦، تقريراً كتبه كل من «بيتر بيكر»، و«دافنالينز»، و«توماس ريكز» تحت عنوان: الولايات المتحدة تدرس خيارات توجيه ضربة عسكرية إلى إيران». كما نشرت وكالة «نوفوستى» الروسية للأنباء فى الرابع عشر من ابريل ٢٠٠٦، تحليلاً كتبه الجنرال «جينادى يستافييف» تحت عنوان: «العاصفة تتجمع فوق إيران». فكل هذه التحليلات السياسية التى اخترنا منها نموذجين تؤكد أن الخيار العسكرى- فى الرؤية الأمريكية- بدأ يتحول من «دائرة الخيار الأخير»، إلى «دائرة الخيار الوحيد». فيرى المحللون أن الولايات المتحدة تملك فى يدها من الأوراق الضاغطة، ما يحقق لها الفوز على الساحة الإيرانية، إذ أنه لايزال فى إمكانها أن تعتمد على حلفائها فى المنطقة، وعملائها على الصعيد العربى والإسلامى والدولى، فهناك الاتحاد الأوروبى، وهناك إسرائيل أول المحرضين على استخدام القوة المسلحة ضد إيران، وهناك بعض الأنظمة العربية الحاكمة التى تعتقد أنها على أتم الاستعداد للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، راغبة، أو مضطرة، إما بدافع الخوف من الأطماع الإيرانية فى الخليج، وإما بدافع الحاجة إلى «جزرة الولايات المتحدة» أو الخوف من عصاها. ويعتقد الكثيرون أنه فى كل الأحوال فإن الإدارة الأمريكية الحالية التى يحكمها المحافظون الجدد، قد لا تحتاج الى إذن من أحد بالمرور أو العبور، بسبب تواجدها فى المنطقة، بقواتها، وأساطيلها، وقواعدها الجوية.

ويتساءل المراقبون ماذا تريد الولايات المتحدة من وراء التلويح بالخيار العسكرى ضد إيران؟

إن الولايات المتحدة تريد أن تتخلى إيران عن برنامجها النووى، وأن تساعدها فى تهدئة الأوضاع فى العراق، وعدم الاعتراض على بقاء قواعد عسكرية أمريكية دائمة فى المنطقة، والضغط على حلفائها للامتثال للمطالب أو الأوامر الأمريكية.

ففى لبنان مطلوب من إيران أن تضغط على حزب الله لإقناعه بإلقاء السلاح لتأمين شمال الجليل الإسرائيلى، والضغط أيضا على الفلسطينيين فى المخيمات بتسليم أسلحتهم، وربما محاولة اقناعهم بقبول التوطين فيها.

وفى سورية مطلوب من إيران التخلى عن دعم النظام الحاكم بقيادة الرئيس بشار الأسد، أو إقناعه بالتعاون مع أمريكا، وتنفيذ كل ما يخص سورية فى القرارين ١٥٥٩، و١٦٨٠.

والواضح ان الهدف من هذه المطالب الأمريكية، هو إحراج القيادة الإيرانية لأن هذه المطالب غير قابلة للتحقيق فى الواقع الراهن، وأن الهدف الحقيقى الذى تسعى إليه الولايات المتحدة من التلويح باستخدام



القوة المسلحة ضد إيران يبدو أنه إسقاط النظام الإيراني الإسلامي.

من أجل إسرائيل

واللافت للنظر أن الوثيقة الأخيرة لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي قد احيت هذا الخيار العسكري، وأكدت عقيدة الرئيس الأمريكي «بوش» بحق الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام بضربات وقائية ضد أي تهديد حالي أو مستقبلي للقوة العظمى في أي مكان كما يرى «كينيث بولاك» مدير قسم البحوث في مركز سابان للسياسات الشرق أوسطية التابع لمعهد بروكنجز الأمريكي، «أنه يتعين على الولايات المتحدة أن تفكر جديا في إمكان شن هجمات جوية ضد المنشآت النووية الإيرانية بهدف إعاقة البرنامج النووي الإيراني لاحتواء إيران»، ويذهب كثير من المحللين إلى أن الولايات المتحدة قد تضطر من أجل أمن إسرائيل إلى اللجوء للخيار العسكري منفردة أمام عناد القيادة السياسية الإيرانية، وعلى رأسها «محمود أحمدي نجاد» الذي يهدد الدولة العبرية بمحوها من الخريطة السياسية، والتشكيك في المحرقة اليهودية، وأن ثمة عدداً من العوامل قد تدفع الجانبين إلى المواجهة المسلحة، بينهما يأتي في مقدمتها:

أولاً: أنه لأول مرة، منذ قيام الجمهورية العراقية عام ١٩٥٨، يصل حلفاء طهران إلى مواقع السلطة في بغداد، ويشكلون الأغلبية في البرلمان العراقي.

وثانيا: احتفاظ الجمهورية الإيرانية الإسلامية بعلاقات قوية مع سوريا، وازدادت هذه العلاقات رسوخا، بعد الضغوط الأمريكية المتوالية على سوريا.

وثالثا: ارتباط حزب الله مع إيران بوشائج قوية غير محكومة بسقف السياسة، بل السقف المرجعية الدينية، بالإضافة إلى أنه الطرف الأقوى على الساحة اللبنانية، وقد سمح سلاح حزب الله وحضوره في الجنوب اللبناني لإيران بالإطلال العسكري على العمق الإسرائيلي، وهو أمر جديد في تاريخ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ورابعاً: من الواضح. أن إطلالة إيران الجغرافية على الخليج العربي بما فيه مضيق هرمز من الشمال، يضاف إلى ذلك قوة إيران الديموجرافية، وقدراتها العسكرية تؤهلها بأن تصبح «قوة إقليمية كبرى»، خصوصا بعد انهيار قدرات العراق العسكرية والاقتصادية منذ الاحتلال الأمريكي له في التاسع من ابريل ٢٠٠٣.

وفي ضوء ذلك يمكن القول أن احتمال توجيه ضربة عسكرية ضد إيران من شأنه تعريض العديد من المواقع الأمريكية والإسرائيلية للضربات العسكرية الإيرانية وأهمها استهداف القوات الأمريكة في العراق، سواء من الأراضي الإيرانية أو الأراضي العراقية من خلال حلفاء طهران،

واستهداف القواعد العسكرية الأمريكية في الخليج بالصواريخ الإيرانية، واستهداف مواقع القوات الأمريكية في أفغانستان انطلاقاً من الأراضي الإيرانية، والأراضي الأفغانية عبر حلفاء طهران، واستهداف المنشآت العسكرية في شمال إسرائيل من مواقع حزب الله في الجنوب اللبناني، وضرب العمق الإسرائيلي بصواريخ «شهاب- ٣»، وإغلاق مضيق هرمز في وجه السفن الحاملة للنفط إلى العالم، مما يسهم في ارتفاع أسعاره إلى ما يجاوز المائة دولار للبرميل الواحد، أو يزيد.

ويرى الخبير العسكري الأمريكي «ريتشارد روسيل» أن الخيار العسكري هو خيار مليء بالمخاطر، إذ يترتب على القوة المهاجمة ضرب المئات من المراكز الحساسة أو احتلال البلاد، وهي مغامرة في الحالتين تفوق كلتاهما قدرات الولايات المتحدة الغارقة الآن في المستنقع العراقي.

ايران لا تشكل تهديداً

وفي هذا السياق يقول «زبيجنيو بريجنسكي» مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق «أن ثمة أسباباً عديدة قد تدفع بعيداً عن التفكير في ضرب إيران ومنشآتها النووية:

الأول: أن إيران لا تشكل أي تهديد حتمي للأمن القومي الأمريكي، فمازال الوقت مبكراً أمام إيران لتطوير قنبلة نووية.

والثاني: أن رد الفعل من جانب إيران يمكن أن يضاعف من الصعوبات التي تواجهها الولايات المتحدة في كل من العراق وأفغانستان، خصوصا أن طهران تمتلك أوراقا ضاغطة على المصالح الأمريكية في هاتين الدولتين، بل يمكن لها استيعاب الضربة الأمريكية والرد عليها بقوة مؤثرة، فهي ليست دولة صغيرة أو ضعيفة.

والثالث: أنه إذا تحولت التهديدات الأمريكية إلى ضربة، عسكرية ضد إيران، فإن أسعار البترول العالمية ستتصاعد إلى مستويات فلكية، وربما تؤدي إلى حدوث انهيار الاقتصاد الأمريكي والعالمي على السواء. والرابع: أنه في اليوم التالي لضرب إيران ستتحول الولايات المتحدة إلى هدف رئيسي لضربات المنظمات الإرهابية الموالية لإيران في كل مكان.

والخامس: إن مثل هذا الهجوم العسكري الأمريكي على إيران سوف يعزز مشاعر العداء للولايات المتحدة الأمريكية بين العرب والمسلمين، وربما تتعرض المصالح الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي للخطر.

وفي هذا الإطار يصف «بريجنسكي» الضربة العسكرية ضد إيران بالحماقة فيقول: «إن أي هجوم أمريكي على إيران هو حماقة سياسية كبيرة». ويضيف مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق قوله: «إن الإدارة الأمريكية ترتكب حماقة أخرى

بإصرار مسئوليها على ترديد عبارة أن «الخيار العسكرى مازال مطروحا فى التعامل مع إيران، فمثل هذا الكلام لافائدة منه للأمريكيين، بل يصب فى مصلحة القيادة الإيرانية بزيادة التفاف الشعب الإيرانى حولها، ويتحول البرنامج النووى الإيرانى إلى مصدر فخر للشعب الإيرانى كله ويختتم «بريجنسكى» حديثه حول حماقة الخيار العسكرى الذى تلوح به الولايات المتحدة فى وجه الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيقول: إذن لا تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية أى خيارات سوى التعامل مع إيران على أساس من الاحترام والتفاهم حتى يمكن تسوية الملف النووى الإيرانى الى جانب العديد من الملفات الشائكة الأخرى فى المنطقة بالوسائل السلمية التى توفر على واشنطن خسائر لاتستطيع تحملها».

استخدام القوة ضد إيران كارثة

وفى هذا الصدد أصدرت مجموعة من وزراء الخارجية السابقين- منهم مادلين أولبرايت «الأمريكية»، ويوشكافيشر «الألمانى»، وهيوبرت فيدرين «الفرنسى»، وفان أرتسين «الهولندى» بيانا يطالبون فيه الرئيس الأمريكى «جورج بوش» أن يتفاوض مع إيران، ويتخلى عن لغة التهديد والوعيد، وحذر البيان من لجوء أمريكا إلى استخدام القوة العسكرية ضد إيران، لأن عواقبها سوف تكون كارثة على العالم.

ومن هذا المنطلق قال العضو الجمهورى البارز فى مجلس الشيوخ الأمريكى السيناتور «ريتشارد لوجار» إن على الولايات المتحدة إجراء محادثات مباشرة مع إيران بشأن برنامجها النووى، وأن تتمهل فى توجهها نحو فرض عقوبات على طهران، فنحن بحاجة إلى تحقيق تقدم أكبر على الصعيد الدبلوماسى».

واللافت أنه يوجد شبه إجماع لدى صناع القرار الأمريكى بأن «الحكومة الحالية فى طهران تمثل تهديداً خطيراً للمصالح الأمريكية، عبرت عنه «وثيقة استراتيجية الأمن القومى الأمريكى» التى أصدرها الرئيس بوش قبل أربعة أشهر، وصفت إيران بأنها «أكبر تهديد يواجه الولايات المتحدة فى المرحلة الحالية». ويصرح الخبير العسكرى الأمريكى «انتونى كوردزمان» بقوله: «إنه على الرغم من كل ماتشير إليه الدراسات من الآثار الوخيمة لأية ضربة عسكرية محتملة تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران، من استهداف القوات الأمريكية فى العراق، وتعطيل الممرات الملاحية للنفط، وإشعال الموقف على الجبهة اللبنانية والقيام بعمليات إرهابية ضد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، فإن صناع القرار فى البيت الأبيض، مازالوا يصرون على عدم استبعاد توجيه ضربة عسكرية ضد إيران، ويرون فى ذلك «رسالة واضحة» لإيران بأن

الولايات المتحدة جادة فى إصرارها على عدم السماح لها بامتلاك قدرات نووية، ويصف «كوردزمان» مخطط الإطاحة بالنظام الإيرانى الإسلامى الحالى فيقول: يأمل مؤيدو التوجه العسكرى فى الإدارة الأمريكية من أمثال «ديك تشينى» نائب الرئيس الأمريكى بوش، إلى أن تؤدى الضربة العسكرية إلى إضعاف الحكومة الإيرانية الحالية، وربما تحريك المعارضة الداخلية والخارجية ضدها، إلى جانب تعطيل البرنامج النووى الإيرانى لأطول فترة ممكنة، وفى خلالها يمكن للولايات المتحدة مواصلة جهدها للإطاحة بالنظام الإيرانى» ومايؤكد هذا المخطط، ما قامت به الإدارة الأمريكية الحالية من إنشاء مكتب جديد، تحت إشراف ابنة نائب الرئيس الأمريكى «ليزتشينى» لتنسيق الأنشطة مع ممثلى المعارضة فى الخارج أمثال «على رضا جعفر زادة» المقيم فى واشنطن الذى يحرض الإدارة الأمريكية ضد طهران بقوله: «إن الباحثين الإيرانيين يجرون أبحاثا نووية سرية فى معامل جامعة الإمام الحسين فى طهران» كما حدد هذا المعارض الإيرانى أسماء ١٢ عالماً إيرانياً يشاركون فى تلك الأبحاث.

منبر للمعارضة

وفى هذا السياق تحاول الولايات المتحدة من خلال القنوات الفضائية التى أنشأتها، أن تكون منبراً للمعارضين الإيرانيين لديها، وعلى رأسها «قناة التليفزيون الوطنى الإيرانى» (إن أى تى فى) التى تتخذ من أطراف مدينة «لوس أنجلوس» بولاية كاليفورنيا مقراً لها، ويمكن للمواطن الإيرانى مشاهدتها فى إيران، ويرى «مايكل ليدن» المحلل السياسى الجمهورى أن المشكلة تتعدى الخطر النووى، وتكمن فى «نظام الملالى» الإسلامى الإيرانى الذى يجب إسقاطه بدعم ثورة داخلية معارضة لهذا النظام ويُثنى هذا المحلل الأمريكى على الخطوة التى اتخذتها إدارة بوش بطلب ٧٥ مليون دولار من الكونجرس لدعم الديمقراطية فى طهران، فى إطار السياسة الأمريكية الخارجية لتغيير النظام الإيرانى القائم، ويذكر فى هذا الشأن، أنه فى نهاية عام ٢٠٠٤، وضع مجموعة من الجنرالات الأمريكيين «خطة ضرب إيران» أمام الرئيس الأمريكى «جورج بوش» واحتلالها خلال أسبوعين، بحيث تتم على ثلاث مراحل.

الأولى قيام القوات الأمريكية بشن هجوم على قواعد الحرس الثورى الإيرانى لتدميره، انطلاقاً من العراق وأذربيجان لمدة يوم واحد.

والثانية يتم خلالها تدمير المنشآت النووية الإيرانية من الجو بواسطة الصواريخ.

وفى النهاية يتم إقامة نظام حكم صديق، موال للولايات المتحدة.

المـأزق الأمريكــي

وفى إطار الربط بين المأزق الأمريكى فى العراق، وضرب النظام الإسلامى فى إيران، فالحقيقة أن هذا المأزق بلغ أقصاه، بسبب عنف المقاومة العراقية، والخسارة الفادحة فى الأرواح (حوالى ٢٤٦٠ قتيلا أمريكيا، ونحو ١٥ ألف جريح أمريكى)، والنفقات الباهظة (أكثر من ٣٥٠ مليار دولار) كما أن القوات الأمريكية غير قادرة على الرحيل من العراق، إذ إن فى رحليها اعترافاً مبكراً بالهزيمة الأمريكية، وفى بقائها تكلفة بشرية واقتصادية باهظة، هذا بالإضافة إلى الضغوط من جانب الداخل الأمريكى بحث هذه القوات على الرحيل.

ولحل هذه المعادلة المعضلة، والخروج من المستنقع العراقى، فقد تفتق ذهن عباقرة المحافظين الجدد فى إدارة بوش على «بديل آخر» وهو القفز إلى الأمام نحو إيران» لصرف الأنظار عن عمق المأزق الأمريكى فى العراق، بالنسبة للداخل الأمريكى الضاغط باتجاه ضرورة رحيل القوات الأمريكية منها لذلك جاءت تصريحات وزير الدفاع الأمريكى «دونالدرمسفيلد تؤكد ذلك بصراحة شديد بقوله: «إن الهدف من البقاء فى العراق، وأفغانستان هو من أجل محاصرة إيران» وبذلك يضرب «رمسفيلد» عصفورين بحجر واحد فهو من جهته يجد مبرراً لبقاء القوات الأمريكية فى العراق وأفغانستان، ولو بقاء مؤقتا، ومن جهة أخرى يبتدع من عنده «تحدياً جديداً» يصرف به أنظار الرأى العام والكونجرس الأمريكى عن محاسبة الإدارة الأمريكية على فشلها فى العراق.

ويلخص المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية «على خامنئى» أهداف الحملة الإعلامية الأمريكية الشرسة حول البرنامج النووى الإيرانى فيقول: «إنها تتمثل فى هدفين.

الأول: منع إيران من التقدم العلمى عبر التقنية النووية.

والثانى: الدعاية المضادة للنظام الإسلامى الإيرانى وترويج الشائعات حول فشله السياسى».

ويضيف قوله: «إن الولايات المتحدة تتخذ من الملف النووى الإيرانى «ذريعة» لاستمرار حملتها الإعلامية ضد إيران ونظامها الإسلامى، وإذا تراجعت إيران عن حقها المشروع فى امتلاك التقنية النووية من أجل الاستخدامات السلمية؛ فإن الولايات المتحدة سوف تبحث عن «حجة أخرى» لاستمرار حملتها ضد النظام الإسلامى الإيرانى».

ومن هنا يمكن القول، فى الختام، بأن سيناريو ضرب إيران ونظامها الإسلامى، هو جاهز ومعد للتنفيذ، ولايبقى إلا تحديد ساعة الصفر للإطاحة بقلعة من قلاع الإسلام الشامخة.

فهل من مدكر؟

بين الصحف





إعـــداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

القرآن بحر من المعارف.. شيد صروح العلم فى العالم

تحت هذا العنوان نشرت جريدة «عقيدتى» الصادرة فى ٢٠٠٦/٦/١٣ كلمات لعدد من علماء الغرب جاء فيها:

الخبير الفرنسى جول لابوم يقول: أيها الناس دققوا فى القرآن حتى تظهر لكم حقائقه فكل هذه العلوم والفنون التى اكتسبها العرب.. وكل الصروح التى شيدوها إنما أساسها «القرآن الكريم».. وينبغى على أهل الأرض على اختلاف ألوانهم ولغاتهم أن ينظروا بعين الإنصاف إلى ماضى العالم ويطالعوا صحيفة العلوم والمعارف قبل الإسلام.. وليعلموا أن العلم والمعرفة لم تنتقل إلى أهل الأرض إلا عبر المسلمين الذين استوحوا هذه العلوم والمعارف من القرآن كأنه بحر من المعارف تتفرع منه الأنهار.. والقرآن لايزال حيا.. وكل فرد قادر على أن يستقى منه حسب إدراكه واستعداده.

الفيلسوف الفرنسى الشهير فرانسوا مارى فولتير يقول: أنا على يقين أنه لو تم عرض القرآن والإنجيل على شخص غير متدين لاختار القرآن إذ أن الكتاب الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم يعرض فى ظاهره أفكاراً تنطبق وبالمقدار اللازم مع الأسس العقلية.. ولعله لم يوضع قانون كامل فى الطلاق مثل الذى وضعه القرآن.

العالم البريطانى فريجيوم الأستاذ بجامعة لندن يقول: القرآن الكريم كتاب عالمى يمتاز بخصائص أدبية فريدة من نوعها لا يمكن المحافظة على تأثيرها فى الترجمة. للقرآن «الكريم» نغمة موسيقية خاصة وجمالية عجيبة وتأثير عميق يدغدغ سمع الإنسان.. ولقد تأثر كثير من المسيحيين العرب بأسلوبه الأدبى.. كما استمال القرآن الكثير من المستشرقين إليه.. فحينما يتلى القرآن نجد نحن المسيحيين أثرا سحريا فى نفوسنا حيث تنجذب لعباراته العجيبة وحكمه وعبره.. ومثل هذه المميزات تجعل المرء يقتنع بأن القرآن الكريم لا يمكن منافسته.. والحقيقة أن الأدب العربى بما فيه من شمولية فى النثر والشعر ليس فيه ما يمكن مقارنته بالقرآن الكريم.



وفى جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٦/٦/١٩ كتب الأستاذ مرعى يونس

تتجمع فى سماء منطقة الشرق الأوسط نذر عاصفة جديدة وخطيرة من العنف وسفك الدماء.. الأفق العربى يبدو داكنا أسود اللون فى فلسطين والعراق وحتى فى باقى دول المنطقة التى يلفها هدوء مصطنع واستقرار واه مثل سراب كاذب.. فى فلسطين المأزق مازال مستمرا.. شعب أعزل تقريبا يتلقى الضربات من البر والبحر والجو يوميا.. يتعرض للتصفية وإرهاب الدولة.. يقابل ذلك عجز عربى كامل، صمت حتى عن الكلام المباح. فى العراق الاحتلال باق ومستمر.. الرئيس الأمريكى بوش الصغير يؤكد أن انتهاء العنف مستحيل بصرف النظر عن مقتل الزرقاوى.. والكونجرس برفض تحديد جدول زمنى للانسحاب.

لكن الظواهر البادية فى العراق الآن تبدو كقطع الليل المظلم.. الفتنة تطل برأسها.. التفجير داخل المساجد ودماء المصلين تسيل أنهارا فى أماكن طاهرة المفروض أن يتخلص فيها الانسان من أدران الدنيا.. الأئمة يقتلون بدم بارد خارج المساجد والفاعل مجهول.. الواقع يقول إن ما يجرى على أرض العراق هو صراع لقوى خارجية معروفة تريد أن تترك أرضا محروقة أيا كان الثمن الذى سيدفعه العراقيون.

أخطر ما يحدث فى العراق ما أوردته صحيفة «الجارديان» البريطانية بأن هناك الآن فى العراق قوات إسرائيلية خاصة ترتدى الزى الأمريكى وتتركز فى الصحراء العراقية الغربية أى نفس المنطقة التى انطلقت منها صواريخ سكود التى أطلقها العراق ١٩٩١.

صدام أطلق ٤٠ صاروخا على إسرائيل بعضها كان محملا برءوس خراسانية وحسب الصحيفة فإن إسرائيل تطالب بإخضاع الصحراء الغربية العراقية لإشرافها العسكرى حتى لا تضطر لأن تعيش التجربة المرعبة التى عاشتها عام ١٩٩١.

إيران أمامها خياران لا ثالث لهما إما أن تقبل بحوافز وهمية وتوقف تخصيب اليورانيوم وإما العقوبات وما أدراك ما العقوبات فهى قد تنتهى بعمل عسكرى حتى وإن كان على المدى الطويل.. الصومال انتحرت.. كل مدينة صارت دولة لها حكومتها وميليشياتها.. بعض أمراء الحرب يستنجدون بالأجنبى والبعض الاخر يرفض وأذكر الصومال لأنه كان لها دور حيوى فى حرب ١٩٧٣.

فى باقى الدول العربية السخط وعدم الرضا الشعبى هما القاسم فهناك قصور فى الأداء وعدم قدرة على الوفاء بالحد المناسب من التطور والنمو. وثمة ظاهرة أخرى مقلقة تشيع الآن فى العالم العربى وهى الاستقواء بالخارج المتحفز دوما للتدخل ونصرة طرف على الآخر تريدون أمثلة.. فى لبنان قوى ١٤ مارس تستنجد بالأمم المتحدة والدعم الأمريكى والفرنسى لمواجهة قوى لبنانية أخرى معارضة وسوريا.. فى السودان حركة التمرد فى دارفور تعطل المفاوضات برعاية الاتحاد الأفريقى وتؤيد مزاعم تشاد ضد الخرطوم وتطالب بتدخل دولى.

العدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى

وتحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة فى زاوية «رأى الأهرام»

تمادت قوات الاحتلال الإسرائيلى فى عدوانها الوحشى على الشعب الفلسطينى بصورة عشوائية متعمدة، متحدية بذلك جميع الأعراف القانونية والأخلاقية التى تحظر استهداف المدنيين الأبرياء، فبعد أن صدمت مذبحة غزة العالم كله قبل أيام، قامت القوات الإسرائيلية بقصف صاروخى لعدد من السيارات المدنية فى القطاع مما أدى لمقتل وجرح العشرات الذين يضافون إلى ضحايا العدوان الإسرائيلى المتواصل.

الأمر المؤكد أن إسرائيل والمجتمع الدولى يتحملان المسئولية الكاملة عن هذا العدوان، فميوعة الموقف الدولى الذى يتسم بحالة من اللامبالاة إزاء السياسة الإسرائيلية، واقتصار رد الفعل على عبارات الشجب والإدانة وضبط النفس، كان عاملا مشجعا لإسرائيل على الاستمرار فى عدوانها.

إن الشعب الفلسطينى يعيش بالفعل مأساة حقيقية، لا تقتصر أبعادها على التجويع والحصار فقط، بل القتل وسفك دمائه تارة بأيدى القوات الإسرائيلية وتارة أخرى بأيدى أبنائه، حيث القتال والمواجهات المسلحة بين حركتى حماس وفتح فى صراع واضح على السلطة ومحاولة كل طرف فرض منطقه ورؤيته، ولم يعد الدم الفلسطينى خطا أحمر لا يمكن تجاوزه، بعبارة أخرى فإن الشعب الفلسطينى هو الضحية للاقتتال الداخلى والعدوان الإسرائيلى وسلبية المجتمع الدولى الذى ساعد فى حصار الفلسطينيين وقطع المعونات عنهم، إن الأوضاع الحالية تفرض ضرورة التدخل العاجل من جانب المجتمع الدولى، خاصة مجلس الأمن، لاتخاذ إجراءات محددة لوقف العدوان الإسرائيلى المتواصل على الشعب الفلسطينى، كما أن على الفلسطينيين على اختلاف توجهاتهم السياسية نبذ العنف وانتهاج الحوار لبلورة موقف مشترك لمواجهة التحديات المتزايدة حتى لا تتجه الأمور إلى ما هو أسوأ.

❋❋❋

ندوة بالرياض تناقش

تطوير أنظمة العدالة الجنائية لمكافحة الإرهاب

تأصيل منهج الوسطية فى الإسلام والتقيد به قولا وعملا وسلوكا

متابعة: الأستاذ/ عاطف مصطفى

عقدت بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية وبالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية ندوة علمية تحت عنوان «تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب، فى الفترة من ٣ - ٤ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ الموافق ٣٠ - ٣١ مايو ٢٠٠٦. وحضر هذه الندوة معالى الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى والدكتور عبدالعزيز بن صقر الغامدى رئيس جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية كما دعى للندوة مجموعة من العلماء والباحثين من العالم العربى، لتقديم أوراق علمية فى هذه الندوة.

عقدت الندوة خمس جلسات، حيث رأس الجلسة الأولى الأستاذ الدكتور مأمون سلامة وقدم فيها الدكتور محمد يحيى النجيمى ورقة علمية حول مفهوم تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب، من وجهة نظر الفقه الإسلامى والقانون الوضعى.

وقدم الدكتور محمد المدنى بوساق ورقة علمية حول الاجتهاد المقاصدى ودوره فى تطوير أنظمة العدالة الجنائية، الخاصة بمكافحة الإرهاب.

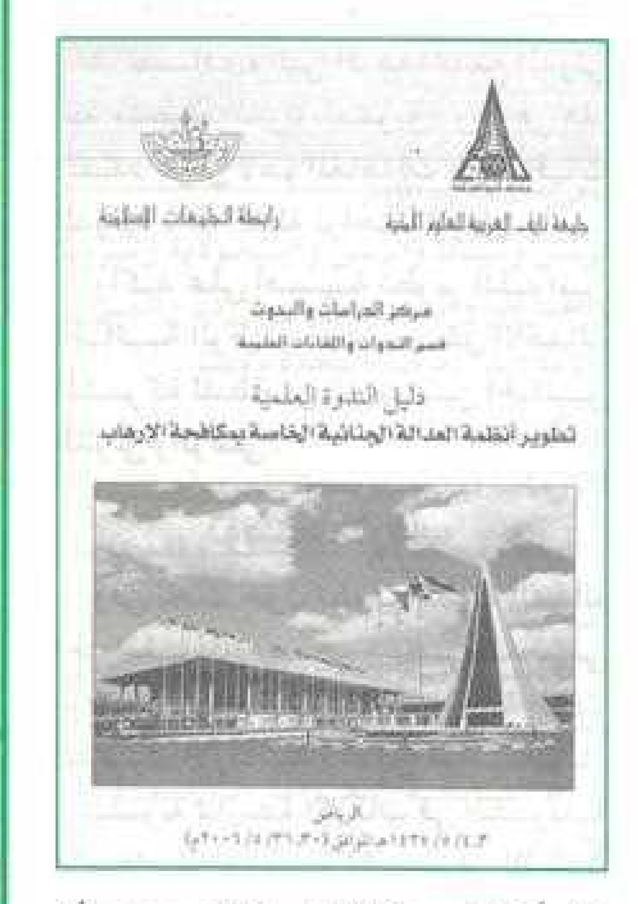
ورأس الجلسة الثانية د. محمد المدنى بوساق وقدم خلالها ورقة علمية حول معوقات تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإهاب، وسبل تذليلها من وجهة نظر الشريعة والقانون قدمها الدكتور محمد عبدالرحيم سلطان العلماء، كما قدمت ورقة أخرى من جانب الدكتور محمد أبو العلا عقيدة عنوانها تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب، على المستوى الوطنى والإقليمى والدولى.

وقد ناقشت الجلسة الثالثة المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية، ودورها فى تطوير أنظمة العدالة الاجتماعية قدمها الدكتور محمد نسيب الزروقى. وقدم الدكتور مأمون سلامة ورقة بعنوان التشريعات القضائية لمواجهة الإرهاب فى الوطن العربى. كما ناقشت الجلسة قبل الأخيرة بحثا قدمه د. محمد السيد عرفة بعنوان تطوير أنظمة العدالة الجنائية وملاءمتها لحقوق الإنسان وسيادة الدول. كما قدم د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ورقة دارت حول السياسة الشرعية ودورها فى تطوير أنظمة العدالة الجنائية، الخاصة بمكافحة الإرهاب.

الاجتهاد المقاصدى

ومن بين البحوث المقدمة بحث الدكتور محمد المدنى بوساق وتناول فيه تعريف الاجتهاد المقاصدى وتعريف الجريمة الإرهابية، ودور الاجتهاد فى تطوير أجهزة العدالة الجنائية.

وقد أكد الدكتور محمد نسيب أرزوقى


جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
رابطة الجامعات الإسلامية
مركز الدراسات والبحوث
قسم الندوات واللقاءات العلمية
دليل الندوة العلمية
تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب

على أن المشروع الجنائى الوطنى يجب أن يوفق بين متطلبين أساسيين قد يبدو أنهما متعارضان:

تفعيل المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية لتطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب

● الأول: هو متطلب حماية المجتمع والأفراد وممتلكاتهم، وفى نهاية الأمر حماية الأمن الوطنى من ظاهرة الإرهاب.

● أما المتطلب الثانى: وهو يرتبط بالمجال القانونى والأخلاقى فهو يتمثل فى ضرورة تأمين احترام حقوق الإنسان، وفقا للمبادىء التى أقرها المجتمع الدولى منذ منتصف القرن العشرين، وهو فى هذا الصدد عرض لأهم المعاهدات والاتفاقيات الدولية ذات الصلة لمواجهة الإرهاب.

وأكد على أهمية تطوير القوانين الجنائية الوطنية، بما يحقق الأهداف المشتركة للنظامين القانونيين الجنائيين الدولى والوطنى.

توصيف الإرهاب

وفى بحث حول تطوير أنظمة العدالة الجنائية ناقش د. محمد يحيى اللجيمى توصيف الواقعة الإرهابية، ومسألة إثبات الدعوى الإرهابية ودلائل تجميعها، وعقوبة ممارسة الإرهاب فى الشريعة الإسلامية، وعقوبة ممارسته فى القانون الوضعى.

كما عرض لأهم الأحكام الإجرائية لجرائم الإرهاب فى التشريعات العربية.

وأكد أن الأفعال الإرهابية تشتمل على العديد من الانحرافات مثل الترويع، ونشر الرعب، وإلحاق الأضرار بالأشخاص، وهتك العرض، وقتل النفس.

وكل هذه الأعمال تقع فى إطار ما نهى عنه القرآن الكريم، وشدد العقوبة عليه فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة ٣٣)

وقد أفتى مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فى عام ١٤٠٩هـ بأن من ثبت شرعا أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد فى الأرض التى تزعزع الأمن بالاعتداء على النفس، والممتلكات الخاصة أو العامة، كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال



د. عبدالله تركى ود. جعفر عبدالسلام فى إحدى جلسات المؤتمر

كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك.. عقوبته القتل لدلالة الآيات على أن مثل هذا العمل، إفساد فى الأرض يقتضى إهدار دم المفسد ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية.. وضررهم أشد من خطر وضرر الذى قطع الطريق. فيعتدى على شخص فيقتله، أو يأخذ ماله. وقد حكم الله عليه بما ذكر فى آية الحرابة التى سبق ذكرها.

وقد ناقش الدكتور مأمون سلامة فى بحثه: تعريف الإرهاب والجرائم الإرهابية فى التشريعات العقابية العربية، والاتفاقيات العربية لمكافحة الإرهاب، حيث أوردة القوانين المعمول بها فى تونس ولبنان واليمن والسعودية وسوريا والجزائر وموريتانيا والأردن والعراق والإمارات العربية المتحدة ومصر.

كما ناقش أهم الجرائم المرتبطة بالإرهاب فى التشريعات العربية

أما د. محمد أبو العلا عقيدة فقد ناقش فى بحثه أربع قضايا:

● القضية الأولى: ماهية الإرهاب والجريمة الإرهابية

● الثانية: العوامل الدافعة إلى الإرهاب

● والثالثة: أهم جرائم الإرهاب

● والرابعة: تطوير المواجهة ضد الإرهاب

وناقش د. جعفر عبدالسلام فى بحث له بعنوان «المعاهدات الدولية فى تطوير أنظمة العدالة الجنائية» الخاصة بمكافحة الإرهاب، ومفهوم الإرهاب، وأنه جريمة تنصب على مصلحة رئيسية للمجتمع الدولى بأكمله والتى تتمثل فى سيادة الأمن فى مختلف ربوع العالم، فالإرهاب رغم استهدافه دولة واحدة أو مجموعة من شعبها، إلا أنه يستهدف كل الدول.

فقتل النفس فى الإسلام وإشاعة الرعب والفزع فى نفوس الناس فضلا عن تخريب وإتلاف الأموال، إنما يمثل عدوانا على الإنسانية بأسرها، وهذا يمكن أن يستفاد من قوله تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[سورة المائدة ٣٢]

هكذا أكد ديننا الحنيف على أن قتل نفس واحدة، يعدل قتل كل الناس فى كل المجتمعات، لأن النفس فى الإسلام مقدسة، محمية لا يجوز الاعتداء عليها، ولا إزهاقها إلا بحقها.

وقد أورد د. جعفر فكرة واقعية عن الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، والاتفاقية الإسلامية لمكافحة الإرهاب، الصادرة عن وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامى فى وجادوجو عاصمة بوركينا فاسو فى الفترة من ٢٨ يونيو إلى أول يوليو عام ١٩٩٩

كذلك فقد أورد موجزا عن الاتفاقات الدولية الخاصة بمكافحة الإرهاب الموجه ضد الأفراد المتمتعين بحماية دولية، والاتفاقيات الدولية الخاصة بمكافحة الإرهاب؛ الموجه ضد الطيران المدنى الدولى.

وعرض لدور الاتفاقات الدولية فى تطوير أجهزة مكافحة الإرهاب.

ومن المؤسف أن إسلامنا اليوم يوصف من قبل الغرب بالإرهاب، مع أن المسلمين هم أصل الحضارة والعلم والمدنية وقرآننا يشهد بهذا.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

[البقرة: ٢٠٨]

بل يجعل القرآن الكريم إجارة المشرك واجبة فى قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾

[التوبة: ٦]

ورسولنا ﷺ هو نبى الإنسانية وهو الرحمة المهداة للعالمين ينهى عن كل



دعوة المؤسسات الإعلامية فى العالمين العربى والإسلامى إلى تبين المدخل السليم فى مخاطبة الآخر عن قضايا العرب والمسلمين

أشكال العنف والإرهاب ويدعوا إلى الله بالتى هى أحسن، وإلى الرأفة والرحمة.

وقد قررت منظمة المؤتمر الإسلامى وضع وسائل لنشر سماحة الإسلام ووسطيته لمواجهة الحملة الظالمة ضد الإسلام والمسلمين واتهامهم بالإرهاب وكراهية الآخر، كما أوصت بضرورة التمييز، بين الحق فى المقاومة، وفى ممارسة أعمال الإرهاب الخطورة.

إن مقاومة الإرهاب ومكافحته فرض عين على المسلمين وعلى كل شعوب الأرض، وهو ما يحضنا عليه قرآننا الكريم والسنة المطهرة.

توصيات

وقد انتهت الندوة إلى توصيات من أبرزها:

● تأصيل منهج الوسطية الذى يتميز به الإسلام، والتقيد به قولا وعملا وسلوكا، انطلاقا من قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

[البقرة:١٤٣]

● دعوة الجامعات العربية والإسلامية إلى الاضطلاع بدورها فى وضع استراتيجية مناسبة لتطوير أنظمة العدالة الجنائية المتعلقة بمكافحة الإرهاب وفق الثوابت الإسلامية مع الأخذ بالمستجدات المعاصرة.

● إنشاء قنوات فضائية تخاطب الأمم الأخرى بلغاتها، وفق مضامين إنسانية راقية، تعكس القيم العربية والإسلامية، وتتصدى للشبهات المغرضة فى وسائل الإعلام الأخرى، التى تهدف إلى إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين.

● ضرورة التعاون بين أجهزة العدالة الجنائية والأجهزة الأمنية فى الدول العربية فى المجالات المختلفة، لتعزيز المواجهة ضد الإرهاب.

***

الجريمة الإيجابية عن طريق الامتناع بين الفقه الإسلامى والتشريع الوضعى

للأستاذ / عصام شوكت أمين

يسود لدى البعض اعتقاد بأن الشريعة الإسلامية غير صالحة للتطبيق إلا فى زمانها الغابر وبيئتها المحلية وأنها قد استنفدت أغراضها ولم تعد موائمة لتطور المجتمعات وتجدد الأحداث، وأن ما يشهده العالم من تطور فى المعارف النظرية منها والعملية إنما مرده إلى جهود المعاصرين من علمائه ومفكريه ولا شك أن هذا الاعتقاد يمثل افتئاتا على الواقع وتزويرا فاضحا للتاريخ، فكثير من النظريات والأحكام الفقهية التى نسبت فى غفلة من الزمان إلى ابتكار العقل الغربى هى نظريات وأحكام نبتت أول ما نبتت فى التربة الفكرية الإسلامية واستوت على سوقها بجهود علماء المسلمين قبل أن يتطرق إليها الفكر الغربى ولسنا بهذا نهدف إلى تغليب فكر على فكر أو رفع شأن حضارة على أطلال أخرى وإنما نحن نستنطق التاريخ ونضع الأمور فى نصابها الصحيح.

ومن الموضوعات الهامة فى الفقه العقابى والتى تثير فكرة أسبقية تناول موضوع إمكان وقوع الجريمة الإيجابية بطريق الامتناع حيث سبق الفقه الإسلامى إلى تقرير أحكام لها لم يصل إليها الفقه الغربى إلا بعد قرون، بل إن النطاق التطبيقى الذى قرره الفقه الإسلامى لهذه الأحكام -وكما سنرى- يتجاوز فى اتساع نظرته ومثالية مبادئه ما استقر عليه الفقه الغربى فى أحدث نظرياته.

وقبل التعرض بالتفصيل لأحكام موضوع هذا البحث يجدر بنا أن نشير إلى أن فقهاء القانون يقسمون الجرائم إلى جرائم إيجابية وجرائم سلبية، فالجرائم الإيجابية هى ارتكاب ما نهى عنه القانون مثل: القتل- السرقة- التزوير -إلخ وهذا النوع هو الغالب فى القانون، أما الجرائم السلبية فتمثل الامتناع عن القيام بما أمر به القانون مثل: الامتناع عن الشهادة، امتناع قاض عن الحكم.. إلخ، وليس ثمة خلاف أى دولة على معاقبة من يرتكب أيا

من هذين النوعين ولكن الخلاف على أشده حول (الجرائم الإيجابية بطريق الامتناع) ومن الأمثلة التى يسوقها الفقه لهذا النوع من الجرائم أن يجد شخص شخصا آخر على وشك الغرق فلا يسرع لإنقاذه مما يفضى إلى موته، فهل يعد الممتنع مرتكبا لجريمة قتل؟!!

ومثالها أيضا: أن يرى الشخص النار تلتهم منزل جاره فلا يبادر إلى إطفائها حتى تأتى النار على المنزل تماما فهل يعتبر هذا الشخص مرتكبا لجريمة الحريق.. إلخ.

ولقد تباينت آراء الفقهاء فى الإجابة عن هذا السؤال فذهب البعض إلى أن الامتناع عن الإتيان بنشاط مادى لا يمكن أن ينتج فى ذاته نتيجة إيجابية معينة، لأنه عبارة عن لا شىء.. عن عدم وليس للعدم أن يكون سببا فى شىء آخر بدوره إلا العدم. وعلى ذلك فليس ثمة مسئولية جنائية على الممتنع عن إنقاذه الغريق أو إطفاء الحريق المندلع فى منزل جاره.

وقد تبنى هذا الرأى ثُلة من كبار فقهاء القانون الفرنسى منهم: رينيه جارسون، رينيه جارو، بوزا، لبواتفان، إيمار.

بينما ذهب فريق آخر من الفقهاء- خصوصا فى ألمانيا- إلى أن من يترك عمدا نتيجة معينة تتحقق مع أنه كان فى مقدوره منعها إنما يتسبب فيها، إذ السببية ما هى إلا إرادة الإنسان عندما تستخدم- فى الوقت المناسب- قوى الطبيعة المختلفة فى تحقيق رغباتها، فإذا كان من الممكن تفادى قتل المجنى عليه لو تدخل الجانى فى الوقت المناسب لإنقاذه، فإن هذا وحده يعنى توافر رابطة السببية بين الامتناع وبين النتيجة النهائية.

ووفقا لهذا الرأى يعد مسئولا جنائيا من يرى شخصا على وشك الغرق ثم يمتنع عن مد يد المساعدة له مما يفضى إلى غرقه، ويعد مسئولا جنائيا من يرى النار تندلع فى منزل جاره ولايهب لإطفائها حتى تأتى على كل المنزل. وقد استند أنصار هذا الرأى إلى مجموعة من الحجج



يضيق المقام عن سردها لإثبات قيام رابطة السببية بين الامتناع المحض وبين النتيجة النهائية التى يجرمها القانون وقد تبنى هذا الاتجاه فى ألمانيا عدد من الفقهاء على رأسهم: لودر، لندسبرج ميركيل، كروج.

وقد أضحى الرأى السائد الآن لدى الكثيرين من شراح القانون فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وبلجيكا هو أن القتل بالامتناع معاقب عليه كالقتل بفعل إيجابى سواء بسواء وذلك - فحسب - إذا كان على الممتنع التزام قانونى أو تعاقدى بالتدخل لإنقاذ المجنى عليه فخالف هذا الالتزام لأن السببية بين مخالفة الالتزام وبين القتل تكون واضحة، فالقاتل بالامتناع يعد حينئذ قاتلا عمدا طالما توافر لديه قصد القتل أى إرادة إزهاق الروح ويعد قاتلا بإهمال إذا ما انتفى لديه هذا القصد وتطبيقا لذلك فالشخص الذى يرى آخر يصارع الموج مشرفا على الغرق ولا يبادر إلى انقاذه حتى يغرق بالفعل لا يمكن مساءلة هذا الشخص عن جريمة قتل عمد أو خطأ إذ إنه غير ملتزم التزاما قانونيا أو تعاقديا بهذا التدخل بينما لو افترض أن الشخص كان ملتزما بحكم عمله بالتدخل لإنقاذ المعرضين للغرق فامتنع عن هذا التدخل فيمكن مساءلته عن جريمة القتل خطأ، بل ويمكن مساءلته عن جريمة قتل عمد إذا ثبت أن الغريق كان عدوا له وأنه امتنع عمدا عن إنقاذه وصولا إلى إزهاق روحه غرقا.

● أما على المستوى التشريعى فقد سوّت بعض التشريعات بين الفعل الإيجابى والسلبى فى العقاب فى نطاق الرأى السابق فالمادة ٢٤٠ من قانون العقوبات الإيطالى الصادر عام ١٩٣٠ تعتبر أن «الامتناع عن منع نتيجة معادل لإحداثها إذا كان على الممتنع واجب قانونى بالتدخل.

بينما تعتبر بعض التشريعات الترك أو الامتناع جريمة قائمة بذاتها مثل المادة ٩٥٣ من القانون السويسرى والمادة ٢٤٧ من القانون البولوينى.

الفقه الإسلامى

- ومن خلال العرض السابق - على المستويين الفقهى والتشريعى - يتضح أن اتجاها له أنصاره وحججه يميل إلى عدم العقاب على الجرائم الإيجابية بطريق الامتناع واتجاها آخر يذهب إلى العقاب عليها بقيد هام وهو أن يكون على الممتنع التزام قانونى أو تعاقدى بالتدخل. ويبقى السؤال الهام، وهو: هل عرف الفقه الإسلامى هذه المشكلة؟ وما الحلول التى قدمها لها؟ وهل هذه الحلول تمثل سبقا فقهيا وفكريا أم لا؟

فى البداية يقرر الفقه الإسلامى أن الحكم التكليفى الذى قد يوجب العقاب

إما أمر وإما نهى، فعدم طاعة الأمر هو الجريمة السلبية، وارتكاب ما نهى عنه هو الجريمة الإيجابية، ومثال الجريمة الإيجابية فى الشريعة: القتل والسرقة، ومثال الجريمة السلبية امتناع المدين الموسر عن سداد دينه وعدم إقامة المسلم الصلاة.

وقد ذكر الفقهاء أمثلة على ما يسمى بنظرية الارتكاب بالترك أو الجرائم الإيجابية بطريق الامتناع وذلك عند تعرضهم للكلام على جريمة القتل وكان مما ذكروه:

● إذا حُبس المجنى عليه فى مكان ما، ومنع عنه الطعام والشراب مدة لا يبقى فيها حتى يموت، فعلى الحابس القود عند أحمد والشافعى ومالك، لأن الحبس مع منع الطعام والشراب يقتل غالبا وترتب القتل على ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والظروف فإذا كان الشخص عطشا فى شدة الحر مثلا مات فى الزمن القليل، والحكم كذلك إذا منعه الدفء وكان البرد يقتل غالبا «القصاص» للأستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم.

● وفى مذهب مالك ذكر ابن يونس عن بعض القرويين أن من منع فضل مائة مسافرا عالما بأنه لا يحل له منعه، وأنه يموت إن لم يسقه قتل به وإن لم يل قتله بيده وظاهر ذلك أنه يقتل به سواء قصد بمنعه قتله أو تعذيبه «حاشية الدسوقى جـ٤ ص٢٨٥، حاشية الدسوقى جـ٢ ص٣٤٦»،

- وعند مالك أيضا: إذا منعت الأم ولدها الرضاع حتى مات تقتل إن قصدت قتله «الشرح الكبير للدردير جـ٤ ص٣٨٥»،

وعنده أيضا: إذا أمر شخص آخر بقتل ثالث، فيقتص من المباشر دون الآمر إلا إذا كان «الآمر»، حاضرا فيقتل أيضا لقدرته على خلاصه شرح الخرشى جـ٨ ص١٢.

● وفى الفتاوى الكبرى (فى مذهب الشافعى) أنه إذا حضر نساء ولادة ذكر فقطعت إحداهن سرته من غير ربط، ونهاها الباقيات فمات بعد القطع بقليل فإن كان يقتل غالبا فيجب القود عليه، ولو قيل بوجوب القود على الجميع إذا لم يرين الربط لم يبعد، لأن المهلك ترك الربط، ولأن البرء موثوق به لو ربط فى العادة المطردة فالهلاك ينسب إليهن كلهن فيلزمهن القود وإلا فدية العمد «الفتاوى الكبرى» جـ٤ ص٢٢٠-٢٢١.

● وعند الأحناف لا قود أصلا فى الارتكاب بالترك «ابن عابدين» جـ٥ ص٥٣٦

وهم فى هذا يمثلون سبقا فكريا وزمانيا للرأى الفقهى القائل بهذا من فقهاء القانون الوضعى المعاصرين خاصة الفرنسيين.

● ويسبق إمام المذهب الظاهرى ابن

حزم بخطوات واسعة فى اعتماد مبدأ المسئولية عن هذا النوع من الجرائم بل ويصل فى نطاقه إلى ما لم يدركه الفقه الغربى المعاصر، فنرى الفقيه الكبير يقرر نصياً فى كتابه «المحلى» جـ١ ص٥٢٢، ٥٢٣ تحت عنوان مسألة: من استسقى قوماً فلم يسقوه حتى مات:

قال على: روينا من طريق أبى بكر أبى شيبة، أخبرنا حفص بن غياث عن الأشعث عن الحسن أن رجلاً استسقى على باب قوم فأبوا أن يسقوه فأدركه العطش، فضمنهم عمر بن الخطاب ديته.

ثم يقول ابن حزم معلقاً: القول فى هذا عندنا وبالله تعالى التوفيق هو أن الذين لم يسقوه إن كانوا يعلمون أنه لاماء له البتة إلا عندهم ولا يمكنه إدراكه أصلاً حتى يموت، فهم قاتلوه عمداً، وعليهم القود بأن يمنعوا الماء حتى يموتوا كثروا أم قلوا.

والملاحظ فيما ذكره الإمام ابن حزم أنه إضافة إلى تقريره لمبدأ المسئولية عن جرائم الامتناع فإنه لم يشر إلى القيد الذى يعتمده الفقه الغربى وجل تشريعاته وهو وجود التزام قانونى أو تعاقدى على الممتنع وإخلاله بهذا الالتزام بل يكف- وفق كلامه- وجود رابطة الإنسانية فحسب وهو ما يتفق مع نظرة الشريعة إلى حرمة النفس الإنسانية وأنها تعدل -أيا كان صاحبها- فى إحيائها حياة الناس جميعاً، كما أن قتلها -بأية وسيلة- يعدل فى حرمته قتل الناس جميعاً.

وفى هذا الإطار ينص الفقهاء على أنه إذا نزلت بشخص مخمصة ووجد مع رجل طعاماً فامتنع عن إطعامه ومن مساومته له فإن له أن يقتله ولا شىء عليه إن قتله.

● وحكى الإمام أبويوسف- رحمه الله- فى كتابه «الخراج» أن قوماً وردوا ماء فسألوا أهله أن يدلهم على البئر فلم يدلوهم عليها فقالوا: إن أعناقنا وأعناق المطايا قد كادت تنقطع من العطش، فدلونا على البئر وأعطونا دلواً نستقى بها فلم يفعلوا. فذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه- فقال: فهلا وضعتم فيهم السلاح..

المعاملات الشرعية للمرحوم الأستاذ/ أحمد بك إبراهيم ص٢١ وما بعدها.

وبعد فقد كان هذا موقف الفقه الإسلامى من قضية.. إمكان وقوع الجريمة الإيجابية بطريق الامتناع..وقد وضح من عرض كلام الفقهاء سبق الشريعة الإسلامية لما قال به فقهاء الغرب خاصة الألمان منهم بل إن النطاق الذى رسمه الفقهاء لمسئولية الممتنع أوسع مدى مما قرره فقهاء الغرب ولا غرو فى ذلك، فأحكام الفقه الإسلامى تنهل من معين نورانى لا ينضب وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيا حيا الله تراثنا الفقهى العظيم، ويا حيا الله كل منصف فى نظرته إليه وحكمه عليه.

والله ولى التوفيق



من أمثال القرآن الكريم

مثل الذبابة

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج/ ٧٣-٧٤]

تمهيد

عندما اتخذ المشركون إلها غير الله - عز وجل- لم يكن لديهم على ذلك علم. ولا هدى. ولا كتاب منير..

ومع ذلك فإن لديهم من التبجح ما يدل على إعلان صحة دعواهم فيما ذهبوا إليه..

وكان لابد من إفحامهم وإلزامهم بأنهم على الباطل.. بهذا المثل الذى هو أعجوبة من الأعاجيب.. التى يجب أن نتأملها.. أن نستمع إليها.. أن نتدبرها:

(لأن نفس السماع لا ينفع .. وإنما ينفع التدبر)

المقصود: بيان أن ما عبدتموه أمثالكم.

بل أحقر منكم.. فإن المفروض أن الإنسان لا يبذل ولاءه لمن هو أحقر منه.. ولكنكم فعلتم فعلتكم فعبدتم من هو أحقر منكم.. والطيور على أشكالها تقع.

لماذا الذباب بالذات يقول المفسرون:

إن الذباب لما كان فى غاية الضعف. احتج الله - تعالى - به على إبطال قولهم:

فقوله عز وجل (لن).. فهى أصل فى نفى المستقبل. إلا أنه ينفيه نفيا مؤكدا. فكأنه سبحانه قال: إن هذه الأصنام - وإن اجتمعت- لن تقدر على خلق ذبابة على ضعفها. فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا؟!!

.. وكأنه قيل: يستحيل أن يخلقوا الذباب حال اجتماعهم.. فكيف حال انفرادهم؟!!

وقوله تعالى:

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾

(الحج / ٧٣)

كأنه سبحانه قال: أترك أمر الخلق والإيجاد.. وأتكلم فيما هو أسهل منه: فإن الذباب إن سلب منها شيئا. فهى لا تقدر على استنقاذ ذلك الشىء من الذباب.

والنتيجة: أنكم ما عظمتم الله تعالى حق تعظيمه.. حيث جعلتم الأصنام - على نهاية خساستها - شريكة لله تعالى فى المعبودية.

وإذا كان الله تعالى هو القوى.. وهو العزيز.. فما حاجة الإنسان إلى أن يُشرك به سبحانه غيره.. من مخلوقاته الضعاف. المهازيل. الأذلاء؟

ألا إن الذباب أحقر الحشرات.. ولكن فى هذه الحشرة الحقيرة تكمن عظمة الله: كيف تطير؟ وكيف تتوالد؟ وكيف تنقل العدوى؟ وكيف أننا لا يصح أن ننبهر بالطائرات التى صنعها الإنسان، فالذى صنعه الله أعظم! إنه خلق الإنسان الذى اخترع الطائرة! ولكن الإنسان أعجز من أن يصنع جناح ذبابة! وإن الذباب إذا سرق منا شيئا فنحن لا نقوى على استرداده.. سبحان الله العظيم.

يقول العلم الحديث: عندما نتأمل أجزاء فم الذبابة. وما كشف عنه العلم. من أن أجزاء فمها من النوع اللاعق بمعنى أن الذبابة تفرز أولا لعابها وما يحويه من أنزيمات على المادة الغذائية الصلبة فتغير طبيعتها وتركيبها الكيماوى نتيجة فعل الأنزيمات ثم بعد ذلك تصعد المادة الغذائية إلى أعلى فى تجويف فم الذبابة عن طريق القصيبات الكاذبة الرقيقة المنتشرة على سطح الشفية، فأى أجهزة علمية مهما بلغت دقتها وقوتها لا

تستطيع استرجاع ما أخذته الذبابة، وليس هذا فحسب بل لا توجد تكنولوجيا أو أى معامل تستطيع استرجاع المادة الغذائية إلى طبيعتها الأولى قبل تحويلها إلى مواد أخرى بفعل لعاب الذبابة.

ومن ناحية أخرى نجد أن جسم الذبابة الصغيرة يستطيع أن يحمل أكثر من ١٥٥ مليون جرثومة، فأى قوة وأى علم يستطيع أن يسترجع هذا العدد الهائل من جسم الذبابة؟!

وقد يشاهد الإنسان الذبابة وهى تسير على الأسطح الملساء (كالزجاج مثلا) معتدلة أو مقلوبة.. فكيف تستطيع هذه الذبابة أن تسير وتلتصق على هذا السطح الأملس دون أن تسقط؟! وبالرغم من صغر حجم الذبابة وضعف جسمها إلا أنها عظيمة الخلقة فيها آيات بينات لأصحاب العقول المفكرة فهى تمتلك الأجهزة التى تهيئ لها الحياة.

وقد قالوا: فى داخلها مخزون من القوى الدفاعية. إننا قد نجبر الطائرة على الهبوط.. ثم نتحكم فيها.. لكن ذبابة واحدة تسلبنا شيئا.. فإننا لا نقدر على استنقاذه منه. على ما نملك من أجهزة ومعامل!

وإذن.. فما أضل الإنسان.. ما أضله حين تتزاحم النذر.. وتستعلن الآيات من حوله شاهدة بعظمة القوى العزيز سبحانه.. ولكنه يعرض عنها:

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج: ٧٤)

ويعنى ذلك أن عقول الضالين فى أجازة.. وأن «الحقد» هو الدافع: هو الواقف من وراء هذه الأوهام.. وإنها لأوهام كتمثال الشمع: كلما اقترب من الحق.. فإنه ينهار. ذلك بأن «الحقد» يشتعل.. أما الحق فيضئ..

وإذا كان هذا دأب الطالحين.. وإذا كان هذا سعيهم الحثيث.. فى القديم والحديث.. فإن الأمر على ما يقول عز وجل:

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

[الرعد/ ١٤]

يتبع

خطبة الجمعة :

نعمة الله على عبده

لفضيلة الشيخ / طه الساكت

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسان وفضله وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل من شرفه الله وجمله اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه صلاة مهذبة لنا ومكملة أما بعد فقد قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ **[الإسراء: ٧٠]**

خلق الله الإنسان فى صورة بديعة دلت على عظيم قدرته وبالغ حكمته فميزه عن سائر الحيوانات بجميل الخلقة وحسن الاعتدال. وخصه بفضل يسترشد بنوره ولسان يعبر عما فى ضميره. وسخر له ما يهتدى به ويستخدمه فى مصالحه. فدواب البر تحت إرادته وسفن البحر رهائن قدرته. ثم شق له الأرض شقا فأخرج من نباتها أصنافاً وأنتج من طيباتها أنواعاً. ذلك قليل من نعم الله على عبده ويسير مما تفضل به عليه

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

[إبراهيم : ٣٤]

وقد اقتضت حكمته جل شأنه ان يكون عباده مختلفين فى الرزق متفاوتين فى الغنى ليسخر بعضهم بعضاً وليكونوا متآزرين على حوائجهم متعاونين على مصالحهم. ذلك قليل من نعم الله على عبده وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار. يقول الإنسان ـ وما أكثر قوله ـ لو كنت مثل هذا الغنى مالا، أو لو كنت بمنزلة هذا الرئيس جاها، ويا حبذا لو كنت كذلك الحاكم منصبا، يقول ذلك وهو غافل عن نعم الله العديدة ومننه الجليلة وربما كان فى الواقع أفضل منه حالا



وأحسن منه مالا ولو أنصفت أيها العاقل لعلمت أن هذا سنة الله في خلقه:

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٣]

فرحم الله امرءا تذكر نعم الله عليه ونظر فى دنياه إلى من هو أقل حالا ونظر فى دينه إلى من هو أعلى شأنا فكفى نفسه المؤنة ونهج منهج السبيل.

لو نظر إلى نفسه لوجد انه أحسن منه دينا وأوفر منه رضا وأرضى بالا، ولكن

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٧]

وقد تقتضى حكمة الله البالغة أن يستوفى ذلك الغنى فى الدنيا نصيبه فيتمتع بلذاتها ويمرح فى شهواته ويقضى أربه، وماله فى الآخرة من نصيب.

وانظر إلى الكافر يظهر لك انه متمتع بزخارف الدنيا، غارق فى لذائذها ذلك لهوانه على الله وقلة قدره عنده.

أفليس من الظلم بعد هذا أن يتمنى كل أن يشارك فى فانية لماذا يرجو ذلك؟!.. فرحم الله امرءاً نظر بعين العقل واهتدى بنور البصيرة فرضى بما آتاه الله ولم يحزن على ما فاته.. وليس ينهاكم الله أن تسعوا فى معاشكم وبه صحة دين ودنيا.

كل الناس يريد أن يكون غنيا وكل الناس يحب أن يكون رئيسا وكل الناس يود أن يكون حاكما. إذن تعطلت المصالح ووقفت الأمور وتغيرت سنة الله فى خلقه. ولن تجد لسنة الله تبديلا فرحم الله امرءاً نظر بعين العقل واهتدى بنور البصيرة فعرف حكمة الله البالغة ونظام الله البديع.

ولو نظر إلى نفسه وإليهم لوجد أنه أهدأ بالا وأقل اشتغالا وقد يقضى الله على عبده أن يتمتع بزخرف الدنيا فيمرح فى شهواتها ويتيه فى لذاتها حتى يستوفى فيها نصيبه وماله فى الآخرة من نصيب وها نحن أولاء نرى أعداء أكثر مالا وأشد لذائذ وأكبر حظا وأوفر دنيا، أفليس من الظلم أن نحسده على زخرف فان ونعمة زائلة وغرور زائل، بل أليس من الظلم أن نشاركه فى لذاته ونحن نبتغى فضل الآخرة.

نعم الدنيا الصالحة للرجل الصالح يجعلها سبيلا إلى الآخرة وأنعم بذلك سبيلا.

فتذكروا رحمكم الله نعم ربكم واستعينوا بها على شكره وتجنبوا ما لا يليق بمقام العبودية واضرعوا إليه وتذكروا قوله تعالى:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]

واعلموا انه الفعال لما يشاء واستعينوه تعالى على التوفيق فى الأمر والسداد فى الرأى والهدى إلى خير السبيل طريق الحق وخير السبيل.

وقد يبتلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان بنقص فى المال، أو بفقد فى الأولاد، أو بنقص فى الثمرات، ليعظم لصاحب الصبر الأجر:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾

[البقرة: ١٥٥، ١٥٦]

فخذوا رحكم الله من حكم الله عونا لكم، ونصرة فى أموركم، وقيسوا مالم يُبين على ما بُين لكم، فذلك طريق الحق.




كان مسلمة بن عبدالملك فى مجلس أصدقائه ببيته العامر فى دمشق إذ قدم عليه حاجبه يعلنه أن وفداً من أقاربه الأمراء أبناء بنى مروان يطلبون لقاءه، وفى وجوههم من الاهتمام ما يدل على أن وراءهم ما يرجون إذاعته من الأنباء، فتطلع مسلمة إلى جلسائه فعرفوا أنه يريد الخلوة بأمراء بيته، فاستأذنوا منصرفين.

قصة العدد

فى مجلس عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدى

واستقبل مسلمة ضيوفه مُرحبًا، ولم يُمهلوه إذ تحدث كبيرهم فى أسف يدل على الغيظ، فقال: أيها الأمير أنت كبير المروانيين وقد جئناك نشكو أمير المؤمنين الجديد عمر بن عبدالعزيز إذ حرمنا ما كنا نناله من الخلع والبدر عقب تولى كل خليفة جديد! وحين عاتبناه فى ذلك أظهر الغضب، وقال:

إن بيت المال للمسلمين وليس لآل مروان.

●● فأطرق مسلمة كمن يفكر ثم قال: لقد كان من عادة أمير المؤمنين من بنى مروان إذا تولى الأمر أن تهيأ له الخلع الجديدة والخيول المطهمة، وتساق إليه آلاف البدر من بيت المال، فهل نال ابن عبدالعزيز شيئًا من ذلك؟!

● قال كبير القوم: إذا كان قد حرم على نفسه ما هو حق له، فكيف يحرم علينا حقا كان يفعله معاوية، ويزيد، ومروان، وعبدالملك الوليد، وسليمان، إن هذا لهو الظلم البين، هبه ظلم نفسه أيظلمنا معه!

●● قال مسلمة: سأكلمه في ذلك بتؤدة لأني أعلم أنه يسلك مسلك عمر وأبي بكر وعلي ولا يسلك مسلك معاوية ويزيد!

وهنا حانت صلاة الجمعة، فتهيأ الجميع إلى صلاتها بالمسجد الأموى، حيث يقوم بالخطبة أمير المؤمنين.

● صعد عمر إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى وكونوا كمن عاين ما أعده الله لثوابه وعقابه، فعمل طالبا لهذا

وخائفا من هذا، ولا يطولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم!

واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الآخرة، فأما من لا يداوى جرحا إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطمئن بالدنيا؟!

وأعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه فتخسر صفقتى، وتظهر مسكنتى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثم بكى عمر، فارتج المسجد بالبكاء.

●● قال مسلمة لأصحابه: ليس هذا يومكم بعد ما سمعتم من قوله. ولي يوم آخر معه إن شاء الله.

***

لم يكد مسلمة يذهب إلى منزله، فينام نومة القيلولة حتى فاجأه الحاجب بوجود شعراء المدينة يشكون إليه حرمانهم من لقاء أمير المؤمنين حيث لم يسمح لهم الحاجب بالدخول، ويرون أن مسلمة بن عبدالملك هو الذى يستطيع أن يشفع لهم بالدخول، فأنزلهم منزلاً كبيرا فى قصره الكبير وطلب أن يمهلوه إلى الغد حتى يستطيع لقاء أمير المؤمنين.

وفى صباح الغد توجه مسلمة إلى قصر الخلافة، وقابله عمر بن عبدالعزيز بأسمى مظاهر التجلة والاحترام، وجلس مسلمة ليرى مع عمر صاحبيه سالم بن عبدالله ورجاء بن حيوة، وسالم يتحدث إلى عمر فيقول له:

- يا أمير المؤمنين إن أردت النجاة من عذاب الله، فصُم عن الدنيا، وليكن إفطارك الموت، وإن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين لك أبًا وأوسطهم لك أخًا وصغيرهم لك ابنًا فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك.

ثم سكت سالم فقال رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحبه لنفسك واكره لهم ما تكرهه لنفسك، وإني أخاف عليك كل الخوف من يوم تزل فيه الأقدام، وتعظم الآثام.

فابتسم مسلمة وقال لعمر: نِعْمَ الصاحبان رفيقاك، ولكن الدنيا لا تسير على نمط واحد، ولى معك حديث خاص.

فاستأذن سالم ورجاء، فأذن لهما أمير المؤمنين.

● قال مسلمة، وقد خلا المكان: معى لك أمران، أمر يتعلق بأمراء البيت المروانى وأمر يتعلق بشعراء المدينة وقد عرفا منزلتي لديك فاستشفع بى هؤلاء وأولئك فماذا تقول؟

●● فابتسم عمر وقال: أنت يا مسلمة جاهدت في سبيل الله، وحضرت معركة القسطنطينية، وجاهدت على أبواب الصين غازيا، وأرجو أن أكون فى ركابك يوم يقوم الناس لرب العالمين، فهل تراني على حق

حين أحمى بيت المال، وأدع ذخائره للفقراء والمساكين، أم أكون على حق حين أبذره تبذيرا فأعطيه لمن تكدست عندهم الأموال ويعيشون عيشة البذخ والتبذير ينفق الواحد منهم فى اليوم الواحد ما يحتاجه مئات الفقراء حين يتضورون من الجوع، قل أيها المجاهد الباسل الشريف؟!.

● قال مسلمة: لقد سحرنى قولك على إيجازه، ومادام القوم يعيشون فى بذخ كما أعلم وتعلم فأنا مع أمير المؤمنين.

●● قال عمر: الحمد لله! بلغنا منتصف الطريق. فماذا عن شعراء المدينة المنورة؟

● قال مسلمة: لقد كانوا يفدون على أمير المؤمنين عبدالملك، ثم أمير المؤمنين الوليد، ثم أمير المؤمنين سليمان، حين يملكون زمام الحكم فيمدحونهم ويرجعون بالهبات الجزيلة يتحدثون عن فضائلهم فى قصيد رنان ويذيعون مآثرهم فى إسهاب، ثم حضروا إلى قصر الخلافة بالأمس، فردهم الحاجب خائبين واستشفعوا بى إليك.

●● فقال عمر: ويلى من شعراء المدينة لقد كنت واليا على المدينة عدة سنوات وسمعت كثيراً مما قالوا من الشعر عفيفًا وغير عفيف، بل حفظت بعض ما قالوا لأنى أطرب إلى الأدب، وأرى الشعر ديوان العرب، وأنا أعرفهم واحداً واحداً، ولأجلك سأقابلهم وأناقشهم فيما قالوه، فقد يرتدعون عن الضلال.

قال مسلمة: حياك الله وأكرمك، ومتى يكون اللقاء؟

●● قال: من الغد وفى الصباح بإذن الله.

***

فوجئ عمر بن عبدالعزيز بأن القادمين ليسوا من شعراء المدينة وحدهم، بل معهم الفرزدق، والأخطل، وجرير، فأسرها فى نفسه ثم سمح بدخولهم واحداً واحداً، وبدأ بعمر بن أبى ربيعة فدخل مستخذيا فقال له أمير المؤمنين:

- يا عمر! ألست القائل:

فيا ليت أنى حيث تدنو منيتى
شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت سليمى فى القبور ضجيعتى
هنالك أو فى جنة أو جهنم

إن الإنسان حين تدنو منيته يثوب إلى رشده، وأنت فى هذا المأزق الحرج تتمنى ما لا يباح! ارجع إلى وطنك واسلك غير سبيل الضالين.

فخرج عمر منكسراً، وجاء الحاجب بكثير فنظر إليه عمر مليًا وقال له:

- ألست القائل:

رهبان مدين والذين عهدتهم
يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا

أيكون السجود والركوع لغير الله يافاسق! ارجع إلى وطنك ولا أرى وجهك المقيت.

فخرج كُثير منكسراً، وجاء الحاجب بالأحوص، فنظر إليه عمر فى غضب وقال له:

- ألست القائل:

اللهُ بينى وبين سيدها
يفر عنى بها وأتبع

فهل وصل الفحش بك إلى محاصرة الجوارى ومتابعتها دون أن يردعك ضمير أو دين، ارجع إلى وطنك ولا أراك فى دمشق.

فخرج الأحوص مخذولا، وجاء الحاجب بالفرزدق، وهو ينظر متعاظما كأنه يعتز بشعره فقال له عمر:

- أتفضح نفسك يا فاسق فتقول:

هما دلتانى من ثمانين قامة
كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا
ووليت فى أعقاب ليل أبادره

هب أن الله ستر عليك أتكون عدو نفسك وتشيع الفاحشة بين المؤمنين ارجع إلى وطنك أيها التعيس.

فخرج الفرزدق حزينا، وجاء الحاجب بالأخطل، فنظر إليه عمر متفرسا وقال له:

- وأنت يا أخطل تقول:

ولست بصائم رمضان عمرى
ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بقائم كالعير يدعو
قبيل الفجر حى على الفلاح

أنت نصرانى فلا تلزمك صلاة ولا صيام فلماذا تتهكم بشعائر المسلمين ثم تجئ لتأخذ هبة أمير المؤمنين، ارجع عنى أخزاك الله.

فدخل الحاجب ومعه جرير فابتسم عمر فى وجهه وقال:

- يا جرير ألست القائل:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

هذا والله هو الغزل العفيف والتشوق إلى ماضى العهد البهيج، وأنا يا جرير لا أمنح الشعراء من بيت المال، فهم ليسوا من ذوى الصدقات ولكن ما فى منزلى غير مائة درهم صافية لى، هى لك، فقال جرير:

- ستكون أحل مال كسبته منذ قلت الشعر!

● فرغ المكان إلا من عمر ومسلمة فقال عمر لمسلمة: ماذا تقول فيما رأيت؟

فقال مسلمة: لقد فتحت عينى على كثير مما لم أكن أعلم، فوفقك الله إلى خير ما تحب يا أمير المؤمنين.



الحمــاة
بين الواقع الاجتماعى والرؤية الأدبية

للدكتور . متولى محمد البساطى

الحديث عن الحماة لا يكاد يخرج عن دائرة الاهتمام لأى فرد: رجلا كان أو امرأة، متزوجاً، أم عزباً.. وهو موضوع خصب يصلح للنظر من جوانب عدة، اجتماعية، أو تاريخية، أو أدبية، أو دينية أو نفسية.

والمجتمع العربى - شأنه شأن المجتمعات الأخرى - تبدو فيه النظرة العدائية للحماة متأصلة فى الوجدان الفردى، والجمعى، ولها جذورها الممتدة التى يصعب اقتلاعها سواء من جهة الزوج نحو أم زوجته، أو من جهة الزوجة، نحو أم زوجها، وإن بدت بصورة حادة فى الحالة الثانية.

وهذه النظرة العدائية من قبل كل من الزوج والزوجة يقابلها فى العادة نظرة مماثلة من قبل الحماة، ولذا يبدو الشعور العدائى متبادلا بين الطرفين، ولربما يرجع السبب الأساسى إلى الغيرة المتبادلة: فأم الزوج تغار من الزوجة التى انتزعت منها ابنها الذى لا يمكن أن تفرط فيه، أو تقبل التنازل عنه، هذا الابن الذى صارت زوجته محور اهتمامه، ومحط تفكيره واحتلت مكانة الأم.

والأم تريد من جانبها أن تظل لها مكانتها بالنسبة لابنها، فتحاول التشبث بهذا الابن، والحصول على ما يمكن من غريمتها زوجة الابن، وهى مشكلة ربما تكمن فى اللاشعور عند كل منهما، إذ أن الزوجة هى الأخرى تتشبث بزوجها محاولة أن تظفر به ظفرا كاملاً، ولا ترضى أن تتنازل عن شيء، ويكون الابن «الزوج» ضحية هذا الصراع النسائى.

والحال كذلك بالنسبة للزوج مع أم زوجته، إذ يظفر هو الآخر باهتمام زوجته، ويحل محل أمها فى اهتمامها به، والتوجه نحوه، وتريد الأم هى الأخرى أن تظل لها سيطرتها على ابنتها، بينما الزوج يريد أن يكون سيد الموقف، وما تدخل الأم فى حياة ابنتها بعد الزواج إلا صورة من صور هذا التشبث، وهو تصرف قد يفسد حياتها الزوجية، وينتهى بها إلى الانهيار.

وأظن أن قضية الصراع هذه إنما هى قضية إنسانية، لا تقتصر على مجتمع دون آخر.

ومما يساعد على اشتداد هذا الصراع قوة العلاقات، وتشابكها، وطبيعة الحياة المشتركة، حيث يعيش الابن فى منزل الأسرة مع أمه، وأبيه، فيظل للأم دورها فى توجيه الأمور داخل المنزل، وينظر إلى الزوجة على أنها وافد جديد، دخيل على الأسرة، وأنها غرة صغيرة، بينما ترى الزوجة أنها صاحبة الحق، وسيدة المنزل، وتحاول أن تأخذ مكانتها، وتعد أى تدخل فى شئونها انتقاصا من حقها وقدرها.

وهذا الصراع العدائى يترتب عليه نتائج سيئة غير ما سبق، منها: انتقال العداوة أحيانا من الزوجة إلى الزوج، أو من الأم إلى الزوج، مما قد يترتب عليه اتساع شقة الخلاف فى الحياة الزوجية، مما قد يفضى إلى الانفصال.

وتظفر الحياة بنصيب وافر من الأمثال الشعبية، التى تعكس تلك النظرة، التى تتوارث من جيل إلى جيل، وكذلك الحال فى المسرحيات، والمسلسلات، والأفلام، ومن الأقوال الشائعة فى هذا: «حماتك مماتك»، وقد ورد فى مجمع الأمثال للميدانى:

إن الحماة أولعت بالكَنّة
وأُولعت كَنّتُها بالظِّنّة

وهو مثل يضرب فى الشر يقع بين قوم هم أهل لذلك [١].

ومن الإنصاف القول بأنه وسط هذه الصورة العدائية لسوء العلاقة وتوترها بين الطرفين تبدو لوامع مضيئة لعلاقة طيبة حميمة تعطى انطباعا بالأمل لصحة العلاقات وقوتها بين حموات وأبناء وبنات اتسمت صلتهم بالود والبر، وظل الوفاء للحماة سمة مميزة فى حياتها وبعد مماتها مثلها فى ذلك مثل الأم عند بعض الأبناء والبنات، ليظل ذلك استثناء من القاعدة، وهو استثناء نرجو أن يصير هو القاعدة.

وفى محاولة لتتبع هذه القضية، وانعكاسها فى الجانب الإبداعى استرعى انتباهى موقف شاعرين: أحدهما قديم، والآخر حديث معاصر.

ففى القديم يصور أبو النجم العجلى «ت ١٣٠ هـ» هذه العلاقة غير الطيبة تصويراً ساخراً، فى وصية لابنته عند زواجها ضمن

(١) مجمع الأمثال ج١ ص١١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٧٨، والكنة: امرأة الابن.

عدة وصايا، فكان مما حرص عليه ألا تتوانى عن إيذاء حماتها، وعن مضاعفة هذا الإيذاء، وهي وصية لها خطرها، وأثرها السيىء على حياة ابنته، لأنها إذا عملت بها ستجعل حياتها معركة مشتعلة الأوار وما كان أحراه بدعوتها إلى البر بحماتها، والصبر عليها لتستقيم حياتها.

وكان أبا النجم يدعو ابنته أن تنتقم له مما أصابه في حياته الزوجية، إذ أنها لم تكن هادئة وادعة، كما يبدو من شعره، فزوجته أم الخيار كانت تجفوه وتعنفه، وتؤذيه بالقول الجارح [٢] ولا ندرى كيف كان حاله مع حماته، أم زوجته قبل زواجه منها، وبعد زواجه.

فلعل لأمها دوراً في ذلك، مما جعل أبا النجم يكرهها، ويجفوها، وتصير علاقته بها أعقد من ذنب الضب.

ومما قاله فيها:

قد زعمت أم الخيار إنى
شبت وحنى ظهرى الحنى
وأعرضت فعل الشموس عنى
فقلت ماداؤك إلا منى
لن تجمعى ودى ولن تضنى

ولأم الخيار كذلك رجز في أبي النجم تعيبه فيه، وتسبه، ولا يسمح المقام هنا بذكره[٣].

وكان لأبى النجم ثلاث بنات هن: ظلامة، وبرة، وثالثة أهمل ذكر اسمها، وولد اسمه شيبان.

وأبو النجم في حديثه عن زوجته أم الخيار، يذكر أنها كانت تلفق له الأكاذيب، وتدعى عليه إدعاءات [٤].

قد أصبحت أم الخيار تدعى
علىّ ذنبا كله لم أصنع
من أن رأت رأسى كرأس الأصلع

وفيما سبق اعتراف ضمنى بذنب ارتكبه، وعنفته عليه، وذلك في قوله: كله لم أصنع، وتتضمن القصيدة تهديدا لزوجته بالحبس، والشتم، والضرب، والإيجاع، على الرغم مما يربطه بها من قرابة:

يا ابنة عما لا تلومى واهجعى
لا تسمعينى منك لوما واسمعى
أيهات أيهات ولا تطلعى [٥]
هى المقادير فلومى أو دعى
لا تطمعى في فرقتى لا تطمعى
ولا تروعينى، ولا تروعى
واستشعرى اليأس ولا تفجعى
فذاك خير لك من أن تجزعى
فتحبسى، وتشتمى، وتوجعى

وتتكرر منه الوصية، لابنته في أكثر من

---

(٢) مقدمة ديوان ابى النجم العجلى ص٢٢، تقديم وشرح وتحقيق علاء الدين أغا، النادى الأدبى بالرياض ١٤٠١/١٩٨١م.

(٣) السابق ص ٢٢٥-٢٢٦ (٤) السابق ص ١٣٢-١٣٣

(٥) أيهات أيهات بمعنى: بعد ما تطمعين إليه منى من ود أو خير أو حتى فراق

قصيدة مما يفيد تعمق النظرة العدائية بينهما، وإن جاء شعره على سبيل السخرية والمفاكهة، جريا على طبيعته.

فهو يوصى ابنته «برة» أن تكرم الكلب، ولا تكرم الحماة، وأن تعم بالشر الحى كله حيث توجد الحماة، فيقول:

أوصيت من برة قلبا حرا
بالكلب خيرا، والحماة شرا
لا تسأمى ضربا لها وجرا
حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا
والحى عميهم بشر طرا

ويقول لابنته في قصيدة ثانية:

سبى الحماة وابهتى عليها
وإن دنت فازدلفى إليها
ثم اقرعى بالود مرفقيها
وأوجعى بالفهر ركبتيها
وركبتيها واقرعى كعبيها
ومرفقيها واضربى جنبيها
وظاهرى النذر لها عليها
لا تخبرى الدهر به ابنتيها
واغلقى كفيك في صدغيها [٦]

وفي وصية ثالثة جاءت ضمن عدة وصايا، كلها خير ماعدا ما يتصل بالحماة، وهي وصايا يحرص عليها لأنه موقن أنه ميت، ويضم الزوج إلى الحماة في الوصية بالشر والأذى، لأنه ابنها:

أوصيتك يا بنيتى فإنى ذاهب
أوصيك أن يحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب
لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تنى أظفارك السلاهب
منهن في وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب [٧]

وعلى الرغم من شيوع هذه النظرة العدائية لا يوجد في الشعر العربى القديم غير القليل من القصائد التى تعكس تلك النظرة العدائية، وستكون الندرة كذلك في الشعر العربى المعاصر.

ولربما يرجع السبب في الندرة إلى حساسية الموقف، وتشابك العلاقات، وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة قد يمتد أثرها إلى الآخرين، فالحماة أم للزوجة، ولا تظن الزوجة تقبل هجاء أمها أو النيل منها، فيكف الشاعر لسانه إيثارا للسلامة.

---

(٦) ديوان ابى النجم ص٢٣٠، وابهتى عليها: افترى عليها الأكاذيب واقذفيها بالباطل. والود هو العشيان بالإسادة، والشتم. والفهر: الحجر ملء الكف يدق به الوتد.

(٧) ديوان ابى النجم ص٦٧. والسلاهب: الطوال. وكاتب ان تكتب وتخطر في وجه الحماة، لتتأكد من الأذى بظهور أثره.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

ما قيل فى العلم والعلماء

قال الحسن البصرى رضى الله عنه:

قد يكون الرجل عالمًا ولا يكون عابدًا، ويكون عابدًا ولا يكون عاقلاً.

وقد تحقق قول الحسن هذا فى مسلم بن يسار، فقد كان عالما عابداً عاقلاً.

وقد قيل: ما قرن شىء إلى شىء أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

وقالوا: من تمام آلة العلم أن يكون شديد الهيبة، رزين المجلس، وقورًا صموتًا، بطىء الالتفات، قليل الإشارات، ساكن الحركات، لا يصخب ولا يغضب، ولا يهم فى كلامه، ولا يمسح عثنونه عند كلامه فى كل حين، فإن هذه كلها من علامات العى.

ومدح العلامة عبدالله بن المبارك مالك ابن أنس فقال:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة ... فالسائلون نواكس الأذقان

هدى الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال فيه أيضًا:

صموت إذا ما الصمت زين أهله ... وفتاق أبكار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة ... وسيطت له الآداب باللحم والدم

حقيقة

وبينما المرء أمسى ناعمًا جزلاً ... فى أهله معجبًا بالعيش ذا أنف

فما تزود مما كان يجمعه ... إلا حنوطا وما واراه من خرق



لم أعز أحسن من هذا العزاء

رثا «متمم بن نويرة» أخاه مالك بن نويرة الذى قتل بيد خالد، فلما استنشده عمر ذلك الشعر:

لقد لامنى عند القبور على البكا ... رفيقى لتذراف الدموع السوافك

تأثر به عمر، وقال: ليت مثله قيل لأخى زيد بن الخطاب، وكان قد استشهد فى القتال للإسلام، فقال «متمم»: ولكن أخى مالكا لو قتل كما قتل أخوك لم أبك عليه [هدف مختلف].

فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ: لم يعزنى أحد فى أخى زيد بن الخطاب أحسن من هذا العزاء.

يطلق خمس نسوة فى يوم واحد

قال الأصمعى للرشيد: يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلاً طلق خمس نسوة فى يوم واحد، فقال الرشيد: وكيف ذلك، ولا يجوز للرجل الزواج بأكثر من أربع؟

قال الأصمعى: كان هذا الرجل متزوجًا بأربع، فدخل عليهن فوجدهن متنازعات يتعاركن، وكان سريع الغضب فقال: إلى متى هذا النزاع، ونظر إلى امرأة منهن، وقال: ما أظن إلا أنك المتسببة فى هذا، اذهبى فأنت طالق.

فقالت له صاحبتها: عاجلت عليها بالطلاق، ولو أدبتها بغير هذا لكان أصلح.

فقال: وأنت أيضًا طالق.

فقالت الثالثة: قبحك الله يا رجل، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين.

فقال لها: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق.

فقالت الرابعة: ضاق صدرك إلا أن تؤدب نساءك بالطلاق؟

فقال لها: وأنت طالق أيضًا.

وكانت جارية تسمع ما جرى منه فأشرفت عليه، وقالت له: والله ما شهدت العرب عليك بالضعف ولا على قومك إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا أن تطلق نساءك فى ساعة واحدة.

فقال لها: وأنت أيتها المرأة المتكلمة فيما لا يعنيك طالق إن أجازنى بعلك، وسمعه زوجها فأجابه صائحا: لقد أجزتك، فعجب الرشيد من ذلك.

برد.. ونار

يكفيك من التقوى برد الاطمئنان، ويكفيك من المعصية نار القلق والحرمان.

«ما الرزية ؟؟»

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر
يموت بموته خلق كثير

«العمل بالعلم»

قال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا [الصفا الحجر الأملس].

وقال حكيم: لولا العمل لم يطلب العلم، ولولا العلم لم يطلب العمل.

وقال الصائبي:

ولم يحمدوا من عالم غير عامل
ولم يحمدوا من عامل غير عالم

«النية والحسبة والخلق»

خاطب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ابنه عبدالله فقال:

أما بعد: فإن من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن استقرضه جزاه، فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا صديق لمن لا خُلق له.

غرور

قال أبو العلاء المعرى:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقال له صبى: إن كنت صادقاً فيما تقول، فهات حرفاً جديداً غير حروف العربية الثمانية والعشرين فلم يستطع أبو العلاء جواباً.

لماذا تبكى؟

جلس أشعب مع قوم يأكلون فبكى،

فقالوا له: لماذا تبكى؟

فقال: الطعام حار.

قالوا له: دعه حتى يبرد.

فقال أشعب: ولكنكم لا تدعونه.

دعاء

اللهم اعطنى من الحلم أجمعه، ومن العلم أنفعه، ومن الرزق أوسعه، واجعلنى من عبادك الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

ما يقال عن البهائية

للأستاذ / عادل خفاجة

إن أهم ما يميز الدين الإسلامى أنه دين يعتمد العقل والتفكير منهاجاً وأساساً للإيمان وفى نفس الوقت يعتمد البساطة والبعد عن التقعر الفلسفى أساساً للتفكير لينأى بأصحابه بعيداً عن الضلالات العقلية.

لذلك نرى الحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة / ١٦٤)

ويقول جل من قائل:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

(الفرقان / ٦٢)

ويقول النبى ـ ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة» (صحيح البخارى جـ ٢).

إن المتأمل لآيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم يلاحظ بوضوح أن الإسلام دين يكرم العقل ويقدس البعد عن الغلو والتطرف، فمن لايحترم العقل أو لايلتزم بالوسطية فليس له من الإسلام شىء غير اسم يدعيه.

ولقد علم أعداء الإسلام ذلك فأتوه من هذا الجانب جانب الغلو والتطرف للخروج عن صحيح الدين بعيداً عن سماحة الإسلام ويسره فكان أول من بذر فى الإسلام بذرة المغالاة فى الدين عبدالله بن سبأ، فزعم إن القرآن له باطن وظاهر وان الظاهر غير مراد، والباطن لايفهمه إلا الأئمة وليس من الضرورى أن يكون هذا الباطن منسجماً مع العقل أو متمشياً مع المنطق «وزعم أن علياً ـ كرم الله وجهه ـ كان نبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله»(1).

---

(١) راجع الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر البغدادى واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى.



وهذا المبدأ بالذات كان القصد منه وضع خط فاصل بين ألفاظ القرآن ومصطلحات الشرع من جهة وبين المضامين والمعاني التي تنصرف إليها هذه الألفاظ وتحتويها هذه المصطلحات»[٢].

من هذه البذرة التي بذرها عبدالله بن سبأ خرجت الباطنية ومن سار على شاكلتها من الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من ادعى النبوة لبعض آل البيت كفرقة الإسماعيلية الذين قالوا بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر، بل زعمت هذه الفرقة انه لا يخلو زمان من نبوة إلى يوم القيامة ولم يقفوا عند دعوى النبوة بل تجاوزوها إلى القول بالإلهية لجماعة من آل البيت وغيرهم قالوا بإلهية علىّ عليه السلام وإلهية كثير من أولاده وأحفاده[٣] وقد سار البابية البهائية على نفس الدرب الذى سلكه إخوانهم الباطنية لصرف القرآن والحديث عما يراد بهما من الحكمة والهداية.. ولكى نعرف البهائية لابد أن نعرف أولا البابية التى انبثقت عنها البهائية وورثت دعوتها وقامت على أنقاضها أو صارت امتدادا لها فالبابية نسبة إلى الباب وهو محمد علي الشيرازى الذى أعلن أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمي نفسه الباب.

وكلمة الباب معروفة عند طوائف الشيعة والصوفية فالإسماعيلية يطلقون كلمة الباب على الشيخ أو الأساس الذى يعلم الناس أمور الدين.

والدروز يطلقونها على الوزير الروحاني الأول الذى يشمل «العقل الكلى».

وقد ولد محمد على فى شيراز أول المحرم سنة ١٢٣٦هـ ٢٦ من مارس سنة ١٨٢١م وكان أبوه تاجرا فتوفى وهو صغير فقام خاله بكفالته وأخذ يشتغل بعد ذلك بتجارة أبيه ثم ظهر اهتمامه بالأمور الدينية وجنح إلى الزهد والتقشف والاشتغال بالتصوف إلى حد الهوس حتي لقد كان يصعد إلى سطح المنزل ويظل فى الشمس ساعات طويلة وقد انتهت به هذه الحال إلى أن بدا عليه خلل فى تفكيره واضطراب فى قواه العقلية.

فبعث به خاله إلى النجف وكربلاء للاستشفاء بزيارة قبرى الإمام على والحسين رضى الله عنهما ولكنه طاب له المقام هناك فأقام فى كربلاء وأخذ يعاود ما كان عليه وأكثر من التلاوة والتهجد مما لفت إليه بعض تلاميذ الرشتى فأخذه إلى مجلس شيخه وكان الرشتي شيخ طائفة الشيخية بعد الأحسائي وكان كلاهما يكثر من الحديث عن الموعود والمهدى والقائم الذى أوشك زمانه وبحث أتباعه على البحث الجاد عنه فوجد الشيرازى فى كلام الشيخ الرشتي ما يهدهد أحلامه ويفتح أمامه باب الأمل فيما هجست به وساوسه فأخذ يكتب ويقلد الرشتي ثم أخذ يهمس لمن حوله بأنه باب المهدى.[٤]

تعاليم الباب

قام الباب بتلفيق كثير من التعاليم جمعها من الديانات المختلفة وأطلق عليها دينه الجديد ودعا إليها أتباعه ومريديه نذكر منها أنه:

(٢) البهائية وسائل وغايات.. للأستاذ الدكتور طه حبيشى ص٧، ٨ الطبعة الثانية ـ القاهرة ٢٠٠٦.

(٣) محمد الخضر حسين: البابية أو البهائية، مجلة الأزهر المجلد ٨ ص٣٥٨.

(٤) محمد إبراهيم الجيوشي ـ مجلة الأزهر المجلد ٣٤ ص١١١٨، ص١١١٩.



١- ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة إلا فى الجنازة.

٢- جعل القبلة هى البيت الذى ولد فيه بشيراز أو مكان سجنه أو البيوت التى عاش فيها هو وأتباعه وفرض على أتباعه الحج إليها.

٣- أنكر وجوب الطهر من الجنابة.

٤- جعل للعدد ـ ١٩ ـ عند البابية تقديرا خاصا ولذا فهم يقدسونه جدا، فالسنة عندهم تسعة عشر شهرا، والشهر تسعة عشر يوما، ويدير شئون جماعتهم مجلس يتألف من تسعة عشر عضوا.[٥]

وهذه الفتنة بالرقم ١٩ جعلتهم يجعلون عدة المطلقة تسعة عشر يوما.. فأى فائدة ترجى من هذه التسعة عشر يوما إذا كان المقصود من العدة براءة الرحم؟!

وهم لا يصلون فى مساجد المسلمين ولا كصلاتهم بل لهم معابد وصلوات مخصوصة كما انهم لايحجون البيت الحرام بل يحجون قبر بهاء الله والمهدى ولا يصومون رمضان بل يصومون تسعة عشر يوما ابتداؤها يوم شم النسيم وبالجملة فلو اطلع أحد على حقيقة دينهم اطلاعا تاما لعلم ان الإسلام برىء منهم وان ما يتصفون به من قولهم: إنا نحن مسلمون رياء وكذب لايرضاه الله ولا المسلمون أجمعون.

عقيدة البهائيين

استقرت عقيدة البهائيين ـ كما قررها لهم البهاء حسين على المازندراني «١٢٣٣ ـ ١٣٠٩» فى ألواحه ووحيه وكما فسرها دعاته فى كتبهم ونشراتهم ـ على أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هى رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديما وحديثا هم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه فى زعمهم، وآخرهم وأكملهم هو مفسر سورة الواقعة فى مؤتمر بدشت ميرزا حسين المازندراني الذى لقب نفسه «بهاء الله» فهو عند نفسه وعند أذنابه مظهر الله الأكمل وهو الموعود ومجيئه الساعة الكبرى وقيامه القيامة ورسالته البعث والانتماء إليه الجنة ومخالفته هى النار وعندهم أن الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير بمخافاته وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الأبهى وإن أتباعه ـ حتى الذين يمتازون عليه بالعلم والذكاء والخبث مثل أبى الفضائل الجرفادقاني ـ كلهم يدعونه «ربنا» وليس ذلك تعظيما له ولا اعتقادا بتفوقه عليهم ولكن بغضا فى الإسلام وحقدا عليه وتآمرا مع ربهم على الكيد للرسالة المحمدية.[٦]

وإلى القارىء بعض ما ورد فى كتبهم، على ما أورده الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب:

(٥) المرجع السابق ص١١٢١.

(٦) محب الدين الخطيب: البهائية، مجلة الأزهر ص٢٧٥ المجلد السادس والعشرون.

كتاب (الإيقان)

ولقد نسبت إلى ربهم كتب يؤمنون بأنها هى وحى الله ـ ومنها ـ ولعله أولها ـ كتاب «إيقان» الذى طبعه محفلهم المركزى فى مصر سنة ١٣٥٢ وهو فى ٢٠٠ صفحة ويقول عنه أعظم دعاتهم الجرفادقانى فى رسالته الثانية من مجموعة رسائله المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٩ ـ ١٩٢٠، صفحة ٣٦ عند كلامه على «المعاد والرجعة»: «إن إرادة حضرة المحبوب ـ لازالت أقطار الأرض منورة بأنوار وجهه ورياض العالم مزينة بأزهار أمره ـ قد تعلقت باتحاد كلمة أوليائه وأمره المبرم قد نفذ باتفاق قلوب أحبائه فعليك بالاعتراف من معين «الإيقان» الذى جرى من قلم الرحمن، هذه الأزمان فإنه ـ مع وجازته ـ تبيان الزبر والألواح ومترجم كتب الله فالق الإصباح به فك ختم النبيين(٧) وحل عقد إشارات السابقين فابذل غاية الجهد والتدبر فى هذا الكتاب المستطاب ليلهمك الصواب فى كل باب واحفظ قلوب الأحباب عن نطاق الشك والارتياب ان «ربنا» لبالمرصاد وهو ولينا فى المبدأ والمعاد.

تنازع الأخوين على كتاب «الإيقان»

ومن العجيب أن كتاب «إيقان» هذا يتنازعه عدو الله البهاء المازندرانى وأخوه المخالف له يحيى المازندرانى فكل منهما يدعيه لنفسه ومعلوم أنهما كانا معا فى إيران وانتقلا معا إلى العراق ثم إلى القسطنطينية وأدرنة فلما تقرر نفيهم إلى عكا سنة ١٢٨٥ أبى أخوه يحيى أن يبقى فى عشرته وتمرد على ربوبيته وطلب الانفصال عنه فأرسل إلى قلعة ماغوسة فى جزيرة قبرص ومن هنا ادعى يحيى أن كتاب «الإيقان» من إنشائه باللغة الفارسية وقال أخوه حسين «البهاء»: بل هو من وحيى وتنزيلى حتى قال فى «الإشراق التاسع» ص ١٠٤ من ترجمة الإشراقات المطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٤٣ مع «نبذة من تعاليم حضرة بهاء الله»: ولما وردنا العراق ألفينا أمر الله خامدا ونفحات الوحى مقطوعة وشاهدنا الأكثرين جامدين بل أمواتا غير أحياء، لذا نفخ فى الصور مرة أخرى، وجرت هذه الكلمة المباركة من لسان العظمة «نفخنا فى الصور مرة أخرى، وأحيينا الآفاق من نفحات الوحى والإلهام».(٨)

مجموعة الألواح

ومما يسميه البهائيون وحيا من ربهم البهاء كتاب يسمونه «مجموعة الألواح المباركة» وهو مطبوع بأمر عبد البهاء فى مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ ـ ١٩٢٠، وقد جاء فى ص ١٦١ منه فى لوح من ألواحه عنوانه «هو الناظر من أفقه الأعلى» مخاطبا شخصا اسمه عبدالوهاب: «ياوهاب، إذا اجتذبك ندائى الأحلى وصرير قلمى الأعلى قل: إلهى إلهى لك الحمد بما فتحت على وجوه أوليائك أبواب الحكمة والعرفان.. أى رب أسألك بالذين أسرعوا إلى مقر الفداء شوقا للقائك وما منعتهم سطوة الأمراء عن التوجه إليك بما أنزلته فى كتابك ثم بالذين أقبلوا إلى أفقك بإذنك وقاموا لدى باب عظمتك وسمعوا نداءك

(٧) أى أبطل به كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين.

(٨، ٩) محب الدين الخطيب مجلة الأزهر ـ المجلد السادس والعشرون.



وشاهدوا أفق ظهورك وطافوا حول إرادتك أن تقدر لأوليائك ما يؤيدهم على ذكرك وثنائك وتبليغ أمرك إنك أنت المقتدر على ما تشاء لا إله إلا أنت الغفور الرحيم، يا قلمى الأعلى بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء».

وهذا الخطاب ـ وكثير غيره من أمثاله ـ مبنى على أن البهاء حسين على المازندرانى هو الله وأنه لا إله إلا هو الغفور الرحيم المقتدر على ما يشاء وإن أساس عقيدتهم أن الله ليس له وجود الآن إلا بظهوره فى البهاء الأبهى بلغ الكمال الأعلى وإنه ليس لله ـ عندهم ـ أسماء ولا صفات ولا أفعال إلا ما يتصف به من صفات مظهره وهو البهاء وما يصدر عن البهاء من أفعال إلهية!(٩)

ومن كتبهم الدرر البهية: وفيه إنكار كون القرآن معجزا ببلاغته وفصاحته وتأويل آيات القرآن على ما ينطبق على بدعتهم وغير ذلك من الضلال.

وهم يزعمون أن النبى ﷺ لم يبين للناس معنى القرآن الحقيقى وأسراره الخفية وبواطنه المعنوية ولا بينها الصحابة والأئمة من بعده وإنما بقيت مجهولة مبهمة حتى قام «بهاء الله» الأعجمى الفارسى الذى لم يحسن العربية فبينها على حقيقتها لأن الروح الإلهى حل به فأنطقه بذلك.

بيت العدل

«اتجه البهائيون بتوجيه اليهود إلى تأسيس بيت العدل فى حيفا بعد أن استقرت الدولة الإسرائيلية واستقرت فيها التشكيلات البهائية الممثلة للمحافل البهائية فى جميع أقطار الدنيا.

والمرء حين يقرأ لأول مرة تشكيل بيت العدل البهائى ويتأمل الأعضاء فيه يجد نفسه مشدوها.. إذ انه لو لم يقرأ اللافتة البهائية لظن نفسه داخل أعتى تشكيل للماسونية العالمية، حيث تشكل بيت العدل فى حيفا لأول مرة سنة ١٩٦٣ انتخب الصهيونى الأمريكى «ميسون» ليكون رئيسا روحيا لجميع أفراد الطائفة البهائية مع العالم».(١٠)

وبعد... فإذا كان القرآن قد بشر بأن الله تعالى رفع عن كل البشر سيطرة الرؤساء الروحانيين حتى خاطب من أنزله عليه بقوله:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية ٢١: ٢٢)

وسمى النبى ﷺ عبدا، وذلك هو الرجوع إلى الفطرة المعتدلة كما ورد فى قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

(الروم: ٣٠)

وهو بالإضافة إلى أنه رجوع إلى الفطرة السليمة ففيه تبشير برشد البشر واستقلالهم فهل يحق للبابية أو دين أو أى فرقة أخرى أن تأتى لتهدم هذا كله عودة إلى إرجاع السيطرة الدينية للأشخاص؟!

إن الله الذى منَّ على الإنسان بنعمة العقل لايرضى لعباده أن يكونوا عبيدا لبشر مثلهم، مهما ادعى بعضهم أنه مظهر الله!! فإن الله تعالى لايرضى لعباده الكفر.

(١٠) أ.د. طه حبيشى ـ البهائية وسائل وغايات ص ٣٥.





إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

عن البهائية

لا خلاف فى أن شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» واحدة من أهم وسائل الاتصال والتواصل الحضارى والثقافى فى العالم ان لم تكن الأهم على الإطلاق لأنها تتيح فرصة التواصل لجميع المستويات الثقافية والعلمية بدون انتقاء أو تفرقة وبالتالى فهى تعطى صورة تقريبية صادقة إلى حد ما لما يحدث فى مختلف دول العالم.. ومن الطبيعى أن يقوم المرء بتصفح المواقع المنتمية لبلده وهذا هو ما أوصى به ويحرص عليه غيرى.

ولكنى توقفت عند ملاحظة غريبة وهامة فى نفس الوقت وهى أن عددا من المنظمات والحركات والتجمعات المصرية التى نشأت مؤخرا تتبنى أى فكر مناوىء للدولة لا لشيء إلا لأنه مناوىء للدولة وهو أمر بالغ الخطورة. فبالتأكيد هناك العديد من السلبيات التى يمكن رصدها فى كافة مؤسسات الدولة ولكن بالتأكيد هناك إيجابيات!!

والخطير فى الأمر أن السلبيات أو ما اعتبرته تلك المنظمات سلبيات هى أمور لا تتعلق بسياسة الدولة، ولكن بما وقر فى أذهان الشعب ـ وأقول الشعب ـ بأنه مسلمات بدهية لا تقبل النقاش، حيث تقوم هذه المنظمات بمهاجمة تلك المسلّمات الشعبية البدهية التى لايقبل رجل الشارع فى مصر المساس بها ـ من منطلق أنها سياسة الدولة وليست توجها شعبيا فطريا.

وأقصد بهذا مسألة «البهائية» تلك الفئة التى طالب الأزهر منذ سنوات ولا يزال يطالب بتطهير مصر منها ومن أدرانها واجتثاثها من جذورها.

المنظمات الشعبية لم تدافع بشكل صريح ومباشر عن البهائية ولكنها سمحت للبهائيين والشيوعيين بعرض فكرهم على مواقعها كما لو كان يدخل فى إطار حرية التعبير!!

البهائيون عرضوا فكرهم على مواقع المنظمات الشعبية من منطلق أنهم أقلية مضطهدة، والذى يضطهدها الحكومة وليس الشعب.. هكذا عرضوا فكرهم.



والسؤال: هل ردع الكفر ومواجهته والحيلولة دون انتشاره يعد مصادرة لحرية التعبير وحرية التدين؟

- البهائيون يدعون النبوة وأنهم أفضل من سيدنا محمد ﷺ.
- البهائيون يرفضون ما جاء فى القرآن الكريم جملة وتفصيلا.
- البهائيون أبطلوا الحج إلى مكة وجعلوا حجهم إلى حيفا فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وتحت العلم الإسرائيلى.
- البهائيون جعلوا السنة تسعة عشر شهرا والشهر تسعة عشر يوما وبالتالى فهم يصومون تسعة عشر يوما فقط.
- والبهائيون رفضوا فكرة الجهاد ضد الاحتلال ودعوا إلى الاستسلام وإلقاء السلاح أمام العدو وغير ذلك كثير كثير.

هل من المنطق أن يُعبد الطريق لهذه الفئة الضالة المنحرفة لتفتن الناس فى دينهم وتنحرف بهم عن الجادة بما تبثه من سموم على شبكة المعلومات الدولية.

هل الجهر بالكفر والمفاخرة به يدخل فى إطار حرية التعبير والديمقراطية التى تتبنى الولايات المتحدة الأمريكية نشرها فى الشرق الأوسط وبشكل خاص فى مصر؟! مع ملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت ملايين الدولارات وبشكل علنى لعدد غير قليل من منظمات المجتمع المدنى فى مصر وغير مصر.

وهناك أصوات أمريكية عديدة استنكرت وهاجمت الموقف الدينى والشعبى الرافض للوجود البهائى فى مصر، خاصة وأن الولايات المتحدة بها نحو مليونى بهائى بما يمثل أكبر تجمع للبهائيين فى العالم.

فهل تكون هذه المنظمات ـ التى نشأت فى مصر مؤخرا بدعم أمريكى قوى ـ طابور خامس يعمل لصالح الأهداف الأمريكية التى تهتم حاليا أكثر ما تهتم بشن حرب شعواء على العقيدة الإسلامية وتهاجم كل الدول العربية والإسلامية التى تنص دساتيرها على أن الإسلام هو المصدر الأول للتشريع فيها ومن بين هذه الدول مصر؟!

- المنظمات المذكورة لم تحدد موقفها بشكل صريح وواضح من النص الدستورى الذى يقول: إن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأول للتشريع.
- المنظمات المذكورة لم تحدد موقفها بشكل صريح وواضح تجاه البهائية والقاديانية والشيوعية وغيرها.

فى الوقت نفسه فإن هذه المنظمات بدأت تتغلغل فى كيان هذا الشعب استغلالا للظروف السياسية والاقتصادية التى تمر بها البلاد، وبدون أن تسفر عن وجهها الحقيقى الذى يكتنفه الكثير من الغموض فما أيسر استغلال الظروف وتهييج الرأى العام وإثارته وادعاء المواقف البطولية لكسب التعاطف والتأييد وصولا إلى تحقيق الأهداف غير المعلنة ألا وهى تجريد الأمة من عقيدتها وهويتها الدينية التى هى سر وجودها ووحدتها وتماسكها.

اتمنى ان اكون مخطئا والا يكون فى مصر خونة وعملاء.

أحمد تقى الدين



معاوية بن أبى سفيان

القارئ أحمد عبدالرحيم ـ شبرا الخيمة كتب يقول: إنه قرأ فى أحد الكتب أن معاوية بن أبى سفيان تسبب فى مقتل الخليفة الراشد على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ واغتصب الخلافة لنفسه، فى حين أنه سمع من خطيب المسجد أن معاوية كان أحد كتبة الوحى، وأنه كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطلب تفسيرا لهذا التناقض: كيف يتفق لصحابى أن يقتل الخليفة؟

●● وأقول للقارئ العزيز إن معاوية بن أبى سفيان بن حرب أسلم يوم فتح مكة، وبعض الروايات التاريخية تقول إنه أسلم قبل ذلك وكان يكتم إسلامه.

حسن إسلام سيدنا معاوية وشارك فى غزوة حنين وكان أحد كتاب الوحى لرسول الله ﷺ، روى له عن النبى ﷺ مائة وثلاثة وستين حديثا، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو الدرداء، وجرير بن عبدالله البجلى، والنعمان بن بشير، ومن التابعين سعيد بن المسيب، وحميد بن عبدالرحمن.

وقد أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن أبى عميرة الصحابى عن النبى ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هاديا مهديا»

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب».

وعلى هذا فسيدنا معاوية بن أبى سفيان صحابى جليل والصحابى كما عرفه ابن حجر: «من لقى النبى ﷺ مؤمنا ومات على الإسلام».

وقد روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن احدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

وروى الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون».

ومن هنا فلا يجوز أبدا أن تنساق وراء روايات تاريخية زائفة ليس لها من هدف إلا الطعن فى عدالة وإسلام أصحاب رسول الله ﷺ بل والتشكيك فى رسالة الإسلام نفسها.

وما وقع من خلاف بين سيدنا على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وسيدنا معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه ـ كان مرجعه أسلوب القصاص من قتلة



سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ فسيدنا على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ كان يرى أن الفتنة تضرب الدولة الإسلامية بعنف، وأن الأمر يقتضى القضاء على الفتنة أولا وتوفير الأمن ثم القبض على القتلة والقصاص منهم، فى حين أن سيدنا معاوية كان يريد القصاص فورا من القتلة فشب بينهما الخلاف وكان ما كان من أحداث لا ينبغى لنا أبدا أن نكون مؤيدين فيها لطرف ضد طرف.. إنهم صحابة رسول الله ﷺ

وفى ذلك روى الإمام أحمد أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ـ قال: «لا تسبو أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره».

إنما الأمم الأخلاق!!

كتب الأستاذ/ السيد حسين العزازى ـ وكيل وزارة سابق بالكهرباء والطاقة، قال:

ـ الحضارة بدون أخلاق ليست أكثر من مظهر براق بلا مضمون وما أقربها شبها بما حذرنا منه الرسول (ﷺ) بقوله «إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال: المرأة الجميلة فى منبت السوء» والحضارة المادية المتسارعة بما تحتويه من إبهار وإثارة تخفى أنيابا قاطعة تفتك وتمزق الخارجين عليها والكارهين لها إن اعترضوا طريقها أو سدوا المنافذ لانطلاقها باتجاه مصالحها النهمة وطموحها الجياش ـ ومهما تكلمنا عن التقدم فلا يمكن توصيفه بمنأى عن الأخلاق باعتبارها صمام الأمان والسياج الواقى للإنسانية بكل ما تعنيه من قيم رفيعة وسلوك رشيد وفكر ملتزم ورؤية ثاقبة وهمة عالية وإرادة واثقة تبذل وتنجز وتدفع وتنقد وتنصف وترفع ويتنامى عطاؤها ويتواصل خيرها فيعم الجماعات والمجتمعات ويتخطى المكان بالانتشار ويواكب الزمن بالاستمرار.

والذين يتحلون بالأخلاق النبيلة يشكلون القدوة والنبراس للبشرية مصلحين ومجددين يغرسون المثل ويرسخون الثوابت ويهيئون القلوب والضمائر لاستيعاب الصلاح علما له مناهجه، وعملا له قواعده وفوائده والرسول ﷺ كان يلخص رسالته بقوله الشريف: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ويصفه الخالق ـ عز وجل ـ بقوله الكريم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم/ ٤)

ومن منطلق خلقه كانت سجاياه وشمائله وخصاله وفضائله وفيوض نوره وإلهامه الكاشف وجرأته فى الحق وبسالته

في الواجب وصبره واحتسابه عن إيمان بمشيئة الله.

ومن جملة ذلك تحققت أستاذيته للبشرية قاطبة واتسمت رسالته بالشمولية والعمومية والعالمية والخاتمية لأنها خاطبت الفطرة السوية والنفوس النقية وزودت المؤمنين بالتقوى وجعلت منهم أمناء وحراسا للحق وطلابا للحقيقة الناصعة وعندما يتواجد ويتكاثر أمثال هؤلاء يقل الفساد حتى يتلاشى ويصير الصواب سبيلا والسداد نتيجة وما نعانيه من عجز وهوان يشخص افتقادنا وافتقارنا للاقتداء وبما يرتب وهن الانتماء وضعف الوفاء وغياب التكافل في إطار من القناعة والتواضع، ونحن بما نعاني لا نخرج عن كوننا فصيلا معاندا للمنهج الأخلاقي، وتحولنا للأفضل رهن بالرجوع والإنابة من منطلق موضوعي يترفع عن الصدام وينهج من المرجعية ما فيه خير البشرية مصداقا للحديث الشريف: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتي).

وليتنا نتخلى عن الاستعلاء والتفرد ونحرص على دعم الشورى والمشاركة وأن يكون لدينا إلى جانب ملكة الابتكار فضيلة الاعتبار بالموروث الأخلاقي للسلف ممن أبرزوا العدل أسلوبا وسلوكا، وياليها من صيحة مدوية في قرار المكان وعمق الزمان تلك التي قالها أبو بكر الصديق لجموع المبايعين «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم» وتلاه عمر بن الخطاب: «لو رأيتم فيّ اعوجاجا فقوموني» فيعقب عليه الأعرابي لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف فتهلل عمر ولم يضق صدره أو يبدو حرجه بل حمد الله الذى أودع الشجاعة في قلوب الرعية.

● وتكمن مشكلتنا في تعطيل ميراثنا الثقافي وبخاصة الأخلاقي بكل ما يشتمله من معاملات وأدبيات الحوار والتفاهم بما في ذلك النقد والإفادة والنصح والاستجابة، وتبرز الفواصل بين ما نقول ونعرف، وبين ما نفعل ونعمل وهذه الانفصامية ترتب الجفاف والجمود وتنزع نبض الحيوية بحيث يصير الشعار مجردا من الشعور وأحرى بنا أن ندعم الدعوة الأخلاق وأن نسعى جاهدين للتطبيق لكونها ضرورة لازدهار المجتمع وترسيخ الأمن الاجتماعي عبر كل مجالات الحياة بدوافع إنسانية وتلقائية تضفي عليها المصداقية والغيرية والخيرية، وأن تتجسد آلياتها وهي الشفافية والإخلاص، وأن تكون عين الفرد على الجماعة وهمة الجماعة في خدمته وبذلك يتوفر طوق النجاة الذي يحملنا إلى بر الأمان ومن خلاله نستطيع أن نبني حصون السلام ورحم الله القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أبطال الإسلام

يوسف بن تاشفين

وعن يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين كانت كلمة الأستاذ الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية، قال:

ولد في المغرب سنة ٤١٠هـ ولقب بملك الملثمين وهو أول من دعي بأمير المسلمين.

آل إليه أمر دولة المرابطين سنة ٤٦٢هـ وكان رجلا تقيا حازما داهية مجربا فمد فتوحه في المغرب الأفريقي حتى دان له جميعا واختط مدينة مراكش فكانت عاصمة لدولة المرابطين ثم ملك سبتة وطنجة وفاس وأصبح بذلك مطلا على جنوب الأندلس.

استنجد به المعتمد بن عباد من أشبيلية ضد الافرنج في الأندلس فاستجاب له بدافع من حب الجهاد والنصرة لإخوانه المسلمين فعزم على الزحف إليهم بجموعه وما كادت سفن جيش المسلمين تنشر قلاعها حتى صعد ملك الملثمين إلى مقدمة سفينته ودعا الله قائلا: «اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل عليّ جواز البحر وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه» فهدأ البحر وجازت السفن سراعا ولما نزل بأرض الأندلس سجد شكرا لله، وانضم إليه ملوك الطوائف بالأندلس منهم الراضي، ومنهم الكاره، فاخترق الولايات بجيوشه حتى التقى ألفونسو السادس عند الزلاقة سنة ٤٧٩هـ وظهرت منه خصال وأفعال تعيد إلى الأذهان سيرة السلف الصالح.

أعد ألفونسو ملك الفرنج جيشا قوامه خمسين ألفا وقال: هؤلاء أحارب بهم الجن والملائكة. فلما تقابل الجيشان أحاط جيش المسلمين بجيش ألفونسو وضيق عليه وأباده إبادة تامة ولم ينج إلا ألفونسو وخمسمائة مقاتل من جيشه.

وبايعه بعد موقعه الزلاقة ثلاثة عشر ملكا من ملوك وأمراء الأندلس وعند تكرار اعتداءات الإفرنج في الأندلس سير جيوشه إليهم واستولى قائد جيوشه «سير بن أبي بكر» على مدن مرسيه وشاطبة ودانية ثم بلنسية وأشبيلية وبطليوس وتم له ملك الأندلس كلها وبالرغم من هذا لم يخرج على الخلافة العباسية حتى توفي في مراكش سنة ٥٠٠هـ.



عودة الاعتداء على المساجد بكندا

اعتدى متطرفون من المعادين للوجود الإسلامى بكندا على أحد مساجد مدينة «تورنتو» عقب اعتقال «١٧» شخصاً مسلماً تتهمهم السلطات الكندية بالتخطيط لهجمات إرهابية، وهو ما أثار مخاوف المسلمين من أن يكون الاعتداء على المسجد بداية لردود فعل عكسية ضدهم.

وأعرب «محمد علم» رئيس المؤسسة الإسلامية فى «تورنتو» عن مخاوفه من أن «الحادث ربما يكون بداية عمليات انتقامية ذات دوافع دينية ضد السكان المسلمين فى كندا» الذى يقدر عددهم بأكثر من «٦٠٠» ألف نسمة.

حظر عمل المحجبات فى ثامن ولاية ألمانية

لحقت ولاية «وستفاليا» الألمانية بغيرها من الولايات التى تحظر رسمياً على المعلمات المسلمات ارتداء الحجاب بالمدارس وذلك بعد أن أقر برلمان ولاية شمال الراين تعديل قانون التعليم الذى يقضى بمنع المعلمات المسلمات من ارتداء الحجاب أثناء التدريس بأغلبية أصوات الائتلاف الحاكم المكون من الاتحاد المسيحى الديمقراطى وحزب الديمقراطيين الأحرار.

أما حزبا المعارضة الخضر والاشتراكى الديمقراطى فقد عارضا تعديل قانون التعليم

بشدة، فى حين يعتبره المجلس الأعلى للمسلمين فى ألمانيا سلباً للمرأة المحجبة حق ممارسة مهنة التدريس.

كما وصف حزب الخضر ذلك التعديل بأنه خطأ فادح قد يؤثر سلبا على عملية الاندماج فى المجتمع الألمانى لأنه لا يحل المشاكل ومن الممكن أن ينظر إليه على أنه رمز للتمييز كما اتهم الحزب «لورمان باربارا سومر» وزيرة التعليم فى الولاية بأنها لم تلتفت لكل الحجج التى تبرهن على مساوئ تعديل قانون التعليم.

كما انتقد المجلس الأعلى للمسلمين فى ألمانيا منع المعلمات من ارتداء الحجاب واعتبره تمييزاً واضحاً ضد المسلمين ووصفه بأنه بمثابة قرار يمنع المسلمات المحجبات من ممارسة وظيفة التدريس وخاصة أن الحجاب لا يتسبب أبداً فى نشوب الصراعات داخل المجتمع كما يزعم البعض.

محاكمة الكاتبة الإيطالية «فلاتشى» بتهمة إهانة المسلمين

بدأت جلسات محاكمة الكاتبة والصحفية الإيطالية المعروفة «أوريانا فلاتشى» فى مدينة «بيرغامو» شمالى إيطالى وذلك بتهمة القذف وإهانة الديانة الإسلامية وكان رئيس الجمعية الإسلامية الإيطالية قد رفع دعوى قضائية ضد «فلاتشى» بعد أن نشرت كتاباً عنوانه «قوة العقل» وقد ضمنته العديد من الجمل المهينة للمسلمين.

وقد عبرت بعض الأوساط اليمينية فى إيطاليا مثل حزب «عصبة الشمال» عن تضامنها مع الصحفية الإيطالية.

وحذر بعض السياسيين والمثقفين الإيطاليين من مغبة الحجر على حرية التعبير فيما اتهم آخرون «أوريانا فلاتشى» بتأجيج مشاعر الكراهية ضد المسلمين.

إسرائيل حولت «٧٣» مسجداً لملاه ليلية

كشفت صحيفة «هآرتس» العبرية النقاب عن قيام الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بتنفيذ مخطط مدروس بعناية شديدة من أجل تدمير المساجد الفلسطينية بخاصة



التاريخية منها وتحويل أغلبها إلى معابد يهودية وأماكن لهو وقد تم تنفيذ جزء كبير من هذا المخطط بصورة سرية إلى حد ما بحيث لاينتبه أحد ولايتكلم عنها من بعيداً وقريب اللهم إلا عرب إسرائيل الذين لايجدون من ينقل عنهم آلامهم حول تلك المساجد التي تم تدميرها وتدنيسها.

وأورد التقرير الذي أعده الصحفي الإسرائيلي «روبرت ميرون» أن هناك ما يقرب من «٣٤» مسجداً تم تحويلها تماماً إلى أماكن أخرى مثل «كنيس يهودي» أو متاحف إسرائيلية أو اسطبلات خيل لمعسكرات الجيش الإسرائيلي.

جائزة عالمية لنصرة الرسول ﷺ

أعلنت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي عن جائزة عالمية خاصة بالتعريف بنبي الرحمة محمد ﷺ بتمويل من مؤسسة الشربتلي الخيرية ومجموع جوائزها «٦٠٠» ألف ريال سعودي لثلاثة فائزين وذلك للإسهام في الدفاع عن الرسول ﷺ من خلال التعريف بشخصيته ومكانته في قلوب المسلمين وبسنته وهديه ومآثره العظيمة وإبراز منهاجه في معالجة المشكلات المعاصرة.

ودعت الأمانة العامة للرابطة الكتاب والمفكرين والباحثين والمتخصصين في السيرة النبوية للمشاركة في المسابقة.

وأوضح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبدالله التركي «أن باب المشاركة في الجائزة مفتوح لجميع الراغبين في تقديم الدراسات والبحوث الخاصة بموضوع الجائزة وتم تحديد عدد من الشروط للمشاركة منها أن تحقق الكتابة أهداف الجائزة بالتركيز على مآثر النبي ﷺ وخلقه ومعاملاته مع غير المسلمين وعلى آراء غير المسلمين المنصفين فيه.

رابطة لتوضيح مفاهيم الإسلام بالكونجرس الأمريكي

«الموظفون المسلمون بالكونجرس» هو اسم رابطة شكلها موظفون مسلمون يعملون في مبنى الكونجرس الأمريكي لتغيير المفهوم المشوه عن الإسلام لدى موظفي وأعضاء

الكونجرس وذلك من خلال تنظيم عدة محاضرات تعريفية لتوضيح المبادئ الحقيقية للإسلام وإزالة الصورة المشوهة من أذهانهم وتعمل المحاضرات على توضيح معنى الجهاد الإسلامي الذي يستخدمه الأمريكيون للإشارة لأعضاء القاعدة رغم ماتحمله الكلمة من معان أوسع وأشمل من هذا التغيير.

بالإضافة إلى استعراض حياة سيدنا محمد ﷺ وتوضيح الآثار النفسية السيئة التي انتابت المسلمين عقب نشر صحف غربية رسوماً كاريكاتيرية مسيئة للنبي ﷺ والتي آثارت تظاهرات واسعة في أنحاء العالم.

حصاد الحرية الأمريكية في العراق

كلما تحدث الأمريكيون عن الحرية المزعومة في العراق كشفت الأقدار عن جرائمهم التي يندى لها الجبين ضد الإنسانية في السجون فضلا عن المذابح في العديد من مدن العراق خاصة في سجن أبوغريب ومذابح جماعية في الحديثة حيث يطلق الأمريكيون النار على الأطفال والنساء، وآخر التقارير العراقية كشف عن زيادة عدد القتلى في مايو الماضي عن إبريل الماضي بنسبة ٣٨٪.

وبحسب الأرقام قتل ١٠٥٥ عراقياً وأصيب ١٤٢٣ آخرون بجروح في مايو مقابل ٧٦٢ قتيلاً و١٠٨٨ جريحاً في إبريل الماضي.

***

أبناء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الشيخ/ عمر الديب ـ وكيل الأزهر الشريف ـ الدكتور/ محمد فخر الدين عبدالمعطي ـ المستشار التعليمي بسفارة ماليزيا بالقاهرة.

رحب فضيلة وكيل الأزهر بالسيد المستشار التعليمي ودار الحديث حول المنح التي يخصصها الأزهر لطلاب وطالبات ماليزيا الذين يفدون للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة، وأكد فضيلة وكيل الأزهر علي أن طلبة وطالبات ماليزيا يحافظون علي دينهم وعلومهم وهم مثال للانضباط وتحمل المسئولية، وبالأزهر الشريف أعداد كبيرة من الطلبة الدارسين من دولة ماليزيا ـ كما أشاد فضيلة وكيل الأزهر بمدارس ماليزيا ومعاهدها التي تقوم بتدريس مناهج الأزهر الشريف وهي بذلك مثال صادق للتعاون بين الأزهر وماليزيا، حيث تهتم ماليزيا بتعليم الدين الإسلامي من خلال وسطية واعتدال المناهج الأزهرية.

ومن جانبه أشاد المستشار التعليمي لدولة ماليزيا بالقاهرة ـ بالأزهر الشريف ودوره العالمي تجاه تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم بوسطية واعتدال، وأنه جاء لمزيد من المنح الدراسية، حيث إن للأزهر قبول حسن لدي حكومة ماليزيا والتي ترجع دائماً للأزهر الشريف في الأمور الدينية، وخاصة أن معاهد ومدارس ماليزيا تطبق المناهج الأزهرية في فكرها.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالي الدكتور باسم نعيم وزير الصحة بالسلطة الوطنية الفلسطينية يرافقه سعادة السفير/ منذر الدجاني سفير فلسطين بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالي الوزير مؤكدا علي أن الشعب الفلسطيني دائما في قلوبنا ونتمني له التقدم والرخاء وأن يكون للفلسطينيين دولتهم المستقلة، مضيفا بأننا نشعر بما يعاني

منه الشعب الفلسطيني ونطالب بوحدة الصف الفلسطيني وأن يفرج الله كربه، كما أوضح فضيلة الإمام أن معهد غزه الديني يؤدي واجبه التعليمي تجاه أبناء الشعب الفلسطيني حيث يشرف عليه الأزهر الشريف كما أن الدراسة فيه قائمة علي المناهج الأزهرية والتي تمتاز بواسطيتها واعتدالها.

وقدم فضيلة الإمام الأكبر النصح لشعب فلسطين بالتعاون والتصافي وأن يكونوا جميعا كالبنيان المرصوص، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وإذا كانت هناك بعض الخلافات فيجب الا تؤثر علي وحدة الشعب الفلسطيني كما طالب في دعوته بنبذ الخلافات فيما بينهم.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً يتكون من أساتذة جامعات أزربيجان وعضوتان من البرلمان الأزربيجاني وذلك في إطار الدورات التدريبية في الثقافة العربية والإسلامية التي يعقدها مركز جامعة القاهرة للغة والثقافة العربية علي نفقة الصندوق المصري للتعاون الفني مع دول الكومنولث بوزارة الخارجية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد الأزربيجانى فى الأزهر الشريف موضحاً بأن أعداداً كبيرة من الطلاب يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وأن هناك عدداً من علماء الأزهر معارون لأزربيجان للتعاون مع هيئات التدريس بالمعاهد والجامعات هناك كما يقدم الأزهر منحاً دراسية تقدر بحوالى ٢٠ منحة كل عام، وقدم فضيلة الإمام الأكبر شرحاً مبسطاً عن التعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة والتى تمتاز الدراسة به بالوسطية والاعتدال والسماحة واليسر.

قدم أعضاء الوفد الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة لهم لهذا اللقاء وعلى مايقدمه الأزهر من منح ومساعدات دراسية لأبناء ازربيجان.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد المستشار/ محمد على أبوغازى مستشار رئيس جمهورية الجزائر وتأتى هذه الزيارة فى إطار التعاون الثقافى والدينى بين الأزهر الشريف وجمهورية الجزائر.

وأعرب الضيف عن سعادته لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء مؤكداً بأن الأزهر له مكانة خاصة لدى أبناء شعب الجزائر، حيث إن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال ويشهد بذلك أبناء الجزائر الذين تلقوا علومهم بالأزهر الشريف.

ومن جانبه رحب فضيلة الإمام بالضيف مشيراً إلى أن الأزهر الشريف لايدخر وسعاً فى تعليم أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض وبخاصة أبناء دولة الجزائر الشقيق كما بين فضيلة الإمام

الأكبر أن الدورة التدريبية التى يعقدها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى يشارك فيها خمسة من دولة الجزائر يتلقون خلالها المحاضرات فى الأحكام الشرعية والفقهية ويتعرضون فيها لأمور الفتوى ومستجدات العصر، وهم ينقلون ماتعلموه على أيدى أساتذة وعلماء الأزهر الشريف من فتاوى وأحكام شرعية إلى أبناء بلدهم.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير/ إبراهيم أدريس ـ سفير أثيوبيا بالقاهرة بمناسبة تولية مهام عمله كسفير جديد لبلاده بجمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير بالأزهر الشريف، متمنياً له التوفيق فى عمله كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية، وبين فضيلة الإمام بأن لدولة أثيوبيا طلبة وطالبات يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة يزيد عددهم على المائة بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر، كما خصص الأزهر عشرين منحة دراسية لأبناء أثيوبيا. وأن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التطرف الأعمى.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء مشيداً بدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء أثيوبيا بالأزهر، وأن العديد من خريجى أثيوبيا اللذين تلقوا تعليمهم وتخرجوا فى الأزهر الشريف يحتلون بعض المناصب العليا بالحكومة الأثيوبية، كما أن المسلمين يمثلون ٤٠٪ من تعداد سكان أثيوبيا الذى يبلغ ٧٨ مليون نسمة وأن حرية ممارسة العقيدة مكفولة للجميع.

وفى نهاية اللقاء طلب سعادة السفير زيادة التعاون الثقافى بين أثيوبيا والأزهر وزيادة عدد المنح الدراسية.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ السيد اللورد/ جورج كارى ـ رئيس أساقفة كانتربرى السابق والوفد المرافق له.

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف، قائلاً بأن مثل هذه اللقاءات تتيح لنا الفرصة لتبادل الآراء ومناقشة الأمور التى تهم المسلمين والمسيحيين فى شتى بقاع الأرض وخاصة فى هذا الزمن الذى نواجه فيه التحديات ومشاكل العصر، لأننا مسلمين ومسيحيين نعتبر الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة وأن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون، وأن العقائد لاتباع ولا تشترى، والذى يحاسب على العقائد هو

الله، وأن العقول الانسانية السليمة سواء للمسلم أو غير المسلم متفقة على ما جاءت به الأديان بأن هناك فضائل يجب أن تتبع وأن هناك رذائل يجب أن تجتنب، ونحن نؤكد أن أى إساءة للرسل هى إساءة للمسلمين والمسيحيين جميعاً.

وأضاف فضيلته بأنه تحدث مع بعض القيادات الدينية فى العالم بشأن إصدار قرار من مجلس الأمن يقول بأن حرية التعبير مكفولة للجميع بشرط ألا تسيء للأنبياء والرسل، ونطالب بتجريم الإساءة للرسل.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوى والاستقبال، مؤيداً ماسمعه من فضيلة الأكبر بأن المجتمع الدينى مستاء لما يحدث وأن من قاموا بهذه الرسوم ليس لهم دين ولا يمثلون الفكر المعتدل فى الغرب، وأن حرية التعبير يجب أن تكون مقرونة بالمسئولية، ويجب علينا كرجال دين أن نعمل معاً لإيجاد حل لهذه المشاكل، ورأى أن دور القيادات الدينية يتخلص فى :ـ

- الإدانة الكاملة لمثل هذه الإهانات.
- الدعوة لأن يكون للحرية مسئولية مقترنة بالحوار العاقل والتعبير العاقل.

***

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً من دولة المانيا يمثل السياحة والتنمية وبعض قيادات الإعلام الالمانى، برئاسة البروفسور الدكتور/ فريد مان بوتنر.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف ومؤكدا على أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وهم أخوة فى الإنسانية يتعاونون من أجل خدمة الإنسانية وتبادل المنافع التى أحلها الله فيما بينهم، وأن الحضارات تتعاون ولاتتصادم الأمر الذى يعود على بنى البشر بالخير، وأن الأديان السماوية التى أنزلها الله تدعو إلى المحبة والتسامح والبعد عن التعصب الأعمى ونبذ العنف وتحرم قتل النفس البشرية وهو ما تؤكده الشريعة الإسلامية التى تعتبر قتل النفس الواحدة ظلما وعدوانا هو بمثابة قتل الناس جميعا.

كما أجاب فضيلته عن أسئله واستفسارات السادة أعضاء الوفد حول رأى الأزهر فى التحديث والتطوير ـ قائلا بأن التقدم الصناعى والزراعى والعلمى نسعى إليه مع الاحتفاظ التام بعقائدنا كمسلمين.

كما أجاب فضيلته عن سؤال حول قتل الأبرياء قائلا :ـ بأنه حرام حرام فى الإسلام، فالدين الإسلامى يحرم قتل الآمنين من الأطفال والنساء والشيوخ كما أن الاديان السماوية تتمسك بالفضائل وفى الوقت نفسه تدعو إلى البعد عن الرذائل.

The strange thing about this was that Roger Garodi had criticized the US bias to Israel but he did not suffer the attack he suffered at Paris when he criticized Israel itself. Those who would claim the freedom of publishing and freedom of speech at the City of Light were themselves who prevented Roger Garodi from publishing his books. The publishing houses feared and thus abstained from printing and distributing his books.

Hereupon, we have to record for those who speak about the City of Light and Capital of Liberty and Equality that such light is restricted to their country and that such freedom does not go beyond their borders, while the freedom of man in all countries and the light that covers every horizon are but illusions belied by the painful facts.

Resonant Echo

The event of Garodi's embracement of Islam had a resonant reverberation all over the globe, even for those who tried to ignore such an event from among the enemies of Islam. Their attempt to ignore and disregard such an event indicated a psychological repression that was about to explode. Sometimes they tried to belittle the rank of the great thinker, despite his massive contributions to the human thought and which, before his conversion to Islam, gained their admiration. However, when he embraced Islam, all that admiration turned into hatred, and they began to contradict themselves declaring their suspicion of Garodi's intellectual faculty, which they had confessed once. What an irony!

On the other hand, there were some people who felt the intensification of Garodi's embracement of Islam and wanted to belittle it. They said that Islam was not in need of the likes of Garodi in order for it to be firmly established, for Islam possessed deep and original principles that would suffice it and thus it did not need a new supporter. Such malicious words were published at

some of the daily newspapers, which were too blind to see that those who said so did not like Islam to be supported by the prominent among the Western thinkers. That was the logic of people whose souls were filled with hatred against Islam. True are the Words of Allah in which He said:

{And Allah refuses (anything) except to perfect His light, though the disbelievers hate (that).}

[At-Tawbah (Repentance): 32]

Al-Azhar's Invitation

It was my pleasure to deliver a speech at Al Mansura's Arabic Faculty on the occasion of celebrating Al-Azhar Millennium. I gave mention to the strong reasons that pushed Roger Garodi to embrace Islam and I asked Dr. Muhammad Al-Tayyib Al-Najar, Al-Azhar University's President, to invite the great thinker, in the name of Al-Azhar University, to attend the big celebration at Cairo and deliver a comprehensive speech about the reasons that guided him to Islam. As expected, Dr. Muhammad Al-Tayyib responded to my suggestion and invited Garodi to Egypt. Garodi gladly came to Egypt and gave an exquisite speech about the reasons that motivated him to embrace Islam. He was the focus of mass media then, and his meaningful words decorated the newspapers, radio and television. Moreover, his fruitful ideas about Islam and its history, and the Arabian civilization and its pioneering status, exhorted the prominent thinkers to comment on them.

To conclude, Roger Garodi would find contradictory opinions about Islam so that he was suffering confusion. He used to read the books of some writers who, unfortunately, would color Islam with their personal inclination and desire, so their works would be void of objectivity. Nevertheless, the aspiring researcher kept reading, balancing and reasoning while wishing to reach the truth. He eventually did.



in the situation. Such a move would require more efforts so as to encourage the other parties to contribute to peace and stability. That is why the whole world was surprised to see the US declarations issued soon after signing the agreement. Such declarations stated the necessity of referring Darfur file to the Security Council in order to issue a decree of sending international forces to the region. This attitude was strongly opposed by the Sudanese government in addition to the fact that the African Union struggled along three years to avoid such a thing.

It is worth noting that the Sudanese Foreign Minister, Dr. Lam Akol, praised, at a press conference held at Sanaa, the significant and active role played by Egypt, under the auspices of President Mubarak, as a neighbor of the Sudan and a member of the League of the Arab States and the African Union. That is, coordination between the two countries would continue in order to reach a permanent and comprehensive peace.

Additionally, Dr. Lam Akol stated that signing the peace agreement by the other rebellious parties was a possible matter had the United Stated not intervened through its representative, Robert Zoellick, the Deputy Secretary of State, who managed to persuade the leaders of the two rebellious movements to standstill and reconsider the situation again. It seems that the US administration was surprised to see the Sudanese government sign the agreement that soon.



Roger Garodi
How Islam Lightened up His Heart?!
By: Dr . Mohammad Rajab Al-Bioumy

When the severe campaign in France was launched against the great Islamic thinker Roger Garodi, Cairo called to honor him and give him the chance to talk about the mean attack he, and his supporter Father Pierre, suffered. For that aim, various meetings were held at Journalists Syndicate, Ain Shams University and other places. As for the one who invited the struggling researcher, Roger Garodi, it was the prominent writer Sa'd Wahbah who sincerely talked about that unjust stance saying:

> "I do not think that a great philosopher, or a broad-minded thinker, well versed at logic, knowledge, and history, and of the highest intellectual rank as Roger Garodi, would suffer persecution, attack and criticism for just revealing the truth of 'The Holy of Holies' i.e., the Zionistic policy. This is because he dared to reveal the falsehood and deviation in all that the Zionists themselves claimed of fake and invented matters. That was the reason behind deserving all that happened to him at the Capital of Light (i.e., Paris), where he, as well as Father Pierre, was attacked. Moreover, publishers stopped printing his books and he was brought before court but he refused to defend himself."

Sa'd Wahbah went on:

> "What happened to Roger Garodi depicts the ordeal of man under the new world system. That is why it was urgent to invite Roger Garodi to come to Cairo to raise his voice and declare that there are still peoples who respect the truth and stand in the face of persecution and deviation."



negotiations taking place at Abuja. Egypt also takes part in the consultations related to such negotiations through President Mubarak's Personal Representative, Ambassador Ahmed Hajaj. The official source at the Foreign Ministry declared that Egypt welcomed the draft peace agreement, at Darfur, delivered by the African Union Mediation to the concerned parties days ago. He stated that the suggested draft agreement reflected the aspirations and hopes of all parties, and offered a great deal of balance and realistic view.

The official source also said that the Ministry of Foreign Affairs appreciated the efforts exerted by the African Mediation along the past months as well as its role in exhorting the concerned parties to sign the suggested draft agreement as soon as possible. The same official source affirmed that Egypt intended to continue cooperation with the delegations participating in the discussions at Abuja with the aim of reaching an immediate peace settlement. Moreover, the official source indicated that Egypt should work hard during the coming days to increase the humanitarian aids offered to the people of Darfur. The reason behind this is that Cairo hopes that the suffering of the Sudanese people at Darfur comes to an end, and that peace and stability prevail over that important region.

In this regard, the Sudanese President's Advisor, Abdullah Massar, accused the rebels of Darfur of hindering reaching a draft peace agreement at Abuja negotiations. He demanded the rebels to sign the draft agreement suggested by the African Union before the termination of the specified period which would end on Tuesday, 2 May 2006. It is worth mentioning that the specified period for signing the draft agreement had



been extended for two times. This is despite the fact that the draft agreement suggested by the African Union was supported by the international community and it came as a result of the estimation of the participating mediators as regards the views and attitudes of the concerned parties and the overall commitments of the Sudan at both the internal and external levels.

Mr. Abdullah Massar stated that the government's approval of the draft agreement reflected its persistence and seriousness towards solving Darfur issue, as well as its responsibility towards relieving the suffering of the displaced and refugee at the region. The Sudanese government thought that reaching a settlement, as soon as possible, would contribute to restoring peace and stability at the region.

As a sign of hope, the Sudan Liberation Army, under the leadership of Mini Arkoi Minawi, signed the draft agreement. This represented a good omen of reaching an end of the bloodshed and displacement of people at Darfur. This is based on the fact that the followers of Mini Arkoi Minawi represent the strongest wing in the Sudan Liberation Army. On the other hand, the party of Khalil Ibrahim and Abdel-Wahed Mohamed Al Nur, the two representatives of the "Justice and Equality Movement", refused signing the agreement.

Undoubtedly, reaching an agreement at Abuja, through the signing of both Mr. Magzoub Al-Khalifa, representing the Sudan Government, and Mr. Mini Arkoi Minawi, the leader of the greatest party in the Sudan Liberation Army, came as a great turning point



The Sudanese government does not spare any effort in order to reach a settlement with the rebels in the region so as to prevent the intervention of the US imperialistic power represented in making Darfur case of an international concern as well as applying the terms of Article (7) of the United Nations Charter, revolving around imposing sanctions on Al Khartoum government. Yet, the efforts exerted by Egypt along with other Arab, African and other international parties resulted in reaching a compromise represented in that the African Union shall send African forces to keep peace at Darfur, observe ceasefire, and secure the camps of the displaced and arrange their return to their villages.

Meanwhile, representatives of Al Khartoum government met with the leaders of the rebels at the Nigerian capital, Abuja, to search for a peace settlement in order to keep security and stability at the disturbed region, realize the comprehensive development at the three states of Darfur, and organize the participation of the citizens of the region in authority on the principle of sharing authority and wealth. This is intended to be similar to the peace treaty held between the South and North of the Sudan.

On Tuesday, 2nd of May 2006, the African Union reached an agreement called "Peace Agreement", about which Dr. Salim Ahmed Salim, the Chief Mediator of the African Union, said, "It is the fruitage of the efforts and participation of the parties and experts of the international community." He described it by not being ideal but fair enough, and that it was intended to end the crisis soon through adopting compromises agreeing with the values of democracy and avoiding the violation



of the transitional constitution of the Sudan as well as the agreements of Nifasha. In his talks, the Chief Mediator of the African Union praised the Sudanese government for accepting the draft of the peace agreement despite its reservations, especially the term related to referring the issue of whether Darfur is to be regarded as a united or separated into states, in respect that a referendum to be conducted after the transitional period.

The Chief Mediator of the African Union expressed his surprise when one part of movement of "Liberation" along with "Justice and Equality" movement refused to sign the agreement. Dr. Salim Ahmed Salim affirmed the difficulty of accepting the demand of the rebels as regards taking over the office of the vice-president, and which constituted the basis on which they established their refusal to sign the agreement. This is due to the fact that the Sudanese transitional constitution states that the office of presidency is restricted to one president and two vice-presidents. The Mediation suggested founding an office of President's First Assistant to be filled by a representative of the people of Darfur. Such an office should be of wide jurisdictions and authorities so as to avoid the failure of negotiations due to the refusal of the demand of the two movements. That suggestion was also aimed to increase the representation of the people of the region at the legislative and executive authorities at all levels in the Sudan.

A responsible official source at the Egyptian Ministry of Foreign Affairs stated that Egypt, in the light of its role in observing the developments of the situation at Darfur, is attentively following up the

war had and still has its negative results on the country's economic.

Fortunately, that war was stopped via signing an agreement giving the people of the South, after six year, the right of self-determination through a referendum in which they would choose whether to preserve unity between the two areas, under a federation, or separate between them. This is provided that the South should receive half the oil revenue and be assigned to 30% of positions at the new federation. This is in addition to reorganizing the country, so the South becomes a federal region ruled by a different system based on positive law and prevalent conventions in the South, while the North region is ruled according to the Islamic Shari`a. This should be the case on the condition that the Islamic Shari`a is to be enforced, at Khartoum, on only the Muslim citizens, while the non-Muslims are to be ruled according to the positive laws.

As a result of the long civil war, the Sudan's economy has been badly affected. Many areas have been deprived of basic services. Darfur, located at the west, is one of these areas, where the seeds of dissention and rebellion have appeared under the leadership of the two movements, "Liberation" and "Justice and Equality." Both of them oppose the legal government, and put conditions to guarantee that the region is going to be ruled by them. This can lead to foreign interference, especially the new American imperialism, which grows severer when discovering resources of oil and uranium in the region. This imperialistic power does not calm down except when planting its roots in others' countries. To that end, it works hard to widen the gap of differences and turn the solvable situation into a

complex one, and turn concord into severe civil war in which sophisticated weapons are brought to the rebels. What helps the continuity of war is the topographical relief in the region, including the rough mountains and spacious valleys.

What makes the matter difficult before the Sudan's government is that Darfur region is located along the eastern borders of the Republic of Chad whose tribes are related to the region's tribes, especially Al-Zaghawa tribe distinguished by its manpower and trade resources. To Zaghawa tribe, the present President of Chad, Idriss Déby, belongs. Moreover, to that tribe the two rebellious movements belong, and they include former officers from the Chadian army, which caused Chad to play an important role in the problem and made its president undertake a crucial role in mediating between the government of the Sudan and the two rebellious movements in Darfur.

Along three years, the war resulted in the death of more than 300.000 peoples not to mention making more than two million peoples homeless. These consequences urged the African Union to undertake the burden of reaching a settlement, so as to protect the Sudan from the awaiting foreign interference. Mr. Ahmed Ibrahim Al-Taher, the President of the Sudanese National Assembly (i.e., the Parliament) welcomed the decree of the African Peace and Security Council issued by the African Union. That decree involved extending the tasks of the African forces at Darfur for six months. That action delayed the possible confrontation with the international community, under the increasing American pressures, calling for implanting international forces in the region.



ENGLISH
SECTION
June. 2006

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Darfur Issue: Settlement Efforts and Foreign Conspiracies!!!

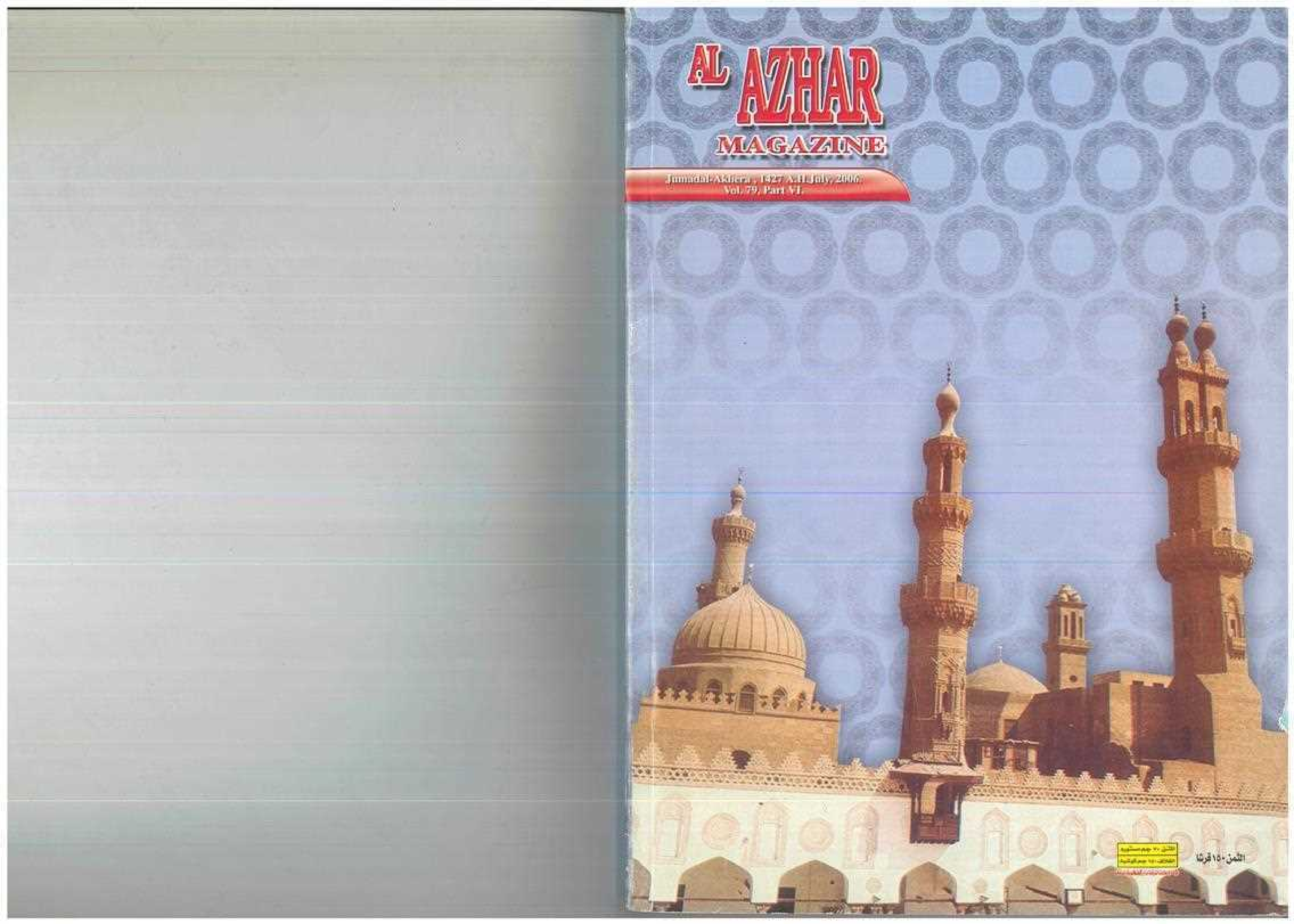
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

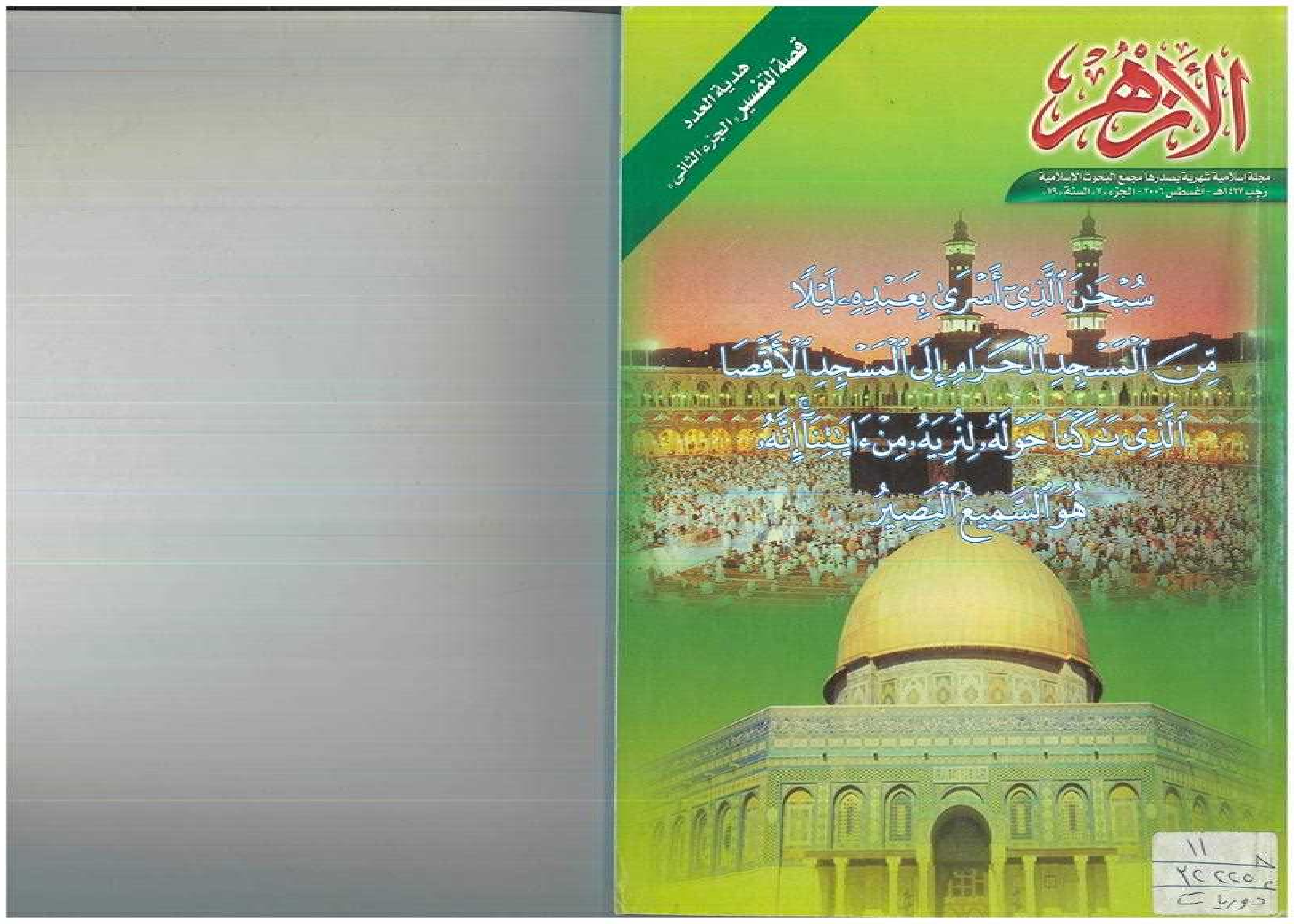
Witnessing all the circumstances surrounding the Sudan these days, it can be felt that there is a kind of outside lurking against that Arab country that connects the north and south of the African continent. Across phases of history, the Sudan has been a bridge connecting the Arab Islamic culture with the African culture. The former would spread a light that illuminated the hearts of multitudes of people and prepared them to embrace Islam. In Africa, Islam reached people at the hands of the Arab traders moving to and across the African countries. Those people were attracted to Islam due to its unique principle of equality between the Muslim and the non-Muslim regardless of race, color or wealth.

The imperialistic powers have concentrated, since a long time, on how to cause a division between the south and north of the Sudan. That is why they have established barriers between the two areas, so that unity and intimacy may be replaced with violence and hatred. Further, they have paid much attention to Christianize the South completely and drive it away from Islam as well as its language, in a step towards separating it from the North part. Moreover, they planted the seeds of enmity between the citizens of the two areas, which eventually led to the outbreak of a civil war that continued for about twenty years and resulted in the death of two million peoples from the two sides. That



الفهـــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Jumadal-Akhera , 1427 A.H. July, 2006.
Vol. 79, Part VI.
الثمن ١٥٠ قرشا



الأزهر
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رجب ١٤٢٧هـ - أغسطس ٢٠٠٦ - الجزء ٧، السنة ٧٩،
هدية العدد
«قصة التفسير، الجزء الثاني»
سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام
الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير
أ . د . محمد رجب البيومي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
☎ ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٧هـ أغسطس ٢٠٠٦م الجزء السابع - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

من مصائب المجتمع

الدروس الخصوصية أسقطت التلميذ الفقير

كنت أزور بعض الناس للحديث فى موضوع مشترك، وقد أراد إشعال السيجارة فلم يجد الكبريت، فانطلق يدعو ابن البواب ليشترى له المطلوب من محلّ فلان! هكذا عيَّن صاحب المحلّ، وانطلق المسكين فوجد المحلّ موصدا، فرجع يخبره بما كان، فما كان من صاحبى إلا أن انفجر فى وجهه، وقال لى إن هذا الولد مثالٌ الغباء، وقد طُرِد من المدرسة لأنه تخلف، ولم يجز الامتحان! وظهر التألم على وجهى بعد أن آثرتُ السكوت، فسألنى عما اعترانى، فقلت له: إنى تألمت لسببين لا لسبب واحد، فأنت الذى حددت له اسم البائع.. وقد التزم بقولك فلا ملام، ثم إنه طُرِد من المدرسة لتخلفه، وكان من المتوقع أن يتخلف فجميع سكان العمارة، يُتعبونه نازلاً صاعداً فى شراء ما يلزم بعد أن يأتى من المدرسة وليس فى حجرة أبيه بأسفل العمارة مكان يصلح لاستذكار دروسه إذا أراد ذلك بعد تعب اليوم الطويل، والمدرسة اليوم كما نعلم لا تعطى درسا ما يساعد على النجاح، وأنت وأنا نعطى الدروس الخاصة الضرورية لأبنائنا وبدونها لن ينجح تلميذ مهما ارتاح فى منزله، ولم يكن خادما يذهب ويجىء! فالتلميذ المسكين لم يتخلف لإهماله ولكن، احتياج والده قد أعده ليكون خادما لا تلميذا والمدرسة من ناحيتها - للأسف - مدرسة صورية لا حقيقية، تُعد الفصول والمدرس والحصص الدراسية إعدادا لا يفيد غير من يأخذ الدرس الخصوصى من المدرس! أفيكون التلميذ بعد ذلك مثال الغباء، وقد طرد من المدرسة لأنه متخلف كما تقول؟! إنه ذو حظ تعيس!.

تكافؤ الفرص

رجعت ضائقا محزونا أفكر فى حالة التلميذ الفقير فى المدرسة بين الأمس واليوم، كان التلميذ قديما فى ما قبل المرحلة الجامعية يجد الجو المدرسى الملائم ليتلقى الدروس، فالأستاذ يؤدى واجبه كأحسن ما يكون والتلميذ الفقير يجد ما يجد التلميذ الثرىّ من الإقبال والاهتمام، فميدان التسابق متكافىء لا شذوذ به، وإذا رجع إلى منزله استطاع أن يراجع ما أخذ من الدروس دون حاجة لدرس خاص، وهو يعلم أن المدرسة فرصته الوحيدة لإشراق مستقبله، وأبوه يؤكد له ذلك بمظهره ومخبره، فيؤثر الاجتهاد، ويجتاز الامتحان بنجاح!.

كان تكافؤ الفرص عاملا رئيسيا فى إيجاد الطبقة المتوسطة فى الشعب، وهى التى تقوم بالدور الرئيسى فى التقدم الاجتماعى، لأن اجتهاد أبناء الفقراء فى المدرسة قد دفعهم إلى الصفوف الأمامية فنالوا الوظائف المناسبة، ولديهم من الكفاح الذى مرنوا عليه من قبل ما يدفعهم إلى الجد الصارم فى مزاولة أسباب الحياة، ثم جاء دورهم فى الإنجاب، فحرصوا على مستوى مشرق لأبنائهم لم يحظوا به من قبل، فوجد جيل جديد من هؤلاء يعتمد على نفسه بإرشاد المسئولين من آبائه، واتصلت الحلقات لتؤدى إلى المزيد، ولا يمكن فى الظروف الأليمة للمدارس اليوم أن تواصل رسالتها فى تقدير المجتهد، وتزكية النابه، فتكون النتيجة أن يرسب التلميذ الفقير، وأن يخرج إلى المجتمع عاطلا لا يجد ما يعمل، وتلك هى المأساة!.

أعرف أن الفقر مدرسة النبوغ، وأن الألم يلهب فيلهم، ولكن متى؟ إذا فُتحت النوافذ للمعرفة، ووجد التلميذ البائس جوا يساعده على النمو التعليمى، أما أن تحقق المدرسة إخفاقا تاما فى رعاية هذا التطلع إلى الحياة الكريمة، وأما أن يضيق به والده البائس فيرميه إلى الشارع دون اهتمام، فإن طوفان التشرد سيمتد بأوبئته الوخيمة دون انقطاع.

باب واسع للمشردين

والتشرد نكافحه بالمسكنات فقط، فالملاجىء والإصلاحيات، لا تستوعب أكثر من عشرة فى المائة ممن لا يزالون يجمعون أعقاب السجائر، ويتسللون إلى الجيوب فى الزحام الحاشد، بوسائل المواصلات، ويخطفون حقائب الصغار من طلاب المدارس ويبحثون فى المزابل عن فتات الطعام شركة مع القطط والكلاب، بعض هؤلاء هم تلاميذ المدارس الذين لم يعرفوا سبل النجاح، فضاق

بهم ذووهم ممن يضيقون بنفوسهم قبل أن يضيقوا بأبنائهم، فرموهم إلى الطريق، وفيهم من اعتمد عليهم فى أكل عيشه، فحبّذ لابنه أن يسرق وأن يتسول ليعود مساء إليه بما يمسك رمقه! ولازال شعار «محو الأمية» بعد ذلك يطلق مقرونا برسالة التعليم الابتدائى، فلم تُمح الأمية، ولكنها فتحت بابا واسعا للمتشردين!.


عبدالعزيز جاويش

كان المغفور له الأستاذ عبدالعزيز جاويش قد قدم مشروعا عملياً سنة ١٩٢٥م إلى وزير المعارف محمد توفيق رفعت باشا، يدعو فيه إلى أن تكون المدرسة الأولية ذات رسالتين رسالة تربوية وهى محو الأمية ورسالة عملية وهى تهيئة التلميذ منذ بدء حياته إلى عمل صناعى أو زراعى، تضمن له الكسب إن خرج من المدرسة الأولية واكتفى بها، بحيث تكون مسائل التربية التعليمية مقتصرة على الضرورى الذى يمحو الأمية ويلم بمبادىء الحساب والدين والكتابة فقط، لتجد التربية العملية نصيبها فى إعداد العامل والزارع فى الريف على نحو أخص، ولو أخذ بهذا الاقتراح، وقامت الوسائل الصحيحة على تنفيذه، لوجد التلميذ الذى لم يوفق فى دروس الثقافة له بابا للارتزاق بما أتقن من حرفة قد تكون السباكة، أوالتجارة أوالزراعة أو الحدادة، وحينئذ يجد باب الرزق.

المدارس الفنية الآن لا تؤدى رسالتها على الوجه المنشود مع أنها تلى المرحلة الإعدادية لمشاعل التوجيه الصالح فإذا كنا لا نستطيع الآن مواجهة الدروس الخصوصية فى مدارس الحضانة والمدارس الابتدائية وإذا كان أبناء الفقراء يتعثرون فى خطواتهم لعدم قيام المدرسة بواجبها المنوط بها، فإن الواجب الحتم لذلك هو أن نعود إلى اقتراح الأستاذ عبدالعزيز جاويش، لأنه يفتح باب العمل للتلميذ حين تضيق أمامه سبل الدراسة المنتظمة فيخرج إلى العالم الفسيح دون تعثر.

تعليم بلا مضمون

وحين أكرر فزعى لفراغ المدارس من مضمونها الحقيقى الذى أنشئت من أجله، أجد من يعارض هذه الحقيقة السافرة، مستدلا بما تنشره الجرائد من تقدم التعليم باتخاذ الوسائل الحضارية من إنترنت وتليفزيون وأجهزة لم تكن معروفة من قبل، ولكن ذلك كله شىء، والخواء الفارغ فى تأدية المدرسة رسالتها على الوجه المنشود شىء آخر، والحديث فى هذا شبيه بالحديث

عن المجانية المزعومة فى التعليم، لأن أولياء الأمور قد زهقت أرواحهم بنفقات الدروس الخصوصية التى أصبحت قضاءً وقدرا لا محيد عنه، ويتمنون بفارغ الصبر أن تمحى المجانية وتعود المصروفات المدرسية مُضاعفةً مضاعفة لتمحو بلاء الدروس الخصوصية ولو كانت المدرسة تقوم بواجبها على النحو المنشود لما باع الآباء الضرورى من أثاث المنزل، والكمالى من حُلى الزوجة، واليسير الضئيل من العقار، ليطفئوا بلاء هذه الدروس، ثم ماذا بعد ذلك كله؟! ماذا بعد التخرج من الجامعة، وقد بلغت الروح الحلقوم لدى الأب والأم، إنها البطالة الصارخة التى تجعل حامل الليسانس والبكالوريوس مثل الذى لم يتعلم حرفا واحدا فى سنة دراسية! بل ربما يفوقه هذا الأخير بما مارسه فى الحياة العملية من مهارات لم تُهيأ له، أليس هذا هو الواقع المرير؟.

والمشكلة التى يشير إليها عنوان هذا المقال لاتزال قائمة لا تجد أدنى حل مريح، أفنترك التلميذ المسكين الذى لم يُوفق إلى اجتياز سنوات التعليم الابتدائى هكذا؟؟، أنتركه حيث لا يهتم به ولى أمر يرعى حقوق الأبوة، بل يكون فى بعض أحواله كما أسلفت من قبل عاملا أساسيا فى انحدار فلذة كبده إلى أسوأ الدركات أم نبحث عن علاج منقذ لهذه الزهرات الغضة التى تفاجئها عواصف الرياح بما يعجل ذبولها السريع؟

إن الرأى الذى أراه أن تقوم جوار المدرسة الابتدائية التعليمية المدرسة الابتدائية العملية فتتلقى الذين لم يستطيعوا الانتظام المدرسى، ليتعلموا الحرف المهنية التى تهيئهم للحياة، فتكون بها فصول للزراعة والحدادة والسباكة والتجارة بحسب ما تتطلبه البيئة الجغرافية، فإذا قضى التلميذ سنوات الدراسة بهذا النمط من التعليم فإنه سيتجه تلقائيا إلى الكسب الشريف، وسيجد من يرحب به فى مجالات الإنشاء والتعمير، وينجو من سيطرة والد قد يضطره إلى ما لا يليق إذ فى محاضر بعض مراكز الشرطة انحرافات شائنة لأبناء صغار كانوا ضحية توجيه الآباء المنحدرين، بل ماذا أقول حين أجد فى بعض هذه المحاضر إنحرافات لبنات صغيرات كنّ ضحايا التوجيهات الآثمة للأمهات والآباء معا، ولابد أن تكون بهذه المدارس العملية فصول للفتيات الصغيرات حيث يدربن على ما يليق بهن من فنون التطريز والأشغال المنزلية، والحياكة مما يؤهلهن للكسب الشريف، وهنا يبدأ الإنقاذ العملى للتلميذ المسكين!.

التلميذ الفقير ضاعت حقوقه

إن المسألة الخافية عن كثير ممن يتحدثون عن بلاء الدروس الخصوصية أنها منعت كثيرا من أبناء الفقراء عن التعليم في المرحلة الأولى، وبخاصة حين قررت اللغة الإنجليزية على التلاميذ وأصبح الدرس الخصوصي ـ بلا مراء أداة النجاح، والذي سيواصل حضوره دون درس سيتكرر رسوبه، ويقذف به إلى الخلاء، ومع اشتداد أعباء الحياة، سيعجز ولي الأمر الفقير فيما بعد التعليم الابتدائي عن مساعدة بعض بنيه فيكتفي بواحد أو اثنين، وقد يكون فيمن أجبروا على الامتناع من ذوي الذكاء من كان يُرجى لهم حُسن المستقبل إن سارت الريح رخاء دون إعصار، وبذلك تفقد الأمة من أعضائها الصلاب ممن كان يرجى منهم أن يكونوا عونا على النماء الاجتماعي، فأصبحوا قانعين بالكفاف فلماذا لا يتحدث التربويون عن هذا الخطر الذي بدت مظاهره على نحو صريح، ولماذا تُعقد المؤتمرات متحدثة عن المناهج والتطور المتخذ من وسائل الحضارة في المعامل والفصول ما يُعد جديدا في بابه، ثم لا يلتفت المتحدثون إلى الذين سيحرمون لعجز الآباء، واشتداد الأزمة المالية على نحو لا يبشر بالانفراج، بل لماذا لا يسكت المتحدثون كل يوم في مؤتمرات المرأة عما يكررونه دائما من التطلع إلى حقوق مظهرية يعدونها وسيلة التقدم الحضاري ثم يسكتون عامدين عن هوان المرأة الذليل في القنوات الفضائية حين تبدو كالعارية في الغناء، وحين تبدى من أنواع التبذل الشائن في القبل والعناق والاحتضان والارتخاء مما يجعلها سلعة تباع بأرخص الأثمان وقد كادت تستغني عن ورقة التوت؟، هل فكر الداعون إلى حقوق المرأة في اجتماعات مظهرية لا خير من ورائها فيما يشاهدون من بلاء ماحق سيمزق الأسر شر تمزيق! لقد كنا نطلب من هؤلاء احتجاجا قوليا فقط يظهر أنهم يحافظون على كرامة المرأة المهدورة، ولكنهم في رأيي لا يعدون ما تظهره القنوات العابثة موضع اعتراض، بل لعله في رأيهم بعض الخلوات السريعة في طريق التقدم المنشود، ثم أليست رعاية الطفل الفقير، والعمل على رفع مستواه التعليمي من أوائل ما تتوجه إليه الفاضلات من المتحذلقات أم أن المرأة شيء، والطفل شيء آخر مع أنه لديها كل شيء في الحياة!.

لعلي استطردت قليلا فإن القلم يقودني كثيرا دون أن أقوده، ولكني أعود إلى الموضوع فأعلن أن التلميذ الفقير ضاع حقه نهائيا الآن، لأن المدارس كما يشهد الله ويشهد جميع العارفين ليست إلا فصولا وأدراجا فحسب، فالمدرس في تسعين في المائة لا يقوم بواجبه

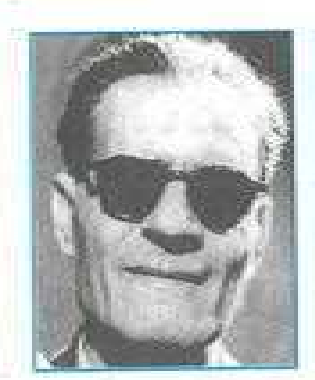


إطلاقا، مكتفيا بالدلائل المظهرية من إعداد كراسة التحضير وكتابة على السبورة وأغرب ما يفاجئنا في هذا الأمر أن المدرسة الإعدادية والمدرسة الثانوية بكل واحدة منها أكثر من خمسة وكلاء مع المدير والناظر وطابور المدرسين الأوائل، فماذا يفعل هولاء ولماذا لا يختص كل وكيل بدور من أدوار المدرسة فيمر على كل درس بالفصل، ويراجع السبورة، ويوقع على الكراسات ملاحظا خطوات التقدم التدريجي، فإذا استشعر المدرس محاصر تماما بالرقابة اليقظة أدى واجبه، وأتاح للتلميذ الفقير أن يجد ما يُعينه على المذاكرة حين يتعذر الدرس الخصوصي على أمثاله. أذكر أني كنت في الستينيات مدرسا بالمنصورة الثانوية، وكان الناظر من الحزم والجد بحيث يواصل المرور يوميا على الفصول، والمدرسة حينئذ كالجامعة إذ بها اثنان وثمانون فصلا! والعمل برعاية الناظر يؤدى على أحسن ما ينتظر، أذكر أن مدرسا للرياضة كان عند الناس من المقربين للناظر، وقد تلقى هذا الناظر الإداري الحازم ورقة من طالب مجهول تقول إن المدرس يكتفي بكتابة مسألة حسابية على السبورة، ويتركنا بعد ذلك دون أن يشرح شيئا، فما كان من الناظر الأستاذ مسعد المصري - رحمه الله - إلا أن جال جولة أولى في مبدأ الحصة، وشاهد المسألة على السبورة، وظن المدرس أن بعد هذا المرور لا يعقل أن يجيء مرة ثانية ولكنه قبل انتهاء الحصة بثلاث دقائق اتجه إلى الفصل ورأى المسألة الحسابية هي هي دون أن يضع المدرس جديدا فتحقق من صدق الشكوى، وطلب من المدرس أن يعجل بالحضور إليه ليختار مدرسة أخرى إذ أن مثله في خموله لا يجوز أن يكون من أعوانه! هذه اليقظة الإدارية ذات الإخلاص الصارم تمت بجهود إنسان واحد! فكيف بطابور الإداريين والموجهين؟! رحم الله الأستاذ حسن مسعد المصري وأكرم مثواه!.

وقد تطالعنا الصحف كثيرا بوكلاء الوزارة في الإدارات المختلفة يعرضون الكمبيوتر والإنترنت وبعض المستحدثات ويزهون بأنها أصبحت من مستلزمات الطلاب، فكانت دليلا لا يُجحد على التقدم المدرسي، والواقع المرير أن التلميذ لا يستفيد منها شيئا ذا بال، إذ لا يقوم المدرس بجهد ما غير التنبيه على الدرس الخصوصي بالمنزل وهكذا تقدم الأطباق الشهية مليئة باللحم والفاكهة والحلوى وليس لدى التلاميذ أسنان تساعد على الهضم! والصور كل يوم تملأ الصفحات!.

إن مشكلة الطالب الفقير في عصر الدروس الخصوصية مشكلة قائمة لا سبيل إلى تجاهلها،


المراغى


طه حسين


احمد امين


المنفلوطى

لأنه لا يحصّل في المدرسة قليلا ولا كثيرا، وسيتقهقر في الامتحان لا محالة، وإذا تكرر رسوبه طرد إلى الشارع لأنه لم يجد المدرس الموجه، بل لأنه تلميذ فاشل! وهو في أعماقه يعلم أنه ليس أقل جدارة من الناجحين، ولكنهم أخذوا الدروس، وباء بالحرمان.

الحرية التى كانت

إن الفقر المادى لا يَعيب التلميذ، ولكنه يعيب مجتمعه المظلوم، وقد كتب الأستاذ فتحي رضوان في كتابه «أفكار الكبار» فصلا بارعا عن الدكتور زكي مبارك فأكد فيه أنه نشأ في الأزهر، والأزهر مدرسة الفقراء، لأن التعليم به بالمجان، لذلك سطع في مصر بين نجومه من أبناء الفقراء من كانوا من أعلام العصر، وأخذ الأستاذ فتحي رضوان يذكر من هؤلاء النوابغ: محمد عبده، والمراغي، وشلتوت، وطه حسين، وأحمد أمين، والمنفلوطي، ودراز، وأبا العيون القاياتي، والهلباوي، ومحمد أبا شادى، والهيهاوى، وأحمد إبراهيم، وعبدالوهاب خلاف، وأبازهرة، وعبدالله النديم، وآخرين يجدهم القارىء في ص٥٤ من الكتاب، وأزيد على ما ذكره الأستاذ فتحي رضوان فأقول. إن الأزهر في هذا العهد كان المعهد الوحيد الذى يخاف فيه الأستاذ من التلميذ! أجل يخاف الأستاذ من التلميذ، إذ لابد أن يوجد في كل حلقة من حلقات العلم ثلاثة أو أربعة من الطلاب، قد ذاكروا الدرس مذاكرة تامة قبل ميعاده، وتربصوا بالأستاذ في شرحه، فلا يتركونه دون أن يجيب عن أسئلتهم الدقيقة، وقد يُخطيء المراد في مسألة فيتصدى له الطلاب في حرية مكفولة لا تعرف الانزواء، وهنا يكون الدرس أشبه بالخومة! فهل يوجد الآن في أى معهد مدني أو ديني هذه الحرية المفرطة في السؤال والجواب، وتأكيدا لذلك أستشهد بما ذكر الدكتور طه حسين في الجزء الثاني من «الأيام» حين قال عن حوار قام بينه وبين بعض الأساتذة




دراز

وهو طالب مبتدىء في الأزهر «لقد أتعب الفتى - يريد نفسه - شيخه حوارا وجدلا حتى سكت الشيخ فجأة أثناء هذا الحوار، ثم قال في صوت حلو لم ينسه صاحبنا قط: «الله يحكم بيني وبينك يوم القيامة»!! ص١٣٠ من «الأيام» لقد كان الأزهر يومئذ متنفسا لأبناء الفقراء ووجدوا في دروسه ما سبقه بهم إلى التقدم في مضمار الحياة! فأين يجد الآن من تتقاذفهم الطرقات دون نصير! أين يجدون الدرس المستوفى والمدرس القويم؟.

ويح التلميذ الفقير، حين ينبذ بالعراء وهو مذموم! لأن والده لا يقوم بنفقات المنزل إلا بشق النفس! فمن له بمئات الجنيهات تبذل لولد واحد، ولديه عدة أولاد! إن أكثر القائمين الآن على شئون البلاد في جميع مرافقها، من الذين تعلموا بالمدارس حين لم يكن هناك مجال للدروس الخصوصية، وبانتظام الدراسة التعليمية آنذاك استطاعوا أن يأخذوا أرقى الشهادات وأن يكونوا من ذوى الشأن في إدارة البلاد، ولو كان الأمر حينئذ هو الأمر المشاهد اليوم لما استطاع الكثير منهم مواصلة التعليم، ولكان حظهم البائس كحظ تلاميذ اليوم، أفلا ينظرون إلى معاناة الفقير الذى لا يملك نفقات الدروس الخصوصية في ضوء ما كان يتهددهم لو ووجهوا بهذه الأعباء؟!

ولست بذلك أضائل من مكانتهم في المجتمع، فالمرء بعمله وجده، لا بماله ونسبه وقد كان والد إسماعيل صبرى باشا الشاعر العظيم متواضعا في وظيفته، وحين بلغ إسماعيل صبرى مبلغه من النبوغ في الأدب، والرفعة في المناصب، تحدث عنه حاقدوه بما يشي بتواضع أبيه فرد عليهم شوقي ردا مفحما حين قال في رثائه:

إن فاته نسب الرضي فربما ... جريا لغاية سؤدد وطراف

شرف العصاميين صنع نفوسهم ... من ذا يقيس بهم بني الأشراف؟

قل للمشير إلى أبيه وجده ... أعلمت للقمرين من أسلاف؟

وفي هذا بلاغ!!.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

(الآيات من ١١٠ إلى ١١١)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ ﴾ يصح أن تكون من كان التامة التى بمعنى وجد وهى لا تحتاج إلى خبر فيكون المعنى وجدتم خير أمة أخرجت للناس، ويكون قوله ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ بمعنى الحال.

وبهذا الرأى قال جمع من المفسرين.

ويصح أن تكون من كان الناقصة التى هى ـ كما يقول الزمخشرى ـ عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ فيكون المعنى: قدرتم فى علم الله ـ تعالى ـ خير أمة أخرجت للناس.

ويجوز أن تكون بمعنى صار. أى تحولتم يا معشر المؤمنين الذين عاصرتم النبى ﷺ من

جاهليتكم إلى أن صرتم خير أمة.

وقيل: إن «كان» هنا زائدة، والتقدير: أنتم خير أمة. ورد هذا القول بأن كان لا تزاد فى أول الكلام.

والظاهر أن الرأى الأول الذى يقول إن ﴿ كُنتُمْ ﴾ هنا من كان التامة هو أقرب الأقوال إلى الصواب، ويليه الرأى الثانى الذى يرى أصحابه أن ﴿ كُنتُمْ ﴾ هنا من «كان» الناقصة إلا أنها هنا تدل على تحقق شىء بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق.

والخطاب فى هذه الآية الكريمة بقوله ـ تعالى ـ ﴿ كُنتُمْ ﴾ للمؤمنين الذين عاصروا النبى ﷺ ولمن أتى بعدهم واتبع تعاليم الإسلام إلى يوم الدين.

ولذا قال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة. كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، كما قال ـ سبحانه ـ فى الآية الأخرى

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

وقد وردت أحاديث متعددة فى فضل هذه الأمة الإسلامية، منها: ما جاء فى مسند الإمام أحمد وفى سنن الترمذى وابن ماجة من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله ـ تعالى ـ»[1].

والمعنى: وجدتم يا معشر المسلمين العاملين بتعاليم الإسلام وآدابه وسننه وشريعته خير أمة أخرجت وأظهرت للناس، من أجل إعلاء كلمة الحق وإزهاق كلمة الباطل، ونشر الإصلاح والنفع فى الأرض.

وقوله ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ خبر كنتم على أنها من كان الناقصة.

وجملة ﴿ أُخْرِجَتْ ﴾ صفة لأمة، وقوله ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ متعلق بأخرجت، وحذف الفاعل من ﴿ أُخْرِجَتْ ﴾ للعلم به أى: أخرجها الله ـ تعالى ـ لنفع الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

فالجملة الكريمة تنوه بشأن الأمة الإسلامية وتعلى من قدرها، فهل تعى الأمة الإسلامية هذا التنويه من شأنها وذلك الإعلاء من قدرها فتقوم بدورها الذى اختاره الله لها، وهو نشر كلمة التوحيد فى الأرض وإحقاق الحق وإبطال الباطل شكراً لله ـ تعالى ـ على جعله إياها خير أمة أخرجت للناس؟!.

إن واقع المسلمين الملىء بالضعف والهوان، والفسوق والعصيان يدمى قلوب المؤمنين

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٩١

الصادقين، ويحملهم على أن يبلغوا رسالات الله دون أن يخشوا أحداً سواه حتى تكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ثم بين ـ سبحانه ـ الأسباب التي جعلت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس فقال:

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

والمعروف: هو كل قول أو عمل حسنه الشرع، وأيدته العقول السليمة، والمنكر بعكسه.

والمعنى: وجدتم خير أمة أخرجت للناس، لأنكم تأمرون بالمعروف أي بالقول أو الفعل الجميل المستحسن في الشرائع والعقول.

﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ أي كل قول أو فعل قبيح تستنكره الشرائع ويأباه أهل الإيمان القويم، والعقل السليم.

و﴿ وَتُؤْمِنُونَ ﴾ بالله أي تصدقون وتذعنون بأنه لا معبود بحق سواه، وتخلصون له العبادة والخضوع، وتطيعونه في كل ما أمركم به أو نهاكم عنه على لسان رسوله محمد ﷺ.

فأنت ترى أن الخيرية للأمة الإسلامية منوطة بتحقيق أصلين أساسيين:

- أولهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهما سياج الدين، ولا يمكن أن يتحقق بنيان أمة على الخير والفضيلة إلا بالقيام بهما، فهما من الأسباب التي استحق بنو إسرائيل اللعنة من أجل تركهما، فقد أخرج أبو داود في سننه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال ﷺ:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[المائدة: ٧٩]

ثم قال: «كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذون على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا ـ ولتحملنه على اتباع الحق حملا ـ أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم».

- وثانيهما: الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبجميع ما أمر الله ـ تعالى ـ بالإيمان به.

هذان هما الأمران اللذان يجب أن يتحققا لتكون هذه الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس لأن الأمة التي تهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تؤمن بالله لا يمكن أن تكون خير أمة، بل لا توصف بالخيرية قط، لأنه لا خير إلا في الفضائل والحق والعدل، ولا تقوم هذه الأمور إلا مع وجود الإيمان بالله وكثرة الدعاة إلى الخير والناهين عن الشر، ويكون لدعوتهم آثارها القوية التي تحيا معها الفضائل وتزول بها الرذائل.

وكأنه ـ سبحانه ـ قد أخر «الإيمان بالله» عن «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ليكون كالباعث عليهما لأنه لا يصبر على تكاليفهما ومتاعبهما إلا مؤمن يبتغي وجه الله ويركن في كفاحه إليه. فهذا الإيمان بالله هو الباعث للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، على أن يبلغوا رسالات الله، دون أن يخشوا أحدا سواه.

وقيل: إنما أخر الإيمان على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة كما هو الظاهر، لأن الإيمان مشترك بين جميع الأمم دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهما أظهر في الدلالة على الخيرية للأمة الإسلامية.

وجملة

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

يجوز أن تكون حالية من ضمير الخطاب في ﴿ كُنْتُمْ ﴾ ويجوز أن تكون مستأنفة للتعليل، وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازي، فقد قال:

«واعلم أن هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول. زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم، وتحقيق الكلام أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف فهنا حكم الله ـ بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة. ثم ذكر عقيب هذا الحكم هذه الطاعات أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبارات[٢].

وقال الإمام ابن كثير ـ بعد أن ساق بضعة عشر حديثا في فضل هذه الأمة: فهذه الأحاديث في معنى قوله ـ تعالى ـ

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رأى من الناس دعة في حجة حجها فقرأ هذه الآية.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

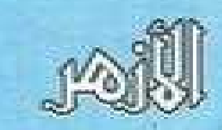
ثم قال[٣]: من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها، رواه ابن جرير. ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله:

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾

وبعد أن مدح ـ سبحانه ـ هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب

(٢) تفسير الفخر الرازي ج٨ ص١٩١

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٩٦



وتأنيبهم فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

أى بما أنزل على محمد ﷺ

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾

أى لكان إيمانهم خيراً لهم فى دنياهم وآخرتهم ولنالوا الخيرية التى ظفرت بها الأمة الإسلامية ولكنهم لم يؤمنوا فامتنع الخير فيهم لامتناع الإيمان الصحيح منهم، ولإيثارهم الضلالة على الهداية، فهذه الجملة الكريمة معطوفة على قوله ـ تعالى ـ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾

.. ومرتبطة بها.

ولم يذكر متعلق ﴿ ءَامَنَ ﴾ هنا لأن المراد لو اتصفوا بالإيمان الذى هو لقب وشعار للإيمان بدين الإسلام الذى أتى به محمد ﷺ، وهو الذى منه أطلقت صفة الذين آمنوا على المسلمين فصار كالعلم بالغلبة.

وقال ـ سبحانه ـ

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾

أى: لو آمنوا لكان إيمانهم خيراً لهم بدون تفصيل لهذه الخيرية لتذهب نفوسهم كل مذهب فى الرجاء والإشفاق.

ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأن قلة من أهل الكتاب اختاروا الإيمان على الكفر فقال ـ تعالى ـ:

﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

أى: من أهل الكتاب أمة آمنت بالله وصدقت رسوله محمد ﷺ واتبعت ما جاء به من الحق وأكثرهم معرضون عن الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وخارجون عن الطريق المستقيم الذى أمرت باتباعه الشرائع والعقول السليمة.

فالجملة الكريمة إنصاف للقلة المؤمنة التى آمنت من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره ممن دخل فى الإسلام. وذم لأكثر أهل الكتاب الذين جحدوا الحق. وخرجوا عن الطريق القويم.

وقوله:

﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، فهى جواب للجملة الشرطية التى قبلها. فكأنه قيل: هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر؟. فكان الجواب: منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون.

وعبر عن كفرهم بالفسق، للإشعار بأنهم قد فسقوا فى دينهم أيضاً فهم ليسوا عدولا فيه، وبذلك يكونون قد خرجوا عن الإسلام وعما أوجبته عليهم كتبهم من الإيمان بمحمد ﷺ.

ثم بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين، بأن هذه الكثرة الفاسقة من أهل الكتاب التى عتت عن أمر ربها وناصبت المؤمنين العداء، لن تضرهم ضرراً بليغاً له أثر ما دام أهل الإيمان مستمسكين بدينهم ومنفذين لتعاليمه وآدابه، فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

أى «لن يضركم أهل الكتاب يا معشر المؤمنين إلا ضررا يسيرا، كأن يؤذوكم بألسنتهم ويلقوا الشبه بينكم ليصدوا من ضعف إيمانه عن الحق، وفى هذا تثبيت للمؤمنين، وطمأنينة لقلوبهم، إذ الضرر الذى يصيب الأمة الإسلامية من أعدائها على قسمين:

- أولهما: ضرر يؤدى إلى هدم كيان الأمة، وإضعاف قوتها وإهدار كرامتها وجعل أمورها فى أيدى أعدائها تصرفها كيف شاء.
- وثانيهما: ضرر لا يؤثر فى كيان الأمة، ولا يؤدى إلى اضمحلال قوتها كالأذى بالقول، أو محاولة التأثير فى ضعاف الإيمان.

وقد نفى ـ سبحانه ـ أن يلحق المؤمنين ضرر يأتى على كيانهم من جهة أهل الكتاب فقال:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

فأوقع الفعل المضارع فى حيز لن المفيدة للنفى ـ للإشارة إلى أن ذلك لا يكون فى المستقبل.

ولكن هذا النفى لهذا النوع من الضرر مشروط بمحافظة الأمة الإسلامية على الأصلين السابقين وهما «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله».

فإذا أرادت أمة الإسلام ألا تصاب من جهة أهل الكتاب بما يأتى على كيانها، فعليها أن تخلص العبادة لربها، وأن تعمل بسنة نبيها، وأن تتقيد بأحكام كتابها، وأن تباشر الأسباب التى شرعها خالقها للنصر على أعدائها.

أما إذا تركت أمة الإسلام ما أمرها الله ـ تعالى ـ به وتجاوزت ما نهاها عنه فإنها فى هذه الحالة قد تصاب من أعدائها بما يؤثر فى كيانها وتكون هى الجانية على نفسها بمخالفتها لأوامر الله ونواهيه.

هذا، وأكثر العلماء على أن الاستثناء فى قوله:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

متصل وأنه استثناء مفرغ من المصدر العام كأنه قيل: «لن يضروكم ضررا البتة إلا ضرر أذى لا يبالى به من كلمة سوء ونحوها».

وقيل هو استثناء منقطع لأن الأذى ليس من الضرر: أى لن يضروكم بقتال وغلبة ولكن بكلمة أذى ونحوها.

ورجح الأول، لأن الكلام إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقى لم يجز صرفه عن ذلك إلى الاستثناء المنقطع وهنا الأذى مهما قل هو نوع من الضرر وإن لم يترك أثرا!.

ثم بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين ببشارة أخرى فقال:

﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

تولية الأدبار: كناية عن الهزيمة لأن المنهزم يحول ظهره ودبره إلى جهة الذى هزمه هربا إلى ملجأ يلجأ إليه ليدفع عن نفسه القتل أو الأسر.

والمعنى، أن أهل الكتاب لن يضروكم يا معشر المؤمنين إلا ضررا يسيرا لا يبقى أثره

فيكم - ما دمتم مستمسكين بدينكم -. فإن قاتلوكم وأنتم على هذه الحال، أمدكم الله بنصره، وألقى في قلوبهم الرعب فيولوكم الأدبار انهزاما منكم، ثم لا يُنصرون عليكم بل تُنصرون أنتم عليهم.

والتعبير عن الهزيمة بتولية الأدبار، فيه إشارة إلى جبنهم وأنهم يفرون فرارا شديدا بذعر وهلع.

وهكذا كان الشأن في قتال المسلمين الأولين لأعداء الله وأعدائهم، فلقد قاتل المؤمنون اليهود من بني قينقاع والنضير وقريظة وأهل خيبر فانتصر المسلمون عليهم انتصارا باهرا.

وقاتلوا جموع الروم في بلاد الشام وفي مصر، فكان النصر المؤزر حليفا للمسلمين مع قلتهم وكثرة أعدائهم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ احتراس.

أي: يولوكم الأدبار تولية المنهزم، لا تولية المتحرف لقتال أو المتحيز إلى فئة أو المتأمل في الأمر.

والتعبير بـ﴿ ثُمَّ ﴾ لإفادة التراخي في المرتبة: لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار.

وهذه الجملة خبرية وهي معطوفة على جملتي الشرط وجزائه معا، للإشعار بأن هذا ديدنهم، وأنهم لن ينتصروا على المسلمين لا في قتال ولا في غيره، مادام المسلمون مستقيمين على الطريقة التي رسمها الله - تعالى - لهم.

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله:

﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل أخبركم أنهم لا ينصرون.

فإن قلت: فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟. قلت: لو جزم لكان النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخبر؟. قلت: جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخي في ثم؟. قلت: التراخي في المرتبة، لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار فإن قلت: ما موقع الجملتين، أعني ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ و﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ ﴾

قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإن من شأنه

كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عطف(٤).

فأنت ترى الآية الكريمة قد بشرت المؤمنين الصادقين ببشارات ثلاث:

● أولها: أنهم في مأمن من الضرر البليغ الذي يؤثر في كيانهم وعزتهم وكرامتهم من جهة أهل الكتاب.

● ثانيها: أن أهل الكتاب لو قاتلوهم، فإن المؤمنين سيكون لهم النصر عليهم.

● ثالثها: أنهم بعد نصرهم عليهم لن تكون لأهل الكتاب - وعلى رأسهم اليهود - شوكة أو قوة للأخذ بثأرهم بعد ذلك.

وقد تحققت هذه البشارات، وكانت كما أخبر الله - تعالى - فإن المسلمين الأولين الذين كانوا متمسكين بتعاليم دينهم نصرهم الله - تعالى - على أهل الكتاب وعلى غيرهم من أعدائهم نصرا مؤزرا - كما سبق أن أشرنا -.

فإن قال قائل: ولكن الذي نراه الآن أن اليهود الذين لا يماري أحد في جبنهم وفي حرصهم على الحياة قد انتصروا على المسلمين وأقاموا لهم دولة في بقعة من أعز بقاع البلاد الإسلامية وهي فلسطين، فهل يخلف وعد الله؟.

والجواب على ذلك. أن وعد الله - تعالى - لا يخلف ولن يتخلف وقد حققه - سبحانه - لأسلافنا الصالحين الذين آمنوا به حق الإيمان.

ولكن المسلمين في هذا العصر هم الذين تغيرت أحوالهم، فقد فرطوا في دينهم وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتفرقوا شيعا وأحزابا وتنكبوا الطريق القويم ولم يباشروا الأسباب التي شرعها الله - تعالى - لبلوغ النصر، ولم يحسنوا الشعور بالمسئولية.

فلما فعلوا ذلك تبدل حالهم من الخير إلى الشر، ومن القوة إلى الضعف. وسلط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم، لأنه - سبحانه:

﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد: ١١]

وإذا ما عاد المسلمون إلى دينهم فطبقوا أوامره ونواهيه على أنفسهم تطبيقا كاملا، فإن الله - تعالى - سيعيد لهم كرامتهم وعزتهم وقوتهم

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج ٤٠]

ومن هنا نعلم أن الشرط في نفي الضرر الذي يؤثر في الأمة الإسلامية، هو أن تكون مؤمنة بربها حق الإيمان متبعة لهدى رسولها محمد ﷺ.

(٤) تفسير الكشاف ج١ ص٤٠٦

السنة:

هدية الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: «فرضت على النبى ﷺ الصلوات ليلة أسرى به خمسين، ثمّ نقصت حتى جُعلت خمساً، ثمّ نودى: يا محمد، إنه لا يبدّل القول لدىّ، وإنّ لك بهذه الخمس خمسين».

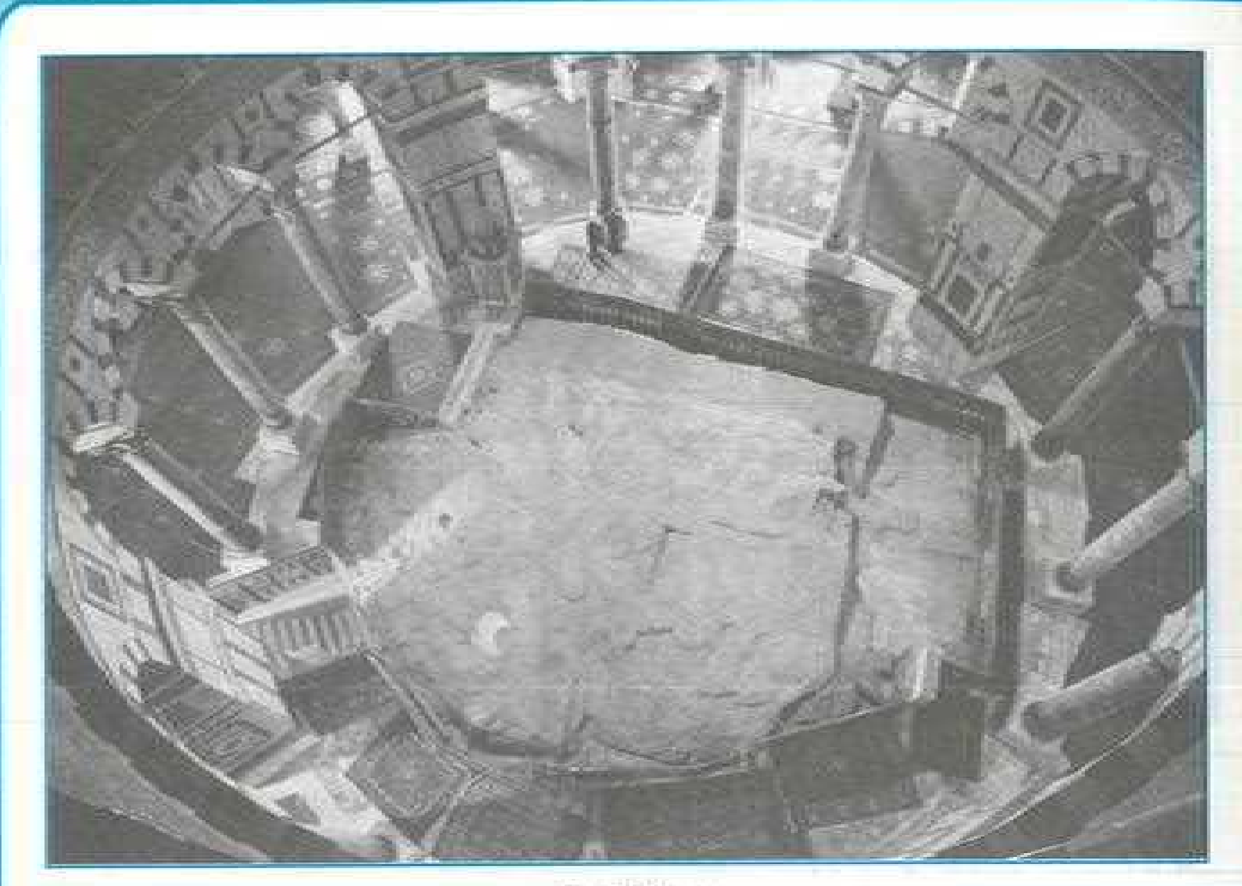
- رواه أحمد والنسائى والترمذى وصححه

التعريف بالراوى

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى النجارى من بنى عدى بن النجار، خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمّى به ويفتخر بذلك، وكان يكنى أبا حمزة، كنّاه النبى ﷺ ببقلة كان يجتنيها، وأمه أم سليم بنت ملحان.. وكانت له ذؤابة، فأراد أن يجزها فنهته أمه، وقالت: كان النبى ﷺ يمدّها ويأخذ بها، وداعبه النبى ﷺ فقال له: (ياذا الأذنين) - رواه أبو داود، وصححه الألبانى.

وهو من المكثرين فى الرواية عن رسول الله «ﷺ»، روى عنه ابن سيرين وقتادة والحسن البصرى، والزهرى، وخلق كثير، وكان عنده عصية لرسول الله «ﷺ» فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبه وقميصه، ودعا له الرسول «ﷺ» بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان هما حفصة وأم عمرو، ومات وله من ولده وولد ولده نحو مائة أو يزيد وكان أحد الرماة المصيبين.

وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة عن عمر ناهز المائة (رضى الله عنه وأرضاه).



الصخرة الشريفة

اللغويات

- أسرى به: من الإسراء، وهو سير الليل.
- ما يبدّل القول لدىّ: ما يزاد فى القول، ولا ينقص؛ لعلمى بالغيب.
- وإن لك بهذه الخمس خمسين: المراد أنها خمس فى العدد، خمسون فى الأجر والاعتداد.

الشرح والبيان

يستقبل المسلمون فى كل عام ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وقد شاع بينهم أنها الليلة التى أسرى فيها بالنبى (صلوات الله وسلامه عليه) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام، ثم عرج به إلى السماوات السبع واحدة فواحدة، إلى الملأ

الأعلى، إلى سدرة المنتهى[1] إلى حيث سمع صريف الأقلام، ورأى البيت المعمور، ومن ثمّ فهم يحتفلون بهذه الليلة من كل عام، ويطيب لهم أن يسمعوا ما يتصل بهذا الحدث العظيم الذى غيّر وجه التاريخ، وأسعد الإنسانية جمعاء، وكيف لا؟ وهو درس من دروس التربية والتوجيه، له أثره العظيم الفعّال فى تربية النفوس، وصنع الرجال.

هدية إيمان وجائزة رضوان

فلنذكر به فضل الله (سبحانه) على نبيه «ﷺ» الذى جاهد فى تثبيت هذا الدين ليُسعد الإنسانية به، حتى أنه ضحى فى سبيله بكل ما يملك، واستعمل كل الوسائل الممكنة، ولما أعيته الحيل، وغلبته قريش على أمره، وقعدت له كل مرصد، كرّمه ربه بحادثة الإسراء على صبره، وجزاه خير الجزاء على تحمله، فرفعه إلى درجة لم يصلها أحد من خلقه، لا من النبيين، ولا الملائكة المقربين، وقدّم له أرض الشام أرض فلسطين هدية إيمان، وجائزة رضوان، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، وقد سجل القرآن الكريم ذلك قال تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء: ١]

ووصل الرسول «ﷺ» إلى المسجد الأقصى تكلؤه العناية الربانية، وتشمله الرعاية الإلهية، وفى المسجد الأقصى جمع الله له الأنبياء من لدن آدم - عليه السلام إلى عيسى بن مريم (عليه السلام)؛ ليكونوا فى استقبال خاتم الأنبياء والمرسلين، كذلك جمع الله له الملائكة للترحيب بإمام النبيين، وسيد المرسلين، ومن ثمّ تسلّمَ النبى محمد «ﷺ» الراية، وأعطى الزعامة والإمامة؛ إذ قدمه جبريل (عليه السلام) فصلى بهم إماماً، ورحب به الأنبياء: آدم (عليه السلام). ثم (عيسى) عليه السلام، وبادلهم رسول الله «ﷺ»، فوقف وقال: «الحمد لله الذى شرح لى صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وجعلنى خاتماً للنبيين، فقام خليل الله إبراهيم (عليه السلام) فقال: (بهذا فضلكم محمد) ﷺ، وقد تناول هذا المعنى الشاعر وأنشد:

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكة
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم

[1] شجرة ينتهى عندها علم الملائكة.





واحدة من شهداء العدوان الإسرائيلى الهمجى على فلسطين

لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتم

أرض الإسراء تستغيث

وبهذا الموكب العظيم تمّ الاحتفاء بالنبى الكريم، والرسول العظيم «ﷺ» فى المسجد الأقصى، ولن يكون للذكرى أثرها الفعّال، ووحيها العطر، ووجهها المشرق والمسجد الأقصى تحت سيطرة الصهيونية الغاشمة، التى استحلت حرماته، واستبدت بأهله، واستباحت مقدساته، واجتاحت فى الأيام الأخيرة قطاع غزة، وروّعت الآمنين، وهدمت كثيراً من البنيان، وقضت على معظم البنية التحتية، وقوضت أركان الجسور التى تربط المدينة، وأحالت المدينة إلى ظلام حالك بضرب مولدات الكهرباء، وكلّ ذلك مقابل أسر جندى، واحد من جنود إسرائيل، وقد أسرت فى المقابل عدداً من الوزراء والنوّاب، وأخذ الفلسطينيون يستغيثون فلا مغيث، ويطلبون الحماية والدعم فلا مجيب، فهل يتكاتف المسلمون عامّة فى مشارق الأرض ومغاربها والعرب خاصة لتحرير أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله «ﷺ»؛ إذا حدث ذلك (وما ذلك على الله بعزيز) عاد للذكرى جلالها فى الاحتفال بها.



ثمّ عرج به «ﷺ» إلى السماوات وظل يرقى من سماء إلى سماء وبهذا انفرد عن سائر الأنبياء، وقد أنشد الشاعر:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء؟
لم يساووك في علاك
وقد حال سناً منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الماء

وهكذا كرّم الله (سبحانه) نبيّه «ﷺ» بما لم يكرّم به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً:

حتى بلغت سماء لا يطار لها
بجناح ولا يسعى على قدم
وقيل: كلّ نبيّ عند رتبته
ويا محمد، هذا العرش فاستلم

ووقف جبريل (عليه السلام) عند هذا الحد، وقال «تقدم يا محمد، فقال النبي ﷺ: أفي هذا المكان يترك الحبيب حبيبه؟! فقال: تقدم، فليس لي أن أتقدم، فلو تقدمتُ احترقت، ولو تقدمت احترقت فتقدم النبي «ﷺ»، وما زال يرتقي، ويرتفع، ويزج به في الأنوار، ومكامن الأسرار بين صلوات الملائكة، وفي هالة من الإشراق، والأضواء حتى أدناه ربه من الحضرة القدسية (فكان قاب قوسين و أدنى).

التشهد

- عندها قال النبي «ﷺ»: (التحيات لله والصلوات الطيبات)، فقال ربّ العزّة (عزّ وجلّ): (السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته)، قال النبي «ﷺ»: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، فقالت الملائكة: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

هذا ولما قال أصحاب النبي (رضوان الله عليهم) للنبي «ﷺ»: (لقد علمتنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلي عليك؟) قال «ﷺ»: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد)[2].

ومن يومها ونحن نصلي بهذا التشهد في كلّ صلاة - فرضاً أو نفلاً - ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عُرج بالنبي «ﷺ» إلى السماء، وذلك منصوص في الصحيح وغيره، وقد هبط جبريل (عليه السلام) صبيحة ليلة الإسراء والمعراج على النبي «ﷺ» فعلمه الصلاة ومواقيتها وعدد ركعاتها وكيفية أدائها، وبأدائها في أوقاتها تحيي هذه الذكرى في كل وقت.

(٢) موطأ مالك - رواية يحيى الليثي ج١/ ١٦٥.

مكانة الصلاة

فالصلاة هي الهدية التي عاد بها النبي «ﷺ» من رحلة المعراج إلى الأمة فكانت الفريضة الوحيدة التي فرضها ربّ العزة (عزّ وجلّ) في أحلى لحظات التجلي، وفي كوكبة من الملأ الأعلى، وفي جذوة من النور والإشراق، تنويهاً بشأنها، ورمزاً لمكانتها، وإنه لمن الملاحظ أنّ رحلة الإسراء بدأت بالمسجد الحرام، وانتهت بالمسجد الأقصى، وأنّ الهدية التي عاد بها النبي «ﷺ» من رحلة المعراج للأمة هي الصلاة، والتي من أجلها تبنى المساجد التي قال فيها رب العالمين:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[النور: ٣٦ - ٣٨]

فمن شاء من الناس أن يُسرى به ربه، وأن تعرج به ملائكة الرحمة، وأن يتقبل الله منه ما يقدمه من عمل صالح، وعلم نافع - فليحافظ على الصلوات الخمس في مواقيتها، مستكملة الأركان مستوفاة الشروط، وأن يؤديها في خشوع كامل، وخضوع تام، لأن روح الصلاة خشوعها، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[المؤمنون: ١، ٢]

وليدم مناجاة ربه بها، إذ هي الصلة التي تصل الخلق بالخالق، وتصلح الأرض مع السماء، وتجلب من الله القرب والرضوان، قال «ﷺ»: (إذا كان أحدكم يصلي فإنما يناجي ربّه، وربُّه بينه وبين القبلة)[3]، وقال: (إنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت)[4].

وكيف لا؟ وللصلوات على سائر الشرائع ميزات عظيمة: منها أنها فرضت في السماء دون سائر الفرائض.. وفرضت من الله - تعالى - لرسوله بلا واسطة، بينما غيرها بواسطة الملك.. كما أنها فرضت خمسين صلاة، ثمّ حصل التخفيف في عددها إلى خمس، وبقي

(٣) صحيح البخاري ج١/ ١٤٩.
(٤) مسند الإمام أحمد ج٤/ ٢٠٢.

ثواب الخمسين في الخمس.. أضف إلى هذا وذاك أنها الركن الثاني من أركان الإسلام، فلا يقوم الدين إلا عليها، ولا يكتمل إلا بها بعد التوحيد.. كما أنها تجب على كل مكلف، فلا تسقط، حتى عن المريض، والخائف، والمحارب إلخ. وهي ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وقد قال «ﷺ»: (عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان)[٥].

نور ونجاة

وتارك الصلاة على خطر عظيم؛ فقد جاء في الحديث الشريف عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رسول الله «ﷺ» ذكر الصلاة فقال: (من حافظ عليها كانت له نوراً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف) ـ رواه أحمد وقال معلقاً عليه: من تركها بسبب جمع المال حشر مع قارون، ومن تركها بسبب السلطان حشر مع فرعون، ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان، ومن تركها بسبب الجدل والخصام حشر مع أبي بن خلف؛ لأنه كان يجادل رسول الله «ﷺ» في شأن البعث، فلم يكن عجباً والحال هذا أن يتوقف قبول العمل عند الله على قبول الصلاة، قال «ﷺ»: (أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)[٦]، وما ذلك إلا لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، ولجمعها ما تفرّق من العبودية، وتضمينها أقسامها وأنواعها، فهي تكبير لله، وتحميد له، وثناء عليه، وفيها يتلو المصلي كتاب الله، ويصلي ويسلم على رسول الله «ﷺ» وعلى آله، كما أن فيها دعاء للحاضرين، وجميع عباد الله الصالحين، وهي قيام وركوع وسجود وجلوس وخفض ورفع، فكل عضو في البدن، وكل مفصل فيه له من هذه العبادة حظه، ورأس ذلك كله القلب الحاضر.

فرضها الله ـ تعالى ـ على عباده؛ ليذكرّهم بحقه، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من مشاق هذه الحياة الدنيا، والمجتمع الإنساني بحاجة ماسة ملحة إلى قوة إيمان ترفع نفسية أفراده على وجه الاستمرار إلى المثل العليا، لئلا يرتبط المجتمع بالحاجات المادية، والمصالح

(٥) مجمع الزوائد ج٦/٤٧

(٦) سنن أبي داود ٨٦٤ بلفظ مختلف

الشخصية التي تؤدي إلى الفساد، والإفساد، كما أن الصلاة طمأنينة في القلب عند المصائب، وراحة للضمير عند النوائب، وقد دعانا الله (عزّ وجل) إلى أن نستعين بها عند الملمات والمصائب ومشاق الحياة، فقال تعالى:

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

[البقرة :٤٥]

وقال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

[البقرة :١٥٣]

ـ كما أن الصلاة تحول بين المصلي، وبين ارتكاب ما حرّم الله (عز وجل)، فالمصلي الخاشع دائماً أبداً يستحضر عظمة ربه، وسلطان خالقه، فلا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعاً في تقديم ما يرضيه (سبحانه)، فلا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره وهو دائماً أبداً في صفوف المخبتين الطائعين بعيد كل البعد عن اللاهين العابثين، لا يرضى لنفسه أن يتواجد في موضع شبهة ولا يقبل على نفسه أن يقع في معصية. قال تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾

[العنكبوت :٤٥]

كفارة للذنوب

كما أن الصلاة كفارة للذنوب، ومحو للخطايا:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

[هود :١١٤]

ولقد روى البخاري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: كنت عند النبي «ﷺ» فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً فأقمه علي، ولم يسأله عنه ـ أي لم يستفسره ـ قال: وحضرت الصلاة، فصلى مع النبي «ﷺ»، فلما قضى النبي «ﷺ» الصلاة قام إليه الرجل، فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً فأقم في كتاب الله، قال: أليس قد صليت معنا؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد غفر لك ذنبك، أو قال: حدك).. ألستم معي والحال هذا ـ أنّ تكرار الصلاة في اليوم والليلة خمس مرات تطهير روحي للمسلم من غفلات قلبه، وزلات لسانه، ومقترفات جوارحه..

وفقنا الله لأدائها كما يحبّ ويرضى.

❁❁❁

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

مشاهد من رحلة الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ/
عمر الديب محمود
وكيل الأزهر الشريف

إن الله سبحانه وتعالى حينما أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى الأنام برسالة تكمل الرسالات السماوية السابقة، لتكون هذه الرسالة هي آخر الرسالات السماوية الصالحة لكل زمان ومكان، فيها ما يصلح شأن البشرية ويحقق الأمن والسلام العالمي لجميع البشر، وجعل نبيه ورسوله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليقوم بتلك المهمة التي شرفه الله تعالى بالقيام بأعبائها مهمة تبليغ تلك الرسالة ليقول لهم:

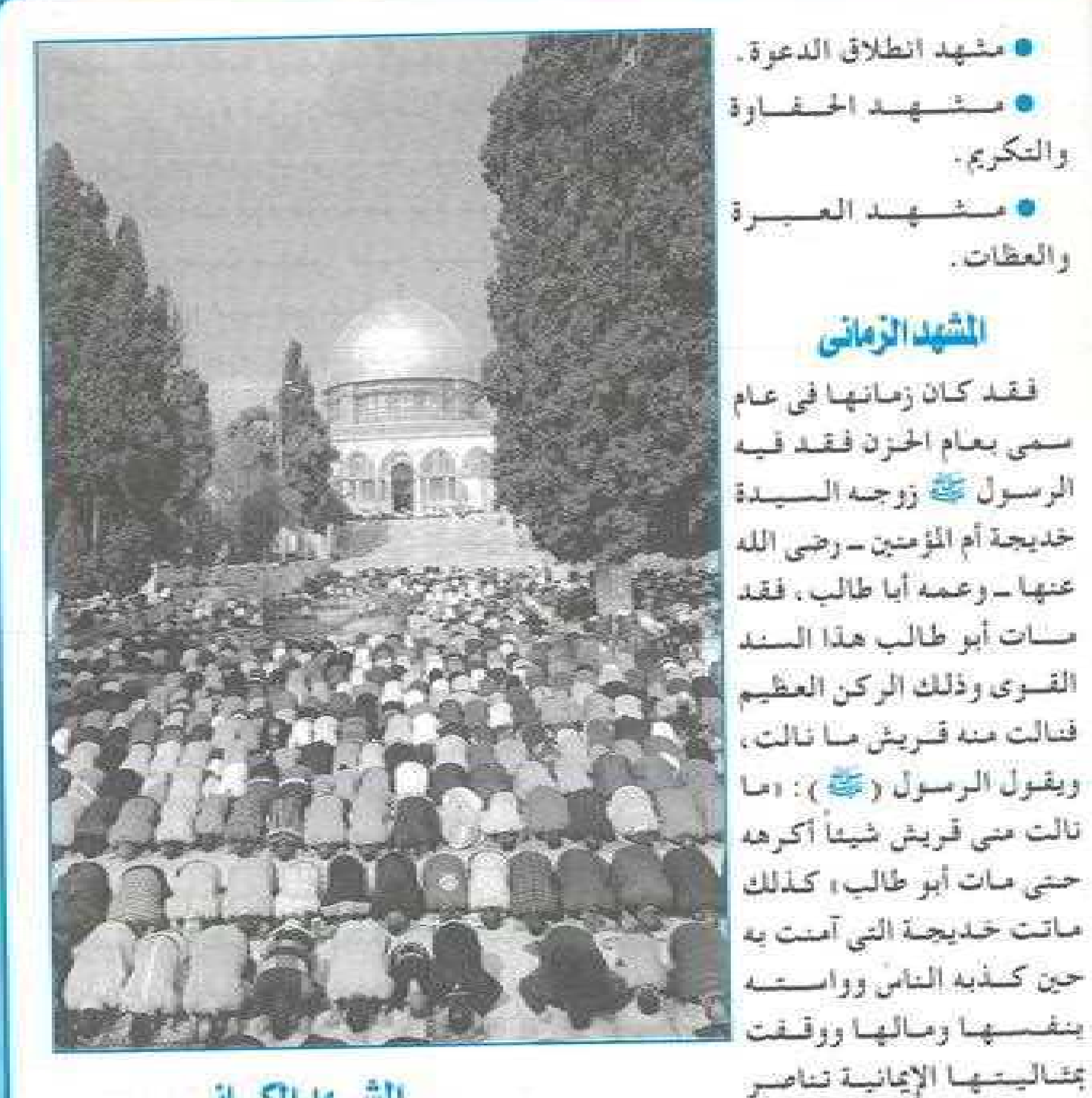
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

[الأعراف: ١٥٨]

وقد أيده الله - سبحانه وتعالى - بكثير من المعجزات المادية والمعنوية، وكانت معجزة الإسراء والمعراج بين تلك المعجزات المادية الخالدة أبد الدهر، لتشهد على صدق تلك الرسالة ولتعلن للبشرية جمعاء أن محمداً رسول الله، وأن الدين الذي جاء به هو الدين الحق.

ولو نظرنا إلى معجزة الإسراء والمعراج لوجدنا فيها مشاهد كثيرة منها: -

- المشهد الزماني.
- المشهد المكاني.
- المشهد الإيماني.
- مشهد انطلاق الدعوة.
- مشهد الحفاوة والتكريم.
- مشهد العبرة والعظات.



المشهد الزماني

فقد كان زمانها في عام سمي بعام الحزن فقد فيه الرسول ﷺ زوجه السيدة خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وعمه أبا طالب، فقد مات أبو طالب هذا السند القوى وذلك الركن العظيم فنالت منه قريش ما نالت، ويقول الرسول (ﷺ): «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»، كذلك ماتت خديجة التي آمنت به حين كذبه الناس وواسته بنفسها ومالها ووقفت بمثاليتها الإيمانية تناصر الرسول وتنتصر لدعوته الحبيبة، ماتت بحنانها ومواساتها ومناصرتها.. ماتت التي أيدته في أحلك الأوقات وكانت تعينه على تبليغ دعوته وتشاطره همومه، وانتهزت قريش الفرصة فضاعفت من إيذائها واضطهادها للرسول وللمسلمين.

المشهد المكاني

عندما اشتد أذى المشركين لم يجد ﷺ بداً من أن يرتحل إلى الطائف لعله يلتمس فيها عوناً، أو لعله يجد من أهلها ناصراً ومعيناً ولم تكن الأحوال فيها بأيسر مما كانت في مكة، وكأنه قد استجار من الرمضاء بالنار وكان قد لجأ إلى الطائف

وثقيف لعله يجد فيها متنفساً، ولكنه ما لقى من عدوه قبل الإسراء مثل ما لقيه من أهل الطائف، حتى لقد اعترف (ﷺ) بأن أشد يوم مر به هو يوم عودته من ثقيف حيث سلطوا عليه غلمانهم وسفهاءهم وعبيدهم يقذفونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان.

مشهد إيماني

عندما اشتد الأذى برسول الله ﷺ أثناء عودته من ثقيف لجأ إلى ظل شجرة في يوم قائظ واسترجع تاريخ الدعوة ثم لجأ إلى ربه رافعاً أكف الضراعة قائلاً: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب العالمين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»(١).

وقد استجاب الله لرسوله هذا الدعاء فانتقل تاريخ الدعوة بهذا الدعاء الذى وصل الأرض بالسماء انتقل من مصاعب ومشاق إلى بُشريات تتوالى واحدة بعد الأخرى.

مشهد انطلاق الدعوة

من تلك البُشريات التى بشرت بانطلاق تلك الدعوة وانتشارها لتعم المعمورة كلها كانت معجزة الإسراء والمعراج فكانت تطييباً لقلب النبى (ﷺ) وتعزية لمشاعره وتحقيقاً لرجائه فى ربه وكأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد أن يقول لرسوله (ﷺ) لئن ضيق عليك قومك الأرض بما رحبت فها نحن نفتح لك أقطار السماوات والأرض نفتح أمامك أقطار الأرض فى مسراك وتخترق بك طبقات الأفق فى معراجك.

والدعوة لم تنتكس بعد الإسراء والمعراج وإنما كانت تحقق نصراً بعد نصر بلقاء القبائل العربية فى موسم الحج والتمهيد للهجرة الكبرى بلقائه (ﷺ) بالأنصار سنتين متتاليتين ثم كانت الهجرة النبوية الشريفة التى شطرت تاريخ الدعوة شطرين كبيرين إن كان أولهما بمثابة الحرث والزرع فإن ثانيهما كان بمثابة الحصاد والجنى وتلك سنة الله فى خلقه:

(١) مجمع الزوائد ج٦/٣٥.

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

[فاطر: ٤٣]

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الروم: ٤٧]

مشهد الحفاوة والتكريم

كانت رحلة الإسراء إلى بيت المقدس إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من مراحل الدعوة، فقد أسرى بالرسول (ﷺ) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين في بيت المقدس، وكانت صلاته بالأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام إماماً، مبايعة له وإعلاناً لهيمنة الإسلام على هذه البقاع الطاهرة التى يدنسها اليهود الآن ويحاولون أن يهدموا هذا المسجد الذى يعده المسلمون من أقدس مقدساتهم فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وهم يزعمون أن هذا المسجد أقيم فوق هيكل سليمان وفى زعمهم أنه لابد من إزالة هذا المسجد وإقامة الهيكل فى مكانه ومن العجب أن بعض الأفاقين والمنافقين دعاة السلام المزعوم، وهم أشد ما يكونون بعداً عنه ينادون ببناء الهيكل فى مكانه الأصلى حتى يعود الوفاق والسلام، وهذه دعوة خبيثة مقصود بها هدم المسجد الأقصى وإن كانوا لا يصرحون فى دعوتهم بذلك ولكن يقولون: تبنى هيكل سليمان فى مكانه الأصلى..

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾

[الكهف: ٥]

إن المسجد الأقصى أصبح ملكاً للمسلمين وعلى جميع المسلمين اتخاذ كافة الوسائل للحفاظ على هذا المسجد وعمارته، لأنه مسرى نبيهم ﷺ وقد صلى فيه بجميع الأنبياء والمرسلين.

ثم يصعد الرسول ﷺ إلى سدرة المنتهى ليشهد أعظم تكريم إلهى لم يشهده بشر، وفى عالمنا المعاصر عندما يأتى رئيس دولة أو شخص مهم يكون معه رئيس بعثة الشرف ولقد كان رئيس بعثة الشرف مع سيدنا محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام، لقد صاحب الأمين جبريل الأمين محمد فى رحلته ومعراجه إلى السماوات العلا فكان يستفتح له كل سماء ويسلم على أهلها حتى رفع إلى سدرة المنتهى حيث توقف جبريل أمين الوحى وقال يا رسول الله" هنا يفارق الحبيب حبيبه وما منا إلا له مقام معلوم. لو تقدمت خطوة لاحترقت.. تقدم يا محمد فتقدم ﷺ فدنا من ربه ـ سبحانه وتعالى ـ حتى كان قاب قوسين أو أدنى حيث سمع صرير الأقلام فأوحى إلى عبده ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة، ثم



أطفال فلسطين ضحايا الوحشية الإسرائيلية

خففت إلى خمس في العمل خمسين في الأجر، وفى هذا تكريم للنبى ﷺ ما بعده تكريم، فبينما كلم موسى عليه السلام ربه من فوق جبل الطور دون أن يراه نجد أن الرسول ﷺ يقربه ربه ويرفعه إلى سدرة المنتهى حيث المكان الذى لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولأول مرة يجتمع جميع الأنبياء ليبايعوا نبياً مثلهم ويصلوا خلفه ولأول مرة تكشف الحجب لبشر ويرفع إلى السماوات العلا ويرى من آيات ربه الكبرى ولم يكن ذلك لأحد قبل أو بعد رسول الله ﷺ.

مشهد العبرة والعظات

إن معجزة الإسراء والمعراج بجانب أنها كانت تسرية للنبى ﷺ وتكريماً له، كانت بمثابة إعلان لهيمنة الإسلام على هذه الأرض المقدسة، مهبط الوحى ومهد الرسالات، ومنذ هذا التاريخ كانت تلك الأرض تحت رعاية المسلمين، يعمرها الإسلام ويعلى فيها شأن الوحدانية، حتى كانت النكبة على يد هذا الجيل من المسلمين، حيث احتل اليهود فلسطين ووقع المسجد الأقصى أسيراً فى يد اليهود تعبث به معاولهم بحجج كثيرة

باطلة يريدون تبرير ما يقومون به من نهب وسلب لأراضى وأموال المسلمين!! ولكن هذا الصراع القائم بين إسرائيل والعرب هو صراع بين الحق والباطل وقد بدأ قديماً منذ أيام الرسول ﷺ فهم ينقضون العهود والمواثيق وهذا هو شأنهم وديدنهم ويصمون المسلمين بالإرهاب والعنف وهم قتلة الأنبياء ومصاصو الدماء، ولهذا يجب على المسلمين اتباع كافة الوسائل التى تكفل إعادة الأقصى إلى حوزتهم وكذلك تلك الأرض المقدسة التى أسرى إليها برسول الله ﷺ، ولا ينبغى أن يسود هذه الأرض غير شريعة الله ويجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تجتمع على كلمة سواء وتطالب الشرفاء في العالم الذين ينادون بالسلام والمحبة والعدالة أن يضعوا الأمور فى نصابها ويعود السلام إلي أرض السلام، فلسطين، ويتم تحرير المسجد الأقصى وفك أسره ليتنسم عبير الحرية ويتنفس الهواء الطيب الطاهر من خلال إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وهذا وعد الله الذى لا يتخلف.

الإسراء آية صاحبتها آيات

لقد كان الإسراء نقلة تقتضى العجب بالقياس بالأمور التى يألفها البشر وبخاصة أن ذلك الزمان لم تكن فيه وسائل الاتصالات السريعة أو الأقمار الصناعية، بل كان المسافرون يستخدمون الدواب في أسفارهم، وكان المسجد الأقصى طرف تلك الرحلة، وبدايتها كانت من المسجد الحرام، وقد تمت الرحلة في برهة وجيزة لم يبرد فيها فراش النبى ﷺ. كل ذلك يكشف عن الطاقات المخبوءة فى كيان هذا المخلوق البشرى والاستعدادات اللدنية التى يتهيأ لها لاستقبال فيض القدرة فى أشخاص المختارين من هذا الجنس الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه وأودع فيه الأسرار اللطيفة ولهذا يذكر الله تلك القصة فى القرآن الكريم فى سورة يسميها باسمها وهى سورة الإسراء يقول تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء: ١]

والله نسأل أن يوحد كلمة المسلمين وأن يرد المسجد الأقصى إلي حوزة المسلمين وأن يفك أسره من يد اليهود والمعتدين إنه سميع بصير مجيب الداعين.

خطبة الجمعة:

آيــة الإســراء

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، رفع المخلصين من عباده إلى أعلى عليين، ووضع الأشرار الأخساء إلى أسفل سافلين، وربك يخلق ما يشاء ويختار، أشهد أن لا إله إلا الله، بديع السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاء بالحكمة، وهدى الأمة:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم ٣، ٤]

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة ٨]

يا أتباع محمد ﷺ...

نحن الآن في شهر رجب، وفيه وقع حادث الإسراء والمعراج، ومن الخير أن تتنسم روائح هذا الحادث الإلهي العظيم، قبل أن تمر علينا ذكراه، لعل الله يوفقنا لحسن العظة وجميل الاعتبار، أو لعلنا نكون من الموفقين الذين قال لهم رسولهم ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها»[1]. وقصة الإسراء والمعراج معروفة الوقائع والتفاصيل، وقد أعيد فيها الحديث وأعيد، فحسبنا اليوم وقفة أمام آية واحدة من الآيات الكريمة التي جاءت في شأن الذكرى، وهي قول الله عز من قائل:

(١) ٢١ رجب سنة ١٣٨٦ هـ - ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٦م.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]

فهذه الآية قد جعلها الله تعالى في سورة سميت باسم «سورة الإسراء»، تمجيدا للمعجزة، وتنويهاً بها، ولفتاً للأبصار والبصائر إليها، وجعلها الله في مفتتح السورة كأنها شعار لها وهامة فوقها، مع أن هناك سورة سميت باسم «البقرة»، ولم تأت قصة البقرة في أولها، وسورة سميت باسم آل عمران، ولم يأت حديث آل عمران في أولها، وسورة سميت باسم المائدة، ولم يأت حديث المائدة في أولها، وكذلك يقال في سورة الأنعام والأعراف والتوبة والكهف وغيرها.

وبدأت الآية بكلمة ﴿ سُبْحَانَ ﴾، وهي تفيد معنى التسبيح والتنزيه والتقديس، فالله جل جلاله منزه عن أن يكون عاجزاً أو غير قادر على فعل ما سيقصه علينا من الحادث العجيب حادث الإسراء، وها هو ذا سبحانه يمجد ذاته، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه: وهذا الإله العلي القدير هو

﴿ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾

وكلمة ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ تدل على الارتحال في أثناء الليل، وكأن الله تعالى قد اختار الليل زمناً للإسراء بنبيه ليشير إلى أنه الكوكب الدري الساطع الذي يبدد بفضل ربه ظلمات الإنسانية، وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر، وأنه هو النجم الذي يعلو ولو تهاوت الكواكب والنجوم:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم ١: ٤]

والمراد بعبده هو سيد العباد وإمام البلاد محمد ﷺ، وقد اختار الله لنبيه صفة العبودية في مواطن التكريم والتشريف، ولذلك قال عنه هنا:

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾

وقال عنه في حديث المعراج:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠]

وقال عنه في موطن تبليغ الرسالة:

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن ١٩]

فدلنا هذا على أن صفة العبودية لله هي أشرف الصفات وأكرم النعوت، ومن هنا قال القائل المؤمن:

وممـا زادنـي شـرفـاً وتيـهـاً
وكـدت بأخمصـي أطـأ الثريـا

دخـولي تحت قـولك يـا عبـادي
وأن صيـرت أحـمـد لي نبيـاً

كما أن كلمة ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ تؤكد لنا أن الإسراء كان بالروح والجسد، لا بالروح فقط كما يزعم الذين يضيقون عن إدراك كمال القدرة الإلهية، فكلمة «عبده» لا تطلق على الروح

وحدها، كما أن حرف الباء في كلمة «بعبده» يشير إلى أن الله جل جلاله كان مصاحباً لعبده حين إسرائه، لا مصاحبة حس لحس، فالله تعالى لا يشبه الحوادث.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

[الشورى: ١١]

بل مصاحبة العناية والرعاية من تكريم وتعظيم لمحمد الموصوف بصفة العبد، فهو يجوز ما يجوز من رضا الله ورضوانه، ومع ذلك هو عبدالله، وليس بإله. فلا تجوز في شأنه المغالاة:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾

[الكهف: ١١٠]

وقالت الآية الكريمة: ﴿ لَيْلًا ﴾ أي في جزء من الليل أو في بعضه، فقد بدأ الإسراء بعد العشاء وتم قبل الفجر، وإن الله الذي يقول للشئ كن فيكون هو الذي أمكن عفريت سليمان من إحضار عرش بلقيس من المكان القاصي قبل ارتداد البصر، فهو سبحانه قادر على أن يفعل ما يشاء.

ومن أين كان الإسراء وإلى أين؟: كان

﴿ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾

فجاء التحديد المكاني بعد التحديد الزماني، وكانت الرحلة بين مسجدين، والمسجدان معبدان، وهما مكانان للصلاة والمناجاة، والاتصال بالله، وأفضل الأماكن في الأرض هي بيوت الله، وأفضل بيوت الله فيها ثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد سيد الخلق محمد ﷺ، وهناك في هذا التحديد إشارة سياسية، وهي أن فلسطين، وعاصمتها بيت المقدس التي تضم المسجد الأقصى، قد جعلها الله واسطة العقد في حادث الإسراء والمعراج، فهي نهاية الرحلة المحمدية في الأرض، وهي بدايتها في الرحلة السماوية حيث دنا محمد

﴿ فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾

[النجم ٨، ٩]

وإذن ففلسطين يجب أن تبقى طاهرة مطهرة، تعلوها كلمة الإسلام، ولا تترك في أيدي الأوغاد اللئام.

ثم قالت الآية عن ذلك المسجد الأقصى:

﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾

أي بارك حوله بالدين، حيث تنزلت من حوله آيات وانبعثت دعوات، فهو مهبط قديم للوحي ومتعبد للأنبياء، وبارك حوله بالدنيا، حيث زانه بالأشجار والثمار، وإنما اقتصرت الآية هنا على مدح المسجد الأقصى دون المسجد الحرام، لأن المسجد الحرام قد استوفى حظه من الثناء والتكريم في آيات كثيرات، مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

[آل عمران - ٩٦، ٩٧]

وقوله:

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾

[المائدة ٩٧]

وقوله:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[البقرة آية ١٤٤]

ولم يذكر المسجد الأقصى في غير آية الإسراء.

ثم قالت الآية الكريمة:

﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾

فالله صاحب العظمة والجلالة هو الذي يرى رسوله، وهو الذي يريه آيات لا آية واحدة، هو يريه من الآيات سرعة الراحلة في الإسراء، وسموها الفريد في المعراج، وهو يريه من مشاهد الأرض ومشاهد السماء، وإبداع الخالق القادر ما يريه، وكأن هذه الكلمة هنا في سورة الإسراء تمهيد في سورة النجم للإخبار بتحقق الرؤية لعظيم الآيات، حيث قال هناك:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

[النجم ١٧، ١٨]

ولم لا والله هو المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء، أنه هو السميع البصير الذي لا يغيب عن علمه وسلطانه ومراقبته صغير في هذا الوجود أو كبير.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

[الملك ١٤]

يا لروعة التعبير، ويا لدقة التصوير. إن هذه الآية الوجيزة المعجزة حددت كل شيء نحتاج إليه، فالله ذاته هو الذي أسرى، والذي أسرى به هو عبده محمد بكيانه وجثمانه، ووقت الإسراء هو جانب من الليل، وبداية الرحلة هي المسجد الحرام، ونهايتها في الأرض هي المسجد الأقصى. والحكمة موجودة هي رؤية الآيات ومشاهدة الدلالات، والدليل على إمكان الإسراء موجود، لأن فاعله هو الله، وهو السميع البصير، فماذا بعد هذا من جدال أو مراء عند أهل الجحود والنكران؟

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

[الأنعام ٩١]

يا أتباع محمد ﷺ...

إن لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها، كذلك قال لكم صاحب الإسراء والمعراج، وقد سبق التذكير قبل حلول الذكرى بأيام، لعل الله يأخذ بالنواصي المستجيبة له إلى مواطن الرشاد. وهو ولي الهداية والتوفيق.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة: ٨٨]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل: ١٢٨]

---

(٢) كشف الخفا جـ١ - ص ٢٦٩.

من صميم السيرة

الإسراء

للشاعر السوري الكبير:
الأستاذ أمجد الطرابلسي

رقدت ملء عينها البيداء   واحتوتها في سرها الظلماء
ورأى موكب الطيور إلى النخل   وحنت لزغبها الورقاء
والمها أطبقت على الصفو عينيها   ، ومالت إلى الكناس الظباء
سكن الليل، لا هتاف ولا عز   ف ولا آهة ولا ضوضاء
ليس إلا النجوم تهمس فرحى   في الرحاب العلى فتصغي الجواء
وسجت مكة، فلا اللهو لهو   في حماها، ولا الغناء غناء
أطفأت في الخيام كل سراج   رقصت فوق ثغره الأضواء
وانقضى كل سامر أثملته   بالفنون الرواة والشعراء
وتهادى النسيم بين الروابي   كلما هب هدّه الإعياء
ملء أعطافه أريج الخزامى   وبقايا الكؤوس والأنداء
نامت البيد! هل رأيت سريراً   رقدت فوق صدره عذراء؟
الطيوف الفرحى تطوف حواليه   كما طاف بالقلوب الهناء



والتي الضاحكات تلثم خديها   فيفتر ثغرها الوضاء
يا جمال البيداء! ماذا ينال الـ   ـوصف منه، وما يصيب الثناء؟!
كلها السحر والرحيق المصفى   كلها الشعر والهوى والبهاء
كلها المجد والبطولة والسؤ   دد والعز والندى والإباء!

** **

إيه يا منبع الصناديد يا بيـ   ـد إذا رج جانبيك نداء!
يا مهب الفرسان إن صرخ المجـ   ـد يناديهم وهز اللواء!
نام يا بيد في سكونك تدب   حفظته وهدهدته السماء
سهرت حوله العناية ترعا   ه وحامت من فوقه الآلاء
من ذؤابات هاشم كله طهـ   ـر ونبل ورحمة ووفاء
أروع أين من عزيمته السيف   ومن جود كفه الأنواء!
عربي تهلل الكون لما   كرمته النبوة الغراء
شع منه الهدى فهاجت وماجت   حنقاً - جاهلية رعناء
دينها البغي والتناحر والثا   رات والبطش والأذى والدماء
فاحفظيه يا بيد فهو رجاء الكـ   ـون وسط الظلام وهو الضياء
ما يدوم العمى إذا أسفر الحق   ولا النور والظلام سواء!!

** **

إيه يا نائماً تداعب جفنيه   الخيالات والرؤى الشماء!
يا نبياً في صدره خفق الكو   ن جميعاً، جراحه والدواء!!
يا رسولاً ترنو لطلعته الأفـ   ـلاك حيرى قد عمها الإدجاء!
أيها النائم انتبه! قد أتاك الـ   ـروح يحدوه من علاه القضاء
والبراق السعيد حمحم في البا   ب اشتياقاً فاهتزت الصحراء



طرْ عليه تمضِ القفارُ سراعاً   تحتَ وثباته وبطْوِ الفضاءْ

طرْ عليه إنّ العوالمَ نشوى   مُذْ أتتها عن سعيكَ الأنباءْ

والسمواتُ تستعدُّ لمسرا   كَ وقد زغردتْ بها البشراءْ

تتغنّى فيها الملائكُ فرحى   وتهادى البشائرَ الأنبياءْ

رفرفا في سماءِ مكةَ فالريحُ ذلولٌ تحتَ البراقِ رُخاءْ

وامضيا تمحُ القلا والمسافا   تُ كأنّ ابتداءهنّ انتهاءْ

فإذا شمتُما على البُعدِ سيْنا   ءَ ولاحتْ كُثبانُها السمراءْ

فاهبطا، طرْفةَ العيونِ، إليها   يا لَرِيّي لما رأتْ سيناءْ!!

يومَ ناجى الكليمُ في جانبيها   ربَّهُ، ملءُ أصغريه الرجاءْ

فهوى مُرعشاً وقد هاله النو   رُ وأعشى عيونَه اللألاءْ

ثمّ سيرا حتّى إذا (بيتَ لحمٍ)   دوّمتْ من بروجها الأصداءْ

فاهبطا تُربَها الذكيّ فمنه   «أسفرَ الرفقُ والهدى والحياءْ»[1]

وأتيا المسجدَ الذي باركَ اللهُ حواليه منذ كانَ البناءْ

فاسجدا فيه للذي غمرَ الكو   نَ نداهُ وعطفُهُ والرضاءْ

صلّيا يبسمِ المصلّى ابتهاجاً   لكما في الدجى ويشدُ الفناءْ

واعرجا صاعدَيْن سبعاً طباقاً   لا حجابٌ، لا دُجيةٌ، لا عماءْ

ألقٌ باهرٌ، وبحرٌ من النو   رِ خضمٌّ، وروعةٌ، وصفاءْ

ليس إلا ملائكٌ تحملُ البشرى ورسْلٌ أحبّةٌ أصفياءْ

اصعدا في الجمالِ حتّى تجلّى   لكما سدرةُ العُلى العصماءْ

وانظرا من علٍ إلى هذه الأجرامِ طُرّاً، يجلُّ عنها الهباءْ

---

(1) قال شوقي:

ولد الرفق يوم مولد عيسى ... والمروءات والهدى والحياء

نظرةً تنتظمُ العوالمُ والآ   بادُ فيها وتلتقي الأملاءْ

اسمُوا، اسمُوا فما أعظمَ الأنفسَ تفنى من دونِها العلياءْ!

ما أجلَّ الأرواحَ تعلو وتعلو   ثم تعلو، وإنْ تناهى العلاءْ!

ما أحبَّ الفناءَ في النورِ إمّا   كُرِهَ اللبثُ في الثرى والفناءْ!

**   **

إيهِ مسرى النبيّ! قد تنكرُ الأنـ   ـوارَ والفجرَ مقلةٌ عمياءْ

ما على جاحديكَ لومٌ إذا ضلّـ   ـوا، هلِ الناسُ كلُّهم أنبياءْ؟!

**   **

معرجَ المصطفى! إليكَ التحايا   شعشعتها دموعُنا والدماءْ

بوركتْ أرضُكَ النديّةُ يا قُد   سُ ووشّتْ رياضَكَ النعماءْ!

أنتِ أمُّ الدنى، ومهدُ النبوّا   تِ ومنكِ استفاءتِ الآناءْ

فيكِ موسى ألقى عصاهُ ارتياحاً   بعدَ أنْ طوّحتْ به الأرزاءْ

والمسيحُ العظيمُ فيكِ تجلّى   يملأُ الأرضَ من هُداهُ السناءْ

علّمَ الكونَ رحمةَ العبدِ للعبـ   ـدِ، فلا قسوةٌ ولا إيذاءْ

وغذاهُ الحبُّ الطهورَ فلا بغـ   ـضٌ، ولا نفرةٌ، ولا أعداءْ

يا حماةَ المسيحِ في القدسِ! ما في   دينِه أنْ يعذّبَ الضعفاءْ!

ليسَ فيه طردُ الهزارِ من الأيـ   ـكِ لتختلَّ وكرَهُ رقطاءْ!

يا جيوشَ الصليبِ في القدسِ! ما في   شرعِه أنْ تُقتَّلَ الأبرياءْ!

ليسَ في شرعِه هوانُ المواثيـ   ـقِ، إذا ما تواثقَ الشرفاءْ!

ليسَ فيه أنْ يبذلَ العربُ الأنـ   ـفُسَ كي تسترقَّها «الخلفاءْ»!

يا لدمعِ المسيحِ ما كانَ أصفا   هُ! ولكنّ روحَكم كدراءْ!

سائلوا مهدَهُ المطهّرَ هل صا   نتهُ إلا العروبةُ العرباءْ؟!

سائلوه يا ناسُ عن عُمَرَ الفا ... روق: «ما كان عدله والوفاء؟»

سائلوه عن ابن أيُّوبَ لما ... عصفتْ جُنَّةٌ بكم هوجاء

يومَ جاءتْ جيوشُكم مثلما انحطَّـ ... ـتْ على المنهلِ النُّسورُ الظِّماء

تُغرقُ الهدَ مثلما تُغرقُ المجـ ... ـدَ منها الدِّماءُ والأشلاء

يومَ ضاقتْ عنها الأباطحُ في البـ ... ـرِّ وناءتْ بحملها الدأماء

يُلهبُ الحقدُ والعداءُ مآقيـ ... ـها، وتنزو في صدرها الأدواء

وابنُ أيُّوبَ يُطفئُ الثأرَ بالحِلْـ ... ـمِ وتجرى بنصرهِ الأنباء

ويفكُّ الملوكَ صفحاً ومنّاً ... بعدَ أسْرٍ يعزُّ فيه الفداء

أتمُ تعرفونَ عدلَ صلاحِ الـ ... ـدينِ وسْطَ العجاجِ يا طُلَقاء؟

لم يهيِّجكم للنَّارِ دينٌ، ولكنْ ... جشعُ الذئبِ أثملتْهُ الدِّماء

أىُّ دينٍ يُحلُّ ذبحَ اليتامى ... أىُّ شرعٍ تُبادُ فيه النساء

الأحابيشُ دينُهم مثلكم سَمْـ ... ـحٌ كريمٌ، لكنَّهم ضُعفاء

وجلودُ الغُزاةِ بيضٌ لطافٌ ... أينَ منهنَّ جِلدةٌ سوداء؟!

إنَّما العُربُ نعمةُ اللهِ في الأرْ ... ضِ وهمْ في ظلامِها الأضواء

حملوا مشعلَ الحضارةِ والكوْ ... نُ ظلامٌ وحيرةٌ وعماء

هم شموسُ الورى وصفوةُ خلقِ اللـ ... ـهِ والمخلصونَ والحنفاء

كلُّ مجدٍ لمجدهم يخفضُ الرأْ ... سَ خشوعاً ولو تمتهُ السماء!!

** ... **

دمتِ قدسَ العُلى ودامَ لكِ العِزُّ ... وذلَّتْ في غابكِ الدُّخلاء

دمتِ فوقَ السُّها ودامَ لكِ العُرْ ... بُ فداءً، وطابَ هذا الفداء!

***

الإسراء والمعراج مقياس الإيمان

للأستاذ / عادل خفاجة

إن الحديث عن الإسراء والمعراج هو فى المقام الأول حديث عن الإيمان والمؤمنين ألسنا نرى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع تكذيب الكفار للنبى بما حدثهم عن الإسراء قال: «إن كان قال فقد صدق».

فالمؤمن سليم الفطرة لا يحتاج إلى دلائل لتصديق خبر جاء به الرسول الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

أما من لجوا فى عتو ونفور ومن لم يخالط الإيمان قلوبهم فمنهم من وضع يده على رأسه ومنهم من صفق ومنهم من ضرب كفا بكف ومنهم من ارتد حين سمع ما قاله النبى من حديث عن الإسراء!!

إنه حقاً مقياس الإيمان والمؤمنين منذ نزول الوحى إلى قيام الساعة.

والحديث عن الإسراء حديث ذو شعب كثيرة فيه العبرة وفيه الوقوف على أقوال السلف الصالح فمن السلف الصالح من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بروح النبى ﷺ وجسده.

ومنهم من ذهب إلى أن الاسراء كان فى اليقظة والمعراج فى المنام.

وتعريفاً، بالإسراء والمعراج نقول:

الإسراء: هى الرحلة الأرضية التى بدأت

من مكة إلى بيت المقدس وهى التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

أما المعراج: فهى الرحلة السماوية من بيت المقدس إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى حيث اللقاء بالخالق جل وعلا.

وقد ورد ذكر المعراج فيما رواه أبو سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر فأصعدنى صاحبى حتى انتهى على باب من الأبواب يقال له باب الحفظة»[1]..

أما فى القرآن فقوله تعالى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

(النجم / ١: ١٨)

البـــراق

عن عبد الله بن مسعود قال: «أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله تضع حافرها فى منتهى طرفها»[2].

وهذه الدابة بهذا الوصف أسرع من أى وسيلة مواصلات حديثة عرفها الإنسان فى العصر الحديث، حيث تضع حافرها عند منتهى بصرها، ونتساءل: إلى كم كيلو متر ينتهى بصرها على حدته؟! وكم خطوة يخطوها البراق فى الساعة؟! ان حاصل ضرب هذين العاملين يعطى سرعة البراق.. وهى بلاشك أمور غيبية لم نذكرها إلا للتقريب فإذا علمنا أن طائرة نفاثة لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» حققت رقما قياسيا جديدا فى سرعة الطيران عندما اقتربت من تجاوز سرعة الصوت بعشر مرات وقال المهندس راندى فورلاند أن الطائرة النفاثة حققت ٩,٦ أمثال سرعة الصوت خلال تجربة

(١) تفسير الطبرى: ج٨ /١٢ وانظر مسند الحارث زوائد الهيثمى ج١/ ١٧٠ بلفظ مختلف.

(٢) سيرة ابن هشام ج٢/ ٢٤٨.



الطيران أى أن الطائرة اقتربت من الطيران بسرعة ١١ ألف كيلو مترا / ساعة (سرعة الصوت ١٢٢٥ كيلو متر / ساعة) نقول: اذا علمنا هذا الذى صنعه الانسان فما بالنا بصنعة الله القادر على كل شيء.

بعض من العبرة

● والمتأمل لهذا القول لابن مسعود يعرف ان هذا السفر بهذه الدابة لم ينفرد به النبى محمد ﷺ إنما سافر بهذه الدابة غيره من الأنبياء وهو ما يعلم أيضا من قوله ﷺ «فربطت الدابة فى الحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء»[3] ففى ذلك ما يدل على أنه كان يسرى بهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ويبقى السؤال.. لماذا كان إنكار المشركين للإسراء مادام هذا الأمر قد حدث للأنبياء قبله ﷺ؟

نقول ما قاله الحق تبارك وتعالى:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٣)

● لقد اجتمع الأنبياء وصلى بهم رسول الله إماما.. أى أنهم جمعتهم صلاة واحدة لا تسأل عن كيفيتها بل تذهب إلى مغزاها وهو أنهم جميعا جاءوا برسالات متعددة المناهج متحدة المبدأ والهدف فالجميع ينادون بالتوحيد وعدم الشرك بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد.

ألم يقل سيدنا محمد ﷺ «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد..»[4].

أليس فى كتاب ربنا العزيز:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

الأنبياء/ ٢٥

● هذا بعض ما نستخلصه من صلاة النبى ﷺ بالأنبياء إماماً فإذا تأملنا ما قالته السيدة أم هانىء «ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى نام عندى تلك الليلة بعدما صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الصبح أهبنا رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: «يا أم هانىء لقد صليت العشاء الآخرة فى هذا الوادى كما رأيت ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة

(٣) الفصول فى السيرة ص ١ ص ٢٨١.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ص ٣.

الغداة معكم كما ترين ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فقلت: يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك، قال: والله لأحدثنهموه، فأخبرهم فكذبوه».[٥] أقول: إذا تأملنا مدى حرص السيدة أم هانيء على ألا يحدث النبي الناس بهذا الحديث حتى إنها تعلقت بردائه الشريف ثم هذا الإصرار منه ﷺ، والتأكيد الذي يحمله قوله «لأحدثنهموه» نعلم أن رحلة الإسراء والمعراج بقدر ما فيها من تسرية للنبي ﷺ إلا أنها أيضا كانت المقياس لإيمان أقوام ارتدوا ممن آمن بالنبي ﷺ، ولعل في ذلك الخير كل الخير للدعوة الوليدة إذ الأمر يحتاج إلى يقين بقدرة الله تعالى، ويقين بصدق النبي ﷺ، إن الناس الذين ارتدوا نسيهم التاريخ أما من آمنوا أمثال أبي بكر الصديق فهم الرجال الذين اعتمدت عليهم الدعوة وقام على أكتافهم عبء نشر الإسلام في ربوع الأرض.

أقوال السلف عن الإسراء

تتلخص أقوال السلف الصالح في: كيفية هذا الإسراء وهل كان يقظة وهل كان سيراً حقيقيا، وحركة مادية؟! وهل شاهد الرسول الآيات الكونية التي أراه الله إياها بالمشاهدة العينية؟! أو كان رؤيا منام على نحو ما يرى النائم أنه سافر إلى مكان بعيد؟! يقول الأستاذ الكبير عبد الرحمن تاج إجابة عن هذه التساؤلات: يدل على أن الإسراء كان في اليقظة بالجسم والروح معا جملة أمور نقتصر هنا على أهمها:

أولا - قول الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

(الإسراء: ١)

فإنه يدل دلالة واضحة على أن الإسراء بالرسول ﷺ كان بجسمه وروحه جميعا، وأنه كان سيرا حقيقيا وانتقالا بحركة مادية: وذلك أن الإسراء كالسرى، معناه في اللغة السير ليلا، والسير حقيقة في الحركة المادية التي ينتقل بها الإنسان من مكان إلى مكان، فلو كان الحديث عن الإسراء حديثا عن رؤيا منامية، لكان يسيرا على القرآن أن يقول: سبحانه الذي أرى عبده في المنام كيت وكيت.

(٥) البداية والنهاية ج ٢/ ١١٠.



هذا إلى أن الآية الكريمة - كما هو واضح منها - فيها تنويه بشأن الرسول ﷺ وإشعار برفعته وسمو مكانته، وتنويه بشأن ما أجراه الله على يديه من الأمر العظيم، وعظم هذا الأمر ليس إلا لأنه كان شيئا مما لا يجري على أيدي الناس ولا يعهدونه، لابد أن يكون شيئا يستحق أن يبدأ القول فيه والحديث عنه بالتسبيح الذي لا يكون إلا في المقامات الجليلة، والآيات العظيمة، والأمور الهائلة العجيبة، وذلك كله يدل دلالة واضحة على أن الإسراء لم يكن رؤيا منامية، ومجرد انكشاف روحي، وإنما كان سيرا حقيقيا بالروح والجسم معا.

ثانيا: إنه إذا كان أمر الإسراء مجرد رؤيا منامية لم يكن حينئذ شيئا غريبا، ولم يكن فيه ما يثير العجب والدهشة، ولا يستوجب الإنكار والتهكم والسخرية، كالذي كان من أبي جهل ومشركي مكة، حينما سمعوا من الرسول ﷺ حديث هذا الإسراء.

إن كثيرا من الناس يرى في منامه عظائم وأعاجيب، ويرى حقائق وكائنات لم يسبق له علم بها، ولم يرها قط في حياته رأي العين ولكن حين يقص قصصها ويحدث عنها، وحين يعلم أنها إنما كانت رؤيا في المنام، لا يرى في ذلك ما يوجب الدهشة، ويدعو إلى الاستنكار والاستهزاء.

***

ومن هنا استفاض النقل عن الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين، أن الإسراء بالرسول ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، كان سيرا حقيقيا ماديا في اليقظة، بروحه وجسمه جميعا، ولم يرد عن الصحابة نقل يخالف ذلك، إلا ما روي برواية ضعيفة عن السيدة عائشة - رضي الله عنها أنها قالت في شأن هذا الإسراء: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ» وفي رواية أخرى ليست أقل ضعفا من هذه أنها قالت: «ما فُقد جسد رسول الله ﷺ» بالبناء للمجهول.

وقد أخذ من هاتين الروايتين على ضعفهما أن السيدة عائشة كانت تنكر أن الإسراء بالرسول كان في حالة اليقظة، وأنها كانت تذهب إلى أنه رؤيا منامية، وهو ما كان يذهب إليه معاوية بن أبي سفيان، على ما روي عنه.

لكن الصحيح المحفوظ في النقل عن السيدة عائشة أنها كانت تقول في مسألة الإسراء بما كان يقول به جمهور الصحابة، من أن هذا الإسراء كان يقظة بالروح والجسم معا.

وفي الحق أن العبارة التي رويت عن السيدة عائشة في الرواية الأولى تحمل

بنفسها الدليل على ضعف الرواية وعدم صحتها [٦].

وذلك أن هذه العبارة: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ» تفيد أن السيدة عائشة كانت زوجا للرسول ﷺ حينئذ، وأنها كانت معه في الليلة التي كان فيها الإسراء، وأنه ﷺ لم يبرح المكان الذي كانا فيه في تلك الليلة.

وهذا شيء لا يستقيم بحال، ولا يصح قبوله، فإنها - رضى الله عنها - لم تك زوجا للرسول حينئذ، ولم تكن حيث كان عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء، فكيف تحدث عن نفسها أنها لم تفقد جسده الشريف فى تلك الليلة؟

إن فى هذه العبارة خطأ واضحا، ولابد أن تكون محرفة عما ورد فى الرواية الأخرى الضعيفة أيضا من أنها قالت: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ» بالبناء للمجهول، وإذا كانت مقالتها هذه تحديثا ترويه عن شخص آخر يقول: إنه لم يفقد جسد رسول الله ﷺ ورواية كهذه يتحدث فيها عن مجهول لا يعرف شخصه ولا حاله، ولم تثبت ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام فى ليلة الإسراء، لا يمكن أن تعارض أو تقاوم ما رواه الثقات الأثبات، من الصحابة المعروفين بأشخاصهم، المسمين بأسمائهم، من أن الرسول ﷺ قد انتقل بشخصه، وسار كما أراد الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، على دابة تسمى البراق، وأنه صحبته ملائكة الله فى سيره، كما حدث بذلك ﷺ، حتى بلغوا المسجد فى بيت المقدس. هذا فضلا عن أن العلماء أهل الشأن فى روايات الأحاديث ونقدها، والتمييز بين صحيحها وضعيفها، قد أثبتوا ضعف ما روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - من العبارتين السابقتين، كما أثبتوا أن الصحيح الملحوظ عنها أنها لم تخالف سائر الصحابة فيما ذهبوا إليه فى موضوع الإسراء، من أنه كان بالروح والجسد جميعا.[٧]

إن العلم فى العصر الحديث قد توصل إلى إنجاز مخترعات كثيرة عجيبة مثل هذه الطائرة التى بلغت سرعتها ما يقرب من عشرة أمثال سرعة الصوت.

ولذلك نجد بعض الناس يؤمنون بالمعجزة

(٦) الأمر فى تضعيف هاتين الروايتين هو من ناحيتى السند والمتن، شأن ما صنعه العلماء بكثير من الأحاديث الضعيفة التى نظروا فيها وأثبتوا عدم صحتها فى الناحيتين جميعا.. فهم لم يقصروا فى نقد الأحاديث على ناحية السند وحدها كما يدعيه بعض المستشرقين المفترين مما جارهم فيه بغير وعى ولا علم بعض المؤلفين المعاصرين من المسلمين.

(٧) عبد الرحمن تاج: الإسراء والمعراج. عدية مجلة الأزهر (الشهر رجب ١٤٢٢ هـ) ص ٢٥ : ٢٩.

التى حدثت للرسول الكريم قياسا لما وصل إليه العلم فكان العلم هو مقياس التصديق عندهم وليس الإيمان ونقول لهؤلاء: إذا استقام لكم القياس فى مسألة الإسراء فكيف لكم القياس فى مسألة المعراج وهل تنتظرون العلم ومخترعاته حتى تؤمنوا؟!

إن من يقدس عقله ويسير وراء ما يمليه عليه العلم القاصر ويزن ما جاء به الرسول بميزان الفكر أو ميزان العلم، قلما يؤمن إيمانا صادقا صحيحاً.

ورحم الله الشيخ يوسف الدجوى حيث قال: «إن كل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه فليس مؤمناً بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن بعقله (لا بالرسول)»[٨].

وعن هذا الفريق الذى يتمسك بالشبه العقلية يقول فضيلة الشيخ الدجوى: «هذا الفريق يقول: إنه يستحيل العروج إلى السماء لأن بيننا وبينها كرة نارية كما يقرره الفلاسفة الأقدمون، ونقول له: إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان، والفلاسفة العصريون ينفون ذلك بتاتا، فهذا كاف فى إسقاط ذلك الزعم.

ويقول العصريون فى استحالة ذلك: إن الهواء، يرتفع عن الأرض مقدار بضعة آلاف من الأمتار، فإذا وصل الانسان إلى ذلك الحد لم يمكنه أن يعيش، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به، فلابد أن يموت، وقد وصلوا بطائراتهم إلى ما يقرب من ذلك فخرج الدم منهم بهيئة منكرة لفقد الضغط الجوى.

ونقول فى دفع هذه الشبهة: إن ذلك مسلم ولا نمارى فيه، ولكن هناك قوانين أخرى لا يعرفها الماديون، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون، ذلك أن الأرواح الإنسانية من عالم آخر لا تسرى عليه قوانين هذا العالم، فإذا غلبت على الإنسان روحانيته كان الحكم للروح لا للجسد، فكان السائد عليه هو النواميس الروحانية لا الجسمانية، ومتى ساد سلطان الروح سلطان البدن كان الحكم للروح لا للبدن، فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة فى لحظة قصيرة، ويمكنه أن يرى المغيبات على حد محدود، ويمكنه أن يخترق الجدران ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلحقه ألم، ومن هنا جاءت كرامات الأولياء، وإذا كنا نصدق بذلك فى الجن، وأرواح النوع الإنسانى أعظم لطافة وأقوى نفوذا وأشد قربا من الملأ الأعلى، فلماذا نستبعد ذلك فى خواص البشر الذين غلبت عليهم

(٨) الشيخ يوسف الدجوى: مجلة الأزهر (السنة ١٣٥٣هـ) ص٥٩٣.

الروحانية حتى صاروا كأنهم من الملأ الأعلى، وبذلك تنخرق لهم العادات ولا تحكم عليهم نواميس المادة؟

وما لنا نذكر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء وبعض العصريين لا يقتنعون بذلك، ولعلهم يعدونها من الخرافات والترهات. فلنسق لك ما هو أقرب الى إقناعهم وأليق باستعدادهم، فنقول:

قد ثبت ثبوتا لاشك فيه ان المنوم تنويما مغناطيسيا يسأل عما فى البلاد البعيدة فيجيب عنها بأجوبة صحيحة، فهل يمكن تعليل ذلك بالتعاليل المادية.

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معروفا لا ينكر، وهو أن بعض الهنود يوضع فى صندوق باختياره أو يدفن فى موضع من الأرض عشرين يوما وثلاثين يوما وأكثر من ذلك، ثم يخرج ويعمل له ما يرجعه إلى حسه ولا تفارقه الحياة مع أنه كان لايتنفس أصلا فى تلك المدة. فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله ﷺ وهو سيد الروحانيين وأفضل الخلق أجمعين.

وهذا تنزل يقتضيه الحال وقوانين الجدال، وإلافلست أدرى كيف يقيسون عالم الملكوت على عالم الملك، وأحكام الأرواح على أحكام الأشباح، مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادية، وكثيرا ما تخبطوا فيها فنقضوا ما أبرموا. وهو شأن هذا النوع الضعيف منذ خلق الله الكون إلى أن تقوم الساعة(٩).

وبعد فإن الحديث عن الإسراء كما أسلفنا إنما هو حديث عن الإيمان والمؤمنين، الإيمان بقدرة الله خالق كل شئ الذى تتدخل عنايته لينصر عباده فى الأوقات التى تتخلى عنهم الأسباب.

وحديث عن المؤمنين الذين وقر فى قلوبهم أن الله ناصرهم إن هم آمنو به وأنه يمدهم بالقوه الروحية التى هى فوق كل القوى المادية.

فهل آن لهذه الأمة أن تعى الموقف وقد خرج إلينا أمين عام جامعة الدول العربية ليعلن أننا قد خدعنا، وأن علينا أن نذهب بقضية فلسطين والقدس إلى مجلس الأمن.. فإن لم يكن حلاً فليس أمامنا إلا السلاح؟

وأى سلاح سيتكلم؟ هل المستورد من أوروبا أو من أمريكا؟

وهل آن لهذه الأمة أن تهتم بالجانب الروحى؟! حتى إذا تكلم السلاح وجد ناصراً له؟!

(٩) الشيخ يوسف الدجوى. المرجع السابق ص ٥٩٩: ٦٠٠.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

الإسراء والمعراج

حمل بريد المجلة لهذا الشهر العديد من الرسائل عن الإسراء والمعراج، لذا، وإتماما للفائدة نورد أولاً حديث الإسراء والمعراج، وقد رويت روايات مختلفة تتعلق بالإسراء والمعراج، نختار منها رواية البخارى.

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن النبى ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال:

«بينما أنا فى الحطيم، وربما قال فى الحجر -مضطجعا إذ أتانى آت، وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت (أى الراوى) للجارود وهو إلى جنبى ماذا يعنى به، قال من نقرة شعره إلى شعرته، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته. فاستخرج قلبى، ثم أتيت بطشت من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبى، ثم حشى، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود، وهو البراق يا أبا حمزة. قال أنس: نعم. يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بى جبريل، حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبريل. قال ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحبا به. فنعم المجئ جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا آدم، قال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، فقال: مرحبا بالابن الصالح، والنبى الصالح، ثم صعد بى إلى السماء الثانية، فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحبا به، فنعم المجئ جاء. ففتح، فلما خلصت، إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت عليهما، فردا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة. فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل أوقد



أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه . فرد، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل . قيل ومن معك؟ قال : محمد، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال : نعم. قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت إذا إدريس، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد، ثم قال : مرحبا ، بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك . قال : محمد ، قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل مرحبا به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا بهارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك؟ قال : محمد . قيل أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا موسى ، قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي ، لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن دخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت ، إذا إبراهيم . قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران ، فالنيل والفرات ، ثم رفع لي البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن . قال : هي الفطرة أنت عليها وأمتك.

ثم فرض عليَّ الصلوات ، خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، قال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى . فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى ، فقال بم أمرت ، فقلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قال : سألت ربي حتى استحييت ، ولكني أرضى وأسلم ، قال : فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي».

الإسراء والمعراج بالجسد أم بالروح

وكتب القارئ سعد عبدالله ـ قفط ـ قنا .. يقول: إنه قرأ في بعض الكتب أن الإسراء والمعراج لم يكن جسديًا ، وإنما أُسرِيَ به ﷺ روحيًا بمعنى أن روح الرسول ﷺ هي التي أُسْرِيَ بها من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عُرِجَ بها إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى ، وأن جسده ﷺ لم يغادر مكة مطلقًا . وفي نفس المعنى جاءت رسالة القارئ أحمد عيد من الإسكندرية - والقارئ علي عبدالوهاب من المنصورة.

ونجيب على قرائنا الأعزاء بما كتبه فضيلة الشيخ رشيد رضا في كتابه (محمد رسول الله ﷺ) ص ١١٤ إلى ١١٧ ، حيث قال رحمه الله:

كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، وبه جزم ابن حزم في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين . وكان بعد خروجه ﷺ إلى الطائف.

كان الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى السماوات ، وفرضت عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس ، وقد ذكر الإسراء في القرآن . قال ـ تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء:١)

واختلف في كيفية الإسراء ، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أُسْرِيَ بجسد رسول الله ﷺ [١]. والأقلون قالوا إنه ما أُسْرِيَ إلا بروحه . حكي عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال : ذلك رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله ﷺ وإنما أُسْرِيَ بروحه . حكي هذا القول أيضًا عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن معاوية ـ رضي الله عنه ـ وحديث عائشة ليس بالثابت لأنها لم تكن حينئذ زوجته . قال النسفي وكان الإسراء في اليقظة . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : والله ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن

---

(١) وفي الشفا للقاضي عياض: ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج



عُرِجَ بروحه. وعن معاوية مثله، وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم.

واتفق الأكثرون من طوائف المسلمين على أنه أُسرى بجسد رسول الله ﷺ وهو الصحيح. جاء فى زاد المعاد لابن قيِّم الجوزية:

«وقد نقل ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا: إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده، ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك. ولكن ينبغى أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء منامًا وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم. وعائشة ومعاوية لم يقولا كان منامًا وإنما قالا أُسرى بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الأمرين، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة فيرى كأنه عُرج به إلى السماء أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال. والذين قالوا: عُرج برسول الله ﷺ طائفتان: طائفة قالت عُرج بروحه وبدنه، وطائفة قالت عُرج بروحه ولم يفقد بدنه، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان منامًا وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسرى بها وعُرج بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر به بعد المفارقة، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماءً سماءً، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيأمرها بما يشاء ثم تنزل إلى الأرض، فالذى كان لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة. ومعلوم أن هذا الأمر فوق ما يراه النائم» إلخ.... فالإسراء ما كان منامًا قطعًا لأنه لو كان منامًا لما كذبه المشركون، فإن مِنَ الناس مَنْ يرى أنه صعد إلى السماء أو قطع مسافات شاسعة لا يتصورها العقل، وليس المنام معجزة خارقة للعادة، والروح فى المنام لا تفارق الجسم كذلك لو كان الإسراء منامًا لَصَرَّحَ به رسول الله ﷺ[٢].

والطبرى فى تفسيره ينكر أن الإسراء كان بالروح فقط وقد ردّ على مَن قال بذلك فقال:

«والصواب مِنَ القول فى ذلك عندنا أن يُقال: إنّ الله أَسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلّى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال أُسرى بروحه دون

(٢) ذهب فريق المعتزلة إلى القول بأنه أسرى به فى النوم لا فى اليقظة، خلافاً لأهل السنّة والجماعة.

جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته ولا حُجّة على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن مُنكرًا عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟. إلى أن قال: ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا أُسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رُوِيَت عن رسول الله ﷺ أن جبريل حمله على البراق لأن ذلك إذا كان منامًا على رأى صاحب هذا القول ولم تكن الروح عنده مما يركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى ﷺ لم يكن النبى ﷺ على قوله حُمل على البراق لا جسمه ولا شيء منه وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين».

ومما قاله الفخر الرازى فى تفسيره: قال أهل التحقيق: إن الذى يدل على أنه ـ تعالى ـ أُسرى بروح محمد وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر. أما القرآن فهذه الآية. وتقرير الدليل أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح فوجب أن يكون الإسراء حاصلاً لمجموع الجسد والروح إلخ... وأما الخبر فهو الحديث المروى فى الصحاح وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ثم منه إلى السماوات ا.هـ.

والمعراج به ﷺ إلى السماوات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾

وإلا فالله ـ تعالى ـ لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى إلى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم فى بيت المقدس ثم استقبلوه فى السماوات ورجع ﷺ من ليلته إلى مكة.

وقد أنكر المسيحيون إسراء رسول الله ﷺ ومعراجه وليس ذلك بمستغرب منهم، إنما الغريب أنهم يؤمنون بقيام المسيح وصعوده إلى السماء، ففى آخر إنجيل مرقص:

(ثم إن الرب بعدما كلمهم، ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله).

وجاء فى آخر إنجيل لوقا:

(وفيما هو «المسيح» يباركهم، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء).

انتهى ما كتبه فضيلة الشيخ رشيد رضا رحمه الله



أبو حامد الغزالى.. حجة الإسلام

ومن القارئ الأستاذ / فرج مجاهد عبدالوهاب ـ عضو اتحاد الكتاب ـ شربين ـ دقهلية كانت هذه الكلمة عن حجة الإسلام الإمام «أبو حامد الغزالى».

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالى المعروف بحجة الإسلام، بمدينة طوس، وهى واحدة من مدن خراسان المعروفة عام ٤٥٠هـ، مات والده وتركه طفلا ولكن بعد أن كان قد وضع ابنه على طريق حب العلم والفقه وأصول الدين، وسرعان ما ظهرت عبقرية الغزالى بعد رحلته الأولى إلى مدينة نيسابور واتصاله بالعالم الكبير الجوينى، ثم انتقل الغزالى إلى العراق بعد أن ملأ اسمه الآفاق، فتقلد مهمة التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد (وهى التى كان قد أسسها الوزير السلجوقى نظام الملك) وبعد أربعة أعوام غادر بغداد إلى الحجاز ثم سافر إلى القدس الشريف ثم زار مصر (الاسكندرية) ثم عاد إلى مدينة دمشق حيث أخذ يتعمق فى التصوف بالمسجد الأموى لمدة عشرة أعوام، ثم عاد إلى مدينة طوس حيث مات رحمه الله عام ٥٠٥هـ - ١١١١م ودفن بمقابر الطابران.

والإمام الغزالى بلا جدال واحد من أكبر العقول الإسلامية فى العالم الإسلامى قديمه وجديده على حد سواء.. حتى إن بعض كبار العلماء وصفوا كتبه بأنها أقيم ما كتب فى علوم الدين، وأنه لو ضاعت كتب العلماء كافة، وبقيت كتب الغزالى لكفت المسلمين.

والإمام الغزالى له منهج عقلى واضح كل الوضوح وضعه فى كتابه القيم «المنقذ من الضلال» فى تقرير الإيمان فى قلوب الناس، فقد قسم الحقائق إلى: حقائق تدركها الحواس، وهى أضعف من الحقائق التى يدركها العقل، وحقائق العقل ـ مع قوتها ـ أضعف من الحقائق التى يصل إليها القلب وهى أعلى مراتب اليقين. فالقلب يستطيع عن طريق التصوف والزهد تكرار التفكر فى صفات الله تعالى ومخلوقاته والابتعاد عن كل مغريات الدنيا، أن يتلقى نفحات «تجليات» من آيات الله فى داخله.. وهى أعلى مراتب الصلة بالله والتى لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل أو الحواس.

ولقد تعمق الغزالى فى دراسة الفلسفة بكل درجاتها وانتقد بعين بصيرة وعقل قوى الكثير من الفلاسفة لأنهم توقفوا عند الفلسفة العقلية التى تعد أقل منزلة من صفات القلب. واستمر يهاجم كل الفرق الإسلامية المتطرفة كالشيعة والمعتزلة والخوارج وسدد إليهم جميعا ضربات قاضية فى كتبه العديدة حتى دحروا.. وإليه يرجع الفضل فى إحياء مذهب أهل السنة لأنه يراه المذهب الوسطى الذى نادى به رسول الله ﷺ.

ومن أهم كتب الغزالى التى يصعب حصرها كتاب: (إحياء علوم الدين) و(المنقذ من الضلال) و(أيها الولد) و(ميزان العمل) و(الأربعين فى أصول الدين) و(سر العالمين).

كلمة أخيرة

متى نصر الله

لماذا يُمكّن الله للكافرين والملحدين ولا يُمكّن لنا ونحن نعبُد الله ولا نشرك به أحدا؟.

أسئلة كثيرة حملها البريد تدور حول هذه التساؤلات وأشباهها.

والإجابة هى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

فأهل القرون الأولى منذ عهد النبى ﷺ وصحابته الكرام، ومن سار على هديهم، لم يتوفر لهم أبداً العدد والعدة والعتاد المتفوق على العدو، والأمثلة كثيرة من بدر إلى عين جالوت.. دائماً كانت الهوة شاسعة.. دائماً كانت كفة العدو من الوجهة النظرية هى الأرجح. ولكن كانت صيحة الإيمان التى تخرج من القلب بكل الصدق والخشوع (الله أكبر) هى سلاح الردع الفعّال.. وبه استحقوا نصر الله.

فماذا قدمنا نحن لنستحق نصر الله؟.

نحن لم نصبر حتى على ابتلاء الله بالزلزال والجراد وأنفلونزا الطيور، رغم أن المولى كان رفيقاً بنا، ولو شاء لجعلها قاعاً صفصفاً.

عندما حل بالمسلمين طاعون (عمواس) فى الشام منذ نحو ألف وأربعمائة عام أراد الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يستخلص أبا عبيدة بن الجراح عامله على الشام.. أراد أن يستخلصه لأنه سمع رسول الله ﷺ يقول عنه «أنه أمين الأمة»، ولكن ابن الجراح أبى إلا أن يموت وسط رجاله ورعيته فى ولايته، ورفض أن يفر من قدر الله، وبهذا استحق أن يكون أمين الأمة.

وكعادتنا فى كل شهر نحتفل بمناسبة عزيزة علينا، حيث تحل علينا بعد أيام ذكرى الإسراء والمعراج، تلك المنحة الإلهية التى منحها الله نبيه الكريم لقاء صبره على الأذى، ولقاء إصراره على

تبليغ رسالة ربه رغم ما ناله هو وأصحابه من هوان وعذاب.. حتى وقف ﷺ يدعو إلى الله يلتمس منه العون: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المُستضعفين وأنت ربي، إلى مَن تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو مَلّكته أمري، إن لم يكُن بكَ غضبٌ عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت له الظُلمات، وصَلُح عليه أمر الدنيا، والآخرة، من أنْ تنزل بي غضبك أو تحل عليَّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

ومضى ﷺ إلى أن وصل إلى موضع يُقال له «قرن الثعالب» فرفع رأسه فإذا بسحابة تظلله، وإذا فيها جبريل ـ عليه السلام ـ فناداه فقال: «إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث لك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم» وإذا بمَلَك الجبال يقول: «يا محمد قد بعثني الله، إن الله قد سمع قول قومك، وأنا مَلَك الجبال قد بعثني إليك ربكَ لتأمرني ما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين».

ورفض رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أن ينهي مهمته في دعوة قومه وهدايتهم، فقال لمَلَك الجبال: «أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَن يَعبُد الله لا يشرك به شيئا».

عندها كان القرار الإلهي بتقديم كل الدعم للنبي الكريم لرفع معنوياته وإزالة آثار الأضرار التي أحدثها ظلم وعناد مشركي العرب وسفهائهم، فكان الإسراء والمعراج دعمًا وتمكينًا للنبي الكريم وردْعًا لأعدائه من مشركي العرب وسفهائهم.. فكانت الرحلة السماوية التي خلدها الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

(النجم من ١ : ١٨)

أجل لقد أوذي نبيّ الله محمد ﷺ وتحمل ما لا طاقة لبشر بتحمله من أذى، ونُكّل بأصحابه ومن آمن به تنكيلاً تشيب من هوله الولدان، ولكنه ما خضع وما استسلم، فكان قدوة ومثلاً لأتباعه من المسلمين ومعظمهم كانوا من المستضعفين، وقصص تعذيبهم والتنكيل بهم وقتلهم تملأ كتب السيرة والتاريخ.

وبهذا الابتلاء استحق جيل الرعيل



الأول جنة عرضها السماوات والأرض بشر بها رسول الله ﷺ كل مَن صبر على المحنة، مؤمنا بأن النصر آت ولا ريب، وبأن المولى ـ عز وجل ـ ناصر دينه، بل إنه عندما اشتد الأذى هرع نفر من المسلمين إلى رسول الله ﷺ يشكون له حالهم كما جاء في الحديث عن خبّاب بن الأرت قال: [قُلنا يا رسول الله: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟. فقال لهم: ليُهوّن لهم ما هم فيه من كرب وضيق: «إنَّ مَن كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه» ثم قال: «والله ليُتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون»] (أخرجه البخاري).

قوم تستعجلون؟!

هذا الكلام قاله رسول الله ﷺ لقوم فيهم: الصديق، والفاروق، وذو النورين، وعلي بن أبي طالب... وغيرهم من الصحابة البررة على ما كانوا عليه من ورع وتُقى وزهد في الدنيا، وحب للموت في سبيل الله، فهل من حقنا أن نقيس أنفسنا عليهم، ونسأل نفس السؤال الذي وجهه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لرسول الله ﷺ كما جاء في قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(البقرة: ٢١٤)

وعدَ الله ـ سبحانه ـ نبيه وصحبه بالنصر لقاء ما قدموه من تضحيات وفي مقدمتهم نبي الرحمة الذي صبر على الأذى صبراً لم يصبره أي من الأنبياء من ذوي العزم، وأنجزهم الله وعده.

ولكنهم مع ما هم عليه استبطأوا نصر الله ورسول الله ﷺ يعاتبهم لأنهم يستعجلون!.

أناس قدموا الغالي والنفيس حبّا ورغبة في نيل رضوان الله، واستبطأوا النصر لا سخطًا ولكن خوفًا من أن يكون قد بدر منهم تقصير.. إنهم يستعجلون النصر للإحساس برضوان الله عليهم لأنهم يعلمون أن النصر من عند الله يمنحه لمن يشاء من عباده المخلصين.

فماذا قدمنا نحن حتى نقول: متى نصر الله؟!.

أحمد تقي الدين

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

من الانفعال إلى الفعل

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عطية

عاش العالم الإسلامى فى الفترة السابقة - ولايزال يعيش حتى تاريخ كتابة هذه السطور - حالة من الغليان الشديد، شملت كل أمة، وكل بيت، وكل فرد، صغيراً كان أو كبيراً، واهتزت المنابر داخل المساجد، وهاج العلماء والكتاب، واستاء كل مسلم على وجه المعمورة بسبب ما طالعتنا به إحدى الصحف الدانماركية من رسوم «كاريكاتورية» لا تحمل إلا الدليل القاطع على انحطاط خلق ذلك «الفنان» الذى رسمها بريشته، وسوء تقدير من وقفوا وراءه يحمونه ويصفقون له، زاعمين أن ذلك داخل فى إطار «حرية التعبير»، ولقد كانت هذه الرسوم تهدف إلى النيل من الإسلام ورسوله الكريم - ﷺ - الذى قال الله عز وجل فى حقه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[الأنبياء ١٠٧]

ويقول - ﷺ - عن نفسه ذاكراً نعمة الله عليه: «إنما أنا رحمة مهداة»[1]

هذا النبى الكريم المبارك، الذى بدّل الله به خوف البشرية أمنا، ومهانتهم عزا وشرفا، وذلهم رفعة وكرامة، وضلالهم هداية ونورا، قال الله -عز وجل- فى حقه:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[المائدة ١٥، ١٦]

(١) تفسير ابن كثير ٥/٣٨١.



حرية التعبير؟!!

عاش العالم الإسلامى حالة من الغليان والثورة لن ينساها التاريخ، ولا نعتقد أنها ستكون الأخيرة، لأن الحملات الظالمة التى يشنها الغرب على الإسلام ونبى الإسلام ﷺ ذات جذور سوداء فى أعماق التاريخ؟ ولذا فهى لم تتوقف ولن تتوقف وما حدث اليوم إن هو إلا «حملة صليبية» بأسلوب جديد، وبطريقة مبتكرة، تحت ستار «حرية التعبير»، بغية صرف الناس عن هذا الدين، بعد أن رأوه يسرى فى بلادهم سريان الماء العذب الرقراق فى الأرض الجدباء، ليحيلها إلى جنات خضراء وارفة الظلال.

فطالما كان هناك إسلام، وطالما كان هناك مسلمون، هناك أيضا كفر، وهناك كافرون، فتلك طبيعة الدنيا التى نحياها: صراع دائم بين الحق والباطل قال الحق سبحانه:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

[البقرة ١٢٠]

وقال عز من قائل:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

[البقرة ٢١٧]

وبما أنهم لن يستطيعوا بمقتضى قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

[غافر ٥١]

فلن يهدأ ذلك الصراع أبدا، ولن يتوقف عند حد، تلك سنة الله فى خلقه:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

[فاطر ٤٣]

كل ما هنالك من متغيرات، إنما هو فى أسلوب المكيدة ووسائلها، لكن الهدف هو هو، لن يتغير، وهو صرف الناس عن هذا الدين، ولكن ذلك - والحمد لله - لن يزيد المسلمين إلا استمساكا بدينهم، ولن يوقف الزحف الإسلامى الكبير عن أن يكسب كل يوم وكل ساعة أرضا جديدة داخل حدودهم، وفى عقر دارهم، ليبرهن بما لاشك فيه على أنه هو الدين الحق الخالد:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

[آل عمران ١٩]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران ٨٥]

وما على المسلمين إلا أن يصبروا:

﴿ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[الأنفال ٤٦]

قوة الشعور الدينى

ولا أدل على أن الإيمان لايزال غضاً يانعا فى نفوس المسلمين، من هذه الثورة العارمة، التى شهد لها العدو قبل الصديق، والتى زلزلت الأرض من تحت أقدامهم، وطافت أرجاء المعمورة، حتى بكت النساء المسلمات فى خدورهن، ولقد شهدتها - والله - بعينى رأسى..!! ولكن العجيب فى هذا الأمر، الذى يجدر ذكره هنا، أن هذا البكاء كان مدفوعاً بعاملين اثنين، يبدوان للوهلة الأولى غاية فى التناقض، ولكن المتأمل يرى أنهما يرجعان إلى عامل قوى واحد سيطر وبقوة ليعلن عن نفسه فى ساحة الأزمة الشديدة. فما هما العاملان؟

لقد كان العامل الأول، الحزن الشديد، وخيبة الأمل، لما نراه من سخرية واستهزاء بهذا النبى الكريم، الذى فتح الله به أعينا عميا، وآذانا صماً، وقلوبا غلفا، وشهد العالم كله، وشهد التاريخ لفضله وعظمته. ومما زاد من هذا الحزن، أنه كان تحت سمع وبصر الدول التى تزعم لنفسها أنها أم الحضارات والأخلاق، وتحت حمايتها بزعم «حرية التعبير»..!! يا سبحان الله..!! أتلك حرية التعبير، أم حرية الخوض فى أعراض الأديان، وانتهاك حرمة المرسلين الكرام الذين اصطفاهم الله لهداية الناس، وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان بالله رب العالمين..؟!، ولكن، صبراً.. إنه الحقد الدفين..!!

﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

وإن غداً لناظره قريب..!!

أما العامل الثانى، فهو الفرح والسرور لما بدا فى الساحة الإسلامية من حب أتباع هذا الدين لله ولرسوله، هذا الحب الذى يغمر القلوب العامرة بالإيمان فى كافة أقطار الأرض، حتى قلوب أولئك المسلمين الذين يعيشون فى صورة جاليات إسلامية بعيداً عن رقعة العالم الإسلامى.

والذى يتأمل هذين العاملين يراهما راجعين لسبب واحد، هو قوة الشعور الدينى فى نفوس المسلمين فى كافة أقطار الأرض، والاستعداد التام للتضحية بكل مرتخص وغال فى سبيل الله وفى سبيل افتداء رسول الله ﷺ.

حق الرد مصون

والحق، أن هذا الانفعال الشديد، الذى عاشته الأمة الإسلامية فى بداية الصدمة، من الأمور الطبيعية، التى لا يلام عليها المسلمون، ولا تشكل أى رد فعل سلبى، فالمفاجأة ضخمة، والخطب جلل، والمصيبة شديدة لا تحتمل، ولا يقابل مثلها من جانب المسلمين كما لو كانت شيئا هينا لا يستحق الثورة والانفعال.

ولكن آن الأوان، بعد أن مرت الصدمة فى غلوائها، أن يثوب المسلمون إلى رشدهم، وأن يأخذوا زمام الرد بأيديهم وبخاصة الكتاب والمحللون، ليكيلوا الصاع صاعين، ويردوا اللطمة لطمتين زيادة فى التأديب، ووضعا للحق فى نصابه الصحيح، فحق الرد مصون، وإنها «الحرية التعبير» كما أقرها الأعداء أنفسهم، ولا يحق لأحد كائنا من كان، أن يلوم



المسلمين على هذا الرد، أو يتهمهم بالتعصب الدينى، ليوقفهم عند حد الانفعال السلبى، الذى لا يأخذ بيده زمام المبادأة، تحت زعم التسامح، والمحافظة على حق الجوار لإخواننا النصارى الشرقيين، فنحن - والله - أول من يتمسك بعلاقات التسامح والود مع إخواننا المسيحيين. ولكن هل معنى ذلك أن يسكت المسلمون عن الرد على هذه السخرية والاستهزاء بهذا الدين ورسوله الكريم؟ لا.. لا.. وألف لا.. يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الشورى ٤١، ٤٢)

فعلى أولئك الذين قاموا بهذا العمل الصبيانى غير المسئول، وعلى من وقفوا من ورائهم يدافعون عنهم بدعوى «حرية التعبير» تقع المسئولية.

لسنا مثلهم

غير أننا لن نقوم بمثل هذا العمل الوضيع، ونتعرض للسيد المسيح بكلمة واحدة تحط من شأنه، أو تنسب إليه ماينال من كرامته - عليه السلام - فهو عبدالله ورسوله الذى أرسله إلى بنى إسرائيل، وهو واحد من أولى العزم من الرسل، الذين امتدحهم الله عز وجل فى كتابه الكريم من خلال قوله تعالى مخاطبا نبيه محمدا - ﷺ -:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

(الأحقاف ٣٥)

وإيماننا به وبطهارته وطهارة أمه البتول وجميع الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - جزء من إيماننا بالله - عز وجل - الذى أرسلهم إلى البشرية لهدايتها وإخراجها من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهدى. قال الحق - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم فى حقهم جميعا:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة ٢٨٥)

وقال فى حق عيسى - عليه السلام -:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

(الصف: ٦)

وقال:

﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

(المائدة ٧٥)

سفهاء الغرب

وغير ذلك من الآيات البينات، مما لا يتسع المقام لذكره، وجميعها تقرر حقيقة أن المسيح - عليه السلام - واحد من رسل الله وأنبيائه الذين أرسلهم لعباده، فحاشانا أن نتفوه



بكلمة واحدة، أو تخط خطا واحدا يسىء إلى هذا الرسول الكريم، على غرار ما فعل السفهاء من نصارى الغرب فى حق نبى الإسلام، ورسول البشرية كلها محمد بن عبدالله - صلوات ربى وسلامه عليه وعلى جميع إخوانه الأنبياء - وحاشانا أن نتفوه بكلمة واحدة فى حق أمه البتول الطاهرة النقية التقية، التى كانت موضع اختيار الله لتكون طريقاً لخروج هذا النبى المبارك إلى الدنيا، ومعبرا كريما لظهور هذه المعجزة الباهرة بدون أب:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

[آل عمران ٤٢، ٤٣]

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

[آل عمران ٤٥]

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾

[التحريم ١٢]

هذا هو نبى الله عيسى، وهذه هى أمه البتول - عليهما السلام - من خلال بعض الآيات التى تحدثت عنهما، ولذا فهما يحتلان من عقيدتنا ونفوسنا نحن المسلمين مكانا لا يطاول، لذا فإننا لن نلجأ فى ردنا على هؤلاء الصبيان، ومن وقفوا وراءهم إلى مثل ما فعلوا.

ولكم رادتنا نفوسنا عن أن تتعرض لعقيدتهم ونعذبهم فى «الصميم» كما تعرضوا لعقيدتنا بالاستهزاء والسخرية من رسول الله - ﷺ ولكن ديننا يمنعنا من ذلك، ويحول بيننا وبين أن تؤذى جيراننا الذين يساكنوننا الديار، ولابد من أن نطيع الله فيهم، وإن هم عصوا الله فينا، فنحن أكرم منهم، والعقائد يحاسب عليها الله - عز وجل، يوم يُعرض الناس عليه فى ساحة العرض الأكبر.

أعظم شخصية إنسانية

ولكن، ألا يدرى هؤلاء الأفاقون الكذابون، الذين مردوا على الافتراء والاستهزاء بالديانات السماوية، أن حضارتهم هذه التى يتمتعون بمزاياها، وأن صناعاتهم، وتقدمهم العلمى، الذى بلغ بهم شأوا كبيرا من الرفاهية وارتفاع مستوى المعيشة لم يكن فى حسبان أسلافهم.. ألا يدرى هؤلاء أن هذا كله وغيره إنما هو من أيدى العرب والمسلمين أتباع هذا النبى الذى يسخرون منه برسوماتهم الفاجرة؟!

ألا يدرى هؤلاء الأفاقون الكذابون، الذين مردوا على الكفر، والافتراء، والسخرية بالرسل فى شخص سيدهم وإمامهم، أنهم برسوماتهم الفاجرة إنما يصطدمون هذه المرة بأعظم شخصية إنسانية عرفها التاريخ البشرى كله؟ ألا وهى «الشخصية المحمدية» التى أتاحت عظمتها نمو شخصيات تاريخية كبرى حولها، كانت كل شخصية منها «أمة» بأسرها.

إن النبوة المحمدية - كما يقول العقاد - صفة «إلهية» تولى صاحبها من القداسة ما يوحيه الإيمان، وتوجيه طاعة الإله، وهى بعد ذلك عظمة إنسانية راسخة القرار، رفيعة الذروة.

تلك عظمة «الذات المحمدية»: عظمة «الشخصية» التى استحقت من الله أن يجعل فيها رسالته كما جاء فى الكتاب المبين (٢) فى قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

[الأنعام ١٢٤]

وحينما امتدحه بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم ٤]

وقوله:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[آل عمران ١٥٩]

ثم نقول لأحبائنا العرب والمسلمين: شعوبا وحكومات. الذين يوالون دول الغرب، ويرتمون فى أحضانها، ويجعلون من بلادهم سوقا رائجة لبضائع من يقفون وراء هؤلاء الذين يسبون ديننا ويسخرون من رسول الله - ﷺ - بدعوى «حرية التعبير».. نقول لهم: ألا تغارون على هذا النبى الكريم، الذى جاءكم بأعظم دين سماوى عرفته الأرض؟ ألم تقرأوا قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾

[الممتحنة ١]

وقوله جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[المائدة ٥١]

(٢) اقرأ فصل «الذات المحمدية» من كتاب «ما يقال عن الإسلام» للأستاذ عباس محمود العقاد.

﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٥٧٤ لسنة ٢٠٠٥ المتضمن الأسئلة الآتية:

العقد صحيح

● السؤال الأول: ورد من السيد س.م.ع. يقول فيه: أنا سعودى الجنسية وأثناء وجودى بمصر تزوجت من فتاة مغربية بعقد عرفى مع وجود شهود وكانت بكراً، وبعد عدة سنوات استصدرت زوجتى حكماً من محكمة مصرية بإثبات العلاقة الزوجية بإقرارى، وتم توثيق الحكم من الجهات المختصة، مع العلم أن الزوجة قد باشرت العقد بنفسها لبعدها عن والدها، وقد أجاز الوالد هذا العقد بعد ذلك، والمجتمع حولى على علم به. وقد قمت من شهرين بالحصول على موافقة السلطات المختصة بالمملكة على زواجى من غير سعودية.

أرجو التفضل بإبداء حكم الشرع فى هذا الزواج، حيث إننى أثناء حديثى مع بعض الأصدقاء علمت أن عقد الزواج لابد أن يباشره الولى عن البكر ولا يحق لها أن تباشره هى عن نفسها.

الجواب:

■■ مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وأرضاه عدم جعل الولى ركناً من أركان العقد، فإذا تم العقد بين كفئين عاقلين خاليين من الموانع الشرعية بقبول وإيجاب صحّ العقد وترتب عليه آثاره، وهذا المذهب هو المعمول به فى الديار المصرية منذ زمن بعيد.

وعليه وفى واقعة السؤال: فالعقد المسئول عنه صحيح، وتترتب عليه آثاره الشرعية.

من غشنا فليس منا

● السؤال الثانى: ورد من السيد ع.م.م. من الزقازيق - شرقية، يقول:

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

تقدمت زوجة ابنى للحصول على عقد عمل بإحدى الدول العربية، وكان من شروط الحصول على هذا العقد أن يكون المتقدم حاصلاً على شهادة «الماجستير»، وهى لم تكن حاصلة على هذه الشهادة، فقامت عن طريق بعض الأشخاص بالتحايل واستخراج شهادة «ماجستير» مزورة وقدمتها إلى الجهة الطالبة، وبالفعل حصلت على العقد وسافرت إلى تلك الدولة، وهى تعمل بها منذ ثلاث سنوات.

فهل ما قامت به حلال؟. وما حكم المال الذى حصلت عليه نظير عملها فى هذا البلد؟.

الجواب:

■■ أمر الله - تعالى - بالصدق والأمانة، ونهى عن الغش والتدليس والخيانة؛ فقال - تعالى -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)

وقال النبى: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» رواه مسلم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه.

كما نهى - سبحانه وتعالى - عن أكل أموال الناس بالباطل، وهذا متحقق فيمن حصل على مال من الغش والخداع؛ فقال - تعالى -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩)

وعن أبى بكرة - رضى الله عنه - قال: كنا عند رسول الله فقال: «ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً - الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور»، وكان رسول الله متكئاً فجلس، فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

وعليه فما فعلته السائلة من الحصول على شهادة الماجستير بطريق الغش والزور والتدليس حرام لا يجوز شرعاً، فإذا انضاف إلى ذلك انخراطها فى وظيفة تعتمد على هذه الشهادة



فإن ذلك يكون أشد حرمة، ولا حق لها فى هذه الوظيفة شرعا، وعليها أن تسعى لإنهاء عقدها؛ حتى يكون عملها مبنيا على الصدق والأمانة.

وأما عن المال الذى جمعته من جراء هذا العمل فلها أن تأخذه؛ لأنه أجر فى مقابل عمل قامت به، ولها أن تأخذ أجرها على الرغم من أنها لا تستحق هذه الوظيفة؛ لأن النهى هنا ليس منصبا على ذات العمل، والحرمة هنا ليست متعلقة بالأجر نفسه وإنما طرأت فى طريق الحصول على الوظيفة.

خطأ الطبيب

● السؤال الثالث: ورد من الدكتور ج.م.د والذى يتضمن سؤاله عدة أسئلة خاصة بالحالات التى تموت بالمستشفى نتيجة لبعض الأخطاء غير المقصودة سواء أكانت أخطاء مهنية أو أخطاء فنية فى الأجهزة المستخدمة فى علاج هذه الحالات، وهذه الحالات هى:

١- إحدى السيدات حضرت لعمل غسيل كلوى وقمنا بتركيب الجهاز المستخدم لسحب المياه من جسم المريضة وإخراجها، فحدث أن سحب كمية لترين فحدث لها هبوط حاد وتوفيت بالرغم من عمل الإسعافات الأولية من نقل دم ومحاليل وخلافه.

٢- حالات أخرى جاءت للغسيل وهى فى غيبوبة تامة والبولينا مرتفعة جدا فقمنا بعمل غسيل كلوى لها لعل ذلك يفيقها، ولكن حالتها ساءت وتوفيت بعد ذلك.

٣- حالات أخرى يتم توقيع الكشف عليها ويكون التشخيص خطأ فتموت المريضة ليس من العلاج ولكنها لم تأخذ العلاج المناسب لها.

٤- حالات أخرى تموت أثناء البنج مع العلم أنها أخذت نفس الكمية التى تأخذها الحالات الأخرى والتى تفيق من البنج.

٥- يحدث أن تموت بعض الحالات بعد العمليات لنزيف داخلى غير متوقع حدوثه أو وقته أو كميته ويموت المريض قبل تدارك خطورة الحالة.

ويقول السائل: نرجو معرفة ما إذا كانت وفاة هذه الحالات قتل خطأ أم لا؟.

الجواب:

■■ الطبيب مستأمن على حياة الناس وصحتهم؛ فخطؤه ليس كخطأ غيره، وهذا يوجب عليه ألا يقصر فيما يعرفه وألا يباشر ما لا يعرفه، بل ينتهى إلى ما يعلم.

والخطأ الذى يقع فيه الطبيب المختص على نوعين:

● خطأ يعتاد وقوعه من مثله ولا يكاد يسلم منه طبيب، ولا يكون ناجما عن جهل أو تقصير، فهذا فى حكم العفو ولا يضمنه الطبيب ولا يعد قتلا خطأ، ولو قيل بضمان مثل ذلك لأحجم الأطباء عن علاج المرضى، وفيه يقول الإمام الشافعى فى «الأم»: «والوجه الثانى: الذى يسقط فيه العقل؛ أن يأمر الرجل به الداء الطبيب أن يبط جرحه، أو الآكلة أن يقطع عضوا يخاف مشيها إليه، أو يفجر له عرقا، أو الحجام أن يحجمه، أو الكاوى أن يكويه، أو يأمر أبو الصبى أو سيد المملوك الحجام أن يختنه: فيموت

من شىء من هذا ـ ولم يتعد المأمور ما أمره به ـ فلا عقل ولا مأخوذية إن حسنت نيته إن شاء الله ـ تعالى ـ؛ وذلك أن الطبيب والحجام إنما فعلاه للصلاح بأمر المفعول به أو والد الصبى أو سيد المملوك الذى يجوز عليهما أمره فى كل نظر لهما كما يجوز عليهما أمر أنفسهما لو كانا بالغين»اهـ.

وقال ابن المنذر: «وأجمعوا على الطبيب إذ لم يتعد لم يضمن»اهـ، وكذلك ذكر الشافعية فى كتبهم عن ابن سريج أنه لو سرى من فعل الطبيب هلاك وهو من أهل الحذق فى صنعته لم يضمن إجماعا.

وقال الدسوقى فى حاشيته على الشرح الكبير: «فإذا ختن الخاتن صبيا أو سقى الطبيب مريضا دواء أو قطع له شيئا أو كواه فمات من ذلك فلا ضمان على واحد منهما لا فى ماله، ولا على عاقلته؛ لأنه مما فيه تغرير؛ فكان صاحبه هو الذى عرضه لما أصابه، وهذا إذا كان الخاتن أو الطبيب من أهل المعرفة»اهـ.

● وخطأ ينتج عن مباشرة الطبيب لما لا يعلم أو تقصيره فى علاج ما يعلم، وهذا هو الخطأ الذى يضمنه الطبيب؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ». رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وصححه الحاكم.

وهذا يرجع فى تحديده إلى أهل الخبرة والاختصاص الذين يقررون بناء على ذلك ضمان الطبيب للخطأ من عدمه.

مواريث

● السؤال الرابع: ورد من السيد و.ج.ع. يقول توفى عن:

١- أخ شقيق.

٢- أولاد إخوة أشقاء توفى آباؤهم فى حياة المتوفى.

٣- أولاد أخوات شقيقات توفيت أمهاتهم فى حياة المتوفى.

٤- أولاد عم شقيق.

٥- أولاد عمة شقيقة.

٦- بنات خال شقيق.

فمن يرث؟.

الجواب:

■■ بوفاة المسئول عن ميراثه عن المذكورين فقط تكون التركة كاملة للأخ الشقيق؛ لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب منه، ولا شىء لأبناء الإخوة الأشقاء؛ وذلك لحجبهم بالأخ الشقيق الأقرب درجة منهم، ولا شىء لأبناء العم الشقيق؛ لحجبهم بالأخ الشقيق الأقرب منهم حجة، ولا شىء لبنات الإخوة الأشقاء، ولا لأولاد الأخوات الشقيقات ذكورا وإناثا، ولا لبنات العم الشقيق، ولا لأولاد العمة الشقيقة ذكورا وإناثا، ولا لبنات الخال الشقيق؛ لكونهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.. هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وإذا لم يكن للمتوفى وارث آخر غير من ذُكر.

والله سبحانه وتعالى أعلم



عبدالله بن رواحة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

"ذلكم هو ثالث قواد مؤته العظام أسلم قديما وحضر بيعة العقبة وقد اختاره رسول الله ﷺ نقيبا على قومه وكان ذلك بإشارة من سيدنا جبريل عليه السلام روى البيهقى عن الإمام مالك رضى الله عنه قال حدثنى شيخ من الأنصار أن جبريل كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيبا ليلة العقبة. قال مالك وكنت قبل أن أسمع هذا الحديث أعجب كيف جاء هذا؟ رجلان من قبيله ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث أن جبريل هو الذى ولاهم وأنه أشار إلى النبى ﷺ. وروى أبونعيم عن ابن عمر قال: (لما أخذ رسول الله ﷺ النقباء قال: لا يجد امرؤ فى نفسه شيئا إنما أخذ من أشار إليه جبريل)(١)."

وكان - رضى الله عنه - شاعرا دافع عن الإسلام مع شاعرين آخرين هما حسان بن ثابت وكعب بن مالك فهو فارس شاعر شجاع قوى الإيمان ولولا شجاعته ما اختاره النبى ﷺ ضمن قواد مؤته. ولولا إيمانه ما قبل هذه المهمة وهو يعلم أنه سوف يستشهد. لكن شجاعته وقوة إيمانه جعلاه يقبل المهمة عن قناعة ورضا يروى ابن إسحاق فيما يرويه عنه ابن كثير قال (فلما حضر خروجهم - يعنى حان وقت خروج القواد الثلاثة - ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبدالله بن رواحة مع من ودع بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة؟ - ظنا منهم أنه بكى جزعا - فقال والله ما بى من حب للدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار - هى قوله تعالى:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (مريم: ٧١)

فلست أدرى كيف يكون الصدر؟ - يعنى أن الآية ذكرت أن الناس سوف يردون جميعا على النار وابن رواحة يتساءل فى إشفاق كيف يكون الرجوع فهو يخاف من ذلك؟ - ليت شعرى من يأمن إن كان ابن رواحة يخاف؟ فلما عرف الناس أن بكاءه خشية من عذاب الله وليس جزعا ولا صبابة ولا حب دنيا لما عرفوا ذلك - قالوا صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين.

(١) سبل الهدى والرشاد جـ٣ بيعة العقبة الثانية



ولا يمكن لهذا الموقف بما فيه من شجن وظن وجسارة شاعر يطلب الشهادة لابد لهذا الموقف أن يتمخض عن شعر يرد فيه الشاعر الفارس عما يتوهمه بعضهم فى بكائه، ورغم أن الشهيد أفصح عن سبب بكائه فإن أنه معنى عميق وفهم لا يصل إليه إلا الذين يخافون الله تعالى ولا يأمنون مكره، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون، حقا كيف الصدر بعد الورود؟ كيف الرجوع بعد التوجه إلى النار؟ نسأل الله السلامة والعافية، لا ليس حبا للدنيا ولا خوفا من الموت إنما هو الخوف من الجليل والتأمل فى آيات التنزيل.

فأنشد يقول فى شعر معبر صادق يرد على الذين لم يفهموا بكاءه وفسروه على معنى لا يحبه ولا يرضاه ولم يقصده قال:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة.. بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثى
أرشده الله من غاز وقد رشدا

وعبدالله بن رواحة مثل صاحبيه كان يعرف قبل خروجه مع الجيش أنه سوف يستشهد فى هذه المعركة، مع ذلك يقدم ولا يتردد ويقول شعرا كله بسالة وفداء وترحيب بالشهادة وفرح بالموت فى سبيل الله.

يروى زيد بن أرقم يقول: «كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره» ومن هذا تعرف أن ابن رواحة إلى جانب فروسيته وشجاعته وشاعريته كان ذا قلب رحيم يعطف على المساكين واليتامى فها هو ابن أرقم يعيش معه فى كنفه - يقول ابن أرقم «وخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحل. فوالله إنه ليسير ليلتئذ سمعته وهو ينشد أبياته ويقول:

إذا أدنيتنى وحملت رحلى
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى
بأرض الشام مستنهى الثواء
وردك كل ذى نسب قريب
إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل
ولا نخل أسافلها رواء

قال زيد بن أرقم فلما سمعته يقول ذلك بكيت فخفقنى بالدرة، وقال: «ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل!!» فعبدالله بن رواحة كان يعرف من تعيين النبى ﷺ للقواد الثلاثة أنهم شهداء، ومع هذا كان حريصا على الشهادة كما كان حريصا دائما على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فى كل أمر حتى إنه أقبل ذات يوم إلى رسول الله ﷺ فوجده يخطب فسمعه يقول: اجلسوا، فما كان منه إلا أن جلس مكانه - مع أن الخطاب لم يكن موجها إليه فليس هو المقصود بالكلام لأنه لم يكن حاضرا من أول الكلام لكنه لشدة حرصه على الخير وعلى امتثال أمر الله وأمر رسول الله صلى



عليه وسلم لم يسعه إلا أن يجلس لما سمع كلمة: «اجلسوا»

يروى عبدالرحمن بن أبى ليلة أن عبدالله ابن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فى المسجد فسمعه يقول اجلسوا فجلس مكانه - خارج المسجد - حتى فرغ الناس فبلغ النبى ﷺ ذلك فقال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله وعلى طواعية رسوله ﷺ».

وكما كان حريصا على طاعة الله وطاعة رسوله دفعه ذلك الحرص على الإيمان وعلى زيادة الإيمان، يروى عن أنس بن مالك إنه قال: كان عبدالله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحابه يقول له: تعال نؤمن بربنا ساعة. قال ذلك لرجل ذات يوم فغضب الرجل وذهب مغاضبا إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبى ﷺ: «رحم الله بن رواحة. إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة». وفى رواية أخرى عن شيخ من أهل المدينة. أن عبدالله بن رواحة قال لصاحبه: تعالى نؤمن ساعة قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: بلى لكننا نذكر الله فنزداد إيمانا وهذا هو مذهب أهل السنة الأشاعرة الذين قالوا إن الإيمان يزيد وينقص وهذا الرأى هو الذى يوافق الطبيعة فإن الممارسات الإيمانية تزيد اليقين بلا شك وبعمل الطاعات يربو الإيمان فى القلوب ويزداد ولذلك طالبنا الشارع الحكيم بتكثير الطاعات وأعمال البر. كما أن التقصير فى الطاعات وارتكاب المعاصى يقسى القلب. فذكر الله مع الجماعة وحضور مجالس الذكر مما يزيد الإيمان مصداقا لقول ابن رواحة: (نذكر الله فنزداد إيمانا) وشاهد ذلك كله قوله تعالى فى صفات المؤمنين:

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(الأنفال: ٢)

ويؤيد ذلك آيات أخرى من الكتاب العزيز تؤكد أن الإيمان يزيد بالذكر والتفكر وعمل الطاعات وينقص بنقيض ذلك.

ويبدو أن ابن رواحة كان مقاتلا مشهورا وقائدا معروفا بحسن القيادة ومهارة القتال وأنه دائما يخرج بجيشه قائدا منتصرا، عرف النبى ﷺ فيه ذلك فكثيرا ما كان يرسله فى مهمات عدة كما إن تعيينه واحدا من النقباء يوم العقبة بترشيح من جبريل يدل على حسن القيادة وكمال التدبير فى السلم والحرب، ومع هذا كان حريصا أيضا على الطاعات ومجالس الذكر التى تزيده إيمانا، وكان حريصا على الصوم والصلاة، يروى أنه كان فى سفر مع رسول الله ﷺ فى يوم شديد الحر ولم يكن صائما إلا رسول الله ﷺ وابن رواحة، كما يروى أن رسول الله ﷺ بعث ابن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم جمعة فقدم أصحابه وقال أتخلف فأصلى مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم. قال: فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال: ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟ قال أردت أن أصلى معك الجمعة. فقال رسول الله ﷺ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت غدوتهم. فهذا يدل على شدة حرصه على الإكثار من عمل الطاعات بدليل أنه أراد أن يجمع بين خروجه للجهاد وبين الصلاة خلف رسول الله

ﷺ، ونحسب أن الموقف الذى يذكر لابن رواحة وينبغى للذين يكتبون عنه أن يضعوه فى مكانه المناسب فى سيرة الرجل وتاريخه.

وحرى بهذا الموقف أن يسمو بصاحبه ابن رواحة فيجعله فى قمة الرجال لأن الرجال تقيم بالمواقف التى يكون لها أثر فى مسيره التاريخ. من هذه المواقف التى نحسب أنها كانت ذات خطر بالغ فى تاريخ الرجل ومسيرة غزوة مؤتة، ما فعله ابن رواحة حيث إنه لما نزل المسلمون بلدة معان القريبة من مؤتة وبلغهم أن هرقل جمع لهم من الروم مائة ألف، ومن أشياعهم مائة ألف. فأقام المسلمون ينظرون فى أمرهم كيف يواجهون هذا العدد المهول وهم ثلاثة آلاف فقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر تمضى له؟ كان من الممكن لهذا التردد أن يثنى عزم المسلمين عن القتال وأن يكون سببا لتسرب الوهن إلى قلوبهم خصوصا وأنهم يقاتلون خارج حدود بلدهم على أطراف الجزيرة وأن مدد العدو بالعدة والعتاد أقرب من مددهم إن كان ثمة مدد، وأحسب أن مسار التاريخ كان يمكن أن يتغير لو لم يمض المسلمون لقتال العدو فى هذه الغزوة، وما ندرى كيف كان يمكن أن يتغير مساره؟ هنا يقف ابن رواحة موقف الرجال يصوب مسيرة التاريخ إلى المنهج القويم ويذكر الناس بأهم موازين النصر والقوة فى ميزان الحرب والسلام عند المسلمين، وقف ابن رواحة يقول: «والله إن التى تكرهون هى التى خرجتم تطلبون. الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به» إنه يقول ويعلن موازين القتال فى الإسلام وأن جيش المسلمين هو جيش هداية وتبليغ لا جيش طمع وجشع - ثم نادى فى الناس انطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة! بهذه الكلمات الواعية المستنيرة رد ابن رواحة إلى الناس صوابهم فقالوا صدق والله ابن رواحة ومضوا إلى القتال.

هذا موقف لا نقول إنه يحسب لابن رواحة فى مسيرة جيش لكنه يحسب له فى أهداف ومثل دعوة الإسلام ومن عجيب أمر هؤلاء الناس المسلمين الأوائل أنهم فى نبلهم ومثلهم وطاعتهم لله ورسوله كأنهم ملائكة. وفى حياتهم ومعاشهم بساطة وسهولة ويسر كأنهم بشر. فإلى جانب هذا الموقف العصيب نرى لابن رواحة موقف تمتزج فيه رجولة الرجال وفحولتهم بالدعابة التى لا يخلو منها إنسان كريم عفيف فهى تضاف إلى سجل مواهبه فى الخصال الحميدة كما تضاف إلى سجل كل رجل شجاع فإن النفس البشرية تألف الدعابة وتحن إليها حينا حتى تروح بها عن تبعات المسئولية وثقل المهمات. فلا ينقصها ذلك. ولا يعيب الرجل الكريم أن يجنح إليها كلما دعته ظروف الحياة إلى ذلك يروى أنه كانت لابن رواحة امرأة وكان يتقيها - أى أنه كانت فيها حدة وغيرة، كان ابن رواحة يعرفها منها لكنه كان يؤثر صيانة البيت وحماية الأسرة فهو يتجنبها بقدر ما يستطيع وبما يحفظ له توازنه فى بيته.

رحم الله ابن رواحة وألحقنا به فى جنات الخلد وصلى الله وسلم على رسول الله الذى أدب وعلم ابن رواحة وصحبه.



قصة العدد

عمار بن ياسر

للأستاذ/ كامل محمود حبيب

«صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»
«حديث شريف»

وقف بباب دار الأرقم رجل آدم طوال أصلع أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين.. وقف يردد بصره فيما حوله وإن الشيطان ليوسوس له يريد أن يثنيه عن عزمه، وإنما قلبه لينتفض مما استولى عليه من الرعب، وكيف لا يستليه الفزع من بعض عقله وهو فى هذا البلد وحيد، فما من عشيرة تحميه، وما من أهل يدفعون عنه الأذى؛ وقريش من ورائه فى الصولة والسلطان أشداء على صحابة محمد ورفاقه، يصبون عليهم فنونا من القسوة والعذاب فى غير رحمة ولا شفقة؟ واصطرع فى رأس الرجل عاملان: هنا النبى الكريم يشرق النور الإلهى من جبينه فيسطع متألقاً يجذب إليه جماعة ممن رضى الله عنهم، وهناك قريش لا تستطيع أن تنزل عن كبريائها فى هوان وذلة وهم سادة القوم وأمراؤهم فكيف يلقون السلم فى ضعة؟ كلا، بل أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

أفينكص الرجل على عقبيه ليتردى فى الغواية مرة أخرى ويعكف على أصنام من حجارة لا حول لها ولا طول، أم يندفع فيلج باب دار الأرقم ليلقى محمداً.. ثم يتلظى - بعد حين - بنار يؤج سعيرها وتنبعث من قلوب عليها أقفالها.. قلوب قريش المغيظة المحنقة؟ وأطرق يفكر ما يطمئن إلى أمر.

وجذبه من أخيلته صوت أقدام تسير إليه فى وتاء وثبات.. فإذا صهيب بن سنان أمامه، فاندفع يحدثه:

● «ما تريد يا صهيب؟»

●● قال صهيب «بل ماذا تريد أنت يا عمّار»

● قال: «أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه»

●● قال صهيب: «وأنا أيضا، فوربى لقد دفعنى قلبى إليه وإن خواطرى لتضطرب فى خيالى خشية مما ألاقى بعد».

ثم انطلقا جنباً إلى جنب إلى حيث النبى فأسلما معاً، وما استطاعا أن يبرحا الدار حتى خيم الظلام على الأرض، فخرجا يتسللان.

وأشرق نور الإيمان فى قلب عمار بن ياسر فما استطاع أن يكتم نزوات الفرح والغبطة فى قلبه، فراح إلى أبيه «ياسر» وأمه «سمية» يحبّب إليهما الإسلام فأسلما، وانطلق هو يعلن عن إسلامه فى جرأة لا يرهب القوة الثائرة، ولا يخاف العذاب الأليم.

وافتنّ آل حذيفة فى تعذيب آل ياسر - وما آل ياسر سوى عمّار وأمه وأبيه - لا يتورّعون من شر.. لقد مات ياسر فى العذاب، وماتت سمية إثر طعنة من يد أبى جهل؛ وعمار يشهد فما وهن وما استكان، فأغلظوا عليه وفى قلوبهم مراجل من الغيظ يُحمى عليها بنار من الصلف كلما خبت زادها الشيطان سعيراً.

وفى ذات مرة أخذوا يغطونه فى الماء المرة بعد المرة فما تركوه حتى نزل عند رأيهم وقد بلغ به الجهد مبلغه، وهم يقولون له: «اللات والعزى إلهك من دون الله» فيقول هو: «نعم» ويقولون له: «هذا الجعل إلهك» فيقول: «نعم» وحين انفلت من بين أيديهم استشعر وبال أمره فراح يكفر عن خطيئته بعبرات الأسى والندم، ويستغفر الله أن زلّ لسانه، وفى قلبه حسرات وحسرات، ولقيه رسول الله ﷺ وهو فى أحزانه ما يستطيع أن يكفكف بعض عبراته فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول:

● «ما وراءك؟»

●● قال عمّار: «شر يا رسول الله، والله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير»

● فقال: «وكيف تجد قلبك؟»

●● قال: «مطمئن بالإيمان»

● قال: «فإن عادوا فعد» فانطلق عمار وقد مسحت كلمات النبى ﷺ على أحزانه.

وانطلق الفوج الأول من المسلمين إلى الحبشة فرارا من أذى قريش وخوفا من الهوان والفتنة، وعلى أثره الفوج الثانى وفى أكبادهم حرق أن نأوا عن وطنهم وأولادهم وعشيرتهم، وعمار صابر على أذى الكفار يتحمله فى جلد وصمت على

حين لا يستطيع أن يصبر عن مشرق النور والرحمة من وجه النبي ﷺ، وما يزيده العذاب إلا إيمانا بمحمد ﷺ ودين محمد.

وهاجر عمار - فيمن هاجر - مع النبي ﷺ إلى المدينة فهبطها ضحى، فما تلبث حتى أخذ يشيد للرسول مسجدا يقيم فيه الصلاة في غير حذر ولا رقبة، وفي نفسه اللذة والطرب وهو ينشد: «نحن المسلمون نبتنى المساجدا» ورسول الله يردد: «المساجدا» واندفع القوم يشد بعضهم أزر بعض يحمل كل واحد منهم لبنة لبنة غير عمار فهو يحمل لبنتين لبنتين، وراع القوم أن يجهد عمار نفسه فتنقل الحديث في همس: «إن عمارا يريد أن يقتل نفسه فهو يحملها فوق طاقتها!» وسمع النبي ﷺ الحديث فراح ينفض التراب عن رأس عمار وهو يقول: «ويحك ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية!».

ولصق هو بالنبي ما ينأى عنه في سلم ولا حرب لأن قلبه وإيمانه لا يطاوعانه على أن يفعل.

•••

ولحق النبي الكريم بالرفيق الأعلى فبكاه عمار - فيمن بكى - سحا وتسكابا وفي قلبه - من أثر الفراق - جرح ما يندمل إلا أن يلحق بسيده، ثم هو لم يستشعر الوهن ولا الضعف في دينه.

وارتد مسيلمة وقومه حين انفرجت الثغرة بموت الرسول فاندفع إليهم عمار - فيمن اندفع - ثائرا هائجا يهدر يريد أن يؤدب قوما على عصيانهم، وحين وجد في المسلمين هوادة وفتورا ارتقى هو شرفا عاليا ثم أخذ ينادى وقد قطعت أذنه: «إلىّ، إلىّ يا معشر المسلمين، أنا عمار بن ياسر، أمن الجنة تفرون؟ هلموا إلىّ!» ثم اندفع إلى الصفوف يفرق ما اجتمع منها كأنه فتى في الثلاثين، وهو قد شارف السبعين من سنى حياته.

•••

رحم الله عمر بن الخطاب فلقد كان بصيرا بأقدار الرجال حين أمّر عمار بن ياسر على الكوفة وكتب إلى أهلها: «... أما بعد، فإني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا وعبدالله بن مسعود وزيرا ومعلما، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما...».

لقد تأمر عمار على الكوفة فما أخذته كبرياء المنصب، ولا روعة الإمارة؛ ثم عزله عمر فما استولى عليه اليأس، وما حمل لأمير المؤمنين في قلبه حفيظة ولا حقدا، بل قال: «والله لقد ساءتنى الولاية بقدر ما ساءتنى العزل» واندفع على سننه لا يجد الخور ولا الفتور إلى نفسه سبيلاً.

يا عجباً! يا عجباً! يتغلغل الإيمان في القلب فيحجب الإنسان عن لذاذات الحياة ومباهجها لينقله إلى لذاذات ومباهج أخرى هي لذاذات قلبه ومباهج دينه؛ ثم

ينزع عنه أطماع الدنيا وشهواتها فإذا سواء لديه أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده، أو يكون فقيراً لا يستطيع السبيل إلى اللقمة يقيم بها صلبه إلا بشق الأنفس.

•••

ووقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين، فانشقت العصا، وغدا كل حزب يزعمون أن الحق إلى جانبهم، فانضم عمار إلى علىّ وأصحابه وهو يقول: «تالله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنّا على حق وأنهم على باطل» وراح يدفع عن الحق فما يهن ولا يستكين، وإنه في يوم صفين لعلى رأس رجال من أصحاب النبي كأنه علم، إن تيامن تبعوه وإن تياسر تبعوه، وهو يحرضهم بقوله: «أتفرون من الجنة والجنة تحت البارقة، اليوم ألقى الأحبة: محمدا وحزبه» وفي يده حربة ترعد وهو ينادى: «ألا من يبارز؟ ألا من يبارز؟».

ويحك ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية!

وشهد هذا اليوم مشهداً مروعاً من مشاهد الحرب تنفطر له الأكباد، هو قتل عمار بن ياسر! لقد رماه أبوالعادية المزني بالرمح على حين غفلة منه فهوى إلى الأرض.. ثم أكب عليه آخر فاحتز رأسه في غلظة وجفاء.. وانطلقا يختصمان لدى معاوية في رأس عمار وكل واحد منهما يقول: «أنا قتلته» علّهما يصيبان أجراً، وعند معاوية عمرو بن العاص وابنه عبدالله ورجال من خاصته والمقربين إليه، فقال عبدالله: «ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية» وقال عمرو بن العاص: «والله إنهما ما يختصمان إلا في النار، ووالله لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة» فأربدّ وجه معاوية وهو ما يستطيع أن يدفع عن نفسه بعض ما أصابها، وفي قرارة نفسه أن جيشاً من أقوياء المسلمين وأشدائهم ما يقدر على أن ينال منه بعض ما يناله حديث عمرو بن العاص وابنه إن هو شاع بين جنوده.

وهناك في العراء وقف علىّ بن أبي طالب - عليه السلام - بإزاء جثمان عمار بن ياسر يقول وفي قلبه الأسى والحزن على أن فقد صاحب رسول الله وحبيبه: «إن امرءا من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر، وتدخل به عليه المصيبة الموجعة لغير رشيد، رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قُتل، ورحم الله عماراً يوم يبعث؛ لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً ولا خمسة إلا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين، فهنيئاً لعمار بالجنة...».

وانطوت صفحة بيضاء ناصعة من صفحات الإسلام وانقض ركن من أركان الإيمان الثابت.. فرحم الله عماراً.

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ الكبير الدكتور محمد إبراهيم الفيومى أحد أعلام الأزهر الشريف والمحرر اللامع للأبحاث العلمية الرصينة بمجلة الأزهر. وقد كتب الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى كلمة تحليلية عن حياته المثمرة حين تعرض للحديث عن كتابه «أيامى» الذى يتضمن خلاصة تجاربه. ويهمنا أن ننشر كلمة الدكتور محمد رجب البيومى ليعرف القارئ مناحى طيبة من حياة الفقيد الكبير رحمه الله وأجزل له الثواب.

عرض وتحليل/
د. / محمد رجب البيومى

لم يكن اختيار الدكتور محمد إبراهيم الفيومى موضوع «القلق الإنسانى» مجالا لدراسته الفلسفية فى رسالة الدكتوراة حدثاً طارئاً على نفسه، حين أخذ يفكر فى موضوعات شتى حتى اهتدى إلى (القلق) إذ تأكد لى بعد قراءة كتابه «أيامى» أن هذا القلق قد صحبه منذ بدأ يعى ما حوله من مظاهر الوجود، طفلاً قصبياً قشاياً، إذ كان لا يفتأ يفكر فيما يُشاهد، مُحاولاً أن يجد له سبباً يطمئن إليه، فإذا لم يجد التعليل المقبول بعد السؤال الملح، والنظر المتطاول، تقاذفته الحيرة الفكرية: فأرق أرق الباحث عن جوهر ثمين ضاع منه، لقد تأكد لى ذلك وأنا أقرأ الفصول الأولى من أيامه، فعجبتُ لهذا الفيلسوف الصغير حين اندفع بحسه قبل أن يندفع بعقله إلى بيان التأمل المتصل، تأكد لى ذلك قبل أن أصل إلى باب (حياة قلقة) الذى قدم الدليل على ما أحسستُه، ثم تولى بعد ذلك حديثَه التأمل الراضى قليلا، والناقم كثيراً على ما حوله ومن حوله من الأشياء والأناسى، وهى نقمةُ الراحم الشفيق، لا نقمةُ الجبّار الغليظ، فنقمةُ الراحم نتيجة لإحساس دافق بالحق والخير والجمال، وأسف على ضياع المُثل الرقيقة التى يجب أن تسود، مع إشفاق على هؤلاء الذين يتخبطون فى الدياجير، دون أن يجدوا شمعة تضيء، أما نقمةُ الجبار الغليظ فنقمةُ المتكبر المترفع عمن حوله، مع ازدراء لمظاهر الضعف الإنسانى، وكأنها ليست نتائج لمقدمات أليمة لا مفر منها، وهنا تكونُ النقمةُ ضرباً من الشذوذ الخلقى، يجبُ أن ينأى عنه من يتخذون المعرفة باباً لاستكناه الدوافع، وفتح المغاليق، وقد دفع هذا القلق الثائر طالب القسم الابتدائى بالأزهر إلى قراءة كُتب الفلسفة قبل أن يدرك الهدف الحقيقى لهذه المادة، دفعه لأن يقرأ كتاب الفلسفة الإغريقية للدكتور محمد غلاب، وأن يُطالع آثار العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى فى آفاقه العالية، وكان الموقف صعباً عليه إذ تكتنفهُ غموض مبهم لم يكد يفهم عنه شيئا فى هذا السن الباكرة، ومع ذلك فقد كان يُصغى إلي هاتف ملح يدفعه إلي القراءة من جديد.. ويُغريه باكتشاف الألغاز، كمن يقفُ أمام صندوق حديدى لا يعلم شيئا عما بداخله، وليس له إلا أن يُحاول فتحه بأظفاره الرقيقة وحدها، فإذا عجز لم يترك الصندوق لشأنه، ولكنه يحتضنه مترقباً ساعة آتية فيما بعد، وقد لطف الله به فكان الصندوق الحديدى هذا موضع تخصصه فى مُقبل أيامه، فكتب وحاضر وألف فى الفلسفة حين ألقت إليه بالمقاليد، ولم يهدأ القلق فى نفسه، لأن الفلسفة لا تُفضى إلى الجزم الأكيد، بل تدفعُ بالحيرة مرة ثانية أمام الأدلة المتكافئة، وهى حيرة محببة، لأنها ليست تخبطاً، بل هى عرض متشعب لتيارات متقابلة، والعقل يرتاح لسبحه المتصل فى بحار يعرف أغوارها، ويشعرُ بارتياح حين يعلُو به الموج ويهبط، وكأنه يلهو بأرجوحة تميل به، وإذا جزم نفر بمقررات الفلسفة، فلهم أن يهنئوا بما انتهوا إليه من يقين، ولكنهم ليسوا أفضل ممن يتشككون.

على أن من عجائب هذا القلق، أنه وُلد فى نفس الناشيء، وهو تلميذ بالمدرسة الأولية قبل أن يلتحق بالأزهر، فقد جعل يقفُ بعقله الغض أمام كل ظاهرة يراها، ورفاقُه فى المكتب يرون هذه الظواهر دون أن تترك صدى ما فى نفوسهم، ولعلهم ضاقُوا به حين يرونه يتطلع صامتاً، وكأنه يخفى سراً يحرص على كتمانه، وقد يُشاركهم فى اللعب وصيد السمك، وقطف ثمار التوت والجميز، ولكنه يجعل من ذلك كله باباً لأسئلة لا حصر لها، فقد صمم فى إصرار على أن يفهم ما حوله، ثم هو فى الوقت نفسه يتجرأ على السؤال محسناً الظن بمن يكبرونه فى السن، فلا يجد غير الاستنكار، وكأنه يسأل عما لا يليق وقد كان صادقاً حين تحدث عن نفسه فى هذه الفترة فقال ص٤٣:

«قادنى التأمل إلى أن أُطيل النظر.. وجعلنى أطوف بالقرية لأقف مستوضحاً عن أشياء صغيرة، حتى عُرفت من الأصدقاء بأنى كثيرُ الأسئلة، وكان للتأمل أثر فى حياتى. إذ حَبب إلى التأنى وكرهنى فى التهور والتسرع حتى فى مشيتى وكلامى».

وإذا كانَ خطُّ التفكير قد بدا واضحاً

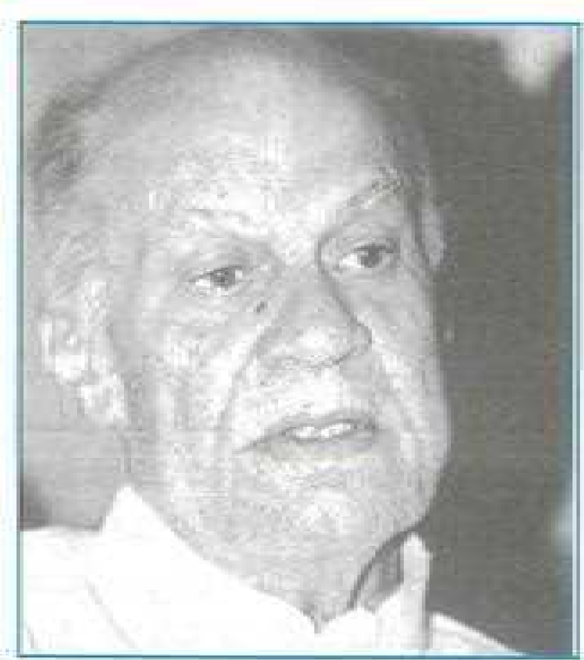
في اتجاه الناشيء المتطلع، فقد واكبه خط الوجدان، إذ بدت روحه الشاعرة تثب وثباً من خلال تأملاته النظرية فهو من هذه الناحية أفلاطوني لا أرسطي، وقد ينكر ذلك من يقرأ بحوث الفيومي في الفلسفة وعلم الكلام إذ يظنه يقعد مقاعد ذوي الفكر الخالص، والمنطق الصارم، ولكن من يتأمل شجونه الرقيقة يعرف أنه ذو روح خفاق، إنه يتحدث عن صياح الديكة في مشرق الفجر مجاوباً صوت المؤذن، فيشعرك بنشوة الطفل الغرير حين تهزه موسيقى الوجود فينفعل بها انفعالاً لا يخلص من تأثيره الخالب، وقد عبر عن بعض ذلك حين قال ص٣٩:

«تصادقت أذناي مع هذه الأصوات فكنت أصحو معها مبكراً، وأصلي مع جدتي وأجلس بجانبها أقرأ القرآن، ثم مع شروق الشمس أصعد إلى البيت لأرى الحمام وهو يقف علي الجدار، وقد زها شكله، يهدل مداعباً أليفته أو منافراً عنها، أو مواكلاً صغيرة، ثم يطير محلقاً في سموه ويحط في نفس المكان وكأنه يتربص، كان يعجبني نشاطه المبكر فكنت أسمع صوته بعد الفجر، بعد سماع صوت الديكة مؤذناً بيوم جديد، وكان هديله يلبسني ثوب العافية فأقوم وأصلي، وأصعد لأشاهده في شكل أسرة نظامية لها نظامها، كل زوج بعضه مع بعض، تعلمت منه الاستقلال في الشخصية حين رأيته يربي صغيره حتى يكبر ويعلمه الطيران ويقسو عليه حتي يجبره على الاستقلال فوقر في نفسي منذ حداثة سني أن أستقل بعد مرحلة معينة طوعاً أو كرهاً، فأتحمل مسئوليتي».

لقد نشأ الفيومي بالأزهر كما نشأت من قبله بسنوات، وعرض أحداثاً مواقف مرت بي تماماً، ولكني نسيتها حتى ذكرني بها، لأن ذكراته الواعية قد ساعدته على تمثل أكثر ما مر به، وهو في ما يذكر لا يقف موقف السارد المردد، بل يجعل لكل موقف تعليلاً، ولكل حادثة تفسيراً، وهو يذكرني بما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد أمين في كتابه الرائع «حياتي»، حيث جعل من كتابه صورة صادقة لبعض ملامح عصره اجتماعياً وثقافياً وسياسياً، مع فرق واضح هو أن الدكتور أحمد أمين قد لزم التقية، فلم يفصح عن كثير مما ظنه يسيء أقواماً لهم كلمتهم المسموعة، أما الفيومي فكان أصدق من كتب عن مرحلة من حياتنا السياسية بالغة الخطورة في أثرها الاجتماعي والخلقي، مرحلة تكتلت الجهود على الثناء عليها بالباطل لا بالحق، حتى غم الأمر على كثير من الأغرار، وجاء الفيومي فكشف الستار عن مخاز دنيئة، عرفها قوم فحاولوا إخفاءها، ورأوا من الكياسة أن يسيروا في ركب الهتاف الوصولي، واقتناص المنافع المرتقبة، وإن شوهوا وجه الحقيقة، وكان من العجب أن ترى الواحد من هؤلاء يصطنع الرزانة والتعقل، وهو يختلق من التبريرات ما يعتقد بطلانه الأكيد، ثم يدعي حياد النظرة، واستقلال الفكرة، وقد فضح الزمن هؤلاء حين مضى عهد وجاء عهد، فلبسوا لكل زمن لبوسه، وواصلوا النفاق من جديد، لقد كتب الفيومي صفحات موجعة عن حقيقة مظلمة غمرها الخزي والترقع والاستخفاف، وكان ملهماً كل الإلهام في اختيار ما ليس معه خلاف من فظائع الأحداث، حين رأى أن المتنفعين من ذوي الغرض الكسبي يلجئون إلى المشتبهات ليلبسوا الحق بالباطل، فترك هذه المشتبهات إلى ما لا خلاف عليه مما يفقأ عين المماري فلا يستطيع الإبصار.

لقد خدع الفتى عند قيام الثورة بما يسمى «منظمة الشباب وظن أحلامه الوردية ستتحقق في أسرة مثالية ذات أهداف راقية تكون بمثيلاتها صورة مجتمع خلقي نظيف، وتقدم بأمانيه شادياً مغرداً يكاد يقفز في طريقه من الفرحة، فرحة الظاميء المحرور وقد تخيل على البعد جنة ذات ظل وثمر وغدير، ووصل الشاب الحالم إلى مقر حلمه فماذا وجد؟ وجد ما تحدث عنه بمرارة حين قال ص١٠٥:

«دفعتنا تلك المشاعر إلى الانتظام في «منظمة الشباب» و«هيئة التحرير» فوجدنا مكاتب رسمية يجلس عليها أناس



د. محمد إبراهيم الفيومي

رسميون لا يمتون إلى الشباب بصلة، ولا يعرفون عن التنظيمات الشبابية شيئاً، وإذا أردت أن تحادثهم كان عليك ان تنتقل من مكتب إلى مكتب، وإذا استجابت لك السماء وكتبت لك سعادة لقاء ذلك المسئول، وجدت شخصا متغطرساً يجلس على كرسيه مترنحاً يسرح بعينيه مع دخان سيجارته الغليظ، ويسألك بصوت غليظ أيضاً: إيه الموضوع؟ فتظل تحكي وتحكي وهو يهز رأسه، ويزوم بصوت لا تتبين حروفه ثم يقول: «ها نشوف المسألة!! وينتقل فيقول: قول لي: لسه فيه إخوان؟ ما موقف الشبان من الثورة؟ احذروا من الوافدين والإخوان! ومن، .. ومن».

هذه السطور القليلة تنفجر عن معان

بغيضة تعصف بكل أمل مشرق يراود الشباب المتطلع، وهي تاريخ واقعي لو اكتفى بتسجيله ناقدٌ محايد لكان فيه كفاء وغناء! ومثله في «أيامي» كثير، حتى خُيل إليّ أن هذه الأيام شهادة على العصر، شهادة موجزة تحملُ الدلائل الفاجعة دون تزيد! وكانت الغشاوة تسدُل على العيون ستارها فلا يهتدي البصر الثاقب، في صرخات الإعلام، وهُتاف الشعارات، وتصفيق المأجورين ممن يسيرون في كل ركاب، فماذا كان يصنع أمثال الفيومي من الشباب الطامح؟ وقد أحاطت بهم النيران من الجهات الست فهم منها في الإضرام مشبوب! ثم أذن الله أن تخمد صرخات الشعارات حين وقعت الهزيمة النكراء، فرُفع الستار عن مجرور نتن الروائح لا يزكم الأنوف فحسب، بل يقتل الأرواح صعقاً ومحقاً، وقد تحدث الفيومي عن هذه الزلزلة المُروعة التي سُميت بالنكسة تدليساً كما سُميت الجرائم سلبيات! وهي فظائعُ تشيب لها الرؤوس، تحدث في سطور مُحرقة تجد تجاوبها اللاهب في الصدور، لأن الكاتب حين كان ينقل عن خاطره الحزين، كان في الوقت نفسه ينقل عن خواطر الشرفاء من مُعاصريه، لكنه برع وحلق حين تحدث عن المأساة الحقيقية فيما كتبه تحت عنوان (الصراع بين السلطة والشعب ص٢١٣)، إذ قال فيما قال:

«ولا أحسبني مبالغاً، إذا قلتُ إن الصراع الذي احتدم بين السلطة والشعب، ومحاولة إبرازه متآمراً وأنه غيرُ جدير بتعاون الحاكم معه، أصبح من المسلمات الأساسية حتى بات التحدث عنه من باب التواطؤ مع المتآمرين، فالقول بأن الشعب متآمر نقطة أساسية في حساب النظام الحاكم، وعليه قامت بينهما العلاقات المتوترة، وتشريع الأحكام العرفية، وقانونُ الطوارئ لكشف حركات تآمره، فتسلطت الأجهزة السياسية بألوان رهبوتها على الشعب.. وإذن فالقولُ بأن الشعب متآمر مقولة أساسية في بناء نظرية الثورة السياسية، وهكذا ابتدعوا من عند أنفسهم عدواً مختلقاً، وهو أمنُ الحاكم مقابلاً لأمن المواطن».

أرأيت كيف كانت صفحات الأيام سجلاً صادقاً يصلح أن يكون وثيقة أمينة في يد المؤرخ السياسي المحايد، كما صار سجلاً اجتماعياً وثقافياً في أيدي رجال الثقافة والاجتماع، فالقريةُ والمدينة معاً قد وجدنا تاريخهما الدقيق فيما سطره الفيومي عن قريته في مركز ميت غمر وعن عاصمته الشرقية (الزقازيق) وعن الحركة الثقافية التي وجدت خيوطها فيما تحدث به الفيومي عن قراءاته وكتاباته وندواته! وقد كُتب لي أن أعرف كثيراً ممن تحدث عنهم الأستاذ الفيومي من أمثال عبدالحليم محمود، ومحمد غلاب، وعباس محمود

العقاد وعلي أدهم وعبدالرحمن بيصار، فكانت انطباعاتي عن هؤلاء قريبة من انطباعاته، وكأننا صوتان يترددان في دوحة واحدة لطائرين أليفين، أما انفراده بالحديث عن باريس فقد أضاف إلى ذهني الجديد، وما زلت أذكر حديثه عن بائعة الكتب الباريسية التي سألها عن كتاب يبحث عن القلق، فسألته بدورها أيريد القلق الفلسفي أم القلق النفسي، وهو سؤال حصيف، صادف تقدير الدكتور، وإن كنتُ أرى أن القلق النفسي بمعناه الخاص جزء من القلق الفلسفي، ولكن البائعة الذكية أرادت القلق بمعناه العام، وهو ما وُضعت عنه الكتب الشعبية الرائجة مثل «دع القلق وابدأ الحياة»، كما ذكر الدكتور من أساتذته في معهد الزقازيق بعض من كانوا أساتذتي من قبل، فذكرني ناسياً، وأخذت أقول لنفسي كيف سمحت الأيام بمحو هؤلاء الأفاضل من ذكراتك؟ وفيهم من شارك في بنائك العقلي، وكانت الإجابة هي امتياز المؤلف بإدراكه الواعي، وحسابه الدقيق.

على أن الدكتور لشدة تأثره بما ألم به من المعارف الإنسانية في دنيا الفلسفة بنوع خاص وقد سمح لنفسه أن يتحدث في أيامه هذه كثيراً عن بعض المسائل الفلسفية مثل ما ذكره في صفحات ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩ عن الاتجاهات الفلسفية التي تلاطمت في الفكر المعاصر،



عبدالحليم محمود — العقاد

من تيارات هلينية، وماركسية، وكهنوتية، مع إسهاب في عرض آراء أمثال هوبز، واسبينوزا، ولوك، وبركلي، وهيوم وغيرهم، كل ذلك صحيح لا شك فيه، ولكنه يُعتبر زائداً بعض الشيء بالنسبة لتاريخ حياة مفكر أديب، كُتب أصلاً لإيضاح خُطوات الحياة نفسها، لا خُطوات الفكر الأكاديمي لصاحب هذه الحياة! وقد رأيتُ من حبذ اتجاه الأستاذ باعتبار أن الإنسان كل لا ينفصل، فالحياة هي الفكر في صميمها المتغلغل، ولكن السيرة الذاتية في رأيي قصة تُتلى لا درس يشرح.

لقد شعرت بعد قراءة هذا الكتاب أني في حاجة إلى قراءته مرة ثانية، لا لأحيط علما بمادته الأدبية فحسب، بل لأستعين من الذكريات الخاصة لي، ما وجدتُ صداها في هذه الصفحات، لذلك أجد المؤلف قد أسدى إليّ يداً كريمة حين سطر هذه الخواطر، فوجب أن أزجي له شكري الجزيل، وأن أسأل الله له رحمة واسعة، ومقعد صدق في جنات النعيم.

ما يقال عن الإسلام

تقرير عن فحص كتاب

- عنوانه: «آيات بينات من الكتب المقدسة».
- اختيار وجمع: محمد عبد السلام خليل النواوى
- صفحاته ١٣٢ صفحة - مع ملحق فى ٢٤ صفحة
- طبع فى الزقازيق يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١٤١٩هـ ٢ نوفمبر ١٩٩٨م.
- وعلى الغلاف أن هذا الكتاب «وقف لله تعالى».
- وعلى ظهر الغلاف إهداء من صاحب الكتاب لفضيلة الإمام الأكبر.. نصه: (إهداء إلى فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر، مع تحيات محمد النواوى. ٢١ من المحرم سنة ١٤٢٧هـ - الموافق ٢ من فبراير سنة ٢٠٠٧) - (وصحتها سنة ٢٠٠٦م).

فحص الكتاب وعلق عليه
الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

● هذا الكتاب نصوص مختارة، اختارها جامعها من التوراة والإنجيل والقرآن.. بهدف توحيد الإيمان بهذه الكتب معا.

وإذا كان اختيار الإنسان هو قطعة من عقله.. وهو موقف وانتماء وانحياز.. فإننا - وبصرف النظر عن النوايا.. التى يصعب الحكم عليها - نحكم - فقط - على ما بين أيدينا.. واضعين فى اعتبارنا أن صاحب هذا الكتاب مؤمن بهذه الكتب الثلاثة كما هى عليه الآن.

● والأمر الذى لا شك فيه هو أن هناك ثوابت فى التوراة والإنجيل لا تخالف ما جاء عنها فى القرآن الكريم - وخاصة فى منظومة القيم والأخلاق - والقرآن يعلن أن فى التوراة هدى ونور.. وأن فى الإنجيل هدى ونور.. لكنه - فى ذات الوقت - يتحدث عن التحريف الذى أصابهما.. وعن أن أهلهما قد نسوا حظا مما ذكروا به - أى من الذكر الذى نزل على أنبيائهم - وعن أنهم قد كتبوا بأيديهم ما ادعوا أنه من عند الله.. ومن هنا فإن منهاج التقريب لابد أن يعتمد رصد:

١- الأشباه والنظائر.

٢- والفروق.. وليس أحد الأمرين دون الآخر.

والسؤال هو: لماذا تجاهل صاحب هذا الكتاب ما جاء بالقرآن عن تحريف التوراة والإنجيل ؟!.. أم أنه لا يؤمن بهذا الجزء من القرآن، فيكون قد نقض مقصده وهو الإيمان بالكتب الثلاثة؟.. ويكون مقصده فقط التوسل بالقرآن والاستتار به لترويج عقائد النصارى واليهود، التى يرفضها القرآن الكريم؟!.

● إن تتبع ما جاء بهذا الكتاب يقطع بأن هذه هى «الثمرة المرة» من وراء هذا الكتاب.. وعلى سبيل المثال:

١- فى ص٤ يقول: «والقارىء لهذه الكتب الثلاثة - التوراة.. والإنجيل.. والقرآن - يرى فيها أشياء ثوابت لا خلاف عليها، أهمها: أن الله واحد» فهل هذا صحيح؟!.

هل الكتاب الذى يقول: إن الرب هو يسوع، وأنه خالق كل شىء، وبه كان كل شىء، وبدونه لم يكن شىء، وهو الألف والياء والأول والآخر.. يمكن أن يقال عنه - من مسلم - إنه كتاب توحيد، يقول: «إن الله واحد»؟!.

.. وأين ما جاء بالقرآن عن كفر القائلين بالتثليث؟!.

هل الإنجيل يقول - كالقرآن - عن الله

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى: ١١)

أم أنه يقول - مع العهد القديم -: إن الله قد خلق آدم على صورته - أى على صورة الله - «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، خلق الله الإنسان على شبه الله عمله» (تكوين ١: ٢٦، ٢٧، ٥: ١١).

٢- هل الإنجيل فيه - كما يدعى صاحب هذا الكتاب ص٥ - «شريعة» و«قصاص».. أم أننا - مرة ثانية - أمام تمييع للفروق قد يصل إلى حد التزييف؟!.

٣- إن جامع هذا الكتاب - فى ص٦ وغيرها - يصف التوراة والأناجيل - بوضعها الراهن - بـ «الكتب المقدسة».. على حين يعلن القرآن بأنها قد أصابها التحريف.. فهل يوصف المحرف بالمقدس؟!.. أم أننا أمام تسوية بين المحرف وبين المعصوم من التحريف؟!.

٤- يدعى صاحب هذا الكتاب دعوى خطيرة - سبق وادعاها غلاة المنصرين والمستشرقين - وهى أن التوراة لأنها أسبق، فهى الأصل لما جاء فى القرآن.. وأن القرآن هو تكرار لما جاء فى التوراة.. وأن زيادات القرآن على التوراة كانت فى الآيات العلمية.

يدعى صاحب هذا الكتاب هذه الدعوى.. مع أن القرآن عندما يقول إنه قد جاء مصدقا لما أنزل الله من كتاب، يقول كذلك إنه جاء مهيمنا على هذه الكتب.. أى مصححا لما أصابها من تحريف وتبديل وتأويل فاسد.. وأيضا مضيفا إليها ما لم تأت به من خصوصيات الرسالة الخاتمة والشريعة العالية.





لكن صاحب هذا الكتاب يحصر زيادات القرآن وجديده فى الآيات العلمية: الطب.. والفلك.. والهندسة.. والكيمياء.. والفيزياء.. والرياضيات.. والفضاء.. والأجنة - وما عدا هذه العلوم، فما فى القرآن هو - عند صاحب هذا الكتاب - تكرار لما فى التوراة!!.

فهل هذا كلام مسلم فاقه للقرآن الكريم؟!.

٥- ثم.. إن فارقا بين أن نقول - مع القرآن - إن فى التوراة هدى ونور.. وفى الإنجيل هدى ونور.. وبين أن نقول - مع صاحب هذا الكتاب - إنها - وبشكلها الحالى - كلها هدى ونور!!.. وإلا تناقض ذلك مع القرآن - الذى تستشهد به - عندما يتحدث عن التحريف الذى أصابها!.

إن صاحب هذا الكتاب يعلن - فى جرأة - أن هذه الكتب - التوراة والإنجيل - بشكلها الحالى - فيها «الهدى والنور» - بأداة التعريف.. والعهد!.

٦- فى ص٩، ١٠ يقول صاحب هذا الكتاب: إن التوراة نزلت على موسى فى مصر - أى أنها نزلت بالهيروغليفية.. لغة موسى وقومه -.. ثم يقول - ص١٠ - إنها مترجمة عن العبرانية.. وفى ذلك جهل بأن التوراة نزلت قبل نشأة العبرية - التى هى فى الأصل لهجة كنعانية - بأكثر من مائة عام!.

كما يقول عن الإنجيل: إنه مترجم عن الكلدانية واليونانية.

ولم يسأل نفسه عن لغة المسيح - وهى الآرامية - فأين الأصل الآرامى للإنجيل؟.. أو حتى الترجمة عن الآرامية؟.

بل لم يسأل نفسه: أين إنجيل عيسى؟.. لأن ما أمامنا هى أناجيل، كتبها أناس غير عيسى.. وبعد عصره بسنوات طوال.

وفى هذه الأسئلة والإجابات عليها المقدمات الضرورية للحديث عن «القداسة» لمثل هذه النصوص.

٧- وإذا كان صاحب هذا الكتاب يجهد نفسه - ويجهد الحقيقة معه - لينتزع اعتراف القرآن والمسلمين بقدسية الكتب المحرفة.. فهلا بذل هذا الجهد - وهو المسلم - كى يعترف الآخرون بالقرآن وحيا إلهيا.. وبمحمد - ﷺ - رسولا ونبيا.. وبالإسلام دينا سماويا؟؟.. أم أنه - مع إسلامه - محارب بسيوف الآخرين.. ولحسابهم، فقط لا غير؟!.

٨- وهل نصارى اليوم هم الذين ينطبق عليهم الوصف القرآنى - الذى ساقه صاحب هذا الكتاب - أى الذين إذا سمعوا ما أنزل على رسولنا - ﷺ -:

﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ (المائدة:٨٣)

كما يريد صاحب هذا الكتاب لقارئه أن يعتقد؟!.

٩- إن صاحب هذا الكتاب يتخذ - إزاء القرآن الكريم - منهجا انتقائيا معيبا، وذلك عندما يذكر ثناء القرآن على التوراة والإنجيل التى نزلت على موسى وعيسى - عليهما السلام - ويتجاهل آيات القرآن التى تحدثت عن تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل.. ويريد - بهذا المنهج الانتقائى المعيب - انتزاع اعتراف المسلمين

«بقداسة وقدسية» هذه الكتب المحرفة!.

كذلك يتجاهل آيات القرآن التى تحدثت عن ارتداد اليهود عن توحيد الشريعة الموسوية.. وارتداد النصارى إلى التثليث بدلا من التوحيد الذى بشر به عيسى - عليه السلام.

وصاحب هذا الكتاب ليس جاهلا بهذه الجوانب من القرآن.. فهو يحصى آيات القرآن التى تحدثت عن التوراة.. والتى تحدثت عن الإنجيل.. فلماذا أدار ظهره وعقله وغفلت إحصاءاته عما جاء فى القرآن من نقد لتلك الكتب ولعقائد أهلها.. وهو نقد يصل أحيانا إلى التكفير.. واللعن.. والوعيد..

إننا بإزاء موقف يزيد على «الجهل» و«الغفلة»!!.

١٠- فى الصفحات ١٥ - ١٩ يحاول صاحب هذا الكتاب أن يصور الكتب الثلاثة: التوراة.. والإنجيل.. والقرآن - فى صورة الكتب التى لا تختلف على التوحيد لله الواحد.. وفى هذا الكلام تزييف وتدليس.

صحيح أن اليهودية قد حافظت على التوحيد - لكن تراثها قد جعل الله الواحد إلها لبنى إسرائيل وحدهم.. وللشعوب الأخرى آلهتها.. فاقترب هذا التراث من الوثنية والتعدد فى المعبودات!.

أما النصرانية الحالية فإنها قد كفرت بالتوحيد.. وأشركت المسيح مع الله.. بل وأحلته - عمليا - محل الله!.. وإلا فماذا نقول - ويقول صاحب هذا الكتاب - عن قول (يوحنا ١: ٣) عن المسيح - الكلمة -: «وكان الكلمة الله».

وفى (رؤيا يوحنا ١: ١١) ينسبون إلى المسيح عبارة: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، القادر على كل شىء».

وفى (يوحنا ١: ٣): - عن المسيح - «كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان» فهل هذا هو التوحيد الذى جاء به القرآن الكريم؟!.

بل إن التدليس ليصل بصاحب هذا الكتاب إلى حيث يورد - ص٢٢ - فى الجدول الذى يقارن فيه آيات التوحيد القرآنية بما يزعم أنها مثيل لها فى الإنجيل.. فيذكر الآية

﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد: ٣)

ويقارن بها ما جاء فى (رؤيا يوحنا ٢٢: ١٣): «أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر».

مع أن «أنا» هنا هى ضمير الإشارة إلى المسيح - وليس إلى الله - وفى السياق: «أنا يسوع» - نفس الإصحاح - عدد ١٦.

فالألف والياء والبداية والنهاية والأول والآخر - فى رؤيا يوحنا - هو يسوع.. لكن صاحب هذا الكتاب يدلس فيجعل هذا الشرك مساويا للتوحيد الذى جاء فى القرآن الكريم!.

إن أخطر ما جاء فى هذا الكتاب هو هذا التدليس الذى جاء فى الحديث عن عقيدة التوحيد.. التى هى لب الخلاف الذى حاول استبعاده وتجاهله وتزييفه صاحب هذا الكتاب.

١١- ثم.. كيف يتفق ما جاء بالعهد القديم والعهد الجديد عن آدم وحواء والخطيئة مع ما جاء



في القرآن، حتى يقال إن موقف هذه الكتب الثلاثة من هذه القضية – التي رتبوا عليها الفداء والصلب – هو موقف واحد؟!.

إن صاحب هذا الكتاب – في الصفحات ٤٠، ٤٢ – يورد ما جاء بالعهد القديم عن أن المرأة – حواء – هي التي غوت.. وهي التي أغوت آدم.. فكانت سبب الخطيئة واللعنة.. ويورد ما جاء في رسالة بولس إلى تيموثاوس ٢: ١٣، ١٤: «وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت».

فكيف يتفق هذا مع ما جاء في القرآن من أن التكليف كان لهما معا.. والغواية والوسوسة الشيطانية كانت لهما معا.. والأكل من الشجرة كان منهما معا.. والتوبة كانت منهما معا.. ومن الإشارة إلى تحمل آدم المسئولية الأكبر، لأنه عصى وغوى.. ونسي ولم نجد له عزما..

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾

١٢- إن هذا الكتاب يروج – أساسا – للعهد القديم وللعهد الجديد.. حيث إن ما جاء به من آيات قرآنية لا يبلغ عشر معشار ما جاء به من نصوص العهدين القديم والجديد!.

• وإنه يروج لوعد الله – «المزعوم» – لنسل إسحاق بالأرض التي بين النيل والفرات.. بل لقد رسم على غلاف الكتاب خريطة هذه الأرض الموعودة!.. وفي ملحق الكتاب – ص١٣-١٥ – يجيب الكاتب عن سؤال حول ما هو مكتوب في الكنيست الإسرائيلي من أن أرض إسرائيل هي ما بين النيل والفرات؟.

يجيب الكاتب – المصري المسلم! – بأن يورد كلام العهد القديم الذي يصدق على ذلك والنصوص التي ساقها لتأكيد ذلك تبلغ نحواً من ثلاث صفحات!!!.

• ويروج لدعوى أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل.

• وأن عهد الله هو مع إسحاق وبنيه وليس مع إسماعيل – الذي يصفه العهد القديم بأنه «يكون إنسانا وحشيا»!.

• ويروج لدعوى أن إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم الذين يحبه إبراهيم!.

• ويروج لقول بولس: إن هاجر مستعبدة مع بنيها! فإسماعيل ولد من الجارية حسب الجسد.. بينما إسحق ولد من الحرة حسب الموعد (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤: ٢٣، ٢٥).

• ويروج لقول بولس – أيضا –: «إن ابن الجارية – "إسماعيل" – لا يرث مع ابن الحرة» (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤: ٣٠).

وفي ذلك إنكار لنبوة إسماعيل.. وحكم بالاستعباد على أبناء هاجر – ومنهم رسولنا – ﷺ –!.

• ويروج – كذلك – لخرافات العهد القديم، بما فيها مصارعة الله ليعقوب.. ودعوى نجاة بني إسرائيل – حتى الآن – من مرض «عرق النسا» بسبب هذه المصارعة!.

• ويروج لعداء الرب لعموم المصريين وضربه لهم جميعا – وليس فقط لفرعون وملئه.

ويلفت النظر أن هذا الكتاب قد أورد هذا الذي صنعه رب إسرائيل بالمصريين – أورده بالبنط

الكبير والأسود!!.. حتى لكأن وراء ذلك أحد حاخامات اليهود المعادين لمصر والمصريين –!!.

١٣- وفي الكتاب أن الذي طرح العصا فصارت ثعبانا أمام فرعون هو هارون وليس موسى (خروج ٧: ١٠).. فكأنما صاحب هذا الكتاب يصدق أسفار العهد القديم ويكذب القرآن الكريم!!.

•••

وأخيرا.. فإن هذا الكتاب يقدم خدمة كبرى للنصرانية واليهودية.. ولا علاقة له بخدمة الإسلام.. بل ولا حتى بالمقارنة بين الكتب الدينية – التوراة.. والإنجيل.. والقرآن – وما وضعه لآيات من القرآن بين الحين والحين إلا حيلة ساذجة لتقديم عقائد اليهود والنصارى – التي يرفضها القرآن – في إطار من التزييف والتدليس.

وليس في الكتاب ما يشهد للإسلام سوى أربع صفحات هي البشارات والنبوءات التي تفسر كإشارات إلى بعثة رسولنا – ﷺ – ص١٢١-١٢٦.

وعندما ما أراد صاحب الكتاب أن يشهد – في آخره – قال:

«أشهد
إن في التوراة لآيات
وإن في الإنجيل لآيات
لو أنكرها بشر.. لكفر»

ونسي – الكاتب المسلم – أن يشهد لآيات القرآن!!.

• أما ثقافة كاتب هذا الكتاب، فهي أبعد ما تكون عن مؤهلات الخوض في هذا الموضوع.. فهو يقول عن نفسه – على الغلاف الأخير – إنه حاصل على «إجازة» معهد الدراسات العليا للمعلمين – لغة إنجليزية –.

فهل هناك «شهادة» في عصرنا اسمها «إجازة»؟!.

كما يقول: إنه حاصل على «شهادة» من الجامعة الأمريكية بالقاهرة في:

أ- وصف اللغة الإنجليزية.

ب- تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

والملاحظ أنها «شهادة» بصيغة التنكير!.. وفي تدريس الإنجليزية كلغة أجنبية! والسؤال: هو عن علاقة «كورسات» الإنجليزي بهذا الموضوع الخطير الذي قدمنا عنه هذه الملاحظات؟!.

إن الله – سبحانه وتعالى – هو العالم بالنوايا.. ومن وراء أصحاب النوايا!!.

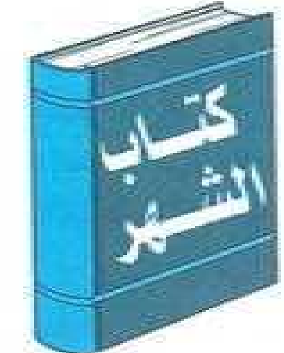
ونحن لا نملك إلا أن نوصي بـ:

١- منع هذا الكتاب من التداول.. ومن إعادة الطبع.

٢- ونشر هذا التقرير – كمقال – في مجلة «الأزهر».

وذلك ردا على هذه الافتراءات التي طالت عددا من ثوابت الاعتقاد الإسلامي.. وردعا لمن تسول لهم أنفسهم العبث في المناطق التي لا يجوز العبث فيها.

والله ولي التوفيق





الإرهاب الغربى

تأليف

روجيه جارودى

ترجمة

د. داليا الطوخى د. ناهد عبد الحميد
د. سامى مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٤



روجيه جارودى

الكلمة.. بلسم شاف يحفظ على الإنسان حياته، وروح تسرى فى الكيان الهامد فينطلق بالإنسان فى رحلة البناء التى تشيع فى الأرض الأمان والاستقرار.. والكلمة - فى الوقت ذاته - سلاح فتاك مدمر، يسلب الإنسان حياته، ويحرمه لذة الأمن، ويفقده طعم الاستقرار!.

وما كان هذا التباين الحاد بين ما تؤديه الكلمة ناشئا من ذات الكلمة، ولكن هذا البون الشاسع يصنعه الإنسان نفسه، الذى أنعم الله عليه بها، وجعلها من أسباب تميزه.

فالإنسان هو الذى يتحول بالكلمة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بفعل أطماعه المطلقة، وتطلعاته المتنامية بلا حدود.. تلك التى جعلت من هذا الإنسان كيانا جامحا، تدفعه ما تزينه له الأوهام؛ فلا أثر لتجربة سُبق إليها، ولا وجود لعقل وهبه الخالق له ليتبصر به، ويتعلم من غيره، فيتجنب المزالق قبل السقوط فى مهاويها، ولا قيمة لقلب زود به الإنسان ليمتاز بنبضه وخفقاته وشفافيته عن الحيوان فى الغاية.

فالإنسان الذى يوظف الكلمة فى الحوار الجاد، الباحث عن الحقيقة، المقدر أنه يحاور أخاه الإنسان.. فيجادله - حين يجادل -

بالتى هى أحسن، ويدعو إلى الخير متوسلا بالكلمة الحكيمة، والموعظة الرقيقة.. هذا الإنسان إنما هو إنسان يسمو بالكلمة عن الخداع والغش، ويرقى بها عن التعالى المتغطرس، وينأى بها عن الطغيان المادى الجارف؛ حرصا منه على أن يوظف الكلمة فيما يليق بالإنسان فى مكانته التى فطره الله عليها؛ مدركا أن اختلاف الألسن، والألوان، والمواطن لا يضفى على الإنسان ما يترفع به عن الإنسان الآخر، وإنما تلك المظاهر الاختلافية جعلت أسبابا للتلاقى والتعارف، والتوازن الخلاق.

بخلاف هذا الذى يتخذ من الكلمة وسيلة خداع ونفاق وتزييف، يشهرها فى وجه أخيه الإنسان سلاح تضليل قاهر، وطغيان ظالم.. على نحو ما رأينا من أبناء الغرب الأوروبى فى صنيعهم مع الكلمة، حيث بلغوا فى ذلك درجة الشطط الجارف، حتى لقد حرفوا الكلمة السماوية؛ لتكون دافعا للقهر والتدمير والإرهاب، كى يصلوا إلى ما سوله لهم الوهم الخادع، وما زينه لهم الضلال الفتاك من مظاهر العظمة والسيادة.. ومضوا فى هذه السبيل، فى حلقات متواصلة منذ بداية التاريخ الإنسانى، حتى هذا اليوم من أيام القرن الحادى والعشرين الميلادى.

بالعنف.. أمريكا فوق الجميع

ويؤكد جارودى على صدق هذا، ويبرهن على أن الإرهاب الأمريكى المعاصر ليس جديدا على ساسة أمريكا، إنما هو امتداد لإرهاب الغرب منذ آماد بعيدة، حيث استطاع قادة أمريكا - فى العصر الحديث - أن يربطوه بالفكر والدين، حتى يفرض على كل الفئات أن يسلموا به، ويؤمنوا بأنه ضرورة يوجبها الدين، ويستلزمها الفكر الواعى.. وحتى يخلو الميدان تماما للكلمة المنحرفة، وللإنسان الذى يتقن تحريفها، والتضليل بها.

وفى سبيله إلى هذا.. يقدم جارودى ما جاء على لسان «السيناتور ألبرت جى بفريدج» عضو مجلس الشيوخ الأمريكى، منذ سنة ١٨٩٨، فى قرار: «يجب أن تصمم مؤسساتنا على وصول القانون الأمريكى، والعلم الأمريكى، والنظام الأمريكى، والحضارة الأمريكية إلى جميع المناطق والطرق التجارية فى العالم، وقد يكون ذلك بصورة دموية.. وستكون نعمة الرب معنا، حتى يصبح نجمنا ساطعا فى أرجاء العالم».

وبعد تحطيم العراق.. تأكدت إرادة الهيمنة الدولية التى تدعو إلى احتقار التقاليد، والرأى العام، والأخلاق العامة، وإلى الالتزام بالوقاحة، وقلة الحياء، والصفاقة.. على النحو الذى عبرت عنه

وثيقتان صادرتان عن وزارة الدفاع الأمريكية؛ وكانت الأولى بإشراف «ولفو ويتس» نائب وزير الدفاع سنة ٢٠٠٢، والثانية بإشراف «الأدميرال جيرميا» نائب رئيس لجنة أركان القوات المسلحة الأمريكية، حيث تعلن الوثيقتان: أن النظام الدولي أصبح مستقرا بصفة نهائية بواسطة الولايات المتحدة، وأنه يجب التصرف السريع لمنع ظهور نظام أمن أوروبي مستقل، وأن الوصول إلى وضع القوة العظمى الوحيدة يمكن أن يدوم من خلال بناء قوة عسكرية كافية ولديها القدرة على الردع بغض النظر عن جماعة الأمم التي ستتصدى لتفوق الولايات المتحدة وسيطرتها.

وبذلك.. تحقق الولايات المتحدة القدر المكتوب عليها الذي حدده الله مسبقا - كما يقرر ذلك كل رؤساء الولايات المتحدة - على نحو ما صرح به الرئيس «نيكسون» بعد تقاعده في جريدة نيويورك تايمز ٧ يناير سنة ١٩٩١ في قوله: «إن الله مع أمريكا، إن الله يريد لأمريكا أن تقود العالم»، «نحن لا نذهب إلى الكويت دفاعا عن الديمقراطية؛ لأن الكويت ليست بلدا ديمقراطيا، ولا توجد دولة ديمقراطية في المنطقة.. نحن نذهب إلى هناك؛ لأنه يجب علينا أن نذهب؛ لأننا لن نسمح بأن تُهدد أو تُمس مصالحنا الحيوية».



جمال الدين الأفغاني

محمد عبده

فالسلطة في أمريكا - كما يقرر «ريتشارد نيكسون» - تقوم على أساسين هما: الدولار، والله.

الجشع المادي والجهل الديني.. يدعمان الإرهاب

وبرى جارودي: أن بصيصا من الأمل راود الناس مع بدايات القرن التاسع عشر.. تمثل في ظاهرتين متقابلتين:

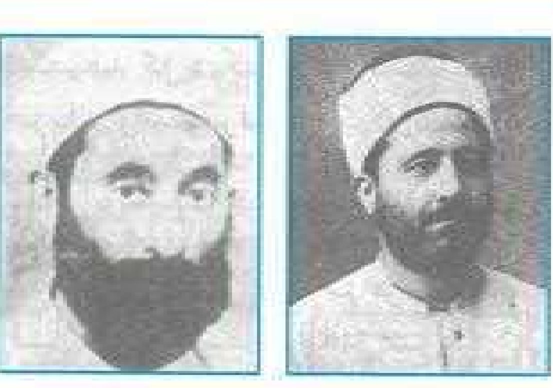
١- مثّل أولاهما «كارل ماركس» الذي حاول أن يعيد الأمل لدى ملايين البشر الذين افترسهم الاستعماريون الرأسماليون - الأمريكيون والأوروبيون - ليمتصوا كل ثرواتهم، ولكن هذه النظرية سريعا ما لاقت حتفها على أيدي خلفاء «ماركس» الذين غاب عنهم الإحساس التاريخي، فاندفعوا إلى الموت المبكر، وإشهار الإفلاس، وسقوط الأمل الذي ابتهج له الناس، وذلك حين أصيبت اشتراكية «ماركس» بأطماع «ستالين»، وسعيه الحثيث لتقليد نموذج التنمية

الرأسمالي، وتابعه «بريجنيف» بعجزه، و«جورباتشوف» بتهوره، و«بوريس يلتسين» بعهره السياسي؛ فبددوا مواردهم العظيمة، ليمارسوا نوعا آخر من الاستعمار، تمثل في دعم عدد من النظم السياسية عبر العالم، كما تصنع الدول الاستعمارية الغربية.. فأسرعوا بالوصول إلى نهاية الاتحاد السوفييتي.

٢- ومثّل الظاهرة الثانية.. نهوض بعض المصلحين الإسلاميين لمعالجة المسلمين من أمراض الجمود والحرفية، والمغالاة في الطقوس والقشور، على حساب الأساس والجوهر، مثل: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وابن باديس، ومحمد إقبال، وعلي شريعتي.

وكانت نهضة هؤلاء ناشئة من إيقانهم بأن أية نهضة سياسية وروحية للعالم الإسلامي.. تتطلب قراءة جديدة للقرآن، مع التحرر من أي تفسيرات سطحية يقدمها العلماء، وناشئة من إيمانهم بأن مشكلة الحداثة يجب ألا تطرح في العالم الإسلامي انطلاقا من أفكار غربية، تستبعد مشكلة «الغايات النهائية» الخاصة بالعالم الإسلامي.

ومن هنا.. رفض الأفغاني استعارة أي شيء من الغرب، باستثناء «التكنولوجيا»، ودعا إلى العودة للمصادر الإسلامية الأصيلة، كي تقرأ بعيون معاصرة.



رشيد رضا

عبدالحميد بن باديس

وتابع الأفغاني في هذا عدد من كبار المصلحين - على الرغم من معارضة التقليديين - كان من أشهرهم الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، ثم حسن البنا، مؤسس الإخوان المسلمين.

وكان هذا الأخير على وعي بالرسالة القرآنية المقدسة، التي تتطلب - في إطار حركته - أن يستقر جزء كامل للمسيحيين، وقد اتجه إلى أوساط الفلاحين، فأسس أولى جماعاته المرجعية، وأولى جمعياته التعاونية، وأولى بنوكه الإسلامية؛ فكانت تلك خلايا لحضارة جديدة، هاربة من «توحيد السوق»؛ اعتمادا على نهضة البعد السامي الإلهي المقدس للإنسان من ناحية، ومن ناحية ثانية: اعتمادا على همه بوحدة الشريعة، ومعارف القرن.

وهذه التوجهات والأسس تعد قواسم مشتركة في الديانات السماوية جميعها، حيث تقرر: أن المالك للشيء إن هو إلا مدير مسئول، وأن على السلطة أن

تستبعد كل ديكتاتور - إنسانا كان أو حزبا - وأن المعرفة لا تكون إلا نسبية ومؤقتة.

وعلى هذه الأسس.. قامت إصلاحات الشيخ ابن باديس في الجزائر، ومحمد إقبال في باكستان، وعلى شريعتى في إيران، وفضل الرحمن في أمريكا نفسها.

ومع أن ما نادى به هؤلاء قد واجه مقاومة عنيفة ماكرة، عملت على وأده، وتشويه صورته.. مع هذا مازالت الآمال معلقة بأن لا يخفت الشعاع الذى أضاءه هؤلاء المصلحون، وأن يستمر انطلاق النهضة، والاستيقاظ الروحى والسياسى للإسلام الحى.

الإرهاب الاستعمارى
يصيب العالم بكارثة

وجارودى يخرج من استعراضه مجموعة ضخمة من مؤلفات المفكرين الغربيين.. بأن خمسة قرون من الاستعمار قد أدت إلى حدوث كارثة، تحدت في تحويل العالم إلى عالم غير متوازن بصورة قاتلة؛ حيث عصف المستعمرون بثقافات الدول التى تم استعمارها.. عصفوا بتلك الثقافات التى كانت توفر وتضمن قدرا من الأمن والاستقلال الغذائى للسكان الأصليين.. ثم جعلوا هذه المستعمرات ذيولا تابعة وخاضعة للدولة الاستعمارية الأم، وفرضوا نمطا أحادى الثقافة والإنتاج، يجعل الوضع التفضيلى مقصورا على شركات المستعمرين.

وبعد أن دمر المستعمرون التقنيات المحلية - يفتح أسواق العمل لرجال الصناعة الدوليين - استغلوا الأيدى العاملة بأجور زهيدة.

وحرصا من هؤلاء المستعمرين على إنجاح مخططاتهم بكوارثها.. تراهم يواصلون مساعيهم لوأد كل حركة إصلاحية استقلالية، قد تنقذ العالم من تلك الكوارث أو من بعضها.. على نحو ما نراه في كتاب «صدام الحضارات» لهنتنجتون، الذى ينبه إلى أن أهداف الحضارة الغربية الرئيسية تتمثل في هزيمة «الائتلاف الإسلامى الكونفوشيوسى»، المتمثل في إيران والصين؛ إذ هما يمثلان العدوين الرئيسيين للحضارة الغربية.

وهنتنجتون بهذا.. يُغفل قارئه عن الحقيقة؛ فإن «الائتلاف الإسلامى الكونفوشيوسى» إنما يهدف إلى إصلاح ما أصاب العالم من مفاسد على مدى خمسمائة عام من الاستعمار الذى تطرف في عمليات السلب والنهب، وإهدار الموارد، والذى ولّد الانقسام الذى حكم به على نصف العالم بالجوع والبطالة،

والديون، في ظل هيمنة عسكرية إرهابية، وظروف سياسية مجحفة يفرضها صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى.

فأين تلك الحضارة.. فيما أقدمت عليه الولايات المتحدة من سرقة أطنان الذهب والفضة من أمريكا اللاتينية؟! وأين تلك الحضارة من الاعتداء على ملايين الهكتارات من الغابات هناك؟!.

ثم.. أين تلك الحضارة.. فيما أقدمت عليه إنجلترا من سلب القطن الهندى والمصرى، ونهبه لمصلحة مصانع النسيج في «مانشستر» إلخ ما صنعته دول الغرب الاستعمارية الأخرى؟!.

إن الحضارة الحقة.. تفرض على كل هؤلاء أن يقوموا بإصلاح الفساد الاستعمارى الذى أنزلوه بالمستعمرات، خاصة أن تلك المستعمرات أصبحت في وضع ميئوس منه، تسيطر عليه الصراعات والنزعات الدموية!.

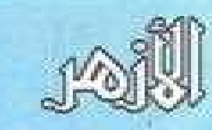
ولكن تلك الدول الاستعمارية - بدلا من إصلاح تلك المفاسد - تواصل سياستها الاستعمارية بأسلوب آخر يعتمد على الابتزاز والإكراه نفسه في ثوب آخر.. هو المبادلات التجارية غير المتكافئة بواسطة حفنة النهّابين والسلابين في الغرب، المتوطنين في أوروبا، وأمريكا الشمالية.

هل من أمل؟

وفى الفصل الخامس «نحو جغرافية سياسية للقرن الواحد والعشرين» يقرر جارودى: أن القرن الواحد والعشرين إذا استمر يسير وفق ما يفرضه الإرهاب الغربى من انكسارات، فإن ذلك القرن سيكون امتدادا للقرن العشرين الأكثر دموية في تاريخ الإنسانية، نتيجة هيمنة قوى استعمارية إرهابية عمياء، فرضت على غيرها نظما جعلت منها ذيولا تابعة لكبرى الدول الرأسمالية.

ولكن جارودى يرى بصيص الأمل في دول أخرى لم تستسلم لعنف الإرهاب الاستعمارى، واستطاعت أن تستقل نسبيا عن القوى الاستعمارية بما أدخلته على إمكاناتها من إبداع، ونمو، وتطور؛ مثل: الصين، وإيران، واليابان، والهند، وماليزيا.

فإذا كانت «العولمة» تعنى: بسط الهيمنة والسيطرة الرأسمالية بصورة شرسة، وعنيفة من جانب الولايات المتحدة، من عدمه بكل الوسائل الإرهابية.. إذا كانت العولمة كذلك، فإن مشروعات الصين، وإيران تقدم بديلا حقيقيا لتلك العولمة، حتى أصبح من المؤكد: أن الاتفاق حول شراكة الصين وإيران يمثل إنقاذا لمستقبل الإنسانية والأرض، ولكن تحيط بهذا الإنقاذ ظروف تغير وتحول غير مؤكدة، وتوازنات غير



مستقرة، للحد الذى يجعل من الصعب علينا تحديد اختيارنا.

لقد استطاع الغرب بإرهابه خلال قرون أن يتحكم فى مستقبل تلك البلاد، مستخدما شتى الأساليب الجهنمية، مثل حرب الأفيون ضد الصين، والاحتلال المباشر لجزر الهند الصينية، ولأرخبيل أندونيسيا.

والغرب اليوم يحاول وقف هذا المد الآسيوى، وإغراقه - بواسطة التقليد والمحاكاة - فى آفات الغرب المتأمرك، على الرغم مما يعانيه من مشكلات اقتصادية واجتماعية، كادت تصل إلى درجة الكارثة.

ولكن الغرب - على الرغم من هذا! - يعمل على إبقاء الدول الآسيوية تابعة له، مستغلا فى ذلك صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى بقروضه المرتبطة بشروط سياسية، تيسر للدول الكبرى افتراس تلك الدول بكل حرية، دون أى قيد!.

والواضح البين أن ما يحدث فى العالم اليوم يرجع إلى أن من بيده القرارات ليست هى الدول - بنظمها وتقاليدها - إنما هى شركات السوق، حيث يقتصر دور رؤساء الدول والحكومات على دور المساعد التنفيذى، كما نرى فى تبعية «تونى بلير»، و«شيراك»، و«جوسبان» الذين أصبحوا يعملون فى خدمة المغامرات العسكرية للولايات المتحدة.

وهذا كله يفرض على المجتمع المدنى أن يقوم بتأسيس السلطات المضادة، بدءا من مواجهة «زجاجة الكوكاكولا» التى تضيف الملايين لإحدى حلقات الشبكة الأمريكية التى تقود إلى العبودية والهيمنة.

ولنذكر: ما صنعه غاندى فى مسيرته للتغلب على الاستعمار، ولنتمعن فى ذلك السر الخفى الذى مكنه من التغلب على الدمار الاستعمارى الذى خلفته الهيمنة الاستعمارية لمدة خمسة قرون.. من كل ما يؤكد: أن الجماعة المرجعية التى يتم تأسيسها على قواعد إنسانية تستطيع أن تصنع - أو تساهم فى صنع - مستقبل ذى وجه إنسانى من خلال وحدة الاعتقاد - أيا كانت - فى الإنسان أو فى الله، متجاوزة الحدود الوهمية للديانات والأحزان الإنسانية.

من هنا.. نبدأ

ومع علمنا: أن صناعة المستقبل ذى الوجه الإنسانى ليست مهمة سهلة، يمكن تنفيذها بسرعة.. مع علمنا هذا.. يجب أن نبدأ العمل التنفيذى لتلك المهمة، قبل أن يصبح الوقت متأخرا.

وجارودى يرى: أن بداية العمل التنفيذى لصناعة المستقبل ذى الوجه الإنسانى.. هذه البداية تتمثل فى العمل على إسقاط الهيمنة الأمريكية فى أبعادها المختلفة، خصوصا فى الوسائل الأمريكية

للقمع الثقافى والاجتماعى.. تلك الوسائل التى من أبرزها: اتفاقية الجات، وصندوق النقد الدولى، والبنك الدولى.. حيث تعلم على القمع الاجتماعى وتكريسه، كما بدا فى تأكيد أى تقليد ضد الثقافة الأوروبية، ونفى الهياكل والمؤسسات الأمريكية الداخلية.

وهذا يعنى: أن العمل على إسقاط الهيمنة الأمريكية يفرض الوعى بحقيقة هذه الوسائل القمعية التى استطاعت بها أن تؤمرك أوروبا، وتجعل الأوروبيين اليوم أكثر غربة من شكسبير، وبيتهوفن، ودانتى، ودوستويفسكى، وغيرهم ممن أصبحوا غرباء فى مجتمعاتهم، لأنهم رفضوا لثقافتهم أن تغرق.

وجارودى يلاحظ: أن إصرار القوى الاستعمارية الغربية على فرض الأصولية الغربية على دول العالم الثالث.. هذا الإصرار الغربى دفع الأصوليين فى العالم الثالث إلى مقاومة ذلك؛ دفاعا عن هوية مجتمعاتهم، وإلى رفض كل ما ينبثق عن تلك الأصولية الغربية.

ولكنهم انصرفوا إلى الرفض - الذى هو حقهم- وشغلوا به عن تقديم البديل المنبثق عن أصوليتهم، فسهلوا للغربيين وصمهم بالإرهاب والتمرد؛ فالمحاربة العملية للعولمة والإرهاب الغربى لا تحقق هدفها إلا بطرح مفهوم واضح للتضامن والتكافل، سواء بين دول العالم الثالث بعضها مع بعض، وبين دول العالم الثالث والدول الأوروبية التى ترفض الهيمنة الأمريكية وهذا التكامل لابد أن يعتمد:

أولا: على كشف حقيقة النظام الحالى «الاقتصاد الجديد» الذى تقوده الولايات المتحدة، وما يتسم به من نهم لجنى الأرباح والفوائد فى أقصر مدى، من خلال المضاربات، وليس من خلال الإنتاج، حتى أصبحت البنوك تلعب دور الكازينو فى المقامرة، بدون أى رعاية أو حماية اجتماعية فى الدول الأكثر فقرا.

ثانيا: على كشف حقيقة الديمقراطية التى تتشدق بها أمريكا؛ فالديمقراطية الحقيقية تتعارض تماما مع التوحيد الأمريكى للسوق الذى لا يستبعد الديكتاتورية الاجتماعية فى ظل وجود منتخبين ومستبعدين، وفى ظل امتلاك وسائل الإعلام التى تساعد على التحكم فى اللعبة لتحديد المقصود بالديمقراطية، حيث لا تعكس إلا رأى رأس المال، وحيث تضع السلطة التى لا يساندها صندوق النقد موضع الاتهام؛ لأنها تدافع عن ديانة أخرى مخالفة لديانة «توحيد السوق».

يتبع

قراءة فى الفكر الاستشراقى

الإسلام والغرب وإمكانية الحوار

عرض وتحليل:
أ. د. محمد فتحى فرج بيومى

هذا موضوع حظى باهتمام كبير، لاسيما بعد ظهور نظرية صامويل ب هنتنجتون. الأستاذ بجامعة هارفارد. التى رصد لها كتابا ضخما بعنوان: The Clash of Civilization أى «صدام الحضارات»، وهذه النظرية أو بالأحرى تلك الأكذوبة الكبيرة قد أثارت ولا تزال تثير كثيرا من الجدل شرقا وغربا ثم إنه قد استوحاها من طبيعة الظروف التى يمر بها الفكر الغربى حينما وجده فى حالة مواجهة مع الثقافات والحضارات الأخرى [1] وهناك من الكتاب من يرى أن هذه النظرية قد اخترعها برنارد لويس وطورها عنه هنتنجتون [2].

والكتاب الذى نعرض له اليوم من الكتب التى استهدفت التصدى لهذه الفكرة السقيمة، غير الموجودة إلا فى زعم صاحبها وأضرابه من أمثال فرانسيس فوكوياما صاحب كتاب «نهاية التاريخ وآخر البشر»، وبرنارد لويس صاحب حزمة من كتب المزاعم والمغالطات. وقد عرضنا فى «الأزهر» من قبل لواحد من كتبه تلك [3]، وناتان شارنسكى صاحب كتاب «قضية الديموقراطية» وغيرهم من منظرى الشر، إضافة إلى حوارييه من المحافظين الجدد.

وقد صدر الكتاب فى لغته الألمانية عام ١٩٩٧ بعنوان Der Islam und Der Westen Anstifyung zum Dialog، وقد حرره وقدم له الكاتب المسلم كاى حافظ، أما من شارك فى تأليفه فهم مجموعة من المستشرقين الألمان المهتمين بالموضوعات المتعلقة بالإسلام والمسلمين والشرق الأوسط ولما لهذا الكتاب من أهمية فى توضيح كثير من المزاعم والافتراءات فقد أدرج فى قائمة مترجمات المشروع القومى للترجمة الذى يشرف عليه المجلس الأعلى للثقافة بمصر، فصدر عنه عام ٢٠٠٠، ثم رأت «مكتبة الأسرة» إعادة طبعه ضمن مشروعها «القراءة للجميع» على نطاق واسع تعميما للفائدة، حيث قام بترجمته د. صلاح محجوب إدريس الباحث بجامعة القاهرة وقد تولى أمر مراجعته وتقديمه د. محمد خليفة حسن.

(١) حسونة المصباحى (٢٠٠٤) حوار مع المفكر التونسى عبدالوهاب بوحديبة مجلة «حوار العرب» العدد ١٢، ص٢٧.

(٢) د. السيد أمين شلبى (٢٠٠٤) نظرية صدام الحضارات مجلة «الهلال» عدد نوفمبر ٢٠٠٤، ص٢٨.

(٣) د. محمد فتحى بيومى (٢٠٠٥) الإسلام وأزمة العصر لمؤلفه برنارد لويس «مجلة الأزهر» عدد شوال ١٤٢٦ هـ ص١٧٦.



محتويات الكتاب

تقع الترجمة العربية لهذا الكتاب فى ٢٣٦ صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على قسمين بخلاف «تصدير» بقلم المحرر الذى أتبعه «بمقدمة» هامة بعنوان «الإسلام والغرب وصدام الحضارات»، أما القسم الأول من الكتاب فجاء بعنوان: الصراع الفكرى: هل يوجد تحديث إسلامى؟ وقد تضمن مجموعة من الموضوعات الهامة التى تناقش بعض القضايا مثل: الإسلام والديموقراطية - ضرورة حوار الحضارات حول حقوق الإنسان - وضع المرأة فى الإسلام - الخوف الحضارى بين الشرق والغرب - الاقتصاد الإسلامى بين عالم مثالى واقتصادى.

أما القسم الثانى فقد جاء بعنوان: الدول الإسلامية والغرب: بين الصدام والتعاون وقد اشتمل هذا القسم أيضا على مجموعة من



هنتنجتون — برنارد لويس

الموضوعات والقضايا التى تختص بأقطار إسلامية معينة وهى تشبه دراسات الحالة، ومنها:

- أوروبا والجزائر
- العلمانية والإسلام فى تركيا.
- مسلمو البوسنة بين خطط التقسيم ومصالح القوى العظمى والتضامن الإسلامى.
- أوسلو نموذج السلام فى الشرق الأوسط.
- العراق بوق البعث: صراع هوية أوروبية الصنع.
- باكستان القوة النووية الإسلامية.

وغيرها من قضايا.

ثم أورد المحرر فى «الخاتمة» خطاب الرئيس الألمانى رومان هو تسوج تحت عنوان: علاقتنا بالإسلام، وذلك بمناسبة تسلم المستشرقة الألمانية آنا مارى شيمل جائزة السلام عن نسبة مبيعات الكتب الألمانية عام ١٩٩٥ بفرانكفورت.

ونحن هنا لا نستطيع أن نلم بكل أقسام الكتاب وفصوله، وحسبنا أن نتناول بعض



النواحى التى تهمنا أكثر من غيرها، ذلك أن الإلمام بكل محتوياته أمر يستدعى من الناقد تفرغا كبيرا، كما يستنفد من المجلة مساحة أكبر مما يكرس لمثل هذه الأبواب.

من المضامين الهامة فى الكتاب

تعود أهمية الكتاب إلى دفاعه عن الحوار بين الحضارات بديلا عن الصدام وذلك لاعتقاد المشاركين فيه فى إمكانية الحوار بين الإسلام والغرب، ومن ثم إمكان تفادى الصدام والخوف الحضارى المتبادل وهذه الرؤية تذكرنا بكتاب هام صدر منذ فترة وجيزة، وعرضنا له من قبل[1]، للمستشرق الألمانى الراحل فريتس شتيبات الذى لم يتح له المشاركة فى موضوعات هذا الكتاب، حتى إن عنوان كتابه ـ «الإسلام شريكا» ـ كان ذا دلالة بالنسبة للعقل الغربى وحتى بالنسبة للأذن العربية، لاسيما فى إطار مناخ تسيطر عليه مقولة صراع الحضارات كحتمية وحيدة كما يصوره هنتنجتون!

وقد أشار محرر الكتاب فى صدر مقدمته إلى بعض الأحداث التى أقضت مضجع الغرب وأثارت لديهم تلك المخاوف التاريخية ومنها الثورة الإيرانية التى لم تسقط فقط حكم الشاه ولكنها أسست جمهورية إسلامية قدمت نموذجا سياسيا وحضاريا بديلا عن نموذج الديمقراطية الغربية، ونسى الرجل، وكل من يضع أمامه هذا النموذج أن لكل بلد خصوصياته وظروفه التى تختلف عن البلاد الأخرى، وهو نفسه قد رد على ذلك حينما ذكر بعد صفحتين فقط: ولا نجد فى تاريخ الإسلام السنى أو الشيعى نموذجا للسلطة الدينية يشبه نموذج النظام السياسى الموجود فى إيران الآن (ص ١٩ من الكتاب) ومما أورده المحرر أيضا الخوف من احتمال عودة التاريخ إلى الوراء، وهو ما يرفضه الغرب، إضافة إلى التساؤل حول مصير المجتمع العالمى المصطبغ بالثقافة الغربية، والغرب بذلك يحاول أن يختلق أشباحا ليخاف منها ويعد العدة لمحاربتها وهذا لا يقول به عاقل، ولذلك نرى المحرر يُخَطِّئ هنتنجتون فيما ذهب إليه من أن الثقافات هى بمثابة مفردات يمكن استعمالها فى تحليل شئون السياسة الدولية وفى إطار حدود معينة فقط حيث اعتبر هنتنجتون اختلافات الحضارة الغربية عن الحضارة الإسلامية حقيقة ثابتة لا تتغير، كما يرى فى وجود صراع منعزل وموحد فى نظام عقلى ما شرطا على صحة نظريته عن صدام الحضارات، وهذا خطأ بمنظور علم «أنثروبولوجيا الحضارة» إذا ما رأى الشرق والغرب عالمين منفصلين مختلفين ومتعارضين فى السجايا الجوهرية.

والملاحظ، فى معظم فصول هذا الكتاب، أن المشاركين يدافعون فيه بموضوعية عن العلاقات الإسلامية الغربية، ويرون أن هذه العلاقات لا

(1) د. محمد فتحى بيومى (٢٠٠٥)، الإسلام شريكا، لفريتس شتيبات، مجلة منبر الإسلام.

تنبع من صدام الحضارات، بيد أنها يمكن أن تنحدر إلى هذا المنحدر، إذا لم تبذل الجهود الكافية لحماية هذه العلاقات وتحويلها من علاقات صدام إلى علاقات حوار والتقاء، عن طريق فعل إيجابى يتمثل فى تغيير الوعى وتصحيح الصورة الإعلامية التى يقدمها الإعلام الغربى عن العالم الإسلامى، وتفنيد المقولات الشائعة عن الخلافات التى لا يمكن تجاوزها بين الشرق والغرب ومن الجدير بالذكر أن محرر الكتاب يلفت النظر إلى أن حكومات ومجتمعات العالم الغربى تشترك فى المسئولية عن التطورات السلبية الموجودة فى الشرق الإسلامى، وعلى سبيل المثال فإن عملية السلام المتفائلة بين إسرائيل وفلسطين يتهددها مخاطر الفشل بسبب تأييد الغرب المستمر لإسرائيل، وهو فى هذا يتفق مع بعض المستشرقين الثقات من أمثال فريتس شتيبات.

كلمات لها مدلول

هناك بعض الكلمات التى جاءت فى ثنايا بعض فصول الكتاب وهى تحمل مدلولا ذا مغزى ومنها ما جاء فى نهاية المقدمة: نحن نرى أنه من الممكن تفادى صدام الحضارات نكاية فى صمويل هنتنجتون! (ص٢٨).

ومنها أيضا ما ورد فى القسم الأول بالفصل المعنون «حول ضعف نسبية القيم»: مازالت هناك تناقضات وعدم منطقية فى سياسة حقوق الإنسان التى يهيمن عليها الغرب دوما وهذا يثير التساؤل الموجه إلى الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن: هل عالمية حقوق الإنسان مقصود بالفعل؟ وأحيانا يزداد الشك (وله أسباب وجيهة) حول نظريات التآمر التى تشير بالتبعية إلى أن حقوق الإنسان ربما تكون شكلا جديدا من أشكال الإمبريالية الغربية بل إن بعض المسلمين يرون فى النشاط السياسى من أجل حقوق الإنسان إحدى مسارات الحملات الصليبية ويخشون تحت الضغط الدولى من قبول تصورات غربية مسيحية محددة ورؤى أخلاقية وأشكال مجتمعية مستهجنة فى مجتمعاتهم (ص٥١).

ومنها أيضا عبارة تفند الأدبيات المغلوطة التى تربط بين كل من العنف والإرهاب والإسلام، إذ تبين أن العنف والارهاب بضاعة غربية وذلك على النحو التالى: لقد ارتبط اصطلاح العنف فى قاموس السياسة المعاصرة بمفهوم سياسة التخويف التى تتبعها الدولة للحفاظ على سيادتها، وهذا يذكرنا بسياسة حكومة الثورة الفرنسية فى السنوات ١٧٩٢ـ ١٧٩٤ والتى هدفت من ذلك إلى إسكات صوت المعارضة الملكية وهذا ما حدث لاحقا أيضا فى روسيا حيث مارست الحكومة البلشفية سياسة الإرهاب من أجل أهداف إيجابية وهى الوصول إلى نتائج مستهدفة مشروعة مثل العدالة الاجتماعية ومنذ ذلك التاريخ تزايد المفهوم السلبى للمصطلح.. كما غزت تلك الرؤى معايير التفكير بحيث أصبح ما يعتبره الفرد «إرهابيا» يراه الآخر محاربا مكافحا من أجل الحرية! (ص ٧٩).

ومنها أيضا ما ورد فى الفصل الخاص

بـ«الاقتصاد الإسلامي»، حيث جاء في بدايته: الإسلام دين لا يهتم بالحياة الأخرى فقط، بل إنه رؤية محددة للعالم تريد تقديم إجابة للمؤمنين به عن كل التساؤلات الإنسانية في الحياة (ص ٨٧).

وفي الفصل المعنون: «الدول الإسلامية والغرب: بين الصدام والتعاون»، في بداية القسم الثاني من الكتاب جاءت هذه العبارة: يعتبر الاكتشاف الغربي المفاجئ لطبيعة النظام العراقي (السابق) العدوانية بعد غزو الكويت بالنسبة للإيرانيين أحد الأمثلة الواضحة على ازدواجية المعايير الأخلاقية الغربية (ص ١١١).

وأخيرا، فقد جاء في خاتمة الكتاب كلمة ذات دلالة هامة ونتمنى أن تأخذ نصيبها حقا من الاعتبار لاسيما من جانب الإعلام الغربي، وهي: لقد ساهم كتابنا بالتقييم الحالي لمسألة التحدي الحضاري (المزعوم) بين الإسلام والغرب، ومن الواجب أن تحدث تغيرات للوعي، ولذا فإنه من الضروري أن نقوم بتغيير المعلومات التي يقدمها كتابنا عندما يصبح العالم الإسلامي شريكا سياسيا للغرب، ويصير المسلم مواطنا أوروبيا له الحق في التعليم والانضمام إلى الأحزاب السياسية والتفاعل مع وسائل الإعلام وبالطبع في الحياة اليومية إلا أن الوضع الجديد هو أنه كلما أفرزت التحديات وتواترت، شاعت الحيرة واندلعت الصراعات أحيانا لذا فمن المفيد أن تمتلك أبعادا جديدة تمكننا من رؤية المشكلات اليومية من حيث أسس وعناصر أشكال المواجهة الحضارية الجديدة، وفي المقام الأول مع الحضارة الإسلامية جارة أوروبا (ص ٢١٦).

بعض المآخذ على الكتاب

الكمال لله وحده، ولذا فلابد من الإشارة إلى بعض المآخذ القليلة التي يمكن تلافيها عند إعادة طبع هذا الكتاب، وعلى الرغم من ذلك فإنها لا تغض كثيرا من قيمته، ومنها تكرر الأخطاء المطبعية لاسيما في كتابة أسماء الأعلام الإفرنجية، أو تحريف نطقها حتى في الأسماء المشهورة جدا كهنتنجتون نفسه، وقد خفف من ذلك وضع أسمائها بالأحرف اللاتينية بين قوسين.

لم يكن أيضا من المناسب إغفال أسماء المشاركين في وضع فصول الكتاب أمام إسهاماتهم سواء في فهرس الكتاب أو في متنه - والاكتفاء فقط بالتعريف بهم في نهاية الكتاب - فلذلك أهميته من الناحية التوثيقية، لاسيما عند الرجوع إلى مزيد من كتاباتهم، بالنسبة للمتخصصين أو لمن يهمهم ما تناولوه من قضايا وبحوث.

أما ما ورد في صدر المقدمة من الزعم بأنه «إذا كان للعصر الذي نعيش فيه روح تميزه فقد اكتشفها البروفسور هنتنجتون» (هكذا ص١٧)، ويقصد بذلك نظريته حول «صدام الحضارات»؛ فهذا قول مبالغ فيه بل يجانبه الصواب، فصياغته على هذه الصورة يوحي كأنها حقيقة من الحقائق العلمية، وذلك يسير

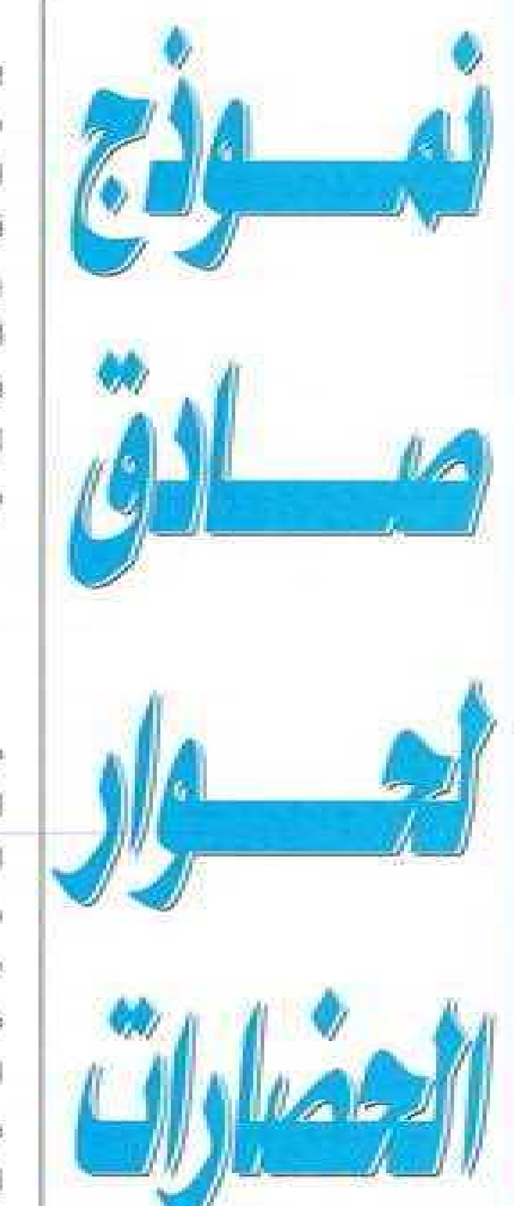
حتى ضد أهداف الكتاب ومراميه فهنتنجتون لم يتوصل إلى اكتشاف هذه الروح إنما هو يحاول أن يخلقها معتمدا في ذلك على مزاعمه وعلى تعضيد أجهزة الإعلام الغربية الشرسة المجندة بشكل موجه لخدمة الأغراض المشبوهة للمحافظين الجدد وكما يقول مراجع الكتاب - د. حسن: فإن المسألة في الحقيقة مسألة سياسية مرتبطة باستراتيجية العالم الغربي تجاه الإسلام وشعوبه فالمستشرقون من نوعية صمويل هنتنجتون يشاركون في صنع القرار السياسي الغربي بشأن الشئون العربية والإسلامية، ويقدمون خبراتهم ورؤاهم للدوائر السياسية الغربية بشأن القضايا العربية والإسلامية. ومن المعروف صلتهم بوزارات الخارجية الغربية وعملهم كخبراء لشئون العالم العربي والإسلامي في هذه الدوائر السياسية (ص٥).

البناء الفكري الأوروبي!!

وجاء أيضا في المقدمة: أن النهضة الأوروبية ما كانت لتتحقق إن لم تعترف بفضل العلوم المنقولة من الشرق الإسلامي (وهذا حق)، أما استطراده بقوله: «وهكذا فإن العالم الإسلامي لن يتقدم ما لم يتقبل تأثير البناء الفكري الأوروبي» فأمر فيه نظر، إذ أن إطلاق الكلام هكذا بشكل عام يفقده الدقة والموضوعية، فما معنى «البناء الفكري الأوروبي»؟ أفهم أن تأخذ عن الغرب العلوم الحديثة والتقنيات المتقدمة، أما البناء الفكري فهذا مما لا يلزمنا، فعلة الغرب أنه يفتقر إلى بناء فكري يتسق وطبيعة الإنسان ويتصالح مع عوامل سعادته الحقيقية في توازن يعترف بأشواق الروح ومطالب الجسد. علة الغرب - كما يقول «آلان توران» - أحد أساطين علم الاجتماع بجامعة السربون - تكمن في أنه، برغم تسلمه مشعل العلوم عن الإسلام، لم يوفق إلى اليوم في إنجاز مجتمعات آمنة سعيدة، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى أنه ورث عن المسلمين الوسائل دون الغايات، فقد أخذت أوروبا عن المسلمين الجانب المادي من العلوم ولم تأخذ الجانب الروحي ومن ثم فإننا حينما نقول: إن أوروبا - والغرب عامة - بلغت درجات عليا من التقدم، فإنما نقصد درجات عليا من التحكم في وسائل الإنتاج والصناعة، ولا نقصد درجات عليا من الحضارة، فالحضارة هي الإنسان قبل كل شيء، والإنسان في المجتمعات الأوروبية إنسان شقي مستعبد[*].

وأخيرا، نرى لو أن طه حسين كان الآن بين ظهرانينا وقرأ العنوان الجانبي لهذا الكتاب وهو «وإمكانية الحوار»، هل كان سيغض الطرف عنه أم يتمسك برأيه حول هذه الصيغة التي جاءت عليها كلمة «إمكانية»، حيث اشتهر عنه رفضه لصيغة الجمع منها التي كثيرا ما كان الكتاب يستخدمونها، فكان رحمه الله يصححها إلى «إمكانات».

(*) آلان توران Alain Tourane (١٩٨٩) نقد الحداثة Critique de la Moderrnite دار فايار للنشر نقلا عن: د. أحمد القديري (١٩٩٥) الإسلام وصراع الحضارات كتاب الأمة. قطر طبعة خاصة بمصر تصدرها دار أخبار اليوم ص٨٩.



للمستشار/ حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

مع بداية القرن السابع الميلادى، كان العالم يموج بحضارات عدة، وتتنازع قيادته حضارتان عظيمتان، هما حضارة الرومان فى الغرب وحضارة الفرس فى الشرق، ومن دونهما حضارات أخرى، كحضارة الصين فى أقصى الشرق، وحضارة الحبشة فى إفريقيا وغيرهما، ثم كانت جزيرة العرب على موعد مع التاريخ، لتبزغ فيها حضارة جديدة، تكون لها الريادة فى ذلك العالم المتصارع، فكان مبعث رسول الله ﷺ، ليؤسس الحضارة الإسلامية، الذى كتب الله لها البقاء من خلال حفظ منهجها، الذى قال تعالى عنه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(٩ من الحجر)

ومن عناصر القوة فى حضارة الإسلام، أنها تضمنت من أسس الدعوة إليها مبدأ حوار الحضارات، هذا المبدأ الذى تجلى واضحا فى التطبيق العملى على يد المؤسس العظيم لهذه الحضارة، وهو رسول الله ﷺ، إن من ينظر متأملاً فى مجلسه ﷺ يعلم بيقين أن هذا المجلس هو صورة صادقة لحوار الحضارات فإذا رجعنا بالذاكرة إلى مكونات هذا المجلس، نجد أنه ضم ممثلى حضارات الدنيا المعاصرة لقيام حضارة الإسلام وبل ونجد أن لكل من هؤلاء الممثلين، الدور البارز فى إرساء دعائم حضارة الإسلام، ومن النماذج الساطعة على ذلك الآتى:ـ

● ممثل الحضارة الرومانية: سيدنا صهيب الرومى رضى الله عنه، الذى ترك كل ما يملك فى سبيل الهجرة إلى المدينة المنورة وعندما وصل إليها بشره رسول الله ﷺ قائلاً: «ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب»[1].

(١) رواه الإمام أحمد فى الفضائل ٢/ ٨٢٨.



● ممثل الحضارة الفارسية: سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه الذى قطع الفيافى والقفار بحثاً عن الدين الحق، فأسلم وجاهد فى الله حق الجهاد، وهو صاحب فكرة الخندق فى غزوة الأحزاب ولعلو منزلته فى الإسلام ألحقه الرسول ﷺ بأهل بيته قائلا: «سلمان منا آل البيت»[2].

● ممثل حضارة الحبشة: سيدنا بلال بن رباح الحبشى رضى الله عنه، صاحب أكبر قوة فى تحمل أذى المشركين لصده عن دين الإسلام، القائل رداً عليهم: أحد، أحد.

وعلى ذكر الحبشة فهناك عظيمها النجاشى الذى وصفه الرسول ﷺ بأنه ملك لا يظلم عنده أحد وقد استضاف المسلمين المهاجرين إليه وأكرمهم فكان إكرام الرسول ﷺ له أعظم، وذلك بالصلاة عليه عند وفاته، صلاة الغائب.

وقد اتبع الرسول الكريم ﷺ فى تحقيق هذا النموذج الحضارى الفريد، العديد من الوسائل البناءة التى تتماشى مع كل العصور، والأمثلة كثيرة

حوار الحضارات بالرسائل

بعد أن أقام رسول الله ﷺ دعائم حضارة الإسلام بالمدينة المنورة، أراد أن يعم خير هذه الحضارة على بقية أنحاء العالم تحقيقاً لعالمية رسالته فأخذ ﷺ يخاطب ملوك وعظماء الحضارات المعاصرة له، وذلك ببعثه الرسل إليهم، حاملين رسائله المتضمنة دعوتهم إلى الإسلام والفوز بالسلام، فهناك من توجه إلى هرقل عظيم الروم، ومن توجه إلى كسرى الفرس، وهما كانا يمثلان أعظم حضارات ذلك الزمان، وهناك من توجه إلى المقوقس عظيم قبط مصر، وغيرهم -وقد تلقى ﷺ من كل منهم الرد على هذه الرسائل، وعبر عن هذا الرد بما هو أهله وذلك بالثناء على رد الجميل، كما هو الشأن بالنسبة لكل من هرقل والمقوقس وبالدعاء بزوال ملك كسرى لسوء صنيعه مع رسالة ورسول النبى ﷺ.

العلم من وسائل حوار الحضارات

إذا كانت أول كلمة فى بداية إرسال السماء إلى الأرض، نزلت على الرسول الخاتم ﷺ، هى ﴿ اقْرَأْ ﴾ فإن هذا له دلالته الواضحة على طبيعة رسالة هذا الرسول العظيم، وهى أنها رسالة العلم والمعرفة والحكمة التى هى ضالة المؤمن، التى ينشدها فى أى مكان، وأن وجدها فهو أحق بها.

إن ابتداء الوحى الشريف بكلمة اقرأ، وليس بكلمة أخرى مثل: اكتب أو اسمع أو اتل أو غير ذلك، يفيد ضرورة أن يكون

(٢) كنز العمال ١٦/ ٣٣٣٤٠.




هناك شيئاً مكتوباً، ويطلب من الشخص قراءته، ولهذا عندما طلب جبريل عليه السلام من الرسول ﷺ أن يقرأ، قال له: «ما أقرأ؟»، وفى رواية أخرى قال: «ما أنا بقارئ»، والجمع بين الروايتين يقتضى السؤال: أين الشئ المكتوب حتى أقرأه، أو تكون حالى قراءته؟!، ولذلك استمر الوحى بقوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

﴿العلق: ١﴾

أى يا محمد: اقرأ ما تسمعه من جبريل من آيات القرآن.

طلب العلم فريضة

وإذا كانت القاعدة الأصولية تقرر: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن عموم لفظ ﴿اقْرَأْ﴾ يستوجب قراءة كل مكتوب، سواء كان مما نزل به الوحى، أو غيره من كلام البشر، ومن هنا كانت الدعوة إلى طلب العلم الذى وسيلته القراءة، من فرائض الإسلام على كل أتباعه بمقتضى الأمر النبوى الشريف، فى قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[٣]، ولا تنحصر هذه الفريضة فى زمان معين ولا مكان محدد، فقد روى البيهقى عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[٤] أى ولو كان يمكن تحصيله بالرحلة إلى مكان بعيد جداً كمدينة الصين، فإن من لم يصبر على مشقة التعلم بقى عمره فى عماية الجهالة.

وإذا كان العلم على هذه الدرجة من الأهمية، فإنه يعد من أفضل وسائل حوار الحضارات فى كل العصور والأزمان، وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل، دون ربطه بالعقيدة، وقد طبقه الرسول ﷺ عملياً فى غزوة بدر الكبرى، عندما جعل فداء الأسرى من المشركين تعليم عشرة من المسلمين، ثم بعد زيادة الفتوحات الإسلامية والاتصال بالعالم الخارجى، نشطت حركة ترجمة علوم البلاد المفتوحة والبلاد المجاورة لها، ولو كانت غير مسلمة، حتى وصلت هذه الترجمة ذروتها فى عصر الدولة العباسية، مما أقام جسوراً من الحوار الحضارى البناء بين الحضارة الإسلامية وكل من الحضارات اليونانية والإغريقية والرومانية والفارسية والهندية وغيرها، واستمر ذلك إلى عصر النهضة فى أوروبا الحديثة.

حوار الإسلام مع الحضارات القديمة

فإذا كان ظاهر كلمة الحوار، يفيد أنه يدور بين طرفين متعاصرين، إلا أن هذا لا يمنع من قيام حوار بين حضارات سابقة وحضارة لاحقة عليها، كما هو الشأن فى ذلك الحوار البناء، الذى أقامته الحضارة الإسلامية مع الحضارات القديمة التى

(٣) كنز العمال ١٠/ ٢٨٦٤١، ٢٨٦٥٤.

(٤) كنز العمال ١٠/ ٢٨٦٩٧.

سبقتها فى الظهور، والتى ورد ذكرها فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ، وذلك على سبيل العظة والاعتبار، وليس على وجه الهجوم والإنكار المطلق.

وإذا كان من الصعب الإحاطة بكل أطراف هذا الحوار الحضارى، الذى أقره الإسلام، فمن الخير أن نكتفى بعرض نموذج واضح لهذا الحوار، وذلك من خلال علاقة الرسالة الخاتمة لهذا الدين بالحضارة الفرعونية، التى قامت على ضفاف النيل قبل البعثة المحمدية بآلاف السنين، تلك الحضارة التى قال الله تعالى فى وصفها:

﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

(الفجر: ١١-١٤)

فمن الملاحظ أن هذه الحضارة تركت آثاراً مازالت قائمة حتى اليوم، ومن هذه الآثار ما قال به بعض الفقهاء، من أنه قد يندرج تحت بعض أحكام شرعية جاءت بها شريعة الإسلام، كالحرمة أو الكراهة، كما هو الشأن بالنسبة للتماثيل والصور المجسمة، التى تضمنت السنة النبوية المطهرة أحكاماً بذلك على نحو ما أشار إليه قول الرسول ﷺ الذى رواه الترمذى وابن حبان والإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة»، وما رواه أبوداود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أتانى جبريل فقال: إنى كنت أتيتك البارحة، فلم يمنعنى أن أكون دخلت عليك البيت الذى كنت فيه، إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان فى البيت كلب، فمر برأس التمثال الذى فى البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فيجعل وسادتين منبذتين توطئان، ومر بالكلب فليخرج»، ومع ذلك عندما فتح المسلمون مصر موطن الحضارة الفرعونية، لم يتعرضوا لهذه التماثيل وتلك المعابد، بأى نوع من الهجوم أو الأذى، بل حافظوا عليها، حتى وصلت إلينا بالحالة التى نراها عليها الآن.

تواصل حضارى

ولا ننسى أن فتح مصر كان على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو من الذين منحهم رسول الله ﷺ سلطة التشريع بقوله: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين، الهداة المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ»[٥]، ولو كانت آثار حضارة هذا البلد تستحق تطبيق هذه الأحكام الشرعية عليها لما سكت عن ذلك بل كان أول المسارعين إليه، وهذا ما يؤكد التواصل بين الإسلام وهذه الحضارة.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦.

وإذا كان من المعلوم أن مصر فتحها المسلمون بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بحوالي عشر سنوات، إلا أن خبر فتحها جاء على لسانه ﷺ في حياته، فقد روى مسلم والإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه، والطبراني والحاكم عن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»، وهذا ما يقول عنه العلماء: إنه من إعلامات النبوة، أي من الأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ في حياته، أنها ستحدث في مستقبل الأيام والسنين، وهذه إحدى خصوصياته الشريفة، وسندها من السنة النبوية المطهرة ما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى (طوى) لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها»[٦]....... «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»[٧].

وصية رسول الله ﷺ

وقد حاول العلماء إحصاء العدد الذي ذكرت مصر به في القرآن الكريم، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً فقال بعضهم: «إنها ذكرت في ثمانية وعشرين موضعاً منه، وقال البعض الآخر: بل أكثر من ثلاثين موضعاً، وذكرت في السنة النبوية المطهرة ما لا يحصى من العدد، وفي تفسير قوله ﷺ: «استوصوا بالقبط خيراً»[٨]، قالوا: أي اقبلوا وصيتي في أهل مصر، ومن مقتضى هذه الوصية، أنه إذا استولى المسلمون عليهم، وتمكنوا منهم، فيجب الإحسان إليهم، والعفو عما وقع منهم من سوء أفعالهم وقبح أقوالهم، والعلة في هذه الوصية، هي كما وردت في الحديث، ما لهم من ذمة وحرمة وأمان من جهة إبراهيم بن المصطفى ﷺ، فإن أمه مارية منهم، وما لهم من رحم وقرابة، لأن هاجر أم إسماعيل منهم، وفي هذا إشعار بمحبته ﷺ لأهل مصر، وإن فرط منهم ما فرط.

عظمة هذا البلد

ولعل دلالة هذا التكريم من الله تعالى ومن رسوله ﷺ لمصر تبين عظمة هذا البلد ودوره الحضاري منذ فجر التاريخ الذي ضم أقدم حضارات العالم التي حازت أعلى درجات الخلود في هذه الدنيا، وتفيد أن هناك روابط صلة قائمة ومستمرة بين العرب وشعب هذا البلد، بما يؤكد احترام الحضارة الإسلامية لما سبقتها من حضارات، ولو لم تكن على ذات النهج.

والله تعالى ولي التوفيق...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٦) كنز العمال ١١/٣١٧٦١.

(٧) أخرجه أحمد.

(٨) كنز العمال ١٢/٦٩/٣٤٠١٩.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

من ركائز التضامن الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات: ١٠)

في هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب، فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لا تنقسم بمخالفة النسب. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً»[١] والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم، والتناجش: هو أن تزيد في ثمن السلعة دون رغبة في شرائها لتحريض الغير عليها، وفي رواية أخرى بلفظ مسلم بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٢].

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء في الآية الشريفة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[الحجرات: ١٠]

---

(١) البخاري ومسلم

(٢) رواه مسلم

فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحيد المصلحون ولا يحابي بعضهم بعضا، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهي رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الحجرات: ١٠]

ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى:

١- منها الرذائل الظاهرة التي تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢- ومنها الرذائل الباطنة التي تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة: فيقول فيها القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾

[الحجرات: ١١]

فينهى الله تعالى عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخروا منه أن يكون خيرا منهم عند الله تعالى، في عقيدته وفي عمله وفي باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست في المظهر ولا في الشكل، ولكنها فقط في التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[الحجرات: ١٣]

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٣).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾

[الحجرات: ١١]

نرى أنه ورد في سبب نزولها آراء منها: أنها نزلت في وفد بني تميم عندما استهزأوا بفقراء الصحابة أمثال: عمار، وبلال، وخباب، وابن فهيرة، وصهيب، وسلمان، وسالم، مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم..

وقيل: نزلت في سخرية الغني بالفقير، وقيل: في عكرمة بن أبي جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلما كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت في ثابت بن شماس كان في أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول،

(٣) رواه مسلم

فاقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فرضي كل رجل منهم بمجلسه وعضوا فيه -أي لزموه- فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا، فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح فقال الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعني أما له في الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت(٤).

وقد نصت الآية في النساء كذلك وأفردتهن بالذكر في النهي عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيرا منهن «فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» ولذا نص عليهن فيقول:

﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾

[الحجرات: ١١]

وقد جاء في سبب نزولها أن امرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصريها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنهما: «انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب» فهذه سخريتها. وقال أنس، وابن زيد: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر. وقيل: نزلت في عائشة أشارت بيدها: يا بني إنها لقصيرة، تعني صفية بنت حيي رضي الله عنها، وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني فأنزلت هذه الآية.

وقد نهى الله تعالى كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيرا باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

[الحجرات: ١١]

ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضا، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغي أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

دون تنابز

ومن الرذائل التي نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى:

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

[الحجرات : ١١]

قيل إنها نزلت في بني سلمة، قدم رسول الله ﷺ وليس رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره كان يقول له: يا يهودي يا نصراني، فنزلت الآية، وقال قتادة: وقول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق..

قال تعالى:

﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾

[الحجرات : ١١]

يقول ابن زيد أي بئس أن يسمي الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته.. وقيل: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. أما بعض الصفات التي يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها. وقد سئل عبدالله بن المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التي نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال في مثل هذه المعايب بأنه وقع في الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الحجرات : ١١]

وإذا كان التنابز بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفي له ود أخيه، يقول عليه الصلاة والسلام: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه»(٥).

ومثال النوع الثاني وهي الرذائل الباطنة التي تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله تعالى من الظن في قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

[الحجرات : ١٢]

وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبوعبدالله القرطبي في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيئ لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما فقالا له: انطلق

(٥) رواه الحاكم والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان.



فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاما وإداما فذهب فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى أسامة ابن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك. وكان أسامة خازن النبي ﷺ فذهب إليه فقال أسامة: ما عندي شيء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل. ثم بعث سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة – وهي بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير – لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فرآهما النبي ﷺ فقال: «مالي أرى خضر اللحم في أفواهكما؟» فقالا: يا نبي الله والله ما أكلنا في يومنا لحما ولا غيره، فقال: «ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة» فنزلت الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾

[الحجرات : ١٢]

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»(٦).. والظن الذي تحذر الآية منه هو: الظن الذي يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجبه.

ومن الرذائل المنهي عنها «التجسس» وهو البحث عما يكون خفيا عن الإنسان كمن يتهم إنسانا بفاحشة أو بشرب الخمر مثلا دون أن يبدو له ما يقتضي ذلك أو أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه، كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرما، هذا بخلاف من عرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصي فلا يكون الظن به محرما.

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة، وذلك لأن مجرد التهمة يكون سببا في البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو ما لا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهي الغيبة وهكذا.

وينقي الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاقم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغي الحاكم الريبة في الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجها السيئة التي لا تقتصر على الآخر فحسب، بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم في الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا

(٦) رواه البخاري ومسلم

عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»[٧]. ولذلك أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.

فقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمته، فكانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس حتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبدالرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفارة الغيبة

ومن الرذائل المنهي عنها الغيبة قال الله تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

[الحجرات: ١٢]

وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبة: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»[٨]. وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين، وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم»[٩] وقد صور القرآن الكريم صاحب الغيبة في هيئة مستقذرة، وصورة تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال تعالى:

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾

[الحجرات: ١٢]

فصور الله تعالى الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبوهريرة رضي الله عنه أنه حين جاء ماعز إلى النبي

(٧) رواه أحمد وأبوداود والترمذي.

(٨) رواه مسلم

(٩) رواه أحمد وأبو داود



ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجمه الرسول ﷺ فسمع نبي الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين فلان وفلان»؟ فقالا: نحن يا رسول الله، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله ومن يأكل هذا؟! قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه لفي أنهار الجنة ينغمس فيها»[١٠]!!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر، قال رسول الله ﷺ: «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[١١]. واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١- فقال بعض العلماء: ليس عليه استحلاله، وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه واستدل أصحاب هذا الرأي بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس في ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون في المال والبدن.

٢- وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣- وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[١٢].

والذي نرجحه: هو الرأي الثالث القائل بأن على الذي اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث البخاري، فهو يدل على التحليل، وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال تعالى:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[الشورى: ٤٠]

اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال

(١٠) رواه أبو داود

(١١) رواه البخاري ومسلم

(١٢) رواه أحمد، والبخاري.

حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثانى والأول: فنرى أن أصحاب الرأى الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا فليس فى ذلك مظلمة، والحق: أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة يأخذه بالحد حتى يقيمه عليه، وذلك ليس فى البدن ولا فى المال، فهذا دليل على أن الظلم فى العرض والبدن والمال، وأما الرأى الثانى القائل: إنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له، وهذه الأحكام سارية فى سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفاسق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة فى حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، بل إن ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس»[١٣] وإذا كانت واجبات الأخوة فى الدين تقتضى تكريم المؤمن ونفى كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه وتحتم احترام المسلم لأخيه ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه فى نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادىء لتكريم الإنسان المسلم فإن الله تعالى قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل إن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذى يكمل بعضهم بعضا فى إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم فى اللون أو اللغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاظم، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم، وإنما جعل المعيار الحقيقى الذى توزن به منازلهم منحصرا فى شىء واحد هو «تقوى الله»..

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات: ١٣]

❊❊❊

(١٣) رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والطبرانى

من مناهج التربية فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب

٢

إذا كان لكل دعوة كتابها القائد وأسلوبها القاصد ومنهجها السوى فى استقطاب ومعالجة الطبائع البشرية، فإن القرآن الكريم هو كتاب الدعوة الإسلامية وأسلوبها ومنهج حياتها جميعاً، وأروع ما فى هذا القرآن الإلهى المعجز أنه لا يقف فى معالجة الطبائع البشرية عند حافة جامدة لا يتعداها إلى غيرها من مناطق وإنما هو على النقيض من ذلك تماماً.. إنه يتخطى فى محاولاته لاستنقاذ الطبائع الجانحة من أسلوب إلى أسلوب، ومن منهج إلى منهج باذلاً من اكتنازه الذاتى بالعطاء لكل قضية جانحة ما يلائم طبيعة تكوينها البدائى، وطبيعة مسارها الحياتى وطبيعة تشكلها الأخير فى أى من الأنماط، إن ما يوائم قطاعاً من الطبائع البشرية قد لا يوائم قطاعاً آخر، ومن هنا فإن تعدد أساليب الحوار مع شتى أنماط هذه الطبائع يلوح فى نهاية الأمر ضرورة حتمية بما هو حركة على صعيد الواقع المتحرك الحى، وليس ضربة لازب جمدت نفسها على مستوى واحد من مستويات فهمها لتيارات دافقة بلا حدود!!

قد يخاطب القرآن نمطاً من أنماط الطبائع البشرية مرتفقاً فى ذلك نوعاً من الترهيب أو نوعاً من الترغيب، مؤكداً فى قضية هذا الارتفاق قضية حرية الإنسان، لأن نمطاً من أنماط التشريع الإلهى يخاطب البشر واعداً مرة، ومتوعداً أخرى إنما يوحى بالضرورة معنى أنه أعطى الإنسان منذ البدء حرية أن يقول «لا» وحرية أن يقول «نعم» لأن القابض على حريته هو وحده القادر على حركة القبول أو حركة الرفض، وهو وحده بالضرورة، كذلك مناط الوعد أو مناط الوعيد، إن الإنسان فى منطقة انتفاء



حريته القابلة أو الرافضة ليس مناط وعد أو عيد، بما هو صائر بالضرورة إلى حتمية الطوع هكذا كما تكون حركة الانحدار الساذجة من ليل إلى نهار ومن نهار إلى ليل، ولكنه فى منطقة احتيازه لحريته.. أعنى فى منطقة اندفاعه إلى معاقرة الجنوح، أو إمكان ارتفاعه إلى معانقة الصواب، يكون بالضرورة مناط الحدب من الجانب التشريعي، فمرة يلوح له التشريع بفداحة العقاب ومرة يلوح له بالخلود!!

وقد يخاطب القرآن نمطاً من أنماط الطبائع البشرية مرتفقاً فى ذلك أسلوباً بين بين - وهو ما نريد أن نتأمل محاور فلسفته فى هذا اللقاء - وأعنى بذلك الأسلوب أن يبدأ القرآن العظيم من منطلق موضوعي، فهو يعرض القضية فى حيادية من غير تحريض.. كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾

فصلت - ٣٤

وإن كنا نستطيع أن نستشف من خلال هذا السياق فى هذا العرض انحياز المنطق القرآني مع الحسنة وضد السيئة إلا أن هذه الضدية أو المعية جميعاً لا تنفى قضية الحياد فى العرض، لأن منطق طبائع الأشياء يرفض استواء الجانب الأشرق «الحسنة» والجانب الأحلك «السيئة» فإذا جاء المنطق القرآني بتقرير هذا الواقع الموضوعي فإن ذلك لا يطعن فى قضية حياديته، ولا يعطى عرض القضية على هذا المستوى غير معناها الحيادى المتصف الغائر فى طبائع الأشياء!!

ثم يترقى القرآن العظيم فى قضية العرض من مستوى الحيادية الصارمة إلى مستوى التعاطف مع الجانب الأشرق

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت: ٣٤)

لأن القرآن ليس نصاً من النصوص البلاغية الجامدة التى لا يهمها فى حركة التعبير إلا أن تجيء ذروة فى تقنية الحركة وقمة فى إعجاز السياق، ثم لا شيء!! إن هذا المنزع الجمالى البحت يعرى القرآن العظيم من أروع ملامح ذاته الفذة، إنه ليس كتاباً لإثارة النشوة الفنية فى قارىء مسترخ على وسائد الفهم الساذج لحقائق الكون أو حقائق التاريخ، إنه كتاب لإشعال الحرائق فى كل شيء فى الفكر المسطح، والكون اللزج، وطواطم التاريخ منذ البدء وحتى نهاية الرحلة، وبما هو كذلك بالدرجة الأولى فإن همومه الأساسية هى هموم إنسان هذا الكون.

إن شقاء الإنسان الكادح على الأرض بعض من ضرورة التنزيل، ومن هنا فإن تعاطفه الكادح على الجانب الأشرق فى كل شيء، وهو هنا «الحسنة» يبدو منطقاً متوازن الحركة، متساوق الإيقاع، مشدوداً إلى جذور طبيعته كنص إلهى يجيء

لمساندة الخطى الخائرة لإنسان هذا العصر، وما قبل هذا العصر، وما بعد هذا العصر، أعنى إنسان كل العصور!!

ثم يترقى القرآن العظيم فى قضية العرض من مستوى التعاطف مع الجانب الأشرق إلى مستوى تتويج القضية بمحصلة مقدماتها جميعاً

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ٣٤)

وفى هذه المحصلة أو قل هذه النتيجة يتأكد احتواء القرآن فى حركة مده الوجودى على إنسان هذه الأرض، بكل عذاباته الراعفة، وبكل معاناته اليقظى فى رحلة القرار على شاطىء مأمون، إن طرح القضية على مستوى موضوعى منذ لحظة البدء، ثم الانحياز الراشد المسئول إلى جانب القضية الأشرق ثم التهدى من خلال ذلك كله إلى نتيجة واعية، ومنطقية لهذه القضية، إنما كان من أجل شيء ضميمى، وليس من أجل لا شيء.. إن صفاء العلاقة بين الإنسان والإنسان على هذه الأرض، وترشيد حواس البشر فى قضية هذه العلاقة، وتصويب منطق الدفع والمدافعة.. والصداقة والعدائية حتى الحسنة والسيئة، إن كل ذلك وأشياء من وراء ذلك كله إنما هو فى نهاية الأمر بعض مآرب الرحلة القرآنية الخاطفة فى هذه الآية الواحدة المليئة بآلاف الكنوز!!

يبدأ القرآن من خلال هذه الآية.. يعرض القضية على مستوى موضوعى ثم ترقى إلى التعاطف مع جانب القضية الأشرق ثم أعطى ذروة الفعل فى نتيجة القضية وهذا ما قصدت إليه حين قلت فى مطالع هذا اللقاء، إن للقرآن مناهجه الفذة فى معالجة الطبائع البشرية ومواءمة هذه الطبائع بما يتوافق معها من أساليب التربية وأنماط الحوارات!!

هذا وجه القضية فى شكله الموضوعى، أقول هذا خضوعاً لمنطق فهمنا القاصر فى حركة التصدى لما هو بالضرورى أثرى من مناطق العطاء فى أفهامنا جميعاً!! ولكن للقضية وجهها الآخر الذى نستطيع أن نسميه: وجهها التطبيقى..

ففى أى شيء لا تستوى الحسنة ولا السيئة؟!

- وفى أى المواجهات ندفع أو ندافع بالتى هى أحسن؟
- وما القيمة الحقيقية لولاءات العدو حين يستحيل من خلال تعامل ما إلى حميم؟

إن معانقة المنطق الصوابى فى وجه القضية التطبيقى يفضى فى النهاية إلى تكامل المنهج القرآنى فى التربية، أو قل إلى تكامل فهمنا لمنطق المنهج القرآنى فى التربية فذلك أهدى وأصدق.

حقيقى أن صيحة القرآن الكريم

﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾

إنما تعبر عن حقيقة كونية راسخة فلا استواء بين السيئة والحسنة في قيمتها الموضوعية، من حيث كون الحسنة منطقة الخير في الطبيعة ومنطقه العدول في العلائق، ومنطقه الضوء في ظلمات الدروب!! ولا استواء بين الحسنة والسيئة في قيمتها الاجتماعية من حيث كون الحسنة أقدر علي الفعل، وأهدي في الحركة، وأكثر قابلية لمعايشة البشر علي أرض زاخرة بالمتناقضات، ولا استواء بين السيئة والحسنة في قيمتهما الصراعية، من حيث كون الحسنة في نهاية الأمر هي مناط الغلبة، أو مناط الانتصار بما هي منطق الإيجاب في مواجهة منطق السلب، وبما هي شريعة الحب في مواجهة شرائع التدمير.

وحقيقي.. إن صيحة القرآن العظيم:

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت: ٣٤)

إنما تعبر عن فلسفة كونية أرسخ رسوخاً، لأن الدفع هنا ليس مواجهة الشر الكاسح بالخير المسالم كما قد يظن إن دفع الشر بالشر قد يكون مضمون

﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

حين يستحيل الشر إلى قوة هاجمة لا ضمير لها ولا منطق!! في البدء لابد من معالجة الشر بالخير والسيئة بالحسنة، والوبال بمزيد من الكمال فإذا لم يفطن الشر إلى منطق الخير في هذه المدافعة العاقلة انتقى الخير كل أسلحته ورمى بها في صدور الشر من كل اتجاه، وفي كل اتجاه، وليس الدفع بالتي هي أحسن قضية موقف واحد قتالي قد يكون.. إن له محاور غير محدودة يدور في مستوياتها جميعاً فقد يكون الدفع في المجال الخلقي بالتسامح والصفح وقد يكون في المجال النفسي بالتعاطف والحب، وقد يكون في المجال الحياتي بشرف الكلمة وطهارة السلوك، وقد يكون في المجال الإنساني بمزيد من الزمالة والسلام، وقد يكون في المجال الفكري بتأصيل قضية الفهم وتفتيح نوافذ الحوار، وقد يكون في المجال العقائدي بفدائية الحركة وإيمانية الإصرار، إلى آخر ما يمكن أن نؤصل له في هذا المنطلق من منادح الرؤية وآفاق التنظير.

وحقيقي في نهاية الأمر أن صيحة القرآن العظيم

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ق ٣٤)

إنما تعبر عن هموم الدعوة والداعية وتختصر فلسفة موقف القرآن من كادح هذه الأرض «الإنسان»!! إن العداء المخرب لسوء العلاقة الإنسانية هنا قد يكون عداء عقائدياً يجب أن يتحرك المسلم لبتره أو تعديله بما هو مناط الفهم العقائدي الحافز على حركة التواصل وليس على جبرية



الانفصال!! وقد يكون عداءً طبقياً يجب أن يتحرك المسلم لبتره أو تعديله بما هو مناط التعاطف الكوني الذي يدني طبقة من طبقة وإنسان من إنسان، بكل ما خطط الإسلام له إلى ذلك الهدف من طرائق، وبكل ما اشترع له إلى ذلك من وسائل وغايات!!

وقد يكون اجتماعياً دائراً في مستوى الشيء لمن هو؟ وإلى من هو؟ إلى آخر ما يطرح في هذا المجال من أسئلة تافهة القرار، إن وضعية المسلم بما هو مناط التوازن الوضعي في كونه توجب عليه أن يتحرك لبتر هذا العداء أو تعديله، ليس بمجرد مزيد من الشعارات أو مزيد من غلية الرأي، وإنما بإحقاق قضية الحق، وتدمير قناطر الباطل، ليتيح بذلك للجمال الإلهي أن ينقل خطواته على الأرض ناشراً أجنحته على الناس!!

إن ذلك المنهج السوي في فهم صيحات قرآننا العظيم الثلاث:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

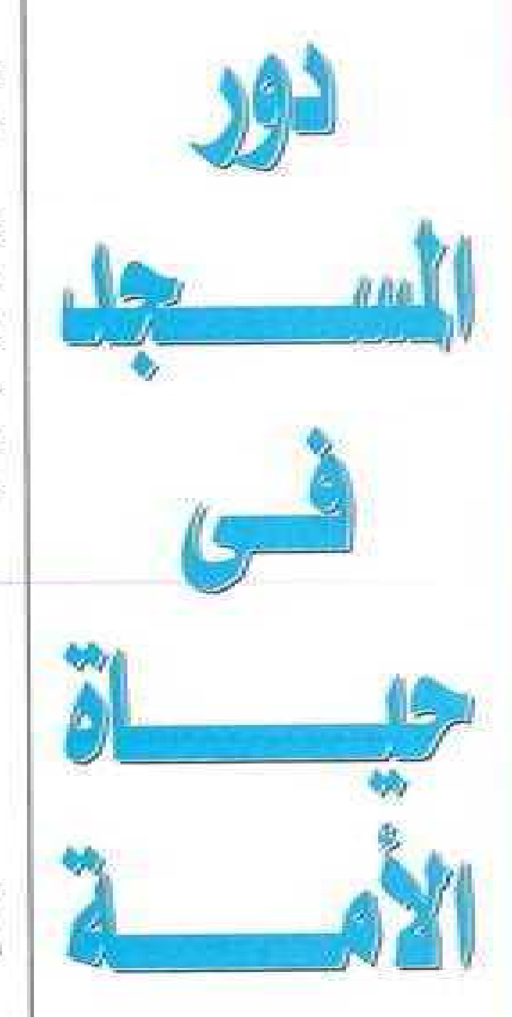
(فصلت: ٣٤)

إنما يعطينا أسلحة انتصارنا الحتمي في كل معارك النضال على كل مستوياته الآنية وغير الآنية، ونستطيع نحن بمزيد من تأمل النص، والحوار الراشد مع منطق الآيات، أن تفجر فيها شلالات بغير حدود من المعاني والقضايا وآفاقاً من الفكر لا تنتهي إلى حدود!!!

وحتى لا نفقد ضوء عيوننا في نهار الألق، فقد يتحتم أن تعود إلى المحاور الصميمية لهذه الرحلة، لنستبين بعضاً من مناهج التربية في القرآن العظيم، أو قل بعضاً من مناهج القرآن العظيم في التربية وهي ربما على وجه مقارب: عرض القضية في موضوعية هادئة وبلا ضجيج.. ثم الانحياز الفاهم إلى الجانب الأشرق من هذه القضية ثم تجلية الغائية التي يمكن أن تحتازها في نهاية الرحلة.

والقرآن العظيم في كل أولئك جميعاً لا يعطي للقضية وجهها الأكاديمي أو الميتافيزيقي وحده، وإنما هو يؤكد على طول المسار حتمية انتماء الشعار للواقع، وحتمية انتماء كل القضايا إلى وجودية الإنسان، ولعل هذا المنطلق المزاوج بالضرورة بين الشعار والواقع وبين حركة الفكر وحركة الساعد، وبين تراب هذه الأرض وضوء المصابيح في السماء، لعل هذا المنطلق هو ما يميز الإسلام في معترك الشرائع، وهو ما يعطيه إمكانية أن يحيا على الأرض، فاعلاً أبداً قائداً دائماً، قابلاً للعطاء هكذا بلا جمود!!

فليكن قرآننا العظيم محور الحركة في وجودنا الحي وليكن فهمنا نافذة مفتوحة على كل المنادح ولنكن نحن طلائع الزحف المقدس، إلى تخوم رائعة بلا تخوم!!!



﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾

للدكتور/ حمدى فتوح والى

إن المسجد فى حياة الدعوات يمثل المنطلق الأول الذى لا يمكن تجاوزه أو الاستغناء عنه. إلا إذا أمكن للإنسان أن يستغنى عن عقله. أو أن ينطلق بعيداً عن روحه ونفسه.

وهذا يفسر لنا سر عناية الرسول «ﷺ» ببناء المسجد فى أول أيام وصوله إلى المدينة ليقينه «ﷺ» بأن المنطلق الأول الذى تشحن فيه النفوس وتغسل فيه العقول. وتملأ من فيضه القلوب، وتنهل من معينه الأرواح، إنما هو المسجد حيث يذكر اسم الله ويتلى كتابه، وحيث تربط القلوب بخالقها وتتعلق بفاطرها وتستمد رؤيتها لتنفيذ برنامج الحياة من نور سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

وإذا كانت الأمم تبنى على سواعد الرجال، فإن الرجولة لابد أن تبنى فى محاضن الوحى، ومصانع الرجال، وهى المساجد:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(النور: ٣٦، ٣٧)



أقدس رسالة

ومن يتأمل فى الآية الكريمة يلاحظ أن الفئة التى اختارها الله سبحانه وتعالى لرفع بيوته وتشريفها بدوام ذكر الله فيها هى فئة الرجال الذين واصلوا التسبيح لربهم بالغدو والآصال مدركين أن مهمة عمارة المساجد، ورفع ذكر الله، وتعليم الأمة لحق ربها هى أقدس رسالة شهدتها الأرض فلا يعدلوا بها عملاً آخر أو مهمة أخرى إنهم..

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(النور: ٣٧)

إن النفس التى سقيت بالوحى. ومزجت بنور الآيات وجبلت على حب الخير. وشرحت صدراً بنور الله. هى وحدها القادرة على حمل أمانة الله فى الأرض. وإحسان السير بها بين الناس. رغبة فى رضا الله وسعياً إلى ثوابه ورضوانه.

إنها نفوس تطهرت من سلطان الشهوة. وعقول تحررت من سلطان الخرافة. وقلوب ارتفعت فوق سلطان الطغاة وخلصت بكيانها كله لله رب العالمين:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

تطهروا من ثقلة الجسد، وكدرة النفس، والميل مع الهوى واستقاموا لله رب العالمين.

الصلاة معراج روحى

ومع المسجد وفى رحاب الله تؤدى الصلاة. والصلاة معراج روحى تأخذ بقلوب المؤمنين وأرواحهم إلى رحاب المولى سبحانه وتعالى، وهل يليق بمقام الله والإقبال عليه أن يقوم عليه أحد وهو يحمل شيئاً من القذر أو الكدر؟! إن الجو كله جو طهر ونقاء وصفاء، فلابد لمن تهيأ للوقوف بين يدى ربه أن يستكمل أسباب الطهارة كلها، طهارة الظاهر من الثوب والبدن والمكان، وطهارة الباطن من الحقد والحسد والبغضاء وحتى لا ينسى أحد أو يتساهل فيدخل إلى المسجد بثياب قذرة أو رائحة غير طيبة، أو بهيئة شعثة وهى حالة لا يليق أن يدخل بها إنسان على إنسان مثله فكيف يسمح لنفسه أن يستفتح باب الجليل سبحانه وهو بهذه الهيئة وعلى هذه الحال. إن الحس الرقيق. والذوق الرفيع، والفطرة السليمة النقية تأبى أشد الإباء أن تلج إلى مقام الطهر بغير طهور. لكن إذا غلظ الحس. وغاب الذوق، وانتكست الفطرة، فاحتاج ابن آدم إلى تذكير وبيان فإن المولى – تبارك وتعالى – يذكرنا فى نداء قاطع وبيان حاسم بقوله:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾

(الأعراف: ٣١)

ثمرة العبادة

وإذا اجتمع للمساجد طهارة المكان بحسن الفرش وجميل الرياش وتجديد الهواء واجتمع

لروادها طهارة الظاهر ونقاء الباطن، وفاحت من روادها روائح العطر وعبقت في جوانبها نسمات الطهر. وجدت للقلب نشوة، وللصدر انشراحاً. وللنفس انجذاباً إلى جمال الذات الإلهية. فتثمر العبادة ثمرتها وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

ولك أن تتصور حاكماً قد تعلق قلبه بالمسجد فهو منطلق منه، منجذب إليه، يشعر نحو المسجد بحنين يربطه به ويشده إليه. فهو دائم الخشية من ربه، شديد الحياء منه يشعر دائماً أنه المخاطب بقوله:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

(المائدة: ٤٩)

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾

(الصافات: ٢٤)

إنه في المسجد قد استمع إلى قول المصطفى ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»[1].

وتفتحت عينه على أدب المراقبة للخالق سبحانه وتعالى، واستوعب في المسجد قول نبيه «ﷺ» عن أنس عن النبي «ﷺ»: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه»[2].

الأمانة موضع مساءلة

وأيضاً عن عبدالله بن عُمر يقول سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ـ قال وحسبت أن قد قال ـ والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته»[3].

وامتلأ قلبه يقيناً بقول رسول الله «ﷺ» عن أبي هريرة عن النبي «ﷺ» قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[4].

وامتزج بإحساسه قول الحق سبحانه:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(المائدة: ٤٩، ٥٠)

إن قلباً له هذا اليقين وضميراً له هذا الحضور، ووجداناً له تلك المراقبة العميقة جدير أن يلتمس سبل الهرب من تلك الأمانة التي تجعله في موضع مساءلة عن كل من استرعاه الله عليه، فهو مسئول عن الجائع حتى يشبع، والعاري حتى يستر، وعن المظلوم حتى يرفع الظلم عنه. كما إن الحاكم الذي تعلق بالمسجد فأدام الوقوف بين يدي خالقه يسأله العون والتسديد والرشاد،، جدير بأن يعان في مهمته وأن يوفق في أداء رسالته. وأن ينال حب رعيته، وإن استقام أعانوه وإن اعوج قوموه فهو منهم بمنزلة الوالد من ولده.

إن تنصروا الله ينصركم

ولك أن تتصور جنود جيش تلك حالهم وهذه سماتهم معية دائمة، وانجذاب حميم، وتعلق كريم بجلال المولى العظيم، كيف يكون موقفهم إذا لقوا عدو الله وعدوهم؟ وهم ما خرجوا إلا غيرة على مقام الخالق العظيم سبحانه. أمام أناس تمردوا على خالقهم، وأنكروا نعمته، وكرهوا شريعته وشاقوا رسله، وعصوا أمره؟

كيف لا يعدون العدة وهم المخاطبون في المسجد بقوله سبحانه:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

وكيف لا يقاتلون وهم يدعون من خالقهم بقوله:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

(التوبة: ٢٩)

وكيف يترددون والله يستحثهم على القتال ويشحذ همتهم ببيان جرائم المجرمين التي اقتضت استئصالهم عن الأرض بقوله:

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة: ١٣)

وكيف يخافون وهم المبشرون من خالقهم سبحانه وتعالى بالنصر والتأمين إذا هم نصروا الله وقاموا في سبيله، بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد: ٧)

وكيف لا تثبت الأقدام وهم المخاطبون بقول ربهم سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٥، ٤٦)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (١٨٢٦)، والبيهقي، كتاب السير (١٨٣٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الجهاد (١٨٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة (٨٩٣) أطرافه ٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥١٨٨، ٥٢٠٠، ٧١٣٨ ـ تحفة ٦٩٨٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان (٦٦٠) أطرافه ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦ ـ تحفة ١٢٢٦٤.



الفئة المؤمنة

إن ثبات أبناء المساجد في فلسطين أمر لم يدهشنا، وانتصارهم على اليهود وإجبارهم على الانسحاب الذليل المهين لم يفاجئنا لأنهم موعودون بالنصر من جبار السموات والأرض عندما تعهد بالنصر لأوليائه بقوله:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر: ٥١)

وبقوله سبحانه:

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات: ١٧٣)

إن الفئة المؤمنة التي أعلى الله قدرها. ورفع شأنها. وأوقع في قلوب الكافرين هيبتهم لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا لأنها بدأت انتفاضتها من المساجد وألقت بياناتها العسكرية من فوق المنابر وأعلنت تعبئتها وخططها من فوق المآذن. إنهم انطلقوا إلى لقاء الأعداء وهم واثقون من وعد ربهم القائل:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم: ٤٧)

ألم أقل لكم إن المساجد هي مصانع الرجال؟!

ولك أن تتصور موظفاً يخرج إلى عمله وقد شحن بقول نبيه «ﷺ»: (لأن يمشي أحدكم في حاجة أخيه حتى يقضيها خير له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهر)[٥] وقوله: «ﷺ» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»[٦].

وقوله «ﷺ»: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[٧] أكنت ترى هذا الموظف يتأخر عن عمله تضييعاً لوقته أو تعطيلاً لمصالح الناس. أو تفنناً في إرهاقهم وإعناتهم بكثرة التسويف والمماطلة، سعياً منه إلى إلجائهم. لدفع رشوة حتى تسهل الأمور وتقضى المصلحة، إن القلب المعلق بالله لن يحتاج إلى قائمة من الأوامر والنواهي، وطابور من المسئولين لكي يحملوه على إتقان عمله. لأن وازعه الإيماني وضميره الرباني، وعمق يقينه بخالقه يحفزه على الإتقان والإحسان لا لشيء، إلا لأنه يعلم أن الله يراه، وسيكافئه أو يحاسبه على ما قدمت يداه، ويؤمن عن يقين بقول ربه سبحانه:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة: ٧، ٨)

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٤/٢٦٩، ٢٧٠.

(٦) رواه ابن ماجة في المقدمة (٢٤٢).

(٧) مجمع الزوائد للهيثمي جـ٤ ص٩٨.

إن المسجد في شريعة الإسلام ليس مجرد مكان للعبادة أو أداء الصلوات فإن الصلاة والعبادة تؤدى في كل زمان وفي أي مكان. لكن المسجد في شريعة الإسلام هو رمز التقاء السماء بالأرض واستعلاء الروح على الجسد واستمرار المدد الإلهي والشحن الرباني. حتى يظل المؤمن على مسار حياته موصولاً بربه مرتبطاً بخالقه فلا يضل ولا يشقى.

عندما تتعلق القلوب بالمساجد

ولك أن تتصور جامعات مصر وما تضمه كل جامعة من كليات وقد استكملت كل جوانب المعرفة الإنسانية، وقد انتصب في صدر كل كلية مسجد يتسع لأبناء تلك المؤسسة جميعاً ويقوم على أمر هذا المسجد أعظم الأساتذة علماً، وأكثرهم خشية وأشدهم غيرة على دين الله سبحانه وتعالى أكنت ترى حالة التفسخ الأخلاقي والخواء الروحي، والقلق النفسي، والاختلاط الماجن، والسلوك الشائن، الذي يدع الحليم حيراناً وهل لو فُعّل دور المسجد واحتل في اهتمامات المسئولين المرتبة الأولى خدمة وتأهيلاً ورعاية كما ينبغي أن يكون فتوقفت المحاضرات والدروس عند أداء الصلاة، أكنت ترى حالات الزواج العرفي والمخادنة المحرمة وما ينتج عن ذلك من حالات الأبناء غير الشرعيين الذين ضاقت بهم أروقة المحاكم واضطرت الدولة أن تخص تلك الأحوال الشاذة الماجنة بمحاكم أسمتها محاكم الأسرة.

أو لست معي في أن القلوب التي تتعلق بالمسجد وتنتظم في صفوف الصلاة في خشوع ووقار صادق هي قلوب تستعصي على وساوس الشيطان؛ ومفاسد الاختلاط وإغراءات المجرمين والمجرمات ويومها سنرى كيف تهدأ الأعصاب، وتستقر المشاعر، وتطهر الضمائر، وتتفرغ العقول والقلوب لطلب العلم وخدمة الأمة، وتوفر على أولياء الأمور ما ينفقه الأبناء على سباق المظاهر والتقليد والموضة ومسايرة أحدث التقاليع في الملابس وقصة الشعر ونوع المحمول؟

أو لست معي أيضاً في أن المسئولية الوطنية تستوجب على أولياء الأمور أن يحملوا الأمة على التدين حملاً، وينفقوا في سبيل ذلك أقصى ما يستطيعون من ميزانية لكي يوفروا عليها مئات الآلاف من المليارات التي تهدر بسبب الجهل بالدين والتجرؤ على المخالفات والمسارعة إلى ممارسة الإجرام بصوره المختلفة: جرائم العرض، والنفس والمال، فضلاً عن جرائم السكر والمخدرات والقمار.

ولك أن تتصور مقدار ما تتحمله الدولة من نفقات بسبب هذه الجرائم التي ما كانت لتصدر عن قلب مؤمن وضمير يقظ ونفس خاشعة. ووجدان متعلق بالله مرتبط به عقب كل صلاة فإلى ذلك فليتنبه الغافلون.

من أمثال القرآن الكريم

مثل العنكبوت

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

يقول الله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٤١]

المقصود من الآية الكريمة أن الناس قد تخدعهم قوة الملحدين فى آيات الله سبحانه: فيعجبون بتفوقهم فى مجالات العلم، والمال والقوة، والسلطان.. وربما سوّل لهم ذلك أن يتهافتوا عليهم: رغبا أو رهبا..

ومن هؤلاء الناس: الدعاة، والذين يرون من تسلط أعدائهم ما يلقى فى قلوبهم الخوف منهم..

والآية الكريمة تضرب هذا المثل الذى يصور إلى أى حد كانت هذه القوى المزعومة هباء إلى جانب قوة الله عز وجل وليس هناك إلا حماية الله. وإلا حماه. وإلا ركنه القوى الركين: هذه الحقيقة الضخمة هى التى عنى القرآن بتقريرها فى نفوس الفئة المؤمنة فكانت بها أقوى من جميع القوى التى وقفت فى طريقها. وداست بها على كبرياء الجبابرة فى الأرض، ودقت بها المعاقل والحصون.

لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة فى كل نفس، وعمرت كل قلب، واختلطت بالدم.. وجرت معه فى العروق..

ولم تعد كلمة تقال باللسان. ولا قضية تحتاج إلى جدل. بل بدهية مستقرة فى النفس: لا يجول غيرها فى حس ولا خيال قوة الله وحدها هى القوة.. وولاية الله وحدها هى الولاية.. وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال، ومهما تجبر وطغى ا. هـ.

كما أن من اتخذ الأوثان أولياء: لم ينفعه فى الدارين معبوده. ولم يدفع عنه العذاب ركوعه وسجوده، وهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء هم أشولة الدنيا وعجيبتها.. وذلك من خلال تصرفهم:

ذلك بأن دعاء غير الله يعنى: مخالفة لقويم العقل. وصريح النقل. وسليم الفطرة. وصحيح الفكرة..

وتدريب على الجلافة. وتطبّع فى الكثافة، كيف لا.. وقد تكلف ما ليس مركوزا فى طبعه:

إنه سباحة ضد تيار العقل والنقل وتجاهل لنداء الفطرة التجهة أساسا إلى خالقها عز وجل: وإلى أية جهة اتجهوا: إلى من هو من دون الله، أى أنهم تكلفوا: اتخذوا له شريكا وثنا: عوضا عمن لا تكيفه الأوهام والظنون، اتخذوه وليا ينصرهم.. فيالها من صفقة خاسرة. وتجارة بائرة ومثلهم كمثل العنكبوت:

اتخذت بيتا يحميها.. فكان مع التكلف والتعب فى غاية الوهن بعدما عانت العنكبوت فى حوكه ما عانت.. وقاست فى نسجه ما قاست، لأنه لا يكنّ من حرّ. ولا يصون من برد. ولا يحصّن عن طالب، وكذلك ما اتخذوه من الأوثان: فهو أوهن الأديان] أ. هـ.

ولو كان لهم نوع ما من العلم لانتفعوا به.. فعلموا أن هذا مثلهم.. ولكن الذى عندهم هو فقط «المكابرة».. ولذا أكد سبحانه لهم القضية بإنّ شاهدة بأن بيت العنكبوت ليس فقط ضعيفا.. ولكنه واهن.

مظاهر الوهن فى بيت العنكبوت

- إنه «بيت» منكر..
- وبعد أن يلقح الذكر الأنثى تأكله.. فى نفس الوقت الذى يأكل الصغار بعضهم بعضا.
- ولا يعيش بيتها إلا ليلة واحدة
- تجعل منه.. شركاً تصطاد به ما هو أكبر منها وهو «الذباب» وليس بيتا



للراحة.

● لا تبنيه إلا فى الظلام. لاعتمادها على حاسة اللمس.

● بينما يذهب إليها «الذكر» طربا.. تلتهمه ولا يستطيع منها هربا.

● إناث العنكبوت أكبر من الذكور حجما.. وهى التى تتحكم فى مصير البيت، والتى تظل مرهقة فى هذا الجو المشحون بالتعب. والخلل وهو مثل من اتخذوا من دون الله أولياء من الكافرين، أعطاهم الله العقل.. كما أعطى العنكبوت خيوطا فى منتهى القوة ولكن كلا الطرفين لم يستثمر هذه القوة فى اتخاذ القرار السليم..

فأى بيت أوهن من هذا البيت؟ وأى قوم أضعف ممن اتخذ غير الله وليا؟!

ولم تقل الآية «شركاء» ولكنها تقول «أولياء»:

ليشمل ذلك كل من اعتمد على غير الله.. وإن كان مسلما.. بمعنى: أن كل طمع فى جلب نفع أو دفع ضر.. من غير الله تعالى.. فهى محاولة عابثة لا فائدة فيها. ولا جدوى منها وفى بيان ذلك يقول الرازى:

● أولاً: ينبغى أن يكون للبيت أمور: حائط حائل. وسقف مظل.. وباب يغلق. وأمور يرتفق بها وينتفع، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين:

● إما حائط حائل يمنع من البرد. وإما سقف مظل يدفع عنه الحر فإن لم يحصل منهما شىء.. فهو كالبيداء: ليس ببيت.

لكن بيت العنكبوت: لا يُجنها. ولا يكنها.

وكذلك المعبود: ينبغى أن يكون منه الخلق والرزق. وجر المنافع. وبه دفع المضار. فإن لم تجتمع هذه الأمور.. فلا أقل من دفع ضر أو جر نفع:

فإن من لا يكون كذلك.. فهو والمعدوم بالنسبة إليه سواء:

فإذن.. كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معانى البيت شىء.. كذلك الكافر: لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معانى الأولياء شىء.

● ثانيا: أقل درجات البيت أن يكون للظل:

فإن البيت من الحجر، يفيد الاستظلال. ويدفع أيضا الهواء والماء. والنار والتراب والبيت من الخشب: يفيد الاستظلال. ويدفع الحر والبرد. ولا يدفع الهواء القوى. ولا الماء. ولا النار.

والخباء: الذى هو بيت من الشعر أو الخيمة التى هى من ثوب: إن كان لا يدفع شيئاً: يُظل. ويدفع حر الشمس.

لكن بيت العنكبوت لا يُظل: فإن الشمس بشعاعها تنفذ فيه فكذلك المعبود: أعلى درجاته: أن يكون نافذ الأمر فى الغير فإن لم يكن كذلك.. فيكون نافذ الأمر فى العابد فإن لم يكن.. فلا أقل من ألا ينفذ أمر العابد فيه لكن معبودهم تحت تسخيرهم: إن أرادوا أجلوه. وإن أحبوا أذلوه.

● ثالثا: أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق: لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت: فإن العنكبوت لو دام فى زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها..

فإذا نسج على نفسه. واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك- الدار- بتنظيف البيت منه. والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت.

فكذلك العابد: بسبب العبادة ينبغى أن يستحق الثواب.. فإن لم يستحقه.. فلا أقل من أن لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب أ.هـ.

ثم يستطرد الرازى فيزيد وجه الشبه وضوحا فيقول:

مثل الله اتخاذهم الأوثان أولياء.. باتخاذ العنكبوت نسجه بيتا.. ولم يمثله بنسجه. وذلك لوجهين:

- أحدهما: أن نسجه فيه فائدة له: لولاه ما حصل وهو: اصطيادها الذباب به من غير أن يفوته ما هو أعظم منه.

● واتخاذهم الأوثان.. وإن كان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا.. لكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو: الدار الآخرة. التى هى خير وأبقى] أ. هـ

وهكذا تبدو العنكبوت: اتخذت بيتا: لا يجير آويا. ولا يريح ثاويا.

إن سيادة البيت إلى الأنثى.. والتى تلتهم الذكر.. وبعد عملية التلقيح؟ فكيف يكون قرار؟!!

والنتيجة

أن العيب فى أنفس المعاندين.. وليس فى «المثل»

هؤلاء المعاندون الذين كانوا على ما يقول الشاعر:

كضرائر الحسناء: قلن لوجهها

حسداً وبغضا: إنه لدميم!!

***

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

من أقوال الشعراء فى القناعة

والنفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت ... فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

وقال آخر:

قدم لنفسك فى الحياة تزودا ... فلقد تفارقها وأنت مودع
واجعل تزودك المخافة والتقى ... فلعل حتفك فى مسائك أسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى ... والفقر مقرون بمن لا يقنع

وقال آخر:

ولا ترج السماحة من بخيل ... فما فى النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى ... وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواء



قال بعض الحكماء

الظلم على ثلاثة أوجه، ظلم لا يغفره الله، وظلم لا يتركه الله، وظلم لا يعبأ الله به شيئاً.

فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله.

وأما الظلم الذى لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا.

وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله - تعالى.

لأغمن من أمرك بهذا

كان لبعض النساك شاة، فرآها على ثلاث قوائم، فقال من فعل هذا بها؟

فقال غلامه: أنا فعلته.

قال: ولم؟ قال: لأغمك بها.

فقال: لأغمن من أمرك بهذا، اذهب فأنت حر.

ثم جعل من بعد قوة ضعفا

مر الحجاج على رجل كبير السن من الأعراب، فقال له: كيف حالك؟

قال الأعرابى: إن أكلت ثقلت، وإن تركت ضعفت.

فقال: كيف نومك؟ قال: أنام فى المجمع، وأسهر فى المضجع.

فقال: كيف قيامك وقعودك؟

قال: إن قعدت تباعدت عنى الأرض، وإذا قمت لزمتنى.

فقال: كيف مشيك؟

قال: تعقلنى الشعرة، وتعثرنى البعرة.

الحلم عند القدرة

قال حكيم: الكريم أوسع ما يكون مغفرة، إذا ضاقت بالمسيء المعذرة. قال شاعر فى هذا المعنى:

إذا اعتذر المسيء إليك يوما ... من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه ... فإن العفو شيمة كل حر

وقال غيره وقد أبدى وجها صحيحا لقبول المعذرة، وهو الوجه الذى يتناساه كثير من الناس ويعجزون عن الانتصاف من خصومهم، فيجلون على أنفسهم القصور والتقصير معا، قال:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقال أديب: ما أذنب من اعتذر، ولا أساء من استغفر.

وقال محمد بن شيرذاذ: الأصاغر يهفون، والأكابر يعفون.



وكتب بعضهم إلى رئيس يعتذر إليه:

اغفر زلتي لتحرز فضلي
واعف عني ولا يفوتك أجري
لا تكلني إلى التوسل بالعذر
ولعلي أن لا أقوم بعذري

وقال حكيم: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فما كل من أسمعته نكرا، يطيق أن توسعه منك عذرا.

أحببت أن أذيقك طعم الظلم

روى أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب، فعلمه حتى فاق العلوم، فضربه المعلم يوماً من غير ذنب فأوجعه، فحقد أنوشروان عليه، فلما ولي الملك قال له: ما حملك على ما صنعت من ضربي يوم كذا وكذا ظلما؟ قال: لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم حتى لاتظلم. فقال أنوشروان: زه، وهي كلمة تدل على الإعجاب، إذا قالها الملك لأحد أعطى ألف دينار جائزة.

يا شعراء العصر

يا شعراء العصر لا تمدحوا
شخصا ولو أنكم معسرون
فالله رب العرش سبحانه
يرزقكم من حيث لا تشعرون

هات المصحف وخذي الثوب

روى أن معروفاً الكرخي نزل دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفته، فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف، وقال: يا أختي أنا معروف لا بأس عليك، ألك ابن يقرأ؟ قالت: لا قال: فزوج، قالت: لا، قال: فهات المصحف وخذي الثوب.

إلى بيتنا يذهبون

قال عثمان بن دراج الطفيلي، مرت بنا جنازة يوماً ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكي، وتقول: الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه، ولا غطاء ولا وطاء، ولا خبز ولا ماء، فقال ابني: يا أبتي إلى بيتنا والله يذهبون.

دعاء

يارب لا تجعل قدمي تزل في الطريق إليك ولا قلبي يضل في التطلع إليك، أنت العون الذي أبتغيه، والخير الذي أتمناه في الدنيا والآخرة.



الكذب من علامات المنافقين

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

حرص الإسلام على أن يبنى المجتمع الإسلامى على أسس سليمة، وعلى مبادىء قويمة، وعلى أخلاق فاضلة، وعلى علاقات بين الناس واضحة جلية، مبنية على الصدق، قائمة على الحق، لذلك طلب الإسلام من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقاً، ولا يعملوا إلا حقاً، ولا يشهدوا إلا حقاً.

ومن هنا كان الاستمساك بالصدق فى كل شأن من شئون الحياة، وتحريه فى كل قول أو عمل فى المعاملات بين الناس، والمصير إليه فى كل حكم.. دعامة قوية فى خلق المسلم، وصيغة ثابتة فى سلوكه، ومبادىء مهيمنة على كل تصرفاته... ولذلك عز المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام، وعاش أفراده فى أمن وأمان، واستقرت حياتهم فى مودة ورخاء، لأنهم كانوا يستظلون بمظلة الحق والصدق، يتلاقون على الفضائل، ويتعاونون على الشمائل، ويتواصون بالحق، ويشهدون بالصدق فإذا أساء أحد السيرة، وانحرف عن الجادة، وحاول أن ينفرد بمسلك خاطىء بعيد عن الحق والصدق والصواب، بدا بعمله هذا كالأجرب بين الأصحاء، فلا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته ويشفى من مرضه.

وكانت المعالم الأولى للجماعة الإسلامية صدق الحديث، وضبط الكلام والتمسك بالحق قولاً وعملاً، وشهادة الحق سراً وعلانية.. أما الكذب وقول الزور، والتدليس والافتراء، وكتمان الشهادة وخيانة الأمانة، فهى إمارات

النفاق، وعلامات انقطاع الصلة بالدين.

والإسلام لاحترامه الشديد للحق، ولتمسكه الصلب بالصدق، طارد الكذابين، وشدد عليهم بالنكير، ونعتهم بأخس الصفات، وشدد عليهم العقاب..

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها قالت: «ما كان خلق أبغض إلى رسول الله «ﷺ» من الكذب، ولقد كان الرجل يحدث عند النبى «ﷺ» بالكذبة، فما يزال فى نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة»(١)

فكان أبغض شىء إلى النبى «ﷺ» الكذب فى اليمين، لأنه تضليل واستخفاف باسم الله تعالى.

والكذب رذيلة من أخس الرذائل وأفحشها سوءا، لأنها تنبىء عن تغلغل الفساد والسوء فى نفس صاحبها، وعن سلوك ينشىء الشر فى المجتمع إنشاء، ويهدم الفضائل والأخلاق هدماً، ويدفع إلى ارتكاب الإثم والمنكر.. ولذا نجد سيدنا رسول الله «ﷺ» ينفى الإيمان عن الكذاب، ويبعده عن الدين. فقد سئل «ﷺ»: «أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا»(٢).

ومع أن الجبن والبخل صفتان مذمومتان، ينفر منهما أصحاب النفوس الكريمة، ويتبرأ منهما أصحاب الهمم العالية.. مع ذلك لم يخرج سيدنا رسول الله «ﷺ» من يتصف بهما أو بأحدهما من دائرة الإيمان، وإنما أخرج الكذاب، وهذا لا يعنى أبداً تهوين الجبن، أو تسويغ البخل، كيف ذلك؟ ومنع الزكاة وترك الجهاد بابان إلى الكفر!! وإنما القصد تجسيم جريمة الكذب، وبيان ضررها على الناس وعلى المجتمع، كما قال رسول الله «ﷺ»: يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»(٣)، ويقول الله ـ تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

(آية ١٠٥ سورة النحل)

أى: أن افتراء الكذب واختلاقه واختراعه لا يصدر عن المؤمنين، وفى هذا دلالة على أن الكذب من أكبر الكبائر، وأفحش الفواحش.

وكلما اتسع نطاق الضرر على الناس وعلى المجتمع إثر كذبة يشيعها أفاك أثيم، ويعلنها كذاب أشر، كان الوزر

(١) رواه الترمذى.
(٢) رواه مالك.
(٣) رواه أحمد.

عند الله أعظم، والعقاب عند الله أشد. كما قال سيدنا رسول الله «ﷺ» لاتساع نطاق ضرر كذبهم، وسوء عاقبة فعلهم، وعمق الجراح، وشدة الأذى الذى يلحق بالمتضرر من هذا الكذب... وفى الحديث الشريف: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزانى، والإمام الكذاب، والعائل المزهو»(٤)

فقد حرم رسول الله «ﷺ» الجنة على الإمام الكذاب أياً كان موقعه..

ولعظم جريمة الكذب، وسوء آثارها جعل رسول الله «ﷺ» الكذب علامة من علامات المنافق، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى «ﷺ» قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» وزاد فى رواية: «وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم»، وعن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله «ﷺ»: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»(٥).

فإذا عرفنا ما ينتظر المنافق من عذاب فى آخرته، والمصير الشنيع الذى سيؤول إليه يوم القيامة، أدركنا خطورة الكذب، وشناعة جرمه.. يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

(آية ١٤٥ سورة النساء)

أى: إن المنافقين فى الطبقة السفلى من طبقات النار، وسميت طبقات النار دركات لكونها متتابعة بعضها تحت بعض باعتبار النزول، وسميت طبقات الجنة درجات لكونها متتابعة بعضها فوق بعض باعتبار الصعود... فهؤلاء المنافقين سيكونون يوم القيامة فى الطبقة السفلى من النار، ولن تجد لهم نصيراً ينصرهم من عذاب الله، أو يدفع عنهم عقابه.

قال الألوسى ـ رحمه الله ـ: والنار لها طبقات سبع: تسمى الأولى كما قيل: جهنم، والثانية: لظى، والثالثة: الحطمة، والرابعة: السعير، والخامسة: سقر، والسادسة: الجحيم، والسابعة: الهاوية. وقد تسمى النار جميعاً باسم الطبقة الأولى، وبعض الطبقات باسم بعض لأن لفظ النار يجمعها(٦).

وإنما كان للمنافقين هذا العذاب الشديد، لأنهم جمعوا بسوء طباعهم

(٤) رواه مالك.
(٥) رواهما الأربعة.
(٦) تفسير الألوسى جـ٥ ص١٧٧.

وفساد أخلاقهم بين الاستهزاء بالإسلام الذى يزعمون أنهم يؤمنون به، وبين الفسق والتضليل، وبين الكذب والخداع، وبين إشاعة الفاحشة فى صفوف المسلمين، إلى غير ذلك من قبائحهم المتنوعة التى تشيع الفساد فى المجتمع، وتلحق الأضرار الجسيمة لأفراده.

والحيف فى الشهادة من أشنع الكذب وأرذله، فالمسلم الصادق لايبالى - إذا قام بشهادة ما - أن يقرر الحق، وأن يقول الصدق ولو على نفسه، أو على أقرب الناس منه وأحبهم إليه، لا تميل به قرابة ولا عصبية، ولا تزيغه رغبة أو رهبة، ولا يمنعه أذى قد يلحقه.. لأن عقاب الله أشد وأعظم.

وتزكية المرشحين لمناصب عامة فى الدولة نوع من الشهادة، فمن زكى أو انتخب عديم الكفاية، قليل الخبرة، عديم الأمانة، فاقد الشرف، فقد كذب وزور، ولم يقم بالقسط، والله - تبارك وتعالى - يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(آية ١٣٥ سورة النساء)

نداء من الله - سبحانه - إلى المؤمنين يأمرهم فيه بالتمسك بفضيلة العدل، وشهادة الصدق فى جميع الأحوال والظروف، أى: يا أيها الذين آمنوا كونوا مواظبين على إقامة العدل فيما بينكم فى جميع الظروف والأحوال دون أن يصرفكم عن ذلك صارف، وكونوا مقيمين للشهادة بالحق ابتغاء وجه الله، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، ولا لمطمع من المطامع الشخصية، حتى ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا بأن الحق عليها إذا كان واقع الأمر كذلك... ولو كانت - أيضاً - على والديكم أو على أقرب الناس إليكم... ولا يمنعكم من شهادة الحق أن يكون المشهود عليه غنياً يرجى فى العادة ويخشى، أو فقيراً يترحم عليه فى الغالب ولا يخشى، لأن الله - تعالى - هو الأولى والأجدر بقول الحق، فلا يصح أن يكون الغنى أو الفقير سبباً فى ترك العدل فى شئونكم، بل الزموا العدل على أى حال.

وإن تلووا ألسنتكم عن الشهادة بالحق، بأن تحرفوها وتقيموها على غير وجهها أو تعرضوا عنها رأساً وتتركوها، يعاقبكم الله عقاباً شديداً، فإنه - سبحانه عليم بدقائق الأشياء، خبير بخفايا النفوس، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه. أو وإن تلووا الشهادة

فتباشروها على وجهها يعطكم الله أجراً حسناً، وإن تعرضوا عنها وتتركوها يعاقبكم الله عقاباً أليماً، فإن الله - تعالى - خبير بكل أقوالكم وأعمالكم.

عن أبى بكرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله «ﷺ»: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً - قلنا: بلى، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس - وكان متكئاً فجلس - وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(٧).

إن التزوير كذب كثيف الظلمات، إنه لا يكتم الحق فحسب، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل، وخطره على الأفراد فى القضايا الخاصة، وخطره على الأمم فى القضايا العامة شديد مبيد، ومن ثم خوف الرسول صلى الله عليه وسلم منه على هذا النحو الصارخ.

ولأجل تربية النشء على رفض الكذب، وتقبيح الاتصاف به، نجد أن الإسلام يوصى بأن تغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم كلها، فعن عبدالله بن عامر - رضى الله عنهما - قال: دعتنى أمى يوماً ورسول الله «ﷺ» قاعد فى بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها «ﷺ»: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»(٨) وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله «ﷺ» قال: «من قال لصبى: تعال، هاك.. ثم لم يعطه فهى كذبة»(٩).

فانظر كيف يعلم الرسول ﷺ الأمهات والآباء أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق، ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور، وحسبها من التوافه الهينة خشى أن يكبر الأطفال، وهم يعتبرون الكذب ذنباً صغيراً، وهو عند الله عظيم.

وهكذا نرى أن الإسلام يبنى المجتمع الإسلامى على أقوى القواعد، وعلى أمتن الأسس، وعلى أشرف المبادىء، إنه يبنيه على قواعد العدل والقسط، ويأمر المؤمنين أن يلتزموا كلمة الحق مع أنفسهم ومع أقرب الأقربين إليهم مهما تكلفوا فى ذلك من جهاد.

***

(٧) رواه البخارى.
(٨) رواه مسلم.
(٩) رواه أحمد.

التربية الإسلامية بين الأقوال.. والأفعال

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

إذا كان اللسان ينطق بالأقوال، فإن الجوارح هي التي تنطق بالأفعال، وكل من اللسان والجوارح يحركه الجهاز العصبي الذي يقول عنه المختصون إنه يتألف ببساطة من مخ ومخيخ ونخاع شوكي وغيرها، إذ هو المحرك (المادي) للسان والجوارح جميعاً.

ولكن هناك أيضاً محركاً (غير مادي) هو سر الحياة الذي هو «الروح» التي هي «علمها عند ربي» ومن ثمة سُميت «سراً».. أما سمعتُ الناس وهم يعبرون عن وفاة فقيدهم بقولهم: إن «السر الإلهي» قد خرج؟؟.

ويلتقي اللسان والجوارح جميعاً في الاستجابة للعقل الذي هو مصدر الفكر والحركة والسلوك.

ولقد عني الفلاسفة الأقدمون بهذا الموضوع فذكروا أن ما هية الإنسان هي أنه (حيوان مفكر)، وعندما وجد في تجارب علم النفس الحديث والمعاصر أن القردة العليا (مثل الشمبانزي) تفكر أيضاً (أي تحاول مواجهة ما يعترضها من مشكلات بطريقة ما) تراجع الباحثون إلى تعريف آخر للإنسان فقالوا: إنه (حيوان ناطق) ولكنهم بعد ذلك رأوا بالملاحظة المباشرة أن (الببغاء) تنطق أيضاً، فالتبس عليهم الأمر.

ولا يزالون مختلفين حول هذه (المسألة)، ويبدو أنهم لم يلتفتوا إلى الطيور الأخرى بل والحشرات الأخرى الناطقة من جند الرسالات الإلهية مثل (هدهد سليمان) عليه السلام الذي خاطب ابن داود عليهما السلام بقوله:

﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾

«النمل ٢٢»

ومثل (نملة سليمان) التي حذرت قومها من اجتياح جنود سليمان

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

«النمل ١٨»

ولكن الحق سبحانه قد أعجز هؤلاء الفلاسفة والعلماء بالحقيقة الكبرى التي أعلنها في البيان القرآني الحكيم:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

«الأنعام ٣٨»

وفي تحد آخر معجز يقول سبحانه:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

«الإسراء ٤٤»

والأمر الملفت هنا أن هذه الكائنات المتكلمة التي ذكرناها تتكلم، وتعمل في آن واحد، فكان (الهدهد) الذي يبحث عن رزقه في (الخبء من الأرض) يبحث أيضاً عن (الخبء بين الناس) فيكتشف كشفاً جديداً غاب عن سليمان عليه السلام الذي يعمل في ساحته الجن والإنس جميعاً، كشفاً يرى به الهدهد الحق سبحانه وتعالى، كما يضع به أمام النبي سليمان حقيقة إلهية هي من السنن الدائمة بدوام الزمان والمكان وهي:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

«الإسراء ٨٥»

فيقول لسليمان عليه السلام:

﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾

«النمل ٢٣»

كما وجدنا أن النملة لا تتكلم لتتهرف بما لا تعرف ولكنها تقول ماتعني، وتعني ما تقول، فهي في غمرة حديثها إلى رفاقها العاملات المجدات لا تهمل العمل بل تشفع القول بالفعل الدءوب:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾

«النمل ٨٦»

وإن كانت هذه آيات من آيات القادر سبحانه اختص بها نبيه سليمان عليه السلام استجابة لدعائه:

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

«ص ٣٥»

إلا أن هذه المعجزات المبهرة يسوقها إلينا القرآن الكريم لكي نعي الدرس من منطلق قوله سبحانه:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

«ق ٣٧»

إن الحق ـ عز وجل ـ لم يضرب لنا هذه الأمثال، ويسجل علينا هذه الآيات والمعجزات بين دفتى المصحف الكريم لكى نستمع إليها ونحن معرضون، أو نكتفى بإذاعتها عبر الحوانيت والمقاهى وغيرها لتذوب هذه الألفاظ المقدسة ـ والعياذ بالله ـ فى ضجيج الشوارع وفوضى الطرقات، أو نكتفى عند سماعها (دون استماع أو إنصات) بالغمغمة والهمهمة ومصمصة الشفاه، أو نسلط عليها مكبرات الصوت فى المآتم والمقابر والمناسبات، أو نتبارى فى كتابتها مذهبة ومزخرفة، ونتفنن فى عرضها بالدور والسيارات، أو نقدمها هدايا لمن يقدّرها ولمن لا يقدرها لا لشىء إلا لأن هذا كله أصبح من التقاليد والعادات والواجبات والمجاملات، أو على أحسن الأحوال للفوز بالدرجات والبركات.

ومـا لهذا أنزل القرآن الكريم على محمد ﷺ بل على العالمين، ورضى الله عن عمر بن الخطاب الذى قال إنه كان كلما نزلت آية من القرآن أحس أنها إنما نزلت عليه، ورضى الله عن صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يشفقون على أنفسهم من أن ينزل جبريل عليه السلام بقرآن جديد قبل أن يطبقوا ما وعوه من قبل من الآيات قولاً وعملاً لا حفظاً، وترديداً.

وهكذا يعلمنا الأسوة الحسنة ﷺ وصحبه من القادة الرواد كيف يكون الورع لمن كان يخشى الله واليوم الآخر، وكيف أن المولى الحكيم سبحانه لم ينزل (كلامه) لمجرد الحفظ والتحفيظ ليس إلا بل يعلمنا الخالق عز وجل أن (الأقوال) لابد أن تترجم إلى (أفعال) وأن الكلام وحده هو شأن الببغاء الذى ركّب البارىء سبحانه فى حلقومه جهاز استقبال وإرسال دون أن يعى شيئاً، إنما هو مثل من الله للبشر يخفى وراءه تساؤلاً ساخراً، فيما بيننا هل نرضى على أنفسنا أن نكون ببغاوات نقول ما يقوله الآخرون ونترك العمل للعاملين مثل النمل والهدهد؟

أليس لله المثل الأعلى وهو الذى أنزل علينا من الأقوال ما يقترن بالأفعال، وآياته الحكيمة المحكمة فى هذا ناطقة بالحق، وكم ينبغى أن نتأمل آياته سبحانه التى تحدثت عن القرون الأولى وكيف اقترن ذلك الحديث الإلهى بالثواب لمن استجاب والعقاب لمن أعرض ونأى بجانبه، ثم هيا معاً نتأمل آياته عز وجل التى هى قوانين كونية تتجلى فى كل زمان ومكان وإلى أن تقوم الساعة، وهى التى قضى ربك ألا تتغير ولا تتبدل فى قوله:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾

«فاطر ٤٣»

وذلك من قبيل:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾

«محمد ٣٨»

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾

«إبراهيم ٢٨»

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

«البقرة ١٥٥»

وغير هذه وتلك من الآيات التى يزخر بها من محكم التنزيل الإلهى الكريم، والتى نستشعر فى حياتنا اليومية، وفى المسيرة البشرية تطبيقات لها فلا نملك إلا أن نهتف من عمق مشاعرنا:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

«الزمر ٤٢»

هذا وقد كان الرسل الكرام جميعاً (نماذج بشرية تطبيقية) لهذا النهج المثالى القويم وهو ترجمة القول إلى فعل، ونقول (نماذج بشرية) هنا حتى تبطل حجة المبطلين فى عدم التأسى بهم فيقولون ما لا يفعلون، أو يفعلون ما لا يقولون وعندئذ تختلط الأمور وتضطرب الأحوال، وتنتشر الفوضى فى جوانب الجماعة البشرية المنوط بها عمران الكون، والحفاظ على ميزانه المحكم المتين الذى فطره الحق سبحانه عليه، فدين الله ليس مجرد آى تترى «جبريل رواح بها غداء» كما يقول شوقى، ولكنه نهج «الرب» فى (تربية) خلقه من خلال «الفكر والتطبيق» أو «النظر والعمل» جميعاً.

ألا تذكر قول النبى ﷺ «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً»(١) شرحاً لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾

«العنكبوت ٤٥»

أو قوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(٢)

يتبع

(١) عن ابن عباس: (الجامع الصغير)

(٢) عن أبي هريرة: (المرجع السابق)



هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟



للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

٢ـ دونالد هيل

ولد دونالد هيل Donald R.Hill فى لندن عام ١٩٢٢م، وحصل على شهادتى بكالوريوس الهندسة ودكتوراه الفلسفة فى التاريخ العربى من جامعة لندن، وأولى اهتماماً خاصاً لتاريخ الهندسة والتكنولوجيا فى العصور الوسطى، وشارك فى إعداد مداخل دائرة المعارف الإسلامية، وله مؤلفات عدة حول مجالات العلوم والهندسة والتقنية الإسلامية، حيث كان أول من نبّه إلى التفوق الإسلامى فى العلوم التقنية بعد أن نشر الترجمة الإنجليزية الكاملة ـ مزودة بشروح وتعليقات ـ لكتاب «ابن الرزاز الجزرى» بعنوان «الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل» فى عام ١٩٧٤م، ثم أعقبه بعمل مماثل فى عام ١٩٧٩م لكتاب «الحيل» الذى صنفه بنو موسى بن شاكر، عن نسخة بالألمانية سبق نشرها فى عام ١٩٢٢م.

وقد انبثقت مؤلفات دونالد هيل من قلب ثقافة العولمة الغربية لتقدم بحيدة وموضوعية ـ من واقع الدراسات والوثائق التراثية المحققة ـ شهادة إنصاف فى حق الحضارة العربية الإسلامية ودورها الرائد فى تأسيس كثير من العلوم والتقنيات التى تجنى البشرية ثمارها اليوم، وهو يعود بهذه العلوم والتقنيات إلى أرومتها العربية ليعرّف الغربيين بجذورها التى نبتت فى عصور الازدهار الإسلامى، ويبرز أهم مآثر المسلمين فى الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء، ويعرض نماذج مبتكرة لأجهزة وآلات وتقنيات دقيقة ذاتية الحركة، ويقدم شروحاً وافية لإنشاءات هندسية عربية شملت بناء الجسور والسدود والطواحين المائية والهوائية، وأنظمة الرّى وإمداد المياه، وتقنية المساحة واستخراج المياه الجوفية، مشيراً فى ذلك إلى كتاب «إنباط المياه الخفيّة» للكرجى، الذى تم تحقيقه حديثاً. ويولى دونالدهيل اهتماماً خاصاً لتقنية التعدين واستخراج الثروات المعدنية من المناجم العديدة على امتداد الأراضى الإسلامية.

جاء فى كتاب «التقنية الإسلامية» الذى ألفه دونالد هيل بالاشتراك مع د. أحمد يوسف الحسن أن الإسلام حقق تأثيراً تاريخياً فريداً فى حياة الجنس البشرى، فقد وحّد الحضارات الواقعة مابين حدود الصين شرقاً والأطلنطى غرباً وبقيت هذه المساحة الجغرافية الشاسعة من الأرض تحت حكم واحد خلال القرون الهجرية الأولى، وكانت النتيجة الأكثر أهمية هى الوحدة الثقافية للأفكار الإسلامية بعد ذلك، فقد حطم الإسلام الحواجز التى كانت قد فصلت الدول عن بعضها البعض، وأصبح للمنطقة بكاملها حتى اليوم دين واحد ولغة واحدة.

وقد أكدت الوحدة الثقافية حرية الحركة والتبادل التجارى مابين بلاد الصين شرقاً وأسبانيا غرباً، وأصبحت اللغة العربية لغة الشعوب التى عاشت مابين بغداد وقرطبة، فضلاً عن أنها أصبحت لغة العلوم والآداب التى حلّت بشكل كامل محل القبطية والآرامية واليونانية واللاتينية، وتطورت الفارسية والتركية إلى لغات إسلامية.

وفى كتابه «العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية» الذى قمنا بترجمته إلى اللغة العربية مؤخراً (سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٥، يوليو ٢٠٠٤م) يقول دونالد هيل أن العلوم الإسلامية انتقلت إلى أوروبا فى الأغلب عن طريق التراث المكتوب، لكن الأمر بالنسبة للعلوم الهندسية والتقنية مختلف تماماً، حيث يوجد عدد قليل جداً من المؤلفات التقنية العربية التى كتب لها البقاء، ويتطلب الأمر البحث عن المكتشفات

الآثارية والرجوع إلى إشارات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين فى مؤلفاتهم. ومن أمثلة التقنيات الدقيقة التى أوردها دونالد هيل فى كتابه مايتعلق بالساعات المائية التى شيدها الفلكى المشهور «الزرقالى»، حيث أشار إلى ساعتين مائيتين كبيرتين على ضفاف نهر تاجة Tagus عند طليطلة يعود تاريخ إنشائهما إلى حوالى عام ١٠٨٠م. وهاتان الساعتان لا تدلان فقط على الوقت، ولكنهما تبينان أيضاً أطوار القمر. كذلك أشار إلى محاكاة عدد من تقنيات بناء السدود الإسلامية فى أسبانيا المسيحية، شملت إدخال بوابات للتحكم فى إزالة الطمى والعوائق، وإنشاء مقاييس الأنهار، والاستخدام الممتد فى توليد الطاقة الهيدروليكية. وقد جرت دراسة نظامية عن أنظمة القنوات التى أنشأها المسلمون فى أسبانيا:

النظام الأول هو نظام مدريد الذى لايزال يعمل لإمداد المدينة بالمياه من وادى الرمل Guadarrama والنظام الثانى هو نظام كريفلنت Grevillante فى مقاطعة بلنسية ويبلغ طوله حوالى ١٥٠٠ ياردة ويوجد به تسعة عشر بئراً للتهوية. وقد انتقلت أنظمة الرى الإسلامية من أسبانيا إلى العالم الجديد، حيث لم يكن هناك قطّ فى شمال أوروبا ذات الأمطار الغزيرة أى تقنية زراعية ذات قيمة.

ويلفت دونالد هيل الأنظار إلى ماكان عليه الحال أيام الخلفاء الأمويين والعباسيين عندما كان إجمالى الناتج من المناجم فى الأرض الإسلامية كافياً لتلبية الحاجة، خاصة بالنسبة إلى بعض المعادن بالغة الأهمية. وقد غاب هذا التكامل فى فترات متأخرة عندما تفككت الدولة الإسلامية إلى ممالك مختلفة على نحو ما نجد الآن.

ففى عهود الخلفاء كان إنتاج الذهب ـ مثلاً ـ فى البلدان الإسلامية كافياً لعملية سكّ عملات الدنانير الذهبية بانتظام. كما كان هناك مناجم عديدة غنية بالفضة أو خامات الرصاص التى تحتوى على فضة تساعد على استمرار عمليات سكّ الدراهم الفضية بصورة منتظمة.

ويأمل دونالد هيل أن يظهر إلى النور مزيد من الكنوز التراثية: الوثائقية والآثارية، التى تساعد على إنصاف الإنجازات التقنية للحضارة الإسلامية وبيان حقيقة إسهاماتها فى تطور نظيرتها الأوربية.

يتبع



الانطـــواء



للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يرى «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلى، ورئيس حزب كاديما (يمين الوسط)، الذى أسسه «شارون» قبل مرضه، أن خطته للانفصال عن الضفة الغربية، المسماه «خطة الانطواء» أو «خطة التجميع»، لن تنفَّذ على مراحل ثلاث كما يُقال، وإنما على دفعة واحدة، وخلال ولاية الرئيس الأمريكى «بوش» الحالية التى تنتهى فى يناير ٢٠٠٩، ويعتبر «أولمرت» أن هذه الخطة هى مشروعه السياسى الوحيد، خلال الأربع سنوات المقبلة، وأن مستقبله السياسى بات مرهونا بتنفيذها من أجل ترسيم حدود دائمة لدولة إسرائيل. واللافت أن المخطط الذى يسعى رئيس الوزراء الإسرائيلى لتنفيذه حاليا للانفصال عن الضفة، لتحديد حدود جديدة لإسرائيل، يرمى إلى ضم أكثر من نصف مساحة الضفة الغربية إلى دولته، بحيث لا يتبقى لإقامة الدولة الفلسطينية المنتظرة سوى ٤٢٪ من مساحتها، فى شكل كانتونات (معازل) منفصلة لا رابط جغرافى بينها.

وتتضمن «خطة الانطواء» أو «خطة التجميع»، إخلاء المستوطنات غير القانونية المتناثرة فى الضفة الغربية من مستوطنيها اليهود وإعادة تجميعهم، وانطوائهم داخل الكتل الاستيطانية الكبرى الثلاث، القائمة خلف جدار الفصل العنصرى، وهى

مستعمرات «معاليه أدوميم»، و«جوش عتصيون»، و«آريئيل» تمهيداً لضمها إلى إسرائيل، وهو ما يراه «أولمرت» تعزيزاً لانفصال الإسرائيليين عن الفلسطينيين في الضفة بهدف ترسيم الحدود النهائية لإسرائيل الجديدة.

الاستيلاء على غور الأردن

ومن هنا يسعى «أولمرت» إلى ضم «غور الأردن» إلى إسرائيل في إطار خطته الانفصالية، وذلك بتعزيز المستوطنات في منطقة الأغوار، وخلق تواصل استيطاني بالمستوطنات الثلاث الكبرى السابق ذكرها، بحيث يمثل غور الأردن الحدود الشرقية الدائمة لإسرائيل مع المملكة الأردنية الهاشمية، ولقد كشف الخبراء مؤخراً عن بدء إجراءات إسرائيلية لعزل المناطق الشرقية للضفة الغربية المسماة «الأغوار»، التي تشكل ثلث مساحة الضفة الغربية، إذ يتميز «غور الأردن» بسعة أراضيه [حوالي ٤٠٠ كم٢ . أي أنه أكبر من مساحة قطاع غزة (٣٦٥كم٢)]، ووفرة مياهه، وقلة عدد سكانه. ويبدو أن إسرائيل، بالفعل، عازمة على ضم «منطقة الغور» إليها، فقد ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية في ١٥/٣/٢٠٠٦ «أن إسرائيل تمنع أكثر من ألفي فلسطيني من العودة إلى قراهم في غور الأردن المحتل للحيلولة دون المطالبة باستعادة أراضيهم، وأن السلطات الإسرائيلية تتذرع بدواعٍ أمنية تبريراً لرفضها طلبات هؤلاء الفلسطينيين من أجل عودتهم إلى قراهم أو حتى زيارة أقاربهم، أو لم شمل عائلاتهم» وفي إطار هذا المخطط الإسرائيلي لضم «غور الأردن» إلى إسرائيل، يقول «خليل تفكجي» مدير دائرة الخرائط والأراضي في بيت الشرق، في القدس: «إن إقامة دولة فلسطينية مستقلة، غير ممكن من دون هذه المنطقة (غور الأردن) المؤهلة لتوسيع التجمعات السكانية القائمة، والتي تنوي إسرائيل ضمها إليها، واستيعاب سكان فلسطينيين جدد من العائدين».

الدولة الفلسطينية.. كانتونات منفصلة

والجدير بالذكر أنه حسب المخطط الانفصالي عن الضفة، فإن الجدار الفاصل، الجاري استكماله في الضفة الغربية والذي يتوغل فيها بعمق ٢٥كم، سيشكل الحدود الجديدة للدولة العبرية، ويضم هذا الجدار الكتل الاستيطانية الكبيرة التي يصل نسبة سكانها من المستوطنين إلى ٨٥٪ من اجمالي عدد المستوطنين في الضفة الغربية (وهم عبارة عن ٢٠٠ ألف مستوطن، بخلاف ٢٥٠ ألف مستوطن في القدس الشرقية التي تسعى إسرائيل إلى عزلها عن سائر أراضي الضفة). وقد جاء في تقرير مكتب تنسيق الشئون الإنسانية التابع للأمم المتحدة - الذي نشر في بداية مارس ٢٠٠٦ - «أن السلطات الإسرائيلية أقامت حتى الآن ٢٩٩ كيلو متراً من الجدار الفاصل،

وأنشأت ٢٧ نفقاً وجسراً لربط المناطق الفلسطينية، وتحديد طرق لا يستخدمها إلا المستوطنون، وأن تقسيم الطرق بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود، يشكل الخطوة الأخيرة في «مخطط تحويل التجمعات السكانية الفلسطينية» في الضفة الغربية إلى «كانتونات منفصلة» وهو ما يحُول دون إقامة دولة فلسطينية متماسكة جغرافيا وقابلة للحياة»، وقد أكد هذا التقرير أن مشروع تقسيم الطرق يمثل أحد أضلاع مثلث المشروع الإسرائيلي للانفصال عن الضفة بينما ضلعاه الآخران يتمثلان في الكانتونات [وهي عبارة عن ثلاثة كانتونات، تنقسم عبر معابر إلى عشرة كانتونات تختفي خلفها ١٠ مدن، ومن وراء المعابر، ينتشر عدد كبير من الحواجز العسكرية]، والجدار الفاصل المتوقع استكماله في نهاية عام ٢٠٠٦.

وفي هذا السياق كتب المحلل السياسي الإسرائيلي «ألوف بن» في صحيفة «هآرتس» في ٤/٥/٢٠٠٦ حول تطبيق خطة الانطواء، وضرورة حشد تأييد حزبي ودولي لها لتسهيل تنفيذها فيقول: يعتزم «أولمرت» رئيس الوزراء البدء في تطبيق «خطة التجميع» لترسيم الحدود النهائية لإسرائيل خلال قرابة عامين ويسعى من جانبه إلى تركيز جهوده لحشد تأييد سياسي، وموافقة دولية على هذه الخطة» ويضيف «ألوف بن» قوله: «إن خطة التجميع» يؤيدها حالياً ممثلو حزب كاديما (٢٩ عضو كنيست)، وحزب العمل (١٩ عضو كنيست) وحزب جيل وهو حزب المتقاعدين (٧ أعضاء)، وحزب ميريتس (٥ أعضاء)، الذين يمثلون مجتمعين ٦٠ عضو كنيست، ومعهم ممثلو الكتل الحزبية العربية وهم عشرة أعضاء في الكنيست». ويلخص «إيهود أولمرت» خطته في الانفصال عن الضفة الغربية في حوار أجراه كل من المعلقين السياسيين «ألوف بن» و«يوسي فيرتر» من صحيفة هآرتس في ١٠/٣/٢٠٠٦ فيقول: «اعتقد أنه في خلال أربع سنوات، ستصبح إسرائيل منفصلة عن الأغلبية العظمى من السكان الفلسطينيين بحدود جديدة، بحيث سيتم تنسيق مسار الجدار الفاصل مع الخطة الهيكلية الجديدة للحدود النهائية لدولة إسرائيل، وقد تكون هناك حالات يتحرك فيها الجدار ناحية الشرق، وحالات أخرى يتحرك فيها ناحية الغرب، حسب المخطط الذي سنتفق عليه، وهكذا سنمضي قدما بخطوات حاسمة لبلورة إسرائيل كدولة يهودية، تضم أغلبية يهودية قوية ومستقرة غير معرضة للخطر».

شروط أولمرت

ويحدد «أولمرت» شروط التفاوض مع الجانب الفلسطيني بشأن خطة الانطواء أو الانفصال عن الضفة فيقول: «إن شروط التفاوض مع حكومة حماس هي تغيير



الميثاق التأسيسي للحركة، والاعتراف بحق دولة إسرائيل في الوجود، وقبول الاتفاقات السابقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، والتوقف التام عن الإرهاب (مقاومة المحتل) ونزع السلاح، هذه هي شروط التفاوض مع حكومة حماس، وإلا ستقوم إسرائيل من جانب واحد في فرض إملاءاتها من أجل ترسيم حدود الدولة الإسرائيلية الجديدة. وقد أكد «أولمرت» عزمه على تنفيذ خطته من طرف واحد فيقول: «سننتظر شهراً، أو شهرين، أو ثلاثة أشهر، وربما ستة أشهر، وإذا لم نلاحظ تغيراً لدى الفلسطينيين فسنتحرك بمفردنا من دون موافقتهم، وسيكون على إسرائيل أن تحدد بمفردها حدودها الدائمة».

أي أن «أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد سوف لا ينتظر وقتا طويلا حتى يوافق الجانب الفلسطيني على شروط إسرائيل الثلاثة، بل سيبادر من جانب واحد بترسيم الحدود الجديدة لإسرائيل، وكأنه صاحب الأرض الحقيقي وليس المحتل الغاصب الذي لا ينوى في الأصل التفاوض مع الفلسطينيين سواء من فتح أو من حماس. إنه في الحقيقة لا يعترف بوجود شريك فلسطيني يمكن التفاوض معه فلقد صرح «أولمرت» للصحفيين المرافقين له في زيارته لكل من فرنسا وبريطانيا مؤخراً أنه أوضح لكل من «بلير» و«شيراك» أن «خطة الانطواء» محتومة، وأنه سيتم تنفيذها سواء بوجود شريك فلسطيني أو في غيابه.

التهديد الديموجرافي الفلسطيني

واللافت في هذا الصدد أن رئيس الوزراء الإسرائيلي «أولمرت» يعلم تمام العلم أن حكومة حماس لن تقبل بالتفاوض وفق الشروط الإسرائيلية إلا بعد أن تتعهد إسرائيل، وبضمانات دولية، بالانسحاب الكامل من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وهو ما ترفضه إسرائيل حاليا، ومن هنا فهو يريد أن يثبت، وبخبث شديد، عدم وجود شريك فلسطيني، يمكن معه إجراء تسوية سياسية للقضية الفلسطينية، حتى تقوم إسرائيل من طرف واحد بتنفيذ خطة الانفصال من أجل ترسيم حدود إسرائيل الجديدة التي يمكن الدفاع عنها. وقد حدد «إيهود أولمرت» الهدف الحقيقي لخطته، محذرا من التهديد الديموجرافي الفلسطيني للدولة اليهودية في قوله: «إنه في غضون عشرين عاماً، سيصبح اليهود أقلية بين البحر والنهر (نهر الأردن) ومن ثم كان لزاما على دولة إسرائيل أن تحافظ على أغلبية يهودية، وإلا فإن وجودها سيكون في خطر»، أي أن الانطواء أو الانفصال الأحادي الجانب عن الفلسطينيين في الضفة، ليس من منطلق إعادة الأرض المحتلة إلى أصحابها الشرعيين، بل من منطلق الحفاظ على أغلبية يهودية غير مندمجة في المحيط العربي الفلسطيني، الهادر بتكاثره البشرى، الذي

إذا ما استمر بمعدلاته الحالية، سيبتلع اليهود في جوفه، وهو ما يهدد الوجود الصهيوني في فلسطين بالزوال.

الجدار الفاصل

ويبدو أن الحدود الإسرائيلية التي تسعى الخطة اليهودية لترسيمها، ستعتمد إلى حد بعيد، كما قلنا من قبل، على مسار الجدار الفاصل، الذي تريد إسرائيل استكماله بأسرع ما يمكن فيقول «شاؤول موفاز» وزير الدفاع السابق ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلي «أولمرت» ووزير المواصلات والسلامة على الطرق: «إن طول الجدار عند استكماله سيصل إلى ٨٧٠ كيلو متراً، ويشمل الجدران الداخلية حول المستوطنات وقد أنجز منه بشكل نهائي ٣٣٥ كيلو مترا ويتم الآن العمل في ١٣٧ كيلو متراً، في حين توقف العمل في ١٤٥ كيلو متراً، بسبب اعتراضات وطعون، وهناك ١٣٨ كيلو مترا في انتظار إقرار وزارة العدل، و٩٢ كيلو مترا في انتظار تصديق المستوى السياسي» وتتوقع «الهيئة الأمنية الإسرائيلية أنه لن يمر عام واحد آخر على الأقل حتى يكتمل بناء الجدار الذي سيحدد الحدود النهائية لدولة إسرائيل.

وتشير مصادر إسرائيلية إلى أنه في إطار خطة فك الارتباط عن الضفة الغربية الذي ستنسحب بموجبه إسرائيل من مستوطنات غير قانونية، ستواصل عزل المدن الفلسطينية في «كانتونات» بفعل مسار الجدار الفاصل، ففي شمال الضفة المؤلف من أربع محافظات ولواءين، وهي نابلس، وجنين، وطولكرم، وقلقيلية، وسلفيت، وطوباس ستقترب المستوطنات حتى مشارف هذه المدن الفلسطينية، وأنه من كتلة «آريئيل» الاستيطانية، التي يضمها الجدار، نجده يتوغل بعمق ٢٥ كم شرقاً حتى مدخل نابلس الجنوبي، حيث توجد مستوطنة «تَبُوحْ» وفي مناطق الوسط والجنوب، التي تضم القدس وبيت لحم، والخليل، تتجاور الكتل الاستيطانية اليهودية مع التجمعات السكانية الفلسطينية المحاطة بالجدار من كل ناحية. أما منطقة «غور الأردن» التي منعت إسرائيل سكانها من الفلسطينيين من دخولها بعد عزلها وراء ٨ حواجز، فهي مرشحة لإقامة جدار آخر قادم لتكتمل به خطة الانفصال اليهودية عن الضفة الغربية العربية الفلسطينية.

رفض إسرائيلي لخطط أولمرت

ويرى كثير من المراقبين أن ثمة صعوبات عديدة تواجه تنفيذ المخطط الإسرائيلي للانفصال الأحادي عن الضفة الغربية، أهمها المعارضة القوية من جانب المستوطنين الذين سيتم إخلاؤهم من المستوطنات غير القانونية، فهم لن يتركوا أماكن استيطانهم بسهولة، كما أن هذا المخطط اليهودي لا يحظى إلا بتأييد ٥٥ عضواً من الائتلاف الحكومي الإسرائيلي فقط، ناهيك عن النقص في الكفاية الإدارية التي تتمثل في

المناصب الأربعة الرئيسية الرفيعة فى الحكومة الإسرائيلية الحالية، وهى رئاسة الحكومة «إيهود أولمرت»، ووزارة الدفاع «عامير بيريتس»، ووزارة الخارجية «تسيبى ليفنى»، ووزارة المالية «أبراهام هيرشزون»، حيث إنهم لا يملكون رصيدا من التجربة القيادية التى تؤهلهم لتنفيذ هذا المخطط بكفاءة عالية. وبالإضافة إلى ذلك تذكر صحيفة «معاريف» الإسرائيلية على لسان قطبين من حزب «كاديما» الحاكم قولهما: «إن أولمرت سيضطر فى نهاية المطاف إلى تنفيذ خطة تجميع مقلصة»، خصوصا مع حصول «كاديما» على ٢٩ مقعداً فقط من مقاعد الكنيست المائة والعشرين، وصعود حركة حماس إلى الحكم، فى ظل عدم اليقين من الدعم الدولى للخطة، وصعوبة إقناع الإدارة الأمريكية، بالاعتراف بالحدود التى ستنسحب إليها إسرائيل باعتبارها «حدوداً دائمة لها»، وفى هذا السياق تتحدث صحيفة «هآرتس» فى عددها بتاريخ ٢ / ٥ / ٢٠٠٦ عن شروط نجاح خطة الانفصال عن الضفة فتقول فى افتتاحيتها: «إن تنفيذ خطة التجميع» سيحتاج جهوداً سياسية واقتصادية وأمنية ضخمة، من حشد دعم أمريكى، وإكمال بناء الجدار الفاصل، وإعادة انتشار جيش الدفاع الإسرائيلى، والتطبيق الفورى للإخلاء والتعويض، وإعادة توطين المستوطنين، وهى كلها شروط ضرورية لنجاح الخطة. ويرى المحلل الإسرائيلى «حاجى هوبرمان» فى مقال له فى صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية فى ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٦: «ان أولمرت يعتزم تقوية التكتلات الاستيطانية وتوسيعها، مقابل الانسحاب من يهود او السامرة (الضفة الغربية)، وأن هذه المستعمرات، ستظل تحت السيادة الإسرائيلية، وهى مستعمرات «جعفات زئيف». وهى جزء من حزام حاضن القدس، و«بيتارعيليت» التى تربط «جوش عتصيون» بالقدس، و«أورانيت» المستعمرة الوحيدة التى تلاصق الخط الأخضر، و«مسكيوت» القائمة فى شمال «غور الأردن»، وقد أكد «أولمرت» أن غور الأردن، سيظل جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل فى أية تسوية دائمة».

ترسيم الحدود وسياسة الأمر الواقع

ومن جهة أخرى يرى المحلل السياسى الأمريكى «جيم هوجلاند»، صاحب العمود الثابت فى الشئون الخارجية فى صحيفة «واشنطن بوست» أن خطة أولمرت للانفصال عن الضفة الغربية ليست خطة جديدة من ابتكاره، بل هى تستند إلى أفكار الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون»، فيقول: «إن ترسيم الحدود انطلاقاً من سياسة الأمر الواقع، والحل القائم على وجود دولتين تستند إلى خطة الرئيس الأمريكى «كلينتون» فى أواخر عام ٢٠٠٠ [فى عهد حكومة «إيهود باراك» العمالية] التى تحدثت عن ضم الكتل الاستيطانية الكبرى إلى إسرائيل، فى مقابل تبادل أراض، وتقسيم

القدس على أساس عرقى».

وفى هذا السياق يسترعى «هوجلاند» نظر «جورج بوش» وإدارته بضرورة تأييد انسحاب إسرائيلى من ٩٠٪ من أراضى الضفة الغربية، على غرار ما قام به «شارون» مع قطاع غزة، وبالنسبة للقدس الشرقية ينصح إسرائيل بضرورة الاتفاق مع الفلسطينيين، حيث إنها ستجد صعوبة كبيرة فى إدخال «تعديلات ديموجرافية» على القدس التى يسكنها أكثر من مائتى ألف فلسطينى، إذ إنه من الصعوبة بمكان إجراء أية تعديلات سكانية بدون الاتفاق مع الجانب الفلسطينى، وأن أى أجراء أحادى الجانب لن يجدى شيئا.

ومن هذا المنطلق يؤكد الرئيس الفرنسى «جاك شيراك» ضرورة استئناف المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية لتحقيق السلام المنشود، فى حين لا تؤيد بريطانيا «خطة الفصل الأحادى الجانب»، فيقول «كيم هاول» وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية: «إن حكومته لا تؤيد خطة الفصل الإسرائيلية الأحادية الجانب لأنها لا تقدم السلام المأمول ولن تقدم الحل الطويل الأمد» وفى هذا الصدد، فإن الرئيس الأمريكى «بوش» وإن كان قد بارك أفكار أولمرت، بشأن خطة الانطواء، فوصفها بأنها «أفكار جريئة» إلا أنه يرى من الأفضل لمصلحة إسرائيل أن تجلس مع الفلسطينيين وتتفاوض معهم.

الخوف من الخطر الفلسطينى

وفى الختام يمكن رصد عدد من الملاحظات حول خطة الانطواء أو الانفصال عن الضفة، وأهمها

- أولا: لم يصف أولمرت خطته بـ«خطة الانسحاب»، بل وصفها بـ«خطة الانطواء» حتى يوحى بأن الضفة الغربية ليست أرضا محتلة بل أرض متنازع عليها.
- وثانيا: أن الانسحاب بموجب هذه الخطة وهو انسحاب جزئى وليس انسحابا من كل الضفة الغربية.
- وثالثا: لا يعدو أن يكون هذا الانسحاب إلا مجرد إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية فقط.
- ورابعا: بنى «أولمرت» خطته على أساس الحل المنفرد بدون الاتفاق مع الفلسطينيين، وفى ذلك تجاهل لطرف أصيل فى معادلة الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وهو ما يؤدى إلى ديمومة هذا الصراع.
- وخامسا: تعتمد هذه الخطة على استراتيجية الانفصال، أى الانطواء خلف الجدار الفاصل، بحيث تتشرنق إسرائيل داخل جيتو يهودى يسمى دولة اليهود.
- وسادسا: تهدف هذه الخطة إلى ترسيم حدود نهائية لإسرائيل من جانب واحد، حتى ولو كان على حساب الفلسطينيين أصحاب الأرض.

ومن هنا يمكن القول بأن هذا المخطط الانفصالى عن الضفة الغربية، هدفه فى الأساس هو حماية الدولة اليهودية المأمولة من الخطر الديموجرافى الفلسطينى.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

الجرائم الإسرائيلية بين فلسطين ولبنان

من المؤكد أن الحديث عن الجرائم الإسرائيلية المرتكبة بحق العرب والمسلمين يعد من الكلام المعاد والمكرر والذى لا يتضمن أى جديد على مدى ما يقرب من (٦٠) عاما منذ مذبحة دير ياسين الشهيرة وحتى اليوم.

وفى هذا الشهر وبمناسبة العمليات الإسرائيلية الجديدة فى غزة ولبنان ننشر طائفة من الاستنكارات والتعليقات الواردة فى بعض الصحف.

من جريدة المساء الصادرة فى ١٦ / ٧ / ٢٠٠٦ تخبرنا عدة تعليقات أدلى بها كل من الرئيس الإيرانى محمود نجاد، والسيد / عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية، والسيد نبيه برى رئيس مجلس النواب اللبنانى، والخبير العسكرى المصرى اللواء شيرين حسن.

● شبه الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد سلوك إسرائيل بشن هجوم على لبنان بألمانيا النازية.

قال فى افتتاح نفق فى طهران إن هتلر كان يسعى لإيجاد الذرائع لمهاجمة دول أخرى وأن النظام الصهيونى يسعى لايجاد ذرائع لا أساس لها لغزو الدول الإسلامية وهو الآن يبرر هجماته بأعذار لا أساس لها.

● أعلن عمرو موسى - الأمين العام لجامعة الدول العربية - أن عملية السلام مع إسرائيل كانت خدعة كبرى، انتهت بالفشل.. قال فى مؤتمر صحفى مشترك مع حسين الشعالى وزير الخارجية الإماراتى عقب اجتماع وزراء الخارجية العرب بمقر الجامعة العربية: إن الموقف فى الشرق الأوسط أصبح خطيرا بعد أن أهدى المجتمع الدولى عملية السلام لإسرائيل تلعب بها كيف تشاء.

وأوضح أن الفيتو الأمريكى الجاهز دائماً فى مجلس الأمن يعطى لإسرائيل الضوء الأخضر لتعيث فى الأرض فساداً.

قال موسى: إن وزراء الخارجية العرب اتخذوا قراراً جماعياً بالتوجه إلى مجلس الأمن لإعادة طرح النزاع العربى - الإسرائيلى عليه من جديد من نقطة البداية، وإذا لم يحل المجلس هذا النزاع بشفافية.. فسوف يتكلم السلاح، ولا أحد يتحدث وقتها عن الإرهاب أو غيره.

● اتهم رئيس مجلس النواب اللبنانى اسرائيل بارتكاب مجزرة جديدة فى لبنان باغتيال طائراتها الحربية ٢١ مواطنا لبنانيا كانت طلبت منهم إخلاء بلدتهم «مروحين» فى جنوب لبنان ثم عمدت الى اغتيالهم لدى انتقالهم إلى خارج البلدة بسيارات مدنية.

أشار برى إلى أن البوارج الحربية عادت واستكملت القصف الذى كانت قد بدأته الطائرات بقصف موقع الجريمة مشيراً الى أن معظم ضحايا المجزرة من النساء وبينهم أربعة أطفال واتهم رئيس البرلمان اللبنانى مجلس الأمن بأنه منح المزيد من الوقت للعدوان الإسرائيلى على لبنان.

● أكد اللواء شيرين حسن رئيس هيئة موانى بورسعيد وأحد خبراء البحرية المصرية أن بارجة الصواريخ الإسرائيلية التى دمرها حزب الله هى أكبر وأحدث سفن البحرية الاسرائيلية وهى فرقاطة واسمها «هى هانيت» وتحمل على متنها طائرة مروحية وصواريخ «هربون» أمريكية وصواريخ «براق» الاسرائيلية المضادة للصواريخ وصواريخ بحر بحر وعليها أحدث نظام مراقبة صواريخ فى العالم.

أضاف إن هذه هى المرة الأولى التى يتم فيها ضرب العمق الإسرائيلى وتصل الصواريخ إلى نهارية وحيفا وعكا كما أكد أن إسرائيل تجد لأول مرة «سلم الردع» لدى حزب الله وسلم الردع هو ما ذكره «أندريه بوفكر» رئيس الأركان الفرنسى فى كتابه الاستراتيجية العسكرية ومعناه تجهيز الطرف الأول مجموعة من الإجراءات تتصاعد مع حدة وعنف إجراءات الطرف الآخر.

أكد أنه للمرة الأولى يدخل نصف مليون إسرائيلى إلى المخابىء وسواء كان حزب الله دمر الفرقاطة الإسرائيلية بطائرة بدون طيار أو بصاروخ إيرانى فإن خسارة إسرائيل من تدمير الفرقاطة وإصابة ٤ إسرائيليين ومقتل اثنين تعتبر كبيرة بالنسبة لها.

يؤكد اللواء شيرين أن كل هذه الأحداث تمت فى الوقت الذى تقام فيه مناورة عسكرية أمريكية - إسرائيلية مشتركة فى المنطقة الإسرائيلية الشمالية وخلال أعلى درجات الاستعداد البحرى والجوى لإسرائيل حتى أنه تم سحب سفينة أمريكية من ميناء حيفا خوفا من قصفها بالصواريخ.

ومن جريدة الأهرام تخبرنا هذه الكلمات:

● الأولى كتبها الأستاذ أسامة سرايا تحت عنوان:

من أمطار غزة إلى رياح لبنان

تستطيع عندما تملك القوة أن تبدأ الحرب، ولكنك لا تستطيع أن تنهيها، ولا أن تدرك الثمن الذى سوف تدفعه فيها. فالحروب قاسية، وقد كابدت شعوبنا ومنطقتنا لهيبها، وتعرف بدقة قسوتها من كل النواحى، وأقلها تكلفتها المادية الباهظة، وتدميرها البنية التحتية الغالية. فالشعوب هى التى تدفع الثمن، وقد رأينا المآسى والأهوال التى يتعرض لها الشعبان العراقى والفلسطينى، ولمسنا



الخاوف من أن يمتد لهيب الحروب ليشمل لبنان أيضا.. ذلك البلد العربي الذي يحاول أن يتعافى من الاحتلال والحروب الأهلية والمعاناة الاقتصادية، كما يتزايد الخوف على الشرق الأوسط كله من تأثير الأزمة الإيرانية النووية وتحولاتها الفاجئة. ويريد العقلاء ألا تصبح المنطقة العربية رهينة لتلك الأزمة، أو أن تصبح إحدى أوراق اللعب في أزمة دولية مرشحة لكارثة، سواء على أيدي الأطراف العالمية أو حتى على أيدي الطرف الإقليمي.

وفجأة في وسط هذه الأجواء نفذت إسرائيل عمليتها العسكرية في غزة التي عرفت باسم «أمطار الصيف» وهي عملية من الممكن حصر آثارها السلبية إذا أدرك الطرفان أنه لا طريق إلى حل الصراع بينهما إلا عن طريق التفاوض والجلوس حول مائدة الحوار السياسي.. وتبرز هذه الرؤية دائماً في وقت الأزمات، حتى إن أكثر الأطراف تشددا في فلسطين وإسرائيل يعبرون عن ذلك ويطالبون بالحوار، ويرون أنه من الممكن دفعه إلى الأمام بالاستعانة بالمجتمع الدولي ولجنته الرباعية المهتمة بأزمة الصراع العربي - الفلسطيني وتحويل نتائج اجتماعات الحوار إلى آليات للعمل السياسي والدبلوماسي طويل المدى بين كل الأطراف من السياسيين إلى المواطنين والأحزاب والفصائل في إسرائيل وفلسطين معاً.

ولم يمض وقت طويل على «أمطار الصيف» في غزة، حتى فوجئنا بعملية عسكرية جديدة لإسرائيل في جنوب لبنان، حولت الأمطار إلى زوابع ورياح عاتية، جاءت بعد عملية حزب الله اللبناني، والتي أسر فيها جنديين إسرائيليين، ويجب أن تقدر أن هذه العملية تتم في إطار المقاومة المشروعة، مادام الصراع مفتوحا ولم ينته بين الطرفين، ومن الممكن تبادل الأسرى كخطوة أولية لتعميق بذور الثقة والتفاهم بينهما، وهي بدايات ضرورية للتفاوض على الحدود في المستقبل بين جميع الأطراف المشتركة في الصراع بكل جوانبه.

[٢٠٠٦/٧/١٥]

• الكلمة الثانية «رأى الأهرام» وجاءت تحت عنوان:

ضرورة وقف العدوان على الشعب اللبنانى

في الوقت الذي يتواصل فيه العدوان الإسرائيلي الوحشي والشامل ضد الشعب اللبناني يقف المجتمع الدولي صامتا دون أن يتخذ خطوات واضحة على أرض الواقع لوقف هذا العدوان الذي يعد مخالفا للقانون والشرعية الدولية بل للقيم والأعراف الدولية، فمنذ بدء الهجوم على لبنان سقط عشرات القتلى ومئات الجرحى من المدنيين اللبنانيين، إضافة إلى الخسائر المادية الهائلة التي تكبدها الاقتصاد اللبناني من قصف المطارات والمؤسسات وتزيد على مليارات الدولارات، وهو ما يعني إعادة الاقتصاد إلى الوراء والقضاء على ما تحقق من إنجازات اقتصادية خلال السنوات الأخيرة.

العدوان الإسرائيلي من حصار شامل وتدمير كامل يضيف إلى معاناة وجراح الشعب اللبناني، الذي واجه الكثير من التحديات الداخلية والضغوط الخارجية خلال العام الماضي ولم تكد الآمال تتجدد في تحقيق الأمن والاستقرار وانطلاق خطوات التنمية الاقتصادية، حتى جاء العدوان الإسرائيلي ليدخل البلاد إلى مرحلة جديدة من الألم والمعاناة لا يستحقها الشعب اللبناني.

[٢٠٠٦/٧/١٦]

• وأخيرا جاءت كلمة الأستاذ أحمد بهجت بعنوان:

حرب مفتوحة

في البداية أعلنت إسرائيل أن جنديا من جنودها قد اختطف وأنها تريد هذا الجندي على وجه السرعة، وإلا اعتبرت إسرائيل الحكومة الفلسطينية مسئولة عن اختطافه.

بعد ذلك أعلن السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله أن حزبه قد أسر جنديين إسرائيليين، وأن الطريق السليم لعودة الجنديين إلى منزليهما هو مبادلتهما بالأسرى العرب في سجون اسرائيل، ورفضت إسرائيل هذا العرض، وهددت بحرب مفتوحة. وظهرت صورة السيد نصر الله على أجهزة التليفزيون ووجه أكثر من رسالة للشعب العربي وحكامه وشباب المقاومة والشعب الإسرائيلي والحكومة الإسرائيلية. وقال فيما قاله لها: أنتم أردتموها حربا مفتوحة، ونحن ذاهبون إلى الحرب المفتوحة ومستعدون لها.. إلى حيفا وإلى ما بعد حيفا.

بعد ذلك تحدث الشيخ حسن نصر الله عن المفاجآت، وأعلن أن بارجة حربية إسرئيلية ضربت لبنان بالأمس تحترق الآن في عرض البحر وعلى متنها عشرات الجنود الإسرائيليين وقد أصابتها نيران المقاومة.

واعترف الجيش الاسرائيلي بإصابة البارجة، وإن كان قد قلل من حجم الاصابة كعادة الجيوش مع خسائرهم.

وبدأت الحرب المفتوحة... وبسبب جبن المقاوم الإسرائيلي تفضل قيادة الجيش استخدام الطيران ولا تلجأ للهجوم البرى إلا وهي مضطرة، وكان أول هدف لإسرائيل هو مطار بيروت الدولي رغم أن هذا الأمر محرم دوليا، لأن المطارات تعتبر مباني دولية لا يجوز ضربها في الحروب.

اشتعلت النار في مطار بيروت فتوقفت حركة السفر، وضربت القوات الإسرائيلية الجسور والطرق ومحطات الكهرباء والمياه، كما ضربت أهدافا مدنية كالنساء والأسر والأطفال.

وتقدم لبنان لمجلس الامن يطالب بوقف إطلاق النار، ووافق عشرة أعضاء من ١٥ على الطلب، ولكن أمريكا أعلنت الفيتو فتوقف كل شيء، واعتبر الرئيس الأمريكي أن هذا العدوان الإسرائيلي دفاع عن النفس.

[٢٠٠٦/٧/١٧]

• وفي جريدة الوفد الصادرة في ٢٠٠٦/٧/١٥ كتب الأستاذ صلاح عيسى عن:

حسابات المقاومة وتوقيتاتها

هبت عاصفة النار الإسرائيلية على المنطقة، فلم تعد تقتصر على غزة التي هبت عليها العاصفة منذ أسابيع، بل شملت كذلك لبنان، التي وصلتها العاصفة صباح الأربعاء الماضي، وفي الحالتين، شملت الخطة عمليات عسكرية واسعة ومتصاعدة تقوم على الاستخدام المفرط للقوة، لا تقتصر على الحصار البري والبحري والجوي، بل تضيف إلى ذلك غارات جوية، وضرب بالمدفعية، تدمر الكباري وتقطع الطرق وتهدم المباني الحكومية والحزبية.

وتسقط خسائر كبيرة في البنية التحتية، وفي المدنيين.. والهدف في الحالتين معروف ومعلن هو إسقاط حكومة حماس في غزة، وتدمير القوة العسكرية لحزب الله، بإنشاء منطقة عازلة تجعله

عاجزاً عن القيام بأية عملية ضد إسرائيل.

وككل عربي فقد سعدت بعملية غزة، وبدت لي نموذجاً للتخطيط الذكي والتنفيذ المقتدر، لتحقيق هدف لاشك في أنه مشروع، وتمنيت أن تكون كل عمليات المقاومة من نوعه، وأن تتوقف العمليات التي تجرى ضد المدنيين، والتي لا يستفيد منها إلا العدو..

ومن سوء الحظ أن الوساطة المصرية لحل الأزمة على أساس وقف العمليات العسكرية في غزة ومبادلة الأسير الأسرائيلي بعدد من الأسرى الفلسطينيين، قد فشلت وتوقفت، ليحل محلها منهج آخر في معالجة الأزمة، وهو الرد على التصعيد الإسرائيلي بتصعيد مقابل، وفتح جبهة جديدة ضده من جنوب لبنان، فكانت العملية التي قام بها حزب الله، وهي عملية خططت بذكاء ونفذت باقتدار لتحقيق هدف لا شك في أنه مشروع.

● وفي جريدة الوفد أيضا الصادرة في ٢٠٠٦/٧/١٥ كتبت الأستاذة سناء السعيد:

ليذهب الجميع إلى الجحيم

غريب ألا يرى المجتمع الدولي إلا ما تراه إسرائيل فيسارع ويطالب بإطلاق سراح الجندي الإسرائيلي الذي أسرته المقاومة الفلسطينية ثم يسارع ويطالب بإطلاق سراح الجنديين اللذين أسرهما حزب الله في عمليته النوعية الرائعة، فلقد طالبت أمريكا بذلك وكذا الاتحاد الاوروبي والأمم المتحدة حتى روسيا خرجت عن النطق وطالبت بإطلاق سراح الجنديين. ولم ير كل هؤلاء أسرى فلسطين في السجون الإسرائيلية ولا الظروف التي يعيشون فيها والانتهاكات التي يتعرضون لها.

ويكفي أن عددهم يزيد على عشرة آلاف وأن بعضهم معتقل منذ السبعينيات. وإسرائيل لا ترى إلا التصعيد العسكري ودفع الأمور نحو حافة الهاوية لا سيما وأنها بمنأى عن محاسبة ومساءلة المجتمع الدولي لها بالإضافة إلى تمتعها بدعم أمريكي واسع تتبعه وتتبناه المنظمة الدولية.

هذا فضلا عن أن إسرائيل تلتزم بالدفاع عن فكرة وجودها دون أن تأخذ في الاعتبار أية أطراف أخرى عملا بمبدأ يقول: «ليذهب الجميع إلى الجحيم..!!».

دكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

تحت هذا العنوان كتب د. محمد الجوادي في جريدة الأهرام في عددها الصادر في ٢٠٠٦/٦/٢٢ يرثي هذا العالم الجليل:

فقدت الثقافة الإسلامية بوفاة الدكتور محمد إبراهيم الفيومي عالما مجتهدا من أبرز الأزهريين الذين اشتغلوا بعلوم الفلسفة الإسلامية، وقد تعددت روافده العلمية في مصر وخارجها، كما مارس البحث العلمي والتعليم والتدريس على المنهجين القديم والحديث، وشارك بصفة دائبة في الاجتماعات والندوات واللقاءات والمناقشات والمؤتمرات، فكان على الدوام نموذجا للعالم العامل هادئ الطبع، كثير الإنجاز، كما كان مخلصا لعلمه، محبا للناس، وقد تمتع بأخلاق نبيلة وخبرة حببت فيه كل من عرفوه، كما تمتع بقدر كبير من الفهم والقدرة على التأويل، والاستنباط والاستشهاد، واستدعاء النظائر، وكان حفيا بمجالس الأدب، وحلقات العلم، ومؤسسات العمل الخيري، وقد ربطته بكثير من أعلام الوطن علاقات الاحترام، والتبجيل، والتقدير، والصداقة، والحب في الله، كما وثقت الألفة الصادقة، والحميمة المخلصة من علاقاته بمن عرفوه.

وقد أتيح له قبل وفاته بسنوات أن يسعد بأعظم

أعماله، وهي موسوعة الفلسفة الإسلامية، وقد نشرت أكثر من مرة، وقد خص في مجلداتها السبعة تاريخ الفلسفة الإسلامية على نحو منهجي دقيق، كما أتيح له أن يكتب صفحات من ذكرياته في كتاب طبعه مرتين بعنوان «أيامي»، وبالإضافة إلى هذا فقد ترك بصمات ذات قيمة في كثير من المواقع التي شغلها في أمانة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفي عمادة كلية الدراسات العربية والإسلامية بالأزهر الشريف، وفي جامعة قطر، وفي كل هذه المواقع كان عاملا منجزا، وقد جمع في اعتدال مشكور بين احترام النفس والتواضع، وبين الاعتراف بالحق والحرص على مجاملة الآخرين، كما جمع بين القدرة على الإدراك والرغبة في السلام، كما أوتي حظوظا كبيرة من صفاء النفس، وطموح العقل، وطهارة اليد، وكرم البذل، وعفة اللسان، وراحة البال، وشرف القصد، ورقي اللفظ، وحب التوفيق بين المتنازعين، كما كان حريصا على دوام الصداقة بين كل أصدقائه المشتركين بعضهم وبعض، وعلى السعي في الخير للآخرين، وكان يطوي نفسه على قدر من الآلام والأسى لما لم يكن غيره قادرا على ابتلاعه، وكان يجل العلم وأهله، كما كان يجل العلماء وماضيهم، وكان يذكر بكل حب ما سمعه من أستاذ عن تلميذه، وما سمعه من تلميذ عن أستاذه، وكان يصور ما يرويه من حديث الإنصاف على أنه حديث الحقائق التي لا تقبل الجدل.

كان بالنسبة لي صديقا بكل ما تعنيه الكلمة، وكنت أتألم طيلة الشهور الأخيرة وأنا أرى قبس حياته ينسحب رويدا رويدا، وكان يجاهد المرض كي ينجز وكي يشترك في كل إنجاز قدر له أن يكون من المسئولين عنه. كان صوته يخفت فتمده روحه بقدرات ترفع من نبراته، وكان وجهه يشحب فيمده قلبه بما يحفظ عليه نضرته التي عرف بها، وكان عقله يحاول بعض الغياب ليستريح فلا تلبث نفسه أن تمده بزاد يضفي على حضوره بعض وثبات العقل المتمرس على القول الفصل.

وهكذا ظل يستعين على المرض القاسي بكل ما في الجسم المريض من قدرة على مقاومة المرض أو صورته، فكان يستعين بالروح على الصوت، وبالقلب على الوجه، وبالنفس على العقل، وكان قبل كل شيء يستعين بالإيمان على القضاء، وباليقين على القدر. كان يسألني عن تطور مرضه وهو أدرى به، لكنه كان يرضي نفسه بالسؤال، وكان يلخص مضاعفات العلاج وهو مستسلم، لكنه كان يرى أن التجربة من حق الآخرين، وكان يتحدث عن قدرات التشخيص وهو يحمد الله على أن العلم وصل إلى ما وصل إليه من إلمام بهذه الدقائق، وكأنما الدقائق ليست آلاما وندوبا تفتك به وبجهازه الهضمي.. وبعد.. فما أقساه على الإنسان شعوره حين يصلي صلاة الغائب على حبيب بينما هو في المدينة نفسها.

مستشرق يصف الرسول بالصادق الأمين

وخير ما نختم به مقتطفات هذا الشهر ما نشرته جريدة «الأهرام» الصادرة في ٨ / ٧ / ٢٠٠٦:

«الصادق الأمين» الوصف الذي يؤكد عليه المستشرق الأسباني «خوان برنيت» في كتابه الجديد عن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويؤكد برنيت أنه من أشد المعجبين بالرسول الكريم ورسالته.. برنيت يبلغ من العمر ٨٢ عاما واعتمد في كتابه على بعض المصادر العربية، ويقول: إن العامة لا يمكنهم فهم العمل الذي قام به وهو يعد واحدا من أفضل مترجمي القرآن إلى الإسبانية.



القاهرة تستضيف المؤتمر السنوى لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

تستضيف القاهرة فى التاسع والعشرين من يوليو الجارى فاعليات المؤتمر السنوى لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ـ أحد منظمات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

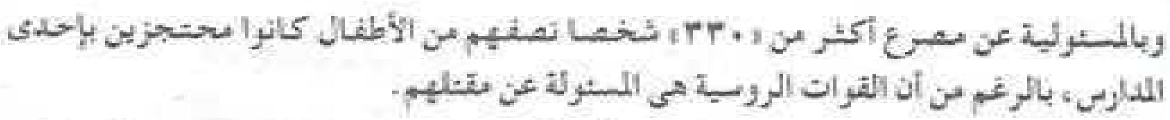
يشارك فى المؤتمر الذى يستمر «٤» أيام نحو «٥٠» عالماً ومفكراً من كبار العلماء فى العالم، منهم د. «حسين حامد حسان» رئيس المجمع، د. «حسين آل الشيخ» إمام المسجد النبوى، والشيخ «عبدالرحمن السديس» إمام الحرم المكى، د. «الطاهر يافرواوا» حاكم ولاية «سوكوتو» بنيجيريا، د. «صلاح الصاوى» الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة.

يناقش المؤتمر العديد من القضايا والموضوعات التى تتعلق بالأسرة والمجتمع مثل ميراث المرأة وديتها وتعدد الزوجات وولاية المرأة واللعان. وحدود تأديب الزوجة والنظام المالى الإسلامى ومؤسساته وآلياته ومفهوم الحاجة والضرورة وعمل البورصة والمحاذير الشرعية المشتركة بين أغلب الوظائف والحرف فى البلاد غير الإسلامية والمشاركة السياسية للمسلمين فى الدول الغربية.

استشهاد القائد الشيشانى المسلم «شامل باساييف»

استشهد القائد الشيشانى المسلم «شامل باساييف» وذلك فى هجوم شنته القوات الروسية الخاصة على موقع كان موجوداً فيه فى جمهورية «أنجوشيا» المسلمة المجاورة لجمهورية «الشيشان».

كانت روسيا قد عرضت «عشرة ملايين دولار» لمن يأتى برأس باساييف الذى تتهمه بالإرهاب



وبالمسئولية عن مصرع أكثر من «٣٣٠» شخصا نصفهم من الأطفال كانوا محتجزين بإحدى المدارس، بالرغم من أن القوات الروسية هى المسئولة عن مقتلهم.

وقد أعرب الرئيسان الروسى «بوتين» والأمريكى «بوش» عن سعادتهما بسقوط «شامل باساييف» الذى يتهمانه بالإرهاب.

وما زالت القوات الروسية تواصل حملتها على المقاتلين الشيشان الذين يدافعون عن إسلام دولتهم ويسقط يومياً الكثير منهم وسط صمت رهيب من العالم «الحر» ومن العالم الإسلامى الساكت دوماً عن كل ما يتعرض له المسلمون من قتل وإبادة فى أماكن كثيرة من العالم.

إهانة جديدة للمسلمين فى أمريكا

قام متطرفون أمريكيون بولاية «تناسى» بإلقاء نسخ من القرآن الكريم على مدخل أحد المساجد بعد أن مزقوها بإطلاق أعيرة نارية عليها.

وطالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية كير وزارة العدل الأمريكية بالتحقيق فى الجريمة، وقال مسئولون فى مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية فى بيان لهم أن مرتكبى الحادثة قاموا بتصويرها ووضعها على شبكة الإنترنت ويصور شريط الفيديو المنشور بعض الرجال وهم يطلقون عدة أعيرة نارية على نسخة من القرآن الكريم وقام أحدهم بإلقاء النسخة الممزقة على مدخل أحد المساجد متحدياً بذلك مشاعر المصلين المسلمين الذين يرتادون هذا المسجد.

١٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين يعبدون القمر

كشف أحدث استفتاء أشرف عليه مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» أن ١٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين يعبدون القمر.

وذلك يعكس الجهل الكبير بحقيقة الإسلام فى أوساط الشعب الأمريكى!

وأوضح الاستفتاء أن ٢٥٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الإسلام دين عنف وأن واحداً من كل أربعة أمريكيين يعتقد أن المسلمين يربون أولادهم على العنف.

ومن ناحية أخرى كشف الاستفتاء عن بعض النقاط الإيجابية منها أن ٤٠ ـ ٥٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين لديهم حضارة ويتعاونون فى الحرب على الإرهاب.

ودعا القائمون على الاستفتاء إلى تعاون المؤسسات الإسلامية فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين والتعريف بالإسلام فى مختلف دول العالم.



إقبال كبير على مهرجان التعريف بالإسلام بالدانمارك

شهد مهرجان التعريف بالإسلام «الإسلام اكسبو» الذى تم تنظيمه فى الدانمارك إقبالاً كبيراً من مختلف فئات الشعب للتعرف على حقائق ومبادىء الإسلام.

استهدف المهرجان الذى تم تنظيمه بالتعاون بين سفارات الدول العربية والإسلامية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة تعريف الدانماركيين بالإسلام والحضارة الإسلامية وأكد «بير مولر» وزير خارجية الدانمارك خلال مشاركته فى المهرجان على أهمية الحوار والانفتاح على الآخر وقال: ترغب فى تمكين المسلمين من تقديم ثقافتهم وفنهم للمجتمع الدانماركى إلى جانب الاطلاع على صورة البلد الحقيقية مشيراً إلى أن المسلمين ليسوا ناساً مجانين يتظاهرون ويحرقون الأعلام فى الشوارع كما يحلو للبعض تصويرهم.. وقال إن المسلمين شعوب ذات ثقافة عريقة وتسعى دائماً لحوار متحضر.

دورة للتعريف بالإسلام بولاية بنسلفانيا

ينظم فرع مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية بمدينة «فلادليفيا» بولاية «بنسلفانيا» الأمريكية دورة للتعريف بالإسلام فى شهر أغسطس الحالى على مدى ثلاثة أسابيع.

تشمل الدورة عشر محاضرات تحت عنوان «فهم الإسلام والمسلمين من خلال الفقه والتاريخ» حيث يتم مناقشة أسس العقيدة الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية والثقافية والسياسية التى بنتها المجتمعات الإسلامية عبر تاريخها.

كما تناقش فترة العصر الذهبى للحضارة الإسلامية وبعض القضايا المعاصرة المتعلقة بالإسلام والمسلمين.. وكان المجلس قد نظم حلقة نقاشية بالعاصمة الأمريكية واشنطن دعت إلى ضرورة إغلاق معتقل «جوانتانامو».

رابطة «اللواط» العالمية تسعى لتنظيم أسبوع لنشاطها فى القدس

ناشد عدد كبير من علماء فلسطين علماء الأمة الإسلامية دعم جهودهم للتصدى لقرار السلطات الإسرائيلية بالسماح لرابطة المثليين واللواط العالمية بتنظيم أسبوع للترويج والتعريف بنشاطها فى مدينة القدس خلال شهر أغسطس الحالى ونظم علماء فلسطين وعلى رأسهم الشيخ «تيسير التميمى» قاضى قضاة فلسطين والشيخ حامد البيتاوى رئيس رابطة علماء فلسطين والشيخ إبراهيم صرصور أحد قيادات الحركة الإسلامية الفلسطينية حملة واسعة للتصدى لهؤلاء الشواذ الذين ينوون اختتام أسبوع نشاطهم بمسيرة ضخمة للواط فى شوارع القدس تمر أمام عدة أماكن مقدسة، وقال الشيخ إبراهيم صرصور إن هذه المسيرة للشواذ جزء من الهجمة الشرسة على القدس الشريف. وشدد الشيخ صرصور على ضرورة تكاتف الجميع لمواجهة تلك السقطة والتصدى لظاهرة المثليين المرفوضة إسلامياً وإنسانياً.



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ استليا نيدس. نائب وزير خارجية اليونان يرافقه السيد السفير/ بنايوتى فلاسوبوس والوفد الصحفى المرافق.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد نائب وزير خارجية اليونان والوفد المرافق له، مؤكداً على أن مصر واليونان تربطهما علاقات طيبة وصلات قديمة تقوم على التعاون من أجل خدمة البلدين وأن صلة الأزهر بمسلمى اليونان صلة قديمة حيث يدرس بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ١٨ طالباً وطالبة من أبناء اليونان يتلقون علوم الأزهر الشريف التى تقوم على التسامح والاعتدال وعلى الوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء كما أن الدراسة تقوم على اعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة مهما اختلفت عقائدهم ومهما اختلفت أوضاعهم وأن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون لأن الذى يحاسب على العقائد هو الله ولا إكراه على العقائد كما تُعلم أبناءنا فى الأزهر بأن الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم فمصر تتعلم من حضارة اليونان، واليونان تتعلم من حضارة مصر.

ومن جانبه شكر نائب وزير الخارجية اليونانى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وأنه سمع أطيب الكلمات عن فضيلة الإمام الأكبر وكان عليه الالتزام السياسى والأدبى للحضور للقاء فضيلة الإمام الأكبر وذلك لتقديم الشكر لمساهمة فضيلته الشخصية ومشيخة الأزهر وجامعته لرعاية مسلمى شمال اليونان وتقديم المنح التعليمية لهم، وأوضح السيد نائب وزير الخارجية بأنه هو العضو المنتخب للبرلمان اليونانى لمنطقة شمال اليونان وأنه بالتعاون مع الأكثرية المسلمة فى هذه المنطقة تعتبر الآن نموذجاً يحتذى به على مستوى أوروبا وهى رسالة للتعايش السلمى مع بعضنا البعض، ورد على ما يطلق عليه صراع الحضارات، وأن ما سمعه من الإمام المفتى بمنطقة شمال اليونان عن فضيلة الإمام الأكبر وإسهاماته الطيبة للدارسين من شمال اليونان الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر الشريف وعادوا لتقديم الخدمات فى وطنهم يعد نموذجاً طيباً للتعايش يحتذ به وهى تعتبر رسالة توجهها إلى بقية أوروبا لسببين:

› الأول : أنها تعتبر نموذجا للاعتدال في الاسلام والديمقراطية المسيحية في الغرب التي نعيشها الآن.

› الثاني : لإيماننا بالدور الذي تقوم به كل من مصر واليونان على الصعيد الدولي لأنهما يمثلان حضارتين عظيمتين، مصر بأزهرها على مستوى العالم الاسلامي، واليونان التي لديها صوت قوى في المحافل الغربية وهو يعد بذلك جسراً للتعاون بين مصر واليونان وبين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب ويتميز توحدنا هذا بالرشاد والتقارب.

وقد أجاب فضيلة الامام الأكبر عن سؤال حول الرسوم المسيئة للرسل، موضحاً أن هؤلاء الرسل الكرام، نوح، إبراهيم، إسماعيل، اسحاق، يعقوب، موسى، عيسى، محمد صلى الله عليه وسلم، نحن المسلمين نحترمهم جميعا ولا نقبل الإساءة إليهم بأى صورة لأنها إساءة للمسلمين، لأن هؤلاء الرسل هم الذين اخرجوا الناس من ظلمات الظلم إلى نور العدل، ومن الرذائل إلى الفضائل ولم يسيئوا إلى أحد، فيجب ان نحترمهم ولا نسيء اليهم ومن يسيء اليهم فهو فاقد للشرف الانساني ويجب أن يحاسب على جرائمه، فنحن نرحب بحرية التعبير مادامت في حدود العقل والعدل وهذه الإساءة لا صلة لها بحرية التعبير.

***

● غادر فضيلة الشيخ/ عمر الديب محمد محمود. وكيل الأزهر الشريف فجر يوم الأربعاء ٧ / ٦ / ٢٠٠٦ أرض الوطن متوجها إلى بلجيكا لحضور فاعليات الدورة الثانية عشر للجنة الاتصال الإسلامى الكاثوليكي بالتعاون بين المنتدى الإسلامي العالمي للحوار ومجلس كنائس الشرق الأوسط في الفترة من ٨ إلى ٩ يونيو تحت عنوان (الدين والبيئة) . وتشمل كلمة فضيلة الشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف ورئيس لجنة الحوار الدائم بين الأديان على ضرورة العمل على حماية البيئة باعتبارها واجب أخلاقي وشرعي ويجب الحفاظ عليها من الفساد والضياع والعبث بها والتأكد على أن القرآن وضع تصوراً شاملاً للبيئة شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد وجعل الإنسان على قمة الاهتمام، وسخر البيئة لخدمته وهو ما توصل إليه العلماء مؤخرا، وهو ما تضمنه الإعلان العالمي للبيئة، ومن هنا أصبحت حماية البيئة في أى مجتمع ضرورة ملحة وهدفا منشودا بل وضرورة حتمية فرضتها ظروف الحياة والتقدم الحضارى، وإذا كان الله تعالى قد سخر لنا مافي الأرض جميعا فإن من الواجب على جميع البشر أن يحافظوا على هذه البيئة والطبيعة التي سخرها الله تعالى. وعلى الإنسان أن يعمل قدر استطاعته لتحسين ظروف بيئته ومعيشته ولا يكون من المفسدين بل عليه أن يراعي التوازن البيئي سواء أكان في الأرض أم في السماء أم في الماء، لأن حفظ الحياة لا يتم إلا بالحفاظ على مكونات البيئة لأنها عامل ضروري لاستمرارية الحياة.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً من رؤساء المحاكم العسكرية بجمهورية مصر العربية ودولة الكويت الشقيقة يرافقه السيد المستشار/ مدحت بسيوني - مساعد وزير العدل ورئيس قسم الدراسات الجنائية بوزارة العدل.

وقد شرح فضيلة الإمام الأكبر للوفد منزلة القضاء في الإسلام ومكانته السامية في الأمة، فهو لون من الفصل في القضايا بين الناس بالحق والعدل وهو بذلك يحتاج إلى جهد كبير، فالقضايا متنوعة والعقوبات متنوعة، كما أن الشريعة قسمت العقوبات إلى أقسام وكذا الجرائم ففي كل يوم نكتشف الجديد من الخداع والغش.

كما وضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد قيمة العدالة وإعطاء الحق لكل صاحب حق ونصرة المظلوم بصرف النظر عن ديانته وفي نهاية اللقاء شكر الوفد الإمام الأكبر على هذا التوضيح المثمر.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه . وفداً من ولاية تجرى سمبيلان الماليزية برئاسة داتوسرى أوتاما محمد بن حسن كبير وزراء الولاية- يرافق الوفد سعادة السفير/ زين العابدين عبدالقادر - سفير ماليزيا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بكبير وزراء الولاية ومرافقيه، مبيناً بأن الصلة قديمة وقوية بين الأزهر الشريف ودولة ماليزيا الشقيقة حيث يتلقى العلوم الدينية والشرعية طلاب من دولة ماليزيا يزيد عددهم عن ٧ آلاف طالب وطالبة، ثم استعرض فضيلته في إيجاز زيارته لدولة ماليزيا التي تمت في الأيام السابقة حيث ألقى فضيلته محاضرة عن معنى المنهج الإسلامى الحضارى الذى يدعو إلى الرقى والتقدم في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والزراعية والصناعية والتكنولوجية. حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير / رشيدللى سوبادار- سفير دولة موريشيوس بالقاهرة بمناسبة توليه مهام عمله كسفير جديد لبلاده بجمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير بالأزهر الشريف، متمنياً لسيادته التوفيق في عمله كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية، هذا وقد وضح فضيلة الإمام الأكبر للسيد السفير أن لدولة موريشيوس طلاباً يدرسون بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف حيث إن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى.

هذا وقد شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وطلب من فضيلته زيادة التعاون الثقافي بين دولة موريشيوس والأزهر الشريف ومنها زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب دولة موريشيوس.



And:

{And (endure) patiently whatever may afflict you. Surely that is (an indication of true) resolve concerning His commands.} [Luqman (The Sage): 17]

And:

{Yet be clement towards them and pardon; surely Allah loves the fair-doers.} [Al-Ma'idah (The Table): 13]

And:

{And let them be clement and let them pardon. Do you not love that Allah should forgive you; and Allah is Ever-Forgiving, Ever-Merciful.} [An-Nur (The Light): 22]

And:

{Repel with that which is fairest, then, only then, he between whom and you there is enmity shall be as if he were an intimate patron.} [Fussilat (Expounded): 34]

And:

{And the repressors of (their) rage, and the clement towards (their) fellow-men; and Allah loves the fair-doers.} [Al-Imran (The Household of Imran): 134]

And:

{O you who have believed, avoid much surmise; surely some surmise is a vice; and do not spy on each other, neither backbite one another.}

[Al-Hujurat (The Apartments): 12]

On the battle of Uhud, the disbelievers injured the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him), and his front teeth were broken and his head was wounded, so blood was flowing over his face. He was wiping the blood (from his face) saying, *"How will these people attain salvation who have wounded their Prophet while he called them towards (the way of) Allah?"* That was when Allah, the Exalted and Glorious, revealed the Verse stating:

{You have nothing to do concerning the Command.[5]}

[Al-`Imran (The Household of `Imran): 128]

[5] I.e., Allah's Command



This is seen as a kind of educating the Messenger and reminding him of the Qur'anic manners. There are many other examples in the Qur'an whose main intended subject is the Messenger, then from his example, the light shines over all humanity. Out of his words, concise but comprehensive in meaning, the Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) said, *"I have been sent to perfect the honorable manners."* In support of this, Allah, Exalted and Glorified be He, said:

{And surely you are indeed of a magnificent character.}

[Al-Qalam (The Pen): 4]

Glory be to Allah Who raised His Prophet Muhammad to a rank never reached by anyone before or after him.

The Present and the Past

What about those who claim civilization and freedom?! When you consider what those Westerners claim as having civilization and protecting human rights, and consider the instructions given by the Messenger to one of his commanders, Mu`adh Ibn Jabal, you shall find a huge difference. The Messenger instructed Mu`adh to fear Allah because fearing Allah will protect the believer from committing anything wrong. He also commanded him to always say the truth, give back the trust, protect the neighbor, show mercy to the orphan, never be harsh to others, and do his work perfectly. You may witness how far the civilization of Islam is great when you come to know that the Messenger forbade Mu`adh from insulting any wise man. Contrarily, those claiming modern civilization are now insulting and offending the prophets and messengers, claming that they are the people enjoying freedom. What a despicable freedom they have! They should learn the true and great civilization from the Messenger of Islam.

{Peace be upon you! I will soon ask my Lord to forgive you; surely He has been Ever-Hospitable to me.}

[Maryam (Mary): 47]

Does such a type of dialogue not represent a wonderful example for the callers and preachers! Does this not give them a good example in how to attract others and bear offence by facing it with benevolence. Ibrahim said to the one threatening him, *"Peace be upon you! I will soon ask my Lord to forgive you."*

Ibrahim did not stop calling his people and when he began to feel despair, he headed for the place where they, including his father, used to gather to call them and argue them using unarguable evidence. He uncovered the reality of the idols they used to worship saying:

{"What do you worship?" They said, "We worship idols; so linger on consecrating (ourselves) to them." He said, "Do they hear you as you invoke (them)? Or do they profit you or harm (you)?" They said, "No indeed, (but) we found our fathers thus performing." He said, "Have you then seen (that) what you have been worshipping, you and your fathers of old? Yet, surely they are an enemy to me, except The Lord of the worlds."}

[Ash-Sh`ra' (The Poets): 70-77]

By saying this, Ibrahim uncovered the reality of the idols which could not respond to whoever called them, nor benefited nor harmed them. He clarified the falsehood in which their forefathers were living. He called them to worship Allah, the Lord of the worlds, the One Who created, sustained, supported, gave life and caused death to creation. Allah Alone is the One worthy to be sincerely worshipped.

Our Master Muhammad, the Most Honorable Man on Earth ...!

By: Sheikh Umar Al-Deib, Al-Azhar's Deputy

Allah's Messenger Muhammad is Allah's most honorable and highest in rank creature. His Lord educated him in the best manner that no one ever reached. Allah, the Almighty, educated His Messenger in accordance with the Noble Qur'an. Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to supplicate Allah and implore to Him all the time. He would ask his Lord to beautify him with good manners. Therefore, he used to invoke Allah saying, *"O Allah! Improve my creation and manners."* Lady A'ishah, the Mother of the Faithful and the Prophet's wife, narrated that the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to call Allah saying, *"O Allah! Keep me away from the abominable manners."*

Allah, the Almighty, sent down the Qur'an on His Messenger and beautified him with its manners. Sa`id Ibn Hisham once said, "I asked A'ishah (may Allah be pleased with her) about the manners of Allah's Messenger. She said, 'Do you not read the Qur'an?!' I replied, 'Yes I read the Qur'an.' A'ishah then said, 'The manners of Allah's Messenger was (according to) the Qur'an.' "

The following are among the manners of the Qur'an with which the Messenger has been refined:

{Take to clemency, and command benevolence, and veer away from the ignorant.} [Al-A`raf (The Battlements): 199]

And:

{Surely Allah commands to justice and fairness and bringing (charity) to a near kinsman, and He forbids obscenity and maleficence and iniquity.}

[An-Nahl (The Bee): 90]

the Five Obligatory Prayers while the other prophets are included in the phrase saying *"wa Alu Ibrahim"* (i.e., and the household of Ibrahim), for they are related to him.

The Assuring Evidence

May be the most clear thing in the guiding call of Ibrahim was his firmly-established belief in what he was calling for and his persisting thought about what would assure his heart in his faithful belief. The Father of Prophets sincerely believed in resurrection, but despite his firm belief, he asked Allah to show him a perceptible proof. Ibrahim said to his Lord, "Lord! Show me how You give life to the dead?" The exegetes and interpreters of the Qur'an said that Ibrahim said, "How You give life to the dead?" and he did not say, "Do You give life to the dead?" There is a difference between the two questions, for asking by "how" implies prior belief in resurrection and only asking for the manner. Contrarily, asking by "do" involves hesitation in belief and suspicion. In support of this, Allah said to him, "Have you not believed?" Ibrahim replied, "Yes indeed, but that my heart be composed." Therefore, we conclude that the question of Ibrahim is a means to firmly establish his heart and put it at ease.

The attitude of Ibrahim, as regards asking his Lord to show him how He would give life to the dead, was not restricted to him alone. To illustrate, Ibrahim was demanded to invite strong and harsh enemies to believe in resurrection despite their persisting denial to such a fact. Undoubtedly, he would mention to them that perceptible proof which he saw with his own eyes; when he took four birds and divided them, then he set a portion of them on every mountain, and after that he called them and they came up to him with hasty diligence. It might happen that some of his companions could see that scene so they would tell what they had seen. Through this, Ibrahim would have a strong means of convincing his people.

Calling in a Way That Is Most Benevolent

The first people the Messengers would call to the path of Allah were their families and relatives. In the case of Ibrahim (peace be upon him), he started by calling his father, for his concern about the success of his father in this life and the life to come was strong, which made him dialogue with his father in many situations without loosing hope. In calling his father, Ibrahim was so discreet for he chose the most mollifiable words so as to attract his father to the true religion. His meaningful words to his father were full of points of convincing; he said (as came in the Qur'an):

> {O my father, why do you worship that which neither hears nor beholds, nor avails you anything? O my father, surely there has come to me of knowledge that which did not come up to you; so closely follow me, and I will guide you on a level path. O my father, do not worship Satan; surely Satan has been disobedient to The All-Merciful. O my father, surely I fear that (some) torment from The All-Merciful will touch you, so that you become a patron of Satan.} [Maryam (Mary): 42-45]

The interpreters pay attention to the expression *"torment from The All-Merciful"* from a psychological perspective. One of them said, "Ibrahim did not say, 'torment from The All-Powerful or The Subduer' but he said, 'from the All-Merciful' to let his father know that Allah would be Merciful and Forgiver. Ibrahim said so to let his father know that Allah would forgive him and encompass him with His mercy if he should repent from his past sins of polytheism." However, Ibrahim's father met his words with harsh denial when he declared that if his son should continue in his call, he would stone him to death. That was a cruel threat not expected by Ibrahim who chose the most mollifiable words to convince his father to follow him. Despite that severe threat, Ibrahim could not do anything but saying:



Intellectual Cogency in the Message of Ibrahim ...!
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

I mentioned earlier that the call of Allah's Messengers (peace be upon them all), before Ibrahim, was supported by intellectual conviction and established evidence through visible signs and straight thought. I would like to prove that the call of the Father of Prophets, our master Ibrahim, reached the utmost degree of sound convincing out of the shining argument and assuring evidence.

The relation between Ibrahim (peace be upon him) and Islam is undoubted; Allah, Exalted and Glorified be He, says:

{The creed of your father Ibrahim. He is (The One) Who has named you Muslims aforetime.}

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 78]

He also says:

{Ibrahim was in no way a Jew, neither a Nazarene;[3] but he was unswervingly (upright)[4] Muslim; and he was in no way one of the associators.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 67]

Talking about the journey of Al-Isra'a And Al-Mi`raj, the Messenger Muhammad said that he saw Musa (Moses), `Isa (Jesus) and Ibrahim (Abraham). He said that the intimate friend of Allah, Ibrahim, was the one bearing the closest resemblance with him (the Messenger Muhammad himself) amongst people. While Muhammad referred to the facial and bodily resemblance, such resemblance also extended to reach the roots of the Islamic Call. Stated differently, Muhammad's Call to the tolerant true religion is a renewal of Ibrahim's Call. Remarkably, the Father of Prophets, Ibrahim, has been distinguished from all the Messengers by being prayed over in

[3] I.e., a follower of `Isa (Jesus), Nasaraniyyan.
[4] I.e., veering away from idolatory.



Isra'a means walking at night, and Al-Mi`raj means ascending up. Regarding the first, Allah says:

{So set forth, with your family, in a watch of the night.}

[Hud: 81]

Concerning the second, Allah says:

{To Him the angels and the Spirit wind up.}

[Al-Ma`arij (The Stairways): 4]

According to the journey, the Prophet was taken from the Inviolable Mosque in Mecca to the Aqsa Mosque in Palestine. Allah, the Almighty, says:

{Hymned be He, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further[2] Mosque.}

[Al-Isra'a (The Night Journey): 1]

The Prophet said, "Jibril (Gabriel) came to me with Al-Buraq, a white animal, smaller than a mule and bigger than a donkey. I set out with him and when we reached Baitul-Maqdis (in Jerusalem), uncountable people gathered, then a muezzin called for prayer, so we all stood in rows waiting for someone to lead us in prayer. Here, Jibril took me and let me lead them in prayer. When we finished prayer, Jibril asked me, 'Do you know who were those who performed prayer behind you?' I said, 'No.' Jibril said, 'They were all the prophets sent by Allah, Exalted be He, since the creation of mankind.' " After that, the Prophet ascended to the heaven.

It was not easy for the people of Mecca to believe the journey of Al-Isra'a and Al-Mi`raj, for they thought about it using the human logic and law. They were unaware that Allah was the Creator of law and logic and that He could render them inactive

[2] Literally: Remotest, Aqsa.



Talib's sticking to the religion of his people that made the polytheists of Quraysh compliment him by not harming the Messenger. Moreover, Lady Khadija the faithfuls mother (may Allah be pleased with her) was encouraging and pacifying him. He would resort to her at the times of fear, so she could take care of him by her kindness and tenderness and would remove the traces of harm and harsh treatment he would suffer from those denying the Divine Message.

It happened that Allah willed that Lady Khadija die in the same year in which the Prophet's uncle, Abu Talib, died. When Abu Talib was on his death bed, Allah's Messenger came to him and found with him, Abu Jahl and `Abdullah Ibn Abi Umaiya Ibn Al-Mughira. Allah's Messenger said, "O uncle! Say: None has the right to be worshipped except Allah, a sentence with which I will defend your case before Allah." On that, Abu Jahl and `Abdullah Ibn Abi Umaiya said to Abu Talib, "Will you now abandon the religion of Abdul-Muttalib?" Allah's Messenger kept on inviting him to say that sentence while the other two kept on repeating their sentence before him till Abu Talib said as the last thing he said to them, "I am on the religion of Abdul-Muttalib," and refused to say: None has the right to be worshipped except Allah. On that Allah's Messenger said, "By Allah, I will keep on asking Allah's forgiveness for you unless I am forbidden (by Allah) to do so." So Allah revealed:

{The Prophet and the ones who have believed should in no way ask forgiveness for the associators.}

[At-Tawba (Repentance): 113]

Concerning Abu Talib's case, Allah, the Almighty, also revealed the following verse while directing His words to the Prophet:

{Surely you do not guide whomsoever you love, but Allah guides whomsoever He decides.}

[Al-Qasas (The Narrative): 56]

Despite the fact that Allah's Messenger was quite certain that Allah would render him victorious, he followed the human causes in delivering the Message. For example, when aggression went severer



against him in Mecca, he left for Al-Ta'if. In Al-Ta'if, he did not expect to receive such a bad treatment from its peoples who harmed him through speech and action. Thus, when he could not find any use for the human causes, he directed his soul to Allah invoking Him. Ibn Ishaq narrated that the prophet called Alah saying:

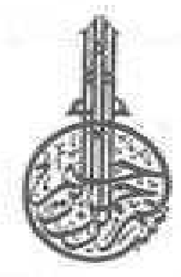
"O Allah, to You I alone complain my weakness, helplessness and humiliation among people. O You, the Most Merciful. You are the Lord of the weak, and You are my Lord. Whom will You charge over me; a far-off (person) who would mistreat me or an enemy whom You charged over me. In case You are not angry with me, I should not care, but Your forgiveness is more extensive for me. I seek refuge with the light of Your Face, that lit the darkness(es) and set right the matter of this life and the hereafter, from inflicting Your anger upon me or afflict Your discontent on me. There is no might nor power save with Allah."

The meaning of the invocation is that Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) had spared no effort and considered every cause. Allah was able to render His Prophet victorious without any effort to be exerted on his part, but He, the Almighty, left him to think about causes so that he would do his best to be a good example for his nation lest it should abandon causes.

Allah, Glorified be He, prepared the journey of Al-Isra'a and Al-Mi`raj for His Messenger as a means of compensating him for what he had suffered at the hands of the people of the earth, and to let him know that there was another world in the heaven welcoming him and exalting his rank among them. Allah prepared that journey for him to remove the sadness he suffered due to the death of his wife and his uncle. In addition, Allah let him see major signs to establish his heart and make him forget the pain and bad treatment he suffered, thus he could continue to deliver the Message of his Lord.

The event of Al-Isra'a and Al-Mi`raj was after the mission of the Prophet and before his immigration to Medina. Al-

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION
July. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Al-Isra'a and Al-Mi`raj[1]...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

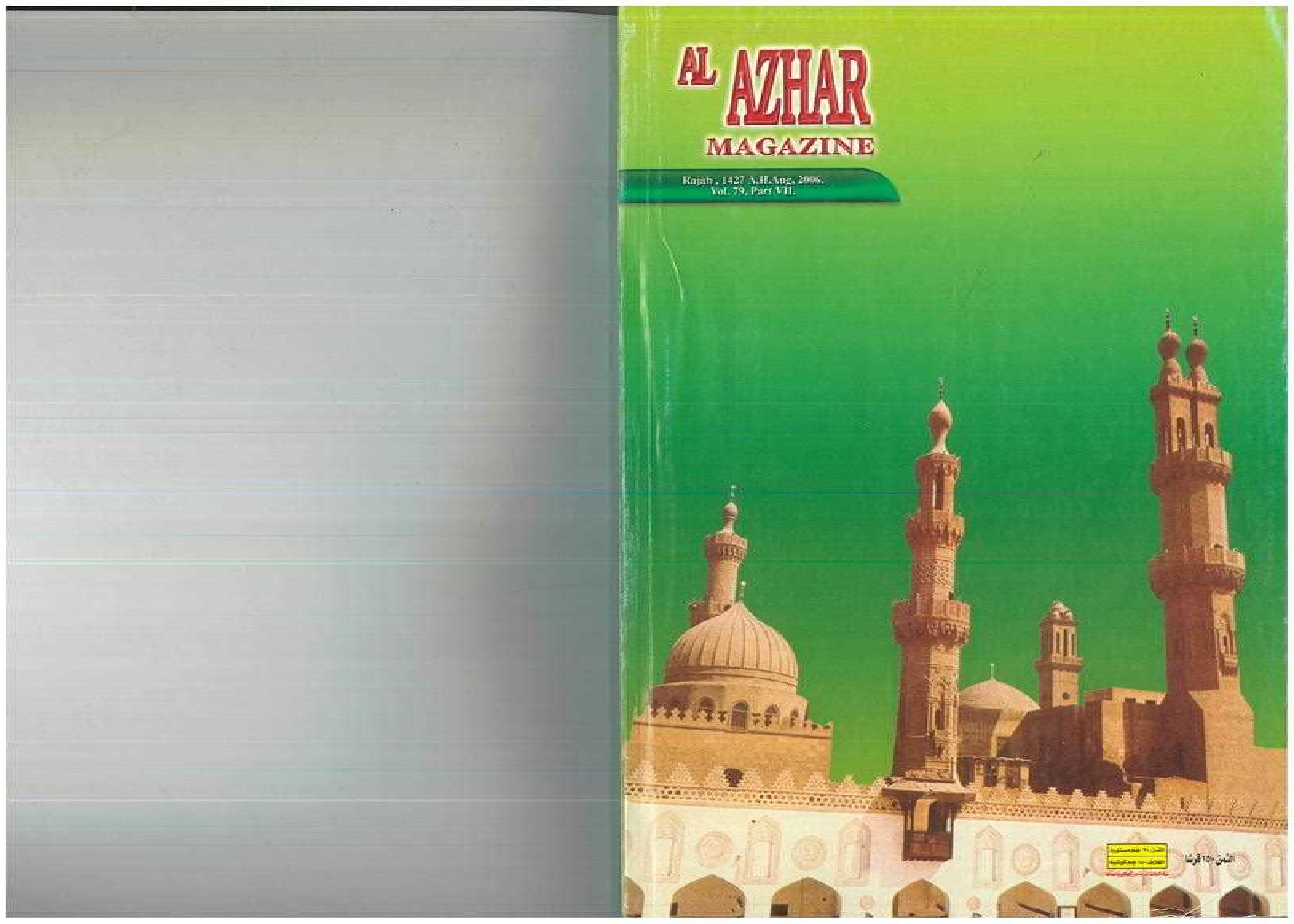
Allah, Exalted and Glorified be He, is the Creator of causes as well as the caused matters and consequences. He makes causes for matters to be perceived by humans as premises from which conclusions are derived. Allah, the Almighty, is in no need of such causes, for He can make His religion (i.e., Islam) victorious without any kind of *Jihad* (i.e., fighting in Allah's Cause) by His Messenger. Nevertheless, the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) came as an example for his nation, and his existence was limited in this life, so what would his nation do after him? How could it defend its religion and heritage? That nation is demanded to protect his Message, so how will it do that?

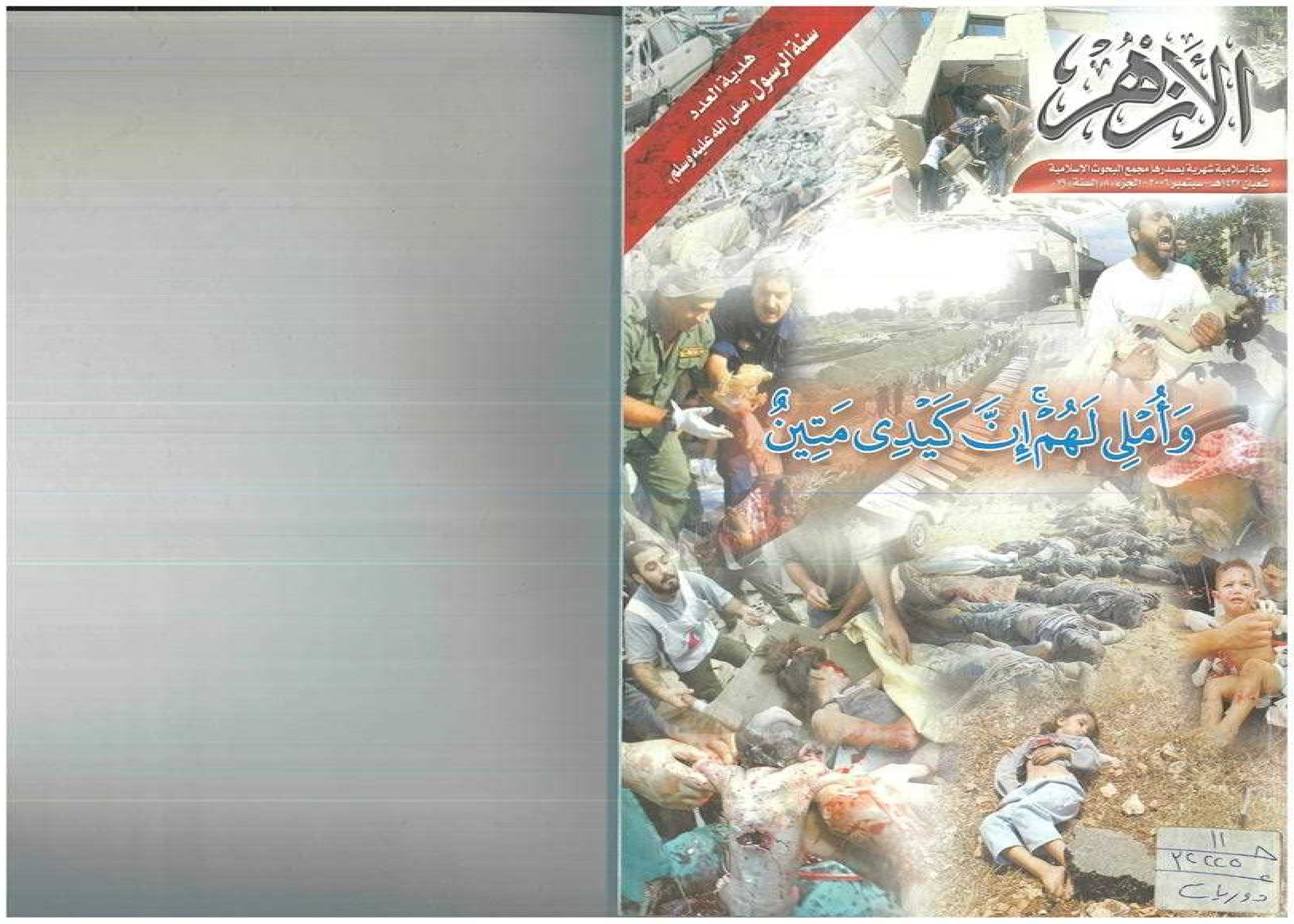
The opposers and hateful parties existed in the time of the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). They even planned to get rid of him by assassinating him, but Allah, Exalted be He, saved him from their conspiracies and saved him from those who waged wars against him and those who followed him. Undoubtedly, those enemies will appear again after his death. During his life, the Prophet Muhammad was in need of two kinds of protection: external and internal. As for the first one, he was needing an external protection against the disbelievers of Qurayash. The second kind was an internal protection in his home so that he could feel tranquility, calmness and rest. However, in both cases, he was surrounded by Allah's protection, the One Who has created causes and commanded us to consider them.

Abu Talib, the Messenger's uncle, provided him with external protection against the polytheists of Mecca. It might be that Abu

[1] Al-Isra'a (Night Journey): The miraculous journey which Prophet Muhammad made by night from Mecca to Jerusalem. Al-Mi`raj (Ascension): It is the miraculous ascension of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Jerusalem to the Heavens to meet his Lord.

الفهـــــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Rajab, 1427 A.H.Aug, 2006.
Vol. 79, Part VII.


الأزهر
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
هدية العدد
سنة الرسول صلى الله عليه وسلم
وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م - الجزء الثامن - السنة التاسعة والسبعون



افتتاحية العدد

بين الحاضر والماضي

ينالون ٩٩٪ في الثانوية ثم ينحدرون

في هذه السنوات العجيبة نرى كليات القمة كما يسمونها، وهي في مضمونها لا تفترق عن كليات السفح المظلومة، نرى هذه الكليات من طب وهندسة وصيدلة لا تأخذ من الطلاب غير الحائزين على ٩٩٪ إلى ما لا يقل عن ٩٥٪ فإذا انخفض المجموع إلى ما دون ذلك، ترفعت هذه الكليات عن أن تنحدر إلى مستوى لا يليق بمركزها العلمي، ويدخل النابغون من هؤلاء الأفذاذ إلى كلياتهم فإذا نتيجة الامتحان في العام الأول تعصف بأكثر من النصف في كل كلية!! فهل يكون من ارتفع إلى مستوى المائة في المائة أحياناً أو ما دونها بقليل عاجزاً عن اجتياز السنة الأولى إلى ما فوقها! أين إذن النبوغ العبقري الذي جعله يأخذ أعلى الدرجات في الشهادة الثانوية! ثم يتخلف عنه فجأة، وكأنه حذاء قد بلي في قدمه بعد عام واحد، ليجد نفسه مضطراً للإعادة، وقد يكون قد أرهق والده في دروس خصوصية ذات أرقام فلكية كما أرهقه من قبل في دروس خاصة في سنته الأخيرة بالمدرسة الثانوية وما قبلها، حتى باع مفروشات منزله، وكاد ينام على الحصير! أين ذاك النبوغ وكيف توارى؟

ثم ارجع البصر كرتين إلى ما قبل ذلك بأربعين عاماً أو أقل، فإنك ستجد من أخذ



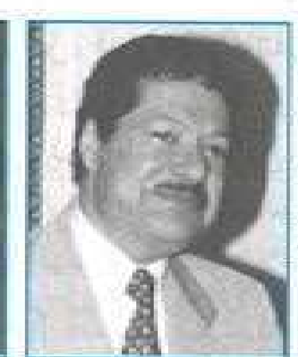
٧٠٪ أو ما دونها بقليل، قد وجد مكانه في كليات القمة المزعومة، وانتقل من نجاح إلى نجاح فلم يتعثر في عام واحد، ولم يكن وباء الدروس الخصوصية الجامعية قد مسه بسوء، فانتقل سليماً معافى، لم يرهق والده في قليل أو كثير، حتى إذا بلغ منتهاه في الدراسة، وجدَ المكان المهيأ، بل وجد السلاح العلمي الذي ظفر به باجتهاده، فهو طبيب حقيقي! أو مهندس حقيقي، وليس ممن حفظ كلاماً، ثم ردده شفوياً وتحريرياً فاقتحم العقبة بعد أهوال!

لماذا تعثر صاحب التسع والتسعين! وفاز صاحب السبعين! ولماذا لم يحدث أحد نفسه بدراسة ميدانية ترصد المقدمات، وتتعرف النتائج، وتنتهي إلى التشخيص الناجع؟ ألفقر في الباحثين؟ ألعجز في الدارسين؟ معاذ الله! فالمؤتمرات العلمية تعقد كل حين، وتلقى فيها المحاضرات، وتقدم بها الاقتراحات؟ والمجالس المتخصصة ذات مواعيد محددة تجتمع فيها الرءوس، وتتبادل الآراء، وتملأ استمارات المكافآت عقب كل مجلس! ولا نرى من ذلك - ومما فوق ذلك مما أعلمه، وأكتمه خشية اللجاج - ما يدل على نظر في مستقبل التعليم بالمدارس والجامعة! وكل عام تتكرر النسب المرتفعة في النتائج وتمتلئ كليات القمة بمن نالوا هذه الدرجات، ليكبوا بعد قليل في أول امتحان، ويسير الأمر في طريقه المعبد! ولا يفتح أحد من هؤلاء فمه بصيحة انتباه! فلكل امرئ منهم شأن يغنيه!

بين عهدين

وللموازنة بين عهد مزدهر من قبل، وعهد منتكس من بعد، علينا أن نعرف حال المدرسة في العهدين لنعلم كيف أثمرت في عهد، وكيف أجدبت في عهد.

ففي العهد المزدهر، كان التلميذ يتهيأ للمدرسة الثانوية في أول عهده بالمراهقة، فيجد المتنفس المريح في مدرسته إذ في أول أسبوع يبدأ النشاط المدرسي على وجه لا عهد له من قبل في مستواه الإعدادي فالنشاط الرياضي يجد اللعب المريح في فناء المدرسة المتسع، وإذا كانت المدرسة في إحدى العواصم الكبرى فلها ساحتها الرياضية التي تتسع للمدارس المختلفة، كما يجد هذا النشاط من المدرسين مهرة مجربين يزاولون النشاط في متعة نفسية قبل أن يكون واجبا مفروضا، والنشاط الأدبي تتعدد فروعه إلى أسر مختلفة، أسرة الخطابة وأسرة الشعر وأسرة القصة، ولكل أسرة أستاذ يقوم على أمرها ممتعا بثقة طلابه، وهم يتمتعون برعايته وتوجيهه وهم معه في كل أسبوع يتناولون ما بمكتبة المدرسة من صحف ومؤلفات ويسألون عما غمض فيجدون الإجابة ثم يتهيئون لكتابة النماذج البدائية للشعر والقصة فيجدون العطف ويملئون أوقاتهم قراءة وكتابة متى سنحت لحظات الفراغ، وجماعة الأشغال اليدوية، وجماعة الموسيقى، وجماعة



أحمد زويل



مجدى يعقوب



الرحلات، وجماعة التمثيل تقوم بنشاطها فى تنافس برىء دافع، وحفلات المدرسة فى المناسبات المتكررة تفسح لهؤلاء أن يبدوا على المسرح فى فترات سعيدة يدعى فيها أولياء الأمور فيصفقون للمجيد، وتتسع آمالهم فى الغد إذ دلت البراعم الناشئة على الزهر المتأرِّج

فى هذا الجو يشعر الطالب أنه أصبح ذا كيان، وأن المدرسة كانت ترويحا له من قيود يجدها فى منزله، وتتعدد صداقاته فيعمر منزله بالصفوة المختارة من زملائه وكلهم حريص على أن يكون نابها بين إخوانه، نابها فى الدرس، نابها فى النشاط، نابها فى التعامل الشخصى، وللنباهة أعباء تتطلب الجد فى العمل واليقظة فى الاستماع عند تلقى الدروس والحرص على مراجعتها، هذا هو الواقع الذى شهدناه من قبل وألفناه، فهل له من مثيل يقرب من الآن!؟

عندما كان المدرس أبا لتلاميذه!!

والأستاذ، كان قبل كل شىء مهيئا للتدريس عن كفاءة واقتدار إذ لم تكن كليات الأقاليم قد باضت وأفرخت لتهيئ من (يوقوق) فى الفصول دون جدوى، كان ذا راتب شهرى يكفيه على ضآلته فهو آمن السرب مرتاح الخاطر من جهة معاشه لذلك يقبل على عمله وفى اعتقاده أن كل تقصير سيحاسب عليه من ضميره قبل أن يحاسبه الموجهون والمفتشون. لم يكن يفكر فى درس خصوصى إلا إذا أتاه برجاء مكرر، وقد عرف تلاميذه معرفة الوالد لأبنائه فى الأسرة الواحدة وكل منهم يحاول أن يكون لديه بالمنزل الأثير كما درس المقرر وقسمه تقسيما على مدى الشهور بحيث لا ينتهى العام إلا وقد استوفاه على أحسن ما يستطيع، هذه هى المدرسة وهؤلاء هم الطلاب وهذا هو المدرس؟ فلا غرابة أن يطرد السير إلى العاقبة المحمودة دون إرهاق، ولا غرابة أن ينتقل الطالب من المدرسة إلى الجامعة وقد قام بناؤه الفكرى ونموه النفسى على أساس وطيد، فإذا أخذ سبعين فى المائة من المجموع، فقد نال ذلك عن جهد حقيقى، وهو به سعيد! وقد عرف المسئولون فى الجامعة له قيمة هذا الرقم غير المصنوع فتفتحت أمامه الأبواب! وخرجت أمثال أحمد زويل ومجدى يعقوب!

أما المدرسة الآن فهى موجودة ببنائها الحجرى فقط، ولكنها غير موجودة تماماً بالنظر إلى مجهودها العلمى.

تلاميذ فى مدرسة.. أم دجاج فى أقفاص؟!!

لقد وقر فى نفس التلميذ، ولدى الأستاذ وعند ولى الأمر، أن الأداء التعليمى فى المدرسة لا جدوى منه، وأن الدرس الخصوصى هو وحده سبيل النجاح! بمعنى ان التلميذ يستغنى استغناء تاماً عن المدرسة إذ لا جدوى من دروس تلقى بطرف اللسان لقضاء الوقت فحسب، وأولياء الأمور يصرخون من هول الدروس الخصوصية فى كل مادة، لا فى مادة أو مادتين، والطلاب يقضون أوقات المدرسة فى فراغ شاحب، إذ لا يسمعون ما يفيد، فإذا انصرفوا إلى منازلهم تلقفتهم منازل المدرسين تباعا وقد انقسم الوقت منذ العصر إلى بعد العشاء بين عدة دروس فى عدة منازل والضعفاء من المساكين يسألون أين المجانية المزعومة؟ إنهم مستعدون ان يدفعوا النفقات مضاعفة فوق الذى كان بالأمس على أن يستريحوا من كابوس الدروس فلا يجدون من يسمع!! المدرس يدخل إلى الطلاب ليقرأ عدة صفحات أو يحل بعض المسائل دون اكتراث بمن فهم، أو من لم يفهم والموجه يأتى فيدرك الواقع على طبيعته، ولكنه لا يستطيع ان يفعل شيئا، والناظر همه أن ينتظم الطلاب فى الفصول فحسب، ولا عليه إذا وجدوا الدرس النافع أو فقدوه ودعك من الفصول التى امتلأت حتى التخمة، فأصبح الفصل يجمع الستين من التلاميذ وكأنهم دجاج فى الأقفاص، ودعك من الفناء الفسيح الذى لا وجود له فى تسعين فى المائة من المدارس بعد أن شغل الفراغ بفصول جديدة لتتسع للأفواج المتزايدة كل عام، ودعك من ألوان النشاط المدرسى التى لا يسمع بها أحد، ولا ينتظر أن يكون لها صوت خافت! ثم تفاجأ بعد ذلك بأن من الطلاب من حاز على ٩٩ فى المائة! كيف أتى هذا؟ إنها طريقة البرشام فى الدروس الخصوصية، لأن صاحب الدرس الخصوصى من المدرسين لاينمى عقلا، ولا يبنى نفسا، ولا يعلل فكرة، إنما يضع السؤال وجواره جواب يجب أن يحفظ حفظا، دون نظر إلى محتواه، والمصححَ فى أوراق الامتحان لا يعنيه أن يبحث عن فكر الطالب، بل عن الإجابة التى وضعت فى البرشام المكتنز فعليها المعول فى تقدير الدرجات! ونتيجة لذلك لا يأخذ أعلى الدرجات إلا من ساعدته الدروس الخصوصية على التلقين دون فهم، وليس كل أولياء الأمور ذوى استطاعة مالية تسمح لأولادهم بأخذ الدروس وفيهم من يقترض ليعطى ابنه درساً أو درسين فى مادة أو مادتين وتكون النتيجة الأليمة هى عدم تكافؤ الفرص بين طالب فقير لا يجد المعين وطالب غنى أمدهَ والده بما رفع رقمه النهائى، رفعا متوهما، لأنه مع التحاقه بكليات القيمة، لم يعرف غير الحفظ والتسميع! ولذلك تتعثر خطواته تعثراً أليماً فى ميدانه الجديد!



أكاذيب الكتاب المدرسى

وأدهى ما يصدم التلميذ فى دراسته الثانوية، أنه يفقد الثقة فى كثير مما يقرأ، إذ تطالعه مقررات المطالعة والتاريخ والتربية الوطنية بما يكذبه الواقع كل التكذيب، فهو مثلا يقرأ فى كتب المطالعة أن الأحزاب قبل الثورة قد زيفت الانتخابات، وصادرت رأى الشعب، ومكنت الأثرياء من التحكم فى الناس بشراء الأصوات ـ ثم جاءت الثورة فصححت هذه الأخطاء، وأعطت للشعب حرية فى اختيار من يمثله دون إجبار، يقرأ ذلك فيسأل أستاذه هل تم هذا فعلا؟ ويسكت المدرس فلا يجيب، فيقول الطالب إن مانشهده منذ قامت الثورة فى أمور الانتخاب من تزييف إرادة الشعب، شبيه بما تقولونه عن الأحزاب، فلماذا يكذب المؤلفون، ويقرر كذبهم على الطلاب؟ فيوافق الأستاذ، آناً بالسكوت دون تعليق، وآنا بالحق الصريح.

وهو يقرأ فى كتاب التربية الوطنية أن الإدارة المحلية تحقق العدالة المطلقة فى توزيع الخدمات على كل أنحاء البلاد بدلا من تركيزها فى المدن الكبيرة دون الريف، فيتساءل، هل تم ذلك فعلا؟ يتساءل مستنكرا لأنه يرى مظاهر الجور والمحسوبية والابتزاز فى كثير من الإدارات، ويشهد بعينه إقصاء صاحب الحق، وتقريب ذوى الزلفى من أصحاب الوساطات ويجاهر المدرس بما يراه، فيوافقه ويقول: إن الكتاب المدرسى لا يصور الواقع كما هو كائن!

ثم يقرأ فى كتاب التربية أيضا أن الجو الديمقراطى يتمثل فى اتحاد الطلاب بكل جامعة وكل طالب يشارك فى انتخاب من يمثله دون ضغط وكل طالب يستطيع أن يرشح نفسه دون قيد واتحاد الطلاب هو المهيمن على النشاط الطلابى، مع أنه يعلم أن هذا كله زيف، وأن الديمقراطية بمنأى عن اتحاد الطلاب! يعلم ذلك مما يشاهده ويسمعه، فيسأل الأستاذ عن مدى صحة ماقرر عليه فى درس التربية وكتابها فيجد السكوت تارة، أو الإقرار بالواقع الأليم طوراً آخر.

ويقرأ أن العقوبة شخصية، ولا عقوبة إلا بالقانون، وأن المتهم برئ حتى تثبت إدانته، ثم يرى فى الواقع المشاهد ما يخالف ذلك فقد يجد أخاه معتقلا دون تحقيق، ويحال بينه وبين زيارته فى المعتقل، ويرى من أصحاب الجرائم من يتحايلون على القضاء بشهادة الزور، ثم يكون لهم بعد ذلك وجاهتهم فى الدولة، وتصدرهم فى المجتمعات وكأنهم لم يزاولوا منكرا يعرفه العامة جميعا!

يرى ذلك فيسأل أستاذ التربية ما معنى أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته، وهو يرى عشرات



المعتقلين يساقون إلى الحبس دون محاكمة! فيسكت المدرس حينا، وينفجر حينا آخر.

إن هذه المقررات الباطلة بشهادة العيان تفقد الطالب ثقته فى المقررات الصحيحة كثيرا، لأنه فى عمره العقلى لا يستطيع أن يفتح فاصلا بين الحق والبهتان وإذا فقد التلميذ ثقة فى كثير مما يقرر عليه من المعارف، فقد أصبحت المدرسة فى رأيه أداة إعلامية لترويج وجهة معينة وليست مكان استنارة عقلية تهدى إلى الحق وترشد إلى الصواب! وقد كانت المدرسة فى عهود سالفة محرابا للحقائق وقد تبتعد عن أمور السياسة ولكنها لا تتورط فى الزيف والتمويه! وهذه الأسئلة لا تدور إلا فى مدارس عريقة لها شهرتها البعيدة فى حقل التربية وهى تعد على أصابع اليدين! أما مدارس الصعيد الأقصى والريف البعيد فقد أهملت السؤال والجواب معا فى أكثر ما يلاك من الدروس فلا طالب يسأل ولا مدرس يجيب!

ونبعد عن المدرسة الثانوية لنصل إلى الجامعة وهى التى تتلقف الأفواج الزاخرة كل عام فنقف وقفة مستأنية بين الطالب القديم الذى أخذ أقل من السبعين والطالب الحديث الذى نال ٩٩٪ أو ما يقاربها فماذا نجد؟

الماضى الجميل

إن الطالب القديم لم يكن أمامه غير جامعتين جديرتين باسمهما الشريف هما جامعة القاهرة «جامعة فؤاد» وجامعة الاسكندرية «جامعة فاروق» فإذا التحق بكلية من كلياتهما فإنه يجد من أول يوم الأستاذ الجامعى المتمكن يجده من أول درس يصافح طلابه ليقول لهم إن الدراسة فى الكلية غير الدراسة فى المدرسة الثانوية، الدراسة فى الكلية يشترك فيها الطالب اشتراكا مباشرا فلابد أن يبحث ويسترشد بالمصادر ويرجع إلى أستاذه مستفهما عما غمض عليه، أما الدراسة فى المدارس فالطالب جهاز استقبال فحسب وبعد أن يؤكد ذلك يتحدث عن المادة التى يدور حولها البحث فيعطى تصورا مقاربا لما سيكون، ثم يأتى الدرس الثانى فيقدم للطالب كشفا بأسماء المراجع التى يجب أن يستشيرها فى مكتبة الكلية أو فى دور الكتب الخارجية ويطلب من النابهين أن يوافوه بملخص لما يقرءونه بعد أن سمعوا الدرس موجزا يحتاج إلى تفصيل وهنا ينشط الطلاب فيقرءون ويأتون بالجديد للأستاذ فيجدون التشجيع وتكون فرصة طيبة لاحتضان النبهاء وحث الكسالى، وعلى هذا المنوال تتوالى الدروس ولا تنتهى السنة الأولى إلا وقد عرف الطالب كتبا شتى وآراء مختلفة ووضع قدمه على الطريق الصحيح!

وقد يكون للأستاذ كتاب ولكنه لايفرضه ولايكتفى بما قيل فيه وحسبه أن يشير إلى مكانه فى دار النشر النائية وقد يرجع إليه الطالب أو يكتفى بكتاب زميله إذا لم تتيسر وسائل شرائه

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

(الآية: ١١٢)

ثم بيّن ـ سبحانه ـ بعد ذلك بعض العقوبات التى عاقب بها اليهود بسبب كفرهم وظلمهم فقال:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾

وأصل الضرب فى كلام العرب يرجع إلى معنى التقاء ظاهر جسم بظاهر جسم آخر بشدة، يقال: ضرب فلان بيده الأرض إذا ألصقها بها، وتفرعت عن هذا المعنى معان مجازية أخرى ترجع إلى شدة اللصوق.

والذلة على وزن فعلة من قول القائل: ذل فلان يذل ذلة وذلا. والمراد بها الصغار والهوان والحقارة.

فضرب الذلة عليهم كناية عن لزومها لهؤلاء اليهود، وإحاطتها بهم، كما يحيط السرادق بمن يكون فى داخله.

قال صاحب الكشاف: «جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم كمن يكون فى القبة من ضربت عليه، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه. فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة»[1].

و﴿ ثُقِفُوٓا ﴾ أى وجدوا، أو ظفر بهم. يقال: ثقفه أى صادفه أو ظفر به أو أدركه. وهذه المادة تدل على التمكن من أخذ الشىء ومن التصرف فيه بشدة، ومنها سمى الأسير ثقافا. والثقاف آلة تكسر بها أغماد الرماح.

والحبل: هو ما يربط بين شيئين ويطلق على العهد لأن الناس يرتبطون بالعهود: كما يقع الارتباط الحسى بالحبال، وهذا الإطلاق هو المراد هنا.

ولذا قال ابن جرير: وأما الحبل الذى ذكره الله ـ تعالى ـ فى هذا الموضوع، فإنه السبب الذى يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا فى بلاد الإسلام[2].

والمعنى: أن هؤلاء اليهود أحاطت بهم الذلة فى جميع أحوالهم أينما وجدوا وحيثما حلوا إلا فى حال اعتصامهم بعهد من الله أو بعهد من الناس.

وقد فسر العلماء عهد الله بعقد الجزية الذى يربط بينهم وبين المسلمين.

وإنما كان عقد الجزية عهدا من الله لهم، لأنه ـ سبحانه ـ هو الذى شرعه، وما شرعه الله فالوفاء به واجب.

وكان عهدا من المسلمين لهم، لأنهم أحد طرفيه، فهم الذين باشروه مع اليهود وبمقتضاه يحفظون حقوقهم ودماءهم وأموالهم؛ ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وعلى المسلمين حمايتهم، وصون أموالهم لقاء مقدار من المال يدفع لهم كل عام وهو المسمى بالجزية.

وأما عهد الناس، فهو العهود التى يعيشون بمقتضاها فى أى أمة من أمم الأرض مسلمة كانت هذه الأمة أو كافرة.

فإن كانت العهود صادرة من المسلمين، جاز أن يطلق عليها عهد الله ـ أيضا ـ باعتبار أن الله هو الذى شرعها.

وإن كانت من غير المسلمين فهى عهود من الناس سواء أوافقت شريعة الله ـ تعالى ـ أم لا.

والمعنى الإجمالى للآية: أن اليهود قد ضرب الله ـ تعالى ـ عليهم الذلة والمسكنة فى كل زمان ومكان بسبب كفرهم وطغيانهم، وسلب عنهم السلطان والملك، فهم يعيشون فى بقاع الأرض فى حماية غيرهم من الأمم الأخرى، بمقتضى عهود يعقدونها معهم وقد تكون هذه العهود موافقة لشرع الله ـ تعالى ـ وقد لا تكون موافقة.

---

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص٢١٧.

(٢) تفسير ابن جرير جـ٤ ص٤٨.



فإن قال قائل: إنهم الآن أصحاب جاه وسلطان، بعد أن أنشأوا دولتهم بفلسطين!!

والجواب: أنهم مع قيام هذه الدولة يعيشون تحت حماية غيرهم من دول الكفر الكبرى، فهي التي تحميهم وتمدهم بأسباب الحياة والقوة، فينطبق على هذه الحالة ـ أيضًا ـ أنها بحبل من الناس. فاليهود لا سلطان لهم، ولا عزة تكمن في نفوسهم، ولكنهم مأمورون مسخرون أن يعيشوا في تلك البقعة من الأرض لتكون مركزًا لتلك الأمم التي تعهدت بحمايتهم ليقفزوا منها إلى محاربة المسلمين، إذا أتيحت لهم فرصة.

ولو أن المسلمين غيروا ما بأنفسهم، وتمسكوا بشريعتهم، واجتمعت قلوبهم، وتوحدت أهدافهم، وأحسنوا الشعور بالمسئولية نحو دينهم وأنفسهم وأوطانهم، وأعدوا ما استطاعوا من قوة لقتال أعداء الله وأعدائهم..

لو أنهم فعلوا ذلك لما كان حالهم كما ترى الآن من ضعف وتخاذل وتفرق، والأمل كبير في أن يتنبه المسلمون إلى ما يحيط بهم من أخطار فيعملوا على دفعها ويعتصموا بحبل الله لتعود لهم قوتهم وهيبتهم.

هذا، وقوله: ﴿ أَيْنَ مَا ﴾ اسم شرط، وهو ظرف مكان و«ما» مزيدة فيها للتأكيد.

وقوله ﴿ ثُقِفُوٓاْ ﴾ في محل جزم بها.

وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي: أينما ثقفوا غلبوا أو ذلوا.

ويجوز أن يكون جواب الشرط قوله:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾

عند من يجوز تقديم جواب الشرط على الشرط.

والاستثناء في قوله:

﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾

مفرغ من عموم الأحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس. ثم ذكر - سبحانه - عقوبتين آخريين أنزلهما بهم جزاء كفرهم وتعديهم لحدوده فقال تعالى:

﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾

قال ابن جرير: قوله - تعالى:

﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

أي انصرفوا ورجعوا. ولا يقال باءوا، إلا موصولاً إما بخير وإما بشر. يقال منه: باء فلان بذنبه يبوء به بوءا وبواء، ومنه قوله - تعالى:

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾

[المائدة: ٢٩]

يعني تنصرف متحملهما، وترجع بهما قد صارا عليك دوني. فمعنى الكلام إذًا: «رجعوا منصرفين محتملين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضب، ووجب عليهم منه سخط»(٢).

---

(٢) تفسير ابن جرير جـ١ ص٣٢٦.

والمسكنة: مفعلة من السكون، ومنها لفظ المسكين. لأن الهم قد أثقله فجعله قليل الحركة والنهوض لما به من الفاقة والفقر.

والمراد بها في الآية الكريمة الضعف النفسي، والفقر القلبي الذي يستولي على الشخص فيجعله يحس بالهوان مهما تكن لديه من أسباب القوة.

والفرق بينها وبين الذلة: أن الذلة تجيء أسبابها من الخارج. كأن يغلب المرء على أمره نتيجة انتصار عدوه عليه فيذل لهذا العدو.

أما المسكنة فهي تنشأ من داخل النفس نتيجة بعدها عن الحق، واستيلاء المطامع والشهوات وحب الدنيا عليها.

والمعنى: أن هؤلاء اليهود بجانب ضرب الذلة عليهم حيثما حلوا، قد صاروا في غضب من الله، وأصبحوا أحقاء به، وضربت عليهم كذلك المسكنة التي تجعلهم يحسون بالصغار مهما ملكوا من قوة ومال.

ثم ذكر - سبحانه - الأسباب التي جعلتهم أحقاء بهذه العقوبات فقال - تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾

فاسم الإشارة ذلك يعود إلى تلك العقوبات العادلة التي عاقبهم الله بها بسبب كفرهم وفسقهم.

والآيات: تطلق ويراد بها الأدلة الشاهدة على وحدانية الله - تعالى - وربوبيته وتطلق ويراد بها النصوص التي تشتمل عليها الكتب السماوية، وتطلق ويراد بها الأدلة الشاهدة على صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فيما يبلغون عن الله - تعالى -، وهي التي يسميها علماء التوحيد بالمعجزات.

وقد كفر اليهود بكل هذه الضروب من الآيات ومردوا على ذلك كما يفيده التعبير بالفعل المضارع ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾.

أي: ذلك الذي أصابهم من عقوبات رادعة، سببه أنهم كانوا يكفرون بآيات الله وأدلته الدالة على وحدانيته وعلى صدق رسله - عليهم الصلاة والسلام - وتلك هي جريمة بني إسرائيل الأولى.

أما جريمتهم الثانية فقد عبر عنها - سبحانه - بقوله:

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

أي أنهم لم يكتفوا بالكفر، بل امتدت أيديهم الأثيمة إلى دعاة الحق وهم أنبياء الله - تعالى - الذين أرسلهم لهدايتهم فقتلوهم بدون أدنى شبهة تحمل على الإساءة إليهم فضلاً عن قتلهم.

وقال - سبحانه: ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ مع أن قتل الأنبياء لا يكون بحق أبدا، لإفادة أن قتلهم لهم كان بغير وجه معتبر في شريعتهم لأنها تحرمه.

قال -تعالى-:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[المائدة ٣٢]

فهذا القيد المقصود به الاحتجاج عليهم بأصول دينهم، وتخليد مذمتهم، وتقبيح إجرامهم حيث إنهم قتلوا أنبياءهم بدون خطأ فى الفهم، أو تأول فى الحكم أو شبهة فى الأمر، وإنما فعلوا ما فعلوا وهم عالمون بقبح ما ارتكبوا، ومخالفون لشرع الله عن تعمد وإصرار.

ولذا قال صاحب الكشاف: فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق، فما فائدة ذكره، قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم، لأنهم لم يقتلوا، ولا أفسدوا فى الأرض فيقتلوا، وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم.

فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم(٤).

وقال الفخر الرازى ما ملخصه: فإن قيل: قال هنا:

﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

وقال فى سورة البقرة:

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

[البقرة: ٦١]

فما الفرق؟ قلت: إن الحق المعلوم بين المسلمين الذى يوجب القتل يتجلى فى حديث:

(لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير حق)(٥).

فالحق المذكور فى سورة البقرة إشارة إلى هذا. وأما الحق المنكر هنا فالمراد به تأكيد العموم أى لم يكن هناك أى حق يستندون إليه، لا هذا الذى يعرفه المسلمون ولا غيره ألبتة(٦).

ونسب -سبحانه- القتل إلى أولئك اليهود المعاصرين للعهد النبوى مع أن القتل قد صدر عن أسلافهم، لأن أولئك المعاصرين كانوا راضين بفعل آبائهم وأجدادهم، فصحت نسبة القتل إليهم، ولأن بعض أولئك المعاصرين قد هموا بقتل النبى ﷺ فكف الله -تعالى- أيديهم الأثيمة عنه.

ثم سجل الله -تعالى- جريمتهم الثالثة بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

العصيان: الخروج عن طاعة الله، والاعتداء: تجاوز الحد الذى حده الله -تعالى- لعباده إلى غيره وكل متجاوز حد شىء إلى غيره فقد تعداه إلى ما جاوز إليه.

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص٢١٧.
(٥) مسند الإمام أحمد، حديث رقم ٤٧٨.
(٦) تفسير الفخر الرازى جـ١ ص٣٩.

وللمفسرين فى مرجع اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا ﴾ رأيان:

● أولهما: أنه يعود إلى كفرهم بآيات الله وقتلهم لأنبيائه، وعليه يكون المعنى: إن هؤلاء اليهود قد ألفوا العصيان لخالقهم والتعدى لحدوده بجرأة وعدم مبالاة، فنشأ عن هذا التمرد والطغيان أن كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءه، وباشروا تلك الكبائر بقلوب كالحجارة أو أشد قسوة.

والجملة الكريمة على هذا الرأى تفيد أن التردى فى المعاصى، وارتكاب ما نهى الله عنه، وتجاوز الحدود المشروعة، يؤدى إلى الانتقال من صغير الذنوب إلى كبيرها ومن حقيرها إلى عظيمها، لأن هؤلاء اليهود حين استمرأوا المعاصى، هانت على نفوسهم الفضائل، وانكسرت أمام شهواتهم كل المثل العليا فكذبوا بآيات الله تكذيبا، وقتلوا من جاءهم بالهدى ودين الحق.

● وثانيهما: أن اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا ﴾ يعود إلى نفس المشار إليه باسم الإشارة الأول وهو قوله:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

وتكون الحكمة فى تكرار الإشارة هو تمييز المشار إليه، حرصا على معرفته، ويكون العصيان والاعتداء سببين آخرين لضرب الذلة والمسكنة عليهم واستحقاقهم لغضب الله كما أشرنا من قبل.

والإشارة حينئذ من قبيل التكرير المغنى عن العطف كما فى قوله -تعالى-:

﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

[الأعراف: ١٧٩]

والمعنى: أن هؤلاء اليهود قد لزمتهم الذلة والمسكنة، وصاروا أحقاء بسخط الله بسبب كفرهم بآياتنا وقتلهم أنبياءنا وخروجهم عن طاعتنا، وتعديهم حدودنا.

وعلى هذا الرأى يكون ذكر أسباب العقوبة التى حلت بهم فى الدرجة العليا من حسن الترتيب، فقد بدأ -سبحانه- بما فعلوه فى حقه وهو كفرهم بآياته. ثم ثنى بما يتلوه فى العظم وهو قتلهم لأنبيائه، ثم وصمهم بعد ذلك بالعصيان والخروج عن طاعته، ثم ختم أسباب العقوبة بدمغهم بالاعتداء وتخطى الحدود، وعدم المبالاة بالعهود.

وهذا الترتيب من لطائف أسلوب القرآن الكريم فى سوق الأحكام مشفوعة بعللها وأسبابها.

وبذلك نرى أن الآيات الكريمة قد بدأت حديثها بمدح الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس، ثم ثنت بدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وبإخبار المؤمنين بأن أعداءهم لن يضروهم ضررا يؤثر فى كيانهم ماداموا معتصمين بتعاليم دينهم، ثم ختمت حديثها ببيان العقوبات التى حلت باليهود بسبب كفرهم وبغيهم.

السنة:

حكمة الطلاق فى الإسلام

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: كان الطلاق على عهد رسول الله «ﷺ»، وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر - طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم.

التعريف بالراوى

هو أبو العباس عبد الله بن عباس القرشى الهاشمى، ابن عم رسول الله «ﷺ» وابن خالة خالد بن الوليد رضى الله عنهما، كان يسمى «البحر»، لسعة علمه، ويسمى «حبر الأمة» ولد والنبى «ﷺ» وأهل بيته بالشعب من مكة، فأتى به النبى «ﷺ» فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل غير ذلك، واستعمله على بن أبى طالب «رضى الله عنه» على البصرة، فبقى عليهما أميراً، ثم فارقها إلى الحجاز، وشهد صفين مع على، وكان أحد الأمراء فيها، وروى عن النبى «ﷺ» وعن عمر، وعلى، ومعاذ بن جبل، وأبى ذر، وروى عنه عبد الله بن عمر، وأنس ابن مالك، وخلق كثير، وكان جميلا، أبيض طويلا، مشربا صفرة، جسيما وسيما، صبيح الوجه، فصيحا، وحج بالناس لما حصر عثمان «رضى الله عنه» وكان قد عمى فى آخر عمره، توفى سنة ثمان وستين بالطائف، وهو ابن سبعين سنة «رضى الله عنه وعن أبيه».



اللغويات

«طلاق الثلاث واحدة»: يعنى إنما كان طلاق الثلاث يجعل طلقة واحدة على عهد النبى «ﷺ» وأبى بكر، وسنتين من خلافة عمر «رضى الله عنه» وقيل: ظل ذلك ثلاث سنوات فى خلافة عمر.. وقيل: إن المراد بأن المعتاد فى الزمن الأول، كان طلقة واحدة، وصار الناس فى زمن عمر يوقعون الثلاث دفعة، فنفذه عمر بن الخطاب، فعلى هذا يكون إخباراً عن اختلاف عادة الناس، لا عن تغير حكم فى مسألة واحدة.

«قد كانت لهم فيه أناة»: أى مهلة وبقية استمتاع لانتظار المراجعة.

الشرح والبيان

سبحان الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وكان ربك قديراً! وتبارك الذى جعل كلاً من الزوجين سكناً لصاحبه، يفضى إليه بسرّ نفسه، ويلقى إليه زمام أمره، ويطمئنّ إليه فى كلّ شأنه، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(٢١ من الروم)

ومن ثمّ وصّانا رسولُ الله «ﷺ» بالنساء خيراً لضعفهنّ، فقال: (استوصوا بالنساء خيراً)[1].. وقال: (اتقوا اللّه فى النساء، فإنكم أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله)[2] ولم يكن رسول الله ﷺ قوّالاً، دون أن يكون فعّالاً. فكان، ﷺ، لا يأمر بشئ إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شئ إلا كان أول تارك له فكان المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والأسوة الطيبة فى القيام بحقوق أمهات المؤمنين (عليهنّ الرضوان) وكان يكرمهن إكراماً مابعده تكريم، ولا أدلّ على ذلك من قوله «ﷺ»: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى)[3] وقول الإمام على كرم الله وجهه: (ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهنّ إلا لئيم).

فالزواج من مقاصد الإسلام، لضمان سلامة المجتمع، ونشر الأمن والطمأنينة والاستقرار بين أبنائه، ومن ثمّ جاء قول ربنا (سبحانه وتعالى):

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

(النحل: ٧٢)

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، حديث رقم ١٨٤٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم ٢١٣٧

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، حديث رقم ١٩٦٧.



فالزواج إذا نعمة من أجلّ نعم الله على عباده، أمرنا الله به، ودعانا إليه، ورغبنا فيه، فقال عز شأنه:

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾

(النساء: ٣)

وقال تعالى:

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(النور: ٣٢)

كذلك بالغ الرسول «ﷺ» في الحض والحث عليه، فقال: «تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة»[4]. بل فاخر رسول الله ﷺ، بان النكاح سنته، ولذا أعلن البراءة ممن يرغب عن هذه السنة، فقال «ﷺ»: (النكاح من سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى)[5] - كذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب العازفين عن الزواج للفقر وضيق ذات اليد في الزواج، كما أكد رسول الله ﷺ أن الله في عون من يبتغى الزواج ليغض بصره ويحفظ فرجه ويعف نفسه فأكد أن الله يساعده ويوفقه ويرزقه من حيث لايحتسب فقد ورد في الحديث الشريف عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف»[6].

هذا ولم يأمر الإسلام بالزواج ولم يبالغ في الحضّ والحث عليه إلا لأنه الطريق إلى الحياة الفاضلة، الحياة الطيبة التى يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب، اذ به يتبادل الزوجان المحبة الصادقة والمودة المخلصة، وفى ظله تكون الذرية الصالحة التى ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله «ﷺ» والتى تنشأ في كنف الفضيلة وحنان الأمومة ورعاية الأبوة، ومن يفعل ذلك طاعة لربه يصبح من عباد الرحمن، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

(الفرقان: ٧٤)

فالحياة الزوجية إذاً لاتقوم إلا على السكن والمودة والحب والرحمة وحسن العشرة والثقة والاحترام المتبادل، ولكن قد يحدث أن يكره الرجل زوجه أو تكره المرأة زوجها فيكون الشقاق والخلاف، عند ذلك يوصى الإسلام بالصبر والحلم وضبط النفس وقوة الاحتمال وينصح في الوقت نفسه بعلاج أسباب الكراهية ورفع ما من أجله يكون الشقاق والخلاف يقول سبحانه مخاطبا الرجال:

(٤) كشف الخفاء، للعجلونى ١/١٠٢٦.

(٥) سنن ابن ماجه، حديث رقم ١٨٣٦، كتاب النكاح.

(٦) سنن الترمذى، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله رقم ١٥٧٩.



﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ١٩)

وفى حق النساء يقول:

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(النساء: ١٢٨)

وفى هذا يقول رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر»[7]. فأى امرأة لا تخلو من الصفات الحميدة والذميمة، لكن الكره قد يشتد ويتضاعف الخلاف لما تظهره المرأة من النشوز والتمرد والعصيان عندها يطالب الإسلام الزوج بنصحها ووعظها بالكلمة الطيبة اللينة، وحضها على طاعة الله ثم طاعته دون أن يشتمها أو يقبحها كما علمنا رسول الله «ﷺ» في قوله: عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال: سأله رجل: ما حق المرأة على الزوج؟ قال: تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت [8] فإن نفع معها الوعظ وأجدت النصيحة فيها ونعمت، وإن لم تجد النصيح ولم ينفع الوعظ.. رخص له الإسلام في هجرها بالكلام وذلك بأن يعرض عن كلامها ثلاثة أيام لا يزيد فإن لم يجد معها هجر الكلام اعتزل فراشها شهرا من الزمان لأن المرأة بطبعها تواقة للرجل محبة للاستمتاع فإن لم يفلح معها الوعظ والنصح والهجر ووجد أن الضرب قد يصلح فسادها ويقوم اعوجاجها ويعود بها إلى حظيرة الطاعة رخص له فيه بشرط الا يترك أثرا وألا ينال به الوجه، فإن أطاعت المرأة زوجها بالضرب كف عن ضربها وعاد إلى ملاطفتها وحسن معاشرتها.. أما اذا استمرت في عنادها وتمادت في طغيانها فإن على أسرة الزوجين المسارعة لإصلاح ذات البين وأن يكون ذلك في سرية كاملة حتى لا يكتشف الناس خلافاتهم أو يطلعوا على عوراتهم وحتى يحولوا بين الفضوليين ومظاهر الإشفاق الكاذب الذى لا هم له سوى التحريض على الشر وإيقاد نار الفتنة والبغضاء فإن استعصى ذلك على أسرة الزوجين لجأوا إلى من عرفوا فيهم الوفاء وحب الخير والقدرة على حل المشكلة وإصلاح ذات البين فإن لم يستطيعوا القيام بذلك ونفد الصبر واصبحت الحياة الزوجية غير قابلة للاصلاح والاستمرار وكان ضررها حينذاك اكثر من نفعها عند ذلك يرخص الاسلام بالعلاج الوحيد الذى لابد منه وهو الطلاق وهو - كما تقرر - آخر الدواء لهذا الداء وفى هذا المعنى بهذا التدرج

(٧) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث ٢٦٧٢.

(٨) مسند أحمد، كتاب أول مسند البصريين، باب حديث حكيم بن معاوية، حديث رقم ١٩١٦٢.

الرائع يقول ربنا (سبحانه) .

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

(النساء ٣٤، ٣٥)

هذا ويقول ربنا (سبحانه) :

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

(٢٢٩ من البقرة)

ولنا هنا وقفة، لأن الطلاق في الإسلام طلاق بإحسان، طلاق لا ضرر فيه، ولا ضرار.. نعم، إن الطلاق ينهي العلاقة الزوجية، لكنه لا يقذف بالمرأة إلى عرض الشارع، بل يحفظ عليها بيت الزوجية، ويوجب عليها أن تلزمه مادامت في عدتها، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾

(الطلاق: ١)

ولا يحفظ الإسلام للزوجة المطلقة بيت الزوجية مدة العدة فحسب، بل يوجب على الزوج المطلق متاعاً لها يتفق مع إمكاناته، تنفق منه على نفسها، لتحفظ كرامتها، وتصون شرفها وعرضها، قال تعالى:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

(الطلاق: ٧)

وقال عز من قائل:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾

(البقرة: ٢٣٦)

وقد ورد أنه لما نزلت هذه الآية ظن الأزواج أنهم مخيرون في نفقة المتعة هذه، حتى قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فأبطل الله ذلك الظن، ورد عليه ذلك الوهم، وأنزل قوله تعالى:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة: ٢٤١)

أرأيتم إلى الإسلام وهو يرسي بتشريعاته قواعد الفضيلة والأخلاق، ويكفل كافة الحقوق، وسائر الواجبات؟

ومع أن الله «عز وجل» شرع الطلاق للضرورة، وعند الحاجة الملحة إليه، فقد كرهه



كرهاً ما أحل حلالاً وكرهه مثله، ولقد أورد الإمام القرطبي في تفسيره: (إن الله لا يكره شيئاً أباحه إلا الطلاق والأكل، وإن الله ليبغض المعى إذا امتلأ).. وذلك لما يترتب على الطلاق من هدم الأسرة، وتنشئة الأطفال تنشئة ذليلة معقدة، وحرمانهم من حنان الأمومة، أو عاطفة الأبوة، بل قد يتشرد بعضهم، فيندفع إلى الجريمة، ويكون مصيرهم السجن أو المعتقل..

فلم يكن عجبا والحال هذا أن يوضح الرسول الكريم أن الطلاق من أهم العوامل التي يستعين بها إبليس على إفساد الحياة البشرية، روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي «صلى الله عليه وسلم»، قال: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منزلة أعظمهم فتنة، يجئ أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول له: ما صنعت شيئاً، قال: ويجئ أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيدنيه، أو قال: فيلتزمه، ويقول: نعم أنت».

ولما كان الطلاق بهذه البشاعة، وتلك الدرجة من الكراهية، حرم السعي فيه، والمساعدة عليه بغير حق، قال «صلى الله عليه وسلم»: «لا يحل لامرأة أن تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، فإنما لها ما قدر لها»[٩].

أرأيتم إلي الإسلام، وهو يشخص الداء تشخيصاً دقيقاً، ليصف الدواء الناجع، والعلاج الشافي:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

لكن أعداء الإسلام وخصومه دأبوا على قلب حقيقته، وتشويه جماله ومعانيه، فراحوا يصورون الطلاق بصورة بشعة تنشر في المجتمع الرذيلة، وتجر عليه الخراب والدمار، ولكنهم نسوا أو تناسوا أن الكارهين لزوجاتهم من ذوي الديانات الأخرى التي تحرم الطلاق، ولا تبيحه يقبلون على ترك دينهم، والدخول في ديننا، تخلصاً من زوجاتهم، لهذا أقول للغيورين على هذا الدين، المتحمسين له: لا تأبهوا بهم، ولا تلتفتوا إلى ترهاتهم، فقد رد الله أسلحتهم إلى نحورهم، أرادوا صرف الناس عن هذا الدين، فلفتوا أنظارهم إلى محاسنه من حيث لا يشعرون:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(الأنفال: ١٧)

ألا يعلم هؤلاء أن الإسلام جعل الطلاق على مراحل من أجل التجربة، فلم يحكم بهدم الحياة الزوجية من أول نزاع بين الزوجين، بل جعله على ثلاث مرات، يملك المطلق بعد كل طلقة - الأولى والثانية - أن يراجعها، فإن طلقها - أي: الثالثة - فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره.

---

(٩) مسند الإمام أحمد، حديث رقم ٤٧٨.

والحديث الذى معنا يفيد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى عنه أراد أن يعاقب من يطلق ثلاثا فى جملة واحدة فاستشار أولى الرأى والأمر وقال: إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم؟ فلما وافقوه على ما اعتزم أمضاه عليهم. وقال: أيها الناس قد كانت لكم فى الطلاق أناة، وإنه من تعجل أناة الله فى الطلاق - ألزمناه إياه.

ولم يكن هذا الإلزام من عمر تغييرا للحكم الظاهر من القرآن، وإنما كان إلزاما بحكم السياسة الشرعية فى النظر إلى المصالح مما جعل الله للحكام بعد استشارة أولى الأمر فقد أراد عمر والصحابة (عليهم الرضوان) أن يمنعوا الناس من الاسترسال فى الطلاق ومن التعجل إلى بت الفراق، فألزموا المطلق ثلاث مرات فى عدة واحدة ما ظنه - أو ما رغب فيه - من أنها بانت منه بمرة فمنعوه من رجعتها بإرادته، ومن تزوجها بعقد آخر حتى تنكح زوجا غيره، ولذلك قال عمر (رضى الله عنه): (إنه من تعجل أناة الله فى الطلاق ألزمناه إياه).. وعمر (رضى الله عنه) والصحابة أعلم بالله وأتقى له من أن يقدموا برأيهم على الشريعة لتغيير شىء من أحكامها، وكانت هذه العقوبة من عمر (رضى الله عنه) زاجرة للناس عن العبث بالطلاق وكانت عقوبة لوقتها ثم اضطرب الأمر واسترسل الناس فى العبث وأكثر الصحابة حاضرون يرون أمر عمر الذى أقروه عليه، ويرهبون خلافه تحرزا من الخروج على رأى الأكثرية وبعضهم يفهم أن هذا الأمر تعزير وزجر فيفتى تارة بإمضاء الطلقات الثلاث وتارة بعدم إمضائها وباعتبار الطلقتين الأخريين فى العدة باطلتين لا تقعان كما ثبت عن ابن عباس (رضى الله عنهما) الإفتاء بهذا وذاك.. ونرى.. والله أعلم - أن من ألزم الطلاق الثلاث فى واحدة فقد رفع الحكمة الموجودة فى هذه السنة المشروعة، قال تعالى:

(لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) من الطلاق..

ومن ثم أفتى العلماء فى عصرنا بأن الطلاق ثلاثا يقع طلقة واحدة، رجوعا إلى الأصل وهو مما عمت به البلوى قال تعالى:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

(البقرة: ٢٢٩)

إلى أن قال: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ (البقرة: ٢٣٠) (أى / الثالثة)

﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾

فإلى أعداء الإسلام الجهلة اللئام وإلى السذج الذين غرروا بهم واستطاعوا أن يصلوا بخرافاتهم إلى أفئدتهم - أوجه هذا التوجيه النبوى الرائد الذى يرد على الزائفين زيفهم والمبطلين باطلهم ويعلمهم أن الإسلام دين الله العام الصالح لكل زمان ومكان فلا تصلح الحياة إلا به ولا تسعد البشرية إلا فى ظله، قال ﷺ: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة)[10].

(١٠) سنن الترمذى، حديث رقم ١١٠٨.



دروس من تحويل القبلة

لفضيلة الشيخ / عمر الديب محمود
وكيل الأزهر الشريف

هناك روايات كثيرة تتفق فى مجموعها فى أن تحويل القبلة كان أولا من الكعبة إلى بيت المقدس وذلك أن المسلمين فى مكة كانوا يتوجهون إلى الكعبة منذ أن فرضت الصلاة وأنهم بعد الهجرة توجهوا إلى بيت المقدس وذلك بأمر إلهى للرسول ﷺ وليس بأمر قرآنى ثم جاء الأمر القرآنى بعد أن توجه المسلمون فى صلاتهم إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً وذلك فى قوله تعالى:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤]

إذن فنحن أمام أمرين وهما :-

١- تحويل القبلة أولاً من مكة إلى بيت المقدس وذلك قبل نزول القرآن بأمر فى هذا الشأن.

وتحويل القبلة إلى بيت المقدس اتخذه اليهود والنصارى ذريعة للاستكبار عن الدخول فى الإسلام إذ أطلقوا ألسنتهم بالقول بأن اتجاه محمد وأتباعه إلى بيت المقدس وهو قبلة أهل الكتاب فهذا دليل على أن دينهم هو الدين الحق وقبلتهم هى القبلة وأن أهل الكتاب هم الأصل فكان الأولى بمحمد ومن معه من المسلمين أن يدخلوا فى دين أهل الكتاب لا أن يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام هذا بالنسبة لأهل الكتاب وأما بالنسبة للمسلمين فقد كان الأمر شاقاً عليهم لأنهم اعتادوا فى الجاهلية

أن يعظموا حرمة البيت الحرام وأن يجعلوه كعبتهم وقبلتهم وزاد الأمر مشقة ما كانوا يسمعونه من اليهود من التبجح بهذا الأمر واتخاذه حجة عليهم وكان الرسول ﷺ يقلب وجهه في السماء متجهاً إلى ربه دون أن ينطق لسانه بشئ تأدباً مع الله وانتظار التوجه بما يرضاه ثم نزل القرآن يستجيب لما يعتمل في صدر رسول الله ﷺ

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[البقرة : ١٤٤]

ويروى أن هذا كان في الشهر السابع عشر من الهجرة وأن بعض المسلمين كانوا في الصلاة فلما سمعوا بذلك حولوا وجوههم شطر المسجد الحرام أثناء صلاتهم وأكملوا هذه الصلاة نحو القبلة الجديدة.

٢- ولكن اليهود لم يتركوهم وشأنهم بل انطلقت أبواقهم وقد عز عليهم أن يتحول محمد وأتباعه من المسلمين عن قبلتهم وبذلك يكونون قد فقدوا حجتهم في استكبارهم وتعاظمهم وفي تشكيك المسلمين في عقيدتهم فتسللوا إلى صفوف المسلمين وشككوا في أساس عقيدتهم وفي نبيهم وقالوا لهم إذا كان التوجه فيما مضى إلى بيت المقدس باطلاً فقد ضاعت عبادتكم وصلاتكم طوال هذه الفترة التي توجهتم فيها إلى بيت المقدس، وإن كان ذلك حقا، فتوجهكم إلى الكعبة وإلى مكة باطل وصلاتكم تجاه البيت الحرام باطلة وضائعة وقد أحدثت تلك الحملة أثراً كبيراً في نفوس المسلمين لولا أن الله سبحانه وتعالى أنزل وحياً يُتلى وقرآنا يتنزل على سيدنا محمد ليُثبت قلوب المؤمنين ويدحض دعوى المشككين فقال تعالى :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[البقرة : ١٤٢]

ويقول تبارك وتعالى

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

[البقرة : ١٤٣]

حكمة تحويل القبلة

ولنا أن نتحدث الآن عن الحكمة من تحويل القبلة وذلك على النحو التالي :-

• لقد كان تحويل القبلة أولاً عن الكعبة إلى المسجد الأقصى لحكمة تربوية أشارت إليها الآية السابقة :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

[البقرة : ١٤٣]



• فقد كان العرب يعظمون البيت الحرام في الجاهلية ويعتبرونه هو عنوان مجدهم القومي ولما كان الإسلام يريد أن تكون القلوب خالصة لله تعالى حتى يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ويريد أن يجردها من التعلق بغيره ويقضي على العصبية لغير منهج الله تعالى هذا المنهج المجرد من كل ملابسة تاريخية أو عنصرية فالناس جميعاً سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ولذلك فقد نزعهم نزعا من الاتجاه إلى البيت الحرام واختار لهم الاتجاه فترة إلى المسجد الأقصى وذلك حتى يتخلصوا من رواسب الجاهلية وليظهر أن من يتبع الرسول يكون مجردا من كل انتماء آخر وبعد أن فاء المسلمون إلى أمر الله وتوجهوا إلى القبلة التي وجههم إليها الرسول ﷺ وفي الوقت نفسه يتخذون من هذا الوضع حجة لهم صدر الأمر الإلهي الكريم بالاتجاه إلى المسجد الحرام ولكنه مع ذلك ربط قلوب المسلمين بحقيقة الإسلام وذلك أن حقيقة هذا البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ليكون خالصا لله وليكون تراثا لأمة الإسلام التي وجدت إجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام أن يبعث الله نبيه ورسوله من العرب يدعوهم إلى الإسلام الذي كان عليه إبراهيم هو وبنوه وحفدته وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد عهد إلى إبراهيم أن يكون من المسلمين وعهد إلى إبراهيم بهذا الإسلام إلى بنيه من بعده، كما عهد به يعقوب وهو إسرائيل ولقد علم إبراهيم أن وراثة عهد الله وفضله لا تكون للظالمين ولقد عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل برفع قواعد هذا البيت لأنه تراث لهما يرثه من يرثون الإسلام من بعدهما والأمة المسلمة هي الوارثة للإسلام وعهد الله تعالى لإبراهيم عليه السلام فكان من الطبيعي أن ترث أمة الإسلام البيت الحرام في مكة وتتخذه قبلة لها.

قيادة البشرية

• فإذا اتجه المسلمون فترة من الزمان إلى المسجد الأقصى الذي يتجه إليه اليهود والنصارى فقد كان هذا التوجه لحكمة خاصة قد سبق الحديث عنها.

والآن وقد تم تحويل القبلة إلى البيت الحرام ليكون من خصوصيات الأمة الإسلامية، والجماعة الإسلامية قامت كي تكون في مكان القيادة للبشرية فينبغي لها أن تتمسك بمكانها ومكانتها التي أرادها الله سبحانه وتعالى لها وتستمد عاداتها وتقاليدها من المصدر الذي اختاره الله تعالى لها وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

[البقرة :٢٠]

الذي جعل هذه الأمة أمة وسطا وجعل المسلمين هم الأعلون وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فلابد أن يكون دستورهم

في الحياة هو كتاب الله تعالى الذى أنزلهم هذه المنزلة الرفيعة وليس من باب التعصب ولا العصبية أن يكون الإسلام هو الدين الذى يصلح لوحدة البشرية فهو الذى ينادى بهذه الوحدة من منطلق وحدة الإنسانية.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء : ١]

وهو الذى دعا إلى التعاون بين الناس جميعاً فقال.

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[المائدة : ٢]

ودعا إلى هذا التعاون عن طريق التعارف وتبادل المنافع فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

[الحجرات :١٣]

• إن الأمة الإسلامية بين شتى الاهتمامات التى تشغل الناس جميعاً وبين هذه التكتلات العالمية فى حاجة ماسة إلى الوحدة وإلى التآلف والتعاضد والتآزر والأمة المسلمة فى أمس الحاجة إلى أن تتميز على غيرها بشخصية خاصة تتسم بالإيمان وبعبادة الواحد الديان ومن هنا كانت القبلة الخاصة بهم وهى التى أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالتوجه إليها فى قوله عز من قائل

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[البقرة : ١٤٤]

ومن هنا كان هذا التميز تحت راية «لا إله إلا الله» تلك الراية التى تحمل اسم الله وحده.

الإسلام منهج كامل

• إن عقيدة الإسلام كل لا يتجزأ فهى منهج كامل هذا المنهج تتميز به عن غيرها ومن هنا كان لابد من هذا التميز الذى يجعل لها قبلة خاصة بها وهى الكعبة بيت الله الحرام وهذا لا يجعلهم يفرطون فى المسجد الأقصى قبلتهم الأولى الذى ظل زماناً طويلاً تحت سيطرة المسلمين منذ أن خلصه الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنذ أن صلى فيه النبى ﷺ بالأنبياء إماماً فلابد أن يظل هذا المسجد ولابد أن يظل بيت المقدس فى حوزة المسلمين وتحت سيطرتهم.

• لقد نكبت هذه الأمة باستيلاء اليهود على بيت المقدس وعلى المسجد الأقصى وها هم اليهود والصهيونية العالمية تتربص



بالمسجد الأقصى وتقوم بالحفريات حوله وأسفله بحجة البحث عن هيكل سليمان الذى يقدسونه ويزعمون أن المسجد الأقصى أقيم فوقه، وعلى المسلمين أن تتوحد كلمتهم وأن تتوحد جهودهم نحو إعادة المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين إلى حوزة المسلمين فقد كانت صلاة الرسول ﷺ فيه إماماً بالأنبياء جميعاً إيذاناً بهيمنة الإسلام على هذه البقعة المباركة وأنه لا يصح أن يؤذن عليها بغير «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ولهذا فإن واجب المسلمين جميعاً أن تتوحد كلمتهم لإعادة المسجد الأقصى إلى رحاب التوحيد ويستخدمون فى ذلك جميع الوسائل الممكنة التى تمكنهم من استرداده وبخاصة الوسائل السلمية.

وقد يكون فى تلك الوسائل السلمية ما هو أجدى فى استرداد بيت المقدس.

مرحلة جديدة

• إن تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى بيت الله الحرام إيذان ببدء مرحلة جديدة هى مرحلة الخصوصية والتميز، هذه الخصوصية تتمثل فى كون هذه الأمة أمة واحدة

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾

[المؤمنون : ٥٢]

وقرآنها واحد ونبيها واحد وإلهها واحد ولابد لها من الحفاظ على مقدساتها وعلى ميراثها فى تلك المقدسات ولايملك أحد من المسلمين أن يُفرط فى تلك المقدسات وبخاصة فى تلك الأرض المقدسة حيث بيت المقدس وحيث المسجد الأقصى وحيث قبة الصخرة إن هذه المقدسات أمانة وضعها الله فى أعناقنا وواجب المسلمين جميعاً أن يبذلوا أقصى طاقاتهم ويوحدوا جهودهم فى سبيل بسط سيطرتها على تلك البقاع الطاهرة ولا يكون ذلك إلا إذا ابتعدوا عن المنازعات والمناوشات ولن يكون ذلك إلا إذا اعتصموا بحبل الله وابتعدوا عن التفرق والتمزق كما أمرهم ربهم فى كتابه المبين فقال عز من قائل.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

[آل عمران : ١٠٣]

وذلك لأن التنازع بين المسلمين والنعرة الطائفية التى نراها بين المسلمين اليوم والتى يزكيها أعداء الإسلام ويزكيها المستعمرون هذه النعرة هى سبب الفشل الذى عليه المسلمون فى يومنا هذا وصدق الله العظيم القائل فى محكم آياته

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

[الأنفال : ٤٦]

ونسأل الله أن يرد الأقصى إلى رحاب الإسلام والمسلمين وأن يوحد كلمة المسلمين لاسترداد الأقصى ويمكنهم من الوسائل التى تعينهم على أداء هذه المهمة المقدسة والله خير الناصرين.

مواقف إسلامية

الحب فى الله

من القلب .. إلى العقل

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

لا نقصد بالحب هنا: ذلك المعنى العاطفى بين الرجل والمرأة.. وإنما نقصد الحب بمعناه العام: بين البشر جميعاً..

قالوا: تحدث عن «الإرهاب».!

دافع عن الإسلام الذى ظلموه فحمّلوه مسئولية العنف والتعامل مع الخصوم بحد السيف.!

وقلت لهم:

- أولاً: إن محاولة تبرئة الإسلام من الإرهاب لن تجدى أمام خصوم لم يؤتوا من قبل الجهل.. وإنما هو العناد، والتعصب الذى لا تنفع معه حجة. ومع وضوح الحجة.!
- وثانياً: إن الحديث عن الإرهاب تبرئة للإسلام، حديث يأخذ فيه الداعية موقف الدفاع..

وموقف الدفاع.. فيه من الضعف ما فيه.!

والأليق بالداعية أن يكون حديثه قوياً.. بمعنى أن يتحدث عن مميزات الإسلام وخصائصه، التى ترفض أن يكون الإسلام إرهابياً.!

وليكن حديثنا عن الحب.. كخيط فى نسيج الإسلام.. يستبين به الراشدون كيف يفتح الإسلام صدره.. وبلا حدود.. ليستقبل الراغبين فى الحق.. المقبلين عليه، وبلا إكراه.

إننا أمة «شاهدة» على الناس..

والشاهد دائماً فى الموقف الأفضل.. فعلنعلن شهادتنا نصحح بها مفاهيم الإسلام.. فراراً من موقف الدفاع.. وهو موقف الضعيف!!

أمة الحب

إن أمة الإسلام هى الأمة المعجونة بالود.. والمرشحة به لتكون هى المبشرة به. الداعية إليه. وتلك طبيعتها:

ونقرأ فى ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

(مريم / ٩٦)

يقول «الكشاف».. تعليقاً على الآية الكريمة:

[سيحدث لهم فى القلوب مودة، ويزرعها لهم فيها، من غير تودد منهم، ولا تعرض للأسباب التى توجب الود، ويكتشف بها مودات القلوب: من قرابة.. أو صداقة.. أو اصطناع بميرة.

وإنما هو اختراع منه سبحانه ابتداء، اختصاصاً منه ـ تعالى ـ لأوليائه بكرامة خاصة.

كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة: إعظاماً لهم وإجلالاً لمكانهم].

وبهذا الود يتعامل المسلمون.. حتى مع خصومهم.. فلا يعتدون.. لأنهم لا يكرهون، لا يخشّنون ملمس الورد، ولا يعكرون مجرى الورد.

معنى الحب

سألتنى المذيعة يوماً عبر الإذاعة الليبية:

ما رأيك فى الحب؟.

وأجبتها: لابد من «تحرير المراد» أولاً كما تعلمنا. فماذا تريدين بالحب المسئول عنه؟. قد يكون الحب عاطفة قلبية:

عاطفة كالعاصفة، فهو «نار» ثائر.. فائر، يمضى معصوب العين وراء مطالب «الجسد» من كل ما يطفئ نزوة اللحم..لا يرى الجمال إلا فى الجسد العارى. والنغمة المتكسرة، والخضوع الذليل من مثل قولهم: أنا عبدك.. وكيف أطمع فى هواك؟!. وفى سبيل ذلك

يذهب بصاحبه إلى الحائك، والجرّاح والحلاق.. ليتزين لمن يحب..

حريصاً على إطعام الجسد.. وتنظيفه.. ولكنه لا يرى الجمال فى الزهرة اليانعة.. ولا فى الماء الجارى.. لكنه لا يرى المنعم ـ سبحانه.

وإذا هو بَشِم بنعيم الدنيا.. فصار على ما يقول الشاعر:

فأصبحت كالهيماء: لا الماء مبرد
صداها ولا فاض عليها هيامها

وخلال ذلك تتكاثر غاشيات الهوى..

فيرى الحب الأشياء على غير حقيقتها، يرى حسنا.. ما ليس بالحسن ليكون من:

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

(الكهف: ١٠٤)

وتأمل حال هؤلاء الغافلين، إنهم مصرون على رؤية الجمال في الجسد العاري.. حين ينتزعون حمرة الزهر.. لتكون دما على وجنات المرأة!! المرأة التي ينحنون على قدميها خشعا.. عبيدا.. مع أن الله ـ تعالى ـ قد خلقهم أحرارا!.

وحتى ملكة الجمال في دولة ما التي ترجو زوجا يخاف عليها؟!

وهو طلب العنقاء.. وهو: المستحيل: لأنها ترجو تحقيق ما تعين بمظهرها ومسلكها على تحقيقه!.

ثم تركز على «جمال الروح».. ولكنها في نفس الوقت تخاف من التجاعيد ومن الشيخوخة؟!.

وإذن.. فلا روح في الواقع لأن الأرواح لا تشيخ!.

وفوق هذا المستوى الهابط.. يستثبت ناس بالحب أجنحة لهم. تطير بهم إلى سماء ما تطاولها سماء: فالقلوب عامرة بالعاطفة..

ولكنها عاطفة شريفة، تنفتح على الحياة كلها: بما فيها.. ومن فيها، فلا بأس أن يحب المسلم الحياة. كل شيء فيها.. شريطة ألا تكون أحب إليه من المبادئ.. فالمبادئ أولاً.. والمبادئ أخيراً:

وذلك قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

(التوبة/ ٢٤)

فمن حقك أن تحب أهلك.. ومالك.. وولدك.. وكل مظاهر الحياة من حولك..

لكن حبك للمبادئ يجب أن يكون أربى.. وأقوى.. حبك للمبادئ.. ولمن منحك هذه المبادئ.. الله ورسوله..

وإذا اصطدم هذا الحب الكبير.. بمصلحتك الشخصية.. لا تتردد في اختيار الأصعب: بالتنازل عن حظ نفسك ليظل ولاؤك للمثل العليا. ودائما.

ويتسع هذا الحب ليشمل حتى المخالفين في العقيدة.. والأعداء منهم:

وذلك بعض ما يشير إليه قوله عز وجل:



﴿ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾

(آل عمران/ ١١٩)

فالعتاب هنا ليس على «الحب» كمبدأ.. فقلب المؤمن لا يعرف الكراهية.. وإنما العتاب على غفلتهم وسذاجتهم إلى حد أن أعداءهم خدعوهم.. فلم يبادلوهم نفس الحب.

والمفروض أن المسلم: أزكى.. من أن يُخدع، وأعقل.. من أن يَخدع؟! أو كما قال شيخنا: إنه الحب الشامل

وفيه يقول الإمام الغزالي: «إذا كانت مجموعة من الناس لا تضيق صدورها برؤية النجوم في السماء.. وإذا كانت هناك مجموعة لا تضيق صدورهم برائحة الزهور.. فكذلك:

ينبغي ألا تضيق صدورهم إذا شمل الخير الجميع»!.

الحب العقلي

ومع نظافة عاطفة الحب لدى المسلم.. إلا أن الحب القلبي وحده لا يكفي.. بل لابد من أن يضاف إليه: الحب العقلي الذي تبقى به العلاقة عصية على الفناء.. قادرة على أن تتجاوز بالمحبين وعثاء الطريق.. وأن تستر بالتسامح كل العيوب..

الحب العقلي من القرآن الكريم والسنة المطهرة

من القرآن الكريم يقول ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾

(مريم/ ٩٦)

إن مودة الإيمان جامعة بين أهل الإيمان.. إنها «المودة» وليست فقط «الحب» الذي قد يخلو من «وقار» المودة وثباتها.

لكن نسبة الود أربى بين الزوجين:

لأن الاحتكاك اليومي.. وهموم العيش.. وتراكم المشكلات قاض بالضرورة أن يكون هناك «ود» قادر وحده على ملاحقة المشكلات بالحل.. والهموم بالقضاء عليها..

ونقرأ في ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الروم/ ٢١)

حب العقل

إن الحب العقلي.. لا يستغنى عنه.. أما الحب القلبي فيمكن الاستغناء عنه.. فالبيوت لا تبنى على الحب.. وإنما تبنى على المثل العليا.. التي اتفقت عليها العقول ولك أن تتصور الحب الولهان

يقول لحبيبته، لو أنني قطفت زهرة كلما تذكرتك.. لكان عندي جبل من الزهر!.

بينما كان العاقل المُقصّر في حق محبوبه يرمي بحصاة في فناء داره كلما أذنب في حقه.. فصار عنده جبل من الحصى أفزعه.. حتى عاد إلى الاستمساك بالعهد الوثيق!!

وهكذا: بينما يبحث العاشق الأسيان عن أذن صديق..

أو صدر قريب.. يودعه أساه. إنه قلب حائر بين العذارى بات يتنقل.. لكن الحب الحقيقي لا يبحث عن هذا «الآخر» لأنه مسكون به.. لا يفارقه!!

ويروون في ذلك:[1].

قال لي المحبوب.. لما زرته: مَنْ ببابي؟.
قلت: بالباب أنا. قال لي:
أخطأت تعريف الهوى
حينما فرَّقت فيه بيننا!
ومضى عام.. فلما جئته
أطرق الباب عليه موهنًا
قال لي: من أنت؟. قلت انظر.. فما
ثمَّ إلا أنت بالباب هنا
قال لي: أحسنتَ تعريف الهوى
وعرفتَ الحب: فادخل يا أنا!

وقالوا في ذلك أيضاً:

مرض الحبيب فزرته
فمرضت.. إشفاقًا عليه
شُفيَ الحبيب فزرته
فشفيت من نظري إليه!.

وإذ يقولون هناك:

نصف قلبي هو يدي، ونصف قلبك هو يدك، تصافحنا.. فكنا قلبًا واحدا!.

ويقولون: كنت أقول لك يا أنا، يا أنت تقاربنا، تساقطت بيننا الحروف وذابت المسافات. فأنت أنا وأنا أنت.. تركت مكاني لمكانك.. فأنت الزمان وأنت المكان.. لم أعد أعرف أينا أنا، وأينا أنت... اختصرنا الحروف واختزلنا المكان، واحتوانا الزمان... لا أعرف إن كان قلبي يدق في قلبك، أو هو قلبك في قلبي... مجانين نحن؟. فلا عقل للعاشق، ولا عشق للعاقل..

ونحن نقول: إن الحب القلبي لن يصمد أمام مشكلات الحياة وهمومها..

ومن أجل ذلك كانت الرحمة.. ناشرة ظلها على أطراف القضية.. إذا تراجع الجمال، وذهب المال. واستحال إنجاب العيال!.

وهذا هو منطق العقل.. والذي يقف حارساً.. يراقب نزوات القلب وأحكامه التي يتدخل في الوقت المناسب

١- الأبيات للشيرازي – وهي معلقة بجدران الأمم المتحدة.



ليستأنفها..

ومن أجل ذلك ختمت الآية الكريمة بقوله ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

فالقضية إذن فكرية.. والتفكير وظيفة العقل الذي يحتفظ بعاطفة الحب وهاجة بين الزوجين تحت أي ظرف من الظروف.

والأصل في ذلك ما روى البخاري عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب.. فقال: «والله يا رسول الله: لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي.. فقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»

قال عمر: فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي.

فقال ﷺ: «الآن يا عمر!».

وفي رواية: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

***

من معاني الموقف

وفي حواره هذا ﷺ مع عمرو ـ رضي الله عنه ـ كان الفاروق صريحًا.. منطقيًا مع نفسه عندما قال للرسول ﷺ:

«أحبك يا رسول الله.. لكن: عن نفسي.. لا.

فقال ﷺ: حتى نفسك يا عمر..

فقال الفاروق: حتى عن نفسي!.

وعندئذ قال له ﷺ: «الآن.. يا عمر!» الآن فقط.. تمَّ إيمانك..

أجل.. تم إيمانه عندما تجاوز حبه لنفسه ليكون الرسول أولى من نفسه وأغلى!.

وهو المعنى الذي أشير إليه بقولهم:

أحبك حُبَّيْن.. حب الهوى
وحبًّا: لأنك أهلٌ لذاك

فالأول: ميل قلبي عنيف.. يحدوه شوق عارم

والثاني: حب عقلي له أسبابه.. ومسوغاته..

الإخلاص
روح الدين ولباب العبادة

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

تختلف مقاصد الناس وأهدافهم وغاياتهم من أقوالهم وأعمالهم، والإسلام يرقب بعناية واهتمام ما يقارن أقوال وأعمال الناس من نيات، وما يلابسها من عواطف وانفعالات، وما يدفعها من بواعث ونزعات تسوق المرء إلى قول هذا القول، أو إلى فعل هذا العمل... وتدفعه إما إلى: إجادته وحثه على بذل الجهد في صنعه، وإغرائه بتحمل التعب في تنفيذه.. وإما إلى جعله غير مهتم بجودته، وغير مكترث بكمال صنعه، وغير باذل جهده في إنجازه... وذلك يرجع إلى وجود الإخلاص أو فقده عند القول أو العمل.

والإخلاص هو الأساس في قبول الأقوال والأعمال عند الله، وهو الأساس في قبول الدعاء واستجابته، فالعمل الصادر عن الإنسان ـ أياً كان ـ إذا قصد به صاحبه وجه الله، وظهرت الشواهد على ذلك، فإنه يعد عملاً مُخلَصاً، لأنه خالص من الشرك، والرياء، والمراءاة، والشهرة، والتزلف إلى الرؤساء والحكام

ومن بيدهم الجاه والسلطان... لأن العمل الإنساني قد يشوبه شئ ما من ذلك، فإذا صفا عن شوبه، وخلص منه سُمّي خالصاً...

فالإخلاص ينافي الشرك، والرياء، والغش، والخداع، والاحتيال، والكذب، والنفاق ولذا قد تجد بين الإخلاص وبين الصدق قرابة معنى...

قال الجرجاني: الفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر: أن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل، أما الصدق فيكون بالنيّة قبل الدخول فيه... عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١).

وكذلك يمتد الإخلاص إلى معنى الصراحة، ويلتقي بمفهوم الوضوح، والأمانة، والصفاء.

وإذا كانت كل المعاني السابقة التي تنافي الإخلاص، من رياء وغش وخداع واحتيال وكذب ونفاق تمتد إلى الشرك بمعنى ما، فإن من الشرك ما هو خفي وما هو جليّ، وكذا الإخلاص... وكلاهما يرد على قلب المسلم، ويكون ذلك في المقصود والنيّة، ولذا يأتي الفعل على قدر النية، إما مُخلَصا أو غير مُخلَص، فمن كان قصده من عمله الرياء فهو غير مُخلص، ومن كان غرضه التقرب إلى الله ـ تعالى ـ فهو مُخلص، إلا أن العادة جرت بتخصيص الإخلاص على قصد التقرب إلى الله ـ تعالى وتخليصه من جميع ما يشوبه ويكدره.



الغزالي

وكل عمل باعثه التقرب إلى الله تعالى، وانضاف إليه خَطْرة بشرية حتى صار العمل موسوماً بها، وأخف من جهتها من حيث الإتيان، فقد خرج العمل عن الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله ـ تعالى ـ، وبالتالي خرج من أن يكون محققاً لإنسانية

(١) البخاري ومسلم

الإنسان.. عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه»(٢).

إن الإخلاص روح الدين ولباب العبادة، وأساس قبول الأقوال والأفعال والعبادات عند الله، لأنه يحرر العبد من عبودية غير الله، ويقوى إيمان الإنسان ويكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان.

أما إذا شابت العبادة شئ يكدّر إخلاصها لله ضاع أجرها وثوابها، قال شهر بن حوشب: جاء رجل إلى عُبادة بن الصامت، فقال: أنبئنى عما أسألُ عنه، أرأيت رجلاً يُصلى يبتغى وجه الله ويُحبُ أن يُحمد؟ فقال عبادة: ليس له شئ، إن الله - تعالى - يقول: أنا خير شريك فمن كان له معى شريك فهو له كله لا حاجة لى فيه.

وقال ابن كثير - رحمه الله - فى تفسير قوله تعالى:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصاً لله، صَوَاباً على شريعة رسول الله ﷺ.

وإذا كان الإخلاص شرطاً بل وفريضة على كل مسلم فى أداء عبادته لله، لأنه فى ميدان الدين لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية خالصة، وما لم يقترن بإرادة وجه الله وحده، فإن الإخلاص بالنسبة للدعاة إلى الله يكون فريضة آكد، وعقيدة أوثق فى أداء عملهم فى حقل الدعوة، لأن اتساع نطاق العمل فى الحياة، واشتباكه مع أحوال الناس، فى رضاهم وسخطهم، وفى قوتهم وضعفهم، وفى غناهم وفقرهم، وفى صحتهم ومرضهم.. يفرض على الداعية أن يكون أحرص على استدامة ذكر الله ومراقبته، ومطالعة وجهه، فى السر والعلانية، حتى لا يضل الغاية، ولا يحيد عن النهج فى زحمة هذه الحياة...

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالى(٣) - رحمه الله -: بيْد أننا نلحظ - آسفين - أن ميدان الدعوة إلى الله غصّ بأقوام يجعلون وجه ربهم آخر ما يرعى ويرغب، كأن الأمر لا يعدو أن يكون حرفة تدرّ ربحاً قليلاً أو كثيراً.

وكأن الحرص لايهيج إلا استدامة هذا

(٢) مسلم ٢٩٨٥

(٣) كتاب (مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة) ص١٧٩، ١٨٠.

الربح، أو استزادته باسترضاء الرؤساء. الذين يُجْرونه ويملكون - فى نظرهم - بسطه وقبضه.. وقد رأينا الدعاة المحترفين يقومون بواجباتهم وليس يسيطر عليهم إلا تهيب مخالفة الرئيس أو تملق عواطفه.

ففى إحدى قرى الريف لوحظ أن إمام المسجد كان يصلى المغرب بآيتين من أواخر السور، فإذا حضر العمدة الصلاة كان هذا الإمام يتحرى أن يصلى المغرب بسورتين كاملتين يجود قراءتهما فى الركعتين الجهريتين!!، ولاشك أن هذا هو الرياء المحبط للأعمال..

ودلالته الصارخة أن الرجل يصطنع من أجل الناس صلاة أطول وأجود.. وأن الأمر لو وكل إلى صلته الخاصة بالله لكانت الصلاة أقل وزناً!! ومن يدرى لعله - لولا ضرورات العيش - ما صلى قط.

وفراغ الأفئدة من قصد الله، وانتباهها إلى صلات الناس دليل على أن الإيمان دعوى مكذوبة.. فكيف يتصور من هؤلاء أن يعلموا الناس الإيمان، وأن يدعوهم إلى الله؟

إن الداعية المرائى يقترف جريمة مزدوجة، إنه فى جبين الدين سُبّة متنقلة وآفة جائحة، وتقهقر الأديان فى حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأدعياء، وقد رُويت آثار كثيرة تفضح سيرتهم وتكشف عقباهم.

والذى يُحْصى ما أصاب قضايا الإيمان من انتكاسات على أيدى أدعياء التدين لا يستكثر ما أعد لهم فى الآخرة من ويل.. رُوى عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا: أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا الجنة - وفى رواية - قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا.. قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابونى، وأجللتم الناس ولم تجلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا لى.. اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب»(٤).

(٤) الطبرانى فى الكبير والبيهقى

إن الأدعياء فى ميدان الدين مصيبة جسيمة، وخطرهم عظيم، فإلى جانب أنهم خسروا أعمالهم عند ربهم لفقدهم الإخلاص، وإدخالهم النفاق والرياء فى أقوالهم وأفعالهم وعباداتهم، واصطيادهم الدنيا بالدين.. إلى جانب ذلك فإن الدين تهتز صورته، وتضطرب حالته، ويضعف تأثيره، وتهمل تعاليمه، بسلوكهم وأخلاقهم...

يقول الشاعر أحمد زين:

ودعى فى الدين، والدين يشكو
فعلات كالكفر منه لعينه
قال ما يشتهى من الجاه باسم
الدين زورا فى الأمة المسكينة
هو فيهم كالذئب بين دجاج
أو شياه يختار منها السمينة
فقد الدين واليقين وصار
المال والجاه دينه ويقينه
اتخذ الإفك والتملق دينا
فجميع الأديان تلعن دينه

وعن على - رضى الله عنه - أنه ذكر فتناً تكون فى آخر الزمان. فقال له عمر: متى ذلك ياعلى؟ قال: إذ تُفقه لغير الدين، وتُعلم العلم لغير العمل، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة.

إن الأمراض الاجتماعية والنفسية التى تشيع بين الناس كثيرة ومتعددة، ولها آثار سلبية عميقة فى توجيه السلوك الإنسانى يميناً ويساراً.. فمن الناس من هو مصاب بعبادة الذات، ومنهم من هو شره فى جمع المال لا يعنيه من أين يجمعه؟، ومنهم من هو مريض بكره الآخرين، ومنهم من هو سقيم بالحقد على غيره، ومنهم من لا يستطيع أن يعيش إلا إذا كان رأساً على غيره، ومنهم من يزعجه أن يرى اثنين أو أكثر على وفاق يجمعهم الحب والألفة والمودة، ومنهم ومنهم.. إلخ.

هذه العلل التى هى عوامل فعّالة فى انحراف النشاط الفردى والجماعى، وقد تكون السبب الأوحد فى انهيار أمم وفناء حضارات...

والدعاة إلى الله يجب عليهم وسط هذه العواصف الاجتماعية والنفسية، والتيارات القلبية أن يأخذوا طريقهم إلى الله نقياً نظيفاً خالصاً، وليجعلوا علائقهم بالناس على قاعدة الحب فى الله والبغض فى الله، فلا يؤثروا شارداً لقرابة أو منفعة، ولا يقصدوا صالحاً لوحشة منه وضيق به.

على الدعاة أن ينقبوا فى خبايا أنفسهم، ويغوصوا فى أعماق أفئدتهم، وألا يجعلوا للهوى سبيلاً إلى نزعاتهم،

ولا للعاطفة المنحرفة طريقاً إلى سلوكهم.. فهناك من الدعاة من ينتقد الآخرين للتشفى، وهناك من يحمدهم للصداقة والمنفعة، وهناك من يُجسّم الصغائر لفلان ويقف خطيباً ضده، وهناك من يُغضى عن العظائم لفلان ويغلق فمه عنه.. وتلك جميعاً أحوال يشينها الخبث ويشدها سوء القصد، ولا شئ فيها لله جل شأنه...

إن العمل الخالص الطيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - هو الذى يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض وابتغاء وجه الله، دون اكتراث برضا أو سخط، ودون تحر لإصابة رغبة أو كبح رغبة.

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر - رضى الله عنه - خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر رسول الله ﷺ يبكى، فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»(٥).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما: قال رجل: يارسول الله إنى أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يرى موطنى. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: ١١٠]

ولكى يعتصم الدعية من هذه اللوثات، ويبرأ إلى الله من عقابها، أرشده النبى ﷺ أن يتوجه إلى الله بهذا الدعاء: «اللهم إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه».

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه».

***

(٥) ابن ماجة والحاكم والبيهقى

أبو العلاء المعرى

إيه حكيم الدهر!

(للشاعر السورى الكبير بدوى الجبل)

خلى الندى كرامة للراح ... عجبا أتسكرنا وأنت الصاحى
لك فى السرائر بدعة مرموقة ... أنس القديم وجفوة النزاح
مجد كآفاق السماء إذا انتهت ... منه نواح بادهت بنواحى
الدهر ملك العبقرية وحدها ... لا ملك جبار ولا سفاح
والكون فى أسراره وكنوزه ... للفكر لا لوغى ولا لسلاح
ذرت السنون الفاتحين كأنهم ... رمل تناوله مهب رياح
لا تصلح الدنيا ويصلح أمرها ... إلا بفكر كالشعاع صراح
مرح على كيد الحياة وأهلها ... يلقى شدائدها بأزهر ضاح
خير العقائد فى هواى عقيدة ... شماء ذات توثب وجماح
تبنى الحياة على هدى إيمانها ... والعقل مثبت غيرها والماحى
سكرى من الحق المدل وربما ... لقى الخنوق فحاد عنها الصاحى
سكر العقيدة أين من آفاقه ... سكر العيون وأين سكر الراح
ملك الحياة فخلف كل ثنية ... لليأس يكمن منيه ألف طماح
شرف المعارك بالجراح وبالردى ... فبدار قسطك من أذى وجراح
واحمل بكفيك الحياة تحديا ... منها لأول مغتد بالساح



ألعمر من غيب القضاء خبيئة ... فابسط مصون كنوزه بالراح
لا تشك من قصر الحياة فربما ... أغنت إشارتها عن الإفصاح
سفر الحياة إذا اكتفيت بمتنه ... أغناك موجزه عن الشراح
واختر لنفسك ميتة مرموقة ... بين النجوم على الأديم الضاحى
للموت فى اللجج العميقة رهبة ... شمخت بسؤددها على الضحضاح
حوطت بالله العقيدة من أذى ... خرقاء فاجرة اليمين وقاح[1]
سكرت على كرم الندى وعربدت ... فاليوم لا خمرى ولا أقداحى
لهو العيون ولا أقول قذاتها ... وكل تكلف زهوة المجتاح
مترنح العطفين من خيلائه ... ماذا تركت لغارة وكفاح
الله يعلم ما أردت شماتة ... بمصرعين من العياء طلاح
تأبى الشماتة فى الضعيف شمائلى ... وتعف عن شلو الجريح صفاحى
وأنا الذى وسع الهموم حنانه ... ويكى لكل معذب ملتاح
أشقى لمن حمل الشقاء كأنما ... أتراح كل أخى هوى أتراحى
غسل الأسى قلبى وحسبك بالأسى ... من غاسل حقد القلوب وماحى
وودت حين هو جناح حمامة ... لو حلقت من خافقى بجناح
حب قد انتظم الوجود بأسره ... أسد الشرى وحمامة الأدواح

***

أعمى تلفتت العصور فما رأت ... عند الشموس كنوره اللماح
نفذت بصيرته لأسرار الدجى ... فتبرجت منها بألف صباح
من راح يحمل فى جوانحه الضحى ... هانت عليه أشعة المصباح

***

(١) يريد الشاعر فرنسا وقد خرجت من الحرب مهزومة من الألمان ثم جاءت تعرض صولتها وعنفوانها على الشعب السورى الأعزل.

أسعور الدنيا جحيما فاترا ... يرمى العصور بجمره اللفاح
هون عليك ففي النفوس بقية ... من رحمة ومروءة وسماح
خلق الهجير وعنفه ولهيبه ... ما شئت من ظل وطيب نفاح
ضجت ملائكة السماء بساخر ... مر الدعابة شاتم مداح
السخر فيه إذا أخذت بكفره ... كالسخر حين تراه في النصاح
نكب العقائد والطباع فيا لها ... فتكات حتف كالقضاء متاح
وعدا على حرم السماء فيا له ... فتحا أطل به على الفتاح
عرى السرائر والنفوس ممزقا ... عنهن كل غلالة ووشاح
وجلا المصون من الضمائر فانتهى ... همس النفوس لضجة وصياح
إن يقس في نقد الطباع فلم تكن ... ترجى لرحمتها يد الجراح

***

إيه رهين المحبسين ألم يثن ... إطلاق مأثور وفك سراح
ظفرت برحمتك الحياة وصنتها ... عن كل ناعمة الجفون رداح
أتضيق بالأنثى وحبك لم يضق ... بالوحش بين سباسب وبطاح
يا ظالم التفاح في وجناتها ... لو ذقت بعض شمائل التفاح
عطر أحب من المنى وغلالة ... بدع فمن وهج ومن أفراح
هي صورة لله جل جلاله ... عزت تناظرها على الألواح

***

منحت بقدرته النعيم ولونت ... أنواره جلت يد المناح
ليت الهموم العبقرية هدهدت ... بحنان طيبة اللمى ممراح
لو أنها نزلت على نعمى الهوى ... نزلت مدللة بأكرم ساح
حرم على عسر الزمان ويسره ... وحمى أمين السرب غير مباح
ما أحوج العقل الحكيم وهمه ... وسع الحياة لصبوة ومراح

ولمن تدلله وتسكر روحه ... عند الهجير بظلها النفاح
أنثى إذا ضاقت سريرة نفسه ... طلعت بآفاق عليه فساح
تسقى الهموم إذا وردن حنانها ... بمعطر كالسلسبيل قراح
وتردهن عرائسا مجلوة ... كندى الصباح وكن غير صباح
للعبقرية قسوة لولا الهوى ... عصفت بكل عقيدة وصلاح
وعناء إن ترك الجمال عنانها ... طاحت بفارس متنها الجحجاح
ما للشراع على العواصف حيلة ... إن لم تصرفه يد الملاح

***

إيه حكيم الدهر أى مليحة ... ضنت عليك بعطرها الفواح
أسكنتها القلب الرحيم فرابها ... ما فيه من شكوى ورجع نواح
جرحت إباءك والحياء فأقفلا ... باب المنى ورضيت بالمفتاح
لو أنصفت لسقتك خمرة ريقها ... سكر العقول وفتنة الأرواح
ولأسعفتك على الهوى بمعطر ... بالحسن لا بشقائق وأقاح
لا تخف حبك بالضغينة والأذى ... الحب جوهر حقدك الملحاح
وأطل هجاءك ما تشاء فخلقه ... غرر منضرة من الأمداح
العبقرية والجمال تحدرا ... من نبعة وتسلسلا من راح
أخوان ما طلع الضحى لولاهما ... إلا على العبرات والأتراح
الظالمان الماكران ونعمة ... ما أسلفا من زلة وجناح
إن التي حرمتك نعمة حبها ... وأبيك غار كواعب وملاح
لو كان في يدى الزمان وسره ... وأعنة الإمساء والإصباح
في مشهد تكسو الوفود رحابه ... ويغص بالغادين والرواح
لنزعت فتنتها وسحر جفونها ... ومحوت نور جبينها الوضاح
ونثرت جوهر ثغرها من عقده ... فصحاحه العطرات غير صحاح

ووددت للسبعين ريق عمرها   والخاليات من الصبا المراح

وجلوت مرآتي.... فندت صرخة   كلمى وغطت حزنها بالراح

حتى إذا أتممت ذلك كله   أشرفت أنظر نظرة المرتاح

فثارت من ظلم الجمال وربما   شمتت جراحٌ في الثرى وأضاح

وإذا رأيتك ضقت فيه تنكرت   للمجد منه دعابتي ومزاحي

***

الوحدة الكبرى تهلل فجرها   بظلال أبلج ذائد نفاح

هذي العروبة في حماك مدلة   ربع العدو بها وضاق اللاحي

الأزرق الرجراج حن لرملة[٢]   في الدجلتين ندية مسماح

ورأى الكنانة[٣] إن تماجد ما جدت   بالعاص لا بمنى ولا بفتاح

سمعا حكيم الدهر فهي قصيدة   وأبيك يدع مغرد صداح

عصماء إن شهد الندى خطيبها   تركت فصاح القوم غير فصاح

بدهت شواردها العدى بكتيبة   خضراء تلمع بالحديد رداح

هل في ثراك على المعرة موضع   بين العيون لدمعي السحاح

حنت النفوس عليه تسكب حبها   فجلت براح البيد غير براح

ما للجياد الأعوجية حسرا   صرعى الهجير على المدى الفياح

فاعذر إذا لم أوف مجدك حقه   لجج الخضم طغت على السباح

***

٢) يريد الشاعر أن البحر في سورية يحن إلى لقاء صحراء العراق.

٣) الكنانة مصر. والمعنى أن مصر الآن إذا موجدت تماجد بالعاص، أي عمرو بن العاص الذي فتحها وأسس الحكم العربي فيها. لا بمني ولا بفتاح. وهما فرعونان من فراعنة مصر.



قصة العدد

في مجلس المأمون

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحسيدي

دخل القاضي يحيى بن أكثم على الخليفة المأمون فسلم، وأخذ مكانه الذي يلزمه دائما في حضرة أمير المؤمنين، ونظر إليه الخليفة متفرساً، ثم قال له:

● أرى في وجهك ما ينبيء عن حديث تريد أن تقوله، وإني لمستمع إلى قولك فقل ولا تخف شيئا في نفسك.

●● قال يحيى: سمعت بعض الناس يهمسون بسر، أخاف أن يذاع، فقد قال قائلهم: إن أمير المؤمنين قد تهاون مع أنصار البرامكة منذ تولى الحسن بن سهل الوزارة، لأنه فارسي هواه مع آل برمك، وهو بعد صهر أمير المؤمنين، الذي يؤثره بحبه وتقديره.

● فقال المأمون: وما الدليل على أني تهاونت مع أنصار البرامكة؟

فقال يحيى: يقولون: جاءك رجل من دمشق متهم بالثناء على البرامكة وقد يتجاوز ذلك إلى نقد أمير المؤمنين هارون الرشيد فيما فعل بهم حين استأصل شأفتهم دون جريرة كما يقول، ولم تنزل بالرجل ما يستحقه من العقاب، بل أودعته السجن فقط، وكان المنتظر أن يحاسب ويؤاخذ بعنف لما تهجم به على أمير المؤمنين الرشيد، هكذا يقولون!

● فنظر المأمون إلى الأرض مفكرا وقال: لم أر في هيئة الرجل ما يدل على الانتقاد، فأردت أن أرجيء أمره حتى يتضح لي وجه الصواب فيما أحكم به، وقد أسلمته إلى أبي العباس حارس الشرطة وهو رجل من كبار المخلصين للدولة وأمرته أن يراقب أحواله، فحمله من السجن بعد أن أقام به عشرة أيام إلى منزله ليعرف عن عيان ما يدل على اتجاهه، وقد أنسيت أمره حتى جئت اليوم تحدثني عنه! وإذا كان الناس

يتحدثون أنى خالفت أمر أمير المؤمنين الرشيد، فهم ليسوا بأكثر حباً لأبى منى! إنما يروجون الأراجيف.

●● قال يحيى: وكم مكث هذا المتهم فى منزل أبى العباس؟

● قال المأمون: قرابة شهر وسأستدعيه الآن ليأتى بما لديه عنه! وقد قلت لك إنه مخلص أمين! وفوجىء أبو العباس بمن يدعوه إلى لقاء أمير المؤمنين، فجال بخاطره أن الأمر يتعلق بالسجين لديه، وقد صح حدسه فإن المأمون بدأه بالسؤال عن صاحبه وفي وجهه مظاهر الاهتمام الشديد!

فاطرق أبو العباس متحيرا لم يجب، حتى ظن المأمون أن الرجل قد هرب من محبسه وأن تقصيرا شديداً وقع من أبى العباس، فبادره يقول:

● وحق الرشيد لو علمت أن صاحبك قد هرب بتدبيرك أو غير تدبيرك لتكونن مكانه فأنزل بك من العقاب ما كنت أريد أن أنزله به، وهو القتل المبين!

فوجىء المأمون بأبى العباس يقول:

- الرجل فى منزلى لم يهرب، ولكنى أفديه بنفسى، فقد أنقذنى من القتل فى يوم عاصف، ومن واجبى أن أنقذه إذا كان لي بعض الشفاعة لدى أمير المؤمنين، فإذا لم تنفع شفاعتى، فلنمت معا فهذا أهون عليّ من أن أكون عاجزا عن رد الجميل!

● قال المأمون: نحن أمام قضية طريفة، وسيحكم بشأنها يحيى بن أكثم قاضى القضاة، حين يستمع منك ما تقول!

- قال أبو العباس: كنت منذ عشرين عاما مع بعض ولاة أمير المؤمنين فى دمشق فبغى أهلها، وخرجوا علينا يريدون القتل ولا شيء دونه فتدليت بزنبيل من أعلى القصر، وهربت منه لا أدرى أين أتجه.

ثم رأيت جماعة يعدون خلفى يريدون أن يمسكوا بى، فعدلت إلى طريق آخر طلبا للنجاة، فرأيت هذا الرجل جالسا أمام منزله، فقلت له: أغثنى، أغاثك الله، فقال مبتسما: لا بأس عليك فادخل منزلى، فدخلت فرأيت زوجته وكانت تسمع إغاثتى، تقول: ادخل هذه المقصورة فدخلتها، ووقف الرجل على باب الدار فأقبل شاب ضخم ذو ملامح عصبية والرجال معه، وهو يقول: لقد دخل الهارب عندك فأحضره، فقال فى هدوء، دونكم الدار ففتشوها، فدخلوا وجعلوا يتنقلون فى الحجرات، حتى جاءوا إلى المقصورة فصاحت الزوجة: بناتى وحرمى أتدخلون عليهم وأنتم أغراب! أما من دين ومروءة، فتراجعوا، وأنا أسمع الكلام، وقد هرب الدم من وجهى، وفى اعتقادى أن السيف أقرب إلى عنقى من حبل الوريد، ثم دخلت

المرأة بعد انصرافهم وقالت: لقد آمنك الله عز وجل وهنا مقرك حتى يأذن الله.

وجاء بعدها زوجها فقال: الحمد لله على سلامتك، وشكرا لله إذ جعلنى صاحب المكرمة فى ذلك، وأقمت عنده أربعة أشهر أتناول فاخر الطعام، ويدخل لمؤانستى فى الصباح والمساء، وأنا خجل منه، فلما هدأت العاصفة قلت له: أريد الذهاب إلى أهلى ببغداد، ولدى بهذا البلد غلمان يحرسون متاعى ومنزلى عامر بما أحتاج إليه، وسأزورهم ليلا، لأخذ ما أستطيع حمله، ولديهم ما ائتمنته عليهم من المال، وهو سيعيننى على أجر الطريق، فابتسم وقال: إذا شئت فافعل، وأنا فى انتظارك لأودعك قبل الرحيل، فلما ذهبت إلى منزلى، لم أجد أحدا من غلمانى، وعرفت أنهم هربوا كما هربت، وأن المنزل قد سكنه أناس آخرون فبكيت من شدة الألم، ورجعت مقهورا لصاحبى، وقصصت عليه ما وقعت فيه من كارث الخطب فابتسم، وقال: الحمد لله لم تخسر شيئا تريد أن تستعين به، فالمال لدى موفور، وستتوجه القافلة إلى بغداد بعد ثلاثة أيام وستكون برفقتها على أحسن حال، ثم دعا غلاما له، وقال: أسرج الفرس وجهز آلة السفر فقلت فى نفسى: لعله يريد ذلك لنفسه إذ يعزم على الرحيل إلى ضيعة له، وسكت. فلما حان وقت سفر القافلة، قال لى: هيا، قلت: وماذا سأفعل وليس معى ثمن الراحلة ولا ما يشفع لى فى الانتظام بها، قال لا بأس! هذه ملابس جديدة لك وزانك خفان رقيقان يخدمانك فى الصيف، وهذا سيف يحميك من غائلة الطريق إن تعرض للقافلة بعض البغاة، وهذا الغلام الأسود وهبته لك ليكون فى عونك، واطلب بعد ذلك ما تشاء فأنا مستعد.

فبكيت لما تلبستنى من شعور، لاسيما حين قدمت زوجته لى صندوقا به بعض المآكل واللباس وما يحتاج المسافر، ثم رجعت إلى بغداد، وقد علم بأمرى أمير المؤمنين الرشيد فعيننى رئيسا لحرس الشرطة.

ثم قال أبو العباس: هذا ما كان من أمرى فى دمشق منذ عشرين عاما، فلما حضر إلى هذا السجين، اشتقت إلى أن أسمع شيئا عن أخبار دمشق وعن خبر هذا الرجل بالذات فقلت له: أتعرف منزلا فى حى كذا، يسكنه رجل ذو وجاهة وكرامة بين الناس، ويعيش فى سعة من الحياة فقال مبتسما: وماذا يهمك من أمره، قلت: لقد مكثت فى منزله أربعة أشهر على أحسن ما نزل اللاجىء المستغيث على شهم كريم وقد زودنى عند الرحيل بما لم أكن أحلم به! من مال ورياش وطعام ومن غلام وفرس وسيف، وهو لا يعرف حتى اسمى! وأنا



أريد الآن أن أكافئه على بعض جميله، فإذا هيأ الله لك طريق النجاة، فلتذهب إلى هذا الحى وتسأل عنه فإن كان لا يزال على قيد الحياة سافرت إليه وأديت واجبى نحوه، وإن أكرمه الله برضوانه فلابد أن أؤدى المعروف إلى أهله، وأرجو أن يسعدنى الحظ برؤيته ورؤية زوجته التى لم أر سيدة فى مثل نبلها وكرمها ومروءتها فتفرس الرجل فى وجهى، وقال: إن عشرين عاما قد مرت على، قد بدلت ملامحى كثيرا، فتأمل فى وجهى فقد تجد طلبتك التى تنشدها فجعلت أتأمل ملامح الرجل، ثم صرخت فجأة وقلت فى لهفة أهو أنت، والله إنى سأبذل دمى فداءك، ولو شاء أمير المؤمنين أن يبادرك بالشر، فسأقتل نفسى قبل أن يمسك السوء!

هذا ما كان من أمر الرجل معى يا أمير المؤمنين، وللقاضى أن يحكم على مروءته بعد أن سمع القصة التى تفضل أمير المؤمنين باستماعها.

● فسكت المأمون قليلا، ثم قال وما صلة هذا الرجل بالبرامكة حتى يمدحهم هذا المديح، ويلوم أمير المؤمنين الرشيد على ما صنعه بهم، أمام الناس.

– قال أبو العباس: لم أسأله فى ذلك، وإذا شاء أمير المؤمنين أن يستدعيه، ويوجه إليه هذا السؤال، فله ما يشاء.

● فقال المأمون: غدا فأتنى به لأعلم ما كان!

– فرجع أبو العباس إلى صاحبه، وقال له: إنى أخذت من حديث أمير المؤمنين ما يدل على السماحة والعطف، وسيسألك عن حديثك عن البرامكة فى المسجد الأموى بدمشق، فهيىء فى نفسك ما تقول بحيث يرضى عنك المأمون.

فقال الرجل: لا أهيىء كلاما، فالحق أحق أن يتبع وسأشرح ما كان كما كان، وبيد الله نجاتى أو هلاكى إنه على كل شيء قدير.

وفى الموعد المحدد ذهب أبو العباس مع صاحبه إلى مجلس المأمون، وسلم عليه بتحية الخلافة، ووقف ممتثلا كالخائر.

● فقال له المأمون: أصدقنى الحديث! لماذا تعرضت لمولاك الرشيد بالنقد فى ملأ عام!

فقال الرجل أعرف يا أمير المؤمنين، أن الصدق منجاة، وأن الكذب مهواة، وسأقص عليك ما يشهد الله به علىّ من صدق وإخلاص.

كنت بالمسجد الأموى بدمشق بعد صلاة الغروب، فسمعت رجلا يتحلق حول الناس وهو يقول إن الرشيد قد نكب البرامكة دون حق، وأخذ العامة يخوضون فى مثل ما قال، فتوجهت إلى الحلقة ولى كلمتى المسموعة بين الناس، فقلت: على رسلكم يا قوم، لقد ذهب الرشيد والبرامكة إلى رحمة الله، والله

يتولى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وليس لكم أن تخوضوا فى حديث الراحلين فهذا من شأن رجال التاريخ ولستم مؤرخين.

ثم خرجت إلى بيتى، فجاءتنى امرأة باكية تقول إن الوالى قد غصبها منزلها الذى تقيم به فى جوار منزله لأنه يريد أن يزيد من مساحة المكان، فلم أطق أن أسمع هذا القول، وتوجهت إلى الوالى، وقلت له: الحق أحق أن يتبع، وعليك أن ترد للمرأة منزلها إذا تمسكت به، فإذا قبلت أن تقيم فى منزل آخر تشتريه لها وتقتنع به فهو حقها، وإذا امتنعت فسأشيع الأمر بين الناس، وقد يصل إلى بغداد فيعلمه أمير المؤمنين فسكت الوالى ولم يرد.

ثم بعد ثلاثة أيام، فوجئت بنفر من رجال الشرطة يقتحمون المنزل، ويقولون أنت مطلوب لبغداد لأنك فى المسجد الأموى قد تعرضت لأمير المؤمنين الرشيد بما يسوء فأنت خارج عن الطاعة، ولم يمهلنى القوم لأستشهد بالشهود، وكانوا كثرة، بل وضعت الأغلال فى يدى وجئت مكبلا مقيدا، وكأنى مجرم أثيم، هذا ما كان من أمرى مع الوالى، ولأمير المؤمنين أن يبعث بمن يحقق فى قولى، وسيعلم صدقى فى كل ما أقول!

● تطلع المأمون إلى يحيى بن أكثم، وقال له: ماذا ترى؟

●● فقال: يا أمير المؤمنين إن صنيعه مع أبى العباس من قبل يدل على عزة وكرامة ومروءة ولابد أن يُجزى بالتى هى أحسن!

● قال المأمون: أيها الشيخ ارجع إلى بلدك غانما مشكورا، وقد عزلت الوالى الغاصب وجعلتك واليا مكانه، وستحكم فى أمره بما تشاء!

فابتسم الشيخ، وقال: حفظ الله أمير المؤمنين، لم تعد فى الصحة ما يساعد فى حمل الأمانة، على أنى سأكون رقيبا على فعله إذا واصل العدوان.

● قال المأمون: احمل هذا الخطاب إلى والى دمشق، وتقدم به إليه.

وجاء نص الخطاب كما يلى: لقد أمرت بعزلك لتجاوزك الحق فى بعض أمرك، ولكن هذا السيد الماجد الهمام شفع لك مع إساءتك الذميمة إليه، وعليك من الآن ألا تصدر أمرا ما إلا بالرجوع إليه، فإن أجاز ما تفعل كان بها، وإن اعترض، فهو سيدك وأنت مولاه! هو يأمر وعليك أن تطيع.

ونهض أبو العباس فقبل يد أمير المؤمنين، وتبعه صاحبه، ففعل ما فعل وقد أعد له أبو العباس قافلة خاصة به، تحمله إلى مثواه، مودعا بالإجلال والتعظيم.

فى عبقرية الصديق

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

يحيل إلى القارىء لعبقرية الصديق بعد قراءته لعبقرية عمر.. إنه مع كاتبها أمام رجل فرغ من إسقاط رؤياه فى الرجال. وفى البطولة حين كتب عبقرية الفاروق وأنه قد أتيح له من أبى بكر مثال تطبيقى أو مقارن على وجه أدق، فحاول أن يدرس عظمته مقارنة إلى عظمة عمر، ودوره مقارنا إلى دور عمر، ومواقفه مقارنة إلى مواقف عمر، مع اختلاف مسلم وطبيعى بين طبيعة هذا وطبيعة ذاك.

ولكننا ما نكاد نمضى فى قراءتنا لعبقرية الصديق حتى نحس على الفور بأن العقاد إلى جانب مقارناته وموافقاته ومخالفاته جميعا، قد نحا بعبقرية الصديق منحى يضيف إلى حركة الفكر ويثرى مجارى التطور!!

وطبيعى أن لا يعنينا أن يقول العقاد فى مقدمة كتابه أنه لا يكتب ترجمة.. فتلك شنشنة نعرفها ولا ننخدع ببريقها أبداً.. لأنه إذا لم تكن عبقريات العقاد تراجم فماذا إذن تكون؟

إن كل العبقريات بنسقها التأليفى، وبمنهجها التحليلى وباستقطابها لرؤى النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد، تقف من التراجم على يفاع غير منكور، قد يكون العقاد متهيباً أن يقول إنها تراجم وقد يكون رأيه فى كتابة التراجم شيئا آخر لا ندريه، لأن الذى ندريه من رأى العقاد فى هذا الصدد إنه يرى فى التراجم شيئا أبعد من رصد الوقائع الحياتية، وحركة أعمق من استقصاء الملامح المادية، ولقد ناقش فى هذا المعنى واحداً من أكبر من أبدعوا فى ميدان التراجم الغيرية وهو «أميل لودفيج» وتوهج من خلال حواره مع مقولات هذا الكتاب ما يمكن أن نسميه: ملامح منهجه فى كتابة التراجم.. وهى ملامح تنعطف صوب المنهج التحليلى بكل أبعاده لا تتعداه.

وإذا كنا فى حوارنا حول مقولات المنهج، التحليلى فى «عبقرية محمد» وفى «عبقرية عمر» قد استبنا بعض ملامح هذا المنهج فإنه من المؤكد أننا فى حوارنا مع مضامين «عبقرية الصديق» سنضيف إلى الملامح ملامح أخرى، وإلى الأبعاد بعداً جديداً.



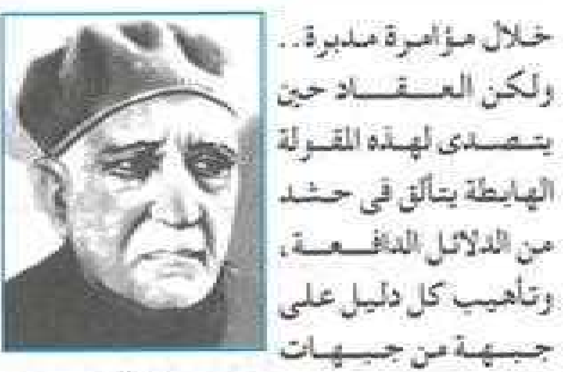
ولكن لنا ملاحظة أولى ينبغى أن نضعها هنا على هون.. هى أنه ربما لو تغير ترتيب فصول هذا الكتاب لكنا قد حصلنا على ترجمة تحليلية متنامية، وليس على مجرد ترجمة تحليلية.. وسيدرك هذه الحقيقة كل من يتأمل ترتيب هذه الفصول.

ولكننا نمضى فى «عبقرية الصديق» يركز العقاد منذ البدء على اللمح النفسى العاكس خلائق أبى بكر وبواعث أعماله جميعا، مركزاً على جانب الاحتياز وليس على جانب الطرح، فإن من حق العظيم أن يوفى حقه من التوقير وأن ترفع صوره إلى مكان التجلة، وإن لم يمنع ذلك أن نصدقهم الوصف والتصوير.

وحين يتصدى العقاد لمقولات هاجمة على بطله لا يأخذ القضية مأخذ الروع، ولا يأخذها كذلك من منحى الاعتباط، وإنما هو محتشد لمعركته بكل ما يملك، ضارب بكل ثقلة، محيط بالقضية الموضوع استيعاباً.

ومنحاً، راكض إلى خصمه من كل صوب، يحاور.. ويداور.. ويعلل.. ويقلب الوجه الواحد على عديد من الوجوه، فإذا انتهيت معه إلى نتيجة بهرتك فيها قوة العارضة، وشمولية النظرة.. وإذا اختلفت معه حول هذه النتيجة فأنت لا تملك إلا احترامه كخصم فاهم وزكى وقادر على منح القضية أبعاداً جديدة بلا إسراف!!

لقد تتضح هذه الخاصية فى الفصل الثانى من عبقرية الصديق والذى كتبه العقاد تحت عنوان «الصديق الأول والخليفة الأول» لقد لغط اللاغطون بأن الصديق لم يصل إلى الخلافة إلا من خلال مؤامرة مدبرة.. ولكن العقاد حين يتصدى لهذه المقولة الهابطة يتألق فى حشد من الدلائل الدافعة، وتأهيب كل دليل على جبهة من جبهات الدفاع، ومحاصرة القوى اللاغطة بمزيد من الوعى والاستبصار وروعة الشمول.



العقاد

إن وفاء عائشة وترددها فى التبليغ.. وإشراكها لحفصة ولحفصة بنت عمر بالذات.. وإشفاقها على أبيها أن يحمل بدء الشئوم فى أول خلافة بعد موت النبى.. وأخلاقيات كل من حاول المستشرقون إشراكهم فى هذه المؤامرة المدعاة.. ومفاجأة القوم بما حدث تماما حتى اللعثمة وغياب أبى بكر المتصدى للزعامة عن بيت النبى وجواره فى هذه الأثناء، وانذهال عمر حتى حافة العدوان على كل من يردد النبأ الفاجع.

وتدوير عمر فى نفسه كلاماً يواجه اجتماع السقيفة.. وتدوير أبى بكر فى نفسه كلاما مثل ذلك، وانتفاء أى موقف مسبق فى مواجهة اجتماع السقيفة بين أبى بكر وعمر، ولقاءهما الاتفاقى المحض مع أبى عبيدة فى الطريق.. وتلويح عمر لأبى عبيدة بتولى الخلافة إما مقتنعاً أو مختبراً.. ورفض معقولية أن يكون الاتفاق قد تم قبل أن يمرض النبى مرض الموت لاحتمال أن يفضح القرآن هذا الاتفاق وأن يتنزل بغير ما اتفقوا عليه أو يومىء النبى بغيره.



إن كل ذلك يضرب كل افتراء بادعاء المؤامرة في وجهه، وينفي تماماً أن يأتمر القوم في مثل هذا المجال بمثل هذه المؤامرة التي لا تتفق مع ما رباهم عليه محمد من أخلاقيات!!

هذا هو لون الدفاع الدارس الفاهم الشمولي الذي لا يترك وجهة إلا توقف عندها، ولا هاجسة إلا استبطها، ولا خلجة فكر واحدة إلا صاغها في مناطها الطبيعي من حركة القضية الوضوع!!

وانسياباً مع موقف العقاد من بحثه الدائب المقتنع عن «مفتاح شخصية» لكل واحد من أبطاله العديدين، يتلمس هنا مفتاح شخصية الصديق في «الإعجاب بالبطولة».. ويلقنّ العقاد درساً في التراجم الأدبية كيف ينبغي أن تكون، حتى لنحس مع استطراده التحليلي حول مصطلح الإعجاب بالبطولة أننا أمام كاتب فرغ نفسه تماما لدراسة هذه الظاهرة، ولكننا لا نلبث أن نجد تطبيق كل هذه المقولات في حياة الصديق، مما يوحي بأن المنهج التحليلي الذي ارتضاه العقاد ليس شقشقة هامشية من جهة.. وليس تقعيداً متأبيا على التطبيق من جهة أخرى، وإنما هو مزاج من التقعيد والتطبيق يفضي في النهاية إلى نظرية متكاملة تضيء أبعادها بكل الرؤى، ويتوهج مداها بكل المضامين، إن البطولة التي تفتن العقاد هنا هي بطولة الكل المتوحد الشامل.. وليست هذه الأمشاج المبعثرة التي تأخذ منها بعضها وتدع منها بعضها الآخر.

وكأن العقاد في بحثه الدائب عن تكامل نظري لمنهجه التحليلي لا يريد أن يدع جانبا من جوانب الإبداع دون استقطابه وارتفاقه، فهو من خلال عبقرية الصديق يدخل عنصر الحوار أو المنولوج قضية من قضايا تصميم التراجم، ولكن هذا الحوار لا يأخذ الحقائق مأخذ البديهية ولا يتناولها من منظور السرد.. فإن أعدى أعداء المنهج التحليلي أن تحتل البديهية مناط الفكر.. وأن يغتال السرد شقائق التحليلي.

وتتألق ظاهرة التفصيل بعد الإجمال، أو التطبيق بعد التقعيد في حديث العقاد عن إسلام أبي بكر وهنا تتضح ملامح المنهج العقادي، فهو يؤصل للقضية أولا.. ثم يفلسف هذا التأصيل ثانيا.. ثم يطبق المقولات على المترجم له آخر الأمر.. وكما يلجأ العقاد في توثيق قضاياه بالإيجاب، يلجأ كذلك إلى توثيق هذه القضايا بعنصر السلب.. فلم يكن أبو بكر مهدداً في سيادة مضروبة على أعناق الناس، ولم يكن الرجل مغلق الذهن ولا وصفه أحد بذلك، إلى آخر هذا السلب الموحي بجذور كل الإيجاب.

لا أريد أن استطرد مع كل فصول هذا الكتاب الرائع بحق، فإن المدى يطول بنا إذا نحن فعلنا أو كنا حتى على نية أن نفعل.. وإنما أريد أن أوجز عناصر المنهج التحليلي التي يمكن أن تكون عبقرية الصديق قد أضافتها إلى ما أسلفنا – في عبقرية محمد وعبقرية عمر، وهي على وجه مقارب:

- المنحى النفسي في معالجة المواقف والأحداث.
- الدفاع من منطق الاستيعاب والفهم والاحتواء.
- مفتاح الشخصية المستلهم، هنا من المنحى

النفسي للمترجم له.

- الحوار أو المنولوج كعنصر جديد في التراجم التحليلة.
- التأصيل والفلسفة والتطبيق.
- التأكيد على عنصر الجدل التكامل وليس التناقض.
- التوثيق بالسلب كما بالإيجاب.
- التفريق بين الصدق والتجميل.

هذه هي الملامح التي يمكن أن تضاف إلى ما سبق من ملامح المنهج التحليلي، وهي مع غيرها تكون الإطار العام لهذا المنهج الذي نلهث وراء إطاره النهائي.. ومن الحق أن يقال إن المنهج التحليلي الذي انتهجه العقاد في تراجمه أهدى مما عداه من جهتين على الأقل:

- الأولى: إن المنحى السردي في التراجم الغيرية مما أكب على الاستقصاء واحتواء أخبار المترجم له لن يأتي على «كل» ما يتصل بهذه الأخبار.. وربما كانت مروية واحدة مفتقدة أدل على مزاج صاحبها من كل الركام والحشد الذي جمعه وعاني في جمعه.. فيبقى المنهجي السردي في النهاية قاصراً عن الإحاطة المفيدة على كل حال!!

- والثانية: إن المنهج التحليلي بعبوره على المرويات الساذجة التي لا تضيف إلى ملامح الشخصية، وبوقوفه عندما يمكن أن يكون مدخلا حقيقيا إلى عوالم الذات ومناحي قوتها وضعفها، إنما يقدم لنا الذات المترجمة بأبعادها جميعا أو تكاد!!

مثلا: نحن لا نفيد كثيرا من أن أبا بكر ولد يوم كذا وفعل في طفولته كذا وكذا، وتدرج إلى صباه وشبابه على هذا النحو أو ذاك – على صميمية كل أولئك في التراجم – ولكنا نفيد أكثر من الكثير حين نعرف من بواعث المترجم له وخوالجه وقناعاته النهائية أو المرحلية في كل القضايا وكل الحلول إن الحلول.. اللحم والدم لا يعنينا في التراجم كثيرا ما لم يكن صاحب عبقرية في مجال ما، ما لم يكن صاحب بروز في اتجاه بعينه، وليس السرد هو ما يعكس لنا هذا البروز وإنما هو لتحليل والتحليل وحده على أي من الوجوه!!

إننا نفيد بلا حدود من قضية كون أبي بكر كان رجل اقتداء في حين كان عمر رجل اجتهاد.. إن هذا اللمح النفسي والحياتي لا يضيء لنا مرحلة الرجولة في حياة أبي بكر فحسب.. ولكنه يضيء كذلك مراحل الصبا والطفولة والشباب.

إن اتجاهاتنا الصميمة ليست وليدة موقف ولا هي وليدة طور واحد من الأطوار.

إنها وشائج عمر بكامله، ومقومات شخصية بأسرها، وملامح ذات بلا نقصان، فإذا كانت هذه الذات قد تكاملت أنساقا في مرحلة الرجولة، فقد تنامت إيناعاً مبشرا في مراحل ما قبل الطفولة من أطوار بلا حدود!

وحسب العقاد أن يكون أول رائد على هذا الدرب.. وأول فارس يركب جواده عارياً.. فالفروسية اقتدار لا يجن.. ولا يلتفت إلى الوراء.

خطبة الجمعة :

الإسلام والمرأة

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

لك الحمد يا صاحب الحمد فى الأولى والآخرة، وواهب اليقين للنفوس الذاكرة، أنت الذى خلقها فسواها، فألهمها فجورها وتقواها، وكتب النجاح والفلاح لمن زكاها، وبشر بالخيبة والندامة من دساها، وما ظلمهم الله، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، نشهد أن لا إله إلا أنت، نطقت بفضلك الآيات، ودلت عليك العلامات:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣)

وتشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك، اصطفيته لرسالتك ونصرته بجندك وعنايتك.

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم:٤٧)

فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأحفاده، وصحابته وأجناده، الذين استقاموا وما استناموا، فحق لهم وعد الجليل فى محكم التنزيل:

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (فصلت:٣١، ٣٢)



يا أتباع محمد صلي الله عليه وسلم...

لايزال بيننا مع الأسف طائفة من المسلمين الشكليين، الذين انحرفت تربيتهم وثقافتهم، ففسدت عن الإسلام الحنيف فكرتهم وعقيدتهم، نشأوا فى بيئات لا هى شرقية ولا هى غربية، فدرسوا من العلوم والفنون ما درسوا، ولكنهم لم يصلوا أسبابهم بالثقافة الإسلامية، فظلوا بها من الجاهلين، وكم حكموا على الإسلام أحكاماً خاطئة، ونسبوا تهماً كاذبة، والناس بالطبع أعداء لما يجهلون.. لقيني رجل من هؤلاء الذين تربوا تربية غربية أوروبية، وآمنوا الإيمان الأعمى بكل ما يأتيهم من الخارج، فسألني مستثيراً: هل يبيح الإسلام حقاً أن يضرب الرجل امرأته؟.. فأجبته: نعم يجيز الإسلام ذلك في بعض الأحوال، وبشروط كثيرة هي......

وأردت أن أسرد له هذه الشروط فقاطعني قائلاً: لا لا... لا داعي لتطويل الحديث، ويكفى قولك «يبيحه الإسلام» فذلك كاف فى الدلالة على الوحشية والقسوة، وأن قانون الصحراء كان له دخل كبير فى وجود ذلك الاستبداد!..

وجاهدت نفسي جهاداً كبيراً لأغالب ثورتي وغيظي، وأردت أن أكون داعية لا مؤدباً، فحاولت أن أبين له وجه الحق الناصع المشرق فى تشريع الإسلام، فأبي واستكبر، وأصر على الإعراض، وولى عني مدبراً وهو يتمتم: حقاً إنها لوحشية وفظاظة أن يجوز للرجل ضرب امرأته مهما كانت الأسباب، فأين ذلك التوحش من حضارة أوروبا وقوانينها الحديثة، وتقاليدها الراقية، وحرصها على المساواة بين الرجال والنساء!؟.. وعاودت كتمان غيظي، وسألت الله أن يشفى الصدور المريضة، وأن يفتح للحق الآذان العريضة.

ومرت أيام، وإذا بى أتناول صحيفة فأقرأ فيها هذا العنوان الكبير: «ضرب الزوجة مباح فى انجلترا»!.. وطالعت تحت العنوان ما ملخصه أن سيدة انجليزية لها مكانة اجتماعية ملحوظة، قد رفعت قضية على زوجها، وهو محام كبير، تطلب الطلاق منه لأنه تعود أن يضربها بقسوة، فإذا ما احتجت عليه قال لها: «ارفعى الأمر إلى القضاء فإن القانون بجانبى يحمينى، إذ فيه نص صريح بأن ضرب المرأة مباح».. ثم ذكر كاتب المقال أن القانون الإنجليزى لا يحرم ضرب الزوجة، بل يبيحه صراحة، ولو أنه وضع للضرب حدوداً بحيث لا يؤدى إلى تشويه الزوجة أو كسر عضو من أعضائها، وأن عدداً كبيراً من الأزواج الإنجليز يستغلون هذا النص أسوأ استغلال، فيضربون زوجاتهم ضرباً مبرحاً، بأدوات غير مشروعة للتأديب، وأن القانون الإنجليزى يحكم فى الغالب لمصلحة الأزواج، ما لم تتخلف عن الضرب المبرح آثار ظاهرة، حتى قالت رئيسة إحدى الجمعيات هناك: إن إباحة ضرب الزوجة فى بريطانيا قد جعل من الزوجة «قطعة أثاث» ينظفها الزوج ويزيل التراب عنها بواسطة الضرب.

وذكر أن القانون الانجليزى يحكم برد الهدايا والجواهر التى قدمها الزوج لزوجته، إذا حدث بينهما طلاق، ويعلل ذلك بأن الزوج إنما ملكها هذه الأشياء «لتظهر بها فى المظهر اللائق أمام الأصدقاء»!..

قرأت هذا فهتفت: ذلك هو ما يقنع المفتون،

ويرشد المجنون، وسارعت بالصحيفة باحثاً عنه حتى لقيته، فرميت إليه بالصحيفة قائلاً: إليك الدليل الذى يعجبك، والبرهان الذى يناسبك، يا من لا يؤمن بالفكرة إلا إذا جاءته من الخارج ملفوفة فى غطاء كتب عليه: قد صنع فى أوروبا!.. فطالع المقال واستخذى، ثم أظهر الأسف وأبدى الاعتذار..

وحاول الفرار فاستبقيته قائلاً: ما كان لك أن تفلت من سلطان الحساب حتى تعلم فوق هذا فضل الإسلام وسموه وتعاليه عما تعتقد فيه اعتقادا مطلقا من قوانين المدنية والحضارة... إن الإسلام يمتاز على ما تفتن به وتهيم فيه بأنه يأمر المسلم إذا طلق امرأته ألا يأخذ مما أعطاها شيئاً، ولو كان قنطاراً من ذهب، فذلك لا يليق بالرجولة، ولا بسابق العشرة الطويلة، فاستمع إلى القرآن إذ يقول:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

﴿النساء: ٢٠، ٢١﴾

فأين يذهب قانون انجلترا المتحضرة الذى يجيز استرداد ما أعطى الزوج لامرأته من هذا الأدب الإلهى الرفيع؟!..

وقانونك الانجليزى الحديث يا هذا يبيح للرجل أن يضرب امرأته إباحة فيها نوع من السعة، والإسلام حقيقة يجيز للزوج أن يضرب زوجته بقدر محدود فى حالة اليأس من الإصلاح بأى طريق أو أسلوب فى قوله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

﴿النساء: ٣٤﴾

ولكن الإسلام جعل ضرب الزوج لزوجته كسلاح أخير يلجأ إلى استعماله مضطراً بعد استنفاد جميع الوسائل التى يمكن أن تؤدى إلى الإصلاح، وعند تمرد المرأة على الأخلاق والآداب، أو تمسكها بالعصيان والطغيان، وقد قدم الإسلام بين يدى الضرب من العوامل والحوائل ما يكفى لعدم استعماله إلا فى أشد الحالات، فالإسلام يأمر بأن يختار الرجل زوجته من منبت كريم: ومن طاب منبتها طاب سلوكها فلا تحوج إلى ضرب أو تأديب، والإسلام يأمر الرجل بحسن معاشرته لزوجته فيقول:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

﴿النساء: ١٩﴾

وأوضح أن المعروف ليس بكف الأذى عنها فقط، بل باحتمال الأذى منها، ولقد كان الرسول يحتمل من نسائه مراجعتهن له اليوم بأكمله، وهو القائل: «أكمل



المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم لنسائهم»[1] ولقد أسلم روحه الشريفة وهو يردد:

«استوصو بالنساء خيراً»[2]

والإسلام يأمر الرجل بالإرشاد وحسن التوجيه والتعليم إذا أخطأت المرأة، وأن يصبر على تقويمها لأنها خلقت من ضلع أعوج، فإن استمر خطأها وعيبها فعليه أن يعظها، ثم يحذرها، ثم يخوفها، ثم يلجأ إلى الاستعانة بحكم من أهلها يردها إلى صوابها ثم يهجرها فى الفراش فيوليها ظهره، أو ينفرد بفراش آخر، لعلها ترعوى أو تفيق، فإذا لم تجد هذه الوسائل كلها وأبت المرأة إلا نشوزاً واستكباراً جاز له - ولم يجب عليه أو لم يستحب له - أن يضربها بقدر كعلاج أخير حسبما قال الفقهاء ضرباً خفيفاً يراد به التهذيب والتأديب لا التشفى والتعذيب، ضرباً غير مبرح لا يسيل دماء ولا يقطع لحماً، ولا يكسر عظماً، ولا يشوه خلقة، ولا ينال وجهاً، ولا يخلف أثراً، حتى لقد قال ابن عباس ترجمان القرآن: إن الضرب يكون بالسواك ونحوه، ومع ذلك فعدم الضرب أحسن إلا إذا ترتبت مفسدة أكبر، ولذلك قال الرسول: «علام يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد، ثم يضاجعها من آخر الليل»[3].

فأين القانون الانجليزى العصرى الفضفاض من هذه الحدود الإسلامية التى حدها الرحمن ليحول بيننا وبين سوء الاستغلال!؟

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم...

إن الحق أبلج، والباطل لجلج، وإن الشواهد كلها لتصيح بأن شرعة السماء هى العلاج والدواء، وأن الناس يشرقون ويغربون ويغترون وينخدعون ثم تكون خاتمة المطاف إلى رحاب الإسلام، يجدون لديه الحكمة والهدى والسلام، وقد حملكم الله أمانته، ووكل إليكم نصرته، فأين أنتم من ميدان الدعوة إلى الله، والدخول فى حماه؟.. واتقوا الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

عن معاوية القشيرى قال: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟. قال: تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا فى البيت. وقال صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»[4]..

(١) سنن الترمذى، كتاب الرضاع، باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها حديث ١٠٨٢.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، حديث رقم ١٨٤٦.

(٣) مسند الإمام أحمد، حديث رقم ١٥٦٣٣.

(٤) سنن ابن ماجه، حديث رقم ١٩٦٧.



فقه الإنترنت !!

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

لقد باتت الحاجة ماسة حاليًا إلى دراسة ما يشيع بثه وممارسته على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من وجهة نظر الفقه الإسلامى. فمن المسلم به أن قطاعا ضخما من شباب المسلمين يتعاملون حاليا مع هذه الشبكة بأشكال متعددة، وقد لا يخطر ببالهم أن لممارساتهم أحكاما شرعية لم يسبق التعرض لها فى كتب الفقه الإسلامى، أو محاضراته، تعرضاً مباشراً، مما قد يُوقع بعضهم فى شبهة أو أكثر من تلك الشبهات التى أشار إليها الحديث النبوى الصحيح: «الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات..»(١).

فقد يقر فى بعض الأذهان أن كل ما يقوله المتعامل مع الشبكة كتابة، لا يدخل ضمن ما سيسجل عليه، بشبهة أنه لم يتلفظ به! أو أن أحكام الغيبة المعروفة لا تنطبق على المكتوب وغير ذلك من وسائل التلبيس.

وخيرُ بداية لهذه المناقشة أن نحصرَ ما يمكن حصرُه من ممارسات تتم عادة من خلال استعمال هذه الشبكة الدولية فى أربعة مجالات رئيسية هى:

١ – المحادثة والمراسلة.

٢ – الاطلاع والبحث العلمى.

٣ – الترفيه والتسلية.

٤ – البيع والشراء.

(١) سنن ابن ماجة ٢/١٣١٨، ١٣١٩.

وإذا اعتبرنا هذه المجالات الأربعة هى المجالات الأكثر شيوعاً، فإن هناك مجالات أخرى أقل شيوعاً فى بلداننا الإسلامية لا يعنينا التعرض لها حاليا.. وسنناقش فيما يلى كلا على حدة.

مجال المحادثة والمراسلة

يضُمّ هذا المجال ما يُعرف بغُرف المحادثة (Chatting) سواءٌ أكانت بالكتابة أم بالصوت باستخدام وسائل صوتية (Mic) وأحياناً باستخدام كاميرا تُلحق بالحاسوب فتنقل صور الطرفين أو أحدهما على الطرف الآخر، مع ما فى ذلك من احتمالات للإغواء والفتنة، وغالبا ما يكُون استعمال هذه الغُرف بغرض الترفيه والتسلية، ولكننا أفردناه كمجال خاص بعيد عن التسلية والترفيه، لأن منه جانبا مهماً قد يكُون اللجوء إليه لقضاء الحاجات على اختلاف أهميتها بالنسبة للأفراد. وهذا الجانب هو المراسلة البريدية الإلكترونية (E-Mail) والتى تُوسِّع فى استخدامها حالياً حتى كادت تصبح ضرورة عصرية فرض استخدامها عصر السرعة وطبيعته من جهة، وبطء البريد التقليدى (الورقى) وما يتعرض له من ضياع، أو انتهاك لما فيه من أسرار من جهة ثانية. وتتعلق بهذا المجال أحكام فقهية عديدة، فمثلا:

١ – حُكم المحادثة بين الفتيان والفتيات الغُرباء، وما يَشُوب تلك المحادثات من عبارات قد تترتب عليها عقُوبات شرعيّة أو أحكام شرعيّة مثل: الوعد بالزواج – القذف – اللعن والسّب – الكذب – الاتهام الباطل... إلخ.

٢ – حُكم المحادثة بين الزوجين إذا تضمّن الحوار تلفظاً بالطلاق أو الإيلاء أو الظّهار أو القذف أو التبرؤ من نسب الطفل، أو الإقرار بأشياء أو نفيها.. إلخ.

٣ – حُكم المحادثة بين أطراف متعددة إذا تضمنت: قذفاً عاماً، أو تكفيراً خاصاً أو عاماً، أو كذباً، أو تحريضاً على الفُجُور، أو تشجيعاً على إشاعة الفاحشة، أو عُدواناً على فرقة معينة من فرقَ المسلمين، أو رجماً بالغيب، أو ممارسة للسحر أو تشجيعاً عليه، أو وعداً بالرشوة، أو تضليلاً فى الفتوى، أو تشكيكاً فى العقائد، أو حضاً على ازدراء الأديان أو الرمُوز الدينية.

٤ – حُكم المراسلة البريدية الإلكترونية إذا تضمنت أيا من الأمور السابقة.

٥ – حُكم الإطلاع على العورات عن طريق الكاميرا.

مجال الاطلاع والبحث العلمى

مما يُحمد لشبكة المعلومات الدولية أنها استطاعت تيسير خدمات البحث العلمى، فالمواقع المختلفة تتنافس فى تقديم خدمة البحث (Search) السريع، وتسعى باستمرار لتجديد وتزويد محتوياتها. وقد أصبح النشر الالكترونى واحداً من أهم مجالات النشر الحديث للمعرفة العلمية بفروعها المختلفة. فالكثير من الكتب، و الدوريّات العلمية، والمجلات الثقافية أو الدينية أو الفنية



المتخصصة، والصحف، تبثّ محتوياتها عبر الشبكة، لتكون تحت بصر الباحثين، وفي متناول أيديهم، وغالباً ما يكون هناك إشارة إلى إمكانية -أو عدم إمكانية- استنساخ جزء أو أكثر من المادة العلمية المبثوثة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية: فإن كثيراً من شركات البرمجة التي تُنتج اسطوانات أو أقراصاً مدمجة لتسويقها تجارياً بهدف الربح، تُعلن عن منتجاتها على تلك الشبكة.

وتتعلق بهذا المجال أحكام فقهية مثل:

- حُكم الإعلان عن كُتب أو بُحوث إباحية.
- الأحكام المتعلقة بحقوق المبدعين والمؤلفين.
- التفرقة بين ما يدخل تحت عنوان «الحد الأدنى من العلم المشترك» الذي يحق لكل مسلم الأخذ منه دون إذن صاحبه، وما يدخل تحت عنوان «الجهد العلمي الخاص الجدير بالصيانة».
- حُكم الكذب والتلفيق وإهدار الأمانة العلمية.
- حُكم التزوير والتزييف في عرض المعلومات أو نشرها أو اقتباسها.

مجال الترفيه والتسلية

وهذا المجال من أكثر المجالات شيوعاً بين الشباب المسلم، وهو ما يُؤسف له حقاً، إذ أن كثيراً من المواقع تُعنى بهذا المجال بهدف استقطاب الشباب لارتياده، وهي في سبيل ذلك تعرض الصورة الفاضحة، والأفلام الهابطة، والكتابات الساقطة، وعناوين أماكن ممارسة الرذيلة، فضلاً عن التافه من المسرحيات أو الأفلام الناطقة أو الصامتة والرسوم، والأغاني المصحوبة بالرقصات الماجنة، والكلمات المهيجة للغرائز.

ويندُر أن يكون في هذه المواقع الموبوءة خير، باستثناء ما قد توفره بعض المواقع من فنون راقية للتسلية تعتمد على الذكاء، أو تلبّي حاجات عقلية راقية.

ويترتب على التردد على هذا المجال أحكام فقهية عديدة منها:

- حُكمُ إهدار الوقت في هذه المتعة المحرمة.
- حُكمُ إهدار المال فيها أيضاً.
- حُكمُ النظر إلى الصور العارية.
- حُكمُ الاستماع إلى الأغاني الخليعة.
- حُكمُ قراءة الكتابات الشاذة المفسدة للأخلاق أو كتابتها.

المجال التجاري

وهو مجال قليل الاستعمال في البُلدان العربية والإسلامية نظراً لحداثته، ولكن الغالب فيه أن يكون البيع والشراء بواسطة بطاقات الائتمان Credit Cards عن طريق ملء استمارة موجودة على الشاشة، وتزويدها برقم البطاقة التي يملكها المشتري، ومن ثم يقوم البائع -فرداً كان أو شركة- بسحب المبلغ وإرسال السلعة المعلن عنها إلى المشتري بالطريقة التي يتفقان عليها.

وهذا المجال من أكثر المجالات خطراً على الشباب المسلم، إذ أن الأساليب الفنية التي يملكها الآخرون قد تمكنهم من سرقة رقم بطاقة الائتمان، ثم القيام بالسحب عليها من أي مصرف، وهنا يحتاج الشاب المسلم إلى معرفة الكثير من الأحكام الفقهية المتعلقة بالبيع والشراء والدعاية والإعلان مثل:

- حُكْمُ الغش التجاري في السلعة ذاتها، لا سيما إذا كان البائعان -بمعنى البائع والمشتري- لم يلتقيا وجهاً لوجه ولم يتم البيع يداً بيد.
- حُكْمُ بيع سلعة معيبة وتسلّم ثمنها قبل تسليمها.
- حُكْمُ الغش في الإعلان عن السلعة عن طريق المبالغة في عرض مزاياها، وغض الطرف عما فيها من عيوب.
- حُكْمُ سرقة أموال الغير عن طريق سرقة رقم بطاقته.
- حُكْمُ بيع أو شراء الأشياء المحرّمة.

إن مُمارسة أي أمر من الأمور السابقة بطريق المحادثة أو المراسلة يصعب إثباته شرعاً لعدة أسباب:

أ- الصعوبة الفنية المتعلقة بإمكانية محو أو تغيير ما يحمله الجهاز من معلومات على القرص الصلب (Hard Disk)، ومن ثم إمكانية إنكار المتهم لما يُنسب إليه.

ب- انعدام الشهود العدول في حالات مثل: القذف أو اللعن أو التطليق أو التبرؤ من النسب.. إلخ.

جـ- ادعاء أن ذلك إنما كان على سبيل اللّهو واللّعب ولم يُقصد به إلى ظاهره.

هذه الصعوبات الثلاث قد تعطل -قضائياً- تنفيذ الحكم الشرعي في مُرتكب أي فعلة من الأفعال السابقة.

المسئولية الدينية

لكنّ المسئولية الدينية (ديناً لا قضاءً) تبقى عالقة بصاحب هذا الفعل، مُثبتة في صحائف أعماله؛ لأن من السلوكيات ما يكون مداره على (النية) ومنها ما تكون العبرة منه بظاهر اللفظ على خلاف بين الفقهاء، ولذلك نُحذّر شبابنا بشدة من التورّط فيما أشرنا إليه من مزالق قد ينزلقون إليها حين يدخلون غرف المحادثة، ويستهويهم السمر والعبث، أو يُمارسون المراسلة الإلكترونية دون رقابة من الضمير. إن المسلم في جميع أحواله لا ينفك عن تعاليم دينه التي رسمت له طرق الفضيلة والسمو السلوكي والرقي الخلقي ومنها -على سبيل التمثيل- ما وسع دائرة معاملات المسلم الاجتماعية كما في قوله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

[النساء/ ٣٦]



كما أن هناك آيات حددت علاقات المسلم داخل بيته، ومع أهله، كقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾

[النور/ ٥٨]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

[الحجرات/ ١١]

وقد حرص الإسلام بصفة خاصة على تربية المرأة المسلمة على الفضائل الخلقية: مثل الحفاظ على التستر، وعدم إظهار العورات، فقال تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

[النور/ ٣١]

وقال أيضاً:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[الأحزاب/ ٥٩]

إن المجامع الإسلامية المعاصرة مدعوة إلى التخطيط المشترك لعقد عدد من المؤتمرات لمناقشة كل جزئية من الجزئيات السابقة في إطار عدد من الضوابط العامة، ومن أهمها:

١- مراعاة أن كل وقت يقضيه المسلم، أو مال يُنفقه، أمام هذه الشبكة خاضع للسؤال عنه لحديث (لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع...).

٢- إن هذه الشبكة -بخدماتها المتميزة- أصبحت مما «تعمّ به البلوى» لشدة الحاجة إليها.

٣- إن جميع المعاملات على الشبكة يتعذر التحقق من أطرافها لوجود صعوبات فنية تتعلق بذلك.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

***

التربية الإسلامية بين الأقوال.. والأفعال

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

لنتأمل التربية «السلوكية العملية» في فريضة الزكاة، وفي فريضة الحج وغيرهما من التكليفات التربوية الربانية التي تقرن القول بالفعل والفكر بالسلوك؟.

إن آية:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

«البقرة ٣٠»

لتشير إشارة ناصعة إلى العمل والفعل، فالخليفة على أمر ما ليس مجرد قوال وإنما هو إيجابي فعال، وعندما يقول الحق سبحانه.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

«الذاريات ٥٦»

قد تؤوّل النظرة العاجلة غير المتأملة بأن العبادة هنا هي (مجرد) صلاة و(مجرد) زكاة و(مجرد) حج ليس إلا، وإذن فما موقف الملائكة القائمين إلى يوم القيامة، والملائكة الراكعين إلى يوم القيامة والملائكة الساجدين إلى يوم القيامة؟ وهم الأملاك البررة الذين هم على الرغم من عبادتهم هذه لا يسعهم إلا أن يتضرعوا إلى ربهم حين تقوم الساعة قائلين خاشعين:

«سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

وهكذا تدرك أن الله سبحانه غني عن هذه «الطقوس» البشرية إذا كانت الأقوال فيها غالبة على الأفعال فهو عز وجل غني عن العالمين.

ولكننا نفهم من خلال تفسير آي القرآن الكريم بعضها لبعض أن العبادات المفروضة (لو) قام بها المسلم (على وجهها) وكما أمر الله كانت له مدداً



قدسياً وطاقة نورانية تمنحه الطاقة (الفعالة) على تحقيق (خلافة) الحق فى دنيا الخلق فهو يرعى الله فى أعماله، ويراقب الله فى علاقاته، ويبتغى وجه الله فيما يقدم لغيره من خير ،وقد وعى الصحابة الأجلاء - رضى الله عنهم - ذلك بعقولهم وبصائرهم، ويصدق هذا على سبيل المثال على سيدنا عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - عندما قام فى حاجة الرجل الذى قصده وهو معتكف فى مسجد رسول الله ﷺ مؤثراً تلبية حاجة أخيه المسلم على هذا الاعتكاف.

وحسبك حديث «أخوه أعبدُ منه» «٣» الذى يربى به النبى ﷺ أمته وذلك عندما وجد رجلاً يقيم فى المسجد عاكفاً فقال صلى الله عليه وسلام عمن يرعى شئون هذا الرجل، فلما أجيب صلى الله عليه وسلام بأن أخاه هو الذى يقوم بشئونه أجاب هذه الإجابة الواضحة الشارحة والشافية الكافية التى تردُ على الكسالى والخاملين الذين يستخفون من الناس وراء ما يزعمون من (عبادة) ليس لها (مردود) حقيقى فى خلافة الله على الأرض، بينما يصدق عليهم قول الحق سبحانه:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾

«النساء ١٠٨»

لأن الله هو الذى أمر خلقه بالعمل الذى هو محك الحساب ومحل الثواب والعقاب ليس فى الآخرة فقط بل فى الحياة الدنيا كذلك «لتأمرُن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» [1] ومن هنا تأمل قوله - سبحانه وتعالى - فى كتابه الحكيم :

﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

«التوبة ٩٤»

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

«التوبة ١٠٥»

وعندما تتدبر تكرار :

﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾

فى آيات (العمل) يتجلى أمامنا كيف أن الحق سبحانه ينبهنا إلى ضرورة أن تكون أعمالنا (الظاهرة) ناشئة عن صدق فى (النية) وإخلاص فى (الضمير) تعبداً منا لمن يعلم السر وأخفى جل جلاله، فالعمل الذى يشهده

(١) البزار - عن أبى هريرة «الجامع الصغير».

الناس ولاتدفعه نية إيمانية صادقةهو تظاهر ومراءاة من الذين يقومون به وذلك بمنأى عن العمل لوجه الله سبحانه، وهؤلاء ينسون أويتناسون رقابة الحق عليهم وهو سبحانه الذى ينبه الإنسان إلى ذلك بقوله :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

«ق ١٦»

وعندما ينبهنا المولى - عز وجل - إلى الرقابة الربانية الدائمة لمدى توافق أعمالنا مع أقوالنا ظاهراً وباطنا، فإنما ذلك رحمة بنا فى الدنيا والآخرة، أما رحمة الدنيا فهى حثنا على التزام ما أمرنا به الحق سبحانه وما نهانا عنه ونحن نتولى خلافته عز وجل فى هذه الأرض نبنيها ونعمرها ونطورها فنتحرى الإصلاح ونتحاشى الإفساد، وأما رحمة الآخرة فهى عدم مفاجأتنا يوم البعث بالجزاء من ثواب وعقاب لأننا نكون قد سبق لنا فى الدنيا أن خلا فينا نذير:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

«فاطر ٢٤»

يبصرنا بنور الحق على المنهاج الربانى الذى هو أولا وآخرا يضعنا على الطريق الذى يتسق مع ما برأنا الله عليه من خلقه سوية، ويتفق مع ما خلقه لنا من فطرة نقية، وهذه الرحمة الفياضة التى حبانا الرحمن جل وعلا إياها فى الدنيا والآخرة هى من قبيل قوله سبحانه:

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

«آل عمران ٢٨»

فتأمل هنا.

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ أى أن هذا التحذير له ما بعده فى يوم «التناد»، ثم انظر كيف يكرر الحكيم ذلك بقوله المحكم:

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

«آل عمران ٣٠»

فهو سبحانه يقرن تحذيره لعباده برأفته بهم، ورحمته لهم لعل منهم من يستقيم على الطريقة ويستجيب لرحمته تعالى فى الدنيا حتى يستحق رحمته فى الآخرة.

إن سعة رحمة الله بخلقه لا حدود لها لأن كل ما يتصل بالذات الإلهية اللانهائية هو أمر لا نهائى كذلك، وهذه الرحمة اللدنية اللانهائية (تجذب) بقوتها المبهرة، وقدرتها المعجزة كل من تعرض لها بالرجاء، وهى فى نفس الوقت (تلفظ) كل من يعاند فى «إباء» ويُعرض فى جفاء.

ونحيا فى هذا مع الحديث النبوى الشريف الذى يقول فيه ﷺ : «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى من أطاعنى



دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[٢] وذلك توافقاً مع قول الحق جل وعلا:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾

«النساء: ١٤٧»

وهو سبحانه الذى «يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[٣]

والأقوال التى نَعنيها هنا والتى ينبغى أن تُترجم إلى أفعال هى الأقوال الناشئة عن فكر متأنٍ (مدروس) وليس مجرد كلمات يتحرك بها اللسان (خبط عشواء) كما يقال ومن هنا يقول المناطقة إن صفة الكلام تنبيء عن صفة التفكير فالفكر الصائب ينتج الأقوال الصائبة، والفكر الخطأ تتولد عنه الأقوال الخطأ، ومن هنا أيضاً قال بعضهم إن (اللغة هى الفكر المنطوق) فالفكر هو المختبر الداخلى الذى يُجرى التجارب ويعدل المقادير ويغير ويبدّل حتى يعلن نتيجة هذه التجارب على اللسان نطقاً يعبر عما تم فى هذه التجارب من دقة أو ارتجال، بل إن هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك فقال: إن الأقوال مادامت تعبيراً عن الفكر فهى تعبرّ كذلك عن شخصية صاحبها، فإذا استقام فكره استقامت شخصيته، وإذا سقم فكره سقمت شخصيته، وما أصدق «علياً بن أبى طالب» رضى الله عنه وهو من هو فى بلاغته وحكمته حيث يقول فى عبارة معبرة: «المرء مخبوء تحت لسانه» ولذا فضل الكثيرون الصمت على الكلام إلا إذا نضجت الحجة فنضج البرهان وأفصح البيان.

وعندما نستقى من الذكر الحكيم الحكمة البالغة والحجة الدامغة فإننا نرى كيف يعلمنا اقتران القول بالفكر، وتأمل ـ فى هذا ـ قوله سبحانه:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

«آل عمران ١٩١»

فأنت ترى ـ والله أعلم بمراده ـ كيف يلهج اللسان بالتوجه إلى الخالق ـ عز وجل ـ بعد التفكر والتأمل وينشأ عن هذا كله الفعلُ المتوقع وهو الابتهال والتسبيح والدعاء والرجاء.

وهكذا يتألف هذا العقدُ المنتظم الحكيم من ثلاث حلقات متسقة مترابطة

(٢) عن أبى هريرة «الجامع الصغير»

(٣) عن أبى موسى «الجامع الصغير للسيوطى»

وهى التفكر، فى خلق السموات والأرض ثم التعبير عن هذا التفكر بـ:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾

[آل عمران: ١٩١]

ثم الفعل المتمثل فى التوبة بالتسبيح والدعاء:

﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[آل عمران: ١٩١]

فسبحانك يا من أعلنت فى قرآنك المعجز الكريم:

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

«الرحمن ٣، ٤»

لقد أفلح من لزم هديك المبين، وقد خاب من تنكب نهجك المتين.

ولما كان النهج المحمدى الأمين مستمداً من النور الإلهى المكين فإننا نعى هذا النسق بين الأقوال والأفعال فى هدى النبى ﷺ وهو يعلم البشرية الحكمة فى الأقوال والتحكم فى الأفعال فى مثل الحديث النبوى الشريف الذى يروى «عن أبى عمرو»، وقيل أبى عمرة سفيان بن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم»[٤].

وقال بعضهم (بعدك) بدل (غيرك) فانظر كيف يشرح المعصومُ ﷺ أمر الإسلام فى كلمات موجزات معجزات لمن يريد فيه كلاماً جامعاً كافياً حتى لا يحتاج بعده إلي غيره فيركز صلى الله عليه وسلام ذلك فى اقتران القول بالعمل.

ـ وكم يحتاج المسلمون اليوم ولاسيما فى معاملاتهم السلوكية اليومية إلى توثيق الأعمال بالأقوال، وضبط الأقوال بما يحكمه العقل من عقال، فلا يَضرب أحدنا موعداً لغيره ثم يخلفه أو يعده وعداً ثم لا يبر به أو يقدم لولده نصحاً دون أن يعمل هو به، أو يوافق على أمر ليس يقتنعه، أو يسمح للسانه أن ينفلت على غير هدى، أو غير ذلك من السلوكيات التى تجعلنا فتنة لأعدائنا، مما يجعلهم يظنون بنا الظنون ويضمرون عنا غير ما يعلنون، وإنا لمسئولون فى الدنيا وفى الآخرة عما يصدر منا من التضارب بين الأقوال والأفعال، وذلك لميل ذاتى أو دافع شخصى، كما أن أبناءنا يراقبوننا ويتوهمون أن سلوكنا هذا هو الحق القويم والصراط المستقيم فيقتفون آثارنا، ويخطون خطواتنا فى براءة لا تكاد تنمو معهم حتى تصبح سوءاً فى الطبع وانحرافا في السلوك وجهلاً بالدين.

(٤) أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما من طرق كثيرة (جامع العلوم والحكم لابن رجب).

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

من طرائف الشفاعات

● دخل ابن حزيم على المهدى وقد عتب على بعض أهل الشام وأراد أن يغزيهم جيشاً، فقال: يا أمير المؤمنين عليك بالعفو عن المذنب، والتجاوز عن المسيء، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف.

● وأمر المهدى بضرب عنق رجل فقام إليه العلامة الكبير ابن السماك فقال له: إن هذا الرجل لا يجب عليه ضرب العنق. قال أمير المؤمنين: فما يجب عليه؟ قال ابن السماك: إن تعفو عنه، فإن كان من أجر كان لك دونى، وإن كان من وزر كان علىّ دونك. فخلى سبيله.

● وكلم الشعبى ابن هبيرة فى قوم حبسهم ليطلقهم: إن كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم، وإن كنت حبستهم بحق، فالعفو يسعهم.

وروى الأصمعى قال: عزم عبدالله بن على على قتل بنى أمية بالحجاز، فقال له عبدالله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب: إذا شرعت بالقتل فى أكفائك، فمن تباهى بسلطانك؟ فاعف يعف الله عنك.



«البيان فى حضرة أهل السلطان»

● دخل المأمون يوماً بيت الديوان، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم، فقال: من أنت ياغلام؟ قال: أنا الناشيء فى دولتك، والمتقلب فى نعمتك، والمؤمل خدمتك، الحسن بن رجاء.

قال المأمون: بالإحسان فى البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته.

● وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة للمأمون: لو لم أشكر الله إلا على حسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين: من قصده إلى بحديثه، وإشارته إلى بطرفه، لكان ذلك من أعظم ماتوجبه النعمة، وتفرضه الصنيعة.

قال المأمون: ذلك والله لأن الأمير يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت، وحسن الفهم إذا حدثت ما لايجده عند غيرك.

● ودخل رجل على خالد عبدالله القسرى، فقال: يا أيها الأمير إنك لتبذل ما جل، وتجبر ما اعتل، وتكثر ما قل فضلك بديع، ورأيك جميع.

● وقال رجل للحسن بن سهل: لقد صرت لا أستكثر كثيرك، ولا أستقل قليلك.

قال الحسن: وكيف ذلك؟

قال الرجل: لأنك أكثر من كثيرك، وإن قليلك أكثر من كثير غيرك.

وقال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه: قدمت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجلسك وصلاتك وعداتك، حتى كأنك من كل أحد، وكأنك لست من أحد.

من يظلم يخرب بيته

قال كعب لأبى هريرة: فى التوراة «من يظلم يخرب بيته، فقال أبوهريرة، ذلك فى كتاب الله تعالى:

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾

[سورة النمل الآية: ٥٢]

فالظلم أدعى شيء إلى سلب النعم وحلول النقم.

تواضع العظماء

كان سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يسير مع بعض أصحابه، فلقيته امرأة من قريش، وكان واضعاً يده على كتف صاحبه، فقالت له: كنا نعرفك مدة عميرا، ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يا ابن الخطاب، وانظر فى أمور الناس، فإن من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت فقال صاحبه: ياأمة الله أبكيت أمير المؤمنين! فقال عمر: أسكت أتدرى من هذه؟.

هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه، فعمر أحرى أن يسمع قولها، ويقتدى به!.



الندم على الكلام

قال الشاعر:

الصمت زين والسكوت سلامة
فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمت على سكوتي مرة
ولقد ندمت على الكلام مرارا

كم سن القاضي، أصلحه الله؟

ولى المأمون: يحيى بن أكثم قضاء البصرة بعد أن استحسن عقله وعمله وامتحنه بمسائل فوجده فوق مايريد، فتلقاه وجوه البصرة، فرأوا شابا صبيا ما بقلت لحيته، فتعجبوا ونظر بعضهم إلى بعض يقلبون الأكف، ويغمزون الحواجب، فقال له بعضهم: كم سن القاضي - أصلحه الله؟ قال: مثل سن عتاب بن أسيد لما ولاه النبي - عليه السلام - مكة، فهابوه لحدة جوابه، وعرفوا فضله، وكان لعتاب بن أسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة، وكان عمر يقول: لا يصلح أن يلي أمور الناس إلا حصيف العقل، وافر العلم، قليل الغرة، بعيد الهمة، شديد في غير عنف، لين في غير ضعف، جواد في غير سرف، لا يخاف في الله لومة لائم، وقال أيضاً: ينبغي أن يكون في الوالي من الشدة مايكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور، ويكون فيه من الرقة والحنو والرأفة والرحمة ما يجزع من قتل العصفور بغير حق.

حقيقة

إن يحسدوني فإني غير لائمهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابي ومابهم
ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

محدث مرح

كان أحد المحدثين على دعابة: خرج إلى طلبته يوماً، فقال لهم: لولا أن أخرجني من البيت من هو أبغض إليّ منكم ماخرجت.

استعن بالله

كل عسير إذا استعنت بالله فهو يسير، وكل يسير إذا اعتمدت فيه على نفسك أو أحد من خلق الله فهو عسير.

دعاء

اللهم إني أستودعك نفسي وديني ومالي وأهلي، وكل نعمة أنعمت بها علي، فاجعلني اللهم في كنفك وأمنك وكفايتك وكلاءتك وحفظك ورعايتك ووديعتك، يامن لا تضيع ودائعه، ولا يخيب سائله، ولا ينفد ماعنده.

هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟



للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

٤ زيجريد هونكه

الدكتورة زيجريد هونكه مستشرقة ألمانية ذائعة الصيت، عُرفت بحبها للعرب وعشقها للحضارة الإسلامية، وأكدت في كل مؤلفاتها فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة، والحضارة الإنسانية عامة. وجاء كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» ثمرة سنين طويلة من الدراسة الموضوعية المتعمقة، فلاقى نجاحاً منقطع النظير، واستقبله نقاد أوروبا بين مؤيد ومعارض، واتهمها الذين عارضوه بالتعصب للعرب والتحيز لهم، لكن ترجمته إلى عدد من اللغات الأجنبية ساعد على التعريف بكثير من حقائق الإسلام وحضارته.

لقد استشعرت زيجريد هونكه مدى الظلم الواقع على المسلمين وحضارتهم، وأكدت على أهمية التحدث عن أمة أثرت بقوة على مجرى الأحداث العالمية ويدين لها الغرب، كما تدين لها الإنسانية كافة بالشيء الكثير، وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مائة كتاب تاريخي، لا يجد اسماً لتلك الأمة العربية والإسلامية في ثمانية وتسعين منها. وتنحو المستشرقة الألمانية باللائمة على نظم التعليم الغربية التي تصر حتى اليوم على أن تاريخ العلم، بل وتاريخ الآداب والفنون، لا يبدأ بالنسبة للإنسان الغربي وتلميذ المدرسة، إلا بمصر القديمة وبابل بدءاً خاطفاً سريعاً، ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الإغريق وروما، ماراً مرورا عابراً ببيزنطة، ومتنقلاً إلى القرون الوسطى المسيحية، لينتهي منها آخر الأمر بعصر



النهضة الأوروبية الحديثة.

وترغب المستشرقة الألمانية في أن تفي العرب ديناً مستحقا منذ زمن بعيد، فتقدم نماذج مشرقة من بعض جوانب العطاء الحضاري للعرب والمسلمين، حيث كان الخوارزمي أحد أئمة العلماء في عصر المأمون، وألف كتباً عدة في الجغرافيا والفلك ترجمها بعد ثلاثة قرون «أديلار الباقي» إلى اللاتينية وعرّف بها الغرب، وكتب لاسمه الخلود بفضل كتابه «حساب الجبر والمقابلة» الذي يضم مجموعة ممتعة من المسائل الرياضية التي يعنينا أمرها في الحياة العملية، وحينما ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية حمل معه اسمه العربي لتصبح كلمة الجبر Algebra كلمة عالمية تخلد اسم صاحبها. ومازالت كلمتا «لوغاريتم» و«خوارزمية» من أشهر المصطلحات الرياضية.

وعن امتداد التأثير العربي في أوروبا إلى فترة ماقبل عصر النهضة، وتجاوز هذا التأثير حتى القرن التاسع عشر الميلادي تقول زيجريد هونكه: في عام ١٧٥٨م صدرت أجزاء من كتاب «الجامع في الأدوية المفردة» لابن البيطار، وفي عام ١٨٣٠م استعملت مصادر عربية في تصنيف الأقرباذين الأوروبي. وظل التأثير العربي وإن اختفى شكلاً، متغلغلاً في أعماق الحياة الأوروبية، يراه من يرغب في رؤيته، ويغفله من حجب بصره كرهٌ أرعن أو تعصب أعمى. إن كل مستشفى، مع مافيه من ترتيبات ومعامل، وكل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه، إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية العربية، كما أن كل حبة من حبوب الدواء، مذهّبة أو مسكّرة، إنما هي كذلك تذكار صغير ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلمي بلاد الغرب: الرازي وابن سينا.

وتؤكد المستشرقة الألمانية زيجريد هونكة حقيقة أن العرب هم الذين بدأوا البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة، وأثر هذا المنهج التجريبي فيما بعد على مفكري الغرب وعلمائه أمثال: روجر بيكون، وماجنوس، وفيتليو، وليوناردو دافنشي، وجاليليو، ثم نسب إلى فرنسيس بيكون زوراً وبهتاناً. ولم يعرف الناس في الغرب لزمن طويل الجغرافيا المؤسسة على الملاحظة والتجربة، وكان الجغرافي العربي الإدريسي هو الذي قام بدور المعلم في قصر ملك صقلية من خلال خريطته التي ظلت نموذجاً يهتدى به لمدة ثلاثة قرون.

وفي أسبانيا ازدهرت حضارة العرب وبلغت أوجها برغم أنهم لم يجدوا فيها شيئاً من الفكر أو الثقافة مثلما وجدوا في البلدان الأخرى مثل مصر وسورية والعراق وفارس. وبهذا استطاع العرب أن يقدموا

للبشرية أكبر دليل على أنهم أصحاب حضارة وأهل فكر، وليسوا مجرد نقلة لحضارات الشعوب، حسب زعم بعض النظريات التاريخية المغرضة. ففي الأندلس لم يجد العرب شيئاً بالمرة يتعلمونه ويهضمونه ليترجموه أو يقلدوه ثم يقدموه. فالحضارة العربية في الأندلس كانت أجمل من أن تقارن بغيرها.

وما إن انحسرت تلك الموجة الحضارية عن الأندلس حتى هوت تلك البلاد في سكون مميت وفقر مدقع. فليس هناك من دليل أوضح من هذا على قدرة العرب على إقامة البنيان الحضاري.

وبالقرب من قرطبة زرع الأمير العربي عبدالرحمن أول شجرة نخيل في الأندلس في حديقة قصره الذي بناه على نظام آبائه في سورية. وأصبحت تلك النخلة أمّاً لكل أشجار النخيل في أوروبا. ويجد عبدالرحمن ـ سليل البيت الأموي ـ في تلك النخلة رمزاً يعبر من خلاله عن حنينه للوطن دائماً يمثل هذه الأبيات:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت «شبيهي في التغرب والنوى
وطول ابتعادي عن بنيّ وعن أهلي»
نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي
يسحّ ويستمري السماكين بالوبل

وكما زرع عبدالرحمن شجيرات النخيل في الأندلس كذلك زرع فن البناء والموسيقى، وفي خلال حكمه الذي دام ٣٣ عاماً استطاع أن يضع الأسس لأكثر الدول ازدهاراً في العصور الوسطى، برغم أن عصره كان مليئاً بالحروب، ليثبت دعائم دولته الفتية.

• هذه هي بعض الحقائق التي توضحها زيجريد هونكه. أما ماذا كان يمكن أن يحدث للغرب لو لم يكن المسلمون؟ فهذا سؤال لا يستطيع التاريخ أن يجيب عليه لأنه لم يحدث فعلاً، والذي حدث هو أن الغرب بقي في تأخره ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يواجهه، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً. واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قروناً ليصبح أكثر غنى وجمالاً وأوفر صحة وسعادة.

وأخيراً تقول زيجريد هونكه: «إن بساط الحضارة الإنسانية قد نسجته أيد كثيرة، وكلها تهبه طاقتها، وكلها تستحق الثناء والتقدير».

«وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا»

شهادات غربية في إنصاف الإسلام

١٢

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

والشهادة الغربية الثالثة، المنصفة للإسلام، وحضارته، وثقافته.. بل والمؤكدة على صدقه.. وعلى رقيه وتفوقه على الديانات الأخرى.. فإنها لواحد من أعمدة الاستشراق المعاصر، وأعمدة الثقافة الغربية المعاصرة: المؤرخ والباحث الإنجليزى، النصرانى الأنجليكانى «مونتجومرى وات» (Montgomery Watt) وهو محاضر فى اللغة العربية وآدابها.. ومتخصص فى الدراسات الإسلامية الأكاديمية.. وفى علم الكلام الإسلامى.. وفى التاريخ الإسلامى.. وعميد لقسم الدراسات العربية فى جامعة «أدنبرا».. وحاصل على الدكتوراة فى علم الكلام الإسلامى -بموضوع الكسب والجبر والاختيار-.. وصاحب المؤلفات العديدة- ومنها: (عوامل انتشار الإسلام) سنة ١٩٥٥م.. و(محمد فى مكة) سنة ١٩٥٨م.. و(محمد فى المدينة).. و(الإسلام والجماعة الموحدة) سنة ١٩٦١م.. و(محمد النبى ورجل الدولة).. و(الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر) سنة ١٩٦٩م).. إلخ.. إلخ..

وهذه الشهادة المنصفة للإسلام وحضارته وثقافته.. والمؤكدة على تفوق صدق الوحى القرآنى، قد جاءت ثمرة لدراسات «مونتجمرى وات» للإسلام.. مقارنا بالديانات الأخرى.. دراسات استمرت لأكثر من ثلاثين عاما.. بدأت سنة ١٩٣٧م.. مع معايشة للواقع الإسلامى.. وحوارات مع العديد من علماء الإسلام.. حتى جاءت هذه الشهادة ثمرة لإبحار هذا العالم المرموق فى بحار الديانات والحضارات والثقافات، فى تاريخها المديد، وواقعها المعاصر.. حتى لقد جاءت هذه الشهادة -كما يقول هذا العالم المرموق: «ثمرة لمراحل من



التقدم والارتقاء نحو «نظرة حيادية لا تنحاز لأى من الدينين -المسيحية والإسلام- رغم مواصلة العيش على أرض الواقع المسيحى، ممارسا لما تفرضه المسيحية على كل من يتدين بها».. مع ما استلزمه هذا الارتقاء وهذه الحيادية من معاناة وتوتر داخلى!..

● وهو فى هذه الشهادة، يتحدث عن:

أ - الأهداف المتوخاة من كتابته عن الإسلام، مقارنا بالنصرانية..

ب- ويقدم شهادة عالم نصرانى غربى على صدق الوحى الإلهى كما تجسد فى القرآن الكريم.. وعلى تميز الوحى فى القرآن عنه فى التوراة والإنجيل.. وعلى صدق نبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

جـ- كما يشهد هذا العالم النصرانى الغربى على ثراء القرآن.. وجدته.. وأصالته.. وعلى أن جمعه إنما هو جمع إلهى.. وعلى الثقة فى النص القرآنى المتداول بين الناس.. وعلى أن تعدد القراءات لبعض أحرف القرآن لم يؤثر فى وحدة معانى النص القرآنى.. وعلى مركزية القرآن ومحوريته فى الثقافة الإسلامية.

د - كما يشهد للغة العربية.. لغة القرآن.. ولسان الشريعة الإسلامية.. باعتبارها لغة حضارة وثقافة راقية ومتميزة.

هـ- ويشهد لعالمية الإسلام.. وتفوقه.. ورقيه.. وبأنه منهاج شامل للحياة.

و - ويشهد -كذلك- على أن انتشار الإسلام، ووراثته للمسيحية -فى الشرق- إنما يرجع إلى الضعف الذاتى الكامن فى تلك المسيحية، وإلى فشلها فى تلبية احتياجات الإيمان الدينى الذى تطمئن به القلوب.

وذلك على العكس من التوحيد الإسلامى، الذى حقق تفوقا لا يجارى فى هذا الميدان..

وعلى استمرارية هذا الفشل -المسيحى- فى عصرنا الراهن، والذى يتخذ شكل تراجع المسيحية وتقدم الإسلام..

ز - كما يشهد على مكانة الإسلام، وعطائه المتميز فى «دين المستقبل».. وتفرده -دون الأديان الأخرى- فى حل مشكلة العنصرية.

ح - وعلى نزعة التعصب فى الحضارة الغربية.. وتمركزها حول ذاتها..

ط - وعلى خطر النظرة العلمانية على القيم والأخلاق..

ى - كما يحدد -فى شهادته هذه- شروط الحوار المثمر بين أهل الأديان..

يشهد «مونتجومرى وات» على ذلك كله، فيقول:

الأهداف

«إن هدفى الأساسى هو:

● أن أقدم الإسلام بأفضل شكل مبسط للقارئ الأوروبى والأمريكى الذى ينظر للأمور بمنظور دينى أو بمنظور علمانى..

وإنى أقصد بذلك أن أبطل مفعول الآثار الباقية من دعايات حروب العصور الوسطى (الحروب الصليبية)، كما أنى حاولت أن أجعل القارئ يتحقق، على نحو أفضل من ذى قبل، من أهمية

الإسلام، التى تجلت طوال مئات السنين التى أعقبت حروب العصور الوسطى هذه.

● والهدف الثانى: هو أن أوضح للمسلمين أن الدارسين الغربيين ليسوا بالضرورة معادين للإسلام كدين، بل إنه من الممكن أن نجمع بين هذه الاتجاهات..»[1]

الوحى القرآنى

«إن جزءاً من أهداف هذه الدراسة هو تعريف المسيحيين بمفهوم الإسلامى للوحى، وتعريف الذين لم يدركوا منهم حتى الآن أن الوحى الإسلامى مسألة لابد من تناولها بجدية..

إن القرآن الكريم ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمدا ليس أكثر من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولاً ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربى مبين، وهناك إشارات فى القرآن إلى أنه موجه للجنس البشرى قاطبة، وقد تأكد ذلك عمليا بانتشار الإسلام فى العالم كله، وقبله بشّر به كل الأجناس تقريبا.

وهذه الفكرة نفسها عن «الوحى» اعتنقها مسيحيون كثيرون عبر القرون، فاعتبروا كلمات الكتاب المقدس هى كلمات الله نفسه، إلا أنهم - عادة- لا يفترضون أن كلمات الله قد جلبها مصدر خارجى ممثل فى ملك أو ملائكة يملونها على كتاب الأناجيل، وإنما يُلقى فى روع هؤلاء الكتاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقا..

فالأنبياء الوارد ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد: «هكذا يقول الرب..» لذا، فلابد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات إنما هو يمعنى من المعانى كلمات الله حقا..

إننى أعتقد أن القرآن بمعنى من المعانى صادر عن الله، وبالتالى فهو وحى..

وكما رأى المسيحيون أن تاريخهم شهد «حوارا» بين المسيحية وبين العلمانيين المناهضين للدين، فإن هذا يعنى أنه من المستحيل الاستمرار فى الأداء بوجود«وحى» أو «رسالة» أو «ديانة مسيحية» دون الاعتراف «بشىء» من الصحة «للوحى» أو «الرسالة» أو «الديانة الإسلامية»..

والمنهج الذى اتخذه فى هذه الدراسة، هو أن أصل بقدر ما أستطيع إلى مستوى الحقيقة الخالصة، ولن أتعرض للقرآن باعتباره من إنتاج محمد، وإنما باعتباره وحيا..

***

كيف وصلت هذه الكلمات التى كونت التجربة الأولى إلى وعى محمد أو شعوره؟

إننا نؤمن بصدقه وإخلاصه عندما يقول إنها ليست نتيجة أى تفكير واع منه.

إن التجربة النبوية مع الوحى يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلى:

١- محمد يشعر، وهو فى حالة وعى، أن هناك كلمات بعينها تلقى فى روعه أو تحضر فى

(١) مونتجمرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ص٢٣

ترجمة د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، طبعة القاهرة، مكتبة الأسرة الهيئة العامة للكتاب.

قلبه أو عقله الواعى.

٢- وأن هذه الكلمات والأفكار لم تكن أبدا نتيجة أى تفكير واع من جانبه.

٣- أنه يعتقد أن هذه الكلمات قد ألقيت فى روعه (عقله) من قبل «مندوب» أو «مبعوث» خارجى يتحدث إليه كملك.

٤- أنه يعتقد أن هذه الرسالة قادمة من الله تعالى.

هذه الملامح الأربعة الرئيسية موجودة فى كل حالات الوحى، كما وردت فى القرآن الكريم..

إن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر فى عقله الواعى، وإن تفكيره الشخصى لم يكن له دور فى ذلك، وإن يقينا جازما كان يتملك فؤاده أن هذه الكلمات هى من الله..

لقد وجد محمد الكلمات أو المحتوى الشفهى حاضرا فى وعيه، فلما تمت كتابته شكّل النص القرآنى الذى بين أيدينا.. وكان محمد واعيا تماما أنه لا دخل لتفكيره الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله، وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يميز (أو يفصل) بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعى..'الأمر الذى يعنى أن القرآن الكريم لم يكن -بأية حال من الأحوال- نتاج تفكير محمد، وهذا يعنى أنه سيكون من الخطأ أن نقول، فى مجال حديثنا عن آيات القرآن الكريم: أن محمدا قال...

إلا أن بعض الدارسين الأوروبيين فى الماضى تحدثوا كما لو أن محمدا قد فعل ذلك، وهذه الطريقة فى الحديث تدعو للأسف، فهى طريقة غير علمية، لم تضع فى اعتبارها الملامح الأساسية الظاهرة لتجربة محمد فى تلقى الوحى.

لكن فى مجتمعنا المعاصر، الذى يسوده جو التداخل بين الأديان، يحسن بغير المسلمين أن يتجنبوا الحديث والتفكير على هذا النحو..

إن القرآن لا ينبغى النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية..

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التى أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدى، لأن السور التى تلاها محمد هى من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله، وليس من شك فى أنه ليس من قبيل الصدفة أيضا أن كلمة (آية) تعنى علامة على القدرة الإلهية وتعنى أيضا فقرة من الوحى.

***

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم فى حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التى ألقاها الله إليهم عن طريق محمد، تماماً كما فعل «ورقة بن نوفل» [١٢ق.هـ- ٦١٩م] (الذى أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد). ومن هنا يمكن أن نقول: إن إشارة القرآن إلى (تحريف) لحق اليهودية والمسيحية -وبصورتهما الموجودة أيامه- قول صحيح..»[2]

(٢) المصدر السابق ص٢٤، ٢٥، ٣٩، ٤٠، ٦٠٢، ٥١- ٥٥، ٨٣، ١٧٠



الإرهاب الغربي

تأليف

روجيه جارودي

ترجمة

د. داليا الطوخي د. ناهد عبدالحميد د. سامي مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٥


روجيه جارودي

مع تواصل حلقات الإرهاب الغربي في تلك القرون المتطاولة، وانتشاره في شتى أرجاء المعمورة، وتلونه بمختلف الألوان القاهرة - على ما أوضحه جارودي - مع هذا وذاك.. كان هناك من يفجأ هؤلاء الإرهابيين بالمواجهة مقاوما أطماعه، رافضا هيمنته، على الرغم من فداحة ما كلفته تلك المواجهة من قتل وإبادة، وحرق وتدمير، حيث يتوهم الإرهابيون - على تباين مشاربهم - أنهم قادرون بإرهابهم على فرض اليأس والاستسلام على هؤلاء المستضعفين، غافلين - أو متغافلين - عن أن روح المقاومة كامنة في كل إنسان، وأن تلك الروح لا تخمد ولا تبيد مادام هذا الإنسان على استوائه الفطري الذي أقامه الخالق - جل وعلا - عليه، فلا يأس إلا مع الكفر المولد للضعة والهوان، ولا قنوط إلا مع الضلال، على ما يشير إليه قوله - تعالى - فيما وجه به يعقوب - عليه السلام - أبناءه حين لحظ رضوخهم إلى اليأس فقال:

﴿ وَلَا تَايْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾

(يوسف: ٨٧)

فقصر اليأس على القوم الكافرين، وفيما أجاب به إبراهيم - عليه السلام - رسل ربه نافيا عن نفسه شبهة القنوط فقال:

﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾

(الحجر: ٥٦)

فحصر القنوط في الضالين

فإذا ما استرد الإنسان ما فقده - في نوبات ضعفه - من مقومات فطرته.. نهض أسدا هصورا ليرفع عن كاهله ما أصابه من ضعف، وما أنزله به الإرهابيون وأضرابهم أيا كانوا من أسباب الضعف والوهن، على نحو ما نبه إليه القرآن الكريم في مواطن كثيرة، من نحو قوله - تعالى -:


﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

(آل عمران: ١٣٧ - ١٤٠)

ومن هنا... ووجه هؤلاء الإرهابيون الغربيون في كل مرة من مأمنهم - حيث صور لهم الوهم أنهم استكملوا فرض سلطانهم وأحكموا على المستضعفين قبضتهم - فردوا قهرا عن أطماعهم!.

والتاريخ أصدق شاهد على ذلك.. ولعل من أوضح تلك الشواهد التاريخية ما حققه محمد ﷺ وأصحابه، حيث أوقفوا المد الفارسي والرومي لفرض السيطرة على العالم، بل وردوهم مدحورين عن كثير من البقاع التي هيمنوا عليها بإرهابهم، فأتاحوا للإنسان في هذه البقاع أن يتنفس أنسام الحرية من جديد، ومن تلك الشواهد ما قام به صلاح الدين الأيوبي من مواجهات لدحر إرهاب القراصنة الصليبيين، وما كان من الجزائريين في مقاومة الإرهاب الفرنسي، واستردوا أرضهم من بين أيديهم في العصر الحديث.

استعادة التوازن

وجارودي لا يقتصر على استعراض تلك الصور المتنوعة من الإرهاب الغربي في هذه الأعماق التاريخية، والأبعاد المكانية.. ولكنه يضيف إلى ذلك كشف ما يصدر عن هؤلاء الإرهابيين الغربيين من أساليب الخداع، لكيلا ينهض إنسان من غفوته؛ فتبقى لهم الهيمنة الكاملة، والسطوة القاهرة، متخذين في ذلك شتى الوسائل!.

ومن هذا المنطلق.. يكشف جارودي: كيف أن الرؤساء في أمريكا اللاتينية وغيرها من بلاد العالم الثالث يحصلون على الضوء الأخضر من واشنطن، شريطة احترام الإرث الملعون من الديكتاتوريات العسكرية الحاكمة؛ فالجيوش لم تعد تحمي البلاد بقدر ما أصبح لها دور القمع والردع الذي تصبه الدولة على الشعب من أجل حماية دورها في التبعية لأمريكا أو لأوروبا.





من كل ما يؤكد أنها ديمقراطية من أجل البيض، لا من أجل السود، ومن أجل المُلاّك والسادة، وليس من أجل الشعب؛ إذ الحق - الذى تتضمنه حقوق الإنسان - إنما هو حق من تتوافر له سبل ممارسته فحسب.

وأمريكا - فى هذا - تنهج نهج من سبقها فى التعامل مع الديمقراطية، التى تعنى - منذ تجسدها فى اليونان القديمة فى القرن الخامس قبل الميلاد - حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب؛ فالديمقراطية بهذا المعنى لم يكن لها أى وجود فى أى عصر، ولا فى أى مجتمع؛ لغياب المساواة فى تحصيل الثروات، ولغياب الإيمان بقيم مطلقة تحدد لكل شخص حقوقه وواجباته؛ وذلك لأن غياب المساواة فى تحصيل الثروات يجعل تشكيل إرادة عامة أمرا مستحيلا، ولأن غياب الإيمان بقيم مطلقة تحدد لكل شخص حقوقه وواجباته.. غياب الإيمان بهذه القيم يترك الظروف مواتية لسيادة قانون الغابة القائم على الفردية، حيث يعتقد كل فرد أنه وحده مركز الأشياء، وأنه وحده محدد معاييرها، وأنه وحده المنافس والند فى مقابل كل الآخرين.

وبهذا.. أصبح إعلان «حقوق الإنسان» مقصورا على حقوق الإنسان الأبيض والأقوى؛ لأن مصدر هذا الإعلان هو نفسه مصدر «الديمقراطية».

ولنذكر دائما مثلا من أقرب الأمثلة إلينا.. وهو «هتلر» الذى كان الزعيم الأكثر بربرية وديكتاتورية.. إنه لم يصل إلى السلطة عن طريق انقلاب، ولكنه وصل إليها عن طريق هذه الديمقراطية التى تمكن بها من الحصول على الأغلبية المطلقة فى برلمان جمهورية فايمر.

أما الديمقراطية الحقة فهى تلك التى تؤسس على ميثاق للواجبات تلتزم به الأمة والمجتمع العالمى معا.. عندها تصبح الديمقراطية عمليا متوافقة مع الديمقراطية نظريا.

وكذلك.. ميثاق «حقوق الإنسان» يجب أن يقوم على المبادىء الآتية:

١- توحد الجماعة الإنسانية، بحيث تتوفر المشاركة لجميع الشعوب على اختلاف ثقافاتهم.

٢- توجيه جميع الواجبات الفردية والجماعية للإسهام فى تحقيق هذا التوحد؛ فلا يسمح لأى جماعة - أيا كان مشربها - بالدفاع عن امتيازات خاصة بها.

٣- تأسيس الملكية على العمل، سواء كانت ملكية عامة أو خاصة، بحيث يتعاون الجميع فى تحقيق التنمية.

٤- عدم ممارسة السلطة إلا عن طريق النيابة، وتمثيل من يلتزمون بذلك، بحيث يمكّن الرأى العام من مراقبة من يمارس السلطة، ويمكّن من استبعاد كل من يخل بالتزاماته ومسئولياته.

٥- رفض التطلع إلى احتكار الحقيقة المطلقة فى أى مجال؛ لما يولده ذلك من شمولية، ومحاكم تفتيش.

٦- تمكين كل فرد من المشاركة فى الوعى، حتى يكون بشخصه مسئولا عن مصير الآخرين.

٧- إعطاء كل إنسان وسائل تأدية واجباته وإنجازها، ووسائل ممارسة حقوقه التى منح المسئولية من أجلها.

فالحل الوحيد لخلاص هذا الكوكب إنما يتمثل فى استعادة توازنه.

من اقتصاد المضاربة إلى اقتصاد الإنتاج الحقيقى

ويحرص «جارودى» على تأكيد حتمية التخلص من التحالفات الجديدة، المتمثلة فى «العولمة» التى تهيمن على عالم اليوم بشتى وسائل الإرهاب؛ فاتحاً باب الأمل فى التخلص من تلك العولمة بما يراه فى المؤتمر الدولى حول التنمية التضامنية للعالم، الذى انعقد فى بكين فى المدة من ٧ إلى ٩ من مايو سنة ١٩٩٦، والذى ضم إحدى وثلاثين دولة آسيوية.

فجارودى يرى فى هذا المؤتمر بدء حقبة جديدة لمستقبل الإنسانية - بما ظهر فيه من رؤية جديدة لنظام جديد، يحقق وحدة العالم، مع مشاركة كل الشعوب، وكل الثقافات - حيث اقترحت تلك الدول أن تصبح جسرا أوروبيا - آسيويا قاريا، يكون بديلا من العولمة الملكية التى تديرها الولايات المتحدة؛ لأن الاستثمارات ستوجه إلى تنمية البنية الأساسية، واقتصاد كل شعب حسب أهدافه وطموحاته، وسياسته فى إطار قاسم مشترك وحيد، يعبر عن المصلحة الأولى للجماعة الدولية ككل، ولن توجه الاستثمارات إلى أنشطة المضاربة، بحيث لا تقود النقود إلى مزيد من كسب النقود، بل تقود إلى بناء مدنية بشرية؛ حيث تأكد لدينا أن «اقتصاد السوق» يدفع الكوكب إلى الانتحار، وأن البديل الوحيد إنما هو التحول إلى التنمية التضامنية للعالم؛ أى الانتقال من منطقة المضاربة، إلى منطقة الاقتصاد الإنتاجى الحقيقى.

ولقد بدأ التحول فى هذا الاتجاه فى يناير سنة ١٩٩٦ بقيام سبع دول بقيادة الصين واليابان باتفاق يهدف إلى زيادة معدل التجارة، ومن قاعدة التعاون والمصلحة المتبادلة من أجل انفتاح تاريخ الإنسانية على حقبة جديدة من التوسع العالمى للاستثمارات والتحضر والتنمية الزراعية الصناعية.

وتلاه سنة ١٩٩٧ مؤتمر الدول الإسلامية الكبرى فى أنقرة، الذى أعلن عن ميلاد تنظيم دولى جديد عرف باسم «مجموعة الثمانى الإسلامية» ليحدث تحولا فى تاريخ الإنسانية.

هذا إلى أن الصين وإيران أخذتا - فعلا - بزمام المبادرة الكبرى، داخل القارة الأوروآسيوية، لكى تمارسا تأثيرا حاسما، مما شجع غيرهما من الدول على متابعتهما، والتردد حول الاندماج فى نظام الهيمنة العالمى الأمريكى «العولمة».

وهكذا.. بدأت جذور الأمل تنمو مؤكدة أن الإنسانية - فى شمولها وتواؤمها مع الظروف - يمكن أن تلد عالما جديدا.

للتخلص من سطوة الإرهاب الغربى

وفى الفصل السادس «التحول.. التضاد الأكبر» يحاول «جارودى» أن يقدم قائمة علاجية تستأصل بها - مع مقدم القرن الحادى والعشرين

- ما أصيب به العالم من نكسات كادت تودى به، وتدفعه إلى الانتحار، دون أن يدرى.

وقد صدَّر جارودى تلك القائمة بتبيان الغاية منها، وإجمال الوسائل التى تتحقق بها تلك الغاية، فذكر: أن الواقع الإنسانى الذى خلَّفه الإرهاب الغربى على مدى تلك القرون المتطاولة.. هذا الواقع يتطلب تحولا جذريا «راديكاليا» لعملية التنمية الإنسانية، ثم أوضح أن هذا التحول لا يمكن أن يحدث انطلاقا من معايير سياسية واقتصادية فقط، بل لابد - إلى هذا - من أن يرتكز هذا التحول على تغيير الإنسان نفسه بما يتلاءم مع غاياته النهائية التى سوف تسمح له بأن يصبح إنسانا حقيقيا يمكِّن كل البشر فى العالم من أن يستفيدوا من إمكاناتهم.

فهذا التحول الجذرى هو العمل الوحيد القادر على إنقاذ القرن الواحد والعشرين من مصير الانتحار الكوكبى، مع الاستعداد للقيامة.. بما يعنى: أن هذا التحول لا يصح أن يقتصر على عملية عاجلة وطارئة، بل هو فى حاجة إلى تحول حقيقى فى الثقافة على اختلاف أبعادها التى تشمل علاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالله.

وهذا يوجب إحداث تحول جذرى «راديكالى» فى أهم الدعائم الثقافية وهى: التعليم، والفنون، والحب، والإيمان؛ التعليم بوظيفته الأساسية فى مجال البحث عن معنى الحياة، والغاية منها، والفنون بدورها فى إعادة تشكيل الإنسان وتهذيبه، وبعث طاقات الخير والإبداع فيه، والحب بدوره المقدس فى العلاقات الإنسانية، والإيمان بدوره فى توحيد بنى آدم، والمساواة بينهما فى أمة واحدة.

١ - فاختلال هذه المعايير الثلاثة فرض علينا واقعا لا يمكن إنكاره، لا يعترف بقانون دولى يسود الجميع، ولكنها إرادة قوية لدولة ما، تستغل تفوقها العسكرى فى فرض إرادتها، وإشاعة الرعب والدمار المفزع فى نفوس معارضيها؛ مثلما فعل «هتلر»، و«تشرشل» فى مدينة «دريسدن»، وما فعله «ترومان» فى «هيروشيما» بقنابله الذرية، والنابالم فى «فيتنام»، وعمليات الضرب والقمع المطلق فى العراق، بينما القيادات الإرهابية من عينة «نيكسون - كلينتون - ريجان - بوش» تعلن فى غير حرج ولا مواربة: أن الأمر لا يقتصر على حقوق الإنسان، والدفاع عنها.. إنما الغاية الأولى هى حماية المصالح الوطنية.. تلك التى مكنت إسرائيل من أن تنتهك ٢٥٠ قرارا من قرارات الأمم المتحدة، دون مؤاخذة أو مراجعة، وذلك لتمتعها بالحماية والدعم غيْر المشروط من الإرادة القوية التى تملك «تكنولوجيا» التدمير.

٢ - واختلال هذه المعايير الإنسانية أثمر تجويع ثلث البشرية عن طريق فرض العولمة، التى تسمح - على المستوى الدولى - للأكثر قوة بأن يفترس وينهب الأكثر ضعفا، فكان ما تراه من شيوع البطالة والاستبعاد، وانتشار الجرائم؛ فردية وجماعية.

٣ - واختلال هذه المعايير الإنسانية.. أثمر تفاقم العنف بشتى صوره - فى السيارات المحترقة، والمحلات التجارية المحطمة، وعنف الفئات ضد أى فرد أو مؤسسة فى المجتمع، حيث أصبح هذا العنف هو الخيار الوحيد الذى يقدمه العالم لهم.

مقاومة الإرهاب الغربى فى مجال التعليم

ولأن «جارودى» يرى: أن الأزمة التى نعيشها، والتى تقود إلى الانتحار الكوكبى.. يرى: أن هذه الأزمة ناشئة عن التنمية غير المتكافئة، بما تفرزه من اضطرار الجماعات المحرومة إلى العنف، وحدوث الانفجارات الاجتماعية الثائرة بما تفرزه من تعصب قومى يبغض الآخرين ويزدريهم «شوفينى»، وما تفرزه من أصولية جامدة، تنغلق على الذات ورفض الآخر.

لأن جارودى يرى أن هذا وذاك هو سر الأزمة التى نعيشها.. لذلك يقرر: أن على الشعوب أن تتعلم كيف تحارب هؤلاء الطغاة، فمحاربتهم لا تكون أبدا بالعنف، ولا بالازدراء والبغض، إنما يكون ذلك بالتعلم الصحيح الذى لا يكتفى بعمليات «إصلاح التعليم»؛ وذلك لأن ما يحتاجون إليه يتمثل أولا فى تغيير جذرى «راديكالى» لغايات النظام التعليمى التى يجب أن تعبر عن مصالحهم، وليس التعبير عن مصالح المهيمنين المسيطرين.

و«جارودى» - فى هذا المجال - يقدم فرنسا وطنه مثالا يوضح ما يحدثه نظام التعليم فيها من فجوات واسعة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما يغرسه هذا النظام فى نفوس الطلبة الفرنسيين من تعصب قومى جاهل.

فالتعليم فى فرنسا إلى وقتنا هذا مازال مقصورا على تلبية حاجات الفرنسيين منذ القرن الثامن عشر التى تهدف إلى تنمية آلية فى تشكيل الأيدى العاملة وتأهيلها، وتوفير قيادات لإدارة هذه الأيدى العاملة وتوجيهها.

ومع تغير ظروف الحياة وما استجد من أمور حيوية.. بقيت هذه الاحتياجات دون تغيير؛ فقد ظلت اهتمامات المدرسة بعيدة عن الإنسان، مرتكزة كل الارتكاز على تقديم ميكانيكى أو طبيب، وتقديم مواطن مطيع، يخدم استعمار الآخرين فى الماضى، وينساق وراء جهله بالآخرين إلى التعصب ضدهم؛ بسبب وقوعه فريسة للقومية المتعصبة «الشوفينية».

مازالت المدرسة تقصر القومية على كراهية الأجانب، بتأكيد أن الأجنبى المهاجر هو السبب الوحيد لتفشى البطالة والعنف فى المجتمع الفرنسى، بدلا من تحديد المسئولين الحقيقيين الذين أجبروا هؤلاء الأجانب على الهجرة نتيجة سلب موارد بلادهم ونهبها خلال الحقبة الاستعمارية، وبدلا من توضيح دور صندوق النقد الدولى وأسياده الأمريكيين فى منع شعوب تلك الدول من الحياة فى بلداتهم آمنين.

ولكى نخرج أبناءنا من هذا السجن الخانق.. يجب أن يفتح المجال أمامهم لتعليم اللغات الأخرى، حتى تهيأ لهم الفرصة لفهم

الآخر، والتعرف على ثقافته - خصوصا الثقافات غير الغربية - بدلا من دفعهم إلى تدمير ثقافات الآخرين، وفرض الهيمنة للغة واحدة، حتى يتمكنوا من الموازنة الحرة، والنقد المحايد.

كما يجب أن نقدم لهم التاريخ الصحيح، حتى يقفوا على الحقيقة.. يجب أن يعرفوا أن (لويس الرابع عشر ١٦٣٨ / ١٧١٦) الذى امتد حكمه نحو أربعة وخمسين عاما.. دفعه ولعه الشخصى بالسلطة لكى يحطم أى عقبة تقف فى سبيله؛ ففى أثناء تمتعه بالحياة الموحلة فى الرذيلة، أظهر نفسه فى صورة الورع التقى، وقاد عمليات الاضطهاد العنيفة ضد البروتستانت بما اتسمت به من قمع ووحشية بربرية تحت رعاية البابا؛ ليمنع ظهور أى طائفة دينية إصلاحية داخل المملكة، ومن أجل إشباع ولعه بالسلطة قاد الشعب الفرنسى إلى الفقر، والبؤس، والشقاء.

وحرصا من «لويس» هذا على إخفاء حقيقته.. عمل على كسب رجال الدين المسيحى «الأكليروس» بواسطة الرشاوى المتنوعة لكى يزيدوا من الهالة التى تحيط به، ويحولوه إلى أسطورة بطولية يتغنى بها الشعب، كما عمل على كسب الأدباء والفنانين مثل «موليير».

ولقد تمثلت استجابة رجال الدين بما قرره مجمع «الأكليروس» الفرنسى من أن الملوك ليسوا مأمورين فقط من الله، إنهم آلهة أيضا.

ومن هذا المنطلق.. لخص «هيبوليت أدولفتين» هذا المفهوم فى قوله: «الله فى القرن الثامن عشر كان فى صورة من صورة لويس الرابع عشر، ولكن «لويس الرابع عشر» مازال يُقدَّم لأبناء فرنسا على أنه «الملك الشمس»)، وبما وصفه به «بوسيه» أحد أهم الأساقفة الأحبار الكاثوليك فى قوله: «إن لقب المسيح قد أعطى للملوك، ولذا نراهم فى كل مكان مدعومين بالمسيح، أو بمسيح الرب، فالملوك أنتم أيها الملوك آلهة.. هذا يعنى: أنكم تملكون السلطة وتحملون على جباهكم الهالة الإلهية المقدسة».

ويجمل «جارودى» ما يطمح إليه فى التغيير الجذرى داخل المنظومة التعليمية فى أربع نقاط، هى:

١- كشف تناقض القيم التاريخية، التى اختزلت استجابة لقادة النظام.

٢- تعلم الفنون غير الغربية التى تعبر عن إبداع مستمر للإنسان.

٣- تكسير الحدود الهزلية للإقليمية الغربية التى تعمل على تغذية أجيال المستقبل بفكرة أن الغرب الاستعمارى هو المبدع الوحيد للثقافة، وكل القيم الإنسانية.

٤- فهم المهمة الأساسية للتعليم على أنها لا يقصد بها فقط نقل المعرفة العملية والفنية، ولكن خضوع هذه الوسائل للفكر، وتبعيتها له استنادا على غاية حياتنا ومعناها، وكذلك ربط التضحيات الشخصية المطلوبة من خلال تحقيق الوحدة الإنسانية.

مقاومة الإرهاب الغربى فى مجال الفن

ويرى «جارودى»: أن القداسة لا تُضفى على الفنون إلا لأنها تهيىء المستقبل للإنسانية، وليس للهيمنة والسيطرة، ولا للإمبراطوريات، والجنرالات، والمستبدين، والتجار، والحروب، فالتاريخ المقدس للإنسانية يؤدى إلى ظهور فنون للمعنى المقدس للحياة؛ إذ الفن يساعدنا على إدراك الإبعاد المفقودة للإنسان، بل.. ويساعدنا على أن نصبح أكثر وعيا وإدراكا لما هو إنسانى بداخلنا، ويؤدى إلى إطلاق شرارة أبدية من داخلنا لتحيى الحياة وتنيرها، وتجعل كل فرد واحدا فى الكل، دون أن يؤدى ذلك إلى تدمير الخصوصية التى تقبع فى داخله.

ولكننا لو نظرنا إلى السينما الأمريكية - مثلا - لوجدناها النموذج الأعظم لتشويه الأصالة والتفرد؛ إذ إنها لا تهدف إلى مستقبل متجانس للإنسانية، ولكنها - على النقيض من ذلك - تهدف إلى فرض الواقع الأمريكى والرأسمالى على العالم، من خلال نظام تقدمه هدفا وحيدا للحياة، وللثراء بموضوعيها الرئيسيين «المال والعنف»، محاولة أن تجعلنا نعيش فى عالم افتراضى، يجعلنا لا نعى المآسى الحقيقية للعالم، بل يجعلنا ننقاد إلى تناسيها.

بينما كل الديانات «السماوية وغير السماوية» والأساطير الكبرى التى تُنعت بالقداسة.. كل هذه تشهد أن الفن يعد اللغة المقدسة، بل هى الوسيلة الوحيدة التى تسمح لنا بأن نظل على قيد الحياة من خلال الحياة فى أشكال أخرى للوجود، نستطيع خلالها أن نجد مشروعنا عن الحياة من خلال حضورنا فيه، عندما نعرف قراءة التاريخ الحقيقى للإنسانية، وتاريخ الإمكانات الإنسانية.

ولكن تعليمنا - على العكس من ذلك - يتجاهل العمالقة الذين طرحوا فى الماضى المشكلة الخاصة بالإنسان، ومع هذا التجاهل.. لا يقدم أى سلاح ثقافى يمكن الشباب من مقاومة ثقافة التليفزيون الذى يشبه صندوق القمامة، ومقاومة الثقافة التى لا تعرف إلا الإله الذى يدعو إلى الإنترنت، والإله الذى يستطيع أن يكون أفضل خادم للرجال، حتى أصبحنا نعيش على تصور أن العالم والنظام الذى نعيش فيه هما فقط المتاحان، ولا يمكن استبدالهما ولا تغييرهما.

فالفنون.. هى الوحيدة التى تسمح لنا بأن نظل على قيد الحياة من خلال الحياة فى أشكال أخرى للوجود، نستطيع خلالها أن نجد مشروعنا عن الحياة ونؤنسنها من خلال حضورنا فيه، عندما نعرف القراءة للتاريخ الحقيقى للإنسانية، وكذا.. تاريخ الإمكانات الإنسانية.

وبعقيدة التحرير.. نقاوم الإرهاب الغربى

ويرى «جارودى»: أن أملنا - فى هذا الزمان - فى التخلص من السطوة الغربية القاهرة.. هذا الأمل منوط بترسيخ عقيدة التحرير «لاهوتية التحرير» الذى يجب ألا يقتصر على سلوك كنسى يساعد المظلومين، ولكن بتحليل الآلية التى خلقت البؤس،

والتى سببت الشقاء فى العالم.

وفى كنف هذه العقيدة.. بدأ التحرك التحريرى فى أمريكا اللاتينية سنة ١٩٦٨، حيث أدانت النظام القائم، ووصمته بالتبعية والعبودية للطبقة البرجوازية العاملة فى مجال الأعمال والأنشطة التجارية، وتبعيتها الاقتصادية والسياسية للنظام الإقطاعى الأمريكى الذى يدير العالم «الأوليجاركية».

ولكن النظام الكنسى القائم على تسخير الأدنى لصالح الأعلى «الهيواركية».. هذا النظام نجح فى المحافظة على استسلام الأعداد الغفيرة من المضحى بها فى عمليات السلب والنهب لصالح أصحاب الامتيازات المحليين وحماتهم الأجانب، حيث لا يكاد أحد يرصد أى عنف، ولكن مع التأمل فى تلك اللعبة التى يمارسها النظام.. يتضح أنه استبدل الاستسلام والإذعان بالعنف المادى، ليسود نظام التنمية الغربى الذى يكلف العالم الثالث ٣٠ مليون ضحية من المجاعة وسوء التغذية.

ولذلك.. سعت الكنيسة لمقاومة عقيدة التحرير «لاهوت التحرير»، فدعت الكنيسة الرومانية المجمع الكنسى المقدس سنة ١٩٦٥، ومجمع الرهبان الرومانى سنة ١٩٨٤ ليعلن إدانته للحركة الخاصة بلاهوت التحرير، حيث قررت الولايات المتحد: أن تبدأ سياستها بمواجهة حركة لاهوت التحرير.

وقد كشفت مجلة «تايم» الأمريكية حقيقة هذا التحالف المقدس بين «رونالد ريجان»، و«يوحنا» بولس الثانى سنة ١٩٨٢ من أجل تفكيك الكتلة الشرقية، ومقاومة عقيدة التحرير «علم لاهوت التحرير» بعقيدة الهيمنة «علم لاهوت الهيمنة» المستمد من تعاليم القديس «بولس» القائلة: «على كل إنسان أن يكون خاضعا للسلطات التى تمارس السلطة لأنه لا توجد سلطة إلا من الله»، «الذى يعارض السلطة، ويتمرد ضد النظام المراد من قبل الله، إنما يتمرد على الله».

ومن هنا.. يدينون علماء لاهوت التحرير لمساندتهم عمليات المقاومة التى يقوم بها المظلومون ضد الظالمين الجائرين بحجة: أن القديس بولس قال: «الله وحده هو الذى يمنحنا التحرير من الخطيئة»؛ ولهذا لم ندهش حين وجدنا يوحنا بولس الثانى سنة ١٩٩٢ يحتفل فى «سان دومينيك» بمذبحة ٦٠ مليون هندى بزعم التبشير فى العالم الجديد.

ولقد كشف «فيليب آجى» أحد عملاء المخابرات الفيدرالية الأمريكية عندما بلغ سن التقاعد.. كشف: أن الوكالة قد اخترقت الكنيسة؛ كهنتها، والمتدينين والعلمانيين العاملين فيها.

ولكن علماء «لاهوت التحرير» يكتشفون رفض الإنجيل إقرار الظلم؛ لأن



المسيح لم يأت لكى يزرع السيوف، ولكن لكى يزرع السلام؛ فينطلقون بحثا عن الحب الكونى الذى يتحقق من خلال التضامن مع المظلومين؛ فالدول النامية ما هى إلا ثمرة منطق التنمية فى دول أخرى قامت بنهب موارد تلك الدول بواسطة المستعمرين القدماء.

وبعد

فالكتاب يقدم رؤية جارودى لحقيقة الإرهاب الذى ينشره الغرب اليوم فى أرجاء العالم مكسوا بلباس الدين، ليستعيد ما كاد يفقده من هيمنة استعمارية على بلاد الشرق.. تلك الرؤية الجارودية التى تربط ما يحدث اليوم من الغرب بما حدث قبل عشرين قرنا من الزمان، مع تواصل تلك الأحداث على مدى هذه القرون المتطاولة، مؤكدا - فيما أرى - تواصل التاريخ، وليس إعادته لنفسه.

وجارودى بما قدمه.. يوضح أن السلوك الإرهابى يمثل الأصل النفسى لحكام الغرب، بحيث يستهينون فى سبيله بكل شىء، حتى بالدين، وبالكتب المقدسة، وبالأنبياء والرسل؛ فكل هؤلاء يجب أن يكونوا أدوات مسخرة لإحكام قبضتهم على الآخرين، كما سخر بولس الأول وبولس الثانى.

ويبين: أن مقاومة هذا الإرهاب لن تنجح إلا بالعودة الجادة إلى الأصول الدينية لكل أمة؛ فتلك الأصول وحدها هى المنقذ والمقاوم الذى لا يضعف، ولا ينكسر.

غير أن جارودى - وهو فى تلك المرحلة العمرية المتقدمة - كان فى عجلة من أمره؛ حرصا منه على تقديم رؤاه وآراءه قبل أن يعاجله الأجل؛ لذلك.. نراه فى كتابه بجزأيه يقوم بسبحات أعوزها التركيز العلمى الذى يجرد المسار البحثى من التعرجات بما يتخللها من تكرار يجهد القارىء، ويشتت الذهن حتى تكاد الأفكار تختلط فى ثناياه.

وإنى - بهذا - أقر ما لاحظته على نهج الكتاب، ولست بالذى يلتمس الأعذار لهذا الفيلسوف الحكيم الجاد، خصوصا إذا لم تغفل دور المترجمين؛ فقد يكون بعض هذه الملاحظات، أثرا من آثار تعدد المترجمين، على الرغم مما بذلوه من جهد واضح ملموس، خصوصا فى تعريب بعض المصطلحات الاقتصادية والسياسية والكنسية.

الذى يهم.. أن ليس شىء من هذا بالذى يقدح فى أهمية الكتاب، وإخلاص المؤلف لرسالته الإنسانية التى أصبحت تمثل العقيدة الإيمانية له.

وعلينا نحن المسلمين وأبناء العالم الثالث أن نعى ما قدم، ونضعه نصب أعيننا فى تعاملنا مع هؤلاء الإرهابيين، والله من وراء القصد.

طريق الإصلاح

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤)

فى هذا توجيه ربانى لمن يريدون إصلاح دنياهم والفوز فى أخراهم أن يقدموا حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله على آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموالهم وتجارتهم التى يخشون عليها الكساد والمساكن التى يرضونها.

أما إن قدموا هذه الأمور وآثروها على حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله فها هو الوعيد لهم:

﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

وتعقب الآية الكريمة:

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

وليس معنى تقديم حب الله ورسوله على تلك الأمور أن يردد الناس بأفواههم المحبة، بل المراد طاعة الله ورسوله والسير على



منهاج الكتاب والسنّة، أما أدعياء تلك المحبة دون عمل، فهذا غير مراد ولا مقصود، وإنما المقصود اتباع الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه سبحانه وتعالى، كما قال رب العزة:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آل عمران/ ٣١)

أما المحبة بالقول دون العمل فليست صحيحة ولا حقيقية.

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
أن المحب لمن يحب مطيع

ولقد ضرب سلفنا الصالح أمثلة عالية فى محبة الله، فها هى ذى رابعة العدوية تقول زاهدة فى الدنيا مقبلة على الله:

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الودّ فالكل هيّن
وكل الذى فوق التراب تراب

وتؤكد فلسفة حبها بالطاعة، حيث تنشغل بالعبادة عن كل ما سواها، وترى أن ربها له الفضل فى هذا التوفيق وذاك العمل فتقول:

أحبك حبين حب الهوى
وحبًا لأنك أهل لذاكَ
فأما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمّن سواكَ
وأما الذى أنتَ أهلٌ له
فكشفك لى الحُجْبَ حتى أراكَ
فلا الفضلُ فى ذا ولا ذاكَ لى
ولكن لك الفضلُ فى ذا وذاكَ

وفى حب رسول الله ﷺ الذى أمر به وبحب الله وبحب آل البيت حين قال ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى»، هذا الحب كان الصحابة يترجمونه عملاً وتطبيقاً، فقد وضّح الرسول ﷺ أن حبه جزء من العقيدة وعنصر من عناصر الإيمان لا يكمل إلا به، حيث قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

ولذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «والله يا رسول الله إنك لأحب إلىّ من كل شىء حتى من نفسى التى بين جنبىّ» فقال له ﷺ: «الآن يا عمر»[1] أى الآن كمل إيمانك

(١) البخارى.

ويقينك.

وهو الذى كان يحب رسول الله ﷺ حبًا جمًا لدرجة أنه عندما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى أخذه الذهول من شدة حبه، وكاد لا يصدق الخبر وقال: «من قال إن محمد قد مات علوت رأسه بسيفى هذا» حتى جاء أبو بكر وقال: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حىٌ لا يموت». وتلا الآية:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

حتى قال عمر: «كأنى لم أسمع بهذه الآية إلا وقتئذ.

قال حافظ إبراهيم شاعر النيل رحمه الله تعالى:

يات النبى مسجى فى حظيرته
وأنت مشتعل الأحشاء داميها
تهيم بين عجيج الناس فى دهش
من نبأة قد سرى فى الأرض ساريها
تصيح من قال نفس المصطفى قبضت
علوت هامته بالسيف أبريها
أتاك حبك طه أنه بشرٌ
يجرى عليه شئون الكون مجريها
وأنه وارد لابد مورده
من المنية لا يعفيه ساقيها
نسيت فى حق طه آية نزلت
وقد يذكر بالآيات ناسيها
ذُهلت يومًا فكانت فتنة عمم
وثاب رشدك فانجابت دياجيها

وظل يذكر الناس بمكانة الرسول ﷺ ليظلوا على إيمانهم وحبهم وألا يتزحزحوا عن دينهم فيقول: «بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد كان جذع تخطب الناس عليه، فلما كثر الناس اتخذت منبرهم لتسمعهم فحن الجذع وبكى وظل يبكى حتى وضعت يدك الشريفة عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين إليك لما فارقتها ....».

وأما حب آل البيت فقد أمرنا فى كل صلاة أن نصلى عليهم ونقول فى كل مشهد: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد.. ورحم الله الإمام الشافعى حين قال:

يا آل بيت رسول الله حبكمو
فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم الفخر أنكمو
من لم يصل عليكم لا صلاة له

وإنَّا لمتمسكون بحب الله ورسوله وآل البيت مهما شغب المشاغبون، فالحق أحق أن يُتبع.

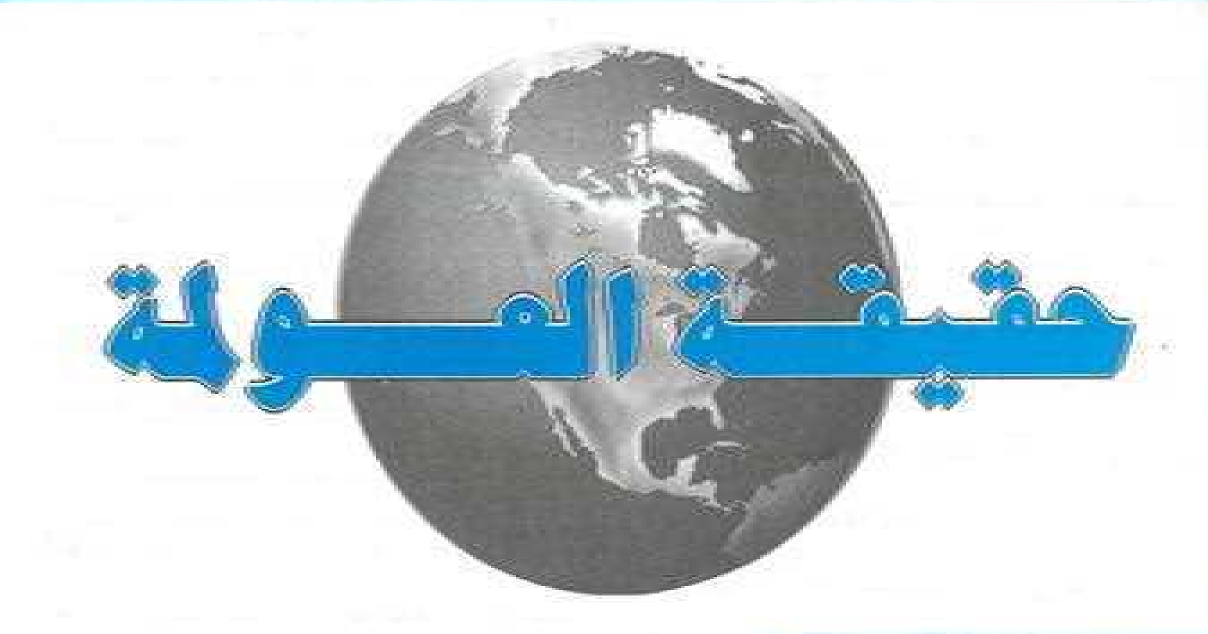
قال لى قائل رأيتك تهوى
آل طه ودائمًا ترتجيهم
كان حقًا عليك أن تقضى العمر
مديحًا فيهم وفيمن يليهم
قلتُ ماذا أقول والكون طرا
يستمدُ العطاء من أيديهم
أى معنى للمدح منى وقد جاء
الكتابُ العزيز بالمدح فيهم
أنا لا أستطيع أمدح قومًا
كان جبريلُ خادمًا لأبيهم

وتتصل هذه المحبة بالله ورسوله وآل بيته وبجميع المؤمنين حتى تصبح محبة الإنسان لأخيه أيضًا، ومن عناصر كمال الإيمان كما قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2] ويكافئ الله من يحب أخاه ومن يخلص له ويزوره فى الله بأن يحبه ربه، وإذا أحب الله عبداً أحبته الملائكة والخلق ويصبح فى رعاية ربه.

لقد أخبر الرسول ﷺ عن هذا الرجل الذى زار أخًا له فى قرية فأرصد الله على مدرجته ملكًا يسأله: إلى أين؟. فيقول: لزيارة أخ لى فى الله. فقال له: هل لك عليه من نعمة تربّها؟. قال: لا، غير أنى أحببته فى الله. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته فيه.

***

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٢/١٧٦، ٢٧٣، ٣٧٨.



حقيقة العولمة

• نحن في بحثنا هذا، سنأخذ بأطراف الحديث عن «العولمة، هذا النظام العالمي الجديد، وأثره في دول العالم النامي، ثم نركز الضوء على العالم الإسلامي والعربي، حيث تمر أمتنا بمنعطف تاريخي، ربما - بل هي بالتأكيد - لم تمر بمثله من قبل، وسوف يكون له أثره البالغ والمصيري على هذه الأمة، ولأمد بعيد. فالعالم الآن يسير بخطى متسارعة ومتلاحقة، نحو التكتل الحتمي الذي لا مكان فيه إلا للأقوياء، أما الكيانات الصغيرة المتهافتة، فلن تجد مكانها إلا على أطراف الحياة، تعيش على ما يلقيه لها سادتها الأغنياء الأقوياء من فتات لا يسمن ولا يغني من جوع.

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

فماذا تعني «العولمة»؟..

تعني «العولمة» ببساطة شديدة، وضع دول العالم كله في قالب واحد، وصهره في بوتقة واحدة، سياسياً واقتصادياً وثقافياً.. ليصبح الكوكب الأرضي، وكأنه دولة واحدة، لا عبرة فيها بالحدود الجغرافية والسياسية الحالية، أو - على أقل تقدير - لا عبرة أساسية لذلك؛ بما يعني إلغاء الحدود الجمركية والأعراف السلوكية، وطمس معالم الثقافات الوطنية أو إزاحتها من مكان الصدارة في ضمائر الشعوب، ومن قيمهم الاجتماعية؛ لتحل محلها قيمٌ وأعرافٌ وثقافاتُ الدول الغنية القوية؛ حيث تمتطي في سرعة انتشارها وقوة نفاذها إلى السلوكيات البشرية تقنيات عالية الجودة، سريعة في تطورها..!! تلك هي «العولمة» دون الدخول في مصطلحات المتخصصين في هذا المجال؛ حتى لا يضل القارئ بين دروب هذه القضية ومنحنياتها بما لا يفيده كثيراً.

ومن أهم العوامل التي هيأت المناخ لهذا النظام العالمي الجديد:

- اتفاقية منظمة التجارة العالمية «الجات».
- الدعوة إلى حرية التجارة، وإلغاء الحدود الجمركية، التي أقيمت خصيصاً لحماية الصناعات الوطنية للدول، وخصوصاً الدول الصغيرة والدول الأقل جودة في صناعتها.
- شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» التي فتحت المجال على مصراعيه لأن يكون العالم كله وحدة ثقافية واحدة، تسود فيها ثقافات الدول الغنية والقوية لتلتهم ثقافات الدول الفقيرة «وربما لهذا السبب أطلق عليها البعضُ: شبكة المعلومات العنكبوتية».
- الشركات الصناعية الكبرى، متعددة الجنسيات، بما لها من نفوذ ماليّ وعلميّ وتقنيّ، لا يثبت أمامه إلا الأقوياء.
- سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية سيطرة تامة على منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن - وخصوصاً بعد تفسُّخ منافسها اللدود الاتحاد السوفييتي، وهي صاحبة المصلحة العليا ومن ورائها بقية الدول الغنية في انتشار هذا النظام العالمي الجديد.

عالم بلا حدود

ولقد انقسم المفكرون والساسة والمنظرون حيال هذا النظام الجديد قسمين: قسم يحبذ هذا النظام ويباركه، ويدعو إلى تطبيقه دون حذر منه، ويرى فيه الخير كل الخير لدول العالم كله. وقسم ينظر إليه بعين الحذر، ويرى فيه مصيدة مخيفة لا يقع في شباكها إلا الضعفاء؛ ليصبحوا لقمة سائغة في فم الأقوياء. فهناك صراع يدور بين الفريقين.

«فالعولمة بالنسبة للبعض (وهو الفريق الأول) تمثل تقدماً طبيعياً تجاه عالم بلا حدود»، وهي بالنسبة للبعض الآخر (وهو الفريق الثاني) مفهوم يتم التركيز عليه تركيزاً مبالغاً فيه، كما تتم المبالغة أيضاً في تحديد آثاره في التطبيق، وإذا أضفنا إلى ذلك المخاوف التي تثيرها العولمة باعتبارها أحد أسباب تخفيض العمالة، وتقليص برامج الرعاية الاجتماعية، لأدركنا أنه لابد من التمييز المبدئي بين الخطابات المتصارعة حول العولمة.

«ويمكن القول - بشكل عام - إن الصراع يدور أساساً بين أنصار العولمة الذين يصفون العالم بأنه سائر حتماً في طريقها، وبين هؤلاء الذين يرفضون هذه الحتمية ويقررون أن طابع النظام الدولي الذي يتكون من الدول، والتي هي الوحدات الأساسية له سيبقى ولن يتغير كثيراً.

«أنصار الاتجاه الأول يرون أنه ستظهر «مراكز سلطة» بديلة وخصوصاً في عالم الشركات، وعلى الأخص تلك التي يطلقون عليها «دولية النشاط» والتي ستنافس غالباً بنجاح مع الدول في تحديد اتجاهات الاقتصاد السياسي الكوني».

«الاتجاه الثاني يرى أنصاره أن الدول ستظل هي الأطراف الرئيسية الفاعلة في الأنظمة السياسية والاقتصادية، ويعتقدون أن موضوعات الأمن القومي مازالت لها الأهمية العليا»[1].

ولكننا ـ على أي حال ـ نرى أنه لا مفر لأية دولة في العالم من الانضواء تحت لواء هذا النظام الجديد إن طوعًا وإن كرهًا، بما له وما عليه..!! ولذا كان لزامًا على جميع دول العالم أن تُعِدّ نفسها إعدادًا جيدًا يكفل لها أن تواجه المستقبل بنجاح، وأن تكون قوة فاعلة لها أثر في توجيه دفة الحياة بما يحقق لها أكبر قدر من العيش الكريم، ويدفع عنها ما يمكن دفْعُه من الآثار السلبية التي قد تترتب على هذا النظام العالمي الجديد.

من المستفيد من العولمة، ومن الخاسر؟!

وغنيّ عن البيان، أن الولايات المتحدة الأمريكية وشركاءها الأوروبيين هم أصحاب الفكرة في هذا النظام الجديد، وهم الذين يدفعون الاقتصاد العالمي بقوة تجاه تطبيقه؛ بحيث لا تجد دولة من الدول في هذا الكوكب الأرضي مفرًا من الاندفاع إليه. ومن المعروف أن أمريكا وشركاءها الأوروبيين لا يدعون إلى ذلك إلا لمصلحتهم التي يرونها من وراء هذا النظام، وقد ذكرنا منذ قليل أن من مقومات هذا النظام، الدعوة إلى حرية التجارة، وإلغاء الحدود الجمركية، وإقامة المشروعات الصناعية العملاقة عابرة الحدود؛ مما يُفسح المجال لمنتجاتها أن تغمر الأسواق العالمية من أقصاها إلى أقصاها، وهو ما يُهدّد اقتصاد الدول الصغيرة والدول الفقيرة؛ ومن هنا كان هذا السياج من الحيطة الشديدة التي أقامتها الدول الأوروبية، تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية، بهذا التجمع المصيري في مجال الاقتصاد والسياسة، والذي أُعد له إعدادًا جيدًا منذ زمن ليس بالقصير، ولكنه إعداد متين هيأ لها المناخ المناسب لاستقبال هذا النظام الجديد، وهو ما يسمى «بالاتحاد الأوروبي» مما نتج عنه قيام شركات كبرى متعددة الجنسيات، ترامت فروعها على مستوى العالم كله؛ وهو ما يؤذن ـ إذا لم تأخذ الدول النامية زمامها بأيديها ـ بمستقبل يسود فيه الأقوياء على الفقراء والضعفاء، وتصبح لقمة العيش بأيديها.

وقد قامت في هذا المجال عدة تجمعات على مستوى العالم، وذلك بالرغم من الاختلافات الواسعة التي تسود بين أعضاء كل منها: دينيًا ومذهبيًا وثقافيًا حرصًا منها على رفاهية شعوبها؛ حيث لا مكان في هذا النظام الدولي الجديد للكيانات الاقتصادية الصغيرة.

من المعروف تاريخيًا «أن الدولة القومية صيغة سياسية رئيسية، استقرت منذ عشرات السنين، باعتبارها الوحدة الرئيسية، التي

(١) السيد ياسين ـ الحوار الحضاري في عصر العولمة ص ٢٣٧. والكتاب مطبوع ضمن نشاط مكتبة الأسرة في مصر.

تكون النظام الدولي». وهذه الدولة قامت أساسًا على تقديس حدودها؛ حتى إن حروبًا متعددة قامت حين اختُرقت هذه الحدود من قبل دول أخرى. ومن ثم يمكن القول: إن النظام الدولي حكمته طوال القرن العشرين اعتبارات الجيوبوليتك (الجغرافيا السياسية).

غير أن المتغيرات العالمية، والتي عمقت من آثارها العولمة بكل تجلياتها ومظاهرها السياسية والاقتصادية والثقافية، قد أدت إلى توارى اعتبارات الجيوبوليتك، لتصعد على أساسها اعتبارات الجغرافيا الاقتصادية!. بمعنى أن التفاعلات الاقتصادية بين الدول ـ وبغض النظر عن مشكلة الحدود ـ أصبحت لها اليد العليا في رسم السياسات الخارجية للدول، وفي تحديد مصالحها القومية، وفي صياغة برامج الأمن القومي.

التكتلات الإقليمية

«ومن هنا شهدنا صعودًا بارزًا للتكتلات الإقليمية مثل «الاتحاد الأوروبي» و«النافتا» و«الآسيان»، التي قامت أساسًا لتحقيق المصالح الاقتصادية للدول المنظمة لها، قبل تحقيق أية أهداف سياسية أو ثقافية».

«ومن ناحية أخرى تصاعدت معدلات «العلاقات متعددة الأطراف» التي لا تُلقي بالاً إلى مسألة الحدود الجغرافية، وإنما هي تتجاوزها لتركز على مضمون العلاقات. غير أنه إلى جانب ذلك، لا تنكر أن الدولة القومية تجابه ـ نتيجة للإقليمية المتصاعدة ولتأثير موجات العولمة المتدفقة ـ بمشكلة تقلص مجال سيادتها؛ مما يخلق في الواقع توترات شديدة لم تحل حتى الآن»[2].

إذن فنحن الآن على أعتاب هذا النظام الذي تسيطر فيه القيم والثقافات التي تنبع من هذه الدول الغنية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، وبها الكثير مما يتنافى مع قيمنا وأعرافنا وديننا، وهو مكمن الخطر الأول في هذه القضية لأن من يملك القوت هو الذي يملك القرار.

«كان القرن العشرون يمثل فترة فريدة في التاريخ الثقافي للعالم ـ هكذا يقول: «أولف هانرز» في كتاب «الثقافة والعولمة والنظام العالمي» ـ فلقد ودّع الجنس البشري أخيرًا ذلك العالم الذي يمكن ـ بقدر من المصداقية ـ اعتباره فسيفساء ثقافية؛ إذا كان يتكون من قطع منفصلة ذات حوافّ صُلبة جيدة التحديد؛ ونظرًا للزيادة الضخمة التي شهدتها حركة الثقافة، نتيجة لاتساع نطاق نظم المعنى والأشكال الرمزية، فقد أصبح العالم ـ بقدر متزايد ـ عالمًا شاملاً يموج بالتفاعل والتبادل الثقافي المتواصل، ليس فقط من الزاوية الثقافية والاقتصادية ـ وإنما أيضًا من زاوية بنائه الثقافي ككل. ومع

(٢) الحوار الحضاري في عصر العولمة ص ٢٣٩ ـ السيد ياسين ص ٢٣٩.

ذلك، فهو لا يشكل قرية عالمية تتسم بالمساواة. إن ما نراه الآن ليس سوى صرح مبنيّ بصرامة دونما تناسق أو تماثل بين المركز والأطراف، وفيما يتعلق بالتدفق الثقافي نجد أن الأطراف ـ التي تقع في الخارج في أرض بعيدة ـ تأخذ من المعنى والأشكال ذات المعنى أكثر مما تعطي. إننا مدعوون إلى تقديم أمثلة من التدفق المضاد؛ فمن الصعب تجنب النتيجة التي مفادها أن الأشياء طالما تقف ساكنة، على الأقل الآن؛ فالعلاقة إذن ليست متوازنة ويعوزها التناغم والتوافق.

الإمبريالية الثقافية

«ونحن لا نفترض أن هذه النقطة تمثل نهاية التطورات ذات الطابع العولمي ـ لا تزال مع أولف هانرز، وهو يتحدث عن أثر الثقافة العالمية في الثقافات الوطنية ـ فعملية تشكيل الثقافة العالمية، تسير على نحو متواصل نحو المستقبل، ولا تزال أمامنا حالاتٌ غير يقينية. ولكن، ربما نجد أن إحدى النتائج المُدْركة تهيمن على التصورات الخاصة بالمستقبل الثقافي كسيناريو رئيسي ينبغي قياس كل سيناريو آخر بديل على أساسه. ولنطلق على هذا السيناريو اسم: «تحقيق التجانس العالمي للثقافة»، وهنا يجري التصوير الخطابي للتهديد القاتل للإمبريالية الثقافية باعتباره يضم ثقافة التكنولوجيا العالمية للمدن والعواصم، إضافة إلى المساندة التنظيمية القوية في مواجهة ثقافة شعبية صغيرة النطاق لا حول لها ولا قوة. ولكن «الإمبريالية الثقافية»، كما أصبح واضحًا، تمتلك علاقات بالسوق تزيد على علاقاتها بالإمبراطورية، إن المحرك الرئيسي المزعوم لعملية التكرار البشري العام للاتساق في الرأسمالية الغربية السابقة، يعمل على الدوام على إغراء مزيد من المجتمعات نحو الاعتماد على أهداب المجتمع الاستهلاكي عالمي النطاق الآخذ في الاتساع. وينتج تحقيق التجانس أساسًا عن طريق تدفق الثقافة كسلعة من المركز نحو الأطراف. ووفقًا لهذه الرؤية، فإن الثقافة العالمية المتجانسة الوافدة سوف تكون، على وجه العموم، صيغة من الثقافة الغربية المعاصرة، وعندئذٍ سيظهر فقدان الثقافة المحلية بشكل متمايز عند الأطراف»[٣].

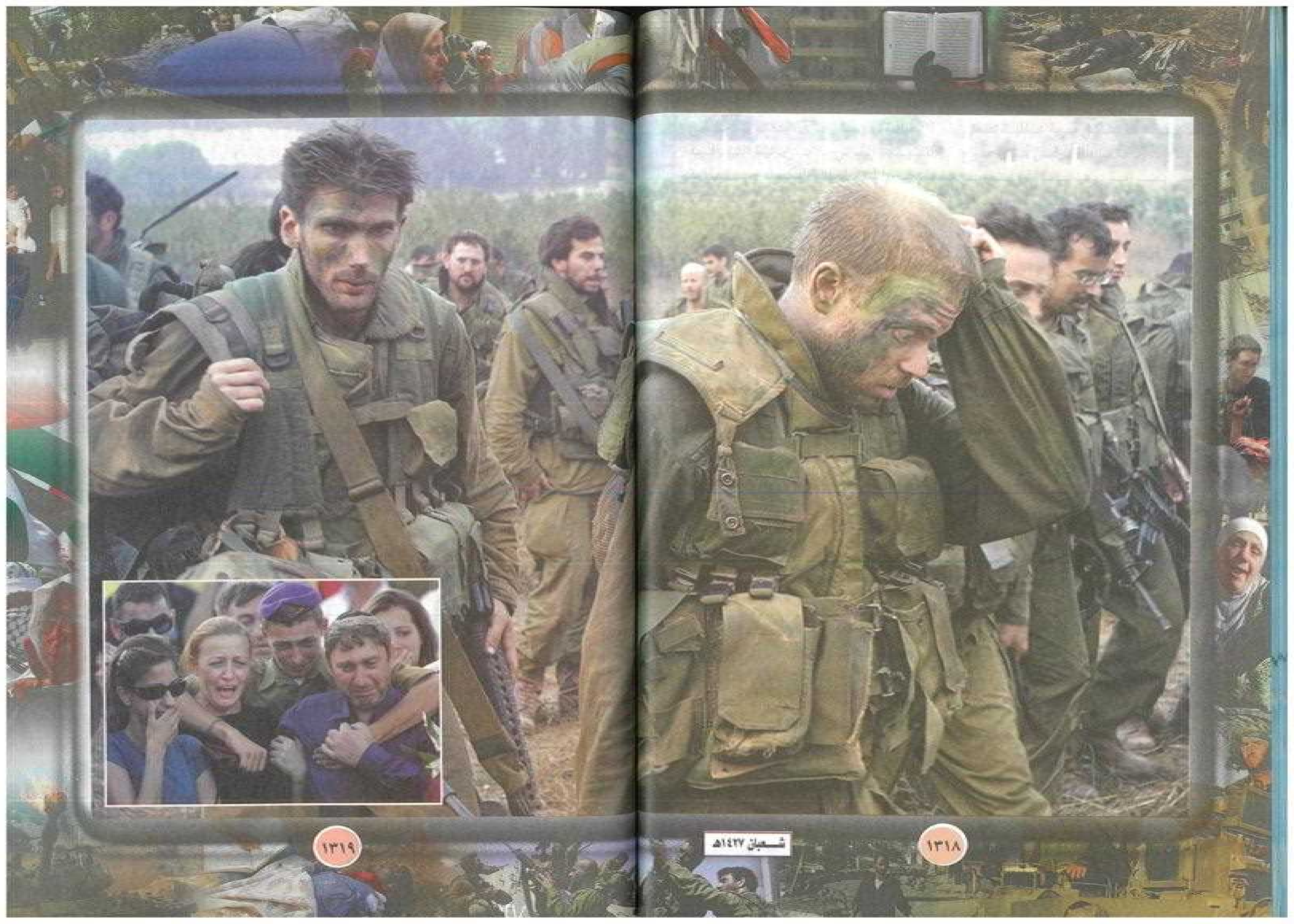
تلك حقيقة العولمة. وهذه بعض العوامل التي هيأت لها المناخ العام.. فأين نحن من هذا النظام العالمي الجديد، وما هي الآثار التي ستنعكس علينا من جرائه؟!.. هذا ما سنجيب عليه في مقالنا القادم إن شاء الله تعالى.

---

(٣) أولف هانرز في كتاب «الثقافة والعولمة والنظام العالمي» تحرير: أنطوني كينج ـ ترجمة: شَهْرَت العالم ص ١٦١، ١٦٢ ـ مكتبة الأسرة ـ مصر.

وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

انتصار لبنان





بعد انكسار العدو سارع اللبنانيون للعودة إلى قراهم ومدنهم فرحين مستبشرين

عودة المنتصرين بكل الأمل ونشوة النصر

حزب الله
وبارقة «نصر الله» المنشود

بقلم/ مدير التحرير

لا يختلف اثنان على أن العدوان على لبنان تم التخطيط له سلفاً، فإسرائيل وقادتها لا يضربون إلا بتخطيط ولا يحاربون إلا بتخطيط وكذلك يذبحون وفق مخطط عام يستهدف المنطقة منذ وضع أول يهودى قدمه على أرض فلسطين الطاهرة.

أما أن نقول: إن العدوان على لبنان تم التخطيط له سلفاً، لأن حجم العدوان كان كبيراً، ولا يتناسب مع كونه رد فعل لأسر جنديين إسرائيليين فهذا ما لا نتفق فيه مع قائله!! فلأجل جندى واحد لا تتورع إسرائيل أن تحرق لبنان بأسره بل والمنطقة كلها إن استطاعت - لتحقق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات!! فالجنديان مجرد ذريعة لتحقيق الهدف.. أما حجم الهجوم ومقدار الدمار وكم القتلى وأنهار الدماء فضئيلة فى عيون أناس جبلوا على سفك الدماء وقتل الأنبياء.

ومن نافلة القول أن مذبحة قانا - التى أغمضت عنها أمريكا بل وساندتها بكل ما أوتيت من قوة لترتع إسرائيل كيفما شاءت - ليست هى أول مذبحة تتعرض لها قانا بل سبقتها مذبحة أخرى سنة ١٩٩٦.

وتاريخ إسرائيل حافل بالمذابح، والاعتداء الدائم على المدنيين ففى سنة ١٩٤٧ ارتكبت إسرائيل مذبحة «بلدة الشيخ» أما سنة ١٩٤٨ فقد ارتكبت فيها إسرائيل مذبحة ضد قرية سعسع فى الخليل يوم ١٤/ فبراير وفى ٢١/ مارس من نفس السنة كانت مذبحة أبوكبير أتبعتها بمذبحة أخرى ضد قرية «أبوشوشة» فى ١٤/ من مايو ثم مذبحة «اللد» فى هجومها على مسجد دهمش فى ١١ من يوليو ١٩٤٨ ثم مذبحة قرية دير ياسين فى ٣١/ أكتوبر ٤٨ وتختم إسرائيل سجلها الدموى بسادس مجزرة فى عام ٤٨ وهى التى نفذتها فى قرية عيلبون فى ٣٠/ نوفمبر ٤٨.


الأطفال هدف إسرائيل عام ١٩٤٨


الأطفال هدف إسرائيل عام ٢٠٠٦

أى عنف هذا؟! وأى تعطش للدماء؟! لم تتوقف إراقة الدماء البشرية على أيدى الإسرائيليين عند هذا الحد بل كانت مذبحة قبية فى ١٤/ ١٠/ ١٩٥٣ ثم مذبحة قلقيلية فى ١٠/ ١٠/ ٥٦ تبعتها مذبحة كفر قاسم فى ٢٩/ ١٠/ ٥٦ ثم مذبحة خان يونس فى ٣/ ١١/ ٥٦، ثم مذبحة صبرا وشاتيلا فى ١٨/ ٩/ ١٩٨٢ ثم مذبحة عيون قارة فى ٢٠/ ١٠/ ٩٠ ثم مذبحة قانا الأولى ١٩٩٦ ثم مذبحة جنين سنة ٢٠٠٢ - وأخيرا وليتها الأخيرة - قانا الثانية ٢٠٠٦ و لم تقتصر مذابح الإسرائيليين على المدنيين من الأطفال والشيوخ بل ضمت إسرائيل إلى هذا السجل الدموى البغيض مذابح أخرى ضد المتعبدين: «الركع السجود» فكانت مذبحة الحرم الإبراهيمى فى ٢٥/ فبراير سنة ٩٤ ومذبحة المسجد الأقصى فى ٨/ ١٠/ ١٩٩٠ ولا ننسى - بالطبع - تلك المذبحة البشعة - وكل ما ترتكبه إسرائيل بشع - التى اقترفتها ضد أطفال مدرسة بحر البقر سنة ١٩٧٠ «وقد يكون هناك مذابح أخرى لم توردها المصادر المتاحة لنا!!!

هل بعد هذا العدد المذهل من المذابح يمكن أن نقول بأن إسرائيل تضع فى حساباتها مقدار الفعل ورد الفعل؟! أليس من حقنا أن نقول: إن إسرائيل دولة متعطشة للدماء تعميها أحلامها التوسعية فلا ترى فى المنطقة إلا نفسها؟!

وهل فى المنطقة غيرها؟! وقد أصبح العرب أشتاتاً، كل يجرى وراء مصالحه، ويخشى أمريكا - القطب الأوحد؟

هل هناك معنى لغثاء السيل أكثر من هذا الحال الذى وصلت إليه الأمة الإسلامية جمعاء.

غير أن بصيص الضوء القادم من تلك الكوّة التى فتحها حزب الله يؤكد أن وراء هذا الضوء فجراً آت وأن وعدَ الله لا يتخلف وأن من يتمسك بحبل الله لابد ناصره مهما كان الدور الداعم الذى تقوم به أمريكا لإسرائيل من تبن بلغ مداه الأقصى لقد منعت أمريكا صدور قرار من مجلس الأمن الدولى بإدانة إسرائيل واستخدمت «الفيتو» لمنع صدور قرار لوقف إطلاق النار فوراً فى لبنان وهو ما استهجنته صحيفة «كرونن تسا يتونغ» الصادرة فى فينا حيث قالت: «إنه برغم دعوات العالم أجمع لإجراء وقف فورى لإطلاق النار إلا أن رئيس الحكومة الإسرائيلية «أولمرت» أوضح أن ما يحتاجه جيشه يتراوح بين عشرة أيام إلى أربعة عشر يوماً حتى يوقف عملياته العسكرية فى لبنان».

أين هذا الفكر اليهودى من تعاليم الإسلام فى هذا الشأن والتى تأمرنا بالكف عن القتال متى طلب العدو ذلك، وليكن نبراسنا التوكل على الله.. إنه قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(الأنفال: ٦١)

ونظرة سريعة لما تقوله إسرائيل وأمريكا نجد:

- أن جيش الاحتلال الإسرائيلى يعلن أن هذه الحرب ضد قوات حزب الله، ولا تستهدف المدنيين برغم سقوط هذا الكم الهائل من المدنيين بين صرعى وجرحى!!
- أما أمريكا «صاحبة اختراع حقوق الإنسان» الذى لا يطبق إلا إذا كان فى مصلحة الأمريكيين فحسب فتعلن أنها ستزود إسرائيل بقنابل من ذلك النوع الذى استخدم فى العراق الذى يوجه بأشعة الليزر والأقمار الصناعية ويصل وزنه عدة أطنان.

تُرى ماذا ستفعل إسرائيل بهذه القنابل؟! أليست هذه القنابل ستودى بحياة الكثير من الأبرياء المدنيين وستسلبهم - بلا شك - إما حق الحياة.. إذا أمسوا فى عداد القتلى؟! وإما: حق العمل والكسب.. إذا أصبحوا فى عداد المعوقين؟! ولكن المنطق الأمريكى لا يعرف سوى مصلحة أمريكا والشرطى الحارس «إسرائيل» وبعد ذلك الطوفان!!

ليس هذا من قبيل العبارات الإنشائية وإنما دلائله ماثلة فى ذهن كل إنسان عربى، بل فى أذهان العالم أجمع.

- فنحن والعالم نعلم ما صنعته أمريكا فى العراق بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل التى زعمت أن العراق يمتلكها...!!!

وقد علمنا والعالم أجمع قصف إسرائيل للبنان بقنابل كيميائية وفسفورية وجرثومية ومسمارية وعنقودية.. أليست هذه أسلحة دمار شامل؟!! نعم.. هى أسلحة دمار شامل بشهادة «منظمة حقوق الإنسان» التى نشرت «براهين تظهر أن إسرائيل استخدمت قنابل عنقودية فى المناطق المدنية فى لبنان».

وذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية أن واشنطن تكثف جهودها لإرسال قنابل موجهة بالغة الدقة إلى إسرائيل التى طالبت بتسريع الصفقة بعدما بدأت هجومها على لبنان.. ونقلت الصحيفة عن مسئولين فى الإدارة الأمريكية - طلبوا عدم الكشف عن أسمائهم - أن القرار اتخذ بعد نقاش محدود داخل الإدارة الأمريكية وقال المسئولون: إن طبيعة الصفقة غير عادية، وهى مؤشر على أن عدد الأهداف التى تعتزم إسرائيل ضربها فى لبنان كبير.

وقال المسئولون: إنه لا يتم تسليم الشحنات عادة بسرعة ولكن الوضع هنا مختلف فإسرائيل حليفة، وهى فى محيط عدائى، انتهى كلام الصحيفة.

ويتضح وضوح الشمس أن أمريكا تنظر إلى من يحيط بإسرائيل نظرة الأعداء.

ليس هذا كل أبعاد المشكلة إنما هو جزء يوضح أبعادها فأمريكا تريد إرساء نظام حياة جديد فى المنطقة أساسه الهيمنة الكاملة لإسرائيل على كل العرب، ولا ترى مصلحتها فى غير ذلك النظام! والعرب أمام هذه الإرادة لا يقبلون الذوبان فى شخصية الآخر ولا يقبلون ثقافته بل الأهم هو حفاظهم على ثقافتهم وأعرافهم المستمدة أساساً من دينهم الحنيف.

من هنا، ولأجل ذلك كان التفاف الشعوب الإسلامية جميعاً (بالدعاء) حول هذه الشخصية التى ظلت تبحث عنها طويلاً: شخصية «حسن نصر الله» تلك الشخصية التى أكدت أن مقاومة المحتل لابد أن تغير سياسة القبول بالهيمنة وتحقق حلم كل عربى فى مستقبل آمن تظله الحرية والكرامة.

لابد أن نعلم أننا أمام عدو يجند كل طاقاته بل وكل الطاقات التى يستطيع أن يخدعها لتكون ضدنا!.

إننا أمام عدو يصفنا بالإرهاب وما خرج الإرهاب إلا منه ويقنع كثيراً من الغربيين بأننا نربى أبناءنا على العنف... فينشط من يتبنى هذه الفكرة من الغربيين!! فقد قرأت منذ ما يزيد على عشر سنوات فى صحيفة غربية مقالاً عن «سوء اختيار لعب الأطفال فى بلدان المسلمين» وقد تم تدعيم المقال ببعض الصور لأماكن بيع لعب الأطفال.

وأغلبها «بنادق ومسدسات» وتظهر فى الخلفية صور للمساجد تأكيداً للهوية الإسلامية لهذا البلد!!

ونحن لا نختلف مع صاحب المقال فى أننا لابد أن نعطى أطفالنا «اللُّعب» التى تنمى مهاراتهم وتزيد من قدراتهم الذهنية.

وفى نفس الوقت لا نعتقد أن يغيب عن ذهن كاتب المقال أو ناشريه أن هذه «اللُّعب» هى بعض ما يستورده التجار من الشرق ومن الغرب - أيضاً - بغرض الكسب ولم يخطر ببال أى منهم سوى «المال» والمكسب الكبير الذى يحققه من تلك التجارة.

وليس أمام الآباء سوى تلبية رغبة أطفال أبرياء يبكون!!

وننتقل سريعاً إلى أطفال أبرياء آخرين هم أطفال إسرائيليون وقد شجعهم ذووهم - بلاشك - على كتابة رسائل متنوعة، ليست على الورق وإنما على القذائف المعدة للإطلاق، بعض هذه الرسائل إلى «نصر الله» وبعضها إلى أطفال لبنان.

إن البراءة لا تكاد تخطئ طفلاً فكلنا جميعاً أبناء «آدم وحواء» نولد على الفطرة... وما تستلزمه من حب الآخرين وحب الحياة للجميع.

إن هؤلاء الأطفال الإسرائيليين ولما تلوث أفكارهم بعد، تبدو البراءة فى عيونهم، وترتسم الفرحة والبشاشة على وجوههم وهم يكتبون عبارات الموت لأطفال لبنان!!

فمن المسئول عن إخراج هؤلاء الأبرياء عن فطرتهم؟!

ثم... من الذى يعلِّم ويربى أبناءه على العنف؟! اليهود أم العرب فإذا أضفنا إلى ذلك فتوى حاخامات إسرائيل «بإباحة قتل النساء والأطفال فى لبنان وفلسطين» لعلمنا من الذى يربى أبناءه ليس على العنف فحسب بل على العنف والكراهية!!

ونقول لليهود ومن جاراهم من الصحافة الغربية:

قديماً قالوا: «رمتنى بدائها وانسلت»

ولكن ماذا بعد..؟!

● لقد أصابنا الوهن.. نعم.

فلا نملك غير عبارات الإدانة والاستنكار فى مواجهة مجازر العدو الإسرائيلى.. نعم.

ولكن إلى متى تتوقف حياة أمة هى:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

على مجرد رد الفعل؟!

إننا - بحق - لا نستحق هذا الشرف الذى حبانا الله إياه ما لم نتبع أوامره - تعالى - ونواهيه.

إننا مطالبون.. أن تكون لنا قوة نحفظ بها ماء وجهنا.. لا قوة اعتداء.. فليس ذلك من تعاليم ديننا الحنيف.

إنما القوة المطلوبة.. هى ما تجعلنا بعيداً عن تناول أيدى الأعداء وهو ما تعلمه ونفهمه من قول ربنا:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾.

(الأنفال/ ٦٠)

لنتصرف بعد ذلك إلى المهمة الأكبر وهى إعمار الأرض.. وبث الرخاء فى أنحاء المعمورة كلها، ولنحقق خيرية هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما لم نفعل فسنظل نتلقى الضربات من كل اتجاه.. إلى كل بلد.. وإلى كل غال وعزيز، وإلى كل مقدس وليس الاعتداء على نبينا - ﷺ - بالسب ببعيد.

لابد أن يوضع فى الاعتبار:

● أن تفعيل السلام الدائم، لابد له من قوة فاعلة تستطيع الحفاظ عليه.

● أن هذه الأمة لابد أن تمسك بعناصر بقائها فتأكل وتشرب وتلبس مما صنعته أيدى أبنائها وتترك ما صنعته أيدى الأمريكان والإسرائيليين فسلاح المقاطعة سلاح فعال.



إلى أطفال لبنان مع دعواتنا بالموت



إلى نصر الله من أطفال إسرائيل

● أن هذه الأمة يجب أن تمتلك أسلوباً حيوياً حضارياً واعياً لكيفية استخدام سلاح المقاطعة، لأن من لم يستخدمه بحكمة يقطع «يده» لا «يد العدو».

إن الأمة التى التفت (بالدعاء) حول نصر الله، لأنها تعلم أنه إطلالة نصر الله، تنتظر «نصر الله المبين» ولعله آت مع رجل آخر كصلاح الدين وقتها ستلتف حوله الأمة (بالدعاء، والمال والروح)، ليتحرر القدس ويزدهى بالركع السجود.

مجزرة قانا ٢٠٠٦

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يبدو أن العدوان الإسرائيلى على لبنان، الذى حدث يوم الأربعاء ١٢ يوليو ٢٠٠٦، لم يكن مجرد رد فعل لقيام حزب الله بأسر جنديين فى عملية عسكرية خاطفة، بل كان عملاً عسكرياً مخططاً ومُعداً سلفاً بتأييد أمريكى، وذلك للعديد من الأسباب، من أهمها حجم القصف الصاروخى والجوى الضخم الذى شنته القوات الإسرائيلية على البنية التحتية اللبنانية من طرق وجسور، ومطارات ومحطات كهرباء ومياه، واستدعاء للاحتياط، ودعوة الإسرائيليين إلى اللجوء للمخابئ، وضرب للمجمعات السكانية اللبنانية، وإعلان رئيس الوزراء الإسرائيلى «أولمرت» على مواصلة حملته العسكرية ضد لبنان أسبوعين آخرين، وإصرار الإدارة الأمريكية برئاسة «بوش» على عدم صدور قرار بوقف إطلاق النار، ومحاولة وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزا رايس» إفشال مؤتمر روما حول العدوان الإسرائيلى على لبنان، وهو ما تم بالفعل.

واللافت أن عجز القوات الإسرائيلية فى النيل من قوة حزب الله، ووصول صواريخه إلى الداخل الإسرائيلى لأول مرة فى تاريخ إسرائيل منذ اغتصابها فلسطين، قد دفعها فى عملية تعويضية لاستهداف المدنيين اللبنانيين العُزّل، بلغ أقصاه عندما أغار الطيران الإسرائيلى على بلدة قانا فجر الأحد ٢٠٠٦/٧/٣٠ وقصف مبنى سكنياً فى الجنوب اللبنانى، فى أبشع جريمة إرهابية ضد مدنيين، التجأوا إلى ملجأ داخل هذا المبنى، لعلهم يجدون الملاذ الآمن فيه، لكن يد العدوان الإسرائيلى الآثم لاحقتهم، واستشهد أكثر من ٦٠ مدنياً، بينهم ٣٧ طفلاً. إنها المجزرة الثانية لقانا، بعد المجزرة الأولى لها فى أبريل ١٩٩٦، التى أدت إلى مقتل ١٠٦ مدنيين التجأوا إلى مركز قيادة تابع للقوات الدولية فى الجنوب اللبنانى فى إطار حملتها العسكرية المسماة «عناقيد الغضب»، حيث شارك فى التخطيط لها رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق «شيمون بيريز».

الغضب

وفى يوم الأحد الدامى الذى حدثت فيه هذه المجزرة ـ الثانية ـ خرجت الجماهير اللبنانية الغاضبة، واقتحمت مبنى الأمم المتحدة «الإسكوا» فى بيروت، وحطمت بعض محتويات الطابق الأول فيه، وهو تعبير عفوى وطبيعى عن غضبهم لهذه المجزرة التى تُلطِّخ تاريخ الجيش الإسرائيلى الأسود بالعار، والجدير بالذكر أنه فى عصر الأحد الدامى ٢٠٠٦/٧/٣٠ التقى «فؤاد السنيورة» رئيس الوزراء اللبنانى، بأعضاء السلك الدبلوماسى الأجنبى والعربى، فى غياب السفير الأمريكى «جيفرى فيلتمان» وعقد مؤتمراً صحفياً فى حضورهم، استهله بقوله: «ما تركنا حجراً أو سبيلاً إلا قلبناه أو سلكناه، فى عزمنا الحثيث على الوصول إلى وقف سريع وشامل للنار، وإنهاء للتخريب والمذابح التى يرتكبها الجيش الإسرائيلى منذ ثمانية عشر يوماً على أرض لبنان. إن الإسرائيليين مصممون، وبأساليب منهجية على تدمير وطننا. ونحن على ثقة أن «خطة النقاط السبع» التى اقترحناها على مؤتمر روما، تحظى، وستحظى بدعم وتأييد كل الشعوب والدول المحبة للسلام!!.. والمثير للانتباه فى هذا الصدد قيام «فؤاد السنيورة» رئيس الوزراء اللبنانى يوم الأربعاء ٢٠٠٦/٧/٢٦ بإلقاء خطاب فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الدولى الذى انعقد فى مقر الخارجية الإيطالية فى روما، قال فيه: «إن إسرائيل لا يمكنها الاستمرار فى تجاهل القانون الدولى إلى ما لا نهاية، فيجب أن تدفع الثمن، وسنبدأ باتخاذ الإجراءات القانونية، ولن نتغاضى عن أية وسيلة لجعل إسرائيل تعوض الشعب اللبنانى عن الدمار الشامل الذى ألحقته به».

خطة السنيورة

ولقد دعا «السنيورة» أمام مؤتمر إلى خطة تحتوى على سبع نقاط لإنقاذ الموقف المتردى فى لبنان بوقف إطلاق نار فورى وشامل، وهذه النقاط السبع هى:

- التعهد بإطلاق الأسرى والمحتجزين اللبنانيين والإسرائيليين عن طريق لجنة الصليب الأحمر.
- انسحاب الجيش الإسرائيلى إلى خلف الخط الأزرق، وعودة النازحين إلى قراهم.
- التزام مجلس الأمن بوضع منطقة مزارع شبعا، وتلال كفر شوبا تحت سلطة الأمم المتحدة حتى يتم ترسيم وبسط السلطة اللبنانية على هذه الأراضى، كما يتعين على إسرائيل تسليم كل خرائط الألغام المتبقية فى جنوب لبنان إلى الأمم المتحدة.
- بسط الحكومة اللبنانية سلطتها على كافة أراضيها عبر انتشار قوتها المسلحة الشرعية، مما سيؤدى إلى حصر السلاح والسلطة بالدولة اللبنانية كما نص اتفاق المصالحة الوطنية فى الطائف.

■ تعزيز القوة الدولية التابعة للأمم المتحدة العاملة في جنوب لبنان، وزيادة عددها وعتادها، وتوسيع مهامها ونطاق عملها وفقًا للضرورة بهدف إطلاق العمل الإنساني العاجل، وأعمال الإغاثة، وتأمين الاستقرار والأمن في الجنوب ليتمكن النازحون من العودة إلى منازلهم.

■ اتخاذ الأمم المتحدة بالتعاون مع الفرقاء المعنيين، الإجراءات الضرورية لإعادة العمل باتفاق الهدنة الذى وقعه لبنان مع إسرائيل عام ١٩٤٩، وتأمين الالتزام ببنود هذا الاتفاق، إضافة إلى البحث فى التعديلات المحتملة إليه أو تطوير بنوده عند الضرورة.

■ التزام المجتمع الدولى، دعم لبنان على كافة الأصعدة، ومساعدته على مواجهة العبء الكبير الناتج من المأساة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية التى شهدها البلد بخاصة فى ميادين الإغاثة، وإعادة الإعمار، وإعادة بناء الاقتصاد الوطنى.

مؤتمر روما

واللافت فى هذا الصدد أن الولايات المتحدة التى تزعم رعايتها للسلام ونشر الديمقراطية، لم تتبنّ هذا المشروع الذى اقترحه «السنيورة» أمام مؤتمر روما، بل سعت من البداية إلى إفشال مؤتمر روما، وهو ما أدى إلى تمادى إسرائيل فى استكمال عدوانها على لبنان لتدميره بعد فشلها فى النيل من حزب الله، ولم يقتصر الدور الأمريكى عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى الحيلولة دون إصدار قرار من مجلس الأمن الدولى بإدانة إسرائيل على أعمالها البربرية الغاشمة فى قانا وغيرها من القرى والمدن اللبنانية، وأيضا استخدام الفيتو الأمريكى ضد إصدار قرار بوقف إطلاق النار بين حزب الله وإسرائيل، فلقد انعقد مجلس الأمن، عقب الغارة الإسرائيلية، بناء على طلب لبنان التحرك لإقرار وقف فورى وغير مشروط لإطلاق النار. وفى هذا الشأن جاء على لسان «كوفى أنان» الأمين العام للأمم المتحدة قوله أمام ممثلى الدول الـ ١٥ الأعضاء فى مجلس الأمن: «إن علينا أن ندين هذا العمل بكافة ما نستطيع، وأطلب منكم أن تفعلوا الشىء نفسه» وأضاف قوله: «إننى أشعر بالأسف الشديد لأن دعواتي السابقة إلى وقف إطلاق النار لم تلق آذانا صاغية، وقد نتج عن ذلك سقوط أبرياء، واستمرار عذاب المدنيين، وأكرر هذا النداء مرة أخرى، وأرجوكم أن تفعلوا الشىء نفسه».

إدانة على استحياء

والمثير للدهشة أن مجلس الأمن أصدر بيانا رئاسيا أعرب فيه عن أسفه العميق للخسائر فى الأرواح البشرية بسبب القصف الإسرائيلى لبلدة قانا بجنوب لبنان، داعيا فقط إلى وقف العنف. وفيما يلى نص البيان الرئاسي الذى تبناه مجلس الأمن بالإجماع، وأعلنه السفير الفرنسى «جاك مارك» الذى رأس المجلس خلال شهر يوليو الماضى:

١- يعرب مجلس الأمن عن صدمته العميقة، واضطرابه جراء قصف القوات الإسرائيلية مبنى سكنيا فى قانا بجنوب لبنان، بسبب مقتل عشرات المدنيين، معظمهم من الأطفال، وجرح كثيرين آخرين. ويقدم تعازيه العميقة إلى عائلات الضحايا اللبنانيين.

٢- يعرب مجلس الأمن عن قلقه حيال التهديد بتصعيد العنف الذى ستنجم عنه عواقب جديدة خطيرة على الوضع الإنسانى. ويدعو إلى وقف أعمال العنف، ويشدد على الضرورة الملحة لتأمين وقف دائم وثابت لإطلاق النار.

٣- يعرب مجلس الأمن من جديد عن قلقه العميق لمقتل مدنيين لبنانيين وإسرائيليين، وللمعاناة الإنسانية، والدمار الكبير الذى لحق بالبنى التحتية، والعدد المتزايد للمهجرين.

٤- يعرب مجلس الأمن عن أسفه لأى عمل ضد موظفى الأمم المتحدة، ويدعو إلى الاحترام الكامل لسلامة وأمن جميع موظفى الأمم المتحدة، ومقراتها. «وهذه إشارة بإدانة إسرائيل ـ على استحياء ـ على قتلها أربعة من قوات الطوارئ الدولية فى الجنوب اللبنانى، وهم: صينى، ونمساوى، وفنلندى، وكندى».

٥- يدعو مجلس الأمن جميع الأطراف إلى تأمين إيصال المساعدة بصورة فورية وغير محددة.

٦- يؤكد مجلس الأمن تصميمه على العمل من دون تأخير على تبنى قرار من أجل تسوية دائمة للأزمة، مستوحيا الجهود الدبلوماسية الجارية.

٧- يبقى مجلس الأمن المسألة على جدول أعماله.

تدمير لبنان لإثارة فتنة طائفية

وفى ضوء ما جاء فى هذا البيان الرئاسي الصادر من مجلس الأمن عقب الغارة الإسرائيلية على قانا، يمكن تحديد العديد من المآخذ:

● أولاً: فشل مجلس الأمن فى التوصل إلى قرار بوقف فورى لإطلاق النار، والاكتفاء بإصدار بيان رئاسى فقط، وهو ما يكشف الدور الأمريكى الضاغط بهذا الشأن، لتشجيع إسرائيل على استكمال تدمير لبنان لإثارة فتنة طائفية ضاغطة على حزب الله والحكومة اللبنانية، حتى يتم الإجهاز عليهما.

● ثانيا: اكتفاء البيان الرئاسى فقط بالإعراب عن صدمة المجلس وأسفه العميق وتعازيه لمقتل عشرات المدنيين فى قانا، من دون إدانة صريحة لإسرائيل على

عملها البربري الهمجي في حق الشعب اللبناني.

● ثالثـــا: تواطؤ المجلس مع الدولة المعتدية، حيث اكتفى بدعوة الأمين العام للأمم المتحدة بتقديم تقرير خلال أسبوع، بدلا من تكليفه بإجراء تحقيق في هذه المأساة الإنسانية المروعة. ونتساءل: إلى هذا الحد بلغت استهانة مجلس الأمن بأرواح العرب؟!.

● رابعًا: جاءت تسمية المجلس لهذه المجزرة بـ«العنف»، ولم يسمها باسمها الحقيقي وهو: العدوان المتعمد على أبرياء مدنيين، معظمهم من الأطفال، وكان البيان الرئاسي صدر للتغطية على جريمة حرب ارتكبتها إسرائيل، وكان من الأولى على المجلس أن يسمى الأفعال الإرهابية بمسمياتها الحقيقية لكي يدين المعتدى، ويحمي حقوق الضحية.

● خامسًا: يندهش الكثيرون من دعوة المجلس جميع الأطراف إلى تأمين وصول المساعدات الإنسانية، بدون صدور قرار من جانبه بوقف فوري لإطلاق النار. ونتساءل: كيف تصل هذه المساعدات إلى منكوبي لبنان المعتدى عليهم، وهم يعيشون في ظل هدير المدافع وأزيز الطائرات، وانطلاق الصواريخ دون توقف، لتدمر المباني، وتحرق الزرع، وتحول القرى والطرق إلى ركام؟!.

● سادسًا: كشف هذا البيان الرئاسي على انفراد أمريكي بالسيطرة شبه الكاملة على مجلس الأمن، وإصرار أمريكي على استخدام حق الفيتو لمنع صدور قرار بوقف فوري لإطلاق النار بين حزب الله وإسرائيل.

عجز مجلس الأمن

وبذلك وقف مجلس الأمن عاجزا عن إصدار مثل هذا القرار الذي حالت الإدارة الأمريكية الحالية دونه، وهو ما يؤكد انحياز أمريكي كامل للمعتدى الإسرائيلي، وتشجيع له على مواصلة استخدام معاول الهدم والتدمير للبنان، كل ذلك من أجل فرض الهزيمة على حزب الله، الذي تعتبره أمريكا وكر الإرهاب في الجنوب اللبناني.

سابعا: أكد هذا البيان الرئاسي عجز مجلس الأمن عن أداء رسالته في حفظ السلم والأمن الدوليين، وفشله في القيام بمسئولياته المنوطة به.

وفي هذا الصدد يتساءل الأمين العام للجامعة العربية «عمرو موسى»: «كيف تقوم حرب، ويتردد المجلس في إصدار القرار اللازم لوقف إطلاق النار، وينتهي الأمر بوقوع «مذبحة قانا» التي طالت الأطفال والنساء في لبنان من خلال العدوان الإسرائيلي المشين؟!...».

كما انتقد «عمرو موسى» موقف مجلس الأمن الدولي تجاه الحرب

الإسرائيلية على لبنان، تعقيبا على البيان الرئاسي لمجلس الأمن فيقول: «إن هذا بيان غير كاف، وكان يجب على المجلس أن يقوم بمسئولياته بصرف النظر عن مواقف الدول الأعضاء»، وفي هذا الإطار انتقد الرئيس المصري «حسني مبارك» موقف مجلس الأمن السلبي تجاه العدوان الإسرائيلي على لبنان، فيقول في بيان إلى الشعب المصري: «إن عجز مجلس الأمن عن التعامل السريع والفعال مع هذا العدوان الإسرائيلي، وعن تحمل مسئولياته في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين، يعكس الاختلالات الجوهرية في نظام الأمن الجماعي، الذي تمثله الأمم المتحدة، والقصور الذي يعتري النظام الدولي الراهن».

الفوضى البناءة

وفي الختام يمكن القول إن ما حدث في قانا للمرة الثانية من استشهاد أكثر من ٦٠ مدنيا، معظمهم من الأطفال على أيدي القوات الإرهابية الإسرائيلية، التي ما جاءت إلا لتدمير لبنان، وإثارة الفتن الطائفية لتضييق الخناق على حزب الله، والقضاء على المقاومة اللبنانية، ما كان ليحدث لولا الضوء الأخضر لإسرائيل من جانب الإدارة الأمريكية الحالية التي يرسم سياستها الخارجية جماعة المحافظين الجدد المؤيدون لدولة الكيان الصهيوني، والذين يريدون تطبيق استراتيجية «الفوضى البناءة» التي تستهدف في المقام الأول تغيير الأنظمة التحررية، المناوئة لأمريكا، إلى أنظمة تابعة تأتمر بأوامر القطب الأوحد لخدمة مصالحه وأهدافه في منطقة الشرق الأوسط، وما الدور الذي تقوم به إسرائيل في لبنان من أجل تدميره إلا نموذجا على هذه الاستراتيجية الأمريكية لخلق شرق أوسط جديد يسير في فلك هذه القوات الطاغية. ولعل الأهداف الحقيقية للحملة العسكرية على لبنان ليست خفية على كل ذي لب واع، فهي تستهدف إيران وسوريا، عبر تدمير قوة حزب الله، إذ أن في تحديد مصير حزب الله، سيتحدد الدور الذي ستلعبه إيران وسوريا في المنطقة، وأشد ما تخشاه أمريكا وإسرائيل أن يقوم تحالف ثلاثي بين حزب الله وإيران وسوريا. ومن هنا فإنه من المرجح أن القرار الذي سيصدره مجلس الأمن في القريب العاجل في ظل الهيمنة الأمريكية عليه، ستتم صياغته في إطار هذه الرزمة من الأهداف الأمريكية ـ الصهيونية، بحيث تظهر إسرائيل وهي تخرج من هذه الحرب وكأنها منتصرة، حفظا لماء الوجه. ويكفي ما أحدثته صواريخ حزب الله داخل إسرائيل من هلع ورعب في نفوس الإسرائيليين لأول مرة في تاريخها.

ما الجرح بميت إيلام !!! (١)

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

فى أحيان كثيرة أحس كأن القلم يعصى فلا يريد أن يكتب. أو لا يستطيع. وأسبابه ومبرراته متعددة. وكثيرة ومقبولة فى غالب الأحيان. وأحسب أن كثيراً من الكاتبين اعتادوا على هذه الحالة من أقلامهم، فهم يعالجونها بالحيلة حيناً وبالترويج حيناً. حتى يستجيب القلم ويسيل مداده.

أما أن يقطر الفؤاد أسى وتتعى المعانى وتستحى الكلمات أن تظهر حروفا على أسطر الورق وتذبل الأفكار ظمأ قد جفت فى عروقها دماء الحياة فتلك حالة لم أعهدها. وأحسب أن كاتبا لم يمر بها.

أما عن أسباب هذه الحالة المميتة وهذا الموات الكئيب للأفكار والمعانى فهى حالة البلادة ومرحلة الاحتضار التى يمر بها الجسد العربى المترهل العجوز الذى ذبلت فى عروقه دماء الحياة. وما عادت حمرة الحياء تغمر وجهه فيها هم القادة يرون بأعينهم ما يستباح من أعراض ودماء تراق وأطفال تموت وتشوه ورغم كل هذا لم تر من واحد منهم موقفاً شجاعا ينبىء عن كرامة أو حتى يوحى بنفس أبية. إنما هى كلمات جوفاء كرهنا سماعها وعبارات الإدانة والتنديد السمج الهزيل. لا يرقى إلى مستوى الخطب الذى نعانيه.

أسأل نفسى كثيراً عن سر هذه البلادة التى لفت زعماءنا وأهل الرأى فينا وأصحاب الثقافة وكل صاحب فكر وقلم لماذا هذا الصمت المريب؟ وهذه البلادة والموات؟ لماذا لا يتكلمون؟ لماذا هم صامتون؟ لماذا لا نسمع منهم إلا كلمات باهتة؟ وانفعالات صبيانية أمام الكاميرات وآلات التصوير؟ ثم يخلدون بعدها إلى رفاهية غير مقبولة. ودعة ولهو يرفضه الرجال فى زمن السلم فكيف - يا حسرتا - يمارسه أهل الرأى والفكر والزعماء وأصحاب الأقلام وهم يرون التدمير والوحشية للآمنين العزل؟ ألا يدور بخلدهم أن العدو الصهيونى لن يقف عند حدود لبنان وأن مطامعه لا يكفيها بلد من بلاد العرب ولن يروى ظمأهم أنهار الأمة العربية جمعاء. إنما يعملون جاهدين هم ومن يؤازرونهم فى صفاقة على محو المسلمين من الوجود واستعبادهم. نعم استعبادهم، بشتى الوسائل وهم يعملون وفق خطة أعدوها بإحكام ينفذونها بدقة ويروجونها بإصرار ودهاء نخدع به، ويروجونه فى بلاهة تصل إلى حد العمالة والتآمر!!

الماسونية

قل لى بربك - ألا نعلم جميعاً عن الماسونية فكراً وتاريخاً وحقداً ودهاء؟ كيف نقبل بعد هذا أن تنتشر أوكارها فى بلادنا تحت مسميات ننخدع بها. وننخدع بها شعوبنا ونخون أوطاننا؟ كيف نسمح لأوكار الماسونية أن تلهو وتعربد وتسخر أهل الرأى تحت مسميات نوادى الروتارى والليونز؟ إنها قنابل موقوتة لتدمير الفكر والوطن؟ اسألوا أنيس منصور كم كتب الرجل عن الماسونية وتاريخها وعن هذه النوادى ومع هذا فإنها تنشط فى الوطن العربى كله تضم إلى عضويتها وتسخر فى سبيل تحقيق أهدافا كل صاحب رأى أو مسئول ومع هذا لا أرى من يكاد يفيق من سكرة النشوة عندما يعلنون له أنه قبل عضوا فى هذا التنظيم المشبوه وللأسف الشديد عندما يترك موقعه فى مجال السياسة أو الاقتصاد ويزبل نشاطه يلقى فى سلة المهملات وينسى.. ألا يوحى لأى إنسان هذا التصرف بدناءة أهداف هذه المنتديات أم أن الرشد والعقل والوطنية أصبحت كل هذه المعانى فى طى النسيان نظير ما يقدم فى أيام العز والرخاء؟

النوايا الحسنة!!

وثمة مسميات أخرى اخترعوها لملئ فراغ العابثين وألقاب خادعة لإلهاء ذوى الميول العنترية والمغرمين بالألقاب والمسميات عديمة الجدوى سيئة المحتوى وهو لقب يسمى فى أيامنا هذه «سفير النوايا الحسنة» لعبة تلقى إلى طفل مغرم بالشهرة مستعبد بحب الظهور يبغى أن يظهر اسمه وصورته حتى فى صفحة الحوادث بعد أن قتل أمه أو أباه من أجل شمة هروين أوحقنة مخدر. إن من يريد الانضمام إلى هذه النوادى المشبوهة ويقبل هذه الألقاب المريبة

(١) هذا التعبير مستوحى من فكر الشيخ محمد الغزالى فى المقدمة الرائعة لكتابه «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث» نقلها رغم تحفظنا الشديد على الكتاب نفسه

خائن لوطنه ودينه مهما تباكى على أطفال لبنان وهم يقتلون أو يموتون جوعا ! إن هذا البكاء أحسبه من ضمن سيناريوهات المخطط الخبيث الناجح إن إسرائيل تعمل من أيام مؤتمر هرتزل وفق خطة محكمة مدروسة وصراخنا وعويلنا عبث ليس له صدى تابعوا تاريخ إسرائيل تجدوه تنفيذاً دقيقاً لبروتوكولات صهيون لم يحيدوا عنها قيد أنملة لقد درسوا نفسياتنا وفهموا عيوبنا وشخصوا أمراضنا بدقة وإحكام وتعاملوا معها بدهاء ومكر وذكاء شيطاني مدمر فنحن قبل الكارثة وفي زمن السلم يعلو صياحنا ونهدد بالويل والثبور لكل من تسول له نفسه أن يفكر مجرد تفكير في الاعتداء علينا وننسى أنه بهذا الصياح الأهوج والتهديد الفارغ نقدم دليل عدوانيتنا للعالم كله وبهذا الصياح وحناجر التهديد نقطع حبائل المؤازرة الشكلية من دول العالم.

جولدا مائير

أما اليهود فيتحركون في صمت ويقتلون في بلادة وفق خطة مدروسة ويظهرون أمام العالم أن بحر الكراهية العربية يكاد يغرقهم كما أغرق اليم أتباع فرعون لما كان اليهود مع سيدنا موسى أتباع رسالة الحق وتعال معي إلى التاريخ الحديث يخبرك بصدق بما أقول فهل تعلم أن مضايق تيران أغلقناها في رد فعل أهوج استدرجنا إليه اليهود في مكر خادع ولقنونا درسا على أرض سيناء لن ينساه لنا التاريخ ؟ وهل تعلم أنه أثناء الثغرة في حرب ٧٣ رغم النصر الذي حققه الجندي المصري إلا أن السيدة العجوز «جولدا مائير» أصرت أن تزور منطقة الزيتية وتلتقط لها الصور وتروج الدعاية أنها احتلت مدينة السويس وهذه الزيارة شاهد عيان على ذلك ؟

وليتنا فهمنا مغزى ما قالت ؟

هل تدري أي عبارة قالت ؟ قالت إني أشم رائحة «خيبر» من هنا ولست أدري لماذا لم يظهر في إعلامنا الأبكم هذا التصريح الخبيث الحاقد ؟ الذي يعيش تاريخا محشوا بالحقد كله في قلوب هؤلاء الناس إن اليهود هم الشعب الوحيد في العالم يكاد أن يكون هو الذي يعيش في أحقاد الماضي مغلفاً بأساطير وأوهام «أبناء الله وأحباؤه».. إنني لا أبكي على لبنان فقط لكنني أخشى أن أبكي غدا على حضر موت وعدن وجنوب السودان وأغادير على مياه الأطلس في المغرب فتلك حدود الوطن العربي الذي تمتد إليه أطماع الصهيونية وسوف تصل إليه مادام رجالها بهذا الدأب والوعي بقضيتهم وأهدافهم.. وسوف يصلون إليه مادمنا نحن بهذا الوهن وحب الدنيا وكراهية الموت.. في كثير من الأحيان أحس كأن المسلمين لا يصدقون نبيهم وأن اليهود رغم كراهيتهم له - ﷺ - وحقدهم على رسالته، رغم هذا فهم يعلمون أنه نبي يوقنون بذلك لكنهم يحقدون عليه وعلى أمته.

من هم المسلمون

هل تعلم أن «بيجن» قيل له عقب توقيع اتفاقية السلام بالإسماعيلية كيف توقع اتفاقية سلام مع المسلمين ؟ ونبيهم يقول «سوف يقاتل المسلمون اليهود ويقتلونهم، حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد» فرد الرجل في وعي بقضيته ومعرفة تامة بعدوه الذي يحاربه:

إن المسلمين المعنيين ليسوا هؤلاء ؟ إنما هم المسلمون الحريصون المحافظون على صلاتهم حتى إنك ترى عددهم في صلاة الفجر مثل عددهم في صلاة الجمعة ! ! وعندما يتحقق هذا ويوجد مسلمون بهذا الحرص على الصلاة سوف أكون أول من يحمل حقيبته ويرحل عن إسرائيل ؟ إن كثير من المسلمين اليوم لا يعرفون هذا الحديث وإن عرفوه لا يؤمنون به وإن آمنوا لا يعملون إنما هو إيمان كسيح عاجز وحكاوي يتناقلونها أقرب إلى الأساطير.

مالنا نعيش في بلاد تثرثر بلا وعي ونمد أيدينا في ضعف وخزي إلى أمريكا المساند الأول لإسرائيل التي تؤازر العدوان وتحرض عليه وتأويه ماذا نطلب منها ؟ وما الذي يرجوه الحمل من الذئب ؟ وكيف نزعم أن دولة المراوغة والتضليل «فرنسا» تقف معنا وتطلب وقف القتال الدائر منذ أيام وتنشر صحافتنا البلهاء أن مصر وفرنسا تقدمتا إلى مجلس الأمن تطلبان وقف إطلاق النار.

فتوى عجيبة



حسن نصر الله

وفي اليوم التالي تنشر نفس الصحافة أن أمريكا وفرنسا تقدمتا بمشروع يناهض المشروع المصري في نفس الوقت ظهرت فتوى غريبة عجيبة تكفر من يؤازر حسن نصر الله ! ! إن أمثال هؤلاء الإعلاميين والعلماء لا أقول إنهم مأجورون وإنما هم عبيد أطماعهم، بالله عليك هل شيعية حسن نصر الله ظهرت اليوم ؟ أم أنها منذ مقتل الإمام علي رضي الله عنه قبل أن يولد جد حسن نصر الله ؟ فلماذا لم تظهر هذه الفتوى إلا الآن ضد رجل يكافح ويدرء القهر بقدر ما يستطيع وبإمكاناته المتواضعة عن كرامة أمة ميتة وشعوب مستباحة ؟ مهدرة الكرامة ؟ أي فقه هذا ؟ وأي علم هذا ؟ وأي فتوى ؟ بل أي هرطقة ؟ لا أجد ما أعبر به عن هذه الفئة التي تنسب نفسها إلى الدين. إلا أن الفئة لها كلمة جرت على لسان أديب غربي: «يارب قني شر أصدقائي أما أعدائي فأنا كفيل بهم».

لكني أقول دعوة مستوحاة من الهدى النبوي: «اللهم أكفني شر اليهود ومن مع اليهود بما شئت وكيف شئت وأنى شئت يا أرحم الراحمين».

اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون

من دروس العقيدة

للدكتور/ حمدى فتوح والى

دعونى أتخيل ولو للحظات أن المسلمين أقوياء، وأنهم يملكون أسباب العزة والمنعة والقوة والتمكين. وباختصار دعونى أتخيل أننا تبادلنا الواقع فى مجال القوة والهيمنة مع أمريكا فأصبحنا فى قوتها وأصبحت هى فى ضعفنا وهشاشتنا. هل كنا نحتاج إلى إدارة حوار حول الحضارات لنثبت للعالم أننا أحق بالسيادة وأجدر بالاحترام وأننا نملك بحق مقومات السيادة والقيادة والتفضيل على العالمين؟ أم أن العالم لن يحتاج منا إلى كلام لأن سيستغنى عن كل هذا بما يراه من سلوكنا وبما يلمسه من أخلاقنا، وما يظهر له من إنصافنا وصدقنا وبذلنا من أنفسنا ليسعد الآخرون.

غالب الظن أن هذا هو ما كان سيحدث.. وهذا يعنى أن حاجتنا ليست إلى منهج كامل وتشريع حكيم. فهذا أمر كفيناه بمنهج الإسلام وشريعته السمحة. وإنما حاجتنا إلى من يحمل هذا المنهج، ويحسن التقدم به إلى الناس مع امتلاكه لأسباب القوة وقدرته على إقناع العالم بضرورته وجدواه. حتى يرى العالم كله كيف تكون العقيدة إذا صارت عملا وكيف يعظم العمل عندما يصدر عن عقيدة إننى أتابع أخبار العالم فى حالة من الدهشة والاستغراب. وأنا أرى معيار العقيدة وحده هو الذى يحقق التفوق ويحوز التقدم والاحترام. وأرى الجبن والضعف والخور صفات يؤدى بأصحابها إلى المذلة والانكسار.

كوريا

رأيت كوريا تقول لأمريكا: لا. وتتبع قولها بتهديد عملى فوجدت أمريكا تعود للمداهنة الرخيصة وتعلن استبعاد الخيار العسكرى. وتتسول وسطا من ثعالب الغرب ليقنعوا كوريا بأن تخلع درعها. وتقلم أظافرها، وتلقى سلاحها وتسلم رقبتها للذابح الكفور وارتفعت كوريا فى نظر نفسها وعظمت فى نظر أبنائها وزاد قدرها فى نظر المنصفين المقهورين من سكان الأرض، وزادت هيبتها فى أعين المجرمين المتألهين.

العراق

وتركت هذا المشهد بعظمته وروعته لأتابع مشهداً آخر هو على الضد من هذا المشهد وهو مشهد العراق ورأيت كيف تكون عاقبة الرجل الذى عبد نفسه وقهر شعبه وأذل أمته، فلم يجد من يتحصن به عند تحرش الذئاب، فالرجل لا يملك إيمانا بربه يحجزه عن الظلم والفساد، ويتقوى به على مواجهة من أسماهم بالعلوج الأوغاد، ولا هو أحسن ما بينه وبين رعيته فأحسن رعايتهم وأمن خوفهم وأظلهم بعدله واجتهد فى إسعادهم ليتقوى بهم وكيف يفعل ذلك من خلا قلبه من نور الله؟ فلم يستشعر هيبته ولا ذاق خشيته ولا استشعر لحظة العرض على مولاه فأخذ يسلم البلاد، ويخرب عمارها ويدمر سلاحها بيده، ولم يترك وسيلة من وسائل الركوع والذلة إلا مارسها، لكن ذلك كله لم يشبع نهم الحاقد الكفور. فلفق له تهمة حيازة أسلحة الدمار الشامل، وهو يعلم تماما العلم كذب هذه الفرية وغرابة هذا الاتهام، ولكنه منطق الذئاب والوحوش فبعد أن دمر الرجل شعبه وقام بنفسه فيدمر سلاحه، واجتهد فى إظهار الذل والانكسار، لم يبق إلا أن يؤكل لحمه ويسحق عظمه وها هى العراق تسحق سحقا بسبب الفراغ الذى أحدثه هذا المتأله الذليل، عندما اختصر الأمة كلها فى شخصه، فلما سقط سقطت الأمة.

وأترك هذا المشهد المؤلم، بعد أن أخذت منه الدرس العظيم، وهو قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(هود: ١١٧)

والحديث الشريف الذى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى موسى - رضى الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». قال ثم قرأ:

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

(هود: ١٠٢)

إيران

وأقف فى انبهار وإعجاب أمام مشهد من أعظم مشاهد البطولة والروعة إنه مشهد المحور الثالث من محاور الشر. بعد كوريا والعراق. هو «إيران»، وأشعر بمدى الحرج الذى يعانيه «البرادعى» كمسئول للوكالة الدولية التى أصبحت أمريكية، بعد أن أصبحت أمريكا تحكم العالم بأمرها دون انتظار إذن من أحد ودون خشية من أية جهة فى الأرض وبعد أن انفردت باتخاذ القرار فى مصير الأرض دون معقب أو رقيب وقديما قالوا «من أمن العقاب أساء الأدب»، ولم يعد يردع أمريكا عن اتخاذ قرارها إلا الخوف من الهزيمة وعدم القدرة على حسم الجولة وشعورها بأن خصمها يدرك حقيقتها وأنها أسد من ورق. ومن صمد أمام تهديدها لا يلبث أن يرى الحقيقة كاملة عندما يستمع إلى التراجع الفاضح فى التهديدات،

وعندما يرى جنوء الأسد الورقى إلى ثعالب فرنسا وبريطانيا وألمانيا ليحققوا له عن طريق البرادعى ما يريد، ولا تفلح الجوائز العالمية التى تغدق على عراف الوكالة الدولية وكهانها أمام الشمم الإيرانى الإسلامى المشرف وأمام اليقين المنبعث من قول ربنا سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون: ٨)

وتظل أمريكا بوجهها القبيح ماديا ومعنويا تبحث عن وسيلة تحقق أغراضها مع إيران لتجردها من سلاحها قبل أن تهجم عليها فتأكل لحمها وتسحق عظمها كما فعلت مع العراق، ولكنها لا تجد وسيلة تجدى مع من استفادوا الدروس، واستكملوا أسباب الحصانة المعنوية بعمق الإيمان بالله وصحة التوكل عليه، واستكملوا الأسباب المادية بالجدية فى إنتاج أقوى الأسلحة، والقيام بإجراء تجارب على أسلحتها البحرية والبرية، بما يوقع الرعب فى قلوب المجرمين، الذين لا يعرفون الآخر إلا ضعيفا مأكولا، أو قويا آكلا. وبينما تصاب أمريكا بالذعر، تجد ربيبتها اللعينة تصاب بالرعب وصدق قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾

(آل عمران: ١٥١)

إننى أسمع الآن فى هذه اللحظة مرشد الثورة الإيرانية على خامئى وهو يقول سنرد على أية ضربة أمريكية الصاع صاعين، وأسمع فى نفس النشرة الإخبارية أن أمريكا أنفقت على حرب العراق ما يعادل ميزانية وزارة الصحة والتعليم والداخلية مجتمعة، وأنه بلغ مقدار ما أنفقته على الحرب فى العراق ٣٢٠ مليار دولار وهذه الأرقام تذكرنى بقول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

(الأنفال: ٣٦)

حماس

وأترك هذه المشاهد الثلاثة وما فيها من دروس وعبر لأقف أمام مشهد أعظم من هؤلاء جميعا، إنه مشهد العقيدة التى تستمد قوتها من جبار السماوات والأرض إنه مشهد رجال حماس وهم يشقون طريق عزتهم فى إباء واعتزاز وشمم وأرى تلك العظمة وهم يعزفون لحن الحب والسلام، ويغزلون ثوب التضحية والفداء ليخففوا عن أبناء شعبهم مرارة الحصار واليتم والجوع لقد جاعوا ليشبع الناس وتعبوا ليستريح الشعب وشقوا ليسعد الآخرون، وبرهنوا على حبهم لهذا الوطن بكل ما ملكته أيديهم، فأعطاهم الشعب ثقته ووده ومنحهم ولاءه وحبه.

إننى أشعر أن إيران تتحرك بقوة الملايين من أفرادها وليس بقوة ابنها البطل محمود أحمدى نجاد وحده، ولا بولائها لابنها على خامئى وحده وإنما تتحرك بعقيدة مشتركة وقضية واحدة، وإيمان بعظمة ما تتحرك به وقداسة ما تهدف إليه، وهذا ما لا يتوافر لأمريكا ولا لأية أمة على وجه الأرض، ولهذا فأنا واثق من انتصار إرادة الشعوب عندما تستمد من إرادة الله، ومن نجاح المقاصد عندما تكون غايتها الله ومن أجل هذا أيضا فأنا لا أخشى على حماس من اجتماع أمم الكفر كلها عليها ولا من مؤامرات العملاء فى الداخل والخارج، فإن ذلك كله لا يضرها إذا سلمت من انقسام الصفوف وتسرب الوهن، وانقطاع أيديهم عن التمسك بحبل الله لأننى على يقين من قول ربى سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

وقوله سبحانه:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر: ٥١)

ومن وعده القاطع بقوله:

﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات: ١٧٣)

حزب الله

فهل تستطيع أن تضم إلى تلك الدروس درس العقيدة لدى أبناء «حزب الله» فى جنوب لبنان وكيف أذاقوا اليهود أوجع الضربات وألجأوهم إلى الفرار فى ذعر ورعب، دون مفاوضات ولا معاهدات ولا توسلات من كهان مجلس الأمن القابعين لتبرير الإجرام الصهيونى عند الاحتياج.

إن الحقيقة التى لم تعد تخفى على أحد تؤكد أن إرادة الشعوب من إرادة الله وأن كل عمل لا ينطلق من عقيدة فهو عمل ضائع لا تقوى به أمة ولا يعود به حق ولا يحترم فى عالم القراصنة واللصوص.

إن أمة الإسلام قادرة بما تحمل من وحدة التصور ووضوح العقيدة، وقوة اليقين، وصدق الولاء للخالق سبحانه بأن تسود الأرض وتهدد طغيان الكافرين فى شمم وعزة وإباء منطلقين من قوله سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون: ٨)

فى ندوة العدوان على لبنان والشرعية الدولية

العلماء يستنكرون العدوان الإسـرائيلى على الشعب اللبنانى الشقيق

تابع الندوة وأعدها للنشر الأستاذ/
عاطف مصطفى

يمر العالم الإسلامي وتمر المجتمعات الإسلامية والأمة العربية بفترة هي أحلك فترات تاريخها، وليست هذه هي السابقة الأولى في التاريخ التي تنفرد فيها الدولة العبرية بضرب دولة عربية مسالمة، وإحداث مجازر دموية، وهدم البنية التحتية لمدنها، وقتل أطفالها ونسائها وشيوخها، دون أدنى ذرة من ضمير، ودون تقيد بالمواثيق والقوانين الدولية أو بالأعراف الأخلاقية، أو بالشرائع الدينية، وهذه الدولة العبرية الصهيونية المغتصبة لأرض فلسطين، هي الدولة الوحيدة في العالم التي تقوم على أساس ديني مزيف، حتى إنهم بدّلوا كتاب الله المقدس الذى نزل على موسى - عليه السلام - وابتدعوا كتاباً زعموا أنه مقدس، وهو «التلمود»، وهذا الكتاب يبيح لهم القتل والنهب والسلب فضلاً عن التنكيل بكل ما هو ليس يهوديا، حتى إن رجال الدين وحاخامات اليهود الحاليين يباركون ما يقوم به جيش إسرائيل المعتدى من مذابح وفظائع وهدم للمدن، وقتل للمدنيين في لبنان، على اعتبار أن قتل الأطفال غير اليهود وهو ما يحدث يومياً فى لبنان، هو قربى إلى الله، لأن هؤلاء الأطفال أولاً ليسوا يهوداً، وبالتالى فهم ليسوا آدميين حسب الشريعة اليهودية المزيفة.. وثانيا لأن هؤلاء الأطفال الأغيار (الجوييم) سوف يشبون ويصبحون شباباً يحارب إسرائيل على حد زعمهم.

لماذا العدوان وأين الشرعية الدولية؟!

من أجل هذا عقدت رابطة الجامعات الإسلامية ندوة بعنوان «العدوان على لبنان والشرعية الدولية».. شارك فيها صفوة متميزة من المتخصصين في مجال القانون والاقتصاد والاجتماع والسياسة والصحافة والبيئة، إلى جانب العلوم الشرعية.

وشارك فى الندوة مسلمون ومسيحيون، كما شارك فيها أيضاً مجموعة كبيرة من أساتذة الجامعات.

والهدف الرئيسى منها هو بحث الجوانب القانونية والشرعية، والآثار الاجتماعية والسياسية والبيئية لما ترتكبه إسرائيل من مذابح يندى لها جبين الإنسانية فى لبنان، وللوصول إلى اقتراحات عملية، يمكن للمثقفين والمشتغلين بالعلوم الاجتماعية المختلفة، وفى مقدمتها القانون والاقتصاد.. إلخ. أن يعملوا لنصرة المقاومة الباسلة التى رفعت رأس لبنان والعرب والمسلمين عالياً، لصمودها وإصرارها على الاستشهاد فى سبيل الله، وفى سبيل الوطن والأرض، وفى سبيل العزة والكرامة، وفى سبيل تحقيق النصر، فليس من المهم هذه المجازر، وهذه الكوارث التى أحدثها الجيش الإسرائيلى فى لبنان الشقيق، ولكن المهم أن الجيش الإسرائيلى بهذا العتاد، وهذه الآلة العسكرية - التى هى الأحدث فى العالم - لم تستطع كسر إرادة الحياة، وإرادة المقاومة، وإرادة العزة وإرادة الكرامة عند أهلنا فى لبنان.

عدوان على الأمة العربية والإسلامية

وقد بدأت الندوة بجلسة افتتاحية تحدث فيها الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، حيث أكد على عدة نقاط أساسية من بينها: اعتبار العدوان الصهيونى على لبنان وفلسطين عدواناً على الأمة العربية والإسلامية، لأنه عدوان على القيم والموروثات وأماكن العبادة مسيحية وإسلامية، وإزهاق لأرواح بريئة، وتدمير مدبر للبنية التحتية لهذا البلد الآمن، وإزهاق لأرواح الأطفال والنساء والشيوخ بغير سند من القانون الدولى.. وإن ما يجرى فى لبنان من اجتياح إسرائيلى لدولة عربية، وارتكاب مذابح وتشريد مئات الألوف بل لما يقرب من المليون، كل ذلك بدعوى التخلص من «حزب الله» والقضاء على قواعده بشكل نهائى، وكذلك تحرير اثنين فقط من الجنود الإسرائيليين الذين أسرهم حزب الله.

وقال: لقد أكملت إسرائيل جرائمها بارتكاب مذبحة «قانا الثانية» والتى راح ضحيتها ما يقرب من الستين شخصاً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ فضلاً عن عشرات من المصابين، والذين ظلوا تحت أنقاض قنابل العدو الذكية «الأمريكية» والعنقودية.

وأشار د. جعفر عبدالسلام بأن أمريكا تساند إسرائيل فى كافة أعمالها، وتعتبرها دائماً فى إطار دفاع شرعى عن النفس، وتحول الدولة العظمى دون أى قرار يصدر من مجلس الأمن، أو من مؤتمر روما والذى عقد فى إطار هذه الأحداث، ليس لإدانة إسرائيل، ولكن لمجرد وقف إطلاق النار، ومنع أعمال العنف والمذابح الجماعية، والذى تم بشكل لم يسبق له مثيل فى هذه الدولة، أو فى أى دولة أخرى فى العقود الأخيرة.

وقال: لقد رأينا رغم هذه المواقف والأحداث مقولات تبشر بـ«شرق أوسط جديد» يسوده الأمن والسلم، ويخلو من أى جماعات تمارس العنف، ولو كانت هذه الممارسة تتم فى إطار الدفاع الشرعى، والكفاح لتحرير الأراضى المحتلة.

وأصبح الحديث عن المجتمع الدولى والرأى العام الدولى والقانون الدولى، من قبيل تبرير المواقف، أو حشد الحجج وراء الأفعال، رغم التقدم الكبير الذى تم فى السنوات الماضية، مما أنتج نظاماً جديداً للعقاب على جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، وكذلك إنشاء محكمة جنائية دولية - المفروض أنها تحاكم مجرمى الحرب - ومن يقترفون جرائم ضد الإنسانية، وضد سلم وأمن المجتمع الدولى.

وأوضح د. جعفر بأنه اقتناعاً بالدور الكبير الذى يمكن أن تقوم به المؤسسات الدينية وعلى رأسها الأزهر الشريف، الذى عبر شيخه فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى عن الاستنكار الشديد لهذه الأحداث، والرفض الكامل للعدوان على الأشخاص والأموال الذى تقوم به إسرائيل وكل من يعاونها ولذا فإن جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية تعقدان هذه الندوة لبيان أحكام الشرعية الدولية والدينية فيما يجرى من أحداث، ولتأكيد الرفض لما يحدث. ولبحث ضرورة السعى لإقامة دعوى ضد مرتكبى الجرائم التى تمت، وللبحث فى مختلف التدابير التى يجب أن تتخذ لمواجهة هذه الأحداث الدامية.

د. محمد سيد طنطاوى

الشرعية فى ضوء أحكام الشريعة الإسلامية

ومن أهم أهداف الندوة، توضيح الأبعاد المختلفة، والآثار المتعددة لأحداث العنف والقتل والتشريد، وهدم البنية التحتية فى لبنان الشقيق، دون سند من المشروعية القانونية.

كذلك تحليل الدعاوى المثارة بشأن «شرق أوسط جديد» من قبل القوى الدولية المختلفة، هذا إلى جانب بحث الشرعية القانونية لما يحدث على أرض لبنان وفلسطين، فى ضوء أحكام الشريعة الإسلامية.. ميثاق الأمم المتحدة.. اتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩ وملحقاتها.

كذلك فإن هذه الندوة تستهدف بحث الوسائل التى يجب أن تتخذ للدفاع عن الشرعية الدينية والدولية، التى تحكم النظام الدولى المعاصر وأخيراً فإنها تلقى الضوء على دور الجامعات والمجتمع المدنى فى الدول العربية والإسلامية، فى مقاومة هذا العدوان الصهيونى الأمريكى على شعب عربى شقيق.

● وقد تحدث فى الجلسة الافتتاحية الأستاذ الدكتور محمد عبدالحليم عمر مدير مركز صالح كامل وهو المكان الذى استضاف الندوة، عن الآثار الاقتصادية المروعة للعدوان الصهيونى الغاشم على لبنان كذلك تحدث فى هذه الجلسة، شخصية لبنانية لها وزنها، وهو الأستاذ يحيى الكعكى مدير مكتب سماحة مفتى لبنان، حيث عرض مجموعة من الحقائق المروعة التى لم تظهر من خلال التغطية التليفزيونية والإعلامية لهذه الحرب المروعة على لبنان.

وقد تضمنت الندوة خمس جلسات، عالجت الجلسة الأولى فيها الانتهاكات الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، وتحليل سياسى له عرضه الأستاذ الدكتور حسين محمود، وموقف المجتمع الدولى من الانتهاكات الإسرائيلية، وعرضه الأستاذ الدكتور أحمد يوسف القرعى، ومعالم الشرق الأوسط الجديد بعد الأحداث وقد عرضه الأستاذ الدكتور حسن أبو طالب.. وموقف الأمم المتحدة ومجلس الأمن من مشكلة العدوان الإسرائيلى على لبنان وعرضه الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام.

قتل وتشريد ودمار

● أما الجلسة الثانية فقد تم تخصيصها لتدارس الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية للعدوان الإسرائيلى على لبنان، حيث عرض الأستاذ الدكتور حسن عمر للآثار السياسية وعرض الأستاذ الدكتور أحمد العتيق للآثار البيئية وعرض الأستاذ الدكتور نبيل السمالوطى للآثار الاجتماعية حيث قال: أما الآثار الاجتماعية على هذه الحرب الشرسة من قبل إسرائيل ضد اللبنانيين ولبنان هذا البلد الآمن، فتمثل نذيراً شاملاً للبنية النفسية والاجتماعية والأمنية والمادية للمجتمع اللبنانى، فيكفى أن نعرف أنه بعد قرابة الشهر من بداية المعركة تم قتل ١٢٠٠ لبنانى معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ وهم كما نعلم غير مقاتلين، وتم جرح أكثر من ٤٠٠٠ إنسان لبنانى، هم الآن من المشوهين والمعوقين، وتم تشريد أكثر من مليون ومائتى ألف يمثلون حوالى ربع الشعب اللبنانى.

وفى واحدة من المذابح وهى مذبحة «قانا٢» لأن المذابح متعددة فى هذه الحرب الشرسة، وفى مبنى واحد، قتل ٥٧ فرداً من أسرتين هما: أسرة شلهوب وأسرة هاشم من مجموع ٦٣ فرداً هم كل أفراد الأسرتين ومن المخزى

للجيش الإسرائيلي، أن منهم ٣٧ طفلا..
وهاتان الأسرتان مسالمتان، ولا علاقة لهما على الإطلاق لا بحزب الله ولا بالمقاومة اللبنانية، ولا بأى عمل عسكرى، كذلك فقد تفككت وانهارت الأسر بموت الأب أو تعطله عن العمل بسبب الحرب، أو بسبب الإعاقة الناجمة عن ضرب الطائرات بالقنابل لقرى الجنوب ولوسط لبنان، أو بسبب الإعاقة الناجمة عن الحرب!

هذا وقد ترملت النساء، وتحولن إلى لاجئات مهاجرات في دور أو مدارس للإيواء، وتحول مئات الأطفال في لبنان إلى يتامى بفقد العائل، وانهارت آلاف المنازل، وأصبح سكانها بلا مأوى، بعد أن سوتها القنابل بالأرض تماماً!

وعن الأمراض النفسية يقول د. نبيل السمالوطي: أما عن الأمراض النفسية فحدث ولا حرج فضلاً عن الصدمات العصبية التي أصابت الأطفال والشباب والنساء وكبار السن. كذلك فإن من الآثار المدمرة لهذا العدوان السافر، ضرب المصادر الأساسية للدخل في لبنان من مصانع ومزارع فضلا عن السياحة التي كانت تدر على لبنان ٦ مليارات دولار سنوياً. فضلاً عن تزايد أعداد المعوقين وزيادة الأمراض ومختلف أنواع التشويه، بسبب استخدام جميع الأسلحة المحرمة دولياً ومن بينها القنابل الذكية التي أمدتهم بها الولايات المتحدة الأمريكية للعدوان على شعب مسالم أعزل من السلاح!

● أما الجلسة الثالثة فقد تم تخصيصها للتكييف القانوني للأحداث الجارية في لبنان حيث تحدث د. حازم عتلم عن مخالفة إسرائيل لاتفاقيات جنيف والقانون الدولي الإنساني، كما تحدث د. إبراهيم العناني عن مخالفة أحكام المحكمة الجنائية الدولية، وتحدث د. محمد الصافي عن ممارسة دعوى المسئولية أمام المحكمة، كما تحدث أيضاً الدكتور محيي الدين عشماوى عن حقوق المقاومة اللبنانية على ضوء أحكام القانون الدولي والشريعة الإسلامية.

● وفي الجلسة الرابعة تحدث الأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوى الأستاذ غير المتفرغ بجامعة الأزهر عن مشروعية المقاومة الإسلامية للاحتلال الصهيوني في فلسطين ولبنان.. حيث أشار في البداية إلى أن الاحتلال الصهيوني عدوان على المقدسات وعلى النفس، وعلى الأرض والعرض والمال، وهو يريد استئصال العرب والمسلمين من ديارهم بقوة السلاح تخريباً وتدميراً وترويعاً للآمنين، ومن ثم كانت مقاومة هذا الاحتلال واجبة على كل فرد في الأمة، دفاعاً عن الحق، ورداً للعدوان وتمكيناً لدين الله في الأرض، وصوناً للمقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله.

وتناولت الورقة آراء الفقهاء الأقدمين والمحدثين في موقف الشريعة الإسلامية من العدوان على أى بلد إسلامى عامة، وعلى فلسطين ولبنان خاصة.

نداء علماء الأزهر عام ١٩٤٧

ومن بين أهم الفتاوى التى صدرت فى الأحداث التى جرت منذ نشأة إسرائيل واحتلالها أرض فلسطين وتدنيس المقدسات الإسلامية، نداء الأزهر إلى أبناء العروبة والإسلام.. نداء علماء الأزهر عام ١٩٤٧.

يا أبناء العروبة والإسلام، خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد، قد خروا أمام الظلم ساجدين، أو قبلوا الذل صاغرين.

إن الخطب جلل، وإن هذا ليوم الفصل وما هو بالهزل، فليبذل كل عربى وكل مسلم فى أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه دماً له، وما يرد عن الحمى كيد الكائدين، وعدوان المعتدين. سدوا عليهم السبل، واقعدوا لهم كل مرصد وقاطعوهم فى تجارتهم ومعاملاتهم، وأعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم، واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه وماله، وإن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم.

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم الله أنفسكم، فها هو ذا وقت البذل والتسليم، وأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، وليشهد العالم غضبكم للكرامة وزودكم عن الحق، ولتكن غضبتكم هذه على أعداء الحق وأعدائكم، ولا على المحتمين بكم ممن لهم حق المواطنة عليكم وحق الاحتماء بكل ما حذروا أن تعتدوا على أحد منهم، إن الله لا يحب المعتدين، ولتتجاوب الأصداء فى كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة على المؤمنين «الجهاد».. الجهاد، والله معكم.

محمد حسانين مخلوف

ليست هذه الفتوى التى أصدرها الأزهر الشريف هى الوحيدة، ولكن فى يناير ١٩٥٦ أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف برئاسة الشيخ حسنين مخلوف فتواها بشأن الموقف الإسلامى من إنشاء ما يسمى بدولة إسرائيل ومن الدول الاستعمارية التى تساندها وفى ٢٥ من جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ الموافق ٨ من يناير عام ١٩٥٦ أصدر فضيلة الشيخ حسن مأمون مفتى الديار المصرية وشيخ الأزهر فتواه الخاصة بما يحدث فى فلسطين بسبب الاحتلال الإسرائيلى.

● فى الجلسة التالية تحدث الأستاذ الدكتور محمود داود والدكتور مصطفى سالم والدكتور حسن موسى عن واجبات المجتمع الدولى ومنظمات المجتمع بشكل عام والدول العربية والإسلامية تجاه العدوان الصهيونى على لبنان.



بيان رابطة الجامعات الإسلامية

وفى الجلسة الخامسة وهى الجلسة الختامية للندوة تم عرض بيان رابطة الجامعات الإسلامية الصادر عن الندوة.

هذا نصه:

إن رابطة الجامعات التى تضم فى عضويتها مائة جامعة إسلامية، وباعتبارها منظمة دولية تعبر عن آراء الجامعات الإسلامية الأعضاء، التى تمثل منارات فكرية تتفاعل مع قضايا الأمة الإسلامية بالفكر والبحث العلمى والرؤية الموضوعية.

وبمناقشة قانونية وموضوعية وعقلانية من السادة أساتذة الجامعات وعلمائها ومفكريها الذين لهم مكانة علمية عالية مرموقة.. أصدرت رابطة الجامعات الإسلامية هذا البيان:

● **أولاً**: اعتبار العدوان الصهيونى على لبنان وفلسطين عدوانا على الأمة العربية والإسلامية، لأنه عدوان على القيم والموروثات وأماكن العبادة مسيحية وإسلامية، وإزهاق لأرواح بريئة، وتدمير مدبر، وسفك دماء الأطفال والنساء والشيوخ بغير سند من القانون الدولى أو الشرائع السماوية السمحة، ومن ثم يستوجب هذا العدوان إدانته من كل دول العالم وشعوبها، وهو ما ظهر جلياً فى مظاهرات الاستنكار والرفض فى كثير من دول العالم وأنصار الحق والعدل والسلام.

● **ثانياً**: إن موقف الولايات المتحدة السافر والمؤيد للعدوان الإسرائيلى، والداعم له بكل صور الدعم المادى والمعنوى، ومنع مجلس الأمن وإعاقته عن مباشرة صلاحياته فى وقف القتال بما يعد نكوصاً عن أداء مهمته الأساسية فى حفظ السلم والأمن الدوليين. إن هذا الموقف من الولايات المتحدة لا يعتبر فقط دعماً للعدوان، بل يرقى إلى مستوى المشاركة الفعلية فى التخطيط والتنفيذ، وهو ما ترفضه الشعوب العربية والإسلامية، لتعارضه مع العدل والإنصاف، وخروجه على مبادىء الشرعية الدولية.

● **ثالثاً**: إن هذا العدوان الصهيونى الأمريكى على الأمة الإسلامية قد كشف عن محاولات استعمارية جديدة فى ظل نظام العولمة، تستند إلى مفاهيم مغلوطة يراد تمريرها لتحقيق أهداف غير مشروعة، واتخاذها ذرائع لتبرير استمرار الاحتلال الصهيونى للمناطق العربية فى فلسطين ولبنان وسوريا، وإعادة السيطرة والهيمنة على مقدرات شعوب المنطقة بما يحقق أهداف أمريكا وإسرائيل، ومن هذه المفاهيم المغلوطة: «الشرق الأوسط الجديد» بدلاً من «المنطقة العربية»، بغرض إدخال دولة أخرى كإسرائيل وغيرها بما يؤثر على صلابة وتماسك ووحدة المنطقة العربية، وإطلاق مصطلح «الإرهاب» على كل حركة مقاومة مشروعة تستند إلى حقوق قانونية تؤكدها

المواثيق الدولية وحقوق الإنسان، والتعبير (بخطف) جنود إسرائيليين بدلاً من «أسر» باعتبارهم جنوداً إسرائيليين يوجدون داخل أراض عربية فى فلسطين ومزارع شبعا.

ومن ثم تدعو هذه الندوة أجهزة الإعلام العربية إلى عدم الانسياق وراء هذه المفاهيم المغلوطة، والتمسك بتثبيت المفاهيم الصحيحة فى الذهن العربى والإسلامى. فحركتا حماس وحزب الله وغيرها حركات للمقاومة الوطنية الشريفة، تعمل على تحرير الأراضى العربية فى فلسطين ولبنان من الاحتلال الإسرائيلى، ومن ثم تستحق الدعم والتأييد من كل الشعوب العربية والإسلامية وكل أنصار الحق ودعاة السلام فى العالم.

● **رابعاً**: تدعو الندوة إلى إعادة النظر فى الواقع العربى والإسلامى، مما يتطلب من علماء الجامعات أداء دورهم المأمول فى استنفار الطاقات الهائلة للأمة، البشرية والمادية، وثرواتها الطبيعية، ووضع البرامج العلمية والخطط التى تحقق التكامل بين عناصر القوى فى أمتنا الإسلامية، وتوظيفها فى منظومة تكاملية تعزز ثقة الشعوب العربية فى قدراتها وإمكاناتها، للوقوف فى مواجهة الخطط والبرامج الأجنبية التى تستهدف التسلط والسيطرة على أمتنا الإسلامية. وفى هذا الصدد فإن رابطة الجامعات الإسلامية قد سبقت إلى تكريس جهود علمائها لوضع الأسس العلمية للتحديات الحضارية التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن الحادى والعشرين، وأصدرت بذلك مراجع قيمة يمكن الاستفادة منها.

● **خامساً**: مطالبة الشعوب الإسلامية باتخاذ مواقف عملية لدعم حركات المقاومة بما فيها «حماس، وحزب الله»، وإعلان ذلك صراحة فى مواجهة إعلان الولايات المتحدة الأمريكية بدعم العدوان الصهيونى، وتزويده بالقنابل الذكية والأسلحة الفتاكة لقتل الأبرياء. ومن سبل المقاطعة الشعبية: مقاطعة البضائع والمصالح الإسرائيلية والأمريكية، وإحياء مكتب المقاطعة العربية الكائن بدمشق، ودعمه ومنحه كافة الصلاحيات التى تكفل له مقاطعة كافة الشركات التى تتعامل مع إسرائيل.

● **سادساً**: مطالبة الإعلام العربى بكل أشكاله الرسمية والمستقلة بإبراز الصورة الهمجية والوحشية للعدوان الإسرائيلى المدعوم أمريكياً، وفضح ذرائعه ومبرراته الواهية، وتشجيع ورفع الروح المعنوية للمقاومة، وعدم الانسياق وراء المغالطات والمفاهيم المغلوطة التى يرددها الإعلام الغربى والصهيونى لتكوين رأى عام عالمى صحيح يتفق مع الشرعية الدولية وحقوق الإنسان والمواثيق الدولية، والتأكيد على المخالفات القانونية التى ترتكبها إسرائيل فى الأراضى المحتلة تحت سمع وبصر العالم، كذلك ما ترتكبه ضد الهيئات الدولية العاملة فى الأراضى المحتلة لتقديم العون

الإنساني.

● **سابعاً**: تدعو الرابطة إلى تكوين مجموعات من أساتذة القانون الدولي والمحامين الدوليين تتولى ممارسة دعاوى الحقوق القانونية لدى المحاكم الدولية والإقليمية ضد الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة. وفي هذا الصدد تطالب الرابطة منظمات الإغاثة ومؤسسات الإنقاذ والدفاع المدني في الأراضي المحتلة وجامعة الدول العربية بتوثيق وتسجيل الاعتداءات الإسرائيلية، لتكون تحت نظر هذه المجموعات القانونية.

● **ثامناً**: تناشد الرابطة الدول العربية والإسلامية بالنظر في الانسحاب المؤقت من الأمم المتحدة – ولو لفترة زمنية – احتجاجاً على المؤامرات التي تحاك ضدها من قبل الدول الكبرى، وتقاعس الأمم المتحدة وعلى رأسها مجلس الأمن عن القيام بدورها الطبيعي في حفظ السلام والأمن الدوليين، بل واتخاذ هاتين المنظمتين العالميتين أداة لتنفيذ المخططات الصهيونية والأمريكية ضد دول المنطقة العربية.

● **تاسعاً**: تناشد الندوة جامعة الدول العربية أن تقوم بنفسها، وبالتنسيق بين منظمة المؤتمر الإسلامي والدول العربية والإسلامية، وكذا الدول الصديقة في العالم، لتقديم كافة المساعدات الكفيلة بإعادة الإعمار للقطر الشقيق لبنان، وتكوين مجموعات من النقابات المهنية للقيام بهذه المهمة بالتعاون مع الجامعات في الدول العربية والإسلامية.

● **عاشراً**: تدعو الندوة وزراء الإعلام العرب لاجتماع عاجل، لوضع خطة إعلامية عالمية لكشف الممارسات الصهيونية في الأراضي المحتلة، من خلال وقائع هذه الحرب على فلسطين ولبنان، والتي تظهر القسوة والعنف والصلف الذي تمارسه القوات الإسرائيلية، خاصة مذبحة قانا الثانية، وتعمد قتل الأطفال وقتل العاملين بالأمم المتحدة والجهات الإغاثية المختلفة، وبث هذه الصور في كافة وسائل الإعلام، ودعوة بعضها للإطلاع على آثار الدمار الشامل واستعمال الأسلحة المحظورة دولياً بتشجيع من الولايات المتحدة نفسها وبدعم منها، وذلك لفضح صورة العدوان للرأي العام العالمي، الذي يجري تضليله حالياً تحت مزاعم مغلوطة عن حق إسرائيل في الدفاع عن النفس، وتحرير لبنان.

● **حادي عشر**: ضرورة إطلاع مثقفي الغرب، ومؤسسات المجتمع المدني في الغرب، بل ورجل الشارع في الغرب والشرق من خلال استخدام البريد الالكتروني «E-mail»، حيث يجب على العلماء والمثقفين وقادة المنظمات غير الحكومية إرسال حقائق العدوان الإسرائيلي الإجرامي البشع على لبنان مدعماً بالصور.

● **ثاني عشر**: عقد مؤتمرات حول عدوان إسرائيل في الغرب، بالتعاون مع الجامعات

هناك ومع المراكز الإسلامية ومنظمات حقوق الإنسان، على أن تعرض في هذه المؤتمرات أفلام واقعية تعكس ما اقترفته إسرائيل من آثام (المقاومة بالكلمة).

● **ثالث عشر**: تدعو الندوة الدول العربية والإسلامية أن تتخذ التدابير المناسبة ضد المصالح الإسرائيلية في المنطقة في النواحي التالية:

١- إعادة النظر في إمدادها بوسائل الطاقة، كالغاز والبترول، وهي السلع الاستراتيجية ذات الفعالية المتميزة في الصراع.

٢- إعادة النظر في الاتفاقيات المبرمة بين بعض الدول العربية والكيان الصهيوني، خاصة اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩م، واتفاقية السلام مع الأردن، واتفاقيات الكويز، والاتفاقيات ذات الطابع التطبيعي بين مصر وإسرائيل.

● **رابع عشر**: وإذ تدعو الندوة إلى تأييد الشعب اللبناني في موقفه الثابت من الهجمة العدوانية الإسرائيلية الشرسة بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، تطالب الندوة الدول العربية بألا تعتبر هذا العدوان موجهاً ضد لبنان أو فلسطين وحدهما، وإنما هو عدوان مبيت يستهدف المنطقة العربية كلها، وإخضاعها للهيمنة والسيطرة الأمريكية والإسرائيلية، وهو ما تجلى في الربط بين العدوان وإعادة ترتيب المنطقة وإطلاق شعار «الشرق الأوسط الجديد». ومن ثم يجب الوقوف العربي والإسلامي الجماعي ضد هذا العدوان بالنظر إلى أبعاده ومقاصده الآنية والقادمة.

● **خامس عشر**: تؤكد الندوة أن هذه الهجمة العدوانية الشرسة لابد أن تستنفر في الأمة الإسلامية والعربية طاقاتها النضالية، وأن تستشعر خطورة الأهداف التي ترمي إليها القوى الاستعمارية الجديدة، من تحقيقها حاضراً ومستقبلاً، ومن ثم ضرورة الدعوة إلى التوعية الشاملة بالأخطار التي تحدق بالأمة في حاضرها ومستقبلها، والتبصير بالأطماع السافرة والمستترة، وعدم الركون إلى ثقافة السلام وحدها، لأن أعداء الأمة هم في الحقيقة أعداء السلام.

● **سادس عشر**: وتؤكد الرابطة أنها بحكم طبيعتها العلمية واتصالها الوثيق بعلماء الأمة ومفكريها في شتى المجالات، أنها ستكون بمثابة بيت خبرة لهذه الأمة الإسلامية، تمدها – دولاً وشعوباً – بكل البحوث والدراسات والاستشارات القانونية إقليمياً ودولياً. وتؤكد الندوة أن الأمة الإسلامية التي واجهت من قبل جحافل المغول والتتار وانتصرت عليهم ودحرتهم، لهي قادرة – بعون الله وبفضل إيمانها المطلق بالعدل والحق والسلام – أن تنتصر وأن تقوى على مواجهة كل الأخطار.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[الحج: ٤٠]

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

مقاطعة ضد أمريكا وإسرائيل

فى الأهرام العربى أجرى الأستاذ / حسن على دبا حواراً مع الداعية الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى كان مما جاء فيه:

● ما حكم مقاطعة البضائع والسلع الأمريكية والإسرائيلية وخاصة فى هذا الوقت العصيب الذى تمر به أمتنا؟

مما ثبت بالكتاب والسُّنة وإجماع الأمة: أن الجهاد لتحرير أرض الإسلام ممن يغزوها ويحتلها من أعداء الإسلام واجب محتم وفريضة مقدسة، على أهل البلاد المغزوة أولاً، ثم على المسلمين من حولهم إذا عجزوا عن مقاومتهم حتى يشمل المسلمين كافة. فكيف إذا كانت هذه الأرض الإسلامية المغزوة هى القبلة الأولى للمسلمين، وأرض الإسراء والمعراج، وبلد المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله؟ وكيف إذا كان غزاتها هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا؟ وكيف إذا كانت تساندها أقوى دول الأرض، وهى الولايات المتحدة الأمريكية، كما يساندها اليهود فى أنحاء العالم؟

إن الجهاد اليوم لهؤلاء الذين اغتصبوا أرضنا المقدسة، وشردوا أهلها من ديارهم، وسفكوا الدماء، وانتهكوا الحرمات، ودمروا البيوت، وأحرقوا المزارع، وعاثوا فى الأرض فساداً أصبح لازماً.

● هل يصبح الجهاد إذن فريضة على الأمة؟

هذا الجهاد هو فريضة الفرائض، وأول الواجبات على الأمة المسلمة فى المشرق والمغرب، فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهم أمة واحدة، جمعتهم وحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة القبلة، ووحدة الآلام والآمال كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾

[الأنبياء: ٩٢]

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾

[الحجرات: ١٠]

وفى الحديث الشريف: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله»، وهانحن نرى اليوم إخواننا وأبناءنا فى القدس الشريف، وفى أرض فلسطين المباركة، يبذلون الدماء بسخاء ويقدمون الأرواح بأنفس طيبة ولا يبالون بما أصابهم فى سبيل الله، فعلينا ـ نحن المسلمين فى كل مكان ـ أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة:

﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾

[الأنفال: ٧٢]

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾

[المائدة: ٢]

● هل هناك من دليل شرعى لعملية المقاطعة التى تدخل فى هذا الجهاد؟

لما أسلم ثمامة بن آثال الحنفى رضى الله عنه، ثم خرج معتمراً، فلما قدم مكة، قالوا: أصبأت يا ثمامة؟ فقال: لا، ولكنى اتبعت خير الدين، دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل. والبضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية فى حرمة شرائها والترويج لها. فأمريكا اليوم هى إسرائيل الثانية. ولولا التأييد المطلق، والانحياز الكامل للكيان الصهيونى الغاصب ما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتعربد ما شاءت بالمال الأمريكى، والسلاح الأمريكى، والفيتو الأمريكى. وأمريكا تفعل ذلك منذ عقود من السنين، ولم نر أى أثر لموقفها هذا. ولا أى عقوبة من العالم الإسلامى.



د. يوسف القرضاوى

وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول: لا لأمريكا. ولبضائعها التى غزت أسواقنا، حتى أصبحنا نأكل ونشرب ونلبس ونركب مما تصنع أمريكا. إن الأمة الإسلامية التى تبلغ اليوم مليارا وثلث المليار من المسلمين فى أنحاء العالم يستطيعون أن يوجعوا أمريكا وشركاءها بمقاطعتها. وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم.

فكل من اشترى البضائع الإسرائيلية والأمريكية من المسلمين، فقد ارتكب حراماً، واقترف إثماً مبيناً وباء بالوزر عند الله، والخزى عند الناس. إن المقاطعة سلاح فعّال من أسلحة الحرب قديماً وحديثاً، وقد استخدمه المشركون فى محاربة النبى «صلى الله عليه وسلم» وأصحابه، فآذاهم إيذاء بليغاً.. وهو سلاح فى أيدى الشعوب والجماهير وحدها. لا تستطيع الحكومات أن تفرض على الناس أن يشتروا بضاعة من مصدر معين. فلنستخدم هذا السلاح لمقاومة أعداء ديننا وأمتنا، حتى يشعروا بأننا أحياء، وأن هذه الأمة لم تمت، ولن تموت بإذن الله.

انهيار الشرعية

وفى جريدة عقيدتى الصادرة فى ٨ / ٨ / ٢٠٠٦ كتب الأستاذ / سيد عبدالرءوف :

كشف العدوان الإسرائيلى الوحشى الأخير والمستمر حتى الآن على لبنان عن المؤامرة الكبرى التى تنفذها الولايات المتحدة وإسرائيل معا لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط حسب ما تمليه المصالح الخاصة بكل منهما والمصالح المشتركة بينهما .

وكشفت أحداث هذا العدوان وتداعياتها واستمرارها طوال الفترة الماضية عن تهافت وانهيار القيم والمبادئ وغلبة المصالح والضغوط فى العلاقات الدولية . وتمثل هذا فى عجز دول الاتحاد الأوروبى عن اتخاذ موقف عادل ومؤثر تجاه هذا العدوان بما يمنع قتل المدنيين الأبرياء وتدمير البنى التحتية اللبنانية وانتهاك سيادة واستقلال دولة عضو فى الأمم المتحدة .

وكشفت هذه الأحداث عن إفلاس النظام القانونى والسياسى الدولى وانهيار الشرعية الدولية ممثلة فى المنظمة المعبرة عنها وهى الأمم المتحدة . وقد تمثل هذا فى عجز مجلس الأمن الدولى عن إصدار قرار بوقف إطلاق النار بشكل كامل وفورى . وعجزه أيضا عن إصدار قرار بإدانة إسرائيل بسبب المذبحة الإجرامية البشعة التى نفذتها قواتها فى قرية قانا اللبنانية والتى راح ضحيتها عشرات المدنيين العزل ومعظمهم من الأطفال . ويزيد من بشاعة الجرم الإسرائيلى والعجز الدولى أن ثمة شهادات دولية وخصوصا شهادة منظمة «هيومان رايتس ووتش» أكدت خلو قانا من أى عناصر من مقاتلى حزب الله أو أسلحته عندما تعرضت للقصف الإسرائيلى الوحشى .

جريمة حرب

تحت هذا العنوان جاء «رأى الأهرام» فى العدد الصادر بتاريخ ٣١ / ٧ / ٢٠٠٦ :

المجزرة الوحشية التى ارتكبتها إسرائيل للمرة الثانية ضد مدنيين أبرياء معظمهم أطفال فى «قانا» تنم عن استهانة مثيرة للغثيان من جانبها بحياة المدنيين ، وتعد انتهاكاً صارخاً جديداً من انتهاكاتها المتكررة للقانون الدولى والأعراف الإنسانية ، بل وإحدى جرائم الحرب التى لابد أن تعاقب عليها . تؤكد هذه المجزرة مرة أخرى الحاجة الملحة لوقف فورى للقصف الجوى والمدفعى الإسرائيلى للأهداف اللبنانية ، أياً كانت مدنية أو عسكرية ، والشروع فى الحال فى مفاوضات للتوصل إلى حل دائم للمشكلة لوقف نزيف الدماء وتدمير لبنان . فلا يمكن لإسرائيل أن تزعم بعد أسبوعين من القتل والتدمير أنها قضت على الآلة العسكرية لحزب الله اللبنانى وروابل الصواريخ الذى يتساقط يومياً على مدنها ولا تستطيع له دفعاً .

هل كان لابد أن تنتظر الولايات المتحدة حتى تقع هذه المجزرة لكى توافق على وقف إطلاق النار؟ .. ألم تكن كل صور القتل والدمار قد أثرت فى إدارة الرئيس بوش طوال أسبوعين حتى تقع مذبحة «قانا» الجديدة لتعلن كونداليزا رايس بعدها : «الآن حان الوقت لوقف إطلاق النار» ؟ .. لقد كانت معارضة واشنطن لمطلب مصر وغيرها وقف القتال فورا بمثابة ضوء أخضر لإسرائيل للمضى قدماً فى قتل المدنيين وتدمير الطرق والجسور والمساكن ومحطات الكهرباء وحتى المطارات حتى وصل الأمر إلى هذه المجزرة !

الخلاصة لابد من وقف إطلاق النار فوراً والتوصل بين حكومتى لبنان وإسرائيل إلى اتفاق يحل المشكلة لمنع وقوع اعتداءات إسرائيلية جديدة .

قانا وصمة عار فى سجل إسرائيل

تحت هذا العنوان جاءت «كلمة اليوم» المنشورة بجريدة الأخبار الصادرة فى ١ / ٨ / ٢٠٠٦ :

الاعتداء الإسرائيلى الوحشى والهمجى على قرية قانا اللبنانية الذى أودى بحياة العشرات من المدنيين الأبرياء غالبيتهم من الأطفال . هذا الاعتداء جاء ضمن الاعتداءات العسكرية الإسرائيلية الوحشية المستمرة فى لبنان وهى تأكيد للنوايا العدوانية وتجاهل إسرائيل لالتزاماتها الدولية ومخالفتها للقانون الدولى .. وعلى مجلس الأمن الدولى القيام بمسئولياته والضغط على إسرائيل لوقف تلك العمليات فورا ولكن فوجئنا بقرار هزيل يأسف للضحايا ولا يدين إسرائيل .

وعلى كل من يهمه أمر الأمن والسلام والاستقرار إجراء تحقيق عاجل فى هذه المجزرة وغيرها من جرائم الحرب الإسرائيلية فى لبنان والتى طالت الأبرياء من المدنيين وقد أعربت مصر عن انزعاجها البالغ وإدانتها للقصف الإسرائيلى غير المسئول لقرية قانا اللبنانية وما أسفر عنه من ضحايا أبرياء ودعا بيان رئاسة الجمهورية إلى وقف فورى وغير مشروط لإطلاق النار وضرورة إصدار قرار عاجل لمجلس الأمن بوقف العمليات العسكرية على الفور ودعت مصر أعضاء المجلس والدول الدائمة العضوية بوجه خاص لتحمل مسئوليتهم وفق أحكام ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى . والقانون الدولى الإنسانى لوقف العدوان على لبنان وشعبه وبنيته الأساسية وإتاحة التهدئة الضرورية لتحرك دبلوماسى ينهى مسببات التدهور الراهن فى الموقف .. وأكدت مصر مساندتها فى دعمها لكل النقاط العملية والواقعية لإنهاء الأزمة .

إن المجزرة فى قانا وصمة عار جديدة تضاف إلى السجل الإسرائيلى الأسود الحافل بالمجازر والجرائم ضد الإنسانية والأبرياء .

ومهما حاولت إسرائيل تبرير المجزرة بأن قانا تشكل مخزنا للعتاد العسكرى لحزب الله . وعلى الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا مراجعة حساباتها وعدم دعم الجرائم التى ترتكبها إسرائيل ضد الأبرياء ووقف إطلاق النار وحماية الأبرياء .

الصورة والضحايا

وفى «يوميات الأخبار» التى كتبها الأستاذ جمال الغيطانى فى ١ / ٨ / ٢٠٠٦ :

ربى هل كان لابد أن يذبح أكثر من ثلاثين طفلاً حتى تؤثر فينا الصورة .

تتوالى مشاهد انتشال جثث الأطفال فى

مذبحة قانا الثانية، لكل وزارة إسرائيلية مذبحتها، من صبرا وشاتيلا إلى قانا الأولى ثم قانا الثانية.. لابد أن يثبت كل رئيس وزراء قوته بذبح المزيد من الأطفال، أولمرت الذي يوصف بأنه ضعيف يحاول التفوق على سلفيه شارون ونتنياهو بقتل المزيد من الأطفال.. الجثث سليمة، لا أرى آثار دماء، أو جروح، هذا يعني استخدام قنابل حديثة جداً تستهدف البشر، تقتل الحياة الإنسانية فقط، نحن إذن في مواجهة حرب إبادة للجنس العربي تقودها الولايات المتحدة التي تزود إسرائيل بتلك الأسلحة، من خلال هذا الدمار، من خلال سقك كل هذه الحيوات الإنساني ترى الآنسة كونداى مولد الشرق الأوسط الجديد، أي ولادة تلك التي تتم من خلال إبادة البشر؟!!.

إنها الإبادة الممنهجة، بدأوا بالعراق، ثم ها هي لبنان، والبقية تأتي حتى يولد التفتيت والتجزئة والحروب الطائفية لتصبح إسرائيل هي القوة الأعظم في المنطقة، إنها الترجمة الدقيقة لنظرية صراع الثقافات التي ينفذها المحافظون الجدد. استهداف الحضارتين الثقافيتين العريقتين بغداد وبيروت ليس صدفة.

تساءلت أمس عن البلادة التي نرى بها صور الذبائح، ولكن في مواجهة هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين اغتالهم الصهاينة شعرت بالغضب المروع، بالحزن الأفجع، بالعجز لأنني لا أملك رد الفعل، بالمهانة العميقة، شعرت ورأيت الإنسانية ترتد إلى ما قبل الحيوانية على أيدي البرابرة الجدد الذين جعلوا الأطفال هدفاً رئيسياً لأول مرة في تاريخ الحروب.

لبنان الجريح

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ أحمد بهجت المنشورة بجريدة الأهرام ٨ / ٨ / ٢٠٠٦ :

أعلنت الهيئة العليا للإغاثة اللبنانية أن القصف الإسرائيلي على لبنان أسفر عن تدمير ١٤٥ جسراً أساسياً وفرعياً، و ٦٨٠٠ وحدة سكنية.

أما الضرر التابع من تدمير الوحدات السكنية فيتمثل في حياة الناس في العراء أو في الخيام.

يصدق هذا على النازحين من القصف في الجنوب.

كم عدد هؤلاء النازحين طبقاً للتقديرات الرسمية اللبنانية؟

إن ثلث الشعب اللبناني ينطبق عليه وصف النازحين، وهذه تصريحات نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني.

إذا كان تدمير الوحدات السكنية محدود الأثر، فإن تدمير الجسور يختلف في آثاره عن تدمير المساكن.

إن تدمير الجسور يقطع الصلة بين القرى والمدن، ويقطع الصلة بين المدن والمدن.

وهذا يعني تقسيم لبنان وشل الحركة فيه.

وفي هذا الجو يمكن أن يموت مريض في مدينة لأن دواءه في مدينة أخرى ولكن الجسور بينهما مقطوعة.

وقد تحركت جمعيات أهلية فرنسية، وجمعيات صداقة فرنسية عربية، كما تحرك نواب

في الجمعية الفرنسية الوطنية (مجلس النواب) تحركوا جميعاً ضد إسرائيل واتهموها بارتكاب جرائم حرب خلال عدوانها الوحشي على لبنان استناداً إلى بيانات المنظمات الدولية.

وفي إنجلترا، وقع ١١٠ نواب عماليين على عريضة تطالب توني بلير بالدعوة إلى وقف فوري لإطلاق النار في لبنان، الأمر الذي يهدد بالقضاء على أغلبية حزب العمال في المجلس، حيث يمثل ذلك ثلث أعضاء الحزب في البرلمان.

أما الشارع البريطاني فكان يغلي بالمظاهرات، ففي أضخم مظاهرة منذ الحرب على العراق تظاهر ١٠٠ ألف بريطاني وطالبوا بوقف فوري وغير مشروط لإطلاق النار، وقد تجمع المتظاهرون في «هايد بارك» تحت شعار «أوقفوا الحرب» ودعا هذا التحالف إلى وضع أحذية الأطفال أمام مقر بلير لتذكيره بالضحايا الذين سقطوا في هذه الحرب، وقد سقط في هذه الحرب ٩٠٠ قتيل و٣ آلاف جريح ثلثهم من الأطفال.

حمالة الحطب

في جريدة الأخبار الصادرة في ١ / ٨ / ٢٠٠٦ كتب الأستاذ / مجدي عفيفي :

نعم هي كوندليزا رايس «حمالة الحطب» في هذا العصر ذي الوجه الأمريكي القبيح، الذي تشعله في كل مكان تذهب إليه، منذ أن كانت مستشارة الرئيس الأمريكي للأمن القومي، وكان أول حريق لها يوم أن سولت لها نفسها، قبل ثلاثة أعوام وهي تسوق سلعة الديمقراطية الأمريكية في العالم الإسلامي إذ قالت: «إن الولايات المتحدة تريد أن تعتبر قوة محررة، وتكرس نفسها لإحلال الديمقراطية ومسيرة الحرية في العالم الإسلامي».

وفي كل مرة تأتي هذه الآنسة العجوز إلى هنا تلقي حزمة أو حزمتين، وهاهي - كوزيرة خارجية - تحمل الحطب الأمريكي الجديد، لتحرق به الشرق الأوسط وفي جيدها ألف حبل من نار، سيلتف حول عنقها وعنق سيدها «أبولهب» كما يلتف الآن حول جثة ربيبهم شارون، الذي أبدى إعجابه بسيقان رايس فذابت في هوى الصهاينة وكسبوا قلبها خداعاً كما يروى وزير الخارجية السابق أحمد ماهر ومارست «ديمقراطية القبور».

إن قلب المنطقة يحترق، وإذا بصاحبة نظرية الفوضى البناءة في واد آخر، إنها تسوق بكل تطرف، فكرة «شرق أوسط جديد» مع أن هذه الفكرة الوهمية قد وئدت في مهدها بين أطلال العراق، لكنها مصرة على أن تلقي كرة النار من جديد، يبيدون الأطفال والشيوخ والنساء، بيد الصهاينة الذين يرتعدون منها رعباً وهلعاً، ثم يتحدثون عن السلام، وهي في ذلك مثل عمها العجوز «هنري كيسنجر» وزير الخارجية الأسبق المكوك القديم، وصاحب لعبة «عملية السلام» ومهندس الهزائم العربية والانكسارات الدولية، ومنذ ذلك الحين وهم يتحدثون عن «عملية السلام» أي ليس عندهم سلام، كما كشفهم أستاذنا محمد حسنين هيكل، فالمسألة «مجرد عملية» بين الإعداد والأخذ والرد، والمعيار هو «المصلحة» و«السياسة مصالح»، والسياسة لا قلب لها ولا تعترف بالأخلاقيات إياها!

عفواً يا وزيرة الخارجية احملي حطبك، وعودي إلى دارك فالزمان ليس زمانكم، والمكان ليس مكانكم، والإنسان ليس إنسانكم أنتم مرشحون للانهيار، واسألوا كتاب التاريخ، ومراكز الدراسات لديكم أن كنتم لاتعلمون.

من دير ياسين إلى قانا

وفي جريدة الأحرار الصادرة في ٨ / ٦ / ٢٠٠٦ كتبت داليا مصطفى عن تاريخ المذابح الإسرائيلية منذ نشأة الكيان الصهيوني وحتى اليوم:

شهد الصراع العربي ـ الإسرائيلي سقوط ضحايا كثيرين حيث وقع آلاف القتلى والجرحى من المدنيين والعسكريين كما ارتكبت جرائم عدة ضد المدنيين مما أضاف لتاريخ البشرية المزيد من المآسي والكوارث والنكبات ضد الأبرياء الذين لا حول لهم ولا دخل في اتخاذ قرار الحرب.

مذبحة دير ياسين:

في التاسع من أبريل عام ١٩٤٨، قام مناحيم بيجن الذي رأس حكومة إسرائيل في عام ١٩٧٧ عن حزب الليكود مجموعة من عناصر الأرغون بمهاجمة قرية دير ياسين العربية لارتكاب مذبحة بشعة بحق القرويين الفلسطينيين الآمنين، مما أدى لإزهاق أرواح ٢٥٠ فلسطينياً من الرجال والنساء والأطفال كما جرى إلقاء جثث قسم كبير منهم في الآبار.

مذبحة قبية:

تقع قبية على مسافة ٢٢كم شرق القدس وتبعد ٢كم عن خط الهدنة، وطوقت وحدات من الجيش الإسرائيلي يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٥٣ القرية بنحو ٦٠٠ جندي، وعزلت القرية عن المناطق المحيطة بها، أطلق الجنود النيران في كل الاتجاهات، وفجروا المنازل وقتل أهل القرية، واستمرت المجزرة أكثر من ٣٢ ساعة من أعمال الإرهاب والقتل والتدمير، كانت حصيلتها تدمير ٦٥ منزلاً ومسجد القرية ومدرستين، واستشهاد ٦٧ مواطناً من الرجال والنساء والأطفال وجرح مئات آخرين وقد أبيدت أسر بأكملها في المجزرة.

مذبحة كفر قاسم:

في ٢٩ / ١٠ / ١٩٥٦ عشية العدوان الثلاثي على مصر، جمع جنود الاحتلال الإسرائيلي عمال قرية كفر قاسم العائدين من مزارعهم وأماكن عملهم في الخامسة من مساء ذلك اليوم، وأعدموهم بدم بارد، فكانت النتيجة ٤٩ شهيداً من بينهم أطفال ونساء بلغ عدد النساء ١٤ امرأة وثلاث فتيات تبلغ أعمارهن ١٢ـ١٤ عاماً، و١١ طفلاً تبلغ أعمارهم ١٢ـ١٦ عاماً والباقي من الرجال.

مذبحة بحر البقر:

إسرائيل تقترف مذبحة رهيبة خلال حرب الاستنزاف مع مصر، حيث قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية مدرسة بحر البقر بمحافظة الشرقية بالقذائف الصاروخية مما أدى إلى قتل عشرات الأطفال المصريين في تلك المجزرة الدموية بدون أي ذنب.

صبرا وشاتيلا:

تعتبر مجزرة صبرا وشاتيلا من أبشع المجازر الجماعية التي نفذت ضد الشعب الفلسطيني في ١٦ـ١٨ / ٩ / ١٩٨٢ وكان أرييل شارون الذي

شغل منصب وزير الدفاع الإسرائيلي، ورفائيل إيتان الذي شغل منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي على رأس المخططين والمصممين والمشرفين على تلك المذبحة التي استشهد فيها ٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ بين طفل وامرأة وشيخ ورجل وشاب فضلاً عن استشهاد أكثر من اثني عشر ألف فلسطيني خلال سنوات الحرب.

مذبحة المسجد الأقصى:

حاصرت قوات كبيرة من الجيش وحرس الحدود وقوات المخابرات من اليهود المسلحين، مدينة القدس، والحرم القدسي الشريف واقتحمت باحة الحرم لاقتراف أكبر مذبحة صهيونية في مدينة القدس، وكان ذلك في ٨ أكتوبر من عام ١٩٩٠، وذلك بعد محاولة متطرفين يهود وضع حجر الأساس للهيكل الثالث المزعوم في ساحة الحرم حيث اشتبك أهالي القدس لمنعهم من ذلك مع عصابة أمناء جبل الهيكل وتدخلت قوات الجيش وحرس الحدود والشرطة بكثافة هائلة وأخذوا يطلقون النار على المصلين العرب، ودون تمييز بين امرأة أو طفل أو شيخ أو شاب، فبلغ عدد الشهداء الذين سقطوا بالرصاص ٢١ شهيداً.

مذبحة الحرم الإبراهيمي في الخليل:

قبل أن يستكمل المصلون العرب الركعة الثانية من الصلاة في الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل، دوت أصوات القنابل اليدوية وزخات الرصاص في جنبات الحرم الشريف، واخترقت شظايا القنابل والرصاص رؤوس المصلين ورقابهم وظهورهم لتصيب أكثر من ثلاثمائة وخمسين بين شهيد وجريح في أقل من عشر دقائق وأسفرت المذبحة عن استشهاد نحو ٢٤ مواطناً عربياً من أهل الخليل وجرح المئات منهم. وأحدثت هذه المجزرة الرهيبة هزة عنيفة في فلسطين المحتلة.

مذبحة قانا:

وفي ١٨ أبريل ١٩٩٦ بلبنان وصل الإرهاب الدموي الصهيوني إلى ذروة مرعبة حيث قصفت الطائرات الإسرائيلية ملجأ تابعاً لقوات الأمم المتحدة في قانا اللبنانية فدمرت القذائف الصاروخية الملجأ كاملاً، وسقط أكثر من مائة مواطن لبناني من النساء والأطفال والشيوخ والآن بعد عشر سنوات من تلك المذبحة ارتكب الجيش الإسرائيلي مجزرة مماثلة في ذات البلدة راح ضحيتها ٥٥ قتيلاً معظمهم من النساء والأطفال سقطوا جراء استهداف الطيران الإسرائيلي لمبنى سكني يختبيء بداخله ٥٨ شخصاً بينهم ٣٠ طفلاً.

مخيم جنين ٢٠٠٢:

مجزرة مخيم جنين في الأراضي الفلسطينية التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد الأبرياء من قتل وتدمير للمنازل والمنشآت والمرافق، وتجريف للأرض، وفرض حظر التجوال، ومضايقة لرجال الإسعاف ومندوبي المنظمات الدولية مثل الصليب الأحمر واليونيسيف، وتدنيس لمقدسات الإسلامية والمسيحية في جنين وبيت لحم والقدس الشريف وفي غيرها من المدن والبلدات والقرى والمناطق الفلسطينية.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

يوم الانكسار

● جميل أن يملأنا الإحساس بالقوة والإحساس بالنصر.

● جميل أن نرى الإحساس بالانكسار فى عيون الظالمين.

● جميل أن تضرب إحساس عدوك بالقوة وأن تشعره بالضآلة والضعف وافتقاده الكامل للأمن.

● وما يضاعف من قوة الإنجاز الذى تحقق أن صاحبه منظمة شعبية تتمتع برصيد شعبى وتأييد حكومى معلن وهو «حزب الله».. وهو أمر يعنى الكثير والكثير.

● فإذا كان حزب الله بإمكانات عسكرية محدودة بالقياس للإمكانات الإسرائيلية استطاع أن يحقق هذا الإنجاز فما الذى يمكن أن يحدث لو وقعت الحرب بين إسرائيل وإحدى الدول المجاورة لها بما تملكه من إمكانات تفوق بكثير ما لدى حزب الله؟!

هذا التساؤل يطرحه المواطن الإسرائيلى الذى تهاوى لديه الإحساس بالأمن الإحساس بقدرة جيشه على حمايته فاندفع بدون تفكير يغادر الأراضى المحتلة عائدا من حيث أتى ليخبر أصدقاءه بأن هذه الأراضى المحتلة لن تكون أبدا جنة لليهود الغاصبين وبالتالى فقدت إسرائيل شريانا هاما يمدها بالحياة وهو الهجرات اليهودية من قارات العالم الخمس فمن هذا الذى يمكن أن يفكر بالهجرة من بلد يتمتع بالأمن مثل كندا أو استراليا أو فرنسا أو انجلترا أو الدانمارك ليعيش فى بلد انهمرت عليه الصواريخ كالمطر، وظل سكانه حبيسى الملاجئ طوال شهر كامل..!!

الفلاحون هجروا حقولهم، الصناع هجروا مصانعهم، التلاميذ هجروا مدارسهم ومعاهدهم... الحياة بالكامل أصيبت بالشلل فى إسرائيل.

ولابد من مرور خمسين عاما على الأقل حتى تنجح الدعاية اليهودية فى إزالة ما علق بأذهان اليهود من آثار صواريخ حزب الله.

نعم.. إن القوة التدميرية المادية لصواريخ حزب الله كانت محدودة، ولو امتلك حزب الله صواريخ تتمتع بقدر به من الدقة لأمكن تدمير مصفاه بترول حيفا وهى أكبر مصفاه بترول فى الشرق الأوسط لتحدث كارثة اقتصادية مدمرة لإسرائيل، ولو امتلكت هذه الصواريخ تقنيات متطورة لأمكن لها أن تصيب المطارات الإسرائيلية لتحدث زلزالاً أمنياً وسياسياً واقتصاديا أيضا.

ولكن صواريخ حزب الله دمرت شيئا أهم وأعمق من ذلك.. دمرت معنويات المواطن الإسرائيلى وأفقدته الثقة فى جيشه وفى الإحساس بأى قدر من الأمن، فاندفع يغادر الأرض التى لا يربطه بها أى رابط.. رحل فرحا بنجاته غير آسف على أرض لا ينتمى إليها.

وفى المقابل كان رد الفعل مختلفا لدى الشعب اللبنانى الذى تمسك بوطنه رغم وطأة القصف الوحشى الإسرائيلى الذى أتى على معظم البنية التحتية للأراضى اللبنانية وحول منشآتها إلى ركام، وأعلن الشعب اللبنانى تمسكه بخيار المقاومة رافعا صورة زعيمها حسن نصر الله. وكم كان المشهد رائعا. وأبناء شعب لبنان يعودون أفواجا إلى أراضيهم لإزالة آثار العدوان الهمجى، وكان المشهد الأكثر روعة ـ والذى نقلته الفضائيات ـ مشهد رجال حزب الله وهم يرفعون الأنقاض ويقوم بإعداد قوائم بأسماء المتضررين لتعويضهم ماديا عما لحق بهم من أضرار وقيامهم كذلك بوضع خطط لإعمار ما دمره العدوان.

لبنان وضع حجر الأساس لشرق أوسط جديد.

شرق أوسط مخالف لأحلام بوش. شرق أوسط يحتضن أبناءه الأصلاء ويلفظ الدخلاء عليه.

انسحب اليهود من لبنان بعد ثلاثين يوما من العدوان ليشير انكسارهم الذعر والهلع فى نفوس الإسرائيليين خوفا من هذه الأرض التى تصر على رفضهم ولفظهم يوما بعد يوم رغم مضى ثمانية وخمسين عاما على احتلالهم لها فاليوم هربوا من لبنان، وغدا يهربون من فلسطين.. عظمة المقاومة اللبنانية أنها كانت شعبية، وهو أمر أثار حنق وغضب القيادة الأمريكية التى كانت تتوقع تدخل عدة دول عربية فى الحرب مدفوعة بالضغط الشعبى الخانق إزاء القصف الوحشى الهمجى الذى استمر شهرا كاملاً فتكون لديها الذريعة القوية للتدخل منطلقة من قواعدها العسكرية فى العراق وغير العراق لتدمر القدرات العسكرية للدول العربية كلها وفق ما تم فى العراق تمهيداً لإقامة الشرق الأوسط الجديد بعد تجريده من كل عوامل القوة، وتنصيب إسرائيل حاكما مطلقا على الشرق الأوسط.

ولكن الصمود اللبنانى أفشل مخططات الولايات المتحدة تماما، بل وألهب مشاعر الشعب العراقى الذى توهجت نيران مقاومته لتدك معاقل الاحتلال الغاصب الذى مارس أبشع صنوف السادية ضد الشعب العراقى الذى لم ولن يركع أبداً.. وسيأتى اليوم الذى تنسحب فيه جيوش الاحتلال من العراق مكررة نفس مشهد الانسحاب الإسرائيلى الذليل من الأراضى اللبنانية.

وقريبا وبعون الله يكون يوم الانكسار الأكبر فقد نسى هؤلاء أن أسلافهم الصليبيين جثموا على صدر فلسطين مائة عام وفى النهاية طردوا منها أذلة.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

أحمد تقى الدين

بــــلا ذل

من القارئ الدكتور/ محمد محمود العطار ـ كفر الشيخ كانت هذه الكلمة:

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾

(سورة البقرة: الآية ٢٠٨)

خاض المجتمع البشرى في القرن العشرين حربين عالميتين وهو مهدد حاليا بحرب ثالثة نووية تحمل في ثناياها الدمار الشامل للمهزوم والمنتصر على السواء.. والسلام ركيزة قوية لاستقرار البشرية، وشعورها بالأمن والرخاء حيث يعمل على دعم التعاون بين الأمم وحل المشكلات العالمية سلميا، وتأكيد الحرية والطمأنينة عند الشعوب كلها.

ويمر السلام في عالمنا الإسلامي والعربي بأزمة حادة، وهي وثيقة الصلة بغياب الوازع الديني والإيمان بالله. والأمة الإسلامية أمة واحدة، وما أحوج هذه الأمة الآن إلى ترك خلافاتها، وجمع كلمتها، فقد بات الخطر يهددهم وظهرت النوايا لإذلالهم بعد الاستيلاء على مصادر ثرواتهم.

قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(سورة الأنعام: الآية ٨٢)

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» رواه النسائي

كما يقول الرسول ـ ﷺ ـ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم

واليوم نحن أبناء الأمة الإسلامية والعربية في حاجة إلى التمسك بالإسلام ومبادئه التي تدعو إلى التسامح والمساواة والرحمة والعفو، والتي تحترم إنسانية الإنسان وتفوق ما تنادى به الهيئات والمنظمات الدولية من حقوق للإنسان. فأين الدول المتقدمة من حقوق الإنسان؟ وأين هي الاتفاقيات والمعاهدات التي تكفل للإنسان الأمن والسلام؟

إن السلام لن يتحقق إلا بحرية الشعوب وتحريرها وليس بتهديدها وإعلان الحرب وإثارة الرعب بينها.

فالسلام هو الحرية، وإنسانية الإنسان لا توجد إلا حين يتحرر ضميره وتتحرر حياته من سلطان العباد إلى سلطان رب العباد الله الواحد القهار. فنحن في حاجة إلى سلام مع النفس، سلام مع بعضنا البعض حتى نشعر مع أنفسنا بعزة الإسلام وكبرياء الإسلام.. ونعيش في أمن بلا خوف، وقوة بلا ضعف، وعز بلا ذل، وإخلاص بلا نفاق، وصدق بلا كذب وسعادة بلا شقاء، كل ذلك حتى يعم السلام.

الإسلام وثقافة العولمة

كتب القارئ السيد حسين العزازى ـ وكيل وزارة بالكهرباء والطاقة سابقاً قال:

الإسلام دين سماوى يرشد إلى الحق في الاعتقاد والخير في السلوك والمعاملات، والوسطية مناط الإسلام والتوازنية من تجلياتها حيث يتم الربط بين ما هو روحي وما هو مادى في سياق منطقي وعلى نحو مفهوم ومضمون مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

سورة القصص (الآية ٧٧)

والدعوة الإسلامية ما جاءت لأمة دون أمة إنما جاءت للناس كافة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة سبأ الآية ٢٨)

والإسلام دين متفتح لا يتنكر لثقافة غير ثقافته بل دعا إلى النظر فيها وفحصها بعناية وأخذ ما ينفع فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وقد أشار ابن رشد إلى ذلك في كتابه فصل المقال بقوله (ينظر في الذى قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان منه غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم).

والإسلام عالمي التوجه والنزوع بمعايير العدل والمساواة دون إخلال بالتعدد والتنوع الذى يعد من خصائص البشر في ظروفهم ومعايشهم وإن وحدت بينهم التقوى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(سورة الحجرات الآية ١٣)

والإسلام قوامه الإحسان وهذا نقيض العولمة التي تقوم على فكرة الهيمنة وعدم الالتزام بالقيم الدينية بل تقوم على المنفعة والكسب المادى والاستغلال واستنفاد موارد الدول النامية وتعتمد على الاختراق والإثارة وتوظيف وسائل الإعلام لخدمة الجانب المادى وتأجيج الغرائز ومن شأن ذلك استدراج العالم لمفازات الضياع كنتيجة لكسر الحدود الشرعية واستباحة المحرمات بدعوى الحرية.

ولأن العولمة واقع يفرض نفسه بفعل ثورة الاتصالات والمعلومات والتي قربت المسافات وألغت الحواجز وجعلت التوغل والتغلغل

أمراً واقعاً تحجم أثره بالثبات وعدم التخلي عن الهوية بمقوماتها الدينية والأخلاقية والثقافية مع استفادتنا مما وفرته العولمة من تكنولوجيا متقدمة وعلينا (غربلة) ثقافة العولمة والتعبير عن ثقافة الآخر بثقافة الأنا ولا يتأتى هذا إلا بتقوية جهاز المناعة المعرفي والثقافي ولاريب أن الاهتمام بالإعلام العربي والإسلامي يشكل حجر الزاوية كما أن مناهج التربية كفيلة بإعداد جيل يمزج الأصالة بالمعاصرة.

وليس من قبيل الفخر بل للاعتبار أن تذكر أن الإسلام فكراً وعقيدة لم يشكل وصاية على العقل بل كان حافزاً على الكشف والبحث وترافق مع انتشار الدعوة ودخول الناس في دين الله أفواجاً أمجاداً علمية ونتائج معملية ودراسات نظرية وكشوف جغرافية وعلاقات تجارية وإنسانية بلغت مداها عبر قارات العالم القديمة وبمنطلقات أخلاقية رفيعة تستهدف الهداية واجتثاث الضلال والغواية :

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(١٥ : ١٦ المائدة)

وعلينا ألا تستغرقنا التبعية وأن نعلم أننا في ظل العمل بشرع الله كنا خير أمة أخرجت للناس ولا يزال بإمكاننا واختيارنا مستعينين بالله في كل أمورنا من تصحيح الأوضاع واسترجاع ما ضاع.

سلاح الإيمان

وكتب القارئ : عاصم السيد - القاهرة: عن المقاومة اللبنانية الشجاعة معبرا عن إعجابه بما أبدته من ضروب البسالة في مواجهة عدو غاشم معتد يسعى إلى العدوان من أجل العدوان فقال:

نعم إن لبنان وضعت قدمها على الدرب الصحيح حينما لم ترهب قوة عدوها بل أعدت له كل ما تستطيع من قوة لردعه وكان سلاح الإيمان هو أقوى الأسلحة التي أعدتها المقاومة اللبنانية فأقبل رجالها يواجهون العدو رغبة في الشهادة ونيل رضوان الله وجنة عرضها السموات والأرض.

أما العدو فلم يستطع شيئا في مواجهة هذا السلاح الفعال الذي لم يحسب له حسابا.. إنه سلاح مرعب يزلزل الأرض من تحت أقدام العدو ولذلك سارع في وصف المؤمنين المحبين للشهادة في سبيل الله بـ (الإرهابيين) بعد أن أعيتهم الحيل في مواجهة المؤمنين الصادقين.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

إحيـاء اللغـة العبـرية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

كتب اللغوي الأمريكي «آينر هوجن» في كتابه الطلائعي في موضوع إحياء اللغات القديمة يقول:

يبدو أن هناك في خلفية الحركات الداعية إلى بعث لغة قديمة وإحيائها ما يشبه القاعدة، وذلك بأن مثل هذه الأمور، إنما تنشأ وتقوم بفضل شخص فرد ينحصر كل اهتمامه في الحياة في نقطة واحدة، تنبع من مشاعر يتضايق منها بنو شعبه، ويكون هذا الشخص في العادة، كقاعدة، حساساً بالدرجة الأولى لحقيقة أن اللغة الأصلية لبني شعبه أهملت على مر العصور.

وفي مجال حركة بعث اللغة العبرية وإحيائها من جديد فقد قام بها شخص واحد هو «اليعيزر بن يهودا».

واسمه الأصلي هو اليعيزر إسحق بيرلمان، وقد ولد في لتوانيا عام ١٨٥٨ وقد بدأ منذ نعومة أظفاره، مثله مثل سائر الأولاد اليهود، في تعلم اللغة العبرية كجزء لا يتجزأ من التربية الدينية التقليدية. وتفوق في دراسته والتحق بكلية دينية ليتعلم التلمود ويتخرج كعالم ديني يهودي.

وشدته الحياة العلمانية، فترك الكلية والتحق بمدرسة روسية.

وفي نفس العام ١٨٧٧ أعلنت روسيا الحرب على الإمبراطورية العثمانية. بدافع التعاطف مع شعب بلغاريا السلافي الأصل، والذي ثار يطالب بالاستقلال والتحرر من نطاق الإمبراطورية العثمانية. وقد حصلت العديد من الدول على استقلالها، وفي هذه الفترة من القرن التاسع عشر كان لا يعيش في فلسطين سوى القليل جدا من اليهود، وكانت اللغة العبرية لغة مكتوبة

فقط ولا تصلح لغة للكلام. وقد أخذ على عاتقه إحياء اللغة العبرية.

ترك روسيا عام ١٨٧٨ وذهب إلى باريس لدراسة الطب، ولكنه أصيب بمرض السل. لهذا قرر الذهاب إلى فلسطين ١٨٨١ كي يحقق أولى أمانيه وهي بعث اللغة العبرية، وجعلها لغة عصرية حية وقام بدراسة الموضوع من كافة جوانبه، ونشر عنه مقالات حول «بعث» الشعب اليهودي واللغة العبرية في كيان مستقل في فلسطين وكانت هذه المقالات طلائع نشوء الفكرة الصهيونية.

اللغة اليهودية في البيت والمدرسة

وقد أقام «بن يهودا» في القدس واتخذ منها مركزاً لنشر آرائه ومبادئه في موضوع بعث الشعب اليهودي ولغته في فلسطين وبلاد المهجر. وحدد الوسائل لتحقيق هدفه الرئيسي وهي: العمل على جعل اللغة العبرية لغة الكلام في البيت اليهودي، ولغة التعليم في المدارس، واستحداث المصطلحات والكلمات لجعل اللغة جامعة وشاملة من حيث قدرة التعبير في العصر الحديث وفي كل ما جد من فنون وعلوم وتكنولوجيا وكان يتحدث باللغة العبرية فقط في كل معاملاته مع كل شخص يهودي قابله. أما العسير عليه فكان في المواضيع التي كانت تنقص اللغة العبرية.

وقد أراد أن تكون اللغة العبرية هي لغة الكلام الوحيدة لليهود في فلسطين وقد ولد ابنه البكر «بن صيون».(*) أخذ وعداً من زوجته «دبورا» أن تربي الولد وتنشئه كأول ولد في التاريخ المعاصر ينطق ويتحدث باللغة العبرية كلغته الأصلية أو اللغة الأم. وهو في نظر بن يهودا حدث رمزي يوحي ببدء عملية بعث اللغة، وقد حقق بن يهودا إنجازاً أثبت بواسطته أن إحياء اللغة وجعلها لغة الكلام أمر ممكن، ويتحدث ابنه ويروي في الكتاب الذي ألفه عن والده، أنه كان يأمره بالذهاب للنوم كلما جاء ضيف لا يعرف الحديث بالعبرية، بالإضافة إلى منعه من سماع أي لغة أخرى غير العبرية وكان ينهر زوجته حين يسمعها تغني للطفل باللغة الروسية.

أسماء للعب الأطفال!!

وقد استحدث أسماء عبرية للعب الأطفال ومئات من الأشياء والأمور ومن الوسائل التي أعدها مسبقاً هي إدخال اللغة العبرية للتعليم في المدارس، وقد

* اسمه الشائع هو «إيتامار بن آبي»

بذل جهداً كبيراً في إقناع ودفع المسئولين عن التعليم بمن فيهم المعلمون ورجال الدين إلى جعل اللغة العبرية لغة التعليم في المدارس وفي كل المواضيع الدينية وغير الدينية. وهي الطريقة الوحيدة الكفيلة بجعل الجيل الجديد يتكلم ويكتب ويفكر باللغة العبرية، وقد طبق فكرته هذه وقبل عرضاً بأن يكون مدرساً للغة العبرية عام ١٨٨٢ في إحدى المدارس التابعة لشبكة الإليانس الإسرائيلية في مدينة القدس، ونظراً لتردي صحته لم يستمر إلا أشهر قليلة تمكن التلامذة الصغار من التحدث بشكل طبيعي في مواضيع الحياة اليومية.

وقد قال في مقال له: ستنتقل اللغة العبرية من دور الصلاة إلى المدارس ومن المدارس إلى المنازل.. وعندها ستغدو لغة تنبض بالحياة.

وبرغم أن التعليم بالعبرية لم يخل من المشاكل والصعوبات منها ندرة المدرسين وقلة كتب التعليم وقلة التعابير والمفردات.

أول جريدة عبرية

وقد كتب أحد المدرسين الطلائعيين في هذا الموضوع عام ١٩٢٨. يتحدث عن الصعوبات وقلة المفردات ويقول: كنا نحن أنصاف خرس فنتلعثم ونكثر من الحديث بالإيماء باليد والأعين.

وقد روج بن يهودا لمشروعه. وقام بإصدار جريدة أسماها «هاتسفي» عام ١٨٨٤، وقد صدرت أول جريدة عبرية في أواسط الخمسينيات من القرن التاسع عشر على غرار جريدة «الفيجارو» الفرنسية وقد عمد بن يهودا في جريدته إلى إدخال ونشر كلمات وتعابير عبرية عصرية جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ولتحقيق هدفه، شرع بن يهودا في تأليف قاموس تمثل جهده في تسجيل كلمات عبرية مقابل مرادفات فرنسية صار ينشرها في جريدته لإثراء معلومات القراء وتوسيع إمكانات التعبير لديهم باللغة العبرية، وكثيراً ما طال يوم عمله إلى ١٨ ساعة في اليوم.

قاموس اللغة العبرية

وقد أسفر هذا الجهد في النهاية عن نتيجة تثير الإعجاب وتتجاوز حد كل تصور وهي قاموس في ١٧ مجلداً «المعجم الكامل للغة العبرية القديمة والحديثة» على أن بن يهودا نفسه لم يكمل جمع وإصدار القاموس في حياته بل أتمته قرينته الثانية «حمده» مع ابنه من بعده.

وقد ساعده أنه في نفس العام ١٨٨١ التي قدم فيها إلى فلسطين، كانت نفس السنة التي شرعت فيها طلائع موجات الهجرة اليهودية تصل إلى فلسطين.

وأود أن أشير إلى أنه ظل يعمل في

قاموسه زهاء أربعين عاماً وإن كان لم يستطع أن يصدر منه تسعة مجلدات.

والقاموس لا يتضمن أيا من الكلمات الآرامية التي ورد ذكرها في العهد القديم أو التلمود أو المدارس كما لا يتضمن أي كلمة عبرية من أصل أجنبي.

وهكذا في ظرف حوالي ٤٠ عاما بين ١٨٨١-١٩٢١ كانت العبرية هي لغة الكلام واعترفت سلطة الانتداب البريطاني باللغة العبرية كلغة من اللغات الرسمية في فلسطين وكلغة اليهود الرسمية فيها، وبعد ذلك بعام واحد فتك به مرض السل ومات وقد كتب عام ١٩٠٨ في جريدته «هاتسفي»:

«وراء تحقيق أي هدف ينبغي أن يكون هناك شخص فاهم ذكي. نشط. مؤمن بالهدف يكرس نفسه وطاقته العقلية وجل لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً ولا يعرف سوى السير قدماً دون النظر إلى الوراء».

العنصر القومي

وجدير بالذكر أن اهتمامه بالعبرية قد جلب عليه لعنة اليهود الأرثوذكس(*) الذين كانوا يعتبرون العبرية لغة مقدسة لا تستخدم إلا في الصلاة ومن ثم اعتبروا «بن يهودا» لا دينياً ملحداً، وقد كانوا محقين إلى حد كبير. فهو من أوائل الصهاينة الذين حاولوا تأكيد العنصر القومي على حساب العنصر الديني في اليهودية. ولذا فاللغة العبرية بالنسبة له هي اللغة القومية التي يجب أن تبعث في وطن يفوق فيه عدد السكان اليهود عدد الأغيار ولهذا فإن برنامجه القومي غيبي يستند إلى المقولات الصهيونية عن حتمية العودة وأزلية الرابطة بين اليهودي وأرضه.

***

(*) اليهودية الأرثوذكسية: من أهم المذاهب اليهودية في العصر الحديث وهي تعد رد فعل رجعي للتيارات الاستنارية والإصلاحية بين اليهود، ويتزعم هذه الحركة الحاخام سمسون هيرش الذي انتقد اليهودية الإصلاحية لأنها تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية في مبادئ مستعارة من غير اليهود تطبقها على غاية الإنسان وحريته. [عبدالوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية]



مفهوم الجهاد

للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفني

الجهاد كلمة لها دوى يهز النفوس، ويبعث فيها مشاعر فياضة، ورغم أن الجهاد له روافد شتى لا تكاد تحصى، إلا أن العرف يكاد يحصره في مدلول معين، هو القتال في سبيل الله وهذا العرف إنما نبع من الظروف التي أحاطت بنشأة الإسلام وضرورة الدفاع عنه، فمن البدهي أن الإسلام نشأ في أصعب الظروف التي ينشأ فيها دين أو مذهب: حيث كانت مبادئه وقيمه تدعو إلى منهج يتعارض مع قيم القابضين على ناصية المجتمع، والمتحكمين في سلوكه، والذين حين يئسوا من مهادنة هذا الدين الجديد عمدوا إلى العنف والقتال ليكسروا شوكته وليصلوا من هذا إلى القضاء عليه، فلم يكن للمسلمين بد من أن يدفعوا عن أنفسهم وعن دينهم ما يهددهم ويهدد دينهم، فكان الجهاد في سبيل الله، ولذلك كان الأمر بالقتال في القرآن محددا بالدفاع عن النفس فحسب، كقوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

«البقرة: ١٩٠»

ومع توافر كل الظروف التي تدعو المسلمين إلى الجهاد فينبغي أن نستوضح طبيعة الجهاد في الإسلام حيث إن العرف - وقد يشاركه التاريخ أيضا - قد أسبغ على الجهاد ظلالا ضيقت من مفهومه الواسع، حتى حصرته في نطاق ضيق أو محدد وهو القتال، مع أن وجوه الجهاد وأبوابه في الإسلام لا تكاد تحصى، وإنما تجمعها الغيرة على الإسلام، والدفاع عنه بما تستوجبه الظروف من أحوال الدفاع، فأحيانا يقتضى الدفاع بالمال فيكون الجهاد مالا، وأحيانا يكون الدفاع بالحجة والتوضيح فيكون الجهاد هو هذا، حين يكون هجوم الأعداء بالافتراء على الإسلام ومحاولة تشويه معالمه، وأحيانا يكون الجهاد بالدعوة ونشر مبادئ الإسلام وذلك حين يكون هجوم الأعداء بمحاولة تضليل بعض المسلمين وتشكيكهم في

دينهم، وأحيانا يكون الجهاد بالتنافس فى الاختراع والصناعة حين يطغى تفوق الأعداء على حضارة المسلمين وتقدمهم، وهكذا فى مجالات لا تكاد تحصى، وأحيانا يكون الجهاد بالقتال وذلك حين يتعرض المسلمون لخطر هجوم الأعداء عليهم أو على ممتلكاتهم، وهو تطبيق قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾

[البقرة : ١٩٠]

الحرية والديمقراطية!!

ومع أن هذا حق مشروع فى كل قوانين العالم، وكل أعراف البشر منذ خلق الله البشرية، إلا أن أعداء الإسلام سواء فى الغرب أو الشرق ينكرون على المسلمين دون سائر الناس أن يستخدموا هذا الحق، وحين يستخدمونه يصفونهم بالإرهاب، وبنحو ذلك من الأوصاف التى تشبههم بعصابات المجرمين وقطاع الطرق الذين يرهبون المارة ويبثون الرعب فى قلوب الآمنين، ومثال ذلك ما يحدث فى فلسطين، حيث يقتل اليهود من الفلسطينيين ما يشاءون، ويدمرون من البيوت ما يريدون، ويفعلون كل ما يحلو لهم من بغى وبطش واغتصاب حقوق، وكل ذلك فى زعمهم وزعم أعداء الإسلام لا غبار عليه، بل يزينونه على أنه دفاع عن النفس، أو استرداد لحقوق أو إقامة لمبادىء الحرية والديمقراطية، ومنذ القدم كان العامة يلصقون بالفقير الخامل الشأن كل نقيصة، وإن لم تكن فيه، وينفون عن الغنى ذى الشأن كل مذمة وإن كانت فيه، وهذا الشاعر الجاهلى عروة بن الورد يقول لامرأته فى أبيات كثيرة منها:

دعينى للغنى أسعى فإنى
رأيت الناس شرهم الفقير
وتلقى ذا الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم
ولكن الغنى رب غفور

فالغنى عندهم كأنه (رب غفور) يغفر لصاحبه نقائصه، ويمسح رذائله، وهذا المذهب هو الذى يعتنقه أعداء الإسلام علانية وليس ضمنا اليوم، فكل ما ترتكبه الدول الكبرى اليوم فى العراق وأفغانستان وغيرهما من جرائم توشك أن تكون إبادة لكل شىء حى ألصقوا به شعارات الديمقراطية والحرية ولم يخجلوا من ذلك، بينما إذا تحركت يد لتدفع عن نفسها أو عن أهلها هذه الجرائم لم يخجلوا أيضا أن يصفوها بما يعنى أنها المجرمة الآثمة الشريرة التى تنشر الروع والفزع، وهذا عين المنطق الذى يتحدث عنه الشاعر الجاهلى على أنه شعار المجتمع والناس جميعا.



الدفاع عن كيان الأمة

ونعود فنقول إذن فالجهاد فى سبيل الله ليست له صورة معينة، ويمكن القول بأن أقرب تعبير لتحديد الجهاد فى سبيل الله هو تلبية حاجة الإسلام حسب الواقع الذى هو فيه، فإذا كان الإسلام فى حاجة إلى إقامة أية مشروعات معيشية كالزراعة، أو صناعية كسائر مشروعات الصناعة، أو عسكرية كإعداد مقومات القوة للأمة وأولها المشروعات العلمية، وإعداد مقومات الدفاع عن كيان الأمة وحقوقها، وهذه المشروعات ونحوها تعتمد أساسا على المال الكثير، فحينئذ يكون الجهاد فى سبيل الله بالمال، ولم يكن من العفوية أن يكون الجهاد بالمال مقدما على الجهاد بالنفس فى الغالبية العظمى من آيات الجهاد كقوله تعالى :

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

«الصف : ١١»

وهكذا حتى كاد يكون ملتزما تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس فى تعبير القرآن الكريم الذى يستحيل أن تكون فيه كلمة واحدة أتت عفوا دون قصد فى اللفظ أو فى الترتيب، فالجهاد يكون بالمال إذن حينما يكون الموقف فى حاجة إلى المال.

وحينما يكون الإسلام فى حاجة إلى الدعوة لنشر مبادئه أو لإزالة شبهة وجهت إليه، أو لتوضيح لبس يحتاج إلى بيان، فإن الجهاد فى سبيل الله يكون حينئذ بالتركيز فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما حددها القرآن الكريم، وهى منهج عرضه الإسلام على الناس ونشره بينهم

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

«النحل : ١٢٥»

لماذا تخلف المسلمون؟

ومما يؤسف له أشد الأسف أنه لم تعد توجد فى المسلمين بوصفهم أمة جهة حاكمة أو نافذة الكلمة لتبحث شئونهم وتوجههم إلى الوجهة الصالحة لهم، ولو أن هذه الجهة كانت موجودة لاستطاعت أن تحدد أهم أسباب تخلف المسلمين عن قطار الحضارة فلم يلحقوا حتى بذيله، وهو الصناعة والاختراع الذى لم تصل الأمم المتقدمة إلى ما وصلت إليه فيها إلا بعد مئات السنين وليس العشرات، ولكن المسلمين لو وفقهم الله إلى أن يسلكوا هذا الطريق فلن يبدؤا من أولها، وإنما يستفيدون بجهود السابقين فيبدأون من حيث وصل أولئك، ولكن لا مفر لأية حضارة بشرية من أن تسلك هذا الطريق التى جعلت البشر يحققون ما كان الناس

يظنونه أشبه بالمعجزات من الطائرات إلى الصواريخ عابرة القارات إلى الأقمار الصناعية التي تتجول في فضاء الكون لترى وتسجل أصغر الأشياء على وجه الأرض، ومن وسائل المعيشة إلى وسائل النقل إلى غير ذلك مما تم إنجازه في بضع عشرات من السنين معظمها في نصف القرن الماضي.

نعيش على صناعة غيرنا

والمسلمون ليسوا أقل من غيرهم استعدادا للتقدم الحضاري، بل هم الذين سبقوا العالم القديم في التقدم الحضاري غير المجهول، وفي العالم الحديث كان في المسلمين علماء في كل مجال، وكانت فيهم حضارة تتفوق أو تتوازى مع كثير من الحضارات اللامعة اليوم في العالم، مثل كوريا وماليزيا وباكستان والهند وغيرها، بل كان في مصر منذ نحو نصف قرن علماء للذرة حينما كان علماء الذرة في العالم يكادون يحصون في قلة عددهم فكان منهم الدكتور المشد الذي اغتالته المخابرات الإسرائيلية في أحد فنادق باريس لأنه كان من أهم المؤسسين للمفاعل النووي العراقي، ولكن بينما العالم يتسارع ويلهث في تقدمه الصناعي إذ العرب يكادون يرجعون إلى وراء ليعيشوا على صناعة غيرهم.

والذي يعنينا من ذلك أن مجال التصنيع اليوم أهم مجالات الجهاد في سبيل الله، لأنه أهم ما تحتاجه الأمة الإسلامية.

ومن نحو ذلك يتضح بجلاء أن الجهاد ليس هو السيف أو ميدان القتال كما يتبادر إلى أذهان الكثيرين، بل هو بذل الجهد في أي مجال تحتاج الأمة إليه.

***



حاخامات ورئيس وزراء إسرائيل يعترفون بأنها حرب دينية

كشفت رسالة وجهها بعض حاخامات اليهود إلى الشعب الإسرائيلي عن حقيقة الرؤية الإسرائيلية للحرب الدائرة حاليا ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني وأنها حرب يشنها الجيش الإسرائيلي تحت ستار الدين من أجل تدمير العدو المسلم من وجهة النظر اليهودية ـ لإيمان اليهود إيمانا مطلقا بأن نشاط إسرائيل في شن العدوان والتدمير أمر من الممكن أن يساهم في قدوم المسيح المنتظر الذي ينتظره كل يهودي في كل أنحاء العالم ويوافقهم هذا الرأي رئيس الوزراء الإسرائيلي «إيهود أولمرت» الذي دائما ما يختم كلماته التي يلقيها على الجنود اليهود بقراءة جمل من العهد القديم تبين ضرورة إقدام بني صهيون على ضرب أعدائهم على أساس أن الله سوف يدعمهم بقوة من عنده!!!

من ناحية أخرى أشار خطاب الحاخامات اليهود إلى الشعب الإسرائيلي إلى ضرورة الاستمرار في القتال لأن هذا القتال قد يكون أحد الأسباب الرئيسية لظهور المسيح المخلص الذي ينتظره كل يهود العالم.

من جانبه أعلن الحاخام اليهودي المتطرف «عوفديا يوسف» في إحدى خطبه أن الرب يبارك جنود إسرائيل الذين يقومون بمهاجمة الأغيار العرب وطالب الحاخام المتطرف اليهود في كل مكان في العالم بقراءة أجزاء من التوراة وخاصة تلك الأجزاء التي تبشر بتغلب بني صهيون على الأغيار الذين يعيشون حولهم.

وقد أكدت الصحف العبرية أن دعوة «عوفديا يوسف» كانت صريحة حول ضرورة ربط الحرب التي تشنها القوات الإسرائيلية بالدين اليهودي.



ومن ناحية أخرى قام الحاخام «شلوموعمار» و«يونا متسجر» وهما الحاخامان الرئيسان لإسرائيل بزيارة إلى المواقع العسكرية اليهودية فى الشمال وأديا صلاة يهودية وقالا إن العرب أعداء اليهود تحالفوا مع الشيطان وأرادوا هدم كل الأفراح وقتل اليهود ولهذا فإن جنود إسرائيل يجب أن يقاتلوا وبكل قسوة للتخلص من هؤلاء الأعداء وكل هذا سيكون من أجل المسيح ومن أجل الله الذى فى السماء.

الرئيس الأمريكى لا يرغب فى إنهاء الحرب على لبنان

يبدو أن الرئيس الأمريكى لم يضع فى حسبانه أنه يمكن فضح حقيقة تفكيره وسياسته والدليل على ذلك ما نشرته صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية حول السقطة التى وقع فيها «بوش» خلال وجوده فى مدينة «بطرسبرج» الروسية لحضور قمة الدول الثمانية الكبار - حيث ذكرت فى تقرير صحفى أرسله أحد محرريها من واشنطن - أنه فى الوقت الذى كانت فيه العديد من قيادات العالم تبحث كيفية وقف التدهور الحادث فى المسيرة السلمية فى الشرق الأوسط اجتمع أعضاء مجموعة الثمانية فى بطرسبرج وقد طرح الصراع والقتال الدائران فى لبنان وفلسطين نفسه على الأحداث ولكن مفاجأة غير سارة كانت تنتظر الرئيس «بوش» حيث لم يلتفت إلى الميكروفون الصغير الذى كان أمامه وهو يهمس برأيه الخاص فى القتال المتصاعد فى لبنان وفلسطين وكشفت تلك المحادثة القصيرة بين «بوش وبلير» عن الرأى الحقيقى لكل منهما فى ذلك القتال حيث وضح من تلك المحادثة أن بوش تضايق للغاية من دعوة أمين عام منظمة الأمم المتحدة لإرسال قوات دولية إلى جنوب لبنان من أجل وقف إطلاق النار.

فالحقيقة التى ظهرت من محادثة «بوش» أبرزت أنه لا يريد وغير مهتم بوقف إطلاق النار طالما أن هذا الأمر يعنى استمرار قوات حزب الله فى التواجد على الساحة وقال بوش بالحرف الواحد: «إن المصلحة تقتضى استمرار القتال حتى الوصول إلى سوريا والانتهاء تماما من حزب الله والتخلص من كل من يمت له بصلة».

وقال أيضا: «إن عنان يجب أن يتم تبليغه بألا يقوم بالاتصال بالرئيس بشار الأسد ليترك الأمور تسير كما هى فى إطارها العسكرى».

ويكشف هذا الجزء الأخير من المحادثة عن وجهة نظر الرئيس الأمريكى فى كيفية إدارة المنظمة الدولية.

على الجانب الآخر كشفت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية النقاب عن حقيقة توجه الرئيس الأمريكى الراغب فى استمرار القتال فى المنظمة رغم العدد الكبير من الضحايا المدنيين الذين يسقطون كل يوم.

حاخامات إسرائيل يفتون بقتل النساء والأطفال فى لبنان وفلسطين

اعتاد الحاخامات اليهود منذ قيام دولة إسرائيلة على إصدار فتاوى دموية خطيرة لتحفيز الجيش الإسرائيلى ودفعه إلى قتل وإبادة الأبرياء من الشعب الفلسطينى والشعوب العربية.. وجاءت آخر هذه الفتاوى التى أصدرتها لجنة حاخامات مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة لتبيح قتل الأبرياء من النساء والأطفال فى لبنان وفلسطين والتى جاء فيها أن الذى يترحم على أطفال غزة ولبنان فإنه يقسو بشكل مباشر على أطفال إسرائيل.. وبينوا فى فتواهم أن دافعهم لهذه الفتوى الوقت العصيب الذى يمر به الكيان الصهيونى واستند حاخامات اليهود فى فتواهم على حد زعمهم - على تعاليم التوراة!!

وقد أثارت هذه الفتوى الخطيرة غضب واستنكار علماء الإسلام الذين اعتبروها بمثابة إعلان حرب من قبل إسرائيل على الأطفال والنساء فى فلسطين ولبنان وأكدوا أن مثل هذه الفتاوى مخالفة لكافة الشرائع السماوية والإنسانية وطالبوا بوجوب تحرك إسلامى لوقف مثل هذه الفتاوى والتصدى لها وللكيان الصهيونى الذى يستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين.

المؤتمر الرابع لمجمع فقهاء الشريعة يؤكد ضرورة دعم المقاومة

أكد المشاركون فى المؤتمر الرابع لفقهاء الشريعة أن دعم المقاومة فى لبنان وفلسطين أمر واجب وأن مقاومة المعتدين واجبة وفى كلمته أمام المؤتمر أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن أعداء الأمة الذين يقاتلون المسلمين ويخرجونهم من ديارهم ويظاهرون على إخراجهم لا يمكن أن نمد لهم أيدينا بالسلام بينما أياديهم ملطخة بدماء أطفال ونساء المسلمين والإسلام يأمرنا بالسلام وليس بالاستسلام.. وأضاف فضيلته أن من يعتدى على حقوق المسلمين وعقيدتهم وأموالهم وأعراضهم وبلادهم وأرضهم تجب مقاومته ومحاربته.

كما أكد فضيلة الدكتور على جمعة مفتى مصر أن قتال حزب الله لإسرائيل هو دفاع عن البلاد ضد العدوان الغاشم وليس إرهابا كما يحاول أن يصوره البعض.. واعتبر المفتى أن ما يحدث فى لبنان الآن من اعتداءات وقتل وتدمير من قبل القوات الإسرائيلية هو الظلم نفسه؛ ويبيح للشعب اللبنانى الدفاع عن وطنه وحزب الله يدافع عن وطنه.

وأضاف فضيلة المفتى: أننا جميعا ضد ما يحدث فى لبنان من قتل وتدمير ومن واجبنا أن نقف صفا واحدا لمؤازرة الشعب اللبنانى.

كما طالب سماحة الدكتور عكرمة صبرى مفتى القدس السابق ورئيس الهيئة الإسلامية العليا



بفلسطين بدعم صمود المقاومة فى جنوب لبنان وفلسطين والوقوف بجانب الشعبين اللبنانى والفلسطينى فى المحنة التى يتعرضان لها جراء العدوان الإسرائيلى المستمر عليهما.. وحذر من بعض الفتاوى الشاذة التى يروج لها أذناب الصهاينة والأمريكان بالمنطقة لبث الفرقة والشقاق بين المسلمين وإضعاف الصمود الأسطورى للمقاومة وكسر إرادة الأمة من خلفها.

تونى بلير: إسرائيل تحارب الإسلام الرجعى

زعم رئيس الوزراء البريطانى «تونى بلير» أن الحرب الإسرائيلية ضد حزب الله تماثل الحرب العالمية على الإرهاب وقال إنه نضال من أجل الاعتدال والقيم الكريمة بغرض الانتصار على الكراهية وانعدام التسامح.

وبرر رئيس الوزراء البريطانى فى كلمته أمام مجلس الشئون العالمية بولاية «لوس أنجلوس» ما تقوم به إسرائيل وقال إنه يعتبر ردا على ما أسماه الاستفزاز الذى قامت به حركة حماس وحزب الله باختطاف الجنود الإسرائيليين وربط «بلير» العمليات العسكرية فى غزة ولبنان بمشكلة التطرف والتباين الكبير بين الإسلام الحديث والرجعى وأضاف أنه منذ أحداث سبتمبر تتبع الولايات المتحدة سياسة التدخل لضمان أمنها وأمننا مستقبلا.

كما انتقد بلير سوريا وإيران بشكل لاذع حيث قال يجب أن نوضح لإيران وسوريا أن هناك خيارا أمامهما: إما أن تنضما إلى المجتمع الدولى وتسيرا وفق القواعد نفسها أو أن تتم مواجهتهما.

وذكر بلير أن الحملة العسكرية التى تشنها الولايات المتحدة فى العراق وأفغانستان تندرج فى إطار سياسة ترمى إلى تغيير القيم وليس الأنظمة فقط.

منظمات حقوق الإنسان الدولية تدين استمرار التعذيب فى السجون الأمريكية بالعراق

أدانت منظمة «هيومن رايتس ووتش» المعنية بحقوق الإنسان على المستوى الدولى استمرار التعذيب بالسجون والمعتقلات الأمريكية بالعراق.

وأكدت المنظمة أن تعذيب السجناء والمعتقلين لدى القوات الأمريكية فى العراق بشكل منهجى استمر حتى بعد فضيحة سجن أبوغريب فى عام ٢٠٠٤

وقالت المنظمة فى تقرير لها إن التعذيب ممارسة راسخة ومسموح بها على ما يبدو فى إجراءات الاعتقال والاستجواب الأمريكية فى العراق.. وأكدت المنظمة التى تتخذ من نيويورك مقرا لها أن القيادة العسكرية الأمريكية لم تكتف بتجاهل هذه التجاوزات بل ساهمت فى تنظيمها فعليا وأكد التقرير أن المعتقلين ليسوا مسجلين لدى اللجنة الدولية للصليب الأحمر مما



يشكل انتهاكا للقانون الدولى وتشمل الممارسات التعذيبية تقنيات وحشية عديدة سمحت بها القيادة العسكرية الأمريكية للحصول على المعلومات من المعتقلين.

ولفت التقرير النظر لتعرض المعتقلين للضرب العنيف المبرح وإجبارهم على البقاء فى أوضاع قاسية وحرمانهم من النوم لفترات طويلة وتعريضهم لدرجات حرارة منخفضة أو مرتفعة جدا ويذكر أن عدد المعتقلين فى المعتقلات الأمريكية بالعراق يصل إلى نحو (١٤) ألف معتقل.

مجمع البحوث الإسلامية يرفض تفسير القرآن شعرا

رفض مجمع البحوث الإسلامية موسوعة تفسير القرآن الكريم بالشعر والتى أعدها مركز الخليج العربى للاستشارات الدولية.

كان مجمع البحوث قد شكل لجنة على مستوى عال من كبار العلماء لوضع تقرير عن الموسوعة والتى تضم ستة أجزاء وعدد أبياتها (٢٧٣٢٩) بيتا.

أكد تقرير اللجنة أن بعض أجزاء الموسوعة تمثل نظما ركيكا أسماه صاحبه تفسير القرآن الكريم بالشعر وهو يمثل إساءة لكتاب الله تعالى بل إساءة لذاته.

وأكد التقرير أن هذا النظم الشعرى يشوه المعانى القرآنية تشويها ينزل بيانها الربانى إلى لغو سقيم.

مقاضاة مجلة فرنسية نشرت الرسوم المسيئة للرسول ﷺ

رفع مسجد باريس دعوى قضائية ضد مجلة «شارلى إيبدو» الفرنسية الساخرة لنشرها الرسوم الدانماركية المسيئة للرسول ﷺ.

ومن المقرر أن تنظر المحكمة الفرنسية الدعوى فى جلسة (٢٢) سبتمبر القادم بتهمة المس علنا بمجموعة أشخاص فى ديانتهم ويطالب مسجد باريس بنشر بيان قضائى فى الصفحة الأولى من المجلة ودفع تعويض بقيمة (٣٠٠) ألف يورو بعد أن نشرت المجلة ثلاثة رسوم مسيئة للرسول ﷺ اثنان فيها من الرسوم التى نشرتها صحيفة «يولاند بوست» الدانماركية فى سبتمبر الماضى.

مجمع الفقه الإسلامى يدعو الفصائل الصومالية إلى المصالحة

دعا مجلس مجمع الفقه الإسلامى - أحد مؤسسات منظمة المؤتمر الإسلامى - مختلف الفصائل الصومالية المتحاربة إلى تحقيق المصالحة حقنا للدماء ووقفا للخراب والتدمير.

وطالب المجمع الفصائل بنبذ العنف ووقف الاقتتال وتغليب المصلحة العليا للوطن وللشعب



الصومالى وتوحيد الجهود لاستعادة الأمن والاستقرار إلى البلاد ولإعادة إعمار الوطن الذى دمرته الحرب.

وأعلن المجلس عن تأييده للجهود التى تبذلها الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى وما تقوم به لجنة متابعة الشئون الصومالية لجمع الفصائل وتحقيق المصالحة وناشد المجمع الأمة الإسلامية حكومات وشعوبا مناصرة الصومال وتقديم المساعدات إليه فى جميع المجالات وخاصة المساعدات العاجلة ومساعدة المنكوبين بسبب الحرب والجفاف.

باحث دانماركى يطالب بتدريس الإسلام فى المدارس والجامعات

دعا باحث دانماركى بجامعة كوبنهاجن إلى تدريس الإسلام وثقافته فى المدارس وعلى المستوى الجامعى لكى يتعرف الدانماركيون على حقيقة الإسلام وبعيدا عن وسائل الإعلام أو بعض الكتاب الذين ينشرون كتبا عن الإسلام قد لا تكون محتوياتها حقيقية.

وكان الباحث الدانماركى «بيترلونشوا» قد أجرى دراسة ميدانية على مجموعة من الدانماركيين حول علاقتهم بالإسلام وأظهرت الدراسة أن هناك ٧٥٪ يعرفون أن رمضان هو شهر إسلامى للصيام وأن ٢٤٪ يعلمون أن موسى وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ من الأنبياء كما جاء فى القرآن.

غضب مسلمى أمريكا بسبب هجوم مستشار بوش على الإسلام

تفجرت حالة من الغضب فى أوساط مسلمى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب مهاجمة «أونيل دوزبير» القس الأمريكى الأسود والمستشار السابق للرئيس جورج بوش للإسلام ووصفه له بأنه دين خطير ومتطرف وقال «ألطاف على» المدير التنفيذى لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية بولاية فلوريدا إن تصريحات «دوزبير» تظهر أنه لا يعرف كثيرا عن الإسلام مشيرا إلى أن محاولاته لمقابلة ذلك القس ومناقشته فى تصريحاته الأخيرة باءت بالفشل.. وأوضح أن تصريحات القس الأسود المتطرفة من شأنها إحداث إنشقاق داخل مجتمع السود بالولايات المتحدة الذى يتمتع بعلاقات طيبة مع المسلمين.

وكان القس الأمريكى قد هاجم الإسلام فى برنامج إذاعى زاعما أنه دين متطرف.

وقال: أنا لا أتطلع لأن يؤمن كل الناس بما أؤمن به، لأنه ليس كل شخص يعلم عن هذا الدين ما أعلمه أنا؛ مدعيا أنه يعلم بأشياء تنفره من الإسلام.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية الثالثة والسبعين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى بدأت فى الفترة من ١/ ٥/ ٢٠٠٦ وحتى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦م وعددهم ١٩ إماما وواعظا من دول: «الجزائر - السودان - السنغال - أوغندا - جيبوتى» وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية لمدة ثلاثة شهور، وقد تلقوا خلالها العلوم الدينية والشرعية وأمور الفقه على أيدى أساتذة وعلماء من الأزهر الشريف، والتى عن طريقها يمكنهم الرد على الأسئلة والاستفسارات التى يتعرضون لها عند عودتهم إلى بلادهم.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ونتحاور فى العقائد والمعاملات، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، نبين للناس وجه الإسلام السمح الذى يأمر أتباعه بأن يبنوا ولا يهدموا، يعمروا ولا يخربوا، يصلحوا ولا يفسدوا، يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم وينشروا مبادىء الإسلام السمحة على الناس، يدافعوا عن الحق ويقفوا فى وجه الباطل، فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه، موضحا بأن الإسلام دين ينهى نهيا قاطعا عن الإرهاب الذى هو عدوان على أنفس وأموال عقائد وكرامة الناس، فعلينا أن نجابه الباطل ونبين ما هو حق، ونتعاون



خدمة ديننا وأمتنا بأن نكون قدوة فى مكارم الأخلاق وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وفى نهاية كلمته تمنى فضيلة الإمام الأكبر للخريجين دوام السداد والتوفيق فى عملهم.

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين ومنح كل واعظ منهم مكتبة دينية تساعده على أداء مهامه بنجاح وتكون مرجعا له وقت الحاجة كما قام فضيلته بافتتاح أعمال الدورة التدريبية رقم (٧٤) للأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى (٢٠) إماما وواعظا من دول «الجزائر - السودان - اليمن - النيجر - غانا - كينيا».

حضر الحفل فضيلة الشيخ عمر الديب - وكيل الأزهر الشريف - وفضيلة الشيخ عبدالله مجاور حسين الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية والسادة سفراء الدول المشارك أبناؤها فى الدورة.

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه السيد روبينكاربيتيان - سفير أرمينيا بالقاهرة - وتأتى هذه الزيارة فى إطار التعارف وتوطيد العلاقات الطيبة، رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير بالأزهر الشريف مشيدا بالعلاقات القديمة والطيبة بين أرمينيا الصديقة داعيا للبلدين بنعمة السلام والأمان وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر بأبناء أرمينيا الذين يمتازون بالنشاط والجد والمثابرة والاجتهاد فى العمل كما أكد فضيلة الإمام الأكبر أنه من خلال لقاءاته بالسفراء والمسئولين من دول العالم المختلفة دائما يؤكد على أن الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم وأن لكل إنسان عقيدته وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون سواء كان هذا التعاون تجاريا أو صناعيا أو غيره من أوجه التعاون التى تخدم البشرية، ويعنى هذا أن الحضارات بين الدول تتعاون وتتكاتف بصرف النظر عن العقائد.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء المثمر الذى ساده المحبة مؤكدا على أنه يسعده أن يكون سفيرا لأرمينيا بالقاهرة نظرا للعلاقات الطيبة، بين البلدين مشيدا بآراء فضيلة الإمام الأكبر بتعاون الحضارات لكى يعيش العالم فى سلام وأمان، ومؤكدا على المشاعر الطيبة تجاه الدول العربية والعالم العربى وأن أرمينيا تبارك خطوات مصر فى كل المحافل الدولية.



- يغادر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى المملكة العربية السعودية لأداء مناسك العمرة ويجرى فضيلة الإمام الأكبر خلال زيارته مباحثات مع مسئولى المؤسسات الدينية حول أوضاع المسلمين فى ظل العولمة.
- اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٦/ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م على مستوى الجمهورية بمشيخة الأزهر.
- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - وفدا قضائيا من دولة ألبانيا من القضاة فى إطار الدورة رقم (١٤) التى ينظمها المركز القومى للدراسات القضائية بالتعاون مع وزارة الخارجية المصرية ويرافق الوفد المستشار مجدى محمد جاد نائب رئيس محكمة النقض وعضو المكتب الفنى بالمركز القومى للدراسات القضائية والسيد محمد بسيونى أحمد من وزارة الخارجية «صندوق الكومنولث».

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة أعضاء الوفد فى مصر وأزهرها الشريف وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية العدل ومكانته السامية فى شريعة الإسلام فالشريعة الإسلامية تقوم على العدل فى الأقوال والأفعال، ووجوبها على الأغنياء والفقراء على الأعداء والأصدقاء.

كما أكد فضيلة الإمام الأكبر بأن القضاة هم الذين يشاركون مع غيرهم فى نشر العدل فى الأمة لأن القضاء هو دعامة أى أمة ترتكز عليه مقومات الدولة فى الاستقرار والرخاء والرقى والتقدم فالأحكام العادلة فى الأمة يسودها الأمن والرخاء والاطمئنان، والقضاء فى كل دولة هو عصب حياتهم وهو ميزان العدل فيها وبين فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام أمرتنا جميعا أن نكون عادلين فى أحكامنا لأن العدل أساس الملك مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تؤكد على أن العدل فى شريعة الإسلام هو عدل مطلق بين الناس يعطى كل إنسان حقه، فالدولة التى يحكم قضاتها بالعدل ترتفع وتقوى وتسمو، وأى دولة فى العالم يحكم فيها بالظلم لابد أن تضعف وتنهار، كما أن شريعة الإسلام تمتاز بالوضوح وإعطاء كل ذى حق حقه سواء كان مسلما أو غير مسلم، وأن شريعة الإسلام تعتبر الاعتداء على نفس واحدة ظلما وعدوانا كأنه اعتداء على الإنسانية كلها، كما أن شريعة الإسلام تمد يدها بالسلام إلى كل من يمد يده إليها بالسلام.



كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة أعضاء الوفد.

وفي نهاية اللقاء شكر السادة أعضاء الوفد فضيلة الإمام الأكبر على تلك المحاضرة القيمة التي أوضحت العديد من الاستفسارات.

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (٦٥٢) لسنة ٢٠٠٦م بالموافقة على سفر السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى الجهات المبينة قرين اسم كل منهم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية لمدة لا تجاوز شهر رمضان المعظم لسنة ١٤٢٧هـ، وهم:

عبدالحميد محمد متولى الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة، وعلى عبدالباقي شحاتة الأمين العام المساعد للبحوث، سويسرا - المركز الإسلامي. وزغلول محمد عبدالسلام نصر مدير عام الامتحانات بالقطاع، وأحمد أحمد سيد أحمد ربيع مدير عام منطقة وعظ القاهرة، وعصمت محمد محمد حسين موجه بمنطقة أسيوط، إلى المالديف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وممدوح أحمد عبدالوهاب عنصر رئيس الإدارة المركزية لمنطقة كفر الشيخ، أسبانيا - مدينة سرقسطا مسجد خالد بن الوليد. وعمر أحمد داود وكيل أول منطقة الجيزة، مدريد - مسجد أبوبكر الصديق بأسبانيا. وعبدالله ألهم مجاور حسين رئيس اللجنة العليا للدعوة، مسجد بلنسية بأسبانيا، وفؤاد عبود الشريف رئيس الشئون الفنية، مدينة سبتة - مسجد النور بأسبانيا. وحافظ محمد حافظ سليمان رئيس منطقة القاهرة، مدينة سنتياغو - مسجد سنتياغو. وحسن عبدالمعطى مبارك هلالى رئيس منطقة قنا، مدينة غرناطة - مسجد عمر بن الخطاب. ونورالدين محمد السيد مسلم رئيس منطقة الجيزة، مدينة برشلونة - مسجد تاراسا بأسبانيا. وعبدالوهاب محمد عطا القط رئيس منطقة البحيرة - مسجد الياكنتي بأسبانيا. وأبوالعزم محمود عبدالحميد أحمد رئيس منطقة الفيوم، مدينة باداخوات - مسجد ذى النورين. وعبدالرءوف على رفاعى رئيس منطقة سوهاج، مدينة بلباو - مسجد السلام بأسبانيا. ونسيم لبيب العوضى قاعود رئيس منطقة بنى سويف، مسجد تزيغى بأسبانيا. وحسين على محمد سليمان طه رئيس شئون القرآن - بالشرقية، مركز أئمة مساجد محافظة الماريا بأسبانيا. وعبدالعظيم عبدالرءوف الطباخ شيخ معهد قراءات كفر الزيات غربية، المركز الإسلامي بأسبانيا. وعبدالحميد إبراهيم بكر وكيل معهد كتامة الغربية، المركز الإسلامي بأسبانيا. ومحمد عبدالوهاب إسماعيل سكران موجه وعظ منطقة الغربية، مسجد سهيل فى فونتخرولا بأسبانيا. والسيد السيد شلبى



على موجه شرعى منطقة الدقهلية، مسجد المحسنين مبدينة تورى مولينوس. وعثمان محمود حافظ متولى م. أ. م العمار الكبرى بالقليوبية، مسجد الرحمن - جمعية المدينة بعلقة الأنهار بأسبانيا. وعبدالصبور أمين هيكل رئيس قطاع المعاهد، إيطاليا المركز الثقافى الإسلامى مسجد نور الإسلام. ومحمد قطب حضير شريف رئيس قطاع مكتب الإمام، أمريكا - المركز الإسلامى بمدينة توسان بولاية أريزونا. وعبدالفتاح دردير داود غزالى مدير عام منطقة القاهرة، مركز بيت المقدس الإسلامى - بروكلين - نيويورك. وأنور عبدالسميع أنور شحاتة مدير عام وعظ الإسماعيلية، نيوزلاند الجمعية الإسلامية فى وتجنوى. وأحمد محمود قنديل تركية مدير شئون مناطق الوعظ، بلجيكا المركز الثقافى الإسلامى. وعبدالوهاب محمود عبدالوهاب وكيل تفتيش الشرقية، استراليا جمعية الصديق فى ملبورن. وأحمد عبدالسلام أحمد محمود تفتيش وعظ أسيوط، وفيصل محمود مصطفى جادالله وكيل معهد العامرة - المنوفية، ومنصور محمد السيد سالم مدير التعليم بالشرقية، وفوزى جابر عبدالفتاح مبروك موجه شئون قرآن - بنى سويف. وعطا عنانى عمر حبيب موجه بالأمانة العامة للدعوة، إلى المجلس الأعلى الإسلامى بأوغندا. وعبدالعزيز على داود صقر رئيس منطقة الشرقية، ومهدى عبدالنعيم على أحمد رئيس شئون القرآن بالمنيا، إلى النمسا - جمعية الاتحاد الإسلامى بمدينة جراتسى. وفوزى محمد منجود مدير عام العلاقات العامة، ووجيه يس إبراهيم شحاتة موجه أول وعظ الغربية وإبراهيم محمد محمد محلب موجه عام منطقة الدقهلية، والشحات عبدالخالق عشرى إبراهيم موجه بمنطقة وعظ كفر الشيخ، والقطب أبوزيد محمد موجه شرعى بمنطقة القاهرة، إلى الأردن - وزارة الأوقاف وشئون المقدسات الإسلامية. وعبدالتواب عبدالحكيم قطب مدير عام بقطاع المعاهد، إلى المركز الثقافى الإسلامى فى تروارفيار بمقاطعة كيبيك - بكندا.

● كما أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (٦٥٣) لسنة ٢٠٠٦م بالموافقة على سفر السيد/ فرج الله محمود عبدالحى الشاذلى - الموجه بمنطقة البحيرة الأزهرية إلى بلجيكا - المركز الثقافى الإسلامى، للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية لمدة «خمسة عشر يوما الأولى» من شهر رمضان المعظم لسنة ١٤٢٧هـ.

***



Further, the US media keeps formulating terms based on malicious thoughts about Islam and Muslims, such as aggression, barbarity, fanaticism, irrationality, backwardness, and woman-disrespect. All of these are introduced as something closely related to Islam and its culture. In addition, the US media keeps spreading the concept of fear from Islam and Muslims.

Additionally, the US mass media keeps depicting Islam as involving threats and dangers of social, political, military or cultural nature. In other words, they keep building enmity against Islam on the grounds that it represents a common fear from the Muslims - in their opinion – claiming that the Muslim countries suffer instability, civil, ethnic and tribal wars, violence, diseases and other countless epidemics. Such media claims that such factors push the Muslims to immigrate, in increasing numbers, to the USA and Western countries, which represents a growing threat against the claimed values and civilization of the West.

In brief, the increasing enmity against Islam reflects a misunderstanding based on groundless malicious principles representing clear hatred and enmity. The West and the USA will continue, for long, to be the prisoners of their fear of what they call 'The Threat Coming from South', namely the Islamic world.

The attitudes of the US media can be clarified as follows:

1- Associating Islam with terrorism which is, according to their point of view, a result of the teachings and instructions of Islam.



2- Islam as a creed, Shari'ah (i.e., law) and behavior is a real danger threatening the civilized communities and the human civilization in general.

3- The Arabs and Muslims are evil-doers, enemies and backwards, and thus they must be despised and excluded.

Despite all this, we notice, on the other hand, that:

First: There is an increase in the numbers of people embracing Islam in all the countries around the globe. In Australia, for example, the number of Muslims increased during the last decade to 450,000 Muslims. The same happened in Sweden, Belgium, Netherlands, Malta, Switzerland, and Russia despite all the black propaganda launched against Islam and Muslims.

Second: The number of the Islamic organizations increased in some European countries, such as France, Germany and Sweden, and in Africa, such as Ethiopia, Niger, Ghana, Namibia, Rwanda, Burundi and Togo.

Third: More and more people seek to know about Islam. The last decade witnessed thirty conferences for dialogue among religions. For instance, the Islamic organizations, including the Islamic Council in Germany, arranged a program to spread knowledge about Islam. The General Coordinator for the cultural work strategy in the West, Salah Al-Ja'farawy, declared that there was a noticeable increase in the Westerners' awareness of Islam and their interest in knowing the Islamic traditions.

*Islam in the US Media !!!

By: Dr. Abdullah Naguib

Though we acknowledge the role of the US media in enlightening and providing information in a kind of technicality and boldness, such media is more skillful in misleading and brainwashing for the sake of achieving specific political, economical and cultural targets.

The US media offers incorrect information about many of the local and international issues. For example, the US media unfaithfully and maliciously covers the Arab-Israeli conflict and the Arab and Muslim issues, and distorts their image before the world. Not only that, the US media spreads rumors about Islam and tries to destroy its high esteem using all the possible means.

If we should try to analyze the reasons behind such defect, we would come to know that this goes back to the formation of this informational system, the nature of its relation with a network of monopolies in the military and communication fields, and the nature of its connection with the interests of certain groups in the US society, especially the capitalists and politicians.

This, of course, causes the absence of the principle of independency and information-flow freedom. Moreover, this has a negative effect on the neutrality of the informational material as long as it is considered as an article to be sold, bought, and employed to achieve the goals of some individuals and organizations, such as the US weaponry industry group 'General Electric' which owns the biggest audiovisual network, 'ABC' in addition to 'CBS' and 'IBC'.

* An Article Published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.



With regard to the above, personal interest requires, sometimes, a kind of informational monopoly necessitating hiding some facts and information or even falsifying or blocking them when they conflict with what is called "The US Interests" and "The US National Security", or when doing so helps achieve a kind of economical benefits.

In this respect, the US mass media adopts certain attitudes and trends, the most obvious of which is the "Zionistic Lobby" represented clearly in the US media institutions not to mention what it owns of irresistible wealth and authority. Unfortunately, the news coverage undertaken by the US media towards the Arab and Muslim issues is greatly affected by the role of the Zionistic Lobby which is able to effectively manipulate the content and trend of the news. For example, the Jewish stockholders at Time Warner's CNN sold their shares at the company as a means of protesting against the CNN visual coverage of the events of the Palestinian Intifada. Accordingly, this caused the company to change its way in covering the Intifada in a way that helps realize the goals and vision of the Jews. Not only that but the network stopped broadcasting the reports of its correspondents at Gaza Strip.

According to the criteria of the Zionistic Lobby, Israel is seen as a country defending its security against what it calls 'the violence of Palestinian terrorists', which, in turn, depicts the Arab Muslim people as evil-doers, murderers, backwards, and terrorists. That is, Zionism does its utmost to implant a negative image for Islam, similar to that of Communism. On the US media, Islam has become the coming threat against the international community and the Western civilization.

works, but this was not the case with all his works. For example, his scientific theses realized the highest degrees.

If I may have the chance to express my own point of view, I shall say that Dr. Ahmed Al-Sharabasy, in the beginning of his life, has celebrated only the Arabic literature. He would put it as a goal before his eyes, and he was not aware that days would turn that goal into a means towards a higher goal and a sublime demand. That is, he became a Muslim caller clarifying the methodology of Islam through a clear tongue.

Dr. Ahmed Al-Sharabasy would give much attention to studying literature, across all its ages, so he was well acquainted with it. He wrote a series of literary chapters, but I would like to shed light on his research on "Oration in Andalusia", which was published in series at Al-Azhar Magazine. I also remember that Dr. Muhammad Mahdy Al-Basir, one of the literature professors in Iraq, wrote a book entitled "Resurrection of the Jahly[1] Poetry." After studying that book, Al-Sharabasy began to tackle it from a critical point of view. In reviewing the book, he expressed abundant materials and clear arguments which would be considered as a sign on a promising readiness of a strong critic and man of letter. However, oration had been overwhelming him. If he had dedicated his life to only literature, we would have seen his name on the top of the list.

When Al-Sharabasy joined the Arab Language Faculty, Cairo University, and moved from Al-Zaqaziq to Cairo, that represented a great turning point in his production. It was thought that he would extend his study on the literary studies provided by the Faculty, limiting himself to its sciences, but he found in Cairo a broad field

[1] Relating to the Pre-Islamic era.

for the Islamic activity, at societies, seminars and mosques, whether through lectures, discussions or orations. Hence, the circle of his strife widened to encompass the religious reform and social criticism, so he directed himself to serve the Islamic Idea, through the pen and tongue.

We know that the writer's style is distinguished from that of the orator. Since Al-Sharabasy dedicated himself to oration, the dominant features of the orator moved to his pen. We would notice in some – not all – of his writings the presence of elaboration that would not convince the one committed to focus and specificity. Adhering to that style, Al-Sharabasy was as if trying to attract the reader through the same style he would use in attracting the listener, so that he would elaborate and repeat sometimes. However, the readers knew that they would read the statement of a caller and preacher, so they were satisfied with and attracted to such a style. Examples of such style are found in "Prayers of the Beach," "Gaining from the Qur'an," "Duty of the Arab Youth" and "Glimpses of the Sira of Lady Zainab." The nature of the topics of these works are considered as an excuse behind the writer's elaboration.

I would not be deviating from the truth when saying that Al-Sharabasy had been dedicated to definite scientific research in some of his compilations, such as "Retribution in Islam" and "Thursday Lectures." It would not harm him to introduce his useful and accurate research in beautiful clothing; the scientific facts are not distorted if expressed through a bright style and useful elaboration. Moreover, these two books are essentially valuable, absolutely innovative and brightly expressive. What else do you expect from a writer?!

prayer). Then, someone came to tell us that Allah's Messenger had turned to the Inviolable House (i.e., the Ka'ba), so we performed the other two rak'as while directing ourselves towards the Inviolable House."

Abdullah Ibn Ka'b Al-Ansary said that his father – who had witnessed the Pledge of Al-Aqaba and had pledged allegiance to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) – said to him:

"We set off to perform Hajj (i.e., Pilgrimage) at Mecca and we had performed prayer (at Medina). We received our knowledge of Islam from Mus'ab Ibn Umair and we absorbed Fiqh (i.e. Islamic Jurisprudence) from him. Al-Bara'a Ibn Ma'rour, our master and chief, was with us. When we started on the journey and got out from Medina, Al-Bara'a said, 'O people, I have an opinion, and I swear by Allah that I do not know if you will agree on it or not.' We said, 'What is that?' He said, 'I see that I should not turn my back to that building (i.e., the Ka'ba) and that I should perform prayer towards it.' We said, 'By Allah, we have not been informed that our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) performs prayer except to Al-Sham and we do not want to contradict him.' Al-Bara'a said, 'By Allah, I shall perform prayer towards it (i.e., the Ka'ba).' We said, 'But we will not do (like you).' Thus, whenever the time for prayer would come, we performed prayer towards Al-Sham and he performed prayer towards the Ka'ba. This continued until we reached Mecca."

Accordingly, Al-Bara'a Ibn Ma'rour was the first person to perform prayer towards the Ka'ba before the Hegira. Upon hearing that story, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) did not command him to repeat the prayers which he performed towards the Ka'ba before the Revelation. The Prophet said to him:

"You would have been following my Qiblah had you been patient (a little)."

Dr. Ahmed Al-Sharabasy
Assiduous Researcher and Orator !!!
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Dr. Ahmed Al-Sharabasy was granted happiness in spending his time. That is, he used to do something useful every day despite his numerous travels to many places all over the country as a caller and preacher. In the evening, you might hear him giving a scientific lecture at Assuit, then, in the next day, you would come to know that he was preparing to give a lecture at Port Said on another topic. This was the case as far as Egypt is concerned. As for his journeys outside Egypt, they were directed to most of the Islamic world. He would go there as a lecturer, thinker and relations consolidator.

Despite the physical exhaustion, Dr. Ahmed Al-Sharabasy left behind scientific heritage no one could count. He compiled numerous encyclopedias such as "Manners of the Qur'an" in seven volumes, "They Ask You!" in seven volumes, "Al-Sharabasy's Sermons" in five volumes, and "Sacrifice in Islam" in four volumes. Moreover, he prepared his MA thesis on the literature of Shakib Arslan in two parts, and the PH.D thesis on Muhammad Rashid Rida in three parts. This is in addition to many compilations on various topics including literature, religion, history, society. His works were the fruitage of a highly-exerted efforts.

The most criticism directed to Dr. Al-Sharabasy's scientific heritage is that he used to write the scientific research with the spirit of the orator. However, he could not help it, for he was a well-versed orator who would elaborate to make the public understand. He did not differentiate between oration and writing in some of his



"On the middle night of Sha'ban, Allah looks at all His creation and forgives all of them except for a polytheist or quarrelsome."

In another narration, Imam Ahmed Ibn Hanbal related that Allah's Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) said:

"On the middle night of Sha'ban, Allah looks at His all creation and forgives them all except for two persons: a quarrelsome or murderer."

These hadiths and others put the middle night of Sha'ban in a higher rank, glorify that day and call the Muslims to hasten to show obedience to Allah and fast that day while asking for Allah's Mercy, Forgiveness and Satisfaction. They also have to know that Allah is always there waiting for the sinner to repent, and He will accept his/her repentance. Allah, Exalted and Glorified be He, will give everyone whatever he/she deserves of reward and He will never do injustice to any of them. The best thing that one can offer at this blessed night is to perform prayer, recite the Noble Qur'an, and supplicate Allah. The best that one can supplicate Allah with is the words reported from the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Amongst the great events that occurred in that blessed month is the turning of the *Qiblah* (i.e., the place towards which the Muslims direct their heads during prayer) from the Sacred House (i.e., in Jerusalem) to the honorable Ka'ba. It is related in the Two Sahihs (i.e., the Two Authentic Books of Al-Bukhary and Muslim) that Al-Bara'a Ibn 'Azib (may Allah be pleased with him) narrated:

"Allah's Messenger used to perform prayer while heading for the Sacred House for sixteen or seventeen months. He would like to direct himself while performing prayer to the Ka'ba instead of the Sacred House. On that occasion, Allah said, {We have already seen the turning about of your face to the heaven;



so We will indeed definitely turn you towards a Qiblah that shall satisfy you. So turn your face towards the Inviolable Mosque; and wherever you are, then turn your faces towards it. And surely the ones to whom the Book was brought do indeed know that it is the Truth from their Lord; and Allah is in no way ever heedless of whatsoever they do.} [Al-Baqarah (The Cow): 144]."

That was in the month of Sha'ban, 2 A.H. The Divine Command came in response to the Messenger's supplication. He was commanded to direct his prayer to the Qiblah he desired; the Ka'ba has been the Qiblah of the Father of Prophets, Ibrahim (peace be upon him).

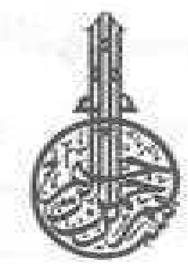
Some of the foolish people staying near the Prophet and his Companions at Medina did not like the matter and surprisingly said, *{What has turned them away from their Qiblah which they had been (facing)?}* The reply came in the same verse reading: *{Say, "To Allah (belong) the East and West; He guides whomsoever He decides to a straight path."}* [Al-Baqarah (The Cow): 142]

It happened that a man performed prayer behind the Prophet towards the Ka'ba, then he went and passed by some people from the Ansar (i.e., the Prophet's supporters at Medina) at the Asr (Afternoon) Prayer. Those people were turning towards the Sacred House for they had not known the event of turning the Qiblah. Upon that, the man raised his voice saying, "I bear witness that I performed prayer with the Prophet and he directed himself towards the Ka'ba." Hearing that, the people turned to the Ka'ba. With regard to that event, the Mosque of Bani Salama was called 'The Mosque with the Two Qiblahs' due to the fact that the people directed their faces towards two Qiblahs in one prayer, as mentioned above.

Nuwailah Bint Maslama was reported to have said:

"We were performing the Zuhr or the Asr (the reporter was in doubt) at Bani Haritha Mosque (she means Bani Salama Mosque) and we directed ourselves towards Ilya' Mosque (i.e., Al- Aqsa Mosque) and we had finished two rak'as (i.e., units of

AL-AZHAR MAGAZINE
Sha'ban 1427 A. H.



ENGLISH SECTION
August. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



The Month of Sha'ban !!!
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to single out the month of Sha'ban with more acts of worship, especially fasting, than he would do in any other month. In this regard, An-Nasa'y related that Ussama Ibn Zayd (may Allah be pleased with both of them) said:

"I said, 'O Messenger of Allah, I have not seen you fasting in any month more than you do in Sha'ban!' The Messenger said, 'This is a month, between Rajab and Ramadan, which people show no attention. In this month the deeds are raised to the Lord of the Worlds, and I like my deeds be raised while I am fasting.' "

Imam Al-Shawkany said, "The wisdom behind fasting the month of Sha'ban may be that it is followed by Ramadan in which fasting is obligatory. Allah's Messenger used to fast in Sha'ban as much as he would fast in other two months, due to the voluntarily fasting he would miss in the month of Ramadan." Umm Salama, the Mother of the Believers, narrated:

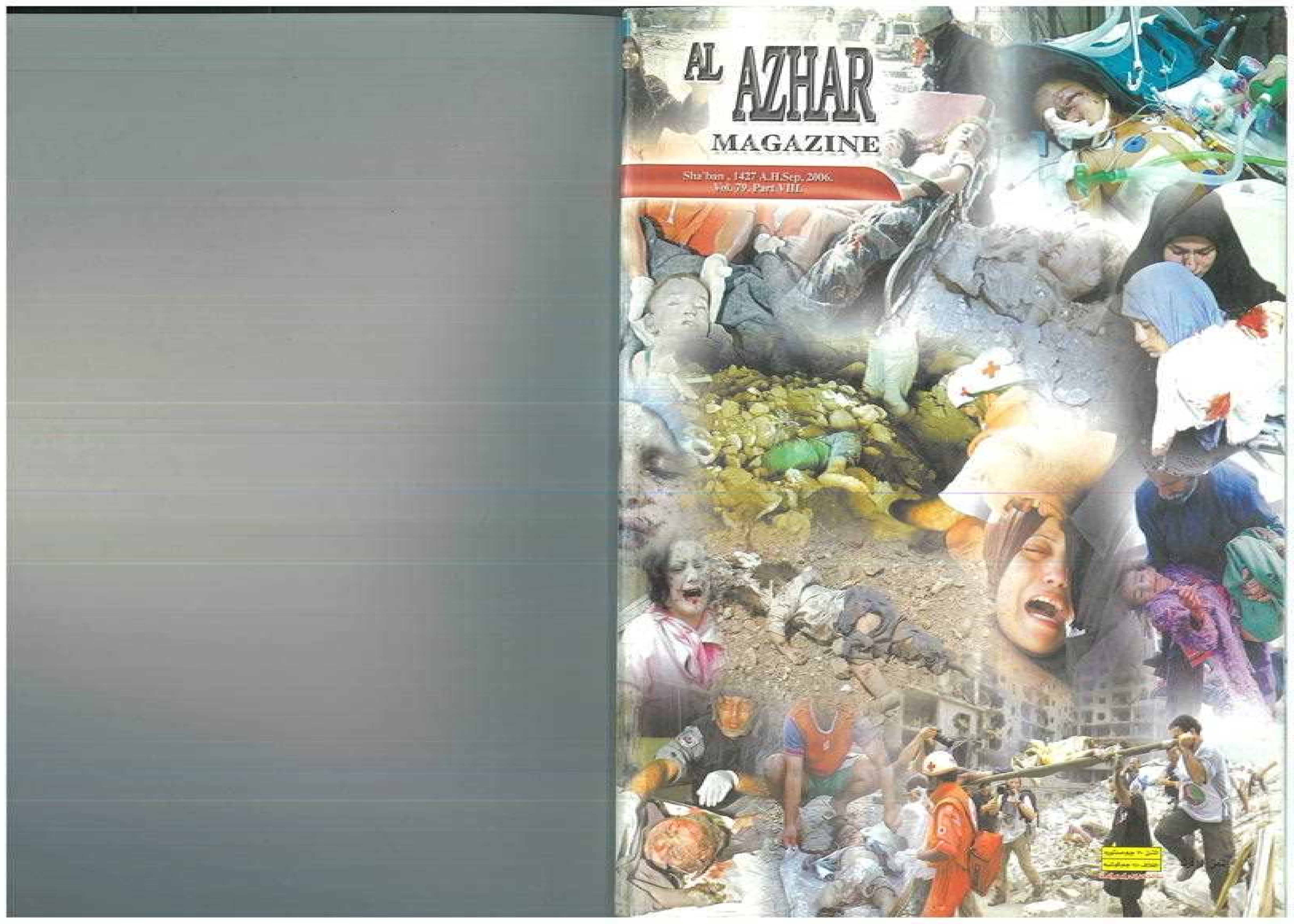
"The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) would not fast for a full month in the year except in Sha'ban which he would connect with Ramadan."

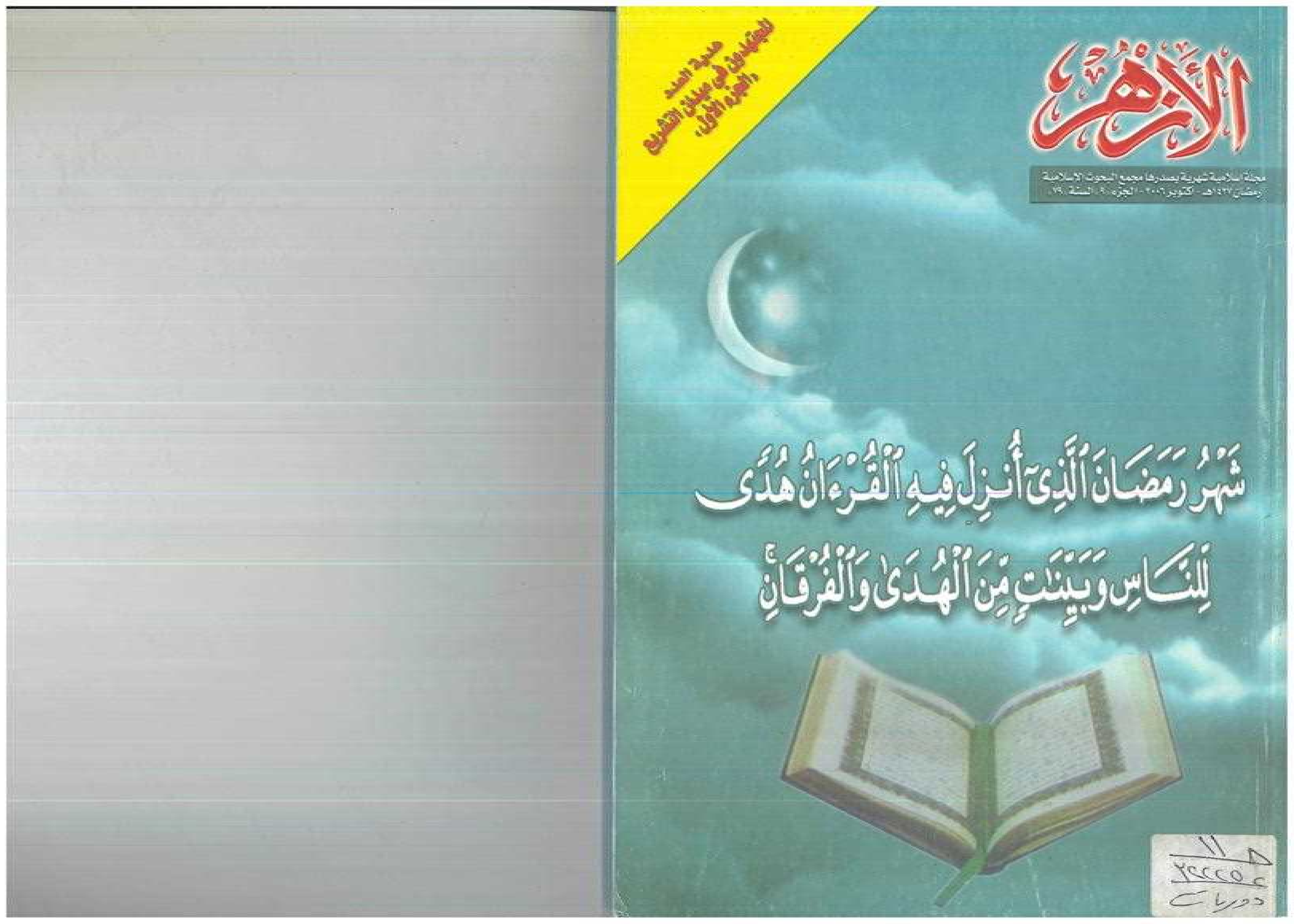
Moreover, `A'ishah, the Mother of the Believers, narrated:
"The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) would not perform fasting more than he would do in the month of Sha'ban, for he used to fast it completely."

Concerning the middle night of the month of Sha'ban, there are many hadiths shedding light on its favor and virtue. Amongst these hadiths is the one narrated by Mu'adh Ibn Jabal in which he said:

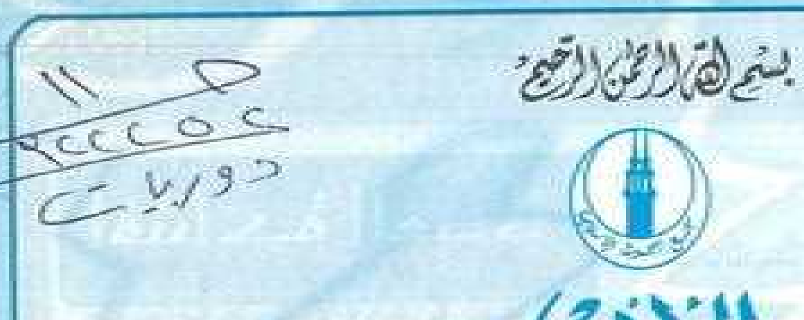


الفهـــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Sha'ban . 1427 A.H.Sep. 2006.
Vol. 79. Part VIII.


الأزهر
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رمضان ١٤٢٧هـ - أكتوبر ٢٠٠٦ - الجزء ٩ - السنة ٧٩
هدية العدد
المجتهدون في ميدان التشريع
(الجزء الأول)
شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

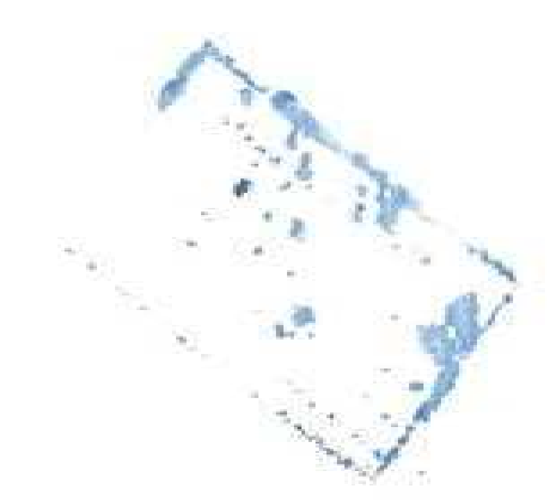
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٢٨٥٩٩

رمضان ١٤٢٧هـ - أكتوبر ٢٠٠٦م - الجزء التاسع - السنة التاسعة والسبعون



افتتاحية العدد

رمضان وقراء الإذاعة في عهدها الأول

رمضان شهر القرآن، هذا ما فطنت إليه الإذاعة اللاسلكية حين بدأت إرسالها فى مايو سنة ١٩٣٣م إذ جعلت رمضان المبارك مسرحاً للأحاديث الدينية، وموسماً رائعاً لتلاوة آيات الذكر الحكيم بأفواه المشهورين من أئمة القراء، واستراحاً للنفوس بترديد التواشيح والابتهالات، ولم يكن المذياع حينئذ بهذا الاشتهار العام فى كل منزل ومتجر ومصنع كما هو الآن، بل كان محدود الانتشار بحيث لا يوجد إلا فى منازل العلية، وفى مقاهى الدرجة الأولى، وكثيراً ما كان العامة يلتفون حول المنازل التى حظيت بهذا المخترع الحديث، ليسمعوا ما يتردد من آيات القرآن، وأحاديث العلماء، هذا فى المدن الكبيرة، أما قرى الريف فلم يكن بالواحدة منها غير مذياع أو مذياعين، أتى صاحب المقهى العام بأحدهما ليكون مصدر اجتذاب العامة، ولازلت أذكر سهرات رمضان فى مقهى قريتى الصغيرة بعد العشاء، إذ يزدحم المكان الضيّق نسبياً بعشرات المتعطشين لسماع القرآن الكريم، وما يليه من أحاديث الوعظ والإرشاد، وكان الشيخ محمد رفعت حينئذ قارىء الإذاعة المعلم، وموضع الإعجاب اللانهائى من السامعين، عامةً ومثقفين، كما سيجىء.

على أن قراءة القرآن بالمذياع إذ ذاك، لم تخل من نوادر طريفة، نذكرها للتسلية الضاحكة، إذ نهض فريق من المتشددين ينادون بتحريم قراءة القرآن فى المذياع، احتفاظاً بحرمته وتنزيهاً عن مجاورته لعبث الأغانى، ولهو الطقاطيق مما ترسله الإذاعة فى فترات متقطعة للترويح، وأذكر أن (مجلة الإسلام) الصادرة بتاريخ ٢٧ من مايو سنة ١٩٣٣ وجهت بقلم أحد كتابها الغيورين استفتاء لحضرات أصحاب

الفضيلة من علماء الأزهر، قال فيه:

ظهرت اليوم بدعة جديدة حسنها الشيطان الرجيم لمن يتبعون أهواءهم، تذيع كلام رب العالمين صباحاً ومساء، ومن شر المصائب وأنكاها أننا سمعنا هذه الآلة بمقهى فى شارع الأزهر، تحرّف القرآن تحريفاً لا ينبغى، وخصوصاً عندما تتغير المحطة، أو يختلف الهواء!

كما أذكر أن قضاة محكمة الشرع بالبحرين، وجهوا سؤالاً للأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء، يقولون فيه: إن راديو مصر قد أعلن ثبوت هلال رمضان، ولكننا توقفنا عن الصيام للشك فى الخبر عن طريق المذياع، وقد أجاب الأستاذ الكبير بمقال شاف نشره بعدد جمادى الأولى سنة ١٣٥٥هـ قال فيه بعد أن أفتى بتصديق ما يذاع:

«ولو قلنا إن أخبار المذياع، والبرقيات السلكية واللاسلكية لا يعوّل عليها، لوصمنا الدين الإسلامى، البعيد النظر، الواسع الحكمة، بالجمود الذى يبرأ منه، وينعاه على أهله، ولصرنا مضغة فى أفواه أعداء الدين، وسخرية بين الزنادقة والملحدين، ولكان غير صالح لكل عصر من العصور، وحاشاه من ذلك، إذ وجدت وسائل كثيرة فى هذا العصر لم تعرف من قبل».

مصر وقراءة القرآن

اشتهرت مصر فى العالم الإسلامى باعتنائها التام بقراءة كتاب الله ترتيلاً وتجويداً، وكان قراؤها الكبار يزورون العواصم الكبرى فى مواسم مشتهرة مع صعوبة الانتقال فى العصور السابقة ليؤدوا رسالة دينية قبل أن تكون رسالة فنية، وكان الحرمان الشريفان فى مكة والمدينة تسعدان كل عام بنفر من قراء مصر، يقرءون كتاب الله بأصواتهم الندية، وترجيعهم الشجى، فتطير لهم شهرة واسعة من ناحية، ويجدون من حجاج بيت الله، من يتتلمذ عليهم أثناء أداء الفريضة الحبيبة من جهة أخرى. ولم تكن مدة الحج فى الزمن الماضى محصورة فى أيام معدودات، كما هى الآن، بل كانت تمتد من شوال إلى أوائل المحرم، وهو زمن يتسع للإشباع والإمتاع، ونحن نعلم أن القارىء الشهير الشيخ اسماعيل سكر كان مقرىء السلطان عبدالحميد بالأستانة، يفد من مصر إلى تركيا فى مواسم خاصة ليقرأ كتاب الله فيسمعه الخليفة فى مجلسه الخاص، ثم ينتقل إلى العامة فى المساجد الكبرى بالأستانة، ليقرأ كلام الله مبتدئاً من بعد صلاة المغرب، حتى يتنفس الليل عن الفجر، والسامعون خاشعون، مبتهجون، لا يشغلهم شاغل غير كتاب الله.

أما مساجد مصر فقد خصص لكل مسجد قارىء مجيد، يؤدى سورة الكهف يوم الجمعة، ويقوم بالأذان والتبليغ عند الصلوات الخمس، ومن هذه المساجد العامرة طارت شهرة المجيدين من القراء فى مصر، فعرفهم الناس، وسعدوا بهم فى احتفالات المآتم والأفراح، وأقول الأفراح عن قصد، لأن المصريين فى مطلع هذا القرن وما قبله كانوا يحتفلون بقراءة القرآن فى الأعراس، وحفلات الختان، وأسبوع

الميلاد، وكان لهذه الاحتفالات دويها الكبير إذ يعلن عنها قبل الموعد المحدد، فيتعالم الناس أمرها، ويهيئون أنفسهم لقضاء ليلة سعيدة مفردة، ولم يكن الرجال وحدهم قراء هذه الحفلات، بل كان من السيدات القارئات من تجيد التلاوة إجادة ذات خشوع وحنين، وقد تحدث شاعر الأقطار العربية الكبير الأستاذ خليل مطران عن قارئة مبدعة، فقال من حديث بديع:

«كانت ليلة الأحد الثاني من هذا الشهر مفتتح ليالي عُرس في منزل الوجيه الفاضل حسين بك شاهين، وكانت القارئة المجوّدة فتاة من الفيوم تسمى (أسمهان) وأول ما سمعناه منها سورة يوسف، وكان صوتها يسلسل الآيات كعدّ الجواهر على صفاء، وكان تلحينها مستوياً كأنه تمهد لما يتلوه، فلما ألقى يوسف فى الجب، ثم نقله السيارة إلى مصر أخذ الصوت يتنقل بين الفرح والحزن والترغيب والترهيب، والقرع والزجر، والوعد والوعيد، وكلما تمادت فى القراءة عظم الشعور فى نفوس الحضور، وكلهم من ذوى الأدب والمقام، ثم كان التهليل والتكبير صدى لشعورهم فى حشمة ووقار، وأذكر أنها لما وصلت إلى قول إخوة يوسف له ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ (يوسف: ٨٨) رق صوتها وحن ولطف، حتى طفرت الدمعة من عيني، إذ كانت تختار لكل موقف أسدّ النغم، وفى كل هذا لا يضطرب لها منطق، ثم سمعنا بعد سورة يوسف، سورة آل عمران، وانصرفنا ذاهلين تمتلىء النفس سروراً وخشوعاً».

الشيخ محمد رفعت

فى هذا الجو المؤمن البهيج، نشأت طائفة من كرام القراء، تؤدى رسالتها أكرم ما يكون الأداء، وقد بزغ منهم عند ظهور الإذاعة من لانزال تسمع صوته إلى الآن فى تسجيلاته الذائعة مثل المشايخ على حزين، ومحمد الصيفى، وعبدالفتاح الشعشاعى، وعبدالعظيم زاهر، وفى مقدمتهم جميعاً القارئان العظيمان: الشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود، وهما من هما!

والشيخان الفاضلان تلميذان للقارىء الكبير الشيخ أحمد ندا، وهو يومئذ شيخ القراء بمصر كافة، وكان يتولى القراءة والإنشاد فى مسجد السيدة زينب، رضى الله عنها، فيزدحم الناس على استماعه من كل ناحية فى القاهرة، قربت أو بعدت، ولم تكن المكبرات الصوتية تتخذ حينئذ، ولكن جهارة صوت الشيخ ندا، كانت تحمل صداه إلى المحتشدين فى الميدان خارج المسجد، والقوم صامتون لا يجرؤ أحد على إحداث لغط قليل، ليبلغ السّحر مداه دون عائق، فإذا انتهت القراءة فى المسجد، انتقل الشيخ ندا إلى منزله مع القراء من تلاميذه، وهو قريب من المسجد الزينبى، فيتناوب هؤلاء القراءة والتوشيح حتى يحين ميعاد السحور، فينصرف الناس مبتهجين.

وقد رحل الشيخ أحمد ندا إلى جوار ربه قبل أن تبدأ الإذاعة بعامين، ورأى القائمون عليها أن يختاروا من تلاميذ الشيخ من شاع لهم ذكر طيب فى هذا المجال، وفى مقدمتهم الشيخان الكبيران محمد رفعت وعلى محمود.


محمد رفعت

ومما يذكر أن الشيخ محمد رفعت لشدة ورعه، قد خاف مما سمع من بعض المتشددين، إذ أفتوا بحرمة قراءة القرآن فى موضع يُذيع الأغانى وأفانين الملهيات، فانتظر متردداً، وحين كثر الإلحاح عليه، توجه إلى شيخ المسجد الزينبى، وشارح حديث رسول الله به فى مجالس وعظه، وهو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر مستفتياً فى أمره، فشجعه الشيخ على القراءة بالمذياع، وصاح محذراً أن يصد عن سبيل الله، حين يحرم الناس من ترتيل آيات الكتاب، وهم إليه متشوقون، فاطمأن قلبه واستجاب.

لم يكن ترتيل الشيخ رفعت مفاجأةً لأهلِ القاهرة، فهم يعرفونه حق المعرفة، ولكن المفاجأة الكبرى دوّت فى أنحاء الدولة شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، إذ سمعَ المصريون فى شتّى البلاد مالم يكن يتوقعونه من جمال الصوت، وكمال الأداء، وكانت ليالى رمضان المتتالية حفلات سحور لمن يحتشدون حولَ المذياع فى شوق لا يُحد، ذلك أن الشيخ الكبير قد ألهم معانى القرآن إلهاماً رائعاً، فكان يؤدى الآية الكريمة، وكأنه يفسّرها للناس بصوته المصقول، وقد تجمع الآية الواحدة بين الوعد والوعيد، وبين الجنة والنار، فيختلف الصوت بين الرغبة والرهبة وفق ما تؤديه الألفاظ من معان، هذا فى الآية الواحدة، أما الآيات المنفردة بغرض خاص من الأغراض القرآنية، فإن الشيخ يعرف أبعادها النفسية، فيوائم بينها وبين المحتوى الفكرى موائمة تجعل الرجل طائراً يصدح، لا رجلاً يتلو، وكم خشعت قلوب قاسية. وكم سالت عيون جامدة. على صوت الشيخ إذ جاء مصدقا لقول الله عز وجل:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر: ٢٣)

وإذا كانت الموهبة لا خلاف عليها إذ هى الركيزة الأولى فى نبوغ الموهوب، فإن من لوازمها المكملة أن يلم صاحبها بأصول الفن، وعلم التجويد فى العربية من أرسخ العلوم فى فن الأداء الصوتى، إذ يقرر قواعد الإظهار والإخفاء والإدغام، ويوضح الحروف ترقيقاً وتفخيماً حسب موضعها المتعارف من حلقية وجهرية وشفوية، وهو ضرورى لمن يزاول الترتيل والتلاوة، ويضاف إليه الإلمام الكافى بقواعد النحو، لأنها هى التى تعيّن الوقوف الصحيحة، وبإعراب الجملة يتضح معناها، وقد كان الشيخ محمد

رفعت رئيس طبقة من القراء تتقن هذه القواعد، وتسير عليها فى دربها الصحيح، وله فى هذا المجال لفتات صائبة، تدل على براعة فى فهم الدقائق النحوية، فقد قرأ ذات مرة قول الله عز وجل فى سورة القصص:

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

(القصص: ٢٥)

فوقف عند قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى ﴾

ثم ابتدأ بقوله عز وجل: ﴿ عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ ﴾

فاعترض عليه من ظنه قد أخطأ، ولكنه ردّ عليه، بأن الاستحياء فى القول أشد حضورا من الاستحياء فى السّير، وإذن فتكون (على استحياء) حالاً مقدّما، وصاحب الحال الفاعل فى قالت، وذلك غرض دقيق لمقرىء لم يتعمق قواعد النحو.

كما ذكر الدكتور أحمد الشرباصى –رحمه الله– أن الشيخ رفعت قرأ ذات ليلة قول الله عز وجل:

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾

(إبراهيم: ٣٤)

فوقف عند قوله «من كل» وبدأ بقوله: ﴿ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾، وهو فهم دقيق لم يطرأ على بال من سمعوه، فاعترضوا عليه، ولكن الشيخ قال: إن المعنى ينتهى عند كل، وتكون ما فى قوله: ﴿ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ ما النافية بمعنى أنّ الله عز وجل يقول: –وهو أعلم بمراده– إنه آتاكم من كل شىء من النعم دون أن تسألوه شيئا، ولهذا جاز الوقف على كل، وكان قوله تعالى: ﴿ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ استئنافا جديدا..

هاتان النادرتان تدلان على فهم المتذوق، وعلم الدارس، كما تضرب المثل لمن يكتفون بحلاوة الصوت، دون أن يعكفوا على دراية علمى التجويد والقراءات وما يتبعون من علوم النحو واللغة، وكل ذلك قد أحاط به الشيخ إحاطة الدارس المستوعب، ولست مع صديقى الدكتور أحمد الشرباصى حين ذكر فى حديثه عن الشيخ رفعت –نقلاً عن سواه– أن القارىء الكبير كان ينهل من الفن الكلاسيكى الأوروبى، إذ أخذ يدرس مؤلفات باخ، وموزارت، وبيتهوفن وباجينى، ويحتفظ بثروة من اسطواناتهم

وهو شطط لا دليل عليه، لأن الرجل الفقير لم يكن يملك اسطوانات تسجل صوته هو، وحين مات، لم يجدوا لدى أسرته المتواضعة تسجيلاً واحدا، ونهض عشاقه يجمعون آثاره ممن سجلوها لأنفسهم من هواة الموسرين، فكيف له باسطوانات باخ وموزارت وبيتهوفن ولست وباجينى مما تخيّله المتخيلون، أذكر أن الأستاذ محمود حسن اسماعيل فى رثائه للشيخ الكبير قد عاب على الإذاعة إهمالها تراث رفعت، وقال فى غضب:

جحدته بل جحدت صداه فما
حفظت له رنماً يسجله
لو أنه غنّى لها نغماً
متهتك الصبوات تأمله
لرأيتها حفرت بمهجتها
تمثاله، ومضت تدلله
يا قوم لا طوبى لما ذهبت
دنياكمو بالفن تفعله

الشيخ على محمود

أما الشيخ على محمود فإن ميدانه فى رمضان كان أفتح جناباً من أى مرتل سواه، لأنه لم يقتصر على ترتيل القرآن بصوته المتميّز، بل ضمّ إلى ذلك إبداعه الإنشادى فى حفلات الذكر، وقراءة قصة المولد، وابتهالات المئذنة، ولكل موقف من هذه المواقف شروطُه المميّزة، فهو فى ساحة الذكر يُراعى النّسق المتفق عليه، حين يرأس حفلة الإنشاد، إذ يأخذ فى تكرار لفظ الجلالة بصوت خفيض يرتفع شيئا فشيئا، وهى مرحلة التحميس والتهيئة، ثم يأتى ببعض الأبيات المادحة لرسول الله، وكثيراً ما كان يردّد:

اللهُ زادَ محمّداً تكريما
صلّوا عليه وسلموا تسليما

فإذا توالى الذكر، واشتدت حركة التمايل والانثناء، ترك المنشدون له المجالَ وحده، فجعلَ يُجلجل بروائع الأبيات، وقوله الله! الله! يقوم من الذّاكرين مقامَ جوقةٍ كاملة، وكثيراً ما كان ينشد قول ابن الفارض:

تِه دلالاً فأنتَ أهلٌ لذاكا
وتحكّمْ فالحسنُ قد أعطاكا

ولله الأمـــرُ فـــاقض مـــا أنت قـــاض

فـــعلى الجـــمـــال قـــد ولاكـــا

ولم تكن الإذاعة بمستطيعة أن تنقل حفلات الذكر، لأنها لا تكمل إلا بالمشاهدة العينية ، لذلك كانت سهرات الشيخ على بها ملأى بالتواشيح والابتهالات ، وهو أستاذ كل من جاء بعده من المبتهلين، والفرق بينه وبين مبتهلي اليوم بإذاعة القرآن الكريم بعيدٌ بعيد، حيث نلحظ أن أكثرهم ينشد البيت ، فلا يقيم له وزناً، ولا يصحح إعراباً ، وقد يبدل لفظاً بلفظ غير ملتفت إلى الوزن العروضى، وهو نشاز سقيم، يستنكره السامعون. وقد تحدثت عن ذلك مع بعض المسئولين دون جدوى، ولا أدرى كيف كان يؤدى الشيخ على محمود أبيات البوصيرى وابن الفارض والبرعى أداءً صحيح اللغة، سليم الوزن، ثم ينشأ جيل بعده على هذا النحو الأليم، مع كثرة المدارس والمعاهد، حتى لأتساءل حائراً: أنتقدم أم نتأخر؟

فإذا تركنا الابتهالات إلى قصة المولد التى كان على محمود بُلبلها الأول، فإننا نجد الساعات الثلاث تمر وكأنها دقائق معدودات، إذ أنّ الشيخ قد حفظ مولد البرزنجى منذ صباه، وأخذ يكرّره فى مدّى أربعين عاما على نمطه المسجوع، وقافيته الهائية التى تتكرر فى الفواصل الممتدة، مُنشداً ما يتخلله من رقائق الأشعار فى نغم مستطاب، وقد لاحظتُ أنّ حفلات الريف بالدقهلية كانت تؤثر مولد (المنياوى) دون مولد البرزنجى الذى اختاره الشيخ على محمود وهام به فلم يفارقه هذا المدى الطويل، وحدثنى الأستاذ أحمد محمد البيومى -رحمه الله- فى ذلك، وهو من ذوى الدراية التامة بقصص المولد جميعها، فقال «إن أسلوب (المنياوى) واضح، وغرائب المعجزات به كثيرة، وهى مما تشوق العامة، مهما انخفض أسلوبها البيانى»، وقد وضع الأستاذ عبدالله عفيفى قصة للمولد ذات بيان مطبوع، ولكن الشيخ على محمود لم يرغ لقراءتها، إذ رآها ترتفع عن مستوى من يلتفون حوله من السّامعين، وإذا كنا نفتقد قصص المولد الآن، ولا نكاد نرى لها أثراً فيما يذيعه الراديو من المسجلات، فليس العيب عيب الشيخ، ولكنه خطأ من أهملوا التراث الدينى الرائع، ومن بينه قصة المولد بصوت الشيخ وتطريبه البديع.

أمّا الأذان فقد كان أول درجة ارتقى إليها الشيخ فى سلم حياته الفنية، إذ أنه تولّ هذه الشعيرة فى صباه بمسجد الحسين عليه السلام، فكان عليه أن يصعد إلى المئذنة قبل ميعاد الفجر بأمد متّسع، ليفيض بما يُسمّى بالاستغاثات والتسابيح، وفى شهر رمضان خاصة لا يقتصر الأمر على الساعة الأخيرة قبلّ الفجر، بل يتهيأ السامعون إلى التّمتع بالابتهالات قبل منتصف الليل، وهى فى أول رمضان ترحيب وابتهاج بمقدم الشّهر الكريم، وفى اللّيلات العشر الأخيرة توديعٌ وبكاء لمفارقة الضيف العزيز، وقد أبدع الشيخ على فيما يُسمى «بالتوحيش» وهو ما يُقال من استشعار الوحشة لفراق رمضان، وللمبتهلين فى هذا المجال رقائق جميلة، إذ يتصوّرون الشهر المبارك إنسانا حبيباً حانَ وداعه، فهم يتلطفون معه غاية التلطف، وأجمل ما أحفظه مما يقولون فى مُخاطبة رمضانَ هذا البيت المؤثر:





مصطفى إسماعيل



عبدالباسط عبدالصمد

الحصرى

لا تـشـــتكى لـلـه أفـــعـــالـنـا

واصـــفـح فـــإن الصـــفـح طبع الكرام

وهكذا كان شهر الصيام أفسحَ مجالاً لدى الرجل الكريم إذ اتسع لأكثر من التلاوة والترتيل... هذا ولم أشأ أن أتحدث عمن خلفوا الشيخين الكبيرين محمد رفعت وعلى محمود من مشاهير القراء أمثال الأساتذة مصطفى إسماعيل وعبدالباسط، والحصرى إذ لحديثهم مجال آخر قد يُتاح بعد حين..

كلمة فكرى أباظة

كان الكاتب الفكاهى الكبير فكرى أباظة يرسل تعليقاته الصائبة بمجلة (المصوّر) أسبوعيا، وقد قال فى بعضها: «إن عمامتين عظيمتين هما اللتان حبّبتا الإذاعة للسامعين، هما عمامتا الشيخ محمد رفعت والشيخ عبدالعزيز البشرى، أما عمامة الشيخ رفعت فقد تحدثت عنها، وأما عمامة البشرى فقد بلغت موضع التأثير بما كان يذيعه الكاتب الكبير من أحاديث أدبيّة ممتازة، وأذكر أنه تحدث فى (الراديو) عن جهاز (الراديو) وجعل الحديث على لسان أعرابى بدويّ، جلس فجأة أمام الجهاز السحرى فارتاع منه، وفرّ هاربا إذ زعمه جنياً لا إنسياً، وكان مما قاله البشرى على لسان البدوى:

«جلست فإذا دُمية من خشب، بُتر ساقها فأقعدوها على منضدة، لها أنف صغيرة، وأذنان دقيقتان، وعين واحدة تمزقت حدقتها فتناثرت، ثم قام صاحبها فعرك أذنها، وسرعان ما احمرت حدقتهما، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، ثم سمعت صوتا ما لبث أن استحال زمزمة وهمهمة، فخلت والله أن الأرض قد زلزلت علىّ، وجعلت ألتمس آية الكرسى أستعصم بها من هذا الشيطان، فقال صاحبى لن ينالك منه مكروه، فقد قيدوا ساقه، وشدوا وثاقه، ثم انثنى إلى الدمية فعرك أذنها مرة ثانية، فسرعان ما سكن هديرها وبطل زئيرها، وإذا العفريت يتحدث فى لين وهدوء كأنه إنسان!».

هذا بعض ما يقال عن المذياع، وعن رمضان، وعمّن كانوا يرسلون فيه أعذب الأصوات وروائع الآيات!

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾

(الآيات: ١١٣ - ١١٥)

فالضمير فى قوله ـ تعالى:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ يعود لأهل الكتاب الذين تقدم الحديث عنهم وهو اسم ليس، وخبرها قوله ﴿ سَوَاءً ﴾ والجملة مستأنفة للثناء على من يستحق الثناء منهم بعد أن وبخ القرآن من يستحق التوبيخ منهم.

قال ابن كثير: والمشهور عند كثير من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم. أى لا يستوى من تقدم ذكرهم

بالذم من أهل الكتاب، وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال ـ تعالى: «ليسوا سواء» أى ليسوا كلهم على حد سواء بل منهم المؤمن ومنهم المجرم [١].

وقوله ـ تعالى:

﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾

استئناف مبين لكيفية عدم التساوى ومزيل لما فيه من إبهام.

أى: ليس أهل الكتاب متساوين فى الكفر وسوء الأخلاق، بل منهم طائفة قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه مستقيمة على طريقته ثابتة على الحق ملازمة له، لم تتركه كما تركه الأكثرون من أهل الكتاب وضيعوه.

فمعنى قائمة: مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام.

أو معناها: ثابتة على التمسك بالدين الحق، ملازمة له غير مضطربة فى التمسك به، كما فى قوله ـ تعالى:

﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾

أى ملازما لمطالبته بحقك. ومنه قوله ـ تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾

(آل عمران: ١٨)

أى ملازما له.

والمراد بهذه الطائفة من أهل الكتاب التى وصفها الله ـ تعالى ـ بأنها ﴿ أُمَّةٌ ﴾ قائمة أولئك الذين أسلموا منهم واستقاموا على أمر الله وأطاعوه فى السر والعلن، كعبد الله بن سلام، وأصحابه، والنجاشى ومن آمن معه من النصارى. فهؤلاء قد آمنوا بكل ما يجب الإيمان به، ولم يفرقوا بين أنبياء الله ورسله، فمدحهم الله على ذلك وأثنى عليهم.

ثم تابع القرآن حديثه عن أوصافهم الكريمة فقال:

﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

وقوله ﴿ يَتْلُونَ ﴾ من التلاوة وهى القراءة، وأصل الكلمة من الاتباع، فكأن التلاوة هى اتباع اللفظ.

والمراد بآيات الله هنا: ما أنزله على رسوله محمد ﷺ من قرآن.

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٧.

وقوله: ﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ أى أوقاته وساعاته. والآناء جمع إنْى ـ كمعًا وأمعاء ـ أو جمع أنى ـ كعصًا ـ، أو جمع أنىٍ وإنى وإنو. فالهمزة فى آناء منقلبة عن ياء كرداء: أو عن واو ككساء.

والمراد بالسجود في قوله:

﴿ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾ الصلاة لأن السجود لا قراءة فيه وإنما فيه التسبيح، فقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «ألا إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم».

والمعنى: ليس أهل الكتاب متساوين في الاتصاف بما ذكر من القبائح، بل منهم قوم سلموا منها، وهم الذين استقاموا علي الحق ولزموه، وأكثروا من تلاوة آيات الله فى صلاتهم التى يتقربون بها إلى الله ـ تعالى ـ آناء الليل وأطراف النهار.

قال الآلوسي ما ملخصه. والمراد بصلاتهم هذه التهجد ـ على ماذهب إليه البعض ـ وعلل هذا بأنه أدخل في المدح وفيه تيسر لهم التلاوة، لأنها فى المكتوبة وظيفة الإمام.

والذى عليه بعض السلف أنها صلاة العتمة. واستدل عليه بما أخرجه الإمام أحمد والنسائى وابن جرير والطبرانى عن ابن مسعود قال أخر رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: «أما إنه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب». وعبر عن الصلاة بالسجود، لأنه أدل على كمال الخضوع والصلاة تسمى سجودا وسجدة، وركوعا وركعة[٢].

ثم وصفهم ـ سبحانه ـ بصفات أخرى كريمة فقال: ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ والمراد بهذا الإيمان بجميع مايجب الإيمان به على الوجه المقبول الذى نطق به الشرع، وجاء به محمد ﷺ،

﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ أى ويؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار وقوله:

﴿ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾

إشعار بأنهم لم يكتفوا بتكميل

(٢) تفسير الآلوسي ج ٤ ص٣١.

أنفسهم بالفضائل التى من أشرفها الإيمان بالله واليوم الآخر، والإكثار من إقامة الصلاة ومن تلاوة القرآن، بل أضافوا إلى ذلك إرشاد غيرهم إلى الخير الذى أمر الله به، ونهيه عن الباطل الذى يبغضه الله، وتستنكره العقول السليمة.

وقوله ـ تعالى:

﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ﴾

أى يبادرون إلى فعل الخيرات والطاعات التى ترفع درجاتهم عند الله ـ تعالى ـ بدون تردد أو تقصير.

وقال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ﴾

ولم يقل إلى الخيرات للإشعار بأنهم مستقرون فى كل أعمالهم فى طريق الخير، فهم يتنقلون من خير إلى خير فى دائرة واحدة هى دائرة الخير، ينتقلون بين زواياها وأقطارها ولا يخرجون منها. فهم لا ينتقلون مسارعين من شر إلى خير. وإنما ينتقلون مسارعين من خير إلى خير وهذا هو سر التعبير بفي المفيدة للظرفية.

والمسارعة فى الخير هى فرط الرغبة فيه، لأن من رغب فى الأمر يسارع فى توليه وفى القيام به، واختيار صيغة المفاعلة «﴿ وَيُسَٰرِعُونَ ﴾ للمبالغة فى سرعة نهوضهم لهذا العمل الجامع لفنون الخير، وألوان البر.

قال صاحب الكشاف. وقوله:

﴿ يَتۡلُونَ ﴾ و﴿ يُؤۡمِنُونَ ﴾ فى محل الرفع صفتان لأمة. أى: قائمة تالون مؤمنون. وصفهم بخصائص ماكانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين، ومن الإيمان بالله، لأن إيمانهم به كلا إيمان، لإشراكهم به عزيرا، وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض: ومن الإيمان باليوم الآخر، لأنهم يصفونه بخلاف صفته. ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لأنهم كانوا مداهنين. ومن المسارعة فى الخيرات، لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها»[٢]

واسم الإشارة فى قوله:

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(٢) تفسير الكشاف ج١ ص٤٠٣.

يعود إلى الموصوفين بتلك الصفات السابقة من تلاوة الكتاب ومن إيمان بالله واليوم الآخر..

أى وأولئك الموصوفون بتلك الصفات الجليلة الشأن من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم، واستحقوا ثناءه عليهم.

وفي التعبير بقوله: ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ إشارة إلى أنهم بهذه المزايا وتلك الصفات، قد انسلخوا من عداد أهل الكتاب الذين ذمهم الله - تعالى - ووصفهم بأن أكثرهم من الفاسقين.

فهم بسبب إيمانهم وأفعالهم الحميدة قد خرجوا من صفوف المذمومين إلى صفوف الممدوحين.

قال الفخر الرازى: واعلم أن وصفهم بالصلاح فى غاية المدح، ويدل عليه القرآن والمعقول. أما القرآن، فهو أن الله - تعالى - مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء، فقال بعد ذكر إدريس وإسماعيل وذى الكفل وغيرهم

﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(الأنبياء:٨٦)

وذكر حكاية عن سليمان أنه قال:

﴿ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(النمل :١٩)

وأما المعقول، فهو أن الصلاح ضد الفساد، وكل مالا ينبغى أن يكون فهو فساد، سواء أكان ذلك في العقائد أم في الأعمال، فإذا كان كل ماحصل من باب ما ينبغى أن يكون فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالا على أكمل الدرجات (٤).

ثم بين - سبحانه - أنه لن يضيع شيئا مما قدموه من أعمال صالحة، بل سيكافئهم على ذلك بما هو أفضل وأبقى فقال:

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾

أى أن هؤلاء الذين وصفهم بتلك الصفات الطيبة لن يضيع الله شيئاً مما قدموه من عمل صالح، وإنما سيجازيهم بما هم أهله من ثواب جزيل، وأجر كبير بدون أى نقصان أو حرمان.

و﴿ وَمَا ﴾ فى قوله:

---

(٤) تفسير الفخر الرازى ج٨ ص٢٠٣.

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾

شرطية. وفعل الشرط قوله: ﴿ يَفْعَلُوا۟ ﴾ وجوابه قوله:

﴿ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾

و﴿ مِنْ ﴾ فى قوله: ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ لتأكيد العموم أى ما يفعلوا من أى خير سواء أكان قليلاً أم كثيراً فلن يحرموا ثوابه.

وأصل الكفر: الستر والتغطية. وقد صح تعدية الفعل كفر إلى مفعولين لأنه هنا بمعنى حرم.

ولذا قال صاحب الكشاف: «فإن قلت لم عدى إلى مفعولين، وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول: شكر النعمة وكفرها؟ قلت: ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل: فلن يحرموه بمعنى: فلن يحرموا جزاءه» (٥)

وقوله:

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾

تذييل مقرر لمضمون ما قبله. أى هو - سبحانه - عليم بأحوال عباده وسيجازى المتقين بما يستحقون من ثواب، وسيجازى الكافرين بما يستحقون من عقاب.

فأنت ترى أن هذه الآيات الكريمة قد أنصفت المؤمنين الصادقين من أهل الكتاب، ووصفتهم بجملة من الصفات الطيبة.

وصفتهم بأنهم طائفة ثابتة على الحق، وأنهم يتلون آيات الله آناء الليل وأطراف النهار، وأنهم مكثرون من التضرع إلى الله فى صلواتهم وسجودهم، وأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر وأنهم يأمرون بالمعروف، وأنهم ينهون عن المنكر. وأنهم يسارعون فى الخيرات، وأنهم من الصالحين.

ثم بشرهم - سبحانه - بعد وصفهم بهذه الصفات الكريمة بأن ما يقدموه من خير فلن يحرموا ثوابه، لأنه - سبحانه - عليم بأحوال عباده ولن يضيع أجر من أحسن عملا.

***

---

(٥) تفسير الكشاف ج١ ص٤٠٣.

السنة:

الصوم أفضل العبادات

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى النسائي عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل رسول الله ﷺ: «أيّ العمل أفضل؟» قال: «عليك بالصوم، فإنه لا عِدْل له».

التعريف بالراوي

هو صُدَى بن عَجْلان بن الحارث، وقيل: عَجْلان بن وهب السَّهْمِيّ، وسهم بطن من باهلة، غلبت عليه كنيته، سكن مصر، ثم انتقل منها فسكن حمص من الشام، وكان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين، وتوفي سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة ستّ وثمانين ـ رضي الله عنه وأرضاه.

اللغويات

الصوم: المراد به الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المُفَطِّرات يومًا كاملاً بنية الصيام من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

عِدْل: العِدْل/ النظير والمثيل.

الشرح والبيان

الصوم له تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتهما، ويعيد إليها ما أخذته منها الشهوات، فهو خير معين على التقوى، ومن ثَمّ جاء قوله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة ١٨٣)

وبالتالي فإن الصيام من أفضل العبادات التي يقدمها المرء طاعة لربه، وزُلْفَى لخالقه، وقد ورد في الحديث الشريف عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «الأعمال عند الله ـ عزّ وجلّ ـ سبع: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله ـ عزّ وجلّ ـ فأما الموجبان: فَمَن لَقِيَ الله يَعْبده مخلصًا لا يشرك به شيئًا وجبت له الجنّة، ومن لقي الله قد أشرك به، وجبت له النار. ومن عَمِل سيئة جُزِيَ بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جُزِيَ مثلها، ومن عمل حسنة جُزِيَ عشرًا، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته الدرهم بسبعمائة، والصيام لله ـ عزّ وجلّ ـ لا يعلم ثواب عامله إلا الله ـ عزّ وجلّ».

فالصيام إذًا ثوابه كبير، ونفعه عميم؛ لما فيه من المشقّة، ولأن الإخلاص يتجلّى فيه؛ حيث يوقف الصائم شهوته، ويصدّ عن الطعام رغبته، تقربًا إلى الله ـ تعالى ـ فهو عبادة عارية عن التكلف، خالية من الرياء، جاء في الحديث القُدسيّ: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله.. فليقل: إني امرؤ صائم.. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربّه فرح بصومه» رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنهما.

وسواء أكان الصيام صيام فرض أو تطوع، روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت أن رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان».. وكأني به ﷺ في شهر شعبان يدرب نفسه، ويهيىء روحه لاستقبال شهر رمضان، شهر الخير والفضل، والبر والإحسان، شهر الجود والإنعام والغفران، وكيف لا؟. ورمضان إذا جاء يفرض علينا إرادة الحق والطهر والعفاف، وينقلنا من عبيد لأنفسنا وشهواتنا إلى أحرار نملك زمام أنفسنا، ونوقف بإرادتنا وعزيمتنا تيار شهواتنا، فلا يكون لها، ولا للشيطان علينا سلطان، وفي ذلك أنشد الشاعر:

إِنّي ابتليت بأربع ما سُلِّطوا
إلا لشدّة شقوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائي؟!

حقًا، إن الإنسان قبل رمضان يجاهد نفسه، ويدافع عن هواه. ويحارب شيطانه: ليبتعد عما حرّم الله عليه من الطعام والشراب والشهوة، ولكنه في رمضان يسمو بنفسه، حيث يصرفها عما أحلّ الله ـ عزّ وجلّ ـ من الطعام والشراب والشهوة كل يوم من أيام رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يفعل ذلك عن قناعة، آملاً فيما أعده الله للصائمين من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، روى الإمامان البخاري ومسلم ـ رحمهما الله ـ عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنة بابا يقال له الريّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟. فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلقوا فلم يدخل منه أحد».

ولما كان رمضان يتمتع بهذه الخصائص، وتلك المزايا حرص المسلمون منذ عهد الرعيل الأول، والسلف الصالح على إحياء أيامه ولياليه بكلِّ ألوان القربات، وصنوف البرّ والخيرات؛ ليغتنموا من نفحاته، ويستفيدوا من بركاته.. قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء رمضان، فُتحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين، ونادى فيه ملك: يا باغي الخير أبشر، ويا باغي الشر أقصر، حتى ينقضي»[1]، وفي الحديث الشريف عن جابر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا لم يعطهن نبيّ قبلي: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لا يعذبه أبدًا. وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك. وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة. وأما الرابعة فإن الله -عزّ وجلّ- يأمر جنته فيقول: استعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي. وأما الخامسة فإنه إذا كانت آخر ليلة غفر الله لهم جميعًا. فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟. قال: ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وُفُّوا أجورهم»[2].

ولنا أن نتساءل: لمن تمنح تلك الجوائز العظيمة، والهدايا الثمينة، أتمنح للغافلين اللاهين، أم المهملين المقصرين، أم العصاة والمذنبين، أم الذين يتعرضون لنفحات الرب، ويخلصون له الطاعة بالجوارح والقلب؟.

إنها حقًا لمن تعرض لها، وهيأ نفسه لاستقبالها بالبعد عن المحرمات، والإقبال على الطاعات، إنها لمن صام رمضان، وقامه إيمانًا واحتسابًا لوجه الله الكريم، ولم يكذب، ولم يغتب، ولم يتحسس أخبار الناس، ولم يتجسس عليهم، ولم يتفكه بأعراض الأبرياء، ولم ينهش لحوم الغافلين، وصان لسانه عن اللغو والرفث، وصان بصره عن النظرة الحرام، وصان فرجه عما يغضب الله -عزّ وجلّ-. روى الطبراني عن أبي هريرة مرفوعًا: «إنّ الصيام جُنّة ما لم يخرقها. قيل: بِمَ يخرقها؟. قال: بكذب أو غيبة».. وعنه مرفوعًا: «الصائم في عبادة ما لم يغتب مسلمًا أو يؤذه».

وقد ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أن امرأتين صامتا في عهد رسول الله ﷺ فكادتا أن تموتا عطشًا. فذُكر ذلك للنبي ﷺ فأعرض عنهما، ثمّ ذُكرتا له فدعاهما، فأمرهما أن تتقيآ. فقاءتا ملء قدح قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا عبيطًا «أي: صحيحًا طريًا». فقال ﷺ: «إن هاتين صامتا عما أحلّ الله لهما، وأفطرتا على ما حرّم عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس».

فليس الصيام مجرد إمساك عن الأكل والشرب، وإنما هو إمساك عن سائر ما نهى الله عنه، وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبيّ ﷺ قال: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد، أو جهل عليك فقل: إني صائم، إني صائم»[3]. وعنه أن النبي ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه

(1) صحيح مسلم جـ٢ ص٧٥٨.

(2) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص٢٩٢.

(3) البيهقي جـ٤ ص ٢٧٠.

وشرابه»[4]. وعنه أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[5].

وقد قال بعض السلف الصالح: أهون الصيام ترك الطعام والشراب، وقال جابر -رضي الله عنه-: إذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء. رواه الشيخان، وقد أنشد الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
وفي بصري غضّ، وفي منطقي صمت
فحظي إذًا من صومي الجوع والظما
فإن قلت: إني صُمت يومي فما صمت

وهكذا يخلق الصوم من الصائم إنسانًا كاملًا نظيف الضمير، نقيّ القلب، طاهر اليد، عفّ اللسان، لا يخاف إلا ربه، ولا يخشى إلا ذنبه، ولا يلقى الناسُ منه إلا السلام والأمن، والبرّ والإحسان، يعيش على هذه الأرض ملاكًا طيبًا، قبلته الخير، ووجهته المعروف، وصناعته البرّ، وعمله الإحسان.

فلم يكن عجيبًا وهذا شأن رمضان أن يفرض الحق -سبحانه- على المؤمنين صيامه، قال -تعالى-:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

(البقرة:١٨٥)

وأن يسن لنا رسول الله ﷺ قيامه، روى النسائي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله -تبارك وتعالى- فرض صيام رمضان عليكم، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه احتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

وإذا كان الله -عزّ وجلّ- قد فرض علينا صيام رمضان فإنّ ذلك لما فيه من النفع للعباد؛ لأنه -سبحانه- لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فهو غنيّ عن العالمين، وإذا أردنا أن نستوضح بعض هذا النفع فإنّ الصيام يثمر محبة الله وطاعته، ويجلب للنفس الطهر، وللبدن الوقاية، ويحول بين الصائم وارتكاب المحرمات؛ إذ هو يهذب الطباع، ويكبح جماح النفس، ويقهر الشهوات، كما أنه يحمل الصائم على استحضار مراقبة الله -عزّ وجلّ- فلا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعًا في تقديم ما يرضيه، كما أنه يحمل الصائم على الإحسان إلى الفقراء، والبؤساء حين يستشعر الجوع، كما أن في الصوم محاربة للشيطان، وقهرًا له.

وأخيرًا وليس آخرًا فإن الصوم يجنب صاحبه النار، ويجعله من الفائزين بالجنة والرضوان.. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له من تقدم من ذنبه».

وفقنا الله لصيامه وقيامه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

(4) سنن ابن ماجه جـ١ ص٥٣٩.

(5) سنن ابن ماجه جـ١ ص٥٣٩.

رمضان
مدرسة الصيام

بقلم فضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

شهر رمضان فيه من الخيرات ما جعله جامعاً لكل أنواع البر والخير، ولم يجمع شهر من الشهور من أنواع المكرمات وصنوف الخير مثل ما جمع شهر رمضان وإذا كان العرب يقولون: إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى بها فها هو شهر رمضان وهو شهر الصيام، وشهر القيام، وشهر القرآن، وشهر الجود، وشهر الانتصارات على الأعداء، وشهر المواساة وشهر الزيادة فى الرزق وكل هذه الأسماء وغيرها تدل على أن هذا الشهر ذو شرف عظيم فهو شهر الإحسان إلى الفقراء وشهر الغفران يتجلى الله فيه على عباده الصائمين حتى إذا كان آخر ليلة منه غفر لهم جميعا، فرمضان إذن جمع الفضائل كلها دنيوية وأخروية، وكان الصيام فى رمضان مدرسة جامعة لكل هذه المكرمات وسنطوف فى بعض فصول تلك المدرسة.

الصيام علاج للأمراض والعلل

إن الله سبحانه قد فرض الصيام على المسلمين وعلى السابقين من قبلهم وكان الهدف من ذلك هو علاج النفس والجسم معاً ونعتقد أن الهدف الأسمى هو علاج النفس البشرية من أدوائها، لأن الجسم مآله للفناء والنفس مآلها البقاء والله سبحانه وتعالى يؤثر ما يبقى على ما يفنى ولما كان الإسلام خاتم الأديان جاء به رسولنا الكريم محمد ﷺ لصلاح البشرية جمعاء:



﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
(الأعراف: ١٥٨)

ومن هنا كانت شريعة الإسلام مشتملة على أكمل نظام يصلح البشرية جميعها ومن هذه النظم فريضة الصيام فقد فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان ولم يكن الغرض من فرض الصيام عليهم إعناتهم أو المشقة عليهم وإنما كان ذلك لأغراض كثيرة صحية وخلقية وروحية وأود أن أنبه هنا إلى الغرض الأسمى من هذه الأغراض وهو ترويض النفس البشرية وشفاؤها من جميع العلل والأدواء التى تصيب النفس..

وإذا أردنا أن نشخص تلك العلل والأمراض لوجدناها كثيرة ومنها ما هو ظاهر وما هو باطن والعلاج لكل هذه الأمراض فى الصبر وإذا كان الصبر هو العلاج الشافى لهذه الأمراض فلن نجد هذا الدواء إلا فى صيدلية الصيام لأن الصوم هو أداة المقاومه ومبعث القوة النفسية التى تقارع الشدائد والخطوب وقد جاء فى الحديث قوله ﷺ: «..... والصوم نصف الصبر».(١)

وقد وضع الناس علاجا لضعف الإرادة ووهن العزيمة ومن ذلك أنهم اتخذوا الرياضة البدنية وسيلة لعلاج تلك العلة ومن الناس من يعالج علة النفس بركوب الأخطار وممارسة بعض أنواع الرياضات الخطرة والمحفوفة بالمهالك ومنهم من يعرض نفسه لآلام جسدية شديدة ويصبر على تحملها صبرا طويلا وكل هذه الرياضات وتلك الممارسات الغرض منها تدريب النفس على تحمل ما تحمله الحياة من أحداث وأن تصمد لتلك الأحداث وتستعد لما قد يعرض لها من مكاره وبالتالى مقاومة تلك الأحداث وهذه المكاره.

ولو نظرنا إلى الحياة لوجدناها مليئة بالأحداث التى يتعرض لها أى إنسان وأحيانا تلك الكوارث التى تتعرض لها الأمم والدول أيضا وهذه الأحداث تحتاج إلى ارادة قوية وعزيمة صلبة وصبر قوى قادر على مقاومتها والتغلب على آثارها والصبر هو أهم فضيلة قصد إليها الإسلام من فرضه الصيام على المسلمين..

الصبر أهم المقاصد الإسلامية من الصيام

وإذا كان الصبر أمره كذلك فإن أقوى أنواع الصبر هو مقاومة النوازع النفسية التى تصاحب النفس الأمارة بالسوء التى تنزع بصاحبها إلى السوء وتدفعه إلى الشر والى ارتكاب المحرمات وتبعده دائما

(١) البيهقى فى شعب الإيمان.

عن الطاعات أو تفسد عليه طاعته وهذا ما يتعلمه المسلم من صيامه وما يتدرب عليه في مدرسة رمضان فإنه لايزال يروض نفسه على قوة التحمل ويكبحها عما تشتهي حتى تصير الطاعة ملكة له وعادة متأصلة فيه. انظر إلى الصائم عندما يسمع كلمة السباب تقرع سمعه فيجعلها خلف أذنه ولا ينتبه لها ولا يعرها اهتماما ويقول امتثالا لما أمر به النبي ﷺ: «اللهم إني صائم» (٢) فيتعلم من ذلك أن يكون حليما والحلم من الصفات الحميدة التي وصف بها الأنبياء ودعا إليها الرسول محمد ﷺ عندما كان من هديه النهي عن الغضب والتحلي بالحلم عندما أوصى أحد أصحابه بقوله: «لا تغضب» (٣) وعندما يقول: «الغضب جمرة في جوف ابن آدم» (٤) وهل أفضل من الصبر لإطفاء تلك الجمرة التي تشعل قلب ابن آدم فتغريه على الانتقام وعلى ارتكاب ما حرم الله تعالى ويداوي بتلك الكلمة الجامعة «اللهم إني صائم» حرج الصدر الذي يغري الإنسان بالانتقام ولا يجعله يقف عند حد فيبغي ويظلم ويعتدي ويبطش وكل هذه الأمراض من آثر ضعف النفس الذي عالجه الحكيم العليم بكف النفس عن شهواتها والحد من غلوها.

الصوم قهر للشيطان

إن الصوم قهر لعدو الله - عز وجل - وعدو الإنسان وهو الشيطان، إذ أن وسيلة الذنوب والآثام هي الشهوات فالذي يدفع الإنسان إلى ارتكاب تلك المعاصي إنما هو شهوة البطن والفرج وإنما تقمع هذه الشهوات بالجوع وبالصيام ولهذا يكون الصيام هو العلامة المميزة لإخلاص المرء في عمله فإذا تكررت تلك العبادة أصبحت عادة وسرى هذا الإخلاص من عبادة الصيام إلى سائر العبادات وأصبح هذا الإنسان من الذين عناهم الله تعالى في قوله:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ١١٠)

وهذا الإخلاص هو أساس النجاح في الدنيا وهو الذي يوفر الثواب والجزاء الأوفى في الآخرة وإذا كان الناس يتحدثون عن الأبطال الذين حرروا أوطانهم وقاوموا المعتدين وواجهوا الطاغين والبغاة الظالمين بشدة مقاومتهم وقوة جلدهم مثل ما يحدث في لبنان وفلسطين وفي غيرهما من بلاد المسلمين فإن الصيام وما يحققه من الصبر والجلد

(٢) البخاري في كتاب الصوم.

(٣) ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(٤) ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

يعطينا أبهى الصور والمثل العليا في الصبر وهذه الصورة هي التي رسمها وسجلها التاريخ لصبر المسلمين الأوائل وجلدهم وصمودهم من أجل نصرة دينهم وثباتهم على عقيدتهم بل إنهم كانوا يخوضون معظم معاركهم مع الأعداء في شهر رمضان في أيام الصيف القائظ وفي تلك التضاريس الصعبة من جبال وهضاب ووديان، إنها صورة رائعة للصبر الذي تعلموه في مدرسة الصيام ومدرسة رمضان فتعلموا منها الجلد والصبر والثبات واستفادوا تلك الصفات مما فرض الله عليهم من الصيام فمكنت لهم في الأرض ومنحتهم العزة والمجد الذي أعده الله سبحانه وتعالى لعباده الصابرين وكانت تلك الفريضة أمضى سلاح في يد هؤلاء المسلمين استطاعوا به أن يقيموا دعائم الإسلام وأن ينشروا رايته في الآفاق فلم تمض أكثر من مائتي عام على دعوة الإسلام وشريعته حتى انتشر في الجزيرة العربية كلها بل وامتد حتى وصل إلى الصين شرقا وإلى جنوب أوربا غربا وذلك لأن الصبر الذي تعلمه المسلم في مدرسة الصيام يجعل عمله كله خالصا لله تعالى ولهذا جعل الله سبحانه كل الأعمال يرجع ثوابها إلى العبد ويعود نفعها عليه إلا الصوم فإنه تميز من بين هذه العبادات بأنه انتسب للخالق - جل وعلا - حيث يقول جل شأنه في الحديث القدسي فيما رواه النبي ﷺ عن ربه:

«كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» (٥)

وما نال الصوم هذا الشرف إلا لأنه عبادة خالصة لله - تعالى - لا يدخله رياء ولا يخالطه فخر ولا مباهاة بل إنه عبادة سرية بين العبد وربه لا يعلمها إلا هو، ومن هنا كانت نسبته لله - عز وجل - دون سائر العبادات..

الصوم رياضة للروح والبدن

يعتبر صيام رمضان في حياة المسلمين أسلوبا راقيا من أساليب العبادة حيث يلتقي فيها صفاء الروح بطهارة الجسد وأصبح نظاما للتربية تعلو به النفس على شهواتها وتسمو به على ما يراودها من مظاهر التكالب والتهافت والتخاذل..

الصوم عبادة روحية

الأصل في الصوم أنه عبادة روحية لأنه كما تقدم سر بين العبد وربه فهو نوع من التربية الوجدانية والمجاهدة النفسية ولأنه - أيضا - عمل في الباطن بالصبر المجرد تتخلص به النفس من استعباد العادة، وتتحرر به الروح من شراسة الغريزة فهو

(٥) صحيح مسلم جـ٢ ص ٨٠٧.



قهر للشيطان - عدو الله وعدو الإنسان - بقهر الشهوات التي تعد وسيلته، لذلك يقول المعصوم ﷺ:

«إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع»[6]

ولما كان الصوم قمعا للشيطان وتضييقا لمجاريه وسدا لمسالكه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله - عز وجل - لأن الصوم ليس فقط إمساكا عن الطعام والشراب ومعاناة الجوع والصبر عليه ولكنه مجموعة من الفرائض والسنن تشترك فيها جميع حواس البدن وجوارحه لترتفع الروح إلى مراتب الطهر والصفاء والقرب من الله تعالى..

صوم البصر

فمع أن الصيام هو كسر لشهوة البطن وكبح رغباتها يجب وينبغى غض البصر عن كل مذموم ومكروه وعن كل ما فيه مشغلة للقلب عن ذكر الله جل شأنه فإن النظرة «سهم من سهام إبليس» كما يقول رسول الله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس - لعنه الله - فمن تركها خوفا من الله، آتاه الله - عز وجل - إيمانا يجد حلاوته فى قلبه» فذلك صوم البصر..

صوم اللسان

وصوم اللسان بحفظه من الغيبة والنميمة والفحش وقول الزور يقول صلوات الله وسلامه عليه:

«فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق.....»[7]

وإنما يجب أن يشغل الصائم لسانه بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم وأن يكون عفيفا فى معاملة الناس مسالما يقول الرسول ﷺ: (قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه)[8].

صوم الجوارح كلها

ويجب أن يمسك الصائم بزمام جوارحه كلها فيسخرها جميعاً لطاعة الله تعالى فى هذا الشهر المبارك فلا تسعى رجله إلى معصية ولا تتحرك فى جهة إلا إذا كان فيها طاعة لله تعالى وكذلك لا يبطش بيده ولا يمدها إلى ما حرم الله

---

(6) مسند أحمد.

(7) مسلم جـ٢ ص ٨٦.

(8) مسلم جـ٢ ص ٨٠٧.



تعالى وكذلك سمعه ينبغى ألا يسمع اللغو أو ما يصدر عن آلات اللهو وعن وسائل الإعلام مما يفسد على الناس صيامهم وهكذا باقى الحواس فيجب على الصائم أن يروضها على طاعة الله - تعالى - وأن يدخل بها فى إطار الصيام حيث يجد فى تلك المدرسة الطهر والعفاف والصفاء والنقاء وصالح الأعمال..

الصيام وفوائده الصحية

أثبت كثير من الأطباء أن للصيام فوائد صحية للجسم وأن كل إنسان يحتاج إلى الصيام حتى إن لم يكن مريضا ذلك لأن سموم الأغذية والأدوية تتجمع فى الجسم وفى أعضائه الرئيسية مثل الكبد والكلى وغيرها وهذه السموم حينما تتجمع فى جسم الإنسان تجعله كالمريض فتثقله وتحد من نشاطه فإذا صام الإنسان خف وزنه وتحللت هذه السموم وتخلص منها الجسم بعد أن كانت مجتمعة فى أعضائه تعمل على تعطيلها وإعاقتها عن أداء وظائفها المنوطة فى جسم الإنسان وذلك حتى يصفو الجسم صفاء تاما بتخلصه من تلك السموم.

العادات المرفوضة والمنهى عنها

من الأمور التى تخرج الصيام عن هدفه أن استهلاك الفرد والمجتمع يزيد فى شهر رمضان وتضطر الدولة إلى استيراد كثير من الأغذية وجميع الأسر أو معظمها يدخر طوال العام لينفق ما يدخره فى رمضان فأصبح رمضان عند كثير من الناس موسما للعادات الغذائية والموائد الرمضانية التى لا تراها إلا فى شهر رمضان ولا تعرفها الموائد إلا من خلال هذا الشهر، ولهذا يجب على المسلم أن يفكر فى الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم طول العام ولا يجدون ما يسدون به رمقهم ولا ما يلهون به أطفالهم من ألم الجوع وعليه أن يوجه ما ينفقه على أنواع الطعام والشراب الزائد فى شهر رمضان وأن يوجه هذه الأموال لأوجه الخير فيوسع بها على الفقراء والمساكين ويجعل هذا الشهر بالنسبة لهم موسما يحسون فيه بأن المجتمع يكفلهم ويشملهم برعايته وبعنايته وبالتالى لا يحقدون على الأفراد ولا على المجتمع ولا ينظرون إلى ما فى أيدى غيرهم، بل يرزقهم الله - سبحانه وتعالى - القناعة بما فى أيديهم ويكونون راضين عن إخوانهم الذين أعطاهم الله - سبحانه وتعالى - سعة من الرزق ولكنهم أدوا فى قناعة وإيمان حق السائل والمحروم مما جعلهم يدعون لهم بالزيادة والبركة.

***

مواقف إسلامية

صُيَام عن الكلام

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

يقول الله عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ «المؤمنون ١ ـ ٤»

تمهيد

عندما مرّ الرجل الصالح على واحد من مجالس الشباب.. لفت نظره أن واحداً منهم كان يتصدر المجلس: عالي الصوت.. كثير الكلام.. فكان منه ذلك الدرس البليغ. عبر هذا الحوار الهادف:

قال الشيخ للفتى المتعالم:

هل ترجو بكلامك هذا ثواباً؟

فقال الفتى: لا..

فقال له الشيخ: وهل تتوقى به عقاباً؟

فقال الفتى: لا..

وعندئذ قال له الشيخ محذراً: لماذا إذن تصر على مباشرة أمر لا ترجو به ثوابا.. ولا تتوقى به عقابا؟!!

ومن دروس الموقف: أن الشيخ هنا يحمي الفتى من كيد الشيطان.. الذي يتخذ من فضول الكلام سبيلاً إلى إحباط سعيه.. فإذا أمسك الفتى عن فضول الكلام يسد عنه بابا من الشر، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة. وقد قال ﷺ لمعاذ: [وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم][1]

(١) البخاري.

وقفات بين يدي الآيات

إن المسلم يتحرك صاعداً بالصلاة تعظيماً للخالق، ثم تكون حركته الأفقية «بالزكاة» شفقة على المخلوق.. وبذلك تتم العبادة صدقا وعدلا بتحقق عنصريها:

أ ـ تعظيم الخالق

ب ـ والشفقة على المخلوق

ولكن الشيطان الرجيم يحاول أن يقطع عليه الطريق بما أشارت إليه الآيات الكريمات:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

«الأعراف ١٦ ـ ١٧»

وإنها لمعركة ضارية يخوضها الشيطان بما يملك من أسلحة المكر والخداع. ومنها:

فضول النظر. وفضول الكلام. والطعام ومخالطة الناس.

اللغو

إن اللغو من الكلام هو ما لا يعنينا من الكلام، حتى الكلام المباح.. عندما لا تكون هناك حاجة إليه مما ترفضه مروءة الرجال.

والمؤمنون يصفهم ربهم:

[بالحزم. والاشتغال بما يعنيهم. وما يقربهم إلى مولاهم، في عامة أوقاتهم].

ومن سماتهم أنهم: [إذا مروا باللغو مروا كراما] يعني: أنهم إذا سمعوه كفوا عن القبيح. ولم يصرحوا به.

وإذا صادفوا أهل اللغو لم يخوضوا معهم] بصائر ذوي التمييز / ج٧.

أما اللغو المعفو عنه.. فهو المشار إليه بقوله عز وجل:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾

(البقرة: ٢٢٥)

فالمقصود به: [ما يجري في الكلام على غير عقد] «لسان العرب»

على ما يقول الشاعر:

ولست بمأخوذ بلغو تقوله
إذا لم تعمد عاقدات العزائم

والتعبير بقوله عز وجل [معرضون] بالاسم.. دليل على أن الإعراض عن لغو الكلام صار لهم ملكة راسخة.

يعني: أنهم لا يمتنعون عنه في الصلاة فقط.. وإنما يمتنعون عنه في كل الأوقات: فطرة تبذل نفسها تلقائيا وحتى لو كان منهم تبسط في الكلام.. فهو كلام لا لغو فيه ولا تأثيم.

وهي صورة من صور الإحسان.. الصادرة عن قاعدة تقول: لقد أحسن الله إليك.. مع حاجتك إليه.. فأحسن إليه سبحانه.. وهو في غنى عنك.. أحسن كما أحسن الله إليك..

معنى الإعراض

أولاً: لا يتسببون فيه.

ثانياً: ولا يفعلونه.

ثالثاً: ولا يرضون به.

رابعاً: بل ولا يخالطون من تورط فيه.

يقول صاحب الظلال:

[إن للقلب المؤمن ما يشغله عن اللهو واللغو والهذر:

له ما لا يشغله عن ذكر الله، وتصور جلاله، وتدبر آياته في الأنفس والآفاق.

وكل مشهد من مشاهد الكون يستغرق العبد، ويشغل الفكر، ويحرك الوجدان:

وله ما يشغله من تكاليف العقيدة، تكاليفها في تطهير القلب، وتزكية النفس، وتنقية الضمير.. ولا ينفي هذا أن يروّح المؤمن عن نفسه في الحين بعد الحين، ولكن هذا شيء آخر غير الهذر واللغو والفراغ] أ. هـ.

فاجعل لحياتك معنى.. واجعل لهذا المعنى هدفا.. فإن فعلت.. فإنك إذن من المفلحين.

وحرىّ بالمؤمن أن يعد كلامه من عمله.. ليكون منه على حذر..

وهكذا كان الصالحون: والذين بلغ بهم الورع درجة ليس وراءها وراء.

كان الإمام أحمد بن حنبل مريضا مرضا فرض عليه أن يئن.. وبصوت مسموع.. فسمع واحدا من عوّاده يقول: «إن الملكين يسجلان.. حتى أنين المريض؟». وعلى الفور.. كف عن الأنين مع أن الأنين مجرد «صوت» وليس جملا يحسن السكوت عليها.. مسجلا بذلك ورعه.. بالتخلي عما فرض عليه. ولم ينتشه اختيارا.. متحملا بركان الألم يهز كيانه هزاً.

ولكن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص كان له شأن آخر، فقد كان من رأى عوّاده أن ينفس عن نفسه بأمرين:

أ ـ بالأنين..

ب ـ وبوصف ما به للطبيب.. ولكن الرجل يرفض هذه الشفقة قائلاً:

أما الأنين: فإنه جزع، وعار ولا يسمع الله مني أنينا. فأكون جزوعاً. وأما الطبيب: فوالله.. لا يحكم غيرُ الله في نفسي، فإن شاء قبضها.. وإن شاء منّ بها عليّ!!

وهكذا.. يمسك الرجل عن الشكوى.. حين قرر الصمت.. راضيا بحكم الله عز وجل.. وقبل أن يأكل الكلام حسناته كما تأكل النار الحطب!

وعندئذ كان في مرضه الخطير على أوفى ما يكون الاستقرار النفسي، مع الله تعالى: بالذكر والصبر، ومع الناس بالأخوة، ومع النفس: بتطهيرها من كل ما يعكر صفوها.. ولو كان لغو الكلام!

الأعرابية.. ولوثة المدنية

سمعت أعرابية صراخا في دار.. فتساءلت: ما هذا؟!

قالوا: مات لهم عزيز!

فقالت: ما أراهم إلا:

أ ـ من ربهم يشكون

ب ـ وبقضائه يتبرمون

حـ ـ وعن ثوابه راغبون «معرضون»

ولعلها كانت الزيارة الأولى لهذه الأعرابية للمدينة.. التي رأت من عاداتها ما لم تألفه..

ثم كان منها ذلك النقد اللاذع.. والذي جعل من هذا الصراخ موقفا من قدر الله تعالى.. والذي يجب الرضا به. والتسليم بحكمته.

وليت شعري.. إذا كان هذا رأيها في لوثة من لوثات المدنية.. فكيف كانت تقول لو تأخر بها العمر فرأت ما يفعل الرجال اليوم من سرادقات ولقاءات ونفقات؟!

الدرس العملي

روى عن عمرو بن عبيد أنه قال له تلميذه: يا أبا عثمان!! إني لأرحمك مما يقول الناس فيك.

فقال: يا ابن أخي:

أسمعتني أقول فيهم شيئاً!

قال: لا.

قال: فإياهم فارحم!!

أجل: إنهم أولى بالرحمة منه، من حيث إنه الفائز بما أضيف إليه من حسناتهم.. وهم الخاسرون بما أضيف إليهم من سيئاته.. فأي الفريقين أولى بالرحمة؟!

وموقف «عمرو بن عبيد» يذكرنا بقوله - عز وجل:

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

«التوبة: ٩»

إنهم قوم ساء عملهم بصدهم عن سبيل الله تعالى.. وهو حكم عليهم بما قدمت أيديهم.

فمن قوانين البيع والشراء.. أنك تدفع المال ثمنا لسلعة هي أغلى منه..

ولكن هؤلاء الناس يعكسون القضية، يدفعون الآيات في مقابل ثمن زهيد.. فآثروا الأردأ على الأغلى..

وهكذا كان موقف «عمرو بن عبيد»:

لقد كان كما قيل فيه: كلهم طالب صيد.. غير عمرو بن عبيد!!

وذلك أنه رفض أن يستجيب لرد العدوان.. فإن موقفه درسا لمدرسة تحرض الشتوم على ضرورة الرد على من شتمه ثأرا لكرامته.. إنه حافظ على سلعة الحسنات التي اكتسبها بالصبر.. والتي لا يعادلها أن يرد على شاتميه.. الأولى بالإشفاق حين شتموا فحرموا بالشتم من ثروة دونها كل ثروة..

ثم هو في النهاية درس للتلميذ في رفض الغيبة، درس يتلقاه عمليا فلا ينساه أبدا.

ولعل الإحساس بحجم خسارة المغتاب هو الذي كان من وراء ما حدث لداود الطائي يوماً..

عندما مرّ بمكان.. وفجأة وقع مغشيا عليه؟!

فحمل إلى منزله..

ولم تكن المفاجأة عند أهله الذين غادرهم صاحيا.. ثم عاد إليهم فاقدا الوعي..

وإنما كانت المفاجأة عنده هو.. وذلك أنه لما أفاق عن ذلك. فقال: ذكرت أني اغتبت رجلا في هذا الموضع.. فذكرت مطالبته لي بين يدى الله تعالى.. فكان ما كان!

الدفاع عن الغائب

ولقد كان الإخوة من الوفاء للغائب والحاضر معا حتى لا تكون غيبة تخصم من حسنات أحد:

في مجلس من مجالس «أحمد الغزالي» سأله سائل:

«إن عليا – كرم الله وجهه – قال عن نفسه: «لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينا» مع أن إبراهيم الخليل – عليه السلام – يقول فيما حكاه القرآن عنه:

﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

«البقرة: ٢٦٠»

فهل كان علي أقوى يقينا من الخليل؟!

فأجاب على الفور: اليقين؛ قد يتصور معه الجحود

يقول عز وجل:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾

«النمل: ١٤»

أما «الطمأنينة» فلا يتصور معها جحود. لأنها استقرار. وسكينة. وهدوء!!

سلاح السخرية

وأحيانا.. كانت السخرية ذلك السلاح الحاد.. والذي يعاتب من تورط في غيبة أخيه:

دعي إبراهيم بن أدهم إلى وليمة فسمع من يغتاب غيره. فقال:

زمان كنا نأكل الخبز قبل اللحم. أما أنتم اليوم.. فقد عكستم القضية، تأكلون اللحم.. قبل الخبز؟! «يقصد الغيبة».

وهكذا.. يذكر الآكلين لحوم أخوتهم.. يذكرهم بما يحفظونه من آيات القرآن.. ثم لم يحافظوا على ما تضمنته الآيات من عظات.

ولنا هنا تعقيب

● فالذي يغتابه الناس مسئول أولا إذا وضع نفسه موضع التهم.

● أما المغتاب.. فمسئوليته مباشرة.. ومن الناس من يسكت إذا اغتيب منافسه.. لأنه لا يريد أن يقسم شرفه على اثنين: هو.. ومنافسه.. فهو أناني..

وبنفس القوة.. ربما كان الوضيع.. أنانيا حين يغتاب الشريف ليقسم وضاعته على اثنين.

وإذن.. فأطراف الغيبة في الإثم سواء!!

أما بعد فإن مجالس البشر:

إما جمال: يبلغ القمر في سمائه

وإما دمامة: تنحط إلى الذباب في أقذاره.

ومجالسنا تحت رقابة الله عز وجل.. ونحن محاسبون عليها..

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ﴾

«المجادلة: ٧»

وإذن فلتكن مجالسنا جميلة جمال القمر

﴿ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾

«المجادلة: ٩»



ولقد كان اليهودي إذا رأى مسلما.. يميل على صاحبه كأنه يبيت شرا.. ليحزنه..

وقد قال تعالى في ذلك:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾

«المجادلة: ٨»

ألا إن هدف الإسلام الأكبر هو: ربط المسلم بما يبقى، وفي سبيل ذلك:

أ – يحرضك على إيثار ما يبقى:

[وإذا عصتك نفسك فيما تكره.. فلا تطعها فيما تحب].

وكان سلفنا الصالح عند حسن الظن بهم، فسعوا لعمارة الآخرة.. متجاوزين مناعم الدنيا ومن صور ذلك:

يسأل أحدهم صاحبه: ما هي «الوظيفة» التي تشتاق إليها..

فيقول: «حفّار قبور» أو «حداد».

ليظل ذاكر آخرته.. والتي نفر نحن اليوم من كل ما يذكرنا بها..

ولكنهم مع ذلك عمروا الدنيا.. بمعنى أنهم يصلون إلى الآخرة.. عن طريق الدنيا ولو أنهم لزموا المساجد.. ما أغاظوا الأعداء.

إن مشكلة المسلمين اليوم:

١ – أنهم يتحركون خارج نطاق القرآن، يحفظونه. ولكنهم لا يحافظون على مبادئه!

٢ – ومنهم الذين يحلقون في أجوائه فعلا ولكنهم مشغولون بقضايا مثل: إبليس من الملائكة أم من الجن؟ وكان الظن أن يسألوا عما به صلاحهم من مثل: تاب الله سبحانه على آدم ولم يتب على إبليس! فلماذا؟

نهاية المطاف

فقد نستطرد فيما لا يجدى من القول.. وفي نفس الوقت يتراجع نصيبنا من الحسنات.. ونحن لا ندري.

روى الترمذي أن رجلا من الأنصار توفي فقال بعض الصحابة: طوبى له فقال النبي ﷺ:

«فما يدريك؟ فلعله تكلم بما لا يعنيه. أو بخل بما لا ينقصه».

وهكذا: على عظمة الصلاة والزكاة.. لكنهما من اللسان على خطر عظيم!

وصدق القائل: «ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان»

فليحذر الإنسان!!

فليحذر من فضول الكلام:

[ومن يفعل ذلك فقد أخذ بنصيبه من التوفيق. وسد على نفسه أبواب جهنم. وفتح عليها أبواب الرحمة وانغمر ظاهره وباطنه ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء: فعند الممات يحمد القوم التقى وفي الصباح يحمد القوم السرى].

خطبة الجمعة:

الصوم مدرسة تهذيب

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل: ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الشورى: ١٢) «فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم».

وأشهد أن لا إله إلا الله ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ (الزمر: ٥)

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٥)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خير العابدين وسيد المجاهدين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وأتباعه وحزبه:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل: ٣٠)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

في حديث الرسول عليه صلوات الله وسلامه: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها» [١] وفي حديث آخر: «تعرضوا لنفحات رحمة الله تعالى» [٢]. وبعض الأيام قد يوجد فيها من المعاني واللفتات، أو من اللمحات والنفحات، مالا يوجد في غيرها؛ عما قليل ينبثق في كبد السماء هلال رمضان الوليد، ليكون أشبه بشعاع إلهي يسطع على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ليوحي إليهم بأن ربهم الذى أحل الحلال وحرم الحرام قد آذنهم بشهر له في مجتمعهم تأثير، وفي نفوسهم تأديب، وفي مشاعرهم إيقاظ، وكأنه لهم موسم ربيع، يأتيهم بعد أن ظلوا أحد عشر شهراً وهم سائرون في مسالك الحياة، ينالون منها وتنال منهم، وتعلق بهم رواسب وأخلاط من أعراضها وشهواتها، فيصيبهم بسبب ذلك لون من الونى والكسل. أو الفتور والخلل، فيأتيهم رمضان إن كانوا مؤمنين حقا. يأتيهم بصيامه وقيامه، وعبادته وتلاوته، فينفض هذه الأجسام الفاترة والنفوس الوانية، ويظل يوقد عليها بنار تأديبه، ويضيئها بأنوار تهذيبه، حتى يجعلها في آخره وقد اكتمل - بتوفيق الله تعالى - وعيها الروحى وصلاحها الحسى وصفاءها النفسى، فتتخذ لها من ذلك عدة تسير بها على الطريق حتى يلقاها رمضان مرة أخرى في عام قابل، وهكذا دواليك.

ثورة روحية وحسية

ورمضان عند المؤمنين العقلاء هو شهر الثورة الروحية والحسية، فيه تتبدل الأحوال وتتغير الأوضاع، فمن امتلاء إلى خلاء، ومن رى إلى ظمأ، ومن انطلاق مع الرغبات إلى تقييد وحرمان، ومن غفلة ولهو إلى ذكر وترتيل، وكان الصوم قانون إلهى للبطن والشهوات وقانون للنفس، يحكمها من الداخل لا من الخارج؛ فما أكثر الذين يخضعون لقوانين الأرض من الظاهر، ويفسدون مقاصد هذه القوانين من وراء ستار؛ وأما قانون الصيام فإن سلطانه ينبع من أعماق النفس وأغوار النفس وأغوار الضمير، ولذلك كان الصوم سراً مودعا في أمانة المسلم. لا يطلع علي حقيقته وصحته إلا من يعلم طوايا النفوس وخفايا الضمائر، وهو الله جل جلاله:

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٣، ١٤)

ومن هنا جاء في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به» [٣].

وهذا الصوم إذا استقام أمره وأينع ثمره يكون تطبيقاً عمليا للأخوة الإسلامية بذلك الحرمان الإجبارى والجوع المفروض والتساوى في الإحساس بالألم الواحد، وهو ألم الحرمان المشروع في الصوم الذي هو: «تأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع».

والذى «يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر»، ونحن نشكو مر الشكوى من التكالب اللاذى علي الحياة، والإلحاح الجشع علي مطالبها ورغباتها، مع عدم الرضا وعدم الشعور بالسعادة، وكأن الإنسان في طلبه للحياة يملأ في «قربة مقطوعة»، فهى لا تمتلىء ولا تكتفى،

(١) مجمع الزوائد جـ١٠/ ٢٣١.

(٢) مجمع الزوائد جـ١٠/ ٢٣١.

(٣) صحيح مسلم جـ٣ ص ٨٠٧.

فيأتي شهر رمضان ليكون فترة تأديبية تهذيبية تعلم الإنسان كيف يهدأ، وكيف يخفف من جموح رغباته وإسراف شهواته؛ وهذه من المفطرات تكون من حوله، وليس عليه من رقيب أو حسيب سوى ربه المطلع على الضمائر والسرائر، ومع ذلك يصد الصائم نفسه، ويسوسها لتتعلم كيف تمتنع وتصبر، وكيف تراقب الله علام الغيوب.

النعم لا تدوم

وهذا هو العالم يشكو طوفان ذلك السعار المادي الذي أصاب أكثر الناس، فجعلهم يطلبون ولا يعطون، ويشتهون ولا يصبرون، ويحسنون الجمع ولا يعرفون القسمة، حتى حطم فيهم روح المغالبة والمقاومة، فيأتي شهر رمضان ليكون مدرسة تستمر ثلاثين يوماً في كل عام، فيأخذ فيها الصائم المخلص دروساً عملية تهديه إلى المغالبة وتقويتها، وإلى المقاومة وتعزيزها والحياة غير مأمونة العواقب، فهي يوم لك ويوم عليك، وكوارث الدنيا تتربص بأهليها الدوائر عن يمين وشمال، فإذا ألف الإنسان الترف والنعيم، وفاجأته الشدة أو المحنة ذل أمامها وخنع، لأنه لم يتعود خشونة أو تقشفاً أو تخففاً في المتاع، ولهذا قال عمر: «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم». والصوم تدريب على هذا الاخشيشان طوعاً واختياراً، قبل أن يكون جبراً وإرغاماً، والنفس البشرية قد توضع لها القوانين الوضعية لتحكمها وتزجرها وقد تبدو النفس راضية بهذه القوانين من الظاهر، ثم تكرهها من الداخل، ولكن الصوم هو القانون الإلهي الداخلي الروحي الذي يسيطر على أعماق النفس وخفاياها، فيقودها طواعية واختياراً لا كرهاً ولا إجباراً، ومتى استطاع الإنسان أن يملك زمام نفسه من الداخل فقد تحكم في أسبابها، واستطاع أن يقودها إلى حيث يريد. ولأن الصيام فيه هذه «الباطنية» المستورة، وفيه هذه «الداخلية» أو الجوانية التي لا يطلع على أمرها إلا الله الذي يعلم السر والنجوى، جعل الله تبارك وتعالى هذا الصوم عملاً خالصاً لوجهه، تزيد مضاعفة الثواب من الله عليه، حتى يغمر الله عبده بفيوض من رحمته ونعمته، يقول الحديث: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف»[٤]، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»[٥]. ولأن الصيام الحقيقي يحفظ النفس من الجشع والسعار والترف المهلك قال الرسول ﷺ: «الصيام جنة»[٦] أي وقاية وحفظ من المعاطب، لأنه يكسر الشهوة ويعلم العفة ويقوي الإرادة، ويحقق في نفس الصائم المخلص صفة التقوى التي تتجمع تحت لوائها الفضائل وتنأى عنها الرذائل، ولذلك يقول عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

---

(٤) أخرجه مسلم.　(٥) صحيح مسلم جـ٢ ص ٨٠٧.　(٦) أخرجه أحمد والنسائي.



صوم الإسلام

قد يقال إن بعض الناس لا يستفيدون من الصيام، وهؤلاء في الواقع هم الذين لا يصومون الصوم الإسلامي الذي شرعه الإسلام وأراده الله تعالى لعباده، فهم في رمضان يقلبون الوضع ويعكسون الهدف ويفسدون الخطة، فيسرفون في الطعام إسرافاً يجعل هذا البطن مخزناً لطبقات من الطعام بعضها فوق بعض، فتتلبك المعدة، ويضطرب الهضم، وتتأذى الأمعاء، ويظل الواحد منهم طيلة النهار في خلل واختلال، وهم يقضون ليلهم ساهرين فيما يتلف الصحة أو الخلق، ويتناولون ما حل أو حرم من المشروبات والمنبهات، ولا يقوون أرواحهم بكلم طيب، أو قيام مهذب أو عبادة موقظة، ويحرمون أنفسهم حظها من النوم، فإذا غدوا إلى أعمالهم غدوا كسالى، وإذا خاطبوا الناس خاطبوهم على غير هدوء، وإذا طولبوا بالاستقامة في القول والعمل ضجوا واحتجوا بالصيام، والصيام منهم بريء، وهكذا يحملون الصيام تبعة إسرافهم وانحرافهم:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(هود: ١١٧)

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

نفحات رمضانية

إن لله في أيامكم نفحات، والعاقل اللبيب من تعرض لهذه النفحات لينال منها ويسعد بها، وهذا شهر رمضان قد أقبل، وهو موسم جليل من مواسم الطاعة والخير والبر، وفرصة من فرص التقرب إلى الله تعالى بذكره وعبادته، ومعاونة المحتاجين من خلقه، وتثبيت دعائم الصلاح والإصلاح في أرضه، فلنستعن بالله - جل جلاله - في أن يوفقنا خلاله لصالح العمل، وأن يجعله لنا موسماً من مواسم الطاعة والتطهر والقبول، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل،

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة: ٨٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

***

المساجد مصانع الرجال

للدكتور/ حمدى فتوح والى

لا نستطيع ونحن نبحث لأمتنا عن موضع قدم بين أمم الأرض فى سباق الحضارات المحموم أن نتصور نهضة إسلامية شاملة تستهدف أفراد الأمة جميعا دون أن يكون المسجد هو منطلقها وركيزتها وباعث نهضتها ومجدد عزيمتها.

وإذا كان المطلوب من الأمة أن تستعيد ذاكرتها، وتصل ما انقطع من تيار الوحى المتدفق على القلوب ليرويها، وعلى العقول لمدها بالجديد النافع فى جميع ميادين الحياة فإن المسجد كان -وما يزال- هو المنطلق لذلك كله.

ومن هنا نستطيع أن نفهم سر التوجيه الإلهى لرسول الله ﷺ منذ أول يوم بدأ فيه تأسيس الدولة بقوله:

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد التركيز على صفة الطهر والتطهر واضحا، لندرك يقينا أن تطهير القلب من كل مظاهر الشرك وتنقية النفوس من كل لوثات الهوى، وتخليص العقول من اختلال التصور واضطراب الفهم كل ذلك كان يمثل الأساس المكين الذى يعين النفس على بداية العمل لصناعة القواعد التى قامت عليها دولة الإسلام، وأنه لا سبيل إلى مخاطبة الأمم من حولنا قبل أن تبدأ ببناء أنفسنا فنتخلص من كدر الحس، واضطراب الفهم، وقسوة



القلب، وتلبط النفس فى وحل اللذات والشهوات.

إنها إذن مرحلة صقل روحى وتطهير قلبى، وتهذيب نفسى، تهيىء جميع أجهزة الاستقبال فى الكيان الإنسانى لمهمته الأولى وهى التلقى عن الله ليبدأ من بعدها تكوين العقل والقلب والوجدان والشعور.

وعندما يتم للنفس ذلك يكون النبع قد صفا، والمورد قد عذب وعندها سيكثر الزحام على هذا النموذج الفريد فالمورد العذب كثير الزحام.

إن المسجد فى خطابنا الدعوى ليس مجرد مكان للعبادة أو مواضع للسجود فالعبادة فى الإسلام لا تقتصر على أداء الشعائر كما يظن كثير من الناس، وإنما العبادة تتسع لتشمل كل نشاط يصدر عن الإنسان قاصدا به إرضاء الخالق - سبحانه وتعالى- فى كل ما يتعلق بشئون الحياة حتى الأمور التى يجد المرء فيها لذته من التمتع بالمأكل والمشرب والملبس وامتلاك المال والإفضاء بشهوته إلى زوجته كل ذلك يصير نوعا من العبادة إذا قصد بذلك كله عمارة الحياة وتسخيرها لله، وهكذا يتسع مفهوم العبادة ليشمل أمور السياسة والإعلام والتعليم وممارسة التجارة والصناعة والزراعة، ما دامت النية تتجه فى ذلك كله إلى التمكين للإسلام فى الأرض والتقدم به إلى العالمين

معنى الرجولة

وكما يتسع مفهوم العبادة ليشمل جميع مناشط الحياة، فإن مفهوم المسجد يتسع ليتحول فى الإسلام إلى كل ما يشير إلى منظومة القيم الإيمانية التى جاء بها الوحى وتلقاها رسول الله ﷺ وبلغها للناس على سبيل التكليف والإلزام وليس مجرد مكان للسجود فرسولنا ﷺ هو القائل: «وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا»[1] فكل مكان طاهر فى الأرض هو مكان صالح لأداء الصلاة، أما المسجد فى الإسلام فقد ارتبط بمعنى الرجولة والمروءة، وصناعة الرجال نجد ذلك فى أكثر من موضع فى كتاب الله ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(النور: ٣٦-٣٧)

ومن يتأمل فى الآية الكريمة يدرك أن الله - تبارك وتعالى - ربط بين المساجد و بين الرجولة، والرجولة هنا لا تعنى

---

(١) مجمع الزوائد جـ١/ ٢٥٨، ٢٥٩.

الذكورة وإنما تعنى الشدة والكمال كما ورد فى لسان العرب، ولذا جاء فى الحديث: كانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - رجلة الرأى.[2]

ومن يتعقب كلمة «رجل» و«رجال» فى كتاب الله يلاحظ ربطا وثيقا بين وصف الرجولة وبين الإيجابية والمروءة والمواقف النبيلة وهى كلها أوصاف تحتاج إليها الأمم عند إعادة البناء، كما يلاحظ أن غالب تلك المواقف ارتبطت بالمسجد ففى سورة التوبة:

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

وقد أشرنا إلى دلالة ذلك فى أول المقال.

وفى آية الأحزاب جاء وصف الرجال بالصدق عند اللقاء والصبر عند ملاقاة الأعداء:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٢٣)

وفى سورة النور جاء وصف الرجال بعمق الإيمان وصدق اليقين ودوام المعية وتصديهم لمعالى الأمور وترفعهم عن سفاسفها:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(النور: ٣٦-٣٧)

إن مهام الرجولة التى صنعها المسجد لم تعمد إلى تعديد مواقف البطولة والثبات، ولا إلى ذكر نماذج من المروءة والوفاء وإنما عمدت الآية إلى رصد المظهر الذى يحدد سمات هؤلاء الرجال، وهذا المظهر يدل على خصائص هذه الفئة فهم رجال تصنع أفكارهم وعقائدهم وتنضج مشاعرهم ومبادؤهم فى منازل الوحى ومطالع النور، يعرضون أنفسهم لشحن يومى دائم بالغدو والآصال إنها الصلوات الخمس التى يؤديها الرجال بين يدى خالقهم - سبحانه - فيتلقون منه الود والحب، ويستمدون منه الثقة والقرب، ويشهدونه على قلوبهم، وقد ملئت إيمانا وصدقا، وعلى مشاعرهم و قد شحنت يقينا وحبا، أما ما يشغلهم ويستولى على كيانهم ويستغرق همتهم ويملأ وجدانهم فهو ذكر الله ويا لشدة حسرتى وأسفى لمفهوم الذكر عند غالب المسلمين اليوم فهو عند عوامهم تطوح وتمايل وترنح وتواجد وارتفاع وانخفاض يصاحب تلك الحالة حاد خبير بما يحمس

(٢) لسان العرب، مادة رجل ص١٥٩٦، ج٣.



القوم من إيقاع بالدف وعزف على الناى وانقباض وانبساط حتى إذا اشتد بالقوم التعب وأخذتهم حالة من الدوار والإغماء فسقط كالذى يتخبطه الشيطان من المس لا يدرى بمن حوله ولا يفقه ما يقول يعد فى نظر أقرانه من العوام وليا أدركته العناية وأخذته الجلالة، وكم باسم الجهل والبدع ترتكب الخطايا وتقع الموبقات.

ذكر بلا مضمون

فإذا تركنا العوام وما يفهمونه عن الذكر لننظر إلى فهم العقلاء والمثقفين رأينا الذكر عندهم ترديد لجملة سبحان الله أو الحمد لله.. دون وعى بمضمونها أو إدراك لمغزاها مع استغراق فى كثير من الأحيان بالتفكير فى أودية الدنيا.

أما الذكر الذى ينتج هذا النوع من الرجال فهو الذكر الذى يثمر معية دائمة والتزاما كاملا ومعايشة حميمة لهموم هذا الدين والعمل له، لا يشغلون عنه بهموم شخصية أو بمآرب دنيوية أو التحصيل لحظوظ النفس من الأموال والأولاد والرياش والمتاع.

وإنك لتلاحظ معى فى وصفهم بالانصراف عن الاستغراق فى هموم البيع والتجارة أنه انصراف عن شىء مباح وأن هذا النوع من الانشغال لا يقدح فى دين المرء و لا أمانته، لكنهم مع هذا ليسو من هذا الصنف العادى الذى يرضى من الدنيا بمتاعها الفانى وتقف همته عن حظوظ نفسه وإمتاع جسده وتنعيم أهله والعيش فى قوافل الآكلين والشاربين المنصرفين عن هموم الأمة وتأكيد وجودهم والجهاد من أجل إعادة كيانها ومجدها وإنما هم طراز من البشر همتهم عالية ونفوسهم سامية وحياتهم غالية لا ينفقونها إلا فى معالى الأمور:

﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(النور: ٣٧)

وذكر الله - كما ينبغى أن يكون - هو حالة من الحضور الدائم مع الله تجعل القلب فى وجل، والروح فى نشوة، والنفس فى انشراح، والضمير فى أمان واستقرار.

وهذه الحالة من المعية الدائمة مع الله هى التى تحفز إلى الجهاد فى سبيله والتضحية بالنفس والمال والولد، رغبة فى الوصول إلى رضاه - سبحانه وتعالى.

إنها الحالة التى جعلت رجلا مثل حبيب ابن عدى يقول وهو يساوم على الموت أو الردة عن هذا الدين:

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الله وإن يشأ
يبارك على أشلاء شلو ممزع

وجعلت رجلا مثل صهيب بن سنان الرومى ينزل عن ماله وأهله وولده عندما

رأى أن ذلك هو الثمن لهجرته إلى الله وفيه نزل قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

(البقرة: ٢٠٧)

وجعلت امرأة مثل «أم سلمة» تخرج كل يوم فتقعد على فم الطريق الموصلة إلى المدينة وهى تبكى شوقا إلى الهجرة مع رسول الله ﷺ وعندما رق لها بعض أهل مكة وسعى فى إخراجها ساوموها على أن تترك ولدها لهم فتركته وخرجت تقطع الرمضاء إلى مدينة رسول الله ﷺ بعد عام كامل من البكاء والحنين.

فى المدرسة العمرية

إن الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله هم صنف فريد من البشر يمثلهم لنا الصحابى الجليل الزبرقان بن بدر، ففى أخبار الأدب المشهورة: أن الحطيئة الشاعر هجا الزبرقان بن بدر - رضى الله عنه- فقال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فهاج الزبرقان وماج وأرغى وأزبد وشكا الأمر إلى أمير المؤمنين عمر -رضى الله عنه- فسأل عمر حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ أن يبين له ما فى قول الحطيئة من هجاء، ولم يكن ذلك عن جهل من أمير المؤمنين بمرامى الكلام فأجاب حسان بما معناه: أن الأمر أفحش من الهجاء وأن أقذع الهجاء لأهون من هذا بكثير إنه لدنس صبه الحطيئة على الزبرقان لا تقوم به كرامة فقضى عمر بحبس الشاعر فى سجن مظلم فجعل الحطيئة يستعطف أمير المؤمنين ويعتذر للزبرقان ويذرف دموع الندم يشكو حاله وبؤس أطفاله يخاطب أمير المؤمنين بقوله:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فعفا عنه عمر، بعد أن استوثق منه أنه لا يعود إلى مثلها وإلا قطع لسانه.

إننى على يقين أنك ستعجب لانفعال الزبرقان وغضبه الشديد، وربما لا توافق حسان بن ثابت الرأى فيما قاله عن الحطيئة، وأنك ستعجب أكثر للحكم الذى أصدره أمير المؤمنين عمر -رضى الله عنه- لأنك لا ترى أن الأمر على هذا القدر من الخطورة والإضرار لكنك لو استشعرت مدى الفارق بين إنسان يعيش لنفسه ويجعل غاية همته فى ما لا يبقى من طعام يفنى وثوب يبلى، وبين إنسان لا يجد سعادته ولا يشعر بوجوده إلا بأن يربط الناس بربهم ويدلهم على حقيقة وجودهم ويطمئن إلى وضوح معالم الحق فى أعينهم وإلى سلامة الطريق التى يسلكونها إلى



خالقهم فيسعد لسعادتهم ويشقى لشقائهم، إنه الفارق بين القلب المعلق بربه، الآنس بخالقه العامل لآخرته المطمئن إلى مولاه، وبين من يعيش محجوبا عن ربه مسجونا فى شهواته متخبطا فى حياته، متلبطا فى وحله، ولك أن تتصور أمة مجموع أفرادها من هذا الصنف الأخير غاية همتهم توفير المآكل والمشارب، وتأمين المساكن والمراكب فإذا بلغوا غايتهم من ذلك شعروا بالرضا وأظهروا الارتياح. ماذا سيكون حال القيم والمبادئ والأخلاق والأفكار؟ وإذا كانت همتهم قد انتهت عند تلك الشهوات الدنية فمن للحق ينصره، ومن للدين ينشره ومن للأخلاق يعليها ومن للفضائل والعقائد يحرسها ويحميها.

لقد أدرك الأستاذ البهى الخولى فى هذه القصة معنيين بارزين:

الأول: أن الحطيئة كان خبيرا بالحياة وأنها ذات وجهين أو غايتين:

- غاية خسيسة يعيش عليها الأدنياء.
- وغاية شريفة يحيا لها الفضلاء.

فالأولون يرون سعادتهم فى لذة المطعم والملبس وكفى، والآخرون يجدون لتحصيل زادهم من الفضيلة ومتاع نفوسهم من الخير والحق، وهذا هو ما كانت تقوم عليه الحياة فعلا فى ذلك العهد العمرى الزاهر.

أما المعنى الثانى الذى يبرز فى هذه القصة فهو أن شعور الرأى العام كان شديد الحساسية بالفارق العظيم بين الغايتين فكان أحدهم يسمو بهمته أن تنحصر فى مطالب المعدة وترف البدن ويفزع أن يوصم بين الناس بهذه الوصمة القاصمة، وإلى مكان هذا الفزع سدد الحطيئة ضربته القاسية إلى غريمه أو صب عليه دنسا لا تقوم به الكرامة على معنى ما قال حسان - رضى الله عنه- (٣).

ومن هنا ندرك المعنى الإيمانى العظيم لقول ربنا سبحانه يصف الرجال بأنهم

﴿ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(النور: ٣٧)

بينما يصف طائفة أخرى من البشر أخطأوا الطريق إلى هذا المعنى العظيم بأنهم:

﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾

(محمد: ١٢)

وندرك الفارق أيضا بين الأمة العاملة العاملة، والأمة الجاهلة الخاملة.

❋❋❋

(٣) تذكرة الدعاة، البهى الخولى، ص٢٢.

فضل الصيام وآدابه

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنى محمد بن رافع، حدثنا عبد الرازق، أخبرنا ابن جريج، أخبرنى عطاء عن أبى صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: قال عزوجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخب فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل إنى صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه».

هذا الحديث من الأحاديث القدسية، وقد روى بإحدى طريقتى الرواية للحديث القدسى وهى: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزوجل، أو قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه قال:..

والطريقة الثانية لرواية الحديث القدسى: أن يقال: قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسوله ﷺ.

وتتميما للفائدة أورد هنا الفرق بين كل من الحديث القدسى والقرآن، والفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى.

الفرق بين الحديث القدسى والقرآن:

- أن الحديث القدسى ما كان لفظه من عند النبى ﷺ على رأى البعض ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام بوحى جلى أولا، وأما القرآن فهو ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى، بمعنى: أن ينزل به جبريل - عليه السلام - بلفظه ومعناه من عند الله - سبحانه - فى اليقظة وليس فى المنام ولا بالإلهام.
- الحديث القدسى تصح روايته بالمعنى، أما القرآن فتحرم روايته بالمعنى.
- الحديث القدسى لا يتعبد بقراءته، أما القرآن فيتعبد بقراءته ويتعين فى الصلاة وليس كذلك الحديث القدسى.
- أن القرآن الكريم معجزة خالدة متواتر اللفظ فى كلماته وحروفه وأساليبه، أما الأحاديث القدسية فليس لها هذا التواتر، وليست بمعجزة.
- أن القرآن الكريم يحرم على المحدث مسه، وعلى الجنب تلاوته ومسه، بخلاف الأحاديث القدسية.

الفرق بين الحديث القدسى والنبوى: هو أن الحديث القدسى مقطوع بنزول معناه من عند الله تعالى لما ورد فيه من النص الشرعى على نسبته إلى الله بقول الرسول ﷺ. قال الله تعالى كذا.. فلذا سمى قدسيا، أما الحديث النبوى فلم يرد فيه هذا النص، لأن منه ما هو (توفيقى) مستنبط بالاجتهاد والرأى من كلام الله والتأمل فى حقائق الكون، وهذا ليس كلام الله، ومنه ما هو (توقيفى) جاء به الوحى إلى الرسول ﷺ فبينه للناس بكلامه، وهذا القسم وإن كان مرجعه إلى الله تعالى الملهم والمعلم إلا أنه لما كان من قول الرسول ﷺ كان حريا أن ينسب إليه. ويطلق على القسمين حديثا نبويا وقوفا بالنسبة عند الحد المقطوع به.

وقد أشار هذا الحديث إلى ثلاثة مقاصد من أهم مقاصد الصوم وهى:-

- تكفل الله - تعالى - بجزاء الصائمين.
- ثمرات الصيام.
- فرح الصائم.

أما بالنسبة للأول: وهو تكفل الله تعالى بجزاء الصائمين فذلك فى قوله: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به» وقد أضاف الله تعالى الصوم إلى نفسه تشريفا لهذه العبادة وتكريما للقائمين بها، وللعلماء آراء فى إضافة الصوم إلى الله تعالى أوردها الإمام النووى - رحمه الله - قال: اختلف العلماء فى معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى فقيل سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به، فلم يعظم الكفار فى عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك.

وقيل: لأن الصوم بعيد عن الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة.

وقال الخطابى: لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ.

وقيل: إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شىء.

وقيل: معناه أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه، أو تضعيف حسناته وغيره من العبادات، أظهر - سبحانه - بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها.

وقيل: هى إضافة تشريف، كقوله تعالى:

﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ (الشمس: ١٣)

مع أن العالم كله لله تعالى.

وقيل: لأن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام، ولكن يرد هذا القول بحديث: «المفلس الذى يأتى يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا»(١).. الحديث، فعلى ذلك فالصيام مشترك مع غيره من العبادات.

ونرجح أن الصوم عبادة لا يدخل فيها الرياء، والمعنى: أن كل عمل من أعمال الخير والطاعة يحصل صاحبها على حظ منها بسببها، لأنها ظاهرة إلا الصوم، فإنه لا يدخل فيه الرياء بالفعل، نعم قد يدخل فى الصوم الرياء بالقول كمن يخبر عن نفسه مثلا بأنه صائم، فيكون الرياء فقط من جهة الإخبار بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها.

وبمقابلة هذه الآراء العلمية ببعضها، يمكننا استظهار ما تميزت به هذه العبادة من الفضل، وأن جميع الآراء لا تختلف فى أن الإضافة إلى الله - سبحانه - تفيد تشريفها، ومضاعفة الثواب لأصحابها، يدل على ذلك قوله فى الحديث - بعد هذا - (وأنا أجزى به) وإذا كان الذى تكفل بالجزاء هو الله تعالى، فهو لا شك جزاء وفير وعظيم، ولا نظير له، عن أبى أمامه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: مرنى بعمل يدخلنى الجنة قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له»، ثم أتيته الثانية فقال: «عليك بالصوم» رواه البخارى ومسلم.

ثانيا: أما بالنسبة للمقصد الثانى الذى أشار إليه الحديث وهو ثمرة الصوم، فقد بينها بقوله: «والصيام جنة» فالصيام وقاية ومانع من النار، ومن كل عمل يقرب إلى النار، وهو أيضا مانع من الرفث والآثام وتظهر وقاية الصوم للمسلم من النار بمغفرة الله لما تقدم من الذنوب.

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». (٢)

كما تظهر وقاية الصوم أيضا حين يشفع لصاحبه، عن عبدالله بن عمرو أن النبى ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب منعته الطعام والشهوات فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان»(٣)

ويترتب على وقاية الصوم لصاحبه، أن يكفه عن (الرفث) وهو فعل الفحش والكلام بفحش، وأن يكفه عن (السخب) ويقال بالصاد (الصخب) وهو كثرة اللغط والصياح، بل ولا يرد على من سابه، فإن الصوم يسمو بخلق صاحبه إلى درجة العفو

(١) مسلم جـ٤ ص ١٩٩٧ رقم ٥٩.

(٢) مجمع الزوائد ٣/ ١٤٤.

(٣) رواه أحمد والنسائى والحاكم.

عمن أساء فيذكره ونفسه بما هو متلبس به من عبادة عظيمة (فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم).

ولكن التعبير بقوله: فإن سابه أحد أو قاتله يفيد ظاهرة المفاعلة، وهى تقتضى وقوع الفعل من الجانبين فكيف يكون ذلك مع أن الصائم لا تصدر منه مثل هذه الأفعال خصوصا المقاتلة؟

والجواب على هذا هو أن المراد بالمفاعلة هنا: التهيؤ لها، والمعنى إذا تهيأ أحد لمشاتمة غيره أو مقاتلته فليقل إنى صائم، قال الحافظ ابن حجر: فإنه إذا قال ذلك أمكن أن يكف عنه، فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف.

قال: فالمرادة من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله، بل يقتصر على قوله: إنى صائم.

أو أن المراد: إراده غير الصائم ذلك من الصائم أو أن المفاعلة تقع بفعل الواحد وهل يقول «إنى صائم» مخاطبا بها من يكلمه، أم يقولها لنفسه؟

رجح الإمام النووى: أنه يخاطب بهذا القول من يكلمه، وقال كل منهما - أى مخاطبة نفسه - ومخاطبة غيره، حسن والقول باللسان أقوى ولو جمعهما لكان حسنا.

وذهب بعض العلماء إلى أنه يقول ذلك فى نفسه.

وقال الروبانى: إن كان فى رمضان فليقل بلسانه، وإن كان فى غيره فليقل ذلك فى نفسه.

وادعى ابن العربى أن موضع الخلاف فى التطوع، وأما فى الفرض فيقوله بلسانه قطعا.

ونقل الزركشى أن المراد بقوله: فليقل إنى صائم مرتين، بقوله مرة بقلبه ومرة بلسانه فيستفيد بقوله بقلبه كف لسانه عن خصمه وبقوله بلسانه كف خصمه عنه، وتعقب بأن القول حقيقة باللسان، وأوجب: بأنه لا يمنع المجاز.

والذى نرجحه: هو القول باللسان والقلب معا، فيقولها لصاحبه ولنفسه لأن ثمرة هذا القول هى كف غيره عنه وتذكير نفسه وصاحبه ما عليه الصائم من عبادة تتنافى مع كل خلق سيء فإنه ينبغى على الصائم أن يكون عف اللسان، عف الجوارح، طاهر الظاهر والباطن، متمثلا بالخلق الإسلامى الرفيع، ففى الصيام تربية لملكة المراقبة، وسمو بالقيم الأخلاقية فى المسلم، ولذا يتكرر هذا اللفظ إنى صائم ليتأكد الزجر والانتهاء عن كل ما يسىء إلى العبادة.

ومن ثمار الصيام كذلك: أن جعل الله - تعالى - خلوف فم الصائم، وهو تغير الفم أطيب عند الله من رائحة المسك وفى هذا توضيح لجزاء الصائم ومنزلته السامية عند ربه - سبحانه وتعالى - وهذا التعبير فى استطابة الرائحة عند الله، إنما هو لتقريب المعنى فقد جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة من الناس، فاستعير ذلك فى الصوم لتقريبه من الله، ففيه كناية عن القبول والرضا، حيث أطلق الملزوم، وهو استطابة



ريح المسك وأراد الملازم، وهو القبول والرضا وإلا فإن الله منزه عن كل ما يشبه الحوادث.

وفى ذلك بيان بأن الصائم قريب من ربه.

وقيل: يجازيه به الله تعالى فى الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك.

وقيل: إن حكم الخلوف والمسك عند الله على ضد ما هو عندكم.

وقيل: يحصل لصاحبه من الثواب أكثر مما يحصل لصاحب المسك.

وقيل: «رائحته عند ملائكة - الله تعالى - أطيب من رائحة المسك عندنا، وان كانت رائحة المسك عندنا خلافة».

والذى نرجحه هو أن المراد بذلك: أن الخلوف أكثر ثواباً من المسك الذى ندب إليه فى الجمع والأعياد ومجالس الحديث والذكر.. وقد احتج العلماء على كراهة السواك للصائم بعد الزوال، لأنه يزيل الخلوف فكما أن الشهيد يترك غسله محافظة على بقاء الدم المشهود له بأطيب رائحة فكذلك يترك السواك - وهو غير واجب - للمحافظة على بقاء الخلوف المشهود له بذلك.

● ثالثا: المقصد الثالث الذى أشار إليه الحديث الشريف، هو فرح الصائم، وفرح الصائم نوعان:

١ - فرح فى الدنيا.

٢ - فرح فى الآخرة.

أما فرحة الصائم فى الدنيا، فعند فطره، وذلك لإتمام عبادته وقيامه بها على أكمل وجه، وما يرجوه من ثواب عند الله عظيم وما أفاءه عليه ربه خلال شهره المبارك من رحمات حيث فتحت أبواب الجنة، ومن أمان وطمأنينة حيث صُفّدت الشياطين، وكذلك فرحة المفطر حين يزول الجوع ويذهب الظمأ، ومع هذا وذاك سعادته النفسية، والرضا الروحى الذى يحسه عند الفطر يجعله فى فرحة عظيمة يستبشر معها بنعمة من الله وفضل ورحمة منه ومثوبة.

أما فرحه فى الآخرة: فذلك عند لقاء ربه - تعالى - حيث ينال الجزاء الأوفى ويذكر فضل الله عليه، بتوفيقه إلى هذه العبادة المقبولة، بل ان ربه يميزه يوم القيامة بمنزلة جليلة، لا يحظى بها سوى الصائمين فيحظى برى لا ظمأ بعده تعويضا له عن عطشه فى الدنيا.

عن سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال: «إن للجنة بابا يقال له الريان، يقال يوم القيامة: أين الصائمون؟ فإذا دخل آخرهم أغلق الباب[1]، وفضل الله تعالى عليهم عظيم.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(السجدة: ١٧)

---

(١) رواه البخاري ومسلم

غـزوة بـدر

(١٧ من رمضان)

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

تعلموا كيف تبنى مجدها الأمم ... وكيف تمضى إلى غاياتها الهمم

تعلموا وخذوا الأنباء صادقة ... عن كل ذي أدب بالصدق يتسم

أمن يقول. فما ينفك يكذبكم ... كمن إذا قال لم يكذب له قلم؟

لكم علي الدهر منّى شاعر ثقة ... تقضي الحقوق وترعي عنده الذمم

تعلموا يا بنى الإسلام سيرته ... وجددوا ما محا من رسمها القدم

الله أكبر هل هانت ذخائره ... فما لكم مقتنى منها ومغتنم؟

بل أنتم القوم طاح المرجفون بهم ... وغالهم من ظنون السوء مازعموا

ماذا تريدون من ذكري أوائلكم ... أكل ما عندكم أن تحشد الكلم

لنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا ... من باذخ المجد يمسى وهو منهدم

إن تذكروا يوم بدر فهو يذكركم ... والحزن أيسر ما يلقاه والألم

سن السبيل لكم مجداً ومأثرة ... فلا يد نشطت منكم ولا قدم

غاز يصول بجند من وساوسه ... وقائد ماله سيف ولا علم

***

حيوا الغزاة قياما وانظروا تجدوا ... وفودهم حولكم يا قوم تزدحم

ثم انظروا تارة أخرى تروا لهبا ... فى كل ناحية للحرب يضطرم

حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم ... جبريل فى غمرات الهول يقتحم

الأرض ترجف رعبا والسماء بها   غيظ يظلّ على الكفار يحتدم
هم حاربوا الله لا يخشون نقمته   في موطن تتلاقي عنده النقم
من جانب الحق أردته عمايته   وأحزم الناس من بالحق يعتصم
الدين دين الهدي تبدو شرائعه   بيضا تكشف عن أنوارها الظلم
ما فيه عند ذوى الألباب منقصة   ولا به من سجايا السوء ما يصم
يحيى النفوس إذا ماتت ويرفعها   إذا تردت بها الأخلاق والشيم
لا شئ أعظم خزيا أو أشد أذى   من أن يطاع الهوي أو يعبد الصنم
دين تصان حقوق العالمين به   ويستوى عنده السادات والخدم
ضل الألي تركوا دستوره سفها   فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم
دعا النبي فلّبى من قواضبه   بيض مطاعمها المأثورة الخذم
حرَى الوقائع، غرثى لا كفاء لها   إن جد ملتهب، أو شد ملتهم
تجرى المنايا دراكا في مسايلها   كما جرى السيل في تياره العرمُ
قواضب الله ما نامت مضاربها   عن الجهاد، ولا أزرى بها سام
يرمى بها كل جبار ويقصمه   إن ظن من سفه أن ليس ينقصم
الجيش منطلق الغارات مستبق   والبأس محتدم والأمر مكتتم
الله ألف بين المؤمنين، فهم   في الحرب والسلم صف ليس ينقسم
كروا سراعا، فللأ عمار مصطرع   تحت العجاج، وللأقدار مصطدم
من كل أغلب يمضى الحتف معتزما   إذا مضى في سبيل الله يعتزم
خَزان يحسب إذ يرمى بمهجته   نشوان يزداد سكراً أو به لمم
للحق نشوته في نفس شاربه   وليس يشربه إلا امرؤ فهم
وأظلم الناس من ظن الظنون به   ما كل ذى نشوة في الناس متهم
طال القتال، فما للقوم إذ دلفوا   إلا البلاء وإلا الهول يرتكم

وقام بالسيف دون الليث صاحبه   يذود عنه، وعزّ الليث والأجم
ماذا يظن أبو بكر بصاحبه؟   إن الرسول حمى للجيش أو حرم
أمْن النفوس إذا اهتاجت مخاوفها   والمستغاث إذا ما اشتدت الغمم
هل يعظم الخطب، يرميه امرؤ درب   أفضى الجلال إليه وانتهى العظم؟
راع الكتائب واستولت مهابته   على القواضب تلقاه فتحتشم
دعا فماجت سماء الله وانطلقت   كتائب النصر ملء الجو تنتظم
لاهمّ غوثك، إن الحق مطلبنا   وأنت أعلم بالقوم الألى ظلموا
تلك العصابة ما الله إن هلكت   في الأرض من عابد للحق يلتزم
جاء الغياث فدين الله منتصر   عالي اللواء، ودين الشرك منهزم
جنى على زعماء السوء ما اجترحوا   وحاق بالعشر الباغين ما اجترموا
ما الجاهلية إلا نكبة جلل   تُردى النفوس وخطب هائل عمم
هذى مصارعها تجرى الدماء بها   وتشتكي الهون في أرجائها الرمم
هذا أبو الحكم أنجابت عمايته   لما قضى السيف وهو الخصم والحكم
ماذا لقيت أبا جهل وكيف ترى   آيات ربك في القوم الذين عموا؟
هذا القليب لكم في جوفه عبر   لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم[١٠]
ذوقوا العذاب أليما في مضاجعكم   ما في المضاجع إلا النار والحمم
لا تجزعوا، واسمعوا ماذا يقال لكم   فما بكم تحت أطباق الثرى صمم
الشرك يُعول والإسلام مبتسم   سبحان ربي له الآلاء والنعم
يا قومنا إن في التاريخ موعظة   وإنه للسان صادق وفم
لنا من الدم يجرى في صحائفه   شيخ يحدثنا أن الحياة دم

(١٠) القليب: البئر

رمضان في ديوان الشعر المعاصر

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج

لم يحظ شهر من شهور العام بما حظى به رمضان، من اهتمام الشعراء واحتفالهم بمقدمه، والتغنى بمطلع هلاله، والتذكير بأجوائه الروحية، وبيان فضائله الكثيرة، والإشارة إلى مواكب ملائكة الرحمة فيه. وكلما اقترب رمضان تتحرك مشاعرهم، وتستثار قرائحهم، فتسيل من أقلامهم بحور الشعر وأمواجه العذبة، رقراقة فياضة بحلو المعانى، وعذب النغمات، ومن ثم فلرمضان، فى دواوينهم القصائد المحلقة، والأناشيد المفردة، وكأنها تسابيح العباد، فى محاريب الصلوات.

وكنا قد وعدنا، فى ختام مقالنا بعدد رمضان، من العام قبل الماضى[١]، أن نعرج على واحة الشعر والشعراء، لنرى ما فعل رمضان فى وجدان الشعراء، وما بقى فى ذاكرة الأيام من هذا الشعر المرتبط بهذا الشهر الكريم، كالاحتفاء بمقدمه والاحتفال بطلوع هلاله، وبيان فضائل الخير فيه، والتأثر البالغ بوداعه. ومع كل ذلك فقد ينتهز الشعراء، هذه الأجواء، العلوية المحلقة، لتتفاعل وتتشابك فى وجدانهم، مشاعر الحب بمختلف معانيه وتوجهاته: لله وللدين وللوطن وللإنسان.

(١) مقال بعنوان: مع مفكرينا الأعلام فى شهر الصيام، مجلة الأزهر، الجزء التاسع، السنة ٧٧، ص١٤٤٨.



مكانة الهلال عند المسلمين

يعد الهلال من بين الرموز العزيزة الغالية على أمة الإسلام، حتى إن الذاكرة تستدعى الآن موقفا لرجل نصرانى من لبنان، هو جورجى زيدان، يتلخص فى أنه حينما قدم إلى مصر، فى أواخر القرن التاسع عشر، ليتشئ فيها مجلة ودارا للنشر، هداه حسه التجارى، وحرصه على النجاح، فى بلد يتمسك بإسلامه ورموزه، أن يسمى الدار والمجلة بـ «الهلال» تيمناً ببقائهما ما بقى للهلال إشراق. وها هى «دار الهلال» ومجلتها العريقة، يضربان بجذورهما إلى عام ١٨٩٢، ولازالا يرفدان الثقافة والعلم، بثمارهما اليانعة حتى الآن، وإلى ما شاء الله تعالى من زمان.

وهذه أمهات العبادة فى الإسلام، شرعت بنحو لا يمكن امتثالها إلا بعد إحراز الهلال، فمدة الصيام الذى هو:

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

البقرة: ١٨٤

مشروط بحركة القمر بالنسبة إلى الأرض، ولذلك قال ربنا جل وعلا:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

البقرة: ١٨٥

وكذلك عبادة الحج، يشترط أداؤها فى وقت محدد من السنة الهجرية، حيث قال تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾

البقرة: ١٩٧

وبالجملة فإن الله تعالى قد أمر رسوله الكريم، أن يجيب عن السؤال عن الأهلة، لمن سأله إياه بقوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾

البقرة: ١٨٩

هلال رمضان

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة شارحة ومبينه، لبعض ما أجمله القرآن الكريم، فبخصوص صوم رمضان، على سبيل المثال، يقول رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما» رواه البخارى ومسلم.

ولأهمية الهلال فى تحديد بداية الصوم، فقد اكتسب منزلة عالية، فى قلوب المسلمين عامة، كما أن له سحرا خاصا يفوق غيره من أهلة بقية شهور العام، فالكل ينتظره فى لهفة وشوق، وقد أثار ذلك خيال الشعراء، وأيقظ مشاعرهم الدينية، فترددت أصداء قصائدهم العذبة فى قلوبهم، وعقولهم قبل أن يسجلوها فى قراطيسهم وأوراقهم. فهذا شاعر مصر الأكبر،

وأمير شعرائها بلا منازع، أحمد شوقي، على الرغم من أن له شعرا في وداع رمضان، ننكره عليه[2]، فإن له، في الاحتفال بهلال رمضان، شعرا جديرا بالتأمل والاحترام، نشره أولا في جريدة «المؤيد» بتاريخ ١٨٩٥، أدرجها ضمن مجموعة أخرى، مما لم ينشر من شعر شوقي في ديوانه، د. محمد صبري في كتابه: «الشوقيات المجهولة»[3]، يقول شوقي في مقطوعة له بعنوان: هلال الصيام:

يا هلال الصيام مثلك في الـنا
ـسين للعز من طوى الأفلاكا
مرحبا للثواب منك وأهلا
بليال جمالها لقياكا
كل عال أو كابر أو نبيل
أو وجيه من النجوم فداكا
كيف يبلغن ما بلغت وما حا
ولن شأوا ولا سرين سراك
أنت مهد الشهور والحسن والإشـ
ـراق مهد الوجود منذ صباكا
فوق هام الظلام ضوء جبين الـ
ـكون تاج للكائنات ضياكا
غرة الليل والركاب إذا أد
همه قام سابحا في سناكا
وإذا ما أتاك يظهر أحجا
لا ويبدي أطواقه كنت ذاكا

ثم يقول شوقي:

تقسم الكائنات منك بنون
قلم النور خطها فحلاكا
في كتاب جعلت قفلا عليه
من يمين ما أومأت بسواكا

أما أديب العروبة والإسلام، الذي أجاد فن الشعر مثلما أجاد صناعة النثر، مصطفى صادق الرافعي ـ رحمه الله ـ فله في تحية هلال رمضان ووصفه شعرا يردده الكثيرون، فمن ذلك قوله:

فديتك زائرا في كل عام
تحيي بالسلامة والسلام
وتقبل كالغمام يفيض حينا
ويبقى بعده أثر الغمام

ويصف الشاعر لهفة الملايين وشوقهم إلى رؤية هذا الهلال، الذي طالما انتظروه، فهو بشير بمقبل الأجواء النورانية العطرة، ذلك أنه شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وهو شهر النور والسعادة الروحية، فيا بشر من أهل عليه هلال الرشد والخير، ويا سعده!

---

(٢) من ذلك قوله ـ في الجزء الثاني من الشوقيات، ـ مكتبة مصر، ص٧٧ ـ تحت عنوان «رمضان ولى»: رمضان ولى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاق. ولا يخفى أن ذلك مما ينكره ويأباه المسلم الغيور على دينه وخلقه، ولا يبعد أنه حينما صنع ذلك إنما كان يقلد القدماء من أمثال الأخطل وبشار بن برد وأبي نواس وابن الرومي والبحتري، وغيرهم.

(٣) د. محمد صبري (٢٠٠٢): الشوقيات المجهولة: آثار شوقي التي لم يسبق كشفها أو نشرها، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، ص٧٤.

يقول الرافعي:

تبدو وثغرك للأحبة باسم
كالروض يزكو في الربيع ويسعد
والمسلمون عيونهم ظمأى إلى
شلال ضوء في السماء يزغرد
يدعو عباد الله: هيا استبشروا
فالسعد لاح وفجره المتورد

ولله در الشاعر المفلق، إذ يعبر عما يجيش في قلوب القوم، استبشارا بقدوم شهر الصوم، وشهر الخير والذكر، وشهر التسابيح والتراويح، حيث يقول:

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه
ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح
فالنفس تدأب في قول وفي عمل
صوم النهار وبالليل التراويح

أما شاعرنا الكبير يس الفيل ـ أمد الله في عمره ـ فقد وصل في تحيته لرمضان بين الماضي والحاضر، مناشدا السماء، بما لرمضان من المنزلة الرفيعة، والمكانة العالية، وبما اجتمع له من فضائل الخير، أن يرفع الله ما حاق بأمتنا من ظلم المتجبرين العتاة، وأن يحررنا من جاهلية فكرنا، التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه من محن وإحن، ثم يذكر المترفين المثقلين، بكنوزهم وأموالهم، بمواكب المتضورين جوعا، لعلهم يتأثرون فيرحمون! ثم يجعل من رمضان طاقة النور، التي تنبعث منها أشعة الهداية والأمل، للعبور إلى كل ما من شأنه أن يعود بالإنسان إلى عالم الطهارة

جورجي زيدان



احمد شوقي

والنقاء، فهذه رسالة رمضان المتكررة والمتجددة دائما وأبدا!

يقول الشاعر، من قصيدة له بعنوان «أمل السماء»، نشرها في مجلة «منار الإسلام» الإماراتية (عدد رمضان للعام ١٤١١هـ):

تتغير الدنيا ...... ولا تتغير
وصدى الزمان تجيء لا تتأخر
في كل عام أنت أكرم زائر
للأرض تهدى من بهـا يتعثر
لكننا والظلم يفترش الربى
ونفوسنا، مما ترى، تتحسر
لم ندر كيف إلى التسامي نهتدي
والأقوياء على الضعاف تجبروا!
رمضان.. يا شهر التحرر ليتنا
من جاهلية فكرنا نتحرر
رمضان تأتي واللظى يغتالنا
والحب في جنباتنا يتكسر
والظلم يفتك بالأحبة، والمدى
مما يراه، على المدى يتفجر

والجوع يفترس العباد، فترتمى
كتلا مواكبهم، هنا تتضور
وخزائن الأموال خلف سدودها
بضراوة الحرمان..... لا تتأثر

ثم يقول الشاعر:

رمضان يا أمل السماء لأمة
بك لم تزل عبر المدى تستبشر
ثبت على التقوى قلوب أحبتى
وامنح هداك لعالم يتدهور
واهد الهداة إلى مرافئ دينهم
واحفظ خطاهم فى الطريق ليعبروا
واحمل إلى ملأ السماء تحية
من أمة بصيامها تتطهر
مازلت يا رمضان أكرم زائر
للأرض، تهدى من بها يتعثر
ولسوف تبقى فرحة أبدية
ليست تُمل، وإن تكن تتكرر

أما الشاعر السعودى الكبير محمد حسن فقى فينتهز أيضا مناسبة رمضان ليبث أحزانه وشكواه مما وصلت إليه أحوال أمتنا من سوء، وهو فى هذا يشارك شاعرنا يس الفيل كما يشاركه تأمله وتوجعه لهذه الحال، بيد أن مشاعر الفقى أكثر صدقا وإحساسه بفداحة الخطر أعظم، ربما لقربه من مشاهد المآسى، وأتون المواجهات، وربما لأسباب أخرى!

يقول الشاعر الكبير:

رمضان إن بهيكلى وبمهجتى
ومشاعرى كوما من الأقذاء
إنى أنوء بكاهلى من عبئه
ويظل صبحى عانيا ومسائى
أفلا يخفف منه أن سريرتى
برئت من التضليل والإغواء
رمضان أسعدنا فإن سحائبا
سودا تحط بأرضنا السوداء
ما فى مدائنها ولا وديانها
- وهناك - غير مظاهر وطلاء
أو غير هذا الذئب يفتك جهرة
وتربصا بالماعز العجفاء
أو غير رب ضراوة وتنمر
أو رب منكر قاتل ورياء!
حاولت غير موفق أن لا أرى
خزيا يشين فما التفت ورائى

ثم يتابع الشاعر المشهد الحزين ليقول:

فرأيت قدامى مخازى جمة
فتجملت عيناى بالإغضاء
فسمعت همهمة تقول بأننى
أنا لست غير صدى من الأصداء
وتقول أخرى فى عداء واضح
كلا، فما هو غير ذئب خلاء
صدقا فليس كلاهما متجنيا
عندى فكيف أضيق بالإزراء؟

الذئب مفترس لسد مجاعة
وأنا افترست لطاعة الحوباء!
شتان بين دم يراق بحقه
ودم يراق لشهوة عشواء!
رمضان أثقلنا عليك ولم تكن
يوما على أحد من الثقلاء[٤]

وكما تستقبل رمضان كلما عطر بأريجه أجواءنا، فترفعنا ثقتنا به، إلى سماوات من الآمال، فى كل أوجه الخير والبر، فإن الشعر أيضا يودعه، وقلبه يتفطر لظى، من فراقه لمدة عام بأكمله، بيد أنه يظل على أمل فى لقاء جديد، وفى ذلك يقول الشاعر:

فى كل عام، إذا ما جئت تحملنا
إلى السماوات آمال بها نثق
وحين ترحل عنا.. والفراق لظى
نظل عاما بنار الشوق نحترق
نظل ننتظر اللقيا، على أمل
أن لا تحيد بنا عن غاية طرق[٥]

وتضرب المرأة أيضا بسهم، فى التعبير عن حبها لرمضان، وفرحتها الغامرة باستقباله، وهزة روحها طربا بالاقتباس من أنواره، ورغم ذلك فإنها أيضا لا تنسى الظروف التى تمر بأمتها، فتبث رمضان بعض أحزانها، وهموم أمتها، ومسجدها الأقصى، فى محاولة للتذكير أملا فى التغيير، تقول الشاعرة جليلة رضا:

ها قد عبرت العام فى عجل لكى تخطر إلينا
يا شهرنا المحبوب إنك أجمل الذكرى لدينا
الليل يا رمضان يغمرنا ويغزو مقلتينا
يا أيها الحادى ترفق بالخطى.. وامش الهوينا

***

لا تأتنا إلا ونحن مهيئون لعودتك
لك فرحة فى القلب فاجعلنا نحس بفرحتك
لك هزة فى الروح نقبس نورها من شعلتك
لا تأتنا إلا وفجر النصر بشرى رؤيتك

***

أتجئ يا رمضان والعرب الأباة مهددون؟
وتمر وسط مدافع الأعداء منخفض الجبين؟
أتجئ والإسلام فى غضب على الظلم المهين
والمسجد الأقصى يدنسه البغاة الآثمون؟[٦]

وحسبنا ما قدمنا من نماذج شعرية، تشير إلى مكانة رمضان، وفريضة الصيام، والمتجددة دوما على الزمان، العام تلو العام، وكل عام أنتم فى نعمة وسلام!

---

(٤) محمد حسن فقى (٢٠٠٢): من قصيدة للشاعر بعنوان «رمضان»، مجلة «المنهل» السعودية، العدد رقم ٥٨٨، ص٧٤.
(٥) يس الفيل (١٩٩٤): من قصيدة للشاعر بعنوان «شهر الصيام»، مجلة «منار الإسلام» الإماراتية، العدد التاسع من السنة العشرين، ص١٩.
(٦) جليلة رضا (١٩٨٧): من قصيدة للشاعرة بعنوان: «شهر رمضان»، مجلة «الأزهر»، الجزء التاسع، السنة التاسعة والخمسون.

صفات المؤمنين

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

يقول الله - تعالى - :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ١ - ٤)

للمفسرين روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآيات الكريمة، وكل الروايات التي ذكرها المفسرون تشير إلى أن نزاعا حدث بين بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين اشتركوا في غزوة بدر، حول الغنائم التي ظفروا بها من هذه الغزوة، فأنزل الله - تعالى - في هذه الآيات بيان حكم الله فيها.

والمراد بالأنفال هنا : الغنائم.

والمعنى: يسألك بعض أصحابك يا محمد عن غنائم بدر كيف تقسم؟ ومن المستحق لها؟، قل لهم: الأنفال لله يحكم فيها بحكمه - سبحانه - وللرسول ﷺ، فهو الذي يقسمها بحسب حكم الله وأمره فيها، العليم بمصالح عباده، الحكيم في جميع أقواله وأفعاله، وليس الأمر في قسمتها مفوضا لرأي أحد.

ثم نهاهم الله - جل شأنه - عن التنازع في شأن الغنائم ومصرفها، وأمرهم أن يصونوا أنفسهم عن كل ما يغضب الله، وأن يخافوا



الله ويخشونه في كل أحوالهم، فقال - جل شأنه - :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

أي فاتقوا الله - أيها المؤمنون - وأصلحوا نفس ما بينكم التي تربط بعضكم ببعض، وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بما يقتضيه كمال الإيمان من تحقيق المودة والمصافاة فيما بينكم، وترك الاختلاف والتنازع، والحرص على التمسك بفضيلة الإيثار، وأن تكون أحوالكم فيما بينكم أحوال ألفة ومحبة ومودة وتعاون وتعاطف، وخافوا الله في كل أحوالكم في السر والعلن، وأطيعوا الله ورسوله في كل أقوالكم وأفعالكم، وإن كنتم مؤمنين إيمانا حقا صادقا راسخا قويا فامتثلوا هذه الأوامر الثلاثة السابقة، وهي: التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله..

وقد كرّر - سبحانه - الاسم الجليل في الآية الأولى ثلاث مرات، لتربية المهابة في القلوب، ولتأكيد الحكم وتعليله حتى تقبله النفوس برضا وإذعان وتسليم....، كما ذكر - سبحانه - رسوله معه مرتين في هذه الآية لتعظيم شأنه، وإظهار شرفه، وإعلاء منزلته، وسمو قدره ﷺ، والإعلام بأن طاعة الرسول من طاعة الله، ومخالفته مخالفة لأمر الله - تعالى -.

ثم وصف - سبحانه - المؤمنين الصادقين الذين هم أهل لرضا الله ومحبته، وحسن ثوابه وعطائه - حتى يتأسى بهم غيرهم فيسيرون على دربهم وينهجون منهجهم - ووصفهم بخمس صفات:

● الصفة الأولى: قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٢)

والمراد بذكر الله: ذكر صفاته الجليلة، وقدرته النافذة، ورحمته الواسعة، وعقابه الشديد، وعمله المحيط بكل شيء الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ويعلم ما في الصدور، وما يستتبع ذلك من حساب وثواب وعقاب.. وقوله - تعالى - : ﴿ وَجِلَتْ ﴾ من الوجل، وهو استشعار الخوف، أي: إنما المؤمنون الصادقون الراسخون في إيمانهم، الذين إذا ذكر اسم الله وذكرت صفاته أمامهم، خافت قلوبهم وفزعت أفئدتهم، استعظاما لشأنه، وإجلالا لقدرته، وتهيبا من سلطانه، وحذرا من عقابه، ورغبة في ثوابه... وذلك لقوة إيمانهم، وصدق عزيمتهم، وصفاء نفوسهم، وسماحة أخلاقهم، وشدة مراقبتهم لله - جل شأنه - في السر والعلانية -، والتزامهم بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وحرصهم على مداومة ذكر الله وعلى سماع ذكر الله، بتلاوة القرآن وسماعه،

(١) - تفسير الفخر الرازي ج٨ ص ١٦٨

والإكثار من التسبيح والتحميد والتكبير، والتهليل... أخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل – رضى الله عنه – قال: «ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله يوم القيامة، من ذكر الله.

قال الفخر الرازى [1] – رحمه الله –: «فإن قيل: إنه – تعالى – قال ههنا:

﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

وقال – سبحانه – فى آية أخرى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(الرعد: ٢٨)

فكيف الجمع بينهما؟

قلنا: الاطمئنان: إنما يكون عن ثلج اليقين، وشرح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل: إنما يكون من خوف العقوبة. ولا منافاة بين هاتين الحالتين. بل تقول: هذان الوصفان اجتمعا فى آية واحدة، وهى قوله – تعالى –:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(الزمر: ٢٣)

والمعنى: تقشعر الجلود من خوف عذاب الله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثواب الله.

وقد جاء التعبير فى الآية الكريمة عن صفات هؤلاء المؤمنين بصيغة من صيغ القصر «إنما» للإشعار بأن مَنْ هذه صفاتهم هم المؤمنون الصادقون حقا فى إيمانهم وأخلاقهم... أما غيرهم ممن لم تتوفر فيهم هذه الصفات الكريمة، فأمرهم غير أمرهم، وجزاؤهم غير جزائهم...

● الصفة الثانية من صفات هؤلاء المؤمنين الصادقين المخلصين عبر عنها – سبحانه – بقوله:

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾

(الأنفال: ٢)

أى: أن من صفات هؤلاء المؤمنين الراسخين فى إيمانهم، أنهم إذا قرئت عليهم آيات الله، وما تضمنته من براهين ساطعة، وأدلة وحجج قاطعة على وحدانية الله، وعلى قدرته على الخلق والإيجاد من عدم، وعلى الإحياء والموت، وعلى البعث والنشور، وعلى الحساب والجزاء، وعلى الثواب والعقاب... – أى: القرآن الكريم المعجزة الكبرى – زادتهم هذه التلاوة إيمانا، أى: زادتهم قوة فى التصديق، ورسوخا فى اليقين، وشدة فى الإيمان، وسعة فى العلم والمعرفة، ونشاطا فى الأعمال الصالحة، وبعدا عن الأعمال السيئة...

وقد استدل جمهور العلماء بقوله – تعالى –:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾

(الأنفال: ٢)

على أن الإيمان يزيد وينقص، كما استدلوا على تأييد رأيهم هذا بآيات أخرى وردت فى

القرآن الكريم تفيد ذلك، منها قوله – تعالى –:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾

(آل عمران: ١٧٣)

وقوله – تعالى –:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

(الفتح: ٤)

وقوله – تعالى –:

﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

(التوبة: ١٢٤، ١٢٥)

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى وردت فى هذا المعنى...

وذهب بعض الأئمة وكثير من المتكلمين إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، محتجين بأن الإيمان اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان، وذلك لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان..

وذهب جماعة من العلماء إلى أن الخلاف فى زيادة الإيمان ونقصانه وعدمهما لفظى، وهو فرع عن تفسير الإيمان، فمن فسره بالتصديق قال: إنه لا يزيد ولا ينقص، ومن فسره بالأعمال مع التصديق قال: إنه يزيد وينقص...

ومن أراد المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع فليرجع إلى الكتب المختصة...

وجاء التعبير بصيغة الفعل المبنى للمفعول فى قوله – تعالى –: ﴿ ذُكِرَ اللَّهُ ﴾

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

للإشارة إلى أن هؤلاء المؤمنين الصادقين الراسخين فى إيمانهم، إذا كانوا يخافون الله ويخشونه عندما يسمعون من غيرهم آيات الله البينات، وكلام الله فى القرآن الكريم، فإنهم يكونون أشد خوفا وأكثر رجاء عند ذكرهم لله، وعند تلاوتهم لآياته بألسنتهم وقلوبهم... والتعبير بهذه الصيغة فيه مدح وثناء لهؤلاء المؤمنين الصادقين المخلصين..

● الصفة الثالثة من صفات المؤمنين الصادقين: قوله – تعالى –:

﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(الأنفال: ٢)

أى: أن من صفات هؤلاء المؤمنين المخلصين، أنهم يعتمدون على ربهم الذى خلقهم بقدرته، ورباهم بنعمته، ورزقهم بفضله، فيفوضون أمورهم كلها إلى الله وحده، لا إلى أحد سواه.

وقد قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الجملة: أى: أنهم لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا

إليه، ويعلمون أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف فى الملك لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير: «التوكل على الله جماع الإيمان»[٢]

والتوكل على الله لا ينافى الأخذ بالأسباب التى شرعها الله - تعالى - بل إن الأخذ بالأسباب التى شرعها الله وأمر بها لتحقيق المقاصد وبلوغ الغايات، لدليل على قوة الإيمان، وعلى حسن طاعة الله فيما شرعه وفيما أمر به.

فالتوكل على الله - تعالى - هو الاعتماد عليه، وتفويض الأمور كلها إليه - تعالى - بقلبه اعتمادا على أنه الكفيل بأمور عباده، والقادر على كل شىء، مع السعى فى الأسباب التى أمر الله بها عباده وجرت به العادة، كاللبس لدفع الحر والبرد، والأكل والشرب لدفع الجوع والعطش، والنكاح لمن أراد الولد، والحرث وإلقاء البذر لمن أراد الزرع، والغرس لمن أراد الشجر والثمرة والاشتغال بالصناعة والتجارة ونحو ذلك من طرق الكسب المشروعة المعلومة.

فليس من الإيمان، ولا من العقل السليم، ولا من التوكل على الله، أن ينتظر الإنسان ثماراً بدون غرس، أو شبعا بدون أكل، أو نجاحا بدون جهد، أو ثوابا بدون عمل صالح.. إنما المؤمن الصادق المتوكل على الله هو الذى يباشر الأسباب التى شرعها الله لبلوغ الأهداف وتحقيق الغايات... ثم بعد ذلك يترك النتائج لله - سبحانه - يُسيِّرها كيف شاء وحسبما يريد... عن أنس - رضى الله عنه - أن رجلا قال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل»[٣].

وكتب معاوية - رضى الله عنه - إلى السيدة عائشة - رضى الله عنها -: أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تُكثرى علىّ، فكتبت إليه: سلام عليك، أما بعد، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكَلَه الله إلى الناس» والسلام عليك.[٤]

الصفة الرابعة من صفات المؤمنين الصادقين قوله - تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾

المراد بإقامة الصلاة: أداؤها باطمئنان فى مواقيتها مستوفية لأركانها وشروطها وسننها وآدابها وخشوعها، لأن الشأن فى صلاة المؤمنين أمران:

(أ) - أن تكون إحساسا عميقا بالوقوف بين يدى الله - جل شأنه - وانقطاعا تاما لمناجاته، وتمثلا حيا لجلاله وكبريائه، واستغراقا كاملا فى دعائه.

(٢) - تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٨٦.

(٣) - أخرجه الترمذى

(٤) - التاج الجامع للأصول ج٥ ص٢٠٦ ط دار إحياء التراث العربى.

(ب) - أن تنهى مؤديها عن ارتكاب الفحشاء وعن كل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة، روى عن أنس - رضى الله عنه - أن فتى من الأنصار كان يصلى مع النبى ﷺ ثم يأتى الفواحش، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله.

● الصفة الخامسة من صفات المؤمنين الصادقين: قوله - تعالى -:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

أى: يبذلون أموالهم للفقراء والمحتاجين، ويداومون على إنفاقها فى أوجه الخير بسماحة نفس، وسخاء يد، ابتغاء وجه ربهم فى جميع أحوالهم... وخصّ - سبحانه - المؤمنين الصادقين بهذه الصفة لأن النفس البشرية جبلت على الشح والبخل، وعلى حب المال وجمعه واكتنازه، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: طول الحياة وكثرة المال»[٥]، فإنفاق المؤمنين أموالهم فى أوجه الخير - مع حب النفس للمال وجمعه - دليل قوى على صدق إيمانهم، وعلى حبهم لله وطاعتهم له.

والمتأمل فى هذه الآيات الكريمة يرى أن الله - تعالى - قد وصف المؤمنين الصادقين المخلصين بخمس صفات: الأولى والثانية والثالثة منها ترجع إلى العبادات القلبية التى تدل على شدة خشيتهم من بارئهم، وعلى قوة تأثرهم بآيات خالقهم، وعلى اعتمادهم على ربهم لا على أحد سواه، والصفة الرابعة ترجع إلى العبادات البدنية: وهى إقامة الصلاة بإخلاص وخشوع، أما الصفة الخامسة فترجع إلى العبادات المالية، وهى إنفاق المال فى سبيل الله، ومما لا شك فيه أن هذه الصفات الكريمة متى تمكنت فى النفس، وصارت سلوكا ومنهجا لصاحبها، كان أهلا لمحبة الله ورضوانه.

ولقد مدح الله - سبحانه - المؤمنين أصحاب هذه الصفات الكريمة فقال - تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٤)

أى: أولئك المتصفون بتلك الصفات الكريمة هم المؤمنون حقا، ولهم منزلة عالية، ومكانة سامية عند ربهم، ولهم مغفرة شاملة لما فرط منهم من ذنوب، ولهم ثواب عظيم وجزاء كريم فى الجنة، يجعلهم يحيون فيها حياة طيبة خالدة.

نسأل الله أن يوفقنا إلى عمل الطاعات، وأن يرزقنا هذه الصفات، وأن يحشرنا مع هؤلاء المؤمنين الصادقين، وأن يجمعنا معهم فى جنات النعيم.

(٥) أخرجه الشيخان والترمذى.



ومضات قرآنية

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

فى قضية الاعتقاد ليس هناك أنصاف، فإما أن يكون الإنسان العقيدى مؤمناً إلى حد صيرورته إنساناً ربانياً، وإما أن يكون هامشاً ذابلاً لا يستطيع أن يحس غير رعشة التردد بين ما هو ساقط وما هو بسبيله إلى السقوط.

وفى غير قضية الاعتقاد تتاح للإنسان العقائدى مساحات من الالتزام والتحلل الآنى، فقد يتدلى فيه فعل إنسانى إلى حضيض الخطأ وقد يجنح فيه اجتهاد إلى بعض اعتساف المقولات وقد يشرد به سلوك عن جادة النقاء والتصون، فتمتد إليه يد الرعى الإلهى حانية مربتة وتتصعد به من الوهدة إلى السواء ومن الخبط إلى السداد، ومن التلوث إلى بكارة الطهر، لأن الأساس العقائدى كامن فيه كمون الطاقة فى الضوء، فإذا تعطلت بعض مسارات التوصيل بين الحين والحين فلا عليه أن يعود إلى جدل العطاء بعد تيبس الحركة الفاعلة.

الإنسان العقيدى

وإذن فهناك حد أساسى فى تعريف الإنسان العقيدى وهو أن تصح علاقاته بقضية الإيمان بالله، فإذا كبا فيما دون ذلك فهو محكوم بحتمية كونه خطاء إنسانيا، ينتصب تارة ويتكفأ تارة أخرى ولكنه على درب المحاولة ماض بلا جمود.

هذا هو المدخل إلى فهم حقائق الإيقاع الحضارى المعجز فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾

(النساء ٤٨)

أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى عن أبى أيوب الأنصارى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «إن لى ابن أخ لا ينتهى عن الحرام. قال: وما دينه؟ قال: يصلى ويوحد الله. قال: استوهب عنه دينه، فإن أبى فابتعه منه، فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه فأتى النبى - ﷺ - فأخبره فقال وجدته شحيحاً على دينه فنزلت:



﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾

(النساء: ١١٦)

وعن ابن عباس قال: «أتى وحشى إلى النبى - ﷺ - قال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرنى حتى أسمع كلام الله. فقال رسول الله - ﷺ: قد كنت أحب أن أراك على غير جوار فأما إذ أتيتنى مستجيراً فأنت فى جوارى حتى تسمع كلام الله. قال: فإنى أشركت بالله، وقتلت النفس التى حرم الله تعالى وزنيت هل يقبل الله منى توبة؟ فصمت رسول الله - ﷺ - حتى نزل:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

(الفرقان: ٦٨)

إلى آخر الآية فتلاها عليه فقال: أرى شرطا فلعلى لا أعمل صالحا. أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾

(النساء: ١١٦)

فدعا به فتلاها عليه، فقال: ولعلى من لا يشاء أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾

(الزمر: ٥٣)

فقال: «الآن لا أرى شرطا فأسلم».

شخصية الداعى وشخصية الدعوة

آفة الدعوات أن ينصرف فيها إيمان المؤمنين إلى شخصية الداعى دون شخصية الدعوة وتقترب القضية من حافة الخطر إذا استحال هذا الإيمان بزعامة الداعى إلى نوع من العباد الصامتة أو التقديس الفضفاض، إن هذه بداية التخلخل الإيمانى والخطل فى تقدير الأشياء والقيم وحقائق المقولات.

والدعوة التى تستجيب لحس الهبوط فى تفكير أتباعها دعوة فارغة من المضمون لأنها تستبقى ولاء جماهيرها بأى ثمن وبكل ثمن فإن مالوا إلى القصد تمدحت فيهم بموازين العدل والقصد، وإن جنحوا إلى الإفراط تمدحت فيهم كذلك باندفاعات الإفراط حتى التفريط.

الجبر والاختيار

أما الدعوة الواثقة التى تستند فى حركة تبوغها واستمرارها إلى امتلاء يقينى بجوهر ما تنحنى عليه من مضامين وتستلهم أصولها وامتدادها من مصدر كلى يعى معادلة الكون والما بعد لأنه خالق تشكيلها وحركتها فإنها لا تبالغ أبداً فى تضخيم عوارض الأشياء والأشخاص وتخضع حتى

الذين يحملون صوتها الأول إلى الناس لناموس الظاهرة الوجودية، وتصدم بحقائق الجبر والاختيار جميعاً نوعيات من العقول التى قد تستسلم لغفوة طارئة فتحسب أن الخلود فى المعنى ينتقل إلى الخلود فى الشيء أو تحسب أن التواصل بين الإنسان والله قد يلغى صيرورة الإنسان فيبقى غير قابل بل كأن يصير فتجئ الحقيقة فى كلمات صادعة لتوقظ وتنبه وتشير.

هذا هو المدخل إلى فهم حقائق الإيقاع الحضارى المعجز فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

أخرج ابن المنذر عن عمر قال: «تفرقنا عن رسول الله - ﷺ - يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد. فقلت: لا أسمع أحدا يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله - ﷺ - والناس يتراجعون فنزلت:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾

(آل عمران/ ١٤٤)

وأخرج ابن أبى حاتم عن الربيع قال: لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح وتداعوا إلى نبى الله قالوا قد قتل، فقال أناس: لو كان نبيا ما قتل. وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به فأنزل الله

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

وأخرج البيهقى فى الدلائل عن أبى نجيح أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال: «أشعرت أن محمدا قد قتل، فقال: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم، فنزلت».

وأخرج ابن راهوية فى مسنده عن الزهرى أن الشيطان صاح يوم أحد إن محمدا قد قتل، قال كعب بن مالك: وأنا أول من عرف رسول الله - ﷺ - رأيت عينيه من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى هذا رسول الله - ﷺ - فأنزل الله:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾

هنا تصحيح لموقف عقيدى من جهة، واختبار لصلابة الإيمان فى الجماهير العقيدية من جهة أخرى، فكون النبى نبيا ليس يعاصم له من القتل أو الموت لأنه فى النهاية إنسان يطرأ عليه ما يطرأ على سائر البشر من أفول محتم، وكون الجماهير مؤمنة ليس بتبرير لخلطها بين عرضية الإنسان وأبدية الخالق، لأن هذا الحد هو الفيصل الحاسم بين ما هو إنسانى وما هو إلهى.



الحب العقائدى

يخرج القادة عن سواء المنهج إذا انتصر فيهم الحب الآدمى على الحب العقائدى ولكنهم يجدون طبائع الأشياء إذا بذلوا كل ما يملكون لاستنفاذ طبيعة آدمية جانحة واستجابوا فى هذه الحركة الباذلة لوشائج الحب أو لأواصر الدم أو لحقائق الموقف، فإن يكون القادة إنسانيين فإن هذه دلالة مؤكدة على كونهم عقائديين، وأن يستجيبوا لوشائج الحب وأواصر الدم وحقائق الموقف فإن هذه دلالة مؤكدة على إحساسهم التاريخى النابع من معايشة الظاهرة الإنسانية مالم يصطدم كل أولئك بالأساس العقيدى الذى هو محور كونهم وتكونهم على السواء.

إن الحب الكبير يولد من معاناة الحب الصغير ولن يستطيع القادة أن يتصعدوا فى سماء الإيمان بالله ما لم يمارسوا إيمانهم بجدوى الحب والكون والإنسان والقيم فالبيت الخرب لا يؤوى فى غرفه المهجورة أى همس للحب ولا أى دفء للعلاقات هذا هو المدخل إلى فهم حقائق الإيقاع الحضارى المعجز فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

القصص (٥٦)

المسلم.. إنسان الأرض

من الحقائق البادهة فى تاريخ الدعوة الإسلامية أن المسلم مطالب على صعيد التحقق الوجودى بأن يكون إنسان هذه الأرض وبطلها على السواء، ففى مراحل الانسياب والموادعة يثمر من إنسانية عطائه ما يفيض على الآخرين، وفى مراحل الصدام والمواجهة يعلم الأرض كيف تنحنى لمشيئته وكيف تتحرك فى مداره بلافكاك.

ولكن هذا الإنسان المسلم البطل يعيش فى حتمية إحساسه الملتزم بأنه فوق الأشياء وتحت عين السماء، بأنه سيد الكون وعبدالله بأنه مستطيع بربه وبنفسه فى وقت معا وفى اللحظة التى تنفك فيها هذه العلاقة الجذرية فيه بين ما هو إنسانى وما هو إلهى تنحل القضية كلها إلى لا شيء فيستحيل إما إلى باطن يملأ الأرض غبارا وظلاماً، وإما إلى مستخذ يتوارى من الكون فى دياجيره وألفاف شجره المسموم.

هذا هو المدخل إلى فهم حقائق الإيقاع فى قوله تعالى:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(الأنفال: ١٧)

يقول الواحدى: عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أبى بن خلف يوم أحد إلى النبى - ﷺ - يريده فاعترض له رجال من المؤمنين

فأمرهم رسول - ﷺ - فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير ورأى رسول الله - ﷺ - ترقوة أبى من فرجة بين سابغة البيضة والدرع، فطعنه بحربته فسقط أبى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، وكسر ضلعا من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش فقال والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين فمات أبى - إلى النار فسحقاً لأصحاب السعير - قبل أن يقدم مكة فأنزل الله تعالى ذلك:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾

(الأنفال: ١٧)

فأكثر أهل التفسير أن الآية نزلت فى رمى النبى - ﷺ - القبضة من حصباء الوادى يوم بدر حين قال للمشركين: شاهت الوجوه ورماهم بتلك القبضة، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منها شىء قال حكيم بن حزام. لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت فى طست ورمى رسول الله - ﷺ - تلك الحصاة فانهزمنا فذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾

(الأنفال: ١٧)

أصناف من البشر

هناك صنف من البشر يؤثر السلامة على كل شىء حتى ولو كان هذا الشىء هو دينه وإيمانه فهو فى خيمة الإيمان مقيم مادام يستظل بأمن المواطنة واطراد إيقاع العيش الخفيض، فإذا تعكر موج الحياة، وواجه بعضا من تحديات المعادلة الكونية المتشابكة وطولب على مستوى الحب أن يخوض تجربة البذل والعطاء استحال إلى إنسان فارغ من الجدوى مهزوم من الداخل متربص بكل القيم ليعبر مخاض التجربة إلى شواطىء الاطمئنان.

وهناك صنف آخر من البشر تتجسد فيه بطولة الموقف ورجولة الحركة وفدائية الاندفاع، فهو رافض منذ البدء أن يجنى ثمار كل الحقول ثم يبصق على أشجارها الواهية، لأنه مؤهل بلا حدود لدور العطاء والبذل وخوض تجارب الناجزة فى سبيل ما يؤمن به وعلى أكتاف مثل هذه النوعية من الرجال ينهض بناء الحركة البازغة، وتكتمل دورة التاريخ البطولى لدعوة من الدعوات.

المال والأنثى والبيت الوادع جنة الفارغين الذين يؤثرون أن يعيشوا مستطيعين بغيرهم لا بذواتهم أما الرجال العقائديون فإنهم يتجاوزون هذه المحاور العارضة إلى ولاء لا نهائى لما هو أكبر من المال وأجمل من الأنثى وأرحب من البيت لإيمانهم بالإيمان إذا شئنا أن نقول: إنهم رمز لطموح الإنسان إلى ما هو أكبر من الأشياء.

هذا هو المدخل إلى فهم حقائق الإيقاع فى قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

(البقرة: ٢٠٧)



رمضان

ماذا نرجو منه.. وماذا يرجو منا؟

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

أعتقد أن أى مسلم بلغ الحلم ليس هذا أول رمضان يمر عليه وليس أول شهر يصومه وأعتقد أنه قد تدرب على الصوم أكثر من شهر وتلك محمدة وسنة مستحبة فى الأسرة الإسلامية أن تدرب أبناءها على الصيام منذ نعومة أظفارهم.

لكنى أعتقد أنهم دربوهم على الامتناع عن الطعام والشراب أى عودوهم على الجوع والعطش لكنهم لم يحمـ "لوا أنفسهم مشقة أو تبعة أن يشرحوا لهم غرض الصوم وأهدافه النبيلة التى هى فيما أعتقد حكمة الصوم والهدف من تشريعه فالرسول - ﷺ - يقول: رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

إلا أن المسلمين تعاملوا مع الشهر الكريم تعاملا أكاد أقول إنه ينافى الهدف منه، فلا هم وطّنوا أنفسهم على أن يستوعبوا حكمة الصيام! ولا حاولوا أن يُعلّموا أولادهم لماذا فرض الله علينا الامتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس!

لماذا نصوم ولماذا نجوع؟ لابد أن ثمة حكمة راقية وأهدافا سامية من وراء هذا الصوم، أقلها بل وأبعدها عن التصور هى أن يحس الغنى بحاجة الفقير إلى الطعام والشراب، لأنه لو كان كذلك فهل فرض الله الصوم على الفقير ليحس برفاهة الغنى؟ أم بحاجة الفقير أيضا!!!!



عبادة لا تسلية

أستطيع أن أجزم بأن هذا تعليل حصر أهداف الإسلام السامية فى نفس شرهة، وبطن خاوية، وألقاها فى مستنقع الطعام والشراب، وأنا أحسب أن الصوم مصحة نفسية - إن صح التعبير - يدخلها المسلم مكبلا بشهواته وأنانيته وطمعه وأثرته، وغضبه، وغروره، وكبريائه فلابد أن يخرج وقد تخلص - أو كاد - من أمراضه وعلله فيعود سليما - بفضل الله - معافى من الأثرة إلى الإيثار، ومن الطمع إلى القناعة، ومن الجشع إلى الزهد، ومن الضلال إلى الهدى، ومن البهتان إلى الحق، ومن أكل أموال الناس بالباطل إلى الورع، وتلك كلها خصال إسلامية كادت الحياة المادية أن تقضى عليها فنسأل الله أن يردنا إليها ردا جميلا وأن نتعامل مع رمضان بهذه المفاهيم السامية وليس ثمة من حارس عليك أو محاسب لك إلا ضميرك وقلبك، فاختبر نفسك فى نهاية الشهر هل سموت وعففت؟ عن حرمات الطعام والشراب والنظر واللهو وما تسميه كل المرئيات الآثمة «تسلية للصيام»؟ إنها ليست تسلية إنها إفراغ خبيث ‹دءوب للصيام ولرمضان من محتواه!!! إن الصوم يبعث على العمل الجاد المثمر! فما لم تطرح نفسك فى نهاية الشهر إلى عمل مثمر خلاق دءوب، فثق أن فى عملية العلاج خللا وعملية العلاج هى كما قلنا مصحة ودواء فطبيب ومريض.

فالمريض هو أنا وأنت أسأل الله لى ولك العافية والمصحة هى الشهر الكريم المبارك، والطبيب هو الله - سبحانه وتعالى - والدواء هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فإذا لم نصل أنا وأنت إلى صحة نفسية وبدنية بعد انتهاء الشهر الكريم فلابد أن يكون هناك خللٌ فى عملية العلاج لنبحث أنا وأنت معا أين الخلل؟ هل فى المصحة، وهى الشهر الكريم المبارك أم أنها فى الدواء وهو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

آداب الصوم وسلوكه

وكما نعلم جميعا أن من لوازم الدواء، إن كان شرابا أو حقنا «فى الوريد أو فى العضل» صباحا أو مساء، قبل الأكل أو بعده، أن يلتزم المريض بتعليمات الطبيب، أو تدرى ماذا قال الطبيب المعالج على لسان نبيه - ﷺ؟ قال يوضح أن مجرد أخذ الدواء بطريقة



خاطئة يفسد العملية العلاجية كلها قال - ﷺ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»[1] الحديث ولم يكتف - ﷺ - بذلك بل بين بأسلوب عملى كيف يكون ذلك فروى أنه - ﷺ - كان فى سفر[2] وأمر أصحابه بالصيام وألا يفطر أحدهم إلا عنده أى أمامه، وحضر الجميع ساعة الإفطار وتخلف عن الركب جاريتان - أى فتاتان - فأمر النبى - ﷺ - بإحضارهما - وقال لهما: قيئا فقاءتا قيحا ودما وصديدا ذلك أن الفتاتين - كما ورد فى الحديث - كانتا يغتابان الناس رغم امتناعهما عن الطعام والشراب، فلم يوصل العلاج إلى النتيجة المرجوة ولم تؤت العملية العلاجية ثمرتها لأن هناك خللا، إذا علينا أن نلتزم بأدب الصوم وسلوكه حتى يؤتى العلاج أثره، فالصوم فيه قهر لعدو الله - عز وجل - وهو الشيطان فالطعام وسيلة الشيطان للتغلب على عزيمة الإنسان بالشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال - ﷺ - «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا مجاريه بالجوع»[3] فلما كان الصوم على الخصوص - من بين العبادات - فيه قمع للشيطان وسد لمسالكه وتضييق لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله - تعالى - ففى قمع عدو الله نصرة لله - سبحانه - وناصر الله - تعالى - حق على الله أن ينصره قال - سبحانه -:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد: ٧)

فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله - عز وجل - ولذلك قال - تعالى -:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

وقال - تعالى -

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

والتغيير يكون من الله - سبحانه وتعالى - حسب تغيير العبد لحاله إن غير من قبيح إلى حسن، غير الله حاله من قبيح

---

(١) سنن ابن ماجة جـ١ ص٥٣٩.

(٢) يبدو أن السفر لم يكن سفر قصر أو أن الصيام كان نفلا إنما كان للتدريب العملى.

(٣) الحديث متفق عليه.

إلى حسن، والعكس بالعكس، فالتغير بالأكل والشرب تكثير للشهوات فهي مرتع للشيطان ومرعاه فما دامت مخصبة لم ينقطع تردد الشيطان على قلب العبد، وما دامت الشياطين يترددون على قلب العبد لم ينكشف للعبد جلال الله - سبحانه وتعالى - وكان محجوبا عن لقائه[4] وكون الشيطان يحوم على قلب ابن آدم يمنعه ذلك من النظر والتأمل والاعتبار بملكوت السموات قال - ﷺ : «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات»[5].

الحقد اليهودى

ونظرة سريعة عابرة إلى مدينة القاهرة وحال المسلمين فيها خصوصا إذا قرب وقت المغرب وحان موعد الإفطار تدرك أن الصوم كأنه أفسد طباع البشر فلم يعد ثمة من فارق بين متعلم وجاهل، وبين صفوة وسوقة، الناس فى الشارع فى صراع رهيب يصل لحد السباب والتراشق بالألفاظ النابية بين قادة السيارات تحس ساعتها بالخلل الآثم، حيث إن المتخاصمين ومن حولهم يعتذرون بنعد الإجهاد والتعب من التراشق بالكلمات النابية «بأنهم صُيَّام» مع أن الصوم سكينة ووقار وسكون وحفظ للجوارح، وتطهير للقلب والنفس، وسمو بالروح والفؤاد، يثمر تعاملا إنسانيا ساميا رفيعا يليق بالمسلم الصائم، ذلك فى اعتقادى، إلا أن الناس حولوا وأفسدوا عبادتهم بأن جعلوها عادة، وتلك آفة أى عبادة كما أن الغرب المتغطرس المغرور المدفوع بالحقد اليهودى يحاول دائما وفى إصرار خبيث دءوب أن يفسد على المسلمين عبادتهم فهو لا ينهاهم عنها لكنه يفرغها بجهده المسموم وخبثه الدءوب من محتواها فهو يفسد صومك فلا يجعله لله خالصا لكن يجعلك تصوم لبدنك فهو يسرف فى تقديم فوائد جسمية صحية للصوم وبهذا يفسد عليك الإخلاص لله - تعالى - الذى هو روح كل عبادة فصم لله - سبحانه وتعالى - أولا وأخيرا والله ولى الصالحين.

***

(4) انظر إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى الجزء الأول تحقيق سيد إبراهيم صادق عمران ص٣٢٥ وما بعدها.

(5) الحديث أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة، قال محققه أخرجه أحمد (٢/٣٥٣).



رمضان

منهج لاستئصال الجوع

بقلم/ مدير التحرير

إن الشعور بالفقير الجائع يعد من أهم السبل المؤدية إلى تحقيق التكافل الاجتماعى، ولكن الإسلام لم يقف عند حد الشعور فقط، بل تعداه إلى مرحلة المشاركة ومعايشة هذه الحالة من الجوع بعضا من الوقت: ليعلم كل مسلم صائم أن حالة الجوع التى يعيشها بسعادة غامرة؛ إنما هى فترة تبدأ مع أذان الفجر بعد أن يتناول طعام السحور وتنتهى مع أذان المغرب بالجلوس إلى مائدة عليها ما لذّ وطاب؛ فيدعوه ذلك الجوع المؤقت إلى التفكر فيمن يعايش الجوع الدائم!! الذى يصوم لأنه لا يجد ما يأكل ولا يدرى متى يكون إفطاره؟

إن هذه المشاركة التى يدخلها المسلمون سنويا فيها من الفوائد ما يفوق الحصر:

أهمها: ما جاء فى كتاب الله مُجْملاً وهو «التقوى»، حيث قال - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

والتقوى كما جاءت في تعريف الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ هي: الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

فإذا كانت هذه ثمرة الصيام، فأيّ ثمرة تُرجّى بعد ذلك؟!.. إن التقوى هي ذروة سنام الصيام، التي لا يصل إليها إلا كل مخلص، فقد جعل الله ثواب الصيام غير محدد بمقدار فقال لنا ـ عزّ وجلّ ـ في الحديث القدسي:

«كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»(1).

وهذا الجزاء لمن أخلص العبادة لله، بحيث لا يفكر في فائدة مرجوة من الصوم إلا طاعة الله ـ تعالى ـ، فلا يذهب بفكره إلى فائدة صحية أو بدنية أو نفسية، ذلك أن الله ـ تعالى ـ يقول في الحديث القدسي:

«إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به»(2).

وقد أفاض فضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج في توضيح هذا المعنى الدقيق للصوم وأنه يجب ألا يُقصد به غير وجه الله ـ تعالى ـ فقال فضيلته: «والصوم ينمي في النفوس فضيلة الأمانة والإخلاص في العمل، وألا يراعي في العبادة غير وجه الله، ويقضي على رذائل الدهان والنفاق والمراءاة.

وهو تصفية للنفوس من علائق الدنيا وشهواتها، وتخليص لها من الانهماك في متعها وزخارفها، حتى لا تطغى المادية ويشتد سلطانها على سلوك الناس في هذه الحياة، وحتى يكون السلطان الغالب في الحياة للفضائل الطيبة والمعنويات السامية. وبذلك يكون الإخاء الإنساني، وتكون المحبة، ويتحقق التعاون بين الأفراد والجماعات: الأمر الذي فقدته الحياة المادية التي تصرخ الأمم الآن من شدة ضغطها على النفوس، وتتلمس الإخلاص منها إلى حياة سلم وأمن وتعاون ومحبة.

هذه المعاني السامية، وهذه الحكم الرائعة، التي هي بعض مزايا الصوم وثمراته، قد أشار إليها القرآن في آية الصوم بقوله تعالى:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

وأرشد إليها الرسول ﷺ بقوله: «الصوم جنة».. فإن الصوم يبعث على تقوى القلوب، وخشيتها لله وحده. (3)

وبالإضافة إلى التقوى هناك الكثير من الفوائد التي يحصل عليها الصائم الذي جعل صومه لله فإنه يتعلم الصبر.

وذلك أنه منهي عن الرد على من أساء

(1) البخاري ومسلم. (2) البخاري ومسلم.

(3) بحوث إسلامية لفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج/ج2/ هدية مجلة الأزهر لشهر شعبان سنة ١٤٢٢هـ.

إليه بمثل ما قال، وإنما عليه أن يتذكر أنه صائم، ولا يجب أن يتردى إلى حضيض الجهل متذكرًا قول النبي ﷺ: «إنما الصيام جُنة، فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤٌ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم إني صائم»(4).

والصائم لا يتعلم درسًا واحدًا في الصبر، بل يتعلم نصف دروس الصبر:

■ فهو صابر على الجوع والعطش.

■ صابر على أذى الآخرين.

■ صابر على العمل في زمن الصوم وقد أنهك الصوم قواه.

لذلك نجد الرسول الكريم ﷺ يقول:

«لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم، والصيام نصف الصبر»(5).

■ والصائم يتعلم كيف يكون مرتبطًا دائمًا بالله خالقه، شاكرًا له أنعمه، يلهج بالذكر طوال يومه، فإذا أفطر لم ينقطع عن الذكر، بل يقول ما تعلمه من الرسول ﷺ:

«اللهم لك صُمت وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»(6).

وإذا كان من المُسَلَّم به أن جميع العبادات إنما هي لصالح العباد في المقام الأول، وأن الله غنيٌّ عن العالمين، لا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم، علمنا أن مصلحة العباد هي المُبْتَغاة من وراء الصوم، ولأن الصوم -على ما فيه من فوائد- لا يخلو من مشقة قد تصرف العباد عن أدائها، فقد قرنها المولى ـ عزّ وجلّ ـ بكثير من الفوائد الظاهرة، فجعل للصائم دعوة لا تُرد!!

قال ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، والمظلوم»(7).

وجعل ـ سبحانه وتعالى ـ من جزاء الصيام مغفرة وتكفيرًا لما تقدم من الذنوب لقوله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(8).

بل خصهم ـ سبحانه ـ بباب في الجنة لا يدخل منه سواهم.

يقول النبي ﷺ: «إنّ في الجنة بابًا يُقال له الريان، لا يدخله إلا الصائمون، فإذا دخلوا أُغلق، فلا يدخل منه أحد، من دخله لا يظمأ أبدًا»(9).

إنّ الصومَ الذي يُثمر التقوى، لابد أن يترك في نفس الصائم شعورًا حانيًا تجاه الجائع الفقير بعد أن شاركه بعض ما

(4) رواه البخاري. (5) رواه ابن ماجة.

(6) رواه أبو داود. (7) رواه الترمذي.

(8) متفق عليه. (9) أخرجه الترمذي.



يحس، لذلك كان هذا التقدير من الله للصائمين، فالصائم حصّل فوائد عُظمى روحية، أعلاها رضا مولاه، وفوائد بدنية يحقق بها الصحة الجسدية، وهو في ذلك - أيضا - يرجو أن يفوز برضا الله - سبحانه - لعمله بقول الرسول ﷺ:

«المؤمن القوىّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[10].

وأما الفقير الجائع فيتحقق له ما يسد رمقه وما يدفع عنه جوعته، ويعفيه من ذل المسألة.

ونعود لفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج فيما ذكره عن فوائد الصوم، وما يحدثه من تربية للصائمين.

يقول فضيلته: «... نعم... الصوم خير مرب للإنسان على فضائل الصراحة والإخلاص في العمل، وعلى الجد والحزم وقوة العزم، وهذه الفضائل هي معدن الخير كله، وأصل المحامد جميعها فإن من يضبط نفسه ويمسكها طوال النهار عما اعتادته من الأكل والشرب، وعما تشتهيه من المتاع الذى أحله الله في غير أوقات الصوم، فلا يتناول شيئا من الطعام أو الشراب جهرة ولا خفية، ولا يتمتع بشئ من ذلك المتاع - من يضبط نفسه ويمسكها عن الحلال على هذا النحو، امتثالا لأمر الله، ورعاية لأحكام الله، وقصدا إلى نيل رضاه، فإنه من غير شك يكون قويا على منعها عن الحرام، وإمساكها عما فيه غضب الله وسخطه، ويكون في سلوكه في مجتمعه، ومعاملته مع غيره.»[11]

ولا شك أن أهم معاملته مع غيره، معاملته للفقير الذى يحتاج إليه!

وإذا كان الإسلام قد حض على الاهتمام بالفقير.. وجعل هذا الشهر الكريم مملوءا بالخيرات للفقراء في كثير من صور التراحم والتعاطف معهم منذ أربعة عشر قرنا.

فإن العالم المتحضر قد تنبه لمشكلة الجوع ووجود ملايين من البشر يعانون سوء التغذية، فأصدرت الأمم المتحدة الإعلان العالمي الخاص باستئصال الجوع، حيث جاء فيه:

أقرت الجمعية العامة في ديسمبر ١٩٧٤ الإعلان العالمي الخاص باستئصال الجوع وسوء التغذية، وأشارت فيه إلى أن:

● حالة البشر الذين يعانون الجوع وسوء التغذية ترجع أسبابها إلى ظروفهم التاريخية وعلى الأخص حالات السيطرة الأجنبية والاستعمارية والاحتلال الأجنبي والتمييز العنصرى والاستعمار الجديد بكافة أشكاله.

(10) أخرجه مسلم.

(11) بحوث إسلامية لفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج ص8.

● إن رفاهية شعوب العالم تتوقف إلى حد بعيد على إنتاج وتوزيع الأغذية بكميات كافية.

● إن السلم والعدالة يشتملان على بُعْد اقتصادى يساعد على حل المشاكل الاقتصادية العالمية وتصفية التخلف، ويوفر حلاً دائما ونهائيا لمشكلة الأغذية بالنسبة لكافة الشعوب.

● وإنه من أجل إيجاد حل دائم لمشكلة الغذاء ينبغي بذل كافة الجهود لإزالة الفجوات المتزايدة الاتساع التى تفصل بين البلدان المتقدمة النمو والبلدان النامية....».

● «لكل رجل وامرأة وطفل حق غير قابل للتصرف في أن يتحرر من الجوع وسوء التغذية لكى ينمى قدراته الجسدية والعقلية إنماء كاملاً ويحافظ عليها....»[12].

إن الصور المأساوية لضحايا الجوع التى نراها عبر شاشات التليفزيون، هي في الغالب حالات ناتجة عن الحروب والكوارث الطبيعية وتمثل ثمانية في المائة من مجموع ضحايا الجوع.

أما بقية الجائعين فيعيشون لعدة أسابيع على ٢١٠٠ سُعْر حرارى، وهو المتوسط الذى يحتاجه أى شخص يوميا ليعيش حياة صحية.

وعلى الجانب الآخر.. يموت أناس آخرون من التُّخَمَة، حيث تسبب التخمة والامتلاء من الطعام العديد من الأمراض.

لأجل ذلك تنبه السلف الصالح إلى أهمية التحذير من التخمة «البطنة».

فورد عن عمر بن الخطاب: «إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة....»[13].

وقال ذو النون: «علامة التوبة النصُوح ثلاث: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام»[14].

إنّ المنهج الإسلامى لمكافحة الجوع واستئصاله موجود في صوم رمضان ومايصاحبه من أنواع الزكاة والصدقات والكفارات التى تنصب على إطعام الفقراء وهو النظام الأصلح، بل لن يستطيع أى نظام أو أى آلية أن تدعو الناس لخوض هذه المشاركة في الجوع بكل هذه الرغبة والحب إلا نظام قد وضعه الله - تعالى -.

ولكن لن يستعيد الصوم عافيته كنظام يستأصل الجوع من العالم ما لم يتوجه الصائمون بصيامهم لله أولا، وبما وفروا من طعام للفقراء ثانيا، وكذلك ما لم يتوقفوا عن اعتبار وجبة الإفطار هي الوجبة التى تجمع كلّ ما فاتهم طوال النهار.

(12) مختصراً من حقوق الإنسان مجموعة صكوك دولية المجلد الأول الأمم المتحدة - نيويورك ١٩٩٣ رقم A.94.xiv-vol.I.part 1. ص ٧٤٤.

(13) كنز العمال ٦٩٦/١٥.

(14) تفسير القرطبي ٢٧٤/١٨.



من قصص البادية

الورقاء بنت غالب

للدكتور/ أبي حسام

انتقل إلى رحمة مولاه صقر السهمي شيخ قبيلة بني سهم، وكان ذا مكانة مرموقة في قومه، وله ولدان كبيرهما فهد، والثاني غالب، غير أن فهدا كان يشكو من مرض متواصل، وليس لديه من الكفاءة ما يرشحه لرئاسة القبيلة بعد أبيه، فاتجهت الأنظار إلى ولده غالب، وهو شجاع كفء ذو رأي ودراية بكل ما يهم القبيلة مع معرفة عامة بأخبار مجاوريها ومدى اتصالهم بشئونها، وفي حفلة الأربعين حيث اجتمع الناس للاتفاق على الشيخ الجديد، تقدم فهد من تلقاء نفسه، وأعلن مبايعته لأخيه غالب، لأنه أقدر، وأصح، وأنشط، وصفق الحاضرون تأييداً لموقفه، ومضت الليلة هادئة صافية لا يشوبها مكدر.

وحين رجع فهد إلى منزله، ظهر في وجهه من دلائل التأثر، ما أثار اهتمام أبنائه، وكانوا ثلاثة من الإخوة لهم مكانهم الملحوظ في القبيلة، ووائل كبيرهم ذو الرأي والجد، فقال لوالده:

أنت الذي تقدمت بمبايعة أخيك دون أن يضطرك أحد فلم يبدو عليك من الحزن ما نشهده الآن؟

فقال الشيخ: لقد عز عليّ ألا ينطق أحد من الحاضرين بتأييدي، فأرد عليه شاكرا، وأتمسك بتنازلي أما أن يكون التأييد المطلق لغالب على هذا النحو فهذا ما آلمني.

قال وائل: يرد على أبيه، إن عمي يرعى حرمتك، ويأخذ بنصائحك وسنكون شركاءه في تدبير الأمور، لأنه يحبنا ويعطف علينا، وليس له غير ابنة واحدة هي ورقاء، وورقاء لن تكون خليفته، فالأمر راجع إلينا لا محالة!

هذا ما كان من أمر فهد، أما غالب فقد رجع إلى

منزله، وعلى وجهه علائم التفكير وليس معه غير كريمته ورقاء، فقالت له:

لماذا تلوح عليك علامات القلق وقد صار أمر القبيلة إليك؟!

فقال الوالد في تأثر: ليس لي غيرك ياورقاء، ولو كنت تزوجت بعد رحيل والدتك - التي صممت على الوفاء لها فلا أتزوج بأخرى - لكان لي من الأولاد اليوم من يحملون أعباء القبيلة بعدي

فسكتت الورقاء لحظة ثم قالت في ابتسام: سأحمل معك العبء منذ اليوم فأنا أعرف من أمور القبيلة باختلاطي بالناس، ومحادثتي المتكررة معك ما يجعلني صاحبة المشورة الصائبة، بإذن الله. فابتسم والدها وقبلها في شوق وقال: وهذا هو ظني.

كانت الورقاء ذكية نابهة، راوية للشعر، ذات سمر أنيس في مجامع القوم، وكلهم معجبون بفصاحة لسانها وجودة رأيها فوق مالها من صورة جميلة تجذب إليها الأنظار إذ يود كل شاب أن يحظى بالحديث معها، وقد أخذت علي نفسها أن تحضر مجالس أبيها مع القوم، مشاركة في الحديث الصائب وطار لها بذلك ذكر حميد وبخاصة لدى الشباب المتطلع إلى الحب، وأكثر هؤلاء هياماً بها هو ابن عمها وائل وقد كان لا يبرح مجلس أبيها، ويقوم في جد بكل ما يطلبه منه، فإذا كانت الورقاء في المجلس خاطبها بكل أدب، وناداها في رفق: يا ابنة العم، غير أنها كانت تعامله دائما معاملة سواه، فلا تخصه بما يدل على اهتمام منفرد، وكان هذا مما يؤرقه ويضنيه ولكن في صمت وخضوع.

ثم أذن الله لورقاء أن يجرى الخير على يدها بما يعلي مكانتها في الناس، فقد لاحظت في تطوافها بالفراغ الممتد أمام الخيام بعض الرطوبة في أماكن متجاورة من الرمال فقدرت أن آباراً من الماء تتدفق في باطن الأرض، وأجالت التفكير مستشيرة ومتسائلة حتى انتهت إلى ضرورة الحفر بقوة واجتهاد لترى ما وراء الأكمة، ولم يكد العمال ينهضون بعملهم حتى تفجرت عين دافقة تقذف بالماء، وهلل القوم مكبرين ثم واصلت التشجيع فاكتشف القوم خمس عيون دفاقة، وسُمّي المكان بوادي المياه وتابعت الورقاء تفكيرها فتحدثت مع أبيها الفخور بذكائها وصواب اتجاهها عن ضرورة الذهاب إلى وادي السوبان لحمل بعض الجذوع والأغصان ومنابت الشجر، وغرسها في ضفاف وادي المياه فإذا نزل المطر كعادته ارتوت الزروع، ونمت الأغصان، ونشأت واحة جديدة تغني القبيلة عن النزوح الدائم إلى أماكن الخصب، وقد ينشأ من الحشائش ما يمد الحيوان بالغذاء، وكأن القدر يجرى طوعها، فلم يمض عام حتى أصبح للقبيلة واحة خاصة بأشجارها ومراعيها وهذا لم يأت إلا بتفكير الورقاء!

وتأبى الأحداث إلا أن تزيد الورقاء مجادة واعتلاء، فقد حضر إلى والدها شيخ القبيلة المجاورة يريد المدد بالسلاح والرجال رعاية

لمبدأ التناصر المعقود بينهما منذ أعوام، وجمع غالب رجال القبيلة يشاورهم فى الأمر، ويصدر القرار النهائى فى ضوء ما ينتهون إليه، فاختلفوا فيما بينهم، فمن راع لمبدأ التناصر، وهو شرع عام بين العرب فى البادية، ومن معارض يبدى من التعللات ما يراه جديرا بالموقف، ولكن الورقاء وقفت تتحدث وعلى قسماتها الوضيئة ملامح الجد فوجهت السؤال إلى الضيف الزائر قائلة:

نريد أن تعرف أسباب الخلاف الذى سيؤدى إلى الحرب وربما قام أبى بالسفارة بين المتنازعين فينتهى الأمر دون إراقة الدماء.

فسكت الضيف قليلا ثم وجه حديثه إلى الشيخ غالب فقال: لم تكن من قبل تذكر أسبابا وإنما تتناصر رعاية للإخوة، وحق الجوار.

فقالت الورقاء: هذا مبدأ يقابله مبدأ آخر شرعه الإسلام حيث قال الله فى كتابه:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾

(الحجرات: ٩)

تطلع الضيف إلى غالب قائلا فى شبه استنكار: وأنت ماذا ترى؟

فقال الشيخ غالب: أريد أن أعرف سبب العداء أولا فقد يوفق الله إلى صلح شريف!

فأجاب الضيف: كانت لنا أرض واسعة تجاور أرض خصومنا، فاعتدوا عليها وضموها إلى أرضهم منذ أكثر من ثلاثين عاما، ووجدنا اليوم أنفسنا فى حاجة إلى استردادها، فخاطبناهم بالتى هى أحسن، فأبوا وتحفزوا للقتال!

فقالت الورقاء: تريدون استردادها بعد ثلاثين عاما، وقد مات المعتدون وأصبحت حلالا للأبناء.

فسكت القوم جميعا، وقد تطلع بعضهم إلى بعض! وهنا نهضت الورقاء تقول: يستطيع أبى أن يرحل مع ملأ من قبيلته إلى جيرانكم، فيأخذهم بالرفق، ويعلن لهم مدى الأواصر التى تشد الوثاق بين المتجاورين، وتدعوهم إلى السلام، ويقترح بعد أن يعرض القضية، ويسمع قول المتحفزين، أن يقسم الأرض قسمين، فقسم لهم، لأنهم يملكونها الآن، وقسم لكم، لأنها مغصوبة من قبل، فإذا تم الوفاق نجحت السفارة، ورفرف السلام!

قال الضيف: حفظك الله يا زينة العرب من رجال ونساء، وقد وافقت على سفارة الشيخ غالب فمتى سيرحل؟

قال الشيخ غالب: سأرسل لهم الآن أعلنهم بزيارتى بعد أسبوع تحديدا، وقد يوفق الله مسعاى!

فابتسم الضيف وقال: ولتكن معك الورقاء فهى ذات طالع سعيد.

وقد ذهب الرسول، وحمل للقوم رغبة الشيخ غالب فى الصلح وأن مسألة النزاع

قد أثيرت فى مجلسه، وانتهى إلى رأى يحاول أن يعرضه عليكم.

وهنا طُلب منه أن يذكر خلاصة ما انتهى إليه، فنقل الرأى بأمانة! وكان القوم كانوا فى حاجة إلى صلح مشرف فوافقوا دون تردد

ورجع الرسول يحمل بشرى الوفاق إلى الشيخ غالب، ويعلن انتظار القوم مقدمة! ففرح الشيخ وقبل الرسول بين عينيه قائلا: كفيتنى حرج النقاش وامتداد اللجاج، وستكون الرحلة نزهة هانئة، لا سفارة شاقة، وتطلع إلى القوم ليختاروا من سيصاحبه فى الرحلة فاختاروا تسعة من الشجعان، وفى المقدمة قد لمع اسم الورقاء!

التأم الفريقان فى ندوة حافلة حضرها ذووا الأسنان والشباب من القبيلتين، وكان من المتوقع أن يبدأ الشيخ غالب الحديث فهو الذى اقترح الحل، ودعا إلى الوئام، ولكن الورقاء وقفت بقامتها الفارعة، وطلعتها الزاهرة فأدهشت من لم يكن يعرفها من قبل، وأعلنت أنها جاءت لتضع الحب مكان البغضاء، والعناق مكان الشقاق، وإن نقطة دم واحدة من جسم عربى باسل أكبر وأعظم من قطعة أرض صماء مهما غلا ثمنها المادى

وكان صوتها يرن رنين السلاسل الذهبية فيحدث هزة فى نفوس الشيوخ، فما بالك بالشباب المأخوذ بما يرى ويسمع!!

وقالت: إن والدى رأى أن يعيد مسعى هرم بن سنان والحارث بن عوف حين جمع الشمل بين عبس وذبيان وكنا نطمع أن نرى شاعراً كبيراً كزهير بن أبى سلمى ينشد معلقة جديدة تدعو إلى السلم، ولكنا بحمد الله نحفظ قوله الرائع:

وما الحرب إلا ما علمتهم وذقتمو
وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر إذا ضريتموها فتضرم

وختمت حديثها الأدبى بين التصفيق الحار والإعجاب الذى لا يقف عند حد، وبعد الاتفاق التام دار سمر لذيذ كانت الورقاء واسطة عقده، ولكن مفاجأة طارئة لم تكن متوقعة، إذ تقدم شيخ قبيلة بنى سعد إلى والد الورقاء يطلب يدها لابنه الشاب، لتتأكد العلائق بين القبيلتين طلب ذلك على رؤوس الأشهاد، فأوقع الأضياف فى حرج شديد، ولكن الشيخ غالب ابتسم شاكراً: «وقال إن الورقاء مخطوبة لابن عمها - وكان بين الحضور - منذ عام، ولا سبيل إلى التحلل من عهد مبرم، فكان تصريحه بذلك مفاجأة كبرى لوائل وللورقاء معاً.

وما كاد الجمع يتفرق حتى خلت الورقاء بوالدها وفى وجهها ملامح الغضب فقالت: كيف تفرضنى فرضا على ابن عمى، ولم أعرف أنه تقدم إلىّ، إنك بذلك جعلتنى فى موقف الطالبة وجعلته فى موقف المطلوب، وهذا ما يهز فىّ هزاً،

وقد كدر صفوى إلى أبعد حد. فقال الوالد مبتسماً في حنان، أنا أعرف جيداً شعور ابن عمك نحوك، وأعرف أنه يبذل ما يستطيع في رضاى، ويسعى إلى تحقيق كل ما أرجوه كي أكون موافقا على الاقتران بك، أعرف هذا عن يقين، والتفت التفاتة جادة إلى الورقاء، وسألها هل ترين شابا في القبيلة يفضل ابن عمك؟ لا أرى! ثم هو رئيس القبيلة في المستقبل، إذ لا يوجد لدى من يخلفني من الأبناء، فإذا اقترن بك فستكونين ذات المركز المرموق في القبيلة، مثلما أنت تماما في عهد أبيك؟ أجيبي عن سؤالي وستعرفين أن الله قد ألهمني ما قلت بشأن هذا الزواج.

هذا ما كان من حديث الأب وكريمته، أما وائل فقد سبح في بحر لجي من الخواطر، وأخذ يسأل نفسه: أقال عمه ما قال عن إصرار؟ أم قال ذلك ليقطع الطريق على الخاطب الجديد؟، وزاد من ألمه ما رآه من الحيرة على وجه الورقاء حين سمعت كلام أبيها، وكأنها في أعماقها لا ترحب بما قال، وجاءت ساعة الرحيل فسار القوم في الطريق مثنى مثني كل حصانين متجاورين يحملان راكبين، وكان من المتوقع أن يكون هو الرفيق المختار لمسايرة ابنة عمه، ولكنها أشارت إلى شاب عرف في القبيلة برواية الشعر، ونقده، فكان هو رفيقها السعيد، أيكون ذلك دليلا آخر علي أنها لا ترحب به؟، لقد خاض الشاب في مثل هذه الخواطر حتى كاد يفقد توازنه النفسي، وحين بلغ الركب مأمنه في منازل القبيلة، كان أول شيء صنعه، أن اختار جارية لبقة من جوارى أبيه، وكتب إلى الورقاء رسالة مقتضبة تتضمن هذا السؤال:

ابنة العم، أريد أن أعرف اسم الشاعر الذى قال:

تبدل هذا السدْر غيرى وليتنى

أرى السدر بعدى كيف كان بدائله

وأسرعت الجارية إلى سيدتها بالرسالة فقرأتها، ثم ابتسمت في إشفاق، وقالت: انتظرى ساعة حتى أحسن الجواب

وقدمت لها ما لديها من الزاد محتفية بها كصديقة لاجارية وبعد أن فرغت من طعامها قدمت لها رسالة موجزة جاء فيها:

قائل هذا البيت هو الذى يقول:

أرى السدر نضراً ما تبدل موقعاً

ولا جف أوراقاً فأين بدائله!

وطارت بها إلى وائل، فكاد يجن من الفرح، وقال للجارية: أنت حرة لقد أعتقتك فرحا بما جئت به من البشرى!

وعلم غالب ما كان من شأن هذا المراسلة فاستدعى ابن أخيه، وقال له: صبراً صبراً فسيكون الزفاف يوم عيد الفطر، حيث أدعو رؤساء القبائل، وسادات الناس لهذا اليوم المشهود!



قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا

يقسم الله - تعالى - في هذه الآية الكريمة بالأرض التي خلقها وبسطها وهيأها لسكنى الإنسان المكلف بإعمارها وترقية الحياة عليها. والحديث عن الأرض وحركاتها، وموازين الحياة عليها يطول دون أن يوفى حقه، لكن ما سنتوقف عنده الآن هو التركيب الداخلى لطبقات الأرض كما تصوره لنا دراسات العلم الحديث. ولنبدأ من الخارج إلى الداخل: فنبدأ بالقشرة الأرضية، حيث يغلف الأرض غشاء خارجى خفيف يسمى القشرة الأرضية. ويتراوح سُمك هذه القشرة الأرضية في جميع القارات ما بين ٤٠ و٦٠ كيلومتراً، في حين تنخفض في قيعان المحيطات إلى ما بين ٥ - ٦ كيلومتر، ولا وجود فيها للطبقة الجرانيتية. ولقد فرض العلماء في ذلك نظرية سميت نظرية الطفو (Isostaty) تقول إن القارات تتكون من صخور خفيفة نسبياً، أما قيعان المحيطات فتتكون من صخور أثقل نوعاً. ومن ثم فبينهما حالة من الاتزان، حيث ترتفع القارات بحكم خفة صخورها، فتتكالب عليها عوامل التعرية، ثم النقل، ثم الترسيب في قاع المحيط، حاملة معها من معادن القشرة الأرضية الكثير مما يبقى معلقاً في الماء أو يرسب مع رواسبه، ومن ذلك: الذهب والفضة والبلاتين.. يحدث الترسيب فوق الصخور الأثقل نوعاً في قاع المحيط، ويتبع ذلك انخفاض مستمر لقاع المحيط، ومن ثم غوص في الطبقة التالية من طبقات الأرض، فيحدث التوازن بمزيد من الارتفاعات في القارات.

ويتفق علماء الجيولوجيا على أن القشرة الأرضية تتكون في طباقها العليا من صخور رسوبية، تليها

طبقة جرانيتية، ثم طبقة ثالثة من صخور أكثر كثافة تتفق خواصها وخواص البازلت. وقد سمى الفاصل بين طبقة الجرانيت وطبقة البازلت السفلى بفاصل «كونراد» نسبة إلى العالم الألمانى «كونراد» الذى قدم هذا التفسير التركيبى لقشرة الأرض، وبانتهاء القشرة الأرضية بكل طباقها، يأتى فاصل بينها وبين ما يتلوها بالعمق من طباق أو أغلفة الأرض، ويطلق على هذا الفاصل الوهمى «التخيلى» اسم فاصل «موهو» نسبة إلى عالم جيولوجيا يوغوسلافى.

وتلك جميعًا تسميات تختلف باختلاف القائلين بها، وإن كان أحد من البشر لم يبلغها إلا أنه لم يستطع بكل وسائله التكنولوجية أن يخترق القشرة الأرضية بعد، ولكنه يستدل فى نظرياته بما تخرجه الأرض من أثقالها بين الحين والحين، ويستند إلى ما يصل من باطنها إلى السطح فيكون بركانًا، أو يقصر به السبيل فيكون جددًا تختفى كثيرًا عن الطباق الرسوبية للأرض.

ويعتقد البعض خطأ أن الطبقة الخارجية من القشرة الأرضية لم تتغير منذ نشأة الأرض بحجة وجود الآثار القديمة، ولكن الحقائق العلمية عن تاريخ الأرض تؤكد أن القشرة الأرضية عالم متغير كما يراها علماء الجيولجيا، فلو فرضنا أن الإنسان كانت لديه الفرصة لتصوير سطح الأرض منذ ثلاثة ملايين سنة مثلاً، وبمعدل صورة كل خمسة آلاف سنة، وعرض هذه الصور فى فيلم سينمائى سريع جدًا لوجد أن سطح الأرض يبدو كأنه كائن حى تتغير ملامحه وقسماته، فتظهر تجاعيد كثيرة وسلاسل جبال ووديان عميقة على الأرض كانت قبل ذلك مسطحة، وتظهر القشرة وقد انغمرت تحت الماء مرات عديدة ثم انحسر عنها الماء، وتظهر جبال شواهق ثم تختفى هذه الجبال.. ومساحات شاسعة من الثلج تتراجع لتعود فتمتد مرة أخرى.

لقد غيرت مثل هذه الثورات الجيولوجية تضاريس سطح الأرض عبر بلايين السنين التى مضت قبل أن تصبح هادئة منبسطة لسكنى الإنسان عليها.

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

هذه دعوة قرآنية صريحة إلى التأمل فى نفس الإنسان، فالله - سبحانه وتعالى - يوجه أنظارنا إلى البحث فى أنفسنا والتعرف على محتويات أجسامنا وكيف ركبت فى هذا البناء الدقيق الذى يحتوى بداخله على عجائب وأسرار ومعجزات تشهد بقدرة الخالق الواحد - سبحانه وتعالى -.

وإذا تأملنا التنفس والحركات التنفسية استجابة لهذه الدعوة القرآنية، نجد أن التنفس فى مفهومه العام هو استنشاق الهواء من الجو ليصل إلى الرئتين، ثم طرد

هذا الهواء إلى الخارج مرة أخرى فى عمليتى الشهيق والزفير، وبين هاتين المتتاليتين يحدث تغير كبير فى تركيب الهواء داخل الرئتين، فهما تستخلصان منه بعض الأكسجين وتزودانه بغاز آخر هو ثانى أكسيد الكربون. ولا يقتصر مفهوم التنفس - من الناحية الفسيولوجية - عند هذا الحد، بل يمتد أيضًا إلى انتقال غاز الأكسجين إلى أنسجة الجسم الداخلية واستخدامه فى عمليات التأكسد، ثم انتقال ثانى أكسيد الكربون الناتج عن هذه العمليات من أنسجة الجسم إلى الرئتين للتخلص منه ويتم هذا الانتقال فى جميع الحالات عن طريق الدورة الدموية. والواقع أن عمليات التأكسد التى تحدث داخل الأنسجة المختلفة للجسم هى عمليات مستمرة وضرورية لحياة الإنسان، إذ ينتج عنها تفجر الطاقات الحرارية الكامنة فى غذاء الإنسان واستخدامها فى كل ما يقوم به من الأعمال الجسدية أو العقلية فى حياته اليومية.

ويتكون الجهاز التنفسى الذى أوكل الله إليه القيام بعملية التنفس من الأنف والبلعوم والحنجرة والقصبة الهوائية بتفرعاتها المختلفة والرئتين. وتبطن هذا الجهاز بأجزائه المختلفة - من الداخل - أغشية مخاطية تحتوى على نوعين من الخلايا التى تساعد على تنظيف الممر التنفسى من الشوائب التى تكون عالقة بالهواء الجوى.

والجزء الرئيسى فى الجهاز التنفسى هو «القصبة الهوائية» التى يبلغ طولها فى الإنسان حوالى أربع بوصات ونصف، وهى تتصل من أعلى بالحنجرة التى تحتوى على الأحبال الصوتية، ومن أسفل تنقسم إلى شعبتين تتصل كل منهما بإحدى الرئتين، وتنقسم كل شعبة إلى فروع أصغر فأصغر حتى تنتهى بفروع صغيرة دقيقة تسمى «الشعيبات». وتتصل الشعيبات النهائية بحجرات دقيقة توجد داخل الرئتين وتعرف «بالحويصلات الرئوية»، وتلتصق بالجدران الرقيقة لهذه الحويصلات الرئوية من الخارج شبكة رقيقة معقدة من الشعيرات الدموية ويتم تبادل الغازات بين الشعيرات الدموية والحويصلات الرئوية أو العكس من خلال تلك الجدران الرقيقة جدا، فيمتص الدم الموجود فى الشعيرات الدموية غاز الأكسجين من الهواء الذى يملأ الحويصلات الرئوية، ويطرد إلى هذه الحويصلات غاز ثانى أكسيد الكربون فى عمليات مستمرة لا تنتهى إلا بانتهاء الحياة.

وهكذا نجد أن الحركات التنفسية ضرورية لحياة الإنسان. وهى مستمرة فى أثناء الليل كما هى فى أثناء النهار، وهى لا تنقطع عندما ينام الإنسان، ولكن ينخفض تتابعها عما هو عليه فى أثناء اليقظة. كما يزداد هذا التتابع بشكل واضح عندما يقوم الإنسان بمجهود شاق كما يحدث عند العدو أو السباحة أو خلال ممارسة الألعاب الرياضية

العنيفة. والواقع أن انتظام التحركات التنفسية فى عمليتى الشهيق والزفير يؤدى إلى إمداد الجسم بهواء متجدد تستخلص منه الرئتان جميع الاحتياجات الضرورية من غاز الأكسجين، وتتخلص فى نفس الوقت من ثانى أكسيد الكربون الناتج من عمليات الاحتراق الداخلى.

ويحدث فى بعض الأحيان أن تتوقف الحركات التنفسية، ويصبح الإنسان موشكا على الموت كما فى حالات الغرق أو انهيار الجسم تحت تأثير المخدر (البنج) قبل إجراء إحدى العمليات الجراحية، ويلزم عندئذ الإسراع فى إعادة الحركات التنفسية إلى حالتها الطبيعية عن طريق «التنفس الصناعى» إنقاذا لحياة المريض قبل فوات الأوان، إن مثل هذه الحالات يذكرنا دائما بما أودعه الله -سبحانه وتعالى- فى أجسامنا من أجهزة حيوية تعمل ليل نهار دون كلل أو ملل للإبقاء على نعمة الحياة فتبارك الله أحكم الحاكمين.

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ

لقد تعددت الأقسام فى القرآن الكريم، ونبه العلماء المفسرون إلى بعض لطائف هذه الأقسام والحكمة فيها، سواء فيما يتعلق بالمقسم به أو بالمقسم عليه. وتحظى الظواهر الكونية بنصيب كبير من هذه الأقسام، وذلك فى مثل قوله تعالى:

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾

(سورة الشمس: ١-٦)

فقد أقسم الله -تعالى- فى هذه الآيات بمخلوقاته الكونية العظيمة من الشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض. وفى ذلك إشارة واضحة إلى أهميتها فى النظام الكونى بناء وأداء، ودعوة إلى دراستها والتعرف على نواميس عملها، والوقوف على عظيم فوائدها. والله جل شأنه فى هذه الآيات يصور كمال قدرته الإلهية إذ أقسم بالشمس فى مقدمة آياته الكونية. وتلاها بأربع صفات.

أولها: مالها من ضوء تبسطه وتنشره فى العالم.

وثانيها: تبعية القمر لها فى نوره.

وثالثها: تجليها عند ارتفاع النهار.

ورابعها: غروبها عند بدء الظلام وطول الليل، وأقسم الله بالسماء العظيمة التى تسير الشمس فيها، وبالأرض التى ترسل فيها أضواءها.

ولما كانت آراء المفسرين تتعدد وتتنوع فى تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم فإن الحقائق العلمية التى تتوصل إليها بحوث العلماء يمكنها أن ترجح أحد المعانى التى قال بها أحد المفسرين أو بعضهم، أو ترجح معنى غير الذى رجحه جمهور المفسرين. وكمثال على ذلك، نجد أن أقوال المفسرين قد تعددت فى



صفة «المسجور» التى وردت فى قوله تعالى:

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾

(سورة الطور: ٦)

فقيل إنها المملوء، وهو الظاهر والواضح، وقيل إنه البحر اليابس الذى ذهب ماؤه، وقيل إنه المختلط عذبه بملحه، وقيل إنه الممنوع المكفوف عن الأرض، لئلا يغمرها فيغرق أهلها. وقيل أيضا إن المسجور بمعنى الموقد، وقد جاء فى تفسير الجلالين لقوله تعالى فى الكفار:

﴿ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾

(سورة غافر: ٧٢)

يسجرون: يوقدون، أى يوقد تحتهم[1].

والقول الراجح عند الطبرى -رحمه الله- أنه المملوء، فقد جاء فى جامع البيان عن تأويل آى القرآن: «...... وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب: قول من قال معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه فى بعض، وذلك أن الأغلب من معانى «السجر» الإيقاد كما يقال: سجرت التنور بمعنى أوقدت، أو الامتلاء على ما وصفت... فإذا كان ذلك الأغلب من معانى السجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله -تعالى ذكره- قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد، صحت الصفة الأخرى التى هى له اليوم وهو الامتلاء، لأنه كل وقت ممتلئ». وهنا يرى الطبرى -رحمه الله- أن الأولى بالتفسير لمعنى «المسجور» فى اللغة العربية هو: «الموقد»، إلا أنه لم يرجح هذا القول لأنه يرى أن البحر غير موقد، وانتقل إلى المعنى الثانى، وهو المملوء، ولو ثبت له أن البحر موقد لقال به أيضا، وربما رجّحه. وقد دلت عليه كشوف العلماء حديثا بعد أن رأوا بأعينهم نارا أو صهارة «لابا» للحمم والبراكين التى تنفجر من قيعان البحار والمحيطات، واستعانوا بتقنيات حديثة لتصوير هذه الظاهرة العجيبة التى يجتمع فيها الماء مع النار، فتتأجج البحار نارا، ويتجلى معها روعة القسم الإلهى بالبحر المسجور.

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

(سورة الواقعة: ٧٦)

أهم المراجع:

● المنتخب فى تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

● د.شوقى ضيف، القسم فى القرآن الكريم، سلسلة إقرأ (٦٦٦)، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

● د.محمد رشاد الطوبى، وفى أنفسكم أفلا تبصرون، سلسلة إقرأ (٤٨٩)، دار المعارف، القاهرة.

● د.أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربى، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(١) وجاء فى المنتخب فى تفسير قوله تعالى: «وإذا البحار سجرت» (التكوير: ٦): وإذا البحار تأججت نارا.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

شهادات









للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

١٣ ثراء القرآن وجدته وأصالته وحفظه ومحوريته فى الثقافة الإسلامية

ثمة عدة نقاط تُعد بمثابة عناصر أصالة وتميز فى القرآن، نظراً لأن فكرة الوحى وتلقى الرسالة قد تطورت فى القرآن».

إنه إذا اكتشفنا شيئًا من عدم التناسق المنطقى (Inconsistency) فى القرآن، فهذا دليل على ثرائه وخصوبته، ودليل على سمو مثمر «تجاوز» يعلو فوق الفكر المجرد العاقر، أو غير المجد (Barren Conceptua Lthought) ومن هنا قد نجد «معنيين» أو «تقريرين» مختلفين (Inconsistent) لأن أخذهما فقط لا يعبر عن الحقيقة بشكل تام..

لقد شهدت بدايات القرن العشرين صرعة «موضة» تقديم القرآن للقارئ الأوروبى باعتباره مختارات من أفكار اليهودية والمسيحية، بالإضافة لقليل من الزيادات المحددة، ومعنى هذا انتفاء الجدة والأصالة.

والواقع أن هذه النظرة تعد بقية من بقايا الدعاية المسيحية التى سادت فترة الحروب الصليبية عندما كان على أوروبا الغربية - التى كانت ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام - أن تُقوّى دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام.

وإذا نظرنا للأمور بعيدة عن سياقها التاريخى، حتى بصدد مجرد المقارنة والتوراة والإنجيل، لوصلنا



إلى نتائج خاطئة، وعلى أية حال، فافتراض أن محمداً ﷺ قام بدعوته فى فراغ، أى دون مراعاة لظروف العالم وقتها، فرض غير علمى. عندما ننظر للقرآن والعهدين «القديم والجديد» فى السياق التاريخى، نجد أن الأمور تسير فى اتجاه آخر، أو تصل بنا إلى نتائج أخرى، أو تتخذ ملامح مختلفة، فنبى العهد القديم - هو بدوره - لم يحدثنا من فراغ عقلى، وإنما راعى الحياة العقلية والثقافية السائدة، وبالمقياس نفسه يجب أن ننظر إلى محمد ﷺ ودعوته، فالرسالة الأصيلة والجديدة لكل نبى هى تلك الرسالة التى تتواءم مع كثير من الأفكار، وتعبر عن نفسها باستخدام مصطلح هذه الأفكار السائدة، وتتعامل مع القضايا المعاصرة لها...

وهكذا يظهر القرآن أصالته، ولو لم يكن إلا هذه الاستجابة الفعالة لتطلبات موجودة بالفعل لكان دليلاً على الأصالة..

لدينا إذن أرضية ثابتة نقف عليها باطمئنان، أن القرآن لم يكن مجرد ترديد لأفكار يهودية ومسيحية وإنما كان به إضافات تتسم بالجدة والأصالة.

يؤكد القرآن الكريم أن الرسالة التى حملها محمد ﷺ لشعبه كانت هى نفسها الرسالة التى حملها الأنبياء الآخرون لشعوبهم، وعلى أية حال، فإن هذا التماثل ينطبق على أساسيات الرسالة، كالإيمان بالله واليوم الآخر وبالأنبياء والملائكة والكتب المنزلة.. وحتى الأفكار التى اشترك فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية، فإنها قد اتخذت شكلاً عربياً واضحاً..

إن القرآن كان يمهد لانتقال مرن ناعم من الصور الراقية لأديان موجودة بالفعل لدين جديد «الإسلام» على أن تفحص العلاقة بين القرآن والبيئة المكيّة أو العربية عامة، يوضح لنا بجلاء أن رسالة الإسلام كانت ملائمة تماماً للبشر الذين ظهر محمد ﷺ بين ظهرانيهم، ولم تكن مجرد عقائد سابقة «يهودية أو مسيحية»..

وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم فى مرحلة نقائه الأولى.. إن القرآن يقرر لنا أن الإسلام هو دين مطابق لدين إبراهيم الخالص، وهو قول يستحق النظر إليه بجدية..

• • •

إن كلمة «جمع» - [فى الحديث عن جمع القرآن] - قد استخدمت فى آيات قرآنية مهمة:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

(القيامة: ١٦-١٩)

ومن الممكن أن يكون التفسير

الطبيعى لهذه الآيات أن محمداً ﷺ ما دام يتبع تلاوة من يتلو عليه «جبريل» ـ عليه السلام ـ فإن الله متكفل بجمع الآيات المتفرقة أو التى أوحى بها فى أوقات مختلفة ليجعلها فى سياق واحد.

وإذا لم يكن محمد ﷺ هو الذى رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور زيداً ـ زيد بن ثابت ـ (١١ق.هـ ـ ٤٥هـ. ٦١١م ـ ٦٦٥م) ـ أو أى مسلم آخر يقوم بهذا العمل. ومن هنا، فإن كثيراً من السور قد اتخذت شكلها الذى هى عليه منذ أيام محمد نفسه ﷺ.. إن القرآن كان يسجل فور نزوله، وقد جمع رسمياً حوالى سنة ٦٥٠م..

•••

ورغم كثرة القراءات، فإن أياً منها لم يؤد إلى جنوح معانى القرآن، بحيث تجعلها بعيدة عن المعانى المفهومة من القراءات الأخرى.

والشيء نفسه يمكن أن يقال بشأن المصاحف السابقة على مصحف عثمان ـ رضى الله عنه ـ فلم تكن الخلافات بينها وبين مصحف عثمان ذات شأن، بحيث تحدث ردود أفعال مختلفة فى المجتمع الإسلامى.

•••

ومهما كان الطريق الذى دخلت عن طريقه الثقافة اليونانية، فإن المجتمع الإسلامى لم يقبل منها إلا ما هو مناسب وموائم لنسيج الحياة الإسلامية وللنظرة العقلية للعالم والكون التى يقرها القرآن، وبمرور الوقت تحقق أن حياة المجتمع إسلامى بشكل عام قائمة على استمرار القرآن وتبوئه مكان المركز أو القطب أو المحور..

ولقد أدت سهولة المواصلات وتطور الاتصالات السلكية واللاسلكية إلى أن أصبح إسلام المناطق البعيدة عن المركز متوافقاً ومتوائماً مع إسلام المناطق المركزية أو الوسطى..»(١).

العربية.. لغة حضارة وثقافة متميزة

«إن اللغة العربية ليست صحراوية بالمعنى الضيق للكلمة، فالروايات التى لا تخلو من حقائق تخبرنا عن حياة زراعية باكرة قبل أن تشرع المنطقة فى التصحر، كما تخبرنا عن انهيار نظام الرى فى اليمن وهجرة قبائل مختلفة من هذا اليمن الذى كان سعيداً..

وهذه التجارب لابد أن نفترض أنها تركت آثاراً فى مضامين الكلمات المختلفة، كما أن كثيراً من العرب ارتبطوا بالأعمال التجارية، فقد كان تُجار مكة

(١) مونتجمرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ترجمة د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، طبعة القاهرة، مكتبة الأسرة الهيئة العامة للكتاب، ص١٠، ٢١، ٨١، ٩٨، ٩٩، ١١١، ١١٢، ٦٦، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٥، ١١٠، ١٦٦، ٦٠، ٦١، ١٢٨، ٦٣، ١٧٦، ١٧٨.

الكبار يتحكمون فى القوافل التى كانت تتجه بانتظام إلى الشام وإلى اليمن، وارتبطت القوافل المتجهة إلى اليمن بطرق التجارة المتجهة إلى جزر الهند، والمتجهة إلى شرق إفريقيا، وقد تركت هذه التجارة أيضاً بصماتها على اللغة العربية..

وعلى هذا، فاللغة العربية قد ارتبطت بوسط ثقافى خاص يمتاز بكثير من الملامح التى تميزه عن الأوساط الثقافية الأخرى.. وهذه الحقيقة ذات أهمية كبرى، خاصة فى عالم متداخل الأديان، إنها تعنى أنه لا وجود لإنسان معيارى (Standard Man) أى أن هناك أنماطاً كثيرة معيارية، يمثل كل نمط منها منطقة ثقافية أو حضارية محددة..»(٢).

عالمية الإسلام.. وتفوقه.. ورقيه

«إن الإشارات القرآنية «الخاصة» أو «اللصيقة» بالعرب لا تنفى أنه عالمى النزعة، أو ذو طبيعة عالمية، فالقرآن يخاطب البشر عامة، وليس الإنسان العربى فى الوسط الثقافى أو الحضارى العربى فحسب، وتلك حجة قوية لأن الإسلام قد انتشر بالفعل انتشاراً واسعاً خارج نطاق الوسط الثقافى بمعناه الضيق أو الأصلى، فاعتنقته أجناس مختلفة من أوساط ثقافية مختلفة..

إن رسالة الإسلام، التى وُجهت فى البداية لأهل مكة والمدينة كانت تحمل فى طياتها بذور العالمية، أو أنها كانت منذ البداية أو منذ مضمونها الأول ذات أبعاد عالمية..

إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته، لأنه يتناول القضايا الإنسانية..

ولقد كان إحكام النظرة العالمية للإسلام «كونه ديناً عالمى النزعة» مما جعله يستوعب تراث المسيحية الباقى بين شعوب الشرق الأوسط التى كانت مسيحية، ومن هنا فقد أصبح المفكرون المسلمون هم حملة الثقافة العقلية لكل المنطقة».

المسيحية

لقد حاولت الحركة التبشيرية الحديثة أن تخترق مناطق العالم الثقافية التى تسيطر عليها الأديان الأرقى، وقد رغب سكان هذه المناطق فى التكنولوجيا الأوروبية، وفى الجوانب المادية من الحضارة الأوروبية، لكنهم ـ فى غالبهم ـ فى الوقت نفسه ـ كانوا مرتبطين ارتباطاً عميقاً بدينهم الذى كانوا يشعرون أنه أرقى من دين الأوروبيين.

(٢) المصدر السابق ص٦٥.



ومن هنا فقد كان نجاح الحركة التبشيرية المسيحية فى هذه المناطق محدوداً تماما، فمعظم من تركوا دينهم فى هذه المناطق ودخلوا دين الأوروبيين لم يكونوا أصلاء، ولم يكونوا من صلب التكوين الثقافي الأصلى لبلادهم، وإنما كانوا من جماعات تعيش على هامش ثقافة بلادها، أو كانت لا تحظى بوضع اجتماعى مريح فى نطاق هذه الثقافة السائدة..

وهناك اهتمام فى الإحصاءات الإرسالية بعدد المتحولين للمسيحية، وبزيادة الأعضاء المنتمين للكنائس المحلية، والمسيحية فى هذا الصدد تختلف إلى حد التناقض مع الإسلام، فرغم أنه دين دعوة كالمسيحية، إلا أنه أقل تباهيا بالداخلين فيه، فالمجتمع الإسلامى يجذب أناسا إلى الإسلام بمجرد قبولهم كإخوة «فى الإسلام»، وهذا الاتجاه لا يتخذه إلا أصحاب دين واثقون من دينهم ثقة عظيمة، ثقة لا تجعلهم يؤكدونها بالإحصاءات، بينما نجد أن المسيحيين الغربيين يمرون بأزمة ثقة فى النفس..».

• • •

إن عبارة «إرادة الله أو مشيئته» (The Will - Of God) موجودة فى الديانتين ـ «المسيحية والإسلام» لكن ارتباطها بحياة المسيحيين والمسلمين مختلف، فبالنسبة للمسيحى عادة ما تعنى إرادة الله المفهوم المعنوى للإرادة (The Moral Will) كما تجلت فى الوصايا العشر (Command ments) أو تتجلى فى الفطرة السليمة للفرد «الحدس أو البديهة» «فإرادة الله بالنسبة لى فيما يتعلق بعمل».

بينما نجد أن المسلم يطبقها على كل ما يحدث، فكل ما يحدث إنما يحدث بإرادة الله ومشيئته. ومرة أخرى نجد أن الدين بالنسبة للمسلم يغطى تقريبا كل جوانب الحياة، بينما هو بالنسبة للمسيحى الأوروبى العادى لا يغطى إلا جانبا يسيراً منها، مع أن كلمة «الدين» العربية هى المقابل لكلمة (Religid) الانجليزية، إلا أن المفهومين مختلفان كما رأينا. لا يمكننا إذن عقد مقارنة، رغم أن الألفاظ واحدة، ومن هنا فليس ثمة معيار أو مقياس (Griterion) بسيط للفصل بين ما هو حقيقى صادق، وما هو زائف خادع..

• • •

لقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقل عن الدينين الأقدمين «اليهودية والمسيحية»، ونقول عن حق: إنه بالفعل كان يفرقهما، أو أنه فعلاً كان متفوقاً عليهما، أو أرقى منهما..».



بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

المنطق العملى

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ «احمد بهجت» المنشورة فى جريدة الاهرام الصادرة فى ٢٠٠٦/٩/٦ قال:

يرى المفكر المسلم مالك بن نبى أن الروابط الدينية ترقد وراء كل مظهر مدنى من مظاهر الحضارة الغربية، ولولا هذا الرباط الدينى ما تحركت أى حضارة لإبداع أشيائها، وهو يلاحظ أن روح الإسلام هى التى أوجدت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامى متجانس.

يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الإسلام بقوله:

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

(الأنفال: ٦٣)

ما الذى تعنيه كلمة دين فى أصلها اللاتينى؟ إنها تعنى الربط والجمع والتأليف، ونحن أحوج ما نكون إلى المنطق العملى فى حياتنا إن العقل المجرد متوافر فى بلادنا، غير أن العقل التطبيقى الذى يتكون فى جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوماً. إن المسلم يتصرف مثلاً فى ٢٤ ساعة كل يوم فكيف يتصرف فيها، وقد يكون لهذا المسلم نصيب من العلم، أو حظ من المال، فكيف ينفق ما لديه؟ وكيف يستغل علمه؟ إننا نرى فى حياتنا اليومية جانباً كبيراً من اللافاعلية فى أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها فى العبث والمحاولات الهازلة.

وإذا ما أردنا حصراً لهذه القضية فإن سببها الأصيل يعود لافتقاد الضابط الذى يربط بين العمل وهدفه، والسياسة ووسائلها، والثقافة ومثلها العليا، والفكرة وتحقيقها.

يرى المفكر الإسلامى أن سياستنا تجهل وسائلها، وثقافتنا



لا تعرف مثلها العليا وأن ذلك يتكرر فى كل عمل تعمله، وفى كل خطوة تخطوها.

وأحياناً يقال إن المجتمع الإسلامى يعيش طبقاً لمبادىء القرآن، ولكن الأصوب أن تقول إنه يتكلم طبقاً لمبادىء القرآن، ولكنه لا يعيش هذه المبادىء لعدم وجود المنطق العملى فى سلوكه، والذى ينقص المسلم ليس منطق الفكرة، لكنه منطق العمل والحركة، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجرداً، ومن هنا يأتى عقمنا الاجتماعى، فنحن حالمون ينقصنا المنطق العملى.

ويرسم المفكر صورة ما يقوله فى الأم التى تريد تربية طفلها، فهى إما أن تبدأه بمعاملة متوحشة وتقسو عليه وإما أن ترخى له العنان وتميع معه، فإذا أبدت إشارة أو أصدرت أمراً شعر الطفل بتفاهة إرادتها فلم يعبأ بها، إذ أن السخف والوهن يطبعان منطق قولها، حتى فى عين هذا الصبى المسكين.

ملايين أمريكا فى الهواء

وفى جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٦/٩/٧ كلمة عن المساعى الحثيثة التى تبذلها الإدارة الأمريكية لتحسين صورتها:

تنفق الولايات المتحدة الأمريكية سنوياً ٧٨ مليون دولار على إذاعة «سوا» وتليفزيون «الحرة» الموجهتين للعالم العربى لتحسين صورة أمريكا فى هذه المنطقة.

واعترف مكتب المحاسبة الحكومى الأمريكى أن كلا الجهازين يفتقر إلى وسائل تحديد نسبة الاستماع والمشاهدة والتحقق مما أسماه بلوغ الأهداف.

والحقيقة أنه مهما ارتفعت جملة الاعتمادات أو توافرت الوسائل للإذاعة والتليفزيون فإنهما لن يستطيعا تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية مادامت السياسة الخارجية الأمريكية على حالها معادية للشعوب العربية والإسلامية مرددة لشعارات مزيفة أصبحت مصبوغة بدماء الأفغان والعراقيين والفلسطينيين واللبنانيين، ولا أحد يدرى من هم التالون.

لقد راهنت السياسة الأمريكية ـ منذ زمن بعيد ـ على إسرائيل قاعدة لها توقف تقدم الشعوب العربية بل تدمر كل قوى التنمية فيها، حتى تظل أسيرة الهيمنة الأمريكية مرتضية الأمر الواقع، وهو ما لن تستطيع أمريكا أو إسرائيل ضمان استمراره للأبد، ولو بقوة السلاح أو شعارات «سوا» و«الحرة»!!

العلم الكردى

وتحت عنوان «العلم الكردى يتحدى النداءات المطالبة بالوحدة» جاءت الدراسة التى أعدها الأستاذ/ محمد عبدالعزيز فى جريدة عقيدتى الصادرة فى ٢٠٠٦/٩/٥ ومما جاء فيها:

يعيش العراق حالياً حالة من التمزق الوطنى والطائفى لم يشهد لها مثيلاً.. فوضى أمنية واقتتال وانفجارات بلغت

ذروتها ويكثر عددها يوماً بعد يوم ومحصلة قتلى ترتفع تبعاً لذلك حتى إن شبح الفتنة الطائفية أصبح يخيم على كافة الأجواء العراقية وعلى جميع الطوائف مما يثير مخاوف الانزلاق نحو تقسيم البلاد إلى دويلات مختلفة لاسيما بعد القرار الذى اتخذه رئيس اقليم كردستان مسعود البرزانى مؤخراً بإنزال العلم العراقى ورفع العلم الكردى على جميع دوائر المؤسسات الحكومية داخل الأقاليم الكردية الثلاثة فى العراق.. بهذا المعنى يكون الاحتلال الأمريكى قد نجح إلى قدر كبير فى تحقيق أول أهدافه التى سعى اليها منذ أن وطأت أقدامه بلاد الرافدين وهى تفتيت وحدة شعبه كى يتمكن بسهولة من السيطرة على العراق وعلى ثرواته وسط هذا الضعف العام والانشغال بالاقتتال الداخلى.

وإذا كانت هجمات بغداد تنذر بنشوب حرب أهلية بين السنة والشيعة فى العراق فإن القرار الذى اتخذه رئيس كردستان العراق مسعود البرزانى بانزال العلم العراقى من المؤسسات فى كافة أقاليم كردستان المكون من ثلاث محافظات يهدد بضرب العراق فى وحدته خصوصاً أن برزانى أشار إلى أنه غير مستعد لرفع العلم العراقى وهو يرفرف فوق أرض كردستان على اعتبار أنه يرمز لفترة وصفها بأنها أشد الفترات سوءاً فى تاريخ العراق وبين النوايا الكردية الجديدة والقديمة للانفصال عن العراق يقع البرزانى فى خطأ تاريخى، فلا علاقة للرئيس العراقى المخلوع صدام حسين بالعلم العراقى الحالى، فهذا العلم الذى يحمل ألوانه الثلاثة الأحمر والأبيض والأسود ويتوسطه نجمتان وعبارة الله أكبر يعتبر رمزاً لكل العراقيين لأنه تقرر فى عام ١٩٦٣ أى قبل مجىء صدام حسين إلى السلطة فى عام ١٩٦٨.

يضاف إلى ذلك أنه بعد حرب عام ١٩٩١ قام البرزانى بزيارة إلى العراق والتقى خلالها بالرئيس العراقى آنذاك صدام حسين ومكث مدة طويلة فى بغداد وكان قد سبقه فى زيارته جلال الطلبانى وتحت هذا العلم بالذات استمرت هذه العلاقات بشكل أو بآخر.

والسؤال الآن هو منذ متى يشعر البرزانى بالكراهية للعلم الحالى الذى يمثل وحدة العراق؟

تأتى الإجابة فى أن البرزانى أراد أن يستثمر حالة التردى والفوضى الأمنية الحالية داخل البلاد فى إنعاش السعى القديم للأكراد بالانفصال بالمحافظات الثلاث عن دولة العراق وبدلاً من الاستجابة لصوت العقل ونداءات من يريدون لم الشمل وتحقيق الوحدة الوطنية أمثال السيستانى وغيره فإنه بذلك يحقق هدية ثمينة للاحتلال الأمريكى الساعى بالأساس إلى تمزيق العراق وإلى مواصلة الاحتلال واستغلال بتروله وثرواته دون مقابل ودون مقاومة.



أزمة دارفور

وتحت عنوان «دارفور وساعة الحساب» جاءت افتتاحية مجلة الأهرام العربي الصادرة في ٢٠٠٦/٨/١٢:

لا تتوقف الولايات المتحدة الأمريكية عن الدوران في الشرق الأوسط.. فهي تدور فيه كما تشاء وترغب، بدأت بتدمير لبنان بآلة إسرائيلية ووضعته تحت الحراسة الدولية بالقرار ١٧٠١، وتتصاعد بضغوطها في محاولة لاحتلال دارفور في غرب السودان بقوات دولية.. وانطلاقاً من العراق الضائع تقفز إلى حصار سوريا وإيران، لكنها لا ترى جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين العلنية والسرية.

فبينما كان كوفي عنان، أمين عام الأمم المتحدة، يزور أنقاض لبنان، كان مجلس الأمن الدولي يعقد جلسة خاصة لإرسال قوات دولية إلى دارفور بعد أن قدم المبعوث الأممي إلى دارفور تقريراً وصف فيه الوضع هناك بأنه «كارثة إنسانية» ولابد من التحرك، والتعجيل بوصول المعونات، ودعم قوات الاتحاد الإفريقي الموجودة في الإقليم، وهذا المطلب قوبل بالرفض من السودان الذي رفض أن يشارك في تلك الجلسة، خاصة أنه قدم اقتراحاً معقولاً بدعم جامعة الدول العربية يقوم على إبقاء القوات الافريقية مع إرسال أكثر من عشرة آلاف جندي سوداني إلى دارفور.

لكن أمريكا وبريطانيا، الحليفتين، في لبنان والعراق وسوريا وكل مكان في الشرق الأوسط، رفضتا هذا الاقتراح، ولا تزالان مصممتين على إرسال قوات دولية إلى غرب السودان، ضمن أجندة لها أهدافها بعيدة المدى، فلو أن هذه القوات تعرضت لأي اعتداء من هذا الطرف أو ذلك، فإن الدول المشاركة فيها لابد أن تسارع إلى حشد مزيد من القوات حماية لأفرادها، وخطتها يختلط الحابل بالنابل ونعود مرة أخرى إلى عصور الانتداب والوصاية الدولية.

واتضح هذا التوجه من خلال زيارة السيدة جنيداي فريزر مساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية للشئون الافريقية إلى السودان، وهي تحمل رسالة من الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى الرئيس السوداني عمر البشير، تضمنت تهديداً بعواقب وخيمة إذا لم يقبل بوجود قوات دولية في شهر سبتمبر الجاري، ولا نفهم سبب الإصرار الأمريكي في وقت توصلت فيه حكومة البشير إلى توقيع اتفاق أبوجا مع المتمردين في دارفور، وفي وقت يشهد فيه الإقليم هدوءاً وعودة للاستقرار، إلا إذا كانت دارفور بيضة الديك الأمريكي، لتحزيم الشرق الأوسط من الغرب بعد أن وضعت أقدامها في الشرق باحتلال العراق.

وإذا كان هذا المخطط يحاصر العرب جميعاً في المنطقة، فإنه بصورة خاصة يضع مصر في مرمى الخطر، فلا ننسى مسألة جبال النوبة ولا نهر النيل الشريان الحيوي.

القدس العربية والهولوكست

وعن القدس العربية كانت كلمة الأستاذة سناء فتح الله المنشورة في جريدة الأخبار الصادرة في ٢٠٠٦/٨/٢٨:

● الهولوكست: صناعة الهولوكست تجارة الهولوكست الحالة النفسية والمزاجية التي تسكن أعماق اليهود من قبل فكرة الإبادة الجماعية التي ادعوا أنهم عاشوها على أيدي النازيين واعتبروا مجرد مناقشتها ـ علمياً ـ كبحوث تاريخية.. عداء للسامية!

فماذا تسمي «الإبادة الجماعية» التي نراها رأي العين من خلال الفضائيات في فلسطين ولبنان وطموحاتهم لتمتد هذه الإبادة لجميع المنطقة العربية.. بالدور.

● ماذا تقول عن تعبير «بوش».. «المسلمون الفاشيست»!

البعض من كبار كبار الباحثين والمؤرخين الأكاديميين أثبتوا كذب هذا الادعاء.. أسبابه ودوافعه، والمؤيدون بدأوا يتقهقرون بعد أن حققوا مآربهم بالكذبة التاريخية ومحاكمها وأناسها وشهودها وكيف اغتالوا من يقف في هذا الطريق، بل كيف استخدموا أجهزة الإعلام لفرض هذه الأكاذيب ومآربهم.

وقد حقق د. رمسيس عوض في كتابه «الهولوكست بين التأكيد والإنكار» وبحياد الأستاذ المؤرخ الباحث في هذه القضية والتي أرى أنها أصبحت تطفو على سطح أحداث اليوم كتحليل نفسي على قدراتهم النفسية واللاإنسانية عندما يركنون إلى قوة تحميهم فتحولوا إلى وحوش بشرية وعمدوا إلى الإبادة الجماعية بكل أركان الجريمة.

● ويذكر نورمان فنكلشتين ان الذين ينكرون الهولوكست في أمريكا قليلون للغاية وأن الولايات المتحدة تضم أكثر من مائة مؤسسة متخصصة في الهولوكست ويذكر أن جيمي كارتر بادر بإنشاء هذا المتحف حتى يسترضي اليهود ويخفف من غضبهم عليه بسبب اعترافه بحقوق الفلسطينيين، وفي الأسبوع الماضي احتفلت ولاية نيويورك بفوز هيلاري كلينتون في انتخابات الولاية ومما ذكر من مواقفها أنها كانت تتعاطف مع الفلسطينيين وأن من حقهم أن يكون لهم وطن خاص بهم والاعتراف بدولتهم المستقلة إلا أنها غيرت رأيها أثناء هذه الانتخابات تقرباً لليهود وأعلنت أن «القدس» يجب أن تكون عاصمة أبدية لإسرائيل وحصلت على ثلاثة وثلاثين مليون دولار دعماً من التبرعات في خوضها انتخابات الرئاسة لتكون أول امرأة رئيسة للولايات المتحدة ومعها مستشارها الأول بيل كلينتون الرئيس السابق لأمريكا.

● إن قصة الهولوكست في الواقع تعتبر الأكذوبة الكبرى التي عاشت قرنين من الزمان، والعديد من الباحثين لهم آراء سواء مؤيدة أو معارضة لهذا المشروع الاقتصادي الابتزازي العبقري الذي لا يكون إلا من قريحة اليهود فكون دولة هي إسرائيل!

فى زمن العولمة

ماذا عن العالم الإســــلامى فى هذا الزمن..؟

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

ذكرنا فى حديثنا السابق مقولة «أولف هانرز»[1] «لقد ودع الجنس البشرى أخيرا ذلك العالم الذى يمكن -بقدر من المصداقية- اعتباره فسيفساء ثقافية

وغنى عن البيان أن الثقافة التى يعنيها «أولف هانرز» وغيره من المتخصصين فى هذا المجال، لا يقف مفهومها عند حد المعرفة النظرية وحدها، وإنما يتسع ليشمل نمط الحياة العامة ومجموعة عادات الشعوب وتقاليدهم، وأساليب تفكيرهم ومعاييرهم وأخلاقهم..!! فالخطر الذى تواجهه ويواجهه معنا كل دول العالم الثالث، لا يكمن فى السياسة الاقتصادية فقط -على ما لها من أثر بالغ فى حياة الشعوب- وإنما يتبعه عدة تحديات أكبر تشكل فى مجموعها تجليات «العولمة» كنظام دولى له تأثيراته التى تشمل كل شئون الحياة البشرية تقريبا: اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وفى مجال حقوق الإنسان والعلاقات الدولية

«فبالنسبة للتجليات الاقتصادية للعولمة تتضح معالمها فى تزايد الاعتماد المتبادل بين اقتصاديات الدول على مستوى العالم ووحدة الأسواق المالية والنقدية وفتح الحدود أمام التجارة الحرة بلا قيود إلا أن أبرز رمز معاصر للعولمة الاقتصادية يظل إنشاء وتأسيس منظمة التجارة العالمية، وإذا كانت غالبية الدول العربية والإسلامية قد وافقت على المعاهدة الخاصة بإنشاء هذه المنظمة التى أخذت على عاتقها فتح الحدود لحرية التجارة وإزالة جميع القيود، وأنماط الدعم التى تفضلها بعض الدول فإن أخطر ما يرتبط بها أنه بعد سنوات قليلة وبعد نهاية فترة السماح التى أعطيت لبعض الدول سيفتح الستار واسعا وعريضا أمام حقبة التنافس العالمى بغير قيود، ويفرض التنافس العالمى أن جميع الدول غنيها وفقيرها ستكون على قدمٍ المساواة، ومن هنا ينبغى أن تلتفت الدول العربية والإسلامية إلى أهمية الارتقاء إلى مستوى المنافسة العالمية.

تحديات العصر

«ويخطئ صناع القرار العرب -وفى العالم الإسلامى بشكل عام- لو ظنوا أن تحديات عصر المنافسة العالمية هى تحديات اقتصادية بحتة تتصل بزيادة الصادرات أو رفع معدلات الإنتاج أو الارتقاء بمستوى الجودة، ذلك أن أخطر التحديات جميعا فى هذا المجال بالذات تحديات ثقافية، وهنا تتم الإشارة على وجه الخصوص إلى الارتفاع الخطير فى معدلات الأمية فى الوطن العربى، والتى تكاد تصل فى بعض التقديرات إلى ٦٠٪، ومعنى ذلك أن ٦٠٪ من الشعب العربى لن يكون قادرا على التعامل بكفاءة مع عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ومع حقبة ثورة الاتصالات الكبرى، ونشوء مجتمع المعلومات العالمى، والتى قد تكون شبكة «الإنترنت» رمزا دالا عليها، وهكذا يمكن القول إن الوطن العربى -والوطن الإسلامى- يحتاجان إلى ثورة تعليمية كاملة لا تقضى على الأمية فقط وإنما تعيد تأسيس مؤسسات التعليم العام من حيث الشكل والمضمون وترفع مستوى الأداء فى المؤسسة الجامعية وفى المراكز البحثية».

«أما بالنسبة للتجليات السياسية للعولمة، فإنه يمكن القول إنها تتركز فى رفع شعارات الديمقراطية أو التعددية الفكرية والسياسية واحترام حقوق الإنسان، وفى مواجهة كل شعار من هذه الشعارات الثلاثة تجابه الدول العربية والإسلامية جميعا تحديات خطيرة فقد

(١) أولف هانرز فى كتاب «الثقافة والعولمة والنظام العالمى» تحرير: أنطونى كينج - ترجمة: شهرت العالم ص١٦١ ضمن مكتبة الأسرة - مصر

قطعت بعض الدول العربية خطوات لا بأس بها في طريق الانتقال من السلطوية إلى الديمقراطية والتعددية السياسية إلا أن هذه التعددية السياسية مازالت مقيدة كما أن عددا لا بأس به من الدول العربية لم يخط الخطوة الأولى في طريق الديمقراطية.. ويمكن القول إن من أخطر تحديات العولمة السياسية ما برز في ميدان العلاقات الدولية حيث أصبح حق التدخل «الأجنبي» سواء لأسباب سياسية أو لأسباب إنسانية يفرض فرضا على بعض الدول أساسا من خلال تحكم الولايات المتحدة وسيطرتها على مجلس الأمن الدولي» [٢]

وليس ببعيد عنا ما حدث لأفغانستان والعراق من تدخل أمريكي سافر تحت ستار المحافظة على النظام العالمي، الذي يحرص على الأمن الدولي والديمقراطية السياسية وما يتهدد كلا من السودان وسوريا الشقيقتين من جانب الولايات المتحدة الأمريكية أيضا تحت سمع وبصر العالم كله.. إذن باختصار شديد وبعد ما مر بنا من تحديات كثيرة ومعقدة نقول مع الأستاذ السيد ياسين: نحن الآن نعيش «ثلاث ثورات متزامنة ومترابطة تحدث في الوقت الراهن:

- الثورة السياسية، وتعني الانتقال من الشمولية والسلطوية إلى الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان
- والثورة القيمية وتعني الانتقال من القيم المادية إلى ما بعد المادية
- والثورة المعرفية وهي تتركز في الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة» [٣] أي إعادة صياغة البشرية كلها وعلى مستوى الكوكب الأرضي صياغة تتحكم في صورتها النهائية اقتصاديات وسياسات وثقافات الدول الغنية الكبرى..!!

فماذا عن العالم الإسلامي في هذا الخضم الهائل؟

غني عن البيان، أننا أمة اختارها الله عز وجل لحمل رسالته إلى أهل الأرض جميعا، وكلفنا بالمحافظة عليها إلى أن تقوم الساعة وهي ليست رسالة تقتصر على الانزواء داخل المساجد ودور العبادة فقط وإنما تمتد لتشمل كل شئون الحياة البشرية، ما دقّ منها وما عظم قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

---

(٢) اقرأ كتاب «الحوار الحضاري في عصر العولمة» للأستاذ السيد ياسين ص٢٥٥ وما بعدها: مكتبة الأسرة

(٣) الحوار الحضاري في عصر العولمة ص٢٢

فالإسلام هو دين العالم أجمع أنزله الله ليعيش الناس في ظل تعاليمه ومبادئه في أمن وسلام وفي رخاء ومودة ليس فقط للمؤمنين به وإنما لكل البشر على ظهر هذا الكوكب الأرضي..!!

ومن هذا المنطلق فقد حثنا على التعامل مع كافة شعوب الأرض غنيها وفقيرها، ومؤمنها وكافرها، إيمانا منه بوحدة الجنس البشري شريطة ألا تُنتهك له حُرمة، ولا يُعتدى على مقدس من مقدساته:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

فالإسلام عالمي النزعة، لا تقتصر آثاره على أرض دون أرض و لا تقف في طريقه أية اعتبارات تعصبية أو جنسية أو عرقية وربما كان هذا هو العامل الأول في انتشاره السريع في شرق آسيا عن طريق التجار المسلمين، وفي غرب أفريقيا عن طريق التعامل الحضاري الرفيع الذي بدا من المسلمين الفاتحين لأهل هذه البلاد دون أن يرغم مسلم واحد أهلها على اعتناقه.

فالإسلام لا يقف حجر عثرة في طريق التئام العالم في وحدة اقتصادية أو سياسية أو ثقافية واحدة، ولا ينزوي بأبنائه بعيدا عن مجريات التطورات العالمية، وإنما يدعو أبناءه للمشاركة في بناء صرح الإنسانية في تطلعاتها الجديدة، لا على أنهم تابعون لغيرهم، وإنما على أنهم مشاركون، وأنهم هم الذين تقع عليهم مسئولية تقويم الأهداف وتصحيح المسار، وتلك هي إحدى تفعيلات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين أمرنا بهما الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم فهي الأمة الوسط وهي بمثابة القلب الذي يضخ لجميع أجزاء الجسم الدماء الصالحة، وبه تكون الحياة النشطة الرشيدة:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

فالوسطية هنا ليست هي الوسطية الحسابية، وإنما هي الوسطية القيادية كما يتوسط القائد جنوده ليمسك بمقاليد حركتهم في وقت السلم والحرب معا.

هذا من جانب مبادئ الإسلام وتعاليمه الصريحة الواضحة لكل أبنائه شعوبا وحكومات فإذا ما التفتنا إلى تحليل موقف العالم الإسلامي من التطورات العالمية الأخيرة الذي ينبغي أن يؤخذ بعين الجدّ والاعتبار لأدركنا أننا أمام نظام دولي جديد، يزحف بموجاته القوية المتلاحقة، والتي لا تنتظر الغافلين حتى يجمعوا أمتعتهم ويحزموا حقائبهم ليفروا من



أمامه، ولذا لن نغلق الأبواب والنوافذ أمام هذا التيار العاتى الذى لا يُبقى ولا يذر، ولنا فى ذلك عدة حقائق ترتكز عليها.

● الحقيقة الأولى: أن ديننا يأمرنا أن نتحاور معهم، وأن نأخذ أفضل ما عندهم، وأن نتعلم لغتهم، ونتعرف على عاداتهم وتقاليدهم لنكون فى مأمن من مكرهم، قال تعالى:

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦)

● الحقيقة الثانية: أننا لا نستطيع - ولن نستطيع - أن نغلق الأبواب والنوافذ فى وجه ثقافة الآخر، فنحن -كما يقال- فى عصر السموات المفتوحة التى تحمل من الثقافات ما يتسلل مع الهواء إلى الرئتين ومن لم يعترف بهذه الحقيقة طواعية فسوف يعترف بها كرها و هو مكمن الخطر فى هذا العصر.

الخير والشر

● الحقيقة الثالثة: أن هذه الثقافات ليست شرا كلها، وإنما هى مزيج من الخير والشر، والكياسة هنا فى أن نختار ما يفيدنا ونترك ما يضرنا فالمؤمن كيّس فطن..!!

ومن خلال هذه المشاركة الفعالة التى هى مطلب جوهرى من مطالب ديننا الإسلامى الحنيف من جانب، والتى تفرضها علينا ضرورة الحياة المعاصرة من جانب آخر لا ينبغى أن نقنع بالدور الذى يرسمه لنا الآخرون فأمتنا ولله الحمد تملك من الوسائل والأسباب ما يمكنها من القيام بالدور الأكبر فى سبيل بناء حياة عالية فاضلة يسودها الأمن والرخاء، والعدل والإنصاف فهى تتوسط العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا كما أنها تمتلك المواد الأولية التى تلزم لإقامة اقتصاد عالمى واسع النطاق فلقد وهب الله هذه الرقعة الإسلامية الواسعة التى تمتد من شرق آسيا إلى غرب أفريقيا، ومن تركيا ودول الاتحاد السوفيتى السابق شمالا إلى جنوب آسيا وما يوازيها من دول وسط وجنوب أفريقيا جنوبا بكثير من الموارد الطبيعية التى لا تقوم أية حضارة بشرية بدونها فضلا عما بها من العلماء، والباحثين البارزين الذين يملأون الأرض علما ورفاهية و ازدهارا فى شتى مجالات الحياة، أليس من الأجدى بنا والعالم يخطو خطواته الأولى فى سبيل تحقيق هذا النظام العالمى الجديد أن نقيم سوقا إسلاميا مشتركة على غرار هذه الكيانات الكبيرة التى تولدت فى عالم اليوم مثل «الاتحاد الأوروبى»، و «النافتا»، و«الآسيان» مما سبقت الإشارة إليه؟!

لقد دعت مصر منذ سنوات -ولا تزال

تدعو- إلى قيام سوق عربية مشتركة تنظم فيها الطاقات وبعدها ترتيب إمكانات البيت العربى وما به من قوى بشرية وعلمية وطبيعية لإقامة مثل هذه السوق، وعندئذ وبعد قيامها فإنها تكون نواة صالحة وقوية لإقامة السوق الإسلامية المنشودة ومما هو مؤكد فى هذه الحالة أن العالم كله سيعمل لها ألف حساب، وسوف يكون للأمة الإسلامية شأنها الكبير فى بناء صرح اقتصادى عالمى واسع النطاق ينعم فى ظله الجنس البشرى كله بدلا من هذا الدور الحالى الذى تقنع فيه هذه الأمة بوضعها الحالى.

بركان هائل يوشك أن ينفجر

إن هذه الأمة لا يليق بها أن تعيش على هامش الحياة العالمية، ولا ينبغى لها أن تقنع بهذا الدور الحالى بحجة أنه يراد لها ذلك كما لا يجوز لها أن تيأس من إصلاح حالها..!! فإذا ما كانت الدولة الإسلامية تعيش الآن فى منطقة الهامش أو ما هو قريب منها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا فإن ذلك ليس نهاية تاريخها فلكم كبت كثير من الأمم ثم نهضت وأخذت زمامها بأيديها نحو الهدف المأمول، وإن أمتنا الإسلامية العربية لن تبدأ من فراغ فلها من المجد والسؤدد ما هو ممتد فى أعماق التاريخ مما يُعدُّ رصيدا قويا ومشرقا تبنى على أساسه، ولها من الثقافة الأصيلة ما يمكنها من أن تتبوأ مركز الصدارة فى وقت قياسى للغاية لتعود إلى قيادة العالم نحو حياة بشرية آمنة ومستقرة بدلا من هذا التخبط الكبير الذى جعل الكوكب الأرضى وكأنه يعيش فوق بركان هائل يوشك أن ينفجر فى وقت قريب، ويومها -لا قدر الله- لن يُبقى على شىء مما حققته الشعوب من حضارة وتقدم اقتطع ثمنهما من قوتها ودمها وراحتها على مدى قرون طويلة..!! والدليل على فداحة ما ستدفعه البشرية عندئذ ما حدث فى الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين لا تزالان محفورتين بأحرف من نار فى ذاكرة الشعوب.. أضف إلى هذا كله أن ما استخدم فيهما من آلات الدمار الشامل يعد بمثابة لعب الأطفال إذا ما قيس بما هو جاهز الآن بالفعل. ومعدٌّ للانطلاق مما تحتوى عليه ترسانات الأسلحة فى الدول الكبرى، وإن أول ما يحفظ للعالم سلامه واستقراره ويعيد إليه توازنه النفسى والأمنى أن ينتشر بين ربوعه الإيمان بالله رب العالمين وما يحيط به من ثقافة إسلامية رفيعة وأصيلة، يعدُّ القرآن الكريم وسنة النبى - ﷺ- منها بمثابة القلب الذى يمدها بالحياة والحيوية المستمرة والمستقرة التى لا تشوبها شائبة تعصب ولا يعتريها زيغ ولا زيف وتلك مهمتنا -نحن المسلمين- فإلى اللقاء فى مقالنا التالى إن شاء الله تعالى.



النبوءة والسياسة

تأليف

جريس هالسيل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

١

لأن الله هو الحق... وعد الخلق بأن يحق الحق بكلماته، وطبع الإنسان ـ على اختلاف جماعاته ـ على ألا تطبق جماعة بكاملها على الباطل؛ فمهما تكثف ظلام الباطل فى أمة، انبثق من بينها شعاع من الحق ولو ضئيلاً، ليكون شاهداً من أهلها يكشف ضلال الباطل!

ففى الوقت الذى ظن فيه فرعون وحاشيته أن ظلام طغيانهم قد أدلهم، وغشّى البسيطة كلها، حتى خيل إليهم أن بمقدورهم حجب الحقيقة، وإزهاق الحق... فى هذا الوقت فوجئوا بشعاع الحق ينساب من بينهم، يبدد هذا الظلام الدامس، قائلاً:

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾

(غافر: ٢٨)

وفى الوقت الذى ظنت فيه امرأة عزيز مصر أنها أحكمت الكيد ليوسف، وألصقت به جريمتها...

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(يوسف: ٢٦-٢٧)

وفى الوقت الذى ظن فيه يهود المدينة أنهم ـ بنفاقهم وإلباسهم الباطل بالحق ـ قد تمكنوا من عزل محمد ﷺ عن الآخرين... ظهر من بين ظهرانيهم (عبدالله بن سلام) الذى كشف باطلهم، وفضح صنيعهم بشرائعهم، وما

أدخلوه على كتبهم من أباطيل ملبسة.

وفى هذه الآونة من العصر الحديث، لما مرد اليهود الصهيونيون على إلباس الحق بالباطل، وما الأهم ـ فى هذه السبيل ـ جماعة المتنمين إلى الأصولية الإنجيلية المسيحية فى أمريكا... نهض من بينهم من يكشف الحقيقة، ويبين ما انطوت عليه توجهاتهم من أكاذيب وأضاليل؛ معتمدين على تحريف النصوص، مستعينين بكل وسائل الإرهاب؛ من فكر، وقهر، وإغراء، ووعيد، ومن خداع وأكاذيب

﴿ يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٨)

وكان من أبرز من قاموا بكشف حقيقة هؤلاء واحدة نبتت فى الكنيسة المسيحية الإنجيلية، وغُذيت بأفكار قساوستها منذ الطفولة، هى (جريس هالسيل) التى أبت سلامة فطرتها إلا أن تقودها لاقتحام حصونهم المنيعة، فترى الحقيقة عارية من ثياب الضلال. وإلا أن تؤدى دورها الإنسانى القويم، فتُرى الآخرين ما رأت هى عن كثب، كاشفة ما يقوم به هؤلاء المليون من أفعال تكاد تهلك الحرث والنسل من أقصى البسيطة إلى أقصاها.

وقدمت رؤيتها فى كتابين متواليين، هما بترتيب نشرهما: (النبوءة والسياسة) و(يد الله).

أما السيدة (جريس هالسيل) فهى من بيت مسيحى إنجيلى معروف فى الولايات المتحدة الأمريكية، تربت وترعرعت على الإيمان بالديانة المسيحية ـ كما وصفت نفسها وقد تعرفت على الحركة التدبيرية ـ إحدى حركات المسيحية الإنجيلية عن قرب حيث حاورت قادتها وفلاسفتها، وأما كتاب (النبوءة والسياسة) وهو الذى سوف نبدأ بتقديمه ـ فهو كتاب يضم ستين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على مقدمتين من المترجم، ومقدمة من الكاتبة، وخمسة عشر مبحثاً وخاتمة.

وقد ترجم الكتاب (محمد السماك)، وقام بطبعه ونشره دار الشروق بالقاهرة سنة ١٤١٨هـ/ سنة ١٩٩٨م، ثم سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

النهاية المدمرة ... هدف منشود

فى المبحث الأول [مع جيرى فولويل فى أرض المسيح... معركة هرمجدون] تعرف السيدة جريس هالسيل بفكر (كلايد) أحد أعوان القس (جيرى فولويل)، ورجل الأعمال المتقاعد الذى تخرج فى الجامعة، والذى بلغ الستينات من عمره؛ فتقرر ـ من خلال حوارها معه ـ: أن (كلايد) يصر على مدينة «مجيدو»

هى المكان الذى سوف تقع فيه معركة «هرْ مجدُون»، التى تحدث عنها القديس يوحنا فى سفْر الرؤية ـ على الرغم من أن سفْر الرؤية لم يتحدث عن معركة هر مجدون، وإنما تحدث عن مكان يدعى : هر مجدون ـ وينقل عن القديس (جون) وصفه لتلك المعركة النهائية، فيذكر : أن مائتى مليون رجل من جيش الشرق سوف يتقدمون نحو الغرب لمدة عام، مارين عبر مجيدو «هر مجدُون»، فيدمرون معظم المناطق الآهلة فى العالم قبل أن يصلوا إلى نهر الفرات الذى سوف يكون جافًا، مما يمكن ملوك الشرق من اجتيازه إلى إسرائيل، تحركهم دوافع الروح الشيطانية للملائكة الذين أُهبطوا إلى الأرض واتبعوا الشيطان فى تمرده؛ فأصبح هؤلاء القادة وجيوشهم ـ من حيث لا يدرون ـ مخالب لتلك الروح الشيطانية.

ويواصل (كلايد) حديثه مقررًا : أن فى هذه المعركة الأخيرة معركة «هرْ مجدُون» تقف قوى الأمم المعادية للمسيح من مختلف أنحاء العالم لتقاتل ضد الملك يسوع وملائكته الرائعة. وكما نعلم فإن المسيح فى معركته التاريخية الأكثر دموية سوف يجتاح الملايين، ويدمر أعداءه؛ حيث يبتلعهم الرب من خلال روح فمه، ويدمرهم من خلال ضوء حضوره، على ما جاء فى الكتاب المقدس ٨ / ٢.

ولما أبدت الكاتبة دهشتها المستنكرة من ضيق هذا المكان عن أن يستوعب مثل هذه الأعداد الضخمة من الجيوش.. أجاب بما هو أعجب وأغرب، فقال : إن هذا ما يشير إليه (حزقيال).

ويواصل (كلايد) حديثه الواصف، مؤكدًا أن المسيح سوف يدمر القوى المتحالفة ضده باستعمال الأسلحة النووية، وأسلحة أخرى جديدة يكون لها الآثار نفسها التى تحدثها القنبلة «النيوترونية»، كما يفهم مما جاء فى زكريا ١٢ / ١٤.

وعلى الرغم مما يلصقه (كلايد) بالمسيح من توجيه الضربة الأولى فى تلك الحرب المدمرة، ومن إسالته الدماء على مدى مائتى ميل حتى تصل الدماء إلى لجمة الخيل... يسترسل قائلاً : إن المسيح سيعود إلى هذه الأرض لإعادة حكم الله، ولتحقيق السلام العالمى، ولتولى قيادة زمام العالم من مركز قيادته فى القدس.

ويخطو (كلايد) خطوة أخرى مع أضاليله تلك التى ينسبها زورًا إلى بعض المقدسات المسيحية... فيذكر : أن الله يفعل ذلك بصورة أساسية من أجل شعبه القديم (اليهود).

ولكنه يدرك ما وقع فيه من تناقض، حيث قرر : أن المسيح سوف يقتل فى تلك المعركة تسعة ملايين يهودى، ثم قرر : أن الله يفعل ذلك من أجل اليهود؛ فيستدرك قائلاً : لقد صمم فترة السبع سنوات هذه

ليطهر اليهود، وليحملهم على رؤية النور، والاعتراف بالمسيح مُخلِّصًا لهم.... إن الله يريد من اليهود أن ينحنوا أمام ابنه الوحيد الذى هو الرب المسيح؛ فبعد أن يبيد الله ثلثى الشعب اليهودى، ـ يخلص أرض إسرائيل، وينضم بنفسه إلى معركة «هرْ مجدُون»، وعنده كل ما يحتاج إليه من أجل تدمير أولئك الذين صمموا على إلحاق الأذى بإسرائيل. وعندما يعود المسيح إلى الأرض سينزل من السماء فوق القدس.

وهكذا... فإن كل التاريخ قد قدره الله مسبقًا، حيث يتمركز ويرتبط بهذه الأمة الإسرائيلية التى هى البؤبؤ فى عين الله.

وتعلق الكاتبة قائلة : من الغريب المذهل أن ما يقوله (كلايد) يؤمن به حرفيًا ملايين الأمريكيين.

والهدف المنشود قريب التحقيق

وفى المبحث الثانى «النهاية قريبة» تؤكد السيدة (جريس هالسيل) دهشتها مما قاله (كلايد) بما يعتمد عليه من أكاذيب بيِّنة؛ لأنها وجدت أن ما ردده (كلايد) يماثل تمامًا ما يقوله القس الإنجيلى (جيرى فولويل) وما يقوله معظم الإنجيليين التليفزيونيين الرئيسيين؛ فهم جميعًا يقررون : أننا نتحرك بسرعة نحو مأساة نووية؛ ففى سنة ١٩٧٠ حذر (بيلى جراهام) من أن العالم يتحرك الآن بسرعة نحو «هرْ مجدُون»، وأن الجيل الحالى من الشباب قد يكون آخر جيل فى التاريخ؛ مستشهدًا على ذلك بما قاله (تابليون) عندما شاهد مكان «هرْ مجدُون»: «إن هذا المكان سيكون مسرحًا لأعظم معركة فى العالم، كما أعلمنا الكتاب المقدس»، وفى سنة ١٩٧٧ قال الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين (س.س.كريب) : «فى هذه المعركة النهائية فإن المسيح الملك سوف يسحق كليًا ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادى للمسيح».

وتقرر السيدة (جريس هالسيل) : أن (هال ليندسى) مؤلف كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» يربط التاريخ بدولة إسرائيل، فيقول : «إن دولة إسرائيل هى الخط التاريخى لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل... ومنذ أصبح اليهود أمة بدأ العد العكسى لحدوث المؤشرات التى تتعلق بجميع أنواع النبوءات.... وهذا يعنى : أن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط ـ وخاصة على إسرائيل ـ فى الأيام الأخيرة؛ فباستطاعتنا الآن أن نرى ذلك يتطور فى هذا الوقت، ويأخذ مكانه الصحيح فى مجرى النبوءات.

وأن (هال ليندسى) علل فى كتابه ما ينسب إلى المسيح من مواجهته مائتى مليون جندى من الشرق مع ملايين أخرى من الغرب يقودها أعداء المسيح... علل



هذا قائلاً: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق، إن العقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللا إنسانية من الإنسان للإنسان. ومع ذلك.. فإن الله يُمكّن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها فى ذلك اليوم».

وتصور السيدة (جريس هالسيل) ما كشفته لها قراءتها ما كتبه (ليندسى) عن حقيقته فى قولها: «إن (ليندسى) لا يبدو عليه الحزن عندما يعلن أن كل مدينة فى العالم سيتم تدميرها فى الحرب النووية الأخيرة، بل إن كلماته تعلن عن سروره البالغ لذلك، كما تراه فى قوله: عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى ـ بحيث يكون كل شخص تقريبًا قد قتل ـ تحين ساعة اللحظة العظيمة؛ فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل.... وسيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودي على قيد الحياة بعد معركة «هر مجدون»، وسينحنى كل واحد منهم ـ الرجل والمرأة والطفل ـ أمام المسيح، وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدأون التبشير ببشارة المسيح».

أما القس (جيرى فولويل) فإن موضوع «هر مجدون» هو المحور الذى يدير حوله قُدّاسه، حيث ينتقى من النصوص التوراتية والإنجيلية ما يوظفه فى تفسيراته وتأويلاته وإضافاته فى التبشير بتحقق هذه المعركة، وتقرير صورة مرعبة لنهاية العالم ـ على نحو ما صوره (ليندسى) ـ منهيًا موعظته بابتسامة كبيرة وهو يقول: «ما أعظم أن نكون مسيحيين.! إن أمامنا مستقبلاً رائعًا». مؤكدًا بكل الوسائل التأثيرية أن «هر مجدون» حقيقة تستوجب شكر الله؛ لأنها ستكون نهاية العامة، ومقررًا: أنه واثق من أنه ومن معه جزء من جيل النهاية، الجيل الأخير الذى لن يغادر قبل أن يأتى المسيح.

الواقع السياسى فى خدمة النبوءة

والسيدة (جريس هالسيل) من حوارها مع القس (جيرى فولويل) تكشف: أنه فى تلبيسه الباطل ثوب الحق.. لا يكتفى بمخاطبة العاطفة الدينية عند المسيحيين، وتحريف نصوص التوراة والإنجيل لتحقيق أهدافه، ولكنه يلجأ إلى العاطفة السياسية عند الأمريكيين كذلك؛ فيوظف ما شُحن به عامة الأمريكيين نحو الشيوعية والاتحاد السوفيتى ـ قبل تحلل الاتحاد السوفيتى وتأكد فشل الشيوعية ـ فيربط بين نبوءة النبى حزقيال التى تشير إلى عودة المسيح السريعة، فيقول: «هناك تطورات جرت أخيرًا فى روسيا تؤكد نبوءة النبى حزقيال؛ فهؤلاء الشيوعيون هم كارهو الله. إنهم رافضو المسيح، وهدفهم الأبعد هو السيطرة على العالم، ومنذ ٢٦٠٠ سنة تنبأ النبى العبرانى حزقيال: أن مثل هذه الأمة ستقوم إلى الشمال من فلسطين قبل وقت قصير من العودة الثانية للمسيح.

وفى الفصلين ٣٨، ٣٩ من حزقيال نقرأ أن اسم هذه الأرض هو «روش» ويذكر اسم مدينتين من «روش» هما «ميشين»، و«توبال».

إن الأسماء هنا تبدو مشابهة بشكل كبير إلى «موسكو»، و«تيبولسك» العاصمتين الحاكمتين فى روسيا اليوم... كذلك كتب حزقيال أن هذه الأرض ستكون معادية لله، وأنه من أجل ذلك سيكون الله ضدها.

وقال حزقيال أيضًا: إن روسيا ـ أو رُوش ـ سوف تغزو إسرائيل فى الأيام الأخيرة، وسوف يتم هذا الغزو بمساعدة حُلفاء مختلفين لروش. ولقد سمى هؤلاء الحلفاء: إيران وجنوب أفريقيا أو أثيوبيا، وشمال أفريقيا أو ليبيا، وأوروبا الشرقية.

وذكر أن الهدف من هذا الغزو هو النهب (Spoil)، فإذا حذفنا أول حرفين من هذه الكلمة تبين أن الروس سيكونون بالفعل وراء النفط (Oil)، وهذا ما نجد عليه أنفسنا اليوم.

هذه رؤيا حزقيال فيما يتعلق بروسيا، كما لفقها القس (جيرى فولويل).

والسيدة (جريس هالسيل) تلاحظ ـ من حوارها مع القس (جيرى فولويل) ـ: أنه يعتقد عدم دوام اتفاقيات السلام إلا إذا كان ثمرة جلوس الإله المسيح على عرش داود فى القدس؛ فذلك هو السلام الحقيقى. أما السلام الذى توفره الاتفاقيات ـ مثل اتفاقية كامب ديفيد ـ فهو سلام لن يدوم.

والسيدة (جريس هالسيل) تقرر: أن ما رصدته فى حوارها مع القس (جيرى فولويل) من أفكار ورؤى يتوافق تمامًا مع ما صرح به فى لقائه مع الصحفى (روبرت شير) لنشره فى صحيفة (لوس أنجلوس تايمز) فى الرابع من مارس سنة ١٩٨١، والذى ختمه بقوله: «أعتقد أننا واصلون إلى المأزق. إن كل التاريخ يصل إلى الذروة، وأنا لا أعتقد أنه بقى أمامنا خمسين سنة أخرى. إننى لا أعتقد أن أطفالى سيعيشون حياتهم الكاملة».

وأنه يتوافق تمامًا مع ما جاء فى كتابه «الحرب النووية والمجىء الثانى لعيسى المسيح» الذى نشر سنة ١٩٨٣، حيث تنبأ فى فصل عنوانه «الحرب القادمة مع روسيا»... تنبأ بغزو سوفيتى لإسرائيل، يعقبه القضاء على القوات السوفيتية فى جبال إسرائيل؛ فإن النصوص فى حزقيال ٣٩/٢ تخبر أن ٨٣٪ من الجنود السوفييت سوف يدمرون، وبذلك يبدأ أول احتفال للرب، ويجرى احتفال آخر بعد معركة «هر مجدون»، وسيتوقف التهديد الشيوعى إلى الأبد، وسيستغرق دفن الموتى سبعة أشهر.

ريجان ... على طريق كلايد وفولويل

وفى المبحث الثالث (ريجان: التسلح من أجل «هر مجدون» حقيقة) تنقل السيدة (جريس هالسل) عن (أندرو لنج) مدير الأبحاث فى المعهد المسيحى قوله سنة ١٩٨٥ عن (رونالد ريجان): «إن ريجان كان مؤمنا بالتدبيرية، وبأيديولوجية «هر مجدون»؛ فقد كان أصوليا يقرأ الكتاب المقدس كما يقرأ قاموسا ليتنبأ بالمستقبل مثل (فولويل)، و(هول ليندسى)، و(بات روبرتسون) وغيرهم ممن يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية، أو الكوارث الطبيعية، والانهيار الاقتصادى، والفوضى الاجتماعية. وفى نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون ثانية مع المسيح ـ كقائد عسكرى ـ لخوض معركة «هر مجدون» ولتدمير أعداء الله، وليحكموا الأرض لمدة ألف سنة.

وقد وجه (ريجان) إلى هذا المعتقد تأثره فى طفولته بأمه ـ وكانت شديدة التأثير عليه فى كل شأن من شئون الحياة ـ وتأثره بعد أمه بأصدقائه المقربين، وكانوا يعتنقون التدبيرية، ويؤمنون بأن الله سوف يقدم امتيازات خاصة لشعبه المختار.

ومع اشتغاله بحكم واحدة من أكبر الولايات الأمريكية ... وجد الوقت الذى يسر له البحث فى الكتاب المقدس، والتوصل إلى تقبل المبدأ الذى يقول: «إن الله حكم على ملايين البشر الذين يعيشون اليوم بأن يقتلوا فى معركة نهائية تدعى «هر مجدون».

وقد ظل (ريجان) على هذا المعتقد، كما وضح من أحاديثه المتوالية ـ المعلنة وغير المعلنة ـ وكما بينته المؤشرات التى ظهرت عليه سنة ١٩٧١، وأشارت إلى أنه كان مؤمنا بالتدبيرية، ومعجبا بإسرائيل.

ويروى (جيمس ميلز) الرئيس السابق لمجلس الشيوخ فى ولاية «كاليفورنيا» فى مجلة «سان دياجو» فى أغسطس سنة ١٩٨٥ عن ريجان قوله: «إن حزقيال رأى فى العهد القديم المذبحة التى ستدمر عصرنا. ثم تحدث بتركيز لاهب عن «ليبيا» لتحولها إلى الشيوعية، وأصر أن فى ذلك إشارة إلى يوم «هر مجدون» لم يعد بعيدا، كما أصر على ضرورة أن تكون «أثيوبيا» واحدة من الأمم المعادية لله التى تحارب «إسرائيل».

كما نقل قوله: «إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل «هر مجدون» قد مرت؛ ففى الفصل ٣٨ من حزقيال: إن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين، حيث سيكونون مشتتين، ويعودون جميعهم إلى الأرض الموعودة. ولقد تحقق ذلك أخيرا فبعد ألفى سنة ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه، بانتظار معركة «هر مجدون»، والعودة الثانية للمسيح»، ويستطرد ريجان قائلا: «إن حزقيال يخبرنا أن يأجوج ومأجوج هى الأمة التى ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتى من الشمال. إن أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال: إن يأجوج ومأجوج يجب أن تكون روسية؛ فلا شىء من الأمم القديمة الأخرى الموجودة شمال إسرائيل سوى روسيا، وبعد الثورة الروسية أصبحت دولة شيوعية ملحدة، فوضعت نفسها ضد الله لتنطبق عليها مواصفات يأجوج تماما.

وقد سبق لريجان أن كرر هذا الكلام سنة ١٩٧٦ فى مقابلة سجلها معه (جورج أوتيس) مضيفا: أنه سوف ينقذ من تلك المجزرة الرهيبة خلال الحرب النهائية لشعوره اليقينى بأنه مولود مرة ثانية.

وفى المقال الذى نشره (جيمس ميلز) فى مجلة (سان دييجو) قال: «إن ريجان ـ كرئيس ـ أظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته، تمشيا مع إرادة الله، وذلك كأى مؤمن آخر يحتل منصبا عاليا ... إن سياسات الرئيس ريجان الداخلية والمالية منسجمة مع التفسير اللفظى للنبوءات التوراتية/ الإنجيلية، ولا أدل على ذلك من إعلانه: إن «هر مجدون» لا يمكن أن تحدث فى عالم منزوع السلاح»... حتى أصبح لا أحد يسبق الولايات المتحدة فى تكديس المزيد من الأسلحة؛ فقد جاء فى صحيفة «الواشنطن بوست» فبراير سنة ١٩٨٦: «إن الإدارة الأمريكية اقترحت مواصلة البناء العسكرى فى السنوات الخمسين المقبلة».

هنتنجتون

وكأنى بالسيدة (جريس هالسيل) تسخر من تلك النبوءة القائمة على التزوير والتضليل، حيث تؤكد الواقع والأحداث بطلانها وتفاهتها بعد أن تحلل الاتحاد السوفييتى، وبعد أن لحقت الشيوعية بغيرها من المذاهب الاقتصادية والاجتماعية، فلم يعد هناك وجود لذلك العدو الذى يواجهه المسيح فى حرب الإبادة.

وكأنى بها تومئ إلى أن «هنتنجتون» أراد أن يوجد البديل الذى سيواجهه المسيح عند عودته ـ حتى لا تخبو جذوة هذا التضليل ـ فاخترع قصة صراع الحضارات ليكون الإسلام هو العدو الذى سيواجهه المسيح.


يتبع

قراءة نقدية فى قرار مجلس الأمن ١٧٠١

للأستاذ/
صلاح عبد الرحيم محمد

كانت مفاجأة أذهلت الصديق قبل العدو هذا الصمود الشامخ الذى ظل عليه مقاتلو حزب الله حتى صدور قرار مجلس الأمن الدولى ١٧٠١ بوقف العمليات العدائية بين الجيش الإسرائيلى، الذى عاث فى لبنان تدميراً وتخريباً، وحزب الله عنوان المقاومة الشرة للشعب اللبنانى لتحرير الأرض والدفاع عن العرض والكرامة، أمام غطرسة الآلة العسكرية الإسرائيلية، التى تزعم وسائل الإعلام الصهيونية أنها لا تُقهر..

ولقد جاء صدور القرار ١٧٠١ فى الثانى عشر من أغسطس ٢٠٠٦ يعكس الانتكاسة التى أصابت الجيش الإسرائيلى على مسرح العمليات العسكرية سواء فى الجنوب اللبنانى أو فى العمق الإسرائيلى، على الرغم من صواريخه، ومدافعه، ومدرعاته، وطائراته، وبوارجه البحرية، التى اخفقت فى النيْل من حزب الله، وصمود الشعب اللبنانى. ومع العجز الإسرائيلى عن تحقيق أهداف الحملة العسكرية على لبنان، واليقين الأمريكى الذى لا يشوبه أدنى شك فى عدم قدرة القوات الإسرائيلية على القضاء على مقاتلى حزب الله، كان تبلور قرار وقف العمليات الحربية، وصدوره بعد مفاوضات مضنية وصعبة، بصورته الحالية، بما فيها من سلبيات كثيرة، وإيجابيات نادرة، وبموافقة إسرائيل ولبنان عليه، أصبح سارى المفعول ابتداء من الرابع عشر من أغسطس ٢٠٠٦، ويبدو أن هذا القرار ١٧٠١ صدر فى الأساس من أجل تعويض عجز القرارين ١٥٥٩ (٢٠٠٤)، ١٦٨٠ (٢٠٠٦) عن تجريد حزب الله من سلاحه، حيث طالب القرار بتنفيذ القرار ١٥٥٩ الخاص بنزع سلاح الميلشيات بما فيها سلاح حزب الله، حيث لم ينص القرار ١٧٠١ صراحة على نزع سلاح حزب الله.

اعتراف دولى بحزب الله

والمثير للانتباه انه لأول مرة يشكل هذا القرار اعترافاً رسمياً ودولياً بحزب الله كتنظيم رسمى ذى قدرات عسكرية، برغم أنف الذين صاغوه، وإن من ملامح هذا القرار البارزة والمميزة له أنه:

أولاً: دعوة إلى وقف العمليات العدائية، وبسط السيادة اللبنانية على الجنوب اللبنانى وتعزيز القوات الدولية «يونيفل» العاملة فى الجنوب اللبنانى بنحو ١٥ ألف جندى، واستمرار عمل هذه القوات بموجب الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة، وإسقاط العمل بموجب الفصل السابع الذى يدعو إلى استخدام القوة المسلحة فى تنفيذ القرار.

● ثانياً: سعى القرار ١٧٠١ إلى ترحيل القضايا الجوهرية مثل الإفراج عن الأسرى اللبنانيين، والانسحاب من مزارع شبعا وكفر شوبا، إلى مرحلة ما بعد وقف العمليات الحربية، واكتفى القرار بالنص على مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة (كوفى أنان) أن يقدم بالتنسيق مع الأطراف الدولية والأطراف المعنية «اقتراحات» لتطبيق البنود المرتبطة باتفاق الطائف، والقرارين، ١٥٥٩ (٢٠٠٤)، و ١٦٨٠ (٢٠٠٦) بما فى ذلك نزع سلاح حزب الله، وترسيم الحدود الدولية بين لبنان وسوريا، وخصوصا الحدود المتنازع عليها أو غير الواضحة ومنها مزارع شبعا، وهذا تعمد مقصود يصب فى صالح إسرائيل، وليس فى صالح الحل العادل والدائم.

● ثالثاً: عدم تبنى القرار «المطلب اللبنانى» بشأن خطة النقاط السبع بأن تنسحب إسرائيل من مزارع شبعا، ووضعها تحت الوصاية الدولية للأمم المتحدة إلى حين ترسيم الحدود السورية ـ اللبنانية وهو تعطيل لحل هذه المسألة الجوهرية.

● رابعاً: عدم النص فى القرار على تبادل الأسرى بين إسرائيل وحزب الله، بل اكتفى بالنص على الإفراج الفورى غير المشروط عن الجنديين الإسرائيليين واستخدام عبارة لا تحمل أى معنى للإفراج عن الأسرى اللبنانيين فى السجون الإسرائيلية وهى «تسوية أوضاعهم» وكان الأولى الربط بين الأمرين فى آن واحد.

● خامساً: إن هذا القرار بما يحتويه من صيغ عامة، ليس إلا دعوة للطرفين لوقف القتال وليس وقفا دائما لإطلاق النار أى أنه مجرد «هدنة» قابلة للانفجار فى أى وقت، وفرصة إضافية لالتقاط الأنفاس لجولة أخرى.

● سادساً: إن القرار ١٧٠١ لم يحدد موعداً معيناً للانسحاب الإسرائيلى من الجنوب اللبنانى، كما لم يعين وقتا محدداً لعملية انتشار القوات الدولية التى لم تتشكل حتى الآن بحدها الأقصى وقدره ١٥٠٠٠ جندى. وفى هذا الصدد يقول الرئيس الأمريكى «جورج بوش» فى مؤتمر صحفى فى البيت الأبيض فى ٢١/٨/٢٠٠٦: «إن الحاجة ملحة لنشر القوة الدولية فى لبنان» وأضاف قوله: «إن قراراً جديداً لمجلس الأمن سيصدر ليحدد مهمة القوات الدولية وإطار عملها فى لبنان، ولاشك أن هذا الأمر يساعد على توتر الأوضاع بين الجانبين.

• سابعاً: أكد القرار أهمية وجود منطقة أمنية عازلة بين الخط الأزرق ونهر الليطاني والهدف واضح هو منع تواجد حزب الله فيها وهنا يقول «جورج بوش»: إن نشر القوات الدولية والجيش اللبناني في الجنوب اللبناني فرصة لإنشاء منطقة أمنية عازلة، ومع الوقت يتم نزع سلاح حزب الله.

إسرائيل تحتفظ لنفسها بحق العدوان

• ثامناً: إن القرار ١٧٠١ صدر من أجل حماية شمال إسرائيل من صواريخ حزب الله الذي يطالب بانسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي من مزارع شبعا وكفر شوبا، السبب الجوهري لهذه الأزمة التي يملك حلها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. وإلى أن يتم صدور القرار الجديد الثاني بتشكيل القوات الدولية، ومهامها وإطار عملها في الجنوب اللبناني، فإن إسرائيل لن يمنعها أحد من مواصلة انتهاكها للقرار ١٧٠١ ومواصلة حصارها البري والبحري للبنان وانتهاك مجاله الجوي المستمر، ويؤكد ذلك، ما أعلنه «إيهود أولمرت» مؤخراً: «إن إسرائيل لن تكف عن ملاحقة حزب الله على رغم وقف النار، وهؤلاء لن يفلتوا.. سنلاحقهم في كل مكان وزمان، فهذا واجبنا الأخلاقي، وليست لدينا النية للاعتذار، وطلب إذن من أحد».. وأضاف «أولمرت»: «إن إسرائيل لن تغض الطرف عن أي خرق، وتحتفظ لأنفسنا بحق الرد بكل قوة بحسب ما نراه مناسباً».

وفي هذا الإطار فإن القرار ١٧٠١ يشير إلى ١٩ فقرة هي مجموع ما يحتويه، استهلها بالدعوة إلى وقف تام للأعمال القتالية على أساس وقف حزب الله الفوري لجميع الهجمات، ووقف إسرائيل الفوري لجميع العمليات العسكرية الهجومية.

وجاءت الفقرة «٢» تطالب حكومة لبنان وقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، عند توقف الأعمال القتالية، بنشر قواتهما في الجنوب اللبناني، مع سحب إسرائيل جميع قواتها من جنوب لبنان بشكل مواز لهذا الانتشار.

كما أكدت الفقرة «٣» أهمية بسط سيطرة حكومة لبنان على جميع الأراضي اللبنانية وفق أحكام القرار ١٥٥٩ «٢٠٠٤»، والقرار ١٦٨٠ «٢٠٠٦»، مع ممارسة كامل سيادتها حتى لا تكون هناك أي أسلحة دون موافقة حكومة لبنان، ولا سلطة غير سلطة حكومة لبنان.

واللافت أن الفقرات من ١-٧ من هذا القرار والتي تتضمن وقف العمليات العدائية، ونشر الجيش اللبناني والقوات الدولية في الجنوب اللبناني مع الانسحاب الإسرائيلي المتزامن مع هذا الانتشار، تمثل المرحلة الأولى من القرار ١٧٠١. أما المرحلة الثانية من هذا القرار فتبدأ من الفقرة «٨» التي تنص على:

أنه على لبنان وإسرائيل دعم وقف دائم لإطلاق النار، وحل طويل الأجل استناداً إلى عدد من المبادئ والعناصر التالية:

• الاحترام التام للخط الأزرق من جانب كلا الطرفين.

• اتخاذ ترتيبات أمنية لمنع استئناف الأعمال القتالية بما في ذلك إنشاء منطقة بين الخط الأزرق ونهر الليطاني، خالية من أفراد مسلحين أو معدات أو أسلحة بخلاف حكومة لبنان وقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان وفق ما انتهت به الفقرة «١١».

• التنفيذ الكامل للأحكام ذات الصلة من اتفاق الطائف والقرارين ١٥٥٩ «٢٠٠٤» و١٦٨٠ «٢٠٠٦» التي تطالب بنزع سلاح كل الجماعات المسلحة في لبنان حتى لا تكون هناك أي أسلحة أو سلطة في لبنان عدا ما يخص الدولة اللبنانية.

• منع وجود قوات أجنبية في لبنان من دون موافقة حكومته.

• منع مبيعات أو إمدادات الأسلحة والمعدات ذات الصلة إلى لبنان بخلاف ما تأذن به حكومته.

• تزويد الأمم المتحدة بجميع الخرائط المتبقية للألغام الأرضية في لبنان الموجودة بحوزة إسرائيل. والهدف من هذه الفقرة هو تجريد حزب الله من سلاحه، ومنع إمداده بأي سلاح.

كما تشير الفقرة «١٠» من القرار إلى مسائل نزع السلاح وترسيم الحدود الدولية ومزارع شبعا، فهي تطلب من الأمين العام للأمم المتحدة أن يضع بالاتصال مع الأطراف الرئيسية الدولية والأطراف المعنية «اقتراحات» لتنفيذ الأحكام ذات الصلة بين اتفاق الطائف والقرارين ١٥٥٩ «٢٠٠٤» و١٦٨٠ «٢٠٠٦» بما في ذلك نزع السلاح، ولترسيم الحدود الدولية للبنان، لاسيما في مناطق الحدود المتنازع عليها وغير المؤكدة بما في ذلك معالجة مسألة منطقة مزارع شبعا، وعرض تلك الاقتراحات على مجلس الأمن في غضون ثلاثين يوماً.

قضية شبعا

وكما ترى فإن الأمين العام للأمم المتحدة مكلف بإجراء الاتصالات مع الأطراف بهدف تقديم الاقتراحات لمجلس الأمن لتنفيذ القرارات ١٥٥٩ و١٦٨٠ المتعلقة بنزع سلاح الميلشيات بما فيها سلاح حزب الله، وأيضا ترسيم الحدود بين لبنان وسوريا لتحديد ملكية مزارع شبعا أهي سورية أم لبنانية. وكان الأجدر الأخذ بخطة السبع نقاط اللبنانية، ومنها الانسحاب الإسرائيلي من مزارع شبعا ووضعها تحت وصاية الأمم المتحدة لحين ترسيم الحدود الدولية. لكن يبدو أن القرار جاء استجابة للمطلب الإسرائيلي بترحيل مسألة المزارع لمرحلة لاحقة حفظا لماء وجه إسرائيل تعويضا لخسارتها العسكرية الكبيرة أمام حزب الله.

وتتحدث الفقرة «١١» فتقول «يقرر، كي يتسنى تكميل وتعزيز قوة الأمم المتحدة من حيث العدد، والمعدات، والولاية، ونطاق العمليات، أن يأذن بزيادة قوام قوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان إلى حد أقصى قدره ١٥٠٠٠ جندي وأن تتولى هذه القوات المهام التالية:



أ- رصد وقف الأعمال القتالية.

ب- مرافقة ودعم القوات المسلحة اللبنانية في جميع أرجاء الجنوب بما في ذلك على طول الخط الأزرق، وأثناء انسحاب إسرائيل بقواتها المسلحة.

(ج) تنسيق أنشطتها المتصلة بأحكام الفقرة (١١) «ب» مع حكومة لبنان

(د) تقديم مساعدتها لكفالة وصول المساعدة الإنسانية إلى السكان المدنيين والعودة الطوعية والآمنة للمشردين.

(هـ) مساعدة القوة المسلحة اللبنانية في اتخاذ خطوات ترمي إلى إنشاء المنطقة المشار إليها في الفقرة الثامنة وهي يعني إنشاء منطقة أمنية عازلة تستبعد وجود قوات حزب الله فيها لحماية شمال إسرائيل من أي هجوم صاروخي من جانب الحزب.

(و) مساعدة حكومة لبنان بناء على طلبها في تنفيذ أحكام الفقرة ١٤.

التلاعب بالصياغة

وهنا قد يرى البعض أن عبارة «بناء على طلبها» يمكن ترجمتها وكأن الأمر كله بيد الحكومة اللبنانية، فلا محاسبة، أو مراقبة من جانب الأسرة الدولية غير أن التعبير «بناء على طلبها» الهدف منه احترام سيادة الحكومة اللبنانية كوسيلة لدعم هذه السيادة، ولا يعني إطلاقاً أن الحكومة اللبنانية حرة في عدم تنفيذ بنود القرار، ولن يحاسبها أحد كما يلاحظ أن المادة (١١) من القرار ١٧٠١ تستخدم لفظ «يقرر» عند الحظر العسكري وهي من الألفاظ المستخدمة بصفة عامة بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة على الرغم من إسقاط هذا الفصل - الذي يجيز استخدام القوة لتنفيذ أي قرار - من هذا القرار ١٧٠١. وهذا تشدد مقصود في الصياغة، وتحيز لإسرائيل، كما جاء في الفقرة (١٥) من القرار «أن تتخذ جميع الدول ما يلزم من تدابير لمنع القيام من جانبها مواطنيها انطلاقاً من أراضيها أو باستخدام السفن والطائرات التي ترفع علمها بما يلي:

أ- بيع أو تزويد أي كيان أو فرد في لبنان بأسلحة، وما يتصل بها من عتاد من كل الأنواع بما في ذلك الأسلحة والذخيرة والمركبات والمعدات العسكرية والمعدات شبه العسكرية وقطع الغيار لما سبق ذكره سواء أكان منشأها من أراضيها أو من غيرها.

ب- تزويد أي كيان أو فرد في لبنان بأي تدريب أو مساعدة تقنية تتصل بتوفير أو تصنيع أو صيانة واستخدام المواد المدرجة في الفقرة الفرعية (أ) أعلاه فيما عدا أن تدابير هذا المنع لا تنطبق على الأسلحة وما يتصل بها من العتاد والتدريب والمساعدة مما تأذن به حكومة لبنان، أو قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان وفق ما أذنت به الفقرة (١١)». يُلاحظ أن هذه الفقرة يبدو أنها موضوعة بهذه الصياغة لإغلاق جميع المنافذ أمام حزب الله للحصول على أية أسلحة أو معدات عسكرية من أي مصدر حتى لا يمكنه استرداد أرضه السليبة في شبعا وكفر شوبا، ومحاولة لإضعاف قوته، وتجريده من سلاحه. وفي هذا

الصدد توجه «كونداليزا رايس» وزيرة الخارجية الأمريكية الاتهامات إلى إيران وسوريا فتقول: «إن هناك قوى خارجية تعمل في لبنان، وأن على الجميع أن يقنع هذه القوى الراعية للإرهاب بأنهم لا يمكن أن يستمروا في تعريض المنطقة لمثل هذه الأخطار» وأضافت قولها: «إن على سوريا التزامات بموجب القرار ١٥٥٩ (٢٠٠٤) فيما يتعلق بسيادة لبنان، وعليها أن تفي بها».

تعويض سياسي لإسرائيل

وفي الختام أريد التأكيد على عدد من الملاحظات التي قد يكون بعضها ذُكرت من قبل، حول القرار ١٧٠١ بسبب أهميتها الكاشفة عن الدور الأمريكي في كيفية صياغته بالشكل الذي يوحي بأن إسرائيل انتصرت سياسياً، تعويضاً لخسارتها العسكرية أمام حزب الله، ولعلاقتها الجوهرية بعدد من المسائل الجوهرية في الأزمة اللبنانية، وهي:

● أولاً: أن القرار لم يعكس «خطة النقاط السبع» التي قدمتها الحكومة اللبنانية إلى مجلس الأمن وهو يكشف استخفاف متعمد بهذه الخطة العربية من جانب الولايات المتحدة، المسيطرة على مجلس الأمن، والموجهة لقراراته.

● ثانياً: أن القرار حمّل حزب الله وحده مسئولية الحرب، وتدمير البنية التحتية في لبنان، وتجاهل إدانة إسرائيل في هذا الصدد.

● ثالثاً: تحدث القرار عن إطلاق غير مشروط للجنديين الإسرائيليين، ولم يربط بينهما وبين الإفراج عن الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية، للإيحاء بأنه إسرائيل حصلت سياسيا على ما لم تحصل، عليه عسكرياً لتحسين صورتها أمام العالم.

● رابعاً: تحدث القرار عن وقف العمليات العسكرية، وليس عن وقف إطلاق النار، فالفارق بينهما واضح، إذ أن الأولى تمثل شكلاً من أشكال الهدنة التي تعطي إسرائيل الفرصة لمواصلة عدوانها بحجة الدفاع عن النفس.

الهدف الحقيقي

● خامساً: تحدث القرار عن نشر الجيش اللبناني وقوات الأمم المتحدة (يونيفيل) العاملة في الجنوب اللبناني، مع انسحاب للقوات الإسرائيلية مواز لهذا الانتشار ولم يتحدث عن انسحاب فوري من دون قيد أو شرط.. وهو ما يعني أن القرار صدر لمكافأة المعتدي والمحتل الاسرائيلي، وإعطائه فرصة إضافية للعدوان على لبنان، وتثبيت احتلاله، ومواصلة انتهاكه لهذا القرار إلى حين إتمام الانتشار.

● سادساً: إن المنطقة الأمنية العازلة التي أشارت إليها الفقرات ٢، ٣، ٨ من القرر ١٧٠١ بين الخط الأزرق ونهر الليطاني، استهدفت استبعاد المقاومة منها، لحماية شمال إسرائيل.

وأخيراً يمكن القول بأن هذا القرار ما هو إلا قرار يرمي في الواقع إلى «تجريد حزب الله من كل أسلحة المقاومة» إذ أن الكثير من فقراته الـ ١٩ تدور حول هذا الهدف، الذي لم يُنص عليه صراحة في هذا القرار.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

العناية بطلب العلم

● روى أن داود قال لابنه سليمان – عليهما السلام: لف العلم حول عنقك، واكتبه في ألواح قلبك.

● وروى أنه قال له أيضا: اجعل العلم مالك والأدب حليتك.

● وقيل لأبى عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم.

● وقال عروة بن الزبير لبنيه: يا بنى اطلبوا العلم فإن تكونوا صغارا لا يحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم.

● وروى عن أحد ملوك الهند أنه قال لولده وكان له أربعون ولدا: يا بنى أكثروا من النظر في الكتب وازدادوا في كل يوم حرفا فإن ثلاثة لا يستوحشون في غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى.

● وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلا عند زراد أو وراق.

قالـوا.....

● تعايش الناس زمانا بالدين والتقوى، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والذم، ثم رفع ذلك، فما يتعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة، وأظنه سيجيئ ما هو أشد من ذلك.

● من نافسك في دينه فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

● ما أحسن الرجل ناطقاً عالماً، ومستمعاً واعياً، وداعياً عاملاً.



● من سمع كلمة يكرهها فسكت عنها انقطع عنه ما يكره، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره.

● لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى أنت فيه، فإن يك من أجلك يأت فيه رزقك، وأعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك.

قبل أن أسلم

روى الحافظ ابن كثير عن عمر بن الخطاب– رضى الله عنه– قال: خرجت أتعرض رسول الله– ﷺ– قبل أن أسلم، فوجدته سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة «الحاقة» فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت في نفسى هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾

(الحاقة: ٤٠، ٤١)

فقلت كاهن، فقرأ:

﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

(الحاقة: ٤٢)

إلخ السورة، قال: فوقع في قلبى الإسلام كل موقع، حتى هدانى الله تعالى له.

هل يصلح العطاء؟

من الشعر الطريف، وصف شاعر لزوجته التى رغم وضوح كبر سنها إلا أنها تصر على أنها لازالت صبية شابة:

عجوز ترجى أن تكون فتية
وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة بيتها
وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

مثل هذا فافعل

قال الجاحظ: أخذتنى امرأة إلى نجار، فقالت له: مثل هذا افعل، فبقيت مبهوتا، وسألت النجار عن ذلك؟ فقال النجار: هذه المرأة سألتنى أن أعمل لها صورة عفريت تفزع به ابنها إذا بكى، فطلبت منها مثالا فجاءت بك.

نصيحة

لأبى العتاهية:

أذلّ الحرص والطمع الرقابا
وقد يعفو الكريم إذا استرابا
إذا اتضح الصواب فلا تدعه
فإنك قلما ذقت الصوابا
وكل سلامة تعد المنايا
وكل عمارة تعد الخرابا

وكل مُملك سيصير يوما
وما ملكت يداه معا ترابا
كأن محاسن الدنيا سرابٌ
وأيُّ يدٍ تناولت السرابا
ألم تر أنَّ غدوة كل يوم
تزيدك من منيتك اقترابا

جئتكم من السماء

مر طفيلي على قوم كانوا يأكلون، وقد أغلقوا الباب دونه، فتسور عليهم من الجدار، وقال: منعتموني من الأرض فجئتكم من السماء.

لا أزال الله عنك نعمة

سألت هند بنت النعمان سعيد بن العاصى حاجة فقضاها، فدعت له، فقالت:

لا أزال الله عنك نعمة، ولا أحوجك إلى لئام الناس عند حاجة، وإذا زالت عن كريم نعمة يجعلك الله سببا لردها عليه.

سائل الرجعة عند الموت!!

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس: «اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفّار!! فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآنا:

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾

[سورة المنافقون ١٠]

حتى فى القبور!!

قال الشاعر:

أرى أهل القصور إذا أميتوا
بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخرا
على الفقراء حتى فى القبور

دعاء أعرابية

دعت أعرابية على رجل، فقالت: أمكن الله منك عدوا حسودا، وفجع بك صديقا ودودا، وسلط عليك هما يضنيك، وجارا يؤذيك.

دعاء

اللهم إنا نتوسل إليك بك، ونسألك لا نسأل غيرك بحقك وحق نبيك، أن تميتنا على دينه وملته، وأن تحشرنا فى زمرته وتحت لوائه وعنايته، وأن تغفر ذنوبنا، وأن تستر بمنّك عيوبنا، وأن تطهر من صدأ الغفلة قلوبنا.

بين المجلة والقارئ



إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

موت فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله

فجأة اجتاحت العالم الإسلامى كله موجة من الصراخ والعويل على حال المسلمين بعد تعاظم حجم العدوان الصليبى العنصرى ضدهم منذ أن أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن عن حملته الصليبية الجديدة، وهى الحملة التى سانده فيها وبقوة الغرب الأوروبى كله، على اعتبار أن الحروب الصليبية أوروبية المنشأ.

الموقف الأمريكى والأوروبى بالتأكيد أو على الأقل من المفروض أنه لم يكن مفاجئا لنا لأن التاريخ يدعمه وبقوة ولكن المشكلة أننا ننسى!!

ولكن إذا كنا قد نسينا مرحلة الحروب الصليبية فى عصورها الأولى عندما كان المسلمون أشداء على الكفار رحماء بينهم.. فالمفروض أننا لم ننس أن العالم الإسلامى كله ومنذ ستين عاما فقط كان رهين الاحتلال العسكرى المسلح من قبل الأوروبيين.

المفروض أننا لم ننس ما هو أكثر من ذلك، ألا وهو الدعم الأمريكى الأوروبى غير المحدود لدولة قامت على أساس دينى عنصرى وتسمى نفسها بـ«الدولة العبرية» ألا وهى إسرائيل، والحديث فى هذا الأمر على وجه الخصوص أصبح مدعاة للملل والسخرية!!

والمفروض أيضاً أننا لم ننس الانحياز الأمريكى السافر ضد باكستان فى نزاعها التاريخى مع جارتها الهند لا لشىء إلا لأن الأولى مسلمة والهند ليست كذلك.

ظواهر ودلائل كثيرة حفل بها تاريخنا عبر سنوات بل وقرون طويلة تؤكد بما لايدع مجالا للشك أن الأمريكيين

والأوروبيين لم ولن يكونوا أصدقاء لنا في يوم من الأيام، ومع ذلك نُصر على دفن رءوسنا في الرمال!!

ولأن الأمريكيين والأوروبيين يعرفون عنا حبنا وولعنا الشديد للمال وأننا لا نصبر على ضيق العيش، فقد قاموا بتطوير وسائلهم، فقاموا بشن حرب من نوع جديد.. حرب من نوع التطهير العرقي الذي لا يهرق دما، ولكن قدراته التدميرية أشد.

حرب هدفها فتنة المسلمين.. حرب شعارها: إن أردتم العيش في سعة ورخاء فدعو ما أنتم عليه من إسلام!!

نشرت العديد من الصحف أنباء مفادها أن الولايات المتحدة الأمريكية قررت معاقبة المدارس التي تقوم بتعليم طلابها مبادىء الدين الإسلامي وتضم مقرراتها مواد دراسية تشمل التاريخ الإسلامي والقرآن الكريم، هذه المدارس لن تحصل على أي دعم مالي من الحكومة الأمريكية!!

علماً بأن هذه المدارس أنشأها مسلمو الولايات المتحدة الأمريكية والجاليات الإسلامية المقيمة هناك بهدف حماية أبنائهم من مخاطر الانسلاخ العقدي وفقدان الهوية الإسلامية والذوبان في مجتمعات لا تقيم وزنا للقيم الدينية على الإطلاق بما يؤدي إلى انحلال خلقي كامل، وبعد عن تعاليم الدين الحنيف، فيخسروا الآخرة بعد أن خسروا دنياهم بعجزهم عن القيام بأي متطلب لها يحفظ لهم كرامتهم ويمنعهم ذل السؤال.

ولكن المدهش أن القائمين على أمر هذه المدارس باتوا يفكرون بالفعل في الاستجابة لتعليمات القيادة الأمريكية بعدم السماح بالصلاة وعدم تدريس العلوم الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي؛ للاستمرار في الحصول على الدعم المالي البالغ سبعة آلاف دولار سنويا للطالب الواحد!

لماذا أرهقوا أنفسهم من البداية وأنشأوا هذه المدارس؟

هل كان الهدف هو الحصول على دعم الحكومة الأمريكية.. أم كان الهدف تنشئة جيل إسلامي يقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بلسانه وقلبه معا؟!

- أين الصبر على الشدائد؟!
- أين جهاد النفس؟!

ألم يقرأوا في مقررات التاريخ التي يفترض أنهم يدرسونها لأبنائهم كيف صبر نبينا الكريم ﷺ وأصحابه الأتقياء على الحرمان والجوع والعطش بل والتعذيب و التنكيل بما يزيد ضراوة عما نتعرض له اليوم؟!

لقد تحمل أبوطالب عم النبي ﷺ الجوع والعطش -وهو الذي مات على الكفر- ولكنه رفض أن يسلم ابن أخيه لشيء يكرهه.. أفنتنازل نحن عن ديننا طوعا لقاء حفنة دولارات؟!

وفي أوروبا ما هو أشد وأنكى.. إن بعض الأحزاب الأوروبية تطالب بطرد المسلمين من أوروبا وإعادتهم إلى أي دولة إسلامية لأنه لا مكان للإسلام في أوروبا.. هكذا يقولون، وحاليا يتعرض أئمة المساجد ومدرسو المدارس الإسلامية للعديد من المضايقات.

العديد من الجمعيات الإسلامية تلقت إنذارات حكومية غير رسمية تطلب إيقاف نشاط بعض الخطباء والمدرسين وإلا فإن الجمعيات التي لن تستجيب لمثل هذه الطلبات لن تحصل على الدعم المالي المقرر لجمعيات خدمة المجتمع الذي تعمل الجمعيات الإسلامية في أوروبا في إطار اللوائح والقوانين المنظمة له.

بعض الجمعيات استجابت للتهديدات وقامت بفصل عدد من الخطباء والمدرسين، والبعض الآخر يفكر!

والسؤال: أكان هؤلاء يعقدون الأمل على استمرار الدعم المالي من حكومات تضمر الكره للإسلام والمسلمين؟ هل كانوا يعتقدون أن هذا الدعم سيظل مستمرا أبد الدهر.. لماذا لم يفكروا في إيجاد بدائل للتمويل الذاتي بدلاً من هذا التسول والاستجداء.. وعلى حساب من؟! على حساب العقيدة التي أنشئت هذه الجمعيات بغرض الدفاع عنها!!

لا شك أن الأقليات المسلمة في العالم تتعرض لضغوط هائلة، خاصة بعد منعها من تلقي أي دعم خارجي.. ولكن على هذه الجمعيات والمدارس أن تعي أن لها هدفا ساميا يتمثل في الدفاع عن هوية المسلمين وانتمائهم الديني في مجتمعاتهم وأن عليهم أن يجدوا حلا لمشاكلهم التي من المفروض أنها ليست طارئة؛ لأنهم ومنذ زمن بعيد يعرفون أنهم قد يتعرضون لمثل هذه الأمور.. وهذا الحل لا يمكن أن يكون على حساب العقيدة بأي حال من الأحوال وليكن لهم فيما تعرض له السلف الصالح وعلى رأسهم نبي الرحمة محمد ﷺ من شدائد وأهوال.

عليهم أن يختاروا إما الدين، وإما الأموال الأوروبية والأمريكية. عن معاذ بن جبل قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا العطاء مادام عطاء، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة، ألا إن رحا الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لايقضون لكم، فإن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم».

قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع؟

قال: «كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم، نُشروا بالمناشير، وحُملوا على الخشب. موت في طاعة، خير من حياة في معصية الله». [أخرجه الطبراني]

أحمد تقي الدين



سياحة روحية مع أحاديث الصيام

تحت هذا العنوان كتب الشيخ/مصطفى الأزهري إمام وخطيب مسجد سوق الحمام، قال:

وجاء رمضان على شوق عارم يملأ القلوب المؤمنة والنفوس الظامئة لتركب سفينة صيام لتصل بها إلى شاطىء الأمن والأمان والسلامة، لتشرب الروح من نبع الحب العظيم لله تعالى ولرسوله الحبيب محمد صلوات الله وسلامه عليه.. وهذه جولة عابرة ودندنة عاجلة حول بعض أحاديث رسولنا الكريم ﷺ المتعلقة بالصيام وشهره المبارك شهر رمضان العظيم.

١- تجلى صفة الكرم للرسول في رمضان:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» رواه البخاري.

٢- تعظيم قيمة العمل الصالح:

عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- ان النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: «عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي» البخاري ومسلم.

٣- أدب الصحابة بين الرخصة والعزيمة:

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: غزونا مع رسول الله ﷺ لست عشرة مضت من رمضان فمنا من صام ومنا من أفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم» متفق عليه.

٤- الصيام وضبط الانفعالات:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ان رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه البخاري ومسلم.

٥- الصوم من مكفرات الذنوب:

عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي» متفق عليه.

٦- تعظيم ما يتعلق بالصيام «السحور»:

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «السحور أكله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله -عز وجل- وملائكته يصلون على المتسحرين» رواه أحمد وابن حبان.

٧- الصوم سلاح المؤمن في صراعه:

عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال» رواه ابن ماجة.

٨- للصائمين أجر خاص:

عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لايدخله إلا



الصائمون» رواه البخاري.

٩- من خصائص الأمة «تعجيل الفطر»:

عن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال: «لايزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون» رواه أبوداود.

هذا وإن أنوار الحبيب في أحاديثه لاينتهي مداها ولاينقضي قبسها ونسأل الله جل في علاه أن يكتبنا في رمضان هذا في ديوان المقبولين عنده وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فصول منسية من التاريخ

ومن الشيخ/ محمد يحيى عبدالصمد ـ الواعظ العام الأزهر الشريف كانت هذه الكلمة:

كتابة التاريخ بصورة غير صحيحة أو بشيء من الانحيازية جرم كبير أثره طويل بعيد المدى لا يقتصر على فرد ولا اثنين، وإنما يغيب أجيالا بأكملها عن الحقيقة.

وأتذكر أننا درسنا الحملة الفرنسية على مصر، والتي كانت في آخر القرن ١٨ الميلادي عندما تمكنوا من دخول مدينة الإسكندرية درسناها ثلاث مرات في المرحلة الابتدائية وفي المرحلة الاعدادية وفي المرحلة الثانوية بواقع مرة في كل مرحلة، وكان الحديث عنها يوهم أنها تنوير وتحديث لمصر المملوكية العثمانية في كل مرحلة كان الكتاب المقرر معنيا بأثر الوجود الفرنسي في مصر على النواحي العلمية والاجتماعية والسياسية. وفي الحق أن هذه اللهجة سائدة في معظم ماكتب عن الحملة سواء كان كتاباً مدرسيا أم غير مدرسي، كتاب تاريخ أم كتاب أدب فالأستاذ الدكتور/ عمر الدسوقي في كتابه في الأدب الحديث يذكر أن حملة نابليون كان هزة عنيفة لمصر أيقظتها من سباتها الطويل العميق وبينت لها أنها تعيش في عالم آخر، ثم نقل الدكتور كلاماً للمؤرخ الإنجليزي «إلجود Elgood» يقول فيه: «لقد ترك الاحتلال الفرنسي في مصر أثراً لا يمحى، فقد ظل المصريون يعجبون بنابليون بعد خروجه من ديارهم، وإن ماخلفته الحملة الفرنسية في مصر خلال ثلاثة أعوام

لاغيير لمن أضخم مايتسنى إنجازه في هذا الأمد الوجيز».

كلما تدارسنا تلك الحملة الاستعمارية ذكرنا من مناقبها: المطبعة العربية التي أحضرها الفرنسيون إلى بلادنا، والمجمع العلمي المصري الذي أقامه نابليون على غرار المجمع العلمي الفرنسي، وكتاب وصف مصر أو تخطيط مصر الذي وضعه ثمانية من كبار علماء الحملة، وسجلت فيه أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحجر رشيد الذي عثر عليه (بوشار) أحد ضباط الحملة قرب رشيد عام ١٧٩٩م ثم حل طلاسمه العالم الفرنسي شامبليون عام ١٨٢٢م، والديوان العام أو العمومي الذي أنشأه نابليون في ٢٦ يوليو عام ١٧٩٨ وجعل الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر رئيسا له، ودواوين الأقاليم الفرعية.

والقضية أن الذين كتبوا هذا التاريخ لم يسجلوا كل ما صنعته الحملة الفرنسية من نهب وسلب وقتل وحرق واغتصاب وهدم للمساجد ونشر للإباحية واللاأخلاقية بين المصريين وخديعة للذين سالموا الحملة واطمأنوا إلى ركنها، هذا نقص كبير وتضليل عظيم، كما أنهم حينما عددوا مآثر الحملة لم يذكروا من أجل من ولمصلحة من كان العدوان والاحتلال الفرنسي لمصر؟

أصبحنا نسمع اقتراحات وصيحات واليوم ندور فى فلك حب الغرب وكراهية الحكم الوطنى، فمن قائل بعودة الاستعمار مرة أخرى، ومن قائل بوضع الدول العربية والإفريقية تحت الوصاية، ومن قائل بصوت جهورى: متى يجئ المحتل ويخلصنا مما نحن فيه؟ كل هذا من جراء الذين جنوا على التاريخ وشوهوه، فمن ذا الذى يقرأ مآثر نابليون، ومناقب كليبر، وإسلام مينو وتزوجه من مصرية، ثم بعد ذلك لا يرجح كفة فرنسا أو غيرها على كفة الحكم الوطنى؟، المصيبة أننا لا ندرك كل هذا إلا بعد أن تدوى مدافع العدو وتحول قنابله سماء بلادنا إلى جحيم ملتهب.

لا ندرك كل هذا إلا بعد أن تعمل الخيانة عملها ويصبح الخونة والجواسيس أضعاف الشرفاء، والحال يغنى عن المقال. وما حدث فى العراق شاهد على هذا.

لابد من تصحيح التاريخ وإعادة كتابته حتى نقول للفتى المسلم هذا عدوك فاحذره وذلك صديقك فواله.

محورية العمل الشعرى

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ على إسماعيل درويش - كلية اللغة العربية بالمنصورة - قال:

بات من المعلوم لدى المتخصصين فى ميدان الأدب والنقد أن تقييم العمل الأدبى يستوجب البحث والولوج فى هيكلية البناء الفنى بما فيه من الظهور والانزواء والبعد والقرب وأثر عاطفة الأديب على تجربته الشعورية والشعرية برنينها وموسيقاها التى تصل إلى الهيئة الحاصلة من عملية التخليق الأدبى بكل محتوياته وعناصره الضمنية وكان حتما على الناقد أن يحتضن العمل الأدبى حتى يكون كالخلية من خلايا جسده يرجو لها الصلاح وينأى بها عن الردئ الذى يعطل حركة تعايشها وعلى ذلك تكون محورية العمل الشعرى أكبر حيزا ورحابة لاستقبال كل هذه المؤثرات والتلاقح مع كل المقومات الأدبية لنؤكد أن التساوق بين ذاتية الشاعر وعمله الإبداعى أمر لا مناص منه لذا ننظر إلى القصيد على أنه بوتقة تنصهر فيها كل الخوالج النفسية مستمدة خيوطها الفنية من بين أضراس النفس المفعمة بكل أفانين الوهن والشدة فى آن واحد والتى تجثو على ركبتيها تشم بعض أنفاس الحياة لتكسر هذا السياج الذى يحول بينها وبين ألق نفثات الفرحة والطيبة ثم تخلع نفسها من الوجيعة التى كادت أن تهشم أوصالها وتدكها دكا.

ومحورية العمل الشعرى يجول فيها الشاعر من خلال طبع أفراحه وأحزانه على لوحته التى يريد رسمها بريشته الفنية ثم يحبر بعد ذلك ما شاء له أن يحبره فيتصور هو وغيره أنه قد صنع من الشخصية الصامتة أخرى صامتة هى أشد رهافة وشفافية من سابقتها، ومن هذه المحورية التى تنعتها بمركزية الصنيع الشعرى يبلور الشاعر دروبه التى يسلكها فى خلق الأفكار المتمازجة فى عقله الباطن التى تفتش لها عن متنفس تطفح عليه زفراتها وتخفف من حدة آهاتها التى تتغلغل فى أرجائها وترجى أن يعللها بلسم ناجع يبرئ أدواءها الناغرة ليهجع جزعها، ويزول كربها ويبعد هلعها المروع وتنشق من أكناس الأنين والجوى.

ومن هنا فإن الحكم على الصورة الشعرية ينبغى أن يراعى ظروفها وطبيعتها ومدى حالية الشاعر وانطلاقه منها والمناخ المحيط به، أضيف على هذا قائلا: إن للفن فلسفته وطبيعته الخاصة التى تحتاج فى التعامل معها إلى خصوصية أشد من أجل السمو بالإنسانية والارتقاء بحركة الثقافة والفن والإبداع.

بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن:

ما ورد فى محاضرة بابا الفاتيكان من مفتريات ضد الإسلام

بدعوة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى رئيس مجمع البحوث الإسلامى عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية جلسته الطارئة يوم السبت ٢٣ من شعبان ١٤٢٧هـ الموافق ١٦ من سبتمبر ٢٠٠٦م لدراسة محاضرة بابا الفاتيكان. وأصدر البيان التالى:

سبق لبابا الفاتيكان الراحل أن زار مشيخة الأزهر الشريف تجديدا للقاء الإنسانى واحتراما من كل جانب للآخر واتفاقا على أن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون من أجل نشر الفضائل التى دعت إلى اعتناقها جميع الشرائع السماوية وجميع العقول الإنسانية السليمة.

وتناقلت وسائل الإعلام العالمية منذ أيام محاضرة ألقاها بابا الفاتيكان الحالى بالألمانية وقد اشتملت هذه المحاضرة على نقل حوار بين قيصر بيزنطى وأحد المسلمين الفرس فى سنة ١٣٩١م وهذا الحوار فيه إساءات للإسلام بغير حق، تتلخص فى زعم ذلك القيصر أن الإسلام انتشر بالسيف وأن الجهاد يدل على العدوان وأن محمدا لم يأت بخير بل أتى بالشر، وأمر بنشر الإسلام بالسيف وأن الإسلام مخالف للعقل.

وهذا الكلام لا أساس له من الصحة لأن الإسلام قد انتشر عن طريق الاقتناع العقلى والهداية. وأن شريعة الإسلام تهدر كل قول أو فعل يقوم على القهر والإكراه وأن الجهاد فى الإسلام لم يشرع إلا من أجل الدفاع عن النفس والعقيدة. وعن كل ما يجب الدفاع عنه، وأن الرسول ﷺ قد جاء للناس بكل خير وأنه ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل قد جاء بشريعة جامعة لكل الفضائل والآداب والعقائد السليمة ويكفى أن الله قد مدحه بقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

﴿القلم: ٤﴾

ومدح رسالته بقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

﴿الأنبياء: ١٠٧﴾

ووثائق الإسلام الأساسية من الكتاب والسنة شاهدة بذلك كله.

وكان من الواجب على بابا الفاتيكان أن لا يسوق هذه القصة دون أن يعلق عليها، فهى لقيصر موتور فى القرن الرابع عشر دون دراسة القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وما عليه جماهير المسلمين حيث سيرى أن هناك نفيا قاطعا لكل هذه المفتريات.

والأزهر الشريف يدعو العالمين لدراسة الإسلام دراسة منهجية علمية واعية من مصادره الأساسية ليحفظ للحوار الواجب بين الأديان ما ينبغى أن يتوافر من احترام متبادل وتعاون لصالح الإنسانية.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل،

والله ولى التوفيق...

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

إبراهيم عطا الفيومى



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

اتهام مسئولى اتحاد الجاليات الإسلامية بإيطاليا بمعاداة السامية!

فتحت السلطات الايطالية بمدينة روما تحقيقات موسعة فى قضية قيام مسئولين عن اتحاد الجاليات الإسلامية بنشر إعلانات بعدد من الصحف الايطالية ضد إسرائيل مشبهين ممارساتها ضد الشعبين اللبنانى والفلسطينى بالممارسات النازية ضد اليهود.

ووجهت السلطات الايطالية لمسئولى الاتحاد تهما بمعاداة السامية ونشر أفكار تدعو للعنصرية والكراهية بين الديانات.

وكشف رئيس الاتحاد ان نوابا ينتمون إلى اليمين المتطرف الإيطالى وراء فتح هذه التحقيقات.

متطرفون يهود يحرفون المصحف الشريف!

قام بعض المتطرفين اليهود المنتمين لجماعة «خدام المعبد» بتحريف للقرآن الكريم وطبعه مرة أخرى بنفس شكل نسخة مكة المكرمة لتوزيعها فى البلاد العربية والإسلامية كما قاموا بتحريف بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى صحيحى البخارى ومسلم، وخاصة تلك التى تتناول اليهود وأخلاق الرسول ﷺ وتبلغ سبعة وتسعين حديثا صحيحا.

جماعة متطرفة تخرب مقبرة إسلامية بالدانمارك

قامت جماعة دانماركية متطرفة بتخريب المقبرة الحديثة للمسلمين بالدانمارك وأوضح المركز الإسلامى بالدانمارك فى بيان أن عدم وجود حراسة على المقبرة ساعد فى تنفيذ المتطرفين لهجومهم التخريبى.

وطالب السلطات الدانماركية بمتابعة الحادث وضبط الجناة وتقديمهم للمحاكمة وتوفير حماية لمقابر المسلمين ومراكزهم خاصة مع تصاعد الحملات العدوانية ضد الوجود الإسلامى من المتطرفين فى الدانمارك.



الأزهر يطالب بمنع كتاب يساند الحملة الأمريكية ضد الإسلام

قرر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عدم صلاحية كتاب «الحياة اليومية فى العالم الإسلامى خلال العصور الوسطى» تأليف «جيمس إى لندساى» وطالب المجمع بمنع الكتاب من النشر والتداول.

وأوضح التقرير الذى وضعه كبار علماء المجمع أن المسلم لا يصعب عليه أن يتبين فى عدة مواضع من الكتاب قصد المؤلف تعمد الإساءات إلى الإسلام وإدانة النبى ﷺ بالعدوان وكذلك ادعاء المؤلف أن الشريعة الإسلامية عمل بشرى من أعمال واجتهادات الرسول ﷺ وأنها ـ أى الشريعة الغراء ـ ليست وحيا سماويا وإنما هى عمل دنيوى.

أخطر ما فى الكتاب انه تناول شريعة الجهاد الإسلامى بأسلوب المشاركة فى الحملة التى شنتها أمريكا وحلفاؤها على الإسلام بهدف وصم الإسلام بصفة الإرهاب وتعميق كراهيته فى نفوس مواطنيهم وشحذ الهمم لإذلال المسلمين واحتلال أراضيهم.

ويؤكد التقرير أن المؤلف يرسم صورة مرعبة للجهاد فى الإسلام وهدفها التخويف منه وتعظيم خطر المسلمين على العالم.

فى واشنطن وقف تدريس المناهج الإسلامية.. شرط الحصول على الدعم!!

تواجه المدارس الإسلامية بولاية «متشجان» الأمريكية وعدد من الولايات الأخرى تحديا كبيرا يقف فى طريق استمرارها.. فقد طلب من هذه المدارس عدم تدريس المناهج الإسلامية أو حتى إقامة الصلاة.

فجر هذه القضية د. محمد موفق الغلايينى رئيس اتحاد الأئمة بأمريكا الشمالية مؤكدا أن الجاليات الإسلامية تعتبر هذه المدارس الملاذ الوحيد لحماية أبنائها.. إلا أن الأزمات المالية التى تعانى منها دفع بمديريها إلى طلب الدعم من الحكومة الأمريكية حيث تقوم بدعم كل طالب بحوالى سبعة آلاف دولار سنويا بشرط ألا يتم تدريس أى مواد دينية أو القرآن الكريم أو إقامة الصلاة أثناء اليوم الدراسى وقد استجاب بعض مديرى المدارس لتلك الشروط تحت ضغط نقص الموارد المالية.

رغم أن المدارس تم بناؤها بأموال المسلمين بغرض خدمة الدين الإسلامى والتى تخضع بدورها إلى شروط الوقف الإسلامى.

المجلس الإسلامى الروسى يدعو لدعم مسلمى روسيا

دعا المجلس الإسلامى الروسى المسلمين فى كل مكان إلى تقديم الدعم والعونة لإخوانهم فى روسيا الاتحادية لاسيما على الصعيد الإعلامى وذلك للحفاظ على هويتهم وعقيدتهم فيما يتعرضون له من تشويه بواسطة بعض وسائل الإعلام المحلية والخارجية.



وقال رئيس المجلس الإسلامى الروسى : إن هناك أكثر من «٢٠» مليون مسلم فى مختلف أنحاء روسيا الاتحادية يمثلون ما يقرب من ١٤٪ من عدد سكان روسيا البالغ «١٥٦» مليون نسمة. وأضاف أن العاصمة موسكو يسكنها أكثر من مليون ونصف المليون مسلم وتعمل فيها حوالى «٢٠» جمعية إسلامية وبها الجامعة الإسلامية، وهناك أيضا جامعة روسيا الإسلامية فى مدينة «قازان» عاصمة «تتارستان» وأكد على الحاجة الماسة لهؤلاء جميعا لمنبر إعلامى خاص بهم وجامع لهم تلتقى عليه قلوبهم وأفكارهم ويعبر عن صوتهم ويناقش قضاياهم وهمومهم وليكون جسرا ثقافيا مع العالمين العربى والإسلامى يتم من خلاله تبادل الأخبار والاطلاع على أهم المستجدات المحلية والعالمية.

ثمانية عشر مسجدا بدون أئمة بهولندا بسبب تعنت الحكومة

تفاقمت أزمة النقص الحاد فى أئمة المساجد بهولندا حيث بلغ عدد المساجد بدون أئمة ثمانية عشر مسجدا بسبب تعنت الحكومة الهولندية ورفضها منح إقامات قانونية للائمة الأتراك.

كانت إدارة الهجرة والجنسية الهولندية قد رفضت تجديد الإقامة لثمانية عشر إماما تركيا وقد أعربت السفارة التركية فى «لاهاى» عن غضبها وانتقادها لهذا القرار والذى أرجعته إدارة الهجرة والجنسية إلى إجراءات جديدة يتم بموجبها إجراء اختبارات لجميع الأئمة الأتراك أو غيرهم وذلك للتأكد من عدة نقاط على رأسها الإلمام باللغة الهولندية وعدم ميلهم للتشدد أو التطرف وإدراكهم للثقافة والعادات الهولندية ومن جانبها هددت السفارة التركية فى لاهاى باللجوء إلى القضاء ضد قرار حظر دخول الائمة.

مجهولون يفجرون مقبرة الرئيس البوسنى المسلم «بيجوفيتش»

تواصل السلطات البوسنية تحقيقات موسعة لكشف الضالعين فى تفجير مقبرة الرئيس البوسنى السابق «على عزت بيجوفيتش» بمدينة «سراييفو».

أوضحت الشرطة البوسنية أنه تم تفجير المقبرة بشحنة ناسفة مما أصاب المقبرة والمنطقة المحيطة بأضرار بالغة.

ويذكر أن الرئيس «على عزت بيجوفيتش» قد توفى فى التاسع عشر من أكتوبر «٢٠٠٣» عن عمر يناهز «٧٣» عاما وله سجل حافل فى الدفاع عن الإسلام ويرجع إليه الفضل فى ربط مسلمى البوسنة بالإسلام فى مواجهة الشيوعية التى حاولت إذابتهم وساعد فى حصول البوسنيين على استقلالهم.

وقدم «بيجوفيتش» للمكتبة الإسلامية عدة كتب من أهمها «الإسلام بين الشرق والغرب» الذى أصدره عام «١٩٨٤» وسعى خلاله لتقديم الإسلام بصورته النقية إلى الأجيال الجديدة وقد حصل «بيجوفيتش» على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٩٤ وعلى لقب شخصية العام للعالم الإسلامى عام ٢٠٠١ تقديرا لدوره فى الدفاع عن الإسلام.



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ حافظ محمد حافظ
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

إنشاء معهد أزهرى فى لندن

● قام فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بتوقيع اتفاقية إنشاء معهد أزهرى بلندن «أكاديمية الرحمن للعلوم الدينية بلندن» تحت الإشراف الفنى لقطاع المعاهد الأزهرية بالأزهر الشريف وقد أعرب رئيس الأكاديمية السيد/ محمد صبحى الشرقاوى المفوض من مجلس الإدارة عن الرغبة الصادقة فى تدريس المناهج الأزهرية واستقدام مبعوثين من الأزهر الشريف للقيام بالتدريس نظرا لما يتمتع به الأزهر الشريف من مكانة سامية ومنزله رفيعة فى قلوب المسلمين من شتى بقاع الأرض.

كما يسر الجالية الإسلامية بالمملكة المتحدة أن تستقبل فضيلة الإمام الأكبر فى افتتاح المعهد ويتقدم مجلس إدارة المعهد بالشكر لكل من ساهم فى ذلك، حضر توقيع الاتفاقية فضيلة الشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

مسابقة الخرافى

ـ برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف انعقد الاجتماع المشترك للجنة العليا والأمانة العامة لمسابقة الخرافى السنوية للقرآن الكريم بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف والتى تنظمها مؤسسة الأهرام بالتعاون مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف للنظر فى تقرير الأمين العام للمسابقة عن فعاليات الاختبارات التمهيدية للمسابقة وقد حضر الاجتماع فضيلة



الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف والأستاذ أسامة سرايا رئيس تحرير الأهرام والدكتور محمد الطبطبائى عميد كلية الشريعة بالكويت والدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف.

الصومال يطلب زيادة المنح الدراسية المخصصة لأبنائها

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور ـ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه الدكتور محمد على، والشيخ يوسف محمد، من المحاكم الاسلامية الشرعية الصومالية وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق الروابط الثقافية القديمة بين البلدين حيث يدرس بالأزهر الشريف أبناء من الصومال، كما أن للأزهر بعثة بالصومال تساهم فى تدريس المناهج العربية والشرعية. وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية تكاتف الشعب الصومالى واتحاده صفاً واحداً مترابطاً بعيداً عن التعصب الأعمى.

هذا وقد طلب الضيفان زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء الصومال وكذا زيادة عدد البعثة الأزهرية فى الصومال وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة تلك الطلبات تمهيدا لتلبيتها. حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب - وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفد قضاة ألبانيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً قضائياً من دولة ألبانيا فى إطار الدورة رقم ١٤ التى ينظمها المركز القومى للدراسات القضائية بالتعاون مع وزارة الخارجية المصرية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة أعضاء الوفد فى مصر وأزهرها الشريف.

وقد أكد فضيلته على أهمية العدل ومكانته السامية فى شريعة الإسلام وأن القضاة هم الذين يشاركون مع غيرهم فى نشر العدل فى الأمة لأن القضاء هو دعامة أى أمة ترتكز عليه مقومات الدولة فى الاستقرار والرخاء والرقى والتقدم.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة أعضاء الوفد

وفى نهاية اللقاء شكر السادة أعضاء الوفد فضيلة الإمام الأكبر على تلك المحاضرة القيمة التى أوضحت العديد من الاستفسارات.



ويستقبل وفدا من مسلمى البوسنة

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفداً من الطلبة والطالبات من مسلمى جمهورية البوسنة وعددهم ٥٣ طالبا وطالبة من مدارس البوسنة الاسلامية، وقد بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف مشيدا بالصلة القوية بين الأزهر وجمهورية البوسنة موضحاً أن الأزهر فى خدمة أبناء البوسنة.

وأن بالأزهر الشريف طلابا للعلم من أبناء البوسنة يدرسون على منح دراسية حيث يتلقون العلم إلى جانب زملائهم من أبناء دول العالم الإسلامى وأن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة. كما أن الأزهر الشريف يقوم بالتأكيد على حفظ القرآن الكريم فى مراحل التعليم المختلفة إلى جانب تدريس المواد الشرعية والعربية والمواد الثقافية واللغات ويساير متطلبات العصر.

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر بتقديم شرح مبسط عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة.. موضحا أن الأزهر يستقبل أئمة ووعاظ العالم الإسلامى فى شتى بقاع الأرض لحضور الدورات التدريبية التى يعقدها الأزهر كل ثلاثة أشهر لتبصيرهم بأمور الدين الإسلامى ليكونوا رسلا للأزهر الشريف. كما يوفد الأزهر العلماء فى شهر رمضان لأكثر من خمسين دولة لتعريف المبادىء الصحيحة للدين الإسلامى. ويستقبل الطلاب الوافدين من أكثر من مائة دولة يتعلمون صحيح الإسلام فى الأزهر الشريف.

وأجاب فضيلة الإمام الأكبر عن أسئلة واستفسارات الوفد والتى دارت حول كيفية التحاق الطلبة والطالبات من دول العالم بالأزهر الشريف وكذا إلقاء الضوء على نشاطات الأزهر الشريف وإدارته المختلفة ورسالته العالمية فى نشر الصورة الصحيحة للإسلام.

عبدالفتاح علام رئيساً للمعاهد الأزهرية

- أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرار بأن يسند إلى فضيلة الشيخ عبدالفتاح على محمد علام وكيل قطاع المعاهد لشئون التعليم القيام بعمل رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

وندب السيد/ عثمان عواد محمد عثمان أخصائى أمن أول للقيام بعمل وظيفة مدير عام الإدارة العامة للأمن.



These three acts of worship have been enjoined by Allah so as to be a symbol for worshipping Him not to mention to be means for strengthening faith and guiding towards it.

First, fasting is one of the characteristics of the month of Ramadan in which it has been decreed upon the believers. In this relation, Allah, Exalted be He, says:

{The month of Ramadan (is the month) wherein the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion; so, whoever of you is present at[2] the month, then he should fast it.} [Al-Baqarah (The Cow): 185]

Additionally, Allah, the Ever-Merciful, has shown mercy towards the people who have legal excuses, for He has enjoined it upon the healthy people who are present at their homes. On this occasion, Allah says:

{And whosoever is sick or on a journey, then a (fixed) number of other days; Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you; and that you should complete the (fixed) number, and magnify Allah for having guided you, and that possibly you would thank (Him).} [Al-Baqarah (The Cow): 185]

This is the month of Ramadan, the beginning of which is mercy, the middle is forgiveness and the last part is release from the hellfire. This is the month which is full of benefits and virtues that purify the soul, body, individual and society, and prepare the nation for the bliss of the Hereafter.

Second, Allah, Exalted be He, has commanded His Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) to establish the Prayer. Allah, the Almighty, says:

{And command your family to (observe) the prayer, and constantly (endure) patiently in it; We do not ask of you (any) provision; We, only We, Provide you; and the end is to (the ones having) piety.} [Ta-Ha: 132]

This is because Prayer is a link between Allah and His servant. From Allah, Prayer is a "mercy"; from those performing it, it is an "invocation"; and from angels, it is "asking for forgiveness." Therefore,

[2] Literally: Witnesses the month.



Prayer removes the sins, assures the souls, purifies the hearts from every deviation and keeps them away from worry and distress. In this connection, Allah says:

{Surely man was created ever-fretful, when evil touches him, ever-impatient, and when charity touches him, an ever-preventer of it, except the ones who are (constantly) praying.}

[Al-Ma`arij (The Stairways): 19-23]

Stressing the importance and virtue of Prayer, the Prophet says, *"If there was a river at the door of anyone of you and he took a bath in it five times a day, would you notice any dirt on him?" They said, "Not a trace of dirt would be left." The Prophet added, "That is the example of the five prayers with which Allah annuls evil deeds."*

Ramadan has been distinguished by the observance of the *Tarawih* or *Qiyam* Prayer, which the Prophet would observe along with his companions during Ramadan. The Muslims have continued to observe it after his death, so it is considered a special symbol of worship in Ramadan through which their hearts are enlightened and their spirits are purified.

As for the third act of worship decreed in the month of Ramadan, it is *I'tikaf*. This is when the Muslim stays at one of Allah's mosques devoting himself to worshipping the Lord. *I'tikaf* is a stressed upon act of the *Sunnah* (Prophetic Tradition) during the last ten days of Ramadan. Through *I'tikaf*, one feels the devotion of the soul to Allah until it becomes purer and one frees oneself of the worldly, temporary, interests.

These have been the three acts of worship Allah has enjoined in the month of Ramadan as means to thank Him for the blessing of the Qur'an, and means to strengthen and purify the soul so that it may reach the rank of the Exalted Assembly (i.e., the Angels).



of mercy, reply! What a brief word that made them feel the bitterness of ignominy and regrets! That reply was not the result of a temporary situation; rather, it was the fruit of a deep experience of the human souls. Such a reply was based on a truthful philosophy that believed in the best of manners. It sees forbearance as the master of all virtues, so it commands towards forbearance and forgiveness.

With regard to the above, we come to know that the Prophet's unique quality of oratory is an aware application of what he has been guided to; namely, deep psychological knowledge. That knowledge was clear in his first speech when he wanted to declare his call to Allah. He did not prepare eloquent, well-arranged words, but he had the deep, accurate conciseness. When he wanted to call his people to embrace Islam, he ascended the Safa Mountain and started calling the people until they gathered around him. He surprised them with a question, *"Suppose I have told you that there is a (hostile) cavalry in the valley intending to attack you, would you believe me?"* They said, *"Yes, for we have not found you telling lies before."* Hence, the asker felt reassured due to that clear confession and fair testimony, so that he would resort to the straightforward logic without any elongation. He said, *"I am a warner to you in the face of a terrific punishment. I am Allah's Messenger sent to you in particular and to all mankind in general."* That was a call for a new creed targeting to shake an established one. The people kept a while astonished, for they just acknowledged the truth of the man, but now they could not accept his saying. Here, Abu Lahab said (to the Prophet), *"Is it for this purpose you have gathered us?"* Then, they scattered so that they could discuss what they just heard.

What could conciseness do in such a serious situation?! That was nothing but the miraculousness represented in the Prophet's speech.



[*]Ramadan is the Month of Spiritual Purification!!!
By: Dr. Ahmad Abdullah At-Tayar

Allah, Exalted be He, has chosen the month of Ramadan to be a symbol of showing mercy towards His servants as well as purifying their souls. Also, the month of Ramadan was the month wherein the Qur'an was revealed to be a source of light to guide them out from the darkness into light.

Surely, the Qur'an is the last Heavenly Book that has purified the Creed from falsehoods and deviations, disciplined the souls and guided people to the ways of happiness and righteousness. The Qur'an has also warned the people against the ways leading to their misery and eternal suffering. Allah, the Almighty, says:

> {And this is My path, a straight (one); so follow it closely and do not follow the (other) ways, or then they would make you part away from His way. That is what He has enjoined you with, that possibly you would be pious.} [Al-An`am (Cattle): 153]

Due to that Divine Guidance offered by Allah, Glorified be He, to His servants in this blessed month, His Wisdom has entailed to make it a specified time for spiritual purification. That is why Allah, the Almighty, has decreed some acts of worship to be observed in that month. Such acts of worship are regarded as means of drawing near to Allah and showing sincere submission to Him. These acts of worship aim at purifying the soul and body from the sins and evil deeds committed by them both. By observing such acts, the soul of Allah's servant becomes purer and near to the Exalted Assembly, such as the angels who do not disobey Allah in whatever He commands them and keep glorify Him night and day.

As for the acts of worship decreed in the month of Ramadan, they include the following:

First: Observing Fast
Second: Establishing Prayer
Third: Observing *I`tikaf*[1]

---

[*] An Article Published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.
[1] *I`tikaf*: Keeping in seclusion with the sole intention of worshipping Allah Alone

From the Prophet's Eloquence
The Influential Elements in the Prophet's Oratory...!
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Allah, Exalted be He, says:

> {And in no way did We teach him poetry; and in no way does it behoove him; decidedly it is nothing (else) except a Remembrance and an evident Qur'an.} [Ya-Sin: 69]

In another Sura, Allah, the Almighty, says:

> {And the poets, the misguided closely follow them; have you not seen them wander in every valley, and that they say what they do not perform? Excepting the ones who have believed, and done deeds of righteousness deeds.}
> [Ash-Shu`ra' (The Poets): 224-227]

From the second Sura you come to know the explanation of the first one. Stated differently, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) would not say poetry, for most of the poets do not stick to the truth; rather, they wander in the valleys of talk and imagination as their odd natures would allow. It would be worthier for their poetry to be sincere and true.

It is worth noting that oratory is a quality, like poetry, whose possessor is a talented person around whom people gather, so that such a person may quench the thirst of their minds and hearts with what benefits them and relieves their breasts. Thus, the influential orator cannot be except a person who is far-sighted, expressive, experienced, and emotionally sincere. As for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), none can deny that he was a matchless, talented man endowed with wisdom. If we wish to refer the Prophet's matchless oratory to a clear reason, we shall find that such a reason involves his being kept away from poetry by Allah, for he would observe sincerity and truth as regards his thoughts and ideas, sanctify the certain facts, and respect rational thinking. That is, he would reach the truth through sound logic, so that he could fulfill his target.

On the other hand, you may find some reports and *Hadiths* (i.e., Prophetic Traditions) stating that Allah's Messenger would welcome and praise good poetry as he said to Has-san Ibn Thabit, *"Say (the poetry) and the Holy Spirit shall be with you."* Hereupon, some people may think that there is a kind of contradiction between welcoming poetry by the Messenger and that he was not taught any of it because it would not behoove him. The truth is that what the Messenger welcomed and praised would conform to his own manner as regards favoring sincerity, easy structure, and clearly defined abridgment. These three elements are more manifest in the Messenger's oratory and are more beneficial for the hearer.

In case oratory is a natural quality in the soul of the speaker, its prerequisites have been fulfilled by the Messenger due to his sensitive feeling, far-penetrating transparency and sound inspiration. The Messenger was brought up among people who would not boast except with poetry. He was born for Banu Hashim and his uncles were from Banu Zuhrah and he grew up in Quraysh. All that would strengthen such a quality not to mention his impressive eloquence and beautiful logic. Hence, the Messenger did not run after oratory but it ran in his veins.

One of the signs of the Prophet's oratory and eloquence could be witnessed clearly on the Day of the Conquest of Mecca. The Commander, the Prophet, would stand among the people and none of them was in doubt that he would orate about his history of suffering at the hands of his enemies. Moreover, no one of the disbelievers of Mecca would doubt that the Prophet would threaten the people who drove him out of his home and launched many wars against him and his followers. What could they expect of a man whom they caused unbearable harm?! On the other hand, the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) asked them quietly, *"O the people of Quraysh! What do you think I am going to do with you?"* They cautiously answer, *"Good. You are a generous brother and the son of a generous brother."* Hereupon, the Prophet said, *"Go! You are the free ones."* What a surprising reply! What a wonderful, full

at the time when one will meet one's Lord as one will be pleased because of one's fasting."

Some scientists have drawn a similarity between fasting and the protective serum that protects the body against serious diseases and viruses. That serum is injected into the body of the Muslim during a whole month of every year, so that the fasting person is armed with a strong will able to resist all desires, including the sexual one. If this is the case with the ones who observe fasting for only one month in the year, what will the case be with the one who observes fasting for two or three days of every week throughout the whole year?! Add to this that one does not aim behind observing fast except winning Allah's Satisfaction and drawing near to Him.

As for the glory of the month of Ramadan, one cannot skip the event that Allah, Ever-Majestic be He, has revealed the Qur'an in it. Allah says:

> {The month of Ramadan (is the month) wherein the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion.}

[Al-Baqarah (The Cow): 185]

The Revelation started at a blessed night, *Al-Qadr* (i.e., the Determination) Night that was described with two things never realized by any other night of the whole year: the Blessed Night and *Al-Qadr* Night. Allah, Exalted be He, says:

> {Surely We have sent it down at a blessed night; surely We have been constantly warning. Therein every Wise Command is distinctly (decreed), (as) a Command from Our providence; surely, We have (ever) been sending (Messengers). As a mercy from



> Your Lord; surely He, (only) He, is The Ever-Hearing, The Ever-Knowing.}

[Al-Dukhan (Smoke): 3-6]

Moreover, Allah, Glorified be He, says:

> {Surely, We sent it down at the Night of Determination; and what makes you realize what is the Night of Determination? The Night of Determination is more charitable than a thousand months. The Angels and the Spirit keep coming down therein, by the permission of their Lord, with every Command. Peace it is, till the rising of the dawn.}

[Al-Qadr (Determination): 1-5]

It is worth mentioning that the Qur'an started to be revealed at the Night of *Al-Qadr* and it took twenty-three years to complete. Undoubtedly, revealing the Qur'an took all that time so that its legislations, rulings and manners could be understood and also to enable the Prophet's Companions (may Allah be pleased with them all) memorize it all and work accordingly. In this relation, the disbelievers would wonder why the revelation of the Qur'an took all that time. Commenting on this, Allah says:

> {And the ones who have disbelieved have said, "Had it been that the Qur'an had been sent down upon him as one complete whole." Thus, that We may make firm your heart-sight thereby, and We have recited it in a (distinct) recitation.}

[Al-Furqan (The criterion): 32]

brings Allah's Mercy, Satisfaction, Generosity and Kindness towards His servants obeying His commands and hurrying to realize His Satisfaction. By doing so, the Muslims are worthy of Allah's Care and Mercy. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, *"When the month of Ramadan starts, the gates of the Paradise are opened and the gates of the Hell are closed and the devils are chained."*

Among the numerous benefits of fasting is that it strengthens the virtue of devotion, for there is no one watching over the one observing fast except Allah, so the reward will be great. This is in accordance with what the Prophet has said, *"All the deeds of Adam's sons (i.e., people) are for them, except fasting which is for Me, and I will give the reward for it."* In another *Hadith* (i.e., Prophetic Tradition) Abu Umamah (may Allah be pleased with him) says, *"I asked Allah's Messenger to advise me with something that benefits me. The Messenger said, 'You may observe fasting, for there is nothing that equals it."* For more illustration, there is nothing comparable to fasting as regards its great reward, the purity of spirit, the soundness of body and the nearness to Allah. Due to fasting, one is able to control one's desires so that they cannot control one and thus cause one to err.

Furthermore, fasting softens the hearts of the rich towards the needy. Such a benefit helps fill the gap between them all and thus love, intimacy and sincere affection prevail. Moreover, the fasting Muslim ascends the ladder towards perfection and keeps himself/herself away from evils and sins. That is why the Prophet says, *"Fasting is protection (for one against evils)."* The Prophet also says, *"One may not get from one's fasting except hunger and thirst, and one observing the night in worship*

may not get from this except staying up at night." Put differently, the true fasting person is the one who abstains from eating and drinking and keeps oneself away from sexual desire, slander, rumors, lies, backbiting, illegal gains, and harming people and usurping their rights. The true Muslim also does not cause corruption on the earth.

As for the most sublime virtue of fasting, it is represented in piety, which involves, according to the Muslim scholars, fearing Allah and hoping for His mercy and kindness. Piety, as indicated by Allah, the Ever-High, is the best of provision; Allah says:

> {And sustain yourselves; so the most charitable sustenance is piety; and be pious to Me, O (men) endowed with intellects!}

[Al-Baqarah (The Cow): 197]

This noble verse directs speech to those endowed with intellects, for they are the ones who realize facts not perceived by many others.

With regard to the above issue, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) explains for us the way leading to piety. He says, *"Allah said, 'All the deeds of Adam's sons (i.e., people) are for them, except fasting which is for Me, and I will give the reward for it.' Fasting is a shield or protection from the fire and from committing sins. If one of you is fasting, one should avoid sexual relation with one's wife and quarreling, and if somebody should fight or quarrel with one (i.e., the fasting person), one should say, 'I am fasting.' By Him in Whose Hands my soul is, the unpleasant smell coming out from the mouth of a fasting person is better in the sight of Allah than the smell of musk. There are two pleasures for the fasting person, one at the time of breaking one's fast and the other*





AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan, 1427 A. H.

ENGLISH SECTION
Oct. 2006



الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



Ramadan Brings to Muslims Their Unity...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

{The month of Ramadan is the month wherein the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion.}

[Al – Baqarah(the cow):185]

This is the month in which Allah has prescribed for us fasting as a general Islamic ritual so as to indicate the unity among all the Muslims. This is a kind of unity that is not limited to any time or place, or weakened by distances or geographical boundaries, be they natural or political. In addition, this unity is not obstructed by any race, color or language. This is due to the fact that Islam does not pay any attention to such matters. In support of this, Allah, the Ever-Exalted, says:

> {O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.}

[Al-Hujurat (The Apartments): 13]

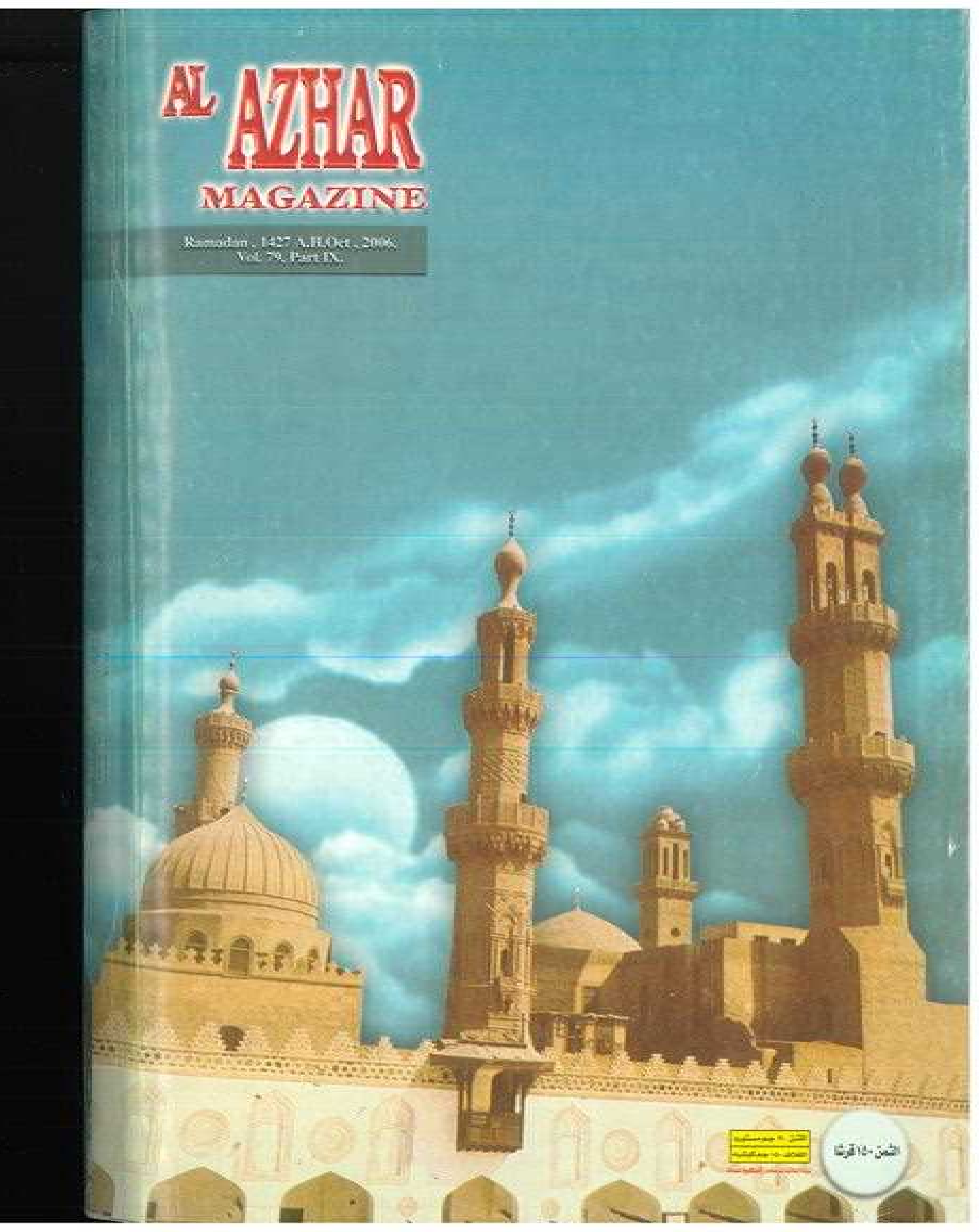
Moreover, Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, *"There is no preference of an Arab over a foreigner neither for a white man over a black one except with piety. You were born from Adam and Adam was created from earth."*

This unity is based on a pillar symbolized in the Creed believed by all the Muslims. For example, whoever among them witnesses the month of Ramadan is obligated to fast it. In this regard, fasting the month of Ramadan





الفهـــــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Ramadan, 1427 A.H.Oct., 2006,
Vol. 79, Part IX.
الثمن ١٥٠ قرشا



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
شوال ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦ - الجزء ١٠ - السنة ٧٩



هدية العدد

الأسس الاقتصادية التي تقوم عليها بعض المصارف المصرية

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا
وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ

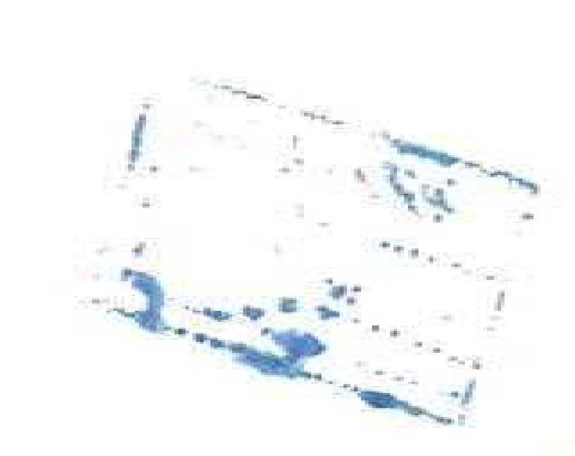


بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

احتفال مصر الإسلامية بليلة القدر





كلمة السيد رئيس الجمهورية

دعا الرئيس محمد حسنى مبارك إلى تضافر جهود دول العالم الاسلامى وشعوبه فى التصدى لمحاولات الإساءة والتطاول والتجاوزات ضد الدين الإسلامى، وتفنيد الأخطاء والمغالطات واظهار الوجه الحقيقى للإسلام وجوهر تعاليمه وصحيح عقائده.. وقال إن كل ذلك يقتضى وقفة مصارحة مع العالم من حولنا ووقفة لا تقل أهمية مع أنفسنا.

وأعرب الرئيس مبارك، فى كلمته بالاحتفال بليلة القدر عن رفضه الإساءة للمقدسات الإسلامية تذرعا بحرية الرأى والتعبير والصحافة، محذرا من أن التطاول على معتقداتنا يؤجج مشاعر الغضب والتطرف ويجرنا جميعا لمنزلقات خطرة.

كما حذر من دعاوى الفتنة والمواجهة ومن نظريات صدام الحضارات والأديان، ومن خلط الدين بالسياسة والسياسة بالدين، فى إدارة العلاقات الدولية، ومن ربط الاسلام والمسلمين بإرهاب أعمى لا يعرف وطنا أو دينا.

وشدد الرئيس مبارك على أن الأمة العربية والإسلامية تتطلع لعلاقات دولية تقوم على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة.. لا تفرط فى هويتها وخصوصياتها.. تدافع عن مواقفها وقضاياها.. وتنشد الخير للجميع فى عالم أكثر عدلاً وسلاماً واستقراراً.

ودعا العالم الإسلامى إلى الاعتراف بتحمله مسئولية أوجه القصور فى هذا الصدد، قائلا: «ألا نتحمل نحن المسلمين بعض مسئولية الأفكار المغلوطة عن الاسلام؟ وهل نهضنا بواجبنا فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين؟ أين نحن الآن من مبادىء الخير والإنصاف والتسامح والنهى عن الإفساد فى الأرض وترويع الآمنين التى أرساها الإسلام؟.. فى مواجهة إرهاب يرتدى عباءة الاسلام.. ويستهدف بشروره أرواح الناس وأرزاقهم.

وحث العالم الإسلامى على نبذ نوازع الفرقة والشقاق والتشرذم، وتوحيد كلمته وصفوفه ومواقفه وتوظيف إمكانات ثرواته الطبيعية والبشرية.. دفاعا عن مقدساته ومصالحه وقضاياه.



كما دعا الرئيس مبارك إلى «خطاب دينى جديد يعلم الناس من صحيح دينهم ما ينفعهم ويعلى قيمة الإخلاص فى العمل ويرتقى بالسلوك والمعاملات وينشر مبادىء التسامح ويناهض الغلو والتطرف».. وقال «لقد تراجع العصر الذهبى لحضارة الإسلام.. عندما تراجع الاجتهاد وتوقف الخطاب الدينى عند قشور العقيدة دون جوهرها».

وفيما يلى نص كلمة الرئيس مبارك بمناسبة الاحتفال بليلة القدر:

الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر..

العلماء الأجلاء..

ضيوف مصر الأعزاء..

الاخوة والأخوات..

نحتفل اليوم بليلة القدر.. أتحدث إليكم فى ليلة مباركة.. فيها أنزل القرآن هدى للناس.. ليخرجهم من الظلمات إلى النور.. وليختم الله رسالاته.. ويتم نعمته على العالمين.

يسعدنى فى هذه الليلة المباركة أن أتوجه بالتهنئة إلى شعب مصر وشعوب أمتنا العربية والاسلامية.. فى مشارق الأرض ومغاربها.

كما يسعدنى أن أتوجه بالتحية لرجال الأزهر الشريف الذين يحرصون على أن يأتى احتفالنا السنوى بهذه المناسبة العطرة.. مستلهما لمسيرة ماض عريق.. وموصولا بحاضر الأمة الاسلامية ومستقبلها.

العلماء الأجلاء..
الإخوة والأخوات..

لقد اصطفى الله من الشهور شهر رمضان.. واصطفى من لياليه ليلة القدر. وليس أنسب ونحن نحتفل بها اليوم.. من أن نستعرض معا أحوال أمتنا.. وأن نستلهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة.. زادا متجددا نستعين به في مواجهة تحديات الحاضر وعطاء لا ينقطع.. نستهدى به على طريقنا الى المستقبل.

تطل علينا هذه الليلة المباركة.. والعالم الاسلامى يواجه هجمة شرسة.. تصف الإسلام بما ليس فيه.. وتسيء لمقدسات المسلمين ومعتقداتهم.

يأتى احتفالنا اليوم.. وسط ظرف إقليمى ودولى بالغ التعقيد.. يبدو فيه العالم العربى والإسلامى مستهدفا.. فى هويته وأوطانه واستقلال إرادته ومقدرات شعوبه.. ما بين ما حدث ويحدث فى لبنان والعراق والأراضى الفلسطينية المحتلة وأفغانستان.. ومخاطر جديدة تحدق بمنطقة الخليج.. ومحاولات لزعزعة الاستقرار فى السودان والصومال.

إننا نعى تماما ما يطرحه الظرف الراهن من تحديات ومخاطر.. إلا أن إيماننا لا يهتز.. فى قدرتنا على مواجهتها والتعامل معها.. دفاعا عن مقدساتنا وهويتنا.. وقضايا أوطاننا وأمتنا.

إن الحاجة تدعو الآن أكثر من أى وقت مضى.. لتضافر جهود دول العالم الإسلامى وشعوبه كى تتحدث بصوت واحد.. يتصدى لمحاولات الإساءة والتطاول والتجاوزات.. يفند الأخطاء والمغالطات... ويعبر عن الوجه الحقيقى للإسلام.. وجوهر تعاليمه وصحيح عقائده.

وأحسب أن كل ذلك يقتضى وقفة مصارحة.. مع العالم من حولنا.. ووقفة لاتقل أهمية مع أنفسنا.

الإخوة والأخوات..

نقول للعالم من حولنا.. إن الإسلام جاء مصدقا بشرائع أهل الكتاب.. مبرهنا على أن الأديان تنبع من أصل واحد.. وتلتقى حول وحدانية الله.. والقيم المشتركة للإنسانية.

نقول لهم.. إن الإسلام أعلى قيمة العقل والمنطق.. ودعا للتفكر والتدبر.

خاطب فى الناس فطرتهم.. وحاز العقول والقلوب من الأندلس لمشارف الصين.. بسماحة تعاليمه والأسوة الحسنة.

نقول لهم.. إن الإسلام نهى عن العنصرية والتعصب.. لم تنشأ النازية أو الفاشية على أرضه.. حمل علماؤه وفلاسفته مشعل الحضارة لقرون عديدة.. وأضافوا بمعارفهم الكثير لتراث الإنسانية.

نقول لهم.. إننا لا نقبل الإساءة لمقدساتنا.. تذرعا بحرية الرأى والتعبير والصحافة.. وإن التطاول على معتقداتنا يؤجج مشاعر الغضب والتطرف.. ويجرنا جميعا لمنزلقات خطرة.

نقول لهم.. حاذروا من دعاوى الفتنة والمواجهة ومن نظريات صدام الحضارات والأديان.

وحاذروا من خلط الدين بالسياسة والسياسة بالدين.. فى إدارة العلاقات الدولية..

حاذروا من ربط الإسلام والمسلمين بإرهاب أعمى.. لايعرف وطنا أو دينا.

ونقول للعالم إن الأمة العربية والإسلامية.. تتطلع لعلاقات دولية تقوم على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة.. لا تفرط فى هويتها وخصوصياتها.. تدافع عن مواقفها وقضاياها.. وتنشد الخير للجميع.. فى عالم أكثر عدلا وسلاما واستقرارا.

الإخوة والأخوات..

تلك هى رسالتنا للعالم فى هذه الليلة المباركة.. فماذا لدينا لنقوله لأنفسنا؟

يقتضى منطق المصارحة أن نتمعن فى أحوالنا. علينا أن نعترف بأوجه قصور يتحمل مسئوليتها العالم الإسلامى.. وعلينا أن نستنهض الهمم.. كى يصبح حاضرنا – بحق – موصولا بماضينا العريق.. ونقطة انطلاق لنا نحو المستقبل.

لقد أرسى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.. مبادىء الخير والإنصاف والتسامح.. ونهى عن الإفساد فى الأرض وترويع الآمنين.

أين نحن الآن من ذلك؟.. فى مواجهة إرهاب يرتدى عباءة الإسلام.. ويستهدف بشروره أرواح الناس وأرزاقهم.

ألا نتحمل نحن المسلمين بعض مسئولية الأفكار المغلوطة عن الإسلام؟ وهل نهضنا بواجبنا فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين؟.. إلى متى تستمر مباهاتنا بحضارتنا الإسلامية العريقة وعطاء أسلافنا من العلماء والفلاسفة والمفكرين؟

أما آن الأوان لكى نصنع حضارتنا المعاصرة.. وأن نسهم نحن بعطائنا؟.. كى يتبوأ عالمنا الإسلامى مكانته اللائقة.. فى القرن الحادى والعشرين.

لقد تراجع العصر الذهبى لحضارة الإسلام.. عندما تراجع الاجتهاد.. وتوقف الخطاب الدينى عند قشور العقيدة دون جوهرها.

فهل حان الوقت لخطاب دينى جديد؟.. يعلم الناس من صحيح دينهم ما ينفعهم.. يعلى قيمة الإخلاص فى العمل.. يرتقى بالسلوك والمعاملات.. ينشر مبادىء التسامح.. ويناهض الغلو والتطرف.

ألم يحن الوقت لينبذ عالمنا الإسلامى.. نوازع الفرقة والشقاق والتشرذم؟.. ليوحد كلمته وصفوفه ومواقفه.. ويوظف إمكانات ثرواته الطبيعية والبشرية.. دفاعا عن مقدساته ومصالحه وقضاياه.

إن الأمة العربية والإسلامية.. إنما تنهض بنهوض أوطانها.. ولاتتحقق نهضة الأوطان إلا بفكر وسواعد أبنائها.. وبمجتمعات عصرية تنفتح على العالم من حولها.. تواكب تطوره.. وتلاحق علومه ومعارفه.

إننا فى مصر ماضون على هذا الطريق.. بعزم وثقة.. نستكمل دعائم وأركان مصر القوية الآمنة.. كى تظل دائما وطنا عزيزاً لشعب كريم.. ولكى تبقى دوماً سندا وذخراً لأمتها.

أدعو الله فى خشوع هذه الليلة المباركة وسكينتها.. أن يوفقنا ويسدد خطانا.. إنه نعم المولى ونعم النصير.

كل عام وانتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة فضيلة الإمام الأكبر

وألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر كلمة قال فيها:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وشفيعنا رسول الله ومن والاه.

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعاً مع سيادته لما يحبه ويرضاه.

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فى ليلة الدعاء يحلو الدعاء ونحن الآن فى ليلة مباركة هذه الليلة هى خير من ألف شهر كما نطق القرآن الكريم.

هذه الليلة كما بين لنا -سبحانه وتعالى- تتنزل فيها الملائكة وعلى رأسهم سيدنا جبريل لكى يدعو للمؤمنين الصادقين ليزيدهم إيمانا على إيمانهم.

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

هذا جانب من الدعاء متى صدر من لسان طيب سليم ومن عاطفة نقية واشتمل هذا الدعاء على المقاصد الشريفة وعلى الغايات النبيلة لم يكن بينه وبين الإجابة حجاب.

كما قال الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

وساق لنا القرآن الكريم نماذج متعددة لأناس رفعوا أكف الضراعة إلى الله سبحانه فأجاب الله لهم دعاءهم فى الحال.

لأن دعاءهم كان من قلب طاهر ومن نفس مشرقة بالإيمان

هذا سيدنا إبراهيم يدعو الله فيقول:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

فنجد الإجابة فى الحال:

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾

وهذا سيدنا يوسف يتعرض للفتن ويتعرض للدسائس ويتعرض للمؤمرات فيلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويقول:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

هنا تأتى الإجابة «فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن أنه هو السميع العليم».

هذا سيدنا موسى يأمره الله -عز وجل- أن يتوجه لكى يدعو فرعون وقومه إلى دعوة الحق، إلى وحدانية الله، إلى إخلاص العبادة لله -عز وجل- فيلجأ إلى الله:

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾

هنا نجد الإجابة من الخالق -عز وجل- سريعا قال: أى قال الله عز وجل:

﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾

أى قد أجبنا لك دعاءك.

امرأة صالحة يحصل بينها وبين زوجها شىء من النزاع تذهب إلى النبى ﷺ تشكو إليه ماحدث ولكن الرسول ﷺ يقول لها: «لم ينزل فى شأنك شىء فلم تيأس بل وهى إلى جانب النبى ﷺ ترفع يديها إلى السماء وتقول: «اللهم تعلم أن زوجى شيخاً كبيراً وأنا إمرأة عجوز ولاغنى له عنى ولا غنى لى عنه وإن لى منه أولاداً إن تركتهم عنده ضاعوا وإن أخذتهم معى جاعوا. اللهم ففرج كربتى وحل العقدة»



وقبل أن تقوم المرأة الطاهرة النقية من مقامها بجانب النبى ﷺ ينزل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

السيد الرئيس

الحفل الكريم

إننا فى هذه الليلة المباركة نضرع إلى الله - سبحانه وتعالى- بقلوبنا قبل ألسنتنا أن يديم على مصر نعمة السلام ونعمة الأمان ونعمة الرخاء ونعمة الاطمئنان وأن يجعلها دائماً لا تمد يدها إلا لخالقها - عز وجل - بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

كلمة وزير الأوقاف

وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف كلمة قال فيها:

إن الإسلام جعل الدين والعقل وجهين لعملة واحدة وآيات القرآن تبين لنا أن الإنسان الذى لايستخدم عقله يعد بمثابة إنسان تنازل عن إنسانيته وبدون العقل لايمكن فهم الدين.

وقد أكد حجة الإسلام أبو حامد الغزالى هذا الربط الوثيق بين العقل والدين فى الإسلام بقوله: «العقل كالأساس والشرع كالبناء، ولن يغنى أساس مالم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس، فالعقل شرع من داخل والشرع عقل من خارج، وهما متعاضدان بل متحدان».

وفى المعنى ذاته يقول الشيخ محمد عبده: «لقد تآخى العقل والدين لأول مرة فى كتاب مقدس على لسان نبى مرسل بتصريح لايقبل التأويل».

أشار إلى أن الإسلام عقيدة لاتعرف العنف أو الإرهاب، فالرحمة هى عنوان الإسلام وهدف الدعوة الإسلامية - كما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

قد مرت بالأمة الإسلامية منذ رمضان الماضى أحداث كثيرة وتعرضت لمحن عديدة كان آخرها إهانة مقدساتها واتهام دينها بالعنف والإرهاب ومناقضة العقل.

الأمة الإسلامية إزاء ذلك كله ليست فى حاجة الى التشنج والانفعال، وإنما هى فى أشد الحاجة إلى العقول الرشيدة التى تنير لها طريقها لتصحيح مسارها، والأخذ بأسباب القوة فى جميع المجالات حتى تنهض الأمة من عثراتها، وتحظى بالاحترام والتقدير بين الأمم، وتتبوأ مكانتها اللائق بها فى عالم اليوم.

إن المسلمين فى عالم اليوم فى مفترق طرق وهم فى أشد الحاجة إلى مزيد من التعاون والتضامن والتكافل على جميع المستويات حتى يكونوا قادرين على مواجهة التحديات والتغلب على كل ما يعترض طريقهم من صعوبات والسير قدماً نحو التقدم والارتقاء وبذلك يكون فى استطاعتهم صنع مصيرهم بأنفسهم والمشاركة الفعالة - فى الوقت نفسه - فى صنع مصير هذا العالم الذى نعيش فيه، والذى هو عالمنا جميعاً.

إن عالمنا الإسلامى فى حاجة ماسة إلى نموذج رائد يكون قدوة حسنة، ومثالاً يحتذى ومصر بأزهرها الذى صان العقيدة الإسلامية الصافية على مدى أكثر من ألف عام وبفهمها المعتدل لتعاليم الدين وبرصيدها الحضارى الضخم الذى تستند إليه وبثروتها البشرية التى تحظى بها وبما لديها من كفاءات علمية وخبرات متنوعة جديرة بكل المقاييس لتقديم هذا النموذج الرائد لأمتها الإسلامية وستظل مصر دائماً وقية لدينها وسنداً لأمتها وداعمة لقضاياها فى جميع المحافل الدولية.

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شـــوال ١٤٢٧هـ - نوفمبـــر ٢٠٠٦م - الجزء العاشـر - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

من صميم الواقع

الطفولة المعذبة فى مصر

كلنا نحب الطفل ونحب إسعاده، فهو رجاء الغد، ورجل المستقبل، وها هو ذا ينوء بأثقال وقفت أمامه وألقيت عليه من حيث لا يحتسب فهل فعلنا له شيئا يقيه هذه الأهوال.

لقد كان الطفل فى أمسه خيراً منه فى يومه، بحيث لا يُوجد وجه للمقارنة بين الأمس واليوم، فطفل الجيل الماضى ينشأ فى بيت يرعاه، ويعمل على أن ينبته نباتاً حسنا، فهو يصدّ عنه كل ما يوحى إليه بما يسوء، وقد فرغ المربّون من تقرير قولهم إن الطفل هو الرجل، وأن الرجل فى كل أدواره متأثر بما كان عليه فى طفولته، فرغ المربون من ذلك حتى ليعتبر الحديث عنه من قبيل تحصيل الحاصل، وهذا ما كان يعرفه الأب والأم معا، فيجتهدان ألاّ تمس طبيعته الخيّرة، وفطرته النقيّة البريئة، بما يعكس براءتها، إذا لا يرى إلا الحسن، فإذا اقترف بعض الهنات كان التهذيب الحانى أقوى الوسائل لهدايته، ومهما قلّت ثقافة الأب والأم فهما يعرفان الضرورى من قواعد السلوك الصحيح، فيقولان له إنّ الكذب وبال، وإنّ السرقة جريمة، وأنّ محبة الأخوة والأخوات واجب محتوم، وقد يسمع أحاديث لطيفة من الأمّ والجدة تدعو إلى الخير فى قصص ساذجة لها وقعها الطيب فى نفس ساذجة لم تتعلق بأوضار الحياة، فيتجه بما يسمع وما يُعامل به إلى السلوك السوى، ويذهب إلى المدرسة وهو مُهيأ تهيئة تامة للسلوك الحميد، ويجدُ زملاءه الصغار على شاكلته، تربّوا تربيته، ونهلوا مما نهل من قصص هادفة، وتربية صالحة، فيتم التعارف على نحو من الحب الواعى، والود الذى يحذّر النقائص، ويرتفع إلى الفضائل ثم تجيء دروس التربية الدينية



لتنمّى هذه البذور المغروسة فى النفوس فتشبّ الأعواد ناضرة خضراء، وارفة زاهية، ثم تترعرع السيقان، فلا ذبول ولا ظمأ، وإنما التشذيب والتهذيب! وقد يُوجد من يشذ لعارض اعترض حياته المنزلية، ولكنه حين يجد الجو العام نفّاحا بالطّيب، رفّافا بالمودة، يحاول أن يقتدى بالجمهرة الراضية المطمئنة والمعلم من ورائه يقوّم ما اعوج، ويهدى للتى هى أقوم.

الإهمال الأسري والإعلام المدمر

هذا طفل الأمس، يصل إلى مدرسته طاهراً نقيًا، لا يعرف بابا للشّر، ولا تهجس نفسه هامسة بالأذى، وطبيعته فى أصلها خيّرة ترحب بكل سار بهيج وتنأى عن كل شين يعيب، فهو إلى السلامة أقرب، وإلى النجاة أهدى، فلنترحم عليه الآن فى أمسه الغابر، ثم نكر النظر إلى طفل اليوم لنخبر شأنه، وندرك ما ارتطم فيه من عثرات.

إنه حين يعى ما حوله يتجه إلى التليفزيون، وأمه فرحة بالتهائه واشتغاله، لتفرغ إلى شأنها بعيداً عنه، وأبوه المرهق بأعبائه لا يجد فراغاً لمحادثته وتسليته، وينظر الطفل إلى ما أمامه، فيجد مشاهد من الرعب تصل أحيانا إلى حد القتل، حيث تتوالى الجرائم آخذة بعضها بحجز بعض، كما يجد أحيانا مشاهد من الخلاعة تُريه فنوناً من التبذّل فى الضّم والتقبيل والعناق، وقد يسأل الكبير من إخوته فيشرح له شرحاً يضل ولا يهدى، ثم يرى مرة أخرى فنوناً من المكر والاحتيال، ويقف على أساليب من الغش والخيانة ويسأل عن ذلك فيجد الإجابة التى تضل ولا تهدى! وإذن فقد أدرك المسكين فى عمره البض، وبرعمه الغض شرورا موبقة تجسّد له الرذيلة، وتصوّرها بالتمثيل والتشخيص، وبعد أن كان أخوه من قبل يسمع حديث الجدة الضاحك، وينصت إلى تقويم أمّه الحانى، ولا ينظر إلى مشهد من مشاهد الشر يوجهه إلى مسلك شاذ، بعد أن كان أخوه فى الجيل الماضى ذا حصانة واقية.

٩٠٪ من المدارس لا تقوم بدورها

نشأ المسكين وقد عرف من الشرور والآثام ما لا طاقة له باحتماله، فإذا توجّه إلى المدرسة فإن زملاءه أيضا قد وردوا مورده، وجاء الجميع إلى المدرسة مزوداً بأساليب الاحتيال، عارفاً من موبقات السقوط والانحدار ما لامزيد عليه، وقد يستمع إلى من يُزيّن له اقتراف السوء، فى سرقة أو شهادة زور، أو اتهام لبرىء، أو ما يعجز القلم عن تسطيره، فسرعان ما يستجيب، ولمَ لا؟ وقد تلقى من التليفزيون دروس الجريمة بمختلف أنواعها، وعرف أسماء الممثلين والممثلات، وسمع عنهم عبارات الإطراء، فلم يفرق بين



الواقع والتمثيل، بل تأكد أن هؤلاء الذين يظفرون بالثناء، وتظهر صورهم باهرة مبهرة في الندوات، هم أساتذته الذين فتحوا عينيه، وأن كل ما قاموا به من الأدوار الأليمة كان وساماً يأتلق على صدورهم، ويجيء مُدرّس اليوم فلا يؤدى واجبه كمدرس الأمس، لعوامل نُدركها تماما، وقد تحدّثت عنها من قبل، يجيء ليوصى فى درس الدين بحفظ آية لم يشرحها، فإذا سُئل عن معناها قال: أمامكم الكتاب! وهكذا تفقد المدرسة دورها فى التربية الدينية، كما فقد المنزل دوره فى التأديب والتهذيب! ولنواجه الحقيقة المرّة، حين نقرر أن تسعين فى المائة من المدارس لا تقوم بدورها الجاد، لأن الدرس الخصوصى أصبح كل شىء! والذين يُحاربون الدروس الخصوصية من الكبار يُعطون أولادهم هذه الدروس إذا لا مفر منها لمن يريد النجاح! ففيم الخداع؟

مائة وخمسون كلية تربية

إنّ معضلة التليفزيون والنشأة الأولى للطفل مُعضلة عسيرة، تتطلب الحل الجرىء لأن خطرها الداهم سيجعل من طفل اليوم مُجرماً فى الغدّ، وعندنا أكثر من مائة وخمسين كلية للتربية، بعد أن أصبحت مدارس المعلمين والمعلمات كليّات للتربية النوعية فصارت ضغثا على إبالة هذه الكليات الواسعة الانتشار فى العواصم والأقاليم تتحدث عن الاهتمام بالطفل ونشأته الأولى لا حديث من يرى المشكلات الواقعية تأخذ الطريق على الناشئة فيجد لها الحل الموائم، بل الحديث التقليدى الذى يُقسّم مراحل الطفولة إلى ثلاث مراحل، ويحدد خصائص كل مرحلة مما هو مكرر مستوم، ثم حديث عن الخيال والواقع عند الطفل، والعالم الخارجى بالنسبة للطفل، والطفل ومنزلته فى الأسرة ذات العدد الكبير أو العدد المناسب، وكل ذلك قد يكون مطلوبا بقدر ما دون أن تغفل مشكلة المشاكل التى طرأت على واقع الطفل، فنجد لها الحل السريع، ثم نقول بعد ذلك إن كليات التربية النوعية أنشئت لتساعد على النمو الطبيعى، وتقضى حاجات البيئة! وأترك هذه المقررات المستومة بيحث عن رسائل الماجستير و الدكتوراة فى كليات التربية، لتجد عشرات الرسائل عن ذكاء الطفل، وموقف الطفل من والديه، والغيرة عند الأطفال، وأكثرها مكرر فى مضمونه، مختلف فى عنوانه فحسب، لماذا لا نعقد مؤتمرا خاصا بتأثير وسائل الاعلام على الأطفال، ولماذا لا يُدعى إليه الأصلاء المعتزلون من أعلام التربية دون أن نخص أصحاب المناصب وذوى الوجاهات، ثم يكون للمؤتمر توصياته التى تكون موضع التنفيذ العملى السريع، لا التى تلقى فى الأدراج كأخواتها من قبل



دون أن يسأل سائل عن نتائج مؤتمر تعددت حلقاته، وانتفخ المقررون فى جلساته يوصون بضرورة مراعاة الوقت نظرا لكثرة البحوث، وإذا هم معترض بالتعقيب على موضوع يمس المتعارف عليه من الاتجاهات، قيل إن الوقت لا يسمح، وأن أجل المؤتمر محدود! ثم ينقضى المؤتمر كما ينقضى المولد الشعبى للأولياء، بل إن المولد الشعبى يحدث من أدوات الترفيه ما لايحدثه المؤتمر العلمى، ويُسعد الأطفال بما يحمله الزائر من الحلوى والمسليات!!

دمـــوع ربــاب

إن تأثير المسلسلات التليفزيونية التى أدمنها الأطفال إدماناً لا فكاك منه قد أصبح موضع الخطورة الحقيقية، وصفحات الحوادث تمتلىء بمزعجات إجرامية أساسها تقليد حلقات المسلسلات! وأنا أضرب مثلاً شخصيا لتأثير القصة السهلة اليسيرة فى نفس الطفلة الناشئة. وكيف أخذت تفكر فيها على مدى يومين دون انقطاع، ليعلم أولو الأمر ما تقذفه هذه المسلسلات الإجرامية من أهوال لا حد لتأثيرها بين الأطفال والشباب!

لقد مرضت ابنتى «رباب» ذات السنوات التسع -وكان ذلك منذ ربع قرن فأكثر، ورأيت أنها فى حاجة إلى من يؤنسها بالحديث بعد أن أخذت الدواء، وأنا أب وأم معاً فلا مناص من الجلوس معها، فذكرت لها قصة واقعية، وذكرتها بالتفصيل من زمن فى مجلة الأديب اللبنانية وأشير إلى موجزها الآن، وفحواها أن تاجراً كان يحمل بضائعه على عربة ينتقل بها من قرية إلى قرية، ومعه كلبه الأمين، وقد اضطر فى عودته ذات يوم إلى الاستراحة فى ظل شجرة، حتى ينقضى وهج الظهيرة، فهيأ لنفسه مضجعا للرقاد وطال به الوقت أكثر مما كان يقدّر، فنهض فزعا قبل أن يدهمه الظلام، فيتعرّض للصوص الطريق، وقد سقطت حافظة نقوده دون أن يدرك، وحين همّ بالرحيل أخذ الكلب يعترضه، ويقف أمامه وينبح نباحا شديدا، والتاجر حريص على السير العاجل، فلما أبرمه الكلب باعتراضه المتصل ونباحه المتكرر، ضاق صبره وخاف سطوة الأشرار إن تأخر، فيفقد ثروته لحماقة هذا الكلب النابح، فأخرج مسدسه وأرداه قتيلا، وحين رجع إلى مأواه بعد العشاء التمس الحافظة فلم يجدها، فأسرع إلى المكان قبل أن يلتقطها أحد، واستعان ببعض أقاربه المسلحين، فلما بلغ الشجرة، وجد الأمر الهائل!! وجد الكلب صريعا وقد نام فوق حافظة النقود!! وكأنه فى لحظاته الأخيرة خاف عليها أن تغتصب، فواراها بجسده الصريع، قلت هذه القصّة ظاناً أنى أرفّه على ابنتى بحديث



مستطاب، ولكنى فوجئت بالدموع تنهمر من عينيها، ثم صاحت: بابا بابا، ماذا جنى الكلب المسكين؟ أهذا جزاؤه؟ واستمرت فى البكاء، فأدركت أنى لم أحسن اختيار ما أحكيه، وأخذت أحاول الانتقال إلى موضوع آخر، ولكنّ دموع المسكينة قد زادت فأقلقتنى، وتصابرت منزعجاً حتى نامت بعد أرق أليم، وفى الصباح كانت أول كلمة قالتها: بابا.. التاجر فظيع، التاجر فظيع، والكلب مسكين، فقلت: إن القصة خيالية فلا تهتمى، قالت: أنت قلت إنها حدثت فعلاً قريباً من قرية دكرنس! وواصلت بكاءها، وأدركتنى رهبة الموقف فبكيت أنا الأب الكبير متأثرا ببكائها، فليت شعرى إذا كانت رواية قصة عابرة تترك فى ذات السنوات التسع هذا التأثير الحار الذى سقط بالدموع مرة خلف مرة، فماذا تفعل قصص الرعب، ومناظر المجون، ومشاهد السفه والبذخ فى نفوس غضة ترى ما يزعج المشاعر، ويوقد الأحاسيس! أعجب العجب أنى رأيت فى إعلان التليفزيون حلوى مصنع على هيئة السيجارة، ثم قرأت فى الصحف أن هذه الحلوى بيعت لتلاميذ إحدى المدارس فأصابت بعض الأطفال بالتسمم، وحُلّلت الحلوى فوجد فيها ما يضّر تماما بالطاعم! أوليس فى اختيار السيجارة بالذات إغراء حقيقى بالرجوع إلى الأصل، وهل مُنعت إعلانات التدخين، حتى نأتى بإعلانات الحلوى مؤكدة لها دون خوف من النتائج ذات الأثر البعيد.

المدرس القدوة.. كيف يوجد؟!

أعود إلى المدرسة التى ينتقل إليها التلميذ من البيت مباشرة فأتساءل أيجدُ الآن فيها المدرس النافع أو القدوة الصالحة؟ إن المدرسة ابتدائية وغير ابتدائية لم تعد مكاناً لتربية السلوك وتنمية الشخصية بوجه من الوجوه، فهى دروس صورية تلقى على التلاميذ فى كثافة مفرطة ترهق الذهن الغض، وتأتى الامتحانات الشهرية لتكون إزعاجاً لأولياء الأمور كى يدفعوا بلاءها بالدرس الخصوصى، أما المدرس القدوة فكيف يوجد؟ وهمّه الأول حث التلميذ على الدرس الخصوصى، ومحاباة من التجأ إليه مضطراً ليتقى شرّه، فإذا وزعت نتائج الامتحان الشهرى وجد التلميذ المجتهد الذى لم يأخذ درساً عند مدرس المادة درجته هابطة، وأحياناً يفاجأ بالرسوب عن عمد، كما ينظر فيجد زميله المهمل قد أخذ الدرجة النهائية لأن المدرس شمله بعطفه إذ كان مدرسه الخاص! أىّ قدوة يمثلها هذا المدرس الذى ينظر إلى التلميذ كما ينظر الصائد للعصفور وأىّ تقدير يناله من تلميذ يلمس الظلم صارخا أمام عينيه ولا حيلة له إلا أن يلجأ إلى أبيه كى يُسعفه بدرس يرفع



درجته فى الامتحان، ويعفيه من نظرات المدرس القاسية، وتربّصه به إذا بدأ بحركة يعدّها غير طبيعية فى رأيه إذ يتناوله بالسباب المقرط دون احتشام.

وبهذه المناسبة أذكر ما علمته بأن بعض المدرسات فى كثير من المدارس رأت أن تكون أمّا لجميع التلميذات، لا بمعنى أن تبدى حنان الأم ورأفتها بالزهرات الغضة، بل بمعنى أن يكون لها هدية خاصة فى عيد الأم تحرص كل تلميذة على إهدائها، وفى التلميذات من يستطعن إهداء الشيء النفيس، وفيهن من لا يجدن غير الإهداء الرمزى، وهو يعد ذو قيمة مادية مهما انحدر مستواه، ولكن المدرّسة تستعرض الهدايا فى الفصل، وتُقرّع صاحبة الإهداء المتواضع، صار ذلك عرفا متواضعا فى أكثر مدارس البنات، وللناظرة حظها من الهدية إذا رأت المدرسة مجاملتها كى تسكت! أليس هذا مثلاً شاذا، ولكنّه عام قد انتشر عاما بعد عام حتى أصبح ضريبة مفروضة، فإذا كان ولى الأمر أباً لثلاثة فماذا يصنع حين يجابه بالدرس الخصوصى ويصبح أمرا لا فكاك منه، وحين يجابه بهدايا عيد الأم ثم يقال له إن التعليم مجانى، ولن تمس المجانية بحال! فى هذه البيئة المدرسية تنحط القدوة إلى أسفل درجات الانحطاط وفيها يتحرّش التلاميذ بمدرسيهم إذا استطاعوا، فقد سقطت الهيبة، وضاع التوقير، لقد مضى عهد كان فيه الأستاذ أباً رحيماً، يعرف تلاميذه معرفة الوالد الشفق، ويتحسس مشاعر كل ولد من أولاده، فإذا شاهد ما يدل على الحزن فى سحنة تلميذ، دعاه إلى مكتبه وسأله عمّا به! وإذا لمس من مظهر التلميذ ما يدل على الحاجة سعى إلى ناظر المدرسة كى يمنح التلميذ ما يحتاج من صندوق الرعاية مالاً أو كساءً أو حذاءً، كان هذا التكافل الاجتماعى الفريد مصدر عزة للمدرسة وموضع مهابة وإجلال من التلاميذ، وكانت المدرسة برحلاتها وندواتها موضع استرواح للطلاب، وموئل متعة بما تقدّم من ألوان النشاط؛ أين ذهب ذلك كله!! وهل سيعود؟

الأب الخامل ألحق أبناءه بمدرسة الإجرام

وتترك أطفال المدارس إلى الأطفال الذين لم تتهيأ لهم سُبل التعليم، وخطرهم أفدح وأوجع، وقد ابتليت بهم المدن الكبرى، كما انتشروا فى القرى والنجوع، فإذا كانت العشوائيات فى المدن تضم أسرهم المسكينة فإن أكواخ القرى تعج بهم كالذباب الطائر فى كل مكان، ومصيبة هؤلاء أن أولياء أمورهم لا يشعرون نحوهم بأدنى مسئولية بل يتخذونهم أداةً للعيش بما يسلكون من اعوجاج، وقد جدّت ظاهرة أليمة فى هذا الوسط البائس، تلك ظاهرة الأب الخامل، الذى لا يتحمّل أدنى مسئولية تجاه أسرته، ويدع للأم

أن تبذل جهد الجن فى جمع الفتات مما يصلح للزاد، فتارة تكون خادمة، وتارة بائعة ألوان من الخضار ذى الثمن الزهيد، وتارة سائلة تتكفف، وفى يدها غلام، وعلى كتفها طفل، والأب حين يأنس من أطفاله بعض القوة يدفعهم إلى الكسب غير المشروع، عن طريق النشل أو التسول، فترى الأطفال فى الأسواق وفى المقاهى، وفى عربات الترام يتسولون، ويتعرضون لأقوى الأخطار فى القفز من عربة إلى عربة، وفى الوثب إلى الرصيف إن وجدوا من يحاول إيذاءهم، وقل بعد ذلك ما مستقبل الواحد من هؤلاء وقد شب على السرقة، ووجد الازدراء والإيذاء من الجمهور؟! كم يحمل من شحن الغضب والكراهية لكل من يراه مكفول الرزق؟! وطبيعى أن أمثال هؤلاء لم يسمعوا نصيحة تهدى إلى الخير ولم يعرفوا أى معنى للفضيلة، فإذا شبوا عن الطوق كان الإجرام أقوى وسائلهم للكسب، وقد يجد الأطفال (معلما) خطيرا يجمعهم طوائف شتى ليرسم لهم طريق السلب، ويدفعهم إلى أماكن يعرف أنها ذات ازدحام تيسر الجريمة، ثم يأتون بما نهبوه ليتالوا منه الفتات. ومن تقاعس عن أداء مهمته لقى العذاب، وشهر به بين زملائه الذين فهموا الشجاعة فهما خاطئا غرسه فى نفوسهم الأب الكسول الذى دفعهم إلى الموبقات المنكرة و«المعلم» الحقير الذى جعل السرقة أمراً مشروعا لاشىء فيه!! إننا نعلم أن أبواب الخير قد اتسعت لإيواء بعض هؤلاء المشردين بين الملاجىء والمبرات، ولكن طوفان النسل المتزايد يجعل هذه الأبواب قطرات متساقطة لا تسقى ظمأ، وأكبر الآفات أن تجد هذا الأب الكسول الخامل ذا الأولاد الخمسة، يسعى إلى أن يتزوج امرأة أخرى تأتى بخمسة آخرين ليؤدوا الرسالة المشروعة لديه، إذ نشهد -للأسف- فى الريف من يتزوج اثنتين أو ثلاثا دون أن يتحمل أدنى مسئولية فى الإنفاق وعلى الأم أن تنفق عليه أولا، وعلى أولاده ثانيا!

الرسالة الحقيقية للإصلاح النسوى

وقد كنت أحسب أن السيدات اللامعات اللاتى يطالبن بحقوق المرأة فى الوزارة والنيابة والقضاء يجعلن من رسالتهن العمل على إسعاد الأم البائسة!! أليست حقوق المأكل والمشرب والمأوى تقتضى اهتماما بالمرأة المسكينة، يكون فى الواقع ميدان العمل الجاد، وقد قال أحمد شوقى (الأم مدرسة) ليصور رسالة الأم فى نهضة جيل يشرئب إلى الكفاح الجاد، فكيف تكون الأم مدرسة، وهؤلاء البائسات لا يجدن من يأخذ بأيديهن ممن ينادين بحقوق المرأة فى النيابة والوزارة والقضاء! وكأن ذلك كله هو الأمل المنشود

لربات الأزياء ورائدات الصالونات، إن بائعة الخضروات تتعرض لابتزاز بعض الفتوات ولا تجد من يحميها، وإن الخادمة فى المنزل قد ترهق بأعباء لا تستطيع القيام بها فإذا توانت فالضرب والكى بالنار والحبس القهرى ولا تجد من يحميها، وإن جرائم الاغتصاب قد تعددت حتى زكمت رائحتها الأنوف ولا تجد من يأخذ بناصر الضحية فينادى بتشديد العقوبة على الجريمة النكراء! ألا تكون بائعة الخضروات والخادمة والمغتصبة موضع عناية من ينادين بحقوق الوزارة والقضاء والنيابة!! ويتصدرن الندوات ويملأن الصحف للإعلان عن ذواتهن، وهن بعد زعيمات يسعين إلى تأكيد حقوق المرأة، وإنصافها من الرجل الظالم! لقد طفح الكيل دون أن تعرف هؤلاء الرسالة الحقيقية للإصلاح النسوى المنشود!

خطوات على طريق الإصلاح

قد لا تستطيع معالجة هذه الأوبئة على نحو سريع، ولكن السير خطوة خطوة مما يسعف بهذه المعالجة، وأول هذه الخطوات أن نفرض على الرجل ألا يتزوج بأخرى إلا إذا اتسعت موارد رزقه، وقدم ما يثبت أنه ذو اقتدار على أن ينفق على منزلين لا على منزل واحد، كما نفرض على العاطل أن يبحث عن عمل قبل أن يقدم على الزواج! وليس فى ذلك مخالفة للشرع الحنيف، فقد قال الرسول ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء! وبذلك نحد من طوفان التشرد من منبعه ونرحم الأمة من وجود جيل قادم سينخر فى كيانها بما يرتكب من موبقات!

ويلى! لقد صرت خطيبا متبريا، ولا بأس، فاللسان والقلم سيان فى النصح التوجيهى، بل قد يتاح للسان من الحرية مالا يتاح لصاحب القلم، إذ يتكلم فى مجتمع محدود، وله تأثيره الذى يقتضى مجاملته، أما أنا فقد أغفلت الكثير من الأسماء، والأماكن. والأحداث عامداً كيلا أثير ثائرة من أخصهم بالانتقاد، أغفلت ذلك متألما، وأنا أردد قول الشاعر الجاهلى:

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة
أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(الآيات: ١١٦ - ١١٧)

والمراد بالذين كفروا فى قوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

جميع الكفار، لأن اللفظ عام، ولا دليل يقتضى تخصيصه بفريق من الكافرين دون فريق. والمراد من الإغناء فى قوله:

﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾

الدفع وسد الحاجة يقال: أغنى فلان فلانًا عن هذا الأمر، إذا كفاه مؤنته، ورفع عنه ما أثقله منه.

أى: إن الذين كفروا بما يجب الإيمان به، واغتروا به، واغتروا بأموالهم وأولادهم فى الدنيا، لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا - ولو يسيرا - من عذاب الله الذى سيحيق بهم يوم القيامة بسبب كفرهم وجحودهم.



وقد أكد - سبحانه - عدم إغناء أموالهم ولا أولادهم عنهم شيئًا - فى وقت هم فى أشد الحاجة إلى من يعينهم ويدفع عنهم - بحرف «لن» المفيد لتأكيد النفى، وخص الأموال والأولاد بالذكر، لأن الكفار كانوا أكثر ما يكونون اغترارا بالأموال والأولاد، وقد حكى القرآن غرورهم هذا بأموالهم وأولادهم فى كثير من الآيات، ومن ذلك قوله - تعالى -:

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾

[سبأ: ٣٥]

ولأن من المتعارف عليه بين الناس أن الإنسان يلجأ إلى ماله وولده عند الشدائد، إذ المال يدفع به الإنسان عن نفسه فى الفداء وما يشبهه من المغارم، والأولاد يدافعون عن أبيهم لنصرته ممن يعتدى عليه.

وكرر حرف النفى المعطوف فى قوله:

﴿ وَلَا أَوْلَادُهُم ﴾، لتأكيد عدم غناء أولادهم عنهم، ولدفع توهم ما هو متعارف من أن الأولاد لا يقعدون عن الذب عن آبائهم.

فالمقصود من الجملة الكريمة نفى الانتفاع بالأموال والأولاد فى حالة اجتماعهما، وفى حالة انفراد أحدهما عن الآخر، لأن المال قد يكون أكثر نفعا فى مواضع خاصة، والأولاد قد يكونون أكثر نفعا من المال فى مواطن أخرى، فبتكرار النفى تأكد عدم انتفاع الكفار بهذين النوعين فى أية حال من الأحوال.

فإن قيل: لقد نص القرآن على أن الكفار لا تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم يوم القيامة، مع أن المؤمنين كذلك لا تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم، فلماذا خص الكافرين بالذكر؟.

فالجواب أن الكافرين هم الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم، وهم الذين اعتقدوا أنهم سينجون من العقاب بسبب ذلك، أما المؤمنون فإنهم لم يعتقدوا هذا الاعتقاد، ولم يغتروا بما منحهم الله من نعم، وإنما اعتقدوا أن الأموال والأولاد فتنة، ولم يعتمدوا فى نجاتهم من عقاب الله يوم القيامة إلا على فضله ورحمته، وعلى إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح.

و﴿ مِّنَ ﴾ فى قوله: ﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ ابتدائية، والجار والمجرور متعلق بتغنى.

وقوله: ﴿ شَيْئًا ﴾ منصوب على أنه

مفعول مطلق أى: لن تُغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا من الإغناء والدفع.

وتنكير ﴿ شَيْئًا ﴾ للتقليل.

وقوله:

﴿ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

تذييل قصد به بيان سوء عاقبتهم، وما أعدّ لهم من عذاب شديد.

أى وأولئك الكافرون المغترون بأموالهم وأولادهم، هم أصحاب النار الذين سيلازمونها، ويَصْلَوْن سعيرها، ولن يصرفهم من عذاب الله أى ناصر من أموال أو أولاد أو غيرهما.

وقد أكد - سبحانه - هذا الحكم العادل بعدة مؤكدات منها: التعبير باسم الإشارة المتضمن السلب من كل قوة كانوا يعتزون بها، ومنها: ذكر مصاحبتهم للنار وخلودهم فيها، أى ملازمتهم لها ملازمة أبدية، ومنها: ما اشتملت عليه الجملة الكريمة من معنى القصر، أى أولئك أصحاب النار الذين يلازمونها ولا يخرجون منها إلى غيرها، بل هم خالدون فيها.

ثم ضرب - سبحانه - مثلاً لبطلان ما كان ينفقه هؤلاء الكافرون من أموال فى الدنيا فقال:

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

أى من أموال فى وجوه الخير المختلفة، كمواساة البائسين، ودفع حاجة المحتاجين.

و«ما» موصولة، والعائد محذوف، والتقدير، مثل ما ينفقونه.

﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾

أى كمثل ريح فيها برد شديد قاتل للنبات. وقيل: الصر: الحر الشديد، وقيل: الصر: صوت لهيب النار التى تحرق الثمار.

وذكر - سبحانه - الصر على أنه فى الريح، وأنها مشتملة عليه، وهى له ظرف وهو مظروف، للإشعار بأنها ريح لا تحمل عوامل النماء للزرع، وإنما هى تحمل معها ما يهلكه.

وقوله:

﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾

أى أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر وارتكاب المعاصى فدمرته وأهلكت ما فيه من ثمار وهم أحوج ما يكونون إلى هذا الزرع وتلك الثمار.

والحرث هنا مصدر بمعنى المحروث، وأصل كلمة حرث: فلح الأرض وإلقاء البذر فيها، ثم أطلقت على ما هو نتيجة لذلك وهو الزرع.



وفى التعبير بقوله:

﴿ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾

تذكير للسامعين، وبعث لهم على ترك الظلم، حتى لا يصابوا بمثل ما أصيب به أولئك الذين ظلموا أنفسهم من عقوبات رادعة، وأضرار فادحة.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

أى أن الله - تعالى - ما ظلمهم حين لم يقبل نفقاتهم، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بإيثارهم الكفر على الإيمان، ومن كان كذلك فلن يقبل الله منه شيئًا؛ لأن الله - تعالى - إنما يتقبل من المتقين.

والضمائر فى هذه الجملة الكريمة تعود على أولئك الكافرين الذين ينفقون أموالهم مقرونة بالوجوه المانعة من قبولها.

وفى هذه الآية الكريمة تشبيه بليغ، فقد شبه - سبحانه - حال ما ينفقه الكفار فى الدنيا - على سبيل القُربة أو المفاخرة - شبه ذلك فى ضياعه وذهابه وقت الحاجة إليه فى الآخرة من غير أن يعود عليهم بفائدة، بحال زرع لقوم ظالمين، أصابته ريح مهلكة فاستأصلته، ولم ينتفع أصحابه منه بشىء، وهم أحوج ما يكونون إليه.

قال صاحب الانتصاف: أصل الكلام - والله أعلم - مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا، كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم، فأصابته ريح فيها صر فأهلكته.

ولكن خولف هذا النظم فى المثل المذكور لفائدة جليلة. وهى تقديم ما هو أهم لأن الريح التى هى مثل العذاب، ذكرها فى سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث.

فقدمت عناية بذكرها، واعتمادًا على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام إلى أصله على أيسر وجه، ومثل هذا فى تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى:

﴿ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾

ومثله - أيضًا - أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه. والأصل أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت. وأن أدعم بها الحائط إذا مال، وأمثال ذلك كثيرة»[1].

***

(١) «الانتصاف على الكشاف» للشيخ أحمد بن المنير جـ١ ص٤٠٠.

السنة:

إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم بسنده عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: بينما النبي (ﷺ) في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله (ﷺ) يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل أبو هريرة الدوسي، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله (ﷺ) ثم لزمه وواظب عليه، رغبة في العلم، فدعا له رسول الله (ﷺ)، وكان من أهل الصفة [1]، وشهد له ابن عمر أنه كان ألزم الصحابة برسول الله (ﷺ)، وأحفظهم لحديثه، لذلك قال البخاري: روى عن أبي هريرة

---

(١) (مكان مظلل في مسجد المدينة كان يأوي إليه فقراء الصحابة، ويرعاهم الرسول (ﷺ).



أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع، وقد استعمله الفاروق (رضي الله عنه) على البحرين، ثم عزله، ثم أراده على العمل فامتنع، وسكن المدينة، وبها كانت وفاته سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع، وكان عمره ثمانية وسبعين عاماً، رضي الله عنه وأرضاه، وأسكنه فسيح جناته جزاء ما خدم به حديث رسول الله (ﷺ).

اللغويات

متى الساعة؟ يعني: ما الوقت الذي تقوم فيه القيامة؟ فمضى رسول الله (ﷺ) يحدث: يعني فأخذ رسول الله (ﷺ) يتابع حديثه دون زجر السائل، بل اكتفى بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه فرفق به، لأنه من الأعراب، وهم جفاة، وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعيناً، ولا الجواب.

فقال بعض القوم: سمع... الخ: أي: ظن بعض الحاضرين أن النبي (ﷺ) سمع ما قاله الأعرابي فكره ما قاله فأعرض عن الجواب، وظن آخرون أن النبي (ﷺ) لم يجب، لأنه لم يسمع ما قاله الأعرابي.

«حتى إذا قضى حديثه: أي: فرغ النبي (ﷺ) من حديثه.

«فإذا ضيعت الأمانة»: الأمانة مصدر أمن يأمن إذا صار أميناً، والأمانة - كما نقل ابن منظور - ضد الخيانة، والمراد بالأمانة في قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

كلمة التوحيد، وقيل: العدالة، وقيل: العقل.

والأمانة في الاصطلاح: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصلاة والزكاة والصيام، وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، فهي بذلك كل ما يؤتمن عليه الإنسان من أموال وحرم وأسرار.

«إذا وسد الأمر إلى غير أهله»: أسند الأمر إلى غير أهله.

الشرح والبيان

الأمانة صفة من صفات سفير الحق إلى رسل الله (ﷺ)، وأمين الوحي جبريل عليه السلام، وقد وصفه الله (عز وجل) بذلك في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾

الشعراء ١٩٢ - ١٩٤

وهي صفة بارزة أصيلة، وخلق كريم من

أخلاق الرسل الكرام (عليهم والصلاة والسلام)، فنوح وهود وصالح وشعيب ولوط يخبرنا الله (عز وجل) عنهم في سورة الشعراء - أن كل رسول منهم قد قال لقومه:

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾

(الشعراء: ١٠٧)

أخلاق المؤمن

لذلك عني الإسلام بالأمانة، وحرص على تثبيت دعائمهما في المجتمع الإنساني عامة، والإسلامي خاصة، فلم يكن عجباً والحال هذا أن كانت الأمانة أول صفة استقرت في نفس نبينا (ﷺ)، حيث عرف بين قومه منذ نشأته بالأمين، وعلى أساس هذه الأمانة كانت رسالته، وقامت دولته، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الأنفال ٢٧

فالأمانة خلق من أخلاق المؤمن الأصيلة، تنبع من فطرته السليمة، وقلبه الطاهر، وعقيدته الصافية والأمانة والإيمان صنوان متلازمان لا يفترقان، فلقد روى البزار عن علي «رضي الله عنه» قال: كنا جلوساً مع رسول الله (ﷺ) فطلع علينا رجل من أهل العالية، فقال: يا رسول الله، أخبرني بأشد شيء في هذا الدين وألينه، فقال: «ألينه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأشده - يا أخا العالية - الأمانة، إنه لا دين لمن لا أمانة له، ولا صلاة له، ولا زكاة له».

صدقت ياسيدي يا رسول الله، فكم من رجل يشهد أن لا إله إلا الله، وهو يعبد مع الله هواه! فالهوى إله يعبد من دون الله، قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

الفرقان ٤٣ و٤٤

وقال:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

الجاثية ٢٣

هذا وقد قال علي «رضي الله عنه»: «أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى، وطول الأمل»، وذلك لأن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي

الآخرة، وقال الشعبي: «إنما سمي الهوى هوى، لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية»، قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

القارعة ٨ - ١٠

ومن أقوال الحكماء: «من أطاع هواه أعطى عدوه مناه»، ومن أقوالهم كذلك: «العقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع»، ومن ثم جاء قوله سبحانه:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

الكهف ٢٨

وقوله سبحانه:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

القصص ٥٠

صدقت يا سيدي يا رسول الله، فكم من رجل يشهد أن لا إله إلا الله، وهو يشتري رضا الناس بسخط الله، ويؤثر ما عندهم على ما عند الله - صدقت يا سيدي يا رسول الله، فكم من رجل يشهد أنك رسول الله، وأنت لا تعيش في ضميره، ولا تحيا في وجدانه، لا يقيم شرعك ولا يتبع سنتك، ولا يتخلق بأخلاقك، وما هي إلا كلمات يرددها اللسان بلا وعي، وتتحرك بها الشفتان دون تفاعل مع القلب والوجدان!

فقل لمن يدعي الإسلام مجاناً
هلا أقمت على دعواك برهانا

الإنسان مجموعة من الأمانات

لهذا كان أيسر شيء في هذا الدين وأسهله شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً (ﷺ) عبده ورسوله، إذ بالشهادتين ينطق البار والفاجر، والطائع والعاصي، والصالح والطالح، والمحسن والمسيء والخير والشرير.

أما أشد شيء في هذا الدين فالأمانة، إذا الأمانة كلمة واسعة الدلالة، مترامية الأطراف، فهي تتناول الدين والأعراض، والأموال والأجسام، والأرواح والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية والشهادة والقضاء، والكتابة، ونقل الأحاديث، والأسرار، والرسالات والسمع والبصر، وسائر الحواس.

والحديث عن الأمانة حديث الحياة والأحياء جميعاً، وكيف لا؟! والإنسان في هذه الحياة مجموعة من الأمانات صغيرة كانت أو كبيرة، وهو مطالب ألا

يخون فيها، وألا يفرط في أدائها، لكن يبدو أن الإنسان تسم طبيعته بالتفريط والجهالة، فقدعرض الله على السماوات الأمانة فأبت أن تحملها، وعرضها على الأرض فأشفقت منها وعلى الجبال الشداد فهابتها، وعلى الإنسان الضعيف فحملها لظلمه وجهله، وقد سجل القرآن الكريم ذلك، قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

الأحزاب ٧٢

فبدنك أيها الإنسان أمانة عظيمة غالية، وأنت مسئول أمام الله (عز وجل) عن كل قطرة دم جرت في عروقك، عن كل ذرة لحم نبتت في جسدك، وكيف لا؟! ورسول الله (ﷺ)، يقول فيما رواه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه): «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» - رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وجوارحك وحواسك أيها الإنسان أمانة، يجب أن تستعمل كلا منها فيما أحله الله، وتسمو بها عما حرم، أنت مسئول عن كل كلمة تنطق بها لسانك، أو سمعتها أذنك، مسئول عن كل نظرة من عينيك، عن كل شمة من أنفك، عن كل حركة من يديك، عن كل خطوة من قدميك، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾

الإسراء ٣٦ - ٣٨

ونفسك أمانة، وعمرك أمانة، ومالك أمانة، وأنت مسئول أمام الله عن كل ذلك، قال رسول الله (ﷺ) فيما رواه معاذ بن جبل (رضى الله عنه): «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟» - رواه الطبراني في المعجم الكبير.

وإذا كان العلم أمانة فعلى العالم أن يعمل بعلمه أولا:

وعالم بعلمه لا يعملن
مقدما في النار على عابد الوثن

وأن ينشره على الناس ثانياً، فإذا فعل كان العلم حجة له أمام الله ومعتقا له من النار، أما إذا كتم العلم فإن العلم يكون حجة عليه، ويجلب له الهلاك وعذاب النار.. قال رسول الله (ﷺ) فيما رواه أبو مالك الأشعري: «والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه



فمعتقها، أو موبقها» رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة.

الأمانة العلمية

أما تعلمون أنه لولا الأمانة العلمية لضاعت معالم الشرائع، ولانطمس وجه الحق والصواب، لهذا كانت كلمة الحق أمانة من أعظم الأمانات، وكان السكوت عنها خيانة من أبشع الخيانات، قال رسول الله (ﷺ) فيما رواه أبو سعيد الخدرى (رضى الله عنه) وأورده الطيالسي في مسنده: «لا يحقرن أحدكم نفسه، أن يرى أمرا لله عليه فيه مقالاً، ثم لا يقوله، فيقول الله (عز وجل): ما منعك أن تقول فيه؟ فيقول: رب خشيت الناس، فيقول الله (عز وجل): «وأنا أحق أن يخشى».

والشهادة أمانة، يجب أن تؤدى بأمانة، وكتمانها خيانة، وتكون يوم القيامة حسرة وندامة، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

البقرة ٢٨٣

والزوجة والأولاد أمانة، والإسلام يفرض على كل مسلم أن يرعى حقوقهم، وأن يلزمهم الأدب والطاعة، وأن يجنبهم مزالق الهوى، ومراتع السوء، وأن يحول بينهم وبين ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

التحريم ٦

والتجارة أمانة، فعلى التاجر أن يصدق، وأن يمتنع عن الأيمان الكاذبة التي يروج بها سلعته، قال (ﷺ)، فيما رواه الترمذي عن رفاعة: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وبر وصدق» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وروى أبو سعيد الخدرى انه (ﷺ) قال: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وقد قال أهل الرمز في كلمة (تاجر): هي مكونة من أربعة أحرف: أولها التاء، وهي رمز للتقوى، وثانيها الألف وهو رمز للأمانة، وثالثها الجيم وهي رمز للجرأة، ورابعها الراء، وهي رمز للرحمة وللرأفة.. فالتاجر الناجح من توفرت فيه هذه الأمور الأربعة: التقوى والأمانة والجرأة والرحمة.

والشركة أمانة عظيمة غالية، وعلى الشريك أن يكون مخلصا لشريكه، وألا يخونه بأى لون من ألوان الخيانة، وإلا انتزعت البركة من بينهما، قال رسول

الله (ﷺ) فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعا: «إن الله يقول أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما»، والصنعة في يد الصانع أمانة، وعلى الصانع أن يتقن صنيعته، وأن يفي بعهده مع عملائه، لقد قال رسول الله (ﷺ) فيما روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) «إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» رواه البيهقي في الشعب.

الرجل المناسب في المكان المناسب

والوظيفة في يد الموظف أمانة، فإذا مد الموظف يده إلى الناس، ليأخذ على انجازه أعمالهم أجرا، أو قبل هداياهم للغرض نفسه، فتلك خيانة، قال رسول الله (ﷺ) فيما رواه أبو داود في سننه عن بريدة: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول».

هذا وإن من الأمانة أن توسد الأمور إلى أهلها، وأن يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأن يقدم ذوو الكفاءات العالية، والخبرات الواسعة، والتجارب المتعددة، والمواهب المتميزة ممن يتمتعون بالخلق والدين، والتقوى والورع والصلاح على غيرهم، أما حين تملأ المناصب، وتشغل الوظائف على أساس القرابة، أو الهوى، أو الرشوة، أو المحسوبية - دون نظر إلى كفاءة، أو خبرة، أو جدارة، أو موهبة - فتلك خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا التصرف جدير بأن يزلزل بنيان المجتمع، ويقوض أركانه، قال رسول الله (ﷺ)، فيما رواه ابن عباس (رضي الله عنه) «من استعمل رجلاً من عصابة، وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه - فقد خان الله وخان رسوله، وخان المؤمنين» رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

اختلال الموازين

ألا ونحن في عصر اختلت فيه الموازين، واضطربت فيه المعايير، وتغيرت فيه القيم في نفوس الناس، وسكت عن ذلك الساكتون، وغفل عن العلاج المصلحون، قطعت الشفاعات على الكفاءات، والرشوة والمحسوبية على الخبرة والموهبة، فتقدم من أسف الخامل، وتأخر العامل، واحترم الجاهل، واحتقر العالم، وأصبح المنافق المرائي مرضياً عنه، والمخلص الملتزم مغضوبا عليه، ولعل ذلك إيذان بنهاية العالم وقيام الساعة، فلقد روى البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: بينما النبي (ﷺ) في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله (ﷺ) يحدث.. فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟

قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».. وقد روى الحاكم أن رسول الله (ﷺ) قال فيما رواه عبد الله بن عمرو: «والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن».

المقياس الحق

فالمقياس الحق الذي يقاس به درجات الناس في الإسلام يرجع إلى ما يتمتع به الإنسان من المروءة والنجدة، وتقوى الله، وحسن الخلق، بصرف النظر عن المال والجاه والنسب، فربما كان خير شاهد على ذلك - الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: مر رجل على النبي (ﷺ) فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله (ﷺ) ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله (ﷺ): «ما رأيك في هذا؟»، فقال: هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول الله (ﷺ): (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا)..

فهذا هو الإسلام، وتلك مبادئه، ومقاصده التي تسعد البشرية في معاشها ومعادها، ولن تجد الإنسانية رشدها وصوابها إلا في ظل الإسلام، والإسلام وحده - بمبادئه الخالدة - هو الذي يصنع الرجل الأمين السوي، صاحب الضمير النظيف، واللسان العف، واليد الطاهرة التي لا تمتد إلا بالمعروف والإحسان، وبذلك تصان حرمات الله من أن تنتهك، وحقوق العباد من أن تنتهب، وأعراضهم من أن تلوث، وشرفهم من أن يدنس، وبالتالي يعيش الناس جميعا سعداء، ويرضى عنه رب العباد، لا تفرقهم الدنيا، ولا ينزغ بينهم الشيطان، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

***

الأعياد فى الإسلام

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

ما من أمة أو شعب إلا وله أعياد وأيام يحتفى بها ويعبر فيها عن سعادته بذكرى من الذكريات الاجتماعية أو القومية ولقد تجد أن الأعياد فى كثير من الأمم مجال خصب للعبث المشين واللهو المريب، فمظاهر البهجة والسرور مدعاة إلى الشراب وإلى الحفلات الماجنة التى تذهب العقول وتعود بالإنسان إلى حيوانيته بعد أن سلب عقله الذى كرمه الله به على سائر المخلوقات

والإسلام وهو الدين الذى اختاره الله للإنسانية بأسرها والذى يحرص على خيرها وإسعادها أقر هذه الظاهرة ولكن دون ما بها من مجون وربطها بحادثين سعيدين يظهر فيهما المسلم طاعته لربه ويفرح فيهما بإتمام النعمة عليه، هذان الحادثان هما:

- فرحة الفطر بعد التوفيق بصيام شهر رمضان إيماناً واحتساباً بالأجر الذى خص الله به الصائمين
- والحادث الآخر هو فرحة إتمام منسك الحج وفرحة العودة والرجوع من الحج مجرداً من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

ولهذا نرى أن الإسلام جعل للمسلمين عيدين هما عيد الفطر وعيد الأضحى وربط هذين العيدين بالتوفيق إلى إتمام شعيرتين دينيتين هما الصيام والحج ابتهاجاً بهذه النعمة وإظهاراً للفرحة فكانا مثل الواحة التى يلجأ إليها الإنسان فى صحراء الحياة ينشد



فيها الخلود إلى الراحة والظل الظليل.

والإسلام عندما شرع للمسلمين عيدى الفطر والأضحى أراد أن يوجد بموازينه العادلة ومعاييره الدقيقة حداً فاصلاً بين ما كانت عليه الأعياد قبل الإسلام حيث كانت الفرحة تصل بأصحابها إلى حد الخروج عن حد الاعتدال بل تصل إلى حالة من الفوضى الأخلاقية والاجتماعية.. هذه الفوضى غير محددة الأطراف والمعالم لأن فيها التحرر من كل قيود الغيرة والشرف ويطلقون العنان لإلغاء العقل والانسياق إلى الغرائز الحيوانية.

فجاء الإسلام ليلقى على الأعياد قيماً إنسانية نورانية يبعدها عن هذا الانحلال والفجور ويحفظ على الإنسان المسلم عقله ودينه.

يروى أصحاب السنن عن أنس – رضى الله عنه: قدم النبى ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية. فقال: قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى»(١) ويروى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «دخل علىَّ النبى ﷺ فى يوم عيد وعندى جاريتان تغنيان فلم يقل شيئاً ولكنه اضطجع على الفراش وحوّل وجهه ثم دخل أبوبكر فانتهرنى وقال: أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله؟ فقال ﷺ: دعهما يا أبابكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»(٢) ولكن يجب أن نعلم أن المقصود من الغناء ليس الذى يثير الغرائز من ألوان الغناء الماضى بل هو من قبيل اللهو المباح الذى أباحه الإسلام وحث عليه للترويح عن القلوب ولتجديد النشاط مثل حثه على ممارسة بعض الرياضات البدنية التى تكسب صاحبها القوة والعزيمة والمناعة ضد الأمراض فما أجدر بنا أن نقتفى هذه المعايير وتلك الأسس فى احتفالاتنا بأعيادنا الدينية حتى تكون فيها البهجة والسرور والسعادة فى الدارين.

والأعياد فى الإسلام: شُرعت لتأصيل المبادىء الإسلامية التى جعلت الأمة كلها جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى فهى أمة واحدة فى شعورها وفى مظاهر أعيادها التى تتسم بالود والمحبة حين يلاقى المسلم أخاه فى يوم العيد وكذلك إلى أبعد من إظهار هذا الود والحب بمعنى أقوى من ذلك كله وهو نظام المشاركة المالية والمادية التى شرعها الله سبحانه وتعالى بين أعضاء هذه الأمة الإسلامية حيث فرض الله سبحانه وتعالى زكاة

(١) سنن أبي داود جـ١ / ٢٦٤.
(٢) صحيح ابن حبان.

الفطر للتوسعة على الفقراء والمحتاجين وشرع الأضحية فى عيد النحر لتغنيهم عن السؤال هذا اليوم ولهذا فالواجب على كل مسلم أن يتعرف على سر التشريع الذى شرع بمقتضاه زكاة الفطر وطعام الأضاحى.

إنها وحدة الأمة والمساواة التامة بين جميع أفرادها التى أراد الإسلام أن يجعل الأمة الإسلامية كلها تعيش فى كنفها، ويريد بذلك أن يخاطب المسلمين جميعا «يجب ألا تطلع عليكم شمس يوم العيد وفى بيت من بيوت المسلمين جائع أو عريان ولا يوجد على أرض الإسلام سائل أو محروم ويجب أن تعم البهجة والحبور كل النفوس وترتسم الابتسامة على كل الوجوه حتى يصير إحساس الأمة كلها بعزة الإسلام وأن يمحى من سجلها ذل الحاجة والسؤال.

● والأعياد فى الإسلام: فرصة متجددة للصلح والصفح والعفو فما أجدر المتخاصمين أن يتصافحا في هذا اليوم ويتبادلا التهنئة بالعيد وتمحى آثار الخصام.

● والأعياد فى الإسلام: فرصة للترويح وتجديد الحياة فى إطار الحلال كما أنها فرصة لتقوية الصلات الأسرية والاجتماعية وإن هذه الخلال الحميدة التى ترتسم على وجوه المسلمين فى هذا اليوم تباهى بها الأمم الأخرى بجمال هذا النظام الاجتماعى وطهارة احتفالاتها بالعيد من مظاهر الفسق والفجور.

● والعيد فى الإسلام: يوم تتجدد فيه المشاعر الإسلامية وفيه الترويح عن القلوب والأجساد حتى تجدد نشاطها وتدفعها إلى العمل الجاد المنتج النافع للفرد والجماعة.

● والأعياد فى الإسلام: انتصار على الشرور والآثام ونشر للفضيلة والخيرات وهى إشعار للأمة بأنها تملك قوة التغيير لما ران عليها من خمود واستكانة إن العيد يكون عيدا يوم أن تتحد كلمة الأمة تجاه أعدائها فتستطيع أن تصد عن كيانها سهام الأعداء الذين يتربصون بأوطانهم وعقيدتهم ويسيئون إلى مقدساتهم دون رادع يردعهم.

● إن الأعياد فى الإسلام: يجب أن تكون وسيلة لإدخال الفرح والسرور على المسلمين عندما نصل إلى زيادة الإنتاج وننتج من مصانعنا كل ما نحتاج إليه من ضروريات وعندما نزرع كل ما نحتاج إليه لما يكفي احتياجاتنا من الطعام وسوف نفرح بأعيادنا وتشعر بقيمها الروحية والترويحية التى أباحها لنا ديننا الحنيف.

● والأعياد فى الإسلام: تكون أعيادا عندما نستلهم من شهر رمضان ما تعلمناه فى مدرسة الصيام من الانتصار على نوازع النفس الإنسانية وما تنزع

إليه من الشرور والآثام والتحلى بالأخلاق الرمضانية التى تحث على المودة والإخاء وكبح جماح النفس البشرية التى تجنح بصاحبها إلى السوء وذلك لأن «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان»[٢] كما فى الحديث الشريف.

● الأعياد فى الإسلام: تدفعنا إلى ما تعلمناه فى مدرسة الصيام من الإخلاص فى العمل فإن الإخلاص الحقيقى يكون فى هذه الفريضة التى هى سر بين العبد وربه فهى عبادة خالصة لله تعالى وإذا تمثلنا هذا الإخلاص فى سائر أعمالنا لوصلنا إلى قمة النجاح ووصلنا ذروة الفلاح فى حياتنا وفى مآلنا وهذا الإخلاص يجب أن يكون شعارنا أيضا فى الأعمال كلها بعد رمضان وذلك لأن الأعمال الصالحة التى تعودنا عليها خلال شهر الصيام من صيام، وقيام، وصلات أرحام، وصدقات، هذه الأعمال كلها وغيرها تحتاج إلى صيانة وصيانتها فى المداومة عليها ولهذا يجب ألا يكون آخر عهدنا بتلك الفضائل شهر رمضان وشهر الصيام بل يجب أن يكون رمضان عدة لما بعد رمضان ونكون قد خرجنا من صيام هذا الشهر بتلك الفائدة المرجوة، وقد أصبح فعل الخيرات سجية راسخة فى كل مسلم، وكذلك البعد عن المنكرات والسيئات أصبح من شيمة الإنسان المسلم، وأصبحت جوارح الإنسان كلها مسخرة فى طاعة الله تعالى وفى عبادته والتى منها العمل المفيد النافع الذى ينفع الفرد والمجتمع فى آن واحد، لأن الإسلام ليس مقصورا على العبادة فقط بل الإسلام عبادة وعمل ينفع البشرية كلها ويفيدها فى حياتها.

ولهذا فإن من الواجب على كل مسلم أن يراقب الله ويستمر بنفس الروح التى كان يعيش بها أيام وليالى شهر رمضان حتى تكون قد خرجنا من شهر رمضان ومن شهر الصيام بأعظم الفوائد وبأفضل النتائج التى حصلنا عليها من خلال معايشتنا لهذا الشهر الكريم

والله نسأل أن يمدنا بالعون والتوفيق إلى ما فيه صلاحنا وصلاح أحوالنا حتى نكون من عباده المخلصين والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

***

(٢) رواه البيهقى.

مواقف إسلامية

يتراشقون.. ولكن بالزهور

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

اختصم عثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما.. قال أبو عبيدة: أنا أفضل منك بثلاث..

- فسأله عثمان: وما هن؟
- قال:

الأولى: إني كنت يوم البيعة حاضراً.. وأنت غائب.

والثانية: شهدت بدرا.. ولم تشهده..

والثالثة: كنت ممن ثبت يوم أحد، ولم تثبت أنت.

- قال عثمان: أما البيعة.. فإن رسول الله ـ ﷺ ـ بعثني في حاجة ومد يده عني وقال:

هذه يد عثمان بن عفان.. وكانت يده خيراً من يدي.. وأما يوم بدر فإن رسول الله ـ ﷺ ـ استخلفني على المدينة.. ولم يمكني مخالفته.. وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها..

وأما انهزامي يوم أحد.. فإن الله عفا عني.. وأضاف فعلي إلى الشيطان فقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

(آل عمران: ١٥٥)

إن التحدث بنعمة الله تعالى مبدأ قرآني.. مأمور به أحيانا، على ما يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

(الضحى: ١١)

ولكن المبدأ محكوم في نفس الوقت بروح القرآن العامة الداعية إلى أن يكون التحدث كغيره من صور الأعمال والأقوال مراداً به الاعتراف بربوبية المنعم سبحانه ثم إشاعة النعمة لتظهر آثارها.. بعيدا عن الرياء وما يترتب عليه



من غرور يفسد طعم النعمة حين يسير بالإنسان في اتجاه معاكس لما خلقت له.. وهو المعنى الملحوظ فيما رواه صاحب الكشاف:

عن عبدالله بن غالب أنه إذا أصبح يقول: رزقني الله البارحة خيرا.. قرأت كذا.. وصليت كذا: فإذا قيل له: يا أبا فراس.. مثلك يقول هذا؟..

قال: يقول الله تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

(الضحى: ١١)

وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله..

وفي هذا الإطار.. يتحدث أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه كاشفاً عن ترحب هذه الشخصية الإسلامية التي لم يكن دورها فقط أن تجيد صناعة الموت في ساحة النضال بيد أنها كانت بالإيمان تمتلك ثروة من الأدب العالي مازالت الإنسانية في حاجة إليها ليستقيم خطوها على أسس من هذه المبادئ.. فإذا بارحنا هذه المبادئ طالعنا عجبا:

لقد كان الصحابة يختصمون.. إنهم ناس من البشر.. اختلفت منازعهم فاختلفت زوايا الرؤية.. لكن خلافهم لم يكن حول دنيا تصاب أو امرأة تنكح.. إنه خلاف لا يفسد للود قضية: يستهدف دائما نصرة الحق فوق كل اعتبار.. وتتوارى فيه ذات الإنسان فلا تدخل في دائرة الجدال ليكون البحث جاداً على الصواب في كل موضوع.. وعلى هذا النحو لا مجال للانفعال الذي يحجب دلائل الحق ـ وما دامت ذات الخصم لا دخل لها في حلبة الصراع فالتجريح غير وارد أبدا.. ولا داعي لأن يستفز أبو عبيدة عثمان فيقول له مثلا كنت ممن ثبت.. وكنت ممن هرب.. ولا بأس أن يعترف عثمان بالهزيمة صراحة وهو اللفظ الذي تحاشاه أبو عبيدة.. ذلك بأن المناظرة تدار لحساب الحق هنا.. وتجاوز الاستفزاز أعون على ظهور الصواب ويستلفت النظر بادئ ذي بدء أن دعوى التفضيل تواجه رجلا كعثمان وهو زوج بنت رسول الله.. وإذن: فتقرير حقائق أكبر من كل منصب وأقوى من كل سلطة.. وإن صهر رسول الله كغيره من الصحابة.. يجوز في حقه النقد.. بل يجب ذلك إذا كان سبيلاً إلى تمحيص النفوس وشحن همتها وبعث عزيمتها لتتخلص من عيوبها وصولا إلى الكمال.. وشيوع خير المناظرة هكذا يؤكد استقرار هذا الأمر في ضمير الأمة.. وصار في علاقاتها شرعة ومنهاجاً. وحتى يحقق النقد ثمرته الموجوة لا يدعي أبو عبيدة بفضل على عثمان مطلقاً ودائماً.. لكنه يحدد نقاط التفاضل في ثلاث يرى نفسه أرجح فيها، ومعنى ذلك بداهة أن ما سواها من أمور قد يسبق فيها عثمان.. وحلبة الصراع واسعة ومجالاتها متعددة.

وكما يقولون قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل.

ولقد تصورت مدى الشجار الذي يمكن أن يقع بين اثنين في حياتنا اليوم.. حين يدعي أحدهما تفوقا على زميله. وقد تتداع دائرة الصراع بسبب من غرور الفاضل حين يستحوذ

في ظنه على الفضل كله وفى أسلوب يثير الغبار لتصبح المعركة بين فرد وفرد.. لا بين فكرة وفكرة وحينئذ فسوف تنتهي حتماً بهزيمة الفريقين لكن أباعبيدة كان يعلم الحياة درساً في أدب المناظرة ولا يساويه إلا أدب عثمان في حسن التلقي حين يسأل في أدب واسترشاد عن هذه الأمور قائلاً: «وماهن ؟».. لم يقل له: ومن أنت حتى تنتقدني. وألا تعرف من أنا حتى تتجرأ عليّ؟ ولم يستخفه الغضب وحب الذات إلى ثورة يكيل فيها الصاع لأخيه صاعين فما له من حاجة إلى ذلك بل ربما حسن لما سمعه من زميله.. لأنه في تقديره يعينه على معرفة عيوبه في محاولة للتخلص منها حتى يكون مع أبي عبيدة في الفضل سواء.. وفوت الإثنان على الشيطان فرصته فلم يستطع أن يضرب ضربته وربما صارت مآخذ عثمان - بالغضب - أربعة لا ثلاثة، وربما أيضاً أضاع أبوعبيدة بالزهو.. فضائله الثلاث.. وإذن: فلم يكن أدب عثمان في تلقيه.. أقل من أدب أبي عبيدة في دعواه.. وكان أدبهما معاً سبيلاً إلى الحق في موضوع النزاع. ولقد كان لأبي عبيدة موقف خطير في غزوة بدر.. حين تصدى لأبيه فقتله وكان الظن بمنطق المزايدات - أن يذكر هذا الموقف على رأس القائمة وهو يعدد فضائله.. بيد أنه لم يفعل وجعل من مجرد شهوده بدراً كميداً موضوعاً للتفاضل.. وهو الأمر الذى كان في مقدور عثمان أن يفعله أما ما يحققه المجاهد من تفوق في المعركة.. فقد يعود إلى ظروف خاصة تتاح لفرد.. ولا تتوافر لآخر.. ولم يكن مفروضاً على عثمان أن يكون له والد مشرك ليقتله؟!.

وإذا كان من المقرر.. إذا أردت أن تطاع فكلف بما يستطاع فكذلك في مجال النزاع.. فليكن التفاضل فيما يدخل في إطار الإمكان بالقدر المتاح للطرفين.. والقضية هي أن رجلاً يتحدث بنعمة الله عليه.. وهي كلها أمور حققت الدعوة من ورائها خيراً.. أما الحديث عن الأمجاد الشخصية فلا مكان له في قلوب كبيرة تحارب وتسالم ابتغاء مرضاة الله تعالى.

وإذا كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي، فلم يكن موقف عثمان شيئاً غير هذا، وها هو ذا يدافع عن نفسه في أدب جم.. فيقرر أنه لم يكن يوم البيعة حاضراً.. لأنه كلف من قبل الرسول «بمهمة» رسمية.. وإذا كان قد فاته شرف الحضور فما فاته شرف نيابة الرسول. عنه على نحو جُعل له ويجب أن يعلم كل مسلم أن تحقيق النصر لا يرد فقط الى كل يد تحمل السلاح.. بل إن كل جهد مبذول محسوب للإنسان وإن كان ضئيلاً.

يقول الحق سبحانه:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٠)



﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة: ١٢١)

وكذلك كان عثمان رضي الله عنه لقد قطع وادياً في سبيل الله.. فهو مشمول بالآية الكريمة وإذا بدا هذا العمل صغيراً في أعين البعض.. فإن الآية الكريمة ترد كلا إلى نصابه حين تقدم النفقة الصغيرة على الكبيرة

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾

(التوبة: ١٢١)

وهذه الأمور يتحملها جمهور الناس.. ولو أنك واجهتهم بالأدوار المعقدة للوهلة الأولى.. لخارت قواهم وضاعت في الزحام، أما النفقة الصغيرة.. أما الأدوار الميسرة ولو كان الدور سفراً قاصراً.. ولو كان تبرعاً يسيراً فذلك في محتوى الجميع.. على نحو يجعل معنى الجهاد شاملاً متراحباً.. يضم كل عمل.. فإذا الجهد اليسير مضموم إلى مثله يصير عملاً كبيراً يصلح الله به الأمة.. ويحقق به النصر المأمول.. وفوق ذلك..

فقدت أتيحت الفرصة أمام الأعمى.. والمريض.. والأعرج لينضووا تحت علم جهاد في هذا اليسر الذى به الإسلام.. الذى أتاح الفرصة لمثل هؤلاء أن يكونوا حتى بالكلمة الطيبة.. بالدعوة الخالصة شركاء في تحقيق الأمل على أن يكون ذلك تفسيراً لتخليف عثمان في بدر: لقد تخلف عثمان بالمدينة طاعة لرسول الله، تماماً كما كان قتال أبي عبيدة طاعة لرسول الله..

ففيم التفاضل إذن؟..

وإذا كان أبو عبيدة قد انتصر على المشركين.. فأكد بذلك معنى البطولة في الإسلام فإن عثمان حين دفن زوجته بيده أكد معنى الوفاء في الإسلام أيضاً.

وما أحوج الجماعة الى مافي البطولة من قوة يغيظ الله بها الكفار: وما في الوفاء من قوة يحفظ الله بها الأسرة أن تزول.. ثم يتألق عثمان في قمة شجاعته الأدبية.. حين يعترف بالهزيمة صراحة ولا يغلفها بمعسول الكلام. «أما انهزامي يوم أحد.. فقد عفى الله عني».

لقد سمي الموقف باسمه الحقيقي.. هزيمة.. ولم يقل.. كانت نكسة إنه صادق مع نفسه.. مع الواقع الذى يعايشه وما حدث في ذلك اليوم لابد أن يكيف التكييف السليم.

- إنه أولاً: فعل الشيطان الذى سول لبعض المسلمين فانكبوا على الغنائم مخالفين بذلك أمر الرسول.
- ثانياً: لقد عفا الله عن المسلمين المنهزمين وأنا منهم..

وتبقى بعد ذلك حاجة المسلمين متجددة إلى مثل الحوار المبارك والذى تواجه فيه الفكرة الفكرة، ويشتبك فيه الرأى مع الرأى اشتباكاً يسفر في النهاية عن انتصار الحق المجدد.. وتتوارى بالحجاب حظوظ النفس وتطلعاتها وآمال الإنسان في التفوق على زميله ولو على حساب الحق.. الذى يجب أن يكون الولاء له وحده والولاء له دائماً.

خطبة الجمعة :

الإسلام وروابط المجتمع

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، هو رحمن الدنيا والآخرة، وقيوم السموات والأرض، والهادى إلى الصراط المستقيم، أشهد أن لا إله إلا الله، هو ولى النعمة ومصدر الرحمة، «إن رحمة الله قريب من المحسنين»، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، القائل له ربه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى ذريته وأنصاره وأهل صحبته، والقائمين بأمر دعوته.

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨]

يا أتباع محمد ﷺ

لقد جاء الإسلام ليوثق علاقة المؤمن بالمؤمن على أكرم أساس، وفي ضوء أطهر نبراس، ومن أجل هذا أقام مجتمعه على أساس «الأسرة»، باعتبار أنها اللبنة المتينة الحصينة التي تجعل روابط هذا المجتمع عميقة وثيقة، لأن الأسرة تتكون من شريكين يرتبطان بعقد توثقه كلمة الله، ثم تكون للزوجين حياة مشتركة، وعواطف متجاوبة، ثم تكون لهما ذرية



تزيد روابط الأسرة وثاقة وعمقاً.

الأسرة الكبرى

ولم يجعل الإسلام معنى «الأسرة» مقصوراً على حياة هذين الشريكين وبينهما، بل علم أبناءه أن ينظروا إلى الحي أو القرية أو المدينة على أنها «أسرة» أكبر نوعاً ما من أسرة البيت، وأن ينظروا إلى أمتهم المؤمنة على أنها الأسرة الكبيرة الواسعة النطاق:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]

وأن الإنسانية أو البشرية هي الأسرة الكبرى التي تنتهي إليها غاية الإنسان وعزيمته بعد أن يكون قد أدى ما عليه من واجبات وتبعات نحو ما يسبق هذه الأسرة الكبرى من أسر أخرى أضيق منها نطاقاً، وهي بحكم ضيق نطاقها، وبحكم قربها من صاحبها أولى بالتقديم والعناية والاهتمام، ولذلك قال رسول الإسلام ﷺ: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول»[1]، ثم قرر أن الأقربين أولى بالمعروف، ثم أوصى بالجار القريب والجار البعيد، ثم قرر أن المؤمنين أخوة ثم قرر أخيراً أن خير الناس أنفعهم للناس.

ولتوثيق الروابط الإنسانية بين الأفراد شرع الإسلام نظام «الميراث» الذي يحفظ كيان الأسرة ويدعمه، ويوثق الروابط بين الأقرباء وشرع نظام النفقة، بين الأصول والفروع أو بين الأقارب ليحقق التكافل بين هؤلاء وهؤلاء، وشرع نظام «الحضانة» الذي يصون الطفولة من التشرد والضياع، وشرع نظام «الوصاية» على القاصر، لكي يتصرف الوصي الرشيد بدله تصرفاً سليماً حكيماً يؤدي إلى خير القاصر وحفظ ممتلكاته وتثمير أمواله، فإذا كبر القاصر أدرك أن سابقيه قد صنعوا معه الجميل فيقابلهم بمثله

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]

آداب الإسلام

وشرع نظام الحجر على السفيه الذي لا يحسن التصرف حتى لا يبدد ماله ولا يضيع ثروته، وهناك نظام «الكفالة لليتيم» و«الكفالة للقيط» و«الضيافة للغريب» و«الإرشاد للضال»، وكل هذه نظم أراد الإسلام بها أن يعمق الصلات بين الفرد والفرد، وأن يقيم العلاقات بين أبناء الأمة على أسس من الأخوة والمحبة والتعاون على البر والتقوى.

ولتوثيق هذه العلاقات شرع الإسلام آداباً وقواعد للمعاملة الاجتماعية الحميدة في الأمور

(١) رواه البخاري جـ٢/١١٨.

الكبيرة والأمور الصغيرة، حتى شملت هذه الآداب النظرة واللفتة والكلمة والتحية وهيئة الحركة، فالإسلام يحث المسلم مثلا على أن يحسن القول ويبذل التحية لمن يلقاه عرفه أم لم يعرفه حتى يشيع التعارف والتآلف، فيقول سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه: «إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام»[٢]. ويحرضه على مصافحة معارفه حتى يتأكد الود بينه وبينهم، وتزول عنهم ما قد يكون غائماً في أفق صلاتهم وروابطهم، ولذلك يقول الحديث: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»[٣]. ويحرضه على أن يتذكر دائماً أنه ليس وحده في بيئته ومجاله، بل هناك من قد يكون أحق بسبقه في ركوب أو نزول أو مسير أو تناول شيء من الأشياء، إلى غير ذلك من الأوضاع. وها هو ذا القرآن يعلم أهله مثلا أن يوسعوا في المجلس أو يخلوا مكانا فيه لمن يستحق التوسعة أو النهوض، فيقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[المجادلة: ١١]

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

والحديث النبوي يعلمنا في هذا المجال أن نكرم الشيخ الطاعن في السن، والمرأة العجوز أو الحامل، والضعيف مهما يكن، فيقول: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[٤] أي عند شيخوخته، وفي رواية: «من أكرم ذا شيبة سخر الله له من يكرمه عند شيبته» ويقول الحديث: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»[٥]. ويعمم الرسول الحث على الرحمة والرفق بالضعفاء وتقديم من يستحق التقديم فيقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»[٦]. ويوسع الإسلام باب الإحسان في المعاملة وييسر أسبابه، فنجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه يخبرنا بأن الكلمة الطيبة صدقة، وأن التبسم في وجه الإنسان صدقة، وأن الإرشاد إلى الطريق صدقة، وأن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأن إعطاء القليل من الماء صدقة؛ وكأن الإسلام بهذا يريد أن تتحلى كل ألوان

(٢) المعجم الكبير جـ٢٢/١٨٠.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) سنن الترمذي جـ١/٣٢٦.
(٦) سنن أبي داود جـ٢/٧٠٢.



المساعدات للناس بحلية إلهية ربانية تؤدي إلى جمالها وبهائها في الدنيا، وإلى حسن الثواب عليها في الآخرة.

المؤمن مرآة المؤمن

ومن حرص الإسلام العظيم على توثيق الروابط الكريمة بين الناس أنه دعا إلى معاونة الإنسان غيره للاستقامة في السلوك والتحلي بالمكارم، وذلك عن طريق النصح الرقيق والتوجيه الرفيق، ومن هنا قال سيد البشرية محمد ﷺ: «الدين النصيحة»[٧] وقال: «المؤمن مرآة المؤمن»[٨] وقال: «إن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه»[٩]. ومن ألوان التعاون على هذه الاستقامة أن يحسن المرء الإغضاء عما يقع فيه صاحبه من هفوة أو خطأ، فالحديث يقول: «من أقال مسلماً عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة»[١٠] ويقول: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[١١] ويقول: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تتبعوا عورات الناس، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ففضحه ولو في عقر بيته»[١٢]. ولا يكتفي المسلم في هذا الباب بالإغضاء عن الزلة، أو العفو عن الخطأ، بل هو لا يتيح الفرصة للمفسدين كي ينالوا الناس بالتجريح أو الافتراء، فما أوسع باب الشر في هذا المجال، والحديث يقول: «من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار».

يا أتباع محمد ﷺ:

فليكن الإنسان منا في هذه الحياة بحسن معاملته للناس، وجميل سلوكه معهم - وردة تنفح غيرها بالشذا الطيب والعبير اللطيف، فإذا رآها الناس شغفوا بها وحرصوا عليها، وإن غابت عنهم تطلبوها وسعوا إليها.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[العنكبوت: ٦٩]

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة: ٨٨]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل: ١٢٨]

***

(٧) رواه مسلم.
(٨) سنن أبي داود جـ٢ ٦٩٧.
(٩) سنن الترمذي ٤/٣٢٥.
(١٠) صحيح ابن حبان جـ١١ / ٤٠٥.
(١١) شعب الإيمان للبيهقي جـ٧/٣٥٥.
(١٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

الأمة القدوة

للدكتور/ حمدى فتوح والى

كلما قرأت قول الحق تبارك وتعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وقابلت بين حال هذه الآية وحال هذه الأمة أشعر بحالة من الحسرة والألم لما أراه من خراب الذمم، وفساد فى الأخلاق، وتبلد فى المشاعر وظلام فى الضمائر، وازداد ألما وحسرة عندما رأى سكوت الناس عن تلك الحال ورضاهم بها ووقوعهم فيها لكنى لا أستغرب ذلك عندما أعلم أن الناس يتأثرون بكبارهم ويقتدون بعلمائهم، ويقلدون أصحاب الجاه والسلطان فيهم وقديما قالوا الناس على دين ملوكهم.

إن الناس عندما نظروا إلى موضع القدوة فيهم، فلم يجدوا صلاحاً فى الدين، ولا غيرة فى العرض، ولا استقامة على الحق، سهل عليهم الانفلات من القيم وهم آمنون من اللوم لأنهم أمنوا من العقاب «ومن أمن العقاب أساء الأدب».

إن الدعوة إلى الإسلام ليست فقط خطباً تلقى أو مواعظ تؤدى أو كتباً تكتب، أو كلمات تذاع، وإنما الدعوة الحقة هى ما يراه الناس من سلوك الداعى ومن أفعاله وأقواله



وأحكامه وآدابه.

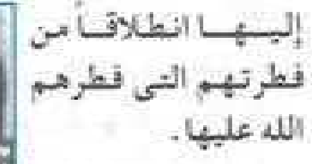
إن الإسلام الذى فتح الدنيا وانتشر فى الأرض كلها فى زمن وجيز لا يعدو بضعة عقود من السنين لم يحتج فى انتشاره إلى مدارس وجامعات وكتب ومكتبات وإنما احتاج إلى نماذج من البشر كان كل واحد منهم يمثل الإسلام أخلاقاً وسلوكاً وأحكاماً ومعاملات.

يقول الشيخ محمد الغزالى: «إن الدعوة إلى الإسلام تكون بعرض ثماره فى الأخلاق والأحوال أعنى ثماره فى أتباعه المؤمنين به ويومئذ ترجى الإجابة ويرتقب الاهتداء».

إن خلق الدولة، وصلاح أنظمتها، وكفالتها لأكبر حظ من السعادة والعدالة للأفراد كان هو الباعث الأعظم على دخول الناس فى دين الله أفواجاً، وقبولهم عن طيب خاطر الانضواء تحت راية الإسلام»(١).

لقد دخل معظم أهل الأرض فى الإسلام تأثراً بأخلاق الدعاة المسلمين دون أن يروا جيشاً، أو يرفع أحد عليهم سيفاً، مما يجعلنا ندرك مقدار ما يتركه السلوك العملى فى أخلاق الناس من أثر.

إن الجماهير حين يرون ممن يدعونهم إيثاراً لهم على أنفسهم، وتعباً من أجلهم ليستريحوا، وتعرضاً للأذى ليسعدوا، يدركون قيم الحق والعدل والجمال فينجذبون إليها انطلاقاً من فطرتهم التى فطرهم الله عليها.



الغزالى

إن جماهير الناس عندما رأوا فيهم نماذج رائعة من الفضل والعدل، لم يلبثوا أن تابعوهم وزاحموهم فى هذا الفضل والعدل الذى مثلوه بسلوكهم وأخلاقهم خير تمثيل.

صدق الدعاة سلوكا وأخلاقا

ولهذا فإن من الخطأ أن نحسب دخول الناس فى الإسلام أو انتقالهم من حالة الفوضى الأخلاقية إلى الالتزام بأحكام الدين، أن نحسب ذلك بالأزمان أو وضع الخطط، وإنما ينبغى أن يحسب ذلك بمدى صدق الدعاة إلى الله فى إظهار الإسلام سلوكاً يمارس، وأخلاقاً تطبق فى أروقة الحياة.

إن النفس البشرية مهما بلغت فى تسفلها وانحطاطها لا يمكن أن تعجب وتبهر بالمجرمين والمنحرفين.

«هل تظن الأخلاق الرضية تعجب بالأخلاق الرديئة؟

وهل تظن أن المتقدم فى أفكاره ومشاعره يعجب بالمتخلف فى هذه وتلك؟ كلا.. كلا.

(١) مع الله- محمد الغزالى ص٢٩٨.



إن المسلمين استحقوا أن يتأسى الناس بهم، وأن ينسجوا على منوالهم وأن يقلدوهم في أقوالهم وأعمالهم وأن يهجروا لغاتهم الأصيلة إلى اللغة العربية الوافدة، لأن المسلمين كانوا يمثلون في العالم نهضة مجددة راشدة مسعدة»[2]..

ومن هنا فإنني أقول للعقلاء في العالم هل تعتقدون أن أمريكا تستطيع أن تنال حب العالم واحترامه بمجرد أنها تملك القدرة العسكرية والقوة العضلية وتخاطب العالم كله وهي تضع فوهة المسدس في رأسه.

إن الضعيف الذي لا يملك قدرة الدفع عن نفسه قد يستسلم ويتظاهر بالانقياد والطاعة ولكن بركان الغيظ المكتوم في أعماقه وشواظ الكراهية المتأجج في وجدانه ينتظر الفرصة لكي يشتعل نارا في وجه هذا المتأله الكفور.

إن الإسلام وحده يملك كل مقومات السعادة التي تحكم بها البشرية لأنه هو منهج الله الذي خلق الإنسان وأبدعه وشرع له من المبادئ والأخلاق ما يصلحه وما ينفعه

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

لكن هل يكفي أن نقول للناس نحن نملك كل مقومات السيادة وأسباب التمكين، ثم يرى حالنا مخالفاً لكل ما نزعمه وما ندعيه؟!

خداع عقلي

إنني لا أصدق الجائع البائس الذي يبدو بهيئة رثة، وثياب قذرة إذا هو ادعى أنه يملك الأرصدة الكبيرة والعمارات الضخمة، حتى وإن أصر على هذا الادعاء لأن واقعه شاهد على كذب دعواه، أما إذا أحضر من الشواهد والوثائق ما يدل على ذلك فإن هذا لن يزيدني نحوه إلا احتقاراً أو اشمئزازاً، لأنه انتقل في عيني من حالة الرثاء والإشفاق إلى حالة الحمق والشح والحرص الممقوت.

إن الأمة التي تملك مقومات القيادة والسيادة ثم ترى تابعة ذليلة، هي أمة غير معذورة، لأنها لم تستثمر نعمة الله عليها، تلك النعمة التي أدركها أسلافنا فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس، وإذا كانت الغالبية العظمى من هذه الأمة مازالت تطمئن نفسها على أنهم مشمولون بهذا الوصف الكريم وهو أنهم من خير أمة أخرجت للناس، فإنني أرى أن هذا الشعور شعور وهمي بل إنه أقرب إلى الخداع العقلي منه إلى الحقيقة، وذلك لأن أسلافنا استحقوا هذا الوصف لأنهم كانوا أهلاً له، ويقومون في حياتهم بمقتضياته فكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله. أما أهل هذا الزمان فقد حشروا أنفسهم في زمرة المخاطبين بالوصف دون استكمالهم لشروطه أو استحقاقهم

(٢) المصدر السابق ص: ٣٠.

لمقتضياته فأشبهوا في ذلك اليهود والنصارى، الذين يصرون على أنهم أبناء الله وأحباؤه برغم علمهم اليقيني بأنهم لا يملكون شيئاً من مقومات هذا الوصف مما أحوجهم، لكنه نوع من الخداع العقلي يحتاج معه إلى أن ينبه إلى هذا الكذب المقيت بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾

[المائدة: ١٨]

الخيرية ليست إرثاً

وها هي أمة الإسلام تعيش هذا الوهم مرة أخرى، عندما يكثرون من ترديد قوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

وينسون أن هذه الخيرية ليست إرثاً أو عقاراً يورثه الآباء للأبناء، وليست صكاً يمنحه الله محاباة لجنس من الناس، وإنما معيار الاصطفاء عند الله هو بمدى الالتزام بشرعه والقيام بأوامره:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

إن الإيمان ليس دعوى تدعى ولا شعاراً يرفع، وإنما هو اعتقاد قلبي يظهر أثره في واقع الناس، توحيداً خالصاً، وغيرة صادقة، في حب وخشوع وشعور بمنة الله علينا بهذا العطاء الكريم.

إن الأمة التي استحقت شرف السيادة والقيادة لأهل الأرض جميعاً، كانت أهلاً لهذا الشرف وتلك السيادة، عندما استشعر كل فرد فيها أنه قدوة لغيره من أهل الأرض، بدءاً من رسولنا - ﷺ - الذي قدم للبشرية أعظم نموذج بشرى عرفته الأرض، فكان القدوة والمثل في أرقى صوره وأعظم معانيه، واستحق أصحابه هذا الشرف عندما أحسنوا الاقتداء به فقدموا للبشرية أعظم جيل شهدته الأرض واستطاعوا مع ضعف حالهم وندرة مواردهم أن يقدموا للبشرية نموذجاً للكمال البشري في جميع مجالات الحياة.

هل تتقدم أمة الإسلام؟!

واليوم نرى البشرية تتلبط في وحلها وتتخبط في ظلماتها، وتضطرب في طريقة عيشها ومنهج حياتها، وتتفنن في جلب الدمار وصناعة الموت، ويباهون ويفاخرون بمدى ما يملكه كل فريق من مقومات التدمير والإفناء للبشرية، ولم يبق إلا أن تتقدم الأمة القدوة من جديد لتصل تيار النور الإلهي المتمثل في الوحي، إلى النور الإلهي المتمثل في الفطرة السليمة لتعود الروح من جديد تدب في كيان هذا الجسد البشري الذي أمسى صريع أهوائه وشهواته كالذي يتخبطه الشيطان من المس. فهل تتقدم أمة الإسلام التي تملك وحدها وحي الله المقدس لتنقذ الأرض من دمار محقق وفناء رهيب؟

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

عندما يتطاول الأقزام..!!

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

علمنا نبينا حفظ اللسان وأدب الحوار وشدد علينا كثيراً بألا نجازى السيئة بالسيئة، وأن نجازى بالسيئة الحسنة، وطالبنا بأن نعفو ونصفح. ولم يكن ذلك كله أقوالاً مرسلة أو عبارات من قبيل ما يسمى بلغة العصر «الاتيكيت».

إنما هى تعليمات مشددة تدخل فى صميم العبادة. فذات يوم كان النبى ﷺ يصلى فى مسجده وتأخر أناس فلم يلحقوا الصلاة من أولها مع الجماعة. فأسرعوا يبغون أن يدركوا الصلاة فأحدثوا جلبة. فلما أنهى النبى ﷺ صلاته قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وائتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»[1].

ولن أكلفك عناء البحث الجيد العميق للسلف الصالح من الفقهاء العظام فى قوله ﷺ «ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» فذلك مجاله واسع وبابه فسيح قد لا يطيقه كثيرون اليوم!!!!

فقد ثار بحث فقهى جيد حول هل ما أدركنا مع الإمام يكون أول صلاتنا أم أنه آخرها؟

أم أننا نصلى ونحن مع الإمام فيكون أول صلاتنا وبعد فراغه نكمل ما فاتنا. ومبعث هذا الخلاف هو اللغة والفهم السلس لعبارته ﷺ «ما أدركتم فصلوا»، أم لاختلاف الرواية حيث وردت بلفظ «ما فاتكم فصلوا وما أدركتم فأتموا»؟ وهو بحث مؤسس مرجعه اللغة والرواية. ناهيك بقوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[2]. فضلاً عما جاء فى القرآن الكريم من آداب الحوار وحفظ الجوارح ولن أسترسل معك فى سرد الشواهد من الكتاب والسنة ولعلى أكتفى بأن أورد لك قوله تعالى:

(1) رواه البخارى فى الجمعة، باب المشى إلى الجمعة، والأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة مستعجلا.

(2) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب والرقاق ١١/٢٦٥.



﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

[الإسراء: ٣٦]

ولعلك تدرك مدى مسئولية الجوارح فى الإسلام من خلال هذه الآية.

واكتفى بهذا القدر حيث إننى أريد أن أؤكد لك أن الأدب وحفظ الجوارح من صميم العبادة وليس ترفاً يمارسه الساسة والصفوة فى المناسبات الاجتماعية. فالحديث المشهور على لسان كل مسلم فى الصوم قوله ﷺ «إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب»[3] الحديث.

هل تعرف معنى الرفث أو الصخب؟ أعتقد أن عالم الغرب الإباحى اليوم لا يهمه فهمه. بل لا يطيق فهم المراد.

والكلمتان معاً «الرفث والصخب» يشملان كل معنى لا يليق وتنهيان عنه. قولاً باللسان أو فعلاً بالجوارح أو حتى تلميحاً أو إشارة بالإصبع أو نظرة ذات معنى دنئ. ثم يواصل الأدب الإسلامى النبوى سموه ليرتقى بالصائم حتى عن الصخب وهو الضوضاء والجلبة بأى شكل تكون كلاماً أو أفعالاً، أو هما معاً.

أرأيت كيف أن الله تعالى نعى على المشركين أفعالهم عند البيت الحرام قبل الإسلام ومع هذا كانوا يسمونها صلاة وطوافا. قال سبحانه:

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾

[الأنفال: ٣٥]

قال المفسرون: «كانت صلاتهم وطوافهم صفيراً وتصفيقاً وصياحاً. كما أنهم كانوا يطوفون عراة رجالاً ونساء. فأصبح الأمر بعد الإسلام هدوءاً آمناً وسكينة هانئة وصفاء لا تكدره خطيئة. قال ربنا جل شأنه:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[الحج: ٢٥]

وبذلك يؤسس الله - سبحانه وتعالى - حجاب الأمن والطمأنينة للبيت ومن فيه. فحتى مجرد الإرادة محاسب عليها وليس الفعل وتلك حالة فريدة فى شريعة الإسلام، إن مجرد الإرادة معاقب عليها وليس الإثم نفسه.

أرأيت الآثم المعتدى على الإسلام ونبيه حين وصف الإسلام بأنه انتشر بحد السيف وياله من جبن خائف مذعور ينم عن نفسية مخادعة للهروب من المسئولية حين تسب التطاول إلى قيصر من قياصرة الاستبداد.

اسمح لى أيها البابا المتسرع أن أقول لك أننى أوقن أنك لم تدرك ولن تستبين مجلى شمائله ﷺ مهما قيل لك عن خلقه وسمته وحلمه وكرمه. فغاية ما تدركه أنت وبطارقتك أنك تستبعد أن تكون ثمة شخصية حقيقية بهذا الخلق الرفيع وعلى هذا السمت الكريم العظيم!!

وما ذاك - فى تصورى - إلا أنك لم تعرف النبل الحقيقى النابع من داخل النفس النقية!.

إنما تعرفه - إن كنت عرفته - سلوكاً اجتماعياً

(3) أخرجه البخارى.



وليد دبلوماسية حضارة مادية نكدة، كم يعانى العالم منها اليوم كما عانى بالأمس؟!!

لن أتكلم اليوم وأقارن حروب المسلمين كلها بما فعلته حضارتك الآثمة وما زالت تمارسه فى العراق فضلاً عن أفغانستان والشيشان والصومال وما تدبره بمكر خسيس لئيم مخادع للسودان ولكل بلد أو قطر شقى بما فيه من خيرات البترول والمعادن النفيسة.

دعنى من كل هذا وتعال معى إلى قارورة العطر النبوى علّك تشم شذى الخلق المحمدى فى الحلم والكرم ولعل الإنسانية تتفيأ ظلال البستان النبوى الكريم.

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ وقال على ملأ من أصحاب رسول الله: «أعطنى يامحمد فإنك لا تعطينى من مالك ولا من مال أبيك!!».. لن أقول للمتطاولين على رسول الله ﷺ لو أن رجلاً مهما علا قدره قال لواحد منهم ذلك ماذا هو فاعل به؟ إن كان يقدر على الفعل؟

وأعتقد أنه قبل أن يسحله قتيلاً عرياناً أو بعد أن يفعل ذلك سوف يسلط عليه وعلى بنى جنسه الكلاب المسعورة فى النرويج والدانمارك.. فأعطاه النبى ﷺ ثم قال له: «هل أحسنت وأجملت؟» فقال الإعرابى فى جلافة: ما أحسنت ولا أجملت فأعطاه النبى ﷺ ثانياً، وقال: «هل أحسنت وأجملت؟» فقال الأعرابى مثل قوله الأول. فهمّ أصحاب النبى بالرجل أن يفتكوا به، فنهاهم ذو الخلق الرحيم الرفيع، المعلم المربى حقاً، وأخذ بيد الرجل وسار إلى بيته وأعطاه وزاده ثم قال: «هل أحسنت إليك يارجل؟» فلم يسع الإعرابى إلا أن يعترف ويقول: نعم والله لقد أحسنت وأجملت. لم ينته الحوار عند هذا الحد فقد بدأ شذى العطر النبوى يفوح على الإنسانية جميعاً، ثم قال للرجل كأنه ﷺ يستعطفه حتى يشرك الإنسانية جميعاً وليس الرجل وحده.. هلا جئت إلى أصحابى فأسمعتهم ما قلت لى فإنهم وجدوا عليك؟ فقال الإعرابى - وقد لان وهذبته المعاملة الفاضلة السامية - نعم. وإنقاد مع النبى ﷺ إلى أصحابه وأسمعهم ما قاله للنبى مما جعلهم يرضون ويذهب غيظ قلوبهم، ثم بدأ ﷺ يرشد فى سلاسة بسيطة غير معقدة، ليست مثل بنود قانون حقوق الإنسان حيث توجه النبى ﷺ إلى أصحابه يعلمهم ويعلمنا قائلاً: «مثلى ومثلكم كرجل ضلت ناقته فاتبعها الناس فما زادوها إلا نفوراً! فقال لهم خلوا بينى وبين ناقتى فأخذ لها من قمام الأرض فجاءت واستناخت فحمل عليها رحله فلو أنى تركتم والرجل لقتلتموه فدخل النار»[1] الحديث.

هل رأيت يا قداسة البابا - واستسمح المسلمين فى هذا التعبير حيث إنه لا قداسة للبشر عندنا - كيف أن رسول الله ﷺ أنقذ الإنسانية وقدم المنهج السوى لكل معلم وقائد، وأبى أن يهتبل فرصة سنحت لقتل الرجل من جراء كلمة رعناء غير مسئولة؟! رغم أنه فى قانونك وقانون قومك تأبى طبائع الاستبداد إلا أن تقول إن الرجل

(1) سنن النسائى الكبرى ٤/٣٢٧ بلفظ مختلف.

يستحق السحل حياً وميتاً. أليس هذا ما تشاهده أنت ويشاهده العالم فى جوانتانامو وأبوغريب؟ أم أن عين الرضا عن كل عيب كليلة!

وأكرر القول بأن السنة المطهرة أقوالاً وأفعالاً تعدد آفات اللسان والجوارح وتحذر منها ولكنى قصدت أن أقول لك أن حفظ اللسان والسكينة والوقار ليست أقوالاً مرسلة أو عبارات من قبل الإتيكيت إنما هى من صميم الدين وأركان الإسلام.

يقول الله تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

[البقرة: ١٩٧]

بعد هذه الآية الكريمة وبعد ما تقدم من الحديث عن الصوم أعتقد أننى لست بحاجة إلى إضافة لذى عقل. إلا أننى أجد نفسى مدفوعاً للحديث عن معنى الإحرام ولوازمه - بلغة العصر - ومحظوراته حتى يفهم الذين يعاندون الفهم المستقيم. فالإحرام أن تدخل فى السلم والأمان وأن تكون سلماً وسلاماً وأمناً وأماناً لكل الحياة حولك فلا تعتدى على حيوان ولا طائر ولا تنزع بقلة من تربتها فضلاً عن إبادة البشر تحت شعارات زائفة! حتى الحشرات لا يجوز للمحرم أن يتعرض لها إلا أنواعاً مؤذية بطبيعتها للمحرم أن يقتل هذه الأنواع المؤذية لكن لا يتتبعها إن هربت إلا بقدر ما يدفع الضرر عن نفسه وعياله وماله.

كم سولت لى نفسى أنه بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى المحرم عن الرفث والفسوق ليس ثمة مجال للنهى عن الجدال فبعد أن دخل المحرم فى قارورة العطر الآمن أبعد ذلك يكون جدال؟ أصدقك القول أننى أحرمت ذات مرة وفى نفسى شئ من التحذير من الجدال فأوقعنى الله مع قوم لا شأن لهم إلا الثرثرة والجدال والمراء واللدد فى خصومة الكلمات فثبتُ عن ما حدثتنى به نفسى وضجرت من الحوارات الساخطة وسلمت الأمر لله وأسلمت نفسى له سبحانه.

ولقد نهانا ربنا عن السباب بكل أنواعه وفى كل الظروف حتى مع الأعداء المخالفين لنا فى العقيدة، لأن الرد منهم سوف يكون سباباً لله سبحانه وتعالى، فنكون نحن السبب. ومن الإنصاف العجيب الملفت للانتباه أن تقدير ذلك ليس موكولاً للإنسان المسلم فربما يكون فى تقديره محابياً إنما الأمر موكول إلى الله سبحانه وتعالى وتأمل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

[الأنعام: ١٠٨]

تأمل هذا الختام المعجز الذى يوكل أمر التقدير لله سبحانه وتعالى فيجئ ختام الآية هكذا:

﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[الأنعام: ١٠٨]

كما إن فلسفة الإسلام ليست كما زعمت سيفاً وقتلاً ولا كما زعم قومك بأن الإسلام يستخلف أتباعه دون حق ويميزهم على الناس دون استحقاق حيث تأولتم وضجرتم.

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾

مثاليات الإسلام فى الجهاد

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

فى الوقت الذى نشاهد فيه مصارع الأطفال والنساء وكبار السن على أيدى مجرمى الحرب، الذين لا يراعون المعانى الإنسانية، ولا التعايش السلمى فى الحياة، وفى الوقت الذى نشاهد فيه ضرب البنية التحتية وهدم المنازل وتجريف الأرض وترويع الآمنين.

نرى مثاليات الإسلام فى الجهاد، وكيف كان رسول الله - ﷺ - ينهى عن الغدر والتمثيل بالقتلى وينهى عن قتل الأطفال، عن بريدة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: «اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا»[1]

نبينا ﷺ نهى عن الغدر

إن أولى وصايا رسول الله - ﷺ - للجيش ولقائده هى تقوى الله سبحانه وتعالى لأن المعصية أخوف على الجند من الأعداء وكان - ﷺ - ينهى عن قتل الشيخ الكبير والطفل الصغير، والمرأة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال: «انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا

(١) رواه مسلم، وأبوداود، والترمذى، وابن ماجة.



تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»[2]

وواضح أن الإسلام دين السلام والأمان والرحمة ولا يبدأ أحدا بالقتال بل إن المسلمين يقاتلون من يقاتلهم وجهادهم إنما هو فى سبيل الله والقرآن الكريم يوجه الأمة قائلا:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

ومن توجيهات رسول الله - ﷺ - للمسلمين ما رواه عبدالله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو - انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام فى الناس فقال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم»[3].

وفى رواية أخرى عند البخارى ومسلم: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم».

وكان - ﷺ - يقدم القدوة من نفسه فى العمل فى التعاون، فى الجهاد فى سبيل الله، إذ كان يشارك أصحابه، وعن البراء رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله - ﷺ - يوم الخندق - وهو ينقل التراب، حتى وارى التراب شعر صدره، وكان كثير الشعر وهو يرتجز برجز عبدالله:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته[4]

الإحسان إلى الأسرى

وارتباط الإنسان المؤمن بربه فى وقت الجهاد ارتباط وثيق واعتماده على ربه عند الخوف من الأعداء اعتماد عميق، عن أبى موسى رضى الله عنه، أن النبى - ﷺ - كان إذا خاف قوما قال: «اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»[5].

ومن مثاليات الإسلام فى الجهاد أنه يحافظ على البنية الأساسية والتحتية ويحافظ على الأبنية والزروع ويحافظ على الشيوخ وكبار السن وعلى الأطفال

(٢) رواه أبوداود.

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى.

(٥) رواه أبوداود والنسائى.

والنساء ويقبل الهدنة، ويجنح إلى السلام إن جنح إليه العدو.

ومن المثاليات: حسن معاملة الأسرى بل إيثارهم على أنفسهم حيث كان المسلمون ينفذون وصايا رسولهم - ﷺ - بالأسرى، ويؤكد القرآن الكريم على حسن معاملة الأسرى حين يثنى على من يحسن إلى الأسرى فى قول الله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

(الإنسان: ٨)

بل كانت نتيجة حسن معاملة الأسرى وإكرامهم دافعا لهم أن يدخلوا فى الإسلام.

مشروعية الجهاد

بل إن مشروعية الجهاد فى الإسلام تتلخص حكمتها فى الدفاع عن الدين وتأمين الطريق أمام الدعوة الإسلامية وفى الدفاع عن النفس والأرض والعرض والوطن، فالجهاد فى الإسلام محوط بدائرة العدل، لأنه فى سبيل الله لا صلة له بأساليب القهر والسطو والاستعمار.

والمتتبع لآيات الجهاد فى القرآن الكريم يرى أنها قد خصته بإطار سليم نقى، هو أنه فى سبيل الله، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١١١)

وفرض الجهاد أول ما فرض لقتال من قاتل المسلمين وظلمهم قال الله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

(الحج: ٣٩)

وفرض على المسلمين أن يقاتلوا من قاتلهم دون غيرهم ممن لم يقاتلوا فقال الله جل شأنه:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

هذه هى تعاليم الإسلام التى تحافظ على الأنفس والتى ترعى الحقوق حتى فى حال الجهاد.

إنه يدعو إلى حماية الشيوخ والأطفال والنساء والأبنية والزروع، إنه الدين التى يحمى حمى الناس حتى الذين بينهم وبين المسلمين حرب، وهذا يدل على عظمة هذا الدين العالمى الذى لو سادت تعاليمه دنيا الناس وعالم البشر لعاشوا فى سلام عالمى، وفى تعايش سلمى إن الذى يجرى

الآن من عدوان صارخ على الأبنية وعلى الناس، وما يحدث من مجازر بشرية، أمر يندى له الجبين، ويستوجب على الأمة بكل قطاعاتها ومسئوليها، وعلى العالم بكل أنظمته العالمية أن تكون لهم وقفة حاسمة وحازمة لإيقاف فورى للحرب الظالمة وغير المتكافئة وأن تقوم كل القوى بحراسة الأمن فى البلاد لأن انهيار السلام فى مكان يجر إلى انهياره بعد ذلك فى مواقع أخرى.

القوة الحكيمة

وإذا كان تحقيق الأمن فى العالم فى حاجة إلى قوة تستطيع تنفيذه، فإن هذه القوة المرجوة إنما هى القوة الحكيمة العادلة التى ترى حقوق الإنسان، وتصون السلام العالمى الذى بات مهددا بسبب أولئك الظالمين الذين يشنون الحروب لأبسط الأسباب وإننا إذ نوجه للأمة وللعالم أن ينهض لنشر الأمن والاستقرار وإيقاف الظلم والعدوان، والحروب والطغيان، فإننا ندعو الله تعالى أن يمد الأمة والعالم كله بأسباب الأمن والرحمة وأن ينصرنا على القوم الكافرين، وندعو بما دعا به الرسول - ﷺ -. فيما أخرجه النسائى - بسنده - عن رفاعة بن رافع الزرقى - رضى الله عنه - قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله - ﷺ -: «استووا حتى أثنى على ربى فصاروا خلفه صفوفا قال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادى لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، الله ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول، اللهم إنى أسألك الأمن يوم الخوف اللهم عائذ من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق آمين»[6]

***

(٦) رواه النسائى.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة : ١٧٩]

قصة العدد

لطمة على خد

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

حين فتح خالد بن الوليد دمشق، لم يُجْبر شخصًا على اعتناق الإسلام، إذْ لا إكراه في الدين، بل جعل ذلك اختياريا، فإذا لم يسلم أحد باختياره فعليه الجزية مقابل الدفاع عنه.

وكان جبلة بن الأيهم الغساني يقيم بقصر البريص وهو صاحب الأمر في البلاد قبل الفتح الإسلامي، فلم يشأ أن يسلم واكتفى بدفع الجزية ممتنعاً بماله وعبيده، ومن يقيمون معه في قصر البريص.

وكان يظن المسلمين سيرحلون عن دمشق، وتعود له الإمارة ناسيًا أن هرقل قد يئس من نصر الروم وقال قولته المشهورة، حين رحل مضطرا إلى القسطنطينية: «سلام عليك يا سوريا، سلاما لا لقاء بعده».

ومضت الأيام وجَبَلة مُحتبس في قصره، لا أمر له ولا نهي، وقد جلس ذات مساء مع مستشاره وصديقه فضالة بن غانم يحدثه عن احتجازه في القصر كالسجين بعد الأمر والنهي، فقال له فضالة:

● أرى أن تبعث إلى أصدقائك الذين كانوا يأتون إليك في الجاهلية، وقد أسلموا وصاروا من زعماء المسلمين كي يشيروا عليك بما تحب أن تفعله لتكون صاحب الأمر في دمشق فربما تتاح لك الفرصة كي تحوز قبول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فتصبح

واليًا على دمشق، ولديك المال والعبيد، ومازال كثير من القوم في دمشق من أنصارك المخلصين.

●● فتفكر جبلة قليلاً، ثم قال: لي صديقان حميمان، هما: عدى بن حاتم الطائي، وحسان بن ثابت الأنصاري، وكانا يفدان عليّ بالبريص، ويذكران عطاياى الكثيرة لهما، وسأبعث في إحضارهما لأعلم من أمور المسلمين ما يهيىء لي سبيل الإمارة، وأظن لا سبيل لحسان الآن فقد أدركه الهرم.

● فقال فضالة: إن عدى بن حاتم بين الجيوش الإسلامية في حمص، وإذا دعوته فسيصْدقك الحديث.

●● فقال جبلة: أنت الذى ستذهب إلى إحضاره سريعاً، لأنى أتعجل الأمر ولا أطيق الانتظار. وسار فضالة إلى حمص، وقابل عديًا، فعرض عليه رغبة جبلة بن الأيهم في لقائه، ففكر عدىّ، ثم قال:

● إن الرجل من أهل الذمة ولامانع من لقائه فلعل الله يهديه إلى الصراط المستقيم!

عدى بن حاتم.. الناصح الأمين

رجع فضالة مع عدىّ وسرعان ما قابل جبلة بن الأيهم، فسلم عليه سلام النظير للنظير، فتأفف جبلة، وصاح في شبه انفعال:

● أهكذا كنت تلقاني، يا عدىّ قبل انتصار المسلمين، لقد كنت تركع ساجداً، شأنك كشأن الرعايا من حولي فما بالك تقف معي وكأنك أمير من بني غسان!

●● فقال عدىّ: أيها الملك: إن الإسلام قد جعل الناس سواسية كأسنان المشط ولا سجود لأحد غير الله، فانزع عنك هذه الأوهام.

● صُدم جبلة بالرد، ولكنه تحامل على نفسه، ولجأ إلى المجاملة، فقال: أريد أن أقابل عمر بن الخطاب لأعلن إسلامي ويرجع لي الأمر حاكماً على دمشق!

●● فقال عدىّ: أيها الأمير: لقد خدعتك نفسك، لأن عمر لا يعطي الإمارة إلا لمن تشربت روحه مبادىء الإسلام، وعمل على نصرته بإيمان ويقين، ثم إنه لا يعطي الإمارة لمن يطلبها.

بل لمن يراه مستحقاً لها، وفي بلدك الآن قواد عظام من أمثال: خالد بن الوليد، وأبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، فأين أنت من هؤلاء:

● فصاح جبلة: أتذكر هؤلاء الأعراب الجفاة ثم تقول أين أنت من هؤلاء؟

●● فقال عدىّ: أيها الملك أنا ناصح أمين، فإذا أردت الحظوة لدى أمير المؤمنين فتواضع لله، وقد يصح إسلامك فتخلص للحق، وهنا يعرف لك مكانك بين المسلمين.

● قال جبلة: وكيف السبيل إلى لقاء



عمر، وإعلانى إسلامى بين يديه؟

قال عدى: موسم الحج قريب، فانهض إليه بمكة، وربما صدق إيمانك فتخطو الخطوة الأولى فى سبيل تحقيق آمالك!

أحلام منافق

جلس جبلة يستشير فضالة وقال له: سأذهب للقاء عمر، فى مشهد رائع يجذب أنظار الناس، سألبس الحلة المذهبة، وأضع التاج على رأسى وأحمل سيف والدى المطعم بالزبرجد والياقوت، وورائى مائة من الحرس على خيولهم فى أحسن لباس، وأجمل مظهر، فإذا رأى عمر بن الخطاب ذلك دهش وأخذه العجب، وإذا رأى المسلمون من حوله ما أنا فيه من عز وجاه استصغروا أمير المؤمنين، وطمحت عيونهم إلى!

قال فضالة: الأمر لك فيما تفعل، وإن كنت أعلم أن الهرمزان قائد الفرس وملك الجانب الشرقى من فارس قدم على عمر، وعلى رأسه التاج الذهبى، وبيده صولجان الملك، وقد ملئ صدره بالأوسمة والنياشين، فصرخ عمر فى وجهه وقال له: انزع ما عليك من هذه الأوساخ! فلن أسمح بمظاهر الكبرياء والغرور.

فلم يبق عليه غير ما يستر العورة، وأمر عمر بإيداع هذه الثروة الذهبية فى بيت المال، لتكون عطاءً للمسلمين.

قال جبلة: سأذهب فى مشهدى الرائع، وليكن ما يكون!

إسلام لسان لا إيمان قلب

وجاءت الأنباء لأمير المؤمنين وهو بمكة، أن جبلة بن الأيهم قد قدم مسلما فى مشهد حافل من الحراس والجنود، وقد لبس التاج، وحمل السيف، فقال عمر:

نحن فى بلد حرام، وفى شهر حرام، ولن أؤاخذه جهرة أمام الناس، وسأخلو به فى الغد، وأشرح له مبادىء الإسلام فى التواضع، وأبين له حرمة البيت، ومكانة الحج بين الناس، وقد يكون سليم الصدر فيعرف الخطأ من الصواب.

وتهيأ الفاروق للقاء الوافد القادم، فعرف من مظهره ومخبره أنه بعيد عن روح الإسلام، ودهش جبلة لمشهد عمر فى تواضعه وزهده والتفاف الرعية حوله دون حجاب، وكان التعارف قصيرا، حيث اتجه عمر إلى مراقبة الطائفين والعاكفين واتجه جبلة إلى خيام آهلة نصبت له، حملها من دمشق لتكون مظهرا من مظاهر سلطانه، وقد خلا جبلة لصاحبه فضالة بن غانم، وفى نفسه شجون من لقاء عمر حيث لم ير ما كان يودّ من استقبال حافل يليق بمقامه، وعرف فضالة ذلك منه فقال له:

أيها الملك لقد تغير كل شىء بظهور الإسلام، والقوم ذوو قوة وإيمان فلا رأى سوى الاتباع والانصياع.

قال جبلة: أأرجع إلى دمشق دون أن أعطى أمر البلاد؟

فقال فضالة: إن هرقل الذى كانت البلاد تتبعه قر مذعورا خائفا، فماذا سنصنع نحن؟

وفى هذه اللحظة جاء إلى جبلة من يقول له: إن خارج الخيام من يطلب مقابلة الملك ويسمّى حسان بن ثابت.

فأسرع جبلة يقول: أدخلوه، قد كنت فى حاجة إلى رأيه، وعرض لى ذكره فى دمشق، ولكن لم أستطع لقاءه فيها.

فدخل حسان بن ثابت، وحيّا بتحية الإسلام، وجلس جوار جبلة دون استئذان، فأنكر ذلك جبلة فى نفسه، ولكنه كتم شعوره، وقال لحسان:

لقد تغيرت بعدى يا حسان!

فقال حسان: كل شىء تغير أيها الملك، ولكن إلى أحسن! والحمد لله رب العالمين.

فقال جبلة متذمرا: ما خلاصة ما يدعو إليه الإسلام فقد اعتنقته سريعا دون أن أحيط بفحواه.

فقال حسان: الخلاصة فى قول الله تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١، ١٥٢]

فتأوه جبلة وقال: إذن فلا عز ولا سلطان لملك مثلى!

فقال حسان: قلت لك إن الزمن تغير وإن العز والسلطان لله وحده.

فرد جبلة: إذن كان مسعاى فاشلا!

ـ فقال فضالة: أيها الملك لا تقل ذلك الآن، فربما بلغ قولك أمير المؤمنين فقابلك بما تكره ولا حول لك ولا سلطان! عليك أن تتم شعائر الحج وتظهر الامتثال، فقد يشفع لك ذلك عند الفاروق!

فقال حسان: أمير المؤمنين حاسم قوى، ولا يرضى إلا بالإسلام الصريح فاستمع أيها الملك إلى رأى فضالة بن غانم وتهيأ لإقامة الشعائر غدا دون إبطاء.

لا فضل لعربى على أعجمى

ازدحم الحجيج، وتلاقت الجموع فى موكب الطواف، وخف جبلة ليطوف ولكن فى غضب مكتوم، وقد سحب ذيل ثوبه من خلفه، متوهما أن أحداً لا يجرؤ أن يدوسه بقدمه، ولكن مسلما من بنى فزارة قد ألهاه التكبير فى الطواف عن رؤية الثوب الجرار، فداسه بقدمه، وشعر جبلة بما كان، فرأى أعرابيا حافيا يدوس الثوب، فرفع يده إلى الأعلى وصفعه على خده وقال:

● لولا أننا فى الطواف لقتلتك بسيفى.

●● فقال الفزارى: سأذهب إلى أمير المؤمنين ليقتص منك، ولابد من محاكمتك على رءوس الأشهاد.

● فقال جبلة: ما هذا؟ ونظر إلى فضالة بن غانم يسأله: أيسوى الإسلام بين ملك وسوقة!

ـ فقال فضالة: لقد عرفت أيها الملك من قبل أن الإسلام يقول لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى، وأن الناس سواسية كأسنان المشط، وأنا أتوقع شراً إذا وصل الأمر إلى أمير المؤمنين.

كان عمر في مجلسه المتواضع بين صحابيه، فتقدم إليه الفزارى يعلن ظلامته، ويقول إن جبلة لطمه على خده فى مشهد الطواف دون جريرة.

● فقال عمر: لقد صدقت فراستى فيه، إنى منذ رأيته في موكبه عرفت أنه يريد السلطان والجاه باعتناق الإسلام دون أن يتشرب مبادئه، ثم صفق على يده فجاء من أمره بالذهاب إلى جبلة سريعاً يدعوه إلى لقاء أمير المؤمنين.

وفوجىء جبلة بدعوة الفاروق، فأراد أن يحضر إليه فى ملايين الحراس.

ـ فقال له رسول عمر: كلا! أنت هنا فرد من الأفراد، وقد زال ملكك، وأصبح الملك لله وحده. فهنا لم يجد بدا من الامتثال والطاعة، واتجه إلى مجلس الفاروق متخاذلا ولمحه عمر على بعد، فعرف من ملبسه وتاجه وسيفه ما يجول بخاطره، فلم يقم لاستقباله، وقال له:

● اسمع دعوى أخيك الفزارى.

●● فصاح جبلة مغيظا: أتقول أخيك الفزارى وأنا ملك وهو سوقة!

● فقال عمر: لقد سوى الإسلام بينكما، وقد جاء يشكو ما فعلت به، فما ردك؟

●● قال جبلة: لقد داس ثوبى، ولولا أنى تمالكت نفسى لضربته بالسيف.

● فقال عمر محتدا: لو تم هذا لضربتك بالسيف قصاصا عادلا، ولكنك لطمته على خده، فإما أن تعتذر إليه ويعفو عنك، وإما أن يلطمك على خدك فيأخذ بحقه.



●● فحدق جبلة فى الحاضرين، فوجد الجميع على رأى أمير المؤمنين، فقال متخاذلا: دعنى أفكر، وسأرد عليك غدا.

● فقال عمر: أمهلتك يومًا واحداً، ولابد من عفو الفزارى أو القصاص.

الطريد

●● رجع جبلة وهو يحمل على صدره مثل الجبل الشامخ من الهموم، وقد قال في غيظ: أيلطمنى الفزارى أمام الناس، هذا لن يكون.

ـ فقال فضالة: ماذا ترى أيها الملك؟

●● قال: نهرب بالليل فلا يرانا أحد

ـ قال فضالة: وعيون أمير المؤمنين؟

●● قال: سأترك الخيل والحرس، وأكتفى بك وباثنين من الشجعان، ونرحل فى الظلام إلى دمشق.

ـ قال فضالة: لن يتركك عمر، وسيرسل لأبى عبيدة حاكم الشام، كى يسوقك إليه.

●● فقال جبلة: سأقضى فى دمشق يومًا واحداً لأحمل ما أستطيع حمله من الذهب والمتاع وأسافر إلى هرقل بالقسطنطينية ليحمينى!

ـ فرد فضالة: عجبا! هرقل لم يحم نفسه من عمر، وأسرع مذعورا إلى موطنه، وقد قال مقولته الشهيرة «سلام عليك يا سوريا، سلاما لا لقاء بعده» أفيستطيع أن يمنعك من الفاروق.

●● فصاح جبلة: سأعيش لاجئًا فى كنفه ولا سلطان للفاروق علىّ

ـ قال فضالة: أمرك وما تشاء.

وأخذ جبلة يطوى الأرض متنكرا، يسير فى الظلام ويتستر فى الصباح حتى وصل إلى القسطنطينية، وطلب المثول أمام هرقل، فلم يصادف ما أمله من الترحيب إذا قال له الإمبراطور:

● خذلتمونا وكنتم علينا مع العرب، وجئت لتحتمى بى الآن! ثم سكت قليلا وقال: أنا صاحب مروءة ولن أقصر فى حمايتك ما دمت فى القسطنطينية، فإذا شئت أن تتركها فلك أمرك.

●● فقال جبلة: ليس لى غير الاحتماء بك، وسأقيم لديك ما حييت!

وسقطت من عينه دمعتان، وهو يساق إلى حجرة نائية كالأسير.

***

رأس مكارم الأخلاق

الحيــــاء

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

لقد شاءت إرادة الله - تعالى - أن تكون رسالة الإسلام التى بعث بها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام هى خاتمة الرسالات السماوية إلى أن تقوم الساعة، وأن يكون الدين الإسلامى هو الدين الذى ارتضاه الله - سبحانه - ليكون آخر الأديان التى تربط الأرض بالسماء، لذلك جمع الله - وهو العليم الخبير - فى الدين الإسلامى كل ما يصلح شأن البشر ويحقق لهم الأمن والأمان، والسلام والاطمئنان، والرخاء والاستقرار، والسعادة والخير فى أحوال معيشتهم فى الحياة الدنيا، وفى جميع مجالات معاملاتهم بعضهم مع بعض، أفرادا كانوا أو جماعات، ويبشرهم بنعيم الجنة فى الدار الآخرة إذا تمسكوا بتعاليم الإسلام، والتزموا بتنفيذ أحكامه وآدابه... ويحذرهم من مخالفة تعاليم الإسلام وعدم تنفيذ أحكامه وآدابه، ومبادئه وتشريعاته، فعقاب ذلك هو عذاب جهنم وبئس المصير..

والحياء من الصفات عظيمة القدر والمنزلة التى اهتم الدين الإسلامى ببيان فضلها وعلو مكانتها، وشرح قدرها ومنزلتها، وحث المسلمين على التحلى والاتصاف بها، لأنها تضفى على صاحبها كمالا، وتكسبه احتراما، وتحميه من فعل النقائص، وتمنعه من إرتكاب الرذائل، وتصونه من الذم، وتجنبه العيب...

والحيـــاء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق، وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به، وهو ملكة راسخة فى النفس تدفعها إلى إيفاء الحقوق، وترك القطيعة والعقوق.

ويكفى الحياء شرفا وقدراً أنه صفة من صفات المولى عز وجل، فعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حيى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه يدعوه أن يردهما صفرا ليس فيهما شئ»[1].

وقال الفيروز أبادى: وأما حياء الرب تبارك وتعالى من عبده، فنوع آخر لا تدركه ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبر وجود، فإنه كريم يستحى من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا، ويستحى أن يعذب شيبة شابت فى الإسلام.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مثلا وقدوة فى الحياء، فقد قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه - وهو يخطب الناس -: يا معشر المسلمين: استحيوا من الله فهو الذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفضاء متقنعا بثوبى استحياء من ربى عز وجل.

وللحياء مواضع كثيرة متعددة يستحب أن يظهر فيها، وأن يتزين الإنسان بالتحلى بصفة الحياء فيها... فالحياء فى الكلام يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش، وأن ينزه لسانه من العيب، وأن يخجل من ذكر العورات والخوض فى الأعراض، فإن من سوء الأدب أن تفلت الألفاظ البذئية من المرء غير عابىء بمواقعها، وغير مكترث بآثارها، وغير مهتم بعواقبها.. قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاءة من الجفاء، والجفاء فى النار»[2].

ومن الحيـاء فى الكلام أن يقتصد المسلم فى حديثه بالمجالس، فلا يستحوذ على الحديث كله، ولا يســتأثر بالكلام وحده، فإن بعض الناس لا يستحيون من امتلاك ناصية الحديث فى المحافل الجامعة، ولا يعطون الفرصة لغيرهم فى الكلام، فيملأون القلوب بالضجر من طول ما يتحدثون، ويصاب الجميع بالملل والسأم من كثرة ما يتكلمون، وقد كره الإسلام هذا الصنف من الناس، قال رسول الله ﷺ: «من تعلم صرف الكلام ليستبى به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»[3].

ومن الحياء أن يخجل الإنسان من أن يؤثر عنه سوء، أو تشاع عنه نقيصة، أو تنقل عنه رزيلة... وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب، خالصة من النقائص.

والحياء خلق كريم، يدفع صاحبه إلى عفة اللسان عن نطق البذئ من الكلام، وإلى فعل الفضائل والشمائل الحسنة، وإلى ترك القبيح من الأقوال والأفعال، ويمنع صاحبه من التقصير فى أداء الحق لصاحب الحق، فهو علامة صادقة على طبيعة الإنسان وسجيته، لأنه يكشف عن حقيقة إيمانه ومقدار أدبه.

فعندما ترى الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغى، أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه مالايليق، فاعلم أنه حى الضمير، نقى المعدن، زكى العنصر... أما إذا رأيت الشخص صفيقا بليد الشعور، لا يبالى بما يأخذ أو يترك، غير مكترث بما يفعل أو يصنع، فهو امرؤ لا خير فيه ولا رجاء منه، وليس له من الحياء وازع يعصمه من اقتراف الآثام وارتكاب الدنايا... فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[4] والأمر هنا للتهديد والتوبيخ.

وقد وصى الإسلام بنيه بالحياء، وجعل هذا الخلق السامى أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل، عن

(١) الترمذى «٣٥٥٦»، وأبو داود «١٤٨٨».

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه البخارى.

الأزهر



أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء»[5]، بل إن رسول الله ﷺ ربط الحياء بالإيمان وجعلهما متلازمين، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[6]

يقول شيخنا المرحوم فضيلة الشيخ محمد الغزالي- طيب الله ثراه-[7]:

وعلة ذلك أن المرء حينما يفقد حياءه يتدرج من سيئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوى حتى يتحدر إلى الدرك الأسفل، وقد روى عن رسول الله ﷺ حديث يكشف عن مراحل هذا السقوط، الذي يبتدئ بضياع الحياء وينتهي بشر العواقب:

«إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا، فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا[8] نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا، فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما ملعنا، فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام».[9]

وهذا ترتيب دقيق في وصفه لأمراض النفوس وتتبعه لأطوارها، وكيف تسلم كل مرحلة خبيثة إلى أخرى أشد نكرا. فإن الرجل إذا مزق الحجاب عن وجهه، ولم يتهيب على عمله حسابا، ولم يخش في سلوكه لومة لائم، مد يد الأذى للناس، وطغى على كل من يقع في سلطانه.. ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلبا يعطف عليه، بل إنه يغرس الضغائن في القلوب وينميها:

وأي حب لامرئ جرئ على الله وعلى الناس، لا يرده عن الآثام حياء؟ فإذا صار الشخص بهذه المثابة لم يؤتمن على شئ قط، إذ كيف يؤتمن على أموال لا يخجل من أكلها، أو على أعراض لا يستحي من فضحها، أو على موعد لايهمه أن يخلفه، أو على واجب لا يبالي أن يفرط فيه، أو على بضاعة لا يتنزه عن الغش فيها؟!

فإذا فقد الشخص حياءه، وفقد أمانته أصبح وحشا كاسرا ينطلق معربدا وراء شهواته، ويدوس في سبيلها أزكى العواطف، فهو يغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقة، وينظر إلى آلام المنكوبين والمستضعفين فلا يهتز فؤاده إلا بشفقة.. إن أثرته الجامحة وضعت على عينيه غشاوة مظلمة، فهو لا يعرف إلا ما يغويه ويغريه بالمزيد.. ويوم يبلغ امرؤ هذا الحضيض فقد أفلت من قيود الدين، وانخلع من ربقة الإسلام.

إن من لاحياء له لا يحمل من الإنسانية إلا جسده المكون من العظم واللحم والدم، كما أنه فقد الخير والفضل، وصار متجردا من الفضائل والشمائل، إذ لولا خلق الحياء لم يكرم ضيف، ولم يوف بوعد، ولم تؤد الأمانة، ولم تقض لأحد حاجةولم يكن للإنسان وازع يدفعه إلى تحري الجميل فيؤثره، وإلى القبيح فيتجنبه، وإلى الفحش فيهجره، ولم تؤد

(5) رواه مالك.
(6) رواه الحاكم
(7) كتاب: خلق المسلم، ص٦٥٩، ٦٦٠.
(8) أي: مبغضا.
(9) رواه الحاكم.

الحقوق، ولم تصن الحرمات..

وعديم الحياء وصولي حقير، لاخلق له ولا دين، فهو فاقد الإحساس والضمير، فمن صفاته وسلوكه أنه إذا كانت له حاجة أظهر الحب والود لمن يملك قضاء حاجته، يحترمه ويجله ويقدره، ويتملق إليه بأرق الكلمات وأعذب الألفاظ، ويسعى إلى كسب عطفه ومودته، ويحرص على أن يقابله ويزوره في كل مناسبة وبلا مناسبة، ليؤكد على إخلاصه في حبه، وعلى صفائه في مودته.. وعندما تقضى حاجته، ويتمكن من موقفه، ويتأكد من تحقيق غرضه، ظهرت دناءة أصله، وحقارة نفسه، ووضاعة خلقه، فيتنكر لصاحب الفضل، وتحل القطيع محل الوصل، والجفاء محل الود، وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل يجتهد في تلويث سمعة صاحب الفضل عليه، ويسعى في إلحاق الأذى والضرر به، وصدق فيه قول الرسول ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ماشئت»، ونسى أو تناسى أن الله مطلع على جميع أقواله وأفعاله:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

(غافر:١٩)

ونسى أو تناسى أنه ظالم، ظلم صاحب الفضل عليه، وأن دعوة المظلوم مستجابة عند الله، لأنه ليس بينها وبين الله حجاب فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن فكان مما أوصاه به: «.. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب...»[10]، ونسى عديم الحياء هذا أو تناسى أن الموت مدركه، وأن القبر منزله، وأن الجزاء والحساب موعده

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة:٨٥)

قال عمر رضي الله عنه: من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

وقال إياس بن مرة: كنت عند عمر بن عبدالعزيز، فذكر عنده الحياء، فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر: بل هو الدين كله.

وقال وهب بن منبه: الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله العفة.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقال الحسن البصري: أربع من كن فيه كان كاملا، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دين يرشده، وعقل يسدده، وحب يصونه، وحياء يقوده.

قال الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله مافي العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء[11]

(10) رواه البخاري.
(11) اللحاء: قشر الشجر.

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الأعراف ٥٤]

بين النسق الكونى والفطرة الإسلامية

(١)

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

مما ينبغى الالتفات إليه بالتفكر العميق والتأمل الدقيق أن المسلم الحق فى الواقع إنما يعتنق عقيدة كونية تتجاوز الحدود التى تقع فى الإدراك البشرى المحدود سواء كان ذلك إدراكاً حسياً أو عقلياً أو حدسياً أو غير ذلك.

وتأمل فى هذا قول الحق سبحانه وتعالى حيث يشير إلى الأبعاد الكونية للإسلام فى قرآنه العظيم:

﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران ٨٣]

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾

[الرعد ١٥]

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

[فصلت ١١]

الكائنات تسجد وتسبح

وإنه لمن الدلائل العظمى لتكريم الله عز وجل لبنى آدم أنه أراد أن يصلهم بحبله المتين، ويبصرهم بظواهر الكون، وكيف أن هذه الظواهر فى حركاتها الدقيقة والمحسوبة تدور فى فلك الإذعان للحق، والاستجابة لمشيئته والتسليم بقدرته، وهى بنفس المعنى تدور فى فلك دين الإسلام الذى هو دين الله -جل وعلا- كما جاء فى القرآن الكريم

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران ١٩]



ومن هنا تحدث الذكر الحكيم عن تسبيح هذه الكائنات الكونية، وتأمل تأكيد القرآن المجيد فى هذا المجال عندما يكرر الآية الكريمة:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

بنفس النص فى سورة الحديد (٥٧) وفى سورة الحشر (٥٩) وفى سورة الصف (٦١).[1]

وتأمل كذلك قوله تعالى:

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾

[الرعد ١٣]

ثم يلفت القرآن الكريم الإنسان إلى العجز البشرى عن إدراك هذه الحقائق الكونية حتى يدرك أن بنى آدم ليسوا وحدهم المسبحين الموحدين العابدين فيقول:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

[الإسراء ٤٤]

الإنسان ليس وحده

فالله سبحانه غنى عن تسبيح الكافرين المعرضين، وحفى بتسبيح المسلمين المؤمنين ولا غرو فالبداهة تشير إلى أن كل ما هو ممكن حادث يسبح الواجب الأزلى جلت عظمته، حيث إن النقص دائماً يسعى ويتحرك نحو الكمال.

فإذا أخذت الإنسان غفوةٌ من غرور، أو نزوة من شرور فعليه أن يستفيق ويذكر أنه ليس وحده فى هذا الكون وأنه لا يمثل إلا أمة من بين الأمم التى يمتلىء بها الكون ويزخر بها عالم الغيب، وعالم الشهادة جميعاً، وحسبه أن يستوعب فكره المحدودُ قول العزيز القدير سبحانه:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

«الأنعام ٣٨»

النفخة الإلهية فى أعماق الإنسان

وإن من تجليات الحق -عز وجل- على الإنسان أن هيأ له هذا الكون بعظمته وروعته وسخره له كى يتكيف مع عناصره، ويتلاءم مع ظواهره بالابتداع والانتفاع والكشف والاختراع، حتى يستحق الأمانة التى حملها منذ خلقه من صلصال من طين، وهى أمانة خلافة الحق فى الخلق مهتدياً إلى خالقه بالنفخة المقدسة التى نفخها الله فيه من روحه ثم أمر الملائكة فور ذلك بأن (يقعوا) ساجدين إجلالاً لصنع الله -سبحانه وتعالى- وتوقيراً لهذه النفخة الإلهية العلوية التى لا تزال تشع فى أعماق ابن آدم كالمصباح الساطع الذى يديه السبيل السوى والطريق الجلىّ، والذى يميز به بين معارج الهدى ومهاوى الضلال وذلك كلما استبطن ذاته فاستشعر النور المبين الكامن فى أعماقه.

ثم أعانه الخالق جل وعلا على التعرف على

---

[1] (١) التسبيح هو تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث (التعريفات للجرجانى)

الحق الجلى والنور السرمدى بأن أرسل إليه من بنى جنسه البشرى رسلاً وأنبياء يمسحون عن هذه النفخة النورانية فى داخله ما قد يغشاها من أغشية دنيوية أو غلالات بشرية.

فخالق هذا الكون -سبحانه- هو الذى أقر فى أعماق الإنسان هذه النفخة لتضئ له جنبات الكون من حوله، وما أشبه هذه النفحة القدسية - ولله المثل الأعلى - بالمرآة المضيئة الكاشفة التى يتعرف بها حاملها على معالم الطريق فى جنح الظلام.

وكانت سلسلة الرسالات الإلهية المترابطة العُرى، والمتصلة الحلقات تترى، إلى أن تجلى الله سبحانه على بنى البشر ببعثة محمد ﷺ التى كانت بالنسبة لحلقات هذه السلسلة محتواها وفحواها، وأكرمها وأنقاها، بل وأدومها وأغلاها، فكانت بحق مسك الختام، وسُدّة المقام، بما تحلت به من كمال وما حوته من شمولية واكتمال، ولا غرو فهكذا أرادها رب العزة والجلال.

تلكم إشارات إلى ما تجلى به البارىء سبحانه على بنى آدم من تكريم.

الكون يدين بالإسلام

ولعلنا ندرك هنا أن دين الإسلام الذى دعت إليه كافة الرسالات، وتبلورت الدعوة إليه فى رسالة محمد ﷺ والذى ارتضاه المولى سبحانه لنا ديناً [٢] إكمالاً للدين وإتماماً للنعمة، والذى كُلف باعتناقه الأنبياء والمرسلون جميعاً [٣] ليكونوا نماذج تحتذى ومثلا يقتدى بها، وطاقات عامرة بالعطاء، ذلك الدين القيم هو الذى يدين به الكون كله أرضه وسماؤه وكواكبه، وأفلاكه، وأنجمه، وأقماره، وجباله وهضابه، وبحاره وأنهاره، ودوابه وأطياره، وحجره ومدره، وجرزه وشجره، وغير هذا وذاك مما خلق الله - سبحانه- ولا يعلمه إلا هو عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وهذا السياق الكونى الرحيب يشير إلى فطرة هذا الدين الحنيف الذى تدين به الكائنات جميعاً إذعاناً للحق، واستسلاماً للبارىء وتعبداً لله رب العالمين لا شريك له [٤]

يتبع

---

(٢) ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة ٣]

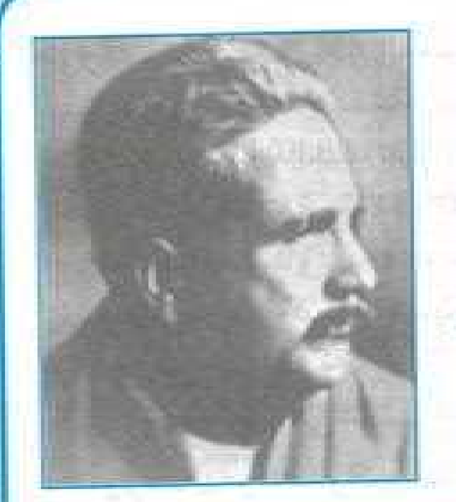
(٣) تعددت آيات القرآن الكريم حول ذلك فى مثل قوله تعالى فى حديثه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة: ١٣١]

ثم عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة ١٣٢] وفى ذلك مثال يغنى عن طول البيان والمقال.

(٤) يقرن الجرجانى فى (التعريفات) بين الفطرة والدين فيقول: إن الفطرة هى الجبلة المهيئة لقبول الدين والجبلة فى المعاجم هى الخلقة والطبيعة يقال: (جبل الله فلاناً على الكرم) أى خلقه عليه ولعل هذا يتصل باشتقاق (الجبال) التى جعلها الله - سبحانه - مهابط لوحيه على أنبيائه بدينه الفطرى الحنيف.



عن إقبال الشاعر



للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

يقول «إقبال» عن ديوانه العظيم «بيام مشرق» أو «رسالة الشرق» إذا شئنا أن نفهم: «.. إن أكثر ما يرمى إليه هو النظر فى الحقائق الأخلاقية والدينية والمذهبية التى تتصل بالتربية الباطنية فى الأفراد والأمم»!!

ويوضح «إقبال» بمزيد من التفصيل مفهومه عن الشرق فيقول:

«إن الشرق.. ولاسيما الشرق الإسلامى.. يفتح عينيه بعد نوم القرون المتطاولة ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبين أن الحياة لا تستطيع أن تبدل ما حولها حتى يكون تبدل فى أعماقها، وأن عالما جديدا لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجى حتى يوجد فى ضمائر الناس قبلا»!!

ويلخص الدكتور عبدالوهاب عزام فلسفة إقبال فى هذه السطور:

«لإقبال مذهب سماه الذاتية وخلاصته أن الذاتية أساس الحياة فالله تعالى ذات والإنسان ذات وحياة الإنسان تتجلى فى هذه الذات فعلى الإنسان أن ينظر إلى فطرته ويستخرج كل ما فيها، ولا يؤمن إقبال بوحدة الوجود التى تنافى الذاتية..

وأن الاستقلال في الفكر والابتكار يبين عن الذاتية، والتقليد يضعفها أو يميتها.. «وأن الشدائد والمحن في هذه الحياة تقوى الذاتية والآلام واللذان يكمل بعضهما بعضا.. «.... وهو كجلال الدين الرومي.. وفريد الدين العطار.. وكثير من الصوفية لا يعول على العقل كثيراً وإنما يعول على القلب أو العشق..»

«وللإقبال من الحيوان والنبات عرائس شعرية يولع بها لتمثيل فلسفته.. الصقر لقوته وتحليقه ونفوره من الهبوط إلى الأرض، وعيشه منفرداً معتمداً على نفسه مثل عال للذاتية..

«والشقائق مثال للاحتراق أوراقها لهيب، والسواد في قلبها وسمة كي»..

«وقطرة الندى تمثل الروح التي تأتي من عالم الغيب»!!

ويقول الدكتور عثمان أمين محدداً موقف إقبال الفلسفي.. وقيمة «الذاتية» كفلسفة بين غيرها من الفلسفات:

«عارض إقبال برادلي وغيره من أتباع الفيلسوف «هجل» أولئك الذين ينكرون وجود الفرد ولا يسلمون إلا بالمطلق.. كما عارض شطحات الشعراء من الصوفية - أمثال حافظ الشيرازي - لأنه كان يرى انتشار آرائهم من أسباب الانحطاط المتفشي في بلاد الإسلام، ومجمل مذهب «محمد إقبال» في الذات أن الحياة كلها فردية، وأنه لا وجود لما يسميه فلاسفة المطلق «الحياة الكلية» وأن الله نفسه فرد الأفراد في نظر إقبال ويسلم الفيلسوف بما يقوله «ماك تاجرت» من أن الكون إن هو إلا ارتباط بين أفراد، ولكنه يضيف إلى ذلك أن النظام الذي نجده في هذا الارتباط ليس نظاماً قد تم من ذاته أو تحقق منذ الأزل وإنما هو نتيجة جهاد غريزي.. ودأب واع متواصل.. ونحن نسير على التدريج من التشتت والاضطراب إلى الوحدة والنظام، ونحن أعوان على تحقيق الوحدة والنظام في العالم.. فالكون ليس عملا قد تم.. وليس شيئا قد فرغ منه، بل إنه صائر دائماً وأنه في طريق التكوين، وعملية الخلق مستمرة لم تزل.. والإنسان -هو أيضاً- يساهم فيها ما دام يشارك في إقامة شيء من النظام على الأقل في شطر من الاضطراب!!!

هذه آراء الشاعر الفيلسوف «إقبال» في نفسه وآراء غيره فيه.. إنها تعطي دلالة لا تختلط بغيرها من الدلالات، لأنه شاعر ينطلق في شعره من قاعدة «الذات» ليس من منحنى كونها مجال الضيق الذي لا يدور إلا فيه، ولكن من منحنى كونها مرتكزه الحقيقي الذي يرود العالم به ومن خلاله.. غير مستعد في لحظة من اللحظات أن يذوب بها في غيره، أو يدع لغيره فيها وفيه أن يذوب.. إن شاعرا ينطلق في شعره من هذه القاعدة، يمكن بحق أن يكون شاعراً رائعاً بلا حدود.. مع



تحفظ واحد لابد أن نضعه هنا على عجل.. حتى لا تلهينا حماسة اللحظة عن التحديق في عينيه الرائعتين.. هو أن يكون الشاعر شاعراً أولا.. ثم فيلسوفا بعد ذلك -إن أراد- أو صاحب موقف وجودي إذا أمكن أو رائدا لحركة الوعي في التاريخ -إن هو استطاع- !! لابد للشاعر أولا أن يقبض على قضية كونه شاعرا، لأنه إذا فقد ملامح هذه الهوية الفنية وحاول من ورائها أن يكون أي شيء، فقد يستطيع أن يكون ولكنه بالضرورة سيفقد كينونة كونه شاعرا يفلسف الشعر، أو يمنطق الفكر، أو يحور في بدايات ومصائر الأشياء!!!

وإقبال كان شاعراً من غير شك.. إن هذا الشرط التاريخي قد تحقق فيه ولقد استطاع فعلاً أن يقف من قضايا وجوده، وحقائق عصره وأنماط وإرادته موقفاً شعرياً، وربما كان مصطلح «الموقف الشعري» أروع ما يمكن أن يعبر عن مسيرة إقبال وأضرابه من خلال الفن في شرايين الوجود، إن مصطلح «الموقف الشعري» يغرينا بمزيد من التأمل في قسمات هذه القضية، قضية أن يكون لنا شعر بفكر، وفكر بشعر، وأن نقف من هذه القضية دائماً على استعداد حتى القتال؛ من أجل أن يولد على سطوح المنطقة شاعرها المقاتل بالشعر.. والصادر عن خلفية فلسفية تعي جيداً ما هي بصدده وما هي طامحة إلى أن يكون!! سيظل شعرنا رغاء كرغاء قوافل الإبل، ما لم ينتزع عن هذه الخلفية الفلسفية ما لم يضع شروطه الحضارية في تاريخ الحضارة، ما لم يتمدد أفقيا وعمقيا في تاريخ التاريخ، ما لم يقل كلمته الرائعة من خلال «موقف شعري وليس من خلال انفراط شعوري باهظ اللهث على شواطيء الإعياء»!!!

ولنبدأ رحلتنا مع «پيام مشرق» أو «رسالة الشرق» ديوان إقبال الشعري في محاولة للتعرف على ملامح وجهه الفني أو قل في محاولة لاستكشاف مناطق التحقيق الشعري في إبداع هذا الشاعر، وقبل أن نبدأ.. لابد من ملاحظة أن هذا الديوان الضخم ينقسم إلى أقسام عنونها الشاعر بهذه العناوين:

- شقائق الطيور.
- أفكار.
- الخمر الباقية.
- نقش الإفرنج.
- دقائق..

ثم لابد من ملاحظة أخرى هي أن رحلتي مع الديوان ستكون محدودة بهذه الأطر.. أو قل بهذه العناوين، بمعنى أنني سأقف عند كل قسم من هذه الأقسام على حدة مع إيماني الكامل والمسبق بأن الشاعر هو شعره جميعا وليس ديوانه الأول أو الثاني أو الأخير مروراً بكونه

ليس بالضرورة جزء ديوانه الأول أو جزءه الثانى أوجزءه الأخير، إنما يشفع لى أننى لن أتناول الديوان فى محاولة استقصاء الدراسة الأكاديمية المتخصصة التى تنهض على ركائز الزمن، والثقافة والفلسفة والخريطة الروحية والجغرافية للشاعر الذى يخضع فى النهاية للبحث الأكاديمى المتخصص الذى لم أرد إليه فى هذه السطور..

إن كل ما أريده من هذه السطور هو أن أقدم الشاعر من خلالى إلى القارئ، هو أن أقوم بمهمة التعريف بينهما.. هو أن أقول للقارئ رأيى فى هذا الصديق الذى أوثر له أن يصبح هو الآخر صديقاً له، يعيش معى وثبات قلمه الرائع، وانفتاح آفاقه الضوئية على مشارق الوجود!!

فى شقائق الطور القسم الأول ديوان «رسالة الشرق» لإقبال يستهل الشاعر رحلته بهذه الابتهالة الكونية الفاغمة:

شهيدٌ لإله.. حفل الوجود
وكل الكائنات من السجود
ألم تر أن شمس الأفق لاحت
بوجنه الصبح من أثر السجود

ويوشك الشاعر أن يحس بأصابع غليظة تومىء إليه كأنها تدينه بعشق ما ليس فى حوزة الإمكان، أو كأنها تنكر عليه أن يغيب فى رحلة التوق.. فى زمن لم يعد يعترف بغير المعادلات الرياضية أساساً لإبحاره فى موج الوجود، ولكن الشاعر لا ينهزم إنه يصرخ ملء حناجر الشعر:

نسيم العشق فى الجنات جار
ويُنمى العشق أزهار البرارى
ويخترق البحار له شعاع
فيبدى العشق حيتان البحار

والعشق لدى إقبال سمه ما شئت.. وجداً أو عاطفة أو استغراقا، المهم أن يكون مواجهة صميمية للعقل الذى ألهته الحضارة المعاصرة، لأن اختلال معادلة القلب والعقل هو وحده الخنجر الطاعن قلب كل الأشياء، إن العشق خبز وجودنا اليومى:

رموز العشق فى ورق الشقائق
وغم العشق فى روح الخلائق
وإن تصدع طباق الأرض تبصر
نصيب العشق من دم كل عاشق

وليس العشق توقاً ذاهلاً إلى معشوق غائب أو حضورى وإنما هو انذياح مع الطموح الشره فى كل اتجاه، إنه ضياع خارق فى مجاهل الكون من أجل شىء لابد أن تعود به، إنه محور رسالة الإنسان منهزما ومنتصرا.. إنه حتى بلا غاية يهدف إليها يشكل من ذاته لذاته غاية وهدفا:

بهذا المرج مثل الريح أسرى
علام أهيم فيه؟ لست أدرى
فإن أظفر وإن أخفق فإنى
شهيد تضرم الآمال عمرى



إن فلسفة «العشق» تتراحب فى الديوان إلى غير ما تخوم، إنها توشك أن تقف على حافة القلق الفلسفى مثيرة كل هذا الوهج فى وجه الجمود القاعد، والاستسلام المهيض.

إن لوناً من ألوان التبرم برحلة التراب يوشك أن يطل من خلال رؤية العشق للأشياء صاعدا إلى رحلة أضوأ يذوب فيها جبروت الثلج الذى يطوح بالبراعم الوليدة، ويغنى للجذوع الهاوية.

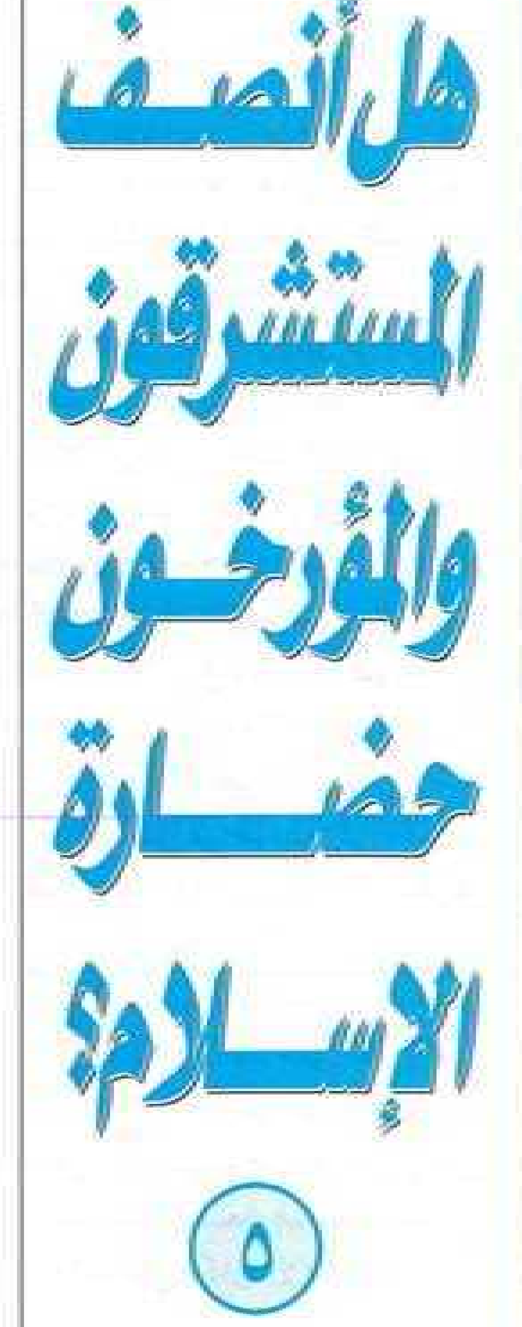
يقول العندليب: أيا صحابى
أغير الغم فى هذا التراب؟
يشيخ الشوق فى عرض الفيافى
ويذوى الورد فى عمر الشباب

ولقد يقيم الشاعر مواجهة مفزعة بين وجودين.. الوجود الإنسانى والوجود الميتافيزيقى بما هما معا علامتان من علامات الاستفهام، يحاصر كل منهما الآخر فى محاولة للمس ذبذبات السر الكامنة فى أعماق الفرح الأول، أو فلنقل فى أعماق المأساة الهيولية إذ جاز لنا أن نقول!!!

لبدء أو ختام لست أسرى
أنا سر أحاول كشف سرى
فإن بدت الحقيقة دون ستر
رجعت إلى لعل ولست أدرى

إن قيمة أن يقيم الشاعر مثل هذه المواجهة بين الوجودين الإنسانى والميتافيزيقى كافية أساساً فى تفرد لم يضع الشاعر فى غمار المتسائلين قبله بالشعر، إن شاعراً كالخيام ينثر فى طريقه كل علامات الاستفهام، مردفا كل هذه الرحلة «باللا أدرية» الذاهلة الشاخصة فى شعاره المردد: لست أدرى!! ولكن شاعرنا إقبال لم يقف عند تخوم هذه الحيرة الفاجعة لقد تخطاها إلى موقف يوشك أن يكون وجوديا بالفعل موائماً فيه بين إلحاحه الفذ على تأكيد «الذات» وإلحاحه الفذ كذلك على ألا يكون للشعر وجه غير وجهه المناضل فى طريقه إلى اكتناه أسرار العوالم اللانهائية حتى حين يدرك الشاعر أنه «سر يحاول كشف سر» لا يصفد هذه الوضعية فى كبول الكشف النهائى.. وإنما يرجع بها على الفور إلى مناطق تفجير أسرارها الثرة من جديد مرة بـ(لعل) ومرة بـ(ليت شعرى) حتى يظل دائما فى منطقة الفعل قابلاً لمعاودة الانفتاح الدائم على بكارة الأشياء!!

***



للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

(٦) فاسيلى بارتولد

لقد كرس المستشرقون الروس جهودهم لدراسة وثائق تاريخية مهمة تناولوها بالتحقيق والدراسة والنقد والتحليل، وأوضح كثير منهم الدور الحضارى للعرب والمسلمين وتأثيره فى تاريخ التمدن. وقدم المستعربون منهم بحوثاً جيدة أظهرت الحاجة إلى معرفة الثقافة العربية الإسلامية والإفادة منها، وذلك من خلال نشرهم فهارس للمخطوطات العربية، كما كتبوا وبحثوا فى أعلام الفكر الإسلامى أمثال ابن رشد، وابن سينا، والبيرونى، والطوسى، وغيرهم.

ويعتبر فاسيلى بارتولد أحد كبار العلماء الذين أنجبتهم روسيا القيصرية، حيث ولد سنة ١٨٦٩م من أسرة ألمانية قديمة استوطنت روسيا. وقد ذاعت شهرته وتعددت دراساته. فكتب عن «تاريخ الدراسات الشرقية فى أوروبا وروسيا» و«تاريخ الرى فى تركستان» و«العالم الإسلامى» و«تاريخ الحضارة الإسلامية» وغيرها. وظل يؤلف ويكتب فى المجلات العلمية فى روسيا وألمانيا مقالات تاريخية قيمة، وفى دائرة المعارف الإسلامية حتى توفى فى أغسطس سنة ١٩٢٧م.

وقد أنصف بارتولد حضارة الإسلام، فهو غير متحيز فيما يكتب، ولا يتردد فى الاعتراف للشرق بمزاياه، وللمسلمين بالبر والإحسان، وبما قدموا للحضارة الإنسانية كلها فى العلوم والآداب والشرائع، ولم يغفل الجوانب الخفية ذات الخطر فى تاريخ الحضارة، مثل الاقتصاد، ونظام المدن وسعتها، والسكة، والخراج، ورواتب عمال الدولة، وغيرها من موضوعات تحتاج فى بحثها إلى كد ودأب.

ولقد تحدث بارتولد بتركيز شديد عن أهم أعلام



الحضارة الإسلامية كما تحدث عن ازدهار العلوم والآداب بعامة، وأعلام الفرس والأتراك بخاصة. وأشار إلى مرصد شيراز فى زمن البويهيين، وتقدمه فى بحث المسائل الفلكية بالقياس إلى العهود السابقة للإسلام. وضرب مثالاً على حب الأمراء للعلم والدعوة إلى التخصص فيه، فذكر أن أحد الوزراء البويهيين فى بغداد أنشأ مجلساً للعلماء وخصص اليوم الأول لعلماء الفقه، واليوم الثانى للأدباء، واليوم الثالث لعلماء الكلام واليوم الرابع للفلاسفة. وأشار إلى أهمية «الشاهنامة» التى كتبها الفردوسى ومكانتها الممتازة فى آداب العالم.

وعن موسوعية ابن سينا يوضح بارتولد أنه تلقى الآداب وحفظ القرآن فى طفولته على أستاذه فى قريته بخارى، ثم درس العلوم الرياضية والطبيعية، وأتم جميع العلوم، ومنها الطب فى الثامنة عشرة من عمره، وكان الطب أسهل العلوم عنده، وانتفع به فيما بعد كثيراً، ومهد له علمه بالطب طريقاً إلى قصر أحد ملوك الدولة السامانية، ثم إلى مكتبة القصر الغنية.

وفى أواخر القرن الرابع الهجرى غادر ابن سينا بخارى إلى خوارزم، ثم إلى خراسان وإيران الغربية. وكتابه الطبى المسمى «بالقانون» أحد مؤلفاته العلمية العظيمة، وهو يعنى «مجموع قوانين العلم»، كما أن كتابه الثانى بالغ الأهمية فى المنطق والحكمة والطبيعيات والرياضيات وعلم الفلك والإلهيات، فيسمى «الشفاء». وقد ألف ابن سينا مع تلاميذه معجماً لمختلف العلوم باللغة الفارسية لأمير أصفهان، وأعطى المنطق المنزلة الأولى بين العلوم، وبحث فى الحساب والهندسة والهيئة والميكانيكا التى كان مجموعها يدعى فى القرون الوسطى «الحكمة الرباعية». ولابن سيناء أرجوزة فى الطب بالعربية، ورباعيات صوفية بالفارسية، واشتغل فى أواخر عمره بفقه اللغة العربية. وقد وفق ابن سينا لدراسة كل علوم عصره دراسة تامة واكتسب شهرة عظيمة فى العالم الإسلامى ثم فى أوروبا بعد ذلك. وقد اعتمدت الدراسات الفلسفية كثيراً على كتبه.

يهودى يترجم مؤلفات البيرونى إلى العبرية

وعن البيرونى الذى عاصر ابن سينا وجادله فى بعض المسائل العلمية يقول بارتولد أنه ألف كتاباً قيماً عن الهند يدل على نظر واسع وحياد علمى تام، وكان لا يعترض ولا ينقد مطلقاً حينما يشرح العقائد الدينية، وهو كذلك يحافظ ما أمكن على العبارات التى يستعملها معتنقو كل دين. وإذا قارن ديناً بدين آخر فإنما يقارنهما مقارنة علمية محضة. وقد ترجم يهودى أسبانى يدعى إبراهام بن عزرا «جداول الهيئة» للبيرونى إلى اللغة العبرية فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر

الميلادى) . وكان البيرونى نفسه يقول إنه إنما ألف كتبه للعلماء لا للعوام، وكان يعد اشتغاله بالأدب وكتابه الشعر العربى وترجمة بعض القصص الإيرانية إلى اللغة العربية مجرد تسلية للنفس لا غير.

على أنه يجب الإشارة إلى أن كتابات بارتولد لم تخل من بعض الآراء والعبارات غير الموفقة علمياً ولا تاريخياً.. وربما يكون هذا طبيعياً لعالم روسى مسيحى يرى مثلاً أن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين فى الأزمان الأولى لحاجة الفاتحين إلى هذا العنصر المسيحى المتفوق ـ فيما يزعم ـ على العرب حضارة، ولم ينسب هذه الرعاية إلى طبيعة الدعوة الإسلامية ذاتها، القائمة على التسامح واحترام الديانات.

ابن خلدون ظلم العرب

ومن المآخذ القليلة فى أمور يختلف فيها النظر أن بارتولد تابع ابن خلدون فى كلامه على العرب والعجم ونصيبهما فى العلوم الإسلامية وأثر العرب فى خراب المدن ـ على حد زعمهما ـ، فقال وهو يتكلم عن البصرة والكوفة أن علوم العقائد والفقه وضعت فيهما من قبل الأعجام، وتقل عن ابن خلدون أن العرب بدو هادمون للحضارة، وهو قول يجافى الحقيقة، فأئمة علوم الدين واللغة فى ذلك العصر أكثرهم عرب. ولقد ظلم العرب منذ شاع رأى ابن خلدون فى أن حملة العلوم فى الإسلام أكثرهم العجم، وهذا ادعاء يستلزم بعض التفنيد، ذلك أن ابن خلدون لم يكن صائب الرأى فى هذه المقولة لعدة أسباب نوجزها فيما يلى:

- أولاً: وضع ابن خلدون العرب فى مقابل كل من هم غير العرب، فجعل بذلك أمة واحدة فى مقابل أمم كثيرة، وظهر خطأ لغير المتثبتين أن نصيب العرب فى العلوم الإسلامية قليل.
- ثانياً: لم يتبع ابن خلدون منهجاً واحداً فى كلامه عن الأجناس، فقد نظر إلى البيئة الجغرافية حين أراد أن تجعل العرب فرساً، فقال عن علماء العرب الذين عاشوا فى إيران أنهم عجم بمنشئهم وشيوخهم، ونظر إلى الجنس حين أراد أن يجعل العجم الذين عاشوا فى بلاد العرب عجماً. ولو نظر إلى البيئة الجغرافية وحدها لعدّ من العرب كل العلماء الذين نشأتهم الكوفة والبصرة وبغداد والبلاد العربية كلها، ولو نظر إلى النسب وحده لعدّ للعرب كثيراً من أبنائهم الذين نشأتهم البلاد الأعجمية.
- ثالثاً: كيف يغفل أى باحث منصف حقائق التاريخ الناصعة ولا يرى مآثر الحضارة الإسلامية، حيث سارع العرب منذ القرن الأول إلى إنشاء المدن والعواصم التى بقى كثير منها على مر الزمان، وكان لهم فى الزراعة والتجارة والعمران نصيب لا ينكره إلا جاحد أو جاهل.

ـ يتبع ـ



ولازال السودان مطمعا للاستعمار

استغاثات

للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل

رباهُ ضاعَ من يديا ... وأطبقَ الليلُ على عينيّا
ولم أجد فوق الحياة شيّا ... يُطفى العذابَ الهادرَ الخفيّا
إلا ندائى فى الدجى.. يا ربّ!

طرقتُ بالأنغام كلَّ باب ... وطفتُ بالرحيق والأكواب
ولم أدعْ أفقاً بلا شراب ... وعدتُ لا أحمل فى عيابى
غيرَ الأسى يسقى الأسى فى قلبى!

عبرتُ بالسهول والأجبال ... وبالضحى المحيّر الخيال
وبالغروب الساحر الزوال ... وبالدجى المغمغم السآل
وبالليالى سرتُ كلَّ درب

وغصتُ فى الصدور للأعماق ... وطرتُ حتى أعولت آفاقى
وضجّ تحتى واشتكى بُراقى ... واندهشَ الطيرُ لما أُلاقى
من عودتى الكبرى بغير حبّ!

خفقت من جنبى هذا الشجنا   وصحا حيا فى الشجو يدعى أزغنا

ولم نزل نشدو ونسقى الزمنا   فهل رأينا للأغانى أذنا

تصغى لهذا الوهج المنصب!

خمت بنا القيود والسلاسل   وهاجت الأوكار والبلابل

وراغ فينا الغاصب المخاتل   واختلطت فى ليلنا النوازل

يارب فجرا عاجلا للكرب!

نحن بنو الشرق الأباة الصيد   نحيا به كأننا عبيد

يا طير هذا خلدك الرغيد   فكيف أنت الحائر الشريد

ووارد النبع طريد الغرب!

لأهم صب النار فى السواعد   واضرب بها فى هذه الشدائد

أغلالنا شابت، وكم من حاصد   ومنجل يفرى المنايا هامد

يا ثار فينا إن صبرنا شبى..

مل ثرانا صدأ القيود   وقرية الميثاق والوعود

وباطلا زين للعهود   شريعة اللاهين بالوجود

ليهو الراعى بغواء الذئب..

وبلاه منهم فى زمان النبل   سيعون عاما خيموا فى الغيل

عاثوا وخانوا حرمة النزيل   حتى دهتهم صيحة للجيل

فجرجروا أعلامهم فى الترب!

ولم تزل منهم لدى القتال   حثالة حطت على الرمال

من يدر فليرحم جوى سؤالى   إنى بهم من أتعس الجهال

علام لم تلحق بباقى الركب؟!

ماذا دهاهم فى جنوب الوادى!   جنوا فشبوا الخلف فى البلاد

وأضرموها فتنة تنادى   بالظلم والتعذيب والفساد

وما لها إلا الصدى ملب

وصفدوا فى غابه الأحرارا   فملأوا قلوبهم أوارا

من أين جاءوا شردا حيارى؟   وكيف جاسوا هذه الديارا؟

يا لعنة الله عليهم هبى!!

من أين يا «هاو» ألفت الموكبا   فرحت فى الخرطوم تمشى عجبا!

وحولك الأفواه تحدو القربا   والراية الخضراء تنزو غضبا

لقصة زيفتها للشعب

نسيت عهد الثلج والقواقع   وسيرة القرصان والزوابع

وأمة قامت على المنافع   تريد شرك الشمس بالمطامع

ولو تطيق لادعت فى الغيب!

فى المسجد الأقصى تراءت ثعلبا   تخفى وتعطى لليهود الخطبا

ذلت لهم لما أروها الذهبا   وحذروا أيامها المنقلبا

فانقلبت تسعى لهم فى الدرب

رباه مافى الشرق جرح لاينى   ولا على آلامه قر وطن

فى كل واد منه من بغى الزمن   ثار وأحرار وبلوى وفتن

رباه زلزل قيده يارب!!

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

فى زمن العولمة



لفضيلة الشيخ/
صديق بكر عيطة

من نافلة القول، أن نشير إلى أن الجذر اللغوى الذى اشتق منه كل من «العالمية» و«العولمة» واحد، وهو مادة «ع ل م»؛ فكل من اللفظين تتجه إلى تحقيق العالمية في نشر مبادئها وأهدافها، وفي ترسيخ مثالياتها بين شعوب الأرض قاطبة. فإذا قلنا إن الإسلام عالمي النزعة، إنساني الهدف، فإنما نعنى أنه يحمل بين دفتيه مبادىء وأهدافاً ذات طابع إنساني رفيع وشامل، يجمع أمم الأرض لتعيش في ظله الوارف، وتنعم تحت حكمه بالأمن والسلام، الذي لا يفرق بين أمة وأخرى، حتى ولو لم تكن تعتنقه كدين سماوى ذى شريعة، تقوم على تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، كما لا تتوقف تعاليمه عند زمن دون آخر. فلقد عرفت عالمية الإسلام، بأن صدرها يتسع لكل الحضارات الإنسانية؛ وذلك لأنها خرجت من بين دفتي القرآن الكريم، آخر خطاب جاء به الوحى الإلهى من السماء إلى أهل الأرض قاطبة.. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ ليكون دستور البشرية كلها..

«فمن القرآن الكريم، ولدت مقومات الأمة الإسلامية الواحدة، وخرجت الصبغة الإسلامية لحضارة هذه الأمة، وجاءت عالميتها كثمرة من ثمرات عالمية الرسالة الإسلامية والشريعة الإسلامية التي شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يختم بها شرائع السماء إلى الإنسان».

«ولهذه الحكمة، جاء الحديث القرآنى عن هذه العالمية منذ العهد المكى للدعوة

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

[يوسف: ١٠٤]

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[الفرقان: ١]

«فكانت هذه الأمة الإسلامية وحضارتها دائمة التحقق حيثما امتدت تعاليم الإسلام وقيمه وثقافته على امتداد الزمان والمكان»[1].

الاحترام المتبادل

فالإسلام دعوة عالمية للتآخى والتراحم، الذي يجب أن يسود العلاقة بين البشر، شريطة أن يقوم على الاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب؛ حيث لا يبغى فرد على فرد، ولاتعتدى أمة على أمة، وإنما هى إخوة إنسانية شاملة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

(النساء: ١)

تلك هي المبادىء التي توحيها كلمة «العالمية» فى المنظور الإسلامى، وهذه هى التعاليم التي نطق بها كتاب الإسلام، الذي جاء من عند الله عز وجل، وبلغه رسوله الكريم ـ ﷺ ـ فماذا عن لفظة «العولمة» التي طالعنا بها الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية في الآونة الأخيرة، ما هى موحياتها؟ وماهي المبادىء العامة التي تقوم عليها من خلال أفاعيل مبتدعيها القائمين علي تطبيقها بين الأمم والشعوب؟.

إن لفظة «عولمة» ـ بالرغم من وحدة الأصل الاشتقاقى بينها وبين «العالمية» ـ تقوم علي صياغة فريدة وعجيبة، وهى تعنى بوضوح «قولبة» دول العالم، أى وضع دول العالم في قالب واحد، يتفق ورؤية الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث تعيد صياغة المبادىء الأخلاقية والثقافية والسياسية والدينية للشعوب الأخرى، وفق رؤيتها وأهدافها، بعد أن تقوم بتفكيك خصائص هذه الشعوب، وتذيب حضاراتها وثقافاتها؛ لتكون بعد ذلك لقمة سائغة في أفواه الدول الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة.

إن «عولمة» الغرب، تقوم أولا وأخيراً علي وضع دول العالم أو قل «حشر» دول العالم في قالب واحد، يخضع فيه البشر جميعا لثقافة واحدة، وسياسة واحدة، وظروف اقتصادية واحدة، هى فى نهاية المطاف مما يخدم ثقافة الطرف الأقوى،

(١) أ.د.محمد عمارة، في كتاب «مشكلات العالم الإسلامي في ظل العولمة» والكتاب من منشورات وزارة الأوقاف المصرية ـ سلسلة قضايا إسلامية ـ العدد ١٣٥ ص ٣٦، ٣٧.

وسياسة الدول أو الدولة الأعظم، واقتصاد أكبر قوة دولية تستطيع أن توجه دفة الأمور لصالح شعوبها هي دون اعتبار لبقية دول العالم، وما يجب أن تحتفظ به هذه الدول لنفسها، مما يتناسب مع حياتها الدينية والثقافية، وما تمليه مصالحها السياسية وما يفرضه مستقبلها الذي يحقق آمال شعوبها، ويزيل معاناتها وآلامها.. وبالجملة، فإن «العولمة» التي ابتدعها الغرب مؤخراً بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، تعني «تكريس» الاحتلال الغربي، لدول الشرق عامة، ودول العالم الإسلامي والعربي خاصة، دون طلقة مدفع واحدة ليصير الشرق كله، وفي مقدمته العالم الإسلامي والعربي سوقاً رائجة لبضائع الغرب، وليكون مصدراً ثراً وثرياً تسيل منه المواد الأولية للصناعات الغربية، سواء منها ما كان قائماً داخل حدود الدول الغربية، أو ما كان خارجها مما عرف مؤخراً بالشركات عابرة القارات أو مخترقة الحدود.

عالمية الإسلام

ومن هنا يمكن تلخيص خصائص «عالمية الإسلام» علي النحو التالي:

- إن الإسلام جاء لينشر ظله الوارف علي العالم أجمع، ولا يستثني من ذلك أولئك الذين لم يعتنقوه كدين سماوي له شرائعه وعباداته، قال صلي الله عليه وسلم: «ألا من ظلم معاهداً وانتقصه وكلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة»[٢] فحق الأمن والسلام، حق إنساني شامل، يرعاه الإسلام، ولا يفرط فيه تحت أي ظرف، أما الدين فإنه لله الذي يحاسب عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين.

- الإيمان بحرية العقيدة ابتداءً حيث:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

كما قرر كتاب الله وقد أكد علي هذا المعنى في قوله تعالى:

﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

ولكن يجب أن نؤكد هنا علي فرق مهم جداً بين عدم الإكراه في دخول الدين الإسلامي ابتداء كمبدإ أساسي لهذا الدين، وبين أن يحافظ الإسلام في تشريعاته علي سلامة العقيدة واستمراريتها لمن ارتضاه ديناً وعقيدة، حيث حدد الحدود وسن العقوبات لمن يخرج منه بعد اعتناقه، ممن يصدق عليهم قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾

(آل عمران: ٧١، ٧٢)

لأن ذلك داخل في باب الردة، التي هي حرب علي الإسلام، وهو مالا يقبله هذا الدين.

- إنها تقوم ـ في تعاملها مع الآخر، وخارج إطار العقيدة والشريعة ـ علي مبدأ الحوار السلمي، الذي يري فيه كل طرف في رأيه الصواب الذي يحتمل الخطأ، وفي رأي الآخر الخطأ الذي يحتمل الصواب؛ فالحضارات في رأيه تتساند ولا تتعاند. وقد بين الأستاذ الدكتور عبدالرحيم السايح في كتابه «الخطاب الديني والواقع المعاصر»[٣] وجوه الحقيقة الحوارية علي النحو التالي:

- أولها: أن طريق الوصول إلي الحق ليس واحداً، وإنما هو طرق شتى لا حد لها. وحيثما وجد التعدد في الطرق، فثمة حاجة إلى قيام حوار بين المتوسلين بها.

- والوجه الثاني: أن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة، فئات أو أفراداً يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص شقة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من بعض.

- والوجه الثالث: أن الحوار يسهم في توسيع العقل، وتعميق مداركه بما لا يوسعه ولا يعمقه النظر الذي لا حوار معه؛ إذ الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين اثنين، وليس النظر من جانب واحد كالنظر من جانبين اثنين». قال تعالى:

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾

(النحل: ١٢٥)

وقال:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

تلك هي خصيصة الحوار من المنظور الإسلامي؛ مما حتم نفي مبدأ صراع الحضارات الذي تعتنقه العولمة الغربية.

- إن عالمية الإسلام ترى أن الناس «شعوب وقبائل»

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

[الحجرات: ١٣]

والناس ألسنة ولغات وقوميات وألوان وأجناس

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾

[الروم: ٢٢]

والناس يتنوعون إلي ديانات ومعتقدات

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾

[هود: ١١٨، ١١٩]

والناس يتمايزون في الشرائع والثقافات والحضارات.

﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾

[المائدة: ٤٨][٤]

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٩/٢٠٥.

(٣) من منشورات وزارة الأوقاف المصرية ـ سلسلة قضايا إسلامية ـ العدد ١٢٨ ص ٧٢، ٧٣.

(٤) أ.د. محمد عمارة «مشكلات العالم الإسلامي في ظل العولمة» مرجع سابق ص ٣٩.

عولمة الغرب

وأما عولمة الغرب فإنها تقوم على الخصائص التالية:

- صبّ دول العالم في قالب واحد، لا مجال فيه لتعدد الثقافات، واختلاف الطبائع، وتباين الرؤى، كما أنها لا يتسع صدرها لتفاعل الحضارات وتلاقي التجارب الإنسانية؛ ولذا فقد درج الغرب على فرض ثقافته وقيمه وأخلاقه على بقية شعوب الأرض وبخاصة دول العالم الإسلامي والعربي.

«وهذه النزعة الغربية في التمركز حول الذات ورفض التعددية، والاعتراف بشرعية وجود الآخر، هي صفة لصيقة بنظرة مشروع الهيمنة الغربية «للذات» و«الآخر» اعترف بها المنصفون من العلماء الغربيين.. وعنها قال المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» (١٩١٥ ـ ٢٠٠٤م): إن تشجيع التمركز حول الذات هي صفة طبيعية في الأوروبيين، كانت موجودة دائماً، لكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء للآخرين، وخصوصاً في ظل الإمبريالية، منذ منتصف القرن التاسع عشر»[٥].

- أنها لا تعترف بحرية العقيدة، ولا ترى الدين الحق إلا ما تعتنقه بالرغم مما عليه من أدلة بطلانه، وما يقوم من الأدلة على صحة العقيدة الإسلامية وبعدها عن الشبهات والانحرافات؛ مما اعترف به كثير من مفكري الغرب المنصفين.

يوحنا بولس الثاني

ومع هذا فلا يزال الغرب يرى دماء المسلمين مستباحة لهم يتسابقون في إراقتها دون حياء أو ضمير. ولم يخطر ببالهم يوماً ما الاعتراف بهذا الخطأ الفادح في غزواتهم الصليبية المتكررة على الشرق الإسلامي، الذي راح ضحيته الملايين من شهداء المسلمين.

«فالبابا يوحنا بولس الثاني (١٩٢٢ ـ ٢٠٠٥) عندما زار قبر سيدنا يحيى ـ يوحنا المعمدان ـ بالمسجد الأموي بدمشق رفض أن يزور قبر صلاح الدين الأيوبي ـ في ذات المكان ـ حتى لا يكون في هذه الزيارة شبهة اعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية، وأوروبا وأمريكا رفضت وترفض حتى الآن أي اعتذار ـ حتى ولو بالكلام ـ عن ذلك الذي صنعوه بإفريقيا على امتداد خمسة قرون، بل لقد أعلنت الجمعية الوطنية الفرنسية سنة ٢٠٠٥م افتخارها واعتزازها بما صنعت العسكرية الفرنسية بالجزائر على امتداد قرن وثلث قرن، حيث أبادت ـ في الفصل الأخير من هذه المأساة قرابة المليونين من الشهداء المسلمين الجزائريين»[٦].

(٥) أ.د. محمد عمارة، «مشكلات العالم الإسلامي في ظل العولمة» ص ٤٣.

(٦) أ.د. محمد عمارة، «مشكلات العالم الإسلامي في ظل العولمة» ص ٤٨.



آلة الحرب اليهودية

وأثناء كتابة هذه السطور تدور آلة الحرب اليهودية على عظام المسلمين في لبنان وفلسطين، ويطلب العالم من الرئيس الأمريكي «جورج بوش» الصغير دعوة إسرائيل لوقف هذه الحرب فيرفض ذلك صراحة؛ مما شجع العدو الصهيوني المتغطرس للمزيد تلو المزيد من صب ناره على المسلمين دون رادع من دين أو وازع من ضمير.

- وعولمة الغرب، لا تعترف إلا بحق الإنسان الأوروبي في رغد العيش؛ ولذا تقوم على الخلل الفاحش الذي تمثله الليبرالية الرأسمالية المتوحشة، بين الشمال والجنوب، والذي بلغ ـ في الظلم الاجتماعي ـ حداً غير مسبوق.. فأبناء حضارة الشمال الذين بنوا رفاهية مجتمعاتهم الغربية على فائض النهب الاستعماري العالمي.. والذين يمثلون ٢٠٪ من سكان المعمورة يملكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمي!!»[٧].

- ومن خصائص العولمة الغربية، أنها لا تعترف بالقيم الدينية والأخلاقية التي أقرتها الشرائع السماوية، والتي توجت بالإسلام الحنيف، فهذه العولمة تقوم على نشر الرذيلة، كما أنها أباحت الزواج بين الذكرين على غرار ما أقرته بعض برلمانات أوروبا.

يبيحون الزنا ويرفضون الزواج المبكر

«وإذا نحن أخذنا وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد بالقاهرة ٥ ـ ١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م كنموذج من نماذج المواثيق التي تصوغ القيم الغربية، ثم تعولمها وتفرضها على العالم باسم الأمم المتحدة، فسنجد في هذه الوثيقة عشرات الشواهد على هذا الاجتياح القيمي، الذي يتسم باسم العولمة، لعالم الإسلام وحضارات الجنوب».

ودون الدخول في تفاصيل ما تضمنته هذه الوثيقة، نذكر هنا ما قاله الدكتور محمد عمارة من أنها «ذهبت على طريق الحرية الجنسية إلى الحد الذي جرمت فيه الزواج المبكر، ودعت إلى إحلال الزنا المبكر بديلا عنه!.. فالهدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة. وعلى الحكومات أن تزيد السن الأدنى عند الزواج حيثما اقتضى الأمر ـ ولا سيما بإتاحة بدائل تغني عن الزواج المبكر!! فالهدف هو الوفاء بالاحتياجات الخاصة بالمراهقين والمراهقات كما يتعاملون مع نشاطهم الجنس بطريقة إيجابية ومسئولة»[٨].

هذه هي «عولمة» الغرب في صورتها الحقيقية، التي يراد لنا أن ننضوي تحت لوائها وبالشروط التي يحددونها، مقارنة بعالمية الإسلام، التي جاء بها ديننا الحنيف.

(٧) المصدر السابق ص ٥٦.

(٨) «مشكلات العالم الإسلامي في ظل العولمة» ص ٦٥، ٦٦.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام



للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

١٤ فشل المسيحية فى الشرق الأوسط

«إن الجانب المهم فى إنجاز الإسلام فى الشرق الأوسط هو أنه حل محل المسيحية التى كانت محور الحياة الثقافية فى هذه المنطقة.. مناطق شاسعة كان سكانها فى غالبهم يشكلون قلب العالم المسيحى، فأصبحوا يشكلون قلب العالم الإسلامى.. إنه من الضرورى أن نتمعن فى أسباب هذا التغير بعناية..

لقد تحدثنا كثيراً -فى هذه الدراسة- عن قوة الإسلام. وإذا كان علينا أن نحذو حذو «توينبى» Arnold Toynbee [١٨٨٩ - ١٩٧٥م] -على أية حال- قلنا إن السبب الجوهرى هو الضعف الداخلى للمسيحية (أو ضعف المسيحية من الداخل، أو كمون بذور الضعف فى قلب المسيحية).

يتعين علينا أن نبحث عن جذور فشل المسيحية بمعالجة موضوع المسيحيين الشرقيين.. إن كثيراً من المسيحيين الشرقيين، خاصة اللاهوتيين منهم، استخدموا أيضا اليونانية فى الكتابات الجادة، لكن طريقة تفكيرهم كانت بشكل أساسى بعقليتهم فى لغاتهم الأصلية (السريانية، القبطية، الأرمنية إلخ)..

وقد أدى الاختلاف فى العقليات إلى اختلاف فى الصيغ اللاهوتية فى قضايا مختلفة، وعندما كانت تطرح هذه القضايا اللاهوتية المختلف عليها أمام المجامع المسكونية (العالمية) كان (اليونانيون) يستبعدون المسيحيين الشرقيين (الناطقين باللغات آنفة الذكر) من حق التصويت. وبمرور



الوقت وجد المسيحيون الشرقيون أنفسهم وقد اعتبرهم الآخرون هراطقة مخرفين، بل واعتبرتهم الإمبراطورية البيزنطية طريدى عدالة ومحرومين من حماية القانون..

وعندما تم طرد هذه الطوائف من الكنيسة المسيحية (للدولة البيزنطية) قامت هذه الطوائف بتأسيس عقائد تحاشت فيها الهرطقات الأكثر خطورة (ما اعتبره الآخرون هرطقات خطيرة)، التى اتهمهم مناوئوهم بها. ولم يكن هذا كافيا لرأب الصدع بين الطوائف المسيحية، فقد تنامت لدى الأطراف المتنازعة الرغبة فى عدم التوحد، ومن هنا كان طرد المسيحيين الشرقيين من الكنيسة ومن المجامع المقدسة على أساس أنهم (هراطقة) أدى إلى قيام المسيحيين الشرقيين بتأسيس منظمات كنسية منفصلة، وأدى هذا إلى إضعاف المسيحيين الشرقيين والجهاز الكنسى الرئيسى (للدولة البيزنطية) على السواء.. وهكذا تحولت الخلافات اللاهوتية إلى شعارات سياسية.. لذا فعندما فتح المسلمون سوريا ومصر رحب بهم السكان باعتبارهم محررين لهم من سطوة اليونانيين (البيزنطيين) الممقوتين.. وقد لخص «كريستوفر داوسون» Christopher Dawson [١٨٦٧ - ١٩٠٠م] بعض هذه النقاط، بأسلوبه الموجز المفعم بالمعانى، عندما قال: «إن محمداً كان هو إجابة الشرق على تحدى الإسكندر» -[٣٥٦ - ٣٢٤ق.م]-.. فقد كان محمد هو مؤسس الدولة الإسلامية التى سرعان ما اتسعت لتصبح دولة كبرى (إمبراطورية) أصبح لها ثقافتها الخاصة وحضارتها المتميزة فى مواجهة الهيلينستية بوجه عام.

لقد دخل الإسلام إذن فى منطقة لم تحقق فيها المسيحية نجاحا، أو لنقل إنها فشلت بالفعل، فالبلاد التى كان يسيطر عليها المسيحيون الشرقيون فى وقت من الأوقات أصبحت الآن بلاداً إسلامية عميق إسلامها..

وعلى أية حال، ففى كل مكان تحول نسل المسيحيين الشرقيين إلى الإسلام، بل لقد تحول عدد كبير منهم أنفسهم لا سلالاتهم فقط، ولا يمكن أن نعزو ذلك لمجرد الضغوط المادية والاجتماعية، كاعتبار المسيحيين فى الدولة الإسلامية مواطنين من الدرجة الثانية. ولن يفهم المسيحى فهما كاملا ما حدث بالضبط إلا إذا أعد لتقبل حقيقة أن هنا -أى فى هذه المنطقة- كانت المسيحية فى وضع أقل (من الديانات الأخرى) أو بتعبير آخر، ربما كانت المسيحية فى هذه المنطقة تحظى بقبول أقل، ربما حتى من الناحية الروحية، أو على الأقل أنها نظرية مقبولة ظاهريا أن المسيحيين الشرقيين غدوا غرباء إلى حد ما عن المسيحية.

لذا فمن المقبول ظاهريا أن نجد معظم المسيحيين الشرقيين قد تحولوا للإسلام، لأنهم وجدوا فيه تعبيرا عن التوحيد أكثر ملاءمة لعقليتهم الواضحة أكثر مما وجدوا فى المسيحية..



بل أكثر من هذا، إذ يمكن أن نقول إنه بينما فشلت المسيحية -على أساس من المفاهيم اليونانية- أن تقدم نفسها للعقول الشرقية، فإن الإسلام -على أساس من المفاهيم العربية- نجح في إحراز بعض التقدم بتقديم الأفكار اليونانية.

إنها لحقيقة معروفة جيداً أنه فيما بين القرنين التاسع والثاني عشر للميلاد تقبل الوسط الثقافي والفكري الإسلامي كثيرا من الفلسفة اليونانية والعلوم اليونانية.

ومن نافلة القول أن نقول إن هناك الكثير من الثقافة اليونانية، نبذه الإسلام تماما، ليس أقله «التراجيديا اليونانية»، والإنجازات الكبرى في الخيال الشعري، وهذا الإهمال يمكن أن يكون مجالاً للتركيز لتوضيح الفارق بين العقليتين..».

* * *

«إن تأثير المسيحية الفعلي، أو تأثير جوهر العقلية المسيحية يبدو في تناقص مستمر رغم محاولات التوسع التي تقوم بها الحركة التبشيرية، وفي الوقت نفسه وجدنا «صحوة» أو «انبعاثا» أو «حركة نهضة» في معظم أديان العالم الكبرى الأخرى «غير المسيحية»، بل وظهرت أيضا أديان جديدة. وإذا رجعنا للإسلام وجدنا زيادة في عدد معتنقيه في نطاق منطقته الجغرافية، بل وظهرت حركات دعوة للإسلام في أوروبا..»[1]

الإسلام هو الهيكل الأساسي لدين المستقبل

«في المستقبل.. ستكون هناك حركة بطيئة ستتمخض في النهاية عن ثقافة متجانسة للعالم أجمع. وفي مثل هذه الثقافة المتجانسة المنتشرة عبر العالم كله ستكون المقارنة الموضوعية بين الأديان أمراً ممكنا..

إنه في الحاضر والمستقبل المرئي، من الضروري أن نعرف أن الأديان الكبرى لدى كل منها ما يتمم الآخر، فكل دين من هذه الأديان صحيح في نطاق منطقة ثقافية خاصة، والأديان يكمل بعضها بعضا..

وعلى المدى البعيد -بطبيعة الحال- من المتوقع أنه سيكون هناك دين واحد للعالم كله، مع وجود اختلافات داخل نطاق هذا الدين الواحد، ويمكن تشبيه هذه الفروق الداخلية بالمذاهب الأربعة لدى المسلمين من أهل السنة، فهم جميعا مسلمون رغم اختلاف مذاهبهم..

ومعظم المسيحيين يميلون إلى افتراض أن المسيحية ستكون هي دين العالم في المستقبل.. لكن هذا أبعد ما يكون عن أن يكون أمرا مؤكدا، ولنذكر عنصرا واحدا، فبعض الأمم المسيحية الكبيرة تعاني بشدة من العنصرية، والدين الذي لا يستطيع أن يحل مشكلة العنصرية بين أعضائه من المستبعد أن يكون قادرا على تقديم حلول كثيرة مجدية لمشاكل العالم الأخرى.

(١) مونتجمري وات [الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر] ترجمة د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ ص١٧٩، ١٨٣، ١٨٤-١٨٨، ط٤.

ومن بين مزايا الإسلام تعميقه لمفهوم الأخوة، وعمق حججه، إلا أن الثقة بالنفس، مصحوبة بعمق الحجج وقوتها قد تتحول إلى (عيب) وليس ميزة، عندما تعمى عين الإنسان عن رؤية ما هو جدير بالتقدير لدى الآخرين، لذا فقد يجد الإسلام صعوبة في إدراج قيم أخرى من أديان أخرى ليستوعبها ويجعلها جزءا منه.

والإسلام -بالتأكيد- مناضل قوي، ومنافس عظيم الشأن، سيعمل على مد الدين الواحد -دين المستقبل- بهيكله الأساسي..»[2]

تعصب المركزية الأوروبية

«إن الحضارة الأوروبية (أو العالم المسيحي) كانت، ولفترة طويلة، تتصرف كما لو أنها الوحيدة التي تستحق الاهتمام، واعتبر الأوروبيون أنفسهم هم وحدهم -من بين كل البشر- الجديرين بالاعتبار (ينظر الكتاب المعاصرون لحضارة أمريكا الشمالية باعتبارها امتدادا للحضارة الأوروبية، ويرى آخرون ضرورة النظر إليها كحضارة مستقلة).

وفي القرن التاسع عشر كانت الثقافة الأوروبية حضارة، وكلما تقدمت تكنولوجيا وسياسيا، أصبحت مناطق أخرى من العالم متحضرة، ونتيجة لهذه الفكرة أهمل بالفعل تاريخ الحضارات العالمية الكبرى قبل اتصالها بأوروبا.

وعاملت الحضارة الأوروبية أديان العالم المعاملة نفسها، فكانت تنظر -إلى التطور الديني الرئيسي للجنس البشري من خلال نظرها للمسيحية، وإن كانت قد أعطت مساحة قليلة من الاهتمام لليهودية، وفيما عدا ذلك كان الأوروبيون ينظرون إليه باعتباره غير متطور وبدائي.. ومن هنا، فهناك افتراض مؤداه أن الأديان الأخرى الآن (غير المسيحية)، بما في ذلك الأديان الكبرى، سوف تخلي مكانها سريعا للمسيحية.

وقد يكون الأبرشيون parishioners قد توارثوا فكرة أن كل من هم غير مسيحيين لا يزيدون عن كونهم أفضل قليلا من الجماعات البدائية التي لم تتعد مرحلة الهمجية، لكن أفكار هؤلاء الأبرشيين بدأت تنهار وتتساقط حولهم شذر مذر، إذ أنهم قد اكتشفوا أن غير المسيحيين يمكنهم أن يعيشوا حياة حضارية راقية، وأنهم مهتمون بعمق برفاهية أبنائهم، وأنهم يخضعون معتقداتهم لبناء عقلي، مثلهم في ذلك مثل المسيحيين.

لكل هذه الأسباب، فإن الحقيقة الكبرى المتمثلة في «عالم متداخل الأديان» بسبيلها إلى التأثير في حياتنا اليومية بشكل متزايد..

وتحاول هذه الدراسة أن تتناول جانبا واحدا من قضية التداخل بين الأديان، وهو بالتحديد العلاقة بين المسيحية والإسلام..

إن الإسلام منافس قوي للمسيحية في قيادة

(٢) المصدر السابق ص٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨.



عالم اليوم -إن جاز لنا استخدام مثل هذه المصطلحات الاستراتيجية- ولابد أن نتحقق من أن كثيرا من عقائد الآباء عن تفوق المسيحية لم يكن في الواقع سوى مجرد اعتقاد في تفوق الحضارة الأوروبية المادية، أما على المستوى الديني، فالحقيقة أن الإسلام كان دوما ندا للمسيحية، فالإسلام مثله مثل المسيحية لديه «كتاب» لعالمنا المعاصر»[3].

العلم.. والعلمانية.. والقيم

«إن المناهج العلمية لا تصلح لمجال القيم Values. وإن قبولنا للمنهج العلمي واعترافنا بجدواه يؤدى بنا إلى نظرة علمانية للعالم، حيث لا مجال للقيم الدينية والأخلاقية..

وكثير من المسيحيين الآن يقبلون كثيرا من جوانب هذه النظرة العلمانية للعالم، ويحتفظون في الوقت نفسه بعقائد دينية بعينها تبدو متناقضة مع نظرتهم العلمانية الآنف ذكرها، أو يؤدى وضعهما متجاورين -العقائد الدينية والنظرة العلمانية- إلى نوع من المفارقة.

ويشعر المتدينون، من مختلف الأديان، بصعوبة الجمع بين النظريتين (الموقفين) بأشكال مختلفة[4].

شروط الحوار بين أهل الأديان

«إن الحوار -كما أرى- يتضمن الاستعداد للقبول الإيجابي بمقولات الدين الآخر رغم عدم التحول إليه، وبدون شيء من الاستعداد، ليتعلم أصحاب كل دين من أصحاب الأديان الأخرى، ليصبح الحوار نوعا من الهداية المعطلة..

إننا نحاول أن نعطى براءة لحوار حر (مفتوح) من هذا النوع..

إن كثيرين يفهمون الحوار بطرائق مختلفة، فهو بالنسبة للبعض مؤتمرات ذات سلطات قد تنتهي بقرارات تم الاتفاق عليها..

وهو بالنسبة لآخرين، لا يعدو أن يجتمع عدد من اللاهوتيين المسيحيين والعلماء المسلمين، ليصدروا قرارات فيما يتعلق بالمسائل الخلافية في العقائد.

بل هناك من يتحدث عن الحوار بشكل منغلق، وكأنما ليس هناك إلا طرف واحد -مثل كاتب سويسري اختتم كتابه الموسوم باسم: Dialogue with Islam بهذا النداء الذى وجهه للمسلمين:

«إننا نطلب منكم بشكل خاص جدا، نطلب منكم يا من تؤكدون بشدة القرابة القوية بين دينينا أن تؤمنوا أن لدى الغرب شيئا أكثر وأفضل، أفضل من ثقافتكم: إنه كلمة الحياة، رؤية مملكة الرب، وأمل لا نهائي، أمل لا ينتهي، نعبر عنه بكلمة واحدة وباسم واحد: إنه يسوع المسيح».

* * *

(3) المصدر السابق ص٢٨- ٣٠، ٣٤، ٣٦.

(4) المصدر السابق ص٣٢.

إن مثل هذا الكلام ليس (حوارا) بأى معنى من المعاني ذات الأهمية، فمثل هذه العبارات لا تعني شيئا أو لا قيمة لها حتى بالنسبة للمسلم الذى وصل إلى درجة عالية من التعليم، إنه ببساطة، سيجيب عن مثل هذه النداءات غير المجدية، بأن لديه بالفعل (كلمة الحياة) ممثلة في القرآن، وأنه يعتقد أن إرادة الله ومشيئته هي التي تحقق العدالة على ظهر الأرض..

وإذا وضعنا في اعتبارنا أن (الحوار) المقصود هنا يكون بين أشخاص ينتمون إلى ثقافات مختلفة، اتضح لنا ضرورة أن يكون المشاركون في هذه الحوارات أناس على درجة عالية من التفتح وتقبل ما يقوله الآخرون، فلا يمكن أن يكون هناك حوار من أى نوع مالم يتكلم أحد الأطراف، بينما يصغى الطرف الآخر لما يقال محاولا أن يفهم، وهذا ليس بالأمر اليسير بين ثقافات غريب بعضها عن بعضها الآخر، لأسباب منها اختلاف المفاهيم والقيم والأفكار، فإذا راح طرفان أحدهما مسيحي والآخر مسلم، يبحث كل منهما للآخر عن حجج وبراهين لدعم الخلاف بينهما، فهما سيجدان بسهولة كثيرا من العناصر لدعم الخلاف، لكن هذا لن يؤدى إلى قيام حوار حقيقي. فمن شروط الحوار الرغبة في التعلم، وإذا كان الأمر متعلقا بثقافات مختلفة، فهذا يعني صبرا عظيما ومحاولة التآلف والتعارف بكل جوانب العقلية الأخرى، أو العقلية الغربية، والتدرب على فهم عقليات الآخرين يجعل المرء أكثر تفتحا، فإذا تقبل القيم الموجودة في الدين الآخر، فإنه سيبدأ في البحث عن سبيل لإدماجها في دينه، فالمؤلف المسيحي السويسري -الذى اقتبسنا من كتابه تلك العبارات- كان يشجع المسلمين- بلطف ودماثة.. على أن يضيفوا إلى دينهم شيئا دون أن يتخلوا عن الجزء الأساسي من تراثهم، ولكنه فشل في أن يرى -كمسيحي- أنه لابد أن يسأل نفسه فيما إذا كان لدى الإسلام شيء يقدمه ليضاف إلى المسيحية؟

ربما كانت ثقة المسلم العادى العميقة في الله هي الفكرة التي يجب أن تأخذها المسيحية من الإسلام.

* * *

ويبدو ضروريا لحوار حقيقي أن يفرق كل مشارك في الحوار بين رسالة دينه الإيجابية، وبين حججه الدفاعية، فتكرار الحجج الدفاعية يعني الرغبة في منع معتنقي هذا الدين من الخروج منه، كما يحفز معتنقي الديانات الأخرى على صياغة حجج مضادة، والدفاعات والحجج المختلفة قد تنشأ بين أصحاب دين واحد على تفسير نص، مع أن هذا النص يلقى اعترافا من الطرفين المتجادلين..

* * *

وفي الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمدا لم يتلق وحيا، والأفكار الشبيهة..»[5]

(5) المصدر السابق ص٢٤، ٢٢٧، ٢٣٠.



النبوءة والسياسة

تأليف

جريس هالسل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



يحرص المضلل دائما على ستر أضاليله، وإخفاء معالمها، وتلبيسها بالحقائق، حتى يطمئن إلى أن أحدا لن يكشف أمره، ويفسد عليه مساعيه.

وللمضلل في الوصول إلى ذلك.. أساليبه التي يلتزمها، ووسائله التي يغلف بها أقواله وأفعاله، وأفكاره.

ولكنه -مثل أي مجرم- لا يسلم من أن يقع في أخطاء تكون علامة كاشفة، يشير إلى ما حاول إخفاءه من أكاذيب وأضاليل، وتومىء إلى ثياب الباطل التي حاول إخفاء الحق وراءها.

وهذه الأخطاء قد تكون في اضطراب كلامه، بحيث ينقض آخره أوله، وقد تكون في أفعاله، بحيث تتعارض مزاعمه مع سلوكياته، وقد تكون فيما تأتي به الأحداث من واقع يختلف مع ما بشر به وادعاه... إلى غير ذلك من الأخطاء التي لا يسلم منها تدبير كائن مخلوق، خاضع لسنن الحياة المستقيمة.

وإذا كان المحقق القضائي الحصيف هو الذي يكشف ما حاول القاتل أو اللص أو المزور إخفاء معالمه حتى لا ينكشف جرمه، فإن الناقد البصير -بأناته وأمانته- هو الذي يقف على ما حاول المضلل تحريفه وتزييفه.

من آثار هذا التضليل الأصولي

والكاتبة (جريس هالسل) في مبحث (استراحة الناصرة) تستعرض طرفا من آثار هذا التضليل والمسخ الذي يقوم به قساوسة

الأصولية المسيحية الإنجيلية؛ فتذكر بعض ما فعلته تلك الأضاليل بها وبشبيهتها (منى) التي شاءت الظروف أن ترافقها خلال رحلة نظمها القس (فولويل) إلى إسرائيل سنة ١٩٨٣ للحج إلى الأماكن المسيحية المقدسة حيث راعها وراع رفيقتها (منى) ما وقفنا عليه في تلك الرحلة مما يتناقض مع خلفيتهما الدينية التي أثمرها ما تعلمتاه منذ طفولتهما في بيتيهما المسيحيين من النصوص العبرانية، وقصص العهد القديم عن تجمع الشعب العبراني في فلسطين، وعن حروب ملوك إسرائيل وعن معاملات الله الخاصة بالشعب المختار.

لقد ترعرعتا -مثل غيرهما من ملايين الأطفال المسيحيين -دون أن يعرف أحد منهم أن العبرانيين كانوا مجموعة قبلية كغيرها من المجموعات القبلية التي سيطرت على القدس لحقبة قصيرة من الزمن.. حتى سيطر على عقولهم -بسبب هذا الجهل- : أن العبرانيين هم أول الشعوب التي جاءت بعد وقت قصير من آدم وحواء؛ فلم يعد ميسورا عليهم بعد ذلك أن يتصوروا وجود شعوب أخرى في الشرق الأوسط، إلا أن يكونوا أعداء للعبرانيين، أي أعداء لله؛ فقد تعلموا: تصديق مؤلفي العهد القديم الذين أعلنوا أنفسهم وقبيلتهم على أنهم شعب الله المفضل.

وكان من أثر ذلك: أن (منى) رفيقة الكاتبة لم تستسغ وجود فلسطينيين غير يهود، وعدّت وجود فلسطينيين -مسيحيين ومسلمين- أمرا معقدا بالنسبة لها؛ لتناقضه مع ما استقر في عقلها.

كما كان من أثر ذلك: إن (منى) بما قرره القس (فولويل) وغيره من أن الإسرائيليين وحدهم من بين كل شعوب الأرض لا يمكن تطبيق القوانين التي يشترعها الإنسان عليهم.

أي إن على (منى) وأمثالها أن يجعلوا من المواطنين المسيحيين والمسلمين شيئا غير موجود، وأن يعدّوهم مجرد أحجار في لعبة شطرنج إلهية؛ فأي مسيحي -مثل منى- يتقبل الإيمان بالشعب المختار لا يمكن أن يجد القدرة على إدراك اشتراك الفلسطينيين -المسيحيين والمسلمين- في الصورة الإنسانية، وفي الوجود الإنساني مع غيرهم من المسيحيين مثلها؛ فمن اختار من المسيحيين مفهوم الشعب المختار، يختار -في الوقت نفسه- مفهوم الشعب غير المختار.

ولكي يظل هؤلاء غرقى هذا المحيط من الضلال يحرص (فولويل) وأتباعه على طمس كل معلم يكشف باطلهم، كما كان

من دليل المرحلة، حين سألت واحدة من أعضاء الرحلة عن جماعة كبيرة من الفلسطينيين شاهدتهم في أحد المخيمات.. فقد أجاب الدليل الإسرائيلي: «العرب يعيشون هنا، إنهم يفضلون أن يعيشوا هكذا.. ولقد حاولنا مصادقتهم، غير أن هؤلاء المسلمين جميعهم إرهابيون».

قال ذلك متجاهلا ما يوجد بينهم من مجموعات مسيحية، بل إن هذا التجاهل شمل كذلك منع أى فرصة تتيح لأحد من أعضاء الرحلة أن يلتقى أحدا من المسيحيين الفلسطينيين.

وتؤكد الكاتبة حرص (فولويل) والإسرائيليين على ذلك بما ذكرته من أنها طلبت من الدليل أن يسمح بمقابلة بعض الأمريكيين المسيحيين الموجودين في مدينة (الناصرة)، فلما قربت الرحلة منها... أعلن عدم التوقف في مدينة الناصرة، على الرغم من أهمية تلك المدينة بالنسبة للمسيحيين؛ فهي المدينة التي عاش فيها المسيح وترعرع فيها خلال شبابه، وفيها أدى أول صلاة له.

ولم يكتف (فولويل) وأعوانه بحجب أعضاء الرحلة عن الفلسطينيين المسيحيين... بل إنهم حرصوا على صرفهم عن الصلاة في أى كنيسة في مناطق القدس، وأعلن أن الصلاة ستؤدى في أحد الفنادق الإسرائيلية؛ معللا أن أعضاء الرحلة مسيحيون، وأنهم جاءوا لزيارة أرض المسيح من أجل التعرف على المسيح؛ حرصا منهم على أن يقر في أذهان أعضاء الرحلة: أن هذه الأرض المقدسة وفاء إلهي بوعوده لمجموعة واحدة من الشعب، أما البقية فلا وجود لها كما قالت (جولدا مائير).

المسيح قائد القتل والتدمير..
لا رسول السلام

وفى المبحث الخاص (استحسان المسيح العسكرى) قدمت الكاتبة من الواقع ما يؤكد أن القس (فولويل) بأضاليله أجرى غسيلا لأمخاخ مريديه من الأمريكيين، فغيّر حقيقة المسيح التي يدين بها المسيحيون والمسلمون ويلتقون معاً عليها؛ فمسخ دعوته إلى السلام التي ضحى من أجلها بحياته، وجعلها دعوة دائبة لإبادة البشر، وتدمير الحضارة الإنسانية التي أثمرتها البشرية على مدى أكثر من عشرين قرنا.

والكاتبة (جريس هالسل) في هذا المبحث توضح حرص (فولويل) البالغ على أن لا تتاح لأحد من مريديه أية فرصة تقفه على شيء من أضاليله.

وقد بدا هذا الحرص في ذلك الستار الحديدى الذى صاغه هو والإسرائيليون، ووضعوا في داخله أعضاء الرحلة إلى الأرض المقدسة التي كانت هي واحدة من أعضائها الستمائة والثلاثين مسيحيا إنجيليا في سنة ١٩٨٣.

وكان من صور ذلك الستار الحديدى... هذا الغول الذى انثال به لسان (موشى أرينز) -وزير الدفاع الإسرائيلي والسفير السابق لإسرائيل في الولايات المتحدة- والذى كرّمنا القس (فولويل) بمقابلته ليقول لنا -في اعتزاز بالعملية العسكرية التي قام بها في لبنان-: «إن هذه العملية حققت نصرا عظيما ليس فقط لإسرائيل، وإنما للعالم الحر أيضا، منذ ذهبنا إلى لبنان لنقتل كل الإرهابيين، لقد أردنا أن نمحوهم جميعاً». ولما تحدث (أرينز) عن جيش إسرائيل عائدا إلى لبنان وسوريا قفز المسيحيون على أقدامهم مصفقين. ثم تحدث (أرينز) وهو يشير بيده -ربما باتجاه سوريا والاتحاد السوفيتي- قائلاً: «إن هؤلاء هم الأعداء الشيوعيون».

بل إن المسيحيين الحاضرين قاطعوا (أرينز) -وهو يدعو إلى تجديد الالتزام بالقوة العسكرية وبحرب جديدة أكبر- ١٨ مرة بالتصفيق وقوفا، مرددين: (آمين وهلوليا)، ولما أبدت الكاتبة دهشتها من تصفيق فريق الرحلة لغزو شعب برئ وذبحه، قال أحد الأعضاء: «إن غزو لبنان كان عملا من إرادة الله؛ فقد كانت حربا مقدسة، إننى أعتقد أن الغزو كان رائعا؛ لأنه كان منسجما مع العهد القديم، ولأنه يؤكد النبوءة التوراتية الإنجيلية، وهذا يعنى أننا نقترب من هرّمجدّون»، وقال عضو آخر -معللا سعادته بغزو الأبرياء وذبحهم-: «إن (جيرى فولويل) يردد دائما القول: «لأن الكتاب المقدس يقول: إن الذين يباركون إسرائيل يباركهم الله، وإن الذين يلعنون إسرائيل يلعنهم الله».

ولكن الكاتبة ازدادت دهشة للتناقض الواضح في الموقف؛ فكيف تؤمن بأن الله يريد من الناس أن تنهج منهج ابنه المسيح غير العسكرى، وفى الوقت ذاته تؤمن بأن الله هذا يبارك الولايات المتحدة، ويبارك المسيحيين فيها لأنهم يساعدون إسرائيل على آثامها ويشجعونها؟!

وتذكر الكاتبة أنها حين تأكدت من تعمد القس (فولويل) أن يحجب عنهم لقاء أى مسيحى فلسطيني.. حينئذ أصرت على لقاء أى مسيحى -فلسطيني أو غير فلسطيني- من العاملين في الناصرة والقدس، وبيت لحم.

ومع إصرارها.. سمح لها بلقاء من



دعوة أحد رجال الله، واسمه (نعيم خورى)، ولما حاورته -على انفراد- عرفت منه أن أتباعه جميعهم من العرب، وأنه غير مسموح له بالتحدث عن المسيح، وأنه يشاهد معاناة الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين تحت السيطرة الإسرائيلية، ولكنه لا يستطيع أن يتحدث في ذلك.

إبادة بدون أفران

وذكرت: أن (إلياس فريج) رئيس بلدية بيت لحم روى لها عن القسيس (جوزيف لوتشتاين) رئيس جامعة بيت لحم الدينية قوله: «إن الهدف الأساسي للعسكرية الصهيونية هو السيطرة على قلوب المسيحيين الأمريكان وعقولهم؛ فإذا استطاعوا إقناع المسيحيين الأمريكان بأن الشعب الفلسطيني غير موجود -أو أنه غير مهم- فسيوافق المسيحيون على كل ما يفعله الإسرائيليون.. إن الصهيونيين يواصلون إقامة المستوطنات غير الشرعية على الأرض الفلسطينية، والفلسطينيون يخسرون باستمرار أراضيهم من غير أن يحرك أحد ساكنا، حيث تتوافق السياسة الأمريكية مع المصادرة الإسرائيلية.

واستطرد يقول: «إنني أعدُّ ذلك إبادة للشعب الفلسطيني من دون أفران؛ فالمسيحيون الذين حافظوا باستمرار على شعلة الكنيسة الأم طوال التاريخ يواجهون الآن أعتى عمليات الإبادة منذ أيام المسيح.. إن (فولويل) يأتي إلى القدس حيث يوجد مسيحيون من حوله في كل مكان، ولكنه يرفض رؤيتهم... إن (فولويل) يؤثر أن ينقلب المسيحيون على تراثهم كأتباع للمسيح، فهل كان المسيح يغمض عينيه، ولا يكترث لمصير الأفراد المسيحيين كما يفعل (جيرى فولويل)؟!

ولما التقت الكاتبة مسيحيا آخر بروتستنتيا إنجيليا هو (جوناثان كتاب) الذى عاد من أمريكا ليعيش في فلسطين محاميا- علمت منه أن الإنجيليين الأصوليين مثل (فولويل) يُقدِّمون إيمانهم بإسرائيل على إيمانهم بتعاليم المسيح؛ فصهيونية (فولويل) سياسية، لا علاقة لها بالأخلاق أو القيم، وهى تفرض عليه أن يطلب من دافع الضرائب الأمريكى تقديم خمسة بلايين دولار في السنة، مؤكدا لأتباعه أنهم على الطريق الرابح والناجح ما داموا مؤيدين للصهيونية؛ ولذلك... فإن القليل جدا من المجموعات المسيحية التى تأتى إلى هنا تبحث عن المنظمات المسيحية ... والإسرائيليون يعرفون أن مسيحيين أشداء مثل

(فولويل) يقفون معهم على طول الخط، بصرف النظر عما يفعلونه أخلاقيا ومعنويا. وأنهم مهما بلغوا من القمع.. فإن الصهيونيين المسيحيين الأمريكيين معهم دائما، ويرغبون في إعطائهم الأسلحة وبلايين الدولارات، مع تصويتهم إلى جانبهم في الأمم المتحدة.

تعاون فولويل مع إسرائيل... متى، ولماذا؟

ولما وجدت السيدة (جريس هالسل) أن القس (فولويل) يتعاون مع الإسرائيليين هذا التعاون المطلق... لذلك سعت للتعرف على (فولويل) تعرفا كاشفا. فأخبرها الدكتور (جيمس برايس): أن الإسرائيليين أهدوا إليه طائرة نفاثة خاصة من نوع (ديندستريم)، وأنه يقطع بها في الأسبوع عشرة آلاف ميل ليدعو الناخبين إلى تأييد المرشحين الذين يفضلهم سياسيا. وأطلعها على إمبراطورية (فولويل) في مدينة (لينشبورج) التى تبعد عن واشنطن بنحو مائة وخمسين ميلا. وأطلعها على منزله الريفى الذى أحاطه بسور كبير، تحت حراسة مسلحين على مدى أربع وعشرين ساعة. وأخبرها أنه يسيطر على هذه المدينة باستثناء الكلية التى يدرس فيها هو وزميله (ويليام جودمان).

كما أخبرها الدكتوران (برايس وجودمان): أن فولويل قبل سنة ١٩٦٧ كان ينادى بفصل السياسة عن التبشير، وأنه لم يكن يشير إلى إسرائيل على الإطلاق، ولكنه بعد الانتصار العسكرى لإسرائيل سنة ١٩٦٧ تغير تماما؛ فأصبح من كبار مؤيدى الدولة الصهيونية، فقد كان لانتصار إسرائيل المذهل تأثير كبير على فولويل وغيره من الأمريكيين الذين توجهوا بمشاعر من العبادة نحو إسرائيل التى رأوا فيها قوة لا تقهر عوضتهم عن الشعور بالعجز المخيم على الكثيرين بسبب الهزيمة في فيتنام.

وعلى الرغم من أن فضل هذا الانتصار يرجع إلى تزويد الولايات المتحدة إسرائيل بالأسلحة، وبالتكنولوجيا، وببلايين الدولارات... على الرغم من هذا قال (فولويل): «لم تكن هناك وسيلة ليربح الإسرائيليون لو لم يكن هناك تدخل من الله».

ولكى يحض أمريكا على مزيد من التعاون مع إسرائيل.. قال في زيارته الثانية لإسرائيل سنة ١٩٧٩: «إن الله يحب أمريكا؛ لأن أمريكا تحب اليهود.. إن على المسيحيين الأمريكيين أن يتدخلوا في السياسة بطريقة تضمن استمرار بقاء أمريكا صديقة لليهود... إننى أؤمن بأننا إذا تقاعسنا عن حماية إسرائيل فلن تبقى



مهمين بالنسبة إلى الله».

ومن هنا... أصبح (فولويل) - كما يقول الدكتور جودمان- أول سياسى أمريكى مرموق يقول: «إن على الولايات المتحدة حماية إسرائيل.. ليس فقط من أجل مصلحة إسرائيل، ولكن من أجل المحافظة على أمريكا نفسها».

وبدأ يفاخر بأن الشعب اليهودى فى أمريكا وفى إسرائيل، وفى كل أنحاء العالم ليس له صديق أعز من (جيرى فولويل).

الأجر... والأجر المقابل

أما إسرائيل فلم تكتف بمكافأة (فولويل) بالطائرة النفاثة، ولكن (بيجن) قدم له سنة ١٩٨٠ فى نيويورك ميدالية تحمل اسم أستاذه (فلاديمير زيف جابوتينسكى) الصهيونى اليمينى الذى يماثل (فولويل) فى عشق القوة، وجعلها هدفا يسعى إليه بأى وسيلة، والذى دعا إلى عدم إخضاع اليهود فى فلسطين للقوانين الوضعية، وعدَّ كل من يؤمن بالعدالة غبيا، وألزم اليهود بعدم مساومة الفلسطينيين العرب، حتى تقام دولة يهودية صافية دون أى نقاش.

فالإنجيلية العسكرية عند (فولويل) تنطلق من مبادىء (جابوتينسكى)، كما يتضح من ادعائه أن الكتاب المقدس يحتقر مباحثات تحديد الأسلحة الاستراتيجية.

ومنذ علقت ميدالية (جابوتينسكى) على صدر (فولويل) زادت وتيرة استعمال (فولويل) فى مصالح إسرائيل، حتى إن أى عمل عسكرى قامت به -أو ستقوم به- إسرائيل اعتمدت إسرائيل فيه على دعم اليمين المسيحى، على حد تعبير الدكتور (جيمس برايس)؛ فقد استعملوه فى تأييد الضربة الإسرائيلية للعراق وخلال غزوهم لبنان سنة ١٩٨٢، وفى تبرير المجازر التى وقعت فى المخيمين الفلسطينيين.

والكاتبة (جريس هالسل) تشير إلى تبرير فولويل لكل أفعال إسرائيل وضح أثره فى جعل كثير من الأمريكيين على يقين من أن اليهود هم الأفضل، وأنه عمل آثم أمام الله أن يفكر مسئولون أمريكيون فى وضع أية عملية للسلام يمكن أن تنتزع قدما واحدا من الأرض التى منحها الله للشعب الذى يملك أقدم حق للملكية معروف للإنسانية؛ لأن الله أعطى بركته لهم، ولأنه أراد أن يحصل اليهود على ملكية الأرض المقدسة، لا فرق بين الذى ينتمى إلى فلسطين، والذى يعيش فى فرنسا، والزنجى الذى يعيش فى أثيوبيا،

فجميع اليهود من عرق واحد منذ أيام إبراهيم؛ ولذلك فإن إسرائيل على حق فى غزو لبنان، وفى مصادرة أى أرض عربية؛ لأن لديهم الحق الإلهى فى أن يفعلوا ذلك.

إلى غير ذلك من الأفكار التى يبثها (فولويل) فى عقول الأمريكيين المسيحيين الإنجيليين.

صور من التخطيط العدوانى

وفى المبحث السابع (زيارة الجبل المقدس) ذكرت الكاتبة جريس هالسل: أنها فى أثناء رحلة للحج إلى الأرض المقدسة سنة ١٩٨٥ عرفت من الدليل أنهم فى إسرائيل أعدوا العدة لبناء الهيكل الثالث مكان قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وعرفت -من حوارها مع بعض رفقائها الأمريكيين- أنهم يرحبون بما قاله الدليل؛ لأن الإنجيل دعا إلى إعادة بناء الهيكل، ولا يوجد سوى هذا المكان لبنائه.

ولما تخلفت عن المجموعة أثناء جولتهم التسويقية، توجهت إلى الحرم الشريف - وكان يوم الجمعة- فذكرتها جموع المسلمين الغفيرة فى الحرم بأن القدس كانت طوال تاريخها عربية على مدى آلاف السنين، كما إن باريس كانت لآلاف السنين فرنسية. وذكرتها هذه الجموع بأن هذا الحرم ظل إسلاميا منذ القرن السابع الميلادى حتى اليوم، وبلا انقطاع سوى ٨٨ سنة مدة استيلاء الصليبيين الأوروبيين عليه، وأن الإسرائيليين لما سيطروا عسكريا على المدينة القديمة التى تضم الحرم الشريف... أزالوا بآلياتهم الحى المغربى فشردوا ستة آلاف شخص كانوا يعيشون فى هذا الحى.

وتذكر الكاتبة أن هذه الزيارة جعلت مشاعر الخوف تتملكها من أن يشن اليهود المتعصبون -بمؤازرة المسيحيين المتعصبين- حربا مقدسة ضد المسلمين، حين يقدمون على تدمير هذه الأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس؛ فيدفعون البشرية إلى حرب عالمية ثالثة، على نحو ما ذكره (هول ليدنسى) فى كتابه (آخر أعظم كرة أرضية) من أنه «لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماما أمام دور إسرائيل فى المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية. وهو إعادة بناء الهيكل القديم فى موقعه القديم، ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استنادا إلى قانون موسى فى جبل موريا، حيث شيد الهيكلان السابقان».

***



التشكيل الحكومى الجديد فى إسرائيل

للأستاذ/
صلاح عبد الرحيم محمد

شهدت الساحة الحزبية الإسرائيلية، قبل إجراء الانتخابات التشريعية المبكرة فى ٢٨ مارس ٢٠٠٦، وتشكيل الائتلاف الحكومى الجديد، عدداً من المتغيرات ذات التأثير العميق فى الحياة السياسية فى الدولة العبرية:

● أولها: بزوغ حزب جديد هو حزب «كاديما» الذى خرج من رحم حزبين قائمين هما الليكود والعمل فى أعقاب انسحاب رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق «شارون» من الليكود فى ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٥، جاذباً خلفه أنصاراً من كلا الحزبين الكبيرين إلى هذا الحزب الوليد.

● وثانيها: فوز «عامير بيرتس» رئيس اتحاد نقابات العمال الإسرائيلى «الهستدروت» بزعامة حزب العمال على حساب الزعيم التاريخى «شيمون بيريز»، واللافت فى هذا الصدد، وصول أول يهودى شرقى لزعامة حزب العمل لأول مرة فى تاريخ إسرائيل.

● وثالثها: اختفاء نجم حزبى كبير من الساحة الحزبية، وهو «حزب شينوى» اليسارى الذى كان يشغل المرتبة الثالثة «١٥ مقعداً» فى الكنيست السادسة عشرة، فقد فشل هذا الحزب فى انتخابات الكنيست الجديدة فى الحصول على نسبة الـ٢٪ المؤهلة لدخول الكنيست، فقد انقسم على نفسه قبل نهاية ولاية الكنيست السادسة عشرة إلى ثلاث قوى، هى:

- حزب شينوى العلمانى بزعامة «دون لفنتال» الذى قاد انقلاباً على زعيم الحزب السابق «يوسى لبيد».
- وقائمة «حيتس» أى السهم بقيادة الرجل الثانى «إبراهام بوراز» المؤيَّد من قبل الزعيم السابق «لبيد».
- وأخيراً حزب «تفليت» بزعامة الجنرال «عوزى ديان».

● ورابعها: ولادة حزب يمثل مصالح أرباب المعاشات على الساحة الحزبية لأول مرة وهو حزب جيل أو ما يسمى «حزب المتقاعدين».

● وخامسها: غياب شارون عن الساحة السياسية والحزبية بسبب الجلطة الدماغية التى أصابته فى ٤ يناير ٢٠٠٦، وهو ما ترك تأثيراً سلبياً على حزب كاديما الذى خلفه فى زعامته «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى كلف بتشكيل الحكومة الجديدة عقب فوز حزبه بأغلبية المقاعد «٢٩ مقعداً فى الكنيست» فى الانتخابات التشريعية التى جرت فى ٢٨ مارس ٢٠٠٦.

أولمرت وكاديما

وكان للإجماع الداخلى على قيادة أولمرت للحزب الجديد «كاديما» أن منحه أعضاء الحزب الحق فى تشكيل قائمة الحزب الانتخابية بالتنسيق معهم، وقد جاءت القائمة على الأقل حتى مراكزها العشرة الأولى منسجمة مع مسعى تحقيق الوحدة الداخلية، حيث ضمت إيهود أولمرت، شيمون بيريز، تسيبى ليفنى، موشيه شطريت، آفى ديختر، مارينا سلودوكين، حاييم دامون، شاؤول موفاز، تساحى هنجبى، إبراهام هيرشزون.

كما أدرجت أيضا فى قائمة الحزب شخصيات مثل زئيف بويم، جدعون عزرا، داليا إيتسيك، يعقوب ادرى، رونى برأون، ومجلى وهبى، وهو العربى الوحيد فى قائمة حزب كاديما الانتخابية، وقد تم تكليف «تساحى هنجبى» لإدارة طاقم الحملة الانتخابية لحزب كاديما، ولقد استغل «أولمرت» شعبية شارون وحضوره الطاغى على الساحة الحزبية، وانبهار الإسرائيليين بشخصيته بوضع صورته على إعلانات الحزب، وإلحاق صورته بصورة شارون المزيلة بعبارة «نعم لطريق شارون، نعم لكاديما»، كما أبقى «أولمرت» الزعيم الجديد لكاديما على مستشارى شارون المقربين المكون من «دوف فايسجلاس وعومرى شارون، ورؤبين أدلر، وأيال أراد»، وهم جميعاً من المؤمنين على



أسرار شارون وخططه المستقبلية، لكسب عطف قطاع كبير من الإسرائيليين.

ويرى المراقبون أن النقاش قد جرى بين الأحزاب المتنافسة «٣٠ قائمة حزبية» فى انتخابات الكنيست السابعة عشرة الجديدة حول هدف واحد، هو الحفاظ على الهوية اليهودية للدولة الإسرائيلية، فالتسوية لديهم، كانت تعنى الفصل الديموجرافى «السكانى» عن الفلسطينيين بحيث يقوم كيان سياسى بالضفة الغربية، وقطاع غزة، يتم تسميته «دولة» لإرضاء طموح الفلسطينيين القومى.

تصريحات أولمرت فى هرتزليا

وفى هذا الصدد عرض «إيهود أولمرت» رؤيته الحزبية للتسوية السياسية مع الفلسطينيين أمام مؤتمر هرتزليا السادس فى ٢١ يناير ٢٠٠٦ بقوله: «إن على إسرائيل بسبب الهاجس الديمجرافى «السكانى» أن تقوم وبسرعة بترسيم حدودها السياسية مع الفلسطينيين، فالخيار واضح هنا، إما الانسياق وراء الرغبة فى فتح الاستيطان، والسكن لكل يهودى، فى أى مكان فى أرض إسرائيل «فى زعمه» مما يؤدى إلى فقدان إسرائيل لطابعها اليهودى، ومكانتها الدولية فى المجتمع الدولى، أو الحفاظ على إسرائيل كدولة يهودية بالتنازل عن التجمعات الفلسطينية كثيفة السكان، وعن أجزاء من أرض إسرائيل وهو ما يعنى أن الانفصال عن الفلسطينيين وترسيم حدود جديدة لإسرائيل كان هو المحور الرئيسى لتنافس الكتل الحزبية فى الانتخابات ثلاثون قائمة حزبية، فازت منها ١٢ قائمة تجاوزت نسبة الحسم «٢٪» المؤهلة لدخول الكنيست الجديد، فحصل حزب كاديما الجديد برئاسة «أولمرت» على ٢٩ مقعداً وحزب العمل برئاسة «عامير بيرتس» على ١٩ مقعداً وحزب الليكود برئاسة «نيتنياهو» على ١٢ مقعداً وحزب شاس برئاسة «إيلى يشاى» على ١٢ مقعداً، وحزب إسرائيل بيتنا برئاسة «إينجدور ليبرمان» على ١١ مقعداً، وقائمة الاتحاد القومى «المفدال» برئاسة «بنى إيلون» على ٩ مقاعد، وحزب جيل «حزب المتقاعدين» برئاسة «رافى إيتان» على ٧ مقاعد، وحزب يهدوت هاتوراة «يهودية التوراة» برئاسة «يعقوب ليتسمان» على ٦ مقاعد، والقائمة «العربية الموحدة – الحركة العربية للتغيير» «داعام استاعل»



برئاسة الشيخ «إبراهيم عبد الله صرصور» على ٤ مقاعد، والتجمع الوطنى الديمقراطى «بلد» برئاسة عزمى بشارة، على ٣ مقاعد، والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة «جداش» برئاسة محمد بركة، على ٣ مقاعد وفى ضوء إعلان هذه النتائج فى ٣ إبريل ٢٠٠٦، وبعد التقاء الرئيس الإسرائيلى «موشيه كاتساف» مع رؤساء الأحزاب، استقر رأيه على تكليف «إيهود أولمرت» بتشكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة بوصفه زعيم حزب الأغلبية «كاديما ٢٩ مقعداً» وقد نجح «أولمرت» بعد مفاوضات ائتلافيه، مع عدد من الكتل الحزبية فى التوصل إلى «توليفة حزبية» مناسبة مكونة من أربعة أحزاب كأساس لتشكيل حكومته جديدة، وهى حزب كاديما «٢٩ مقعداً» وحزب العمل «١٩ مقعداً» وحزب شاس «١٢ مقعداً» وحزب جيل «حزب المتقاعدين» «٧ مقاعد» ومن هنا حظيت الحكومة الإسرائيلية الجديدة بتأييد ٦٧ نائباً داخل الكنيست السابعة عشرة الجديدة، فى ٤ مايو ٢٠٠٦ كما تم تعيين «داليا إيتسيك» رئيساً للكنيست الجديدة فى سابقة هى الأولى من نوعها منذ قيام إسرائيل.

التشكيل الوزارى

هذا وقد جرى تشكيل الحكومة الائتلافية الجديدة فى إسرائيل على النحو التالى:

● أولاً- وزراء من حزب كاديما، وعددهم ١٢ وزيراً وهم:

١- إيهود أولمرت، رئيساً للوزراء.

٢- شاؤول موفاز، وزيراً للمواصلات، وعضو المجلس الأمنى المصغر، ونائباً لرئيس الوزراء، ومسئولاً عن الحوار الاستراتيجى بين إسرائيل والدول الخارجية.

٣- شيمون بيريز، قائماً بأعمال رئيس الوزراء، ووزيراً لتطوير الجليل والنقب، ومسئولاً عن ملف التطوير الاقتصادى فى المنطقة.

٤- تسيبى ليفنى، وزيرة للخارجية، والقائمة الأولى بأعمال رئيس الوزراء.

٥- إبراهام هيرشزون، وزيراً للمالية.

٦- مائير شطريت، وزيراً للبناء والإسكان، ومسئولاً عن دائرة الأراضى، ومسئولاً عن ملف مراقبة أجهزة الأمن، ورئيساً للجنة الوزراء لشئون الوسط غير اليهودى.

٧- جدعون عزرا، وزيراً للجودة

والبيئة.

٨- حاييم دامون، وزيراً للعدل.

٩- زئيف بويم، وزيراً لاستيعاب المهاجرين.

١٠- يعقوب أدرى، وزيراً مسئولاً عن الاتصال مع الكنيست.

١١- رونى برأون، وزيراً للداخلية.

١٢- آفى ديختر، وزيراً للأمن الداخلى.

● ثانياً- وزراء من حزب العمل، وعددهم ٧ وزراء وهم:

١٣- عامير بيرتس، وزيراً للدفاع ونائب رئيس الوزراء.

١٤- يولى تامير، وزيرة للتربية والتعليم.

١٥- شالوم سمحون، وزيراً للزراعة.

١٦- بنيامين بن إلعازر، وزيراً للبنى التحتية.

١٧- إسحق هرتسوج، وزيراً للسياحة.

١٨- أوفير بينيس، وزيراً للعلوم والتكنولوجيا.

١٩- إيتان كابل، وزيراً بلا وزارة، ومسئولاً عن سلطة الإذاعة والتليفزيون.

● ثالثاً- وزراء من حزب شاس، وعددهم ٤ وزراء، وهم:

٢٠- إيلى يشاى، وزيراً للصناعة والتجارة والتشغيل.

٢١- رافيل إيتاس، وزيراً للاتصالات.

٢٢- إسحق كوهين، وزيراً فى مكتب رئيس الوزراء، ومسئولاً عن الشئون الدينية.

٢٣- مشولام نهارى، وزيراً بلا وزارة.

● رابعاً- وزراء من حزب جيل «حزب المتقاعدين» وعددهم وزيران، وهما:

٢٤- رافى إيتان، وزيراً مسئولاً عن ملف المتقاعدين «أرباب المعاشات».

٢٥- يعقوب بن يزرى، وزيراً للصحة.

ملاحظات

وفى ضوء هذا التشكيل الحكومى الجديد فى إسرائيل، يمكن رصد العديد من الملاحظات وهى:

● أولاً: جاء هذا التشكيل الحكومى من ائتلاف أربعة أحزاب متوسطة تضم فقط ٦٧ نائباً، تزيد قليلاً على نصف عدد أعضاء الكنيست الـ١٢٠، لكنه تشكيل متوازن أتى بخلطة معتدلة سياسياً.

● ثانياً: تتكون هذه الحكومة

الائتلافية من ٢٥ وزيراً من أربع كتل حزبية يقودها حزب جديد ظهر على الساحة السياسية والحزبية لأول مرة، هو حزب كاديما الذى أسسه شارون فى ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٥ قبل الدخول فى غيبوبته الأخيرة فى الرابع من يناير ٢٠٠٦.

● ثالثاً: تراجع عدد الجنرالات العسكريين داخل الحكومة الجديدة فلأول مرة تقوم هذه الحكومة على أكثرية مدنية، يأتى على رأسها الرباعى الرئيسى، وهم إيهود أولمرت، رئيس الوزراء، وعامير بيرتس، وزير الدفاع، وتسيبى ليفنى، وزيرة الخارجية وإبراهام هيرشزون، وزير المالية بينما اقتصر تمثيل الجنرالات على أربعة فقط، على رأسهم «آفى ديختر» وزير الأمن الداخلى لذلك يرى بعض المحللين أن رئيس الوزراء الجديد «أولمرت» حاول أن يجمع لهؤلاء ما بين المناصب المدنية التى عينوا فيها وعضوية لجان أمنية لها تأثيرها فى صنع القرار السياسى مثل عضوية المجلس الأمنى المصغر، بالنسبة لشاؤول موفاز وزير المواصلات الذى جمع بين المنصبين المدنى والأمنى.

● رابعاً: يتميز التشكيل الحكومى الجديد بتمثيل واسع لليهود من أصل شرقى، إذ يبلغ عددهم ١٢ وزيراً من مختلف الكتل الحزبية الأربع المكونة للائتلاف الحكومى، وعلى رأسهم «عامير بيرتس» «٥٤ عاماً» من أصل مغربى، وزعيم حزب العمل، إذ هى المرة الأولى التى يترأس فيها يهودى شرقى هذا الحزب العريق.

● خامساً: جاءت هذه الحكومة الجديدة خلواً من تمثيل فئتين هامتين من السكان فى إسرائيل، الأولى اليهود الروس، الذين يمثلهم حزب «إسرائيل بيتنا» بزعامة «ليبرمان» الحائز على ١١ مقعداً من مقاعد الكنيست الجديدة، والثانية عرب ٤٨ «الأقلية العربية فى إسرائيل» ويمثلهم ثلاثة أحزاب حائزة على ١٠ مقاعد وهى «القائمة العربية الموحدة- الحركة العربية للتغير -٤ مقاعد» برئاسة الشيخ إبراهيم عبد الله صرصور، والتجمع الوطنى الديمقراطى «٣ مقاعد» برئاسة عزمى بشارة، والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة «٣ مقاعد» برئاسة محمد بركة.

● سادساً: تراجع التمثيل النسائى فى الائتلاف الحكومى الجديد إذ اقتصر فقط على امرأتين، وهما «تسيبى ليفنى» للخارجية، و«يولى تامير» للتربية والتعليم، وذلك بالمقارنة بحكومة شارون السابقة التى ضمت أربع نساء،



شغلن مناصب وزارية مختلفة.

● سابعاً: بروز وزراء جدد يمثلون لأول مرة حزب جديد هو حزب جيل «حزب أرباب المعاشات» الحائز على ٧ مقاعد، والوزراء الجدد هم رافى إيتان، الوزير المسئول عن ملف المتقاعدين من أصحاب المعاشات، ويعقوب أدرى، الذى يشغل منصب وزير الصحة، وفوز هذا الحزب كان مفاجأة للجميع.

المؤسسة العسكرية

ويرى المراقبون أنه يؤخذ على رئيس الوزراء الإسرائيلى «أولمرت» أنه يفتقد الشعبية الكبيرة التى كان يتمتع بها شارون قبل مرضه الأخير، كما أنه لا ينتمى إلى المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، فمعظم خبرته أنه كان يشغل رئاسة بلدية القدس لمدة عشر سنوات «١٩٩٣-٢٠٠٣»، يضاف إلى ذلك توليه عدداً من الحقائب الوزارية مثل وزارة الصناعة والتجارة والتشغيل، وأخيراً وزارة المالية بعد استقالة «بنيامين نتنياهو» منها فى حكومة شارون السابقة كما أن «عامير بيرتس» وزير الدفاع الحالى لا ينحدر أيضاً من المؤسسة العسكرية فإن آخر منصب كان يشغله هو رئاسة الهستدروت وهو اتحاد نقابات العمال الإسرائيليين، كما يذهب البعض إلى أن التشكيل الحكومى الجديد، المؤلف من أربع كتل حزبية: «كاديما- العمل- شاس- جيل» هو الأفضل، مع إمكانية توسيع الائتلاف فى المستقبل، بضم: حزب يهدوت هاتوراة «٦ مقاعد»، وحزب ميرتس «٥ مقاعد» إلى هذا الإئتلاف، وهو ما يوفر لهذه الحكومة الجديدة شبكة تأييد جيدة فى الكنيست السابعة عشرة الجديدة لتمرير أى خطط مستقبلية.

الجدار الفاصل

ويعتقد كثير من المراقبين والمحللين الإسرائيليين أن ثمة ثلاث مسائل ملحة، ينبغى على «أولمرت» وحكومته حلها قبل أى شئ آخر:

● أولا الميزانية، إذ يقتضى على حكومته المصادقة عليها قبل طرحها أمام الكنيست الجديدة.

● وثانياً: الاستمرار فى الحصار المالى والسياسى على حكومة حماس، وعدم التعاطى معها، والإبقاء فى الوقت نفسه على فتح قنوات اتصال مع السلطة الفلسطينية برئاسة «محمود عباس» التى وقعت مع إسرائيل اتفاقات عديدة سابقة، إلى أن يظهر على الساحة



«شريك فلسطينى» يمكن أن يقبل بالشروط الإسرائيلية لأية تسوية سياسية مقبلة.

● وثالثاً الاستمرار فى استكمال بناء الجدار الفاصل خاصة فى محيط «منطقة القدس» التى تسعى الحكومة الجديدة إلى إحكام عزلتها عن الضفة الغربية فى إطار «خطة الانطواء» التى يرهن أولمرت مستقبله السياسى بتنفيذها من جانب واحد.

وتتطلع الحكومة الجديدة الحادية والثلاثون برئاسة أولمرت إلى وضع الحدود الدائمة للدولة العبرية مع أغلبية يهودية بعد الانسحاب من عدد من المستعمرات الإسرائيلية فى الضفة الغربية.

حكومة حرب لا تسعى للسلام

وتواجه هذه الحكومة الإسرائيلية الجديدة أيضاً تحديات عديدة، منها القضاء على ظاهرة الفقر التى تعانى منها ٤٠٠ ألف أسرة، ومراعاة البعد الاجتماعى وتخفيف الأعباء عن المواطن الإسرائيلى، ومكافحة الجريمة والعنف المستشرى فى المجتمع، والسعى لخفض العجز فى الموازنة من ٣٪ إلى ١٪، مع تخفيض الدين الوطنى، وتخفيض معدلات البطالة خلال فترة ولاية هذه الحكومة إلى الثلث.

كما تسعى حكومة أولمرت إلى رفع الحد الأدنى للأجور ليصل إلى ألف دولار شهرياً «أى حوالى ٤ آلاف شيكل».

وفى الختام يمكن القول أن حزب كاديما الذى يقود التشكيل الحكومى الجديد، يمكنه فى المستقبل من أجل التسوية السياسية مع الفلسطينيين أن يتحالف مع قوى اليمين المعارض لها المتمثل فى حزب الليكود «١٢ مقعداً» وقائمة «الاتحاد القومى- المفدال «٩مقاعد» وحزب إسرائيل بيتنا «١١ مقاعد» لتوسيع دائرة إئتلافية لكنه لا يمكنه أن يلجأ لمثل هذا التحالف، لأنه يريد تمرير خطته فى الانعزال عن الضفة الغربية المسماة «خطة الانطواء» التى تعارضها هذه الأحزاب الآن.

وإذا كانت هذه الخطة، تأتى على رأس أولويات برنامج الحكومة الجديدة، لكن تنفيذها فى ظل العدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى، والشعب اللبنانى بات أمراً غاية فى الصعوبة، خاصة أن أولمرت لم يبد أية بادرة من جانبه بوقف هذا العدوان، وهو ما لا يبعث على التفاؤل فى ظل حكومة حرب، لا تسعى إلى السلام مع العرب.

مؤتمر دولى يناقش:

حقوق وواجبات المسلمين الذين يعيشون فى الأقطار غير الإسلامية

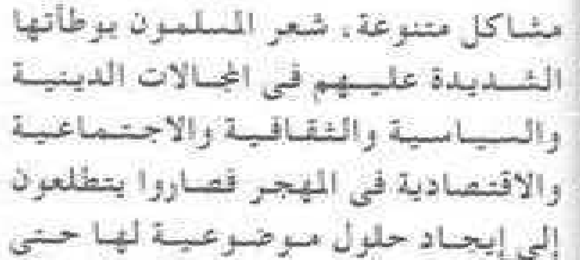
المسلمون فى الأقطار غير الإسلامية حقوقهم وواجباتهم ومشاكلهم وحلولها عنوان للمؤتمر الدولى الذى عقده المجمع العلمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد عقد فى طهران بإيران مؤخرا وشارك فيه عدد من الباحثين منهم د. أحمد السايح أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ود. محمد البشارى الأمين العام للمؤتمر الإسلامى الأوروبى - رئيس الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا ود. جعفر عبدالسلام أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية ود. وهبه الزحيلى عضو المجامع الفقهية العالمية بجامعة دمشق. والشيخ موسى سليمان مفتى جمهورية النيجر، ود. عبدالسلام ابراهيم الهينى الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة البحرين، والدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجرى.

مشاكل تواجه المسلمين

يجىء هذا المؤتمر فى الوقت الذى أجمع فيه الكتاب والمعنيون بشئون الأقليات الإسلامية على أن هذه القضية البالغة الأهمية تعاظمت فى العصر الحديث مع تصاعد الهجرة من البلدان الإسلامية إلى مختلف بقاع الأرض خلال العقد الأول من القرن العشرين.

ومع تنامى حركة انسياب هذه الهجرة من العالم الإسلامى إلى شتى أصقاع العالم ومنها البلدان الأوروبية عموما والأمريكية على وجه الخصوص وجدت هذه الأقليات نفسها وسط بيئة ومجتمعات تختلف فى المعتقد والتفكير واللغة والحضارة وتتباين معها فى السلوك والتصرفات وأنماط العيش وأساليب الحياة والتى تختلف عما ألفتها ونشأت عليها وعاشت فى كنفها الأمر الذى أدى - على مر الزمن - إلى ظهور

متابعة الأستاذ/ عاطف مصطفى



مشاكل متنوعة، شعر المسلمون بوطأتها الشديدة عليهم فى المجالات الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى المهجر فصاروا يتطلعون إلى إيجاد حلول موضوعية لها حتى تستقيم حياتهم الاجتماعية فى وسط بيئة يعيشون فى ظلها.

ولا شك أن دولا ومنظمات دولية ومؤسسات إسلامية قد بذلت جهودا ملموسة لدعم هذه الأقليات المسلمة فى البلدان غير الإسلامية للحفاظ على هويتها الإسلامية الدينية والثقافية والحضارية عبر المؤتمرات وغيرها.

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل هذه الجهود كافية؟ وهل تتناسب مع التحديات التى تواجه المسلمين فى هذه البلاد؟

من أجل ذلك بادر المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية لعقد مؤتمره الدولى التاسع عشر فى وقت نؤكد فيه على أن الحضارة الإنسانية اليوم على موعد مع الإسلام العظيم الذى يحمل الرحمة والانفتاح



جعفر عبدالسلام

والتسامح مع غير المسلمين وهو من باب أولى يحمل هذه المعانى والقيم مع المسلمين أنفسهم، فالمستقبل واعد بظروف جديدة ستمكن الأمة الإسلامية عبر «استراتيجية متناسقة هادفة» من الاضطلاع بأفضل الأدوار فى سبيل العمل على «الوحدة والتقريب» وهذا ما أمرنا به الله فى كتابه العزيز

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)



وبالتالى الإسهام الفاعل فى مسيرة الحضارة الإنسانية الصاعدة.

محاور أساسية

تناول المؤتمر خمسة محاور:

• المحور الأول: تناول نظرة الإسلام لحقوق الأقليات فى البلاد الإسلامية وواجباتها وموقف القوانين الدولية من موضوع الأقليات ونظرة إحصائية جامعة للمسلمين فى الأقطار غير الإسلامية.

• المحور الثانى: تناول الحقوق والواجبات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

• أما المحور الثالث: فقد تناول المشكلات والحلول: المشكلات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحلول التى يقترحها المشاركون فى المؤتمر.

• المحور الرابع: تناول الدور الذى يمكن أن تلعبه فى دعم قضايا العالم الإسلامى والدور الذى يمكن أن يلعبه العالم الإسلامى فى دعم قضاياها وحل مشاكلها.

ودور منظمة المؤتمر الإسلامى والمؤسسات الإسلامية فى دعم الأقليات والجاليات.

• والمحور الخامس تناول موقع المسلمين ودورهم الاجتماعى فى أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية والشرقية وروسيا وأفريقيا وفى آسيا واستراليا.

الأقليات الإسلامية فى أفريقيا

نلقى الضوء على بعض بحوث المؤتمر.. حيث تناول بحث السيد محمد على التسخيرى الأمين العام للمجمع العلمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية «الأقليات الإسلامية» فى أفريقيا.. الحالة القائمة.. والمقترحات» حولها حيث أشار إلى ضرورة أن نعرف الخلفيات والسوابق التاريخية لحركة الإسلام فى أفريقيا ومسيرة تطوراته وتفاعلاته مع المنطقة وحركة الصحوة الإسلامية خلال تلك الحقبة التاريخية الطويلة منذ دخول الإسلام وحتى اليوم وكذلك علينا معرفة تاريخ الحركات والحكومات الإسلامية التى قامت فى فترة طويلة من هذا التاريخ ومدى آثارها على الساحة العامة.

وقد بين التسخيرى فى بحثه أن هناك حركة تاريخية نشطة فى شرق أفريقيا وفى جنوبها فضلا عن السيطرة الإسلامية الكاملة على شمال أفريقيا كما أن المؤسسات المدنية الإسلامية هناك لها تأثيرها الكبير.

وهناك أيضا جمعيات تمثل نقطة قوة فى المجتمع الإسلامى الإفريقى كما أن هناك نشاطا واسعا لكثير من المنظمات الدعوية الإسلامية ومنظمات الإغاثة الإسلامية فى أنحاء إفريقيا اليوم

كنشاطات رابطة العالم الإسلامى ونشاطات المؤسسات التى تهتم بإفريقيا فى الكويت والخليج الفارسى بالإضافة إلى المنظمات القائمة فى الدول الإسلامية على الساحة الأفريقية الأخرى، كمنظمة الدعوة الإسلامية، والجامعة الأفريقية فى السودان ورابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية وغيرها.

خطر التبشير

ومما ساعد فى نجاح عمل هذه المؤسسات طبيعة الإسلام المنسجمة مع الفطرة الإنسانية وتاريخه البعيد عن القهر والإجبار والظلم ومرونته فى السماح للتقاليد التى لا تتنافى مع العقيدة والشريعة وقد حوربت أخيرا واتهمت بالتهم الكثيرة كالإرهاب ومع ذلك فقد قامت بكثير من المشروعات الاجتماعية والثقافية.

وتطرق البحث إلى التحديات التى تواجه المسلمين فى أفريقيا ومن أهم هذه التحديات حركة التبشير. وتثبت الإحصاءات أن إفريقيا أرض خصبة للتبشير، ونحن نشهد ذلك على سبيل المثال فى جنوب السودان فضلا عن تصريحات يطلقها بعض المسئولين هناك وعلينا من هذا المنطلق دراسة التحديات التى تواجه المسلمين بل ربما الإفريقيين عموما، وخصوصا المناطق جنوب خط الاستواء مثل الأمية والفقر والأمراض الخطيرة كالإيدز.

ومن المشكلات التى تحدث والتى يواجهها المسلمون فى بعض البلاد الإفريقية الهجوم الإعلامى الضخم ضدهم وضد عقائدهم ومقدساتهم كما يحاول الإعلام المعادى فى إفريقيا أن يشوه الصورة الإسلامية بين المسلمين والآخرين فقد تنسب بعض الظواهر التى تنشأ من تعصب قومى أو قبلى إلى العقيدة الإسلامية ويظهر الإسلام كأنه دين عنف.

فمثلا رأينا بعض الصحف فى تنزانيا تنقل قطع رجل امرأة بواسطة زوجها وحكم محكمة فى كانو بالنسبة لحمل امرأة قبل زواجها معتبرة ذلك من نتائج العقيدة الإسلامية.

ويقول محمد على التسخيرى مستعرضا ما يواجه المسلمين من تحديات فى إفريقيا: لقد نقلت إذاعة بى بى سى عن باول سونيكا الحائز على جائزة نوبل وهو من نيجيريا نقده الشديد للأحكام الإسلامية، كما تجرى الصحف بعض المقابلات مع شخصيات تسىء الظن بالإسلام، وقد طالب التسخيرى فى بحثه بضرورة المحافظة على وجود الأقليات الإسلامية فى كل مكان وخصوصا فى أفريقيا وحمايتها من الاستئصال والطرد الجماعى وكذلك المحافظة على هوية الأقليات الإسلامية ومعالم شخصيتها

الثقافية حتى لا تتعرض للذوبان والتصفية الفكرية والثقافية فضلا عن ضرورة التأكيد على احترام حقوق هذه الأقليات باعتبار أفرادها مواطنين لهم كامل الحقوق فى الدول التى يعيشون فيها.

كما ينبغى تفعيل دور الشعوب والدول الإسلامية والمنظمات والهيئات التابعة لها فى دعم ومساعدة هذه الأقليات على أساس احترام سيادة الدول وعدم التدخل فى شئونها، ومن المهم أيضا الطلب إلى الأقليات المسلمة فى أفريقيا لكى تنظم نفسها من داخلها وتوحد صفوفها وتعمل على إيجاد المؤسسات المدنية والدعوية الخاصة بها فضلا عن تشجيع الأقليات المسلمة على إقامة مؤسسات تعليمية بكل المراحل الدراسية.

أيضا ينبغى على حكومات الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى والمنظمات الإسلامية الدولية أن تقوم بدعم المشروعات التعليمية للأقليات الإسلامية وفتح المجال للمنظمات غير الحكومية للقيام بواجبها فى هذا المجال.

كما أنه من الضرورى إعطاء قضايا المرأة والأسرة المسلمة فى الأقليات الإسلامية بالاهتمام الذى تستحقه مؤسساتها العلمية والاجتماعية حتى تساهم فى تربية الجيل وإقامة البيت والمجتمع المسلم الفاعل.

والعمل -أيضا- على تشجيع دراسة اللغة العربية بين الجماهير الإسلامية وتوسعتها فى إفريقيا لربطها بالثقافة الإسلامية ونشر الكتب المناسبة بينهم لتعريفهم بالفهم الإسلامى الصحيح.

الحركة والترابط بين البشر

ومن البحوث التى تناولها المؤتمر: «حقوق وواجبات المسلمين فى الدول غير الإسلامية» وقد شارك به د. جعفر عبدالسلام أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية حيث أشار فى بداية بحثه إلى أننا نعيش فى مجتمعات متعددة الأجناس والألوان والأديان ولم يعد هناك مجتمع متحد فى كل العناصر.

قسمة الحياة هى الاتساع والحركة والترابط بين البشر ولم تعد هناك دولة تدعى أنها تعيش بمعزل عن غيرها فالكل يحتاج إلى الآخر والموارد موزعة على جميع القارات بحيث يبدو التكامل فيها، كما أن التكامل يبدو مميزا أساسيا للبشر الذى يعيش فى أماكن متعددة وفى دول متعددة ومناخات وتضاريس مختلفة ولا يمكن أن يكون المسلمون استثناء من ذلك فقد خرجوا من الجزيرة العربية إلى بلاد فارس شرقا وبلاد الشام غربا وشمالا.. رحلوا لينشروا الإسلام فى كل



جانب تنفيذا لأوامر الله تعالى وأوامر النبى ﷺ:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

(المائدة ٦٧)

وقوله ﷺ «بلغوا عنى ولو آية»(١)

لذلك انطلق المسلمون فى كل مكان.. كانوا جنودا يحملون السلاح، لكنهم كانوا فى نفس الوقت دعاة، ومن ثم كانوا على خلق قويم وكانت أسلحتهم نفسها ذات أخلاق وكانت وصايا الرسول الكريم ﷺ والخلفاء الراشدون تسبق خطاهم.

وتناول البحث حقوق غير المسلمين فى الدول الإسلامية فمن الصفحات المشرقة فى شرعنا الإسلامى تلك المتعلقة بحقوق غير المسلمين فى دول الإسلام فهذه الحقوق تقع فى دائرة واسعة وترتبط بمجموعة من الأمور الأساسية التى يقوم عليها الشرع الإسلامى أهمها:

- نظرية الحقوق والحريات الأساسية فى الشريعة.
- ومن ناحية أخرى فهى تقوم على التسليم بالاختلاف بين الناس فى الخلق واعتبار هذا الاختلاف من ضرورات الكون ومما لا يمكن تجاوزه بحال.
- أن ممارسات المسلمين من خلال الدولة الإسلامية تؤكد على جملة هذه الحقوق والحريات الأساسية للمخالفين فى الرأى والعقيدة سواء فى حالة السلم أو فى حالة الحرب فهناك دساتير واضحة لسلوك المسلم وعلاقاته بغير المسلم فى حالات العلاقات الدولية السلمية وكذلك فى حالات العلاقات غير العادية أو النزاعات والحروب.

أول وثيقة فى العالم

وأشار د. جعفر إلى أن الإسلام حتى فى مجال العقيدة - يعترف بالآخر المختلف معه دوليا وداخليا وفى أول وثيقة دستورية ظهرت فى العالم نجده قد قرر حقوقا لكافة العناصر القاطنة فى المدينة من مسلمين وأهل كتاب ووثنيين طالما تراضوا على أحكام الصحيفة هذه الحقوق تمثل فى مجملها اعترافا بهم وتقريرا للحقوق المختلفة للجميع، وفى مقدمتها حرية العقيدة.

كما تناول البحث وضع المسلمين فى البلاد غير الإسلامية، وكيف أن المسلمين فى بعض الدول الأوروبية يعيشون هناك كأقليات مهمشة فى

(١) رواه البخارى.

الغالب، وفى أحياء غير راقية، وأغلبهم من العمال اليدويين، ومع هذا استطاعوا أن يتحركوا لإجبار المجتمع الأوروبى أن يعترف بهم وبحقوقهم، وإن كانت الأحزاب اليمينية فى هذه البلاد تكره تواجدهم فيها، وتسعى إلى طردهم إلى بلادهم الأصلية، لكنهم نجحوا فى أن يحصلوا على كثير من الحقوق العامة، ويسعون الآن للحصول على حقوقهم السياسية، أسوة بباقى المواطنين.

كما تعرض البحث إلى حياة المسلمين فى أمريكا، والعلماء المسلمين المنتشرين فيها، والذين يتبوأون مكانة مهمة فى النسيج الاجتماعى.

لكن مع تزايد حالات الإرهاب واستخدام العنف فى الولايات المتحدة الأمريكية، ونسبة ذلك إلى المسلمين، خاصة ما تواضع الغرب على تسميته بـ «تنظيم القاعدة»، وهو تنظيم أقامته الولايات المتحدة نفسها مع دول أخرى للقضاء على الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان!

ورغم البيانات العديدة التى تخرج من الولايات المتحدة الأمريكية بشأن المعاملة الطيبة للمسلمين، وعدم التمييز، وأنهم ليسوا إرهابيين بل فئة ضالة منهم، لا تمثل الجميع إلا أنه مما يؤسف له أن مثل هذه الأقوال لا تجد لها صدى فى الواقع، ونرى حملات مستمرة ضد المسلمين والإسلام.. وهكذا تأزم موقف المسلمين بشكل كبير فى العالم الغربى.



جارودى

إنكار الجميل

وتناول البحث أيضاً حقوق الأقليات المسلمة فى المواثيق الدولية مبيناً أن الأقليات التى تعيش فى أوروبا خاصة من المسلمين، لا يتمتعون بنفس الحقوق، وقد انتقد «جارودى» الاتجاه اليمينى فى فرنسا، والذى يريد إرجاع المسلمين من حيث أتوا، ويرى أن فى ذلك تنكر للجميل، فقد شارك المسلمون فى بناء ما خربته الحربين الأولى والثانية فى أوروبا، ولم يبخلوا بجهد ولا بوقت فى سبيل تحسين الحياة فى القارة الأوروبية، ودفعوا ثمناً غالياً فى هذا الإسهام الكبير لإعادة البناء. ومن ثم فالمناداة بإبعادهم، يعنى مقابلة الإحسان بالإساءة.

وتعرض د. جعفر عبدالسلام فى بحثه إلى مبادئ حماية الأقليات فى الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، مشيراً إلى أن العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية، قد عالج قضية حقوق الأقليات بشكل مفصل، فى أكثر من مادة من مواد العهد.



فالمادة ٢٧ بها نص يبيح للأقليات أن تتعامل مع بعضها البعض بالشكل الذى يؤكد ذاتيتها وثقافتها الخاصة، ويوفر لها حرية العقيدة بمدلولها الواسع، وكذا حق استخدام لغتهم الخاصة، هذا بالإضافة إلى تمتعهم بالحقوق الأخرى المقررة فى العهد بالتساوى مع مختلف أفراد الدولة التى يوجدون فيها.. خاصة وأن عدد المسلمين فى أوروبا يصل الآن إلى حوالى عشرين مليون مسلم، أصبحوا يمثلون شريحة حية فى المجتمع الأوروبى.

قاعدة للمساواة

أكد البحث فى مجمله على العلاقة التى يجب أن تقوم بين المسلمين والآخرين فى دار السلام، وفى الدول الحديثة، سواء أكانت من ديار الإسلام أو من غيرهم، وقد استبان من البحث حقائق نذكر منها:

١- قاعدة المساواة بين المسلمين وغيرهم فى كافة الحقوق والالتزامات، وإن كانت هذه المساواة ليست حسابية، بل نوعية، وتحتمل تمتع غير المسلمين بشكل عام بكافة الحقوق والالتزامات، وإن كانت وظيفة الخلافة أو الولاية العامة تقتصر على المسلمين وبالشروط التى حددها الفقهاء.

٢- إن هذه القاعدة تعتبر مرجعية للمسلمين فى التعامل مع غير المسلمين فى كل وقت وحين، كما أنها تعتبر مصدر كثير من القواعد التى تقررت فى الوثائق الدولية لحقوق الإنسان، والتى صدرت وتصدر بكثرة فى المنظمات الدولية التى انضمت إليها سائر الدول الإسلامية.

٣- إن المسلمين يجب أن يطوروا هذه الوثائق، وأن يتمسكوا بتطبيقها فى كل مكان، وأن ينبهوا اللجان والهيئات المعنية بمراقبة هذه الحقوق، إلى أى خرق أو تجاوز لها، ويجب أن يشكلوا لجاناً فى مختلف الدول التى يعيشون فيها لمراجعة التشريعات والتدابير والإجراءات الأخرى الماسة بحقوقهم، ولفت النظر إليها، والإصرار على تعديلها بمعاونة الدول الإسلامية والمجتمع الدولى بشكل عام.

وأخيراً يجب أن يكون المسلمون فى بلاد الأقليات الإسلامية قدوة لغيرهم، وأن يلتزموا بالسلوك الإسلامى، وأن يكونوا دعاة هداية وأن عليهم أن يعملوا من أجل ما يفيد دينهم، والبلاد التى يعيشون فيها، وأن يكونوا ممثلين حقيقيين للإسلام فى هذه البلاد.

***



طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«أمرتني فقصّرت»

لما حضرت عمر بن عبدالعزيز الوفاة، قال:

«اللهم إنك أمرتني فقصّرت، ونهيتني فعصيت، وأنعمت عليّ فأفضلت، فإن عفوت فقد مننت، وإن عاقبت فما ظلمت».

«ما قيل في قبول العذر»

كتب الحسن بن وهب إلي محمد بن عبدالملك الزيات:

أبا جعفر ما أحسن العفو كله
ولا سيما عن قائل ليس لي عذر

وقال شاعر وقد بالغ:

إذا اعتذر الجاني محا العذرُ ذنبه
وكل امرئ لا يقبل العذر مُذنب

ونحا نحوه صاحب العقد فقال:

عذيري من طول البُكا لوعة الأسي
وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

ولغيره وقد أجاد:

فهبني مسيئًا كالذي قلت ظالمًا
فعفو جميل كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو عندك للذي
أتيت به أهلاً فأنت له أهل

وقال أبو الطيب:

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه
محا الذنب كل المحو مَنْ جاء تائبًا



«نصيحة»

حضر قشيري مجلسًا من مجالس العرب، فأطال الصمت، فقال له بعضهم: «بحق سُمّيتم خُرس العرب، فقال القشيري: يا أخي إن حظ الرجل في أذنه لنفسه، وحظه في لسانه لغيره.

قري الضيف

قال الأصمعي:

سُئل أقري أهل اليمامة للضيف: كيف ضبطتم القري؟. قال: بأنّا لا نتكلف ما ليس عندنا.

وقال الشاعر:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله
ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القري
ولكنما وجه الكريم خصيب

قالوا:...

- الدهر يومان: يومٌ لك ويومٌ عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فلا تضجر.
- ثلاثة ليس لها حيلة: فقرٌ يمازجه كسل، وعداوة يداخلها حسد، ومرضٌ يقارنه هرم.
- التفكير بالخير يدعو إلي العمل به، والندم علي الشر يدعو إلي تركه.
- سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء.
- فلا تكُ مَنّانًا بخير فعلته
  فقد يفسد المعروف بالمنّ صاحبه
- إذا أحسنت القول فأحسن الفعل، ليجتمع معك مزية اللسان، وثمرة الإحسان.
- إذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس، ويبيع العظيم بالحقير، فاعلم بأنه سفيه.
- أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد، والثالث قضاء الحوائج.

طلب .. الرزق

وليس الرزق يأتي بالتمني
ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئك بملئها يومًا، ويومًا
تجئك بحمأة وقليل ماء

الإحسان

رمي رجل عصفورًا فأخطأه، فقال له رجل: أحسنت!!.. فغضب وقال: تهزأ بي؟. قال: لا.. ولكن أحسنت إلي العصفور.



شجاعة طفل

كان عمر بن الخطاب يمرّ بالمدينة، وأطفال يلعبون، فحين رأوه تفرقوا، ووقف عبدالله بن الزبير فلم يذهب كما ذهبوا، فقال له عمر: لماذا لم تذهب كما ذهب أصحابك، فقال في شجاعة: لم يكن الطريق ضيقًا فأوسعه لك، ولم أذنب فأخافك!.

الوقت هو العمر

الوقتُ أنفسُ ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

فضيلة الحياء

قال بعض الحكماء: «مَنْ كساه الحياءُ ثوبه، لم يرَ الناس عيبه»

وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذا قلّ ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

يظن بعض الغُفّل أن الحياء ضعف في النفس، والحقيقة أن عدمه هو الضعف، فإن التوقح لا يزال يدفع صاحبه لغشيان المخجلات حتى يسقط اعتباره، ومن انتهى إلى هذه الدركة هلك لا محالة.

دعاء

من دعاء أبي العباس المرسي:

إلهي.. معصيتك نادتني بالطاعة، وطاعتك نادتني بالمعصية، ففي أيهما أخافك، وفي أيهما أرجوك، إن قلتُ بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفًا، وإن قلتُ بالطاعة ناديتني بعدلك فلم تدع لي رجاء، فليتَ شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك، أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك!.

***

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

الرسول ﷺ في عيونهم

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الأهرام في أعداد مختلفة كتابات لعدد من كبار الكُتّاب والمفكرين الأوروبيين، تخيرنا بعضها:

دينيه

ألفونس إيتين دينيه: أحد المستشرقين الفرنسيين، تعلم في فرنسا وقصد الجزائر، وأشهر إسلامه وعرف باسم ناصر الدين، وحج إلى بيت الله الحرام عام ١٩٢٨، ومن أهم مؤلفاته: (محمد في السير النبوية ـ حياة العرب ـ الحج إلى بيت الله الحرام ـ أشعة خاصة بنور الإسلام).. وعن حياة الرسول الحافلة بالأمور العظيمة يقول دينيه في كتابه (محمد رسول الله ﷺ):

«والحق أننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، أن محمدًا هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمدًا فقط على بداهة رسالته، وعلى بلاغة القرآن الإلهية. وإن في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق.

وقال أيضًا في كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام): «إن الشخصية التي حملها محمد بين بردته كانت خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جدًا حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوى جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد...».

الأهرام ٤ / ١٠ / ٢٠٠٦

إدوار مونتيه

ادوار مونتيه استاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف. من اهم كتبه: (محمد والقرآن ـ حاضر الإسلام ومستقبله) يقول في مؤلفه «محمد والقرآن» عن رسول الله ﷺ:

«كان محمد نبيًا بالمعنى الذي كان يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية، وأخذ

يسعى لانتشال قومه من ديانة جافة لا اعتبار لها بالمرة ليخرجهم من حالة الأخلاق المنحطة كل الانحطاط، ولا يمكن أن يشك لا في إخلاصه ولا في الحمية الدينية التي كان قلبه مفعما بها».

وقال أيضاً: «إن طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص.

كان محمد كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ. وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ والاقتناع التام بما يعمله ويقوله».

الأهرام ٦ / ١٠ / ٢٠٠٦

لوازون

قس فرنسي مشهور وأستاذ علوم الكيمياء والفلك (١٧٨٦ - ١٨٣٧) أولَى عناية خاصة بدراسة حياة النبي محمد ﷺ ومن أشهر مؤلفاته: (الشرق) الذي تحدث فيه عن جلال الرسول وعظمته الدينية بروح من الإنصاف فيقول:

«محمد بلا التباس ولا نكران من النبيين والصديقين وهو رسول الله، بل إنه نبي عظيم جليل القدر والشأن أمكنه بإرادة الله تكوين المِلّة الإسلامية وإخراجها إلى الوجود حتى صار أهلها ينيفون على ٣٠٠ مليون من النفوس.

وقال أيضاً في كتابه (الله في السماء):

«وليس محمد نبي العرب وحدهم، بل هو أفضل نبي قال بوحدانية الله -تعالى-، وإن دين موسى وإن كان من الأديان التي أساسها الوحدانية إلا أنه كان قومياً محضاً لبني إسرائيل، وأما محمد فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين وهما: الوحدانية والبعث، وقد أعلنه لعموم البشر في أنحاء المسكونة، وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلاً عند من يدرك معنى رسالة محمد الذي اعتنق مبدأه، وعمل على رسالته ٤٠٠ مليون من الناس. فرسول كهذا الرسول يجدر باتباع رسالته والمبادرة إلى اعتناق دعوته، إذ أنها دعوة شريفة قوامها معرفة الخالق والحث على الخير والنهي عن المنكر، بل كان ما جاء به يرمي إلى الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن. هذا هو الدين الذي أدعو إليه جميع النصارى».

الأهرام ٧ / ١٠ / ٢٠٠٦

واشنطن ايرفنج

أحد المستشرقين الأمريكيين الذي أولى اهتماماً كبيراً بتاريخ المسلمين في الأندلس، ومن مؤلفاته (سيرة النبي العربي - فتح غرناطة). قال واشنطن في محاضرة له ألقاها في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ عام ١٩٣٦:

كانت - لمحمد ﷺ - آراء عالية واعتقاد حسن بربه ويقين بشريعته فوق يقين أي رسول من الرسل!. ويدلنا على ذلك قوله: «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته».. وقال في كتابه (حياة محمد):

«كانت تصرفات الرسول ﷺ في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه

وانتصاره بالرحمة والعفو... برغم انتصارات الرسول ﷺ العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره. فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد قصد إلى تكوين دولة عظيمة فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثياً لأسرته».

الأهرام ٨ / ١٠ / ٢٠٠٦

مارسيل بوزار

مفكر وقانوني فرنسي، أولى اهتماماً كبيراً لمسالة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان، ويعتبر كتابه (إنسانية الإسلام) علامة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للإسلام. يقول في هذا الكتاب:

«لقد سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها. والصورة التي خلفها محمد عن نفسه تبدو - حتى وإن عمد البعض إلى تشويهها- علمية في الحدود التي كُشفت فيها. وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقية.. ويبدو الاطلاع على حياته ضرورياً نظراً للعلاقة الوثقى بين الرسالة والرسول، فمع أن القرآن يلمح إلى طبيعة النبي البشرية البحتة، إلا أنه يجعل منه سيرة حسنة يقتدي بها المؤمنون.. لم يكن محمد ﷺ على الصعيد التاريخي مبشراً بدين وحسب، بل كان كذلك مؤسس سياسة غيرت مجرى التاريخ وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق.. لقد كان محمد نبياً لا مصلحاً اجتماعياً. وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية لا تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر».

الأهرام ٩ / ١٠ / ٢٠٠٦

لويس سيديو

مستشرق فرنسي عكف على نشر مؤلفات أبيه وعُيِّن أميناً لمدرسة اللغات الشرقية، ومن أهم مؤلفاته (خلاصة تاريخ العرب - تاريخ العرب العام). ويقول عن سيدنا محمد ﷺ في كتابه (خلاصة تاريخ العرب):

«فدفع الله شر القرشيين وهو أولى أن يحفظ نبيه القائم بالدعوة له، وأحق أن يجعل كيدهم في نحورهم، ومازال آخذاً بيمينه حتى غنى له الزمن وصفق له الدهر».

وقال أيضاً في كتابه (تاريخ العرب العام):

«لقد حل الوقت الذي توجهت فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسيا، فارتقت إلى أعلى مقام، فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون، ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد هو محمد ﷺ.. إن محمداً أثبت خلود الروح، وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق، ما أكثر ما عرّض محمد حياته للخطر انتصاراً لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم ينفك عن القتال في واقعة أُحُد حتى بعد أن جرح جبينه وخده، وسقطت ثنيتاه.. ولم ينتحل أوضاع

الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض، وكان ﷺ حليمًا معتدلاً، وكان يأتي الفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع من يودون سؤاله، فيسحر كلامه بما يعلو وجهه الرزين الزاهد من البشاشة، وكان لا يضج من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلاً فلا ينم ما يقول عن كبرياء أو استعلاء.

الأهرام ١١/١٠/٢٠٠٦

وول ديورانت

مؤلف امريكي معاصر، ويُعد كتابه (قصة الحضارة) واحدًا من اشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية، ويقع في ثلاثين مجلدًا، يقول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة):

«ليس في تاريخ محمد ما يدل على انحطاط قوة العقل التي يؤدي إليها الصدع عادة، بل نراه على الكفار يزداد ذهنه صفاء ويزداد قدرة على التفكير وثقة بالنفس وقوة في الجسم والروح والزعامة كلما تقدمت به السن حتى بلغ الستين من العمر. كان النبي ﷺ من مهرة القواد.. ولكنه كان سياسيًا محنكًا يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم.. إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنسانًا غيره حقق ما كان يحلم به.. ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه.. وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات وأقام فوق اليهودية والمسيحية، دينًا سهلاً واضحًا وقويًا، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة القومية.

الأهرام ٢٦/٩/٢٠٠٦

كارين آرمسترونج

كاتبة بريطانية قضت شقًا من حياتها راهبة، وكرست جهودها في سبيل النضال عن طريق الكلمة، ومن اهم مؤلفاتها (محمد - القدس: مدينة واحدة وعقائد ثلاث). ومن اهم اقوالها في رسول الله ﷺ:

«حينما بدأ محمد دعوته إلى كلمة الله في مكة كانت تسود بلاد العرب حالة من التفكك المزمن، فقد كان لكل قبيلة من قبائل البدو العديدة قانون قائم بذاته، وكانت أيضًا كل قبيلة في حالة من الحرب الدائمة مع التجمعات القبلية الأخرى، وكان يبدو مستحيلاً للعرب أن يتجمعوا، مما عنى عدم إمكانهم إقامة مدينة أو نظام للحكم يمكنهم من احتلال مركز لهم في العالم.. ثم بعد ذلك بثلاثة وعشرين عامًا (عند وفاة محمد في عام ٦٣٢م) كان محمد قد تمكن من لم شمل القبائل جميعها وجعلها تلحق بمجتمعه المسلم.

الأهرام ١٠/١٠/٢٠٠٦



إميل درمنغم

مستشرق فرنسي، عمل مديرًا لمكتبة الجزائر، من اهم مؤلفاته (حياة محمد) وهو من ادق ما صنفه مستشرق عن النبي محمد ﷺ بجانب مؤلفه الشهير (محمد والسنة الإسلامية). كما نشر عددًا من الابحاث في المجلات الشهيرة. من اهم اقواله في رسول الله ﷺ حينما رد على هجوم المستشرقين الذين عابوا على تعدد زوجات النبي ﷺ قوله في كتابه (حياة محمد):

«وإن بعضهم يعيب محمدًا في كثرة ميله إلى النساء فإنه مما لا مشاحة فيه أن محمدًا لم يكن شرهًا ولا فخورًا ولا متعصبًا ولا منقادًا للمطامع، بل كان حليمًا رقيق القلب عظيم الإنسانية».

ويقول أيضًا في موضع آخر:

«إن محمدًا الذي خلق للقيادة لم يطلب من معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يبلغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين. ولقد نال السلطان والثراء والمجد، ولكنه لم يغتر بشيء من هذا كله، فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يغضبه عجز كثير من الناس عن إدراك كنه رسالته.. الحق أن النبي ﷺ لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا. فقد نبتت في رمال الحجاز الجدبية حبة سوف تجدد عما قليل بلاد العرب وتمد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي».

قناة فضائية للدفاع عن الرسول الكريم

..مَنْ يُطلق إشارة البداية؟!

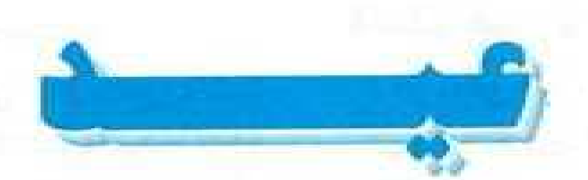
تحت هذا العنوان جاءت كلمة الاستاذ مجدي سالم في جريدة عقيدتي الصادرة في ٢٠٠٦/٩/٢٩ قال فيها:

تمامًا.. مثلما حدث مع أزمة الكاريكاتير المسيء للرسول ﷺ.. تبدأ الإساءة من نقطة ثم تتوالى الإساءات من عدة نقاط متفرقة.. أيضا بدأ البابا الإساءة.. ومهما حاول ويحاول أتباعه التبرير أو التوضيح.. بدأت تتوالى الإساءات.. وبنفس ألفاظ البابا في الصحف الأوروبية.. فهل يمكن أن يغير أي اعتذار أو تبرير بعد أن انطلقت الإساءات ووصلت إلى كل الناس وأحدثت ما أراده مروجوها من تأثير.

نريد أن نكون واقعيين وأن نعرف بصورة واضحة ومحددة إجابات عن أسئلة نطرحها على أنفسنا حتى تكون خطواتنا في الاتجاه الصحيح.

● هل حقًا أغضبتنا الإساءة للرسول ﷺ؟! وإذا كانت أغضبتنا فهل نحن قريبون منه متبعون لسنته وهديه؟! لو كنا كذلك.. نعم من حقنا أن نغضب.. وإن لم نكن فذلك أمر آخر!!!

● وهل نحن ملتزمون بتعاليم ديننا وشريعته بالقدر الصحيح.. إذا كنا كذلك من حقنا أن نغضب ولكن الغضب المتفق مع هذا الالتزام.. هو الغضب الذي يدفعنا لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام وشريعته بعيدًا عن الغلو والتطرف الذي ينتج أحيانًا من اعتزاز بالنفس وغضب لها قبل الاعتزاز بالدين.



عيد بأى حالٍ عدت يا عيد

للأستاذ/ عادل خفاجة

ما أجمل الأعياد لو جاءت بما يسعد النفوس ويشرح القلوب.. وهى بفضل الله كذلك: فقد امتن الله تعالى على الأمة الإسلامية بفرحة مبعثها الإيمان. فالمؤمن يفرح بعد نهاية صومه لتمام عبادته ولتوفيق الله له ويفرح كذلك وقد أدى الحج فريضة الإسلام الكبرى وأصبح من العتقاء من النار وليت أفراحنا تزداد باتحاد كل دولة مع جارتها ثم يضمها جميعا اتحاد سياسى أو اقتصادى أو من أى نوع كان، المهم أن تأتى الأعياد فنجد المسلمين وقد منحهم الله قوة بالاتحاد ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ويأتى العيد تلو العيد والمسلمون لديهم من عوامل التفرق ما يزيد ضعفهم ويفرق صفهم.

فمنذ عدة سنوات كانت السعودية أسبق إلى الصوم من مصر، حيث ثبتت الرؤية لديهم ولم تثبت فى مصر، وأتم المصريون عدة شعبان غير أن بعضهم اعتبر رؤية السعودية ملزمة لهم، فقد لفتهم الحيرة وملأهم الخوف أن يفطروا وقد بدأ إخوة لهم الصوم فى مكة المكرمة عاصمة الإسلام وتساءلوا: ألسنا نحج اقتداء بالسعودية فلِمَ لا نصوم اقتداء بها؟!

ولعله قد بلغ هؤلاء المتحيرين قول الإمام الليث وبعض أصحاب الإمام الشافعى «إذا رأى الهلال أهل بلد لزم جميع البلاد الصوم»[1]

وزادت حدة المشكلة، وظهرت أبعادها أكثر وضوحا حينما صلى هؤلاء المتحيرون ـ أو قل المنشقون ـ صلاة عيد الفطر وبقية أهلهم مازالوا صائمين.

لقد ظهر وبان الأثر السيىء للتفرق وما له من هول.

(١) المغنى لابن قدامة جـ٣ ص٦٠ دار الفكر - بيروت ط ١٤٠٥هـ.



وتمر الأيام ويعيد الزمن نفسه وتتكرر الأحداث.

وتنشر جريدة الأهرام فى الثالث من رمضان لهذا العام خبرا يأسف له كل مسلم عاقل حكيم. حيث قالت الصحيفة «خالف عدد من الأشخاص إعلان دار الإفتاء المصرية بأن أمس الأول - الأحد - هو غرة شهر رمضان، وبدأوا صيامهم يوم السبت مع بعض الدول العربية»[2]

ولقد أحسن فضيلة الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية حين رد على هذه الجماعات والأشخاص الذين بدأوا الصيام يوم السبت بأنه: «لا يجوز لهم شرعا الانفصال وشق الجماعة المسلمة وتفريق كلمة المسلمين فى المجتمع الواحد وفى البيت الواحد»[3]

هذا على مستوى القطر الواحد ولكن إلى متى يظل المسلمون نهبا لهذه الفرقة ولماذا لا يقطع أهل الرأى هذا الإشكال بشكل حاسم؟! وبخاصة ونحن ندين بالإسلام الذى يتصف أساسا بأنه دين اليسر والبعد عن التعقيد؟! لقول رسولنا ﷺ:

«إن الدين يسر.. ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة»[4]

ويجب أن تكون التقنية الحديثة سبيلا لتوضيح الرؤية لا سببا فى تعتيمها؟!

فلا يجب أن يكون الأخذ بالحساب الفلكى إلا مؤكداً للرؤية البصرية!! القائمة أساسا على النص الشرعى القائل:

«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»[5]

ويجب كذلك ألا يكون النص الشرعى القائل: «فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»[6] هو سندنا لإلقاء علم الفلك وراء ظهورنا.

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو القائل:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ (يونس: ٥)

والعلم الذى يختص بحساب عدد السنين هو علم الفلك، وليس من المعقول أبداً أن يغفل هذا العلم، ولم يعد مجرد جداول لا يفهمها إلا العالمون بها بل أصبح علما ملموس النتائج فيما يذاع عن كسوف للشمس وخسوف للقمر يعلن عنها مسبقا ويتابعها العامة والخاصة فى أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية وتأتى النتائج كما أعلن عنها بكل دقة!! فهل ديننا يمنعنا من الاستعانة بهذا التقدم العلمى فى ضبط بداية صومنا؟! وبخاصة اذا كانت النتيجة ستؤدى إلى القضاء على الشك والتردد والحيرة؟!

(٢) جريدة الأهرام القاهرية الصادرة فى ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٦، ٣ من رمضان ١٤٢٧هـ.

(٣) المصدر السابق

(٤) صحيح البخارى جـ١، ص٢٣.

(٥) سنن الترمذى جـ٢، ص٦٩.

(٦) صحيح البخارى جـ٢، ص٦٧٤.

لقد برع قدماء المصريين فى حساب الفلك، وتركوا لنا أكبر الشواهد على تقدمهم فى هذا الجانب، حيث جعلوا أشعة الشمس تسقط على وجه تمثال رمسيس الثانى مرتين فى السنة (يوم ميلاده - ويوم جلوسه على العرش) ويجىء السائحون من أنحاء شتى من العالم لمشاهدة هذه الاحتفالات الشاهدة على براعة المصريين فى توظيف علم الفلك لخدمة الانسان!!

نقول: إذا كان للمصريين القدماء هذه البراعة، ألا نستطيع الآن - مع هذا التقدم العلمى الهائل فى إنشاء المراصد - أن نوظف الفلك فى إثبات رؤية الهلال من عدمه؟!

ولفضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع مقال ضاف بعنوان التحديد الفلكى للشهور القمرية قدمه فى عدة وقفات، ونقف عند قول فضيلته:

- «علماء الفلك قاطبة مجمعون على أن ولادة الهلال لها وقت محدد بلحظة واحدة».
- «إذا قال علماء الفلك بأن الهلال لا يولد إلا بعد غروب الشمس وجاء من يشهد برؤيته بعد غروب الشمس، والحال أنه لم يولد فهذه الشهادة غير صحيحة وباطلة. وإن كانت من جملة شهود عدول.
- مجموعة من فقهاء المسلمين ومحققيهم قديما وحديثا قالوا: إن الفتوى تتغير بتغيير الأحوال والأزمان والأمكنة والظروف بشرط ألا يكون هذا التغيير مصادما لنص شرعى أو أصل من أصول الدين[٧].

وبمناسبة تغير الأحوال والأزمان نقول:

إن الناس كانوا فى الماضى يتحلقون حول المذياع انتظاراً لبيان فضيلة المفتى ولم يكن هناك غير إعلام واحد هو إعلام بلدهم الذى يصب فى آذانهم، ولم يكن فى الماضى غير التسليم.

أما وقد دخلنا عصر السموات المفتوحة، فإن الناس ينتقلون بلمسة إصبع من إعلام مصر إلى إعلام السعودية إلى إعلام المغرب... إلخ. ولا يقف الأمر عند حد معرفة أن أهل السعودية يصومون غدا وأن أهل المغرب يصومون بعد غد.

ولكن الفضائيات أتاحت الاستماع إلى برامج يدلى بدلوه فيها كل من لاحت له بعض المعرفة دون إلمام مستوعب للموضوع من كل جوانبه فيكون الشاهد فى النهاية هو الضحية، حيث تتشتت أفكاره، فلا يدرى إلى أين يتجه أو إلى أى الفريقين يميل!!

ألسنا فى حاجة إلى تغيير الفتوى لتناسب تغير الأحوال؟!

إن الأمل المنشود أن تتوحد الأمة الاسلامية، ولو فى مظهر واحد من مظاهرها، فيكون هذا التوحد خطوة تتلوها خطوات بمشيئة الله تعالى.

ولكن هناك من يرد على هذا الرأى بقدر من عدم الإكتراث فيقول: إذا سلمنا بهذه الفرضية وتم الاتفاق على توحيد الأمة على بداية الصوم ونهايته فهل ستوحد الأمة - أيضا - على أوقات

(٧) من مقال لفضيلة العلامة الشيخ عبدالله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء، والقاضى فى محكمة التمييز العليا - سابقاً. منشور على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت».

محددة فى الصلوات؟!

ولاشك أن صاحب هذا السؤال يرفض تماما فكرة الأخذ بالحسابات الفلكية حتى ولو كان من نتيجتها اتحاد المسلمين فى بدء الصوم.

وعلى الجانب الآخر فهناك من يسأل:

١ - ماذا يصنع أهل المدن التابعة لبلدان لم تثبت فيها الرؤية وهى فى الوقت نفسه متاخمة لبلدان ثبتت فيها الرؤية هل يفطرون تبعا لبلدهم أم يصومون تبعا لجيرانهم؟

٢ - لو أن عددا من الدول ضمها اتحاد وثبتت الرؤية فى أحد هذه البلدان.. أليست هذه الرؤية ملزمة لبقية دول الاتحاد ولو لم تثبت فيها الرؤية؟!

٣-فى بلدة مترامية الأطراف مثل السعودية.. إذا ثبتت الرؤية فى غرب البلاد ولم تثبت فى شرقها هل يمكن (أو يعقل) أن يصوم مَنْ بالغرب ويفطر مَنْ بالشرق وهم أهل دولة واحدة وإذا كان الحال على ماهو عليه فلماذا لاتكون الرؤية إذا رؤية عامة لكل المسلمين؟!

ولفضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق بحث قيم بعنوان: إثبات رمضان وذى الحجة وبيان الحكم فى اختلاف المطالع نشر فى افتتاحية عدد رمضان ١٣٧٩ وقد أعادت مجلة الأزهر نشره لأهميته ملحقاً مع عدد شهر شعبان ١٤٢٢هـ، أجاب فيه فضيلته على مثل هذه التساؤلات حيث قال:

«حقا إن مواقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، واختلاف هذه المواقع - ولاسيما عند النظر إليها بحسب الخطوط الطولية للكرة الأرضية - يوجب بالضرورة اختلافا وتفاوتا فى المواقيت؛ فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين، بساعة وساعتين، وثلاث ساعات، وأكثر من ذلك، على حسب التباعد بين الجهتين شرقا وغربا، ولذلك لايمكن أن توحد مواقيت الصلوات اليومية، ولا أوقات الإمساك والإفطار فى أيام رمضان، فى جميع الأقطار الإسلامية، مادامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت، ومادام الواقع يشهد بأنه قد يكون ناس فى وقت المغرب وحلول الإفطار فى رمضان، على حين أن ناسا آخرين، يكونون فى وقت العصر، أو الظهر، أو وقت الفجر: فإن كل ساعة من ساعات الليل والنهار، وهى وقت طلوع الفجر، وشروق الشمس، وهى وقت ضحى وزوال، وعصر وغروب، وهى وقت ظلمة الليل، أوله ووسطه وآخره، على حسب مواقع البلاد.

لكن اختلاف المواقع الذى يبلغ به التفاوت فى المواقيت، ذلك المبلغ العظيم، ليس له مثل هذا الأثر البالغ، فيما يرجع إلى إثبات الأهلة، فإنه ليس بين الأقطار الإسلامية، الشرقية والغربية - فى أغلب الأحوال - تفاوت يتعذر معه تحقيق الفكرة التى تريدها من توحيد أمر الصيام، بعد أن تتفق الدول الإسلامية جميعها على توحيد العمل برؤية الهلال، متى ثبت ثبوتا أكيدا فى أى قطر من الأقطار الإسلامية.[٨]

(٨) بحوث إسلامية لفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج هدية مجلة الأزهر لشهر شعبان ١٤٢٢هـ ج٢ ص٢١:٢٢

ويوضح فضيلته أهمية العلم بمدة مكث الهلال في الأفق مما يساعد على تحرى رؤيته فيقول:

إن علماء الفلك يقررون أن هلال رمضان في هذا العالم، سيمكث فوق الأفق في مصر، ثلاثة عشرة دقيقة، بعد غروب الشمس من يوم الأحد، الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٥٧، فإذا لم يتمكن بعض أهل المشرق في أندونيسيا أو الهند مثلا من رؤية الهلال، بعد غروب الشمس عندهم في ذلك اليوم، ثم رآه أهل الحجاز أو أهل مصر، بعد غروب الشمس من اليوم نفسه، فما الذى يمنع من اعتبار أن هذا الهلال هو هلال رمضان، بالنظر إلى الهند وأندونيسيا وما إليهما من بلاد الشرق؟

إنه لاشك في أن هذا الهلال هلال جديد، هو هلال رمضان كما أنه لاشك في أن النهار الذى يلى ليلة رؤيته هو نهار «الاثنين» بالنظر إلى جميع الأقطار، فما المانع من أن يكون يوم الاثنين هذا هو أول يوم الصيام لجميع المسلمين، مع فارق واحد، ليس له كبير تأثير: وهو أن هذا اليوم «الاثنين» يبدأ عند أهل المشرق، قبل غيرهم من أهل مصر أو الحجاز مثلا ببضع ساعات.

إنه لاشبهة في أن ذلك الهلال هلال جديد، وهو - منذ اللحظة التى يولد فيها - هلال جديد بالنظر إلى أقطار الأرض جميعها، وأن رؤيته في الحجاز أو في مصر، تكون قبل انقضاء الليل عند أهل المشرق، الذين لايتمكنون من رؤيته في أول ليلة، ولذلك هم يرونه - في الليلة التالية - أكبر حجما، وأعلى في الأفق منزلة، مما يكون في الليلة الأولى، عند أهل الحجاز أو مصر، الذين يكونون قد تمكنوا من رؤيته فيها.(٩)

ولم يكن الشيخ مبتدعا إذ الأخذ بعدم التعويل على اختلاف المطالع هو أمر مشتهر في المذاهب الأربعة لذلك يقول فضيلته:

ومن هنا اختار كثير من أئمة الفقه، في المذاهب الأربعة، عدم التعويل على اختلاف المطالع في إثبات الهلال. وهو رأى قوى، ووجهة نظر سديدة ويزيد ذلك قوة وسدادا أن توحيد بدء الصيام، من أقوى العوامل، على تمكين الروابط بين الشعوب الإسلامية، في جميع أقطار الأرض، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة، والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التآلف والتقارب واتحاد الكلمة.

وهذا الرأى القوى السديد، لايتنافى مع ما دل عليه الحديث: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، فإن ذلك خطاب للأمة الإسلامية، المتكافلة المتعاونة، في إقامة شعائر الدين، وإيجاب للصوم على جميع المكلفين، متى تحققت رؤية الهلال، فيكفى لإيجاب الصوم على أهل قطر، أن تثبت رؤيته ولو في قطر آخر، فإن الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذى هو «رؤية» بل أتى بهذا المصدر على طريقة الفعل المبنى للمجهول، فكأنه يقول «صوموا إذا رئى الهلال»، «إذا تحققت رؤية الهلال».

وإذا لافرق بين قطر وقطر، فيما يرجع إلى ثبوت الهلال، كما أنه لافرق بين بلد وبلد من قطر واحد.

هذا - ولاينبغى أن يتوهم متوهم أن قول الله - تعالى:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

معناه: من رأى هلال رمضان فليصمه وأن ذلك يتنافى مع فكرة توحيد البدء بالصيام، فإن الشهود في الآية ليس معناه الرؤية، فالأعمى والبصير سواء في إيجاب الصوم، وإنما الشهود هو الحضور. والمعنى: من حضر شهر رمضان، وأدرك زمنه، فواجب عليه أن يصوم، متى كان أهلا للتكليف بالصوم.(١٠)

وإذا كان اختلاف المطالع مسألة خلافية فللعالم أن يأخذ بها أو يدعها ومن هنا قال فضيلة الإمام:

وخلاصة القول أنه مادامت مسألة اختلاف المطالع، واعتبارها أو عدم اعتبارها، محل اجتهاد الفقهاء - ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم - فلا يكون بدعا أن يرجح أحد النظرين على غيره، ويفصل في المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع، نظرا لما قدمناه من أسباب هذا الترجيح.

قد يقول قائل: إن هذا التوحيد إن صح أن يجرى على القطر الذى رأى أهله الهلال، مع الأقطار الواقعة غربيه، فكيف يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى في الجانب الشرقى منه، ولاسيما تلك التى هى في نهاية الشرق الأقصى؟ إنه إذا رئى الهلال في مصر في ليلة، فإن هذه الليلة - من وقت غروب الشمس - تكون من الشهر الجديد، بالنظر إلى أهل مصر، ولزوم أن تكون كذلك بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش، ومن وقت غروب الشمس عندهم أيضا، بل إن رؤية الهلال تكون في هذه الأقطار، أيسر منها في مصر، لعلو منزلة القمر فوق الأفق هنالك، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس، أكثر مما يكون في مصر، لكن تلك الليلة التى تحتسب من الشهر الجديد لمصر وللبلاد الواقعة غربيها، لاتكون جديدة أو لاتكون جديدة كلها، لأهل الأقطار الشرقية، كالهند، والباكستان، وأندونيسيا، مادام نظام دورة القمر لايسمح برؤيتهم الهلال بعد غروب الشمس.

قد يقال هذا، ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرقى قطر رأى أهله الهلال، تختلف قليلا أو كثيرا عن حالة البلاد الواقعة غربى هذا القطر، لكن هذا الاختلاف لايمنع من الأخذ بفكرة توحيد الصوم، فإنه إذا كان الفرق - بين قطر شرقى وآخر غربى يكون أهله قد رأوا الهلال - هو بضع ساعات لاتبلغ ليلة كاملة يصير بها أحد القطرين في ليل والقطر الآخر في نهار فإنه يمكن من غير شك توحيد بدء الصيام.(١١)

ويذهب فضيلة الإمام إلى أن رؤية الهلال في أى بلد توجب الصوم على الجميع، وهو ما نصبو إلى الأخذ به لتوحيد مذهب الأمة وهو الأقرب

(٩)، (١٠)، (١١)، (١٢) المرجع السابق.

للصواب أيضا فيقول :

فمتى تحققت رؤية الهلال فى بلد من البلاد الإسلامية فإنه يمكن القول بوجوب الصوم على جميع المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد.

ولايمنع مع هذا التوحيد أن يكون الليل الجديد متحققا فى بعض البلاد الإسلامية : «بلد الرؤية وما يقع غربيها». عقب غروب الشمس، على حين يكون تحققه فى البلاد الشرقية بعد ذلك بساعة أو ساعات إلى ما قبل طلوع الفجر.

وعلى هذا الاعتبار : «اعتبار أن اشتراك أى بلد إسلامى مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد يحتم اشتراكهما فى بدء الصيام» ـ يجب الصوم على أهل البلاد الأندونيسية جميعها وما فى حكمها، بل على من هم أبعد من ذلك فى جهة الشرق، إذا رؤى الهلال فى مصر أو فى الحجاز مثلا. ومن باب أولى إذا ثبتت رؤية الهلال فى قطر من الأقطار الواقعة شرقى مصر أو الحجاز.

أما أهل البلاد التى لاتشارك بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد فإنهم يكونون حينئذ فى نهار يعتبر آخر نهار من شهر شعبان، فعليهم أن يصوموا النهار الذى يتلو عندهم ذلك الليل الجديد. وتكون النتيجة أن أهل الأقطار جميعا حين يصومون النهار التالى لتحقق الرؤية فى قطر من الأقطار يكونون صائمين فى نهار جديد من شهر جديد.[١٢]

وبعد.. أليس فى هذه الآراء المستنيرة مايخرج المسلمين كافة من دائرة الجدل والحيرة؟!

فلماذا لانأخذ بنتائج العلم الحديث ومايتوصل اليه هؤلاء العلماء الأفاضل، وبخاصة إذا كان فيها الحل والطريق إلى وحدة المسلمين؟!

إن الإسلام لم يشدد على قضية أكثر من تشديده على ضرورة وحدة المسلمين وعلى ذلك فإنه يجب على المجامع الفقهية أن تجتمع ـ فى ظل هذه الظروف التى يمر بها عالمنا الإسلامى ـ وتقطع برأى يراعى مصلحة الأمة حتى لاتظل أمتنا فى حيرة دائمة من القضايا المعاصرة وما أكثرها مثل : معاملات البنوك ونقل الأعضاء وبنوك اللبن... الخ.. بالإضافة إلى ما يتعرض له ديننا ونبينا من سب وازدراء ونحن لا نصل إلى موقف موحد تجاه ما يمكن عمله لوقف هذا التطاول.

أقول.. لابد من الاتحاد ولو فى أمر توحيد الصيام والفطر كبداية.

وإلا سيأتى كل عيد ونحن متفرقون، كلٌ يقدس رأيه فينطبق على جميع المسلمين قول الشاعر :

كلهم فى الهوى يزين دينه
ألف مفت ومالك فى المدينة

ولا نملك غير ما نفعله كل عام منذ عشرات السنين، نرفع أكف الضراعة أن يعيد الله علينا العيد وقد تحرر المسجد الأقصى من نير الظلم والاستعمار.. نعم الدعاء من جملة الكلم الطيب، ولكنه يحتاج إلى العمل الصالح ليرفعه والعمل الصالح لأمتنا هذه الأيام أن نتقارب ونتآلف ونتحد وإلا لن يكون نصيبنا إلا قول : «بما مضى» إجابة لقول الشاعر :

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى أم لأمر فيه تجديد

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم



الغد المشئوم
بندكت ـ بوش ـ أزنار

يوما بعد يوم يتأكد لكل ذى عينين أن الأمة الإسلامية بلغت اليوم مدى من الذل والصغار تعجز الكلمات عن وصفه.

أسأنا – بما اقترفت يدانا من آثام – إلى الدين الذى أكرمنا به المولى عز وجل فقابلنا الكرم بالجحود والنكران.

أسأنا – بما اقترفت يدانا من آثام – إلى نبى الرحمة محمد ﷺ الذى جاءنا بما كنا به أعزة، وملكنا الدنيا وما على وجه الأرض من خيرات، ثم طرحنا ما جاءنا به فصرنا إلى ما صرنا إليه من ذل وصغار!!

- فلماذا إذن الغضب إزاء تصريحات «بندكت»؟
- هل حقا غضبنا لديننا؟ هل حقا غضبنا لنبينا ﷺ؟!
- إذا كنا غضبنا لديننا حقا فهل قمنا بحق شعائره خير قيام؟
- وإذا كنا غضبنا لنبينا ﷺ فهل نحن متمسكون بسنته متبعون لسيرته؟!
- لنكن واقعيين مع أنفسنا.. لم يعد لنا مكان فى هذا العالم.. ولن يكون.

صرنا اليوم كما كنا قبل أكثر من ١٤٠٠ عام مضت.. قبل أن يهدينا الله برحمته وبنبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

ماذا فعل بندكت؟! سفه دينا لا يعمل به معتنقوه. وسفه نبيا لا يعمل قومه اليوم بسنته ولا يهتدون بهديه، وصدق فينا قول المولى عز وجل :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٤)

ومن هنا كان منطقيا جدا أن يقف الرئيس الأمريكى (جورج

دبليو بوش) ليعلن عن تقديره وتأييده الكامل لكل تصريحات بابا الفاتيكان «بندكت السادس عشر».

وكان منطقيا جدا أن يحذو حذوه رئيس الوزراء الأسبانى السابق «خوسيه أزنار» الذى لم يكتف فقط بإعلان تأييده لتصريحات «بندكت» ولكنه حمّل المسلمين المسئولية عن كل الكوارث التى حلت بالعالم، واتهمهم بتبنى الإرهاب والعدوان على الغير ليس فى هذه الحقبة التاريخية التى يمر بها العالم، ولكن منذ زمن بعيد حيث طالب «أزنار» المسلمين بالاعتذار عن غزوهم لبلاده «أسبانيا» مؤكدا اعتزازه بجهود فرناندو وإيزابيلا ونجاحهما فى طرد المسلمين واستعادة شبه الجزيرة الأيبيرية عام ١٤٩٢م مع سقوط غرناطة.

يحدث هذا ونحن اليوم أغنى مالا من أى يوم مضى، ومن لا يصدقنى فليسأل خازنى بنوك أوروبا عن الأرصدة والمليارات والبلايين.

يحدث هذا ونحن مليار مسلم أو يزيد.

صرنا كما قال رسول الله ﷺ «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: «لا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن» قيل: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهة الموت» (أخرجه أبو داود).

نحن الذين يجب أن نتحمل المسئولية كاملة عما يحدث لنا فمن الذى أشعل النار فى الخليج العربى منذ البداية؟ من المسئول عن حرب العراق وإيران؟ تلك الحرب التى أفنت الأخضر واليابس واستنزفت مقدرات الأمة.

نحن الذين أشعلنا حربا لم يكن فيها منتصر.. ولكن كان فيها مهزوم.. وهذا المهزوم هو نحن... أجل نحن الذين بعدنا عن الإسلام ببغضنا لبعضنا البعض، وعدم عملنا بتعاليم ديننا الذى تداعى عنده اليوم دفاع عصبية وانتماء، لا دفاع مؤمنين يرغبون فى نيل رضا ربهم.

نحن الذين يجب أن نتحمل المسئولية كاملة إزاء جريمة الاجتياح العراقى للكويت أو قل اجتياح نظام حكم عميل لم يرع الله ولم يرع لدماء المسلمين حرمة، فروع القوم فسارعوا يستنجدون بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب الأوروبى فزرعوا جيوشهم داخل أحشاء الأمة كمرض سرطانى سرعان ما تكاثر حتى صار لهم الأمر والنهى وصدق رسول الله ﷺ القائل: «ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغزون أنتم وهم عدو من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجتمع للملحمة ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة» (أخرجه أبو داود).

ثم لم نكتف بما حل بنا من مصائب على يد أقوام لم ولن يضمروا لنا إلا الشر كل الشر.. حيث خرجت من بيننا عصابة تسب زوجة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام.

فلماذا إذن نغضب من بندكت عندما يتطاول على ديننا ونبينا، وبين صفوفنا من يتطاول بما هو أشد وأنكى.

أحمد تقى الدين



نابليون ومآثره المزعومة

من الشيخ «محمد يحيى عبدالصمد» الواعظ العام بالأزهر - كانت تلك الكلمات:

من أسباب ضعف الأمم وتأخر الشعوب: نسيان تاريخها، وضياع قيمها، وجهالة مكانتها، ومن ثَمَّ يشرع أبناؤها فى البحث عن تاريخ آخر يفخرون به ويمجدونه، وقيم مزيفة يلهثون وراءها، مع أنهم لو علموا الحقيقة وبُيّن لهم الأمر لأدركوا أنهم أعرق وأصل فى الحضارة والمدنية من غيرهم، وهذا للأسف ما وقع فيه المصريون حينما نسبوا للحملة الفرنسية على مصر فضل تنبيه المصريين إلى حقوقهم من حرية وديمقراطية.. إلخ، وهذا زيف عظيم وتضليل كبير.

كتبنا شُحنت بالحديث عن أمجاد الحملة الفرنسية، ومنشور نابليون الذى وزّع على المصريين بعد سقوط الإسكندرية فى ٣٠ من يونية ١٧٩٨م هذا المنشور الذى ينقض بعضه بعضا، كما أن الواقع التاريخى يكذبه. لقد جاء فى أول هذا المنشور على لسان بونابرت: «إننى ما قدمت إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين... إن جميع الناس متساوون عند الله وإن الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط.... ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعداً لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العلية....» عبارات جميلة ووعود طيبة، لكنها مزيفة وكاذبة، ما أشبه صاحبها بالثعلب الذى قال عنه أمين الشعراء أحمد شوقى:

برز الثعلب يوما ... فى شعار الواعظينا

ونابليون كان كاذباً فى كل هذا، وما كلامه هذا إلا حيلة وخديعة، فقد جاء فى المادة الثانية من المنشور نفسه «كل قرية تقوم على العسكر تحرق بالنار» تلك هى الحقيقة، إحراق القرى بالنار إذا هى خرجت على تعاليم نابليون وجنوده، ألم أقل إنه ثعلب ماكر

مخطئ من ظن يوما ... أن للثعلب دينا

هذه هى الحرية، وتلك هى الإنسانية التى حملها الفرنسيون إلى الشعب المصرى، وسلاح الإحراق استعمل بالفعل فى كثير من القرى المصرية اقرءوا عما صنعه جنود الحملة الفرنسية مع قرية «بنى عدى» إحدى قرى مركز «منفلوط» بمحافظة أسيوط، فى شهر ذى القعدة عام ١٢١٣هـ - ١٨ من أبريل ١٧٩٩م، تلك الواقعة التى لم تشر إليها كتب التاريخ المدرسية. لقد عجز الفرنسيون عن الاستيلاء على تلك القرية عن طريق القتال المباشر والمواجهة الميدانية، رغم التفاوت الكبير بين المحتل، الذى يمتلك أحدث الأسلحة، والمجاهدين المدافعين عن وطنهم الذين لا يحوزون إلا البنادق، رغم كل هذا فشل الغزاة فى الاستيلاء على قرية بنى عدى فأضرموا النيران فيها حتى أصبحت كأتون من نار، وأكواماً من خراب، وامتلأت شوارعها ومداخلها بأشلاء الشهداء، لقد قدر عدد القتلى فى تلك القرية بنحو ثلاثة آلاف فى وقت كان فيه عدد السكان بمديرية أسيوط كلها نحو مائتى ألف نسمة.

هذا هو نابليون وتلك حملته التى اقترح البعض أن يجعل يوم مجيئها إلى مصر عيداً رسمياً!!

مصيبة المصائب أننا نتحمل الفضل لعدونا، على حين نهمل ما قام به أبناء وطننا من تضحيات ومآثر.



ثقافة السلام رسالة الأديان

ومن القارئ الأستاذ «محمد حسين العزازي» وكيل وزارة سابق بالكهرباء والطاقة كانت هذه الكلمة :

● الدين للديان جل جلاله

لو شاء ربك وحد الأقواما

برغم تعدد الأديان السماوية من حيث زمان نزولها والمرسلين بها ومن نزلت فيهم أو وجهت إليهم إلا أنها تجتمع على توحيد الله وعدم الشرك به والتسليم بقدرته ومشيئته والإيمان بالقدر والموت والبعث والنشور والحساب من جنس العمل ثوابا أو عقابا.

● والإسلام خاتم الأديان وأتمها إذ حواها واحتواها ولم ينقصها بل أكملها واستوفاها ليكون معلم هداية وإرشاد للبشرية في عمومها. والإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كرم الأديان السابقة عليه وحفظ قدر الأنبياء والمرسلين وأشاد بهم واستشهد بدورهم وجهدهم في إعلاء كلمة الحق والدين وقد دافع عنهم وبرأهم مما ألصق بهم زورا وبهتانا ليكون بحق الدين الخالص والبرهان الساطع واليقين التام بغير شك أو تعليق.

● وعلى الرغم مما حمله الإسلام من مبادئ وما حفل به من قيم وأخلاقيات ومكارم فقد لقي صدودا من بعض أهل الكتاب ومقاومة ممن يفترض فيهم تصديقه والحض عليه وبما يتفق وشرع الله ولايخالفه أو يحرفه ابتغاء عرض زائل أو سيادة زائفة أو تنفيسا عن حقد دفين يموج في صدور المزايدين بالدين، وهؤلاء شأنهم كالمطففين:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(المطففين: ١ : ٦)

● ولايزال عالقا بالأذهان ماثلا للعقول تلك الحملات المسعورة ممثلة في محاكم التفتيش بالأندلس والحروب الصليبية التي اجتاحت المسلمين بلا ذنب أو جريرة وبرغبة محمومة في الانقضاض والسيطرة وقد أخفقت رغم ضرواتها واحترقت قلوب من أشعلوها وحفظ الله دينه ولو كره الكافرون.

● ومن حين لآخر نفاجيء بمن يتطاول ويتجاوز ويتجاسر على الإسلام رسالة وأمة ورسولا ويصفونه بما ليس فيه ويسعون للتشويه والتجريح بالعبث والتلفيق، ومن أسف أن يمارس هذا الاجتراء الباطل أفراد يفترض فيهم بحكم مواقعهم أن يكونوا على علم وبينة ومن منطلق ثقافة محايدة ومعرفة تامة وإلمام دقيق وعميق دونما تحيز أو تعصب أو استعداء ولكن دون جدوى، وإذا كان البابا (أوربان) قد استنفر ملوك أوربا لغزو الشام في العصور الوسطى واحتلال بيت المقدس بزعم أنها أرض المسيح وموطن المسيحية فهم لم يختلفوا عن الصهاينة في احتلالهم لفلسطين لتكون وطنا قوميا لهم بسند ديني زائف. ويتكرر الموقف في قيادة الكنيسة الكاثوليكية المعاصرة التي استفزت مشاعر المسلمين بتصريحات تجافي الحقيقة وتبعث على التوتر والغضب.

● وعلى الرغم مما يلوكونه من كلمات السلام وحوار الأديان والتواصل الحضاري وحقوق الإنسان وغير ذلك من شعارات فإنهم لايقيمون الدليل العلمي على ذلك من خلال جهد إيجابي أو أداء ناجز أو سلوك فاعل ودافع، وعلى العكس ينكصون ويتراجعون ويمارون ولا يصدقون فمن أي سلام يتكلمون؟!

● وإذا كنا نحرص على تأكيد ثقافة السلام بتفعيل القيم وتأكيد الاعتقاد بأن الدين المعاملة وأن البشر في جملتهم من أصل واحد (كلكم لآدم) (١) وأن الأنبياء أخوة أمهاتهم شتى وأن الدين لله، فذلك إن حققناه يتضمن انتصارا لإنسانيتنا وأخلاقياتنا وحرصنا على الحياة الوادعة الكريمة، ومقتضى ذلك احترام الآخر وحفظ حقوقه لدينا وألا نتعرض لهم بالأذى، فما بال الآخرين يرموننا بالعداوة ويبادروننا بالخصومة والجفوة. وعلينا ألا نستدرج وأن نترفع عن الاندفاع ونتحلى بالحكمة ولانتساق لمواجهات مرفوضة أجدى منها الحوار الحضاري والجدل الهادف والنقد الموضوعي وأن يعرف الآخر قدرنا من خلال فكرنا وعملنا وأن نقدم النموذج والقدوة ونفوت على الكارهين ما يبغونه من تهييج وانفلات يرتب صداما وانقساما، وأن يستقر في حسباننا أن للحروب أسلحة عديدة من بينها الافتراءات والادعاء الكاذب والاستخفاف بموروثنا الثقافي والحضاري وتلك أحد صنوف (الحرب القذرة) التي يجب التعامل معها بحذر ولا ننزلق إلى أخطاء تمس سماحتنا وكوننا على الحق المبين.

● والضرر يحمل أحيانا الدروس المستفاد والعبرة للإعداد والاستعداد، ونحن مطالبون بمراجعة الخطاب الديني وموقفنا من الآخر وثقافة الوعي به والإحاطة بعالمه المادي والمعنوي وأن نوجه جهدا أشمل وأكبر لتمرير الحقيقة وتوصيلها إليه وأن نقلع عن السذاجة والثرثرة وأن يكون عملنا مفيدا ومعبرا دونما حاجة للتبرير والتفسير لسد النقص أو التقصير.

● وإذا كان اللسان ترجمان العقل فعلى من يوجه إلينا نقدا في مسلكنا أو معتقدنا أن نرد عليه برسالة شافية تقرع الفرية بالحجة، والزيف بالحقيقة، وفي القرآن الكريم تتابع الآيات (ويسألونك) وتكون الإجابة (قل) أي تولي الرد والإيضاح. والدعاة والمفكرون مطالبون بتفنيد الادعاءات والرد عليها بما أوحى الله في الذكر الحكيم وما فصل الرسول سردا وبيانا إلى جانب المرجعية العقلية لفقهاء وأئمة العقيدة على امتداد عمر الدعوة وليكن للمسلمين مجمعا يضم كبار علمائه على مستوى المعمورة يصدر منه وبكل لغات الارض ردا معلنا على المشككين في حينه وأن يكون لدى الأمم المتحدة شعبة لحوار الثقافات تدعم ذلك وتتحرك معه عملا على إقرار السلام وتجنيب البشرية أخطار العنصرية والصدام، وأولى بشعوب أوربا وأمريكا الالتزام بمبادىء حقوق الإنسان التي يدعون لها ثم يخرقونها تحت مظلة عارية لحرية التعبير المفرغة من أي اعتبار لمشاعر الآخرين لما تحمله من إسفاف واستفزاز.

● وليكن الجميع على بينة أن الدين يدعو للمحبة والإخاء، ويحض على التكافل والتعاون ويرفض العدوان، وهذا بالتالي يبلور رسالة الأديان كمنهل للسلام، ومسئولية القائمين عليها والمؤمنين بها السعي لذلك وتفادي المواجهات الضارية الناجمة عن الصراعات الدينية لما يشوبها من غيرة وتشدد إلى حد التعصب الذي يهدد ويبدد ويقوض ساحة الأمن بين البشر ويجفف منابع التسامح بالاضطهاد والكراهية وبما يجعل ثقافة السلام مجرد كلام وسراب يتعقبه الإنسان!!

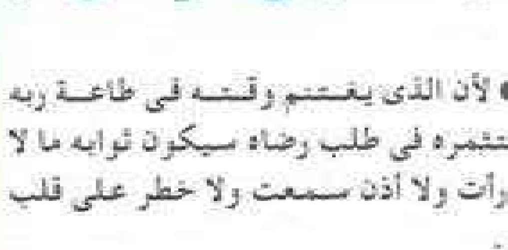
الوقت ليس من ذهب !

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الصديق «طاهر محمد الأقرع» ـ ليسانس آثار إسلامية قال:

أحياناً نطلق الكلام على عواهنه، فنسمى الأشياء بغير أسمائها، ونصف المعانى والقيم السامية بصفات الماديات الجامدة، ظانين أننا قد أنصفنا فى الوصف ولم نلحد فى التسمية.

فنقول مثلاً «الوقت من ذهب» معتقدين بقولنا هذا أننا قد ارتقينا بالوقت إلى ذرا الرفعة وقمم الفخار، فى حين أننا قد سفلنا بمعناه كقيمة إلى أغوار المادة والخسوس. فكأنى بمبتدع هذه المقولة تاجر مغلول اليد، منهوم بالمال، لا يرى الوقت إلا ظرفاً لحصد الأموال وجمعها. فشرى وقته بثمن بخس دراهم معدودة مع أنه أغلى وأثمن من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وذلك:

● لأن الوقت هو الحياة نفسها، فما الحياة إلا أيام وليال ودقائق وثوان فى ذلك يقول الحسن البصرى: «ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل».



● لأن الذى يغتنم وقته فى طاعة ربه ويستثمره فى طلب رضاه سيكون ثوابه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

● لأن الساعة التى تمر لا رجعة لها، وضياعها خسارة لا سبيل إلى تعويضها، فلله در الحسن البصرى حين قال: «ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى فإنى إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة».

وفى نفس المعنى يقول الإمام المفسر مجاهد بن جبر «ما من يوم إلا يقول: قد دخلت عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل فىّ». اهـ.

فها هو ذا لسان حال الأيام والليالى يخطب فينا راجياً أن نحيى أوقاتنا ونعمرها بجليل الأعمال وكريم الخصال، فهل من منصت وهل من مجيب؟

***

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.



علماء الإسلام يرفضون الإساءة إلى الصحابة

أكد علماء الإسلام وأساتذة الشريعة إدانتهم الكاملة ورفضهم التام للإساءة إلى صحابة رسول الله ﷺ.

وانتقدوا بشدة ما نشرته إحدى الصحف الحزبية حول أسوأ عشر شخصيات فى الإسلام، فى الوقت الذى يتعرض فيه الإسلام ورسوله لهجمة شرسة من جانب وسائل الإعلام الغربية وخاصة الصحف الدانمركية والنرويجية.

وقالوا: إنه كان ينبغى على هذه الصحيفة الدفاع عن الإسلام وعن الصحابة الأبرار بدلاً من مساعدة الأعداء فى توجيه سهامهم المسمومة للدين الحنيف.

من جهة أخرى أبدى الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف استياءه الشديد واستنكاره لقوائم الاتهامات القذرة التى ألصقتها الصحيفة بصحابة رسول الله ﷺ وبأم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ والتى اعتبرتها ضمن أسوأ عشر شخصيات إسلامية، واعتبر الإمام الأكبر الترويج لهذه الاتهامات جزءاً من مؤامرة وخطة خبيثة تستهدف زعزعة يقين المسلم تجاه مورد دينه، والشخصيات البارزة فى التاريخ الإسلامى.

وطالب فضيلته جموع المسلمين بألا يعيروا هذه الخبائث أدنى اهتمام لأنها لن تتوقف عن نموها السرطانى.



دار الإفتاء: منتقد الصحابة فاسق ويجب عقابه

أكدت دار الإفتاء المصرية أن انتقاد الصحابة الكرام بما يستوجب انتقاصهم أو تفسيقهم يعد فسقًا بيّنًا يسقط عدالة صاحبه وقالت دار الإفتاء فى بيان لها أن منتقد الصحابة لا تقبل شهادته عند القضاء وهو قادحٌ فى عقيدته، منتقص لثوابه، ويدخله بذلك فى أهل الأهواء والبدع، ويجب على ولىّ الأمر عقابه وتعزيره حتى يثوب إلى رشده، ولا يكون سببًا لفتنة الناس وإسماعهم ما يؤذيهم فيما يجلونه ويحترمونه من نقلة الدين الأوائل.

ودعا الدكتور/ على جمعة مفتى الجمهورية المسلمين فى العالم كله إلى مقاطعة أصحاب هذه الأقلام المسمومة وكتاباتهم والصحف التى تروج لهم مع توضيح فضائل الصحابة الكرام لأبنائنا وتعليم الناس أن من احتقرهم فهو آثم عند الله محتقر من جموع المسلمين.

جاء ذلك ردًا على ما نشر مؤخرًا فى إحدى الصحف الحزبية من تطاول على الصحابة الكرام وعلى أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها.

المستشارة الألمانية تنتقد إلغاء عرض أوبرا تسىء للرسول

انتقدت المستشارة الألمانية «أنجيلا ميركل» قرار إلغاء عرض أوبرا لموتسارت، خوفًا من ردود فعل إسلامية غاضبة عليها لتضمنها مشاهد قد تعتبر مسيئة للرسول ﷺ وقالت «ميركل» فى حوار صحفى: «إن علينا أن ننتبه وألا نتراجع أمام التخويف الذى يقف وراءه الإسلاميون الراديكاليون»، وأضافت أن الرقابة الذاتية بسبب الخوف غير مقبولة، ولكنها مقبولة فقط عندما تكون بشكل مسئول فى إطار من الحوار الفعلى بين ثقافات خالية تمامًا من العنف».

وأوضحت «كريستين هارمز» مديرة الأوبرا الألمانية فى مؤتمر صحفى أن عروض الأوبرا «يدومينيو» لموتسارت التى يمكن أن يعتبرها المسلمون استفزازية قد ألغيت بعد أن أشارت الشرطة إلى مخاطر غير محسوبة على الجمهور والعاملين فى الأوبرا.

وكانت الأوبرا الألمانية قد أصدرت بيانًا أوضحت فيه أن فى أحد مشاهد هذه الأوبرا يأتى ملك كريت «يدومينيو» برءوس كل من بوزيدون (إله البحر) ويسوع المسيح وبوذا بجانب الرسول محمد ويضعها على أربع كراسى.



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ حافظ محمد حافظ
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الحوار بين الأديان

عقدت لجنة الأزهر الشريف للحوار بين الأديان بالأزهر والطائفة الأسقفية الأنجليكانية اجتماعها الدورى السنوى الخامس بمشيخة الأزهر بالقاهرة يومى ٩ و١٠ شعبان ١٤٢٧هـ الموافق ٢٢ من سبتمبر ٢٠٠٦ تنفيذًا للاتفاقية الموقعة بين فضيلة الإمام الأكبر ورئيس أساقفة كانتربرى فى يناير ٢٠٠٢.

وأكد أعضاء اللجنة فى بيانهم الختامى على ضرورة وضع حدود لحرية الرأى تقضى باحترام المقدسات وعقائد الناس جميعا استنادا لتعاليم القرآن الكريم والدين الإسلامى وكذلك تعاليم الكتاب المقدس وتعاليم الدين المسيحى.

وأوصى المجتمعون بضرورة اتخاذ الأمم المتحدة الخطوات اللازمة نحو إقرار اتفاقية دولية تضع شروطا مكملة للمادة ١٩ من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان تشتمل على قيود لحماية المقدسات الدينية والعقائدية التى تمس حرية الأفراد والمجتمعات على غرار المادة ١٠ من البند رقم (٢) من الاتفاقية الأوروبية التى تضع شروطا وقيودا لحرية التعبير بحيث لا تعتدى على النظام العام والتأكيد على حق الحرية الدينية بمفهومها الشامل حيث لا إكراه فى الدين وفقا للشرائع السماوية.

وعبر أعضاء اللجنة عن أسفهم للأحداث الجارية فى الأراضى الفلسطينية، وأهاب المجتمعون بالمجتمع الدولى أن يعمل على تغيير الموقف للأفضل، حيث تظهر الأحداث الجارية فى فلسطين ولبنان أهمية التوصل إلى حل للصراع الفلسطينى الإسرائيلى ويؤكد على الحق العادل لشعوب المنطقة فى العيش فى أمن وسلام لأن الموقف الحالى يمكن أن يشعل الصراع ويتسبب فى انعدام الأمن ويجدد العنف فى منطقة الشرق الأوسط وما حولها ويهدد السلم والأمن الدوليين.

كما عبروا عن إدانتهم للعدوان والدمار الشامل والعنف الذى لحق بالمنطقة وخصوصا لبنان ويحثون القادة الدينيين أن يستخدموا تأثيرهم لتحقيق المصلحة والسلام.

وناشدوا المجتمع الدولى بضرورة تقديم المساعدات اللازمة لدولتى العراق وأفغانستان لتحقيق الوحدة الوطنية والسلام وحقهم فى الاستقلال التام لتمكينهم من التعايش السلمى دون أى تدخل خارجى.



الإمام الأكبر يستقبل القائم بأعمال سفارة الفاتيكان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم ١٩/٩/٢٠٠٦ المونسينيور دينيس – القائم بأعمال سفارة الفاتيكان بالقاهرة لوجود السفير خارج البلاد، والأنبا/ يوحنا قلته- النائب البطريركى للأقباط الكاثوليك، والمطران/ يوسف زريعى- النائب البطريركى للروم الكاثوليك بمصر، والأب/ رفيق جريش من المكتب الصحفى للكنيسة الكاثوليكية وقد أعلن الأنبا/ قلته عن أنهم جاءوا كممثلين للكنيسة الكاثوليكية فى مصر للتعبير عن الحب وإعادة الثقة بين الكنيسة والمسلمين، وفى بداية اللقاء أشاد فضيلة الإمام الأكبر بزيارة بابا الفاتيكان الراحل لمشيخة الأزهر ، وقد صدر بيان فى هذا الوقت أوضحنا فيه بأن الحوار بين الأزهر ودولة الفاتيكان يقوم على الإخاء الإنسانى واحترام كل جانب للآخر، واتفاق على أن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون من أجل نشر الفضائل التى دعت إلى اعتناقها جميع الشرائع السماوية وجميع العقول الإنسانية السليمة وأن ما قاله بابا الفاتيكان الحالى فى محاضرة ألقاها فى ألمانيا وتناقلته وسائل الإعلام العالمية منذ أيام، واشتملت على نقل حوار بين قيصر بيزنطى وأحد المسلمين الفرس فى سنة (١٣٩١م) ، وهذا الحوار فيه إساءات للإسلام بغير حق، تتلخص فى زعم ذلك القيصر أن الإسلام انتشر بالسيف، وأن الجهاد يدل على العدوان، وأن محمداً لم يأت بخير بل أتى بالشر، وأمر بنشر الإسلام بالسيف وأن الإسلام مخالف للعقل.

وهذا الكلام لا أساس له من الصحة لأن الإسلام قد انتشر عن طريق الاقتناع العقلى والهداية، وأن شريعة الإسلام تهدر كل قول أو فعل يقوم على القهر والإكراه، وأن الجهاد فى الإسلام لم يشرع إلا من أجل الدفاع عن النفس والعقيدة. وعن كل ما يجب الدفاع عنه وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد جاء للناس بكل خير، وأنه (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم الانبياء والرسل قد جاء بشريعة جامعة لكل الفضائل والآداب والعقائد السليمة.

ووثائق الإسلام الأساسية من الكتاب والسنة شاهدة بذلك كله . وكان من الواجب على بابا الفاتيكان أن لا يسوق هذه القصة دون أن يعلق عليها فهى لقيصر موتور فى القرن الرابع عشر دون دراسة القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وما عليه جماهير المسلمين حيث سيرى أن هناك نفيا قاطعا لكل هذه المفتريات.

والأزهر الشريف يدعو العالمين لدراسة الإسلام دراسة منهجية علمية واعية من مصادره الأساسية ليحفظ للحوار الواجب بين الأديان ماينبغى أن يتوافر من احترام متبادل وتعاون لصالح الإنسانى.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

دورة تدريبية لوعاظ العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف ـ يوم الأربعاء الموافق ٢٠/٩/٢٠٠٦ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف حفل ختام الدورة «٧٤» للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى وعددهم «٢٠» إماماً وواعظاً من دول: الجزائر ـ السودان ـ اليمن ـ النيجر ـ غانا ـ كينيا وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية لمدة ثلاثة شهور وقد تلقوا خلالها العلوم الدينية والشرعية وأمور الفقه على أيدى أساتذة وعلماء من الأزهر الشريف.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة



الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور، ويستمع بعضنا إلى بعض، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ونتحاور فى العقائد والمعاملات، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، نبين للناس وجه الإسلام السمح الذى يأمر أتباعه أن يبنوا ولا يهدموا، يعمروا ولا يخربوا، يصلحوا ولا يفسدوا، يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم، وينشروا محاسن الإسلام على الناس، وأن يدافعوا عن الحق ويقفوا فى وجه الباطل، فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه، موضحا أن الإسلام دين ينهى نهيا قاطعا عن الإرهاب الذى هو عدوان على أنفس وأموال وكرامة الناس، فعلينا أن نجابه الباطل ونبين ما هو حق، ونتعاون خدمة ديننا وأمتنا بأن تكون قدوة فى مكارم الأخلاق وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وكيل الأزهر يؤكد:
نعمل للحفاظ على القرآن الكريم والشريعة الإسلامية

عاد فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر الشريف من المملكة الأردنية الهاشمية بعد أن شارك فى اجتماع الهيئة التأسيسية الثامن عشر للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة كما شارك فضيلته فى الندوة العالمية لشئون القدس.

واكد فضيلته أن الأزهر الشريف يعتبر قضية القدس من القضايا التى لا يمكن أغفالها أو التهاون فيها وان المشاركة لوضع الحلول لها أمر حتمى وقومى ومؤكدا أن فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر الشريف يضع قضية القدس فى مقدمة الأولويات، وأنه كان يتمنى المشاركة فى الندوة لولا تواجده فى قازاقستان ونقل تحياته إلى الحاضرين فى المؤتمر وأعضائه وأنه يضع قضية القدس فى مقدمة الأولويات التى تواجه الأمة الإسلامية فى هذه المرحلة العصيبة التى يتعرض فيها العزل والأبرياء من إخواننا فى فلسطين من قتل وتدمير وتجويع وهدم للبنية التحتية والاعتداء على دور العبادة ومحو الآثار الدينية، وطالب الأمة العربية والإسلامية بعدم التهاون أو التهادن فى موضوع القدس لأنه يمثل جانبا عقديا وإنسانيا وجغرافيا، فالصراع بين الخير والشر لا يمكن قياسهما بعمر جيل كامل ولا يمكن حصرهما بأرض معينة ومن خلال مشاركة فضيلته فى اجتماع لجنة التعليم احدى لجان المجلس الإسلامى للدعوة والاغاثة أكد خلالها على الدور التعليمى الذى يقوم به الأزهر الشريف داخليا وخارجيا من خلال مناهج تعليمية قام بإعدادها نخبة من علماء الأزهر الشريف تعتمد على الوسطية والاعتدال بعيداً عن العصبية والتطرف أدت فى الفترة الأخيرة إلى زيادة عدد المعاهد الأزهرية فى مصر لأكثر من (٧ آلاف) معهد أزهرى وكذلك اقبال الكثير من الدول على إنشاء معاهد أزهرية بها وكذلك زيادة إقبال جميع دول العالم على تعليم أبنائها بالأزهر، كما أكد على الدور الذى تقوم به جامعة الأزهر الشريف من خدمات تعليمية أدت لزيادة عدد الكليات إلى (٦٢ كلية) ما بين نظرية وعلمية وشرعية تعمل للحفاظ على القرآن الكريم والشريعة الإسلامية واستقبالها لآلاف من طلاب دول العالم الإسلامى من خلال مساهمات الأزهر الشريف وكذلك صندوق الخدمات بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة كما أشاد بالتعليم فى مصر فى الفترة الأخيرة وأنه يشهد تقدما ملحوظا وأن الأزهر يقوم بالإشراف على مناهج التعليم الدينى ويقوم بإعدادها من خلال علمائه المتخصصين.

وفى ختام كلمته وجه الشكر للحكومة الأردنية على تنظيمها لاجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس الاسلامى العالمى للدعوة والإغاثة.



Hezbollah: A Glimpse of the Desired Victory!*
By: *Ustaz* Adel Rifa`y Khafaja

Everyone knows that the aggression against Lebanon has been planned beforehand. This is because Israel and its leaders do not strike or engage in war except after planning. They also slaughter the innocent according to a plan since they have come to the pure land of Palestine.

Nevertheless, when someone would say that the aggression against Lebanon was planned beforehand due to the fact that the aggression was extreme and did not match being a reaction for the capture of only two Israeli soldiers, we should not agree. To clarify, Israel would not hesitate to burn the whole of Lebanon, or even the whole area, for the sake of one soldier in order to fulfill its dream of the "Great Israel: From the Nile to Euphrates." The two Israeli soldiers represented just an excuse for achieving that goal. As for the size of attack, amount of destruction, and number of victims, these are but little and trivial matters in the eyes of people brought up on blood shedding and killing of prophets.

In addition, we can recail "Qana Massacre" towards which the United States of America turned a blind eye. Not only that but it also supported Israel to do whatever it wished. It is worth mentioning that Qana Massacre was not the only massacre to take place in Qana, as it was preceded by another one in 1996.

The history of Israel is full of massacres and aggressions against the innocent and civilians. In 1947, Israel committed a massacre at Baldat Al-Sheikh village; in 1948, exactly on 14 February, it committed a bloodbath at Sa'sa' village at Al-Khalil, and on 21 March of the same year, Israel committed Abo Kbeir massacre, which it followed by another massacre against Abo Shusha village oi 14 May. After that, Israel perpetrated a massacre at Lydda village during its attack on

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.



Dahmash Mosque on 11 July 1948; it committed the well-known massacre at Dayr Yassin village on 31 October 1948. Israel concluded its bloody record with its massacre in 2006, which it committed at Qana. The list is too long to count!

What kind of violence is this! What kind of blood thirst is this! After getting to know such a huge number of massacres and crimes, can we say, then, that Israel considers the amount of action and reaction?! Is it not our right then to say that Israel is a blood-thirsty force blinded by its dreams of expansion, so it cannot see but itself in the area?

We are required to possess a power that represents a face-saver not a power to practice aggression, for this is not among the teachings of our Upright Religion (i.e. Islam). That power would make us out of the reach of enemies. This is what we should understand from the words of our Lord, the Almighty, where He says:

> {And prepare for them whatever power and whatever garrisoned horses you can, to (spread) awe thereby into (the hearts) of the enemy of Allah and your enemy.}
>
> [Al-Anfal (The Spoils=War Gains): 60]

After that we should work to achieve the greater mission represented in spreading prosperity all over the inhabited land, and achieve what is good for our nation through commanding towards that which is good and forbidding that which is evil. Unless we do so, we shall remain receiving strikes from every side and against every nation, and every dear and sacred thing.

To conclude, the nation that has supported Nasrallah through invocation, for it knows that he is a sign of hope for Allah's triumph, is waiting "Allah's clear triumph". Such triumph may be fulfilled at the hands of another man like Saladin. When he comes, the nation will support him through invocations, properties and souls, so that Jerusalem will be freed and prayer will be established everywhere in it.



I would like to note that science and knowledge should be sought in a correct manner, whether one is a student or a teacher. That is, the master would not be a good teacher unless he was a good student. In this regard, Sheikh Hasanayn Makhlouf talked about his colleague Sheikh Isa Manoun when they were both students at Al-Azhar. He said:

> "The keen students, at that time, would not attend their lessons except after studying the explanation and comments. Sometimes, they would add to them some reports as a means of showing their interest in seeking knowledge. They would discuss each other so their views might vary. When the Sheikh would start his lecture, explaining his lesson, discussing the contradictory opinions, affording the answers, and extracting the truth from among the opposite views, only then those students would know the right and the wrong. Those students would discuss and argue with the Sheikh, and such discussions and arguments were but means to sharpen their intelligence, enhance their intellectual faculties, and strengthen their ability of arguing, in addition to the fact that this would represent a means to understand the references which were not studied at Al-Azhar."

That was the environment in which Sheikh Isa grew as a student. His friend Sheikh Makhlouf praised him and mentioned that Sheikh Isa would show respect when discussing his teachers, choose his words carefully, and provide hard proofs. If we might move to talk about Sheikh Isa when becoming a prominent scholar, we would hear the great Sheikh Abdullah Al-Maraghy, who was then a student attending Sheikh Isa's lesson, describe his master saying:



> "Sheikh Isa Manoun was selected to teach Usul Eddin for many years during which he was a reference for anyone finding difficulty in understanding any issue. We were very careful to listen to his lessons and understand his words, for he used to collect comprehensive information about the subject. He would study such matters so attentively so as to absorb them. There were numerous situations of dialogue and argument with him, and he would explain every ambiguous and problematic issue. He would not let anyone fall prey to confusion, but he would help him gradually until doubts vanished. Sheikh Isa would do so in humbleness and large-heartedness, as a means of thanking Allah for the gift of guidance and success."

The above-mentioned are two statements, by two outstanding scholars, about Sheikh Isa Manoun as a student and scholar.

Towards the end of his life, Sheikh Isa Manoun dedicated himself to the area of *Fiqh* (i.e., Islamic Jurisprudence) at Al-Azhar Fatwa Committee. He was a colleague to a number of prominent scholars who represented the Four Fiqhi Schools. Sheikh Manoun was regarded as an authoritative source as far as the Shafi`i School was concerned. This is because he had studied the Shafi`i School comprehensively. That enabled him to deliver any ruling without referring to any source, then he would indicate the position of the ruling in the authorized books of the School, and, amazingly, the ruling would come in accordance with what Sheikh Manoun said. He was an encyclopedic source.



{Would you then compel mankind until they are believers?} [Younus: 99]

Those who think that Islam is just a heavenly religion – just as Christianity based on the principle stating *"what is for Caesar is for Caesar, and what is for God is for God"* – are wrong. Islam is not so; rather, it is a religion sent down to organize life; a religion and policy at the same time. The Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) was not only a Messenger sent by Allah, but he was a statesman as well. He was the president of a nation that applies Islam's teachings, and worships Allah, the Almighty.

As a Muslim, I cannot be afraid of such accusations propagated against Islam, for this might represent an introduction towards understanding its reality and thus hurrying to embrace it. However, what makes me sad is that a character like the Pope, who has many followers, affronts Islam out of ignorance of its reality.

I, hereby, follow to advise the Pope to try to understand Islam and read a translation of the meanings of the Qur'an. Moreover, there are some books, that clarify the principles of Islam, written by non-Muslim thinkers. In such books, they praised Islam and put it in its right position. Examples of those thinkers include, but not limited to, Voltaire, Tolstoy, Bernard Shaw, Mahatma Gandhi, Thomas Carlyle. Moreover, there are two thinkers in this category who have been guided to embrace Islam; namely, Muhammad Asad who wrote "The Way to Mecca", and Roger Garodi who wrote "Why I have embraced Islam". In the books of those two guided philosophers, one can find guidance and light which lead to embracing Islam sincerely



Isa Manoun
A Researcher Working in Silence...!
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

We may read some of the scientific researches for a group of outstanding scientists, and we feel their deep insight, comprehensive tracking of ideas, and sound conclusion. However, we may notice that they have not continued the scientific researching to a far-reached range. This should not be the case because whoever introduces such good researches should continue the scientific exploration to the maximum limit.

The administrative posts, occupied by the hard-workers, are regarded as a duty that should be observed properly. So, those who occupy such posts exert their utmost effort in directing the ship honestly, and they do not assign others to do what they have to do themselves. This is a case which necessitates the effort of a whole day, but it lets one's conscience at ease. I have known some of those included in this dignified category who have more than one administration under their leadership, and each administration has a manager who is supposed to run its matters, but those honest people do not rest assured until they review every decision to be made and every paper to be signed. Moreover, they may take the rest of their work home and spend the whole night to finish it. This is nothing but pure honesty which may excuse its holder in case he leaves the arena of the scientific research he desires, so as to fulfill the call of duty.

This is exactly the case of Sheikh Isa Manoun, a member of the Senior Ulema Committee, and the Head Sheikh of the faculties of Usul Eddin and Islamic Shari'ah for a long time. He also occupied high level positions at Al-Azhar. He would fulfill his administrative role decisively and attentively.



integrated vision of the world with Copernicus and Descartes and the coming of the scientific revolution. A comprehensive philosophy of nature is no longer part of our everyday beliefs."

Prince Charles also said:

"During the past three centuries, in the Western world at least, a dangerous division has occurred in the way we perceive the world around us. Science has tried to assume a monopoly even a tyranny over our understanding. Religion and science have become separated. Science has attempted to take over the natural world from God; it has fragmented the cosmos and relegated the sacred to a separate and secondary compartment of our understanding, divorced from practical, day to day existence."

Prince Charles said that if the West continued to ignore the culture of the other, their Western culture would be negatively affected, and if such ignorance grew and increased along time, that could cause a damage of incalculable consequences. Prince Charles suggested sending for a great number of Muslim teachers to come to teach at the British schools. He said:

"There is much we can learn from that Islamic world view in this respect. There are many ways in which mutual understanding and appreciation can be built. Perhaps, for instance, we could begin by having more Muslim teachers in British schools, or by encouraging exchanges of teachers. Everywhere in the world people want to learn English. But in the West, in turn, we need to be taught by Islamic teachers how to learn with our hearts, as well as our heads."



The secret behind the Prince's well understanding of Islam is that he draws his information from sound, unbiased sources.

Hereupon, I would like to advise the Pope to resort to an Azhari scholar to inform him about the reality of Islam. We all know there are a considerable number of Azhari scholars in Italy, especially in Rome. He should resort to them instead of basing his knowledge on some books written during wars in the Medieval Ages. I would like to suggest a book for him to read, entitled "The Preaching of Islam" by a British writer, T.W. Arnold. The book shows that Islam is propagated by peaceful methods, wisdom, and, sometimes, via good example, as in Indonesia, Malaysia, Philippines, Burma, Thailand, as well as many other countries in Africa and Europe.

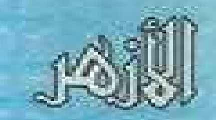
In brief, violence and sword were never introduced by the Muslims; rather, they were practiced by their enemies. If this is not the case, so why the Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) emigrated from Mecca? As for the wars that took place between the Muslims and the disbelievers, they were but defensive or deterrent. An example of this is the first battle that took place between the Muslims and the disbelievers of Mecca. In that battle, called Badr, one thousand or so of the well-trained disbelievers marched for more than 300 kilometers and camped near Medina. They aimed to terminate the Muslim army that consisted of about three hundred Muslims only.

As for the religious principle on which Islam is based, the Qur'an states:

{There is no compulsion in the religion.}

[Al-Baqarah (The Cow): 256]

And:



In his speech, the Catholic Pope has based his views on the sayings of malicious Orientalists due to the fact that people everywhere, especially in Germany, the homeland of the Pope, are converting to Islam in great numbers. That is, the number of those who embraced Islam in Germany in only one month of this year reached one hundred. Moreover, Isaam Mudeir, the famous Saudi media man, declared that the Pope of Vatican was very angry to know that a great number of priests in Vatican embraced Islam. Isaam Mudeir said that about thirty priests embraced Islam and they were undergoing trial in order to dismiss them from the Catholic Church. However, those priests did not yield to the continuous attempts to drive them back to the fold of Christianity.

It is worth mentioning that the title of the speech delivered by the Pope was "Faith, Reason and the University — Memories and Reflections." However, the Pope jumped to criticize Islam and the Messenger as a means of releasing the anger, grudge and fanaticism he bore against Islam, only because many Catholic priests embraced Islam.

Here, I advise the Pope not to draw his information on Islam from the above mentioned sources provided by the malicious Orientalists. Instead, he should follow the example of Prince Charles, who drew his information about Islam from a Muslim Dr., and scholar from Al-Azhar called Zaki Badawy. Prince Charles, in one of his speeches about Islam, said:

> "Islam can teach us today a way of understanding and living in the world which Christianity itself is poorer for having lost. At the heart of Islam is its preservation of an integral view of the Universe. Islam refuses to separate man and nature, religion and science, mind and matter, and has preserved a metaphysical and unified view of ourselves and the world around us. But the West gradually lost this



World War I, who stood at Jerusalem in 1918 and loudly said, "Today the Crusades have come to an end!" Was it not the French General Gauraud, the Allies Commander after the occupation of Damascus, who stood before the grave of the Muslim hero Saladin, who defeated the Crusaders, and said, "Look Saladin, we are back!"

Who have triggered the world wars, the Muslims or the European countries believing in the Crusades? Currently, what is the cause behind mass killing and destruction as well as sweeping the civilizational signs? Who is spreading death and destruction in Afghanistan, Iraq, Palestine and Lebanon? Are they not the European Christian countries?!

Let us have a look at the Bible which is attributed to Jesus (peace be upon him):

> *"Think not that I came to send peace on earth: I came not to send peace, but a sword."* [Mt: 34: 10]

> *"The father shall be divided against the son, and the son against the father; the mother against the daughter, and the daughter against the mother; the mother in law against her daughter in law, and the daughter in law against her mother in law."* [Lu 12:53]

> *"He that loveth father or mother more than me is not worthy of me: and he that loveth son or daughter more than me is not worthy of me. And he that taketh not his cross, and followeth after me, is not worthy of me. He that findeth his life shall lose it: and he that loseth his life for my sake shall find it."* [Mt 10:37-39]



AL-AZHAR MAGAZINE
Shawwal, 1427 A. H.

ENGLISH SECTION
November. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Pope of Vatican Crosses the Redline: He Attacks Islam and Affronts Messenger Muhammad...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

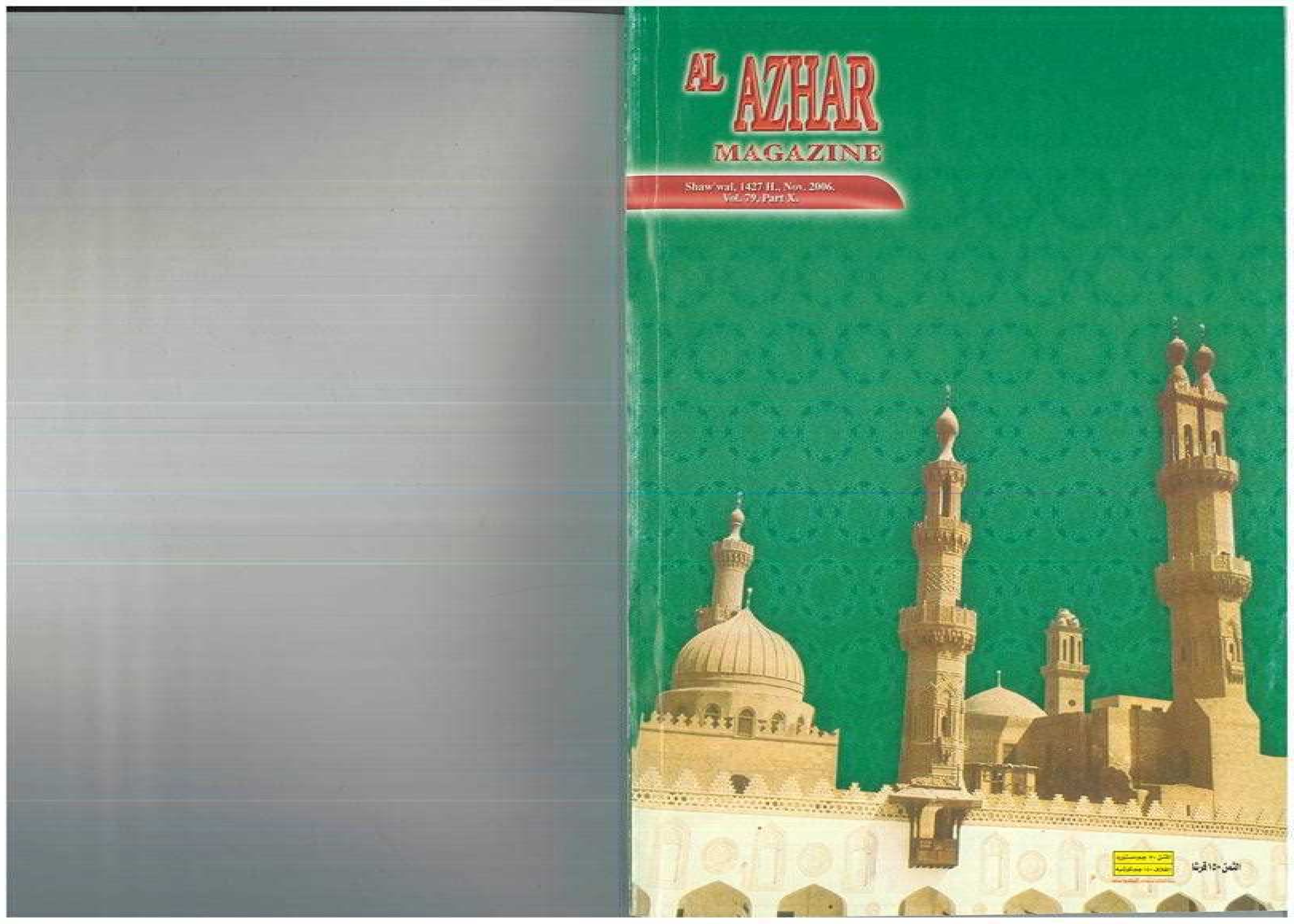
Fanaticism overwhelmed the Catholic Pope in Vatican, Benedict XVI, and he began to attack Islam and offend the Noble Messenger Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him). On September 12 at Regensburg, Germany, Pope Benedict accused the Messenger of Islam of practicing violence and disseminating Islam by sword.

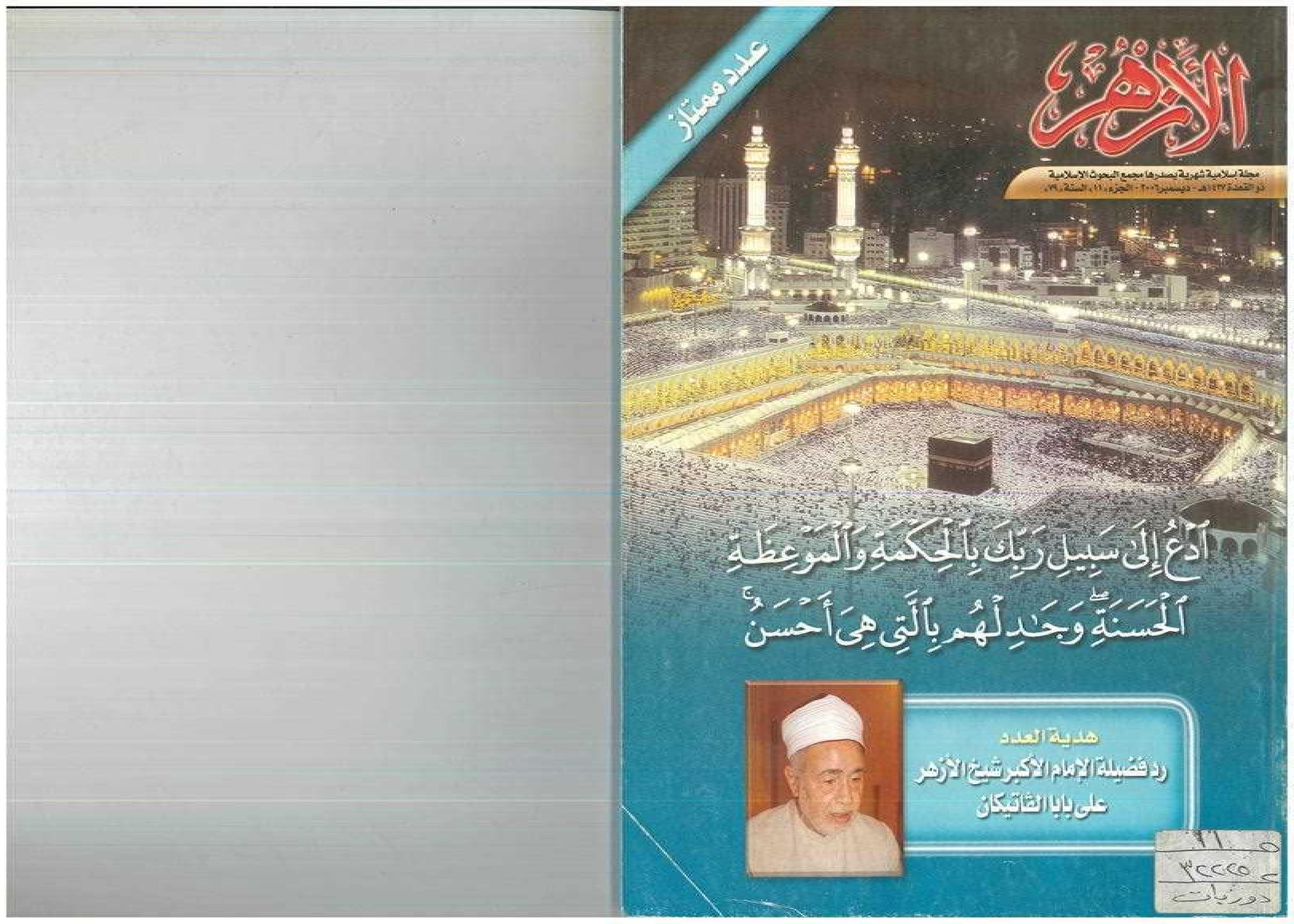
In his speech, the Pope repeated the old falsehood spread by the Orientalists showing hatred against Islam during the 18th and 19th centuries. This is despite the fact that the Muslim scholars decisively refuted such a falsehood through hard evidence. Moreover, some Muslim scholars went on to shed light on the reality of the European Christians and how they resorted to violence and bloodshed, showing no mercy in killing the warriors as well as the armless, innocent children, women and old people. The European Christians shed blood everywhere under the slogan of Jesus Christ and the Cross. No one can deny that the Crusades undertaken by the European armies against the Eastern Muslim countries, and which lasted for almost two hundred years, were after a hidden target rather than being a holy war, as they claimed. Those armies continued to kill, shed blood and turn everything into ruins.

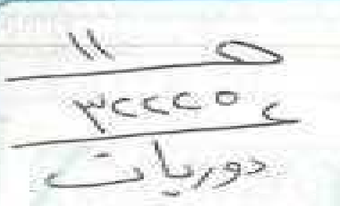
Each of those wars was sanctioned and blessed by the popes in Europe despite their hideous goals of destroying the Muslim countries. That did not happened only during the Dark Medieval Ages, as the defenders of those barbaric Crusades would claim, but the twentieth century witnessed severer waves of attack against the Muslims, as well. Was it not the British General Allenby, the Allies Commander during the



الفهرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Shaw'wal, 1427 H., Nov. 2006.
Vol. 79, Part X.


عدد ممتاز
الأزهر
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ذو القعدة ١٤٢٧هـ - ديسمبر ٢٠٠٦ - الجزء ١١، السنة ٧٩
ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
هدية العدد
رد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
على بابا الفاتيكان



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية

☎ ت: ٢٦٣٨٥٩٩٠

ذى القعدة ١٤٢٧هـ - ديسمبر ٢٠٠٦م - الجزء الحادى عشر - السنة التاسعة والسبعون





من واقعنا الثقافى



كُتب التراث عزيزة علينا، أو على الأقل عزيزةٌ على مَنْ فى طبقتى من معلمى اللغة العربية، فإذا لحتُ انحدارا شائناً فى نشرها اليوم، فأنا ألتاع لشىء عزيز علىّ، وهل يملك الملتاع إلا أن يصيح!

لا يكاد يمر يومٌ حتى نقرأ فى إعلانات الصحف عن كُتُب من التراث قام بنشرها قومٌ من الناس، ليس لهم فى هذا المجال قدمٌ راسخة، وتتعاظم الدهشة حين تكونُ هذه الكُتب قد نُشرت من قبلُ بتحقيق أفاضل من الباحثين الأصلاء، بذلوا نور العين فى قراءة ما تآكل من الحروف فى المخطوطات، ونور العقل فى توضيح ما أُبهم من العبارات، ومُدخر الجيب فى نفقة ما قُدّم من الأجزاء، ثم يأتى قارىء أىّ قارىء فيعمد إلى كتاب محقق مخدوم، فيعيد نشره مُرصّعاً الصفحة الأولى باسمه الكريم، وقد يُنشر الكتابُ الضخم فى أعداد تتوالى على مدار العام، وفى كل أسبوعٍ تظهرُ الأسماء الغاصبة فى إعلان عن الكتاب المغصوب، وكانَ ذلك أمرٌ طبيعىٌ لا اعتراض عليه، وأكثر ما نرى ذلك فى الكتب الدينية من تفسير وحديث وقصص أنبياء، لأن الناشر يعلمُ تكالب الجمهور المؤمن على اقتناء هذه الآثار، وأقول على اقتنائها لا قراءتها، إذ لو كانَ المشترى من ذوى الأصالة لآثر الكتاب المستقل بمجلداته المحققة من قبل، ولكنه يشترى حسبة فى الأجر، وطمعاً فى المثوبة. وقد ضحكتُ حين أخبرنى بعض هؤلاء أنه اشترى سلسلة بعض التفاسير، دون أن يدرى أن التفسير لديه قد اشتراه من سنوات! ويحارُ الآن ماذا يصنع بالوافد الجديد؟..



سيد المرصفى



أحمد أمين



المنفلوطى

أضواء الفجر

تشتد الحملةُ الظالمة على الكُتب التى صدرت فى منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لأن المطبعة العربية حين أُنشئت فى مصر منذ عهد محمد على، ولا أقولُ منذ الحملة الفرنسية حيث أن دورها حينئذ كان وقفاً على صُدور المنشورات، وطبع الأحكام العسكرية لا لتوزّع على الناس، بل لتلصق على الجدران، هذه المطبعة العربية أخذت تنشر كتب التراث فى نهم زائد، وقد ألفتْ جمعيةُ المعارف سنة ١٨٦٨، ومهمتُها نشرُ الكتب النافعة برياسة محمد عارف باشا، وطبعت لأول مرة طائفةً من الكتب الجيدة مثل: أسد الغابة لابن الأثير، وتاج العروس للزبيدى، وغيرهما، ثم تعددت المطابع ومن أشهرها مطبعة بولاق، فتوالى نشر مئات الكتب، منها ما يصدر عن الجمعيات العلمية وقد ذكرها جورجى زيدان بإفاضة، ومنها ما يقومُ به الأفراد، ومن هنا انهمر سيلٌ دافق من المؤلفات العلمية والأدبية، وبخاصة ما كان يُدرس فى الأزهر من الحواشى والشروح والتقارير! وطبيعى أن يكون النشر كما اتفق، فالتصحيحُ محدودُ الأثر، والأغلاطُ لا حدّ لها، ولكن وراء ذلك كله حركة علمية ساعدت على نشر المعارف، وأتت أكلها ضعفين، وأنا أسأل هؤلاء الذين يتجهّمون لهذا العهد، ويعدّونه عهد الوراقة نبزاً وتهجينا. أسأل هؤلاء. ماذا قرأ محمد عبده، والمنفلوطى، وسيد على المرصفى، وعبدالرحمن البرقوقى، وأحمد شاكر، وحسن السندوبى، ومحمد محيى الدين عبدالحميد من علماء الأزهر، وماذا قرأ محمد المهدى، والإسكندرى، وحفنى ناصف، ومحمد الخضرى، وعبدالوهاب النجار، وطنطاوى جوهرى، وأحمد إبراهيم، والجارم من نبهاء دار العلوم أو ماذا قرأ أحمد أمين، وعبدالوهاب خلاف، وأمين الخولى، وعبدالوهاب عزام، ومحمد أبوزهرة، وعلى الخفيف من علماء مدرسة القضاء الشرعى، أليست هذه الكتب (المنبوذة) هى التى أدّت دورها فى تكوين هؤلاء قبل أن يبزغ صُبح التحقيق، وكانَ العالم الأزهرى يُعيّن مصحّحا فى المطبعة ليُخرج الكتاب على قدر ما يستطيع، دُون أن يباهى بذكر اسمه فى الصفحة الأولى، وعلم الله كم تكبّد فى قراءة كلمة محرّفة أو مُراجعة نصّ مبتور، أو تصحيح بيت شعرى، حتى تم الكتابُ بأجزائه المتعددة، ولا تعلمُ عن



هذا المصحّح الفدائي شيئاً غير قوله في الآخر، «يقول مصححه فلان انتهى الكتاب بتوفيق الله في يوم كذا»، وأكثر القرّاء لا يلمّون بهذا السطر الضئيل، ولا يعرفون جهد من تكبّد وعانى وأرهق، بل إنّ الكتب الآن في الأصول والمنطق والتوحيد ما لا تزال الأوراق الصفراء في مستكنّها الهادئ فلا يجرأ أحدٌ على نشرها! ومَنْ ذا الذي يتطاول إلى نشر كُتب العصام، والكمال بن الهُمام، وعضد الدين الإيجي، والبيضاوي، والتفتازاني في علوم لم يعُد يتقنُها الآن أحد! بعد ذلك كله تجدُ من يذم عهد الوراقة، ويسب التجار الذين طبعوا العقد الفريد، والكشكول، والأغاني، وزهر الآداب، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والمستطرف لأوّل مرة منذُ مطلع هذا القرن وما سبقه! وبهذه المؤلفات وحدَها تثقّف من ذكرت من قبل من أعلام النهضة في الأدب الحديث! أذكر أنّ العلامة اللغوي الشهير الإمام محمد بن محمود الشنقيطي كان يُصحّح أجزاء المخصّص في حُجرة رطبة بمنزله المتواضع في شارع أمّ الغُلام خلف مسجد الإمام الحسين –رضى الله عنه–، وكان البرد يأكل صدره أكلاً والحجرة الباردة مبلّطة بالحجر الثقيل الذي تعهده في مساجد العصر المملوكي، ونور المصباح الزيتي الضئيل يأكل عينه، وقد ألحّ عليه السّعال ذات ليلة فانكفأ على الأرض، وجاء خادمه ليرفعه من مهبطه فلما استوى ناهضاً، قال بصوت يقطعه السّعال: أنا قتيلُ المخصّص، أنا قتيل المخصّص!! هكذا روى عنه تلميذه العلامة أحمد تيمور، وكم عانَى المصححون من أمثاله في إخراج هذه الكتب المتواضعة، وبدَل أن نذكُر نشاطهم بالتقدير، يصيح الصالحون، تجارة! وراقة! جهل! كأننا الآن في مطلع القرن الحادي والعشرين لا نقوم بالوراقة فيما تنشر من مُسلسلات التراث على نحو ما سيجيء!! على أنّي أصارح القارئ أنّ الكتاب الأوّل الذي يقرؤه الإنسان لأول مرة في طبعته المتواضعة، لا يُغني عنه خلفُه الذي ظهر في طبعة أنيقة، أذكر أنّ الأستاذ الجليل علي البجاوي –رحمه الله–، قد أهداني مشكوراً، كتاب (الاستيعاب لابن عبدالبر) في أجزائه الناصعة المحققة، وكنتُ قد قرأته في طبعته المتواضعة ذات الورق الأصفر، فعرفتُ مكانَ كلّ صحابيّ من الكتاب، فإذا رجعتُ إلى الاستيعاب آثرتُ النسخة الصفراء، لأنّي قرأتُها في صباي، وانطبعت في مخيلتي وقد أكونُ غريباً في هذا المنحى ولكنّه على غرابته واقعٌ ملموس! وماذا نستغرب من ذلك، ولدينا الآن من لا يقرءون كتاب الله، إلا في المصحف الذي حفظوا منه الكتاب الشريف لأوّل مرة، فهم يعرفُون موضع السورة، بل السطر، بل الكلمة، ويباهون بما يعرفون.

احمد تيمور

نور الصبح

ثم ظهر عهد التحقيق الحقيقي، بدأ به المستشرقون، فكانَ من همّهم جمعُ الأصول الكثيرة للكتاب الواحد، ومقارنة العبارات بعضها ببعض، والحرص على إثبات وجوه الخلاف في النسخ، وأنْ تكون النسخة القديمة تاريخيّاً هي الأصل الذي يُكتبُ في الأعلى، وفي الهوامش يذُكر



الخلاف، فيُقال في نسخة كذا هذا التعبير، وقد تتعدد النسخ، فتذكر الألفاظُ المختلفة دُون سأم، ويعيبُ هذا المسلك أمران، أنّ عبارة الأصل قد تكون واضحة الخطأ، ومع ذلك تكون هي المختارة، وأنّ بعض ما يُنصّ عليه في الهامش قد يكونُ ممّا لا معنى له، ومع ذلك ينصّ عليه، ويعدّون ذلك أمانةً دقيقة، والحقّ أن الأمانة الدقيقة لا تكونُ في رصيد ما وضح بطلانه، وفي التركيز على عبارة النّسخة القديمة مهما ظهر عوارها، والسببُ في ذلك كلّه أن المستشرق يفهم اللغة العربيّة من القواميس، وليس لديه الذوق العربي الذي يرجّح كلمةً على كلمة، كما أنّ حصيلته من العلوم المساعدة على التحقيق نحواً واشتقاقاً ومجازاً وكتابة تُعتبرُ مفقودة أو كالمفقودة، لكنّ الله قد هيّأ من أبناء العربية الأصلاء من أخذوا عن المستشرقين أحسن ما لديهم من الاستكثار من النّسخ المختلفة، ومُطابقتها، ومن إتقان ما ابتدعوهُ من الفهارس المختلفة، والملحقات الخاصة بالاستدراكات العلميّة وغيرها ممّا لا نفيضُ في تسجيله، ومن أجدر هؤلاء الأصلاء بالذكر الأستاذ عبدالسلام محمد هرون، فقد ظَهر ظهوراً جذّابا حين نشر كتاب الحيوان للجاحظ على نحو لم يُعهد من قبل في استكمال أدواته، وذلك لأن هذا المحقق رُزق علماً وبياناً وذوقاً، فهو في الناحية العلمية كان بصيراً بأوجه الترجيح، وفي الناحية البيانية كان ذا قُدرة على التمهيد في المقدمة، ودفع ما يُتوهم من الآراء غير الصحيحة ومن الناحية الذّوقية تجلّتْ نعمةُ الله عليه في الإخراج الجيّد تبويبا وعنونةً وترقيماً. ووضعاً لفهارس لم تُعهد من قبل في اللّغة والنحو والتاريخ، وشدة احتياط في اختيار ما يتناسبُ من الألفاظ المحدّدة، والعبارات القاطعة، وذلك جهدٌ جاهد لا يبلغه إلا الصفوة من طرازه!! وقد استحق الجائزة الأولى للنشر والتحقيق من مجمع اللّغة العربية عنْ جدارة واستحقاق!! أيدري القارئُ ماذا حصَل بعد ذلك كله؟ جاء وراقٌ في بيروت فكلّف من أخرجَ الحيوان في جزءين فقط، وقد اغتصب كلّ ما عاناه الأستاذ في تحقيق النّص ليقدّمه دُون هوامشه ومُلحقاته!! يقدّمه بعناوين الأستاذ وفواصله، دون ن يُشير إليه أدنى إشارة! وكأنه ينقلُ عن مخطوطة لم تعرف الضوء من قبل! والأعجبُ أن تنتشر هذه الطبعة، ويُكتبُ عليها اسم المحقق الجديد، دون إشارة ما إلى موضع الاغتصاب والانتهاب! لقد جاء هذا الدّعي إلى حديقة تعب صاحبها في إصلاحها وبذرها، وسُقياها حتى استوت ذات أثمار وأفنان، فقطف الفاكهة في عدّة أقفاص، ثم حملها إلى السوق وكأنه جناها من مزرعته!! فأيّ لصوصية تلك!!

وكتابُ الحيوان مثالٌ لعدّة أمثلة تتحاشد أمام العين، فأشيح عنها مغيظا، وقد عضضت على شفتي!! وإذا كنتُ قد أحسستُ بهذا الضيق الكارب، فأيّ معاناة يُكابدها من قام بالتحقيق كادحا باذلاً نور عينه، ودم شرايينه، وشحيح ماله، كي يحقّق كتاباً تَبّتت لديه جدواه! ثم يغتصبهُ من يتمسّح بالمعرفة، وهو منها براء!

هذا، وقد يقومُ باحث جامعي بتحقيق رسالة علمية عويصة تدورُ حول كتاب فلسفي من كُتب

المذاهب الفكرية المعقدة، فيصل ليله بنهاره باحثًا مجهدا، وهو يعلمُ أن رسالته ستناقش فى مجتمع فكرى يضمّ صفوة الأساتذة، فلا يهدأ له بال، حتى يُصدر رسالته فى أربعة مجلدات ضخمة، تحملُ اسم (تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستانى) وتجتمع اللجنة فى كلية أصول الدين برياسة الدكتور منصور فهمى باشا، وعضويّة الدكاترة: محمد البهى، ومحمد غلاب، ومحمود حب الله، ومحمود الخضيرى، ويقوم نقاشٌ فكرىّ خصب يقولُ عنه الأب قنواتى فى مجلة الرسالة (١٣/ ٨/ ١٩٤٦):



محمود جاب الله — محمد البهى

«ثمّ وقف الباحث (محمد فتح الله بدران) أمام المجلدات الأربعة يشرحُ موضوع رسالته، رابطَ الجأش، ويُجيب بهدوء عن الأسئلة التى وجهها إليه أعضاء اللجنة، وهى أسئلة دقيقة تنفذ إلى لبّ الموضوع، وتحاول تارة نقد منهج البحث، وتستفسر طورا عن بعض نتائج الرسالة فى حوار علمى بديع رزين أعاد إلى ذاكرتى تلك الرسالات التى تناقش فى أوروبا، ولكن هنا مع شىء من الظرف المصرى الذى لم يقلّل شيئا من جدّ المناقشة، بل يكسبها روحا شرقية لم أجدها فى الخارج، ثم قرّرت اللجنة منح الباحث، شهادة العالمية (الدكتوراة) مع لقب أستاذ من درجة ممتاز فى التوحيد والفلسفة». وقد رأى الباحث أن يَطبع المجلدات الأربعة كيلا يضيع جهده هباء، وفعلا قامت مطبعة دار الكتب المصرية وهى من أرقى المطابع بمصر، بإنجاز الرسالة بعد أن باعَ الرّجل قدراً من عقاره الأرضىّ ليستوفى النفقات، وخرجت المجلدات الأربعة كاسية حالية، ثم ماذا؟ نُفاجأ بعد سنوات بظهور كتاب (الملل والنحل) فى جزءين مجردا من هوامشه وشروحه كدأبك فيما صُنع بكتاب الحيوان، ومنسوبا إلى باحث لا يعرفُ عنه أدنى اشتغال بعلوم الفلسفة، والكلام!! وأقول باحث وأنا أضحك متهكما! لأن المغتصب لا يكون باحثا!

أنا أعلم أن الضرورة العلمية قد تدعو إلى نشر تحقيق آخر لكتاب حُقق من قبل، إذا كانَ هناك من وجهات النظر ما يسمح بإعادة التحقيق، والجاحظُ لا يزالُ موضوعَ البحث، فقد رأتْ وزارة المعارف المصرية أن تضع بين أيدى الطلاب فى المدارس الثانوية كتابَ (البخلاء للجاحظ) وندبت لذلك عالمين كبيرين من رجالها المرموقين، هما الأستاذان الجليلان أحمد العوامرى وعلى الجارم، وناهيك بهما، فقاما بالعمل الجاد وفى ذهنهما أن التلميذ سيقرأ الكتاب، فلا بد أن يخلو مما تبذّل به الجاحظ حين ساقَ بعض قصص اللهو والعبث، كما أنّ التلميذ فى حاجة إلى إعراب بعض الكلمات، وبيان أوجه البيان فيما اشتمل عليه النّص من مجاز، فقاما بإيضاح ذلك للطالب الناشىء، وقد رأى

الدكتور طه الحاجرى بعد سنوات أن يُخرج البخلاء دُون حذف، وأن ينشره نشراً لا يلتفت إلى حاجة الطالب العلمية، وقد اعترف بما قام به الأستاذان من جهد مشكور، وقال: «إن مدرسيّة هذه الطبعة فرضتْ على الأستاذين إسقاطَ بعض النصوص فيها. وقد قالا فى ذلك «إذا كان من المزمع أن تتداول هذا الكتاب أيدى شبابنا رأينا من الخير أن نتجاوز ما عسى أن يمس الحياء، كما عدلنا عمّا يبلغ صفحة أو ما فوقها مُبعثراً هنا وهناك مما شوّهه التحريف وتعاصت تجليته». لذلك جاء عمل الدكتور الحاجرى مكمّلا، وذا جهد تال فى مراجعة المخطوطات، ومقارنة قراءاتها، وقد اعتمد على مخطوطات لم تُعرف من قبل، وهو فى ذلك كله أمينٌ مأمون، وقد قدم الكتاب ببحث ضاف عن أدب الجاحظ كان نصيبه من الابتكار والاستنباط مما يحمد ويروق، فهل يجوز أن نقول إن الحاجرى قد اعتدى على غيره؟ كلاّ!!

مثال معيب

كانَ الدكتور أحمد عزت راجح يدرّس لنا أصولَ علم التربية بالمعهد العالى للتربية بالاسكندرية، وهو أيضا مؤلف كتاب (علم النفس الجنائى) لذلك كان يسبح معنا فى أمور تتعلق بالجريمة والإجرام، وأذكر مما قاله أنّ المذنب مهما اجتهد فى إخفاء جريمته، فلا بد أن يلوح أثرٌ منها إذا تمّ البحث الجنائى على أكمل أموره، وأخذَ يضرب أمثلة لبعض القضايا التى تؤكد وجهته، وقد تذكرتُ هذا القول بعد مدى نصف قرن، إذ كانَ ذلك فى سنة ١٩٥٠م، حين وقفتُ أمام سطو شائن لدكتور قال عن نفسه إنه أستاذ التاريخ الإسلامى بالجامعة اللبنانية أو عضو الهيئة الاستشارية للمنشورات التاريخية فى اتحاد المؤرخين العرب!! هذا الدكتور وليعذرنى أخى الشاعر الكبير الأستاذ عبداللطيف عبدالحليم إذا جعلته ممن عناهم فى مقاله الموجع «طوفان الدكتوراة إلى أين؟ المنشور بعدد يناير سنة ٢٠٠٠ من مجلة الهلال، هذا الدكتور قد سطا على عمل مكتمل للأستاذ المحقق الدءوب الأديب محمد محمود حمدان فاغتصبه ونسبه إلى نفسه، وحاول أن يخفى معالم السطو، فأشار إلى مخطوطات ومنشورات مطبوعة زعم أنه رجع إليها، ولم يُشر قطّ إلى الكتاب المغتصب، وكأنه كان يحسّ بلذع النار سلفا تلقاء سطوه، فآثر أن يتجاهل ما اغتصبه اغتصابا لا شبهة فيه، وقد كتب الأستاذ حمدان بياناً مفصّلا يوضح هذا السطو بما لا يقبلُ الجدل، ولكنى أدَعُ هذا البيان، لأعود إلى كلمة الدكتور أحمد عزت راجح الخاصة ببقاء أثر شاهد يدلّ على الجرم مهما حاول صاحبه الحذر، ذلك أن الباحث نشر نموذجا من المخطوطة التى ادّعى أنها أصل لتحقيقه، ولم يأخذ هذا الأصل من النسخة المشار إليها، ولكنّه أخذه من كتاب المغازى الذي حققه الأستاذ حمدان؟ أما دليل الأخذ فأمرٌ لم يخطر للآخذ على بال، ذلك أنه كان بالصفحة المأخوذة شطب فى الأصل صححه الأستاذ حمدان بفراسته فى كلمتين خطهما بقلمه، وجاء صاحبنا فنقل النموذج، وبه



خط الأستاذ ولفظتاه اللتان اهتدى إليهما ! ! فإذا كان الباحث لم ير كتاب حمدان ، وإذا كان كل تعلقاته المسروقة من باب توارد الخواطر ؟ فمن أين أتى بهذا النموذج ؟ وهو لا يوجد إلا فى طبعة حمدان التى تجاهلها ما استطاع ! والدكتور السارق يقول عن نفسه : «أنه طالب العلم العبد الفقير إلى الله تعالى الطرابلسى مولدا وموطنا» والعبد الفقير إلى الله لا يتسم بالسطو الأثيم إلا سيما من كتاب يتحدث عن مغازى رسول الله ﷺ ! أفما كان جلال الموضوع ، وعظمة المتحدث عنه مما يبعث الخشية فى نفس طالب العلم العبد الفقير ! فيا حُمرة الخجل لِمَ لا تكسين الوجوه ! ويا عَرق الحياء لِمَ لا تتساقط من الجبين !

ظن واهم

يظن بعض الناس أن التحقيق أيسر سبيلا من التأليف ، وقد أجادوا ما يتعلق بالشكل دون الجوهر ، ففهارس الأعلام وفهارس الآيات القرآنية ، وفهارس الأحاديث النبوية ، وفهارس الأماكن .. كل ذلك يأخذ وضعه المطمئن ، وقد يشمل أكثر من خمسين صفحة ! أما النص نفسه فلا قبل للمحقق به ، ولعله ظن أنه غير مسئول عنه ، لأنه من كلام المؤلف ، ومن العجيب أن الأستاذ الذى لا مَغمز فى علمه ، ولا مطعن فى ثقافته ، قد يتجاسر على تحقيق كتاب ليس فى مجال تخصصه المعروف ، فيكبو كبوات متعددة ، ونحن لا نجد بين الأحياء فى تاريخنا المعاصر اسما ثقافيا لامعا كاسم الدكتور عبدالرحمن بدوى إلا أنه دخل فى غير بابه ، فحقق كتاب «الإشارات الإلهية» لأبى حيان التوحيدى تحقيقا كثر فيه الغلط الواضح حتى خصه الأستاذ المحقق السيد صقر ببضع مقالات فى مجلة الثقافة كلها حق صريح ! أما كان الأجدر بفاضل مثله أن يترك أبا حيان لمن ألفوا التراث العربى وعرفوا مطارح التوحيدى ، وأقاصيه النائية ، لقد كان الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين يقضيان أياما طوالا فى فهم عبارات التوحيدى ، وقد قال الأستاذ أحمد أمين فى مقدمة ديوان الزين : «كان رحمه الله -أحمد الزين- يحمل عنى أكبر العبء -فى تصحيح كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان- ولست أنسى يوما وقد وقفنا فى عبارة نحو أسبوعين لم نعرف تصحيحها ، وهى عبارة أبى حيان عن ابن مسكويه (كان غبيا بين أنبياء) فوقفنا فيها حتى جاء الزين يوما فرحا وقال إنى وجدت حلها ، وهى أنه (كان عييا بين أبيناء) فشكرته على اكتشافه ، وهنأته بحسن توفيقه ، ومثل هذا عشرات من الكلمات» .

أحمد أمين وأحمد الزين يقفان أمام عبارة واحدة أسبوعين كاملين ، حتى يهتدى إلى تصحيحها أحدهما ، فيُشكر على اكتشافه ، وتقدم له التهانى ! وفى الوراقين من يحقق الكتاب اليوم فى أسبوع ! وهو مغصوب

عود على بدء



عبدالسلام هرون

ولنا أن نتساءل عن هذا الفيض الدافق مما يعلن عنه فى الصحف من كتب التراث التى تعددت طبعاتها من قبل ، والتى أخذت تظهر بأسماء جديدة لا تعرف لها سابقة فى النشر الجاد ؟ فهل فتح الباب على مصراعيه لكل هيئة نشر فى صحيفة ، لها قسم خاص بالطبع والتوزيع كى تغفل حقوق القارىء فى الانتفاع بالجديد ، وحقوق الراحلين من الذين حققوا الكتاب للمرة الأولى ، وأصبح لورثتهم الحق فيما يجنى من كسب متواصل ، أما يوجد فى كل إدارة مفكر أمين ، يعرف أن ما لم ينشر فى المخطوطات أضعاف ما نشر ، وأن دار الكتب بالقاهرة ، وحدها تضم من كتب التفسير والحديث وتاريخ الصحابة ما يضيف الجديد للمكتبة العربية إذا نشر وذاع ! ألا يعلم القائمون على نشر أمثال تفسير الألوسى ، والقرطبى ، والطبرى ، من المشهورات أن فى مخطوطات التفسير بالقاهرة نفائس يشتاق إليها الدارسون وفى إذاعتها ثراء للمكتبة الإسلامية !؟ ولكن المنطق التجارى يمنع هذا الاتجاه ؟ فالمخطوط فى حاجة إلى محقق ناضج ، وعناء متصل فى المراجعة والتوثيق ، وذلك يتطلب جهداً ماليا لا يرى أصحاب المنطق التجارى أن يبذلوه ، ما دام البديل ناهضا ؟ وما دام النشر فى عُرف هؤلاء .. هو إعادة طبع ما لا يحتاج إلى تغيير إلا فى اسم الدار الطابعة ، ومن يلصق اسمه بالكتاب على أنه محقق ! أما الكارثة الكبرى فهى أنه تشبع رغبات السذج من القراء بنشر كتب تتعلق بالحساب واليوم الآخر حينا ، أو بالمعجزات الأسطورية حينا آخر ، أو بالحديث عن كرامات أناس خُلقت لهم المناقب خلقا ، دون تمحيص ! وهنا تساعد فى انتشار الغفلة الضالة ، وتبعد المسافة بين قارىء اليوم وما يتطلبه عصره ، رجوعا إلى عصور التقهقر الفكرى والجمود العقلى ، وبعداً عن الإسلام فى مفهومه الصحيح ، وقد سمعنا كلاما يتعلق بحماية حق المؤلف ، ومعاقبة من يتجرأ على انتهاك هذا الحق ، ولكن أين التنفيذ ؟

من المحقق ؟

أتى على التحقيق فى البلاد العربية حينٌ من الدهر كان المحقق فيه نظيراً للمؤلف ، يؤيده ويعارضه ، ويكتب فى الهوامش ما يُعد كتابا آخر ، فكان من مفخرة هذا العصر ، أن يكون سيد بن على المرصفى قريع البرد فى كامله وأن يكون عبدالعزيز الميمنى نظيرا لأبى على القالى فى أماليه ، وأن يكون محمد على النجار قريع ابن جنى فى هوامشه على الخصائص ، وأن يكون عبدالسلام هرون نظيرا لعبدالقادر البغدادى فى تعليقاته على الخزانة ، أما ابن سلام الجمحى ، فقد جلس القرفصاء فى السطور الأولى بالصفحات المتخمة بتحقيقات محمود شاكر فى طبقات فحول الشعراء ، ويالها ! فليت شعرى أيجود الزمان بأمثال هؤلاء ؟

اقرأ على الوشل السلام وقل له .. كل المشارب قد هجرت ذميم

د . / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الآيات: ١١٨)

قال الفخر الرازى ما ملخصه: «اختلفوا فى الذين نهى الله المؤمنين عن مخالطتهم من هم؟. قيل: هم اليهود، لأن بعض المسلمين كانوا يشاورونهم فى أمورهم ويؤانسونهم لما كان بينهم من الرضاع والحلف. وقيل: هم المنافقون، وذلك لأن بعض المؤمنين كانوا يغترون بظاهر أقوالهم فيفشون إليهم الأسرار، والصحيح أن المراد بهم جميع أصناف الكفار، والدليل عليه قوله ـ تعالى ـ:

﴿ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾

فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من غير المؤمنين، فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار»(١).

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص٢١٠.



والبطانة فى الأصل: داخل الثوب، وجمعها بطائن. قال ـ تعالى ـ:

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤]

وظاهر الثوب يسمى الظهارة، والبطانة ـ أيضا ـ الثوب الذى يجعل تحت ثوب آخر ويسمى الشعار، وما فوقه الدثار، وفى الحديث «الأنصار شعار والناس دثار».

ثم أطلقت البطانة على صديق الرجل وصفيه الذى يطلع على شئونه الخفية تشبيها ببطانة الثياب فى شدة القرب من صاحبها. قال الشاعر:

أولئك خلصانى نعم وبطانتى
وهم عيبتى من دون كل قريب

وقوله: ﴿ مِّن دُونِكُمْ ﴾ أى من غير أهل ملتكم.

والمعنى: لا يجوز لكم ـ أيها المؤمنون ـ أن تتخذوا من غير أهل ملتكم أصفياء وأولياء تلقون إليهم بأسراركم التى لا يصح لكم أن تطلعوهم عليها، لأنكم لو فعلتم ذلك لأصابكم الضرر فى دينكم ودنياكم.

قال القرطبى: «نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم فى الآراء ويسندون إليهم أمورهم. وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». وقيل لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: إن ههنا رجلا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنك؟. فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين».

ثم قال القرطبى ـ رحمه الله ـ: قلت: وقد انقلبت الأحوال فى هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء، وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء. روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه. وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه، والمعصوم من عصمه الله»(٢).

وصدر ـ سبحانه ـ النداء بوصف الإيمان، للإشعار بأن مقتضى الإيمان يوجب عليهم ألا يأمنوا من يخالفهم فى عقيدتهم على أسرارهم، وألا يتخذوا أعداء الله وأعداءهم أولياء يلقون إليهم بالمودة، وألا يطلعوهم على ما يجب إخفاؤه من شئون وأمور خاصة بالمؤمنين وقوله: ﴿ مِّن دُونِكُمْ ﴾ يجوز أن يكون صفة لبطانة فيكون متعلقا بمحذوف، أى لا تتخذوا بطانة كائنة من غيركم. ويجوز أن يكون متعلقا بقوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا ﴾ أى

(٢) تفسير القرطبى جـ٤ ص١٧٨ بتلخيص.

لا تتخذوا من غير أهل ملتكم بطانة تصافونهم وتطلعونهم على أسراركم.

ثم ذكر - سبحانه - جملة من الأسباب التى تجعل المؤمنين يمتنعون عن مصافاة هؤلاء الذين يخالفونهم فى عقيدتهم فقال فى بيان أول هذه الأسباب:

﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾

وأصل «الألو»: التقصير. يقال: ألا فى الأمر - كغزا - يألو ألوا وألوا، إذا قصر فيه، ومنه قول امرىء القيس:

وما المرءُ ما دامت حشاشة نفسه
بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

أراد: ولا مقصر، وهو - أى الفعل «يألو» من الأفعال اللازمة التى تتعدى إلى المفعول بالحرف، وقد يستعمل متعديا إلى مفعولين كما فى قولهم: لا آلوك نصحا، على تضمين الفعل معنى المنع. أى لا أمنعك ذلك.

والخبال: الشر والفساد. وأصله ما يلحق الحيوان من مرض وفتور، فيورثه فسادا واضطرابا. يقال خبله، وخبّله فهو خابل. والجمع الخبل. ورجل مخبل إذا أصيب بمرض أورثه اضطرابا وفسادا فى قواه العقلية والفكرية.

والمعنى: أنهاكم - أيها المؤمنون - عن أن تتخذوا أولياء وأصفياء لكم من غير إخوانكم المؤمنين، لأن هؤلاء الأولياء من غير إخوانكم المؤمنين، لا يقصرون فى جهد يبذلونه فى إفساد أمركم، وفيما يورثكم شرا وضرا. أو لا يمنعونكم خبالا، أى أنهم يفعلون معكم ما يقدرون عليه من الفساد ولا يبقون شيئا منه عندهم، بل يبذلون قصارى جهدهم فى إلحاق الضرر بكم فى دينكم ودنياكم.

وقوله:

﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾

جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى اجتنابهم. أو صفة لقوله: ﴿ بِطَانَةً ﴾.

وقوله: ﴿ خَبَالًا ﴾ منصوب على أنه المفعول الثانى ليألونكم لتضمينه معنى يمنعونكم.

ويصح أن يكون منصوبا بنزع الخافض، أى لا يقصرون لكم عن جهد فيما يورثكم شرا وفسادا.

أما السبب الثانى الذى يحمل المؤمنين على اجتناب هؤلاء الضالين فقد بينه - سبحانه - بقوله: ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾.

وقوله: ﴿ وَدُّوا ﴾ من الود وهو المحبة. يقال: وددت كذا أى أحببته.

وقوله: ﴿ عَنِتُّمْ ﴾ من العنت وهو شدة الضرر والمشقة. ومنه قوله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

أى لأوقعكم فيما يشق عليكم.

و﴿ مَا ﴾ فى قوله: ﴿ مَا عَنِتُّمْ ﴾ هى ما



المصدرية. أى: أن هؤلاء الذين تصافونهم وتفشون إليهم أسراركم مع أنهم ليسوا على ملتكم، بجانب أنهم لا يألون جهدا فى إفساد أمركم، فإنهم يحبون عنتكم ومشقتكم وشدة ضرركم، وتفريق جمعكم، وذهاب قوتكم.

فالجملة الأولى وهى قوله:

﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾

بمنزلة المظهر والنتيجة، وهذه، أى قوله - تعالى -:

﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾

بمنزلة الباعث والدافع.

فهم لا يودون للمسلمين الخير والاطمئنان والأمان، وإنما يودون لهم الشقاء والشرور والخسران. وليس بعاقل ذلك الذى يطلع من يريد له الشرور على أسراره ودخائله.

وأما السبب الثالث الذى يدعو المؤمنين إلى اجتنابهم فقد بينه الله - تعالى - بقوله:

﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾

والبغضاء مصدر كالسراء والضراء، وهى البغض الشديد المتمكن فى النفوس، والثابت فى القلوب.

أى: قد ظهرت أمارات العداوة لكم من فلتات ألسنتهم، وطفح البغض الباطن فى قلوبهم لكم حتى خرج من أفواههم، ولاح على صفحات وجوههم، وقد قيل: كوامن النفوس تظهر على صفحات الوجوه وفلتات اللسان. ومع هذا فإن ما تخفيه نفوسهم المريضة لكم من أحقاد وإحن، أكبر مما نطقت به ألسنتهم من بغضاء، إذ أن ما نطقوا به إنما هو بمثابة الرشح الذى ظهر من مسام أجسادهم وقلوبهم، أما ما يبيتونه لكم من شرور وآثام فهو أكبر من ذلك بكثير.

وخص الأفواه بالذكر دون الألسنة: للإشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم فى أقوالهم الباطلة، فهم أشد جرما من المتستر الذى تبدو البغضاء فى عينيه.

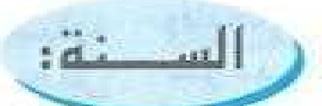
ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة ببيان مظهر من مظاهر فضله على المؤمنين، حيث كشف لهم عن أحوال أعدائهم، وعن سوء نواياهم وعن الأسباب التى تدعو إلى الحذر منهم فقال - تعالى -:

﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

أى: قد بينا لكم العلامات الواضحات، والآيات البينات التى تعرفون بها أعداءكم، وتميزون عن طريقها بين الصديق وبين العدو، إن كنتم من أهل العقل والفهم.

والمقصود من الجملة الكريمة حضهم على استعمال عقولهم بتأمل وتدبر فى هذه الآيات التى بينها الله لهم فضلا منه وكرما، وحتى لا يتخذوا بطانة من غير إخوانهم فى العقيدة والدين.

وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: إن كنتم تعقلون ذلك فلا تباطنوهم ولا تفشوا لهم أسراركم.



الرشوة فى الحكم كفر وهى بين الناس سحت

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى مسلم -بسنده- عن أبى حُميد الساعدى قال: «استعمل رسول الله (ﷺ) رجلاً من الأسد يقال له: ابن اللتبية، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدى لى، قال: فقام رسول الله (ﷺ) على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا لكم وهذا أهدى لى؟! أفلا قعد فى بيت أبيه أو فى بيت أمه، حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟! والذى نفس محمد بيده لاينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت» مرتين

صحيح مسلم / كتاب الإمارة/ باب تحريم هدايا العمال برقم ١٨٣٢.

التعريف بالراوى

هو أبو حميد الساعدى الأنصارى المدنى، قيل: اسمه عبدالرحمن، وقيل: المنذر بن سعد، أحد فقهاء أصحاب النبى (ﷺ)، روى عنه جابر بن عبدالله، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد وغيرهم، توفى سنة ستين، وقيل: توفى سنة بضع وخمسين (رضى الله عنه).

اللغويات

الأسد: ويقال له الأزد، أى: أزد شنوءة.



رغاء: الرغاء والرّغو/ الصوت والضجة، والمراد: صوت البعير.

خُوار: صوت البقر والثيران.

تيعر: تصيح، واليعار: صوت الشاة.

عفرتى إبطيه: العُفْرة/ بياض تخالطه حمرة، والمراد هنا/ بياض إبطيه.

الشرح والبيان

روى الإمام أحمد أن رسول الله (ﷺ) قال: «لعن الله الراشى والمرتشى والرائش بينهما»(١)، فما الرشوة؟ هى ما يؤخذ بدون عوض ويعاب آخذه، ويرى آخرون أن الرشوة كل مال دفع ليبتاع به من ذى جاه عوناً على ما لايحل، أو ما يعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل، والمرتشى: قابض الرشوة، والراشى: معطيه، والرائش: الواسطة بينهما. والجميع يشترك فى تحقق اللعنة من قبل الله تعالى؛ تنفيراً للناس من الوقوع فى هذه الجريمة الشنعاء التى تنتشر فى المجتمع البغضاء والفساد، ومن ثمّ جاء التحذير الإلهى. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة ١٨٨)

والمعنى: لا يأكل بعضكم أموال بعض بطريق غير شرعى، كالسرقة والغصب وما إلى ذلك، ولاتقدموها رشوة إلى الحكام، لتأكلوا عن طريقهم طائفة من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون مذنبون.. هذا ومن عجب أن بعض الناس يقدمها للمسئولين ومن بيدهم مصالح الناس فى صورة هدية. وأود أن أبين أن الذى يُهدى لايخلو أمره. إما أن يقصد بهديته ودّ المُهْدَى إليه أو عونه أو ماله، فإن قصد وده فذلك أمر حسن، ولا غبار عليه، لأن قصد المهدى -فى هذه الصورة- استجلاب المودة والمعرفة والإحسان.. أما إن قصد عونه، فإن كان على معصية -فلا يحل، وتلك رشوة، لأن قصده التوصل إلى إبطال حق، أو تحقيق باطل، وإن كان على طاعة فذلك أمر مستحب، وإن كان على أمر جائز فجائز، أما إن قصد أن يهدى إليه المهدى إليه هدية أغلى وأقيم من هديته- فهو مستكثر، وذلك من قبيل الجور، لكن إن قصد المكافأة فهو معاوض.

فيا أخا الإسلام لاترتكب الحرام وتفعل المحظور، وتقول: إن لم أفعل تعطلت مصالحى، وتوقفت أعمالى، وقد اعتاد الناس ذلك، فإن فى الحلال غنى عن الحرام، وما كان لك سوف يأتيك،

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمى ٤/١٩٨، ١٩٩، مسند الإمام أحمد.

فلا تستسلم لوساوس الشيطان وهواجس العصيان، واعلم أن قليلاً جمعته من حلال خير من كثير جمعته من حرام؛ لأن الطيب الحلال مبارك فيه، أما الكثير الذى جُمع من حرام فمنزوع البركة يُورد صاحبه موارد التهلكة، والقليل من الحلال يربطك بالله، ويرد عنك غوائل الزمن، ويفتح لك أبواب الجنان، ويجلب لك من الله الرضوان، أما الحرام الخبيث فإنه يقسى القلب، ويبلّد الحسّ، ويُبعد عن الله ويُظلم النفس، ويُنسى الإنسان ما له من إنسانية، وماينبغى أن يكون عليه من رحمة، يقول ﷺ: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، فوالذى نفسى بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين ليلة، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به»[٢].

حقاً إن فى المال بريقاً يلمع، وسراباً يغر ويخدع حتى يظن ضعاف النفوس أن المال غاية، وأنه فى حياتهم كل شىء، يجمعونه من قنوات غير شرعية، ومن طرق خبيثة دنيئة لايرضى عنها دين، ولا تقرها إنسانية، ولو كُشف الغطاء عن قلوبهم المحجوبة لعلموا أن المال عرض زائل، وعارية مستردة، وأنه اليوم فى أيديهم، وغداً فى أيد أخرى، وإذا كان رب العالمين يقول:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(الكهف: ٤٦)

فقد نبهنا فى ختام الآية إلى أن وراء هذه الزينة ما هو خير وأنفع، حيث يقول سبحانه:

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف ٤٦)

فهؤلاء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويستلبون منهم دنياهم بغير حق تحت ستار من أعمالهم، وفى حماية من وظائفهم يمقتهم الإسلام، ويتوعدهم بالعذاب الشديد والعقاب الأليم، لأن الاستيلاء على المال بهذه الطريقة يضيّع الحقوق، ويشوّه معالم العدالة، ويجعل الأمر فوضى، ويغيّر القيم فى نفوس الناس، وها هوذا المعلم الأول فى هذه الأمة، وطبيبها الأوحد محمد (ﷺ) الذى يداوى الجروح، ويعرف كيف تُقاد النفوس إلى الخير، وكيف تُهدى إلى سواء السبيل، يلقى على أصحابه وعلى أمته والناس أجمعين درساً نافعاً، وموعظة بليغة تنير الطريق، وتهدى السائرين فى موكب الحياة، روى

(٢) مجمع الزوائد للهيثمى ١٠/٢٩٥.



البخارى (رحمه الله) -بسنده- عن أبى حميد الساعدى (رضى الله عنه) أن النبى (ﷺ) استعمل ابن اللتبية على صدقات بنى سليم، فلما جاء إلى رسول الله (ﷺ) وحاسبه قال: هذا الذى لكم، وهذه هدية أهديت لى، فقال رسول الله (ﷺ): «فهلا جلست فى بيت أبيك، وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً! ثم قام رسول الله (ﷺ) فخطب الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنى استعمل رجالاً منكم على أمور مما ولانى الله، فيأتى أحدكم فيقول: هذا لكم، وهذه هدية أهديت لى، فهلا جلس فى بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً! فوالله لايأخذ أحد منها شيئاً -قال هشام: بغير حقه- إلا جاء اللهَ يحمله يوم القيامة، ألا فلأعرفن ما جاء اللهَ رجل ببعير له رغاء، أو ببقرة لها خُوار، أو شاة تيعر -ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه- ألا هل بلغت؟».

صلوات الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله، لقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، وكنت للأمة خير مرشد، وخير ناصح أمين، وقد اقتدى بك أئمة أعلام، وولاة شرفاء، عفوا وكفوا، وجعلوا بينهم وبين الحرام سدوداً وحواجز، بل عفوا وكفوا عن كل ما يتوهمون فيه شبهة، حتى تبرأ نفوسهم، وتطمئن ضمائرهم، وقامت معاملاتهم على الدين الحق، والخلق، والضمير، فكان الواحد منهم يؤثر أن يموت جوعاً على أن تتلوث يده بخبيث، أو يتدنس بدنه بمحرم؛ لأنه يرى أن عذاب ربه لايفلت من قبضته إنسان، فكان كالطير الحذر، قال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): كنا ندع تسعة أعشار الحلال؛ مخافة الوقوع فى الحرام.. ولقد ورد أن عقيل ابن أبى طالب طمع فى أن يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً زائداً على عطائه، فحدث أخاه على بن أبى طالب (رضى الله عنه) فى هذا، فقال له: إذا كان المساء فائتنى، يقول عقيل: فجئت إليه يقودنى بعض ولدى -وكان شيخاً كبيراً كف بصره- فأمر على أن يُنحّى ولده، ثم قال: فدونك فخذ، يقول عقيل: فهويت على ما أمامى، لفرط الجشع، أحسبه صرة، فإذا حديدة محماة تلتهب ناراً، فلما قبضتها نبذتها، وخرت كما يخور الثور بين يدى جازره، فقال لى على (رضى الله عنه): ثكلتك أمك، أكل هذا من حديدة قد أوقدت لها نار الدنيا؟ فكيف بى وبك غداً إن سلكنا فى سلاسل جهنم؟! ثم تلا قوله تعالى:

﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١)
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾

(غافر ٧١، ٧٢)

ثم قال: ليس لك عندى -فوق حقك الذى اقترض لك إلا ما ترى... ومع هذا فلم يمن الخليفة علىّ على الناس بأنه حقق المساواة، ولم يميز أقرب الأقربين إليه على غيرهم من عامة الناس، بل أعلن على الملأ أن المال مال الله، وأن أمير المؤمنين ليس له فى مال المؤمنين أكثر من غيره، إنه الحارس الأمين على مال الله، يضعه حيث شاء الله، فكان يقول: (لو كان المال مالى لسويت بينهم، فكيف والمال مال الله؟).

وهكذا إخوة الإسلام، حين يقوى سلطان المال فى النفوس، ويستشعر المسلم رقابة الله عليه فإنه ينفر من الحرام أشد النفور، ويفر منه أشد الفرار... أما الذين يقبلون الرشوة تحت اسم الهدية فيحاسبهم الله حساباً عسيراً، ويعاقبهم عقاباً أليماً، ويفضحهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد.

أحبتى فى الله، ما أحوج الناس - وخصوصاً من آتاهم الله لوناً من السلطان، وحظاً من الولاية على العباد أن يغرسوا فى نفوسهم الثقة بالله (عز وجل) المتكفل بالأرزاق! الذى يحب من عبده أن يطهر مطعمه، ويطيب قوته، يقول فرات بن مسلم: اشتهى عمر بن عبدالعزيز التفاح، فلم يجد فى بيته شيئاً يشترى به، فركبنا معه، فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح، فتناول واحدة فشمها، ثم رد الأطباق، فقلت له فى ذلك: فقال: لا حاجة لى فيه، فقلت: ألم يكن رسول الله (ﷺ) وأبوبكر وعمر يقبلون الهدية؟ فقال: إنها لأولئك هدية، وهى للعمال بعدهم رشوة.

هكذا أيها الإخوة نجد أن فى الرشوة مغضبة للرب، ومجلبة للعذاب، وأنها تؤدى إلى الهلاك والخسران، وكيف لا؟! وهى تفسد المجتمع، حكاماً ومحكومين، وتنشر الظلم، وتضيع الحقوق، وتجلب اللعن من الله ورسوله، وأشد من ذلك تجلب العار والهزيمة، وتجلب النار وغضب الجبار.

وقد رأينا كيف كان السلف الصالح، والرعيل الأول ينفرون منها، ويذمون فاعلها، واليوم تغيرت الأحوال، وتبدلت الأوضاع، وتبدلت القيم فى نفوس الناس، فما أبعد المسافة بين شريعتنا وسلوكنا! فما يأمرنا به الدين شىء، وما نحن عليه -من خراب الذمم، وفساد الخلق، وضعف الإيمان، ووهن العقيدة، والتنافس البغيض على ماديات الحياة - شىء آخر حتى أصبح المؤمن الملتزم المتمسك بدينه، الشريف العفيف - غريباً من أسف فى مجتمع الإيمان والقرآن من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما كان النبى (ﷺ) يخشاه

على أمته، فقد كان يقول: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم)[3]، وكان ﷺ يقول: (من أصاب مالاً من مهاوش أذهبه الله فى نهابر)[4] -رواه ابن النجار عن أبى سلمة الحمصى، والمهاوش / المظالم، والنهابر / المهالك (نسأل الله العافية).

فلا عجب والحال هذا أن يقول عبدالله ابن مسعود (رضى الله عنه): (الرشوة فى الحكم كفر، وهى بين الناس سحت).. أما ما يعطى توصلا إلى أخذ حق، أو دفع ظلم.. فغير داخل فى الرشوة، ويجب على المرتشى رد الرشوة، كالذى يدفعه الرجل -على سبيل المثال- إلى ولى المرأة؛ ليزوجه إياها، فإن دفع له وزوجه إياها، فإن للزوج أن يسترد ما دفعه، حتى وإن مات الولى، لأنه رشوة، ولو مات المرتشى وعلم الوارث أن ما تركه من الرشوة -فإنه لايحل له أخذه، وإن لم يعلم عين الرشوة، فإن له الأخذ حكماً، ويتصدق به بنية الخصماء، وإن ارتشى القاضى رد قضاؤه. فإن ارتشى أحد أعوانه ليعين المرتشى ولم يعلم القاضى نفذ قضاؤه وعلى القابض ردّ ما قبضه، ويأثم الراشى؛ لأن الرشوة من الكبائر التى ينبغى أن يتنزه عنها، ولذلك كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الخليفة الأواب الناطق بالصواب، الذى وافق حكمه حكم الكتاب يقول لولاته: «إنكم -أيها الرهط الأمراء- جلستم على عيون المال تأخذون منه لأنفسكم، وتجمعون لأبنائكم، أما إنكم تأخذون النار، وتورثون العار».

وقد روى الطبرانى أن رسول الله (ﷺ) قال: (الرشوة فى الحكم كفر).. والمراد: أنه كفر دون كفر، يعنى: لايخرج عن الملة.

هذه هى تعاليم ديننا، وآداب نبينا المستمدة من كتاب ربنا، فينبغى أن نعمل بها، وأن ننتهجها فى سلوكنا، لننجو من النار، ونفوز بالجنة والرضوان، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمى فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

***

(٣) مسند الإمام أحمد ج١ ص ١٣٧.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ ص ٢٧٢.

الإسلام لم ينتشر بحد السيف

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، صراع قديم منذ بدأ الله الخلق وسيظل هذا الصراع قائماً إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ولو طالعنا تاريخ البشرية لبان لنا أن الأديان منذ آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم قد تعرضت لمعارك كثيرة لدفع عدوان قوى الشر والطغيان عليها إلا أنها صمدت وزادت عن عقيدتها للوصول إلى الهدف منها وهو نشر العدل وتحقيق السلام والأمن للبشرية جمعاء ولم يسلم من هذه المعارك عقيدة من العقائد السماوية ولا دين منها.

ولكن قوى الباطل والشر لم تدع هذه العقائد ولا تلك الأديان لتنتشر وتؤدى رسالتها فى نشر الأمن والسلام بين ربوع المعمورة وتنشر الأمن والسلام والتعايش السلمى والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ولذلك وقفت فى طريق الدعوة ووضعت أمامها كل ما يعوق تحركها ودعوتها. وقد كان من الطبيعى أن تدافع الأديان عن نفسها وترد هذا العدوان الواقع عليها لأن هذا حق مشروع لا يجادل فيه أحد، وفى بعض الأحيان كانت الأديان ترد على السيئة بالحسنة على أمل أن يتحول العدو إلى صديق كما يحكى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(الآية ٣٤ من سورة فصلت)

وأعداء الديانات كثيراً ما يشككون فى هذه الديانات السماوية ويوجهون لها السهام والحراب وذلك من منطلق مهاجمتها والقضاء عليها لما تمثل من خطر عليهم من وجهة نظرهم، وقد كان للإسلام النصيب الأوفر من هذه الحملات التى يقودها أعداؤه ومن أخطرها تلك الفرية التى أطلقت قديما وتلاشت بفعل الردود وعليها وتفنيدها، إلا أنها تتردد من حين إلى آخر وقد كانت محاضرة بابا الفاتيكان فى الجامعة الألمانية مجالا لترديد هذه الفرية فقد استشهد قداسة البابا بما ذكره إمبراطور بيزنطى منذ ستمائة عام، وجاء فيه أن الإسلام لم ينشأ عن عقيدة واقتناع وأن أتباعه إنما اعتنقوه بحد السيف وكان انتشاره رهبة وخوفا من القتل بالسيف وهذا يبين لنا أن الحرب على الإسلام كدين سماوى جاء به سيد الخلق محمد ﷺ كانت منذ القدم ومازالت قائمة حتى الآن. والتاريخ يبين لنا أنه مهما كثرت محاولات إخفاء الحقيقة وحجبها عن الناس وإهالة التراب عليها فإنها لا تقبل أن يحكم عليها أحد بالموت فالله هو الحق، والحقيقة تستمد قوتها وبقاءها من الحق جل جلاله والانتصار الظاهرى للباطل فى بعض الأحيان هو انتصار مؤقت ولابد لليل أن ينقشع ظلامه فى يوم من الأيام ويسطع فجر الحقيقة لينير العقول والأذهان بأشعته التى تخترق كل حجب الظلام الذى سرعان ما يتلاشى أمام ضوء الحقيقة الباهر.

وبالرغم من أن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول واضحة وصريحة فى تفنيد هذه المزاعم، وأن كثيرا من العلماء قديما وحديثا قد فندوا تلك الأباطيل وهذه الافتراءات والمزاعم الكاذبة، وفضحوا تلك المزاعم وبينوا ما تشتمل عليه من تزوير للحقائق، بالرغم من كل ذلك إلا أن أعداء الإسلام لا يكلون ولا يملون من ترديد مزاعمهم حول الإسلام وبالأخص زعمهم أن الإسلام دين انتشر بحد السيف، ولنا أن نقرأ آيات القرآن لنجد أن القرآن الكريم قد أكد مبدأ حرية العقيدة فى صراحة ووضوح دون التواء أو غموض يقول عز من قائل:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ ﴾

(الآية ٢٥٦ من سورة البقرة)

بل إن القرآن الكريم جعل قضية الإيمان والكفر مرتبطة باختيار الإنسان ومشيئته ومدى اقتناعه العقلى بها:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الآية ٢٩ من سورة الكهف)

كما لفت القرآن الكريم نظر النبى ﷺ إلى أن مهمته تنحصر فى تبليغ الرسالة فقط:

﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

(الشورى ٤٨)

كذلك لم يحدث فى تاريخ المسلمين أن أجبر المسلمون يهوديا أو نصرانيا أو حتى مشركا على اعتناق الدين الإسلامى، ومن المعروف أن سيدنا عمر ابن الخطاب الخليفة الثانى والذى انتشر الإسلام فى عهده انتشارا واسعا قد أعطى لأهل بيت المقدس من المسيحيين الأمان وكان من ذلك:

«أن لهم الأمان على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم لايضار أحد منهم ولا يرغم أحد بسبب دينه» كما أن النبى ﷺ قد سجل فى أول دستور للمدينة المنورة بعد الهجرة أن اليهود أمة مع المسلمين يشكلون جميعا المجتمع الجديد فى المدينة، وأقر لهم حقوقهم فى البقاء على دينهم.

من هنا يتبين لنا أن فرية انتشار الإسلام بحد السيف تتنافى مع جميع الحقائق التى أقرها العلماء قديما وحديثا، بل إن بعض علماء الغرب المنصفين قد أقروا سماحة الإسلام وقالوا كلمة الحق، وأن الإسلام دين انتشر بالإقناع والعقل وأنه دعوة إلى إفشاء السلام والتعايش السلمى بين جميع الأمم مستشهدين بقوله تعالى مخاطبا الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعقائدهم وبين لهم أن أصلهم واحد وهو آدم وحواء قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[الحجرات: ١٣]

فنجد أن الله تعالى يخاطب الناس جميعا وليس المؤمنين وحدهم كما جاء فى الآيات السابقة للسورة نفسها، وذلك لبيان أن الناس جميعا من أصل واحد، وهم إخوة فى الإنسانية ولذلك يجب عليهم أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ومن هنا يتبين للسامع مدى كذب وادعاء هذه المقولة وتلك الفرية التى تزعم بأن الإسلام دين انتشر بحد السيف ويبين بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الدين هو دين السلام وأنه انتشر بالعقل والإقناع والحوار الجميل وصدق الله العظيم:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل: ١٢٥]



بابا الفاتيكان.. بين القشة والخشبة

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

زعم السيد «بنديكيت السادس عشر» بابا الفاتيكان، فى محاضرته التى ألقاها فى جامعة هاتسبورج بجنوب ألمانيا، أن محمدا - ﷺ - أمر بنشر الإسلام بحد السيف، وأنه لم يأت إلى العالم إلا بكل ما هو سيء وشرير، وعندما غضب المسلمون وثاروا لدينهم ونبيهم الكريم - ﷺ - ودعوا إلى مقاطعة الفاتيكان، ودعوا إلى سحب سفراء الدول الإسلامية من الفاتيكان، أعلن حزنه وأسفه، لأن المسلمين - فى زعمه - لم يفهموه، ولم يفهموا تصريحاته، وكان عليهم أن يكونوا أكثر سماحة وأقل تعصبا، وأكثر فهما لهذه التصريحات البابوية، التى خرجت من فم هذا «المعصوم» الذى يجلس على الكرسى الرسولى..!!

هذه خلاصة سريعة ووافية لموقف هذا الرجل العجيب، وقبل أن أعلق على هذا الموقف، أحب أن ألقى بعض الأضواء على ما يجرى فى هذه القضية لتتضح الحقائق، ويوضع كل شيء فى نصابه الصحيح.

المنطلق الأول للحملات الصليبية

● أولا: هذا الرجل، لا يمثل شخصه فقط، وإنما يمثل المسيحية فى العالم الغربى كله، بل فى العالم أجمع وكل ما يخرج من بين «أنيابه» يكون محل اعتبار على الأقل لدى «الكاثوليك»، ويوضع أمام أعينهم بين علامتى تنصيص؛ ولذا فإن هذا الرجل يمثل المرجعية المسيحية، ومما يذكره التاريخ ولا ينساه، أن هذه المرجعية الدينية لدى الغرب كانت المنطلق الأول للحملات الصليبية، التى سالت فيها دماء المسلمين أنهارا.. وهو ما يعنى أننا الآن بصدد حملة صليبية جديدة، يعد لها الغرب، وما يصرح به بابا الفاتيكان، إن هو إلا تبريرات لما يحدث الآن

فى فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان، وما سيحدث فى المستقبل فى الدول الإسلامية الأخرى، فالبابا الآن يعد العالم لاستقبال حملة صليبية جديدة شاملة على الشرق الإسلامى كله، تعوّض ما أريق من ماء وجوههم فى الحملة الصليبية الأولى حينما طردهم صلاح الدين شر طردة.

● ثانيا: هذا الرجل «المعصوم» فى زعمهم لم يكن يقرأ محاضرته من وحى الذاكرة، وإنما كان يقرأها من بيان معد سلفا، وهو -بطبيعة الحال- لا يعده إلا بحضور مجلس الكنيسة، بما فيهم من علية الديانة المسيحية؛ ولذا فإن كل ما ورد فى هذه المحاضرة أو هذا الخطاب، يمثل وبكل تأكيد الرأى السائد لدى المسيحية «الكاثوليكية»، فهو عقيدة تحرك الفاتيكان بأجمعه فى اتجاه معين سرا وعلانية، وما يتبع ذلك من تخطيط يهدف فى نهاية الأمر إلى القضاء على الإسلام.

● ثالثا: هذا الرجل، حينما يعلن أسفه لأن المسلمين لم يفهموه، ولم يفهموا تصريحاته العجيبة، إنما يتهم المسلمين بعدم الوعى، وعدم الفهم لما يقول، وكأن كلام «قداسته» «لوغاريتمات»، فوق مستوى البشر، وهو «من وحى السماء» لأنه يمثل شخص المسيح -عليه السلام- وبالتالى، لابد من أن يرتفع المسلمون إلى مستواه، ليعرفوا مرمى كلامه، وكأن الكلمات ترمى إلى غير معانيها الحقيقية، وعلى المسلمين أن يجتهدوا فى تفسير كلامه قبل أن ينحو عليه باللائمة.

تلك كانت بعض الإيضاحات التى لابد منها لنتعرف على أبعاد هذه التصريحات، التى جاءت فى وقت مشحون بالعداء الظاهر من جهة الدول الغربية تجاه الشرق الإسلامى كله، بعد أن وصمه بالإرهاب.

تصريحات بنديكيت مقصودة

والغريب أن كثيرا من المفكرين والساسة العرب والمسلمين، يطلبون من البابا الاعتذار عما بدر منه فى حق الإسلام ونبيه الكريم -ﷺ- والإيضاح لما تضمنته هذه المحاضرة من طعن على الإسلام..!! لكنهم فى واقع الأمر يهدرون أوقاتهم فيما لاطائل من ورائه؛ فهذه التصريحات البابوية، لم تكن مجرد زلة لسان، ولم تجر على لسانه عفو الخاطر، وإنما كانت قصدا مقصودا لها نتائجها، كما أن لها مقدماتها. فمقدماتها تجرى الآن على أرض الواقع منذ سنوات: فى أفغانستان والعراق ولبنان فضلا عن فلسطين.. وهى بالتالى تتماشى فى خط واحد متصاعد، مع تصريحات الرئيس الأمريكى، الذى أعلن بدء الحرب الصليبية الثانية على المسلمين؛ ولذا فإن البابا لن يعتذر، ولن يصدر منه ما يشى باحترامه للدين الإسلامى وللمسلمين. فهو الناطق باسم قوم يرون فى إراقة دماء المسلمين تقربا إلى الله، ويعتقدون أن القضاء على الإسلام وعلى



كل الشعوب الإسلامية قضاء على الإرهاب، وهو سليل - أى البابا - قوم أراقوا دماء المسلمين على أرضهم فى حملتهم الصليبية الأولى، وإلى الآن يرفضون الاعتذار -حتى بالكلام فقط- عن كل هذه الجرائم البشعة.

ثم إنهم بالإضافة إلى ذلك، يرون فى العالم الإسلامى حتى الآن جثة هامدة لا حراك فيها، ولا يخشى لها بأس. فلماذا الاعتذار؟ وما الذى يجبرهم على ذلك؟!

بابا الفاتيكان يأسف لثورة المسلمين وغضبتهم لتصريحات قداسته ولا يدرى أن الإسلام وعقيدة «الدين» لدى المسلمين أغلى من نفوسهم، وأنه ترخص أمامه من المهج والأرواح، وأنه جاء ليبقى؛ لأنه من عند الله -عز وجل- ولذلك سيظل فى نفوسهم وقلوبهم، وعقولهم غضا طريا نقيا، لا يمسه تحريف، ولا يقربه قرار يصدر من هنا أو هناك..!!

الفساد الأخلاقي والسياسى

ولكن تعالوا بنا نناقش البابا فيما زعمه حول الإسلام ورسوله الكريم -ﷺ- لقد زعم أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف، وأن هذا كان بأمر من محمد -ﷺ- يقول هذا وقد نسى -أو تناسى- الأسباب التى أدت إلى انقسام المسيحية إلى «كاثوليكية» و«أرثوذكسية» أولا، ثم إلى «كاثوليكية» و«أرثوذكسية» و«بروتستانتية» ثانيا. وأنها كانت نتيجة للاختلاف حول التثليث وعقيدة التثليث تارة، كما كانت نتيجة للفساد الأخلاقى والسياسى، الذى ساد المسيحية تارة أخرى.

فالبابا يرى «القشة» فى عين غيره -إن كانت هناك قشة- ولا يرى «الخشبة» فى عينه وعين أسلافه والمحيطين به من آلهة الحرب الغربيين.

ربما يكون السيد «بنديكيت» قرأ قول الله -عز وجل-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٣)

وقوله -عز من قائل-:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

ربما يكون البابا قرأ هاتين الآيتين الكريمتين، وأشباههما مما يحث المسلمين على الجهاد، ولم يفهم منها إلا أنها حث على إراقة الدماء، ونسى أن هذه الآيات لم تنزل إلا للدفاع عن الإسلام والمسلمين، فى مواجهة من يريدون القضاء عليه، أو



يقفون حجر عثرة فى سبيل انتشاره، قال الحق -تباركت أسماؤه-:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج: ٣٩، ٤٠)

وقال -تعالت كلماته-:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

(البقرة: ١٩٠، ١٩١)

يصم بابا الفاتيكان الإسلام بأنه دين السيف والإرهاب وسفك الدماء، وينسى أن هذا الدين سبق دساتير العالم كله بأكثر من ١٤٠٠ سنة بتجريم الإرهاب، وأعد له الجزاء الأوفى فى الدنيا والآخرة فى مثل قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة: ٣٣)

كما ينسى -أو يتناسى- قوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

وقوله -تعالى-:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وقوله -عز وجل-:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

كما ينسى أن هذه الآيات وغيرها، من كتاب الله -عز وجل- الذى نزل على قلب حبيبه ومصطفاه -ﷺ- الذى حرص على تبليغه للناس مهما كلفه من تضحيات حتى ولو كان الثمن حياته الغالية -ﷺ- تنفيذا لقول الله -عز وجل-:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة: ٦٧)

أنوسنت.. والبربرية الصليبية

وعلى الجانب الآخر، ألم يقرأ بابا الفاتيكان شيئا من تاريخ الحروب الصليبية، حينما «استولى الصليبيون على أورشليم التابعة كنيستها للكنيسة الشرقية وغيرها من المدن الإسلامية التى يعيش فى ربوعها المسيحيون آمنين مطمئنين، لا يزعجهم اضطهاد، ولا يرنق صفاءهم ضغط، ثم ثنى الصليبيون أتباع الكنيسة الغربية فاستولوا على دولة الرومان الشرقية، فأنزلوا بإخوانهم من البلاء مالم يكونوا يعرفون.

«ولنترك الكلمة للمسيحى صاحب «سوسنة سليمان»، فهو يقول: حرك البابا أنوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونان، فافتتحوا القسطنطينية سنة ١٢٠٤م، وداموا متسلطين عليها إلى سنة ١٢٦١م فاستعملوا ما أمكنهم من البربرية فى الأراضى التى امتلكوها من بلاد سوريا وفلسطين، ليخضعوا بطارقة أورشليم، وجميع الأكليرس اليونانى بواسطة الحبس وإقفال الكنائس إلى أن أحوجوهم إلى أن يفضلوا مودة العرب على مودتهم، ويختاروا الجزية على أن يتسلط عليهم ملك طمعه وطمع قواده لا يشبعان.

«حينئذ أحس أولئك المسيحيون بنعمة الإسلام عليهم، ونعمة حكم المسلمين لهم، فقد سامتهم الكنيسة الغربية وملوكها الخسف والهوان، ونقبوا عن قلوبهم، وبحثوا عما تكنه الصدور. ولكن نعمة الإسلام كانت تلاحقهم، فلم ينقض زمن طويل، حتى جاءهم الإسلام فى القسطنطينية وأعطاهم الأمن والقرار والاطمئنان، حتى لقد قالوا كما حكى صاحب السوسنة: «عمامة السلطان محمد الفاتح، ولا تاج البابا المثلث»(١).

عهد عمر بن الخطاب

يرى بابا الفاتيكان أن القرآن الذى جاء به محمد -ﷺ- يحث المسلمين على جهاد الكفار، وينسى ما أثبته تاريخ الإسلام فى أنصع صفحاته من أنه حينما فتح المسلمون بيت المقدس طلب قساوسة النصارى أن يكون عمر بن الخطاب -خليفة المسلمين آنذاك- هو الذى يتولى إعطاءهم العهد الذى ينظم العلاقة بين المسلمين والنصارى، فلم يتكبر عمر، ولم يستعظم الأمر، وإنما جاء من مدينة رسول الله -ﷺ- فى تواضعه الجم، ودخل بيت المقدس مطأطئا هامته العالية فى غير خيلاء وفى غير أبهة الملوك الفاتحين إلى أن وصل الكنيسة، وأعطاهم العهد الموثق ألا يظلمهم أحد وألا

(١) الإمام محمد أبوزهرة فى كتابه «محاضرات فى النصرانية» ص١٤٢ ط دار الفكر العربى.

يُكسر لهم صليبٌ.. إلى آخر ذلك العهد الذى لم ير المسيحيون أفضل منه فى تاريخهم الطويل حتى من قساوستهم ورؤساء ملتهم..!! وحينما حضرته الصلاة، طلب منه رؤساء الكنيسة أن يصلى داخل الكنيسة -حيث هو- فأبى وقال: «حتى لا يقول المسلمون ها هنا صلى عمر؛ فيغلبوكم على كنيستكم»، وخرج وأدى الصلاة خارجها. وكان ذلك كله من وحى قول الحق -تبارك وتعالى-:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٨: ٩)

كما كان منطلقا من قول النبى -ﷺ-: «من ظلم معاهدا أو انتقص شيئا من حقه فأنا حجيجه يوم القيامة»[2].

دقلديانوس قتل مليون مسيحي!!

ألا يعرف بابا الفاتيكان ما فعله عمر بن الخطاب فى قضية الرجل القبطى الذى جاءه من مصر ليعرض عليه مظلمته، بعد أن ضرب ابن عمرو بن العاص ابنه قائلاً له: خذها وأنا ابن الأكرمين..؟! ماذا فعل عمرو بن العاص بالرجل.. هل حبسه ومنعه من الذهاب إلى عمر بن الخطاب؟ لا، بل أفسح له الطريق.. وماذا فعل عمر ابن الخطاب؟ لقد استمع بكل اهتمام إلى شكوى الرجل، ثم قال له: اجلس مكانك. ثم طلب أن يمثل عمرو بن العاص وابنه أمامه، فقدما من مصر، وقد كان قدوم ابن عمرو بن العاص على «قتب» راحلة، وحينما مثلا بين يديه، وتأكد من صدق شكوى المصرى وابنه، أعطى الدرّة للمصرى المسيحى، وطلب إليه أن يضرب ابن عمرو بن العاص، فضربه حتى انتصف منه، ثم قال له عمر: أجلها على صلعة أبيه؛ فإنه لم يضربك إلا بسلطانه، فرفض المصرى قائلا: «لقد أخذت حقى..!!»، وهنا يصرخ عمر فى وجه عمرو بن العاص قائلاً -عبارته المشهورة: «يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!!»

وعلى الجانب الآخر، ألا يذكر بابا الفاتيكان عصر الشهداء؟! لقد ذكر الدكتور نبيل لوقا بباوى -فى دراسة قام بها- أنه قد حدث تناقض بين تعاليم المسيحية، وبين ما فعله بعض أتباعها. وقال بباوى: إن أعداد الذين قتلوا بالتعذيب فى عهد الإمبراطور دقلديانوس يقدر بأكثر من مليون مسيحى؛ ولذلك

---

(٢) كشف الخفاء للعجلونى ٢/ ٣٠٢، حديث رقم ٢٣٤١.

قررت الكنيسة فى مصر اعتبار ذلك العهد عصر الشهداء.

البابا يوافق علي قتل وطرد مئات الألوف

ألا يذكر البابا أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية -التى يتحدث باسمها الآن- قد اضطهدت البروتستانت حتى بلغ من أحرق فى فرنسا فى مدينة واحدة فى يوم واحد ٢٣٠ ألفا، وفى إيطاليا سنة ١٥٦٠م قتل ألوف الألوف، وقد أصدر لويس الخامس عشر سنة ١٥٢١م أمراً بطرد البروتستانت مستندا إلى موافقة من البابا. وقد قتل أحدُ الأمراء فى عهد ابن الملك لويس «ثمانية عشر ألفاً» فى أشهر قليلة؟

ماذا يقول بابا الفاتيكان فيما يحدث الآن على أرض فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان، أهى الهدايا والطعام والشراب والكسوة والدواء التى تقدمها المسيحية الغربية لهذه الشعوب؟ أم أنه القتل والدمار وسفك الدماء وحرق المزروعات؟ ماذا يقول بابا الفاتيكان؟!

هل المسلمون هم الذين يضربون المسيحيين بالقنابل والصواريخ والطائرات على أرضهم، أم المسيحيون هم الذين قدموا من بلادهم ليضربوا المسلمين؟!

يصم البابا الإسلام بأنه دين انتشر بحد السيف، وينسى ما جاء فى سفر التثنية بالتوراة وهو أحد شطرى الكتاب المقدس الذى يؤمنون به: «إن البلد الذى يدخله موسى ومن معه عليهم أن يقتلوا جميع ذكوره بحد السيف. أما بلاد أرض الميعاد، فالمطلوب دينا ألا يستبقوا فيها نسمة حية». وهو ما يعنى الإبادة والاستئصال، الذى نفذه الأوروبيون النصارى حينما دخلوا أمريكا مع الهنود الحمر، وحينما دخلوا استراليا مع أهلها الأصليين.

لا شك أن «قداسة» البابا يذكر كل ما ورد على جانبى التاريخ -تاريخ المسلمين وتاريخ النصارى- ولاشك أنه يسمع ويشاهد ما يجرى الآن فى بلاد المسلمين. لكنه -كما قلنا- يرى «القشة» فى عين غيره- إن كانت هناك قشة- ولا يرى «الخشبة» فى عينه وعين أسلافه والمحيطين به من نصارى الغرب.. فهل من معتبر..!!

***

واجب الأمة فى مواجهة التحديات

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن الذى تتعرض له لبنان وفلسطين والعراق وغير ذلك من البلاد من عنف وإرهاب دولى، وجرائم حرب، ليس موجهاً - فقط - إلى تلك الدول وحدها، بل هو موجه للإنسانية جمعاء، موجه إلى الحضارة الإنسانية، وإلى التاريخ وإلى العالم المعاصر وإلى كل حقوق الإنسان فى كل زمان ومكان.

فما يشاهد من ضرب المدنيين، وهدم المنشآت، وتحطيم الحضارة الإنسانية وقتل النساء والأطفال والشيوخ والعزل، كل ذلك يمثل تحديات غاشمة، وجرائم آثمة فى حق الإنسانية جمعاء، وفى حق الأجيال الحاضرة والقادمة وفى حق الأبناء.

ولذا فإن الواجب على الأمة أن توحد صفها، وتجمع كلمتها، وتصوغ قوتها لتحريك عمل دولى قوى يستطيع التنفيذ والأخذ على أيدى الطغاة والبغاة.

فكم من نداءات أطلقت، وكم من قرارات صدرت، وكم من مؤتمرات اقيمت ولكن الطغاة يديرون ظهورهم إلى كل هذه الجهود، ولاحياة لمن تنادى!! وإذا كنا نطالب الأمة بأسرها فى كل عالمنا الاسلامى والعربى، فما ذلك إلا لأن المفروض أنهم كالجسد الواحد كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[1] فلا يصح أن يسكت المجتمع الدولى، لأن السكوت على الحق خسران وضياع ولأن الساكت على الحق شيطان أخرس.

● ومن أهم مايجب على الأمة أن تؤكد عليه فى مواجهة هذه التحديات التى تواجهها دولها من أعدائها: أن توثق صلتها بالله سبحانه وتعالى إيماناً به ورجوعاً إليه، وتوبة «صادقة» من الذنوب وإنابة إلى الله تعالى، لأنه لم ينزل بلاء بالأمة إلا بذنب، ولايكشف إلا بالتوبة وألا تتكل على القوة وحدها ولا

(1) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/١٩٩٩.



على السلاح وحده بل لابد من الإيمان والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، وأوضح دليل على أهمية الالتجاء الى الله وتأكيد الإيمان والمبادرة بالتوبة، هو أن رسول الله ﷺ مع أنه نبى معصوم يوحى إليه، ومع أخذه فى الأسباب وإعداده للعدة، وتأكده من النصر ومن مصارع صناديد الشرك لدرجة أنه كان يقول: هذا مصرع فلان ومصرع فلان - من المشركين - ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا فما تزحزح أحدهم فى مقتله عن موضع يده.. مع هذا كان يدعو ربه ويضرع إليه ويلح فى الالتجاء إلى الله سبحانه ويقول: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى، اللهم أحنهم الغداة» وظل يدعو ويستغيث بربه ويستغيث المسلمون كما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

(الأنفال: ٩)

وفيما رواه البخارى: أن النبى ﷺ قال: «هذا جبريل آخذ بزمام فرسه عليه أداة الحرب» وفيما رواه ابن هشام: أن النبى ﷺ خفق خفقة فى العريش ثم انتبه فقال: «أبشر ياأبابكر، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على النقع».

● وواجب الأمة مع الإيمان والالتجاء إلى الله تعالى، أن تعدّ العدة، وأن تأخذ فى الأسباب، وأن تعاون المجاهدين بالجهاد معهم أو بتسليحهم، فحكم الجهاد أنه فرض عين إذا دخل العدو أرض المسلمين وإذا تقارب الفريقان، فيجب على من حضر القتال ويحرم عليه الفرار، أو إذا اعتدى الكفار على بلد من بلاد الإسلام أو إذا عين ولى الأمر أحداً للقيام بالجهاد أصبح فرضا عليه لقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

(التوبة: ٣٨)

وفى الحديث يقول الرسول ﷺ: «لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»[2].. ووجه الإسلام أن على من قوتلوا أن يواجهوا أعداءهم فقال سبحانه:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

(الحج: ٣٩)

وقد وضح الإسلام فضل الجهاد والمجاهدين، وأن مثل المجاهد مثل من لايفتر من صلاة وصيام وقيام فى كل لحظة من اللحظات، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل المجاهد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله - كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد

(2) رواه البخارى ومسلم.

في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة»[3].

ويوضح الإسلام أهمية الجهاد وثمرته عن أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[4]. فبين هذا الحديث ثواب هذه الفترة الزمنية اليسيرة من الجهاد، وأنه خير من الدنيا وما فيها بكل ما اشتملت عليه، لأن مغريات الحياة لا استمرار لها ولا بقاء، أما ثواب الجهاد فهو موصول وكثيرا لا يحصى، ومما يستدل به على استمرار هذا الأجر قول الله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٠)

● ومن واجبات الأمة في مواجهة التحديات: أن الذي لا يستطيع الجهاد بنفسه عليه أن يجاهد بماله لأن من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فقد غزا، ويصح احتساب المال الذي يدفع لمساعدة لبنان وفلسطين وغيرها من المجاهدين يصح احتسابه من زكاة المال، لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾

(التوبة: ٦٠)

فهذه هي مصارف الزكاة ومنها:

﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(التوبة: ٦٠)

وهم المجاهدون في سبيل الله.

وقد قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[5]. فالجهاد بالمال بتجهيز المجاهدين وبذله لهم ولمن يقوم بشئونهم، والجهاد بالنفس بممارسة الحرب والجهاد باللسان، بالحث على الجهاد والتحريض عليه وبتوعية المؤمنين ببيان فضله ومكانته ومنزلة الشهداء عند الله سبحانه.

● ومن واجبات الأمة في مواجهة التحديات أن توحد صفوفها، وأن تكون على قلب رجل واحد، وأن يكون اتحادها قائما على الدين وعلى العدل والحق لقول الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

لأن التفرق يمزق شمل الأمة ولأن التفرق يضعف قوة الأمة، والتفرق قد يكون بسبب المذاهب وقد يكون بسبب اختلاف وجهات النظر في بعض الأمور، وقد يكون لأسباب أخرى، ولا يصح بحال من الأحوال عندما تواجه الأمة مثل هذه التحديات المعاصرة المتربصة التي تحدق بها من كل جانب أن تختلف ولا يصح أن تتفرق بل واجب الأمة أن تتحد، وحتى لو كان هناك اختلاف مذهبي

(3) رواه البخاري.

(4) مجمع الزوائد ٥/٢٨٤.

(5) مسند الإمام أحمد ٣/١٢٤، ١٥٣، ٢٥١.

أو فكري أو وجهات نظر في أمور منتهاها يدور بين الأولى أو خلاف الأولى فلا يصح أن تكون مدعاة لفرقة الأمة وتنازعها وتشرذمها حتى لا تضعف أمام أعدائها وحتى لا تكون هدفا للظالمين وعلينا أن نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

● ومن واجبات الأمة في مواجهة التحديات: إعداد القوة التي أمر الله تعالى بها في قوله سبحانه:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل: قدّر الله، وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»[6].

والقوة المشار إليها في الآية الكريمة قوة موجهة بأقصى ما يمكن من الاستطاعة: «ما استطعتم» حتى تواكب كل عصر وحتى تتيح لأهلها أسباب التقدم العلمي والتكنولوجي «ما استطعتم من قوة». والقوة المشار إليها في الحديث قوة معها إيمان، فالمؤمن القوي يرى أن ما حدث بقضاء الله وقدره، فلا يتعلق بالأماني الكاذبة ولا يتحسر على الماضي المنصرم، والمؤمن القوي يحمل عنصرين: عنصر الإيمان، وعنصر القوة، فهو مؤمن قوي، إما إذا كان مؤمنا فحسب بدون قوة فهو إيمان ضعيف، وإذا كان قويا فحسب دون إيمان فقوته ضعيفة.

إن المؤمن القوي ذو شخصية قوية، فلا يكون عاجزا ولا مستضعفا، ولا أسير شهوته، ولا يتبع نفسه هواها وإنما يحاسب نفسه في الدنيا، كما قال الرسول ﷺ: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»[7].

ولكم ظلم الناس الشخصية الإسلامية حين حاولوا أن يظهروا في زيها وأن يتسموا ببعض سماتها البارزة كالقوة، فحادوا بقوة الشخصية عن وضعها وانحرفوا عن منهجها، فبدل أن يكونوا أشداء على الأعداء كانوا أشداء على إخوانهم وعلى المستضعفين وبدل أن يكونوا أقوياء في الحق كانوا أقوياء في الباطل.

لهذا ميّز القرآن مواطن القوة والرحمة:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

(الفتح: ٢٩)

فعلى أمتنا أن تضاعف من قوتها العلمية والحضارية والتكنولوجية حتى تظل مهيبة مصونة الحقوق محققة خيريتها على ظهر الأرض.

(6) رواه مسلم.

(7) مسند الإمام أحمد ٤/١٢٤.

فريضة الحج في نظر أعداء الإسلام

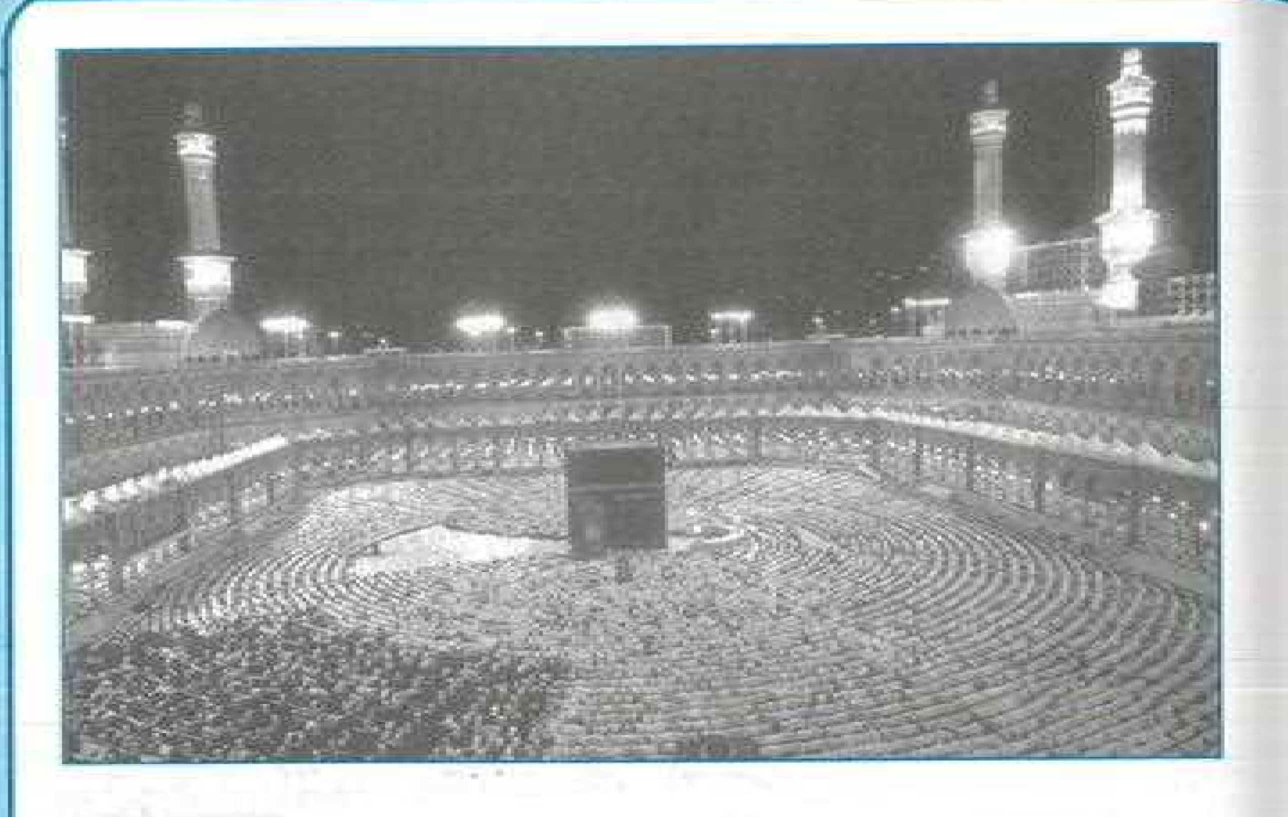
للدكتور / حمدى فتوح والى

لم أكن أظن أن فريضة الحج تحتل فى الضمير الأوروبى هذا الهاجس المفزع، وهذا الكابوس المخيف. إلا عندما قرأت رأى بعض حكمائهم فى هذه الفريضة عندما كان يحذر قومه، ويبنى عقيدته من عوامل القوة فى دين الإسلام، ويتباحث معهم فى اقتراح الأساليب الناجحة للقضاء على تلك العوامل. فكان مما قال[1] المستشرق الأمريكى (لوثروب ستودارد):

«فى الواقع ليس من دين فى الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض، موحد لشعورهم، دافع بهم نحو الجامعة العامة، والاستمساك بعروتها كدين الإسلام... وعلى اختلاف أجناس المسلمين واتساع آفاق بلادهم، لم نسمع قط أن شعبا قليلا أو كثيرا اعتنق الإسلام دينا ثم ارتد عنه..» إلى أن يقول: «إن الوحدة الإسلامية إنما هى قائمة على ركنين هما أساساها ولا ثالث لهما: الحج إلى بيت الله الحرام، والخلافة».

وقد غلب على رأى الكثير من رجال الغرب وهم فى هذا الموضوع، فهم ما برحوا يخالون الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشد، الذى بسببه يتشارك المسلمون ميولا وعواطف، تشاركا مؤديا إلى اعتزاز الوحدة، وازدياد منعتها، وامتدادها، وانتشارها على أن هذا لمن الوهم الصرف، فالأمر حقا على الضد منه.

(١) هذا الكلام للوثروب، أما المسلمون فيعتقدون أن الله وحده هو الذى يفرض ويشرع، والرسول صلى الله عليه وسلم كان مبلغا ومقرا لأوامر الله تعالى.



مؤتمر عظيم

إن محمدا ﷺ قد فرض الحج على من استطاعه فرضا مقدسا، ولذلك ما زالت مكة حتى اليوم مجتمعا يجتمع فيه كل عام أكثر من مائة ألف حاج[2] وافدين من كل رقعة من رقاع العالم الإسلامى، وهناك أمام الكعبة المقدسة فى مكة المكرمة، يتعارف المسلمون على اختلاف الألسنة والأجناس، ويتبادلون العواطف الدينية، ويتباحثون فى الشئون الإسلامية، ثم ينقلبون إلى أوطانهم نائلين لقبا يعرف صاحبه بالتقوى، فيجله إخوانه المسلمون، ويعلون منزلته بينهم ما دام حيا.

فالمقاصد والأغراض السياسية التى ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل، إنما هى معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح بل يكفى أن نقول إن الحج هو المؤتمر الإسلامى السنوى العام، فيه يتباحث الوفود الإسلامية، والنواب المسلمون الطارئون من أقطار المعمور الإسلامى كافة، فى مصالح الإسلام، وفيه يقوم هؤلاء بوضع الخطط ورسم الطرائق للدفاع عن بيضة الإسلام، والذب عن حياض المسلمين، ونشر الدعوة فى سبيل

(٢) هذا الرقم كان فى بدايات القرن العشرين، أما اليوم فالعدد أكثر من ذلك بكثير.







السنوسى — جمال الدين الأفغانى — لوثروب ستودارد

الرسالة. وفى هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وأبطالها كمحمد بن عبدالوهاب، والسنوسى وجمال الدين الأفغانى تشعر بجلال الواجب الإسلامى المقدس، وتتقد من خطورة المشهد وروعة المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين[٣].

خوف ورعب

تلك هى رؤية أعداء الإسلام لفريضة الحج، وهذاهو تقديرهم لخطورتها. ورؤيتهم حق، وتقديرهم صدق. فهذا شأن فريضة الحج إذا هى أديت كما ينبغى أن تؤدى، ونفذت شعائرها كما أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تنفذ.

وما أشار إليه هذا الرجل من ثمرات، هو أقل ما يجنى من ثمرات الحج وبعض من المنافع التى رتبها الحق ـ تبارك وتعالى ـ لمن يعظم شعائر الله،فهل حقا يثمر الحج اليوم ثمرته التى شرع من أجلها والتى أصابت قلوب أعداء الإسلام بالرعب، وجعلتهم يعقدون المؤتمرات والندوات ليهدموا هذا الأساس المكين، ويقطعوا ذلك الحبل المتين الذى يعتصم به المسلمون؟

والجواب ينهض به لسان الحال، فهو أفصح بكثير من لسان المقال. فلا أحد ينكر ما طرأ على مشاعر المسلمين من برودة، وما استولى على عقولهم من الجهل، وما أصاب فهمهم للدين من تشويه للحقائق واختلال فى التصوير، واضطراب فى المفاهيم.. حتى فقدت الشعائر روحها، وغابت عن حياة المسلمين نداوتها وبركتها، بعد أن غامت فى أعينهم مقاصدها وغاياتها، فلم تعد تثمر فى حياة المسلمين ثمرتها التى شرعت لها، وفرضت من أجل تحقيقها.

(٣) حاضر العالم الإسلامى، لوثروب ستودارد، ترجمة عجاج نويهض ص٧٢.

روح الفريضة

إن فريضة الحج إذا أخذت بمفهومها الصحيح، وأديت مناسكها بروحها الإيمانية الصادقة، أثمرت فى حياة المسلمين ما عجزت عنه الخلافة الإسلامية، وما فشلت فى تحقيقه الجامعة العربية من الوحدة والقوة والمنعة والتحام الصفوف، لأن الفارق بين تجمع قادة الأمة فى موسم الحج، وتجمعهم فى مؤتمر ينعقد هنا وهناك، أن تجمع الحج يمتلك العاطفة الإيمانية، والغيرة الإسلامية ويعمل بروح الفريضة، وينطلق من تصور إيمانى إلهى مقدس لا تحده حدود الجنس ولا اللغة ولا اللون، وإنما ينصهر الجميع فى كيان واحد شعاره:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

«الأنبياء: ٩٢»

وفى شعور واحد مصدره:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

«الحجرات: ١٠»

ومن رسالة واحدة يستشعرون قداستها ويقدرون هيبتها، وهى قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

«البقرة: ١٤٣»

ويحرصون جميعا على دوام فخرهم، وعلو ذكرهم، وتحقيق مجدهم وعزهم بقوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾

«آل عمران: ١١٠»

ولك أن تتصور أمة بحجم الأمة الإسلامية: دينها واحد، وكتابها واحد، وتتجه فى أرجاء المعمورة إلى قبلة واحدة، وتجتمع وفودهم للحج فى بلد واحد، وتلهج ألسنتهم بنشيد ربانى واحد، يعلنون فيه صدق العبودية، ولهفة الشوق، وعمق اليقين، وشدة الحنين تلبية لأداء الله رب العالمين، قد خضعت قلوبهم وذلت جباههم، وتشعثت شعورهم، واغبرت أقدامهم، وبرغم اختلاف أجناسهم وتباين ألوانهم، فقد جمعتهم لغة القرآن يجأرون بها قائلين:

براءة

«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

أمة هذا شأنها لماذا لا تجتمع فى كيان واحد؟!!

إنى أتصور أمة بحجم هذه الأمة، قد اجتمعت لها هذه المقومات وقد حضر قادتها إلى مكة، والتقت وفودهم فى

بيت الله الحرام حول الكعبة، وقام أكبرهم سنا، أو أرجحهم عقلا، أو أعمقهم دينا فقرأ عليهم صدر سورة التوبة معلنا البراءة التى أعلنها خليفة رسول الله ﷺ حين كان أبوبكر الصديق أميرا على الحج فى السنة التاسعة، وكان معه على بن أبى طالب، وهناك تليت سورة براءة، فقد قام على بن أبى طالب يوم النحر عند الجمرة فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ وتلا عليهم قوله تعالى:

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

«التوبة: ١»

حتى بلغ قوله تعالى:

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾

«التوبة: ٢»

ألا ما أحوج أمتنا إلى إعلان ولائها لربها وبراءتها من عدوها، وما أشد حاجتها إلى أن تحسن الحب والبغض وأن تعرف من تحب، ولماذا تحبه؟ ومن تبغض ولماذا تبغضه حتى يكتمل لها الولاء والبراء يتعود من جديد.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

«آل عمران: ١١٠»

ويصدق فى أبنائها قول نبيهم ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[4].

إن أمة تملك وحيا إلهيا ربانيا خالصا كالقرآن المجيد، وتوجيها نبويا كالحديث الشريف، وزادا أخلاقيا كسيرة رسول الله ﷺ، ورصيدا من التجربة قدره أكثر من ألف وثلاثمائة عام هى عمر الإسلام إلى سقوط الخلافة..

إن أمة تملك هذا الرصيد الضخم، وهذا الزاد العظيم، أمة غير معذورة، إذا أخذها الله بالشدائد وسلط عليها من يسومها سوء العذاب من اليهودية الحاقدة، والدول الغربية الفاجرة المتحالفة مع الشيطان الامريكى للقضاء على الإسلام، وإبادة أهله.

الحج.. منافع وثمرات

إن الكعبة بيت الله الحرام ما تزال قائمة، وستظل محفوظة مصونة بقوة الله وقدرته، وستظل فريضة الحج تؤدى، بغير وعى، وبغير روح، حتى تعود الأمة إلى ربها، وتقدر المشاعر قدرها، وتنزلها فى قلوبها المنزلة التى أرادها الله لها. وذلك

(٤) سنن أبى داود جـ٢ ص٦٠ رقم ٤٦٨١.



لا يتأتى إلا من قلب تقى وإيمان قوى، ووجدان مفعم بحب الله، آنس بحبه، مطمئن بذكره.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

«الحج: ٣٢»

ومن يقرأ سورة الحج يلاحظ أن الحق ـ تبارك وتعالى ـ قد ربط بين تعظيم الشعائر وبين تحقيق المنافع. وجنى الثمرات فى موضعين، فالأول عند قوله ـ تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

«الحج: ٢٧»

فقد جاء بعدها قوله تعالى:

﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾

«الحج: ٢٨»

وهذا الموضع الثانى الذى أشرنا إليه فى قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾

«الحج: ٣٢»

حيث جاء بعدها قوله تعالى:

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

«الحج: ٣٣»

ولما كانت التقوى هى سبب تعظيم المشاعر، فقد رأينا أن الحج المبرور هو السبيل الأكيد لتحصيل التقوى، عندما يحسن الحاج معايشة المعانى الإيمانية التى تسكبها تلك المناسك فى قلبه من عمق الإيمان، وصدق اليقين، ووجل القلب عند ذكر الله، والصبر على طبيعة الرحلة وما يكتنفها من مشقات وعقبات. والاستهانة بالدنيا، وبذل المال خالصا سهلا فى سبيل الله، فلا يستكثر نفقات الحج ولا يعدها مغرما، وإنما ينبغى أن يشعر قلبه أن ما أنفقه لله فى تلك الفريضة هو الباقى له من هذه الدنيا:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾

«النحل: ٩٦»

وهذه الثمرات الإيمانية هى التقوى التى من أجلها شرعت الفريضة:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

«الحج: ٣٤، ٣٥»

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة: ١٩٧)



-١-

إذا كانت كل فريضة من الفرائض الإسلامية، تحكم بقوانينها الخاصة فتبطل الصلاة مثلاً ـ بالكلام أو الحركة اللافتة، ويبطل الصوم بممارسات شهوتى البطن والفرج، وتبطل الزكاة بالمنّ والأذى ـ فإن الحج يبطل بهذه المفارقات: الرفث، الفسوق، الجدال اللدود.. لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾

ولكن ما الرفث؟. وما الفسوق؟. وما الجدال المرفوض فى الحج؟.

الرفث: هو الجماع، وكذلك المداخل المؤدية إلى الجماع، كالتقبيل، واللمس بشهوة، وحديث المرأة حديثا يهيّج فيها سورة الغرائز والتطلع إلى اللقاء.

والفسوق: مقارفة السيئات، وارتكاب المعاصى، التى تباعد بين الإنسان وبين مرضاة الله. مع ملاحظة أن معنى الفسوق فى اللغة ـ هو مطلق الخروج والجنوح ـ فكل خارج عن سواء الاعتقاد، أو عن سواء الفعل الإسلامى، فهو فاسق بهذا المعنى.

والجدال: هو اللدد فى المخاصمة، والإغراق فى الشقشقة اللسانية التى تخرج بالإنسان ـ فى مثل هذه المواطن العبادية ـ عن سواء التجرد والخلوص إلى عبادته، إذن فليس كل جدال مرفوض فى الحج لأن الجدال فى طلب الحقيقة أو تبصير جماهير المسلمين بواقعهم الآنى أو واقعهم المستقبلى، ليس مستحبًا فقط.. ولكنه واجب. وإذن فالرفث والفسوق والجدال فى الحج.. كلها مبطلات لهذه الفريضة والتخلى عنها يجعل من الحج عملاً رائعًا مكتملاً، كأنه ولادة جديدة. روى البخارى ومسلم، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ: أن النبى ﷺ قال: «من حجّ: فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

ولعلنا فى ظلال هذا الفهم ـ نفضى من تأمل هذه الدوائر الثلاث إلى حتمية تعانقها وإفضاء بعضها إلى بعض.

فالرفث: ممارسة ذاتية تتم فى إطار رجل واحد، وامرأة واحدة أبقا معًا عن أمر الله.

والفسوق: ممارسة جماعية، تتم فى إطار العلائق المدمرة بين الفرد والهيئة الاجتماعية التى ينتمى إليها..

والجدال: ممارسة بربرية أو تضليلية، تتوفر على محاولة تفويت ما تم من رفث أو فسوق، والتمهيد لمزيد من الفسوق والرفث، ليس من خلال أى منطق عقلانى أو عقيدى، وإنما من خلال «جدال» عبثى غير ملتزم يبرر الخطل ويضلل عن الجريمة ويحدث فى الجماعة الإسلامية ارتباكًا سلوكيا وقيميا ليس له حدود.

أخلاق الإحرام

ولعل مطلع الجملة القرآنية يشير إشارة حاسمة إلى أن قضية التزام المُحرِم بأخلاق الإحرام، قضية طوعية فى أساسها

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾

أى على نفسه، أى أحرم به، فصيّره بهذا الفعل الطوعى فرضًا حتى ولو كان نفلاً... ولكنها ـ متى تم ذلك توجب على المحرم أن يلتزم التزامًا صارمًا بأخلاقيات الإحرام: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج... كما يؤكد القرآن الكريم، وحديث رسول الإسلام ﷺ!.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾

يقول العلماء: إنّ «من» هنا لتنصيص العموم، فكل خير، وكل فضيلة، وكل طاعة، وكل عبادة داخلة فى إطار هذا المفهوم.. وإذًا فالخير ـ على ضوء هذه الوضعية اللغوية ـ يصبح شاملاً لمنادح الفعل الفاضل فى كل اتجاه يشمل السلوك النظيف، الذى يمارسه الحاج، فيكون به تجسدًا عمليًا لقيم الإسلام وتعاليمه الفاضلة، كما يكون به كذلك قدوة لجماهير الأمة المسلمة. مع ملاحظة أن ممارسة السلوك النظيف ربما تبدأ من منطلق تقليدى يتشبه فيه الإنسان بالآخرين، ولكنها تنتهى إلى قانون حياة، وشريعة حركة يومية.

التضامن

ويشمل التضامن السخىّ الذى يحتضن فى أفيائه الأغيار. فينشر جوا من الرخاء والنعمة، فى هذا المناخ الكادح بالسعى إلى الله. الناصب فى رحلة الذهاب والإياب إلى المناسك ومن المناسك جميعًا... وربما بدأ التضامن إرهاصا هنا فى رحلة الحج. ولكن لا يلبث أن يستحيل تضامنا مصيريا يرتبط بحركة الوجود المسلم

الأزهر

في كل الآناء، ويشمل العلم الراشد الموجه، الذى يبصر جماهير المسلمين- في هذا المؤتمر العالمي- بواقع تاريخهم المكبل، وحقائق ماضيهم المشرق.. وآمال مستقبلهم الذى ينبغى أن يكون بحجم الماضى وضاءة وامتلاء.. وليس العلم المستهدف هنا مجرد الحركة التوجيهية الترشيدية فحسب، ولكنه الحركة الباحثة فى طاقات المادة وتفجير الذرة وامتلاك عصر الصناعات كذلك.. لأن العلم فى الإسلام هو هذا العلم الشامل الرحيب.

على أنه ينبغى أن نلاحظ: أن ألوان الخير هنا عبادات، كذلك؛ فالسلوك الفاضل ليس تعليمًا فقط، ولكنه عبادة.. والتضامن السخىّ ليس عطاء ومؤازرة فقط، ولكنه عبادة... والعلم الراشد الموجه ليس إضاءة وعملاً على تحديث واقع المسلمين فقط، ولكنه عبادة.. لأن من مسلّمات المنطق الإسلامي: أنه من سنّ سُنّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده... من غير أن ينقص من أجورهم شيء... هذا هو الخير المقصود فى الإسلام.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾

علْم الله هنا يخطو بقضية الخير خطوة أخرى لأنه علم يحقق فى الفاعل الخير، معنى المراقبة ونبالة القصد.. لا لكى يقال فعل الخير أو لكى يقال خيّر، قد التزم سلوكًا نظيفًا لأحصل به مكانة اجتماعية سامقة فى الناس، وقد أتضامن لأشكل من أطراف التضامن محورًا من محاور القوة القومية أو العالمية، وقد أبذل العلم لأؤكد اتجاهًا خاصًا أو أمرر بعض التجاريب المعينة. إذن فالخير قد يفعل ولكن من منطق أنانى أو من منطق عدوانى، مادام هذا الخير غير محروس بقيم إلهية معينة.

علم الله

ولكن أن يكون «الخير» هنا محوطًا بهذا الإطار المضيء: «يعلمه الله» فإن القضية كلها تصبح ناطقة بمزيد من بركة القصد وإيمانية القرار.

ولا ينبغى أن يفوتنا تأمل وضعية قرآنية هائلة العطاء والإلهام، هي أن «الخير» فى هذه الجملة القرآنية:

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾

محوط ليس بإطار واحد، وإنما بإطارين:

الإطار الأول: قول الله -تعالى-:

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا ﴾

والإطار الثانى قوله: ﴿ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾..

فى الإطار الأول: يتبدى الخير مفعولاً وليس مجرد مقول، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا ﴾.

وفى الإطار الثانى: يتبدى الخير مراقبًا بعلم الله وليس سائبًا فى هوى الفعل البشرى:

﴿ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾

ومتى تم للمسلم فى فريضة من الفرائض تحصيل خير مشروط بالفاعلية من جهة والمراقبية من جهة أخرى، كان ذلك حصادًا لموسم رائع الثمار:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾



معنى التقوى

والتقوى.. تنصرف إلى معنى اتقاء غضب الله الجبار، واجتناب المواجهة العاصية معه... لأن المواجهة تصبح معادلة مهزوزة بلا حدود، إذا أرادها الإنسان المتفلت على أن تكون مواجهة مع الله.. فالإنسان المحكوم بمحدوديته، المحاصر بعرضيته، لا يمكن أن يشكل أية مواجهة متكافئة مع الله، الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾

(الرعد: ٢-٣)

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل: ٧٨)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(الحج: ٦٥)

لا يمكن للإنسان المتفلت أن يشكل أية مواجهة مع الله، لأنه أصغر قامة من أن يطول هذا الأفق، وإنما قصاراه أن يتّقى هذه المواجهة، لأنه مدمّر فيها بلا حدود.. فإذا جاء الخطاب من الله القوى للبشر العاجزين:

﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

كان ذلك إيماءً رائعًا إلى حجم الحدث الإلهي، ونوعية ما يشمل به الإنسان من عطف كبير.

وقد تنصرف التقوى إلى الإخلاص المجرد فى طاعة الله وعبادته.. وهى هنا عمل فى اتجاه إحياء المناطق الإيمانية والاعتقادية داخل النفس، لأن القلب التقى هو مناط التفتح على حقائق الإعجاز فى خلق كل جامد وكل متحرك، فهو يسبّح الله فى الزهرة الطالعة، والسماء الدامعة، والصخرة الصمّاء، والموجة العذراء، والوجه الجميل، والإطراقة الذاكرة، والجذع المنحنى، والبراءة الملهمة!!..

من هنا.. أكدت الآية أن مناط التقوى هم:

﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾، أصحاب العقول الواعية التى تتأمل مفردات كونها الصامت والصائت معًا، فإذا هى تتصعّد من هذه المفردات إلى كلية الفهم عن الكون، إلى حتمية التلقى عن واهب التكوين:

﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

دعوة إلى تحريك العقل فى اتجاه فهم المعادلة، معادلة الخالقيّة والخلوقية.. ودعوة



أخرى إلى تحريك هذا الفهم فى اتجاه التحقق الفعلى الذى ينأى بالإنسان عن مصادمة الخالق، لأن الصدام محسوم حتى قبل أن يبدأ، ولأن امتلاك العقل يؤكد صيرورة العبد إلى عبودية، وصيرورة هذه العبودية إلى معبودها، وبذلك تتحقق التقوى، ويملك العقلاء عافية البصر الرشيد فى قضية الفهم عن الله.

ولعل فى استعراض بعض آيات التقوى فى القرآن الكريم، ما يؤكد هذا المنطلق فى فهم قضية التقوى: يقول الله - تبارك وتعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾

(آل عمران: ١٠٢)

وهذا مستوى شاهق قد لا يطيقه إلا القليلون..

ويقول:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾

(التغابن: ١٦)

وكأن هذه الآية مبينة لطبيعة ما يراد من الآية السابقة. فقصارانا لا أن نتقى الله حق تقاته، لأننا قد لا نستطيع، وإنما أن نتقى الله ما استطعنا، وهذه حدود الطاقة البشرية..

ويرتب القرآن الكريم على هذه التقوى نتائج حياتية وأخروية.. فثمرتها الحياتية تتبدى فى قول الله - تبارك وتعالى -:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

(الطلاق: ٢، ٣)

وثمرتها الأخروية تتبدى فى قول الله - عز وجل -:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الأنفال: ٢٩)

وحين تختم آية الحج بقوله - تعالى -:

﴿ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

نحس أن هذه التقوى مسلطة على دلالات معينة:

على تقوى الله فى الحج، فلا تراد به وجاهة ولا لقب ولا تجارة ولا رحلة، وعلى تقوى الله فى الإحرام، فيراد منه التجرد، والهجرة الداخلية إلى الله، وخلع كل شواغل القلب عما سوى الطاعة والإخبات، وعلى تقوى الله فى الطواف والسعى، فيراد منهما إضمار التوحيد وطاعة الأمر، واسترجاع التاريخ وتعظيم البيت الحرام، وعلى تقوى الله فى عرفات، فيراد منه التعارف والتعرف: التعارف على المسلمين، والتعرف على قضايا الإسلام. وتأكيد الوحدة الفاعلة، والإصرار المؤمن على الحلول فى التاريخ.. وعلى تقوى الله فى الرمى، فلا يتخالج المسلم إحساس حتى بالتساؤل لأن الله أمر.. ولأن العبد أطاع.. وعلى تقوى الله فى الإفاضة، فيخرج المسلم على نية العودة، ويطوى فى الوداع كل ملامح اللقاء.

فضل الصحابة

رضوان الله عليهم

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

ازدهرت الأمة الإسلامية فى أول عهدها بقيادة نبيها ورسولها محمد بن عبدالله ﷺ، بعد أن اختاره الله واصطفاه ليكون نبيا ورسولا يختم به الأنبياء والرسل، وتكون رسالته خاتمة الرسالات السماوية.

وعلا شأن الأمة الإسلامية، وبزغ وانتشر نور الرسالة المحمدية بكل مبادئها وتعاليمها، وفضائلها، وشمائلها، إلى قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، يحمل عبء وأمانة الدعوة أصحاب رسول الله ﷺ، الذين تربوا فى المدرسة المحمدية التى لم يزد عمرها على ثلاث وعشرين سنة.. فكان لهم الفضل فى حمل مشاعل الهداية والعلم والحضارة والمدنية إلى العالم، وضربوا أروع الأمثلة الرائعة الصادقة فى نقل صورة الإسلام حية نابضة، بكل ما تحمل من هداية وإرشاد وخير للبشرية، ونقل صورة الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - المبعوث رحمة للعالمين، نقلوا ذلك بأفعالهم قبل أقوالهم، وبسلوكهم قبل ألسنتهم..

لقد لبى صحابة رسول الله ﷺ دعوة الإسلام عندما بلغتهم الدعوة فآمنوا بها، وصدقتها أفئدتهم، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا:

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾

(آل عمران: ١٩٣)

وعاهدوا رسول الله ﷺ على نصرته بعد أن وضعوا أيديهم فى يده، فهانت عليهم نفوسهم، وأموالهم، وأهليهم، وعشيرتهم، واستعذبوا المرارات والمكاره والشدائد فى سبيل الدعوة إلى الله، وسيطر على قلوبهم، وعقولهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وسلوكهم حب الله

وحب رسوله -محمد ﷺ- فصدرت منهم عجائب فى الإيمان بالغيب، والرحمة على المؤمنين، والشدة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآجل على العاجل، والحرص على دعوة الناس إلى الحق، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.. ومن ظلم الإنسان والحكام إلى عدل الإسلام، ومن التعلق بشهوات الدنيا الزائلة إلى السعى ابتغاء النعيم المقيم فى الآخرة، يدفعهم إلى ذلك علو الهمة، وسمو الغاية، والشوق إلى لقاء الله، والحنين إلى الجنة.. فانتشروا من أجل تحقيق ذلك فى مشارق الأرض ومغاربها، وسهولها وحزونها، وأغوارها وأنجادها.. ونسوا فى ذلك لذاتهم الفانية، وهجروا راحات أجسادهم البالية، ولم تشغلهم زخارف الدنيا وحطامها فاستهانوا بها، وتركوا أموالهم وغادروا بلادهم وأوطانهم، وبذلوا مهجهم ودماءهم جهادا فى سبيل الله، فأشرقت بهم شمس الإسلام على ربوع البلاد، وهبت ريح الإيمان طيبة مباركة على الدول التى فتحوها، وانتشرت الهداية فى العالم، ودخل الناس فى دين الله أفواجا عن قبول دون إكراه..

ولقد نال الصحابة -رضوان الله عليهم- شرف إشادة الله -تعالى- بهم، والثناء عليهم فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة: ١١٧)

وقوله تعالى:

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

(الفتح: ١٨، ١٩)

وقوله تعالى:

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١٠٠)

وقوله تعالى:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(الحشر: ٨، ٩)

وقوله تعالى:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٢٣، ٢٤)



وآيات أخرى كثيرة ورد ذكرها فى القرآن الكريم.

ولسمو مكانة الصحابة رضوان الله عليهم، وعظم منزلتهم وفضلهم حذر رسول الله ﷺ من التعريض بهم بسوء، أو التلميح عنهم بمكروه، ومن سبهم أو الإساءة إليهم، فعن النبى ﷺ قال: «الله الله فى أصحابى، الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضا بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»[1]، وعن أبى سعيد- رضى الله عنه- قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شىء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أصحابى، لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[2].

هؤلاء هم صحابة رسول الله -رضوان الله عليهم- الذين نحبهم ونجلهم، ونحترمهم ونقدرهم، الذين أشاد الله بهم فى قرآنه، وأثنى عليهم فى كتابه، ومدحهم فى تنزيله، والذين نهى رسول الله ﷺ عن الإساءة إليهم، وحذر من التعرض لهم بسوء.

لقد أصيب المسلمون بحالة من الغضب والاستنكار الشديد، عندما طالعوا فى ملحق إحدى الصحف عنوانا شاذا غريبا، نشازا على عين وسمع المسلم هو: (أسوأ عشرة شخصيات فى الإسلام) كلهم من صحابة رسول الله ﷺ، منهم ثلاثة من المبشرين بالجنة. -رضوان الله عليهم أجمعين-.

لقد أخذت أقلب الأمر من جميع الوجوه، محاولا أن أجد إجابة عن بعض الأسئلة التى بدرت إلى ذهنى -بعد قراءة هذا الغث من الكلام-!

- ما الهدف من نشر هذا الإسفاف والتجنى على صحابة رسول الله ﷺ بعد محاضرة البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان التى ألقاها فى إحدى الجامعات الألمانية، واتهم الإسلام ونبيه فيها باتهامات باطلة زائفة؟!!
- وبعد أن اتهم رئيس وزراء أسبانيا السابق الإسلام -زورا وبهتانا- بالقتل وسفك الدماء والاعتداء وانتشاره بحد السيف!!
- وبعد أن رسم شباب أحد الأحزاب الدانمركية صورا «كاريكاتيرية» فيها إساءة لرسول الله ﷺ!!
- وتزامن كل هذا مع ما يتعرض له المسلمون من أعداء الإسلام من حرب شرسة فى العراق، وأفغانستان، وفلسطين، ولبنان، والشيشان، وكشمير.. إلخ، جند لها أعداء الإسلام كل ما يملكون من أسلحة وذخيرة حية يقتلون بها المسلمين، وكل ما يسيطرون عليه من وسائل إعلام مقروءة، ومسموعة، ومرئية، وفضائيات لا ينقطع بثها ليلا أو نهارا يشوهون فيها صورة الإسلام ويفترون على تاريخه بالإفك والعدوان!!

---

(١) ابن حبان والترمذى.

(٢) أخرجه مسلم وابن ماجه.

ولمصلحة من نشر معلومات مشوهة تلوث تاريخ صحابة رسول الله – رضوان الله عليهم أجمعين– وتسيء إليهم!!.

إن العنوان الذى كتب فى تلك الصحيفة لا يؤدى إلى الإساءة إلى الأسماء العشرة الذين ورد ذكرهم فحسب، وإنما يؤدى إلى الإساءة إلى كل صحابة رسول الله ﷺ لأن تعبير أسوأ عشر شخصيات يفيد أن غيرهم سيء ولكن هؤلاء أسوأهم!!.

إن مآثر صحابة رسول الله ﷺ –الذين ورد ذكرهم فى تلك الصحيفة وملئت كتب التاريخ بفضلهم وجهادهم فى سبيل إعلاء دين الله بأموالهم وأنفسهم.. والمقام لا يتسع للحديث عن فضلهم وجهادهم بالتفصيل، فمساحة النشر محدودة.. ولذلك سأكتفى بالإشارة إلى فضل بعضهم على أمل أن أنال شرف الكتابة عن مآثرهم فيما بعد..

إن الصحابى الجليل «طلحة بن عبيدالله» هو صاحب المواقف البطولية فى تاريخ الإسلام منذ أن أعلن إسلامه إلى أن لقى ربه شهيدا، هو صاحب بشرى رسول الله ﷺ له بأنه سينال الشهادة فى سبيل الله، فعندما نزلت الآية الكريمة:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٢٣)

تلا الرسول –عليه الصلاة والسلام– هذه الآية الكريمة، ثم استقبل وجوه أصحابه وقال –وهو يشير إلى «طلحة»: «من سرّه أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه، فلينظر إلى طلحة»[٣].. ولم تكن ثمة بشرى يتمناها أصحاب الرسول، وتطير قلوبهم شوقا إليها أكثر من هذه التى قلدها النبى «طلحة بن عبيدالله» رضى الله عنه.

لقد شهد «طلحة» مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها– عدا غزوة بدر – فقد كان فى مهمة خارج المدينة ندبه إليها رسول الله ﷺ ومعه سعيد بن زيد.

وفى غزوة «أحد» جاءت قريش بكل بأسها وجبروتها لتثأر ليوم «بدر»، وتؤمّن مصيرها بإنزال هزيمة نهائية بالمسلمين، ودارت حرب طاحنة سرعان ما غطت الأرض بحصادها الأليم.. ودارت الدائرة على المشركين فى أول الأمر.. ثم لما رآهم المسلمون ينسحبون وضعوا أسلحتهم،، ونزل الرماة عن مواقعهم ليحوزوا نصيبهم من الغنائم، وفجأة عاد جيش قريش من الوراء علي حين بغتة، فامتلك ناصية الحرب وزمام المعركة، وكانت للمفاجأة أثرها فى تشتيت جيش المسلمين..

وهنا يظهر «طلحة» فى أمجد صورة وأنبل مظهر، فقد رأى رسول الله ﷺ من بعيد يسيل من وجنتيه الدم، فقد كسرت رباعيته، وجرح فى جبهته، ودخلت إحدى حلقات المغفر فى وجنته، وسقط فى إحدى

(٣) الترمذى ٥/٦٤١.

الحفر التى أعدها المشركون لدك عنقه.. فجن جنونه، وأسرع ليحميه من سيوف المشركين التى تلهث نحوه، وتحيط به تريد أن تناله بسوء، فأخذ يساند الرسول– عليه الصلاة والسلام– بيسراه وبصدره متأخرا به إلى مكان آمن، بينما يمينه تضرب بالسيف وتقاتل المشركين الذين أحاطوا بالرسول.. تقول عائشة رضى الله عنها: كان أبوبكر إذا ذكر يوم (أحد) يقول: ذلك كله كان يوم (طلحة).. كنت أول من جاء إلى النبى ﷺ فقال لىّ الرسول –عليه الصلاة والسلام– ولأبى عبيدة بن الجراح: «دونكم أخاكم» –يعنى طلحة– ونظرنا فإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية وإذا أصبعه مقطوعة، فأصلحنا من شأنه.. هذا «طلحة» المجاهد الشجاع..

أما طلحة الجواد –وكان من أصحاب الجاه والثراء ممن يجيدون التجارة، ويتقنون مسالكها، ويعرفون كيف يحيلون التراب تبرا عن طريقها– فقد وضع ثروته كلها فى خدمة الدين، ينفق منها بغير حساب، لقد لقبه رسول الله ﷺ بـ«طلحة الخير» و«طلحة الجواد» و«طلحة الفياض»، وكان من أكثر الناس برا بأهله وبأقربائه فكان يعولهم جميعا على كثرتهم، فقد كان ينفق من ماله على كل محتاج من عشيرته، ويقضى ديونهم، ويوزع عليهم من العطايا والهبات ما يزيد على الكفاية، ويبذل بذل من لا يخاف الفاقة، ويهدى الجزيل من غير طلب ولا سؤال..

ومما يروي عن الإمام «على» كرّم الله وجهه، يوم أن دفن «طلحة والزبير»: سمعت أذناى هاتان رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاراى فى الجنة».

إن استقصاء أعمال «طلحة بن عبيد الله» التى كانت ومازالت مضرب الأمثال، ومطمع أولى العزم من الرجال، لا يمكن حصرها والحديث عنها فى هذه السطور، ويكفى أن تعرف أنه كان ممن شارك فى صلح الحديبية وممن بايع النبى –عليه الصلاة والسلام– على الموت فيها، وأنه كان من الذين نزل فيهم قوله تعالى:

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾

﴿الفتح:١٨﴾

وأنه كان من الذين ثبتوا معه فى حنين، وجاهدوا تحت لوائه فى الطائف.. إلى غير ذلك مما جعله موضع التقدير والثناء، ومحل التوقير والإطراء، وأنه أحد الستة الذين رشحهم الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– ليكون الخليفة واحد منهم، والذين سماهم المؤرخون: «أصحاب الشوري»، وقد جاء فى تقديم الفاروق لهم: «أنهم أصحاب الفضل والسابقة، وأن النبى عليه الصلاة والسلام قد مات وهو عنهم راض.

فهل يتجرأ قلم بعد ذلك ويتهم الصحابى الجليل «طلحة بن عبيد الله» بالسوء؟!!



ابن مسعود.. والاختيار الصعب

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

عن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله ﷺ؟

قال: بل شيء وجدته في كتاب الله تعالى.. وعن رسول الله ﷺ قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت الذي تقول

قال: أما وجدت فيه:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧)

قالت بلى.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة «١» والواشمة والنامصة «٢».

قالت: أما في بعض أهلك؟!

قال: ادخلي فانظري

فدخلت فنظرت، ثم خرجت فقالت: ما رأيت شيئا

فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح:

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود: ٨٨)

إن للمرأة هنا صلة بالقرآن الكريم وحين نطرح على بساط البحث قضية من قضايا الأمة.. تتقدم لتدلي بدلوها بين الرجال ولم يمنعها الحياء من طلب العلم. ومجادلة الرجالة، وصولاً إلى حق. ثم لا تصدر عن هواها، ولكنها تصدر عن آيات القرآن الكريم.

لكن مشكلتها أنها «تصفحت» القرآن ولم تتدبره على نحو يكشف لها عن وجه الصواب

ومجرد حفظ القرآن الكريم.. أو تصفحه.. دون تدبره لا يكفي.. فاللؤلؤ والمرجان هناك في الأعماق.. ولا يستخرجه إلا الغواص الماهر.

وليست هذه القراءة المتعجلة مشكلة المرأة وحدها.. ولكنها مشكلة جماهير غفيرة وقفت بها طاقاتها عند القشرة البادية.. ومن ثم.. كثر الخلاف.. وتعددت وجهات النظر.. بسبب غياب الكاشفة المستبصرة.

وإزاء هذه الظاهرة.. لابد أن يكون على الجانب الآخر صدور واسعة رحبة.. ترحب بالرأي الآخر.. ولا تضيق به ذرعاً.. وكذلك كان ابن مسعود -رضي الله عنه- فقد وجد نفسه أمام امرأة راغبة في العلم.. بدليل أنها لم تشنع عليه لما أخطأ.. في زعمها لكنها جاءته تسعى مستوضحة.. ثم هي مشغولة بقضايا الدين.. لا بمظاهر «الموضة» مثلاً.. فكان منه ذلك الإرشاد الهين اللين إلى الآية التي تثبت صحة ما ذهب إليه.

ولما كانت المرأة مدفوعة بالشوق إلى معرفة الحق.. فقد سلمت به لما ظهر على لسان الرجل.

وقد نجح ابن مسعود -رضي الله عنه- في الاختبار النظري.. وبقي عليه أن يثبت جدارته بالنجاح في الاختيار العملي، فقد توقعت المرأة أن يكون في بيت ابن مسعود بعض ما ينهى عنه.. فتطلعت نفسها إلى برد اليقين. لتسلم القضية من كل شك.

وهنا يتذرع الداعية بالصبر الجميل.. حتى يتجاوز أخطر مرحلة في حياة الداعية. وكان من الممكن أن يعلنها حرباً شعواء على المرأة التي تعرض به وبأهله لكن إعلان الحرب هنا قضاء على فرص التفاهم. وقطع للطريق أمام نفس مؤمنة تبحث عن الحقيقة من مظانها.. وواجبنا أن نفسح لها الطريق. وللصبر في مثل هذا الموطن أهميته.

إن الصبر القليل.. يصل بنا إلى الراحة الطويلة.

وهو معنى قول ابن المبارك:

«من صبر فما أقل ما يصبر.. ومن جزع فما أقل ما يتمتع».. ولو أن ابن مسعود استغل ظهور الحق على يديه في التشهير بالمرأة وجهلها وحقق بذلك متعة ولاشك ولكنها الرغوة العائمة التي لا تلبث أن تنطفئ ثم لا يضيف الحوار جديداً.

ولقد اختار الصبر.. وما فيه من متعة دائمة.. تقف به في الموقع الأفضل.. وأتاح للمرأة ذاتها.. ولغيرها من طلاب العلم أن يتقدموا إليه سائلين.. بل متهمين.. وهو هو.. المنبع الرائع الذي لا يعكر صفوة الدلاء.

وتأمل سعادته الغامرة. عندما تذرع بالصبر الجميل ويسمح للمرأة أن تدخل بيته فعلاً فترى ما فيه من عيوب مظنونة.

وكانت النتيجة شهادة تقدير للرجل يتوجها في النهاية بهذا الدرس البليغ حين ذكرها بقوله تعالى:

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود: ٨٨)

وهكذا تبدو.. وعلى أرض الواقع.. صورة الجدال بالتي هي أحسن.. وكيف استطاع أن يلقن المرأة درساً في حسن التعامل مع آي القرآن.. هذا الكتاب الكريم الذي لا يعطي أسراره إلا لمن وهبه كل مداركه.. وقد أعطاه ابن مسعود -رضي الله عنه- كل مداركه فأعطاه القرآن أسراره.

خطبة الجمعة :

واجب الآباء نحو الأبناء

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله، يهب النعم الجزيلة فضلا وإحساناً، ويجعل ثمنها من العباد طاعة وشكراناً:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

(إبراهيم:٧)

نشهد أن لا إله إلا أنت، مبدع الحياة، وواهب الجاد، ومالك الجباه:

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(آل عمران:٢٦)

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك، أعطيته الكوثر والميراث الأكبر، وجعلت شانئه هو الأبتر، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى ذريته العاطرة النفحات، وصحابته الخالدين بمآثرهم الباقيات، وأتباعه الثابتين فى الأزمات والمسرات.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

(الفرقان:٧٥)



يا أتباع محمد ﷺ ..

بين الآباء والأبناء معركة من الخلاف والشقاق حامية الوطيس عالية الأوار، لا تخبو نارها ولا ينقطع شرارها؛ وما حاول أحد الفريقين أن يكون منصفاً، فيدعو الطرف الثانى إلى مائدة مستديرة، يعلوها الحق ويسودها الصدق؛ بل الآباء غاضبون حانقون، يصفون أبناءهم بالعقوق والمروق، ويصبون عليهم اللعنات تلو اللعنات، والأبناء ثائرون حائرون، يصفون الآباء بالرجعية والجمود، ويطيلون بهم السخرية والاستهزاء، وبين غضب هؤلاء وحمق هؤلاء تضيع حقوق كان يجب أن ترعى بين الآباء والأبناء.. ومع أن اختلاف العصور والنشأة له أثره البين فى النزاع بين الطائفتين، حتى قال الفاروق عمر -رضى الله عنه: «الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم» فإن أغلب التبعة فى الواقع يبوء بها الآباء، لأنهم هم السابقون، وهم المسئولون، وهم الذين وضعت بين أيديهم العجائن اللينة ليصوغوها كما يشاءون، فأهملوها أو أساءوا فى تشكيلها، فجنوا ثمرة ذلك عقوقاً وتمردا؛ والمرء لا يجنى من الشوك العنب!.

إن الذرية بلا شك عزيزة غالية، فهى قطع الأكباد وثمار القلوب، وعماد الظهور وقرة العيون وزينة الحياة؛ ثم هى بعد ذلك أمانة من الله سامية يضعها بين أيدى العباد، ليرعوها حق رعايتها، ويصونوها حق صيانتها، ولكن الآباء فى العهود الأخيرة أهملوا أبناءهم إهمالا شنيعاً، لا نقول أهملوهم فى الطعام والشياب والفراش، فذلك قدر من العيش ميسور للناس مع اختلاف فى الأحوال والأشكال، ولكنهم أهملوهم فيما هو أهم وأعظم، وأخطر وأكبر، أهملوهم فى تقويم نفوسهم وتطهير أرواحهم وتدعيم أخلاقهم فى تنشئتهم على الدين والعبادة، وفى ضرب القدوة الصالحة لهم، وفى تحديد الطريق المستقيم أمامهم؛ ومن هنا خرج الأولاد إلى الحياة بلا هدف وبلا إيمان، وبلا رصيد من عزيمة أو أخلاق، فتفرقت بهم السبل؛ وتوزعتهم الأهواء، وتقسمتهم الأخطاء، وعاشوا فى دنياهم بأفئدة هواء!.

ومن أسف أن بعض الآباء يضلون ضلالا بعيداً فى تربية الأولاد، فيسرفون فى تدليلهم والاستجابة لرغباتهم، حتى يخرجوا كالأعواد الهينة الغضة اللدنة التى لا تحتمل مرور الرياح فتنكسر وتنقصف، ويشبوا وفيهم روح الخور والمهانة، فلا عزيمة ولا ثبات، وما هى إلا سنوات يقضيها الولد فى حمى الوالدين لأنه ضعيف عاجز محتاج إليهما كل الاحتياج، ثم ينطلق على وجهه ضالا مضلا غير مستجيب لندائهما الحزين، وعلى نفسها جنت براقش، فلو أحسن الوالدان التربية والتقويم والتعليم، لخرج الولد وفيه نزعة الولاء وعاطفة الحياء؛ وإذن لاستجاب الآباء

لدعوة الحق تبارك وتعالى حين يقول لهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(التحريم: ٦)

والولد من الأهل، ووقاية الأهل من النار إنما تكون بالهداية إلى طريق الله رب العالمين، والتحذير من مزالق الشيطان المضل المبين، فإذا فعل المرء ذلك حفظ أهله وولده في الدين والدنيا، وفي العاجلة والآجلة، ثم كان له فوق ذلك ثواب جزيل عند الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»[1]. وعلى العكس من ذلك يتحمل الوالدان تبعة الإثم إذا أهملا تربية الولد، أو انحرفا به عن الطريق المستقيم، أو لم يمكنا له الصلة بالدين القويم، لأنه ألقي إليهما خلواً من المؤثرات، مطبوعا على الفطرة، وهما اللذان حولاه إلى هنا أو هناك، وإلى هذا يشير الحديث الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[2].

وبعض الآباء يسرفون على أبنائهم بشدة المعاملة وقسوة الحرمان وغلاظة الكبت فيفزع الولد من أبيه، ويرهبه ويتقيه، وإذا ما انفلت الولد من رقبته انطلق كالمجنون يعوض ما فاته بسبب هذه القسوة وهذا الحرمان.. والآباء مطالبون بالحكمة والرشاد والاعتدال في معاملة الأولاد، فلا يدللونهم حتى يجعلوهم أغصانا ضعيفة تتكسر، ولا يقسون عليهم حتى يجعلوهم كالدواب المسخرة، والإسلام كما يصب اللعنة على الآباء المفسدين لأبنائهم بالتدليل والتفريط، يصبها أيضا على الآباء المفسدين لأبنائهم بالإفراط في القسوة والشدة؛ ولقد سمع النبي صلوات الله عليه الأقرع بن حابس يقول: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه النبي وقال: «من لا يرحم لا يرحم»[3].. وجاء أعرابي إلى النبي فقال: أتقبلون الصبيان فما نقبلهم؟. فقال النبي: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»..

وفي الحديث: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»[4] أي ما أهدى والد إلى ولده هدية أفضل من تأديبه بمكارم الأخلاق!!.

ولقد كان أوائل السلف يحفظون الله في أبنائهم، ويحسنون تربيتهم وطبعهم

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٩٦.
(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٦/٢٠٢، ٢٠٣.
(٣) مجمع الزوائد ٨/١٨٧، ١٠/١٩٣.
(٤) مجمع الزوائد ٨/١٥٩.

على الدين والخلق الكريم، فتخرج الذرية طيبة طاهرة، ترعى حقوق الأبوة والأمومة، ولا تكفر بماضيها المجيد، ومن هنا طابت العلاقات بين الآباء والأبناء، فلم تتقطع بين الفريقين الأسباب كما نرى الآن، وكذلك ضرب الأوائل للأولاد أكرم الأمثال في الهداية والإرشاد، فهذا مثلا سهل بن عبد الله التستري كان يقوم بالليل وهو طفل فينظر إلى صلاة خاله الزاهد العابد محمد بن سوار، فقال له خاله: ألا تذكر الله الذي خلقك؟.. فقال سهل: وكيف أذكره؟.. فقال ابن سوار: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات دون أن تحرك لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي!.. فكرر ذلك أياماً، ثم ضاعف العدد وهو يشعر له بحلاوة ولذة، فلما انتهت السنة قال ابن سوار لسهل: احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.. ثم قال له بعد حين: يا سهل، من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية!.. وما هي إلا سنوات حتى كان سهل التستري قد ملأ الدنيا وشغل الناس بعلمه ويقينه وزهده وعبادته..

وهذا عبد الله بن عمر يصور ما وصل إليه ابنه سالم من الهداية والتوفيق فيقول: «إن بني سالما يحب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه» إلى غير ذلك من الشواهد والبراهين.

يا أتباع محمد ﷺ..

إن أولادكم أمانات في أيديكم، فإن شكوتم خسارها أو بوارها فذلك منكم وعليكم؛ أهملتم رعايتهم في أول الطريق فساءت أخلاقهم في نهايته، وماذا كنتم تنتظرون غير هذا وقد تركتم لأولادكم الحبل على الغارب، فلا دين ولا خلق، ولا دقة في الحساب، بل تدلل وتميع وإطلاق للشهوات؛ فإن شئتم تقويم المعوج فخذوا أبناءكم بشرعة الله المثلى، واحفظوهم من قرناء السوء وموطن الخبث، وعودوهم الخشونة والرجولة والعزة، واضربوا لهم من أعمالكم وأقوالكم خير القدوة، ويومها تضمنون لأنفسكم ذرية صالحة، تتجدد بها حياتكم، وتمتد آجالكم؛

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة: ٨٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. سلوا ربكم التوفيق يستجيب لكم.

***



قصة العدد

(من قصص البادية)

ليت للبراق عينا

بقلم الدكتور/ أبى حسام

سهرت طائفة من رجال تغلب فى عُرس حافل أقيم بالبادية وقد دوّت الزغاريد، ودقت الطبول، وصدحت الأغانى حتى قرب مطلع الفجر، فآوى الناس إلى مضاجعهم بعد سهر حافل سعيد، ولم يذهب إلى مأواه بطل القبيلة «البراق بن روحان»، إذ آثر أن يسير فى الخلاء، لينشق نسيم الفجر متهاديا على جواده الأدهم، وكان من عادته أن يترك حصانه يمضى كيف يشاء أثناء نزهته الصباحية، فلا يحاول أن يثنيه عن درب ينتحيه، وقد شط به المسير إلى خارج حدود القبيلة فلمح على البعد خمسة من الرجال يسوقون عددا من الإبل والأغنام، وكان ذا عين بصيرة، فتأمل الركب بحدة، فعرف أن الإبل والأغنام هى إبل ربيعة، وأن اللصوص انتهزوا فرصة العُرس فجاءوا وفق ترتيب أعدت وسائله من قبل، فاستاقوا ما قدروا عليه، ولابد أنهم قتلوا الحارسين القائمين بالسهر على الأنعام، وكان يحمل جعبة سهامه التى لا يفارقها فى مغدى أو مراح، فتهيأ للمعركة وحيدا، وكان لا يعبأ بأى جمع يتصدى له، ولم يكن السارقون يعرفون أن أحدا قد خفّ من ورائهم فعميت أبصارهم عن لاحقهم بالسهام الصائبة بغتة، ونظروا مذعورين فعرفوا أنه البراق! هذا البطل الذى لا يسلم منه أحد، وأصابت السهام عيونهم وفق ترتيب حربى حذقه البراق، فسقطوا صرعى، ورجع البراق بعد مطلع الشمس بالإبل والأغنام.

كان القوم قد أفاقوا من رقادهم، وذهب منهم إلى حظيرة الأنعام من وجدها قفرا يبابا فتعالى الصراخ ونهض الشباب، وفيهم كليب والمهلهل، ولهما زعامة فى الحى ذات وضوح، فأخذا يحدسان فى حذق عن اتجاه الناهبين، ويتساءلان أى طريق يقودان الأبطال فيه بحثا عن المال المنهوب وقد قُتل العبدان الحارسان فلم يخبرا بشىء، وتجمع الشيوخ والنساء والأطفال فى لغط هائج لا يدرون ما يفعلون ولكنهم فوجئوا بالبراق يقدم بالنياق والشياه كاملة لم ينقص منها شىء، فدوّت الزغاريد وأخذ القوم يعانقونه فى إعجاب، وتقدمت ابنة عمه -ليلى العفيفة- وهى أجمل فتيات الحى، وبنت لكيز شيخ القبيلة فصافحته فى حرارة، وقالت وفى عينيها بريق الشوق، والإعجاب: سلمت يابن العم، سلمت يابن العم، ووقفت جواره تتطلع إليه فى انبهار! وكان الشاب فهد بن سحيم يهوى ليلى هوى صامتا، فأزعجه موقفها من البراق وتقدم يقول فى غضب: مالك أنت يا ليلى، دعى الثناء للرجال، وكانت ليلى ذات فصاحة وهمة، فصرخت فى وجهه: أجبنا وغيرة يا فهد؟! لو كنت صاحب هذا الموقف لهنأتك ولكنك خامل لا تستطيع!

أخذت ليلى تتحدث دائما عن بسالة البراق بطل القبيلة، وتعدد مواقفه فى الذود عن ربيعة، وكيف انتصر على طىء وزياد يوم داهموا ربيعة فى يوم (الصماد) وعرف الناس جميعا أن ليلى هى الزوجة المرتقبة للبراق، وأن والدها (لكيز) لا يرفض لها أمرا. والبراق ابن أخيه فهو منه بمثابة الابن بعد وفاة والده روحان!

ولكن فهد بن سحيم لم يشأ أن يتم الزواج على وجهه المنتظر، وكان له صلة ببُرد بن طريح الإيادى، وهو شاب عربى يعمل فى بلاط كسرى، وله نفوز فى البادية حيث يكون سفير فارس فى القبائل العربية فيحسم كل خلاف يقع بين العرب والفرس، فسارع فهد إلى برد وأكد له أن ليلى بنت لكيز أجمل فتاة فى البادية، ومثلها لن تفوته، وأخذ يتحدث عن مفاتنها، وأخلاقها، وشجاعتها بما جذب برد بن طريح إلى التقدم لخطبتها مدلا بمكانته فى البلاط، وبما يملك من الثراء، وفوجئت ليلى بوالدها يعرض عليها الأمر فى حفل من الناس، فنهضت كاللبوءة المستثارة فى وجه القوم، وصاحت دون تهيّب ما هذا؟ إن بردا هذا خادم الفرس، وقد باع قبيلته إياد وما حولها من قبائل قضاعة، وطىء لكسرى بدسائسه الأليمة أفارضى أن أكون زوجا لجاسوس دساس؟ وأصاب قول ليلى مقتلا نافذا فى قلب برد؛ لأنها عبّرت عما يقوله الناس عنه من ورائه، وكان لكيز على رأى ليلى! فقال لبرد ليس لى معها كلام، فهى سيدة فتيات ربيعة فارحل من



حيث أتيت!

لم يهدأ فهد بن سحيم بعد خيبة رجائه في برد! ولكنه اتجه إلى اليمن حيث أميرها عمرو بن ذي صهبان، وهو يعرف عنه رغبته في فتيات البادية يتزوج حسانهن ويهب أهليهن ما يطمعون فيه من نضار! فأسرع إلى حضرته، وتزلف إليه بمعسول الكلام، حتى استمع إليه، وقال موجها الحديث إلى حسان البادية، فقال فهد لعمرو: إن ليلى بنت لكيز - شيخ ربيعة- فاقت كل حسناء! ولن يطمع الأمير بعدها في فتاة، وكان في عمرو تسرع واندفاع، فأعد هدية حافلة بعقود الدر، وسبائك الذهب، وأنفس ما في صنعاء من الثياب المزركشة بسلاسل النُّضار، وبعث بها إلى «لكيز» معلنا رغبته في الزواج من ليلى! وفوجيء لكيز بطلب الأمير، وغرّه بريق الذهب واللؤلؤ، فأسرع إلى ليلى يؤكد لها أنها ستكون سيدة «اليمن» وأميرة العرب، وهي فرصة يجب ألا تضيع، وامتنعت ليلى، وغضب الوالد وتأزم الموقف، فأرسل لكيز إلى ابن أخيه يرجوه، أن يعلن انقطاع رغبته في ليلى، حرصا على مستقبل القبيلة حين تجد عضدا من سيد اليمن، وانقسمت ربيعة قسمين: قسم يؤيد لكيزا، وقسم يؤيد ليلى والبراق، ورأى الفارس الشجاع أن الموقف قد تأزم، فجمع ما يحتاج إليه من خيل، وسهام، وسيوف، وغادر القبيلة إلى بني أسد وقلبه كالجمر مشتعل الأوار، وطال الطرق على أذن ليلى من أبيها وأمها وكان فراق البراق واغترابه أحد الدوافع الجديدة لدى الأب والأم كي يؤثرا على الفتاة المسكينة الحائرة بين قلبها وأبيها، ولم تجد بدا من الإذعان، فأرسل لكيز إلى الأمير يُنبئه بتحقيق رغبته، وبادر عمرو فأرسل من يدعو لكيزاً ومن يريد من شيوخ قبيلته مع العروس الحسناء لعقد القران!

لم يهدأ فهد بن سحيم إذ عز عليه أن تكون ليلى أميرة في اليمن؛ وقد حقرته وأذلته على رءوس الأشهاد ورأى أن يُفسد رحلتها إلى عمرو بن ذي صهبان فاتصل سريعا ببرد بن طريح، وهو يحمل لليلى من الحقد والضغينة أضعاف ما يحمل فهد ابن سحيم؛ إذ ردته مقهوراً بعد أن فضحت موقفه من العرب، وجاسوسيته للبلاط الفارسي! أجل أرسل فهد رسله إلى برد يحدد له موعد الرحلة إلى اليمن، ويرسم له طريق الرحلة.. قائلاً: إن شيوخ ربيعة في أكثرهم لم يرحبوا بمصاهرة أمير اليمن، لذلك لن يرحل مع لكيز غير ليلى ورسل الأمير وهم لم يتجاوزوا الخمسة! فإذا أراد الانتقام هيأ من يهاجم القوم فيخطف ليلى دون مقاومة تذكر! وكان بردا كان يفكر في الانتقام، ولا يهدأ له خاطر حتى يبلغ مأربه من ليلى وأبيها! وراقت الفكرة كثيرا لبرد، وكان من

عادته إذا أراد السفارة إلى قبائل العرب أن يصحب من جنود فارس أكثر من عشرين جنديا لخفارته وحماية ما يحمل من بلاد العرب إلى البلاط، فانتهز الفرصة، وأعد كوكبة من الفرسان تقطع بها الطريق على لكيز وابنته، وقد عرف خطة السير ودرس الموقع الذي يتم فيه الهجوم على ثلة من الركبان لا تتجاوز سبعة أفراد، وهو هجوم مأمون لا تقوم العوائق في سبيله، وفي منعطف عند نجران داهم برد الركب، وليس مع الحراس ما يصد الهاجمين من أدوات الدفاع، وذعرت ليلى حين رأت الحراس يفرون، والأب جازع لا يدري ماذا يصنع؟ وقد تركه برد ليرجع إلى ربيعة حزينا مكلوما، ووضع الأغلال في يد ليلى إذ عجزت عن مقاومة عشرين من الجند يستأسدون على فتاة عزلاء! وحاول برد أن يترضاها في الطريق لتكون إحدى زوجاته في فارس، ولكنها هددته بأنها ستنتحر لو تم له ما أراد، ولم ييأس فقال في نفسه: لعل المفاجأة قد زلزلت كيانها فلم تستطع النظر إلى المستقبل بفكر الدارس البصير، وبلغ ركبها موطنه وسيقت الأسيرة إلى منزل برد، فكانت مفاجأة قاسية لزوجه الزلفاء وهي عربية من قبيلة إياد، وهمت بمغاضبتها، ولكنها لمحت دموعها تتقاطر، فعرفت أنها مغلوبة على أمرها، وصممت على إنقاذها من الزوج العاق، وكان برد يحاول استرضاء ليلى فلا يجد غير السب والاحتقار، فضاق بها ذرعا، وهو يعرف الشماتة في وجه الزلفاء ثم رأى أن يُخيفها بالسوط، فسلط عليها أحد عبيده، يهوي عليها غير راحم، وهي تصرخ في لوعة وقد نظمت أبياتا شاعت فيما بعد في ربوع ربيعة، وفيها تقول:

ليت للبراق عينا فترى ... ما أقاسي من بلاء وعنا

غللوني قيدوني ضربوا ... موضع العفة مني بالعصا

يا بني تغلب سيروا عاجلا ... وذروا الغفلة منكم والكرى

ولما لم يجد برد أدنى استجابة لمأربه، قال لها ستكونين جارية في قصر كسرى، وسأسوقك هدية له ولن تجدي عنده غير القتل العاجل إن رفضت له رغبة! وعلمت الزلفاء بما ينويه زوجها، فأشارت عليها أن تستجيب لأن كسرى يملك مئات الجواري، ولن يعجل بالاجتماع بها بل ستكون زميلة لمثيلاتها الكثيرات، حتى يلفته أحد إليها، ثم قالت الزلفاء: سأرسل من عبيدي من يرحل إلى البراق، وينبئه بما تم من أمرك، وسيعلم قولك:

ليت للبراق عينا فترى ... ما أقاسي من بلاء وعنا

وإذ ذاك يطير إليك على عجل، وإذا حضر لإنقاذك فسأعمل الحيلة لوصولك عنده! وكانت ليلى تثق في الزلفاء، إذ



شاهدت من عطفها ورعايتها ما يندر مثله مع ضرة جاءت لمزاحمتها! وقد نفذ برد ما اعتزم عليه، إذ لم يجد أدنى استجابة من ليلى، وقال لها: لم تشائى أن تكونى زوجة حرة فلابد أن تصبحى أمة مزدراة.

وكان من عادة كسرى أن يقبل الطرف النسائية من محبيه، فأمر بضم ليلى إلى القصر وهيأ لها غرفة جميلة كمثيلاتها! وكانت تتذكر ما قالته الزلفاء، فتشرق فى روحها بوارق الأمل، وترى فى البراق معجزة الإنقاذ!

جاءت الأنباء للبراق بأسر ليلى فى رحلتها العابسة، ورجوع لكيز حزينا ملتاعا، فرجع سريعا إلى مضارب قومه فى ربيعة، وجعل يفكر فى عمل حاسم ترجع به الأسيرة إلى مضاربها عزيزة مكرمة، وكم عقد للتشاور مع شباب الحى اجتماعات يهتدى فى ضوئها إلى دور حاسم، وقد أشاع فهد ما كان من أمر برد، وكيف أبلغه مسير ليلى إلى اليمن، ليقوم باختطافها، ولم يكن يدرى أن البراق سيرجع إلى ربيعة فينتقم منه، ثم فوجىء بسيف البراق يعلوه فيسقط طريحا، دون أن يجد راحما من أحد، ثم أتى رسول الزلفاء إلى البراق، فأذكى فى قلبه لهبا لا ينطفىء، ولم يترك لحظة واحدة تمر دون عمل، فهيأ ما يلزم الرحلة وأعد جواده الأدهم لمسير طويل تكتنفه العقبات، ولا يعلم شيئا عن عاقبته، وحمل أدوات النضال من سهام وسيوف مستعدا لمعركة فاصلة يضطر إليها فى مغتربه النازح! وكأن الأقدار كانت تسالمه فوصل سريعا إلى أرباض فارس، وراسل الزلفاء، فسُرت بمقدمه، وطلبت منه أن ينتظر فى مكان محدد حتى تتهيأ ساعة العمل.

كانت فرحة ليلى بمقدم البراق أكبر من أن توصف وكانت الخواطر المتضاربة تتقاذف بها فى كل سبيل، ولكن الزلفاء قالت لها: إن الذى جعل البراق يحضر آمنا إلى فارس سيرجعه سعيدا مسرورا بإنقاذك، قالت ليلى: وكيف أصل إليه وأنا محاطة بالحراس فى القصر؟ فقالت الزلفاء: لقد فكرت فى ذلك، وأنت تعرفين أن كسرى يقضى يومين كل شهر فى الغابات ليصطاد الفهود والظباء، ويصحب معه من تريد من الجوارى مع ما يكثر فى حاشيته من الحراس، فإذا خرج للصيد، فاخرجى مع من يخرجن من الجوارى، واجلسى فى مكان منفرد عنهن، حين يتهيأ كسرى للولوج فى الغابة وسأعلم البراق بالموعد المحدد، ليحضر فجأة دون ضجيج، وتكونين على استعداد لمرافقته، ولن يتبين كسرى الأمر إلا بعد رجوعه إن حدثه أحد به، وإذ ذاك ينشط الأدهم بك فى المسير، فتبلغان ضواحى الحيرة قبل أن يعلم أحد، وتحسان بزوال الخطر فى أرض العرب! وكانت خطة

موفقة تمت بأحكم ما يكون من النجاح إذ، حضر البراق مغيرا ملابسه وكأنه جندى فارسى، والتقى بليلى على ظمأ حار من الشوق، وحملها سريعا من خلفه دون أن ينتبه أحد لفرارها، وسابق الريح فى سرعتها الطائرة!

وعلمت الزلفاء بما كان، فأرادت أن تكيد زوجها بما عرفته من فرار ليلى مع البراق فأخذته الحمية، وظن أن بمقدوره مع رجاله أن يقطع الطريق على البطل المغوار، وخف كالمجنون وهو على خبرة وافية بمسالك الطرق، وكان البراق يجلس فى ظل شجرة مع ليلى هادئين يستريحان من عناء الرحلة، فرأى الكتيبة تتقدم وقد عرف بلحظه الثاقب أن برداً بن طريح يتقدمها فهيأ السهام، وحمل السيف، وتقدم كالقدر العاصف، وما إن لحظ برد سيف البراق فى يده، وسهامه مصوبة إليه حتى سقط على الأرض وفر من معه! فتقدم إليه البراق، وقال: حان يومك يا وغد، فلابد أن تأكلك الذئاب من الظهيرة وعاجله بالسيف، وترك دمه يسيح فى الغبراء، وقد سعدت ليلى أتم سعادة حين رأت غريمها صريعا ملوثا بالدم، وأقبلت على البراق تحتضنه فى شوق وابتهاج والصريع الطريح يتطلع إليها فى الرمق الأخير!

أخذ الأدهم يتجه إلى مضارب ربيعة بعد مصرع برد بن طريح هادئا، إذ أمن البراق أن يتعقبه أحد من فارس، إذ لو كان كسرى مهتما بفرار ليلى لأرسل مع برد حامية قوية لا يستطيع فرد واحد مقاومتها مهما كان فى بسالة البراق، وكانت ليلى وهى تركب فى أحضانه تحس أنها ملكت الدنيا، ومن بها، وأن صدره الذى يحتضنها هو الأمان المطلق من كل نازلة، وكم قالت له إنها تتمنى أن يطول الطريق ويطول، حتى تظل بين ذراعيه آمنة وادعة، أما القوم فى ديار ربيعة فكانوا فى شك كبير من نجاح البراق فى إنقاذ ليلى، فمن له وهو الوحيد بمنازلة كسرى وجيشه؟! ولكنهم فوجئوا ذات صباح بمقدمه، وقد ركبت ليلى على الأدهم، وتقدم يقود الجواد متجها نحو منزل لكيز، ولم يصدق لكيز نفسه إذ وجد ليلى ترتمى فى أحضانه، فدمعت عيناه، وقال: يا ليلى الخطأ خطئى إذ آثرت عمرو بن ذى صهبان بك، وتجافيت عن البراق، وأنا الآن معه لا أملك أمرا أو نهيا -فالمشيئة مشيئته- فقال البراق: عفا الله عنك يا عماه، ومشيئتى هى الإسراع بالزواج دون إبطاء. قال لكيز مبتهجا: وعلام الإبطاء؟! سنقيم الفرح الليلة، وستجتمع ربيعة كلها فى حفل مشهود.

***

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف ٥٤]

بين النسق الكونى والفطرة الإسلامية (٢)

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

ارتباط المسلم بفطرة الكون

فالمسلم الحق يتسق عقيدةً وسلوكاً مع:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم ٣٠]

ويتفق مع حركة الكون التي أرادها البارىء حركة موزونة لا تحيد ولا تميد مصداقاً لقوله تعالي:

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر ١٩]

أنظر إلى المسلم الذى لا يجد الماء ليتوضأ فيأمره الله بالتيمم بالتراب [١] والذى لا يجد ما يفترشه للصلاة فيأمره النبى ﷺ بأن يتخذ من الأرض مسجداً[٢]، ثم هو يتخذ من الأعشاب علاجاً، ومما يخرج من بطون النحل سبباً للشفاء، وغير هذا وذاك مما لا يحيط به المثال، والإحاطة به أمام الفكر البشرى عزيزة المنال.

ثم انظر على نطاق كونى أوسع ترى المسلم يرتبط بالأهلة لمعرفة المواقيت [٣] ويرقب الشمس، وتعاقب الليل والنهار، ويتأمل انتظام النجوم للاسترشاد ليلاً في البر والبحر، ويلاحظ معجزة «الظل» ليتعرف على أوقات الصلاة وغير ذلك من منطلق قوله - سبحانه -:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان ٤٥]

وغير ذلك من الآيات التى ترتبط بعبادات الإسلام وشرائعه وأحكامه من توحيد وصلاة، وصوم وزكاة، وحج، بل وسلوكيات يومية تنظم علاقات المسلمين بعضهم البعض وعلاقاتهم بغيرهم من أصحاب الملل الأخرى فى منظومة تعكس منظومة الكون فى مرآة الحياة فى الدنيا كما أن لها مابعدها فى الآخرة.

الرواد الأوائل عرفوا هذا

ومن هنا عكف العلماء المسلمون الرواد على دراسة هذه الأمور، ومدى ترابطها بالحقائق الكونية فأنشأوا العلوم التى تصطنع الحواس مثل (السمع والبصر) فى الملاحظة والتجريب وتستحث العقل و (الفؤاد) فى استنتاج القوانين التى تفسر هذه الظواهر، وذلك تعبداً للمعبود وامتثالاً للخالق، ولك أن ترجع فى هذا إلى تراث هؤلاء العُبّاد الحقيقيين من المسلمين السابقين من أمثال (الإدريسى) فى تقويم البلدان (الجغرافيا)، و (ابن الهيثم) فى الضوء، و (ابن حيان) في الكيمياء، و (الخوارزمى) فى الرياضيات، و (الرازى) فى الطب، وغيرهم وغيرهم ممن اهتدوا إلى توافق الدين مع الكون فأطلقوا على ظواهر الكون تعبير السنن الكونية «قبل أن يضيق مفهومها لدى علماء الغرب وعلمائنا فنطلق عليها الظواهر (الطبيعية) وحسب هذه الأمثلة اليسيرة أن تكون مجرد إشارة لا تزيدها كثرة السرد إلا اعترافاً بالعجز عن الحصر والعد.

الجانح عن الإسلام متمرد على الكون

ومن ثمة فإننا نرى أن الذين جنحوا عن الإسلام قد تمردوا على الفطرة وشذوا عن حركة الكون فظهر لديهم التصنع والافتعال وطغى على سلوكهم العبث والابتذال ومنهم من لفظ الفطرة فانفطر، ومن لفظه الكون فانتحر.

إنهم يعرفون الطبيعى فيتصنعون، ويلمسون السوى فيشذون ويضيء أمامهم الهدى فيضلون ويُضلون يشاقون الله ورسوله:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال ١٣]

---

(١) «فتيمموا صعيداً طيباً» [المائدة ٦]

(٢) «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» (عن أبى هريرة - الجامع الصغير) وفى رواية جعلت لى كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً (الضياء عن أنس - الجامع الصغير للسيوطى).

(٣) «يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج» (البقرة ١٨٩)



تلويث أم تلوث

ألا ترى كيف يحيلون السُكر الذى فطره الله حسناً طيباً إلى مُسكر خبيث حرمه الله العليم بخلقه وبما ينفعهم ويضرهم:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الملك ١٤]

ويهجرون الحلال ليتيهوا فى الضلال، برأ لهم الحق طبيعة نقية فلوثوها وأطلقوا على هذا (التلويث) تلوثاً حتى لا يعترفوا بأنهم هم الذين لوثوا هذه الطبيعة بعد أن كانت - كما خلقها الله - طاهرة نظيفة صالحة للحياة المثمرة العامرة، ألا يستجيبون لقول الخالق سبحانه:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾

[الأعراف ٥٦]

أى بعد أن كانت صالحة للحياة النافعة التى تعين الإنسان على خلافة الله فى الأرض. وهكذا عاثوا فساداً يحيلون نعمة الله كفراً، ويبدلون خيره شراً فحق عليهم قول الخالق سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾

[إبراهيم ٢٨]

كونية الإسلام تجلت فى الإسراء والمعراج

ولقد كان من حكمة الحق سبحانه وتعالى أن يشهد الأنام جميعاً - وإلى أن تقوم الساعة - وذلك فى آخر رسالاته عز وجل إلى العالمين - وهى الحنيفية السمحاء - يشهدهم على (كونية) الإسلام و(فطرته) فكان ذلك فى الرحلة الكونية المعجزة، «رحلة الإسراء والمعراج»[4]

فقد ذكرت كتب السيرة المطهرة حديثاً جهيراً عن المعصوم ﷺ فى معرض حديثه الشريف عن «الإسراء والمعراج» حيث يقول:

«وأتيت بإناءين: أحمر وأبيض، فشربت من الأبيض، فقال لى جبريل: شربتَ اللبن، وتركتَ الخمر، لو شربتَ الخمر لارتدت أمتك - أى غوت - وانهمكت فى الشرب» وفى رواية البخارى «أتى رسول الله ﷺ ليلة أسرى به بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذى هداك للفطرة - أى الاستقامة - لو أخذتَ الخمر

(٤) ولا نقول (ليلة) الإسراء والمعراج لأن (الليلة) معلومة الحدود والمقدار بينما الإسراء والمعراج قد تما فى توقيت لا يعلم مقداره وقدره إلا من أسرى بعبده سبحانه، ونقول إنها رحلة (كونية) لأن فيها قد جمع الزمان، والمكان حيث الأنبياء السابقين والملائكة المقربين ومشاهد من أحداث الآخرة والأولى.

غوت أمتك، ولم يتبعك منهم إلا القليل، وكان ذلك وهو فى بيت المقدس»[5]

اللبــن إشــارة الفطــرة

ولعله من اتساق الأمور أن نلحظ تأكيد هذا الحديث الشريف لفطرة الإسلام وذلك بالإشارة إلى «اللبن» الذى هو مادة فطرية لم يصنعها مخلوق، وإنما هو من خلق الخلاق العظيم سبحانه الذى يمن على عباده فى كتابه (الكونى) المعجز عندما يذكر من يريد أن يذكر بقوله:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾

[النحل: ٦٦]

ومن إشارات الإبداع هنا قوله تعالى:

﴿ نُّسْقِيكُم ﴾ وهى (بضم النون) للدلالة على أن عملية (السقاية) هنا تتم بصورة غير مباشرة بعد عمليات فسيولوجية معجزة تتم فى بطون إناث الأنعام، وذلك مما بهر أساطين العلماء السابقين واللاحقين وأعجزهم عن صناعة مثل هذا السائل الفطرى الذى هو من خلق الله سبحانه رغم معرفة هؤلاء العلماء - ولا سيما المعاصرين منهم - لمكونات اللبن وعناصره، وأيضاً رغم امتلاكهم لدقائق الآليات العلمية، والأجهزة التكنولوجية، وأساليب التعقيم، وتحاشى مواطن (الفرث والدم) ولكن حسب العلم والتكنولوجيا رفعةً وشرفاً أن يعترفا بالعجز البين أمام دلائل الإعجاز المبين.

وإذا كان الإسلام هو دين الفطرة، وإذا كان كل ما فى الكون مردّه دائماً إلى الفطرة فنحن إذن أمام نتيجة لازمة وقضية حاسمة تفيد «أن الإسلام هو دين الكون وليس دين الإنسانية فقط».

ومن هنا وجدنا أن الحق - سبحانه وتعالى - قد أرسل رسله السابقين عليهم السلام بهذا الدين الحنيف فى سلسلة متصلة الحلقات، متواصلة الفقرات كما ذكرنا وذلك بما تقتضيه الحكمة الإلهية الحكيمة من مدى تناسب دعوة كل من هؤلاء الرسل الكرام مع حاجات أقوامهم حسب تتابع الزمان واختلاف المكان.

تجليات الوحى فى فطرة الكائنات

ولقد كانت دعوة أولئك الرسل المصطفين إلى الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هى الدعوة إلى إدراك بديهية الفطرة البسيطة الواضحة التى لا تشوبها عُقد فتنجذب إليها البصيرة النقية، والحدس الشفاف والقلب الوضىء.

وإننا لنتواصى بالحق فى هذا المجال عندما نتأمل بقلوبنا وأرواحنا هذه الآيات البينات المحكمات:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء ٢٥]

(٥) السيرة الحلبية: لعلى بن برهان الدين الحلبى الشافعى

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

[النحل: ٦٨]

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾

[فصلت ١٢]

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة ٤ ، ٥]

وغير ذلك من الآيات المباركات التي تتحدث عن (الوحي)، ذلك لأن الفطرة النقية هي استجابة الكائنات لوحي مبدع هذه الكائنات الذي يقول للشيء كن فيكون، وإنه لمن أوضح الأمور أن ترى كيف تشتق كلمة (الكون) من مادة (كن فيكون)، ومن هنا استجابت لوحي الحق سبحانه فطرة الأنبياء، وفطرة السموات وفطرة الأرض وفطرة النحل، وغيرها مما نعلم ومالا تعلم وما ربك به أعلم.

حتى الجماد له فطرته

فلكل نوع أو جنس من الكائنات فطرته وجبلته التي تتفق وطبيعة خلقه والدور الذي وكل إليه القيام به في هذا الكون، فللإنسان مثلاً فطرته، وكذلك كل نوع من أنواع الكائنات الحية فطرته بل لعل هذا يقودنا إلى القول بأن الجمادات أيضاً لها فطرتها التي لا يعلمها إلا فاطر السماوات والأرض جل وعلا. ألا تتأمل قوله سبحانه عن الحجارة:

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

[البقرة ٧٤]

وقوله تعالى عن الجبال:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

[الحشر ٢١]

وقوله تعالى عن تكليفه للجبال بطاعة داود عليه السلام:

﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾

[سبأ ١٠]

ثم ألا تعي عن قول النبي ﷺ وهو يقول عن جبل أحد بعد الغزوة الشهيرة: أحد هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة،(٦) وسبحان من يقول:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

[الإسراء: ٤٤]

وكلمة ﴿ شَيْءٍ ﴾ تفيد عند المناطقة

(٦) من حديث عن أبي عبس بن جبرة، الجامع الصغير

ما يعرف بجنس الأجناس الذي ينضوي تحته كل (ما شاء) الله، ومن هنا ندرك أن أي كائن من الكائنات كلما اقترب من فطرته اقترب من فاطره، وكلما ابتعد عن فطرته بعوامل دخيلة أو عناصر بديلة ابتعد - والعياذ بالله - عن فاطره الذي أبدعه مع فطرته في توازن واتساق.

فطرة الإنسان لا تعني الهمجية

وبالنسبة للإنسان فإن فطرته في الإسلام الذي هو دين الفطرة - لا تعني البدائية السلبية، والهمجية الهوجاء ولكنها تعني النسق المقدس المحكم من الأوامر والنواهي والتكليفات التي أوحاها المولى عز وجل إلى عباده المرسلين مبشرين ومنذرين لأقوامهم فهي فطرة حكيمة عليمة تضع للبشر ضوابط السلوك ومجالات الحركة ومعالم العلاقة بين المخلوق وخالقه التي في إطارها يعي العبدُ أن دنياه عمل بلا حساب وأن آخرته حساب بلا عمل، وعندما جهل الإنسان - أو تجاهل - فطرته شذَّ عن الاتساق الكوني، ونبا عن طبائع الأشياء، وتمرد على جادة الطريق فانحلت القيم، وتحللت العُرى، وخربت الذمم وفترت الهمم، وأصبح الإنسان عاجزاً أمام الأوبئة المادية، والضلالات الفكرية، والأمراض النفسية، والانحرافات الاجتماعية، وهذه كلها - لعمرك - ناجمة عن الخروج على الميزان الفطري الذي وضعه فاطر السماوات والأرض للنظام الكوني الدقيق مؤكدا ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾

[الرحمن ٧، ٨، ٩]

فتأمل تكرار كلمة الميزان تكرار إعجاز وتحديد، وإبراز وتوكيد.

وحول هذا المعنى تتأمل قول النبي ﷺ: «كل ميسر لما خلق له»(٧)، فالخالق عز وجل يهيىء لكل مخلوق ما يتفق وفطرته التي فطره عليها، وإنا لنهتدي في هذا السياق بما جاء في القرآن الحكيم على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾

[الشعراء ٧٨]

وإن المرء في تأملاته تلك ليخال الفطرة هي الوعاء الذي حوى الإسلام الحنيف في تناغم رفيع مع فطرة الكون وعندئذ لا يملك المرء إلا أن يهتف من جمع قلبه ولبه

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[آل عمران ١٩١]

(٧) عن عمران بن حصين (الجامع الصغير السيوطي)



الولد للفراش والبصمة الوراثية

للمستشار/ حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

من الظواهر المحمودة، التى تواكب كل جديد يكشف عنه العلم الحديث من مخترعات، لم تكن معروفة من قبل، وما يتوصل اليه من أبحاث متقدمة فى شتى مجالات الحياة، أن ينبرى الغيورون على شريعة الاسلام، فى محاولة اسناد كل هذه المستحدثات الى ما يؤيدها من مبادىء هذه الشريعة، عملاً بخاصيتها المتميزة، من صلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان، ومن هذه المستحدثات التى حظيت بقسط وافر من هذه المحاولة، ما يعرف علميا بالبصمة الوراثية، التى تعتمد كليا على تحليل الخلية الحية، عن طريق معرفة الحامض النووى الموجود بها، الذى يختلف من شخص الى آخر، وهذا التحليل يتم فى المعامل المتخصصة، بواسطة الفنيين الباحثين فى هذا المجال.

ومن المشكلات العملية التى تطفو دائماً على السطح من حين لآخر، وقد تؤثر على حياة الفرد والمجتمع، تلك المتعلقة بثبوت أو نفى نسب بعض الأولاد إلى آبائهم، ولأهمية ثبوت النسب فى حياة الأفراد، وبما يؤدى إليه من تحقيق استقرار المجتمع، فقد قرر فقهاء الشريعة الغراء: أن ثبوت النسب كما هو حق أصلى للولد، فهو أيضاً حق أصلى للأم، لتدفع عن نفسها تهمة الزنا، أو لأنها تُعير بولد ليس له أب معروف، كما أنه حق لله تعالى، لاتصاله بحقوق وحرمات، أوجب الله رعايتها فى المجتمع.

وفى إطار البحث فى مسألة ثبوت أو نفى النسب، على ضوء الدليل العلمى المستحدث، وهو البصمة الوراثية، تجب التفرقة بين الأسباب المؤدية لثبوت النسب أو نفيه، وبين الأدلة والوسائل التى يعتمد عليها القاضى فى إثبات النسب، لأن الخلط بينهما، قد تترتب عليه نتائج خطيرة، وقد يحدث بلبلة فى فكر غير المتخصصين، وهذا ما يستوجب علينا التركيز على بيان أوجه هذه التفرقة، وذلك على النحو التالى:-

أولا: أسباب ثبوت النسب

من المتفق عليه بين فقهاء الشريعة الغراء، أن هذه الأسباب تنحصر فى سبب واحد، وهو الفراش، وله عدة صور هى: الزواج الصحيح، والزواج الفاسد، والوطء بشبهة، وهذا يقتضى بيان النقاط الآتية:-

ماهية الفراش الذى يثبت به النسب

عول الفقهاء فى تحديد ماهية هذا الفراش، على ما رواه أبو داود والترمذى والإمام أحمد والبيهقى عن السيدة عائشة، وعثمان بن عفان- رضى الله عنهما- والنسائى عن السيدة عائشة، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن الزبير- رضى الله عنهم- أن رسول الله ﷺ قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، وفى رواية أخرى عند أبى داود، والإمام أحمد، عن ابن عمرو- رضى الله عنهما: «لا دعوة فى الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وقد ذكر العلماء أن المقصود بالولد فى هذا الحديث، كل مولود سواء كان ذكراً أو أنثى.. ويطلق على المفرد والجمع، والمقصود بالعاهر هو: الزانى، يقال عهر إلى المرأة: إذا أتاها ليلاً للفجور بها، والعهر هو: الزنا، والمقصود بالحجر أى: لاشىء للزانى فى الولد، فهو كناية عن الخيبة والحرمان، فيما ادعاه من النسب، لعدم اعتبار دعواه مع وجود الفراش للآخر، قال الإمام النووى: أخطأ من زعم أن المراد الرجم بالحجر، لأن الرجم خاص بالمحصن، ولأنه لا يلزم من الرجم نفى الولد الذى الكلام فيه، وقال السبكى: التعويل على الأول لتعم الخيبة كل زان، ودليل الرجم مأخوذ من موضع آخر، فلا حاجة للتخصيص بغير دليل، وأن الفراش المترتب عليه الأحكام، إنما يثبت فى حق الزوجة بعقد صحيح مع تمكن وطئها، وفى الأمة بوطئها، ومثل الزوج أو السيد هنا واطىء بشبهة، وليس لزان فى نسبه حظ، إنما حظه منه استحقاق الحد، فلا يثبت نسب بوطء زنا.

وهذا ما استقر عليه العمل أمام جهات القضاء، ومن تطبيقاته الآتى:-

١- من الأصول المقررة فى فقه الشريعة الإسلامية، أن النسب لا يثبت ما لم يثبت سببه بالحجة، لأن ثبوت الحكم ينبنى على ثبوت السبب.

٢- من الأصول المقررة فى فقه الشريعة الإسلامية، أن الولد للفراش، واختلفوا فيما تصير به المرأة فراشا، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه نفس العقد، وإن لم يجتمع الزوج بها، أو طلقها عقيبه فى المجلس.

والثانى: أنه العقد مع إمكان الوطء.

والثالث: أنه العقد مع الدخول الحقيقى، لا إمكانه المشكوك فيه، والقول بمعنى التلاقى هو الاتصال الجنسى، يؤدى إلى أن الفراش لا يثبت، إلا بالدخول الحقيقى، وهو ما لم يقصده المشرع بالمادة ١٥ من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩، ذلك بأن مفاد هذا النص: أن المشرع اختار الرأى الثانى، بما مقتضاه أن المناط فيما تصير به الزوجة فراشاً، إنما هو العقد مع إمكان الوطء، بصرف النظر عن تحققه، أو الاتصال الجنسى الفعلى.

٣- من الأصول المقررة فى فقه الشريعة





الإسلامية، أن النسب يثبت بالفراش، وهو الزواج الصحيح، وما يلحق به من مخالطة بشبهة، بناء على عقد فاسد أو شبهة، وفي حالة عدم قيام الزوجية الصحيحة، إذ أتى الولد لستة أشهر على الأقل من وقت الزواج، وكان يتصور الحمل من الزوج، بأن كان مراهقاً أو بالغاً، ثبت نسب الولد من الزوج بالفراش دون حاجة إلى إقرار أو بينة، وإذا نفاه الزوج فلا ينتفي إلا بشرطين: أولهما: أن يكون نفيه وقت الولادة.

وثانيهما: أن يلاعن امرأته فإذا تم اللعان بينهما مستوفياً لشروطه فرق القاضي بينهما، ونفى الولد عن أبيه وألحقه بأمه.

والأصل في النسب الاحتياط في ثبوته ما أمكن فهو يثبت مع الشك، ويبنى على الاحتمالات النادرة التي يمكن تصورها بأي وجه، حملاً لحال المرأة على الصلاح، وإحياء للولد.

٤- الولد للفراش يراد به الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة عند ابتداء الحمل، لا عند حصول الولادة.

ما يتحقق به الفراش

هنا تجدر التفرقة بين الزواج الصحيح والزواج الفاسد، والوطء بشبهة، وذلك كالآتي:-

١- بالنسبة للزواج الصحيح:-

تقرر المادة ١٧ من القانون رقم «١» لسنة ٢٠٠٠، بإجراءات التقاضي في مسائل الأحوال الشخصية، أنه: في حالة الإنكار، لا تقبل دعوى الزوجية، في الوقائع اللاحقة على أول أغسطس سنة ١٩٣١، إلا إذا كانت الزوجية ثابتة بوثيقة رسمية، ولكن استثناء من هذا الأصل، فإن دعوى التطليق أو الفسخ دون غيرهما، تكون مقبولة، إذا كان الزواج ثابتاً بأية كتابة، سواء كانت رسمية أو عرفية.

وفي هذه المادة أخذ المشرع بجزاء عدم قبول الدعوى المقرر في قانون المرافعات، ولأول مرة في التشريع المصري يقرر القانون قبول دعوى التطليق أو الفسخ، بحسب الأحوال دون غيرهما، بشرط أن يكون الزواج ثابتاً بأية كتابة، وفي بيان الحكمة من ذلك تقول المذكرة الإيضاحية للقانون رقم ١ لسنة ٢٠٠٠: «قبول دعوى التطليق من الزواج العرفي، والمشرع يفتح بهذا الحكم المستحدث باباً للرحمة بالزوجات اللاتي وقعن في مشكلة الزواج العرفي ولا تجدن مخرجاً منه، بسبب عدم سماع دعوى الزوجية المستندة إليه، فأتاح لهن المشرع سماع دعواهن بطلب التطليق، وواجه بذلك أمراً واقعاً، فيه إعنات للمرأة، يتمثل في تعليقها على ذمة زوج عقد عليها بزواج عرفي، ثم هجرها وأهملها أو غاب عنها، إلى حيث لا تعلم، ولا تجد فكاكاً من وصمة مثل هذا الزواج، فيجيز المشرع رفع دعوى طلب التطليق عليه، وتسمع دعواها هذه، إذا كان زواجها ثابت بأي كتابة، وفي هذا الأمر عدل، وفيه تصفية لمثل هذه الأوضاع المجحفة بالمرأة.

وغني عن البيان، أن الحكم بالتطليق في مثل هذه الحالات، لا يترتب عليه سوى إنهاء رابطة الزواج العرفي، بما يحرر الزوجة منها،

ويفتح لها آفاق الدخول في زوجية شرعية موثقة، ولا يترتب على ذلك الحكم بالتطليق، ما يترتب من الآثار الأخرى للحكم بالتطليق في زواج رسمي موثق.

والكتابة المشار إليها في هذا النص، كشرط لقبول دعوى التطليق من زواج عرفي، نرى أنه يجب أن تتضمن عناصر الزواج الصحيح، من الأركان وشروط الانعقاد وشروط الصحة، بما يجعلها تنبىء عن قيام زوجية حقيقية بين الطرفين، ولكن حجية هذه الكتابة قاصرة على إنهاء هذه الزوجية غير الموثقة، دون أن تتعدى ذلك إلى الآثار الأخرى التي تترتب على التطليق بحكم القاضي كالنفقة والمتعة والميراث وغيرها، ولكن نرى أنها تفيد في إثبات النسب حماية للولد وصوناً للعرض عملاً بما هو مقرر في الفقه الحنفي من أن النسب، يحتال لثبوته، تحقيقاً لهذه الغاية.

ومن مقتضى هذه المادة، أن الأصل في عقد الزواج يجب أن يكون ثابتاً بالكتابة، أياً كانت صورتها رسمية أو عرفية، وفي سبيل تحقيق ذلك فإن وزارة العدل أصدرت لائحة المأذونين بالنسبة للمسلمين من المصريين، ولائحة الموثقين المنتدبين بالنسبة لغير المسلمين من المصريين والأجانب، وحددت كل من اللائحتين الإجراءات الواجب اتباعها، عند تحرير وتوثيق عقود الزواج المختلفة.

ولما كان كل من المأذون والموثق المنتدب، هما من الموظفين العاملين، فإن ما يقوم به كلا منهما، من إجراءات في شأن توثيق عقود الزواج، وما يقوم بتحريره من أوراق، له صفة الرسمية على أساسها تكون القوة الملزمة، لهذه العقود والآثار المترتبة عليها، والحماية القانونية الواجبة لها.

وأية أوراق أو مستندات، تُحرر خارج نطاق اختصاص المأذون أو الموثق المنتدب، لا تزيد على كونها من الأوراق العرفية، التي تقتصر حجيتها على أطرافها، وليست لها ذات الحماية القانونية المقررة للأوراق الرسمية، حتى في مجال الأحوال الشخصية، لا يعتد بها إلا في قبول دعوى التطليق أو الفسخ من زواج عرفي.

ولكن يستثنى من هذا الأصل دعوى النسب، فإنها تكون مقبولة، ولو لم يكن الزواج ثابتاً بوثيقة رسمية على نحو ما سلف، وذلك وفقاً لما استقر عليه القضاء، من أن دعوى النسب متميزة عن دعوى إثبات الزوجية، لذلك فإن إثباتها لا يخضع لما أورده المشرع، من قيد على سماع دعوى الزوجية أو الإقرار بها، إذ لا تأثير لهذا المنع من السماع على دعوى النسب، التي مازالت باقية على حكمها المقرر في الشريعة الإسلامية.

٢- بالنسبة للزواج الفاسد أو الوطء بشبهة:-

المقرر في الفقه الحنفي، أن الزواج الذي لا يحضره شهود هو زواج فاسد، ويترتب عليه آثار الزواج الصحيح، ومنها النسب بالدخول الحقيقي، والقاعدة في إثبات أنه إذا استند إلى زواج صحيح أو فاسد، فيجب لثبوته أن يكون الزواج ثابتاً، لا نزاع

فيه، سواء كان الإثبات بالفراش أو بالإقرار أو بالبينة الشرعية، وهي على من ادعى، بل إن البينة في هذا المجال أقوى من مجرد الدعوى أو الإقرار، ولا يشترط لقبولها معاينة واقعة الولادة، أو حضور مجلس العقد، وإنما يكفي أن تدل على توافر الزواج أو الفراش بمعناه الشرعي.

ثانيا: أدلة إثبات النسب

من الأمور الهامة التي يجب مراعاتها في النظرة لأدلة إثبات النسب، ما هو مقرر في فقه الأحناف، من أن النسب يحتاط في إثباته بما لا يحتاط في غيره، إحياء للولد، وأجازوا بناءه على الاحتمالات النادرة، التي يمكن تصوره، بأي وجه حملاً لحال المرأة على الصلاح وإحياء للولد، كما أثبتوا النسب مع الشك، وأنه إذا احتملت العبارة إثبات النسب وعدمه، صرفت للإثبات، وأجيزت فيه الشهادة بالشهرة والتسامع، واغتفر التناقض فيها، وأنه إذا تعارض ظاهران في النسب قدم المثبت له.

ومن المستقر عليه في الفقه والمعمول به أمام جهات القضاء، أن دعوى النسب باقية على حكمها في الشريعة الإسلامية، وأن النسب في جانب المرأة، يثبت بالولادة، ولا مردلها، وهو إذا ثبت يلزم، ولا يحتمل النفي أصلا، وفي جانب الرجل يثبت بالفراش وبالإقرار والبينة وهو بعد الإقرار به لا يحتمل النفي، ويجوز إثباتها بالبينة، وأن شهادة الميلاد بمفردها ليست حجة في إثبات النسب، وإن كانت تعد قرينة عليه، إذ لم يقصد بها ثبوته، وإنما جاء ذكره فيها تبعاً لما قصد منها ووضعت له، ولأن القيد بالدفاتر لا يشترط فيه أن يكون بناء على طلب الأب أو وكيله، بل يصح بالإملاء من القابلة أو الأم فلا يعتبر نسبة الطفل فيها لشخص معين حجة عليه، طالما لم يقر بصحة البيانات المدونة بها.

وعلى ذلك فإن البصمة الوراثية تعد من الأدلة الفنية التي يستعين القاضي في معرفتها بأهل الخبرة المتخصصين، وفي النهاية تخضع لسلطة تقديره، كغيرها من الأدلة الفنية بصفة عامة، وهي لا تؤثر على سبب النسب، المتمثل في الفراش، الذي أشار إليه الحديث الشريف سالف البيان.

والبصمة الوراثية تستند إلى القاعدة الأصولية التي تقرر أن الأصل في الأشياء الإباحة، وفي الإنسان براءة الذمة، ما لم يقم الدليل على عكس ذلك، باعتبار أن هذه القاعدة تمثل أحد أدلة الأحكام الشرعية المعروفة في الشريعة الغراء، وهو دليل الاستصحاب، الذي من مقتضاه، أن اليقين لا يزول بالشك، وأن الأصل بقاء ما كان على ما كان عليه، حتى يثبت خلافه بدليل آخر أقوى منه.

ولما كانت هذه البصمة من مستحدثات العصر الحالي، فقد اقتصر الحديث عنها على علمائنا المعاصرين، الذين اتفقوا على أن حجيتها لا تعدو أن تكون قرينة في الإثبات أو النفي، تحتاج إلى ما يؤيدها من البيانات الأخرى، ولا تصل إلى مرتبة الدليل الكامل في هذا الصدد، ومن ثم فإنها إذا تعارضت مع الفراش كسبب للنسب، فإن الفراش يعلو عليها في الإثبات.

والله تعالى ولي التوفيق..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

قصيدة العدد

خدعة الثناء وفتنة الأدعياء

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد الزين

كلهم في الهوى يزين دينه — ألف مفت ومالك بالمدينة

جهلوا لجة البحار ومسرى — ريحها وادعوا قياد السفينة

كاد يهوي بها إلى القاع فوضى — من دعاوى الجهالة المأفونة

نجها رب إننا قد جعلنا — كل فن في غير من يحسنونه

كل من صاح بالنبوة فينا — قام أوس وخزرج ينصرونه

فتنوه عن نفسه فتعالى — وادعى خلق غضبة يخلقونه

ملئوا رأسه من الوهم حتى — ظن إنما أن النبوة دونه

وله المعجزات وجه صفيق — يعجز الصخر أن يكون قرينه

غاض ماء الحياء من وجهه الصلب — فلا يكسر الحديد متينه

يتلقى وحي السماجة والحمق — ويوحي لعصبة يتبعونه

ولديه آي من البغي إن را — م حديثا لم يستطع تبيينه

معجزات النبي علم وهذا — معجز بالجهالة المقترنة

ليس ذنب المدعي هذا ولكن — ذنب شعب بالزور يمتدحونه

كل يوم يكرمون دعيا ... كان عدل الجزاء لو يرجمونه

كلما أرسل الحمار نهيقا ... ظن أهل السماء يستمعونه

ويخال السبع السموات تشوى ... من فيوضات جهله والرعونه

قد تفشى التمويه في مصر حتى ... تحسب الزهر موهوا تزيينه

ومحا الأدعياء كل يقين ... فشككنا في الشمس وهي مبينه

فاستمع للغناء تسمع صياحا ... كخوار الثيران لو يصفونه

إن تغنوا بالحب عاد سلوا ... يزعجون الهوى بما يسمعونه

كل آه تمحوا من القلب ذكرى ... وتميت الهوى ومن يعشقونه

نغمات ما بين غرب وعرب ... ليس يدرى أحرة أم هجينه

وأغان مجنونة في المعاني ... لفقتها صياغة مجنونه

وليال تضج منها الليالي ... تدع الليل لا يذوق سكونه

تتمنى الأوتار لو أنها أمست ... سياطا تشوى الوجوه الشخينه

إن مللت الصياح قالوا فقدر ... فنه قلت قد مللت فنونه

إن أصبنا اللحون نفقده صوتا ... أو أصبنا صوتا فقدنا لحونه

والذي حير العقول مغن ... قد خلا منهما وهم يطرونه

ودعي في الدين والدين يشكو ... فعلات كالكفر منه لعينه

نال ما يشتهي من الجاه باسم الدين ... زورا في الأمة المسكينه

هو فيهم كالذئب بين دجاج ... أو شياه يختار منها السمينه

فقد الدين واليقين وصار المال ... والجاه دينه ويقينه

تخذ الإفك والتملق دينا ... فجميع الأديان تلعن دينه



ولكم يدعون عطفا على البؤ ... س وباسم الفقير ما يجمعونه

ولكم بائس يرى الجوع منه ... جسدا لا تكاد أن تستبينه

وعضال الأسقام أذواه حتى ... لا تحس الأساة إلا أنينه

كبقايا الجدران لم يدع الزلزال ... منها إلا رسوما حزينه

راح يبغي على السقام معينا ... فأبت دور طبهم أن تعينه

طردوه عنها وقد شيدوها ... باسم عان قد أعوزته المعونه

والألوف الألوف تنفق فيها ... ولغير الإله ما ينفقونه

من طعام ومن دواء وطب ... لذوي الجاه والغني يبذلونه

وليمت في البلاد كل فقير ... فهو كل عليهم ومؤونه

وتعالوا إلى الدواوين إن الحال ... فيها يذري الدموع السخينه

كل شيء في جوها بين جهل ... سائد أو كفاية مغبونه

كم رئيس لولا القوانين تحمي ... جهله كان طرده قانونه

ذو جنون وزاد فيه جنونا ... أن يرى ذا الحجا يطيع جنونه

أي شعب يعطي على الظلم أجرا ... غير مصر ومن طغى يرفعونه

ومتى تضمن العدالة والظا ... لم فيها أرزاقه مضمونه

غلب المدعون في الفن حتى ... أخرسوا بالصياح من يتقنونه

كدروا ورده الشهي فعافته ... أباة النفوس لا يردونه

كل فن في مصر عاد طلاء ... فأخوا العقل من يسيء ظنونه

كل يوم فيها نشيع فنا ... هالكا لا يحس من يكونه

عظم الله أجركم في حياة العلم ... لاقى بالأدعياء منونه

هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟

(٦)

للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

(٧) جان ـ شارل سورنيا

جان ـ شارل سورنيا أستاذ بالأكاديمية الطبية الفرنسية، ترأس الجمعيتين الفرنسية والدولية لتاريخ الطب، وله العديد من المؤلفات في المجال نفسه، منها كتاب «الأطباء العرب في القرنين العاشر والحادي عشر» (إصدار عام ١٩٨٦م)، وخبرة أستاذ الطب الفرنسي في مجال تاريخ الطب تدعونا إلى التركيز على بعض ألفاظه وعباراته التي قصدها قصداً في ثنايا مؤلفاته، وتعكس هوى في نفسه يمكن أن يجد صداه في نفس القارئ الغربي، فضلاً عن أنه يجافي ماتنطبق به حقائق التاريخ الناصعة ومايقول به المنصفون من مؤرخي العلم والحضارة. وهنا ينبغي التنبيه إلى وجود نوع جديد من الاستشراق لا يكتفي بمعرفة الشرق من أجل اختراقه وإحكام السيطرة عليه، ولكنه يهدف أيضا، باسم العلم ومن خلاله، إلى بث أفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين. وتفنيدنا لمثل هذه الدعاوى يمثل من جانبنا دعوة إلى فهم أعمق لطبيعة علاقتنا مع حضارة العصر المادية، خاصة بعد أن لجأت بعض التيارات المعادية للإسلام والمسلمين خلال العقود الأخيرة إلى أن تتخذ من العلم ومنهجه رداءً خادعاً تبدو فيه مزاعمها وكأنها نتاج منطقي وتعبير حقيقي عن الواقع الإنساني.

العلم العبري!!

ولا يجد المرء صعوبة منذ البداية في ملاحظة التميز الواضح من جانب الطبيب المؤرخ في كتابه «تاريخ الطب» لثقافة الغرب المادية ومحاولة التأصيل لها بالرجوع إلى ما أسماه «التراث اليهودي المسيحي المشترك»، وهو اتجاه سبقه إليه عدد من المؤرخين والمستشرقين غير المنصفين الذين يتعاملون مع التاريخ



وفق منهج انتقائي، يختارون من أحداثه وحقائقه مايخدم ميولهم التعصبية، ونجده واضحاً في سلسلة «تاريخ العلوم العام» التي تقع في أربعة أجزاء أسهم في تأليفها أكثر من مائة باحث بإشراف «رينيه تاتون» (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م)، حيث يكال المدح والثناء على مايسمى «بالعلم العبري»، وتساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة في الشرق، وللإشادة بالعصر الذهبي «للعبقرية السامية» في حضارة بابل وآشور.

ومن الدعاوى التي ضمنها الطبيب الفرنسي كتابه «تاريخ الطب» أن «كتاب القانون في الطب لابن سينا ركام غامض لا نستطيع أن نستخرج منه أي استنتاج ذي فائدة عملية للمرضى»، كما يحاول المؤلف أن يؤكد تقديره لابن سينا كفيلسوف، ولكنه يحتفظ بإعجابه للرازي كطبيب. وهو بهذه المقولة يحاول أن ينفي صفة التجريبية عن واحد من رواد العلم الإسلامي التجريبيين، ولو كان مؤرخاً منصفاً لعلم أن الأطباء في عصر الحضارة الإسلامية ينقسمون ـ فيما يرى جورج سارتون ـ إلى مجموعتين:

الأولى: مجموعة الممارسين الذين اهتموا في المقام الأول بالمرضى والتشخيص والعلاج معتمدين على الملاحظات والمشاهدات، والفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ الغاية، ويمثل هذه المجموعة أبو بكر الرازي الطبيب الفيلسوف.

• أما الفريق الثاني فهو فريق المدرسين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لا غنى عنه، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذي دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقي، ولهذا أطلق عليهم «الفلاسفة الأطباء»، ويمثلهم الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب «القانون» الذي جمع خلاصة الفكر اليوناني واحتوى على غاية ماوصلت إليه الحضارة الإسلامية في مجال الطب تجربة ونقلاً وتصحيحاً وابتكاراً. والواضح أن كلا الفريقين من الأطباء يتبع المنهج التجريبي في البحث الطبي ويعتمد عليه بصرف النظر عن أنه غاية أو وسيلة، فالتقدم نحو إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة العملية.

ابن سينا اكتشف الفيلاريا والجمرة الخبيثة والانكلستوما

وكيف يكون ابن سينا في نظر أستاذ الطب الفرنسي ـ جان ـ شارل سورنيا مجرد فيلسوف وهو الذي أكد على أهمية اتباع المنهج التجريبي بفحص تحليل البول والبراز عند تشخيص المرض، ووصف بدقة تقيح التجويف البلوري، وميز بين الالتهاب الرئوي الحاد والالتهاب السحائي الحاد، وفرق بين المغص الكلوي والمغص المعوي، وبين شلل الوجه الناشئ عن سبب مركزي في المخ ومانشأ عن سبب موضعي. نعم.. كيف لا

يكون ابن سينا طبيباً تجريبياً وهو الذى اكتشف داء الفيلاريا والجمرة الخبيثة المسببة للحمى الفارسية واكتشف طفيلية الانكلستوما ووصفها بالتفصيل لأول مرة فى كتابه «القانون» وسمّاها «الدودة المستديرة» وتحدث عن أعراض المرض الذى تسببه، وأعاد «دوبيني» اكتشافها بإيطاليا عام ١٨٣٨م، أى بعد اكتشاف ابن سينا لها بتسعمائة سنة تقريباً، وقد أخذت بهذا التصحيح مؤسسة «روكفلر» الأمريكية التى تعنى بجمع كل مايكتب عن هذا المرض.

وكيف لم ير أستاذ الطب الفرنسى فى كتاب «القانون» لابن سينا أى فائدة عملية للمرضى. بينما شهد مؤرخو العلم وفلاسفته بأهمية هذا الكتاب الذى اشتهر فى أوروبا شهرة عظيمة وطبعت ترجمته كاملة إلى اللاتينية ست عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر الميلادى، وطبعت بالعبرية في نابولى عام ١٤٩٢م، كما طبع بالعربية مرتين: الأولى فى روما عام ١٩٥٣م، والثانية فى القاهرة عام ١٨٧٧م. أما الطبعات التى تقتصر على جزء أو أجزاء منه فهى كثيرة ويصعب حصرها لأنها تتجاوز التصور عدداً. كان هذا حظ القانون لابن سينا، فى الوقت الذى لم تنل فيه مؤلفات اليونان الطبية إلا قدراً ضئيلاً من الحظوة يتمثل فى الأقوال والحكم المأثورة عن أبو قراط وجاليتوس.

ويكرر الطبيب الفرنسى مزاعم أخرى منها قوله: «إن المؤمنين فى بلاد الإسلام يؤسسون علمهم الطبى على الطب النبوى». والحق أن مايعرف «بالطب النبوى» أو «الطب الإسلامى» قد نشأ بظهور الإسلام ونما وتطور نظرياً وعملياً على أيدى علماء الأمة الإسلامية وأصبحت له فروع تبحث فى نباتات الأرض الإسلامية وفى أسرار القرآن الكريم وأحكامه وشرائعه وعلاقتها بالصحة والوقاية والبيئة والعلاج والتربية وغيرها من المباحث الطبية المختلفة.

إعادة صياغة التاريخ

كما تعجب من قول مؤلف «تاريخ الطب» الفرنسى مانصه: «مع نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ندر الأطباء الكبار المتكلمون باللغة العربية فى الشرق»، متجاهلاً بذلك أن اللغة العربية فى ذلك الوقت كانت وحدها لغة العلم العالمية، وقد أحيها الموالى وفضلوها على لغاتهم الأصلية.

إن الغربيين ليسوا متساويين فى النظر إلى حضارتنا، وعلينا أن نفطن إلى فحص وتدقيق كل مايكتب عن هذه الحضارة الرائدة. وربما نكون على صواب إذا ما اعتقدنا أن التاريخ تعاد صياغته الآن فى عصر العولمة - في إطار أنساق متحيزة يمكن أن تحدد مستقبلاً نوعاً من الاستشراق الجديد والعلمانية المحدثة التى تتستر بالعلم لإثارة الشكوك حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً وحضارة.

تهنئة ودعاء



أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية القرار رقم ٢٨٣ لسنة ٢٠٠٦ بمد خدمة فضيلة الشيخ/ عمر الديب محمد محمود لمدة سنة اعتباراً من اليوم التالى لتاريخ السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة، وذلك بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

وأسرة تحرير مجلة الأزهر يسعدها أن تتقدم بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ/ عمر الديب

وتتمنى لفضيلته دوام التوفيق.



الحكومة الموحدة لأكراد العراق

للأستاذ/
صلاح عبد الرحيم محمد

شهد السابع من مايو ٢٠٠٦، في قاعة الأول من شباط (أبريل)، في أربيل، مصادقة المجلس الوطني الكردستاني (البرلمان) على التشكيلة الجديدة للحكومة الكردية الموحدة، بعد اتفاق بين الكتل السياسية الكردية على توحيد حكومتي الإدارتين الكرديتين، الأولى في أربيل بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة «مسعود البرزاني» والثانية في السليمانية بقيادة الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة «جلال طالباني» في حكومة واحدة، وهي الحكومة الخامسة منذ انفصال الإدارتين الكرديتين عام ١٩٩٢. ولقد افتتح «عدنان المفتي» الجلسة بكلمة، تلتها كلمة رئيس الحكومة الكردية الموحدة، وممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني «نيجيرفان بارزاني» الذي أعلن أسماء التشكيل الوزاري لحكومته، لتتحول الكلمة مرة ثانية إلى «عدنان المفتي» رئيس البرلمان الذي طلب من أعضاء البرلمان الكردي إبداء معارضتهم أو موافقتهم على أسماء الوزراء الذين بدأ بذكر أسمائهم، الواحد تلو الآخر، أدى بعدها «نيجيرفان بارزاني» رئيس الحكومة الكردية الجديدة اليمين القانونية (القسم)، وتبعه نائبه «عمر فتاح حسين» ممثل الاتحاد الوطني الكردستاني، ثم أعضاء الحكومة الموحدة من الوزراء. وقد حضر أداء اليمين القانونية «مسعود البرزاني» رئيس إقليم كردستان، والدكتور «محمود المشهداني» رئيس مجلس النواب العراقي، والدكتور «عادل عبدالمهدي» نائب رئيس جمهورية العراق الفيدرالي، و«مدحت محمود» رئيس مجلس القضاء الإداري، وممثلو الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، والأمم المتحدة، وروسيا، والصين، وإيطاليا، وبولندا، والهند، وإيران، وكوريا الجنوبية، وسوريا، والإمارات العربية، وممثلو الأحزاب الكردية، وأعضاء المكتبين السياسيين للحزب الديمقراطي الكردستاني، والاتحاد الوطني الكردستاني، وأعضاء المجلس الوطني الكردستاني (البرلمان الكردي). وفي هذه الجلسة أدلى «عدنان المفتي» رئيس المجلس الوطني الكردستاني (البرلمان) بكلمة أوضح فيها مهام

الحكومة الجديدة وأهمها مواجهة الإرهاب في كردستان، والحفاظ على أمن المنطقة، وأكد على ضرورة تنفيذ المادة ١٤٠ من الدستور العراقي المتعلقة بإعادة مدينة «كركوك» إلى أحضان إقليم كردستان، وفق المادة ٥٨ من قانون إدارة الدولة المؤقت.

حكومة وبرنامج

وجاء في كلمة «نيجيرفان بارزاني» رئيس حكومة كردستان الموحدة قوله: «أتمنى أن تقوم هذه الحكومة بمحاولات جيدة لإعادة المناطق الكردية التي اقتطعت من إقليم كردستان، بالطرق القانونية والدستورية»، وأعرب عن أمله في إقامة علاقات متميزة مع دول الجوار، فقال: «نمد يد الأخوة والتعاون إلى دول الجوار» مؤكداً أن «أسلوب التهديد زال وانتهى، ونحن لن نقبل أي تهديد بعد اليوم من أي مكان» وهي إشارة إلى تركيا وإيران وسوريا التي ترفض إقامة حكم ذاتي للأقلية الكردية فيها، خاصة تركيا التي ترى في إقليم كردستان العراق مصدر قلق لها، وحافزاً لأكرادها للمطالبة بحكم ذاتي أسوة بأكراد العراق، لذلك فهو يرفض أي تهديد يصدر من هذه الدول.

ولقد حدد «نيجيرفان بارزاني» رئيس الحكومة الكردية الموحدة برنامج حكومته أمام البرلمان الكردستاني فيما يلي:

- ترسيخ النظام الديمقراطي الفيدرالي في العراق على أساس التوافق واحترام حقوق جميع الأقليات.
- العمل على استرداد الحقوق المشروعة للشعب الكردي في خانقين ومندلي وكركوك ومخمور والشيخان وسنجار.
- العمل على ضمان تنفيذ البنود الدستورية حول استخدام اللغة الكردية كلغة رسمية ثانية.
- التأكيد على أن تتحمل الحكومة العراقية مسئولية تعويض الشعب الكردي عن المآسي التي تعرض لها، وتخصيص موازنة منصفة لحكومة كردستان الموحدة.
- النظر إلى التشكيلة الوزارية الخامسة الجديدة باعتبارها تشكيلة ضمان الأمن والاستقرار، وسيادة القانون، وتطوير الاقتصاد، وتوفير الخدمات الأساسية وفرص العمل، والحريات الفردية والعامة.
- دعم جميع الجهود لتأسيس «أقاليم فيدرالية» أخرى في العراق على أساس الدستور والتعايش الاختياري.
- إقامة مؤسسات دستورية حضارية في إقليم ديمقراطي، ينعم شعبه بالأمان، والعيش الرغيد.
- دعم القطاع الخاص في جهوده المخلصة لخدمة شعب كردستان، وتوفير الأجواء الآمنة للاستثمار الخارجي.
- إنعاش الاقتصاد الكردستاني، والاتجاه نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي سبيلاً لرفاهية الشعب الكردي.

البيشمركة

وفي هذا السياق تحدث «عادل عبدالمهدي» نائب رئيس جمهورية العراق فقال: «أقول لمن يتخوف من أن تصبح كردستان قوية، أن



كردستان قوية تعنى عراقاً قوياً، وكردستان موحدة تعني عراقا موحداً، وأضاف قائلاً: «إن كردستان ضربت بالسلاح الكيماوي، وشنت عليها الحملات العسكرية، لكنها لم ترد سوى في ساحات القتال على أيدي البيشمركة».

وكانت البيشمركة في نظر صدام حسين، عبارة عن ميليشيات متمردة وخارجة عن القانون، أما في نظر الشعب الكردي، فهي تمثل الجيش الذي يدافع عن إقليم كردستان في شمال العراق، واللافت أن قوات البيشمركة يقدر عددها بحوالي ٨٠ ألف مقاتل، ويرفض «مسعد البارزاني» رئيس إقليم كردستان اعتبار البيشمركة ميليشيا، فيقول: «إن الدستور حسم أمرها بطريقة لا تتعارض مع تشكيل الجيش العراقي النظامي» وهو يرى أن فصائل البيشمركة ستصبح جزءاً من الجيش بحيث يتم تكليفها بمهمة حماية إقليم كردستان والدفاع عنه، وهو ما يعني استبعاد الإقدام على حل هذه القوات، وضمها إلى الجيش لتوزيعها على جميع المحافظات، ونفس الوضع ينطبق على «قوات بدر» التي يرفض المجلس الأعلى للثورة الإسلامية حلها، وضمها إلى الجيش النظامي، وهي القوات التي دربتها إيران، ويُقدَّر عددها بأكثر من ١٥ ألف مقاتل.

وأكد نائب رئيس جمهورية العراق «عادل المهدي» في كلمته أمام جلسة البرلمان الكردستاني على أن «النظام الفيدرالي» يجب أن يأخذ أبعاده في العراق كله لأن هذه التجربة هي أنسب ما يمكن أن يحصل عليه الشعب العراقي من النظم التعددية»، وهو ما يعني أن يتحول العراق إلى فيدراليات في الشمال والوسط والجنوب بين الأكراد والشيعة والسنة، بحيث يكون لكل فيدرالية حكومتها، وبرلمانها، ودستورها، وجيشها الخاص بها، ورئيسها. وإذا كان الأكراد قد نجحوا في إنشاء فيدرالية خاصة بهم في شمال العراق، بدعم أمريكي تحت اسم «إقليم كردستان»، فإننا نجد في الوقت الحالي أن التحالف الشيعي يسعى إلى المطالبة بفيدرالية له في الوسط والجنوب العراقي مكونة من تسع محافظات، ولقد تقدمت قائمة الائتلاف الشيعية، في مطلع شهر سبتمبر ٢٠٠٦ بمشروع «الفيدرالية» لمناقشته تمهيداً لإقامة إقليم الوسط والجنوب، يضم تسع محافظات شيعية، ويرى الائتلاف الشيعي في هذا المشروع «ضمانة بعدم عودة الديكتاتورية إلى العراق مرة أخرى»، بينما يرى السُّنَّة أن الفيدرالية قد تكون مقدمة لتقسيم العراق، وتجزئة وحدته، وتفتيت قوته، وضياع هيبته.

وقد قدَّم «عدنان المفتي» رئيس المجلس الوطني الكردستاني (البرلمان) «نيجيرفان بارزاني» أمام البرلمان الكردستاني للتصويت لتولي منصب رئاسة الحكومة الكردستانية الموحدة الجديدة، حيث تم التصويت عليه بالإجماع، تلاه التصويت بالإجماع أيضا على اختيار عمر فتاح حسين، نائبا لرئيس حكومة إقليم كردستان. ومن هنا عرض «نيجيرفان بارزاني» أسماء وزراء حكومته الكردية الموحدة، على البرلمان، وفق التشكيل التالي:

١ - نيجيرفان إدريس البارزاني، رئيس حكومة إقليم كردستان.

٢ - عمر فتاح حسين، نائب رئيس حكومة إقليم كردستان.

٣ - عثمان حاجي محمود، وزير الداخلية.

٤ - عبدالكريم سلطان شكاري، وزير الإقليم للشئون الداخلية.

٥ - سركيس أغا جان مامندو، وزير المالية والاقتصاد.

٦ - بايز سعيد محمد الطالباني، وزير الإقليم للشئون المالية.

٧ - فاروق جميل صادق، وزير العدل.

٨ - أزاد عزالدين ملا فندي، وزير الإقليم لشئون العدل.

٩ - عمر عثمان إبراهيم، وزير شئون البيشمركة (بمثابة وزارة الدفاع).

١٠ - جعفر مصطفى، وزير الإقليم لشئون البيشمركة.

١١ - برهان سعيد صوفي، وزير النقل.

١٢ - دلشاد عبدالرحمن محمد، وزير التربية.

١٣ - دكتور عبدالرحمن عثمان يونس، وزير الصحة.

١٤ - عدنان محمد قادر، وزير العمل والشئون الاجتماعية.

١٥ - محمد احمد سعيد شاكلي، وزير الأوقاف.

١٦ - تحسين قادر علي، وزير الموارد المائية.

١٧ - عماد أحمد سيفور، وزير الإعمار والسكان.

١٨ - عثمان إسماعيل حسين، وزير التخطيط.

١٩ - يوسف محمد عزيز، وزير حقوق الإنسان.

٢٠ - إدريس هادي صالح، وزير التعليم العالي والبحث العلمي.

٢١ - عبدالعزيز طيب، وزير الزراعة.

٢٢ - جنار سعد عبدالله، وزيرة شئون الشهداء والمعتقلين.

٢٣ - فلك الدين كاكه يي، وزير الثقافة.

٢٤ - هوشيار عبدالرحمن سيويلي، وزير الكهرباء.

٢٥ - الدكتور أشتي هورامي، وزير الثروات الطبيعية.

٢٦ - نازنين محمد وسو، وزيرة البلديات.

٢٧ - طه عبدالرحمن علي، وزير الرياضة والشباب.

٢٨ - الدكتور محمد إحسان، وزير شئون المناطق خارج الإقليم (بمثابة وزارة الخارجية).

٢٩ - محمد رؤوف محمد، وزير التجارة.

٣٠ - وداد خورشيد عثمان، وزير الصناعة.

٣١ - دارا محمد أمين، وزير البيئة.

٣٢ - نمرود بتيو، وزير السياحة.

٣٣ - حيدر الشيخ علي، وزير الاتصالات.

٣٤ - أبوبكر علي، وزير الإقليم.

٣٥ - الدكتورة جنان قاسم، وزيرة الإقليم.

٣٦ - جورج يوسف منصور، وزير الإقليم.



٣٧- الدكتور خليل سعيد قاسم، وزير الإقليم.

٣٨- محمد حاجي محمود، وزير الإقليم.

٣٩- محمود عيدو، وزير الإقليم.

٤٠- مدحت مندلاوى، وزير الإقليم.

٤١- سعد خالد محمد أمين، وزير الإقليم.

٤٢- عبداللطيف بندر أوغلو، وزير الإقليم.

اليمين القانونية.. وعلم كردستان

والجدير بالذكر أنه عقب تلاوة أسماء الوزراء الـ٤٢ الذين يمثلون التشكيل الوزارى لحكومة كردستان الموحدة الجديدة، دعا «عدنان المفتى» رئيس المجلس الوطنى الكردستانى (البرلمان الكردى) «مسعود البارزانى» رئيس إقليم كردستان للحضور إلى منصة البرلمان للمشاركة فى أداء اليمين القانونية (القسم) لرئيس ونائب رئيس الحكومة الكردية الموحدة والوزراء. وكان نص القسم الكردى هو: «أقسم بالله العظيم أن أدافع بإخلاص عن وحدة وأرض كردستان العراق، وأحترم القانون، وأرعى مصالح الشعب». وبالقراءة الواعية للقسم (اليمين القانونية)، يمكن رصد عدد من العناصر والأجزاء التى يؤكد عليها هذا القسم وهى:

ـ وحدة الشعب الكردى وهو ما يعنى تميزه بخصائص فريدة تؤهله للاعتزاز بوحدة المصير المشترك، وحقه فى استخدام لغته الكردية كلغة رسمية ثانية فى التعليم والدواوين.

ـ وحدة أرض كردستان العراق. وهو ما يعنى تطلع الشعب الكردى لتحديد جغرافية هذه الأرض التى يعيش عليها فى أربيل ودهوك والسليمانية وحقه فى المطالبة بكركوك، ويؤكد هذه الوحدة الجغرافية، قيامه برفع العلم الكردى عليها وهو علم جمهورية «مهاباد الكردية» التى أقامها الشعب الكردى فى إيران عام ١٩٤٦، وإنزال علم العراق مؤخراً عن أبنية إقليم كردستان فى شمال العراق باعتباره علم فترة الاضطهاد التى عانى منها الشعب الكردى، فى عهد صدام حسين، الكثير.

ـ احترام القانون، وهو دليل تحضر الشعب الكردى، والتزامه بالقانون والدستور.

ـ رعاية مصالح الشعب الكردى، الذى تعرض للكثير من المآسى، والمعاناة فى ظل حكم صدام حسين، وتعويضه عن هذه المعاناة برعاية حقوقه السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والإحساس بكيانه ووجوده السياسى. وهو يعلق آمالاً كباراً على حكومته الموحدة الجديدة فى تحقيق رفاهيته وعيشه الآمن. ولاشك أن هذا القسم يخص الأكراد، يعكس تطلع الشعب الكردى إلى تقرير مستقبل حياته، وحقه فى المطالبة بأن يكون له كيان ذاتى مستقل، وربما دولة فى المستقبل.

يمكن القول، فى ضوء التشكيل الوزارى لحكومة كردستان الموحدة، أن هذه الحكومة تتميز بعدد وزاراتها الكبير، فهى تتألف من ٤٠ وزارة، منها ٢٧ وزارة فعالة، و١٣ وزارة إقليم (أى وزارة دولة)، بالإضافة إلى منصبى رئيس الحكومة «نيجيرفان البارزانى» الذى يمثل الحزب الديمقراطى الكردستانى، ونائب رئيس الحكومة «عمر فتاح حسين» الذى يمثل الاتحاد الوطنى الكردستانى، وقد جرى توزيع ٢٢ حقيبة وزارية بالتساوى بين الحزبين الرئيسيين، وهما الحزب الديمقراطى الكردستانى، والاتحاد الوطنى الكردستانى حيث حصل كل منهما على ١١ وزارة. أما الحقائب الوزارية الباقية فتم توزيعها بين الأحزاب الأخرى، كما أعطيت حقيبة وزارية للمسيحيين، وأخرى للتركمان. ومن جهة أخرى شاركت المرأة فى شغل ثلاث وزارات، الأولى وزارة البلديات، وشغلتها «نازين محمد وسو»، والثانية وزارة شئون الشهداء والمعتقلين وتولتها الدكتورة «جنار سعد عبدالله»، والثالثة وزارة الإقليم، ورأستها الدكتورة «جنان قاسم».

ويرى «عادل عبدالمهدى» نائب رئيس جمهورية العراق الفيدرالية أن «التشكيلة الوزارية للحكومة الموحدة الجديدة تعكس مكونات الشعب العراقى من أكراد، وعرب، وتركمان، وآشوريين، وأيزيديين، وشيعة وسُنة، وهى بذلك تدعم الوحدة العظيمة التى تربط بين هذه المكونات».

الطريق إلى الانفصال

وفى هذا السياق أكد «مسعود البارزانى» رئيس إقليم كردستان أن «كردستان جزء لا يتجزأ من العراق الفيدرالى الديمقراطى، وستكون دائما قلعة حصينة للدفاع عن العراق، وستكون (قوات البيشمركة) قوة بيد الحكومة الفيدرالية فى بغداد لحماية العراق. وهو بذلك يريد أن يُفند مزاعم من يدّعى أن الفيدرالية الكردية التى تتمثل فى إقليم كردستان هى مجرد بداية لتقسيم العراق، وتجزئة وحدته. غير أن هناك العديد من الحقائق والشواهد التى توحى بأن إقليم كردستان العراق فى طريقه إلى الانفصال عن العراق، أهمها. أولاً:

المصادقة على تشكيل حكومة موحدة لعموم الشعب الكردى.

وثانياً: وجود برلمان موحد لإصدار التشريعات والقوانين التى تخص مصالح الشعب الكردى.

وثالثاً: تكوين جيش كردى من ٨٠ ألف مقاتل يتمثل فى قوات البيشمركة للدفاع عن شعب وأرض كردستان العراق.

ورابعاً: إنزال العلم العراقى من فوق الأبنية والمؤسسات الكردية، ورفع العلم الكردى عليها، رمز الدولة المنشودة.

وخامساً: جرى مناقشة «مشروع دستور للإقليم الكردى» يوم ٢٤ / ٩ / ٢٠٠٦ يتضمن تحديد جغرافية إقليم كردستان فى الشمال العراقى بحيث يتجاوز المحافظات الثلاث (أربيل ودهوك والسليمانية) التى يتكون منها لتضم إليها مدينة كركوك التى تمثل «قدس الأقداس» بالنسبة للشعب الكردى. وأخيراً لا ننسى التهديد المُبطن لرئيس حكومة كردستان الموحدة بالانفصال فى تصريحه أواخر سبتمبر الماضى بقوله: «إن شعب كردستان اختار أن يكن فى اتحاد طوعى مع العراق على أساس الدستور، وإذا رفض الوزراء فى بغداد الالتزام بهذا الدستور، فإن شعب كردستان، يحتفظ بالحق فى إعادة النظر فى اختياره». ونتساءل ألا يكفى ذلك دليلاً على توافر مقومات قيام دولة كردية فى العراق، يمكن أن تهدد وحدته، خصوصا بعد تأليف حكومة كردية موحدة.



النبوءة والسياسة

تأليف

جريس هالسيل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



من المعروف أن المضلِّل ـ أو النصاب ـ يعتمد فى إنجاح مسعاه على عناصر ثلاثة:

أولاً: يعتمد على ما حباه الله من مواهب مستمدة فى الغالب من ذكائه.

ثانياً: يعتمد على ما يلمسه فى فريسته من غفلة، وقصر نظر، ومحدودية فكر وبصر، يتمكن عن طريقها من الهيمنة عليها، وإسلاس قياده لها، بحيث تصبح تلك الفريسة لا ترى إلا ما يراه هذا النصاب، ولا تقبل إلا ما يأتى عن طريقه، دون مناقشة، أو تفكير.

ثالثاً: يعتمد على ما يدركه النصاب فى فريسته من مطامع وتطلعات تفوق قدراته وإمكاناته الطبيعية، حيث يفتح له كوة صغيرة يرى من خلالها قربه من مطامعه البعيدة، ودنوه الوشيك من ذلك!.

فإذا ما وقف المضلِّل على سمات فريسته استحضر له ـ بذكائه ـ ما يحرك كوامن أطماعه ويشحذها، حتى يفقده السيطرة على قواه الأخرى، فلا يملك إلا أن يخر أمامه ساجداً مطيعاً، وإلا أن يصبح عجينة لدنة يشكل منها ما يشاء لما يشاء.

ومن النظر فى ساحات النصب والتضليل تبيَّن أن أخطر هؤلاء المضلِّلين، وأقواهم تأثيراً أولئك الذين يستخدمون الدين ـ أى دين ـ بما يحاك حوله من أساطير وأوهام تتملق المشاعر الفاسدة؛ وذلك لما للدين من عمق بالغ فى نفوس البشر.

ولا أدلَّ على ذلك قديماً مما كان من الشيطان مع آدم وزوجه حين أسكنا الجنة، ونهيا عن الشجرة المعينة، فقال لهما الشيطان:

﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

«الأعراف: ٢٠: ٢١»

ولا أدلَّ على ذلك حديثاً من أحاديث القس «جيرى فولويل» الذى نصحبه بأساطيره وأضاليله فى هذا الكتاب.

بالنبوءات المصنوعة يدفع الساسة إلى الحرب المدمرة

وفى المبحث الثامن «التحريض على الحرب المقدسة» قدمت الكاتبة «جريس هالسل» عدداً من الأشخاص المسيحيين الأمريكيين المتعصبين فيما يقومون به من أعمال إرهابية، تدفع ـ بآثارها ـ إلى إيقاد نار حرب شاملة تحقق نبوءة الحرب المقدسة التى نسجوها، واصطنعوا لها الأخبار، وزيفوا من أجلها النصوص التوراتية.

١- وفى مقدمة هؤلاء الأشخاص «ريزنهوفر» الذى يحمل الجنسيتين: الأمريكية والإسرائيلية، والذى يترأس منظمة تدعى «مؤسسة معبد القدس» لمساعدة الإرهابيين اليهود على تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة، والذى يترأس شركة «الأسكا للعقارات»، وشركة «بيوت الحزام الشمسى» فى كاليفورنيا، وشركة للتنقيب عن النفط تعمل فى الجزء المحتل من فلسطين «الضفة الغربية».

و«ريزنهوفر» هذا يعد نفسه مثل «نهيميا» التوراتى الذى تفرغ لإعادة بناء القدس؛ فهو يعتقد أنه يدعو لإعادة بناء الهيكل على الرغم من أنه من العامة «جنتيل»، وعلى الرغم من أن معظم اليهود، والمسيحيين، والمسلمين لا يوافقون على برنامجه.

٢ـ «ستانلى جولد فوت» الذى اختاره «ريزنهوفر» سكرتيراً دولياً له؛ لأنه كان عضواً بارزاً فى عصابة «شتيرن» التى هزت العالم بمجازرها ضد العرب؛ ولأنه هو الذى وضع القنبلة التى دمرت جناحاً فى فندق الملك داود فى القدس سنة ١٩٤٦، حيث قتل حوالى مائة بريطانى ومسئولين آخرين.

وعلى الرغم من أن «ستانلى جولد فوت» هذا واحداً من الإسرائيليين الأشد تصميماً على بناء الهيكل، ويقرر: أنه لن يتردد فى استعمال العنف إذا تطلبه بناء الهيكل... على الرغم من هذا تجده لا يؤمن بالله ولا بالمقدسات المذكورة فى العهد القديم إلا حين يبرز خطته العسكرية للسيطرة على الحرم الشريف، حيث يستعمل النصوص التوراتية ويوظفها فيما يريد؛ فيقول: إن الله منح الأرض المقدسة لإبراهيم، وابنه اسحاق، وليس لإسماعيل الابن الآخر لإبراهيم.

٣- والقس «جيمس ديلوخ» راعى الكنيسة المعمدانية الثانية فى «هيوستن» يذكر: أن جماعة «ريزنهوفر» يقدمون الدعم إلى معهد «ميشيفا» الذى يعدُّ الكهنة للخدمة فى المعبد الذى يأملون فى بنائه، ويعلن ـ بدون تردد ـ: أنه يؤيدهم فيما يفعلون، ولا يجد حرجاً فيما

يؤدى إليه ذلك من إشعال حرب عالمية ثالثة، وإبادة نووية، لأن ما يقومون به هو إرادة الله.

٤- وفى مقابلة للكاتبة مع عالم الآثار الأمريكى «جوردن فرانز» الذى أمضى عامين فى أعمال الحفريات - مقيمًا فى معهد «الأرض المقدسة» فى القدس، وكان برفقته مجسم للقدس القديمة فى عهد المسيح الذى صممه «إيفى يوناه» اليهودى الإسرائيلى - عن الهيكل الثانى كما يقول الإسرائيليون - ... فى هذه المقابلة، أقر هذا العالم بأنه لا توجد دلائل على أن الهيكل كان هناك، أو لم يكن هناك.

بينما أستاذ الفيزياء فى الجامعة العبرية «أشر كوفمان» - وهو إسرائيلى يهودى، مهاجر من اسكوتلندة - فى مقال له مطول نشر فى مجلة «الآثار التوراتية» بتمويل لدراسته من الحكومة الإسرائيلية - يؤكد: أن لديه أدلة ثابتة بأن المعبد الهيكل لم يكن قائمًا فى الموقع الحالى لقبة الصخرة. إنما إلى الجنوب منها، داعما بذلك توجه كثير من الصهيونيين الذين يفضلون المضى فى المخطط خطوة خطوة، تلافيا للدخول فى حرب مقدسة مع المسلمين.

٥- ومستوطنو «غوش» الذين يحملون سلاحًا مرخصًا، يتطلعون إلى الإثارة، والمقامرة، والتحدى الجديد، ويشعرون بأن وجود مسجد وسط أرضهم يشكل وصمة لهم، ولذلك يرون وجوب إزالته حتى لو أدى إلى نشوب حرب بين إسرائيل والعرب، لاطمئنانهم إلى أنهم سيربحون تلك الحرب، ويقومون بطرد العرب من أرض إسرائيل، ويقومون بإعادة بناء الهيكل، وانتظار المسيح.

وفى مجلة «صوت القرية» ١٢ نوفمبر سنة ١٩٨٥ نشر «روبرت فريد مان» تفاصيل مخطط تدمير المسجد.

ولما قام متطرفو «غوش» بمحاولة اغتيال ثلاثة من رؤساء البلديات الفلسطينية - بزرع قنابل فى سياراتهم - أعلن المجلس اليهودى المحلى فى «يهودا والسامرة» أسفه لعدم اكتمال المحاولة.

وخلال المحاكمة قدم الإرهابيون أنفسهم على أنهم مدافعون عن الحقوق اليهودية فى الضفة الغربية، وقد أطلق أعضاء فى البرلمان - مثل: شارون وغولا كوهين - عليهم وصف «أبطال عظام».

٦- و«مائير كاهانا» - وهو حاخام من نيويورك - حقق نجاحًا أكثر من منظمة «غوش» فى الحصول على دعم اليهود الأمريكيين، فجمع ملايين الدولارات من رجال الأعمال اليهود، وقد استمر فى التنقل بسهولة بين إسرائيل والولايات المتحدة - على الرغم من أن وزارة الخارجية جردته من جنسيته الأمريكية - وأقام تحالفًا مع الجناح اليمينى من المسيحيين الإنجيليين فى أمريكا، وليس فقط مع اليهود الأمريكيين.

والكاتبة تخلص من هذا العرض بإبداء دهشتها من مساعدة هؤلاء المسيحيين لأولئك الإرهابيين فى تدمير الأماكن المقدسة، وإبداء استنكارها ادعاء مثل القس «جيمس ديلوخ»: أن الإرهابيين اليهود إذا فجروا حربا عالمية ثالثة فإنهم يحققون بذلك مشيئة الله.

ولما أبدت دهشتها واستنكارها للبروفسور «جوردون والتى» من جامعة «رايت» فى أوهايو، أجابها بقوله:

«إن الإنجيليين الأصوليين الذين يجمعون الأموال لتدمير المسجد يمارسون نفس السلوكيات التى مارسها أجدادهم من قبل... وكما أن بعض المستوطنين المسيحيين - فى الماضى - وجدوا أنه من الصواب قتل الهنود، فإن بعض المسيحيين يجدون الآن أنه من الصواب تقديم المال إلى الصهيونيين الذين يقتلون الفلسطينيين».

ستار حديدى داخل إسرائيل

وفى المبحث التاسع «الدليل المسيحى الممنوع» ذكرت الكاتبة «جريس هالسل» أنها فى زياراتها المتكررة إلى إسرائيل ضمن المجموعات السياحية التى كان ينظمها القس الإنجيلى «جيرى فولويل» قد لاحظت أن إحجام المسلمين وبعض المسيحيين عن زيارة القدس منذ سنة ١٩٦٧ قد فرض على الإسرائيليين أن يتطلعوا إلى المسيحيين الذين يبلغ عددهم نحو بليون، وذلك ليؤمّنوا عائدات إسرائيل السياحية خصوصًا المسيحيين الإنجيليين والأصوليين.

ولاحظت: أن «السفارة المسيحية العالمية» التى أنشئت سنة ١٩٨٠ اختارت يومًا يهوديًا أساسيًا - هو عيد الهيكل - لتقيم حوله حركة سياحية واسعة، ونظمت برنامجًا من عشرة أيام للمسيحيين الإنجيليين الذين يؤمنون بنظام دينى يقول: «إن الله بدأ عملية العد العكسى لنهاية التاريخ، وإن أحداثًا هامة تقع فى إسرائيل».

واستنادًا إلى القانون الإسرائيلى تُلزم كل مجموعة سياحية تسافر إلى إسرائيل بأن يرافقها دليل إسرائيلى؛ ولذلك كان «فولويل» يصف الرحلات التى ينظمها بأنها رحلات سياحية، وليست رحلة حج؛ لأن رحلة الحج لا تُلزم بمرافقة الدليل الإسرائيلى.

أما القس «فولويل» فكان يروج بيننا حاجة إسرائيل إلى مزيد من الأسلحة الأمريكية أكثر من اهتمامه بفكرة التقارب والسلام.

والإسرائيليون يريدون من وراء ذلك مراقبة ما يشاهده السياح، حيث تقصر مشاهدتهم على المعالم الحجرية، والمواقع التاريخية، ويريدون أن يتحدث السياح إلى الإسرائيليين فقط؛ وبذلك يضمنون تقديم جانب واحد من الحقيقة فى الأرض المقدسة إلى ٩٥٪ من الأمريكيين، وهذا مضمون ما قرره «ريتشارد بكلر» الناطق باسم المجلس الوطنى لكنائس المسيح فى الولايات المتحدة.

وفى مارس سنة ١٩٨٤ انتقدت لجنة الحج المسيحية فى الأرض المقدسة الحكومة الإسرائيلية بسبب القيود التى تفرضها على الزيارات الدينية المحلية، وعدّت ذلك انتهاكًا لحرية الحج التى تمتع بها المسيحيون ألفى سنة، ولكن الإسرائيليين أصروا على ذلك رغم كل تلك الانتقادات.

ولاحظت الكاتبة: أن الساعات التى كان

يُقدَّم فيها التعاليم المسيحية تعادل واحد إلى ثلاثين من الساعات التى تُقدَّم فيها الإنجازات السياسية والعسكرية للدولة الصهيونية، وازدادت دهشتها حين وجدت أن قساوسة مسيحيين هم الذين يقومون بذلك، مثل: «فولويل»، و«هيلتسون»، و«ساتون» من تكساس، ومثل: «تشاك سميث» من كاليفورنيا.

وبعد تفكير وبحث تبينت أن وراء ذلك أسبابًا ثلاثة، هى: الحصول على المال، وحب المديح، والتأثر بأسطورة «ترتب عودة المسيح على قيام دولة إسرائيل».

وترى الكاتبة: أن هذا المسلك الإسرائيلى، وما يلازمه من إقصاء المسيحيين الأمريكيين عن المسيحيين الفلسطينيين كان سببًا فى أن يندفع المسلمون العرب إلى أصولية أكثر عسكرية وتزمتًا، وأن تفقد الكنائس المسيحية وجودها ودورها الذى تؤديه فى الأرض المقدسة.

مسيحيون... ولكنهم صهيونيون

وفى المبحث العاشر «البحث عن صهيونية غير يهودية» تقرر الكاتبة: أن حضورها بعض المؤتمرات المسيحية، ومحاورتها بعض المفكرين، واستحضارها بعض الأحداث التاريخية، وتأملها فى بعض الوقائع المعاصرة... هذا وذاك كشف لها: أن المسيحيين البروتستانت هم المسيحيون الوحيدون المدافعون عن الصهيونية، وأنهم قد عملوا منفردين - فى إصرار - على جعل فلسطين تخص اليهود، وعلى حث كل اليهود على التوجه إلى فلسطين، والعيش منفصلين عن العامة «جنتيل».

وكشف لها: أن الذى دفع هؤلاء المسيحيين البروتستانت إلى ذلك ليس أمرًا توراتيًا، ولا لاهوتيًا، ولكنه بالدرجة الأولى دافع سياسى ينبثق من فكرة «أوروبا متحررة من كل اليهود».

ففى سنة ١٩٨٥ سمعت - فى المؤتمر المسيحى الأول فى مدينة «بازل» بسويسرا - خطباء مسيحيين يشددون على الأهمية المركزية للصهيونية، ويرددون بابتهال نداء «هرتزل» الذى ردده سنة ١٨٩٧: «إن كل العالم يكره اليهود، وإنه طوال التاريخ كرهت شعوب العالم اليهود، وإنه يوجد حل واحد... إن على اليهود أن يعيشوا بشكل كامل بين اليهود، وأن يكونوا أقوياء عسكريًا».

واستمعتُ إلى خطباء مسيحيين يعيدون إلى الذاكرة مجزرة النازية ضد اليهود، دون أن يشير واحد من المسيحيين أو اليهود إلى أننا جميعًا بشر يجب أن نتعلم كيف نعيش جيرانًا طيبين فى العصر النووى، بدلاً من تقريرهم: أن اليهود مختلفون عن الآخرين، وأن عليهم أن يعيشوا فى حب بين أنفسهم.

وبعد ثلاثة أيام قُضِيَتْ فى إلقاء مثل هذه الخطب... أصدرت الوفود مجموعة من القرارات - كان قد أعدها «فان دير هوفن» الناطق باسم الكنيسة العالمية - كان من بينها:

حث كل اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل على ترك الدول التى يعيشون فيها الآن والذهاب إلى الدولة العبرية. ونظرًا لإدراك المسيحيين الصهيونيين مدى المعاناة التى واجهها اليهود... فإن على كل مسيحى أن يسهل لهم ذلك.

وقد لاحظت الكاتبة: أن الحديث عن رسالة المسيح - فى هذا المؤتمر المسيحى - لم يحتل أكثر من واحد فى المائة من الوقت، بينما خصص تسعة وتسعون فى المائة من الوقت للحديث عن الأهداف السياسية للصهيونية.

وتذكر الكاتبة: أنها - من مطالعاتها فى الكتب والدراسات التى تناولت الصهيونية - عرفت أن «تيودور هرتزل» أخذ فكرة تخصيص فلسطين لليهود مما قدمه المسيحيون البروتستانت الإنجيليون قبل ثلاثة قرون؛ فقد بدأ المسيحيون - فى القرنين السادس عشر والسابع عشر - فى شراء الأناجيل، وتفسير نصوصها بأنفسهم، حيث بدأ تعظيم مفهوم إسرائيل واليهود، والنظر إليهم على أنهم المفتاح الأساسى للرؤى الإنجيلية.

وبعض العلماء يرون: أن ذلك التوجه البروتستانتى جاء نتيجة الإصلاح. بينما يرى الآخرون: أن ذلك نشأ عن اتساع الدور الاقتصادى لليهود فى التجارة العالمية.

وبعض العلماء يرون: أن الإصلاح البروتستانتى إنما هو إحياء لليهودية؛ بحيث تقبَّل البروتستانتيون الأوائل مظاهر من التقاليد اليهودية، مثل: توقع عودة المسيح، ومثل: الألفية - أى حكم السلام لمدة ألف سنة على الأرض - وذلك ناشئ من تقبل البروتستانتيين العهد القديم على أساس أنه يشكل السلطة العليا للاعتقاد والسلوك، وأنه التاريخ الوحيد الجديد فى الشرق الأوسط.

تفعيل التوجه المسيحى إلى الصهيونية

والكاتبة «جريس هالسل» تدعم دعواها: أن المسيحيين البروتستانت قد سبقوا «هرتزل» بنحو ثلاثة قرون... تدعم هذا بما رصدته من أحداث ومواقف على هذا الطريق، فتذكر:

١- أن البروتستانت بدأوا فى منتصف سنة ١٦٠٠ كتابة معاهدات تعلن أن على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين.

٢- وأن «أوليفر كرمويل» راعى الكومنولث البريطانى أعلن أن الوجود اليهودى فى فلسطين هو الذى يمهد للمجىء الثانى للمسيح.

٣- وأن البروتستانتى الألمانى «بول فلجن هوفن» أعلن سنة ١٦٥٥: أن اليهود سوف يعترفون بالمسيح على أنه مسيحهم بمناسبة مجيئه الثانى.

٤- وإن الإصلاحى الكبير اللورد «أنطونى أشلى كوبر» فى سنة ١٨٣٩ حث جميع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وقرر أن اليهود ضروريون بالنسبة للأمل المسيحى فى الخلاص على الرغم من أنهم - يعنى اليهود - غلاظ، وقلوبهم سوداء، وغارقون فى المعصية، ويجهلون اللاهوت، مرددًا: إن فلسطين «بلاد



بدون أمة، لأمة بدون بلاد».

٥ـ وأن هذا اللورد الإنجليزى مارس تأثيره على عمه اللورد «بالمرستون» وزير الخارجية البريطانى، كى يفتح قنصلية بريطانية فى القدس، ويعين الإنجيلى التقانى «وليم يونغ» نائبًا للقنصل فى القدس سنة ١٨٣٩. وأعلن وزير الخارجية أن عليه حماية كل اليهود الذين يعيشون فى فلسطين التى كانت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية، ولم يكن عدد اليهود يتجاوز ٩٦٩٠ يهوديا فقط؛ وذلك ليُعرِّف العبرانيين مدى رعاية الحكومة البريطانية لهم.

٦ـ وفى سنة ١٨٤١ كتب «هنرى تشرشل» ضابط الأركان البريطانى فى الشرق الأوسط إلى «موسى مونتجيور» رئيس مجلس الممثلين اليهود فى لندن: «لا أستطيع أن أخفى عليك رغبتى الجامحة فى أن أرى شعبك يحقق مرة أخرى وجوده كشعب. إننى أعتقد أنه يمكن تحقيق الهدف بدقة، ولكن لابد من توفر أمرين لا غنى عنهما:

أولاً: على اليهود أنفسهم أن يتحملوا الأمر على الصعيد العالمى وبالإجماع.

ثانيًا: أن على القوى الأوروبية أن تساعدهم».

٧ـ وفى سنة ١٨٤٥ اقترح «إدوارد بتفورد» من مكتب المستعمرات فى لندن: «إقامة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت حماية بريطانيا العظمى، على أن تُرفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم».

ومع ذلك كله لم يَبْدُ الرغبة فى الهجرة إلى فلسطين إلا القليل من يهود أوروبا....

وهذا يعنى: أن المسيحيين البروتستانت كانوا المدافعين الوحيدين عن الصهيونية، وأنهم عملوا منفردين فى إصرار على تخصيص فلسطين لليهود؛ سعيًا وراء تحقيق فكرة «أوروبا متحررة من كل اليهود»...

حتى إن القس الإنجيلى «فولويل» فى فبراير ١٩٨٣ صرح لصحيفة «كوربو تايمس - تلجراف» فى تكساس: «بأنه يفضل أن يصادر الإسرائيليون أجزاء من العراق، وسوريا، وتركيا، والعربية السعودية، ومصر، والسودان، وكل لبنان، والأردن، والكويت. وفيما يتعلق بحدود الانتداب على فلسطين فهى كلها تخص اليهود». ثم قال: «لقد بارك الله أمريكا لأننا تعاونّا مع الله فى حماية إسرائيل العزيزة».

وعلى الرغم من أن الإصلاحيين البروتستانت لم يحصلوا على دعم من اليهود فى حركتهم الصهيونية... نجد: أن العديد من اليهود الصهيونيين يقولون: «إنهم مسرورون لتصرف المسيحيين بهذه الحرارة؛ لأنهم بذلك يساعدون الصهيونية اليهودية الحديثة لتحقيق هدفها، وهو خلق دولة يهودية لا يُرَحَّب بغير اليهودى مواطنًا فيها»، على نحو ما صرَّح به - فى إفاضة - سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة «بنيامين نتنياهو» فى خطابه أمام المسيحيين الصهيونيين سنة ١٩٨٥.

يتبع

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾



للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

١٥

وشهادة جديدة للمستشرق الفرنسى الكبير البارون «كارادى فو» (Baron Cara De Vaux) (١٨٦٨ - ١٩٣٩م) الذى درس العربية ودرسها فى المعهد الكاثوليكى بباريس.. وتخصص فى الفلك والرياضيات والفلسفة.

ومن آثاره العلمية: شرح كتاب (الكرويات) تصحيح يحيى بن محمد المغربى سنة ١٨٩١م والنشر لكتاب يبحث فى الساعة المائية وكتاب «المجسطى» لأبى الوفاء البوزجانى سنة ١٨٩٢.. وكتاب «الآلات والحيل» لهيرون الإسكندرى سنة ١٨٩٣م.. كما ألف «كارادى فو» كتابا عن ابن سينا سنة ١٩٠٠م وكتابا عن الغزالى ١٩٠٢م وله كذلك كتاب «مفكرو الإسلام» فى خمسة أجزاء سنة ١٩٢١م.. كما ترجم «التنبيه والإشراف» للمسعودى سنة ١٩٤٠م وقصيدة النفس لابن سينا وتائية ابن الفارض.. الخ.. الخ.

وفى هذه الشهادة يتحدث «كارادى فو» عن الحضارة الإسلامية التى مثلت منارة الحضارة فى العالم أجمع وعن تميز الحضارة الإسلامية بارتباط الفكر بالواقع والعلم بالعمل وعن الدقة العلمية فى العلم الإسلامى وعن إضافات العلم الإسلامى فى الحساب وعلم المثلثات والجبر والهندسة التحليلية والأوزان والفلك وعن اللغة العربية كلغة للعلوم الدقيقة وعن النظرة الإسلامية النقدية للعلم القديم الموروث.. يتحدث «كارادى فو» عن ذلك فيقول:

.. السبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم فى الغرب، إن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى



المقام الأسمى فى الوقت الذى كان العالم المسيحى يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها ووصلوا إلى قمة نشاطهم الذى استمر حتى القرن الخامس عشر فى القرنين التاسع والعاشر ومن القرن الثانى عشر فصاعدا كانت مراكش والشرق الأوسط محط أنظار كل غربى يميل إلى العلم ويتذوقه وفى هذه الفترة شرع أبناء أوروبا يترجمون آثار العرب كما كان العرب قد ترجموا آثار الإغريق..[1]

إن العرب ليسوا كالإغريق يتقربون من أحد هواة الفن والأدب أو نصير من نصرائها ميله إلى الثقافة للثقافة نفسها لكنهم كانوا يبذلون علومهم لجميع التلاميذ الأذكياء بكل سخاء فهم يمتازون بالتفكير الواقعى لذلك كان لعلومهم هدف مادى، فالحساب كان يخدم التجارة ويعاون فى تقسيم الأموال «المواريث» أما الفلك فهو مطلب المسافرين وقاطعى الصحارى والمهالك، أو يستخدم لأغراض الدين لمعرفة أوقات الصلاة وقبلة مكة وللدقيقة الأولى لطلوع قمر رمضان.[2]

إن العرب كانوا هندسيين قبل كل شىء ويرى «م. روديت» M.Rodet أن الهندوس أكثر تحليلا من العرب ولكن العرب هندسيون خالصون أكثر من الهندوس..

وفى القرن الثامن عشر اعترف العالم الجبرى «ليوناردو فيبوناجى البيزى» أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣ بأنه مدين للعرب بالكثير. رحل هذا الباحث إلى مصر وسوريا واليونان وصقلية وتعلم هناك القواعد العربية فوجدها أدق وأسمى من قواعد فيثاغورس.[3]

***

إن العرب هم الذين علمونا استعمال «الصفر» ولو أنهم لم يكونوا مبتكريه وهكذا ابتدعوا حساب الحياة اليومية

إنهم جعلوا «الجبر» علما متقنا وتقدموا به ووضعوا أسس علم الهندسة التحليلية وهم بلا منازع موجدو علم المثلثات المستوية والكروية اللذين لم يكن للإغريق فضل فى وجودهما إذا ما توخينا الحقيقة والإنصاف كما أنهم عملوا فى الفلك أرصادا عديدة قيمة وحفظوا لنا بترجماتهم عددا كبيرا من كتب الإغريق وأبحاثهم التى ضاعت أصولها..

إنا لنجد «الصفر» معروفا عند العرب قبل أن يعرفه الغرب بمائتين وخمسين سنة على الأقل ولم يدخل الصفر أوروبا إلا فى القرن الثانى عشر حين بدأ الحسابيون النصارى يكتبون رسائل فى علم العدد والأرقام من غير حقول ويكملونها بالصفر.[4]

***

والخدمات التى أسداها «أبوالوفا البوزجانى» (٣٢٩-٣٨٨هـ-٩٤٠-٩٩٨م) فى علم المثلثات لايمكن أن يجادل فيها فقد أصبح هذا العلم بفضله أكثر بساطة ووضوحا متطلبا القانون التالى لإضافة الزوايا:

جا (أ+ب) = جا أ جتا ب + جا ب جتا أ

ك (الكمية)

«هذا القانون الذى اكتشف فى ذلك الزمن لم يعرف عند العالم اللاتينى ويظهر أن «كوبرنيكوس» (١٤٧٣ - ١٥٤٧م) يجهله لكن «راتيكوس» تلميذ «كوبرنيكوس» وناشر كتبه عاد إلى استخراجه بمشقة عظيمة فى قانون أكثر التواء وتعقيدا من قانون «أبى الوفاء» ونجد أيضا عند «أبى الوفاء» القاطع الذى يسميه «بقطر الظل» بينما يعزى اكتشافه إلى «كوبرنيكوس».[5]

***

«ان كتاب «عمر الخيام» (٥١٧هـ-١١٢٣م) [فى الجبر] يعتبر من الدرجة الأولى ويمثل تقدما عظيما جدا على ما نجده من هذا العلم عند الإغريق لقد أحرز تفوقا على «الخوارزمى» (٣٢٣-٣٨٣هـ-٩٣٥-٩٩٣م) نفسه فى درجات المعادلة بصفة خاصة فقد خصص القسم الأكبر من كتابه لمعالجة المعادلات التكعيبية بينما لم يتصد الخوارزمى إلا للمعادلات التربيعية بصدد بحث المسائل فى الحلول، وكل هذا يسجل تقدما شاسعا جدا على الإغريق..

وعند الخيام نجد نوعا من الهندسة التحليلية كان معروفا من قبل «ديكارت» (١٥٩٦-١٦٥٠م) لقد برهن الخيام على عبقرية حيال اليونان وكثير من تلامذتهم العرب الذين سبقوه فهو يقول فى مقدمة رسالته: إنك لواجد فى هذه الدراسة فروضا تعتمد على نظريات ابتدائية معينة فى غاية من الصعوبة والتعقيد، فشل فى حلها أكثر من تصدى لها كما لم يصل إلينا من أبحاث القدماء ما ينير لنا السبيل إلى معالجتها أبدا»

إن هذه الطريقة لحل المعادلات من الدرجة الثالثة ترجع لتبدو بنصها الحرفى تقريبا فى كتاب «الجومطرى» لديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م)

والفروض التى لم يستطع «ارخميدس» (٢٨٧-٢١٢ق.م) إثباتها فى كتاب «الكريات والاسطوانات» ج٢ص٦-٧ أشادت بحثا لدى «ابن الهيثم» (٣٥٤-٤٢٩هـ-٩٦٥-١٠٣٨م) وغيره.[6]

وقدم العرب فى الحساب عدة مكتشفات فيما يتعلق بالمربعات السحرية والأعداد المتحابة كما أن اختراع البرهان بطريقة إسقاط التسع تعزى إليهم وكذلك القاعدة المسماة «بقاعدة وضع الخط المزدوج» التى نجدها ثانية عند رياضيى القرنين السابع عشر والثامن عشر وأعلن واحد منهم النظرية الشهيرة بنظرية «فرما» - «بيير فرما» (١٦٠١-١٦٦٥م) وهى

(١) كارادى فو: «الفلك والرياضيات» - بحث منشور بكتاب «تراث الإسلام» - بإشراف «أرنولد» ص٦٤.

(٢) المصدر السابق ص٦٦، ٦٧.

(٣) المصدر السابق ص٧٢، ٧٣.

(٤) المصدر السابق ص٦٣، ٦٤، ٧٥، ٧٦.

(٥) المصدر السابق ص٨١، ٨٢.

(٦) المصدر السابق ص٨٤، ٨٥، ٨٦.



أن مجموع مكعبين لايمكن أن يكون قدر مكعب عدد صحيح لكنه لم يقدم لذلك برهانا تاما أما «الكرخي» محمد بن الحسن (٤٢١هـ ١٠٢٩م) فيقدم لنا طريقة هندسية لجمع المتسلسلة التكعيبية الآتية: ١³ + ٢³ + ٣³ + ... ن³

ثم يأتي بعده «الكاشاني» محمد غياث الدين (٨٢١ أو ٨٣٨هـ ١٤٢٤م أو ١٤٣٦م) الطبيب والفلكي الذي استخدمه «الغ بك» من سمرقند فيقدم لنا طريقة لجمع المتسلسلة العددية المرفوعة إلى القوة الرابعة وهي الطريقة التي لايمكن أن يتوصل إليها بقليل من النبوغ.. أما «البطروجي» أبو اسحق نور الدين عاش في حدود ٥٧٦هـ – ١١٨٠م أحد تلامذة «ابن طفيل» (٤٩٤-٥٨١هـ ١١٠٠-١١٨٥م) فله آراء مبتكرة في حركة الكواكب السيارة.. (٧)

إن التراث العربي يحوى عددا من الرسائل في الأوزان منها رسالة «الخازني» أبو الفتح «كان حيا حوالي ٥٠٠ هـ ١١٠٧م» ذات القيمة الجليلة الخاصة ونظرية التوازن والثقل في هذه الرسالة قد قطعت شوطا بعيدا في مضمار التقدم كذلك ورد فيها بحث عن الأثقال النوعية. (٨)

***

والقسط الأكبر من شهرة «البتاني» (٣١٧هـ – ٩٢٩م) يعود بدون شك إلى اكتشافه أو على الأقل نشره وتبسيطه أوائل علم النسب المثلثية كما نستعملها اليوم، لقد استعمل «بطليموس» (٩٠ – ١٦٨م) الأوتار في عملياته التي كان قد عرف منها قانونا واحدا رئيسيا مضطربا أخرق فاعتاض «البتاني» بالجيب عن الوتر واستعمل «الظل» و«ظل التمام» وكان يدرك علاقتين أو ثلاثا رئيسية من علاقات النسب المثلثية وهذا ما يجعلنا متقدمين بمسافة شاسعة عن المرحلة التي وصل إليها الاغريق ويفتح لنا في الواقع أبواب العلم الرياضي الحديث على مصاريعها. (٩)

***

لقد أولى فلكيو العرب اهتماما عظيما لإتقان صنع آلات الرصد وأهمها «ذات الحلق» وأكمل العرب «ذوات الحلق» الإسكندرية والبطليوسية وأدخلوا عليها تحسينات بإضافة دائرتين إليها إحداهما لتثبيت النجوم من جهة الأفق والأخرى لرصد الارتفاع وسعوا لجعل آلاتهم بأكبر حجم مستطاع لتقليل الخطأ القياسي إلى أدنى حد ممكن ثم صاروا يعملون أدوات أخرى كل واحدة منها خاصة بنوع معين من الرصد فكان في مرصد «المراغة» آلات مركبة من دوائر معدنية أو خشبية لاستعمالها في أرصاد معلومة كرصد فلك البروج ecliptic والمنقلبات solstices وكان ثم ما يسمى بذات الحلوق الاستوائية وذات الحلوق الشمسية المؤلفة من خمس حلقات يبلغ قطر أكبرها نحوا من اثنتي عشرة قدما مقسمة إلى درجات ورقائق ولما أراد الملك «الفونسو القشتالي» (١٢٢١ – ١٢٨٤م) أن يعمل «ذات

(٧) المصدر السابق: ص٥٨٧، ٥٨٨.

(٨) المصدر السابق: ص٥٧٨.

(٩) المصدر السابق: ص٥٧٩، ٥٨٠.

الحلق» رجع إلى العرب مسترشدا بخبرتهم ومستمدا المعلومات الضرورية بهذا الشأن من كتبهم فكانت آلته أدق وأبدع من كل ما صنع منها حتى ذلك الوقت ولما أراد «ريجيو مونتانس» (ت ١٤٧٦م) في عهد إحياء العلوم إعادة تركيب «ذات الحلق» الشمسية البطليوسية استهدى بالكتب العربية ومنها اقتبس الحضارة alidade العربية الأصل.

وعلينا أخيرا أن ننوه بفلكيي سمرقند الذين كانت لجداولهم الفلكية الموضوعة سنة ١٤٣٧م لأمير من أسرة «تيمورلنك» (٧٣٦-٨٠٧هـ ١٣٣٦-١٤٠٥م) باسم «أزياج اولغ بك» (١٣٩٣ – ١٤٤٩م) عظيم منزلة معتبرة في الغرب فقد طبعت في انكلترا بأجزاء متتابعة خلال القرن الثامن عشر. (١٠)

***

إن اللغة العربية هي لغة جافة دقيقة التعبير تذكر المرء بعض الشيء بأسلوب «فولتير» (١٦٩٤ – ١٧٧٨م) الفرنسي فهي أكثر ملائمة للعلم الدقيق منها للفخامة الشعرية وثم ميزة أخرى لها هي مرونتها وسرعتها في استجابة مطالب المصطلحات الفنية والتعابير العلمية الدقيقة. لم يكن علماء العرب يكتبون شعرا كالهندوس الذين كانوا يؤلفون أعمالهم الجبرية بـ«شلوكات shloka» (قصائد شعر طويلة) ولم يعالجوا مسائل تاريخية كالإغريق إنهم أكثر واقعية من الإغريق. (١١)

لقد كان لهؤلاء العلماء «العرب» أدمغة حرة مستطلعة فلم يترددوا في انتقاء «بطليموس» (٩٠ – ١٦٨م) نفسه وقد أعلنوا بلسان فيلسوفهم «ابن رشد» (٥٢٠-٥٩٥هـ ١١٢٦-١١٩٨م) أنهم ضد نظرية تعدد الأفلاك وابتعادها عن المركز لقد كانوا يتطلعون إلى نظم أبسط وأقرب إلى الطبيعة وسبق «للبيروني» (٣٦٢-٤٤٠هـ ٩٧٣-١٠٤٨م) فقال بأن فرضيات الفلك إنما هي مترابطة فيما بينها وقوله هذا شبيه بما توصل إليه أسلافه أمثال «ارسطاخوس الساموسي» (القرن الثالث ق.م) و«سلوقوس» قبل ألفي سنة من ظهور «كوبرنيكوس» لكن روح البحث العلمي العربي لم تعرقلها في هذه الفترة أي نظريات علمية موضوعة أو تقاليد ثابتة. (١٢)

***

يقول «البيروني» إن عمر الإنسان لايفي بعلم أخبار أمة واحدة من الأمم الكبيرة علما ثاقبا فكيف يفي بأخبار جميعها؟ هذا غير ممكن ولا سبيل إلى التوصل إلى ذلك سوى التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل. أقاويلهم وآراءهم.. وإذا كان الأمر جاريا على هذا السبيل فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب فالأقرب والأشهر فالأشهر ونحصلها من أربابها ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه ونترك سائرها على التعرف في غيرها مرشدا إلى ما لم يتهيأ لنا.

(١٠) المصدر السابق: ص٥٨٩، ٥٩٢.

(١١) المصدر السابق: ص٥٦٧.

(١٢) المصدر السابق: ص٥٨٩.

بين الصحف



المجلات

إعـداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

أنبياء الله وسلاح المقاطعة

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ احمد بهجت المنشـورة فى زاوية «صندوق الدنيـا» بجـريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٦/١٠/٢٩ ومما جاء فيه:

غضب العالم الإسلامي من الرسوم الكاريكاتيرية التي نشرتها إحدى الصحف الدنماركية وكان فيها ما يسيء للرسول ﷺ . وقد تحركت مؤسسات إسلامية وجماعات دينية واحتجت على نشر هذه الإساءة، وكان طلبها في البداية أن تقوم حكومة الدنمارك بتقديم اعتذار رسمي عما حدث، وكان رد الحكومة أنه ليس من صلاحيتها التدخل في حرية التعبير، وزاد الطين بلة حين تحدث بابا الفاتيكان وأورد في حديثه ما اعتبره المسلمون مسيئاً لدينهم ومشاعرهم. وقرر المسلمون رفع الأمر للقضاء. لم ينصفهم القضاء وحكم لمصلحة خصومهم. يقول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

﴿البقرة:٢٨٥﴾

وهذه الآية تعني أن عدم الإيمان بنبي من الأنبياء يعني عدم الإيمان بجميع الأنبياء. حقيقة الأنبياء أنهم خير البشر ولكنهم في نهاية الأمر بشر يختارهم الله سبحانه، بعلمه المحيط الشامل. إنهم أنقى من في الوجود وأفضل من فيه، تستوي في ذلك عقولهم وقلوبهم.. بعدها يبعث إليهم رسالاته ويضيفهم الله إلى نفسه تشريفا وتكريما، ويسميهم رسل الله وهم لا يخطئون فيما يرسلهم به الله، لأن لهم عصمة من نوع معين، كما أن لهم معجزات من أنواع عديدة، والأنبياء هم رحمة الله المهداة للبشر، يبعث كل نبي رحمة لقومه وزمانه حتى إذا جاء آخر الانبياء جاء رحمة للعالمين. لقومه وما بعد قومه وزمانه وما بعد زمانه.

من نافلة القول أن نؤكد أن الاساءة لأي نبي هي إساءة لله واجتراء عليه، وهو اجتراء له عقوبة في الدنيا وفي الآخرة، وإلى جوار العقوبة هناك سلاح المقاطعة وهو سلاح يفهمه الغرب أكثر من فهمه للعقاب الأخروي.

اتركوا الفلسطينيين يبحثون عن حلول أخرى

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ مجدي سالم المنشورة بجريدة عقيدتي الصادرة في ٢٠٠٦/١١/١٤ ومما جاء فيه:

لم أفاجأ بالفيتو الأمريكي الذى منع مجلس الأمن من إصدار قرار بإدانة إسرائيل بسبب المجزرة الأخيرة التى ارتكبتها في الأرض المحتلة.. ولكن كانت المفاجأة في أن أمريكا سمحت ـ مجرد سمحت ـ للمجموعة العربية بتقديم هذا المشروع ووصوله إلى مرحلة التصويت.

وكانت المفاجأة أيضاً في أن أربع دول من أعضاء مجلس الأمن امتنعت عن التصويت كما لو كان هناك شك في أن هناك جريمة ضد الإنسانية ارتكبتها إسرائيل ضد أطفال ونساء وشيوخ.

وحتى بعد اعتراف رئيس وزراء إسرائيل بما حدث وتبريره للجريمة بأنها كانت بسبب خطأ أو عيب في عملية التصويب للأسلحة المستخدمة!!

وفي المقابل هل مازلنا مصرين على الجرى وراء أمريكا من أجل أن تجد لنا حلولاً ونحن على يقين تام بأن أمريكا لن تسمح بأي شيء يتعارض مع ما تراه إسرائيل.

القضية أصبحت واضحة ولا لبس فيها.. والحلول يجب أن تأتي من داخلنا لتجبر الآخرين على وقف عدوانهم ونحن ندرك جيداً أن هناك الكثير من الخيارات والبدائل بعيداً عن الحل الأمريكي - غير الموجود - وأيضا بعيدا عن الحل الأوروبي المستسلم لأمريكا.

لن أقول لنساعد الفلسطينيين ونمدهم بالمال والسلاح ولكن علينا فقط أن نتركهم يفعلون ما يرونه صوابا من أجل ردع العدوان الإسرائيلي ولا نتدخل لوقفهم ولنترك أمريكا وأوروبا لتسألهم بعد ذلك.. ما الذي يريدونه من أجل وقف مقاومتهم «المشروعة رغم أنف الجميع».

لا استقرار بالعدوان

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ عبداللطيف فايد المنشورة بجريدة الجمهورية في عددها الصادر في ٢٠٠٦/١١/١٠ ومما ورد فيه:

قبل إنشاء إسرائيل بقرار متآمر من الأمم المتحدة. كان اليهود يعيشون في الدول العربية آمنين على أنفسهم وأموالهم وعلاقاتهم بالآخرين، وكانوا يمارسون تجارة رابحة في كل الأوطان العربية.

وبدأت المشكلة عند إرادة إنشاء وطن قومي لهم على أرض فلسطين وإخراج أهلها من هذه الأرض، وكان قرارا غير أخلاقي بالمرة، إذ لم يحدث في التاريخ أن شعبا أخرج من بلاده ليتحول إلى لاجئين بينما تصبح بلاده منهبة لليهود، ولم تفلح قرارات الأمم المتحدة - وهي شريك أصيل في المؤامرة - في إعادة شيء من الحق لأصحابه، وكان الاستعمار هو سبب المشكلة.

فعندما ظهر اتجاه التحرر من الاستعمار لدى

شعوب المنطقة كانت عزيمة الدول الاستعمارية باقية على جعل هذه المنطقة بؤرة للقلاقل، فجعلت لليهود دولة بين أهلها، ونزعت منهم أرض فلسطين لتكون جسرا للاستعمار، وعلى الرغم من محادثات جرت مع اليهود ومعاهدات أبرمت معهم من أجل التعايش السلمي، فإن هذا التعايش لم يتحقق حتى بعد مرور أكثر من نصف قرن على قيام إسرائيل، فهي قد أقيمت في هذه المنطقة لتكون مثارا للقلاقل والنزاعات، وليس ليعيش اليهود في سلام وطمأنينة، فقد كانوا يعيشون من قبل إقامة هذه الدولة في سلام وطمأنينة، ويمارسون نشاطهم وعباداتهم في حرية كاملة، ولاتزال معابدهم قائمة يؤمون إليها لممارسة عباداتهم وإقامة الاحتفالات بأعيادهم ومناسباتهم.

إن إرادة التحرر في المنطقة العربية ستظل موجودة لدى العرب، ولن ينقص منها قيام إسرائيل وتزويدها بالمال والسلاح والتأييد، ولن ينفعها إلا أن يعيش اليهود في سلام مع شعوب المنطقة، ولكن ما قام بالعدوان لا يمكنه الاستمرار إلا بالعدوان، وهيهات أن يؤدى به العدوان إلى الاستقرار.

الشجب والاستنكار ليسا حلا

تحت هذا العنوان جاء رأي «الأهرام المنشور في ٢٠٠٦/١١/١٣:

لا جدوى من الشجب والاستنكار أو حتى التهديد والوعيد فيما يخص تصرفات إسرائيل الوحشية ضد الفلسطينيين، وأحدثها مجزرة «بيت حانون»، أو مساندة أمريكا لها «على بياض» في المحافل الدولية وآخرها استخدامها «الفيتو» ضد مشروع قرار يدينها في مجلس الأمن فإسرائيل اعتادت تجاهل كل قرارات الشرعية الدولية التي لا تعجبها ومصالح أمريكا معها وخضوع إداراتها المتعاقبة لنفوذ اللوبي اليهودي الأمريكي لن تجعلها تغير مواقفها إلا إذا تأكدت أن مصالحها، خاصة البترول، لدى الدول العربية والإسلامية ستتعرض للخطر.

لابد إذن من التفكير جيداً في اقتراحات وخيارات محددة قابلة للتنفيذ يلتزم بها الجميع عسى أن تقلل من حجم الخسائر العربية وتدفع المتواطئين مع اسرائيل إلى التفكير جيداً قبل تعطيل صدور قرار في مجلس الأمن أو غيره، دون مراعاة حقوق العرب وفي مقدمتهم الفلسطينيون، فإذا لم تنجح خطوة يمكن أن تفيد الخطوة الأخرى ولو بالإبقاء علي القضية حية لدى الرأي العام العالمي، وفضح الممارسات الإسرائيلية وإحراج من يتسترون عليها.

ويجب أيضاً تفعيل المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل وكذلك منتجات الدول التي تساندها على حساب الحق العربي فعندئذ ستتأثر الشركات المنتجة وسيضغط رجال الأعمال على حكوماتهم لكي تراعي ذلك في مواقفها من القضايا العربية مستقبلاً. وقد ثبتت فعالية هذا الخيار عندما جأرت الشركات الدنماركية بالشكوى من المقاطعة العربية والإسلامية لمنتجاتها احتجاجاً على إساءة صحيفة دنماركية للرسول الكريم محمد (ﷺ).



برامج تدريبية للحجاج

للأستاذ/ عادل خفاجة

لم تترك السنة النبوية أمراً من الأمور التى تهم المسلم إلا تناولته بالشرح والبيان إضافة إلى ما ورد مجملاً بالقرآن الكريم.

والسنة المشرفة توضح أن الإسلام بنى على خمس، ثم فضلت ذلك.

فعن الشهادة:

يقول النبى ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[1]

وعن الصلاة:

يقول النبي ﷺ لرجل جاء يسأله أى شيء أحب عند الله في الإسلام؟

فأجابه ﷺ: «الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين»[2]

وغني عن الذكر أن نسرد الأحاديث التي وردت في أركان الاسلام فهي كثيرة ومشهورة ومتداولة بين الناس.

غير أن المتأمل لهذه الأركان يجد أن الحج هو الركن الوحيد الذى لا تتاح فيه للمسلم - في الغالب الأعم - فرصة للتدريب على أدائه.

فالصلاة تتاح فيها فرصة التدريب ويتعوَّد الصبي على الصلاة في فترة تمتد إلى ثلاث سنوات فإذا بلغ عشر سنوات فإنه يكون قد وصل إلى مرحلة لا بأس بها من إتقان الصلاة.

يقول الرسول الكريم:

«مروا صبيانكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»[3]

---

(١) موطأ مالك - رواية يحيى الليثي جـ ١.

(٢) سنن الدارقطني

(٣) شعب الإيمان ص ٣



ولقد حدد رسول الله ﷺ مقادير الزكاة كما حدد مصارفها.

فمن أخرج المقدار المستحق فى ماله للفقراء متحريا ألا تصل هذه الأموال إلى غنى أو قوى قادر على كسب قوت يومه كان قد أتى بهذا الركن على وجهه الصحيح..

أما الصوم فهو قائم أساساً على الترك، والترك أيسر من الفعل ومع ذلك فالمسلم يدرب أبناءه على الصوم قبل سن التكليف حتى يبلغوا قادرين على الصوم.

بل إن الأطفال يحلو لهم أن يصوموا بضع ساعات مشاركة للآباء فيما يصنعون، وفى كل ذلك تدريب عملى على أداء هذه الأركان.

أما عن الحج فقد قال ﷺ: «خذوا عنى مناسككم لعلى لا أحج بعد عامى هذا» (٤).

وقد أوضح ﷺ فى حجة الوداع كل أمور الحج باستفاضة تامة.. غير أن يوم الحج الأكبر لا يأتى فى العام غير مرة واحدة.. فإذا وقع الحاج فيما يفسد حجه فإن عليه أن يقضى الحج فى عامه المقبل، بعد أن يكون قد تكلف الكثير من المال والجهد والوقت أليس فى التدريب ما يعطى الحاج قدراً من الطمأنينة تجعله يؤدى المناسك فى هدوء؟! ألا يُضح التدريب ضرورة؟! وبخاصة وقد أصبح كل شىء - فى أيامنا هذه - يخضع للتجريب والتدريب!!. وتأتى النتائج طيبة فى النهاية.. ثم أليس فى قول الرسول ﷺ: «علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل» (٥) الإرشاد إلى ضرورة الأخذ بالتدريب منهجا للحياة.

نعم.. لقد أشبع العلماء موضوع الحج شرحاً وتحليلاً، ولكن عامة الناس يفضلون البرامج المرئية، فهى أيسر لهم فهماً، وأسهل لهم حفظاً.

إن الفقهاء وعلماء الدين ورجال الوعظ - وقد أفاضوا فى توضيح مناسك الحج تفصيلاً - عليهم أن يقدموا لهذه الأجيال برامج تدريبية تتناسب مع العصر الذى نعيش فيه.

● فقد أصبحت تلك البرامج ضرورة يجب الأخذ بها؛ لما نسمعه من أخطاء تقع من بعض الحجاج ولا يدرى الحاج أنه أخطأ إلا عندما يروى - بسعادة بالغة - تفاصيل رحلته المباركة لصديق على دراية بما يجب أن يكون.

● وأصبحت - كذلك - ضرورة لما نسمعه من تعرض الحجاج إلى كثير من المخاطر:

أولها: ما يحدث نتيجة ارتفاع الحماس الدينى الذى يصاحب الحاج منذ خروجه من بيته قاصداً الحج.

---

(٤) الموطأ - رواية محمد بن الحسن

(٥) البخارى

ثانياً: ما يحدث نتيجة التفريط فى الالتزام بالقواعد الصحية وما يجره من أمراض.

ثالثاً: المخاطر التى تصيب الحجاج المصابين بأمراض مثل القلب والسكر..... إلخ.. عند اختلاطهم مع الحجاج الأصحاء أثناء أداء المناسك.

● وهى ضرورة - أيضاً - لتوعية الحجاج فهناك الكثير من النصائح التى يجب أن يلم بها الحاج قبل أن يترك وطنه وبخاصة الحجاج الذين يعانون من أمراض القلب أو الضغط.

من هذه النصائح: الاهتمام بشرب كمية كبيرة من السوائل وبخاصة العصائر الحامضية. لتعويض السوائل المفقودة نتيجة الحركة المتصلة أثناء الحج. وغيرها من النصائح الطبية كثير وفيها ما يصلح للبعض ولا يصلح لغيره. فأين يتمكن الحاج من جمع هذه النصائح والأخذ بما يفيده منها؟

فى احتفال لتكريم حفظة القرآن الكريم حضره رئيس الجمهورية، جلست أرقب الاستعدادات التى تتم. فالمكرمون يجلسون فى ترتيب يسهل عليهم الصعود إلى منصة التكرم فى سهولة ويسر والكل يبذل أقصى ما فى وسعه، حتى يخرج حفل التكريم فى أبهى صورة.

فإذا وصل رئيس الجمهورية، تمت مراسم الحفل فى أقصر وقت ممكن، وفق ما سبق الإعداد له. وهى بلاشك صورة حضارية تتفق مع مفردات العصر الذى نعيش فيه.

أليس الحجاج أولى بالتدريب وهم - أيضاً - فى مقام التكريم من ربهم عز وجل؟

وهم يطوفون بالآلاف ويصعدون إلى جبل عرفات بالملايين؟! هؤلاء الحجاج الذين جاءوا من كل فج عميق ليكرمهم ربهم بالعفو ومغفرة الذنوب ألا يستحقون أن تقدم لهم بلادهم برامج تدريبية على مناسك الحج تساعدهم على معرفة تفاصيل هذه المرحلة المباركة؟! إن كل دولة إسلامية يجب أن تعد البرامج اللازمة لهذا الأمر ومبلغ علمى أن دولة «ماليزيا» ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك فقد أعدت أنموذجاً «ماكيت» للمشاعر المقدسة يتدرب عليها حجاجها

كما أن على هؤلاء الحجاج أن يكونوا على مستوى هذا التكريم الإلهى فلا يدفع بعضهم بعضاً بالأيدى وإذا كنا نسمع فى كل عام عن سقوط الكثير من الضحايا نتيجة التدافع لرمى الجمرات ألا ينبغى أن يبحث المسلمون عن حل حضارى مشرف تحقن به دماء الحجاج الأبرياء؟!

إن دماء الحجاج التى تسيل عبر جسر الجمرات تناشد الفقهاء بالعدول إلى الرأى الذى يحافظ على أرواح المسلمين حتى ولو لم يكن رأى جمهور العلماء.

وبعد.. فإننا إذ ندعو إلى إعداد برامج تهدى الحجاج إلى كل ما يجب فعله وما يجب تركه أثناء فترة الحج.. ندعو الله أن يوفق حجاج بيته الحرام إلى ما يحبه ويرضاه.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

حقوق الإنسان!!

أن يطالب جاك سترو وزير الخارجية البريطانى السابق المنقبات المسلمات البريطانيات بخلع النقاب بحجة أنهن يجعلن العلاقة بين طوائف المجتمع أكثر صعوبة، فهو مطلب له دوافعه التى نفهمها ولا تحتاج منا إلى تعليق.

وأن تتخذ الحكومة الهولندية إجراءات لحظر ارتداء النقاب فى الأماكن العامة فهو مطلب له دوافعه التى نفهمها ولا تحتاج منا إلى تعليق.

وأن تقرر حكومة فرنسا حظر ارتداء الحجاب فى المدارس وفى المؤسسات الحكومية فهو أمر له دوافعه التى نفهمها ولا تحتاج منا إلى تعليق.

ولكن أن يعلن مسئول كبير فى دولة إسلامية كبرى تضم نحو (٧٢) مليون مسلم أو يزيد «أن الحجاب عودة للوراء.. وأنه موضة قديمة.. وأن النساء كانت ترتديه للتفريق بينهن وبين الإماء..!!» هنا ينبغى لنا أن نلفت انتباه المسئول إلى أنه ينتمى لدولة ينص دستورها على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وأن هناك نصا شرعيا ملزما لنساء المؤمنات فى كل زمان ومكان بالحجاب، وهذا النص ورد فى قول المولى عز وجل فى سورة الأحزاب الآية رقم (٥٩) قال ـ تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

وألفت نظر المسئول الكبير جدا أن الأمر الإلهى يشمل كذلك «الإماء» لأن المولى عز وجل خاطب فى الآية السالفة الذكر نساء المؤمنين، و«الإماء» منهن المؤمنات ومنهن المشركات، قال المولى عز وجل.

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾

[البقرة / ٢٢١]

وألفت نظر المسئول الكبير كذلك إلى أهمية أن يقوم بمراجعة معنى ومدلول لفظ «إماء» فى قواميس اللغة وكتب التاريخ.

وأخيرا أسأله: أيهما أولى: العُرى أم الاحتشام؟ ولماذا تكون ملابس المحجبة عرضة للنقد ولا تدخل فى نطاق الحرية الشخصية وحقوق الإنسان فى أن يرتدى الزى الذى يراه ملائما له؟!

أحمد تقى الدين



شهيد العقيدة: سلَيْمان الحلبى

ويواصل الشيخ/ محمد يحيى عبدالصمد الواعظ العام بالأزهر الشريف انتقاده للمحتفلين بذكرى الحملة الفرنسية على مصر فقال:

ما أحوج أمة الإسلام اليوم إلى رجال وأبطال ينتمون إلى الإسلام قبل أن ينتموا إلى أوطانهم، ويفخروا بنبيهم ﷺ قبل أن يفخروا بآبائهم، هدفهم الأسمى هو: إعلاء كلمة الإسلام، يحملون أرواحهم على أكفهم، يهرعون لنصرة إخوانهم، فى أى بقعة من أرض الإسلام دنت أم بعدت، تدلاهم «الإسلاماه» نشيدهم نشيد خُبيب بن عدى رضى الله عنه:

ولستُ أبالى حين أقتل مسلمًا
على أى جنبٍ كان فى الله مصرعى

ومن هؤلاء الأبطال الأفذاذ الذين لهم صفحات مضيئة فى تاريخ الإسلام وبصمات واضحة فى الدفاع عن عزة الإسلام والمسلمين: «سُليمان بن محمد أمين الحلبى» هذا الفتى المسلم الذى قدم من حلب بسورية إلى القاهرة عام ١٧٩٧م لينهل من دروس العلم وليتربى على مائدة الإيمان والعقيدة بالجامع الأزهر، أى قبل مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر بعام واحد، فشاء القدر أن يشهد هذا الفتى ويرى اعتداء الغزاة على حرية وإرادة وحقوق إخوانهم المصريين، بل اعتداءهم السافر على كعبة العلم ومنارة الهدى ـ الجامع الأزهر.

كل هذا وغير هذا حرك فى نفس هذا الفدائى المسلم دوافع الغيرة على الإسلام والحمية للقرآن والزود عن بيوت الله الطاهرة. فأراد أن يلقن الغزاة درسا لا ينسى، ويوجه لهم ضربة قاصمة للظهور، ويعلمهم أن لكل فعل ردا.. ولكل جرم عقابا، ولكل اعتداء مقاومة، ولكل إسراف فى الظلم والطغيان بسالة وفدائية فى دفعه وكسره، ففى عصر يوم السبت ٢١ من المحرم عام ١٢١٥هـ الموافق ١٤ من يونيه سنة ١٨٠٠م تمكن سليمان من قتل قائد الغزاة الجنرال كليبر ـ الذى عرف بالفظاظة والقسوة والزهو ـ وذلك فى مقر قيادته بـ«الأزبكية»، ولقد نفذ هذا الفدائى تلك الضربة العسكرية وحده من دون أن تكون معه كتيبة أو فرقة أو وحدة عسكرية، وهو يدرك خطورة وجسامة ما يفعل، أتعلمون ما قاله قادة الحملة وضباطها حينما بلغهم نبأ مقتل كبيرهم دون أن يمسكوا بالقاتل؟!!.. قالوا: لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم!! أتدرون ما فعله المحتل بسليمان الحلبى حينما أمسك به؟!.. لقد حرقوا يده



اليمنى ـ التى شرقت بطعن كليبر ـ حتى الرسغ، ثم وضعوه على خازوق ليموت عليه، وترك هكذا على تل بالقلعة لتنهش جسده كواسر الطير.

تلك هى وحشية الحملة الفرنسية التى يتحدث البعض عن أمجادها وما قدمته للمصريين من نهضة علمية وسياسية، ويشغل الحديث عن هذا صفحات وصفحات من المقررات الدراسية، على حين لا تتجاوز الإشارة إلى فدائية الحلبى سطراً أو سطرين، لقد اصطحب الجنرال مينو القائد الثالث للحملة معه إلى باريس عظام كليبر وجمجمة الحلبى، وفى متحف إنفاليد «المحاربين» وضعت جمجمة كليبر على رف كتب عليه «جمجمة البطل الجنرال كليبر»، ودونها وضعت جمجمة الحلبى وكتب «جمجمة المجرم سليمان الحلبى»، يعدون المحتل البربرى بطلاً، ويعتبرون من يدافع عن دينه ووطنه مجرماً، هكذا هم، يحقرون تاريخنا ويزدرون أبطالنا وشهداءنا، ونحن نمجد سفاحيهم ونعظم مجرميهم، ونغفل عن تاريخ سليمان الحلبى وأمثاله الذين أصبحوا فى عصرنا هذا أعز من الكبريت الأحمر، بل صرنا نقول: «لن نكون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين، ولن نكون أفغانا أكثر من الأفغان، ولن نكون شيشانا أكثر من الشيشان، ولن نكون عراقيين أكثر من أهل العراق.. إلخ ..... وإن ظللنا على تلك النغمة المهينة الخالية من أى ولاء للعقيدة، فسيأتى علينا زمن لن نكون فيه شيئاً مذكوراً:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

فصاحة اللسان تستوجب العفو والغُفْران

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ / أحمد عبدالمحسن ـ ناظر بمدرسة الأورمان الثانوية بالدقى، قال:

● يحكى أن غلاماً وقف يصب الماء على يدى جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ فوقع الإبريق من الغلام فى الطست، فطار الرشاش فى وجهه، فنظر إليه جعفر نظرة غضب فقال الغلام: يا مولاى، إن الله يقول:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾

قال: كظمت غيظى.

قال الغلام:

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾

قال جعفر: عفوت عنك.

قال الغلام:

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قال جعفر: اذهب فأنت حرٌ لوجه الله تعالى.

● غضب الرشيد على حميد الطوسى، ودعا له بالسيف، فبكى، فقال الرشيد له: ما يبكيك يا حميد؟. فقال له: والله يا أمير المؤمنين، ما أفزع من الموت؛ لأنه لابد منه، وإنما بكيت أسفاً على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط علىّ فعفا عنه الرشيد لحسن جوابه.

● وعن العفو الحقيقى يحكى أنه: قبض «معن بن زائدة» على عدد من الأسرى، وعرضهم على السيف، فالتفت إليه بعضهم، وقال له: أصلح الله الأمير، لا تجمع علينا بين الجوع والعطش ثم القتل، فوالله إن كرم الأمير يبعد عن ذلك، فأمر لهم حينئذ بطعام وشراب، فأكلوا وشربوا، فلما فرغوا من أكلهم قالوا له: أيها الأمير، أطال الله بقاءك، إننا كنا أسراك؛ والآن صرنا ضيوفك، فانظر كيف تصنع بضيوفك؟.. فعند ذلك قال لهم معن: قد عفوت عنكم.

فقال له أحدهم: والله يا أيها الأمير: إن عفوك عندنا أشرف من يوم ظفرك بنا، فأمر لكل منهم بكسوة ومال.



كيف نواجه الصدمات ؟!

كتب الأستاذ محمد عباس محمد عرابى من منهج الإسلام فى مواجهة المحن والصدمات، قال:

كثير ممن هم على فطرتهم يصابون بالانهيار العصبى والشلل النصفى والرباعى، فى لحظة من ضعف الإيمان!!.. وذلك حينما يفاجأون بالخداع ممن يظنون أنهم مخلصون!!.. فإلى هؤلاء وأمثالهم أوجه كلمتى قائلاً لهم:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

(التوبة: آية ٥١)

إنها ليست نهاية الدنيا، فهكذا الناس منهم الخير والشرير، ولنعلم أن وخزات الأحداث قد تكون إيقاظا للإيمان الغافى، ورجعة بالإنسان إلى الله. ولنردد قوله:

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

(يوسف: آية ١٨)

فالصبر علاج لمواجهة الأزمات، فهو يحول الداء دواء، والمحنة منحة، وتلك لا ريب أشهى ثمرات اليقين، والرضا بما يصنعه رب العالمين:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

(البقرة: الآيات ١٥٥ :١٥٧)

ويقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» (رواه الترمذى).

ويقول ﷺ: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له» (رواه الترمذى).

ولنردد قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

(الحديد: الآيات ٢٢ :٢٣)

يقول المفكر «ديل كارنيجى» كما يذكر صاحب كتاب «جدد حياتك» ـ رحمه الله ـ: «ولقد أمضيت اثنى عشر عاما من حياتى مع الماشية، فلم أر بقرة تبتئس لأن المرعى يحترق، أو لأنه جف لقلة الأمطار، أو لأن صديقها الثور راح يغازل بقرة أخرى. إن الحيوان يواجه الظلام والعواصف والمجاعات هادئا ساكنا، ولهذا قلّ ما يصاب بانهيار عصبى أو قرحة فى المعدة!!..

ذلك هو العلاج الحيوانى الذى يقترحه لمكافحة الأزمات!!..

وتلك هى الآثار المادية التى ينتظرها من ورائه، ونحن المسلمين لا نرى فى هذا التبلد المطلوب مثلاً أعلى لشفاء الإنسان مما يصيبه من أحزان.

إن التسليم لله أفضل من هذا التبلد المقطع.

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

من توجيهات الإسلام

كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص قائده الذي وجهه لفتح فارس:

«أما بعد- فإني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال، فإن تقوي الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن عنايتهم قوة، لأن عدونا ليس كعدوهم، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا، لم تغلبهم قوتنا».

غاية العدل

تفقد عمر بن الخطاب يوما إبل الصدقة، فوجد بينها طائفة أنكرها، لجودتها وسمنها وحسن العناية بها.

فقال لعامله على إبل الصدقة: إبل من هذه؟

فقال العامل: إنها إبل عبدالله بن عمر!!

فقال، ومن عبدالله بن عمر؟

فقال العامل: ابن أمير المؤمنين

فقال: عليّ به فأحضروه،

فقال عمر لابنه: بكم اشتريت هذه الإبل؟

فقال عبدالله: اشتريتها بكذا يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: لك ما اشتريت به، وهي لبيت المال،

قال عبدالله: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر: نعم يقولون: هذه إبل ابن أمير المؤمنين فارعوها. هذه إبل ابن أمير المؤمنين فاسقوها. هذه إبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها، لك ما اشتريت به، ثم هي لبيت مال المسلمين!

ما سمعت كلاما أحسن من هذا

حكى أبوعمرو الداني في طبقات القراء له عن أبي الحسن بن المنتاب، قال: كنت يوما عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟

فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة

﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾

(المائدة: ٤٤)

فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن الكريم:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

فلم يجز التبديل عليهم.

فلما بلغ ذلك عبدالله المحاملي، قال: ما سمعت كلاما أحسن من هذا.

حقيقة

من قصيدة للأستاذ عبدالحميد الخطيب ردا على من يقول: إن الإسلام انتشر بحد السيف:

ولكم تراجع جيشه في الحرب مـ
ـنتهجاً طريق السلم للغايات
بوسائل أخرى لأن الحرب لم
يك مقصدا يسعى له بالذات
بل إنما المقصود نشر الدين بيـ
ـن الناس بالحسنى وبالحكمات
وجميع ذا قد تم للهادي باقـ
ـصر مدة وبمنتهى النصرات
فقضى رسول الله اثنى عشر عا
ـما داعيا بأحاسن الكلمات
في أمة بدوية من عظم قسـ
ـوتها قديما توئد الفتيات

حكم

لسيدنا عيسى -عليه السلام- في كتبنا حكم كثيرة منها قوله للحواريين:

«اتخذوا المساجد بيوتا والبيوت منازل، وكلوا بقل البرية، واشربوا الماء القراح، وانجوا من الدنيا سالمين».

وقال- عليه السلام: «لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب، وانظروا في أعمالكم، كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية».

حقاً يا رسول الله ﷺ

خلقت مُـبـرئاً من كل عـيـب
كـأنك قـد خلقت كـمـا تشـاء

حب النبي ﷺ

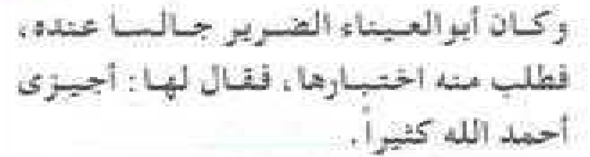
من يدعي حب النبي ولم يفـد
من هديه فـسـفـاهة وهراء
الحب أول شـرطه وفـروضـه
إن كـان صـدقـاً : طاعـة ووفـاء

لهم ما لنا وعليهم ما علينا

عندما هاجم قازان التتار دمشق في آخر القرن السابع، أسر أسرى من المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى، فذهب ابن تيمية إليه، فأجابه في فك أسرى المسلمين دون الذميين، ولكن ابن تيمية رأى أن الدين يوجب عليه أن يفك أسرى اليهود والنصارى من أهل الذمة لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولم يتركه حتى فك أسرهم جميعاً.

اختبار جارية

عرض على المتوكل جارية، فقيل له: إنها فصيحة شاعرة، فأراد ان يختبرها،



وكان أبو العيناء الضرير جالساً عنده، فطلب منه اختبارها، فقال لها: أجيزي أحمد الله كثيراً.

فقالت: حيث أنشأك ضريرا.

فقال: اشتروها، فقد أحسنت في إساءتها.

الشعر لغة القلوب

قيل إن شابا لقي امرأة بارعة الجمال على جسر «بغداد» فقال لها: رحم الله علي بن الجهم.

فقالت هي: رحم الله أبا العلاء المعري.

أراد الشاب بترحمه على ابن الجهم قوله:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأرادت هي بترحمها على أبي العلاء قوله:

فـيـا دارها بالخيف إن مـزارها
قـريب ولكن دون ذلك أهوال

دعـاء

اللهم اجعلنا من خالص أمته، واحشرنا في زمرته، وأمتنا على محبته، ولا تخالف بنا عن ملته، ولا عمن جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين.

تنويـه

وقع خطأ غير مقصود في عدد شهر شوال ١٤٢٧هـ في ص١٥٤٨ سطر رقم (٢٥) وصحته «وقد قال حافظ إبراهيم (الأم مدرسة)».



الدستور النمساوي ينص على حق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب

في الوقت الذي تشهد فيه العديد من العواصم الأوروبية محاولات عديدة من قبل التيارات اليمينية المتطرفة للتحرش بالمسلمات المحجبات في دول أوروبا فإن النمسا مازالت متمسكة بحرية العبادة والدين، جاء ذلك في تصريحات جديدة للداخلية النمساوية بأن ليس لديها أي خطط لمنع ارتداء المرأة المسلمة الحجاب حتى لو كان هذا في المؤسسات الحكومية، وذكرت هذه التصريحات ان الدين الاسلامي دين معترف به كدين رسمي في الدستور النمساوي منذ سنوات طويلة وهو أمر تقبله كل شرائح الشعب النمساوي وهذا الدستور ينص على حق المرأة في ارتداء الحجاب، وبالتالي فإن أحداً لا يستطيع نزع الحجاب عن رأس أي مواطنة مسلمة.

ومسئول فرنسي يقترح حظر الحجاب في الطريق العام

في هجوم جديد على الحجاب قال «فيليب دوفيليه» رئيس حزب الحركة من أجل فرنسا: أن باريس يجب أن تفرض قيمها، مشيراً إلى ضرورة احترام المسلمين لقوانين الجمهورية، واقترح حظر الحجاب في الطرقات والمناطق العامة مثلما فعل البرلمان الإقليمي في بلجيكا عندما حظر ارتداء الحجاب في الطريق العام.

جاء ذلك في حديث أجراه المسئول الفرنسي مع صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية وزعم فيه أن الحجاب هو رمز لإخضاع المرأة وانتهاك كرامتها!

هولندا تسعى لفرض حظر كامل على النقاب

أعلنت الحكومة الهولندية أنها ستسعى إلى إيجاد وسيلة لحظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة لتصبح بذلك أول دولة أوروبية تفرض قانوناً من هذا القبيل. وكان أساس حظر ارتداء النقاب في هولندا قد أرسي في ديسمبر الماضي عندما صوت البرلمان الهولندي بالموافقة على مشروع قانون يجرم تغطية الوجه في إطار سياسة أمنية اقترحها السياسي المتطرف «جيرت فلدرز». من جانبها أكدت وزيرة الهجرة «ريتا فيردونك» أن

الحكومة ستدفع باتجاه فرض حظر كامل على ارتداء النقاب بالرغم من أن مثل هذا القانون ربما يتنافى مع قوانين الحرية الدينية التي تشكل ركناً من أركان الدستور الهولندي، ولكنها أشارت إلى أن الحكومة ستحاول إيجاد وسيلة للالتفاف حول ذلك !!

قس ألمانى ينتحر احتجاجاً على انتشار الاسلام فى العالم!

نهاية مأساوية اختارها أحد القساوسة الألمان لنفسه احتجاجاً على سياسة الكنيسة فى التعامل مع الإسلام أشعل القس البالغ من العمر «٧٣» عاماً- النيران فى نفسه فى إحدى المغارات التابعة لدير فى شرق البلاد. وترك رسالة قال فيها: إنه يخشى الانتشار السريع للدين الإسلامى وينتقد أسلوب الكنيسة التى لا تهتم بشكل كاف بهذا التطور الخطير! يأتى ذلك فى الوقت الذى كشفت فيه متحدثة باسم قوات الطوارىء فى بريطانيا عن العثور على جثث خمسة أفراد لأسرة مسلمة من أصل باكستانى وهم الأم وبناتها الأربع وقد لقين حتفهن فى حريق مثير للشبهات فى منزلهم فى شمال شرق البلاد كما أصيب والدهن بجروح خطيرة.

استبعاد ضابط بريطانى مسلم من الخدمة بسبب تدينه

ذكرت صحيفة «الاندبندنت» البريطانية أن أحد الضباط المسلمين المخضرمين بدأ معركته القانونية ضد التمييز الدينى فى مواجهة شرطة مدينة «لندن» التى أصدرت قراراً بإقالته من وحدة الحراسات الخاصة التى تتولى حماية الشخصيات المهمة وقالت الصحيفة فى موقعها على شبكة الإنترنت إن الشرطة أخبرت «أمجد فاروق» «٣٩ عاماً» وهو والد لخمسة أطفال أنه يشكل تهديداً للأمن القومى نظراً لحضور أولاده لدرس فى المسجد.

وأكدت الصحيفة أن الشرطة أخبرت الضابط المسلم أن وجوده ربما يثير حفيظة الشرطة السرية الأمريكية التى تعمل بشكل وثيق مع وحدة حماية الشخصيات الكبيرة فى شرطة العاصمة البريطانية.

رئيس وزراء تايلاند يعتذر لمسلمى الجنوب

قدم رئيس وزراء تايلاند الجديد «سورا يوده شولانوت» للمسلمين فى جنوب البلاد اعتذار الدولة لتصرفات حكومة «تاكسين شينا واترا» التى خلعها العسكريون عن الحكم فى انقلاب أبيض. وكان أكثر من «١٧٠٠» شخص من الأقلية المسلمة قد قتلوا فى مواجهات مع القوات الحكومية.. وقال «شولانوت» فى تجمع عقد فى ولاية «باتانى» وهى واحدة من ولايات المسلمين فى الجنوب: «أنا موجود بينكم لأقدم اعتذار الحكومة وأقدم اعتذارى من تصرفات تلك الحقبة الماضية التى عانى منها المسلمون».. وأشار فى كلمته بحضور ألف شخص من قادة المسلمين إلى أن حكومته ستفتح تحقيقاً فى اختفاء الكثير من الأشخاص منذ عام «٢٠٠٤»، واعترف «شولانوت» الذى كان قائداً سابقاً للجيش بأنه لم يكن قادراً على تغيير السياسة الحديدية التى انتهجها رئيس الوزراء المخلوع ضد الأقاليم المسلمة.. ودعا المسلمين إلى العمل مع حكومته لتجاوز أخطاء الماضى.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ حافظ محمد حافظ
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

● اجتمع مجمع البحوث الإسلامية فى جلسة طارئة بعد ظهر يوم ١٠/١٠/٢٠٠٦م وذلك لمناقشة ما جاء بملحق جريدة الغد الصادرة يوم الأربعاء الموافق ٤ من أكتوبر ٢٠٠٦م والتى أساءت فيها إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين ومن هؤلاء ثلاثة مبشرون بالجنة. وبعد أن استعرض المجمع ما نشر بهذه الصحيفة قرر إعداد مذكرة وإبلاغها للنائب العام كي يتخذ الإجراءات القانونية اللازمة لردع مثل هؤلاء الذين يتطاولون على الدين الحنيف.

● شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف احتفال مدينة البعوث الإسلامية بالخريجين، حيث أشاد فضيلته بالدور الذى يقوم به خريجو الأزهر على مستوى العالم لتوضيح رسالة الإسلام، وأنه دين السلام والسماحة والاعتدال.. وأعرب عن سعادته بتواجده مع طلاب مدينة البعوث الإسلامية الذين يعتبرهم دعاة المستقبل فى العالم.. وطالب فضيلته الخريجين بضرورة مواصلة العلم عن طريق القراءة والاطلاع وحفظ القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية المطهرة بالاضافة إلى التوسع فيما يستجد من علوم بطريقة موضوعية بعيداً عما يتنافى مع مكارم الأخلاق كما طالب فضيلته الخريجين بأن يكونوا قدوة لغيرهم فى بلادهم وأن يتعاونوا معهم لتحقيق التقدم والرخاء لبلادهم، وأن يظهروا حقيقة الإسلام السمحة الواضحة بعيداً عن العصبيات والعنصريات حتى تنمو وتتقدم بلادهم.

وفى ختام الاحتفال قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التقدير على الخريجين.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد السفير/ مايكل لويس فيتزجيرالد - سفير الفاتيكان بالقاهرة، والسيد/ ريتيه فاتسان - من معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير والضيف المرافق له.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء، وأنه جاء بنص الترجمة



الرسمية باللغتين العربية والفرنسية للقاء الذى تم بين قداسة البابا والسادة سفراء الدول العربية والإسلامية.

أوضح فضيلة الإمام الأكبر بأنه قام بإعداد مقالة مطولة، أوضح فيها أن ماقاله القيصر البيزنطى منذ ٦٠٠ عاما كلام غير صحيح، وأن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، ودعا فضيلة الإمام رجال الدين أن يسود بينهم الاحترام المتبادل وفى الوقت نفسه يجب أن نتحاور بأسلوب علمى مهذب بعيدا عن الإساءة لأن هناك وسائل إعلام وأناس يتحدثون عن حرية التعبير بأساليب فيها إساءة للرسل ونحن لانملك إلا أن نبين لهم الحقيقة بأسلوب علمى مؤدب وأن السرد الذى جاء بمحاضرة البابا عن حياته وتعليمه منذ كان طالبا ثم مدرسا هى محاضرة تخص المسيحية، وأن تعرضه لمؤلف ليس له علاقة بالإسلام وقيامه بسرد تلك القصة على لسانه فى زمن كانت فيه الحروب منتشرة، كان من الواجب على بابا الفاتيكان بعد أن سرد تلك القصة أن يوضح فيها رأيه ويعلق عليها، وإذا لم يكن لديه تعليق فلا داعى لسرد تلك القصة فى محاضرة تخص الكنيسة المسيحية، ولو أن قداسته قال أنا لا أوافق على هذا الحديث كان قد جنب نفسه ماحدث.

وتمنى فضيلة الإمام الأكبر لرئيس دولة الفاتيكان الحالى أن تبقى العلاقات طيبة يسودها الاحترام المتبادل والإخاء الإنسانى والمحبة.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الوزير ليم جوك سينج – وزير الدولة للشئون الخارجية بسلطنة بروناى، والسيد/ على هاشم – مدير إدارة السياسة بوزارة الخارجية ببروناى، والسيد/ محرم بياه – سفير سلطنة بروناى بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى الوزير فى مصر والأزهر الشريف، مؤكدا على عمق العلاقات والصلة القوية التى تربط مصر ببروناى، وطلب أن ينقل معالى الوزير تحيات شيخ الأزهر وعلمائه للسلطان/ حسن بلقيه – سلطان بروناى – ولحكومته. وأن الصلة بين البلدين يسودها التعاون القائم على المحبة والاحترام والتسامح، حيث يدرس لدينا بالأزهر عدد من طلبة وطالبات سلطنة بروناى، يحظون بالرعاية والاهتمام وهم مثال للطلبة الملتزمين الذين يحرصون على تلقى العلوم بكل جد واجتهاد فى الأزهر الشريف، وأبدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إعجابه واحترامه لشعب بروناى الذى يعمل على رفعة شأن بلده، فهم يتعاونون رغم اختلاف عقائدهم فالكل يعمل لخدمة بلاده ونحن نقول إن الاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون ولدينا مثال طيب فى مصر حيث يوجد المسلمون والمسيحيون والكل يتساوى فى الحقوق والواجبات ووقت العبادة المسلم يذهب ليصلى فى المسجد والمسيحى يذهب إلى الكنيسة وعند الانتهاء من الصلاة يتصافح المسلم والمسيحى وهذا هو المبدأ العام فنحن ضد التعصب الأعمى وضد العنصرية البلهاء فنحن مع التعاون بين أبناء الوطن الواحد فيما يعود عليهم بالأمن والأمان والسلام والرخاء ليسعد المجتمع الذى يعيشون فيه.

كما بين فضيلة الإمام الأكبر دور الإعلام الصادق الذى يهدف إلى نشر الحقائق الصادقة.

● عاد وفد الأزهر الشريف برئاسة فضيلة الشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر من سلطنة عمان بعد أن شاركوا فى الاجتماع الدورى للجنة المشتركة بين الأزهر وسلطنة عمان ومناقشة القضايا المشتركة بين البلدين فى مجالات التعليم والدعوة الإسلامية وتبادل البعثات العلمية وذلك طبقا للاتفاقية الموقعة بين الأزهر الشريف وسلطنة عمان. وأكد فضيلة الشيخ/ عمر الديب على عمق العلاقات المصرية العمانية الدينية التى تعتبر

انعكاسا للعلاقات المتميزة بين حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد وأخيه الرئيس/ محمد حسنى مبارك، ولعمق هذه العلاقة آثار إيجابية انعكست على العلاقات الدينية بين الأزهر ووزارة الأوقاف العمانية بما يخدم الشعبين، فالأزهر يستقبل أبناء السلطنة للدراسة فى الأزهر سواء فى المراحل قبل الجامعية أو فى مرحلة الجامعة أو فى مرحلة الدراسات العليا وهم يجدون كل رعاية وعناية وحب لما للأزهر من مكانة عالية حيث يقصده الدارسون العرب لتعلم الدين الوسط البعيد عن العنف والتطرف والذى يدعو إلى الوسطية والاعتدال.

وقد أكد فضيلة وكيل الأزهر فى حديثه قائلاً إن مثل هذه اللقاءات ضرورية ومفيدة فى المقام الأول لأن أعداء الإسلام دائما يدعون إلى بث الفرقة والخلاف بين المذاهب المختلفة فى الإسلام ولنا أن نتصور هذا بين السنة والشيعة فى العراق، والهدف من مثل هذه اللقاءات ليس مجرد الخروج ببيانات وإصدار قرارات بل لابد أن تنتقل هذه الأفكار إلى جموع المسلمين حتى يعلم الجميع انهم أمة واحدة ولهم إله واحد وقبلتهم واحدة ويدينون بدين واحد ورسولهم واحد، فلا شيء يدعو إلى التفرقة وإلى الخلاف أبداً، وأوضح فضيلته بأننا فى الأزهر نقوم بدورنا عبر وسائل الإعلام المختلفة ببث هذه الأفكار بهدف توصيلها إلى جميع المسلمين فى أنحاء العالم.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ كيلى بونديفيك رئيس وزراء النرويج السابق، والسيدة قرينته. رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسيد الضيف وحرمه فى مصر والأزهر الشريف وتأتى هذه الزيارة للتباحث مع شيخ الأزهر الشريف حول سبل إقامة تعاون مؤسسى بين الأزهر الشريف و«مركز أوسلو للسلام وحقوق الإنسان» والذى أنشأه السيد «بونديفيك».

ومن جانبه قدم السيد/ بونديفيك الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء معرباً عن سعادته بتواجده فى مصر وأنه سعيد بالعلاقات القوية بين مصر والنرويج، وأنه ضد ما نشر من إساءة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بعض الدنماركيين معرباً عن أنه لابد من وجود حدود لحرية التعبير عن الأديان، وأنه قد صدرت فى بلاده قرارات صارمة للصحف باحترام قدسية الأديان الأخرى.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن حديث السيد/ بونديفيك يحمل العقل والرجاحة وهو محل احترامنا، موضحاً بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون ولا يمنع من الاحترام المتبادل وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله، وأن الأزهر الشريف يرحب بالحوار البناء الذى فيه خير البشرية.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ فليب كوست سفير فرنسا بالقاهرة. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير موضحا بأن علاقة الأزهر بفرنسا تمتد منذ عشرات السنين، وأن عددا كبيرا من شيوخ الأزهر حصلوا على الدكتوراة من جامعة السربون وغيرها من الجامعات بفرنسا، وأضاف أن الدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال ومناهج الأزهر تقوم على التخصص الدقيق والتأكيد على أن الإسلام دين يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون الثقافى والعلمى والصناعى وفى كل مجالات التعاون التى تعود بالخير على البشرية، وأن الأزهر لا يدخر وسعاً فى الإجابة عن أية أسئلة أو استفسارات بكل صدق وموضوعية ويرحب بالحوار دائماً ويتعاون لخدمة الفضائل والعلم النافع.

and this was my first property which I gained after my conversion to Islam."

Commenting on the above *hadith*, Abdel-Aziz Al-Maraghy said:

"The *hadith* involves a kind of *Ijtihad* practiced by Abu Bakr in the presence of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). The Prophet's approval of what Abu Bakr said was a kind of confirmation of that *Ijtihad* in a way that would make one feel the scrutiny of Abu Bakr and his precise deduction. That might be the reason that made the Prophet say, 'You should follow my *Sunnah* (i.e., acts and traditions) and that of the Rightly-Guided Caliphs coming after me.' This is because they would accompany the Prophet during all his life and thus they would figure out the Prophetic Guidance."

Abu Bakr had numerous examples of sound Fiqhi *Ijtihad* during the lifetime of the Messenger. For example, the Messenger was convinced of Abu Bakr's view – on the Day (i.e., Battle) of Hudaibiyah) – when opposed by `Umar Ibn Al-Khattab. Abu Bakr said to `Umar, "O `Umar, he is Allah's Messenger." So `Umar was convinced and agreed with the others.

Another example was the time of the great trial when the Prophet met his Lord. All the Muslims were struck by the news to the degree that `Umar himself, despite his firmly established faith and wise insight, cried loudly saying that Allah's Messenger did not die and he would be back again. Upon hearing this, Abu Bakr preached the Muslims saying, "Whoever amongst you worshipped Muhammad, then Muhammad is dead, but whoever worshipped Allah, Allah is alive and will never die." Then he recited Allah's Words:

{And Muhammad is in no way (anything) except a Messenger; the Messengers have already passed away even before him. Then, will it be that, in case he dies or is killed, will you turn over on your heels? And whosoever turns over on his heels, then he shall never harm Allah in anything; and Allah will recompense the thankful (ones).}

[Al-`Imran (The Household of `Imran)" 144]

When `Umar listened to that verse, he could not stand on his feet and collapsed to the ground and made certain that the Messenger really died. Abu Bakr decisively settled the matter using Allah's Words to substantiate his situation, so he did not leave any room for suspicion.

After the Messenger's death, the Ansar (i.e., the supporters of the Messenger) assembled in order to choose a caliph from among themselves. There was a dispute between the Ansar and the Muhajirun (i.e., those who immigrated to Medina) as regards the coming caliph. The Ansar said (to the Muhajirun), "There should be one ruler from us and one from you." Then Abu Bakr and `Umar went to settle the matter. `Umar wanted to speak but Abu Bakr stopped him. Abu Bakr listened to all what the Ansar said, then he spoke and his speech was very eloquent. A man from Al-Ansar stood and said that Muhammad was from Quraysh and thus his people had more right to rule after him. Accordingly, the people elected Abu Bakr to be the caliph.

At that time, the caliphate was not something of boastfulness and pride but it was a position involving huge responsibility. The caliphate was given to Abu Bakr despite the fact that he was old and that he would drive the ship of the Muslims with the help of no Revelation to guide him. However, Abu Bakr's trust in Allah enabled him to undertake the position and removed the obstacles that faced him.



Abu Bakr's *Ijtihad*[1]

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Abu Bakr (may Allah be pleased with him) was of a mature intellect, balanced thought and good manners. All these qualities led Abu Bakr to be attracted to the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him), due to the fact that he represented the ideal example of human perfection. The Messenger and Abu Bakr met before the appearance of Islam. When the Messenger declared the call to Islam publicly, Abu Bakr was the first to embrace Islam out of his conviction of the deviation of the Pre-Islamic period. Moreover, Abu Bakr did not hide his embracement of the new religion; rather, he began to call a number of his enlightened friends to follow the Messenger. Due to Abu Bakr's advice and directions, Uthman Ibn `Affan, Sa`d Ibn Abu Waqqas, Abu `Ubaidah Ibn Al-Jarrah, Talhah Ibn `Ubaidullah and Al-Zubair Ibn Al-`Awwam – they were of the ten given the glad tidings of entering the Paradise – embraced Islam. If it was not for their trust in the principles of Islam and their respect for Abu Bakr, they would not respond to the call of Islam in such a quick manner. Additionally, the Messenger's words to them increased them in faith and put their minds at ease, so they were among the best of his loyal supporters.

We will not extend our speech to talk about the biography of Abu Bakr, for his great situations are well-known to everyone. However, we will shed light on the legislative aspect of his life. Abu Bakr was given sound judgment and the ability

[1] *Ijtihad* (in Islam) means exertion of one's intellectual abilities with the aim of reaching a solution or decisive conclusion for an issue.



to exert intellectual *Ijtihad.* We can witness that in relation with the events he faced. During the lifetime of the Messenger, Abu Bakr was his secret-keeper, and sometimes the Messenger would listen to his opinions and effect them.

In his *Sahih* (i.e., Authentic Book of *Hadith*), Imam Muslim narrated that Abu Qatadah Al-Ansari said:
"We set out in the company of Allah's Messenger on the day (battle) of Hunayn. When we faced the enemy, the Muslims retreated and I saw a pagan throwing himself over a Muslim. I turned around and came upon him from behind and hit him on the shoulder with the sword. He (i.e. the pagan) came towards me and seized me so violently that I felt death was so close, but death overtook him and he released me. I followed `Umar Ibn Al Khattab and asked (him), 'What is wrong with the people (i.e., he means 'Why they retreat?') `Umar replied, 'This is the Will of Allah.' After the people returned, the Prophet sat and said, 'Anyone who has killed an enemy and has a proof of that will take his spoils.' I got up and said, 'Who will bear witness for me?' Then I sat down. The Prophet again said, 'Anyone who has killed an enemy and has a proof of that will take his spoils.' I (again) got up and said, 'Who will bear witness for me?' Then I sat down. Then the Prophet said the same for the third time. I again got up and Allah's Messenger said, 'O Abu Qatada! What is your story?' Then I narrated the whole story to him. A man (got up and) said, 'O Allah's Messenger! He is speaking the truth, and the spoils of the killed man are with me. So please compensate him on my behalf.' Upon hearing that, Abu Bakr said, 'No, by Allah, he (i.e. Allah's Messenger) will not agree to give you the spoils gained by one of Allah's Lions who fights on the behalf of Allah and His Messenger.' The Messenger said, 'Abu Bakr has spoken the truth.' So, Allah's Messenger gave the spoils to me. I sold that armor (i.e. the spoils) and with its price I bought a garden at Bani Salima,

offense for Islam and Muslims whether this offense is made by a famous character or by any normal person.

Furthermore, he said that the Christian instructions and Christ Teachings impose on us not to offend others either their creeds and thinking or any of their religious symbols. The Pope of Vatican quoted in his lecture a sentence from a dialogue in the 14th century between a Byzantine emperor and a Persian cultured Muslim in which accusations for Islam and the Prophet (peace be upon him) were mentioned. They indicate that Islam spread by the sword and aggression.

The lecture also contained unsuitable sentences such as Islam came with evil not giving a space for reason, and that the Prophet (peace be upon him) spread Islam by sword. There were also mentioned wrong ideas about jihad in Islam. Ninety international Islamic organizations included in the World Islamic Council for Aid and Mission headed by the Grand Imam Dr. Mohammad Sayed Tantawy, sheikh Al Azhar asked Pope Bendict the sixteenth for apologizing for these declarations and the necessity of canceling them.

Mr. Kamel Al sheriff, the secretary general of the World Islamic Council for Aid and Mission said that he feels sorry that the Pope of Vatican said such declarations, as they are not suitable at the time of holding many conferences for the sake of the interaction among the religions.

The American "New York Times" commented on the declarations of the Pope of Vatican saying "they are horrible



and dangerous". It also mentioned that this is not the only time that the Pope of Vatican tries to plant schism between Muslims and Christians.

It also said that he refused to include Turkey in the European Union merely because it is a Muslim country. The French "Le Monde" criticized him saying: "we waited for a more moderate speech from him adding that the Noble Qur`an mentioned the word "reason" 45 times.

The Islamic Researches Academy held an emergency session on Saturday, 17th of September, 2006 headed by the Grand Imam Dr.Mohammad Sayed Tantawy, Sheikh Al Azhar who issued a statement in which he denied the claims of the Pope. It said that the Pope claims are caused by clear ignorance of the merciful Islamic Shari`a.

Furthermore, he reminded the Pope with the visit of the deceased Vatican Pope John Paul the second to Al Azhar sheikhdom expressing the human communication among the Heavenly religions and respecting each other for the sake of spreading the virtues.

The Grand Imam Mohammad Sayed Tantawy, sheikh Al Azhar declared that he would respond to the accusations of the Pope separately. In the separate section of Al Azhar magazine, which the magazine presents as a gift for its readers, there will be the five responses of the grand imam after translation to English, French and German to increase their benefits after were published in the Egyptian newspaper, Al- Ahram .

Sakandry, who fled from the Byzantine persecution, to come back. After his return, the priest said, 'I have felt security after suffering fear, and tranquility after thirteen years of affliction. He (here the priest refers to Amr Ibn Al-`Ass) has relieved us from the persecution of the unbelievers.' "

What would stress the fact that the Eastern Christians hated the Byzantine Christians was that the Christian *Ghamasinah* – who were living at the east side of Syria during the seventh century – fought by the side of the Arab Muslims, coming from the Arabian Peninsula, against the Byzantine Christians.

In addition, the Crusades were not launched against the Muslims, whom Pope Urban II called "The Disbelievers," as an exclusive target, but they aimed, in the first place, to establish the Western Church in the East and thus would be able to practice its influence over the Christians in the East.

In his book entitled "Decline and Fall of the Roman Empire," Gibbon says, "The first Crusade left an example of the utmost degrees of fanaticism not only against the Muslims but against the Christians of the East as well. Soon after their (temporary) settlement, the Crusaders began to accuse the Eastern Christians of disbelief and rebellion against the authority of the Pope in the West. So they chased the Christians of the East, fought against them, and dismissed them from their works. The Eastern Christians suffered all kinds of torment and humiliation which made them compare between the clemency and generosity of the Muslim rulers and the torture and agony they suffered at the hands of the Western Christian rulers."

The Grand Imam Dr. Mohammad Sayed Tantawy, Sheikh Al Azhar repulses the defamation of the Pope of Vatican...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The declarations of the Pope of Vatican offending Islam and the great prophet issued in a lecture in Rosenberg University in Germany on Tuesday, 12th of September, 2006 provoked the Muslims in the whole world. Demonstrations moved everywhere condemning the Vatican Pope. The noble Azhar declared his absolute rejection of this defamation against Islam and the Prophet (peace be upon him).

No doubt that these declarations, which are not expected from the Vatican Pope, indicate fanaticism and hatred as well as do not help religious tolerance to grow among the Muslims and Christians.

The Grand Imam Dr. Mohammad Sayed Tantawy, sheikh Al Azhar issued quickly a statement in which he said that the declarations of the Pope of Vatican indicate clear ignorance of Islam, and do not contribute in promoting the interaction among the religions.

Pope Shenouda the third, Alexandria Pope and the patriarch of the Coptic orthodox church, assured his rejection of any

in what they called "The Crusades." They sought nothing but exploiting the wealth of the East and enslaving its peoples. Along two complete centuries, Europe kept repeating its attacks one after the other until it reached nine Crusades. In its wars, Europe attacked the Islamic world, killing and destroying our homes. Naturally, the Muslims – rulers, leaders and peoples – had to unite to support each other in order to confront such waves of aggressors and restore the usurped rights.

In their books regarding their description of the Muslims' reactions against the invaders and aggressors, the historians indicate, "The Muslim leader, prince or ruler, along with his followers would hurry to the battlefield in order to help and stand by the side of their Muslim brothers in their struggle against the intruders." This has been the case along history which involves support among the seeds of one nation, whether when it attacks others or defends itself.

I wish that someone could tell me what happened so that the issue of providing support turned into a rejected phenomenon condemned by the US as well as the Western countries! They want to finish off the victim while its mate remains passive and able to do nothing but moaning and shedding tears over the shed blood, destroyed houses, lying corpses and ruined civilization.

These tragedies have been repeated in Afghanistan, Iraq ,palestine and Lebanon. Only Allah knows what will happen to the other countries included in the malicious plot. Contrarily, the European countries have been uniting and forgetting their history full of clashes. Ironically, they have been able to form a union in the time when they drive wedges between the Arab and



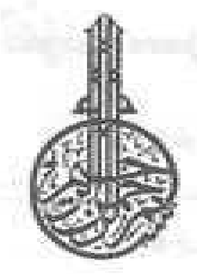
Muslim countries to set them apart. This policy is the core of the old imperialistic principle: You can gain dominance through setting the others apart.

That is why the League of Arab States has not taken any step forward on the road of unity though its founding date goes back to nearly sixty years. This is not only the situation but the arrows of distressful criticism continue to target it, as well. The League of Arab States has been suffering this discouraging situation despite the tremendous efforts exerted by its Secretary-General Amr Musa, regarding reconciliation and attempts of uniting the conflicting parties. It is worth mentioning that the Christian West has always been considering the Christians of the East as natural alliances of the Muslims, so the West regards them as its enemies; rather, it considers the Christian of the East as atheists that ought to be punished.

The Christians of the East – in Egypt, Syria and North Africa – suffered at the hands of the Christian Romans. Moreover, the Eastern Christians suffered the utmost degrees of persecution during the rule of the Pagan Romans. That persecution did not come to an end except when the Muslims conquested Egypt, Syria and North Africa. When the Muslims came to these countries, they declared forgiveness, clemency and freedom of creed, as stated by their religion (i.e., Islam). There are countless examples of situations in which the clemency and freedom of belief in Islam can be witnessed. Mr. Faysal Salih Al Khairy, the Head of the Palestinian Heritage Center, said, "The Commander of the Muslim army, Amr Ibn Al-`Ass spread peace and security to the extent that he allowed a priest called Benjamin Al

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-qaedah, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION

December. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

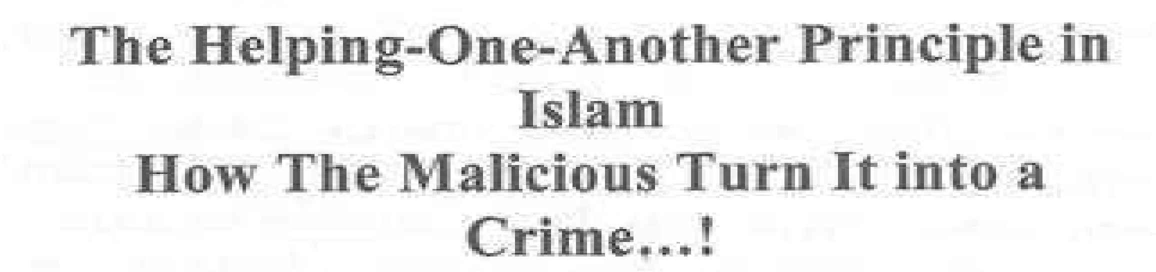
"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University



The Helping-One-Another Principle in Islam How The Malicious Turn It into a Crime...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

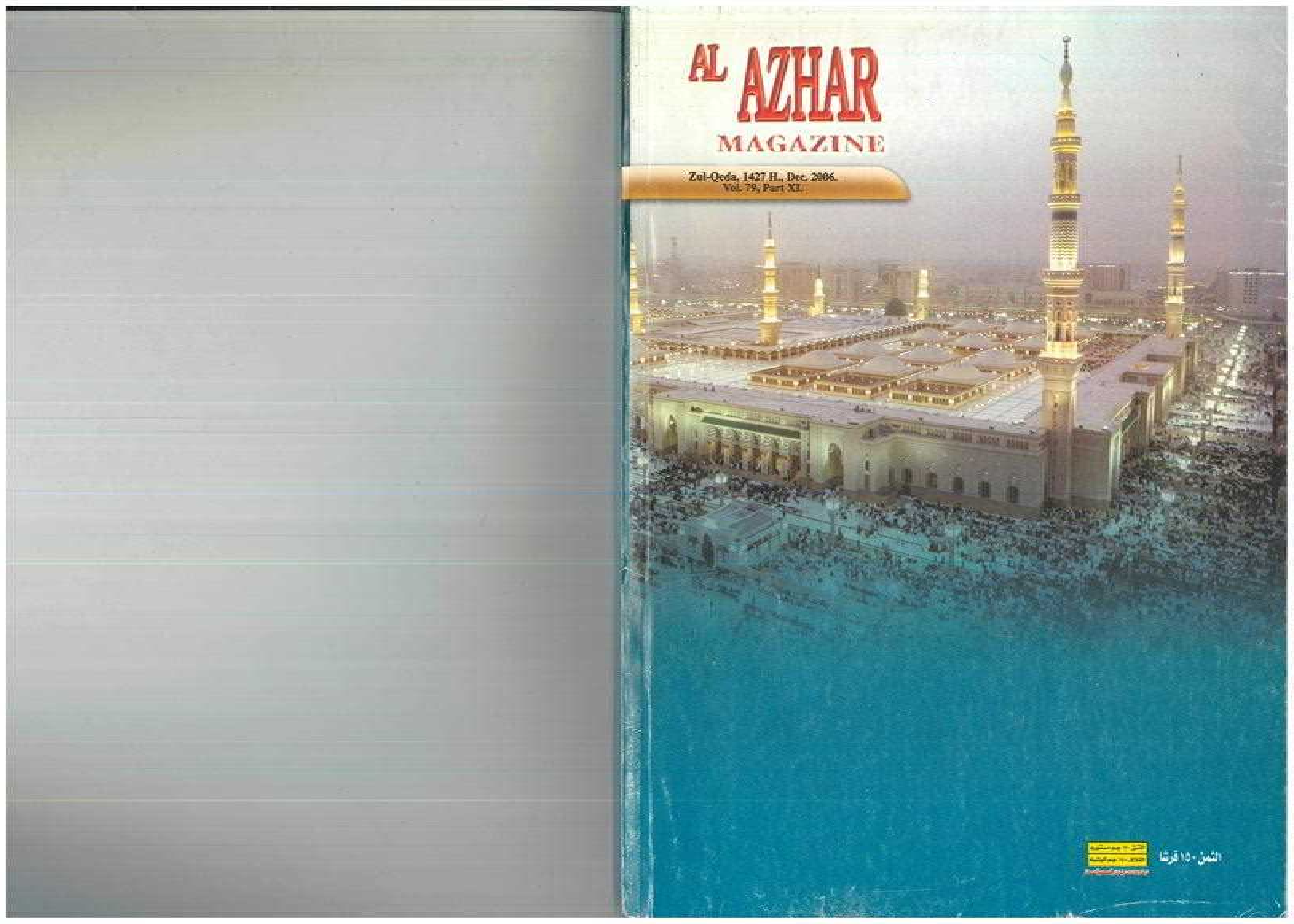
There are numerous facts and issues that the malicious want to turn into capital crimes and major violations. This has been the case since the 11th of September 2001. Among such facts and issues is the "helping-one-another" principle in Islam in order to face the challenges, dangers and outside aggression. It is globally known, not just in Islam, that every nation should unite so as to be able to face any imminent danger. Understanding such a principle is prevalent among all groups, nations and countries, regardless of races, creeds and political attitudes. Each of them seeks the help of one another to face an evil, and unite to confront an outside invasion.

This principle has been prevalent since the beginning of history. For example, this was witnessed during the modern age when the United States of America joined the two world wars to aid Britain and its allies. Not to mention today when we see the UK support offered to the US in its aggressions against Afghanistan and Iraq, out of nothing but blind tribalism.

During the Medieval Ages, Europe with all its nations, armies, soldiers, leaders, feudalists, princes and kings started successive attacks on the Islamic countries

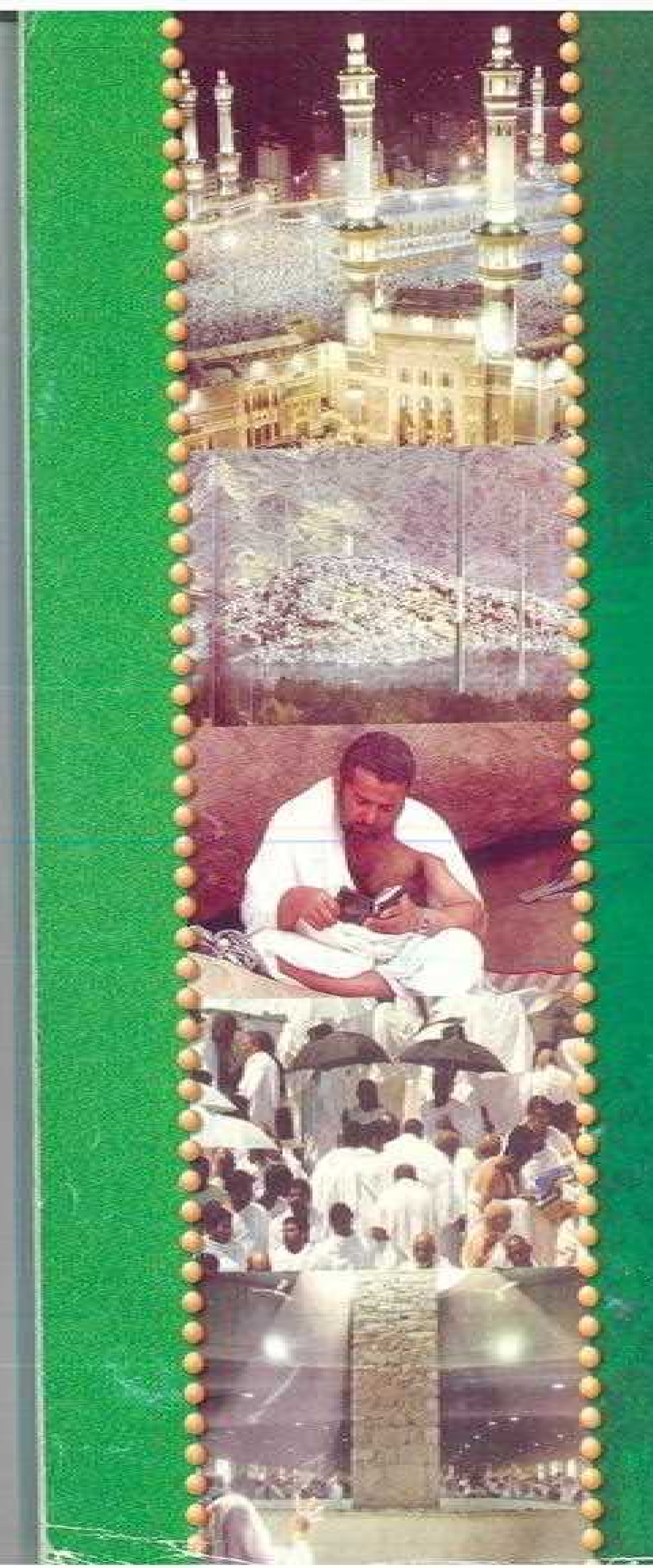


الفهـــــرس


AL AZHAR
MAGAZINE
Zul-Qeda, 1427 H., Dec. 2006.
Vol. 79, Part XI.
الثمن ١٥٠ قرشا



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ذو الحجة ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢ - الجزء ١٢ - السنة ٧٥



وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ





داخل العدد

الترجمة الألمانية لرد فضيلة الإمام الأكبر على بابا الفاتيكان

هدية العدد

المجتهدون في ميدان التشريع

الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م نصر

☎ ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ذى الحجة ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٧م - الجزء الثانى عشر - السنة التاسعة والسبعون

انطباعات الحج فى الشعر المعاصر

بين الشعر والنثر

حين تقارن بين ما كتبه الأدباء نثراً، وما صاغه الشعراء نظماً، فى رحلة الحج المبارك، تجد فارقاً كبيراً ملحوظاً؛ لأن الحج قد أخذ من اهتمام الكتاب ماضنّ به كثير من الشعراء، فأنت تعد عشرات الكتب القيمة، ومئات المقالات البارعة فى تصوير رحلة الحج، ولكنك لا تجد غير النادر الضئيل من الشعر الحقيقى الذى يصور المشاعر المؤمنة عن هذه الرحلة الطاهرة، وأقول من الشعر الحقيقى؛ لأن جمهرة من محترفى النظم العروضى قالوا كثيراً فى رحلة الحج، ونشروا منظوماتهم فى مجلات تهتم بالقصيدة لموضوعها وحده لا لما تضمنته من معان، أما الموهوبون من الشعراء فقد انصرف أكثرهم عن حديث الحج، ولا كذلك الموهوبون من الكتاب، فأنت تجد كتباً ضخمة، ومقالات مدوية كتبها الفحول الكبار، فخلدوا بها وخلدت بهم.

تجد كتاب (فى منزل الوحى) للدكتور محمد حسين هيكل، وتجد كتاب (الارتسامات اللطاف) للأمير شكيب أرسلان، وتجد (الرحلة الحجازية) للأستاذ محمد لبيب البتانونى، وتجد (رسالة الحج) المنسوبة للأستاذ حافظ عامر، وتجد (رحلة الحجاز) للأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى، هذا إلى مئات من المقالات النادرة حقا، أذكر أن بعثة الجامعة المصرية فى عهدها الزاهر حين كانت الجامعة جامعة حقا، قد جمعت بين أعضائها الأساتذة الأعلام: أحمد أمين، وعبدالحميد العبادى، وإبراهيم مصطفى، وعبدالوهاب عزام، وقد كتبوا جميعاً عن رحلتهم المباركة مقالات تحليلية



محمد حسين هيكل



شكيب أرسلان



إبراهيم عبدالقادر المازنى



احمد امين

ذات إيماض لامع، وهدى نافع فى سلامة التشخيص، وجمال الاقتراحات. فأين ما كتبه الشعراء المعاصرون بإزاء ما كتبه هؤلاء؟

فى الشعر القديم

والعجب أن ما أسميه خصومة الشعراء لرحلة الحج قد امتدت عبر العصور السالفة، بحيث لا تجد مما قيل فى تمجيد هذه الرحلة غير النادر الشحيح، إنك تجد ضرباً آخر من الشعر- غير الذى أعنيه الآن- قد أكثر منه السابقون، وهو الضرب الغزلى الذى برع فيه عمر بن أبى ربيعة، والعرجى، وأمثالهما ممن تغزلوا فى ظباء الحرم، وكواكب منى وعرفات، وهو فن عاطفى شفاف قد امتد رواقه حتى شمل الرسميين الكبار من رجال الدين، مثل نقيب الطالبيين، الشريف الرضى صاحب الحجازيات الشهيرة، ومثل: الفقيه العالم المدنى عروة بن أذينة الذى يقول من مقطوعة رائعة:

نزلوا ثلاث منىً لغير إقامة   وهمو على خطر لعمرك ماهمو
ولهن بالبيت العتيق لبانة   والبيت يعرفهن لو يتكلم!
لو كان حيّا قبلهن أوانسا   حيّا الحطيم وجوههن وزمزم

أما الشريف فقد نعود إلى تحليل حجازياته فى موسم تال، ونكتفى بالاستشهاد له بهذين البيتين:

تذكرت بين المأزمين إلى منى   غزالا رمى قلبى وراح سليما
لئن كنت أستجلى مواقع نبله   فإنى ألاقى غبهن أليما!

رائعة أحمد شوقى

شوقى بارع التصوُّر، قوى التخيُّل، لم يذهب إلى الحج حين دعاه عباس الثانى لمرافقته فى رحلته، ولكنه رحل بخياله فرأى الميزاب، وزمزم، وعرفات، ومنى، والجمار، وتحدث عنها حديث العارف، ثم ترك السطح إلى الغور، فسبر السر الدفين فى اجتماع الناس متجردين محرمين يعلنون المساواة الإنسانية فى أفصح مرأى وأبلغ مخبر:

حافظ إبراهيم

أحمد شوقى

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم   لبيت طهور السّاح والعرصات
أرى الناس أصنافاً ومن كل بقعة   إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت   لديك ولا الأقدار مختلفات

وأحس ضعف المسلمين، وحاجتهم إلى العون، وقد ناموا عن مجدهم الغابر، وأصبحوا هدف السهام، ومطمع الأعداء، فصرخ مستجيراً برسول الله أن يسأل ربه لهم الإسعاف، فينتفعوا بما نزل إليهم من الذكر، وما تركه المصطفى من الأثر، ومهد لذلك بقوله:

إذا زرت يا مولاى قبر محمد   وقبّلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت من الدمع العيون مهابة   لأحمد بين الستر والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثنية   وضاع أريج تحت كل حصاة
فقل لرسول الله ياخير مرسل   أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها   كأصحاب كهف فى عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكر وحكمة   فما بالهم فى حالك الظلمات؟

والاعتذار عن الحج أمر خطير لابد أن يجتهد الشاعر فى تلمس مبرراته، وهو اجتهاد لا يبلغ من القوة مهما تألق الشاعر فى الاحتيال، فالحج فرض محتوم لا يشفع فى إهماله اعتذار تختلق أسبابه اختلاقاً دون أن تجد مستندها الضرورى من العذر الصريح، لذلك أخذ شوقى يبدى ويعيد فى غير طائل، ويتلمس العفو من ربه تلمساً يفتقد الأداة الصادقة لنفاذه، ولكن الشاعر إنسان له ضعفه وذله وتردده الخائر، ولا يملك غير أن يصور هذا الضعف فى أبيات ضارعة يقول فيها:

دعانى إليك الصالح ابن محمد   فكان جوابى خالص الدعوات
وقدمت أعذارى وذلى وخشيتى   وجئت بضعفى شافعاً وشكاتى
ويارب هل تغنى عن العبد حجة   وفى العمر ما فيه من الهفوات

وكان حافظ إبراهيم لبقاً مداوراً حين عرّض بشوقى إذ هنأ عباساً بحجته قائلا:

ولو أننى خُيِّرت لاخترت أن أرى   لعيسك وحدى حادياً متر نما

وهو تعريض فهمه شوقى وسكت عنه مضطراً

قصيدة الهراوى

محمد الهراوى شاعر من مدرسة حافظ إبراهيم، يعبر عن عواطفه الصادقة فى غير تكلف أو احتفال، واشتغاله بنظم القصائد للأطفال فى عدة دواوين قد قرب بينه وبين الأسلوب النثرى حتى قال فيه صديقه الشاعر الناقد أحمد الذين:

وإن لهرّاوى سهولة شعره   فتحسبه لولا قوافيه ينثر
ولاعيب فيه غير أن خياله   يقل إذا أهل التخيل أكثروا

وقد أدى فريضة الحج فخوراً معتزاً، وطرب لالتصاق لقب «الحاج» به عند نشره القصائد فى الصحف، ولم يكن طربه مظهرياً فقط بل كان طرباً داخلياً يستشعره فى أعماقه وسلوكه وقوله، وله قصيدة يتحدث فيها عن ذكريات شبابه بالجزيرة، ويوازن بين حالتيه قبل الحج وبعده، إذ عد الجزيرة نفسها قد تابت عن هناتها كما تاب،

فقال:

ولقد مررت على الجزيرة لا كما   عهدتها فى غىّ مع الورّاد
فإذا بها وكأنها حجت معى   أو أننا عدنا معاً لرشاد

أما قصيدة الحج فقد بعدت عن النثرية التى أشار إليها أحمد الزين فجاءت محكمة الصقل، قوية التعبير، ولن تكلف الشاعر أكثر من طاقته فنرغمه على قوة التخيل إذا كان من دأبه الاكتفاء بتصوير الواقع فى أجمل معرض، وإذا صدقت العاطفة فإن واقعها المخلص يعوض بإيحائه الشريف مافات من خلابة التصوير، وقد كان الهراوى صادق العاطفة حين وصف شعوره نحو أم

القرى، إذ جعل يحلم بها نائماً ويتخيلها يقظان! ثم أصبح الحلم حقيقة حين انتقل إلى الحرم الطاهر يمسح بالأركان ويطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة متغنياً بقوله:

حدا بى إلى أم القرى شوق هائم ... مدله قلب حول مكة حائم
ولهتُ بها ما بين نوم ويقظة ... وقلبى يقظان الهوى غير نائم
فإن نمت لم تبرح تخيل لى الرؤى ... وإن أصح لم يبرح تخيل واهم
فذلك شأنى ثم لجّ بى الهوى ... إلى أن رأيت الحج ضربة لازم
لعلى وفى بُردَىّ حوبة آثم ... أطهر عن بُردَىّ حوبة آثم
أمسح بالأركان وجهى معفراً ... وأهمى عليها بالدموع السواجم
وأرجع مملوء الجوانح خشية ... من الله فى يوم من الهول قادم

والهراوى لطيبة قلبه، ورهافة حسه، يستعظم الصغير، فهو كما عرفناه طاهر السريرة، ولكنه يعلن أنه يقرع سن الندم على مافرط، وأن على أصحابه أن يعرفوا متابه عن مسرح لهوهم، ثم يتجه إلى الله داعياً أن يحفظ مصر التى أذلها الغاصب، ويحفظ الشرق من بغى الغرب، لقد تذكر وطنه الخاص ووطنه العام فدعا لهما! ولم يدع لنفسه إلا بحسن الختام وحده حيث قال:

أقول إلهى أنت أدرى بأمتى ... فكم نزلت دهراً على حكم غاشم
تركت ورائى أمة لم تكن تنى ... عن الحق جهداً أوتهى فى العزائم
ويارب إن الشرق بات بأهله ... كبير الأمانى طامحاً للعظائم
يريد حياة العز وهو مسالم ... فيأبى عليه الجور عيش المسالم
بلادى وقومى فوق ماجئت أبتغى ... لنفسى وما أرجو لها من غنائم
ويارب إن كانت لنفسى حاجة ... فحاجة نفسى منك حسن الخواتم

أنات حائرة

أراد عزيز أباظة أن يخفف بعض ما يكابد من حسرة على فقد قرينته العزيزة، فاتجه إلى بيت الله حاجاً ضارعاً، وخيال الراحلة الغالية لا يبرح عينيه، فهى فى خاطره مثلها فى ناظره، وقد ألم بالمناسك الطاهرة إلمام من يتحسر على انفراده المتوحد دون شريكة عمره، وفى عرفات حيث

تزدحم الحشود، وتضج الأصوات بالتلبية، وتضرع الأكف بالدعاء، كان الشاعر الحزين فى هذا الطوفان الحاشد لا يشغله شئ غير انفراده عن حبيبته، إذ لم يتح لها أن تقف معه فى هذا الموقف الرائع!! وقد تساقطت دموع الأسى على خده فأنكر أصحابه أن يبكى فى موقف يجب أن يكون خالصاً لله وحده، ولكن الشاعر أسير إحساسه، ولكن يستطيع أن يأتمر بعقله فى موقف تسيطر فيه العاطفة القهّارة، وهذا ما عبر عنه حين قال:

ذكرتك يوم النفر والدمع ساجم ... على عرفات والنزاع غرام
فأجهش قلبى جهشة راح بعدها ... وفيه مراح للضنى ومسام
وأنكر أصحابى بكائى ولوعتى ... وقالوا أتبكيها وأنت حرام!
بكيت لها إذ لم تقف موقف الرضا ... على عرفات والحجيج قيام
ملبين بكائين يستغفرونه ... وبعض الدموع السافحات كلام
ولم تنطوف بالعتيق ولم تفض ... إلى روضة الهادى عليه سلام

وهكذا ظل خيالها الآسر يصحبه فى كل مشهد من المشاهد، فتلوح صورتها فيما ينظم، لتكون سلكاً جامعاً للآلئ معانيه، وقد أخذته روعة التاريخ فى مكة، وبهره البيت العتيق بما يوحى من الجلال والروعة، فانطلق فصيحاً مبيناً يتحدث عن رحابة البطحاء، ويلم بالذبيح ووالده، حين رفعا القواعد من البيت، ويدهش للحجيج وقد تراموا من كل صوب يهفون للنور ويستشرفون كواكب المجد فى أظهر أفق، ويدركه العجب لرحابة ما يُحس فى ملكة فيهتف:

إيه يا نفس إن تاريخ هذا ... الكون ضمته هذه الأنقاء
قرية تغمر العوالم رياً ... وسنى وهى صفصف جرداء
عفر الدهر رأسه فى ثراها ... وعنت عند قدسها الجوزاء
آنست أروع انقلاب على الأ ... رض طواها، كأنه الكهرباء
رف فى خاطرى ومكة دارى ... صور عبقرية غراء؟
مهبط الوحى هل لديك مآب ... وإلى بيتك العتيق انثناء
لو تراخت بنا الحياة رجعنا ... وهدانا لك الهوى والوفاء

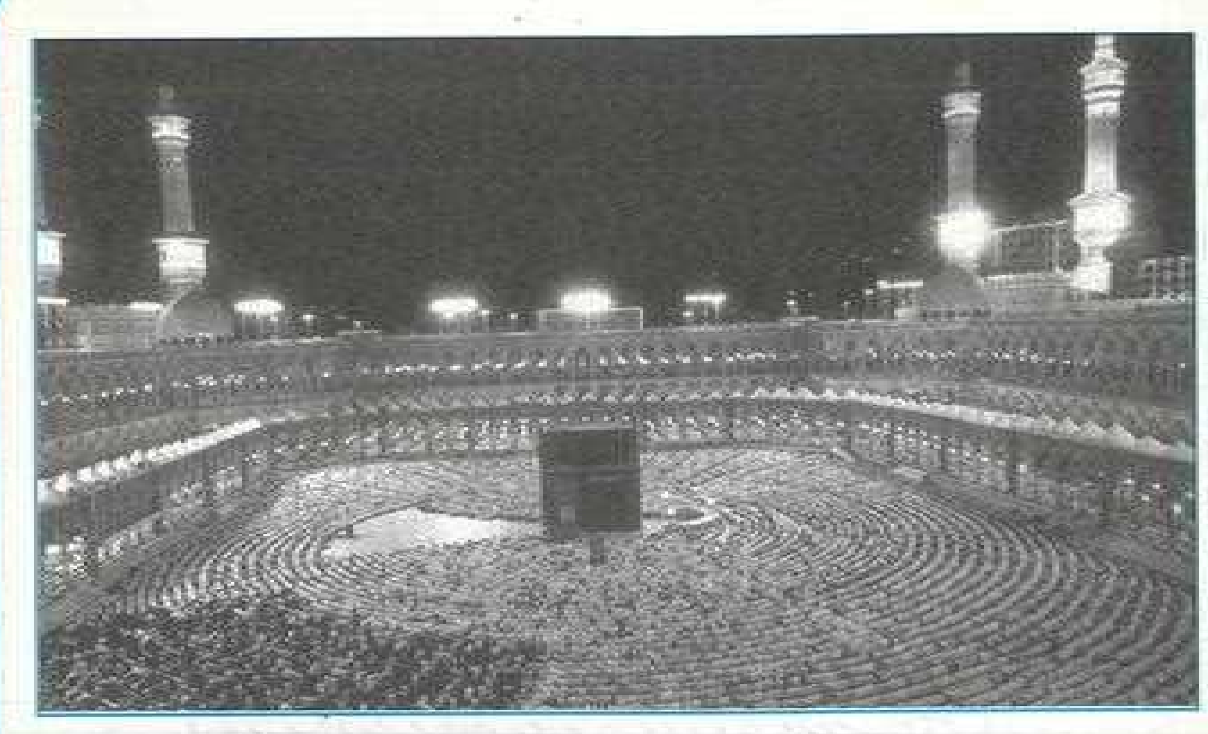
بـــدوى الجبـــل

الشاعر السورى الكبير بدوى الجبل -رحمه الله- شاعر مترف الخاطر، جليل المعنى، أنيق التعبير، ويخيل إلىّ أنه يفكر فى البيت مرتين، مرة فى دقة معناه، ومرة فى بهاء صقله، لذلك يأتى بنمط من البيان الساحر تخشع له النفوس روعة وإعجاباً، وقد صاغ فى رحلة الحج قصيدة طويلة تكاد تكون ملحمة جمعت أبهاء الجمال فى فن راقص مطرب، وقد كان منسجماً مع نفسه، إذ اختار لنفسه لقب «البدوى» لأن مسارح البادية ترتسم فى شعره ارتساماً يجلله السحر، فهو فى قصيدته يتمنى أن ينهض إلى مكة راكباً الجمل مفترشاً الكثيب مصغياً إلى بغام الظباء! إن الدم فى عروقه المتحضرة ليجنح ناشزاً إلى أصلاب آبائه فى عصور زهير، وسويد بن كاهل، وذى الرمة ممن وصفوا البيداء وصفاً جعلها أشهى من الحواضر على جدبها الموحش، وخلائها الرحيب يقول بدوى الجبل:

ولو أن عندى للشباب بقية ... خفقت إليها فوق ظهر نجيب
أنام على الكثبان يؤنس وحدتى ... بغام مهاة أو هماهم ذيب
هتكت حجاب الصمت بينى وبينها ... بشبابة سكرى الحنين خلوب
وألف سراب ما كفرت بحسنها ... وإن فاجأت عشاقها بنضوب
وضجة صمت جلجلت ثم ودعت ... ورقت كأخفى همسة ودبيب
وأطياف جن فى بحار رمالها ... تصارع حالى طفوة ورسوب
وتعطفنى الآرام فيها توافراً ... إلى رشأ فى الغوطتين ربيب

هذا فى طريق الرحلة، أما غايتها عند الكعبة فما أبرع ما تحدث به البدوى حين قال:

لثمت الثرى سبعاً وكحلت مقلتى ... بحسن كأسرار السماء مهيب
مواكب كالأمواج عج دعاؤها ... وثار الضحى حمراء ذات شبوب
ورددت الصحراء شرقاً ومغرباً ... صدى نغم من لوعة ورتوب
تلاقوا عليها من غنى ومعدم ... ومن صبية زغب الجناح وشيب



نظائر فيها بردهم برد محرم ... يضوع شذا، والقلب قلب منيب
أناخوا الذنوب المثقلات لواعباً ... بأفيح من عفو الإله رحيب
وذل لعز الله كل ممرد ... ورق لخوف الله كل صليب

ويمضى الشاعر فى هذا النسق ليأسى على أنضاء الذنوب وعباد الهوى، وقد أغرقهم الطوفان فى موج مزبد أجاد البدوى تصويره قائلا:

رمى الموج أنضاء السفين بمارد ... من اليم تياه الخسوف غضوب
يزلزلها يمنى ويسرى مزمجراً ... ويقضمها من هوله بنيوب
يرقصها حيناً وحيناً يرجها ... ويوجز حالى هدأة ووثوب
وترفعها عجلى، وعجلى تحطها ... لعوب من الأمواج جد لعوب

وفى ما استشهدنا به ما يشير إلى روائع ما تركناه مضطرين، وقد أوجزت التعليق لأفسح لأكثر ما أستطيع رصده من هذا الوشى الأنيق لدى بدوى الجبل.

وبعد، فتلك انطباعات هادئة لرحلة الحج فى لوحات فنية ذات صدق وتأثير.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (الآيات: ١١٩ : ١٢٠)

ثم ذكر -سبحانه- أموراً أخرى من شأنها أن تجعل المؤمنين يقلعون عن مباطنة ومصافاة أعدائهم فى الدين فقال:

﴿ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾

أى ها أنتم أولاء أيها المؤمنون تحبون هؤلاء الذين يخالفونكم فى عقيدتكم، وتتمنون لهم الهداية والخير، بينما هم لا يحبونكم ولا يريدون لكم إلا الشرور والهزائم والضعف.

وفى هذه الجملة الكريمة عتاب ولوم للمؤمنين الذين يلقون إلى أعدائهم بالمودة، ويكشفون لهم عن أسرارهم ودخائلهم.

و﴿ها﴾ حرف تنبيه، وقوله: ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ وقوله: ﴿أُولَاءِ﴾ خبره، وقوله:

﴿ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾

كلام مستأنف لبيان خطئهم فى موالاتهم ومحبتهم لمن يبغضونهم ويخالفونهم فى الدين.

وبعضهم جعل ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿أُولَاءِ﴾ منادى حذف منه حرف النداء، وقوله: ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ هو الخبر عن المبتدأ.

وبعضهم جعل ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ فى موضع نصب على الحال من اسم الإشارة الذى هو الخبر. والمراد بالكتاب فى قوله:

﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾

جنس الكتب السماوية التى أنزلها الله على أنبيائه.

أى أنتم أيها المؤمنون تحبونهم وهم لا يحبونكم، وأنتم تؤمنون بجميع الكتب السماوية التى أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بشىء من كتابكم الذى أنزله الله على نبيكم محمد ﷺ وما دام الأمر كذلك فكيف تتخذونهم بطانة من دون إخوانكم المؤمنين؟ لا شك أن من يفعل ذلك يكون بعيداً عن الطريق القويم، والعقل السليم.

ثم بين -سبحانه- سبباً ثالثاً يدل على قبيح مخالطتهم ومصافاتهم فقال -تعالى-:

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾

والعض هو: الإمساك بالأسنان أى تحامل الأسنان بعضها على بعض. يقال: عض يعض عضاً وعضيضاً إذا تحامل بأسنانه على الشىء.

والأنامل جمع أنملة، وهى: أطراف الأصابع. وقيل: هى الأصابع.

والغيظ: أشد الغضب. وعضهم الأنامل كناية عن شدة غضبهم وتحسرهم وحنقهم على المؤمنين.

أى أن هؤلاء الذين يواليهم بعضكم أيها المؤمنون بلغ من نفاقهم وسوء ضمائرهم أنهم إذا لقوكم قالوا آمنا بدينكم وبنبيكم محمد ﷺ وإذا خلوا، أى خلا بعضهم ببعض أكل الحقد قلوبهم عليكم، وسلقوكم بألسنة حداد، وتمنوا لكم المصائب، وأظهروا فيما بينهم أشد ألوان الغيظ نحوكم؛ بسبب ما يرونه من ائتلافكم، واجتماع كلمتكم، وعجزهم عن أن يجدوا سبيلا إلى التشفى منكم. وإلحاق الأضرار بين صفوفكم.

ومن كان كذلك فى كفره ونفاقه، كان من الواجب على كل مؤمن أن يحتقره وأن يبتعد عنه؛ لأنه لا يريد للمؤمنين إلا شرا.

ثم ختم -سبحانه- الآية الكريمة بما يكبت هؤلاء المنافقين ويبقى حسرتهم فقال:

﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

والخطاب للنبى ﷺ: ولكل مؤمن من أتباعه لتحريضه على مقاطعة هؤلاء الذين لا يريدون إلا الشر.

أى: قل لهم دوموا على غيظكم واستمروا عليه إلى أن تموتوا. فإن قوة الإسلام وعزة أهله التى جعلتكم تبغضون المؤمنين ستبقى وستستمر، وإن أحقادكم على المسلمين لن تنقص من قوتهم وعلو كلمتهم شيئاً.

فالمراد الدعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به، وهذا يستلزم أن يستمر ما يغيظهم ويكبتهم وهو نجاح الإسلام وقوته.

والباء فى قوله: ﴿بِغَيْظِكُمْ﴾ للملابسة، أى موتوا متلبسين بغيظكم وحقدكم.



وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

أى محيط بما خفى فيها، ومطلع على ما يبيته هؤلاء المنافقون للمسلمين، وسيحاسبهم عليه حسابا عسيرا، ويعذبهم بسبب ذلك عذابا أليما.

قال الجمل: وهذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة، أخبر الله -تعالى- بذلك؛ لأنهم كانوا يخفون غيظهم ما أمكنهم، فذكر ذلك لهم على سبيل الوعيد. ويحتمل أن تكون من جملة المقول، أى قل لهم كذا وكذا فتكون فى محل نصب بالقول، ومعنى قوله:

﴿ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

أى بالمضمرات ذوات الصدور. فذات هنا تأنيث ذى بمعنى صاحبة الصدور. وجعلت صاحبة للصدور لملازمتها لها وعدم انفكاكها عنها، نحو أصحاب الجنة وأصحاب النار[1].

وفى هذه الجملة الكريمة تطييب لقلب النبى ﷺ ولقلوب أصحابه؛ حيث بين -سبحانه- لهم أنه ناصرهم، وأنه كاشف لهم أمر أعدائهم متى أطاعوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، ولم يجعلوا من أولئك الأعداء الذين يضمرون لهم كل شر وضغينة بطانة لهم.

ثم ذكر -سبحانه- لونا آخر من ألوان بغض هؤلاء الكافرين للمؤمنين فقال -سبحانه-:

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾

والمس: أصله الجس باليد. أطلق على كل ما يصل إلى الشىء على سبيل التشبيه، فيقال: فلان مسه النصب أو التعب، أى أصابه.

والمراد بالحسنة -هنا- منافع الدنيا على اختلاف ألوانها، كصحة البدن، وحصول النصر، ووجود الألفة والمحبة بين المؤمنين.

أى إن تمسسكم -أيها المؤمنون- حسنة كنصركم على أعدائكم، وإصلاح ذات بينكم، ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ أى تحزنهم وتملأ قلوبهم غيظا عليكم،

﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ ﴾

كنزول مصيبة بكم، يفرحوا بها، أى يبتهجوا بها، وتستطار ألبابهم سرورا وحبورا بسبب ما نزل بكم من مكاره.

فالجملة الكريمة بيان لفرط عداوة هؤلاء المنافقين للمؤمنين، حيث يحسدونهم على ما ينالهم من خير، ويشمتون بهم عندما ينزل بهم شر.

وعبر فى جانب الحسنة بالمس، وفى جانب السيئة بالإصابة، للإشارة إلى تمكن الأحقاد من قلوبهم، بحيث إن أى حسنة حتى ولو كان مسها للمؤمنين خفيفا وليس غامرا عاما فإن هؤلاء المنافقين يحزنون لذلك، لأنهم يستكثرون كل خير للمؤمنين حتى ولو كان هذا الخير ضئيلا.

أما بالنسبة لما يصيب المؤمنين من مكاره، فإن هؤلاء المنافقين لا يفرحون بالمصيبة التى تمس المؤمنين مسا خفيفا، فإنها لا تشفى غيظهم وحقدهم، وإنما يفرحون بالمصائب الشديدة التى تؤذى المؤمنين فى دينهم ودنياهم أذى شديدا ثم ختم -سبحانه- الآية الكريمة بإرشاد

(1) حاشية الجمل على الجلالين جـ1 ص308.



المؤمنين إلى الدواء الذى يتقون به كيد أعدائهم وأعدائه فقال -تعالى-:

﴿ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

وقوله: ﴿ تَصْبِرُوا ﴾ من الصبر وهو: حبس النفس على ما يقتضيه الشرع والعقل.

وقوله: ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ من التقوى وهى: صيانة الإنسان نفسه عن محارم الله.

وقوله: ﴿ كَيْدُهُمْ ﴾ من الكيد وهو: أن يحتال الشخص ليوقع غيره فى مكروه.

والمعنى: ﴿ إِن تَصْبِرُوا ﴾ أيها المؤمنون على طاعة الله، فتضبطوا أنفسكم ولا تنساقوا فى محبة من لا يستحق المحبة، وتتحملوا بعزيمة صادقة مشاق التكاليف التى كلفكم الله بها، وتقاوموا العداوة بمثلها ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ الله -تعالى- فى كل ما نهاكم عنه، وتمتثلوا أمره فى كل ما أمركم به، إن فعلتم ذلك

﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ ﴾

وتدبيرهم السيىء ﴿ شَيْئًا ﴾ من الضرر ببركة هاتين الفضيلتين: الصبر والتقوى؛ فإنهما جامعتان لمحاسن الطاعات، ومكارم الأخلاق.

وإن لم تفعلوا ذلك أصابكم الضرر، واستمكنوا منكم بكيدهم ومكرهم. قال الجمل ما ملخصه: قوله: ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ وردت فيه قراءتان سبعيتان:

إحداهما: بضم الضاد وضم الراء مع التشديد- من ضر يضر.

والثانية: ﴿ لَا يَضِرْكُمْ ﴾ -بكسر الضاد وسكون الراء- من ضار يضير. والفعل فى كليهما مجزوم جوابا للشرط، وجزمه على القراءة الثانية «يضركم» ظاهر، وعلى القراءة الأولى ﴿ يَضُرُّكُمْ ﴾ يكون مجزوما بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإتباع للتخلص من التقاء الساكنين، وأصل الفعل يضرركم -بوزن ينصركم- نقلت حركة الراء الأولى إلى الضاد ثم أدغمت فى الثانية، وحركت الثانية بالضم إتباعا لحركة الضاد[2].

وقوله: ﴿ شَيْئًا ﴾ نصب على المصدرية. أى لا يضركم كيدهم شيئا من الضرر لا قليلا ولا كثيرا بسبب اعتصامكم بالصبر والتقوى.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ تذييل قصد به إدخال الطمأنينة على قلوب المؤمنين، والرعب فى قلوب أعدائهم.. أى إنه -سبحانه- محيط بأعمالهم وبكل أحوالهم، ولا تخفى عليه خافية منها، وسيجازيهم عليها بما يستحقونه من عذاب أليم بسبب نياتهم الخبيثة، وأقوالهم الذميمة، وأفعالهم القبيحة.

(2) المرجع السابق.

السنة:

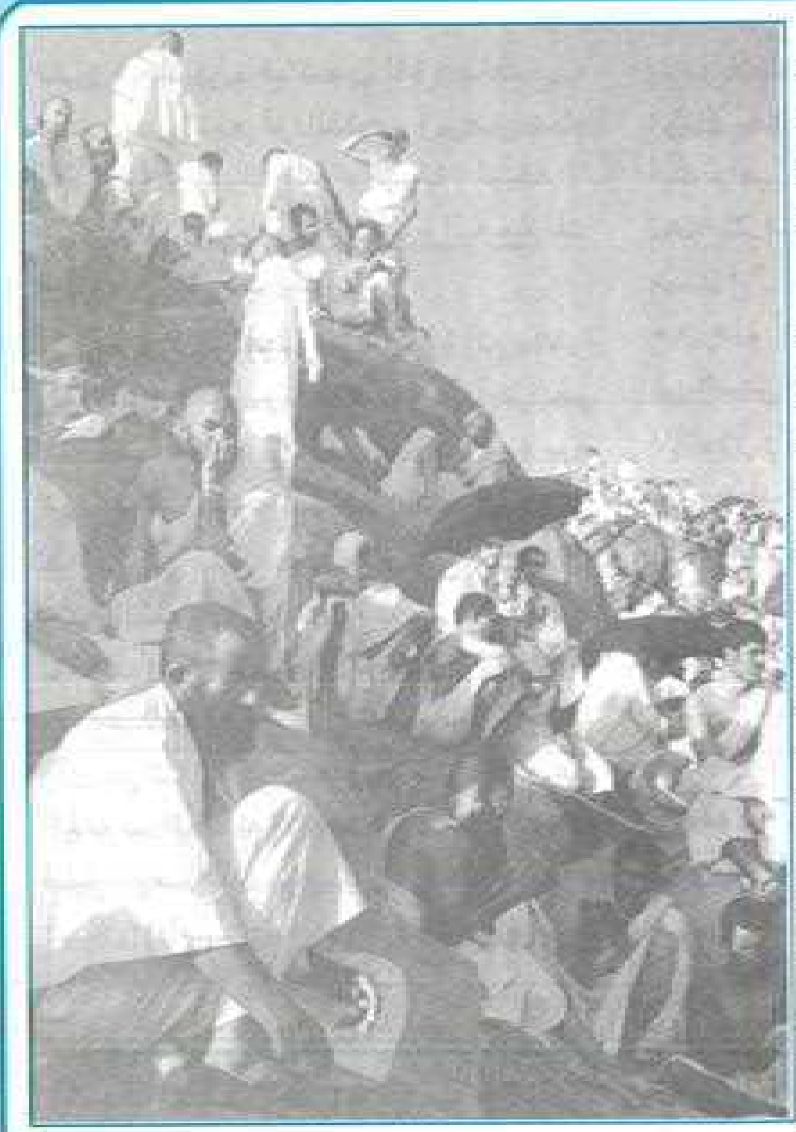
يوم عرفة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم فى صحيحه قال: قالت عائشة (رضى الله عنها) إن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو، ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟» الحديث برقم ٤٠٥ كتاب الحج.

صحيح مسلم طبعة الشعب (٢/ ٤٩٥)

راوية الحديث أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- كناها رسول الله «ﷺ» بأم عبدالله، وهى الصديقة بنت الصديق أبى بكر عبدالله بن أبى قحافة عثمان -رضى الله عنهم- تزوجها النبى «ﷺ» وهى بنت ست سنين بعد تزوجه بسودة بنت زمعة بشهر قبل الهجرة بثلاث سنين، ودخل بها فى شوال عند منصرفه من بدر سنة اثنتين من الهجرة وهى بنت تسع سنين.. وتوفى «ﷺ» وهى بنت ثمان عشرة سنة، وعاشت بعده «ﷺ» أربعين سنة وتوفيت سنة سبع أو ثمان وخمسين لثلاث عشرة بقيت من رمضان بعد الوتر وصلى عليها أبوهريرة -رضى الله عنه- لإمارته على المدينة -حينئذ- من قبل مروان، روى لها ألفا حديث ومائتان وعشرة، وقيل ألف وعشرة.



اتفق البخارى ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخارى بأربعة وستين، ومسلم بثمانية وستين.

ورد هذا الحديث فى باب فضل يوم عرفة لدى بعض الشراح، وعرفة -كما يقول ابن منظور فى لسان العرب «مادة عرف»- عرفة وعرفات: موضع بمكة.. قيل: سمى عرفة لأن الناس يتعارفون به، وقيل: سمى عرفة، لأن جبريل -عليه السلام- طاف بإبراهيم -عليه السلام- فكان يريه المشاهد، فيقول له: أعرفتَ؟ أعرفتَ؟ فيقول إبراهيم: عرفتُ عرفتُ، وقيل: لأن آدم -صلى الله على نبينا وعليه وسلم- لما هبط من الجنة، وكان من فراقه حواء ما كان، فلقيها فى ذلك الموضع- عرفها وعرفته. أ. هـ.

وهذا حديث عظيم الشأن جليل القدر صغير فى ألفاظه كبير فى معانيه وأهدافه، وكيف لا؟ وهو يتحدث عن يوم من أيام الله المباركة التى يتجلى فيها الخالق على خلقه بمزيد إحسانه، وعظيم عفوه وغفرانه، وواسع رحمته ورضوانه يوم يتلاقى فيه المؤمنون من كل بقاع الدنيا وأقطار الأرض ويتجمعون على عرفات، جبل الرحمة والفضل والإحسان والإنعام، يجتمعون على تقوى من الله ورضوان يبتهلون إلى الله أن يقبل حجهم، ويغفر ذنوبهم، ويرضى عنهم.

فيا سعادة من وفقه مولاه لحج بيت الله، واجتمع هناك بإخوانه المؤمنين الذين أتوا من جميع بقاع الأرض مهللين

ملبين مكبرين، خاشعين لله وخاضعين، قائلين بصوت يرقق القلوب ويرضى علام الغيوب: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وقد ورد في فضل يوم عرفة أنه يكفر الذنوب العظام، وتلك نعمة من أجلّ نعم الله على عباده، قال «ﷺ»: «صوم يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية»[1].

وفي الموطأ عن عبدالله بن كَريز أن رسول الله «ﷺ» قال: «ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر، ولا أحقر، ولا أدحر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وماذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر». قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: «أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة»[2].

وعن العباس بن مرداس «أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأجابه الله عز وجل أن قد فعلت وغفرت لأمتك إلا من ظلم بعضهم بعضا فقال يارب إنك قادر أن تغفر للظالم وتثيب المظلوم خيرا من مظلمته فلم يكن في تلك العشية إلا ذا فلما كان من الغد دعا غداة المزدلفة فعاد يدعو لأمته فلم يلبث النبي ﷺ أن تبسم فقال بعض أصحابه يا رسول الله بأبي أنت وأمي ضحكت في ساعة لم تكن تضحك فيها فما أضحكك أضحك الله سنك قال: تبسمت من عدو الله إبليس حين علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمتي وغفر للظالم، أهوى يدعو بالثبور والويل ويحثو التراب على رأسه فتبسمت مما يصنع جزعه»[3].

ولذلك يستحب الإكثار من الدعاء في هذا اليوم اقتداء بالنبي «ﷺ» فقد روى الترمذي وأحمد أن النبي «ﷺ» قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

وروى مسلم أن النبي «ﷺ» كان يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر».

وقد استحب أهل العلم صوم يوم عرفة إلا بعرفة وقد روى الإمام الترمذي قال: روى الأئمة عن ابن عباس أن النبي «ﷺ»

---

(1) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧٧.

(2) يزع الملائكة: يصفهم ويرتبهم.

(3) مسند الإمام أحمد حديث رقم ١٥٦٦٨.

أفطر بعرفة. وأرسلت إليه أم الفضل بلبن فشرب، وقد روى عن ابن عمر قال: حججت مع النبي «ﷺ» فلم يصمه - يعني يوم عرفة- ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم. قال ابن المنذر: الفطر يوم عرفة بعرفات أحب إليّ، اتباعًا لرسول الله «ﷺ» والصوم بغير عرفة أحب إليّ لقول رسول الله «ﷺ» -وقد سئل عن يوم عرفة- فقال: «يكفّر السنة الماضية والباقية». ومن ثم يستحب الإفطار يوم عرفة للحاج، ليتقوى على الدعاء والذكر.

وقد أجمع العلماء: على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم لما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبدالرحمن بن يعمر: أن رسول الله «ﷺ» أمر مناديا ينادى: «الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك».

والمراد بالوقوف بعرفة: الوجود بها على أي حال من الأحوال؛ من وقوف أو ركوب أو قعود أو نوم، والوقت الشرعي للوقوف يبدأ بزوال الشمس وينتهي بطلوع فجر يوم العيد. ومن وقف نهارا يستمر حتى تغرب الشمس ثم يفيض إلى المزدلفة عائدا إلى مكة. أما من حضر بعد غروب الشمس فيكفيه وقوف أي جزء من الزمن، ثم يفيض إلى المزدلفة.

وينبغي للواقفين على عرفات المحافظة على الطهارة الكاملة واستقبال القبلة واستحضار الخشية ورفع اليدين عند الدعاء.

كما ينبغي عليهم الجمع بين الظهر والعصر؛ لما ورد في الحديث الصحيح: أن النبي «ﷺ» جمع بين الظهر والعصر بعرفة. أذن ثم أقام، فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر. وعن الأسود وعلقمة أنهما قالا: من تمام الحج أن يصلى الظهر والعصر مع الإمام بعرفة. وقال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الإمام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة، وكذلك من صلّى مع الإمام. فإن لم يجمع مع الإمام يجمع منفردا.

فهذا يوم عرفة، وهذا شأنه. ذكر عبدالرزاق في مسنده من رواية ابن عمر قال: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم -أي بأهل عرفة- الملائكة، يقول: «هؤلاء عبادى جاءوني شعثا غبرا يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟».

وعلى ذلك فمن فاته الوقوف بعرفة؛ بأن طلع فجر يوم النحر، ولم يقف بها فاته الحج، ومن دفع قبل غروب الشمس ولم يعد بعد الغروب من ليلة النحر إلى عرفة، أو عاد إليها قبل الغروب، ولم يقع الغروب وهو بعرفة، فعليه دم؛ لتركه واجبا، فإن عاد إليها ليلة النحر فلا دم عليه؛ لأنه أتى بالواجب، وهو

الوقوف فى النهار والليل.. ومن وقف ليلاً فقط فلا دم عليه؛ لحديث: «من أدرك عرفات بليل فقد أدرك الحج»[٤]، ولأنه لم يدرك جزءاً من النهار فأشبه من منزله دون الميقات إذا أحرم منه.

ومن شعائر يوم عرفة التكبير من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى (وهى اليوم الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة)، وفى هذا يقول على وابن مسعود (رضى الله عنهما): إنه من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى.. أخرجه ابن المنذر وغيره، وعلى ذلك فأيام التكبير هى يوم عرفة (وهو اليوم التاسع من ذى الحجة)، ويوم الأضحى المبارك (وهو اليوم العاشر من ذى الحجة). وأيام التشريق، كما أسلفنا.

هذا ويوم عرفة يوم من أيام العشر من ذى الحجة التى أقسم بها رب العالمين (سبحانه)، وأشاد بها فى محكم كتابه، قال تعالى:

﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾

(الفجر: ١-٣)

والمراد بالفجر: فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالى العشر، والليالى العشر: المراد بها عشر ذى الحجة. وقد روى أبويعلى، والبزار، وابن خزيمة، وابن حبان -واللفظ له-: عن جابر (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة». فقال رجل: هن أفضل من عدتهن جهاداً فى سبيل الله؟ قال: «هن أفضل من عدتهن جهاداً فى سبيل الله وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله (تبارك وتعالى) إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادى جاءونى شعثاً غبراً ضاحين جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتى ولم يروا عذابى، فلم ير يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة».

وقد روى البخارى عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام، يعنى: عشر ذى الحجة». قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله؟! قال: «ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء».

أما الشفع والوتر فهما -كما حدث الإمام أحمد عن جابر (رضى الله عنه) عن النبى (ﷺ) قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر».

---

(٤) مسند الإمام أحمد حديث رقم ١٧٥٨٣، بلفظ (من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً تم حجه وقضى تفثه.

وقد جاء -فى هذه الأيام- قوله تعالى:

﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾

(الحج: ٢٨)

أى: منافع فى الدنيا بما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات، ومنافع الآخرة بما يحصلون من رضوان الله (تعالى). ويؤيده قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(البقرة: ١٩٨)

ولذلك ينبغى أن نكثر فى هذه الأيام من التهليل والتكبير والتحميد، لما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر: قال رسول الله (ﷺ): «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

كما أن هذه الأيام عيد أهل الإسلام، فعن عقبة بن عامر عن النبى (ﷺ) قال: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهى أيام أكل وشرب وذكر لله»[٥].

هذا وإذا كان حجاج بيت الله يكثرون من التهليل والتكبير والتحميد فى هذه الأيام المباركة -فواجبنا أن نشاركهم ذلك، لاتحاد المشاعر والوجدان، وإذا كانوا يقفون على جبل عرفات يدعون الله ويسألونه من فضله حتى يباهى بهم ملائكته، فنحن هنا ندعوه ونسأل الله من فضله، وإذا كان الحجاج ينحرون الهدى يوم الأضحى فنحن هنا ننحر الأضاحى ونذبحها تقرباً إلى الله (عز وجل)، فاللهم لا تحرمنا من مواسم الخير والبركة، واجعلنا من السابقين إلى الخير الداعين إليه، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير، وأنت نعم المولى ونعم النصير.

❊❊❊

---

(٥) سنن الترمذى حديث رقم ٧٠٤ باب ما جاء فى كراهية الصوم فى أيام التشريق.

الحج
ومكانة البيت الحرام

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر

البيت الحرام هو أول بيت وضع فى الأرض للعبادة وخصص لها منذ أمر الله إبراهيم أن يرفع قواعده ويخصصه للطائفين والعاكفين والركع السجود قال تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

وهذا البيت بناه إبراهيم واسماعيل ليكون مثابة للناس وأمناً وليكون للمؤمنين بدينه قبلة ومصلى.

وقد كان اليهود يزعمون أنهم ورثة إبراهيم ويرد القرآن الكريم مبينا لهم حقيقة دين إبراهيم وأنه الميل عن الشرك ويؤكد هذه الحقيقة مرتين:

- مرة بأنه كان حنيفاً.
- ومرة بأنه ما كان من المشركين فما بالهم هم مشركين.

ومن فضائل هذا البيت أن من دخله كان آمناً فهو مثابة الأمن لكل خائف وليس هذا لمكان آخر فى الأرض وقد بقى على هذه الحال منذ بناه إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وحتى فى جاهلية العرب وفى الفترة التى انحرفوا فيها عن دين إبراهيم، وعن التوحيد الخالص الذى يمثله هذا الدين.. حتى فى هذه الفترة بقيت حرمة هذا البيت سارية كما قال الحسن البصرى وغيره: «كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج»، وكان ذلك من تكريم الله - سبحانه وتعالى - لبيته هذا حتى والناس حوله فى جاهلية، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى يمتن على العرب به:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾

(العنكبوت: ٦٧)

ومن جملة تحريم الكعبة حرمة اصطياد صيدها وتنفيره من أوكاره، وحرمة قطع شجرها، وفى الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله «ﷺ» يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاؤه..» إلخ الحديث.

ثم يقرر الله - سبحانه وتعالى - أن هذا البيت الذى اختاره الله للمسلمين قبلة هو بيت الله الذى جعل له هذه الكرامة، وهو أول بيت أقيم فى الأرض للعبادة، وهو بيت بناه نبى الله إبراهيم، وفيه شواهد على بناء إبراهيم له، والإسلام هو ملة إبراهيم، فبيته هو أول بيت يتجه إليه المسلمون وهو مثابة الأمان فى الأرض، وفيه هدى الناس بما أنه مثابة هذا الدين، وإذا نظرنا إلى هذه المكانة التى تبوأها هذا البيت وكونه مثابة للأمن وتصورنا تجمع حجاج بيت الله فى مكان واحد وفى وقت واحد وقد توفر لهم الأمن الإلهى الذى أسبغه الله - تعالى - على هذا البيت.

ويستحيل بمقاييس الأمن الحديثة أن تتجمع مثل هذه الملايين من الحجاج فى مكان واحد، وتستطيع أية قوى أمنية أن توفر لهم التأمين الكامل مثل ما يحدث لهذا البيت.

ولهذه المكانة العظيمة أيضاً قد جعل الله



– تعالى – حج هذا البيت هو الفرض الخامس من فرائض الإسلام. فيقرر القرآن الكريم أن الله فرض على الناس أن يحجوا إلى هذا البيت ما تيسر لهم ذلك وإلا فهو الكفر الذى لا يضر الله شيئا:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(آل عمران: ٩٧)

وقد جعل الله الحج فريضة فى العمر مرة عند أول ما تتوفر الاستطاعة من الصحة وإمكان السفر وأمن الطريق.

والحج مؤتمر المسلمين السنوى العام يتلاقون فيه عند البيت الذى صدرت لهم الدعوة منه، والذى بدأت منه الملة الحنيفية على يد أبيهم إبراهيم والذى جعله الله أول بيت فى الأرض لعبادته خالصاً، فهذا التجمع له مغزى عظيم ومعنى كريم يصل الناس بخالقهم العظيم، ولهذا فإن فى الحج شمائل جمة تضفى على المسلم صفات تجعله عبداً ربانياً يأمن الناس فى كنفه على أنفسهم وأموالهم، يأمنون حتى أنفسهم من أدنى درجات الأذى أو الفحش أو البذاءة؛ لأن الحق – تبارك وتعالى – قال:

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

حيث يمتنع الحاج عن الرفث: وهو ذكر الجماع ودواعيه إما إطلاقاً أو فى حضرة النساء والجدال: المناقشة والمشادة حتى يغضب الرجل صاحبه، والفسوق: إتيان المعاصى كبرت أم صغرت، والنهى عن هذه الأمور يوصل إلى ترك كل ما ينافى حالة التجرد لله فى هذه الفترة والارتفاع على دواعى الأرض والرياضة الروحية على التعلق بالله دون سواه والتأدب الواجب فى بيته الحرام لمن قصد إليه متجرداً حتى من مخيط الثياب وقد جاءت آيات القرآن توضح وتبين آفاق هذه الفريضة وهذا الركن من أركان الإسلام وذلك فى غير موضع من كتاب الله فى سورة البقرة وآل عمران وأفرد سورة كاملة سماها سورة الحج، وهذه دلالة يقينية على مكانة هذا البيت الذى نسبه الله – سبحانه وتعالى – لذاته العلية تشريفاً وتعظيماً ومهابة وإجلالاً، وجعله مقصداً تهفو إليه أفئدة المؤمنين وتتعلق به أرواحهم، وحجه غاية وأمنية عزيزة على كل مسلم حيث يتجرد الناس جميعاً من متاع الدنيا ويقبلون على البيت بإزار ورداء أشبه ما يكون بكفن الميت الذى يودع به الدنيا وزخارفها، فها هم المسلمون يتجمعون حول بيت الله: لباسهم واحد، وقبلتهم واحدة ودعاؤهم واحد يلهجون بلسان واحد على اختلاف ألسنتهم وألوانهم

«لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

***

فضل الصحابة

رضوان الله عليهم



٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم أكرم الناس، وأعلاهم منزلة، وأفضلهم قدرا عند الله - عز وجل - اصطفاهم لخير خلقه وأكرم رسله؛ ليسمعوا منه ما أنزل عليه من ربه، ويشهدوا من أفعاله وتصرفاته العامة والخاصة ما يزيدهم إيضاحا لمعانى التنزيل، وفهما لأصول الدين، ودراية بمقاصد التشريع.. وفقهم الله للعمل بما علموا، فكانوا للهدى أعلاما، وللعلم أئمة، وللعمل الصالح قدوة، وللحق أنصارا، وللدين دعاة ومرشدين، وللدنيا زاهدين، وللآخرة راجين فأنزل الله عليهم سكينته، وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها.. من اتبعهم سلم ونجا، ومن اهتدى بهم حشر معهم، وفاز بجوارهم، ومن أحبهم أحبه الله ورسوله، ومن أحبه الله ورسوله فاز بخيرى الدنيا والآخرة.

إن التاريخ الإسلامى[1] بطوله وبعرضه، لم يشهد من التوثيق والصدق وتحرى الحقيقة ما شهدته تلك الحقبة من تاريخ الإسلام ورجاله السابقين، حيث توفر على دراستها وتتبع أنبائها جهد بشرى خارق، نهضت به أجيال متسارقة من علماء أفذاذ لم يدعوا من ذلك العصر الأول للإسلام همسة ولا خلجة إلا وضعوها تحت مجاهر الفحص وأضواء الدراسة والنقد.

ألا إن التاريخ لم يشهد رجالا عقدوا عزمهم ونواياهم على غاية تناهت فى العدالة والسمو، ثم نذروا لها حياتهم على نسق تناهى فى الجسارة والتضحية والبذل، كما شهد فى أولئك الرجال حول الرسول..!!

لقد جاءوا الحياة فى أوانهم المرتقب، ويومهم الموعود..

فحين كانت الحياة تهيب بمن يجدد لقيمها الروحية شبابها وصوابها، جاء هؤلاء مع رسولهم الكريم مبشرين وناسكين..

(١) رجال حول الرسول، للأستاذ/خالد محمد خالد، مقدمة ص ٥.



وحين كانت تهيب بمن يضع عن البشرية الرازحة أغلالها، ويحرر وجودها ومصيرها، جـاء هؤلاء وراء رسـولهم العظيم ثوارا ومحررين..

وحين كانت تهيب بمن يستشرف للحضارة الإنسانية مطالع جديدة ورشيدة، جاء هؤلاء..

كـيف أنجز أولئك الأبرار كل هذا الذي أنجزوا في بضع سنين..؟!

كيف شادوا بقرآن الله وكلماته عالما جديدا يهتز نضرة.. ويتألق عظمة.. ويتفوق اقتدارا..؟!

وقبل هذا كله، وفوق هذا كله.. كيف استطاعوا في مثل سرعة الضوء أن يضيئوا الضمير الإنساني بحقيقة التوحيد، وينكسوا إلى الأبد وثنية القرون..؟! تلك هي معجزتهم الحقة.

وأيضا فإن معجزتهم الحقة تتمثل في تلك القدرة النفسية الهائلة التي صاغوا بها فضائلهم، واعتصموا بإيمانهم على نحو يجل عن النظير..!!

لقد أشرت في حديثي - في العدد السابق من المجلة - إلى فضل صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم -، وإلى أن الله - جل شأنه - أشاد بهم وأثنى عليهم في قرآنه، وإلى أن رسول الله - ﷺ - مدحهم وحذر من التعرض لهم بسوء، ومن سبهم أو الإساءة إليهم.

وذكرت أن رد الفعل عند المسلمين كان غاضبا ساخطا على من تحدث - في إحدى الصحف - عن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم بسوء.

وتحدثت عن فضل الصحابي الجليل «طلحة ابن عبيدالله» - رضي الله عنه -، على أمل أن أنال شرف الكتابة عن بقيتهم، مبينا فضلهم، موضحا مآثرهم..

وكان ممن تعرض لهم الكاتب في حديثه عن الصحابة - الذين وصفهم بأنهم أسوأ عشر شخصيات في الإسلام - سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه -!!

يا للعجب!! إن المسلم في حيرة من أمر هذا الكاتب، كيف سمح لنفسه أن يصف سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بأنه من أسوأ عشر شخصيات في الإسلام؟ وكيف طاوعه قلمه على أن يجرؤ ويكتب ذلك؟!

ألم يقرأ هذا الكاتب تاريخ سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وما قدمه للإسلام والمسلمين من خير وعطاء، وتضحية؟ ألم يعرف أنه كان من السابقين الأولين إلى الدين الحنيف؟ وأنه صاحب الهجرتين، فقد هاجر - رضي الله عنه - إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله فرارا بدينه، ثم عاد إلى مكة.. وهاجر إلى المدينة المنورة، فاستحق عن جدارة لقب «صاحب الهجرتين».

كما لقب سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بلقب «ذي النورين»؛ لأنه تزوج بابنتين من بنات سيدنا رسول الله - ﷺ -، الأولى: «رقية» - رضي الله عنها - فلما توفيت أثناء غزوة بدر الكبرى، زوّجه النبي - ﷺ - بأختها: «أم كلثوم» - رضي الله عنها - فلما توفيت قال

له الرسول عليه الصلاة والسلام: «لو كان عندي ثالثة زوجتها عثمان»[٢].

ويقول الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: «إنما سمي عثمان بذي النورين لأننا لا نعلم أحدا أغلق بابه على ابنتي نبي غيره».

لقد جمع - رضي الله عنه - من الفضائل والأخلاق الكريمة ما جعله مضرب الأمثال.. وكان ذا حياء شديد، لدرجة أن الملائكة - الكرام البررة - كانت تستحي منه، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت[٣]: «كان رسول الله - ﷺ - مضجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبوبكر فأذن له وهو على تلك الحالة فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله - ﷺ - وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبوبكر فلم تهتش له، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

وفي حديث آخر وصف النبي - ﷺ - سيدنا عثمان بأنه أكثر الأمة الإسلامية حياء، يقول عليه أفضل الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس - رضي الله عنه -: «أرحم أمتي أبوبكر، وأشدها في دين الله عمر، وأشدها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أُبيّ، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح».

ومع أن سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان من الرجال الذين جاءتهم الدنيا راغمة، إلا أنه كان زاهدا فيها.. يرتدي الملابس الخشنة الرخيصة، وينام على الحصى ويقوم وقد أثر الحصى بجانبه، ويأكل ويطعم أولاده الزيت والخل، بينما يطعم الناس طعام الإمارة..

فلقد كان - رضي الله عنه - من الذين يتاجرون مع ربهم - عزوجل - تجارة لن تبور، وكان يجعل نصب عينيه قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[البقرة: ٢٧٤]

وموقفه - رضي الله عنه - أثناء تجهيز جيش العسرة لا يُنسى، أخرج الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن خباب السلمي - رضي الله عنه - قال: خطب النبي - ﷺ - فحث على جيش العسرة، فقال: عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عليّ مائة بعير بأحلاسها[٤] وأقتابها[٥]، قال: ثم نزل مرقاه من المنبر ثم حث، فقال عثمان - رضي الله عنه - عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: فرأيت رسول الله - ﷺ - يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا».

---

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ / ٣٨.

(٣) صحيح مسلم ٦٠، ٢٤٠١.

(٤) الأحلاس: جمع حلس، وهو كل مايوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل.

(٥) الأقتاب: جمع قتب أي الرحل.

وأخرجه البيهقي وقال: ثلاث مرات، وأنه التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال عبدالرحمن: فأنا شهدت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول وهو على المنبر: «ما ضر عثمان بعدها» أو قال: «بعد اليوم»[٦].

وأخرج الحاكم «٣ / ١٠٢» عن عبدالرحمن ابن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ـ ﷺ ـ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، ففرغها عثمان في حجر النبي ـ ﷺ ـ، قال: فجعل النبي ـ ﷺ ـ يقلبها ويقول: «ماضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم» قالها مرارا، وفي رواية الدارقطني فجعل النبي ـ ﷺ ـ يقلبها بين يديه ظهرا وبطنا ويدعو له ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ما يبالي عثمان ما عمل بعد هذا».

ومن أعمال سيدنا عثمان بن عفان العظيمة، وإنفاقه المال بسخاء لخدمة المسلمين، قيامه بشراء بئر «رومة»، فقد أخرج ابن عساكر عن بشير بن بشير الأسلمي عن أبيه قال: «لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها: «رومة» وكان يبيع منها القربة بمد، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للغفاري تبيعها بعين في الجنة؟ فقال ليس لي يارسول الله عين سواها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ـ ﷺ ـ فقال: أتجعل لي مثل الذي جعلت له عينا في الجنة إن اشتريتها؟ قال: نعم. قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين.

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «اشترى عثمان من رسول الله ـ ﷺ ـ الجنة مرتين: يوم رومة، ويوم جيش العسرة».

ومن أعظم وأجل أعمال سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ التي سطرها له التاريخ بأحرف من نور، أنه جمع الناس على قراءة واحدة للقرآن الكريم، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درسها سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ والتي مازال المسلمون يكتبون بها المصحف إلى يومنا هذا، وملتزمون بالتمسك بها والمحافظة عليها.

ولو لم يكن لسيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عمل غير هذا لكفاه.. فقد ضمن بعمله هذا عدم التحريف والتبديل والتغيير لكتاب الله - عزوجل -.

يذكر المؤرخون أن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أبلغ عثمان باختلاف الناس في قراءة القرآن، لدرجة أنهم صاروا يقولون لبعضهم البعض: «إن قراءتي أصح من قراءتك، وذلك مدخل لفتنة لا يعلم مداها إلا الله ـ سبحانه..

(٦) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاند هلوي ص؟

وهنا سارع سيدنا عثمان بن عفان فجمع كبار القراء من المهاجرين والأنصار، وهم أربعة: زيد بن ثابت، عبدالله بن الزبير، سعيد بن العاص، عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وأرسل إلى أم المؤمنين حفصة ـ رضي الله عنها ـ أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ففعلت، ورأى عثمان أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون سواه.. وأمر سيدنا عثمان الكُتّاب إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفا ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفا، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفا، وإلى اليمن آخر، وأقر بالمدينة مصحفا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

هذا العمل الجليل العظيم الذي فعله سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ كان ضروريا حتى لا تضل الأمة، ولا تختلف، ولا تنتهي إلى ما انتهت إليه بعض الأمم السابقة في شأن كتبهم.

وفي عهده ـ رضي الله عنه ـ اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فقد فتح الله للمسلمين كثيرا من الأقاليم والأمصار.. رفعت راية الإسلام عالية خفاقة في بلاد كثيرة منها: طبرستان، وجزيرة قبرص، والأندلس، وبعض البلدان الأفريقية.

ورغم أن سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لم يترك ميدانا من ميادين الخير للإسلام والمسلمين إلا وله فيه مجال.. فإنه كان كثيرا ما يبكي خشية وخوفا من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخرج الترمذي عن هانيء مولى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وبذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد..» قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه».

إن استقصاء مآثر وأفضال وأعمال الخير لسيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ التي كانت ومازالت مضرب الأمثال، ومطمع أولي العزم من الرجال ـ التي أشير إلى بعضها ـ لا يمكن حصرها والحديث عنها في هذه السطور.

فهل يتجرأ قلم بعد ذلك، ويتهم الصحابي الجليل- صاحب الهجرتين، وصاحب لقب ذي النورين، وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد الصحابة العشر المبشرين بالجنة سيدنا «عثمان بن عفان» - بالسوء!!! اللهم لا حول ولا قوة إلا بك.

قارنت بين حال الأمة عندما عاشت عقيدتها ومارست عبادتها واستشعرت لذتها، وجرى فى كيانها عزة السجود الخاشع لله، وبين ما أراه اليوم من حياة المسلمين عندما يمارسون العبادات تقليدا ويأخذون الدين تلقينا ويكتفون من الإسلام بمجرد الانتساب إليه دون أن يكلفوا أنفسهم ماذا يعنى الانتساب إلى الإسلام ويمارسون عباداتهم دون أن يدركوا معنى واضحا لكل عبادة من هذه العبادات.

وسأقف اليوم أمام عبادة واحدة من هذه العبادات، وهى شعيرة الحج، لنرى كيف تنهض الأمة من كبوتها وتستعيد مكانتها إذا هى أدركت المعنى الحقيقى لفريضة الحج، ووقفت على المقاصد الإلهية التى فرضت من أجلها هذه الفريضة.

الحج
أحكام وآداب

للدكتور / حمدى فتوح والى

إن الحج هو الشعيرة التى أمرنا الله - تبارك وتعالى - بتعظيمها، وجعل تعظيمها دليلا على تقوى القلوب وإخباتها له بقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

(الحج: ٣٢)

وجعل شعيرة الحج هى النسك المميز لأمة الإسلام عن باقى الأمم.

قال تعالى:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(الحج: ٣٤-٣٥)

الحج هو الشعيرة التى ترمز إلى قوة الأمة وتعلن عن جاهزيتها واستعدادها للمواجهة وقدرتها على التحديات عندما يحدق

الخطر، وتحتاج الأمة إلى اجتماع يؤكد قوتها ويوحد كلمتها ويرفع هيبتها على العالمين.

ومن يتأمل هذه الشعيرة يدرك أنها إذا حسن أداؤها، أحدثت فى كيان الأمة انقلابا عميقا على صعيد الأفراد والجماعات.

فالمؤمن إذا عزم على أداء تلك الفريضة وجب عليه فعل أشياء من شأنها أن تحدث فى نفسه الانقلاب.

فأول ركن من أركان الحج هو النية، وبصاحب تلك النية أفعال ينفعل فيها كيان الفرد كله، فكأن كل خلية فى جسد الإنسان تعلن العزم والقصد والتهيؤ العميق لأداء الفريضة، فبينما النية محلها القلب، نجدها فى الحج لابد أن يصحبها تلفظ وتعيين لنوع النسك حجا أو عمرة، ثم يتبعها تكبير وتهليل وتلبية بصوت مسموع وبصورة متوالية (لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك).

وهذا الركن لا يتم إلا بأمور تسبقه لتكون تمهيدا له، وأخرى تلحقه لتكون تأكيدا لحصوله فأما التى تسبقه فالاغتسال وكأنه به يزيل عن نفسه وقلبه وجسده كل ما علق بها.

والنية فى الحج هى الركن الوحيد الذى لا يولد فجأة، وإنما هو حصيلة تفكير وتدبير وتخطيط وحساب بعدها يعلن الحاج نيته ويسعى لتنفيذ مهمته وعندها لابد أن يكون مستطيعا فى ماله وصحته وعندها يطالبه ربه بأن يفد إليه من مال حلال لا شبهة فيه وأن يستشعر الشوق الصادق إلى القبلة التى يصلى إليها كل يوم خمس مرات وآن الأوان ليصل إلى الكعبة بكيانه كله بعد أن كان يستقبلها بقلبه فقط، ومن هنا وجب أن يتهيأ لهذا المقام الكريم، وأن يحسن الدخول على الرب العظيم، فيجب أن يغتسل ليتهيأ بجسد جديد وقلب جديد وكيان جديد للدخول فى معية الله مؤديا له هذه الفريضة.

فإذا اغتسل بدنه فليتقدم وليقف بين يدى ربه مصليا ركعتين لتكون غسلا لقلبه ووجدانه وباطنه ثم ليعلن النية بلسانه ثم يتبعها بالتلبية اعلانا لصدقه واستحضارا لمشاعره ثم يتبع ذلك بخلع ملابسه التى اعتاد عليها والتى كان بها من قبل يفاخر ويباهى ليتجرد من ذلك كله فى ذل وانكسار وخشوع وليلبس ملابس بيضاء طاهرة غير مخيطة، تذكره لقاء الرب الكريم.

ولقد أحاط الله - تبارك وتعالى - تلك الفريضة بعناية خاصة تجعلها إنقاذا للأمة عند ظهور الفساد فى آخر الزمان فهى صمام أمان الأمة أمام ما يطرأ عليها من نكبات ونكسات.

فمنذ تفكير المسلم فى القيام بهذه الفريضة وقبل أن يتلبس بها لابد أن يتخير الطيب الحلال من المال حتى لا يدخل فى أدائها شىء من مال حرام.

يقول ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا»(١).

وروى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة،

(١) صحيح مسلم ٢/٧٠٣.



ووضع رجله في الغرز، فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز، فنادى: لبيك، ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مأجور»[٢].

وبهذه الفريضة يعالج الإسلام انحرافات الكسب الحرام من ربا ورشوة واحتيال وشبهة ومتاجرة في المحرمات كالخمر والجنس والمخدرات، وجميع أنواع الكسب الخبيث، وهذا مجال لا ينكر أحد خطورته وضرره.

فإذا سلم للمسلم مال حلال وكسب طيب بما يكفيه مدة إقامته لأداء الفريضة، راحلة وزادا وسكنا، ويكفي أهله مدة غيابه حتى يعود فينبغي عليه أن يتهيأ روحيا ووجدانيا لأداء تلك الفريضة طالما كان صحيح البدن غير عاجز لمرض أو شيخوخة، وملك الزاد والراحلة والطريق آمن.

فإذا شرع الحاج في أداء الفريضة وملكه الشوق إلى تلبية نداء ربه وإجابة أبيه إبراهيم فليعد لذلك كيانا طاهرا ظاهرا وباطنا فإذا جاء الميقات الزماني فدخلت أشهر الحج (شوال وذو القعدة وذو الحجة) فليعلم أنه في ميقات الحج الزماني، فإذا أزمع السفر وقد طاب ماله وزاد شوقه واهتاج وجدانه فليأت الميقات المكاني وليبدأ منه الإحرام معلنا نيته محددا نوع نسكه حجا أو عمرة، متمتعا أو قارنا أو مفردا.

وعند الإحرام ينبغي أن يلتزم بالآداب التي شرعها الله - تبارك وتعالى - تهيئة للقلب وتطهيرا للبدن فيبدأ بنظافة ظاهره بأن يغتسل ويتوضأ ويقلم أظافره، ويقص شاربه وينتف إبطه ويحلق عانته، ويمشط شعر لحيته ورأسه.

فعن ابن عمر قال: من السنة أن يغتسل إذا أراد الاحرام أو أراد دخول مكة[٣].

وللنفساء والحائض أن تغتسل وتحرم، وتقضي المناسك كلها غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر»[٤].

ويصاحب هذه النظافة الخارجية نظافة الباطن واستحضار عظمة الخالق - سبحانه وتعالى - وكأنه يستأذنه سبحانه ليدخل إلى حماه، فيتوضأ ويصلي ركعتين ينوي بهما سنة الإحرام، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون وفي الثانية سورة الإخلاص.

وفي سورة الكافرون البراءة الخالصة من الكافرين بجميع مللهم ونحلهم وأجناسهم، وفي الأخرى شدة القرب وعمق اليقين وتمحيص الولاء والإخلاص كاملا لله - تعالى -، ثم ليتجرد من ثيابه ورمز ريشه ورياشه التي هي مظهر هيبته وعظمته.

حتى إذا ظهرت له مكة وخفق قلبه بدخول البلد الحرام في الشهر الحرام، وتذكر أنه في مهبط الوحي حيث شهدت الأرض أسعد أيامها بسفارة الملك الكريم يغدو بآيات ربه ويروح بين الأرض

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني في الأوسط ورواه الأصبهاني من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلا.

(٣) رواه البزار والدار قطني والحاكم وصححه. (٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه.

والسماء حتى اكتمل للأرض سعدها واستقر دستورها وكمل دينها.

وشرفت مكة باختيار مولودها المبارك ليكون أمين الأرض على اتساع مكانها وتطاول زمانها فإذا عانقت عيناه مآذن البيت الحرام فليقل «اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا ومهابة وبرا، وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا وليدخل من باب السلام.

ولك أن تفخر بهذا الإسلام العظيم وبنبيه الكريم ﷺ، الذي جعل السلام شعاره، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، وهو القائل: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٥] وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يشرع لأمته سنة باقية، وهي أن يجعل بداية نسكها ودخولها على ربها من باب السلام ليكون ذلك فتحا لمغاليق القلوب، وإشارة إلى هدوء النفوس ورهافة الحس واعتدال الفكر وحب الناس أجمعين.

وإذا طالعت عيناك بهاء البيت وانسكبت في قلبك هيبته ورأيت نفسك أمام الكعبة المشرفة، ورأيت الأيدي متعلقة بأستار البيت خاشعة ضارعة، ووجدت قدميك تخطوان نحو البيت في جلال وخشوع، ووجدت نفسك قطرة ذائبة في محيط الأرواح الطائفة حول البيت في انجذاب إيماني عميق بادئة من محاذاة الحجر الأسود فقف قبل أن يجذبك الشوق ويحتويك حنين الطواف، وأد للحجر الأسود حقه بأن تروي ظمأ قلبك وتطفئ لهيب شوقك بقبلة تضعها مكان شفتي

رسول الله ﷺ، فإن لم يتيسر لك ذلك فأشر إليه بالسلام، وقل باسم الله، الله أكبر، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم اقرأ قول ربك:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

(البقرة: ٢٠١)

ثم ابدأ طوافك مستحضرا طواف رسول الله ﷺ الذي أدرك عند طوافه أن أعداء الإسلام ينظرون إليه من جبال مكة كما ينظرون إلينا اليوم عبر الفضائيات فاستجمع همته رغم طول السفر ومشقة الطريق والتعب الشديد، وأظهر الكتف والعضد، وبدأ طوافه مرملا وأمر أصحابه بإظهار قوتهم لأعدائهم قائلا لهم: «رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفس قوة، فكان الاضطباع والرمل من سنن الطواف إلى يوم القيامة.

فإذا أتممت طوافك وأديت به تحية البيت الحرام ولهج لسانك بالدعاء وشعرت باتصال الأرض بالسماء، فاسكب عبراتك بين يدي مولاك بأداء ركعتين عند مقام إبراهيم تنفيذا لأمر ربك:

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾

(البقرة: ١٢٥)

فإن حال الزحام بينك وبين المقام ففي أقرب مكان يتيسر لك الصلاة فيه.

(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٤.



ثم توجه إلى «زمزم» فاشرب منه ما استطعت وتضلع[٦] من الشراب منه وانو بشرابك هذا ما شئت من الخير فإن الله مجيب لك بنيتك مصداقا لقول حبيبك ﷺ : «زمزم لما شرب له»[٧] وإذا شعرت ببرد اليقين يغمر قلبك، ووجدت حلاوة القرب من ربك وكمل لك طهر الباطن بالخشية، وطهر الظاهر بماء زمزم، فازدد قربا وحبا بالتوجه إلى الصفا والمروة فابدأ بالصفا حيث أمر الله بقوله:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٥٨)

وقبل أن تبدأ الطواف قف متوجها إلى البيت الحرام وقل: «اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك واتباعا لنبيك، اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام» ثم ابدأ طوافك من الصفا متجها للمروة فإذا بلغت الميلين الأخضرين فأسرع قليلا لتصيب سنة الحبيب ﷺ، فإذا انتهيت من الشوط السابع بالمروة فاحلق شعرك أو قصره طاعة لربك وخضوعا لمولاك واتباعا لنبيك ﷺ.

وإن شككت في عدد الأشواط فابن على اليقين وهو الأقل، ولا بأس براحة يسيرة بين الأشواط إن احتجت إلى ذلك ولا يشترط للسعي وضوء بخلاف الطواف، إذ الطواف بديل عن ركعتي تحية المسجد، ويجوز للحائض أن تسعى وأن تمكث في المسعى لأنه لا يعد من المسجد الحرام.

فإذا أتممت سعيك وحلقت أو قصرت شعرك فقد أكملت مناسك العمرة فاحلل ثياب الإحرام والبس ملابسك فقد حل لك كل شيء إن كنت قد نويت التمتع أما في حالة الإفراد والقران فليس لك أن تحل من ثيابك حتى تنتهي من مناسك الحج كاملة بعد طواف الإفاضة في يوم العاشر من ذي الحجة ويحل لك كل شيء إلا النساء.

فإذا كنت قد أحللت انتظارا لدخول وقت مناسك الحج فعليك أن تتوجه يوم الثامن من ذي الحجة إلى «منى» فتصل بها خمس صلوات وتتهيأ منها للذهاب إلى «عرفات» ويوم الثامن هذا هو يوم التروية، وكان المسلمون يجهزون فيه ما يحتاجون إليه في عرفات من الماء والزاد وغيرها فإذا طلع فجر يوم التاسع فتهيأ للتوجه إلى عرفات وعند مرورك على وادي محسر الذي يفصل بين المزدلفة وعرفات فأسرع وتعوذ بالله من العذاب فإن هذا الوادي قد شهد هلاك أبرهة وقومه الذين جاءوا ليهدموا البيت الحرام فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وحمى بيته الحرام من شرورهم، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن

(٦) سنن ابن ماجة ٢/ ١٠٦٨.

(٧) أي: حتى ترتفع أضلاعك لكثرة الشرب

نمر سراعا حتى لا يصيبنا ما أصابهم.

فإذا قطعت هذا الوادي فاعلم أنك أصبحت بعرفات الله فتهيأ لهذا اليوم العظيم بحضور قلب وخشوع نفس وزيادة ضراعة وكثرة دعاء.

فهو يوم تقبل فيه الدعوات وتقال فيه العثرات وتسكب العبرات لرب الأرض والسموات وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن الشيطان لم يُر أذل ولا أقل ولا أحقر مما هو عليه في يوم عرفة.

ولتعلم أن الله - تبارك وتعالى - يباهي بأهل عرفة أهل السماوات وأهل الأرض فإياك وما يغضب الله منك أو يصرف وجه الله عنك بل إياك وما يصرفك عن ربك أو يشغلك عن ذكره وحبه فهو - سبحانه وتعالى - القائل:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

(البقرة: ١٥٢)

فإذا غربت شمس هذا اليوم المبارك فتجهز للنفرة من عرفات حاملا بين جنبيك زادا من الوجد والحب واليقين والقرب متجها إلى المزدلفة حيث «المشعر الحرام» فصل بها المغرب والعشاء جمعا وقصرا وامكث به ليلتك تلك، حتى إذا طلع الفجر فأكثر من ذكر الله فأنت في مقام القرب والحب وتذكر قول ربك يناديك:

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾

(البقرة: ١٩٨)

فإذا أسفرت الشمس فالتقط حصياتك وافض من المزدلفة إلى منى عملا بقول ربك سبحانه وتعالى:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٩٩)

فإذا وصلت إلى منى فأنت مخير بين البدء بأي نسك من أنساك هذا اليوم، إنك في يوم النحر «يوم الحج الأكبر»، (يوم الأضحية) في هذا اليوم العظيم ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء إلا قال: افعل ولا حرج فلك أن تبدأ برمي الجمرات أو بالحلق أو بالذبح أو بطواف الإفاضة فكل ذلك جائز.

وعند رمي الجمرة الكبرى يوم العاشر تذكر أنك تستهدف الباطل وحزبه والشيطان وجنده وتنتصر لله - سبحانه وتعالى - فتذكر من يكيدون للإسلام وأهله في الداخل، ومن يسعى لهدمه سرا ومن يسعى لهدمه علانية مجددا العزم والعهد لله أن تكون سلما لأوليائه حربا على أعدائه رافعا للوائه ثم أكد في نفسك كراهية الباطل ومحاربته برمي الجمرات في يوم الحادي عشر والثاني عشر:

﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾

(البقرة: ٢٠٣)

ثم ارجع إلى البيت الحرام وطف به طواف الوداع تكون قد أديت حق ربك وأحسنت أداء نسكك ورجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك.

خطبة الجمعة :

في عيد التضحية

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله - عز وجل - يبدل ولا يتبدل، ويحول ولا يتحول:

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

(الحديد: ٦)

أشهد أن لا إله إلا الله، هدى بالفكرة وأدب بالعبرة:

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

(النور: ٤٤)

وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وهذب الحياة وقوم الأحياء، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى الطاهرين من آله وذريته، والسابقين من أنصاره وصحابته، والثابتين على هديه وسنته:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(البقرة: ٥)

يا أتباع محمد -صلى الله عليه وسلام- ...

نستقبل الآن يوماً جل بين الأيام قدره، وخلد في التاريخ ذكره، لأنه يوم التوسعة الإلهية والضيافة الربانية، ويوم الحج الأكبر، ومفتاح الأيام المعدودات التي يشير إليها القرآن بقوله:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾

(البقرة: ٢٠٣)



وهو يوم التضحية ويوم النحر الذي فضله الإسلام على غيره من الأيام، فقال الرسول ﷺ: «وأن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر»[1]. ويوم القر هو اليوم التالي ليوم النحر، أي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة، لأن الناس يقرون فيه بمنى، أي يسكنون ويقيمون. ولا عجب ففي هذا اليوم تتم فريضة الحج الأكبر من مئات الألوف من المسلمين وتشهد الدنيا جموع المسلمين الضخمة عند منزل الوحي، وفي مشارق الأرض ومغاربها، تلبي نداء ربها وتستجيب لدعوته، وتقتدي بسنة إبراهيم أبي الأنبياء في الإيمان والتضحية والفداء، وتشكر فضل خالقها العميم ورحمته الواسعة، وتسأله أن يعز كلمتها بالحق، وأن يخذل أعداءها بالعدل.

وقد ذكر فريق من المفسرين أن هذا اليوم هو الذي نزل بشأنه قوله -تبارك وتعالى- مخاطباً نبيه:

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

(الكوثر: ١ - ٣)

وكان الله -عز وجل- قد تفضل على خاتم أنبيائه -وهو قائد عباده، وقدوة أوليائه- فأعطاه ﴿ الْكَوْثَرَ ﴾ وهو الخير العظيم الشامل للقرآن والرسالة وكثرة الأتباع واتساع الدعوة وخلود الذكر ورفعة المقام، وغير ذلك، فكان من واجب النبي أمام هذا الإنعام الجليل أن يشكره فيجعل صلاته وعبادته ونجواه خالصة لبارئه ومولاه، وأن يتوجه بنحره وتضحيته ومجهوده إلى الله، الذي أفاض عليه وعلى أمته ما أفاض، والذي وعد ووعده الحق -بأن ينصره نصراً عظيماً، وأن يفتح له فتحاً مبيناً، وأن يجعل شانئيه ومبغضيه مبتورين مقطوعين، لا يبقى لهم مجد، ولا يدوم لهم كيد، وإنما البقاء لكلمة الله، والدوام لدعوة الإسلام، والخير في أمة محمد بمشيئة الله -عز وجل- إلى أن تقوم الساعة:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

وقد عرف النبي وأتباعه طريق الحفظ والصيانة لهذا التراث السماوي الرفيع، وهو طريق الإقبال على الله والاحتماء بحماه والاعتزاز بعلاه، فكل منهم يعبر عن ذلك حين يفتتح صلواته اليومية بقوله:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢-١٦٣)

وما تكاد بشائر الحج تلوح في كل عام حتى يردد الوافدون على ربهم ذلك النشيد الإسلامي المذكر بتجديد الرجوع إلى الله، وإيثاره على كل ما سواه: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٢٤١/٥، ٢٨٨/٧.

لك والملك، لا شريك لك»!.. ثم يعقدون مؤتمرهم الإسلامي الأكبر الذى تحدوه عناية الله، وتباركه رعاية الله...

وإنما يكمل جلال هذا المؤتمر اليوم إذا كان أهلوه في ألفة ووحدة، لا في فرقة وشتات:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾

(المؤمنون: ٥٢)

وكانوا يستشعرون حقًا وصدقًا روح الأخوة والمحبة، لا روح العداوة والبغضاء:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وكانوا متعاونين يؤيد كل فريق منهم أخاه، ولا يخذله أو يسلمه:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

(المائدة: ٢)

وكانوا متمسكين بشرعة الوفاء والأمانة، لا بطرق الغدر والخيانة:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٨)

أليس عجيباً أن يتطلع الإنسان إلى الأرض فيجد فيها مئات من ملايين المسلمين، ولديهم من العَدَد والعُدد، ومن المواهب والخيرات، ومن الخصائص والمميزات، ما يجعلهم أهلا لأمجادهم، سادة في بلادهم، قادة لأنفسهم على الأقل، إن لم يكونوا قادة للناس وهُداة للشعوب كما أراد لهم رب العزة -جل جلاله-، ثم يصدمه الواقع المر ويؤلمه الحاضر الوجيع، إذ يرى بأسهم بينهم شديدا، ويرى جموعهم مفرقة، ووحدتهم ممزقة، ويتهارشون تهارش الذئاب عندما تفقد في تحاربها الصواب، ويستحكم بينهم الخلاف، وتتقاسمهم الأحلاف، ويستعينون بعضهم بأعداء الله وأعداء الإسلام، ويتركون إخوتهم ويركنون إلى الذين كفروا وظلموا، مع قول ربهم:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

(هود: ١١٣)

وقوله:

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(آل عمران: ٧٣)

ويظهر فيهم حاكمون يستبدون بمحكوميهم، ويخيل إليهم أن الشعوب سائمة عندهم، فيظهرون غطرسة الحاكمين وتجبر المتجبرين، وطغيان الطاغين، ظانين أن للأفراد قداسة وخلوداً، وأن للشعوب ذلة وطواعية، مع أن إرادة الشعوب المؤمنة من



إرادة الله، «ويد الله مع الجماعة»[٢]. ولا مجال اليوم لمستبد أو جبار.

زمانُ الفرد يا فرعون ولّى
ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض
على حكم الرعية نازلينا

وإنما المجال اليوم لحكام يؤمنون بشعوبهم، ويستجيبون لإرادتها، ويعتزون بخدمتها، ويتبادلون المحبة معها، وصلوات الله على رسوله يوم قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، (أى تدعون لهم ويدعون لكم). وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»[٣].

ورضوان الله على الحاكم العادل عمر بن عبدالعزيز حين قال:

«قُرَّة عين الحكام في استفاضة الأمن في البلاد، وظهور مودّة الرعية لهم، وحسن ثنائهم عليهم». ويروى التاريخ أن عمرا كتب في يوم عيد كهذا العيد؛ يقول للناس في موسم الحج: «أما بعد، فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني بريئ من ظلم من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم». ثم يقول: «ألا وإنه لا حجاب لمظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم». وكان يدعو ربه فيقول: «اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح أمة محمد، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد... اللهم زد محسن أمة محمد إحسانًا، وأرجع مسيئهم إلى التوبة، وحُط من أوزارهم برحمتك».

يا أتباع محمد صلى الله عليه سلام...

إنما يكون العيد عيداً إذا سبقه ما يستحق معه أصحابه أن يفرحوا بنعمة الله، وأن ينقلبوا إلى أهليهم في سرور لما وفقهم إليه واهب الحياة والجاه؛ ولعلنا بذلنا في ماضينا ما يستأهل اليوم وقفة رضا أو فترة بهجة، ولكن الذى بقى علينا من التبعات والواجبات أكثر مما قدمنا من أعمال ونضال، فلننتهز فرصة هذا اليوم السعيد المجيد، لنقرع فيه أبواب الرحمة الإلهية بهممنا العالية، وعزائمنا السامية راجين خالقنا وموفقنا أن يأخذ بنواصينا إلى مواطن الحق، ومواقف الثبات وميادين الجهاد المبرور، والعمل الصالح، حتى يطلع علينا صباح عيد قابل فإذا نحن في وحدة شاملة من جموعنا، وعزة كاملة من أمرنا، وحرية تامة في أقطارنا، وإذا نحن أكثر رضا عن أنفسنا، لأن ربنا رضى عنّا بما بذلنا وقدمنا. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل،

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة: ٨٨)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)

(٢) مجمع الزوائد ٥/ ٢٢١ بنحوه.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٥٨.

﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٧٣٥ لسنة ٢٠٠٦ المتضمن الأسئلة الآتية:

أدوية تأخير الدورة الشهرية

● السؤال الأول: ورد من السيدة: ع. أ. ع:

هل يجوز للمرأة أن تأخذ بعض الأدوية التي تؤخر الدورة الشهرية حتى يتسنى لها صيام شهر رمضان كاملا؟

●● الجواب:

نعم يجوز لها ذلك شرعاً بشرط أن يقرر الطبيب أنه لا ضرر عليها فيه، إلا أن وقوفها مع مراد الله تعالى وخضوعها لما قدره الله عليها من الحيض ووجوب الإفطار أثناءه أثوب لها وأعظم أجراً.

ثواب قراءة القرآن الكريم

● السؤال الثاني: ورد من السيد ع. ع. م:

هل يجوز أن أهب ثواب قراءة القرآن الكريم للأحياء؟

●● الجواب:

الأصل أن ثواب القراءة يكون لصاحبها، لكن يجوز للإنسان على سبيل الدعاء أن يقول مثلا: اللهم هب مثل ثواب عملي هذا أو قراءتي هذه إلى فلان أو فلانة، حياً كان أو ميتاً، وهبة الثواب على جهة الدعاء مما اتفق عليه العلماء.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

الفرض والسنة

● السؤال الثالث: ورد من السيد: أ. س. م:

هل عبادة الجاهل بأمور الدين تكون باطلة؟ وهل يلزم المسلم أن يعرف الفرق بين الفرض والسنة في بعض الأمور مثل الوضوء والصلاة أم أن ذلك يستحب له؟

●● الجواب:

عبادة الجاهل إذا أداها مستكملة الأركان والشروط تقع صحيحة، لكن بشرط أن لا يعتقد الفرض مستحباً، ويجب عليه شرعاً أن يميز الواجب من السنة في عبادته حتى يعرف ما تبطل العبادة بتركه وما لا تبطل بتركه.

التبني في الإسلام

● السؤال الرابع: ورد من السيد ع. ت. م:

هل يجوز تبني طفلة من أحد الملاجيء وإعطاؤها اسم المتبني؟ وهل يجوز إخراج بعض أموال الزكاة لإصلاح مقابر الفقراء؟

●● الجواب:

حث الإسلام على كفالة اليتيم وتربيته والإحسان إليه والقيام بأمره.. ومصالحه حتى جعل النبي ﷺ كافل اليتيم معه في الجنة فقال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى». رواه البخاري.

وفي رواية مسلم: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة كهاتين».

وأوجب الجنة لمن شارك اليتيم في طعامه وشرابه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ضم يتيما بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة» رواه أحمد.

وقال: «إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم» رواه الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال - وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» متفق عليه.

وأما التبني: فهو اتخاذ الشخص ولد غيره ابناً له، وقد حرم الإسلام التبني وأبطل كل آثاره، وذلك بقوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

(الأحزاب ٤ - ٥)

وأمر من كفل أحداً أن لا ينسبه إلى نفسه، وإنما ينسبه إلى أبيه إن كان له أب معروف، فإن جهل أبوه دعي «مولى» و«أخاً في الدين»، وبذلك منع الناس من تغيير الحقائق، وصان حقوق الورثة من الضياع أو الانتقاص.

أما عن إخراج الزكاة لإصلاح مقابر الفقراء فإن الأصل أن الزكاة يشترط فيها التمليك لمستحقها عند دفعها إليه بحيث يستطيع صرفها فيما هو أنفع له وأسد لحاجته، وإصلاح مقابر الفقراء ليس فيه تملك للزكاة لأنه ليس للميت ذمة مالية حتى يتصور له تملك فيكون ذلك من التبرع المحض والصدقات.

على أن بعض أهل العلم - ممن يتوسع في مفهوم مصرف (سبيل الله) - يرى أن مثل ذلك داخل فيما يجوز صرف الزكاة له على أنه في سبيل الله فقد نقل الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره عن القفال أن بعض الفقهاء أجازوا صرف الصدقات - أي الزكاة - إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لأن قوله

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

عام في الكل، وهذا وإن كان قولا مرجوحاً وإن كان مذهب الأئمة الأربعة على خلافه إلا أنه يمكن الأخذ به واللجوء إليه عند الحاجة الملحة له وعدم كفاية الصدقات والتبرعات المحضة لذلك.

❊❊❊

الإمام الشاطبي وكتابه الموافقات ومقاصد الشريعة

للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج (*)

هو الإمام الأصولي الحجة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. نشأ وترعرع في مدينة غرناطة بالأندلس، مع أنه نسب للشاطبية (Sativa) الواقعة في جنوب غرب بلنسية قريباً من شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

أهم شيوخه

١ - ابن الفخار البيري: كان إماماً في العربية والقراءات، لازمه الشاطبي حتى مات، وقرأ عليه القراءات السبع، في سبع ختمات.

٢ - أبو جعفر الشقوري: وهو نحوي، وفقيه اشتهر بعلم الفروض.

٣ - أبو سعيد بن لب: مفتي غرناطة، وخطيبها، ومدرسها، خالفه الشاطبي في بعض المسائل، ولكن ذلك لم يقلل من قدره عنده، فهو أستاذه.

٤ - أبو عبدالله البلنسي: مفسر نحوي.

٥ - أبو عبدالله الشريف التلمساني: الإمام المحقق، كان من أعلم أهل زمانه، وهو صاحب كتاب: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول.

٦ - أبو عبدالله المقري التلمساني: صاحب كتاب قواعد الفقه.

٧ - أبو القاسم السبتي: كان عالماً بالعلوم اللسانية.

(*) أستاذ الدراسات الإسلامية المتفرغ بكلية التربية - جامعة المنصورة



٨ ـ أبو على الزواوى: شيخ الشاطبى فى الأصول.

٩ ـ ابن مرزوق الخطيب التلمسانى: وصف بأنه (مالك) زمانه لتعلقه بفقه الإمام مالك، سمع منه الشاطبى، موطأ مالك، وصحيح البخارى، بقراءة أبى عبدالله الحفار.

والشيوخ الخمسة من الخامس إلى التاسع لم يكونوا من شيوخ غرناطة ولكنهم كانوا من الوافدين عليها، وقد حرص الشاطبى على أن يتلمس من علمهم.

وما أخذه الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى المحقق، الحافظ المجتهد من هؤلاء الشيوخ جعله يتبع فى النحو، والتفسير، والقراءات، والفقه، والأصول ولكنه كان ضليعا بعلم الأصول ومقاصد الشريعة مجددا مجتهداً فيه، بما لم يسبق إليه، ولم يلحق فيه.

أهم مؤلفات الشاطبى

١ ـ الموافقات:

وقد جعله فى خمسة أقسام:

الأول: فى المقدمات المحتاج إليها فى تمهيد المقصود.

الثانى: فى الأحكام وما يتعلق بها، من حيث تصورها والحكم بها أو عليها، سواء كانت من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف.

الثالث: فى المقاصد الشرعية، وما يتعلق بها من أحكام. وهو واسطة عقد الكتاب.

الرابع: فى حصر الأدلة الشرعية (من الكتاب والسنة) وبيان ما يضاف إلى ذلك فيها على الجملة، وعلى التفصيل، وذكر مآخذها، وعلى أى وجه يحكم بها على أفعال المكلفين.

الخامس: فى أحكام الاجتهاد والتقليد، والمتصفين بكل واحد منهما، وما يتعلق بذلك من التعارض، والترجيح، والسؤال والجواب.

٢ ـ الاعتصام:

فى جزأين، عالج فيه موضوع البدع والمحدثات بمنهاج أصولى، وفى الجزء الثانى منه، ضمنه مباحث مهمة فى أصول الفقه، كمبحث المصالح المرسلة، والاستحسان، وهما من المباحث التى وليها الإمام الشاطبى عناية كبرى، لأهميتها فى توجيه المسلمين إلى مقاصدهم ومصالحهم الدنيوية على أسس شرعية ترتكن على نصوص الكتاب والسنة ولاتعارضها.

٣ ـ كتاب الإفادات والإنشاءات:

فيه طرف وملح أدبية نثراً وشعراً.

نظرية مقاصد الشريعة

من المعروف أن مقاصد الشارع تنحصر فى خمسة مقاصد ـ يتفرع من كل مقصد مالا يحصى من أمور متعلقة به، أما هذه المقاصد الخمسة فهى أمور: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

وكل من يحافظ على هذه المقاصد، أو بعضها يحقق منفعة له وللمسلمين، وكل من يفوتها، أو يفوت بعضها فإنه يحدث مفسدة لنفسه، وللمسلمين، أما وسيلة حفظها فيكون بإقامة أركانها، وتثبيت أسسها، ودرء الفساد الذى يقع عليها.

ولقد شرع لحفظ الدين: الإيمان بالله وملائكته وكتبه والنبيين واليوم الآخر والبعث والنشور، والحساب، والجنة والنار، والقضاء والقدر، خيره وشره، والنطق بالشهادتين، والعمل بكل أركان الإسلام من عبادات ومعاملات، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ بأشراطه أو بحفظه من حيث المنع، والرد على البدع والمبتدعة، ودرء كل مفسدة يمكن أن تقع عليه.

وشرع لحفظ النفس: إباحة الطيب من الطعام والشراب لحفظ النفس، واللباس والمسكن أى لبقاء الحياة وحفظها، كما شرع لحفظها من حيث منع وصول الفساد إليها قتل القاتل المتعمد، كما شرع عقوبة القصاص، والدية.

وشرع لحفظ النسل: من حيث استمرار وجوده شرع النكاح وأحكام الأسرة: من أحكام رضاعة وحضانة ونفقة على الرجل وشرع لحفظه من حيث المنع تحريم الزنا وفرض عقوبة على الزانى ذكرا كان أو أنثى، ووضع الحدود عليها، وكذلك حد القاذف.

وشرع لحفظ العقل: ما شرع لحفظ النفس من أكل طيبات الطعام والشراب، والابتعاد عما يغير العقل من مسكرات ومخدرات ـ ومفترات (التدخين).

وشرع لحفظ المال: ألا يوضع فى أيدى السفهاء ـ وأن يكون التعامل فيه بين الناس يرتكن على أصول حلال. بعيداً عن الربا وألا يتداول بين الناس بالباطل، كما شرع لحفظه من حيث المنع: تحريم السرقة والاحتيال فى المال والعقوبة عليها.

وسميت هذه المقاصد الخمسة: بالضروريات أى ما لابد منه فى حفظ هذه الأصول: المقاصد الخمسة، التى تندرج تحتها كل المقاصد.

وتعليل الشريعة وأحكامها فى ذلك، كما نص عليه الشاطبى فى قوله: إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد فى العاجل والآجل معا. أى مصلحة الناس فى دنياهم وأخراهم ـ وهذا التعليل كما يؤكد الشاطبى ـ مستمر فى جميع تفاصيل الشريعة ـ لقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

«الأنبياء: ١٠٧»

ولقوله تعالى:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

«المائدة: ٦»

وسماها الشاطبى بالمقاصد الضرورية، لأنه

لابد منها فى قيام مصالح العباد فى دنياهم ودينهم، لأن فى فقدانها، تختل موازين حياة الإنسان، وتفسد فى دنياه ـ وبالتالى فى آخرته، وبقدر ما يكون من فقدانها أو تعطيلها يكون قدر الفساد فى نظام حياة الفرد والجماعة.

ويلى الضروريات من مقاصد الشريعة عند الشاطبى:

١ ـ الحاجيات: وقد تتحقق من دونها المقاصد الخمسة الضرورية التى تعد أصول المصالح.

على أن المصالح الحاجية تكون مكملة للضرورية. ولكن من حيث كونها مكملة مشروطة بشرط. يقول الشاطبى فى ذلك: كل تكمله، لها من حيث هى تكملة شرط وهو ألا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال.

على سبيل المثال فمن مكملات الصلاة الوضوء بالماء واستقبال القبلة فإذا تعذر وجود الماء، ومعرفة جهة القبلة، وأصر الفرد على توفيرهما لكى يصلى بقى بغير صلاة فيكون المكمل قد عاد على أصله بالإبطال.

وهذا مالا يصح شرعاً فوجب فى هذه الحالة التمسك بالأصل ـ الصلاة بالتيمم ـ ونحو ذلك مثل الفطر فى السفر، والرخص المناطة بالمرض والتوسع فى شرعة المعاملات كالقراض والاستزراع، والاستصناع ونحوه.

٢ ـ التحسينات: ومراعاتها متفقة مع مبدأ الأخذ بالأحسن، فضلا عن أنها موافقة لمكارم الأخلاق والعادات.

مثل آداب الأكل والشرب، وعدم الإسراف والتبذير فيها، وكذلك الابتعاد عن البخل والتقتير، والعمل بالمروءات بعدم أخذ أجر عما يفيض عن الحاجات، كفضل الماء، وفضل الكلأ ونحوه، واختيار الكفاءة بين الزوجين وحسن المعاشرة فيما بينهما.

جعل الله ـ سبحانه ـ المقاصد الخمسة تجمع كل المقاصد، وتجمع كذلك جزئيات الأحكام الشرعية، التى تدور حول حفظ هذه الكليات الخمس، وكل المقاصد الخمسة الضرورية وما يتبعها من مقاصد حاجية وتحسينية تخدم المقاصد الخمسة، ولذلك فهى تابعة لها، ومتأخرة عنها فى الاعتبار، ولا ينبغى أن يعطل الأدنى الأعلى، ولكن يخدمه ويقويه.

والمقاصد ـ وإن كانت أعمال تكليفية يكلف بها الإنسان بموجب الشرع فى الدنيا. ومع أنها تتعلق بفهم أمور فى الدنيا، فإن هذه الأمور وسيلة لغاية كلية واحدة، هى الإقرار بوحدانية الله تعالى والامتثال لأوامره فى العمل بها والتصرف من خلالها. فحفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، هى وسائل معرفة الله تعالى، والإقرار بالعبودية له سبحانه ـ وحده وهذا ثابت فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

«الذاريات: ٥٦»

وقوله تعالى:



﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

«القصص: ٧٧»

ذلك بأن فى مقدمة ما يقصد من عمل الإنسان فى الدنيا، ما يفيد منه فى آخرته.

وقال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

«المؤمنون: ١١٥»

فالخلق خلق الله، وإليه يرجعون، ولذلك خلقهم ـ عز شأنه ـ، ولو لم يكن ذلك هدف خلق الإنسان، لانتهت مقاصد الخلق، بانتهاء الدنيا الزائلة الفانية، وإنه لمن المعلوم أن هدف هذه المقاصد الدنيوية، إنما هو فى نتيجتها، وهو المقصد الأسمى إلى نعيم الآخرة فى جنة الخلد.

وهنا لا يفوتنا بعد أن ذكرنا غاية المقاصد، فنقول إن الله الخالق الرحيم بعباده خلق لهم هذه المقاصد فى الدنيا لتنتظم بها حياتهم الدنيوية، التى وجدت بالفعل لتكون جزءاً لحياتهم الأخروية ـ يوم يقول الخاسر:

﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر ٢٤]

أى قدم بحياته الدنيوية عملا صالحا يوصله لحياته الأخروية ـ فى دار البقاء.[1]

الشارع لم يقصد إلى التكليف بالمشقة والإعنات فيه

إن الشارع لا يكلف بما لا يطاق، وهذا منفى عن الشريعة قطعياً، كما أن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالمشقة والإعنات فيه، دليل ذلك ورود النصوص التى تؤكد أن الله ـ تعالى ـ لم يرد للناس المشقة والحرج والعسر.

قال تعالى:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

«البقرة: ١٨٥»

وقال تعالى:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

«المائدة: ٦»

إن الله لم يضع تعذيب النفس سببا للتقرب إليه، ولكن هناك من الأعمال التى لا تخلو من المشقة مثل: الجهاد فى سبيل الله أو مشقة الحج، أو الصوم فإن الله يعظم الأجر والثواب، لأن المشقة من لوازم بعض أعمال العبادات، أو بعض أعمال الكسب، وهنا كان تعظيم الأجر على قدر المشقة التى لم تقصد من الشارع لذاتها فى التكليف، مع أنها مشقة ظرفية، لا دائمة.

«يتبع»

(١) راجع د. محمد سعيد رمضان البوطى: ضوابط المصلحة فى الشريعة الإسلامية ١١٥ ـ ١٢٨، مؤسسة الرسالة ٦-١٤٠٦ ـ ١٩٨٦.

من الأعلام المعاصرين

عبد الرزاق السنهوري بين الفقه والقانون

للأستاذ / عمر بن حسين الموجان

«إنى أؤمن بالله إيماناً لا حد له ونفسى تجد السعادة فى هذا الإيمان، اللهم لا تسلبنى هذا الإيمان وقوه فى قلبى حتى ألقاك وأنا من أكثر الناس إيماناً بك» .... السنهورى

مقدمة

تحملتهـــا أيام كـــرب وشـــدة

ولم أتزحزح فى التفاؤل عن عهدى

فيـا رب صـبـراً ثم يا رب فـرجـة

فعندى من الإيمان بالحق ما عندى

عبدالرزاق السنهورى حباه الله نعمة العقل إضافة إلى فهمه للشرع الحكيم فأراد أن يخبر العالم بأجمعه أن الشريعة الإسلامية تستوعب تطورات العصر الحديث وتواكب مستجداته فهى صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ولكل إنسان ولذلك نادى بالاستفادة من الأنظمة الحديثة التى تندرج تحت قواعد الشريعة الإسلامية العامة فما حدث من تطور فى القرن الماضى يعد نقلة بشرية بكل المقاييس فالحياة غزتها الآلة وبسطت وسائل الاتصال سطوتها على أرجاء المعمورة فأصبح العالم متواصل الأرجاء كأنه مدينة واحدة والمجتمعات البشرية بطبعها تتباطأ فى قبول الجديد فإذا فرض عليها عندئذ تحاول أن تطوعه مع أعرافها وقواعدها الاجتماعية... والسنهورى كان لديه منحة إلهية وهى استشراف المستقبل وكأنما ينظر إليه من طرف خفى فسعى حثيثاً أن يبسط قانون الإسلام هيمنته على الجديد وأن تصاغ مواده بفكر ولغة العصر الحديث.

لعلى من خلال هذه التوطئة أصوب نظر القارئ الكريم إلى أن الفكر الإنسانى يتطور، ويسخّر المفاهيم التى لا تكون مقبولة فى أزمنة معينة فتكون الحاجة لها ملحة فى أزمنة أخرى «فالرسالة الصادقة كالشجرة المثمرة قد لا تؤتى أكلها فى حياة من زرعها ولكنها تؤتى أكلها كل حين إذا استوت على سوقها...».

«السنهورى من خلال أوراقه الشخصية»

فى زيارتى الأخيرة للقاهرة وقع فى يدى كتاب «السنهورى من خلال أوراقه الشخصية» الذى أيقظه من مرقده ودفع به إلى ساحة القراء الكرام كلا من: ابنته «نادية السنهورى رحمها الله» وزوجها «الدكتور توفيق الشاوى» وهو عبارة عن أوراق شخصية كتبها لنفسه فى مراحل عمره الحافلة، فالذكريات الشخصية تمنح طيفاً لرؤية ذاتية تتغير أمزجتها عبر الأيام فترى الآمال فى بريقها الخلاب والنفس تسبح مع هواجسها المتنوعة تنتقل من حال إلى حال مع تقلب الليل والنهار ولا أخفى القارئ الكريم أن هذا الكتاب وقع من نفسى موقعاً له أثره البليغ «فما الذى جعلنى أحتفى بهذا الكتاب»؟؟؟

تجاه عبدالرزاق السنهورى توجه الأضواء الكاشفة على شخصيته الفذة لأنه عبقرية معاصرة، بارع فى صياغة القانون ومنظراً وفيلسوفاً ترك مكتبة حافلة من مؤلفاته وقدم خدمة لوطنه وللأمة الإسلامية مما يجعله مع ذلك كله أهلاً للإشـــادة والثناء: وأريج الصدق الذى يضوع فى الأرجاء من رحيق فكره المعطار فلقد رأى التطور والمستجدات المتسارعة فلم يشأ أن تباغت الأمة الإسلامية فتؤثر فى هذا البناء الراسخ وتزعزع أصوله الثابتة فنادى بوصل الحاضر بالماضى ليكون بناء الحاضر مرتكزاً على القواعد الراسخة فى الفقه الإسلامى حتى لاتزل الأقدم بعد ثبوتها، وأمضى حياته وهو يؤصل لهذه الفكرة حتى لا يحدث زلزلة لأمة الإسلام «بعد سقوط الخلافة» فيكون من علماء الأمة من لا يقبل الجديد ويعيش على الماضى التليد ويكون منهم من يطلق الزمام للجديد دون أن يرجع إلى الأصول الإسلامية العامة.

وفى هذا الجانب يقول الدكتور السنهورى رحمه الله:

«المدنية الإسلامية أساسها الشريعة الإسلامية وصفة هذه الشريعة كثوب راعى الشارع فيه صفة جسم من يلبسه وكان صغيراً وخط نمو هذا الجسم فى المستقبل فبسط فى القماش بحيث يمكن توسيع الثوب فى نمو الجسم ولكن هذه الحقيقة غائبة عن المسلمين فانقسموا فريقين: أحدهما لبس الثوب على ضيقه فاختنق، والثانى لم يطق هذا الضيق فمزق الثوب وبقى عارياً على أن الثوب صالح للتوسيع دون أن يضطر لابسه إلى الاختناق أو التمزيق».

لمحة موجزة عن حياته

ولد عبـــــدالرزاق السنهـــــورى فى ١١ / ٨ / ١٨٩٥م وفى السادسة من عمره مات والده، وتدرج فى التعليم الابتدائى والثانوى،

وكان من النوابغ، فقد حصل على ليسانس كلية الحقوق بالاسكندرية سنة ١٩١٧م وكان الأول على جميع الطلاب، وكانت الدراسة في ذلك الوقت باللغة الإنجليزية، ثم عمل وكيلاً للنائب العام، ودرّس القانون في مدرسة القضاء الشرعي وذلك في عام ١٩٢٠م وكان من زملائه : الشيخ عبدالوهاب خلاف والدكتور عبدالوهاب عزام، وأحمد أمين، وأحمد إبراهيم ـ رحمهم الله جميعاً ـ وله عدد من الطلاب النجباء منهم الشيخ محمد أبوزهرة رحمه الله ثم سافر لفرنسا لدراسة الدكتوراه وهو في السابعة والعشرين من عمره عام ١٩٢١م وقد حصل في فرنسا على درجة الدكتوراه في رسالتين علميتين : الأولى: «القيود التعاقدية على حرية العمل في القانون الإنجليزي».

والثانية: «الخلافة وتطورها لتكون عصبة أم شرقية».

وعاد إلى مصر سنة ١٩٢٦م وعين مدرساً بكلية الحقوق ثم عميداً لها وألف دروساً للطلاب في : مقدمة القانون، المدخل لدراسة القانون، عقد الإيجار، نظرية العقد. وانتقل في هذه الفترة لبغداد ووضع القانون المدني العراقي وقد وضع القانون، السوري والكويتي وقد تنقل في مناصب هامة في بلده فعين وزيرا للمعارف ثم رئيسا لمجلس الدولة إلى أن لقى ربه في ٢١ / ٧ / ١٩٧١م.

جوانب من شخصيته

أ- لجوؤه الدائم إلى الله:

السنهوري رجل متصل بالله يؤمن به يتوكل عليه ويكثر من دعائه، فقد كانت الصفة الغالبة في مذكرات السنهوري الدعاء الدائم لله في بداية كل عمل وعام مع اللجوء الصادق والاتصال المؤمن بخالقه عز وجل، وله أدعية تقتحم القلوب صدقاً وإيماناً منها:

«اللهم أودعتني قلباً وعقلاً فاحفظهما لي، أكن في خدمة الخير وخدمة الخير إنما هي خدمتك اللهم آمين»..

> «الإيمان بالله والثقة بنفسي يرفعاني فوق كل الشدائد»
>
> السنهوري

وكان يتمثل بدعاء الرسول ﷺ حينما عاد من الطائف ويرى فيه تعبيراً صادقاً خلجات النفس وخفقات الفؤاد. فالاعتصام بالله هو من أعظم أسرار النجاح في هذه الحياة الدنيا.

ب- محبة الرسول ﷺ :

السنهوري محب للرسول ﷺ وهذه المحبة ترجمها عملياً في عدة مواقف فقد دافع عن المصطفى ﷺ دفاع الوفي الصادق المستنير حينما كتب أحد الكتاب المصريين كتاباً تقوم فكرته العامة على أن النبي ﷺ «كان يحب النساء وأنه أحل لنفسه منهن ما لم يحل لغيره»:

فقد انبرى بالرد قائلاً: «لا أعرف ما الذي قصده المؤلف من إيراد مجموعة منظمة من

الحوادث يسوقها للنيل من كرامة نبي نال احترام المنصفين من المفكرين في الغرب..... ولكني لم أقرأ أن عربياً واحداً نال منه من حيث حبه للنساء أليس هذا دليلاً على أن الوسط الذي نشأ فيه النبي ﷺ كان يألف كل الألفة هذه الناحية من أخلاقه ولم ير فيها ما يوجب الطعن.. وبعد ذلك أليس ثابتاً أن النبي قضى زهرة عمره من من الخامسة والعشرين إلى الخمسين مع امرأة واحدة كان يحبها ويحترمها وهي أكبر منه سناً بعدد غير قليل من السنين؟».

انظر إلى هذا التفنيد الواضح في كلمات قلائل لأوهام هذا الكاتب المتنكب للصراط والذي أتى على بنيان هذا الكتاب المفترى من القواعد فلم يلبث أن خر عليه سقف حججه الواهية.

> «يملأ النبي ﷺ نفسي إعجابا لأنه بشر مثلي... وإذا كان فيه من نواحي ضعفي فليست في من نواحي قوته».
>
> السنهوري

وأقول إن: رب العزة والجلالة هو الذي أباح للرسول ﷺ هذه الزيجات :

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾

[الأحزاب: ٣٨]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ﴾

[الأحزاب: ٥٠]

ومع ذلك فإن أهداف هذه الزيجات تحمل الطابع الإنساني..

ومن النواحي العملية لمحبة المصطفى ﷺ قوله:

«أعتقد أن دراسة حياة النبي ﷺ بوصفه رجلاً إلى جانب أنه نبي يفيد كثيراً في تربية الأخلاق وفي تعريف النبي للمسلمين وغير المسلمين في صورة طبيعية أقرب إلى الذهن في العصر الحاضر.. وأعتقد أنه في تأسيسه الديني كان نبياً رسولاً وفي تأسيسه للدولة كان رجلاً عظيماً.. ولكن بقي علينا دراسة حياته ﷺ بوصفه رجلاً عظيماً وهي دراسة تاريخية منهجية مقوية للأخلاق».

وفي هذا التوجيه للجانب الإنساني للشخصية المحمدية نظرة ثاقبة فالرسول ﷺ: على خلق عظيم «وقد بعثه الله» ليتمم مكارم الأخلاق وما دعى إليه السنهوري من إبراز حسن الأخلاق البشرية للمصطفى ﷺ من أبلغ الوسائل المعاصرة لفهم الإسلام فإذا استشعرها المسلمون فسيرتقي المجتمع إلى درجات الفضيلة وإذا أدركها غير المسلمين فسيكون الباب الذي يدخلون منه إلى دين الله أفواجاً، خاصة وأنه درس في أوروبا ورأى ما لدى الغرب من الأخلاق التي تخدم الدنيا فكيف إذا كانت هذه الأخلاق ديناً يثاب عليه.

وقد وجد في أوراقه الشخصية قصائد عديدة في مدح المصطفى ﷺ مطلع أحدها:

يا خير من جاء بالآيات والحكم
لأنت خير الورى في خيرة الأمم



كما أنه ـ رحمه الله ـ قام بترجمة قصيدة «لامارتين» الشاعر الفرنسى فى مدح المصطفى ﷺ.

السنهورى الأديب الشاعر

تميز السنهورى رحمه الله بحبه للأدب العربى وقدرته على نظم الشعر فهو صاحب فلسفة أدبية بديعة ممزوجة بتجربة واعية وهذا من جوانب الرقى فى شخصيته والذى ظهرت علاماته منذ مطالع شبابه الطموح فقد كتب وهو فى باريس عام ١٩٢١ :

«اليوم ألقيت الجزء الأول من محاضرتى فى الأدب العربى ومقارنته بالأدب الفرنسى فى الأسرة التى أقيم فيها وبعض أصدقائى وأصدقائها، وقد نجحت فى إفهام هؤلاء أن للعرب أدبا له قيمة».

كما ذكر الدكتور توفيق الشاوى حينما أخرج كتاب: «السنهورى من خلال أوراقه الشخصية» أنه ترك كراسة مكونة من ستين صفحة جميعها يتعلق بالأدب والشعر، نشر منها ست صفحات فقط»[١]

وتقول نادية السنهورى ـ رحمها الله: اكتشفت أن لى أخاً من أبى بعد وفاته من خلال قصيدة يقول فيها:

خلفت بنتا فى حياتى
ثم خلفت الولد
فالبنت «نادية» أتتنى
بعد يأس وكمد
وإذا سألت عن الوليد
أباه لم يعوزك رد
ولدى هو «القانون»
لم أرزقه إلا بعد جهد

ويظهر مدى الذوق الأدبى العزب لدى السنهورى ـ رحمه الله ـ فى حسن اختياره للشواهد الشعرية فقد كان ذا حس أدبى مرهف فقد علق على إحدى قصائد أحمد شوقى قائلا: «أريد أن أذكر ذلك التأثير الذى يصيب النفس إذا وقفت على شعر جزل قوى ولايزال للشعر التقليدى أثر عظيم فى النفس لاسيما إذا كان من شاعر عظيم كشوقى ومن خير ما أعجبنى فى قصيدته قوله:

فها هو الفرد إن شئتم سما صعدا
إلى الثريا وإن شئتم هوى صببا

ويقول عن الشعر والنثر:

«للشعر العربى موسيقى تجعله أبعد عن النثر منه فى أى لغة أخرى، فالشاعر العربى إما أن يكون مطبوعاً على موسيقى الشعر فيصرفه طبعه عن النثر وإما أن يتطبع على هذه الموسيقى بالمران والممارسة فيكون ذلك شاغلاً له عن معالجة النثر».

ويقول: «إن فى حقائق الحياة شعراً أصلح وأجدى من شعر الخيال»

«يتبع»

(١) وقد وعد الدكتور توفيق بإخراجها فى مؤلف مستقل ولعل العناية بهذا الجانب من شخصية السنهورى له أهمية كبيرة فالبراعة الأدبية واللغوية لاشك أنها تخدم كل العلوم.



بين الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

الشيخ عطية صقر فى ذمة الله

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ: «عبده الدقيش» فى جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٢٠٠٦/١٢/٩:

فقدت الأمة الإسلامية عالما من العلماء الأجلاء.. الذى اشتهر بعلمه الغزير وتفقهه فى الدين.. وكان يحظى بين أبناء الأمة الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى باحترام وتقدير كبيرين، لغزارة علمه وتصديه للفتوى فى مختلف القضايا والمشاكل التى تشغل بال المسلمين.

وولد الشيخ عطية صقر فى ٢٢ من نوفمبر عام ١٩١٤ فى قرية «بهنا باى» بمركز الزقازيق بمحافظة الشرقية وحفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية وعمره ٩ سنوات ثم التحق بالمدرسة الأولية «الإلزامية»، والتحق بعدها بمعهد الزقازيق الدينى عام ١٩٢٨، ثم التحق بكلية أصول الدين وحصل منها على الشهادة العالمية سنة ١٩٤١، وعلى العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد سنة ١٩٤٣ وكان ترتيبه الأول.

وبدأ حياته خطيبا فى مسجد عبد الكريم الأحمدى بباب الشعرية فى ١٦ من أغسطس عام ١٩٤٣، ثم عين واعظا بالأزهر بعد ذلك بعامين سنة ١٩٤٥ حتى رقى إلى مفتش ومراقب عام بالوعظ.

واستحق الشيخ عطية صقر أن يكون سفير الأزهر الشريف فى اللجنة العليا للعلاقات الخارجية بوزارة الخارجية، واللجنة الوزارية للتثقيف الصحى، ومترجما بمراقبة البحوث والثقافة، ووكيلا لإدارة البعوث، ومدرسا بالقسم العالى بالأزهر.

وقد سافر فى رحلات لمختلف البلدان لنشر الدعوة الإسلامية، فقد سافر إلى إيران، والكويت، وأندونيسيا، وليبيا، والجزائر، والبحرين، والسنغال، ونيجيريا، وبنين، والولايات المتحدة الأمريكية، وباكستان، وباريس، ولندن.

وكان عضوا بمجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الفتوى

بالأزهر، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضوا بمجلس الشعب عام ١٩٨٤ عن دائرة شبرا.

وللفقيد أسلوبه المتميز فى الفتوى والرد على استفسارات المواطنين فى البرامج الدينية بالإذاعة والتليفزيون شفويا وتحريريا فى مختلف الصحف، كما كانت تفرد له الصحف مساحات كبيرة للكتابة لديها نظرا لما يتمتع به من رجاحة العقل وسعة العلم.

وكان له حضور قوى فى مختلف الندوات والمؤتمرات الشعبية والرسمية، وكانت تعتمد عليه معظم الهيئات العلمية والجهات المختلفة لشرح وتوضيح ما يختلفون فيه من قضايا وآراء وخاصة فى القضايا الاجتماعية.

كما كان يشارك فى فحص الكتب والرسائل العلمية المحولة من مختلف الجهات لإجازتها.

وللشيخ عطية أكثر من ٣١ مؤلفا علميا أهمها: «الدعوة الإسلامية دعوة علمية» وهذا الكتاب فاز بجائزة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، كما أن له مجلد من ٦ أجزاء حول الأسرة تحت رعاية الإسلام، وكتب بعنوان: «دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة»، و«الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه»، و«العمل والعمال فى نظر الإسلام»، و«الإسلام ومشاكل الحياة» و«الحجاب وعمل المرأة» و«البابية والبهائية تاريخا ومذهبا»، و«فن إلقاء الموعظة»، و«بيان للناس عن موقف الإسلام من التيارات الحديثة»، و«أوضح الكلام فى الفتاوى والأحكام»، وهو عدة أجزاء، وغيرها من الكتب القيمة الكثير، التى تعد رصيدا زاخرا من العلم والفتاوى الإسلامية التى تساير روح العصر وتتميز بالوسطية والاعتدال.

الشيخ عطية صقر

لقد وافت العالم الجليل المنية فجر يوم ٨ من ديسمبر عام ٢٠٠٦ عن عمر يناهز ٩٢ عاما فى قريته «بهناباى» ودفن بها.

عنصرية أمريكا

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة التى كتبها الأستاذ / عبدالمعطى عمران بجريدة «اللواء الإسلامى» فى ٢٠٠٦/١٢/٧ ومما جاء فيها:

هل يمكن أن نتخيل أن يجبر البرلمان فى بلد عربى أو مسلم نائبا غير مسلم بأن يقسم على «المصحف» بأن يصون مصالح الوطن، ويعمل على خدمته ورفعة شأنه؟ لو أن هذا حدث لقامت الدنيا، ولشبعنا اتهامات بالإرهاب الإسلامى، والعنصرية والإكراه على العقائد والاعتداء على حقوق الإنسان إلى آخر هذه القائمة الطويلة من الاتهامات، ولربما صدرت قرارات الأمم المتحدة بمحاصرة هذا البلد وإعلان الحرب عليه!!

ولكن عندما يحدث هذا الأمر فى أمريكا حامية حمى الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، ضد عضو مسلم فى الكونجرس، فإن الأمر يختلف بالطبع.

فها هو العضو الديمقراطى «كيث أليسون» أول نائب مسلم فى الكونجرس الأمريكى طوال تاريخه يتعرض لحملة هجوم وتشويه إعلامية ضخمة، بسبب إعلانه أنه سيقسم على القرآن الكريم، وليس الإنجيل، خلال احتفالات تنصيب الأعضاء الجدد بالكونجرس، والمقرر إجراؤها الشهر المقبل.. مما أثار عليه غضب المحافظين الأمريكيين، وشنت عليه الصحافة ووسائل الإعلام حملة عنصرية عنيفة، مدعية أن استخدام القرآن الكريم من خلال احتفالات الكونجرس أمر يقوض ويضعف الحضارة الأمريكية محاولين إجبار النائب المسلم الوحيد فى الكونجرس، بالقسم على الإنجيل، وليس القرآن الذى يؤمن به ويدين به.. ولا عزاء لشعارات الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان!

لماذا الخجل؟

وكتب الأستاذ / ممدوح العشرى فى جريدة عقيدتى الصادرة فى ٢٠٠٦/١٢/٥ بعنوان «لماذا الخجل» قال:

تفخر إسرائيل بأنها دولة يهودية وتفخر أمريكا بأنها دولة مسيحية.. وكذلك إيطاليا.. والصين تفخر بأنها دولة شيوعية، حتى الرئيس بوش يعتقد أنه منفذ أوامر السماء فى العالم.. ولم تسمع فى أى من هذه البلاد والتى تعيش فيها الأقليات الإسلامية.. أن تنازلوا عن هويتهم.. أما نحن فى مصر.. والتى تحوى فى قلبها الأزهر الشريف الذى يحلم المسلمون فى شتى أنحاء العالم بالانتساب إليه ونهل العلوم الإسلامية منه.. فإننا نخجل من أن نعلن ونقول بملء فينا إننا دولة إسلامية.. بدلا من أن نفتخر ونعتز بإسلامنا.. إننا فعلا فى حاجة يا إعلامنا إلى برامج تنمى هذا الشعور لدى الشباب.. لا أن تستضيفوا من يدعون أنهم من المثقفين ويحاربون الدين والوطن.. وإلا سنجد من الأجيال الجديدة من لا انتماء له.. بل سيكون انتماؤهم لغيرنا.. وهذا يعنى تدمير البلد وتدمير الأمة.. وعلى الإعلام أن يعلم أن الانتماء للدين أساس الانتماء للوطن.. فمن لا دين له.. لا وطن له، لأن وطنه سيكون مصلحته فقط.. وسيكون دينه هو المال الذى ينفقه على مصلحته أى على نفسه.. ومصر والوطن العربى والإسلامى كله فى حاجة إلى رجال ينتمون إلى دينهم الوسطى الذى يحمل الأمن والأمان والسلم والسلام.. وأن يعشقوا وطنهم الذى يلتحفون بسمائه ويأكلون من خيراته.. فإذا حدث هذا فسيرتقى هذا الوطن ويعلو.. ويعلو.. وسنعمل بأيدينا لرقية وحينئذ سنظل أحرارا لأننا سنأكل من عمل أيدينا.. وأخيرا وليس آخرا فمصر أكبر دولة إسلامية ويجب أن تظل هكذا.. ففى انتمائنا لإسلامنا قوة إلهية ستدفعنا للأمام وستحافظ علينا.



النبوءة والسياسة

تأليف
جريس هالسيل
ترجمة
محمد السماك

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٤

تباين متعدد الأبعاد

وفى المبحث الحادى عشر من كتاب النبوءة والسياسة (زواج المصالح... لماذا عقدت إسرائيل حلفًا مع اليمين المسيحى الجديد؟!..) أوضحت الكاتبة ما كان بين اليهود الأمريكيين، وبين المسيحيين الأصوليين الإنجيليين من تباين واختلاف، تمثّل فى التباعد الجغرافى، والفكرى، والرؤى الاجتماعية بين هؤلاء وأولئك.

فأفضل اليهود الأحرار (الليبراليون) لم يكونوا يهتمون بالأصوليين الإنجيليين، ولا يعرفون عنهم سوى القليل؛ لأن اليهود الليبراليين كانوا ـ فى الغالب ـ يعيشون فى الشمال الشرقى من أمريكا، وفى مراكز مدنية رئيسة، وخاصة مدينة نيويورك.

أما المسيحيون الأصوليون الإنجيليون فإن أكثريتهم كانوا يعيشون فى الجنوب، وفى الغرب، والغرب الأوسط.

ومعظم المسيحيين الأصوليين الجنوبيين كانوا محدودين، وعنصريين بصورة علنية، وكانوا مقتنعين بأنهم ـ بوصفهم بروتستانت أنجلو ساكسون بيض البشرة ـ يتفوقون على السود، والهنود، والكاثوليك، والصينيين، واليابانيين، والهندوس، والمسلمين، واليهود. حتى إن منهم من آمن بشرعية الحقد والتفكير الضيق مثل (جيرالد وينرود)، و(جيرالد سميث)، و(وليم بيلى) (وليم كلجرين)، و(وسلى سويفت)، و(وليم بلسينغ) الذين بشروا بأن أمريكا مسيحية ستكون أفضل بدون اليهود.

بل إن الأصوليين الإنجيليين البيض عللوا تفوقهم على اليهودى؛ بأنهم كمسيحيين آمنوا بالمسيح، فأصبحوا مخلصين، بينما اليهودى لا يؤمن بالمسيح.

ومع هذا التباين الكبير بين المسيحيين الأصوليين، وبين اليهود... تقرر الكاتبة: أن جميع المسيحيين الذين عرفتهم فى سنة ١٩٤٨ رحبوا بخلق دولة يهودية؛ إذ أنهم لم يقرأوا، ولم يسمعوا، ولم يعرفوا سوى المظاهر الجيدة عن إسرائيل؛ فكانوا يرون فى الإسرائيليين الشعب الكادح، المتفتح العقل، المحب للسلام، حتى إن الكاتبة نفسها لم تستطع إلا أن تتعاطف معهم مثل الملايين غيرها من الأمريكيين؛ لأنهم بدأوا مثل الأمريكيين، فخلقوا عالمًا جديدًا أفضل فى منطقة متخلفة من الشرقيين، كما كان يعتقد الكثيرون.

ورغم هذا التباين كان التحالف

وتستعرض الكاتبة طرفًا من العوامل التى جمعت بين الأصوليين الإنجيليين وبين اليهود على الرغم من فقدان العلاقة المشتركة بينهما.

فتذكر: أن الإنجيليين التليفزيونيين كانوا يخبرون المسيحيين الأصوليين دائمًا أن الدولة اليهودية تقدم لهم مكانًا، حيث يقابلون المسيح، ويعتقدون ببركته الخالدة.

أى أن هؤلاء الإعلاميين الإنجيليين أقاموا دعوتهم إلى هذا التحالف على أسطورة ـ أو أكذوبة ـ حرّفوا من أجلها كتابهم المقدس كى يخلقوها، ويفتحوا أمامها أبواب القبول والاعتقاد.

أما اليهود.. فإن الكاتبة تلاحظ أنهم ـ فى مقابل ما صنعه الإعلاميون الإنجيليون ـ سلموا بما يعتقده الإنجيليون من أن كل يهودى سوف يُقتل أو يتحول إلى المسيحية، متخلّين بذلك عن معتقداتهم الفكرية والإنسانية التى يلتزمون بها بعمق.

وببحث الكاتبة عن سبب هذه التنازلات الخطيرة من الجانبين رأته ماثلاً فى: شعور المجموعة اليهودية أن المسيحيين الليبراليين والمسيحيين البروتستانت تخلوا عنهم ـ كما صرّح الحاخام (رابى مارك تانينبوم)، وهو ضابط ارتباط يهودى مع المسيحيين الأمريكيين ـ مما جعلهم يرون أن الإنجيليين الأصوليين مثل (فولويل) هم أكثر فائدة لهم من أولئك القادة المسيحيين الأمريكيين الذين وجهوا نداء إلى الرئيس (جونسون) كى يأمر إسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية والقدس العربية، وغزة، ومرتفعات الجولان، على نحو ما جاء فى القرار (٢٤٢) الذى حظى بإجماع مجلس الأمن، ومن أولئك الذين يرون أن العرب فُرض عليهم أن يدفعوا ثمن جرائم هتلر، وأن الولايات المتحدة لم تطلب من إسرائيل أن تنسحب من الأراضى المحتلة، بل إنها زودتها بالدعم المالى والمعنوى الكامل. ومن أعضاء المجلس الوطنى للكنائس الذين دعوا إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية، والذين قدموا قرارًا بشأن انتهاك إسرائيل لحقوق الإنسان وللقانون

الدولي، ودعوا إلى قطع المساعدات الأمريكية عن إسرائيل.

هذا... في الوقت الذي يرون فيه الإنجيليين ـ مثل فولويل، ودوجلاس كريكر، وغيرهما من المؤمنين بالتدبيرية ـ يحثون الإسرائيليين على مواصلة التضخم العسكري، ويحضونهم على إقامة تحالف مع اليمين المسيحي الجديد، الذي يستطيع أن يضلل الأمريكيين ويبيعهم فكرة: «إن الله يريد إسرائيل عسكرية ومسلحة».

ثقة تستهين بخسارة الدعم الكنسي

وبعد استعراض أطراف من مواقف قادة المجلس الوطني للكنائس... تذكر الكاتبة: أن القادة الإسرائيليين، وقادة اليهود الأمريكيين قرروا أن خسارتهم ـ حتى إذا خسروا دعم المجلس كليا ـ لن تكون فادحة لأسباب ثلاثة هي:

- أولا: ثقتهم من أن الصف الأمامي من قادة الكنيسة لن يحتجوا بشدة على احتلالهم الأراضي العربية، وشعورهم باطمئنان أن قضية المعاناة الفلسطينية بالنسبة لقادة الكنيسة لم تكن أكثر أهمية من قضايا أخرى، مثل التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، وسباق التسلح، وانتهاك حقوق الإنسان في أمريكا الوسطى، وإدراكهم أن قادة المجلس وقادة كنائس ليبرالية أخرى يحتفظون بأوثق روابط مع مؤيدي إسرائيل من اليهود، حتى إن قساوسة مسيحيين من الولايات المتحدة عندما يلتقون كهنة يهودا لتطوير التفاهم بين المسيحيين واليهود في أمريكا... يتجاهلون أي التزام بالمسيحيين والمسلمين العرب في الأراضي التي يحتلها إسرائيليون يهود.

- ثانيا: إدراك القادة الصهيونيين أن التحالف مع الإنجيليين الأصوليين يكسبهم دعما أشد حرارة لاعتماده على أربعين مليون إنجيلي أصولي؛ لأن هؤلاء الإنجيليين الأصوليين يؤمنون بأن الله نفسه يريد أن تحصل إسرائيل على أي جزء من الأراضي العربية؛ فليس في الصف الأمامي من المسيحيين ما يعادل هذا التعصب الأصولي العسكري، حيث تشكل إسرائيل بالنسبة لهؤلاء الأصوليين اهتماما دينيا قويا مرتبطا بخلاصهم.

لذلك... هم يقدمون دعما كاملا، لا يناقش للدولة الصهيونية.

- ثالثا: اعتقاد الكثيرين من القادة الإسرائيليين والمسيحيين المتشددين أن إسرائيل بحاجة إلى مزيد من السلاح، والجيوش، وكثير من القنابل لتحقيق أهدافها بالقوة العسكرية.

قيادات تدعم هذه الثقة

وتستعرض الكاتبة مدى ارتباط يهود الولايات المتحدة بالأصوليين المسيحيين من قول «ناتال بيرلمتر»: «إنه يشعر أنه مثال لليهودي الأمريكي من حيث يقيس كل موضوع من مواضيع الحياة بمقياس واحد، هو: (هل هو صالح لليهود)؟!.. فإذا كان الجواب بالإيجاب انتقل إلى المواضيع الثانوية».

ومن قوله: «يستطيع اليهود أن يتعايشوا مع كل الأوليات المحلية لليمين المسيحي التي يختلف معهم حولها اليهود الليبراليون؛ لأنه ليس بين هذه الشئون ما هو في أهمية إسرائيل».

ولذلك... فلا أثر لعدم توافق اليهود الليبراليين مع القس «فولويل» في سياساته المحلية، بشأن المزيد من القنابل النووية، والإجهاض، والصلاة في المدارس مثلا؛ لأن هذه مشاكل ثانوية يجب أن لا تؤثر في ضرورة تأييده؛ لأنه في الوقت نفسه يؤيد إسرائيل.

كما يقرر «بيرلمتر»: أن تفسير الأصوليين الإنجيليين نصوص الكتاب المقدس الذي يفرض على جميع اليهود أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يقتلوا في معركة «هرمجدون»... هذا التفسير من الأصوليين يجب أن ألا يؤثر في ضرورة تأييد هؤلاء الأصوليين كي يدعموا إسرائيل؛ فالأهم هو تأييد إسرائيل. أما ما سوف يكون عند مجيء المسيح، فسوف نفكر بخياراتنا في ذلك اليوم. وأما في الوقت الحاضر... فدعونا نصلي للرب، ونرسل الذخيرة».

وقد تبنى كثير من اليهود نهج «بيرلمتر»، مثل «إريفينج كريستول» الناطق البارز باسم المجموعة اليهودية المثقفة في نيويورك، ومثل «إليك ريشنيك» رئيس المنظمة الصهيونية في أمريكا، الذي يؤيد التحالف اليهودي مع المحافظين، ومثل «هاري هورويتس» الذي يعمل في مكتب رئيس الحكومة، والذي شدد على ترحيب إسرائيل بدعم الجناح اليميني الإنجيلي، معلنا: «أن المسيحيين الأصوليين هم ـ أولا وأخيرا ـ مؤيدون لإسرائيل، وعندما يتعلق الأمر بتجييش الدعم لا نستطيع أن نكون انتقائيين».

وإدراكا من مجلس الحاخامات لأهمية التحالف مع الأصوليين المسيحيين عين الحاخام «رابي أبترولس» ضابط ارتباط مع اليمين المسيحي.

ولكن... هناك محاذير من تلك الثقة

وتخلص الكاتبة إلى: أن هذا التحالف بين قادة اليهود واليمين المسيحي بما أفرزه من تفضيل بناء قوة عسكرية غير محدودة مسلحة بالأسلحة النووية وغيرها، ومن تمن معلن أن تملك إسرائيل المزيد من الأسلحة النووية، ومن تطور إسرائيل إلى قوة استعمارية وعسكرية... هذا التحالف بإفرازاته تلك جعل الكثيرين من اليهود الأمريكيين والليبراليين يشعرون بالقلق، وعدم التوازن، حتى إن بعض اليهود الأمريكيين شجب تعاظم الاتجاه بين قادة اليهود الأمريكيين لوضع عبادة إسرائيل فوق أي شيء آخر؛ فهذه «روبرتا شتراوس فيورليخت» من بروكلين ـ وهي من أبوين يهوديين أرثوذكسيين ـ تحذر من أن اليهود

الأمريكيين يتجهون نحو عبادة إله صهيوني مزيف، وتذكر في كتابها «مصير اليهود»: أن أول مساهمة لليهودية كان القانون الأخلاقي، وأن عظمة اليهودية لم تكن في ملوكها، إنما كانت في أنبيائها، وأن الله لم يأمر اليهود بالموت، ولكنه أمرهم بالحياة في قوله: «لقد وضعت لكم الحياة والموت، ولذلك عليكم أن تختاروا الحياة»، ولكنهم ـ بوضعهم مصيرهم بيد الجيوش والأسلحة، وبتشريفهم الجنرالات أكثر من الأنبياء ـ لا يختارون الحياة، بل يختارون الموت.

وتحذر من أن أولئك الذين يجعلون من حب إسرائيل عبادة يدفعوننا في هذا الاتجاه.

استنزاف دولارات الأمريكيين

وفي مبحث «مكاسب إسرائيل من التحالف: المال» استعرضت الكاتبة جريس هالسل دور اليمين المسيحي الجديد في مساعدة إسرائيل على تحقيق مكاسبها المالية، مستشهدة بما جاء على لسان «إسرائيل شاهاك» الأستاذ في الجامعة العبرية، ورئيس المنظمة الصهيونية للحقوق المدنية والإنسانية، حيث قال: «إن دافع الضرائب الأمريكي أرسل في سنة ١٩٨٥ إلى إسرائيل خمسة مليارات دولار».

وهذا يعني: أن الأمريكيين يرسلون حوالي ثمانية آلاف دولار سنويًا لكل عائلة إسرائيلية مكونة من خمسة أشخاص، دون أية قيود، ودون توقع تسديد أي فوائد على هذه الأموال، ولا مطالبة بإعادة أي شيء حتى رأس المال، فهي كلها هدية.

ويذكر الأستاذ «شاهاك»: أنه يعتقد أن تقديم هذه المليارات لإسرائيل هو مثل تقديم مزيد من المخدرات إلى المدمن، حيث لا تشجعنا أمريكا بذلك على تحمل مسئولية حياتنا ومصيرنا.

ويرى «شاهاك»: أن هذا ليس بغريب على طبيعة الصهيونية؛ فهي تبحث دائمًا عن حامٍ، ومُعيل؛ فكما توجه الصهيونيون في البداية إلى إنجلترا لتقدم لهم ذلك... هم يتوجهون الآن إلى الولايات المتحدة؛ فأقاموا هذا التحالف مع اليمين المسيحي الجديد الذي يبرر أي عمل عسكري إجرامي تقوم به إسرائيل.

وتدعم الكاتبة رؤية «شاهاك» بما جاء على لسان «بول فندلي» العضو الجمهوري السابق في لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكي حين سألته عن الحاجة إلى تصويت الشعب الأمريكي على إرسال المزيد من بلايين الدولارات إلى إسرائيل فأجاب: «إن التصويت يقوم به مجلس الشيوخ والنواب... وإن الكونجرس يصوت دون استثناء، وبأكثرية ساحقة على إرسال الأموال التي تحتاجها إسرائيل، فاللوبي الإسرائيلي يطلب ما يريد،

والكونجرس يصوت لإعطائه ما يطلب، بخلاف المساعدات التي ترسل إلى أية دولة أخرى، والتي تخصص للتغذية في المدارس، وللأمهات الحوامل، أو لتطوير برامج الضمان الاجتماعي؛ فهذه وحدها تكون موضع أسئلة، حتى إن دولة ذات أربعة ملايين من السكان تحصل على حوالي ثلث المساعدات الأمريكية الخارجية.

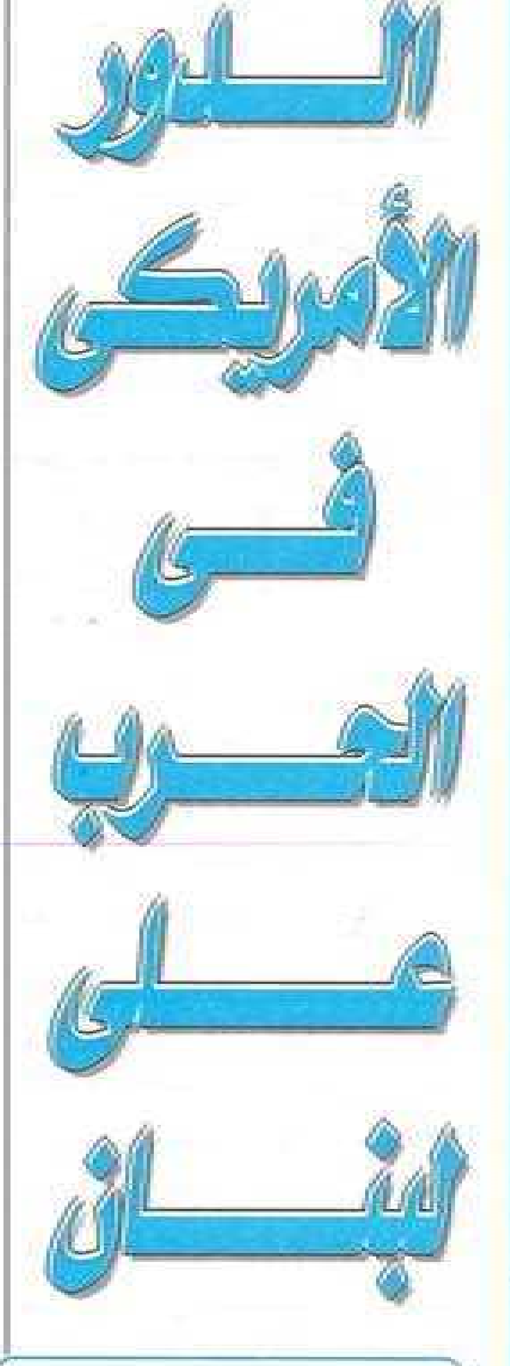
ولما سألته عن سر حرص اللوبي الإسرائيلي على التحالف مع اليمين المسيحي الجديد مادام يحقق أغراضه عن طريق الديموقراطيين الأمريكيين، أجاب بأن ذلك اللوبي الإسرائيلي يجعله يحرص على إقامة صداقات مع المحافظين من الجمهوريين الذين يتبعون «فولويل» وغيره، مع احتفاظه بأصدقائه التقليديين من الديمقراطيين الليبراليين؛ ليضمن قدرته على الفوز دائمًا بالإجماع على إقرار سياسته إزاء الشرق الأوسط... بل أكثر من ذلك: يضمن قدرته على التحكم في مناصب الإدارة الأمريكية؛ فلا يفوز بأي منصب في الإدارة الأمريكية إلا من كان صديقًا لإسرائيل.

يؤكد ذلك... واقعي الحالي: فأنا مثلاً لم أفز بمقعد في الكونجرس لأنني دعوت إلى معالجة متوازنة لمشكلة الشرق الأوسط، ففسر اللوبي الإسرائيلي تلك الدعوة بأنها انتقاد لإسرائيل، وهم لا يقبلون أي انتقاد لها في الكونجرس، ولا في الصحافة، ولا في الجامعات، حتى لقد أصبح انتقاد إسرائيل أمرًا مساويًا للاسامية.

ويؤكد كذلك... عمل هذا اللوبي على إسقاط «تشارلز بيرسي» الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس، مستعينين في ذلك بـ«ريتشارد فيجاري» مساعد «فولويل»، وأحد مؤسسي «الأكثرية المعنوية»؛ لأن «بيرسي» صوّت بالموافقة على صفقة طائرات الإنذار المبكر للعربية السعودية سنة ١٩٨١؛ على الرغم من أنه كان مؤيدًا لكل تشريعات المساعدة لإسرائيل.

واللوبي الإسرائيلي كما وظف اليمين المسيحي في إلحاق الهزيمة بمن لا يرضى عنهم... كذلك وظفه في تغيير عقول مشرعين غير صهيونيين وقلوبهم. والسيناتور «جيمس هلمز» أوضح مثال على ذلك، فقد كان حتى سنة ١٩٨٥ واحدًا من أكثر منتقدي العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ولكنه باستجابته لصديقه «فولويل»، وتأثره بأفكاره.. قام فجأة بدورة عكسية كاملة (١٨٠ درجة)، حيث بدأ بامتداح إسرائيل على منصة مجلس الشيوخ، بدلاً من انتقادها، والدعوة إلى قطع العلاقات معها بسبب غزوها لبنان، وأبلغ زملاءه أنه قرر تلبية دعوة تلقاها لزيارة الدولة اليهودية.

يتبع



الدور الأمريكى فى الحرب على لبنان



للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يتساءل بعض المحللين الإسرائيليين: كيف اتخذ الثلاثي «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلي، و«عامير بيرتس» وزير الدفاع، و«دان حالوتس» رئيس هيئة الأركان، قرارهم بشن الحرب، بعد ساعات قليلة من عملية اختطاف الجنديين الإسرائيليين التى تسمى عملية «الوعد الصادق» التى قام بها مقاتلو حزب الله؟.

وهل كان ثمة اتفاق مسبق بين كبار مسئولي الإدارة الأمريكية لشن الحرب على حزب الله فى لبنان، عندما تحين ذريعة مناسبة؟.

وهل الأمريكيون هم الذين دفعوا إسرائيل إلى شن الحرب فى الثانى عشر من يوليو ٢٠٠٦، وبعد ذلك حرضوهم على الاستمرار فى هذه الحرب التى استمرت ثلاثة وثلاثين يوما متواصلة حتى صدور قرار مجلس الأمن الدولى رقم ١٧٠١ فى الثانى عشر من أغسطس ٢٠٠٦؟.

وهل يوجد قاسم مشترك بين الحرب الإسرائيلية على غزة والحرب على لبنان؟.

وهل هما حرب واحدة؟.

فى هذا السياق يتحدث المحلل الإسرائيلي «أورى أفنيرى» فى صحيفة «معاريف» الإسرائيلية فى ٢٦/٨/٢٠٠٦ فيقول:

«هما حرب واحدة، و الاسم المناسب لهما هو «حرب المستعمرات»، فإن الحرب ضد الشعب الفلسطيني تدور من أجل الحفاظ على التكتلات الاستعمارية «المستوطنات»، ومن أجل ضم أجزاء كبيرة من أراضى الضفة، كما أن الحرب تدور فى شمال إسرائيل «الحرب على لبنان» كانت أيضا من أجل الحفاظ على المستعمرات القائمة فى هضبة الجولان السورية».

ويضيف قوله: «لقد تنامت قوة حزب الله وقويت شوكته بفضل مساندة سوريا التى كانت تسيطر على لبنان قبل الانسحاب منها، فقد كان «حافظ الأسد» يعتبر إعادة هضبة الجولان إلى سوريا بمثابة هدف حياته، فقد عمد إلى مساندة وتسليح حزب الله، لكى يضمن بهذا أن إسرائيل لن تنعم بالراحة حتى تعيد هضبة الجولان إلى السوريين، وها هو الأسد الابن، يسير على درب أبيه، وأنه بدون مساندة السوريين لحزب الله، لن يكون بإمكان إيران إمداد الحزب بالأسلحة».. ويرى «جيمس بينزى» السفير الأمريكي السابق أن «إسرائيل والولايات المتحدة كانتا تدرسان، بالتأكيد، «خطط مواجهة إيران»، واحتمالات قيام طهران باستغلال «حزب الله» من أجل تهديد أمن إسرائيل، فى حالة تصعيد الخلاف معها بشأن ملفها النووى».

وجاء فى افتتاحية صحيفة «ها آرتس» الإسرائيلية فى ٢/٨/٢٠٠٦: «أن هناك جدلاً دائرا فى الأوساط السياسية الإسرائيلية حول مدى سيطرة طهران على ما يحدث فى لبنان بين من يعتبرون حزب الله «حركة لبنانية مستقلة» تعمل من أجل أهداف «لبنانية» مثل استرجاع مزارع شبعا المحتلة، وبين من يصفونه بأنه «الموقع الأمامى لإيران» على حد قول «عامير بيرتس» وزير الدفاع الإسرائيلي.. وتضيف الصحيفة فى افتتاحيتها قائلة: «وقد سبق أن زعم «أولمرت» أن إيران ابتدعت الأزمة فى الشمال من أجل صرف الانتباه عن برنامجها النووى. وإذا فشلت الدبلوماسية الدولية فى مواجهة إيران، فإن تفكيك منظومة صواريخ حزب الله، على أقل تقدير، سيقلل الخطر على الجبهة الداخلية الإسرائيلية، حال القيام بعملية عسكرية لتدمير المنشآت النووية الإيرانية».



حسن نصر الله

ذرائع للسيطرة على العالم

ومن ثم تعتبر إيران أحد أهداف الحرب الإسرائيلية على حزب الله فى لبنان، وربما هى الهدف الرئيسى لها، وأن إسرائيل والولايات المتحدة، كانتا تتحينان الفرصة المناسبة لتجريد إيران من أحد مصادر قوتها، بإضعاف أحد أبرز «حلفائها»، وهو «حزب الله» وفى ضوء ذلك يمكن القول إن واقعة اختطاف الجنديين الإسرائيليين مجرد ذريعة لإسرائيل والولايات المتحدة لشن الحرب على لبنان، مثلما كانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ذريعة للحرب الكونية على الإرهاب، ومثلما كان امتلاك أسلحة الدمار الشامل ذريعة أيضا لغزو واحتلال العراق. وفى هذا السياق يتساءل الكثير من المراقبين: هل استخدمت الولايات المتحدة «إسرائيل» فى حرب بالوكالة ضد حزب الله، ومن ثم إيران؟.. أم أن العكس هو أن إسرائيل هى التى سعت إلى طلب الحماية



من الولايات المتحدة، وتوسلت إليها من أجل شن حرب جديدة من حروبها الدموية ضد الدول العربية؟..

ويعتقد بعض المحللين السياسيين أن إدراك الولايات المتحدة وإسرائيل استحالة نزع سلاح حزب الله بضغط سياسى من ناحية، وتنامى احتمالات المواجهة العسكرية مع إيران بسبب تطور برنامجها النووى، ونجاحها فى عملية تخصيب اليورانيوم من ناحية أخرى هو الذى دفع الإدارة الأمريكية إلى حث إسرائيل على تحين أية فرصة مناسبة لتوجيه ضربة عسكرية ساحقة لحزب الله فى لبنان، الذى يمثل أحد المواقع الأمامية لإيران فى المنطقة. لذلك استغلت إسرائيل عملية «الوعد الصادق» بقيام حزب الله بخطف الجنديين الإسرائيليين، وقامت بتوظيف هذه الأزمة لتنفيذ خطط أعدت سابقًا من قبل الولايات المتحدة لتخليق شرق أوسط جديد عبر تدمير البنية العسكرية لحزب الله فى لبنان الذى يتم دعمه عسكريًا وماليًا من إيران عبر سوريا، ويرى بعض المراقبين أنه كان أمام إسرائيل خيارات عدة لتفادى هذه الأزمة الطارئة، فإما القبول بمبدأ تبادل الأسرى أو التصعيد بالضغوط الدبلوماسية أو القيام بعملية عسكرية محدودة للإفراج عن الجنديين الأسيرين الإسرائيليين.

التخطيط الأمريكى للعدوان الإسرائيلى

كما ذكر «سيمور هيرش» فى مقاله بصحيفة «نيويوركر» الأمريكية بتاريخ ٢١/٨/٢٠٠٦: «أن إدارة بوش متورطة فى التخطيط للهجمات الإسرائيلية على لبنان، وأن الرئيس الأمريكى بوش ونائبه ديك تشينى، على قناعة تامة بأن شن عدة طلعات جوية ناجحة ضد حزب الله، وضد صواريخه الموجودة تحت الأرض، ستزيل المخاوف الأمنية لإسرائيل، وتخدم كعملية تمهيدية لهجوم أمريكى استباقى فى المستقبل لتدمير المنشآت النووية الإيرانية، التى يوجد بعضها تحت الأرض».. ومن جهة أخرى ذكر المحلل السياسى «ماثيو كالمن» فى مقال له بصحيفة «لورنتكال فورين سيرفس»: «أن الحرب التى تقوم بها إسرائيل الآن فى لبنان، وضعت خطتها النهائية، منذ أكثر من سنة، وتم شرحها للأمريكيين، وأنه منذ عام ١٩٤٨، فإن إسرائيل تعتبر الحرب على لبنان هى من أكثر الحروب التى استعدت لها».

وفى هذا الإطار كتب المحلل الإسرائيلى «ألوف بن» فى جريدة «ها آرتس» فى ٢١/٧/٢٠٠٦ على لسان «مائير دجان» مسئول الموساد يقول: «إن لجنة الحوار الاستراتيجى الأمريكى ـ الإسرائيلى ناقشت فى اجتماعها الأخير نهاية مارس ٢٠٠٦ إمكان قيام الجيش الإسرائيلى بعملية واسعة ضد أهداف وقواعد ورموز حزب الله، وأن الجانب الأمريكى قد تعهد بتقديم الغطاء السياسى الكامل لمثل هذه العملية».

آلام مخاض لشرق أوسط جديد !!

وتذكر بعض المصادر الإسرائيلية أن «الإطار العام لهذه الحرب، وأهدافها وتسلسلها الزمنى قد جرى الإعداد له فى واشنطن، فى إطار لجنة



الحوار الاستراتيجى الأمريكى ـ الإسرائيلى، وأن الإعداد والتحضير لهذه الحرب، تم منذ عدة سنوات».

وتضيف هذه المصادر أنه: «منذ بضعة أشهر توجه فريق من الخبراء العسكريين الإسرائيليين إلى واشنطن، وعقدوا عدة اجتماعات مشتركة، بعلم الرئيس الأمريكى «بوش»، ولقد انتهت هذه اللقاءات الأمريكية ـ الإسرائيلية بالاتفاق على تحديد ساعة الصفر لشن الحرب على لبنان، واقتلاع جذور حزب الله، وأن يكون التوقيت متزامنا مع أى حادث عابر على الحدود»..

وفى إطار مواجهة الحملة العسكرية على لبنان كان أمام حزب الله أربعة خيارات رئيسية.

الأول: إجبار العدو الإسرائيلى على القيام بعمليات هجومية برية ضد حصون دفاعية معدة جيداً، لتكبيده خسائر كبيرة فى العتاد والأفراد.

والثانى: إغراء القوات الإسرائيلية بالتوغل إلى أعماق الأراضى اللبنانية، لتوسيع مسرح العمليات، بحيث تقاتل هذه القوات عبر خطوط إمداد بالغة الطول، وهو ما يؤدى إلى إنهاكها، الأمر الذى يجعل تدميرها سهلاً.

والثالث: انتهاج أساليب العصابات بهجومها المباغت على القوات الإسرائيلية، بحيث يصعب انسحابها، وهو ما يؤدى إلى تكبيدها خسائر جسيمة فى الأرواح.

والرابع: استخدام الضربات الصاروخية على المدن والأهداف الحيوية الإسرائيلية، لتأليب الرأى العام فى إسرائيل على الحكومة من أجل وقف إطلاق النار.. وهو ما حدث بالفعل، فقد نجحت قيادة حزب الله فى توظيف هذه الورقة لصالحها بحكمة واقتدار.

القرار (١٧٠١) أنقذ إسرائيل

ومن ناحية أخرى عندما ظهرت بوادر الهزيمة العسكرية الإسرائيلية، سارع الرئيس الأمريكى «بوش» إلى إيفاد وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزا رايس» مرة أخرى إلى المنطقة للعمل على إنقاذ إسرائيل من مزيد من الخسائر فى العتاد والأرواح، برغم أنه كان يرفض من قبل حتى مجرد الحديث عن وقف إطلاق النار فى الأسبوعين الأولين من الحرب على لبنان.

ومن هنا عملت الإدارة الأمريكية بكل جهد ممكن على استصدار قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، لانتشال إسرائيل من هزيمة محققة، كادت أن تقضى على المستقبل السياسى لكل من «إيهود أولمرت»، و«عامير بيريتس»، و«دان حالوتس»، ويرى الكثير من المحللين السياسيين أن الحرب على لبنان لم تكن سوى جزء من استراتيجية الحرب على الإرهاب التى جرى فى سياقها توزيع محكم للأدوار بين الولايات المتحدة الأمريكية الطامحة للهيمنة المنفردة على العالم، وإسرائيل الطامحة للهيمنة المنفردة على الشرق الأوسط، بحيث تتولى هى التعامل مع الحركات الإرهابية من أمثال: حماس، والجهاد، وحزب الله، بينما تقود الولايات المتحدة التعامل مع سوريا،

وإيران، وكوريا الشمالية، إذ لم تكن الحرب على أفغانستان والعراق سوى مقدمات كان مخططًا لها أن تنتهي بالحرب على إيران وسوريا عبر لبنان.

إيران وسوريا .. المستهدف الحقيقى

ومن هنا اتجه المخطط الأمريكي ـ الإسرائيلي إلى استخدام القوة لتحقيق الهدف المرسوم سلفا، وضرب لبنان عسكريا، والقضاء على قدرات حزب الله العسكرية الذى يمثل، فى المنظور الأمريكي ـ الإسرائيلي، الموقع الطليعي لإيران فى المنطقة، وما كانت عملية «الوعد الصادق» إلا ذريعة اتخذتها إسرائيل لشن الحرب على لبنان. وفى هذا السياق يقول «محمود جارييف» الخبير العسكرى الروسى، ورئيس أكاديمية العلوم الروسية: «إن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أعدتا لهذه الحرب، وما عملية أسر الجنديين الإسرائيليين سوى ذريعة استغلتها إسرائيل للحرب على لبنان، وأن المستهدف فى الحقيقة، إيران وسوريا، لجرهما إلى الحرب لإتاحة الفرصة أمام الولايات المتحدة لضربهما عسكريًا باعتبارهما ممانعتين للمشروع الأمريكي للهيمنة على الشرق الأوسط». واللافت فى هذا المقام أن الرئيس الأمريكي «جورج بوش» أعرب عن دعمه الشخصي الشديد للعدوان الإسرائيلي على لبنان، خلال الاجتماع الذى جرى فى البيت الأبيض مع «إيهود أولمرت» يوم ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٦، وقد وافق «أولمرت» و«بوش» على أن حملة عسكرية ضد حزب الله فى الجنوب اللبناني، قد تقضى قضاء مبرمًا على هذه الجماعة المارقة، وهو ما يبعث الهلع فى نفوس حليفتيها: إيران وسوريا، الدولتين اللتين يعتبرهما «بوش» العقبتين الرئيسيتين فى إطار مشروع ما يسمى «الشرق الأوسط الجديد»، ولكن الله خيب ظنه، وأخفقت إسرائيل وعجزت عن حسم المعركة لصالحها، ورسبت فى الاختبار الأمريكي لها، وانتصر حزب الله بفضل صمود الشعب اللبناني العظيم.

وأخيرًا

وفى الختام يمكن القول: بأن المخطط المشترك بين الولايات المتحدة وإسرائيل كان يتركز على تصعيد عسكرى مفرط من قبل القوات العسكرية الإسرائيلية، والحرص على استكمال الحرب حتى النهاية، مهما كان حجم الخسائر، بحيث يمكن تدمير البنية العسكرية لحزب الله، والإمساك بقياداته وعلى رأسهم «حسن نصر الله»، وإخضاع لبنان أمريكيًا وإسرائيليًا، وتشكيل حكومة لبنانية موالية للولايات المتحدة، وفى نفس الوقت، تدين بالولاء لإسرائيل، وهو ما يدفع إلى نوع من فك الارتباط بين حزب الله وإيران، وبالتالى يمهد الطريق أمام الولايات المتحدة إلى تصفية البرنامج النووى الإيرانى، والتفرغ لسوريا، وتشكيل المنطقة لتكون أكثر مطاوعة للسياسات الأمريكية، وخلق شرق أوسط جديد، خاليًا من حركات المقاومة، التى تعتبر فى الرؤية الأمريكية «حركات إرهابية».

الحج.. توحيد لله.. ووحدة للأمة

للأستاذ / عادل خفاجة

روى الشافعى فى مسنده عن ابن عباس أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «من خير ثيابكم البياض فليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»[1].

وها هم عباد الرحمن قد جاءوا لزيارة ربهم فى ثياب بيض داعين ربهم أن ينقيهم من الخطايا والذنوب والآثام كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، مبتهلين له ـ سبحانه ـ قائلين: «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك لبيك».

فجميع الحجيج على اختلاف ألسنتهم يلهجون إلى الله ـ تعالى ـ بهذه التلبية معلنين إيمانهم بالله الواحد الأحد الفرد الصمد.

نعم.. لا شريك لك يارب.. فالكون كله يشهد لك بالوحدانية..

«لا شريك لك يارب» هى النتيجة التى أعلنها أبو الأنبياء إبراهيم مخاطبا بها أصحاب العقول السليمة.

فالتفكير السوى يؤدى بصاحبه إلى الإيمان بخالق هذا الوجود والإقرار له بالوحدانية، إذ تعدد الآلهة يؤدى إلى فساد الكون وهى حقيقة منطقية أشار إليها الخالق ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم حيث يقول:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

(الأنبياء/ ٢٢)

فالتوحيد وإقرار العبودية لله ـ تعالى ـ رسالة كل الأنبياء، ونبذ عبادة الأوثان إنما هو احترام لذات الإنسان وعقله.

لذلك كان منهج أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه

(١) صحيح البخارى جـ١ ص٢٥٩.

وعلى نبينا الصلاة والسلام- منهجا عقليا للتدليل على وحدانية الله، لما وجده من فساد في عقيدة قومه، حيث عبدوا الأصنام والكواكب.

لقد حطم نبي الله إبراهيم الأصنام، ليعود الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وأمره الله تعالى ببناء البيت، لتكون العبادة خالصة لله ـ سبحانه وتعالى-.

«ولما فرغ من بناء البيت أمره الله ـ تعالى ـ أن يدعو الناس إلى الحج فصعد «بأبي قبيس» وقال: ألا إن الله ـ تعالى ـ أمر ببناء بيت له، وقد بنى فحجوه، فبلّغ الله صوته للناس في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم فمنهم من أجاب مرة ومنهم من أجاب مرتين وأكثر من ذلك، وعلى حسب جوابهم يحجون»[٢].

فتلبية الحجيج إنما هي إجابة لدعاء نبي الله إبراهيم -عليه السلام- ذلك الدعاء الذي أمره الله ـ تعالى ـ به في قوله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

الحج / ٢٧

ولا يصير الحاج محرماً بمجرد النية ما لم يأت بالتلبية[٣].

والمستحب رفع الصوت بالتلبية؛ وقد روى أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أتاني جبريل ـ عليه السلام ـ فأمرني أن آمر أمتي ـ أو من معي ـ بأن يرفعوا أصواتهم بالتلبية»[٤] وقال ﷺ: «أفضل الحج العج والثج»[٥] فالعج: رفع الصوت بالتلبية، وفيها إعلاء لكلمة التوحيد.

والثج: إراقة الدماء، وفيها ما فيها من التوسعة على الفقراء؛ لقوله تعالى:

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ الحج / ٢٨.

إن كلمات التلبية لابد أن تصدر عن القلب، ولا يجب أن تكون مجرد ألفاظ تخرج من اللسان إذ هي في حقيقة الأمر تابعة من عقيدة تدل على تخلص العبد من كل مظاهر الشرك وإلا فلن يكون صادقا من رجع من حجه معظما للمال مقدسا أصحاب الجاه والسلطان. إذ أنه يجب عليه أن يتيقن دائما أن الله -سبحانه وتعالى- وحده هو الذي بيده العطاء وهو -سبحانه- المعطي وهو النافع ولا أحد سواه.

وإذا كان نبي الله وخليله إبراهيم قد دعا ربه أن يجنبه عبادة الأصنام؛ حيث قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾

إبراهيم / ٣٥

إذا كان هذا هو حال نبي الله والأنبياء أعرف البشر بحقوق ربهم فكيف الحال مع غير الأنبياء وبماذا يدعون ربهم؟!

«٢» المبسوط ج٤ ص٣.

«٣» المرجع السابق.

«٤» الموطأ ـ رواية يحيى الليثي ح١.

«٥» مسند الشافعي ترتيب السندي.

من أجل ذلك وخروجاً من الحيرة التي لابد أن يقع فيها ذلك الإنسان -المخلوق- أمام الله -الخالق- جاءت هداية الله له تحديدا لمكان التوجه وتحديدا لكلمات التلبية.. ومن أوضح ما قيل في هذا الشأن ما كتبه فضيلة الأستاذ طه حبيب بمجلة الأزهر إذ يقول:

«وإذا كان التفكير الصحيح يهدي إلى الرشد وإلى الإيمان بواجب الوجود وإلى أنه الخالق الرازق المعطي الوهاب المنعم بجلائل النعم ودقائقها. فهو -أيضا- يهدي المتأمل إلى أن ذلك الخالق البارىء يستوجب الشكر، وأن على الإنسان أن يعبده شكرا له على تلك النعم الباطنة والظاهرة، غير أن العقل إذا اهتدى إلى ذلك قد يحار في كيفية عبادة الرحيم الرحمن، إذ لا يستطيع أن يدرك ما يليق به من تعظيم، إذ كيف يستطيع العبد الضعيف المحتاج إلى مولاه في وجوده وبقائه -إدراك ما يناسب ذلك المنعم من خشوع وخضوع، وإلى ما يناسب العظمة التي لا نهاية لها من تعظيم وثناء، إلى ما يصح في حقه من توسل ومناجاة، كيف يستطيع أن يصل إلى شيء من هذا والمولى - جل وعلا - وجوده مطلق لا يتقيد بمكان ولا ينحصر في جهة ولا يحده زمان، فإلى أي جهة يتوجه في عبادته لا شك تعتور الإنسان الحيرة في أداء ما هو واجب عليه نحو الذي خلقه فسواه وأنشأه وعلمه وهداه وأرشده، ولا يخفى مع هذا أن الإنسان عاجز عن التوجه إلى موجود لا يستطيع إدراكه.

فخروجا من تلك الحيرة منّ الله على عباده فعين لهم مكانا سماه بيته، وأضافه إلى نفسه تنزل فيه رحمته ويتجلى فيه رضاه، وجعل التوجه إليه كافيا في عبادته، بعد أن طهر مكانه من الرجس والأوثان، وطلب إليهم التوجه في عبادتهم إليه، وأن يقصده من استطاع إليه سبيلا في العمر مرة، وكان ذلك منه -سبحانه- دفعا للحرج عن الخلق لأنه لو كلفهم بعبادته وقد دلهم بالعقل والشرع على أنه ليس كمثله شيء دون أن يجعل لهم مكانا يكون توجههم إليه كتوجههم إلى ذاته، لتحيروا كيف يتجهون»[٦].

وبعد

فلقد أنعم الله على عباده بتحديد بيته الذي يجب أن يتوجهوا إليه.. وبصفة العبادة التي يجب أن يأتوا بها أفعالا وأقوالا ومن على حجاج بيته بأن يشهدوا منافع لهم.

فهل هناك ـ بعد أن نطقوا بكلمة التوحيد ومارسوها قولاً وعملاً ـ هل هناك أولى من منفعة العمل على اتحاد كلمتهم وهذا قول ربهم جل شأنه:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

آل عمران / ١٠٣

أما آن لحكماء الأمة الإسلامية وحكامها أن يسعوا إلى لم شتات هذه الأمة؟! وقد كشف لهم الرداء الأبيض عن مقولة - أشد بياضا، لا يخالطها كدر - تظهر لكل حاج هي: ماذا تقول لربك غداً؟!

«٦» طه حبيب: مجلة الأزهر ص٦٩٥ : ٦٩٦ المجلد الثالث سنة ١٣٥١هـ.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

الفوضى الخلاقة

أخيرا أسدل قضاء مصر الشامخ الستار على مهزلة ما عرف مؤخر بـ «قضية البهائية»، حيث ألغت المحكمة الإدارية العليا حكم القضاء الإدارى بالاعتراف بالبهائية، وأكدت عدم جواز إثباتها فى أى مستند صادر من الجهات الرسمية للدولة كديانة.

ورفضت المحكمة دعوى مواطن مصرى وزوجته وابنتيهما بإثبات دياناتهم البهائية فى الأوراق الرسمية.

المحكمة الإدارية العليا أكدت فى حكمها أن الدساتير المصرية المتعاقبة كفلت حرية العقيدة، وإقامة الشعائر الدينية، وأكدت أيضا أن الدستور يكفل حرية ممارسة شعائر الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية، أما البهائية فهى كما أجمع أئمة المسلمين، وقضاء المحكمتين الدستورية والإدارية العليا ليست من الأديان السماوية، وأن من يدين بها من المسلمين يعتبر مرتداً، حيث إن البهائيين ينكرون أن يكون سيدنا محمد ﷺ هو خاتم النبيين، وتجاوزوا ذلك، وادعو الألوهية لبعض زعمائهم.

انتهت المحكمة إلى أن البهائية لا تعد ديانة، وبالتالى لا يجوز لمصلحة الأحوال المدنية إثباتها فى أى من المستندات والوثائق التى تصدرها كشهادات الميلاد وبطاقات الرقم القومى.

المؤكد أن الحكم لم يأت بجديد بشأن البهائية والبهائيين فقد سبق وأن أدلى علماء الأمة الإسلامية وفى مقدمتهم علماء الأزهر الشريف بدلوهم فى هذا الأمر وقرروا أن معتنق البهائية كافر لا دين له.

لكن المؤكد أن الحكم مثل بلاشك ضربة قوية ومؤثرة لدعاة «الفوضى الخلاقة» ذلك الشعار البغيض الذى

ابتكره رعاة الديمقراطية فى معتقلات «جوانتانامو» و«أبوغريب» وغيرها من المؤسسات الأمريكية التى جرى إنشاؤها كنواة لإنشاء نظام عالمى جديد خاضع تماما للتوجه الامريكى الذى لا يجد بغيته إلا من خلال الفوضى.. فوضى فى السياسة كما هو الحال فى العراق الذى تحول إلى بحيرة من الدماء تسبح فيها أشلاء الضحايا المقهورين، وفوضى دينية كما حاولوا أن يفعلوا فى مصر من خلال تأييدهم للبهائية لا حباً فيها ولكن بحثاً عن فوضى مدمرة من خلال البهائية وغير البهائية.. فضلا عن محاولة فاشلة لإثارة فوضى طائفية فى لبنان.

والسؤال لماذا الإصرار على إغراق الدول العربية فى الفوضى وبوجه خاص الدول التى لها حدود مع إسرائيل أو تقع على مقربة منها؟!

أعتقد ان السؤال لا يحتاج منا إلى إجابة ولكنه يحتاج منا إلى اليقظة لضرب مخطط «الفوضى الخلاقة»، وتأمل ألا يكون ما حدث فى جامعة الأزهر ـ من أحداث تبعد كل البعد عن التقاليد الجامعية ـ ضمن المخطط نفسه، لأننا نأبى أن يتورط مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فى مخططات لا تخدم سوى أعداء الأمة.

أحمد تقى الدين

وقفات عاجلة مع فريضة الحج!

تحت هذا العنوان جاءت كلمة فضيلة الشيخ/ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - القاهرة - فقال:

• الحج.. هو فريضة الإسلام العظمى وشعيرته الكبرى وعبادته التى بها يبتلى المسلم فى عبوديته لربه ويختبر فى استسلامه لمولاه، وإن المرء ليعجب كل العجب.. فقد يبخل بماله حينا ويضن بنفسه عن إتعابها أو إرهاقها أحيانا غير أنه مع فريضة «الحج» له شأن آخر.. فبرغم المشاق المحتملة والتكاليف الباهظة التى تزداد عاما بعد عام إلا ان الشوق أغلى، والتطلع لزيارة بيت الله العتيق أسمى، وبذل المال والنفس وتحمل فراق الأهل والأوطان فى سبيل أداء تلك الفريضة العظيمة هى أمل الصادقين ورجاء الصالحين على مر الأيام والسنين.

• حين تهب علينا نسائم الحج وتقبل أيامه المباركات تتجلى فى أفق الذكريات العاطرة شخصية خليل الرحمن سيدنا إبراهيم الخليل الجليل -عليه السلام- وتتبدى فى بصائر الحجيج وغيرهم صورته هو وولده إسماعيل -عليهما السلام- وهما يرفعان -بأمر الله- قواعد

البيت الحرام فيختلط العمل الدءوب بالدعاء والرجاء.. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(البقرة: ١٢٧)

فإذا بالمسلم فى كل زمان ومكان تتوثق فى نفسه عرى الإيمان بينه وبين من طهر له البيت من الشرك ليطوف ويسعى ملبيا باسم الإله الواحد الذى لاشريك له.

● كما يأتى الحج فتداعب أنسام الذكريات العبقة قلوب الموحدين فيتذكرون -ساعين ومهرولين- أمهم العظيمة التى حفرت على جبين الزمان خطوات الكد واللهث واللهفة والحنان فى واد «غير ذى زرع» عند البيت الحرام لتكون مثالا وأسوة للمرأة المسلمة عبر الزمان وهى تصب من نبع حنانها لتغسل العنت والمشقة عن صغارها.. تسعى -هاجر (عليها اسلام)- وتهرول وهى على يقين بأنه إذا كان الزوج غاب فإن الله -سبحانه- «علام الغيوب» فإذا بزمزم الخير تتفجر من تحت أقدام الرضيع.

● لقد شاء ربك أن يكون «الحج عرفة» وما عرفة؟ جبل من جبال مكة به يكون الحج وفى ذلك -والله تعالى أعلم- إشارة إلى أن شرط قبول الأعمال أن تكون هذه الأمة هامتها مرفوعة ومكانتها عالية لاترضى بالسفوح بل عليها أن ترتفع وترتقى وتسمو وتعلو.. ولن يكون ذلك إلا بالتوحيد الخالص والإيمان الرائق الذى لايشوبه شرك أو نفاق. قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران: ١٣٩)

فالإيمان الحق بالله تعالى يصون الأمة من التردى والحزن والهوان وفى نفس سورة «الحج» يحذر الله تعالى من الإشراك به فيقول عز وجل:

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

(الحج: ٣١)

● ألا ما أجمل وأكمل أن يولد المرء من جديد فلو كان ذلك لاخترنا أن تكون أجمل وأكمل وأفضل ولفتحنا مع ربنا -جلّ وعلا- صفحة جديدة.. وهذا ما يفعله الحج المبرور مع المسلم.. فهو كما أخبر البشير النذير -عليه الصلاة والسلام- بقوله: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه البخارى وغيره.

وكم للحج من فوائد؟!

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ محروس عبدالفتاح يس إمام وخطيب ومدرس بأوقاف الإسماعيلية:

الأصل فى الدين والحق أن يتعارف الناس ويلتقوا لا أن يتفرقوا ويختلفوا فالله -عز وجل- يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

فالمسلمون أينما كانوا وحيثما وجدوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

والحج فرصة سنوية طيبة أتاحها الله -تبارك وتعالى- للأمة المسلمة كى تجتمع حول بيته الحرام ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله -جل ثناؤه- يقول تقدست أسماؤه:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾

(الحج: ٢٧، ٢٨)

والمنافع المقصودة -هنا- تشمل المادية منها والمعنوية إذ أن تنكير لفظ «منافع» يفيد العموم والشمول.

وإن من فوائد الحج العظمى ونتائجه الكبرى التى يعود نفعها على المسلمين فى شتى الأرجاء أن يتدارس علماؤنا ومفكرونا مشكلات العالم الإسلامى ويضعوا حلولا مناسبة لكل مشكلة، لتخرج هذه الحلول من حيز النظرية إلى حيز التطبيق، فتزول عاما بعد عام العوقات المانعة للأمة من استعادة غابر مجدها واسترداد سالف عزها فتصبح أمة السيادة والريادة والقيادة وخير أمة أخرجت للناس كما أرادها الحكيم العليم.

●●●

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

كفى أنك ابن عم رسول الله ﷺ

أتى رجل عبيد الله بن العباس، وهو جالس بفنائه، فقال: له يا بن عم رسول الله، لقد جئتك فى حاجة، وإن لى عندك يداً وقد احتجت إليها.

فأخذ عبيد الله يصوب نظره فى الرجل ويصعده، ثم قال له: كأنى لم أرك من قبل يا أخا العرب فما يدك عندى؟

فقال: رأيتك من أعوام واقفاً بزمزم، وغلامك يمتاح إليك من مائها، والشمس قد صهرتك صهراً، فظللتك بطرف ثيابى حتى شربت.

قال عبيد الله: إنى لأذكر ذلك ولا أنساه، ولابد من مكافأتك، ثم قال لقيمه: ما عندك؟ قال: مائتا دينار، وعشرة آلاف درهم، فقال: ادفعها إليه، وما أراها تفى بحقك.

قال الرجل: كفى إنك ابن عم رسول الله فماذا أقول بعد هذا؟

نصيحة

عن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنه قال فى خطبة له: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾

(المائدة: ١٠٥)

وإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «ما من قوم عملوا بالمعاصى، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده».

فضيلة الحياء

● روى أبوسلمة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحياء شعبة من شعب الإيمان».

● وقال بعض الحكماء: «من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه».

● وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

يظن بعض الغفل أن الحياء ضعف فى النفس، والحقيقة أن عدمه هو الضعف، فإن التوقح لايزال يدفع صاحبه لغشيان المخجلات حتى يسقط اعتباره، ومن انتهى إلى هذه الدركة هلك لا محالة.

الهم بالمعصية

لم يؤاخذ الله ـ تعالى ـ أحداً من خلقه على الهم بالمعصية إلا فى المسجد الحرام:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الحج: ٢٥)

لأنه المكان المقدس الذى يجب أن يكون فيه الإنسان نقى القلب، طاهر النفس، صافى السريرة، خالصاً بكليته لله، فمن ينتهك حرمة الملك فى حماه جدير بالجحيم والعذاب الأليم.

يربطون الحجارة

دخل أعرابى مدينة لأول مرة، فهاجمته كلابها وكادت تعضه، فأراد أن يأخذ حجراً من الأرض فاستعصى، فقال: غفر الله لأهل هذه القرية يطلقون الكلاب، ويربطون الحجارة.

طرفة صوفية

غضب سلطان المغرب على بعض من خرجوا عليه، وأمر بقتلهم، فبلغ الخبر الشيخ أبا مدين وكان ذا منزلة عند السلطان، فلما وصل إلى داره ورأى القوم بكى، وأخبر السلطان بمقدمه، فتلقاه وقال:

ما جاء بالشيخ فى هذا الوقت

فقال: هؤلاء، أشفع فيهم.

فقال السلطان: أما تعرف جرمهم وأنهم خرجوا علىّ.

فقال الشيخ: ما على المحسنين من سبيل، وهل الشفاعة إلا فى المسىء.

فسكت السلطان طويلاً، ثم عفا عنهم وهو يقول «ما على المحسنين من سبيل».



وصية

أوصى رجل ابنه فقال له: يا بنى إن كنت فى قوم فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم، ولا تتكبر عن متابعتهم إذا ظهر لك الحق، فإن المتابعة على الصواب أحسن من الابتداء بالخطأ، واعلم يا بنى أن إصابتك الرأى بعد خطأ القوم، أحمد لك من إصابتك قبل كلامهم، فإنه لا يعرف فضل رأيك على غيره إلا بعد المعرفة بما عندهم، فعند ذلك يستبين القول السديد من السفيه، والرأى الرشيد من الكريه.

حقيقة

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها
على الناس وأعلم أنها تتقلب
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا هى تذهب

أسألك الصحبة

قيل إن أعرابية حجت، فلما صارت بالموقف فى عرفات، قالت: «أسألك الصحبة يا كريم الصحبة، وأسألك سترك الذى لا تزيله الرياح، ولا تخترقه الرماح».

هذا أشعر الناس

من لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء أن بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة، وقد نمى خبر المهدى أنه مات، وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك، فقال رافعاً صوته:

مات الخليفة أيها الثقلان

فقالوا: هذا أشعر الناس فإنه نعى الخليفة إلى الإنس والجن فى نصف بيت، وحدت الناس أبصارهم وأسماعهم إليه، فقال:

فكأننى أفطرت فى رمضان

فضحك الناس وصار شهرة فى الحمق.

دعاء

من دعاء زين العابدين بن على:

إلهى ومولاى، ارحمنى مريضاً مطروحاً على الفراش تقلبنى أيدى أحبتى، وارحمنى مطروحاً فى المغتسل يغسلنى أحد أقربائى، وارحمنى محمولاً على جنازتى والناس من حولى، وارحم نومتى فى قبرى ولا أنيس لى غير رحمتك، فأنت أرحم الراحمين.

تنويه

ضاق نطاق العدد عن الفهرس العام لسنة ١٤٢٧ هـ وستنشره فى العدد القادم إن شاء الله.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

استئناف الحكم ضد صحيفة «يولاند بوستن» التى نشرت الرسوم المسيئة للرسول ﷺ

أكد الناطق باسم المنظمات الإسلامية فى الدانمارك «قاسم أحمد» أن المنظمات الإسلامية التى رفعت دعوى ضد صحيفة «يولاند بوستن» التى نشرت الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وصدر حكم بتبرئتها ستستأنف الحكم لأنه حكم سياسى أكثر منه قانونى.. وقال: إن قرار المحكمة لم يبال بمشاعر المسلمين.

ومن جانبه أعلن «أحمد أبولبن» الأمين العام للمنظمات الإسلامية فى الدانمارك عن قلقه من الصورة السيئة والحريات العامة فى الدانمارك وقال إنه سيسعى من خلال الحوار لنقل صورة حقيقية عن الإسلام ومشاعر المسلمين «الأمر الذى سيأخذ وقتاً طويلاً فالقضية ليست مجرد رسوم لكنها أكبر من ذلك».

وكانت محكمة دانماركية قد قضت ببراءة مسئولى صحيفة «يولاند بوستن» التى نشرت الرسوم المسيئة للرسول ﷺ فى سبتمبر «٢٠٠٥»، واعتبر قاضى محكمة «آرهوس» أن هذه الرسوم لم تكن مسيئة ولم تكن تهدف إلى تجريح المسلمين.. وقال نص الحكم: «إنه حتى وإن كان يمكن قراءة النص المصاحب للصور على أنه دعوة للكراهية والازدراء فإن الرسوم لا تحمل طابعاً مسيئاً».

حزب دانماركى يسعى لاستصدار قانون يمنع الطلاب المسلمين من الصيام

يسعى حزب الشعب الدانماركى اليمينى الداعم للحكومة لتمرير قانون من خلال البرلمان يمنع الطلاب المسلمين من الصيام فى رمضان أثناء فترة الدراسة وحضورهم فى المدارس.

وقال ممثل الحزب للتعليم «مارتين هنريكس» إن الأسباب التى دعت الحزب لمحاولة منع الطلاب



المسلمين الصيام فى شهر رمضان هو أن الصيام يؤثر على ذاكرتهم ويجعلهم خمولين فى هذا الشهر وأن الطلاب عادة ما يكونون منزعجين ويغضبون بسرعة وهذا ليس مقبولاً فى مدارسنا حسب رأيه.. وأضاف: وعندما يتم إعداد تقرير بهذا الشأن من وزير التعليم سنتحدث مع الأهالى فى هذا الموضوع وإذا لم يتجاوبوا معنا فسوف نقوم بتقديم وجبات للطلاب أثناء فترة الدراسة.

«٥٠٠ يورو» فقط غرامة الاعتداء على المسلمين فى بلجيكا

عاقبت محكمة فى مدينة «أنتورب» البلجيكية شاباً بلجيكياً بالعمل لمدة «١٧٤» ساعة ومبلغ «٥٠٠ يورو» فقط وذلك لاعتدائه على مجموعة من اللاجئين المسلمين بدافع العنصرية والكراهية للإسلام.

وقع الحادث فى يوليو عام ٢٠٠٤ عندما فوجىء أكثر من «٤٠» لاجئاً بمركز «بروشيم» للاجئين فى مدينة «أنتورب» أثناء نومهم ليلا بأربعة أشخاص بينهم ثلاثة أحداث ويقودهم المتهم الأول «فرانكوس» وقد ارتدى الأربعة الأقنعة وحملوا معهم العصى الغليظة، وقاموا بإيقاظهم وسؤالهم عن الأشخاص المسلمين وكل من أجاب بأنه مسلم قاموا بضربه.

وقد استنجد اللاجئون بالأمن والشرطة ولاذ المتهمون بالفرار.

ولجأ الضحايا إلى المحكمة وإلى مؤسسة المساواة لإقامة دعاوى تعويض ضد المتهمين إلا أن المحكمة أمرت بإيداع المتهمين الثلاثة المراهقين بمؤسسة لرعاية الأحداث وأصدرت حكمها بعد عامين من وقوع الحادث بمعاقبة «فرانكوس» بالعمل لمدة «١٧٤» ساعة والغرامة سالفة الذكر واعتبرت مؤسسة المساواة ببلجيكا هذه العقوبة غير رادعة بالقياس إلى الجرح الذى ارتكبه المتهم!!

المسلمون فى ألمانيا يواجهون التحديات وعدم الاعتراف

أكد «د. محمود أبوالذهب» إمام وخطيب مسجد «أبوبكر الصديق» فى مدينة «فوبرتال» الألمانية أن المسلمين فى مختلف المدن الألمانية يواجهون تحديات غير مسبوقة أهمها عدم الاعتراف بالدين الإسلامى أسوة باعتراف الحكومة الألمانية بالديانة اليهودية وأضاف أن اليهود يستخدمون الإعلام الألمانى لتشويه صورة الإسلام واستعداء الحكومة الألمانية على المسلمين.. مشيراً إلى صعوبة تشكيل حزب دينى أو سياسى.. ومؤكداً أن أوضاع المسلمين فى ألمانيا تشبه أوضاع الجاليات المسلمة فى جميع أنحاء العالم وأن معظم من جاء إلى ألمانيا من المسلمين كانوا من الذين يريدون الدراسة أو يبحثون عن عمل.



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ حافظ محمد حافظ
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية سنغافورة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الخميس الموافق ١٦/١١/٢٠٠٦ - فخامة الرئيس/ س.ر. ناثان - رئيس جمهورية سنغافورة والوفد المرافق لفخامته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف، مشيداً بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، وأن الأزهر يستقبل أبناء سنغافورة للدراسة به حيث إن عدد الدارسين يقارب من ٢٧٢ طالباً وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة، مبينا أن والأزهر الشريف قد أتاح المجال لطلاب سنغافورة وطلاب العالم الإسلامى الدارسين بالأزهر الشريف للالتحاق بالقسم العلمى، مؤكدا على أن الدراسة بالأزهر تقوم على أسس ثابتة:

أولاً: أن الناس جميعاً أخوة فى الإنسانية وكلهم من أب واحد وأم واحدة.

ثانياً: أن لكل إنسان عقيدته، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون..

ثالثاً: نحن لا نؤمن بتصادم الحضارات وإنما نؤمن بأن الحضارات عند العقلاء تتحاور وتتقارب وتتعاون، وبهذا يسود العالم السلام والأمان والرخاء والاطمئنان..

رابعاً: أن الذى يحاسب على العقائد هو الله، فنحن فى مصر نقول إن كل المصريين يتساوون فى الحقوق والواجبات.

كما أبدى فضيلة الإمام الأكبر إعجابه بالمجتمع السنغافورى وذلك أثناء زيارته الأخيرة ودعا فضيلته لدولة سنغافورة بدوام التقدم والرقى.

ومن جانبه أعرب السيد رئيس جمهورية سنغافورة عن بالغ سعادته بهذا اللقاء وحفاوة الاستقبال له وللوفد



المرافق، موضحاً أن ما يقدمه الأزهر لأبناء سنغافورة له الأثر الطيب لدى شعب وحكومة سنغافورة، كما أن هذه الزيارة تأتي في إطار توسيع وتوطيد العلاقات بين سنغافورة والأزهر الشريف، وأنه يتفق تماماً مع آراء فضيلة الإمام الأكبر ويؤيده في كل ما قاله، مؤكداً على أن هناك آراء كثيرة في العالم لابد من فهمها رغم طبيعة الخلافات بين البشر، فنحن نريد نشر آرائكم في كل مكان، وآمل أن كل من يتخرج في الأزهر يحمل تلك الآراء التي تفضلتم بالحديث عنها وبخاصة أبناء سنغافورة لأننا نشجع الحوار مع الأجناس الأخرى ومع العقائد الأخرى وبهذا يكون المجتمع متجانساً متحاباً يعمل لخدمة بلده.

ويستقبل نائب رئيس جمهورية السودان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الخميس الموافق ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٦ - السيد/ سلفا كير - النائب الأول لرئيس جمهورية السودان والوفد المرافق لسيادته، والأستاذ الدكتور/ مفيد شهاب - وزير الدولة لشئون القانون والمجالس النيابية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف، مشيراً إلى أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على السماحة والاعتدال وعلى اعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة وهو مبدأ نعلمه لأبنائنا ونسير عليه في حياتنا وأن العقائد لا إكراه عليها. ونحن في الأزهر لدينا طلاب ينتمون لأكثر من (١٠٤) دول يتعلمون سماحة الدين لينشروه في بلادهم حينما ينتهون من دراستهم في الأزهر، كما أننا في مصر نؤمن بالأخوة الإنسانية إيماناً صادقاً ونحرم العصبية البلهاء كما نحرم العنصرية الذميمة، ونؤيد حق الإنسان في الحياة وهذا ما جاءت به الأديان السماوية.

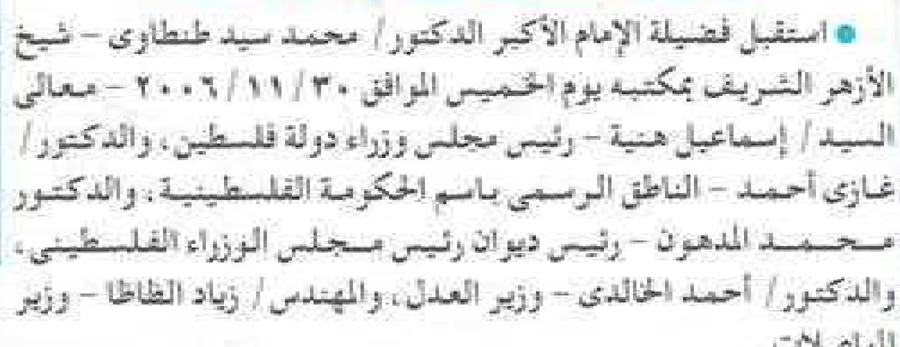
وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أننا في مصر والسودان نعيش على أرض واحدة ونشرب من ماء واحد وتظلنا سماء واحدة ونستنشق هواء واحد، فنحن ضد الحروب وضد العنصرية ونرى في حياتنا العملية أنه حينما تصاب أي أمة بالفتن فهذه الأمة تضعف وتدمر، ونحن ننادى ونؤكد على أهمية الحوار الذى عن طريقه نصل إلى نتائج طيبة تجنبا للفتن.

ومن جانبه شكر السيد/ سلفا كير - فضيلة الإمام الأكبر على استقباله بالأزهر الشريف نظراً لمكانته العالية والذى يزيده شرفاً أن يكون موجوداً به، مشيراً بأنه لا توجد مشاكل في السودان، وأن هناك العديد يفسرون ما يحدث بالسودان طبقاً لأهوائهم وهذا غير صحيح، كما أكد بأهمية التعايش السلمي وتعايش الأديان التي جاءت جميعها بالسماحة، وأن الحركة التي قامت في السودان إنما جاءت من أجل مساواة الجنوب بالشمال، وأن يشارك أهل الجنوب في الحكم مع أهل الشمال، ويتساوون في الحقوق والواجبات، وانتهت المساعي التي بذلت وكللت بالنجاح في أن يعيش الجميع بعضهم مع البعض، ويحتفلون بالأعياد وبشهر رمضان وأعياد الميلاد التي تجمعنا جميعاً دون تفرقة.

وفي نهاية اللقاء توجه الضيف بالشكر لكل المجهودات التي تقدمها مصر والأزهر الشريف لشعب وحكومة السودان.




إسماعيل هنية



رئيس وزراء فلسطين في رحاب الأزهر الشريف

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الخميس الموافق ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٦ - معالى السيد/ إسماعيل هنية - رئيس مجلس وزراء دولة فلسطين، والدكتور/ غازى أحمد - الناطق الرسمي باسم الحكومة الفلسطينية، والدكتور محمد المدهون - رئيس ديوان رئيس مجلس الوزراء الفلسطيني، والدكتور/ أحمد الخالدى - وزير العدل، والمهندس/ زياد الظاظا - وزير المواصلات.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى رئيس الوزراء الفلسطيني والسادة المرافقين له، مشيداً بالصلة القديمة بين مصر وفلسطين الممتدة عبر مئات السنين، وأن المعهد الأزهرى بغزة يؤدى مهامه التعليمية منذ أكثر من ٦٠ سنة في تدريس مناهج الأزهر السمحة التي تتميز بالاعتدال في تدريس الأمور الدينية والشرعية، وأكد فضيلته على استمرار مصر بالوفاء والتأييد والمناصرة لإخواننا في فلسطين داعين لهم بالثبات والصمود لكي تقوم دولتهم حرة أبية عظيمة بإذن الله معاهدين الله بأن نضحى بالمال والأنفس وبكل ما نملك وفاء للأخوة الإنسانية وستبقى مصر دائماً بإذن الله رئيساً وحكومة وشعباً إلى جانب إخواننا في فلسطين تؤيدهم حتى تقوم دولة فلسطين على أرضها وأرض بيت المقدس حرة أبية قوية، وأن مصر والأزهر الشريف بصفة خاصة يعاهد أن الله سبحانه وتعالى بالوقوف إلى جانب إخواننا الفلسطينيين ونقدم لهم كل غال، ونحن في مصر نحيى الجهاد الذى تقوم به قيادات فلسطين ونقف إلى جانبهم وقفة المؤمن العادل الذى هو في خدمة قضية إخواننا في فلسطين.

ومن جانبه شكر معالى رئيس الوزراء الفلسطيني فضيلة الإمام الأكبر على هذا اللقاء الحار، مشيداً بهذه اللحظات السعيدة بلقاء فضيلة الإمام الأكبر وعلماء الأزهر الشريف، معرباً عن سعادته بأنه من خريجي المعهد الديني الأزهرى، أنه جاء من أرض القدس إلى أرض الكنانة مصر التي روت أرض فلسطين بدماء شهدائها، كما أن شعبنا الفلسطيني المرابط المجاهد يدافع عن أرضه وقدسه والمسجد الأقصى أولى القبلتين، مؤكداً بأنه لن تسقط قلعة فلسطين وحصون فلسطين في وجود من يدافع بالعدل عن قضية فلسطين، وسنظل صامدين ثابتين محتسبين في جهادنا إلى أن يحقق الله لنا ما نصبو إليه في دولة فلسطين المستقلة، مؤكداً بأن فلسطين هي الأرض والوطن وهذا هو تراث الأمة وميراثها واعداً ألا يضيع هذا الإرث.

وفي نهاية اللقاء توجه فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق لتحية أعضاء مجمع البحوث الإسلامية حيث كانت جلسته منعقدة.



الفهـــــرس



بسم الله الرحمن الرحيم



سبق أن أصدرت مجلة الأزهر فى شهر ذى القعدة ١٤٢٧هـ ملحقاً خاصاً ضم المقالات الخمسة التى رد فيها فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور

محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر على ما أورده بابا الفاتيكان فى محاضرته بجامعة ريجنسبرج بألمانيا.

وبحمد الله فإن فضيلة الإمام الأكبر قد قام بالرد الصائب على كل ما أثير من هجوم على الإسلام بأسلوب هادىء رزين، مرتفعاً بلغة الخطاب عمن سواه.

فجاءت ردود فضيلته دفاعا عن الإسلام فى الصميم وقد ضم العدد ذاته الترجمة الإنجليزية والفرنسية لرد فضيلة الإمام بالإضافة إلى كلمة البابا مصحوبة بالترجمة العربية.

ونقدم هنا فى هذا العدد الترجمة الألمانية لرد فضيلة الإمام كما وعدنا القراء.

ونسأل الله - تعالى - أن تعم فائدة هذا الرد على البشرية جمعاء..

والله الهادى والموفق إلى الصراط المستقيم.

عـادل خفاجـة



Dialoge mit den Heuchlern kommen auch vor. Dialoge, die um Gebote und Verbote kreisen. Dialoge zwischen den Guten und den Bösen. Dialoge in der Form von Fragen und Antworten. Sie alle verfolgen belehrende, erbauliche Zwecke, die zum Pfad der Rechtleitung und der Vernunft führen.

In dem vorliegenden Artikel geht es mir darum, Ihnen, Heiliger Vater, klarzulegen, dass zum Dialog, zu dem Sie aufrufen, der Islam schon lange auf eine vollkommenere, gerechtere, bessere und umfassendere Weise aufgerufen hat, weil er davon ausgeht, dass alle Menschen gleichen Ursprungs sind, dass ihre Glaubensunterschiede ihre Zusammenarbeit nicht hindern soll und dass der Islam im Sinn der Ergebenheit angesichts Gottes und der Aufrichtigkeit, Ihm allein zu dienen, die Religion ist, die alle Gesandten verkündeten. Alle Propheten überbrachten den Menschen eine und dieselbe Botschaft, nämlich Gott allein aufrichtig zu dienen und die edle Moral einzuhalten.

Bei dieser Gelegenheit, und da Sie, Heiliger Vater, den Aufruf zum Dialog wiederholen, möchte ich Sie daran erinnern, dass ich Ihnen vor Monaten über Ihren Botschafter in Kairo, einen Brief schickte, in dem ich um die Meinung Eurer Heiligkeit zu den die Würde des Propheten Muhammad antastenden Karikaturen bat, und Eurer Heiligkeit meine Bereitschaft bekannt gab, an einem Dialog über die die ehrwürdigen Gottesgesandten verletzenden grässlichen Beleidigungen teilzunehmen.

Von Eurer Heiligkeit erhielt ich keine Antwort, weder direkt, noch indirekt. Gehört das zu den Kodexen des Dialogs, zu dem Sie, Heiliger Vater und Oberhaupt des Vatikans, mit lauter Stimme und in aller Öffentlichkeit aufrufen?

Ich hoffe, da wir Geistliche sind, dass unsere Taten unseren Worten entsprechen. Zu Gott, dem Allmächtigen, bete ich, Er möge uns alle zum geraden Weg rechtleiten.

* * * * *

2) Dialog zwischen den Gottesgesandten und ihren Völkern.

In Hunderten von Koranversen an –zig Stellen kommen Dialoge vor, die zwischen Gottesgesandten und ihren Völkern geführt wurden. Teils ist im Koran von den Gesandten im Allgemeinen die Rede, und teils kommt im Bericht ein bestimmter Prophet vor.

Als Beispiel der allgemeinen Dialoge führen wir folgende Koranverse an:

«Sind nicht zu euch die Nachrichten über die früheren Völker gekommen, das Volk von Nûh (Noah), die 'Âd, die Thamûd und die anderen nach ihnen - um die Gott allein weiß?" Ihre Gesandten haben ihnen die Beweise übermittelt, da haben sie verwundert die Hand auf den Mund gelegt und gesagt: "Wir verleugnen eure Botschaft, und wir sind im Zweifel über den Glauben, zu dem ihr uns einladet und haben Bedenken." * Ihre Gesandten sagten: "Wie könnte man an Gott, dem Schöpfer der Himmel und der Erde, zweifeln? Er lädt euch zum wahren Glauben ein, damit Er euch einen Teil eurer Sünden gleich verzeiht und euch eine Frist gewährt bis zum Jüngsten Tag." Sie erwiderten: "Ihr seid doch Menschen wie wir, und ihr wollt uns von den Gottheiten abhalten, die unsere Väter anbeteten. Bringt uns einen eindeutigen Autoritätsnachweis!" * Ihre Gesandten sprachen: "Wir sind in der Tat Menschen wie ihr, aber Gott gewährt Seine Gnade, wem Er will unter Seinen Dienern. Wir können euch nur einen Autoritätsnachweis bringen, wenn Gott es erlaubt. Die Gläubigen verlassen sich auf Gott allein. * Warum sollten wir uns nicht auf Gott verlassen, hat Er uns doch den rechten Weg geleitet. Wir halten die Leiden geduldig aus, die ihr uns zufügt. Auf Gott allein verlassen sich diejenigen, die Vertrauen haben. » *(14. Sure, Abraham - Ibrahîm, Verse 9 -12).*

Diese Koranverse geben uns ein klares allgemeines Bild von den Dialogen zwischen den Gesandten und ihren Völkern. Ihnen entnehmen wir, dass die Gesandten ihre Völker auf eine weise Art zum rechten Pfad leiteten und dass die Völker ihnen gegenüber bösartige Stellungen einnahmen.

Die Dialoge zwischen den einzelnen Gesandten und ihren Völkern kommen im Heiligen Koran bei weitem häufiger vor. Wir begnügen uns hier mit einem Beispiel, und zwar mit einem der Dialoge zwischen

Schu'aib, dem Redner der Propheten, und seinem Volk. In seinem bündigen, weisheitsreichen Stil berichtet der Koran darüber. Es heißt:

«Auch die Leute vom Dickicht ziehen ihren Gesandten (und somit alle Gesandten) der Lüge. » In dem Dickicht – arab. = al-aika – lebte das Volk vom Propheten Schu'aib, der es zum Glauben an Gott aufrief:

«Schu'aib sagte ihnen: "Wollt ihr nicht doch Gott fürchten? * Ich bin für euch ein aufrichtiger Gesandter. * So fürchtet Gott und gehorcht mir! * Ich fordere von euch dafür keinen Lohn. Für meinen Lohn kommt allein der Herr der Welten auf. * Gebt volles Maß und lasst die Menschen nichts verlieren, was ihnen zusteht! * Wiegt mit richtigen Waagen! * Nehmt den Menschen nichts von dem, was ihnen zusteht, und richtet kein Unheil auf Erden an! * Fürchtet Gott, Der euch und die früheren Völker erschaffen hat!"»

Mit diesen kostbaren, schlüssigen Ratschlägen belehrte Schu'aib sein Volk, mit dem er vortreffliche Dialoge führte. Seine Leute reagierten darauf leichtsinnig und arrogant.

Im Koran heißt es:

«Da sagten sie: "Du bist bestimmt verhext. * Du bist nur ein Mensch wie wir, und wir halten dich für einen Lügner. * Lass zur Strafe vernichtende Brocken vom Himmel auf uns herabfallen, wenn du die Wahrheit sagst!"». Sie hielten ihn für wahnsinnig und für einen Lügner. Leichtsinnig wie sie waren, wollten sie tatsächlich die Strafe erleben.

Wir lesen im Koran:

«Da sagte er: "Gott weiß am besten, was ihr tut." »

Und wie war das Ergebnis? Eine schreckliche Strafe ließ auf sich nicht warten:

«Sie ziehen ihn der Lüge. Da ergriff sie die Strafe des düsteren Tages mit der unheimlichen Wolke. Das war die Strafe eines gewaltigen Tages. * Darin ist ein Zeichen. Aber die meisten von ihnen glauben nicht. * Dein Herr ist der Allmächtige, der Barmherzige.» *(26. Sure, Die Dichter - Asch-Schu'arâ', Verse 176 -191).*

Wir haben einige Beispiele der Dialoge des Schöpfers mit Seinen Geschöpfen und der Gesandten mit ihren Völkern angeführt. Es gibt aber im Koran andre Dialogarten. So die Dialoge mit den Schriftbesitzern.



Den aufmerksamen Leser, dem wir nahe legen, diese Koranverse mehrmals zu lesen und über sie nachzudenken, fragen wir, ob er jemals einen ähnlichen Dialog gekannt hätte, in dem Gottes größte Huld Menschen zuteil wird, mit denen Gott zufrieden ist und die mit Gott zufrieden sind und in dem die vortreffliche Höflichkeit von 'Îsâ (Jesus) seinem Schöpfer gegenüber zum Ausdruck kommt.

Derartige weise Dialoge, die die Gläubigen erbauen und den Glauben der Frommen vertiefen, kommen im Koran häufig vor. Wir haben die Dialoge zwischen Gott, dem Allmächtigen, und Nûh (Noah), nachdem dieser die Sintflutwellen seinen Sohn verschlingen sah. Ergeben und andächtig wandte sich Nûh (Noah) an Gott:

«Nûh (Noah) rief seinen Herrn und sprach: "Mein Herr! Mein Sohn gehört zu meiner Familie, (die Du zu erretten versprachst). Dein Versprechen ist die Wahrheit schlechthin, und Du bist der Weiseste aller Richter." *(11. Sure, Hûd, Vers 45).*

Das bedeutet: Gott! Mein Sohn gehört zu meiner Familie, er ist ein Teil von mir, ich flehe Dich an, Dich seiner zu erbarmen, ist doch Deine Barmherzigkeit unermesslich weitreichend.

Nûh (Noah) begnügte sich mit der Wendung "Mein Herr! Mein Sohn gehört zu meiner Familie" und sagte vor lauter Höflichkeit und Scham Gott gegenüber nicht expressis verbis was er genau wollte, nämlich die Rettung seines Sohns, weil er unerschütterlich daran glaubte, dass Gott, der Allwissende, wusste, was er wollte. Das ist das edelste Benehmen der Gesandten Ihrem Herrn gegenüber. Wie hätte es anders sein können!

Wir haben auch die Dialoge zwischen Ibrâhîm (Abraham) und Seinem Schöpfer. In einem dieser Dialoge sagte Ibrâhîm (Abraham):

«"Mein Herr! Zeige mir, wie Du die Toten auferweckst!" »

Das bedeutet: Ibrâhîm (Abraham) bat Gott, den Allmächtigen, darum, ihm zu zeigen, wie Er die Toten wieder ins Leben ruft. Gott, der Schöpfer antwortete.

«Gott sprach: "Glaubst du denn nicht (dass Gott die Toten auferwecken kann)?"». «"Doch", sagte Ibrâhîm (Abraham), "aber ich möchte, dass mein Herz wirklich sicher ist."»

Das bedeutet: Ibrâhîm (Abraham) sagte Gott, dem Allmächtigen, dass er voll und ganz an Seine Allmacht glaubte, dass er nur diese Frage stellte, damit sich der Glaube in seinem Herzen durch das Sehen mehrt. Daraufhin gab Gott, der Allmächtige, seiner Bitte statt. Im Koran heißt es:



«Gott sprach: "Nimm vier Vögel und zähme sie (und sieh sie dir so genau an, dass du sie wieder erkennen kannst)! Schlachte sie und verteile die Teile auf verschiedene voneinander entfernte Berge! Rufe sie dann zu dir her, und sie werden zu dir schnell kommen!" Wisse, dass Gott allmächtig und unendlich weise ist! » *(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara, Vers 260.*

"Rufe sie zu dir her!" bedeutet: Rufe sie mit Gottes Erlaubnis zu dir her!, und sie werden schnell kommen.

Das Ziel dieses Dialogs besteht darin, die vollkommensten Beweise für Gottes Allmacht und Einssein darzulegen und zu zeigen, dass Gott der Bitte seiner guten Diener statt gibt, damit sich ihr Glaube mehrt und dass er ihnen Seine Tür für Fragen und Bitten öffnet.

Gott, der Allmächtige, hat Seine Tür zum Dialog sogar mit Iblîs (Satan) geöffnet, wie wir in mehreren Koransuren nachlesen können.

Gott, der Allmächtige, sagt:

«"Wir haben euch erschaffen und geformt. Den Engeln sagten Wir dann: "Werft euch vor Adam nieder!" Sie warfen sich nieder, ausgenommen Iblis. Er gehörte nicht zu denen, die sich niederwarfen.* Gott sprach: "Was hielt dich davon ab, dich niederzuwerfen, als Ich es dir befahl?" Er erwiderte: "Ich bin besser als er, weil Du mich aus Feuer und ihn aus Lehm erschaffen hast." * Gott sprach: "Hinab von hier! Du darfst hier nicht hochmütig sein. Geh hinaus! Du sollst gewiss zu den Verachteten gehören." * Er sprach: "Gewähre mir Aufschub bis zum Tag ihrer Auferstehung!" * Gott sprach: "Es sei dir Aufschub gewährt!" * Er sagte: "Weil Du mich der Verwirrung bezichtigst, werde ich ihnen an Deinem geraden Weg gewiss auflauern. * Ich werde mich aus allen Richtungen an sie heranmachen, von vorne und von hinten, von rechts und von links, um sie zu verleiten, und Du wirst sehen, dass die meisten Dir nicht dankbar sind." * Da sprach Gott: "Geh hinweg von hier, verloren und verachtet! Wer von ihnen dir folgt, den werde Ich in der Hölle bestrafen und die Hölle mit euch allen füllen."» *(7. Sure, Die Höhen - Al-A'râf, Verse 11-18).*

In diesen Koranversen kommt das Verb "qâla"(sagte) sechsmal vor, dreimal: Gott sagte und dreimal Iblîs sagte. Das Zwiegespräch beweist, dass Gott, der Allmächtige, seinen Dienern Huld und Großmut dadurch gewährt, dass Er Seine Tür für den Dialog mit ihnen offen hält, damit sie ihren Glauben an Ihn stärken, Lehren ziehen und Weisungen bekommen. Durch diese weisen Dialoge lernen die Vernunftmenschen Vieles, was sie in ihrem Leben glücklich macht und zum geraden Weg leitet.



Drittens:

Vokabularium des Dialogs.

Das Vokabularium des Dialogs im Islam zeichnet sich durch Horizontweite, Klarheit der unzählige Fragen umfassenden Themen sowie durch formale und inhaltliche Vielfalt aus. Hier sind einige mustergültige Beispiele, die wir dem Koran entnehmen:

1)

Dialog zwischen Gott, dem Allmächtigen, und einigen Seiner Geschöpfe.

Dazu gehört dem koranischen Bericht nach, dass Gott auf eine Weise, die Er, der Allwissende, allein weiß, Seine Gesandten am Jüngsten Tag fragen wird, "wie haben eure Völker geantwortet, als ihr sie dazu aufrieft, Mir allein aufrichtig zu dienen?" Im Koran heißt es:

«"Denkt an den Tag, den Jüngsten Tag, an dem Gott Seine Gesandten zusammenholt und sie fragen wird: "Welche Antworten habt ihr von euren Völkern bekommen?" Sie werden sagen: "Wir wissen nicht, was sich nach uns ereignete. Du allein kennst alles Verborgene."» *(5. Sure, Der Tisch - Al-Mâ'ida, Vers 109).*

Dieser Koranvers bedeutet: Denkt, ihr Vernunftmenschen, zwecks Erbauung und Belehrung, an den Tag, den Jüngsten Tag, an dem Gott Seine Gesandten zusammenholt und sie fragen wird: "Welche Antworten habt ihr von euren Völkern bekommen?" Sie werden in größter Ergebenheit antworten: Deinem Allwissen gegenüber, das alles umfasst, ist unser Wissen nicht nennenswert. Du allein urteilst gemäß Deiner Gerechtigkeit und Deiner Großmut über unsere Völker und uns.

Zu den Dialogen zwischen Gott, dem Allmächtigen, und Seinen Gesandten gehört der Dialog mit 'Îsâ (Jesus).

Im Koran heißt es:

«Gott wird am Jüngsten Tag sagen: "'Îsâ ibn Maryam (Jesus, Marias Sohn) hast du den Menschen gesagt, dass sie dich und deine Mutter als zwei Gottheiten außer Gott, Allah, nehmen sollen?" Er wird antworten: "Gepriesen seist Du! Es ziemt sich nicht, dass ich etwas sage, was ich nicht sagen darf. Hätte ich es gesagt, hättest Du es erfahren. Du weißt, was in mir ist, aber ich weiß nicht, was in Dir ist. Du bist der Allwissende, Der um



alles Verborgene weiß.* Ich habe ihnen nur das ausgerichtet, was Du mir befohlen hast: «Dienet Gott, Allah, meinem und eurem Herrn!» Ich war ihr Zeuge, solange ich unter ihnen weilte. Als Du mein Leben beendetest, warst Du der Wächter über sie. Du bist doch der allerhöchste Zeuge, Dem nichts entgeht. * Bestrafst Du sie, sind sie Deine Diener, verzeihst Du ihnen, so sind Deine Macht und Deine Weisheit unermesslich."»

Der Zweck dieses Dialogs besteht darin, die Ungläubigen des Volkes von 'Îsâ (Jesus) und alle, die 'Îsâ (Jesus) und seine Mutter Maryam (Maria) unrechtmäßig beleidigt haben, sowie alle Verirrten in aller Öffentlichkeit am Jüngsten Tag bloßzustellen und zu rügen. 'Îsâ (Jesus) wird in ihrer Gegenwart verneinen, das gesagt zu haben. Seine Verneinung unmittelbar nach der Frage "hast du den Menschen gesagt, dass sie dich und deine Mutter als zwei Gottheiten außer Gott, Allah, nehmen sollen?" ist besonders ausdrucksstark.

'Îsâ (Jesus) gibt die beste und deutlichste Antwort: "Gepriesen seist Du! Es ziemt sich nicht, dass ich etwas sage, was ich nicht sagen darf." Er betont: weder ich, noch irgendeiner dürfte so etwas sagen.

Dann fügt er zu dieser vortrefflichen Höflichkeit die Hervorhebung seiner absoluten Schwäche angesichts des Wissens Seines Allmächtigen Schöpfers hinzu: "Hätte ich es gesagt, hättest Du es erfahren. Du weißt, was in mir ist, aber ich weiß nicht, was in Dir ist. Du bist der Allwissende, Der um alles Verborgene weiß".

Nachdem 'Îsâ (Jesus) Gottes Erhabenheit und seine eigene Schwäche dem Allmächtigen gegenüber betont, trägt er das vor, was er seinem Volk gesagt hat: "Ich habe ihnen nur das ausgerichtet, was Du mir befohlen hast: «Dienet Gott, Allah, meinem und eurem Herrn!» Ich war ihr Zeuge, solange ich unter ihnen weilte. Als Du mein Leben beendetest, warst Du der Wächter über sie. Du bist doch der allerhöchste Zeuge, Dem nichts entgeht.

'Îsâ (Jesus) erkennt sodann, dass es Gott allein obliegt, was mit seinem Volk geschieht: "Bestrafst Du sie, sind sie Deine Diener, verzeihst Du ihnen, so sind Deine Macht und Deine Weisheit unermesslich."

Diesen weisheitsreichen Dialog schließt Gott mit folgendem Vers ab:

«Gott wird gewiss sagen: "Dies ist der Tag, an dem die Anhänger der Wahrheit aus ihrer Wahrhaftigkeit Nutzen ziehen werden. Für sie gibt es Paradiesgärten, unterhalb derer Flüsse fließen. Dort werden sie ewig bleiben. Gott ist wohl zufrieden mit ihnen, und sie sind zufrieden mit Gott. Das ist der größte Erfolg."» *(5. Sure, Der Tisch - Al-Mâ'ida, Vers 119.*



Als Beispiel nennen wir den Dialog zwischen Abu-Bakr und 'Omar über die Frage der Sammlung des Korans nach dem Tod des Propheten Muhammad. Zuerst war Abu-Bakr dagegen. Als 'Omar ihn überzeugte, stimmte er zu.

Der Dialog verlief aber anders, als es um die "murtaddûn" (die Abtrünnigen) ging, die nach dem Tod des Propheten Muhammad zwar weiter beteten, aber ablehnten, die Zakât-Abgaben zu entrichten. Abu-Bakr meinte, man müsse militärisch gegen sie vorgehen. 'Omar war zuerst dagegen. Durch den Dialog zwischen beiden erkannte 'Omar die Richtigkeit der Meinung von Abu-Bakr und nahm sie an.

So verhalten sich die Vernunftmenschen im Dialog, wie bei der Suche nach dem verirrten Schaf, wie Al-Ghazâli sagte: "wichtig ist das verirrte Schaf zu finden, und nicht wer es findet".

In einer Rede wollte 'Omar die der Frau vom Mann bei der Eheschließung zu entrichtenden Morgengabe ("mahr") festsetzen. Eine Frau, die ihm zuhörte, meldete Widerspruch. "O 'Omar", sagte sie, "wie denn das, wenn Gott im Koran sagt: «Wenn sich jemand von seiner Frau zu scheiden beabsichtigt und eine andere zu heiraten, darf er ihr nichts von den ihr gemachten Geschenken, so viele es auch sein mögen, nehmen. Wie könnte man sich eine solche ungerechte, sündhafte Tat erlauben?»" *(4. Sure, Die Frauen - An-Nisâ', Vers 20.)* Darauf sagte 'Omar: "Die Frau hat Recht. 'Omar hat sich geirrt" und nahm sofort seinen Vorschlag zurück.

Der große Gelehrte Al-Schâfi'i sagt: "Ich habe mit keinem Menschen einen Dialog geführt, ohne den Wunsch zu hegen, Gott möge uns die Wahrheit erkennen lassen, durch ihn oder durch mich."

4) Bescheidenheit.

Der Bescheidenheit fällt bei einem Dialog eine vorrangige Bedeutung zu, weil die Überheblichkeit und die Arroganz unter den Dialogpartnern die offenen Türen zusperren. Im Koran werden verschiedenartige Dialoge angeführt, denen die Bescheidenheit zugrunde lag und die deswegen erfolgreich verliefen. Als Beispiel wählen wir den wunderbaren Dialog zwischen dem Propheten Sulaimân (Salomo) und dem Wiedehopf. Als Sulaimân (Salomo) seine Diener musterte, fand er den Wiedehopf nicht und fragte nach ihm. Im Koran heißt es:



«Er musterte die Vögel und sprach: "Warum sehe ich den Wiedehopf nicht? Oder ist er abwesend? * Ich werde ihn schwer bestrafen oder schlachten, es sei denn, er bringt mir einen unwiderlegbaren Beweis."» *(27. Sure, Die Ameisen - An-Naml, Verse 20-21).*

Nach kurzer Zeit kam der Wiedehopf von seiner Reise zurück. Mutig sagte er dem König und Propheten Sulaimân (Salomo), wie im Koran steht:

" ... Ich habe etwas erfahren, was du nicht weißt. Ich bringe dir aus Saba eine wichtige zuverlässige Nachricht. * Ich habe dort gesehen, dass eine Frau als Königin über das Volk herrscht, die von allen Gaben hat und einen gewaltigen mächtigen Thron besitzt." *(27. Sure, Die Ameisen - An-Naml, Verse 22-23).*

Wir stellen in diesem Dialog fest, dass der kleine Soldat im Rechts- und Sicherheitsstaat, trotz seines niedrigen Rangs, mit dem großen Herrscher ein Zwiegespräch führt und ihm antwortet, und zwar in aller Freiheit und mit Courage. Auch stellen wit fest, dass sich der große Herrscher die Antwort des kleinen Dieners mit aller Bescheidenheit anhört und ihm die Möglichkeit einräumt, seine Argumente vorzutragen, die er überprüfen und erwägen kann.

Ein Dialog, dem beiderseits Bescheidenheit und gegenseitiger Respekt zugrunde liegen, verläuft meistens erfolgreich. Es ist unmöglich, dass der Dialog, der von Überheblichkeit und Arroganz ausgeht, in einer Versöhnung endet. Wenn die beteiligten Vernunftmenschen merken, dass der Dialog in eine Verschlechterung, und nicht in die ersehnte Verbesserung mündet, entfernen sie sich, verlassen sich auf Gott und den arabischen ironischen Weisheitsspruch: "Wenn sie die Schwerter schärfen, Unrechtes tun und sagen: wir sind im Recht. Da können wir nur sagen: Na, also!"

Auf die Grundsätze des Dialogs sind wir ausführlich in unserem Buch *Adab Al-Hiwâr fi-l-Islâm* (= Grundbegriffe des Dialogs im Islam) eingegangen.



Wer ist denn euer Herr?". Darauf antwortete Mûsa (Moses): "Unser Herr ist Der, Der jedem Geschöpf seine eigene Schöpfungsart verlieh und ihm seinen Weg wies." *(20. Sure, Taha – Tâ Hâ, Verse 49-50).*

Paraphrasiert heißt es: Mûsa (Moses) sagte: Pharao! Unser Herr, der Herr aller Geschöpfe, ist Gott, Der jedem Geschöpf die ihm passende, ihm nützende Gestalt verlieh, ihm den Weg zu seiner Funktion wies und ihm die für diese Funktion nötigen Fähigkeiten und Mittel gab. Ohne Zweifel war diese Antwort von Mûsâ (Moses) wahr und ehrlich gemeint. Pharao stellte ihm eine andere Frage: "Wie steht es mit den vergangenen Generationen?"

Das bedeutet: Pharao fragte Mûsa (Moses) nach den Menschen, die in der Vergangenheit gelebt haben.

Die Antwort von Mûsa (Moses) lautet dem Koran nach:

«Er [Mûsâ (Moses)] sagte darauf: "Das Wissen darüber ist bei meinem Herrn allein in einem Buch. Meinem Herrn entgeht nichts, und Er vergisst nichts."» *(20. Sure, Taha – Tâ Hâ, Verse 51-52).*

Das bedeutet: Mûsâ (Moses) sagte Pharao, das Wissen um die vergangenen Generationen und Nationen ist bei Gott in einem Buch, der wohlverwahrten Tafel. Weiter sagte er ihm: Wisse, dass Gott nichts entgeht, und dass Er nichts vergisst!

Ohne Zweifel verrät diese Antwort von Mûsâ (Moses) höchstrangige Ehrlichkeit und Weisheit. So sind die ehrwürdigen Gottesgesandten. Sie antworten ihrem Dialogpartner ehrlich und sagen wohlwollend nur die Wahrheit.

2) Objektivität und beim Thema bleiben.

Wir halten es für besonders wichtig, im Dialog beim Thema zu bleiben, und nicht von der gestellten Frage oder Streitfrage, um die Dialog und Auseinandersetzung kreisen, abzukommen und auf ganz andere einzugehen. Unzweckmäßig ist der Versuch vieler Leute, wenn sie an Diskussionen oder Dialogen teilnehmen, vorsätzlich vom Thema abzuschweifen und die Karten durcheinander zu mischen. Die Gesandten Gottes, deren Dialoge und Auseinandersetzungen mit ihren Mitmenschen wir im Koran nachlesen können, blieben immer beim Thema und schweiften in ihren Antworten nicht von den Kernfragen ab. Wir können



als Beispiel im Koran den Dialog zwischen Nûh (Noah) und seinem Volk lesen und auf die Fragen und Antworten achten.

Er rief seine Mitmenschen dazu auf, Gott, dem Einen, aufrichtig zu dienen. Sie reagierten mit Spott und Beleidigung. Es heißt:

«Die führenden Männer seines Volkes sagten: "Wir sehen dich wirklich in offenkundigem Irrtum." * Er sprach: "O mein Volk! Ich bin keineswegs im Irrtum. Ich bin vielmehr ein Gesandter des Herrn der Welten. * Ich verkündige euch die Botschaften meines Herrn und berate euch. Ich weiß von Gott, was ihr nicht wisst."» *(7. Sure, Die Höhen - Al-A'râf, Verse 60-62).*

Auch das Volk der 'Âd wurde von seinem Gesandten Hûd dazu aufgerufen, Gott, dem Einen, aufrichtig zu dienen und sich von Götzen abzuwenden. Auch sie reagierten im Dialog mit Spott und Beleidigung. Es heißt:

«Die Ungläubigen unter den Notabeln seines Volkes erwiderten: "Wir sehen dich in Torheit verwickelt. Wir glauben, dass du ein Lügner bist."» *(7. Sure, Die Höhen - Al-A'râf, Vers 66).*

Bei der Auseinandersetzung reagierte er weise:

«Er sprach: "O mein Volk! Ich bin nicht im Geringsten betört. Ich bin vielmehr ein Gesandter des Herrn der Welten. * Ich verkünde euch die Botschaften meines Herrn, und ich bin euch ein zuverlässiger Ratgeber." *(7. Sure, Die Höhen - Al-A'râf, Verse 67-68).*

Wir stellen fest, dass sich die ehrwürdigen Gesandten Gottes im Dialog mit ihren Völkern redlich bemühten, sie zum Weg der Wahrheit zu leiten. Sie gebrauchten den besten, bündigsten und klarsten Stil, blieben streng beim Thema des Dialogs, beachteten gegenüber den verschiedenen Ansichten über Lebens- und Glaubensfragen die Objektivität. Die Objektivität einzuhalten, stellt die wichtigste Grundlage des Dialogs dar.

3) Das Ziel des Dialogs soll Recht und Wahrheit und nicht Ruhm und Ansehen sein.

Wenn die Vernunftmenschen miteinander Dialog führen, sollen sie ausschließlich die Wahrheitsfindung zum Ziel haben, auch wenn sie durch den anderen Dialogpartner erfolgt. Zu dieser Folgerung kommen wir, wenn wir die gelegentlichen Meinungsverschiedenheiten der Gefährten des Propheten Muhammad und ihre Dialoge über viele Themen und Fragen betrachten.

Gott der Frommste ist. Gottes Wissen und Kenntnis sind unermesslich, so kennt Er eure Verhältnisse und weiß um alles genau, was ihr im Verborgenen und öffentlich macht und sagt.

Für die besondere Bedeutung des Dialogs spricht seine besondere Häufigkeit im Koran. Wenn man den Koran aufmerksam liest, fällt einem auf, dass bei der Hervorhebung des Wahren und der Bloßstellung des Unwahren der Dialog, das Argumentieren und die Rationale Auseinandersetzung an der Spitze der weisen und eindrucksvollen Stilmittel steht, die die Vernunftmenschen fest glauben lassen, dass der Kosmos nur den Einen, den Einzigen Gott, den Allmächtigen, den Allwissenden, den Allweisen hat.

Im Koran heißt es:

"Er allein schafft und verfügt. Voller Segen ist Gott, der Herr der Welten." *(7. Sure, Die Höhen - Al-A'râf, Vers 54).*

Auch Für die besondere Bedeutung des Dialogs spricht die Tatsache, dass der Stamm "al-qaul" (das Sagen) und die davon abgeleiteten "qâla"(sagte), "qôl" (sag !), "qâlû"(sagten) etc., die auf Dialog, Argumentieren, Diskutieren, Revidieren in vielen semantischen Feldern des Lebens und des Glaubens hindeuten, sehr sehr viele Male im Koran vorkommen.

"qâla"(sagte) z. B. kommt im Koran über fünfhundertmal vor. Hier ein Beispiel:

Gott, der Allmächtige, sagt:

"Hast du nicht von demjenigen gehört, der wegen der ihm von Gott gewährten Macht so überheblich wurde, dass er mit Abraham über Gott debattierte. Abraham sagte: "Mein Herr lässt leben und sterben." Darauf sagte er: "Ich lasse leben und sterben." Da sagte Abraham: "Gott lässt die Sonne im Osten aufgehen, so lasse du sie im Westen aufgehen!" Der Ungläubige war sprachlos. Gott leitet die, die unrecht tun, nicht zum rechten Weg." *(2. Sure, Die Kuh – Al-Baqara, Vers 258).*

"qôl" (sag !) kommt im Koran über dreihundertmal vor. Hier ein Beispiel:

Gott, der Allmächtige, sagt:

«Sag: "Wessen Zeugnis ist das allerhöchste?" Sprich: "Gott ist der Zeuge, der über den Streit zwischen euch und mir die Wahrheit aussagt. Er hat mir diesen Koran offenbart, damit ich euch und alle warne, die davon Kenntnis nehmen. Bekennt ihr euch etwa dazu, dass es neben Gott andere Götter gibt?" Sag: "Das erkenne ich nicht an." Sag: "Es gibt nur einen einzigen Gott, und ich bin unschuldig an eurer Vielgötterei"». *(6. Sure, Das Vieh - Al-An'âm, Vers 19).*

"qâlû"(sagten) kommt im Koran über dreihundertmal vor. Hier ein Beispiel:

Gott, der Allmächtige, sagt:

"Sie sagen, Gott hätte einen Sohn. Darüber ist Gott erhaben. Ihm gehören Himmel und Erde. Alles folgt Seinem Willen.* Schöpfer der Himmel und der Erde ist Gott, der nur sagt: «Es sei!» und so ist es." *(2. Sure, Die Kuh – Al-Baqara, Verse 116-117).*

Schlussfolgerung:

Der zwischenmenschliche Dialog ist für die Menschen in Lebens- und Glaubensfragen so unerlässlich, wie z. B. Essen und Trinken.

Zweitens:
Grundsätze des Dialogs

Zu den Grundsätzen, die die Basis des Dialogs bilden, gehören folgende:

1) Die Ehrlichkeit.

Der Koran führt etliche Arten von Dialogen an, die sich zwischen Gottesgesandten und ihren Völkern entspannen. Wenn wir diese Dialoge genau betrachten, stellen wir fest, dass die Gesandten Gottes die Wahrheit, die völlig frei von Lügen und Zweifeln ist, verkündeten. Wir können uns z. B. die langen Dialoge zwischen Mûsâ (Moses) und Pharao genau vergegenwärtigen. In einem dieser Dialoge fragte Pharao: "Mûsâ (Moses)!

5

Das ist, Eure Heiligkeit, der fünfte und letzte Artikel der fünfteiligen Artikelreihe, die ich an Sie richte. Im ersten Artikel habe ich Eurer Heiligkeit darüber berichtet, dass sich der Islam nicht durch Gewalt und Zwang, sondern durch Überzeugung, eingehende Überlegung und freie Entscheidung verbreitete. Im zweiten Artikel habe ich Eurer Heiligkeit darüber berichtet, dass der Dschihad im Islam schariamäßig gestattet ist, – nicht wie die Böswilligen behaupten – um gegen friedliche Menschen Aggressionen zu verüben, sondern um den unter Ungerechtigkeit leidenden Menschen zu helfen und jedem zu seinem Recht zu verhelfen.

In dem dritten Artikel habe ich Eurer Heiligkeit darüber berichtet, dass der Prophet Muhammad der Menschheit nur Gutes, Wahres, Rechtes und Wohltätiges brachte, und dass die Behauptung des byzantinischen Kaisers, er habe "nur Schlechtes und Inhumanes" gebracht bar aller Wahrheit ist.

In dem vierten Artikel habe ich Eurer Heiligkeit über den islamischen Glauben und die Bedeutung, die er der Vernunft einräumt, berichtet. Die islamische Scharia schätzt die Vernunft hoch und macht Verpflichtung und Verantwortung von ihr abhängig.

In dem fünften und letzten Artikel nehme ich mir vor, Eurer Heiligkeit über die Bedeutung, die die islamische Scharia dem Dialog einräumt, zu berichten. Sie haben am Ende Ihrer am 12. September 2006 an der Universität zu Regensburg gehaltenen Vorlesung gesagt: "In diesen großen Logos, in diese Weite der Vernunft laden wir beim Dialog der Kulturen unsere Gesprächspartner ein. Sie selber immer wieder zu finden, ist die große Aufgabe der Universität."

Ich stimme gänzlich mit Ihnen, Heiliger Vater, überein, dass es notwendig ist, die Tür des Dialogs der Kulturen, Zivilisationen, der wissenschaftlichen und religiösen Institutionen aufs weiteste zu öffnen. Ich beschränke mich im vorliegenden Artikel auf drei Schwerpunkte:

A) Bedeutung des Dialogs.
B) Grundsätze des Dialogs.
C) Vokabularium des Dialogs.



Erstens:

Bedeutung des Dialogs

Die Bedeutung des Dialogs manifestiert sich in der Tatsache, dass es solange es Leben und lebende Menschen gibt, ein zwischenmenschlicher Dialog entstehen muss, weil es dem Menschen unmöglich ist, allein und isoliert zu leben. Der Mensch braucht andere, um kaufen und verkaufen, geben und nehmen zu können, und um seine Gedanken und Ansichten bekannt zu machen.

Das Leben der Menschen benötigt grundsätzlich: Dialog, Besprechung, Auseinandersetzung, Verschiedenheit der Meinungen von Individuen, Gemeinden, Staaten, Völkern und Spezialisten in religiösen, politischen, wirtschaftlichen, sozialen, wissenschaftlichen oder sonstigen Bereichen und Richtungen.

Im Koran wird in vielen Versen betont, dass der zwischenmenschliche Dialog ein unerlässliches Ziel darstellt.

Gott, der Allmächtige, sagt:

"O ihr Menschen! Wir haben euch aus Mann und Frau (Adam und Eva) erschaffen und haben euch zu Völkern und Stämmen werden lassen, damit ihr euch kennen lernt. Der Edelste vor Gott ist der Frommste unter euch. Gottes Wissen und Kenntnis sind unermesslich." *(49. Sure, Die inneren Gemächer - Al-Hudschurāt, Vers 13).*

Die Bedeutung ist: O ihr Menschen! Wir haben euch aus Mann und Frau (Adam und Eva) ins Leben gebracht. So seid ihr gleichen Ursprungs. Durch Heirat und Vermehrung haben Wir euch zu zahlreichen Völkern mit vielen Stämmen werden lassen. Unsere Weisheit will es so, damit ihr euch kennen lernt, Kontakte zueinander aufnehmt, miteinander zusammenarbeitet, eure Interessen verfolgt, eure Bedürfnisse befriedigt und Dialoge über die für euch wichtigen Lebensfragen führt. Dabei sollt ihr wissen, dass der Edelste vor



Jeder Prophet hat seinen Mitmenschen gesagt, sie sollten Gott, dem Einzigen, aufrichtig dienen. Jeder Prophet hat seine Mitmenschen zur Aneignung der besten Moral aufgerufen. Jeder Prophet hat mit seinen Mitmenschen vernunftgemäße, weise Gespräche geführt und ihnen das Wunder gebracht, das die Wahrhaftigkeit der durch ihn verkündeten Botschaft Gottes klarstellt.

Zu den leuchtenden rationalen Beweisen dafür, gehört der Koran, der Gottes Worte und keine Worte von Menschen enthält, und der als größtes Wunder bestätigt, dass Muhammad wahrhaftig Gottesgesandter und sowohl der letzte als auch der Anführer aller Propheten und Gesandten ist.

In den Bereich der rationalen Beweise fällt in diesem Zusammenhang die von Gott, dem Allmächtigen, an alle Menschen, insbesondere an die Widersacher, gerichtete Herausforderung, sie sollten, um ihre Behauptung zu bekräftigen, der Koran wäre ein Werk von Menschen und nicht von Gott, zehn den Koransuren ähnliche Suren hervorbringen. Da sie das nicht konnten, forderte Gott sie heraus, mindestens eine ganz kleine Sure hervorzubringen, was sie auch nicht konnten.

Gott, der Allmächtige, sagt:

"Wenn ihr am Koran zweifelt, den Wir Unserem Diener Muhammad nach und nach offenbaren, so schafft doch eine Sure gleicher Art, und holt eure Zeugen herbei, denen ihr anstatt Gottes vertraut, wenn ihr die Wahrheit sagt! * Das werdet ihr aber nicht können, niemals. Deshalb müsst ihr euch vor dem Höllenfeuer vorsehen, dem Menschen und Steine als Brennstoff dienen und das für die Ungläubigen bereitet ist." *(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara, Verse 23-24).*

Durch diese rationalen Beweise wurde bewiesen, dass der Koran von Gott offenbart ist. Wenn er nicht von Gott, dem Allmächtigen, gekommen wäre, hätten sie darin viele Unstimmigkeiten gefunden, die die Vernunftmenschen anwidern würden. Im Koran heißt es:

"Sie sollten sich doch gründlich Gedanken über den Koran machen! Wenn er von einem anderen als Gott wäre, würden sie darin viele Unstimmigkeiten finden." *(4. Sure, Die Frauen – An-Nisâ', Vers 82).*



Das ist, Eure Heiligkeit, der Glaube, wie Gott ihn wahrhaftig dem Propheten Muhammad offenbarte. Er besteht darin, Gott, dem Einzigen, dem Allgewaltigen, aufrichtig zu dienen, die Gebote und Verbote der edlen Moral einzuhalten: die Wahrheit sagen, botmäßig zu arbeiten, sich ausgeglichen zu benehmen und den geraden, rechten, tugendhaften Pfad zu gehen.

Die Vernunft ist das Fundament der religiösen Verpflichtung. Religiös verpflichtet sind nur die vernunftbegabten Menschen, die zwischen wahr und unwahr, Tugenden und Lastern unterscheiden können. Die Vernunft hat, der islamischen Scharia nach, Grenzen, die beachtet werden müssen. Man sollte sich nicht mit dem Verborgenen befassen, um dessen Wesen Gott allein weiß.

Gott, der Allmächtige, sagt:

"Er allein weiß um das Verborgene und weiht niemanden in das Verborgene ein. * Es sei denn, es handelt sich um einen Gesandten, dem Er Sein Wohlgefallen erweist. Dann aber setzt Er vor und hinter ihm einen Hüter ein. * So weiß Gott, dass die Gesandten die Botschaften ihres Herrn überbracht haben. Er weiß genau, was sie haben und hat alles genau gezählt." *(72. Sure, Die Dschinn –Al-Dschinn, Verse 26-28).*

Wir bitten Gott, den Erhabenen, den Allmächtigen, uns alle zu Seinem geraden Pfad rechzuleiten.

* * * * *

Die rationalen Beweise, die der Koran für die Auferstehung und das gerechte Jüngste Gericht, vor dem alle Menschen erscheinen werden, sind zahlreich und vielfältig.

In folgenden Koranversen sagt Gott, der Allmächtige:

«Sieht der Mensch nicht, dass Wir ihn aus einem Samentropfen erschaffen haben, und dass er dann ein offenkundiger Widersacher wurde? * Er führt Uns als Gleichnis an und vergisst, wie Wir ihn erschaffen haben. Er sagt: "Wer kann denn die Gebeine wieder ins Leben rufen, wenn sie schon verwest sind?" * Sprich: "Wer sie zuerst erschaffen hat, ruft sie wieder ins Leben. Er weiß genau über jedes Geschöpf Bescheid." * Er ist es, Der euch aus dem grünen Baum, wenn er trocken ist, Brennstoff macht, den ihr zum Feuermachen anzündet. * Kann Der, Der die Himmel und die Erde erschuf, nicht noch einmal so viele Menschen schaffen? Doch! Er kann es. Seine Schöpfungsmacht und Sein Wissen sind unermesslich. * Bei Ihm ist es so: Wenn Er etwas will, sagt Er nur: "Es sei!" und es wird sein. * Gepriesen sei Er, Der die allerhöchste Herrschaft über alles hat. Zu Ihm werdet ihr zurückgeführt werden.» *(36. Sure, Yâ-Sîn, Verse 77-83).*

In der Fachliteratur über die Offenbarungsgründe dieser Koranverse lesen wir, dass ein Ungläubiger zum Propheten Muhammad mit einem verwesten Knochen kam, den er zu Staub zerdrückte. Den Staub pustete er ihm ins Gesicht und sagte: "O Muhammad! Behauptest du, wenn ich zu solchem Staub geworden bin, dass dein Gott mich wieder ins Leben ruft? Der Prophet Muhammad antwortete: "Ja, Gott wird dich sterben, dann auferstehen, dann in die Hölle treiben lassen."

In diesem Zusammenhang sandte Gott diese Koranverse herab.

Die angeführten Koranverse bedeuten: ist dieser Mensch so ignorant und dumm, dass er nicht weiß, dass Gott, der Allmächtige, ihn aus einem Samentropfen erschaffen hat, und dass Er ihn nach dem Tod wieder ins Leben ruft? Wenn er seine Vernunft gebraucht, wird er leicht erkennen, dass Gott das selbstverständlich kann. Der ignorante, dumme Ungläubige führt Gott, dem Allmächtigen, das Gleichnis des zu Staub gewordenen Knochens an und vergisst, dass Gott alles kann. Gott kann aus dem grünen Zweig Feuer machen. Ihr könnt einen grünen Markh-Zweig und einen

grünen 'Ifâr-Zweig gegeneinander reiben, um Feuer zu machen, das vielen nützlichen Zwecken in eurem Leben dient.

Gott, der Allmächtige, der aus den grünen Baumzweigen, die Feuer löschendes Wasser enthalten, Feuer entstehen lässt, kann logischerweise die Toten wieder ins Leben rufen.

Im Koran gibt es zahlreiche rationale Beweise dafür, dass die Gottesgesandten die göttlichen Botschaften verkündet und ihre Pflicht gewissenhaft getan haben. Jeder Gesandte hat mit seinem Volk vernunftgemäße Gespräche geführt, die von der Wahrheit der von ihm verkündeten Botschaft Zeugnis ablegen. Er gebrauchte die Vernunft, um seine Mitmenschen davon zu überzeugen, dass er sie zum geraden Pfad rechtleitet, wofür er keinen Lohn verlangte.

In der 26. Sure *Die Dichter – Asch-Schu'arâ'* lesen wir über ehrwürdige Propheten, deren jeder seinem Volk durch schlüssige Argumente klar machte, dass er es durch die ihm von Gott offenbarte Botschaft nur zu Glück und Erfolg führt. Es heißt u. a.:

«Die Thamûd ziehen ihren Gesandten (und somit alle Gesandten) der Lüge.* Als ihr Bruder Sâlih ihnen sagte: "Wollt ihr nicht doch Gott fürchten? * Ich bin als aufrichtiger Gesandter zu euch entsandt worden. * So fürchtet Gott und gehorcht mir! * Ich fordere dafür von euch keinen Lohn. Für meinen Lohn kommt allein der Herr der Welten auf. * Wähnt ihr etwa, ihr werdet in diesem Leben vor Gottes Gericht sicher sein? * Mit üppigen Gärten und Quellen * und Getreidefeldern und Dattelpalmen mit üppigen Fruchtbüscheln. * Ihr meißelt euch eifrig und geschickt Häuser aus den Bergen. * So fürchtet Gott und gehorcht mir, * und gehorcht nicht dem Befehl der Vermessenen, * die Unheil auf Erden stiften und nichts Gutes tun!" * Sie sagten: "Du bist bestimmt verhext. * Du bist nur ein Mensch wie wir. Bring uns ein Zeichen, wenn du die Wahrheit sagst!" * Er sprach: "Dies ist eine Kamelstute, die an einem Tag allein das Wasser trinkt, und ihr habt an dem anderen Tag das Wasser für euch allein. So werden die Tage genau eingeteilt. * Ihr dürft ihr nichts antun, sonst wird euch die qualvolle Strafe eines gewaltigen Tages erfassen." * Sie erschlugen sie, aber dann bereuten sie diese Tat.» *(26. Sure, Die Dichter – Asch-Schu'arâ', Verse 141-157).*

Jeder Mensch, der ein Minimum an gesundem Verstand besitzt, wird verneinen, dass der Schöpfer aller Dinge dem Geschaffenen gleicht, der nichts geschaffen hat.

Auch ähnlich in der Anführung von rationalen Beweisen sind folgende Koranverse:

« Sage: "Gepriesen sei Gott, und Friede sei mit Seinen Dienern, die Er auserwählt hat!" Ist Gott besser oder die Ihm beigesellten Götzen? * Ist Der, Der die Himmel und die Erde erschaffen hat und euch vom Himmel Wasser herabsandte, mit dem Wir euch prächtige Gärten wachsen lassen, deren Bäume ihr nie hättet sprießen lassen können, etwa ein Gott beigesellter Götze? Nein, sie sind Menschen, die sich dem Irrtum zuwenden. * Ist Der, Der die Erde zum Leben ebnete mit Flüssen dazwischen, fest gegründeten Bergen und einer Schranke zwischen den beiden großen Wassern (dem süßen und dem salzigen) etwa ein Gott beigesellter Götze? Nein, die meisten von ihnen wissen es nicht. * Ist Der, Der das Gebet des Notleidenden erhört und die Not abwehrt und euch zu den Nachfolgern der Früheren macht, etwa ein Gott beigesellter Götze? Aber ihr Ungläubigen denkt wenig darüber nach. * Ist Der, Der euch in der Finsternis auf See und an Land rechtleitet, Der den Wind als Freudenboten Seiner Barmherzigkeit schickt, etwa ein Gott beigesellter Götze? Erhaben ist Gott über all das, was sie Ihm beigesellen. * Ist Der, Der die Schöpfung begonnen hat und sie wiederholen kann und euch vom Himmel und von der Erde versorgt, etwa ein Gott beigesellter Götze? Sprich: "Bringt eure Beweise vor, wenn ihr die Wahrheit sagt!"» *(27. Sure, Die Ameisen – An-Naml, Verse 59-64).*

Jeder Mensch, der Vernunft und gesunden Verstand besitzt, wird durch Nachdenken über diese Koranverse mit lauter Stimme kundgeben, dass es nur Gott, dem Einzigen, dem Allgewaltigen, gebührt, angebetet zu werden.

Die rationalen Beweise nehmen in anderen Koranversen die Form von Gleichnissen an. Gott, der Allmächtige, sagt:

"Gott führt das Gleichnis von einem Leibeigenen an, den viele miteinander zerstrittene Herren gemeinsam besitzen und einem Leibeigenen, der nur einem einzigen Herrn gehört. Sind die beiden etwa gleich? Gott sei gepriesen! Die meisten aber wissen es nicht."*(39. Sure, Die Scharen – Az-Zumar, Vers 29).*

Das bedeutet: Der Angehörige der Vielgötterei, der anstatt Gott andere Götter anbetet, ist wie ein Leibeigener, den viele miteinander zerstrittene Herren gemeinsam besitzen, die ihm verschiedene Befehle geben, die ihn äußerst verwirren. Wenn der eine ihm z.B. befiehlt, sich zu setzen, befiehlt ihm der andere, aufzustehen. Der Gläubige aber ähnelt einem Leibeigenen, der nur einem einzigen Herrn gehört, dem allein er aufrichtig und gehorsam dient und von dem er eine entsprechend große Belohnung bekommt.

Das Gleichnis macht dem Vernunftmenschen klar, dass der Angehörige der Vielgötterei unter Verirrung, Verwirrung und Zerrissenheit leidet, während der Gläubige, der Gott, dem Einzigen, dient, Rechtleitung, Sicherheit und Ausgeglichenheit gewinnt.

Die rationalen Beweise des Einsseins Gottes werden in einigen Koranversen so angeführt, dass gezeigt wird, der wunderbare Kosmos, im dem alles perfekt aufeinander angepasst ist, kann nur so wunderschön und harmonisch gebaut sein, wenn er von Einem, dem Einzigen Gott geschaffen ist. Das ist Gott, Allah, der alles in schönster Gestalt erschuf.

Einer dieser Koranverse lautet:

"Wenn über die Himmel und die Erde außer Gott andere Götter herrschten, wären sie bestimmt zugrunde gegangen. Erhaben ist Gott, der Herr der höchsten Allmacht, über alles, was sie erlügen."*(21. Sure, Die Propheten – Al-Anbiyā', Vers 22).*

Das bedeutet: Wenn über Himmel und Erde außer Gott andere Götter herrschten, wären sie bestimmt zugrunde gegangen, von ihrer wunderbaren, fehlerfreien, einheitlichen Ordnung entgleist. Das Vorhandensein von vielen Göttern würde zu Streit und Ringen unter ihnen und somit zum Zusammenbruch führen. Da das aber in der erlebbaren Wirklichkeit nicht so ist, so deutet alles darauf hin, dass es nur einen Gott gibt, den Erhabenen, den Herrn mit der höchsten Allmacht.

Ähnlich ist folgender Koranvers:

"Gott hat sich keinen Sohn genommen, und es gibt keine Gottheit neben Ihm, sonst hätte jede Gottheit an sich genommen, was sie geschaffen hat, und sie hätten sich um den höchsten Rang gestritten. Erhaben ist Gott über alles, was sie erdichten."*(23. Sure, Die Gläubigen – Al-Mu'minūn, Vers 91).*

dir gefallen, hunderttausend Dinâr und schwache Vernunft zu haben?" Der gescheite Junge antwortete: "Nein, mir wird es nicht gefallen." Daraufhin sagte der Weise: "Warum?" Der gescheite Junge erwiderte: "Durch die schwache Vernunft, so fürchte ich, würde ich das Geld verlieren, und mir würde nur die schwache Vernunft bleiben.»

Die Vernunftmenschen, so weit ihr Horizont und so reich ihr Wissen sein mögen, schaffen keine Himmelsreligionen mit gottesdienstlichen Handlungen, zwischenmenschlichen Beziehungen und moralischem Kodex, weil die Himmelsreligionen von Gott, dem Allmächtigen, stammen, Der sie Seinen Propheten herabsandte, damit sie sie ihren Völkern verkünden, die ihre Gebote und Verbote einhalten und somit Gewinn und Erfolg ernten.

Die ausgewogenen Vernunftmenschen befassen sich nicht mit der unnützlichen Erforschung der göttlichen Geheimnisse, sondern mit Denken, Nachdenken und Betrachtung der Schöpfung Gottes. Sie denken an das, was den Menschen im Rahmen ihres Denk- und Erkenntnisvermögens nützt. Die islamische Scharia verbietet ihren Anhängern, über das Wesen Gottes nachzudenken, weil das über ihr Denk- und Erkenntnisvermögen hinaus reicht.

Im Koran sagt Gott, der Allmächtige:

"Er ist der Schöpfer der Himmel und der Erde. Er hat euch aus euch selbst Gattinnen erschaffen. Auch für das Vieh hat Er aus seiner Art weibliche Tiere erschaffen. So vermehrt Er euch. Nichts ist Gott gleich. Er ist es, Der alles hört und alles sieht." *(42. Sure, Die Beratung – Asch-Schûra, Vers 11).*

Das bedeutet: Gott, der Allmächtige, ist der Schöpfer der Himmel und der Erde. Durch Seine Allmacht hat Er euch aus eurer Art Gattinnen erschaffen, mit denen ihr durch Liebe und Barmherzigkeit verbunden seid. Auch für das Vieh hat Er aus seiner Art weibliche Tiere erschaffen. So vermehrt Er euch. Dann hat Gott, der Allmächtige, hervorgehoben, dass Ihm nichts gleich ist, weder was Sein Wesen, noch Seine Eigenschaften und Handlungen anbelangt. Er ist es, Der alles hört, was Seine Geschöpfe sagen und alles sieht, was sie zeigen und was sie verbergen.

In einem Hadîth des Propheten Muhammad heißt es:

"Denkt über das nach, was Gott schuf, und nicht über Sein Wesen, weil ihr Ihn nicht angemessen würdigen könnt!"

Das bedeutet, dass das Nachdenken über Seine Gestalt, das Wie Seiner Existenz…etc. nur zu Verwirrung und perplexen Vorstellungen führt, die zu den Verboten gehören. Man sollte über die Schöpfung und die Gaben nachdenken, die Er Seinen Dienern gewährt. Das ist das richtige Nachdenken, das zum Wahren, zum Guten und zum geraden Weg rechtleitet.

Der Islam setzt als leuchtend klares Ziel für das Nachdenken: die Vernunft aufzuwecken, damit sie ihrer Funktion nachkommt, die darin besteht, Gottesgaben zu erkennen, die Menschen durch weise, rationale Beweise zu den Lebensgesetzen, den Daseinsursachen, den kosmischen Gesetzmäßigkeiten, den faktischen Beschaffenheiten der Dinge, ja zu allem, was wahr, gut, wohltätig und schön ist, zu führen. Wer sich in den Koran vertieft, stellt fest, dass viele Koranverse rationale, schlüssige Beweise über das Einssein Gottes, den Jüngsten Tag, die wahrhaftige Verkündung der göttlichen Botschaften durch die ehrwürdigen, pflichtbewussten Gottesgesandten und die Unanfechtbarkeit des von Gott, dem Allmächtigen, offenbarten Koran, enthalten.

Die rationalen Beweise nehmen in einigen Koranversen die Form der Herausforderung an. Gott, der Allmächtige, sagt:

"Das ist Gottes Schöpfung. Zeigt mir, was die Götzen, die ihr anstatt Seiner anbetet, geschaffen haben! Die Ungerechten sind in offenkundigem Irrtum." *(31. Sure, Luqmân, Vers 11).*

Das bedeutet: Dieser Kosmos mit Himmeln, Erde, Meeren, Bergen, Menschen, Dschinnen, Fauna und Flora, ist von Gott durch Seine Allmacht geschaffen worden. Sagt mir, o Anbeter von Götzen, die weder nützen noch schaden können! Was haben diese Götzen geschaffen? Nichts. Warum akzeptiert eure Vernunft, sie anstatt Seiner anzubeten?!

Ähnlich ist folgender Koranvers:

"Ist denn Derjenige, Der alles erschafft, dem gleich, der nichts schaffen kann? Wollt ihr denn nicht darüber nachdenken?" *(16. Sure, Die Bienen – An-Nahl, Vers 17).*

Die Frage ist hier eine rhetorische, die die Anhänger der Vielgötterei wegen ihrer Ignoranz tadelt. Da sie nicht nachdenken, beten sie Götzen an, die nichts schaffen können.



Das ist die Konzeption des religiösen Glaubens nach der islamischen Scharia: Gott, dem Einzigen, dem Allmächtigen, allein aufrichtig zu dienen, unanfechtbar zu bekennen, dass Gottesgesandte die Wahrheit verkündet haben, dass Gottes Engel existieren, dass Gott einigen Gesandten Bücher offenbarte, dass das Jüngste Gericht ohne Zweifel kommt und dass Gottes Entscheidungen unausbleiblich geschehen.

Gott, der Allmächtige, sagt:

"Euer Herr ist Gott, Der die Himmel und die Erde in sechs Tagen erschuf. Dann übernahm Er thronend die Macht. Er lässt die Nacht den Tag verhüllen, der ihr ständig nachfolgt. Die Sonne und der Mond und die Sterne folgen unterwürfig Seinem Befehl. Er allein schafft und verfügt. Voller Segen ist Gott, der Herr der Welten."*(7. Sure, Die Höhen – Al-A'râf, Vers 54).*

Das arabische Verb 'aqala bedeutet: verstehen, begreifen, geistig erfassen, aber auch verhaften, fesseln, anbinden (etwa ein Kamel). Das Substantiv al-'aql aus dem gleichen Stamm wird im Sinn von: Vernunft, Verstand, Intelligenz, Geist, Intellekt, Ratio u. a. gebraucht.

Al-'aql (die Vernunft) ist also das Instrument des Denkens, des Nachdenkens, des Unterredens, des Urteilens. Al-'aql (die Vernunft) hält einen davon ab, Fehler zu machen oder Gottes Verbote zu begehen.

Al-'aql (die Vernunft) ist gleichsam das kostbare Juwel, das Gott, der Allmächtige, dem Menschen bescherte und mit dem er denken, erkennen, Vermutungen und Annahmen anstellen und zwischen dem Richtigen und dem Falschen, dem Guten und dem Bösen, den Tugenden und den Lastern unterscheiden kann.

Al-'aql (die Vernunft) ist die göttliche Gabe, von deren Vorhandensein Verpflichtung, Verantwortung, Belohnung und Strafe abhängen. Verpflichtung und Verantwortung kommen nicht für Menschen in Frage, denen die Vernunft fehlt. Volljährigkeit und Vernunft sind die Voraussetzungen der Verpflichtung und der Verantwortung bezüglich gottesdienstlicher Handlungen sowie gültiger, rechtskräftiger Handelsgeschäfte, zwischenmenschlicher Beziehungen und Leistungen.



Wenn die Anzahl der vernünftigen Männer und Frauen in einem Volk groß ist, nehmen Wohlstand und Sicherheit zu, landwirtschaftliche, industrielle und gewerbliche Betriebe werfen höhere Erträge ab, desgleichen alle nützlichen Produktionszweige und wissenschaftliche Einrichtungen. Die Menschen, die die Vernunft gebrauchen, können die sterile Öde in fruchtbares Kulturland verwandeln. Fehlt es an vernünftigen Menschen, wird das fruchtbare Kulturland zu einer trostlosen Öde.

Wer den Koran aufmerksam liest und über ihn nachdenkt, erkennt, dass viele Koranverse mit der Wendung "warum gebraucht ihr die Vernunft nicht?!" oder "sie gebrauchen die Vernunft nicht" enden.

In diesem Sinn sagt Gott, der Allmächtige:

"Wie könnt ihr von den anderen verlangen, Gutes zu tun, während ihr es nicht tut. Ihr habt euch selbst vergessen, ihr, die ihr die Thora lest. Bedient euch doch der Vernunft!"*(2. Sure, Die Kuh – Al-Baqara, Vers 44).*

Ebenfalls sagt Gott, der Allmächtige:

"Die Ungläubigen sind wie die Tiere, die nichts hören außer Tönen und Zurufen. Sie sind taub, stumm und blind und gebrauchen die Vernunft nicht."*(2. Sure, Die Kuh – Al-Baqara, Vers 171).*

Die Höllenbewohner geben zu, dass sie bestraft werden, weil sie die Vernunft nicht gebrauchten. Im Koran heißt es:

«Auch sagen sie: "Wenn wir gehört und uns der Vernunft bedient hätten, wären wir nicht unter den Bewohnern der Hölle.* Sie geben ihre Schuld zu. Fluch sei über den Bewohnern der Hölle!"» *(67. Sure, Die Herrschaft – Al-Mulk, Verse 10-11).*

Die Hadithe des Propheten Muhammad heben hervor, dass die Vernunft eine überaus große Gabe Gottes ist. Er sagt zum Beispiel:

"Über die Frömmigkeit hinaus ist nichts Höheres zu erwerben als die Vernunft, die den Vernünftigen zur Rechtleitung führt und vor dem Untergang schützt."

In einem anderen Hadîth des Propheten Muhammad heißt es:

"Gott schuf nichts Edleres als die Vernunft."

In der erbaulichen Literatur wird die Vernunft in folgender Parabel thematisiert: «Ein Weiser fragte einmal einen gescheiten Jungen: "Wird es



Im Koran heißt es:

«Gottes Gesandter [Muhammad] glaubt an das ihm von seinem Herrn Offenbarte, und also die Gläubigen: sie glauben alle an Gott, an Seine Engel, an Seine Bücher und an Seine Gesandten. Sie sagen: "Wir glauben an die Gesandten, ohne Unterschiede zwischen ihnen zu machen". Sie beten Gott an: "Wir haben Deine offenbarte Botschaft gehört und fügen uns. Vergib uns, Herr! Zu Dir kehren wir zurück.» *(2. Sure, Die Kuh – Al-Baqara, Vers 285).*

Im Hadîth sagt Gottes Gesandter, Muhammad:

"Der Glaube besteht darin, an Gott, Seine Engel, Seine Bücher, Seine Gesandten, an den Jüngsten Tag und an das Schicksal zu glauben, sei es gut oder schlecht."

Das bedeutet: das wahrhaftige Bekenntnis und der richtige Glaube werden vollständig,

wenn der Mensch fest an Gott, den Einzigen, den Allmächtigen, den Schöpfer aller Dinge, den Herrn, den Ersten, den Letzten, den Sichtbaren, den Verborgenen, den Allwissenden glaubt,

wenn er daran glaubt, dass Gott Ihm nahe stehende Engel hat, die Ihm keineswegs widersprechen, sondern all Seine Befehle ausführen,

wenn er daran glaubt, dass Gott, der Allmächtige, Ibrâhîm (Abraham) die frühesten Schriften, Dawûd (David) das Zabûr-Buch, Mûsâ (Moses) die Thora, 'Îsa (Jesus) das Evangelium und Muhammad den Koran herab sandte,

wenn er daran glaubt, dass die ehrwürdigen Gottesgesandten – und an ihrer Spitze ihr Anführer und letzter, Muhammad – ihre Botschaften überbracht und ihre Pflicht gewissenhaft getan haben,

wenn er daran glaubt, dass der Auferstehungstag wahr ist, dass er ohne Zweifel kommt, dass das Jüngste Gericht wahr ist, dass die Abrechnung, das Paradies und die Hölle wahr sind

und wenn er daran glaubt, dass Gott, der Allmächtige, alles entscheidet und dass Seine Entscheidung unbedingt geschieht.

Das ist der rechte Glaube, der in der islamischen Religion verkörpert ist, im Islam im Sinn von aufrichtiger Ergebenheit angesichts Gottes, des Allmächtigen [wörtlich: islâmu-l-wadschhi-li(A)llâh



Das ist die Religion, die Gott für seine Diener annimmt, als er sagt:

"Bekennt sich jemand zu einer anderen Religion als zum Islam (der Hingabe an Gott allein), wird Gott sein Bekenntnis nicht annehmen. Am Jüngsten Tag wird er zu den Verlierern gehören."*(3. Sure, Die Familie 'Imrân – Âl-'Imrân , Vers 85).*

Es müsste unmissverständlich klar sein, dass der Islam im Sinn von aufrichtigem Dienen Gottes die Religion aller ehrwürdigen Propheten samt und sonders ist. Nûh (Noah) sagte seinem Volk:

"Wenn ihr euch abwendet, so bedenkt, dass ich euch um keinen Lohn gebeten habe. Meinen Lohn bekomme ich von Gott allein. Mir wurde geboten, mich unter die zu reihen, die sich Gott ergeben [wörtlich: Muslimûn]."*(10. Sure, Jûnus – Jonas, Vers 72).*

Ibrâhîm (Abraham) sagte seinem Volk:

"Als sein Herr zu ihm sprach: «Ergib dich Mir!» sagte er: «Ich ergebe mich dem Herrn der Welten! [wörtlich: aslamtu]»."*(2. Sure, Die Kuh – Al-Baqara, Vers 131).*

Mûsâ (Moses) drückt sich ähnlich aus. Im Koran heißt es:

«Moses sprach: "O mein Volk! Wenn ihr wirklich an Gott glaubt, verlasst euch auf Ihn, wenn ihr Ihm aufrichtig ergeben seid [wörtlich: Muslimûn]!"» *(10. Sure, Jûnus – Jonas, Vers 84).*

Über 'Îsa (Jesus) und die Jünger sagt Gott, der Allmächtige, im Koran:

«Als 'Îsa (Jesus) merkte, dass sie nicht zu glauben gewillt waren, sprach er: "Wer sind meine Helfer auf dem Weg zu Gott?" Die Jünger antworteten: "Wir sind Gottes Helfer. An Gott glauben wir; bezeuge du, dass wir Ihm ergeben sind!" [wörtlich: Muslimûn].» *(3. Sure, Die Familie 'Imrân – Âl-'Imrân , Vers 52).*

Alle Gesandten Gottes haben eine und dieselbe Religion, einen und denselben Glauben verkündet, nämlich: den Islam im Sinn von aufrichtiger Ergebenheit angesichts Gottes, des Allmächtigen [wörtlich: islâmu-l-wadschhi-li(A)llâh, d.h. Ihm allein zu dienen, Ihm allein Gehorsam und Hingabe zu bezeugen, Ihn allein als den Herrn der Welten, den Allsehenden, den Allhörenden, Dem nichts ähnelt, zu erkennen.



Dann haben Sie erwähnt, dass Prof. Khoury eine Arbeit von einem französischen Islamologen (R. Arnaldez) zitiert, in der er "darauf hinweist, dass Ibn Hazn (=Hazm) so weit gehe zu erklären, dass Gott auch nicht durch sein eigenes Wort gehalten sei und dass nichts ihn dazu verpflichte, und die Wahrheit zu offenbaren. Wenn er es wollte, müsse der Mensch auch Idolatrie treiben.

Man könnte diesen Ausführungen entnehmen, dass es an Theologen nicht fehlt, die es für notwendig und vernünftig halten, aus der Sicht des christlichen Glaubens mit der Vernunft nach Gott zu fragen, und dass Sie, Heiliger Vater, diese vernunftmäßige Tendenz befürworten, damit sie der pessimistischen Tendenz, die behauptet, Gott gebe es nicht, entgegentritt.

Auch könnte man ihnen entnehmen, dass es Theologen gibt, die es für nicht notwendig und nicht nützlich halten, und dass einige Orientalisten meinen, der arabische Philosoph Ibn Hazm neige dazu.

In dem vorliegenden Artikel, gedenke ich, Ihnen, Heiliger Vater, in kurz gefasster Form die Konzeption der islamischen Scharia und den Platz, den die Vernunft darin einnimmt, klarzustellen.

Das arabische Wort **al'aqîda** (= der Glaube) bezeichnet Vertrauen setzen in einige Ansichten, Prinzipien und Ideen, die sich aus unterschiedlichen Gründen im Herzen einhausen, die gleichsam zu einem Teil des Wesens eines Menschen werden, und die der Mensch wie sich selbst verteidigt. Wenn man auf arabisch von einem sagt, **i'taqada fi ++** , so heißt das, dass er etwas für wahr hält, ihm vertraut. So sind die Wörter **i'tiqâd, îmân** und **tasdîq** semantisch ähnlich.

Nach dem arabischen Wörterbuch *Al-Wasît* (Bd. 2, S. 614) bedeutet **'aqîda** : ein Urteil, das derjenige, der es annimmt für unanzweifelbar hält; in der religiösen Terminologie bedeutet das Wort **'aqîda** der Glaube ohne Handlung, wie der Glaube an die Existenz Gottes, oder an die Sendung von Gottesgesandten.

Der religiöse Glaube **al-'aqîda ad-diniyya** ist ein psychischer Bedarf, der sich des Menschen so bemächtigt, dass er ohne ihn kein psychisch normales Leben führen kann. Die Menschen, die behaupten, sich vom Glauben befreit zu haben, drücken etwas Oberflächliches aus. In der Tiefe ihrer Seele glauben sie an Lügenerzählungen, Flunkereien, Gelüste, Gier und wähnen aus Ignoranz, dass sie Recht haben und dass die anderen, die Vernünftigen, im Irrtum sind.



Der namhafte ägyptische Autor 'Abbâs Mahmûd Al'aqqâd hat in seinem wertvollen Buch *Allâh* (S. 14) Folgendes geschrieben: "In der menschlichen Natur gibt es einen Hunger nach dem Glauben wie der Hunger des Magens nach Nahrung. Wir dürfen sagen, dass die Seele Hunger fühlt wie der Körper. Wie die Seele ihre Nahrung verlangt, ist wie der Körper seine Nahrung verlangt. Unumstritten ist die Tatsache, dass der religiöse Sinn tief in der menschlichen Natur verankert liegt. Auch unumstritten ist die Tatsache, dass der Mensch glauben muss, dass er sich ohne Glauben keiner Stabilität in diesen Welten erfreut. Er existiert aber zweifelsohne in diesen Welten. Wenn es der Glaube ist, der seine Existenz nötig hat, so ist der Mangel an Glauben eine Abnormalität, die der Genesis widerspricht und auf einen Schaden im Menschenwesen hinweist. Die Religionskomparatisten stimmen darin überein, dass der religiöse Glaube in der menschlichen Natur seit den ältesten Epochen der Geschichte tief verwurzelt ist."

Tatsache ist, dass der religiöse Glaube eine psychische Notwendigkeit ist, die die menschliche Natur braucht. Er bemächtigt sich der Vernunft, der Gefühle und der Seelenkräfte des Menschen, weil er seine natürlichen, leidenschaftlichen und rationalen Neigungen befriedigt. Der religiöse Glaube stellt eine Notwendigkeit dar, die der Mensch sucht. Wenn der Glaube nicht gefunden wird, wird er erfunden. Jeder Mensch hat seinen Glauben, den er verteidigt, auch wenn er falsch ist und keine historische, rationale, logische Begründung hat.

Der Beweis dafür, dass der Mensch seinen Glauben verteidigt, auch wenn er falsch ist, liegt im Koran vor. In vielen Versen teilt uns der Koran mit, wie es den verehrten Gottesgesandten erging, als sie ihre Völker zum wahren Glauben aufriefen, der darin besteht, Gott, dem Einen, dem Allmächtigen, allein aufrichtig zu dienen und sich die edle Moral anzueignen. Die meisten Völker bekämpften die ehrwürdigen Gottesgesandten, bezichtigten sie des Wahnsinns, der Dummheit, des Irrtums, oder ähnlicher, niederträchtiger Beleidigungen.

Der richtige Glaube ist der, den Gott, der Allmächtige, seinen ehrwürdigen Gesandten offenbarte und ihnen befahl, ihn zu verkünden. Er besteht darin, Gott, dem Einen, dem Allmächtigen, allein aufrichtig zu dienen, die Wahrhaftigkeit der Gesandten Gottes zu erkennen und des Jüngsten Tages gewiss zu sein.

In den zwei ersten Artikeln dieser Reihe und in diesem habe ich klargestellt, dass sich der Islam durch Überzeugung und eingehende Überlegung, nicht durch Gewalt und Zwang, verbreitet hat, dass der Dschihad im Islam von Gott rechtmäßig vorgeschrieben ist, um den unter Ungerechtigkeit leidenden Menschen zu helfen, sowie um Menschenleben, Besitz, Ehre, Würde, Heimat und Menschenrechte zu verteidigen und dass unser Prophet, der uns am Jüngsten Tag mit seiner Fürbitte beisteht, der edelste und beste Mensch ist, dass er der ganzen Menschheit alles Gute, alles Nützliche, alles Wohltätige, alles Tugendhafte brachte und alle Türen zum Schlechten, Bösen und Üblen samt und sonders hermetisch verschloss.

Wünschenswert wäre, dass Seine Heiligkeit der Papst des Vatikans die Geschichte des unglaubwürdigen byzantinischen Kaisers in seine Vorlesung vom 12. September 2006 in Regensburg nicht hineingezogen hätte, weil sie keinen Bezug zu ihr hat, behandelt sie doch weitgehend oder hauptsächlich das Christentum. Da er sie doch hineinzog, hätte sich geziemt, dass er – als Geistlicher und Philosoph – kommentierend darauf hingewiesen hätte, dass sie bar aller Wahrheit ist.

Da Seine Heiligkeit es nicht tat, haben wir uns für verpflichtet erachtet, Seiner Heiligkeit zu zeigen, was richtig und was falsch ist, was wahr und was erlogen ist, denn wer die Wahrheit und das Rechte nicht sagt, ist ein stummer Satan. Heil dem Rechtgeleiteten!

* * * * *

4

In diesem vierten Artikel, den ich an Eure Heiligkeit richte, gedenke ich, auf Ihre Vorlesung vom 12. September 2006 über das Thema *"Glaube, Vernunft und Universität"* einzugehen, mit der Sie die Universität Regensburg ehrten. Sie haben als Universitätsprofessor Erinnerungen an die Universität Bonn in der Zeit der alten Ordinarien-Universität mit zwei Theologischen Fakultäten wachgerufen, auf die die Universität durchaus stolz war. Sie teilen diesen Stolz und heben hervor, dass die zwei Theologischen Fakultäten "indem sie nach der Vernunft fragen, eine Arbeit tun die notwendig zum Ganzen der Universitas scientarium gehört, auch wenn nicht alle den Glauben teilen konnten, um dessen Zuordnung zur gemeinsamen Vernunft sich die Theologen bemühen". Es geht aus dem Text hervor, dass einige ihre Ansichten nicht akzeptierten. Weiter sagen Sie, "...einer der Kollegen habe geäußert, an unserer Universität gebe es etwas Merkwürdiges: zwei Fakultäten, die sich mit etwas befassten, was es gar nicht gebe – mit Gott." Nach Ihrer Meinung ist das eine "radikale Skepsis" und es bleibt "notwendig und vernünftig ..., mit der Vernunft nach Gott zu fragen und es im Zusammenhang der Überlieferung des christlichen Glaubens zu tun, war im Ganzen der Universität unbestritten." Sie, Eure Heiligkeit, sind auf Gott in der griechischen Vorstellung und im Christentum eingegangen.

Strömungen im Mittelalter wird es - Ihrer Vorlesung nach - gegeben haben, nach denen es für "einen, (der) in griechischer Philosophie aufgewachsen... der Satz evident ist...", der lautet: "Nicht vernunftgemäß handeln, ist dem Wesen Gottes zuwider". Es haben sich - Ihrer Vorlesung nach – "...im Spätmittelalter Tendenzen der Theologie entwickelt..., die diese Synthese von Griechischem und Christlichem aufsprengen." Also: die Synthese von Vernunft und Glauben. Es heißt in Ihrer Vorlesung: "Gegenüber dem sogenannten augustinischen und thomistischen Intellektualismus beginnt bei Duns Scotus eine Position des Voluntarismus, die schließlich dahin führte zu sagen, wir kennten von Gott nur sein Voluntas ordinata. Jenseits davon gebe es die Freiheit Gottes, kraft derer er ja auch das Gegenteil von allem, was er getan hat, hätte machen und tun können."



einen Beschluss fasst, dann vertraue auf Gott, denn Gott liebt diejenigen, die sich auf Ihn verlassen.

▫▫ ▫▫ ▫▫ ▫▫ ▫▫

Gnädig war der Prophet Muhammad zeit seines Lebens, zumal in den entscheidenden Situationen und unter den schwierigsten Umständen.

Als er in At-tâ'if von ruchlosen Elementen malträtiert wurde, bat er Gott nicht darum, sie zu vernichten, sondern sie gnadenvoll recht zu leiten: "O Gott! Leite meine Mitmenschen recht, denn sie wissen nicht, was sie tun!" Gnädig war er stets mit allen Menschen. Er erklärte, dass der wahre Glaube in den Herzen nur vollständig ist, wenn ihn Gnade begleitet. In einem Hadîth sagt er: "Gläubig seid ihr erst, wenn ihr gnädig seid." Seine Anhänger erwiderten: "Wir sind alle gnädig." Darauf er: "Es geht nicht darum, dass man zum Freund gnädig ist, sondern zum einfachen Volk."

Gnädig war er stets mit seinen Kindern. Als sein kleiner Sohn Ibrâhîm im Sterben lag, nahm er ihn zu sich, drückte ihn an seine Brust und gab ihm einen Kuss. Tränen kamen ihm in die Augen. Einer seiner Gefährten sagte ihm: "Und du Gottesgesandter!" Der Prophet Muhammad sprach: "Um Gnade geht es. Tränen kommen in die Augen, demütig bleibt das Herz, und wir sagen nur, was Gott gefällt: Ibrâhîm, wir sind sehr traurig."

Gnädig war er stets mit den Waisenkindern und den Elenden.

Ein Mann, dessen Herz hart war, beschwerte sich darüber beim Propheten, der sagte: "Willst du deine Härte überwinden und ein weiches Herz haben? So sei gnädig mit dem Waisenkind! Streichele ihm den Kopf und lass es mit dir essen!"

Gnädig war er stets mit den Schwachen.

Gnädig war er stets mit den Dienern. In einem Hadîth sagt er: "Wer einen Bruder (= einen Menschen) als Diener bei sich hat, muss ihm von dem zu essen geben, wovon er isst, ihn so kleiden, wie er sich kleidet, ihn mit Arbeit nicht überbelasten und ihm bei der Arbeit helfen, die ihm aufgegeben wird."

Gnädig war er stets mit den Tieren. In einem Hadîth sagt er:



"Eine Frau kommt gewiss in die Hölle wegen einer Katze, die sie einsperrte; weder gab sie ihr zu fressen, noch ließ sie sie frei laufen und von dem Ungeziefer der Erde fressen.

Wir stellen fest, dass die Gnade eine Tugend ist, die den Propheten Muhammad stets begleitete und alle Lebensaspekte umfasste.

Er war gnädig mit dem Kleinen und dem Großen, mit dem Nahen und dem Fernen, dem gut Denkenden und dem Beschränkten, dem Freund und dem Feind, dem Menschen und dem Tier. Wenn er das Gebet mit Männern und Frauen verrichtete und im Sinn hatte, das Gebet, das ihm die größte Freude bot, lang zu halten, kürzte er es doch, wenn er ein Kind weinen hörte, da er der Gnade mit dem Kind und der besorgten Mutter Vorrang gab.

Ihm gereicht zur Ehre, dass Gott ihn im Koran folgendermaßen lobt:

"Zu euch ist ein Gesandter aus euren Reihen gekommen. Es bedrückt ihn, dass ihr euch Schweres aufbürdet. Er sorgt sich um euch und ist gegen die Gläubigen voller Milde und Barmherzigkeit."*(9. Sure, Die Reue – At-Tauba, Vers 128).*

Auch wenn die Gnade besonders betont wird, gehören alle Tugenden und moralischen Vorzüge zum Charakter des Propheten Muhammad. Der Dichter Al-Imâm Al-bussîri sagt in seiner *Burda* zutreffend:

Füge zu seinem Wesen alle Ehren, die die du möchtest, hinzu,
und setze in die Reihe seiner Würden die Größen, die du möchtest,
die Vorzüge vom Gottesgesandten Muhammad sind so unzählig,
dass niemand sie alle nennen könnte.

▫▫ ▫▫ ▫▫ ▫▫ ▫▫

Jedem Vernünftigen, der seinen gesunden Menschenverstand gebraucht, dürfte klar geworden sein, dass die Äußerungen des byzantinischen Kaisers [Manuel II. Palaeologos] vor mehr als 600 Jahren in einem Dialog mit einem Muslim, flagrante Lügen sind, behauptete er doch, der Islam hätte sich durch das Schwert verbreitet, der Dschihad wäre von der islamischen Scharia für die Aggression zugelassen und der Prophet Muhammad hätte nur Schlechtes und Inhumanes gebracht.



Paraphrasiert heißt es: O Gottesgesandter! Entsandt haben Wir dich mit der Botschaft, den Islam zu verkünden, damit du eine Gnade für die Welt, die Menschen und die Dschinnen bist.

Denn Wir haben dich mit der Botschaft entsandt, die sie - was Religion, Diesseits und Jenseits anbelangt - glücklich macht, wenn sie dir folgen, der dir herab gesandten Offenbarung entsprechen, auf deine Gebote und Verbote hören.

In einem Hadîth des Propheten Muhammad heißt es:

"Ich bin wahrlich eine bescherte Gnade".

Seine Botschaft ist an und für sich Gnade. Diese Gnade nützt nur demjenigen, der ihre einschlägige Botschaft annimmt. Wer diese abschlägt, verpasst die Chance, aus dieser Gnade Nutzen zu ziehen.

Der namhafte Koranexeget Az-Zamakhschari schreibt in seinem *Al-Kaschschâf* über diesen Koranvers kommentierend:

"Wir haben dich als Gnade für die ganze Welt entsandt" bedeutet, dass der Prophet Muhammad die Botschaft brachte, die diejenigen glücklich macht, die sie befolgen; diejenigen aber, die sie nicht befolgen, schaden sich selbst, weil sie ihren Anteil fallen lassen.

Ein Gleichnis können wir anführen. Man stelle sich eine große Süßwasser-Quelle vor, die Gott entspringen lässt, aus der Menschen schöpfen, ihre Felder bewässern, ihr Vieh tränken, während andere Menschen keinen Nutzen daraus ziehen. Die Quelle ist eine bescherte Gnade Gottes für alle Menschen. Der Nachlässige schadet sich, weil er sich das Nützliche vorenthält.

* * * * *

Gott, der Allmächtige, hat die Gnade als Bezeichnung für die Botschaft des Propheten Muhammad gewählt. Der Prophet Muhammad war ausgesprochen gnädig; er sagte: "Ich bin wahrlich eine bescherte Gnade." In der Gnade liegt alles Gute. Wer gnädig ist, ist vom Schlechten aller Art weit entfernt.



Die Gnade ist Vollkommenheit der menschlichen Natur und Schönheit der Empfindung des reinen, korrekten Menschen. Sie lässt ihn die Leiden der Anderen fühlen und aufrichtig mit aller Kraft danach streben, sie zu überwinden. Auch lässt die Gnade ihn Mitleid mit den Menschen haben, die Fehler begehen; darüber hinaus lässt die Gnade ihn, diesen Menschen, die Fehler begehen, Rechtleitung, Rationalität und Richtigstellung wünschen.

Gott, der Allmächtige, hat gnadenreich und gütig beschlossen, der Welt einen Menschen zu bescheren, der ihre Schmerzen lindern, ihre Leiden wegwischen, ihre Fehler korrigieren, allen Individuen das Gute unterbreiten und sie zum geraden Weg recht leiten soll.

So hat Er Seinen Gesandten, den Propheten Muhammad, entsandt. Er offenbarte ihm die Rechtleitung und den wahren Glauben. Da Er in sein Herz Wissen und Weisheit, in seine Wesensart Sanftmut und Mitleid, in seine Vernunft sicheres Urteil und rationales Denken, in sein Gemüt Gnade und Wohltat einpflanzte, wurde er zum besten, edelsten und gnädigsten Menschen.

In diesem Sinn sagt Gott im Koran:

"Durch Gottes Barmherzigkeit gehst du sanft mit ihnen um. Wärest du schroff und hartherzig gewesen, hätten sie sich von dir abgewandt. So verzeih ihnen, bitte Gott für sie um Vergebung, und berate dich mit ihnen! Wenn du einen Beschluss fasst, dann vertraue auf Gott, denn Gott liebt diejenigen, die sich auf Ihn verlassen."*(3. Sure, Die Familie 'Imrân –Âl-'Imrân, Vers 159).*

Paraphrasiert heißt es: O Muhammad! Gott, der Allmächtige, hat dir eine große Gnade, die Barmherzigkeit, gegeben. So gehst du gnädig und sanft mit deinen Anhängern in allen Situationen und unter allen Umständen um. Wärest du schroff, hartherzig und abstoßend gewesen, hätten sich deine Gefährten von dir abgewandt.

Wenn du, liebenswürdiger Gesandter, ein Herz voll Gnade, Güte, Milde und Heiterkeit hast, verzeih ihnen, wenn sie sich irren, bitte Gott für sie um Vergebung, und berate dich mit ihnen, wenn es um Fragen geht, die ihre Ratschläge erfordern! Wenn du, Gottesgesandter, nach den Beratungen

In diesem Sinn sagt der Allmächtige auch:

"Er ist es, Der zu den Analphabeten einen Gesandten (Muhammad) aus ihrer Mitte geschickt hat, damit er ihnen Seine Verse vorträgt, sie läutert und sie das Buch und die Weisheit lehrt; sie waren vordem im offensichtlichen Irrtum."*(62. Sure, Der Freitag – Al-Dschumu'a, Vers 2).*

Den Inhalt können wir folgendermaßen kurz fassen: Gott, der Allmächtige, hat den Propheten Muhammad mit Seiner Botschaft betraut, die das umfassende Gute verkündet, nachdem das Böse überall in der Welt die Oberhand gewonnen hatte. Die Botschaft des Propheten Muhammad ist das Licht, das sich nach lange anhaltender Finsternis und offensichtiger Ignoranz in Ost und West verbreitete.

5)

Unser Prophet Muhammad, der uns mit seiner Fürbitte am Jüngsten Tag beisteht, brachte der ganzen Menschheit das Gute in reinster Ausprägung. Schlechtes brachte er nicht, weil er von Gott mit der Botschaft betraut wurde, allen Menschen das absolut Gute zu verkünden. Daher ist es völlig ausgeschlossen, dass sie etwas Schlechtes enthielt.

Es handelt sich um einen an alle Menschen gerichteten Aufruf, Gott, dem Einen, dem Schöpfer, allein aufrichtig zu dienen und die besten moralischen Gebote einzuhalten. Eine Botschaft, die so beschaffen ist, ist logischerweise frei von jeglichem Übel.

Alle Propheten – und an ihrer Spitze Muhammad ihr Anführer, ihr Letzter und Bester – sind von Gott vor und nach der Berufung davor abgeschirmt, Schlechtes zu bringen oder zu begehen, denn Gott hat sie auserwählt, geläutert und davor geschützt, Unwürdiges zu machen.

Jeder, der die Sîra – Biographie – des Propheten Muhammad gelesen hat, weiß, dass seine Mitmenschen ihn seit seiner frühen Jugend as-Sâdiq, al-Amîn (= der Ehrliche, der die Wahrheit sagt, der Vertrauenswürdige) nannten.

Ihm genügt Gottes Zeugnis im Heiligen Koran:

"Du bist von edlem Charakter."*(68. Sure, Das Schreibrohr – Al-Qalam, Vers 4).*

Das Wort al-Khuluq (= Charakter) bezeichnet nach Al-fakhr Ar-râzi eine psychische Veranlagung, die es demjenigen, der sie besitzt, leicht macht, schöne Worte zu sagen und schöne Handlungen zu vollziehen.

Das Wort 'azîm (= edel) bezeichnet Dinge, die wertvoll, erhaben, hochrangig sind.

-Dieser Koranvers bedeutet: O Muhammad! In allem, was du sagst und tust, sowie in allem, was du vermeidest, bist du edlen Glaubens, edlen Charakters, edlen Benehmens.

Das Wort «'alâ» im arabischen Text drückt das Beherrschen, das Meistern des edlen Charakters aus. Man kann nicht alles erschöpfend erklären, was der Koranvers mit seiner außerordentlich lobenden Aussagekraft ausdrückt.

In seinem Kommentar über diesen Koranvers schreibt der große Koranexeget Ibn Kathîr, dass 'Â'ischa – die Frau des Propheten – auf die Frage: Wie war der Charakter des Propheten Muhammad? sagte: «Sein Charakter war der Koran».

Damit meinte sie, dass der Prophet dem Koran so genau in seinen Befehlen, Verboten und Handlungen folgte, dass er sich in seinem Charakter, seiner Natur und seiner Art fest verankerte. Er führte alles aus, was der Koran gebietet, und enthielt sich dessen, was der Koran verbietet. Darüber hinaus hatte Gott ihm angeborene Anlagen gewährt, wie Milde, Weisheit, Keuschheit und Mannesmut. Wie hätte sein Charakter anders sein können als der Inbegriff der edlen Moral? Ein Hadîth des Propheten lautet: «Ich bin zum Gesandten berufen worden, um die Moral zu vervollständigen».

Ihm gereicht zur Ehre, dass Gott ihm Folgendes im Koran bescheinigt:

"Wir haben dich als Gnade für die ganze Welt entsandt."*(21. Sure, Die Propheten – Al-Anbiyâ', Vers 107).*



Die Botschaft des Propheten Muhammad fiel in eine Zeit, in der die Menschheit sie nötig hatte. Vor seiner Botschaft litt die Menschheit äußerst unter innerer Unruhe, Elend, Ignoranz, Tyrannei, Ungerechtigkeit, Kriegen und Unterdrückung.

Die Welt war wie von einer unendlichen stockfinsteren Nacht umhüllt. Intrigen, Verschwörungen und Aufstände bildeten eine ununterbrochene Kette. Der Krieg zwischen Persern und Oströmern wütete und schien zu keinem Ende zu kommen.

Die Religionen erreichten den tiefsten Stand der Verwirrung, Verfälschung und geistiger Armut. Der Mensch, der von Gott als Sein Vertreter und Verwalter auf Erden bestimmt wurde, diente - statt Gott, dem Allmächtigen, dem Schöpfer - Bildgötzen, Steinen, Kühen, Bäumen oder Feuer.

Die Moral folgte den Gelüsten, Launen, der Selbstsucht, den Hassgefühlen, die die Sitten verderben und die zwischenmenschlichen Beziehungen ruinieren.

Den Bewohnern der arabischen Halbinsel, insbesondere den Mekkanern, ging es nicht besser als den anderen Menschen der damaligen Welt. Unter ihnen fanden Kriege aus äußerst belanglosen Gründen statt.

Sie beteten anstelle Gottes Götzen an, die ihnen weder schaden noch nützen konnten und behaupteten: "Das sind unsere Fürsprecher bei Gott." *(10. Sure, Jonas –Yûnus, Vers 18)* oder sie sagten: "Wir dienen ihnen nur, damit sie uns Gott näher bringen." *(39. Sure, Die Scharen – Az-Zumar, Vers 3).*

Sie lebten den zermürbenden Gelüsten, dem verwerflichen Stammesfanatismus, den unhaltbaren Bräuchen, dem Ahnenkult, dem Überlegenheitswahn, der Herkunftsprahlerei, ohne an moralische Werte und wahre Gerechtigkeit zu denken.

Das spricht jedoch nicht dagegen, dass sich eine ganz kleine Minderheit der Mekkaner von der Vielgötterei, den unwürdigen Sitten und dem blinden Stammesfanatismus abwandten. So: Zaid ibn ʿAmr ibn Nufail, Qoss ibn Sâʿida und Waraqa ibn Naufal.



In seinem Gedicht *Nahdsch Alburda* beschreibt der Fürst der Dichter, Ahmad Schauqi, zutreffend und weise die Verhältnisse in der Welt vor der Botschaft des Propheten Muhammad:

Du kamst, [O Muhammad!] als die Menschen, wann immer man an ihnen vorbei ging, bei einem Götzenbild verweilten, das sie liebten, während es ein anderes liebte.

Die Welt war voll Ungerechtigkeit, litt unter Zwang und Gewalt, jedem ruchlosen Tyrann ausgeliefert.

Der persische Gewaltherrscher unterdrückte grausam seine Untertanen, und der römische Kaiser stellte sich vor Überheblichkeit taub und blind.

Beide marterten Gottesknechte ohne Beweise und schlachteten Menschen wie man Gott geopferte Schafe schächtet.

Die Stärksten verschlangen die Schwächsten.

Wie der Löwe das Vieh und der Wal die Sprotte.

Während diese Finsternis die Menschheit mit Unglauben, Ignoranz und Unterdrückung umhüllte, kam die Botschaft des Propheten Muhammad, um sie ans Licht des Monotheismus, des Wissens und der Gerechtigkeit recht zu leiten.

Gott, der Allmächtige, erinnert die Menschen im Koran oft an diese gnadenreiche Gabe. So sagt Er:

"Gott hat den Gläubigen wahrhaftig eine Gnade erwiesen, indem Er einen Gesandten aus ihrer Mitte mit der Botschaft betraute, der ihnen die offenbarten Zeichen Gottes vorträgt, der sie läutert und sie das Buch und die Weisheit lehrt. Denn zuvor hatten sie sich in schwerem Irrtum befunden." *(3. Sure, Die Familie ʿImrân - Âl-ʿImrân, Vers 164).*

Den Inhalt können wir folgendermaßen paraphrasieren: Gott hat den gläubigen Arabern eine Fülle von gnadenreichen Gaben gewährt, indem Er einen Gesandten aus ihrem Geschlecht mit der Botschaft betraute, der ihnen die offenbarten Zeichen Gottes vorträgt, der sie von der Vielgötterei und von der verdorbenen Moral läutert. Vor seiner Botschaft hatten sie sich in schwerem Irrtum befunden.



Gott, dem Allmächtigen, offenbarten Gesetze und Rechtleitungen vervollständigt.

Alle Gottesgesandten hatten die grundsätzlich gleiche Botschaft, die in der Verpflichtung besteht, Gott, dem Einen, Allmächtigen, aufrichtig zu dienen und die besten moralischen Gebote einzuhalten.

Eine Botschaft mit diesen Grundsätzen kann den Menschen nur Gutes bringen: Glück, geistige Rechtleitung, Freude, Gemütsläuterung und Befreiung von Wut, Neid, Ungerechtigkeit und Aggressivität. Sie kann sie, wenn sie der Rechtleitung der Propheten folgen, nur ein gutes Leben in Sicherheit, Frieden und Wohlstand führen lassen.

Diese Wahrheit sagt Gott, der Allmächtige, im folgenden Koranvers:

"Die Gläubigen, seien es Männer oder Frauen, die im Sinn des Glaubens gute Werke verrichten, lassen wir auf Erden gut leben und gewähren ihnen im Jenseits den ihnen gebührenden Lohn, der ihre guten Werke mehrfach vergilt. " *(6. Sure, Die Bienen – An-Nahl, Vers 97).*

Die Gottesgesandten sind die Elitären, die von Gott auserkorenen Menschen, Gottes Tore der Barmherzigkeit und Seine Mittel der Gnade.

Die Gottesgesandten sind die Reinen, die ihr Schöpfer auserwählte, um seine Offenbarung zu überbringen, die Menschen zum geraden Weg recht zu leiten, sie aus der Finsternis der Ignoranz ans Licht des Wissens, aus dem Unglauben, dem Frevel und der Auflehnung zum Glauben, der Gottgehorsamkeit und der Tugendhaftigkeit zu führen.

Die Gottesgesandten sind die Menschen, die Gott durch ungetrübtes Naturell, reines Herz, erhabenes Gemüt, hohen Sinn, gesunde Vernunft, Zuverlässigkeit, reine Herkunft, schöne Gestalt, guten Charakter, angenehmes Äußeres, angenehmes Inneres vervollkommnete.

Die Gottesgesandten sind die Menschen, die Gott, der Allmächtige, vor und nach der Berufung, gegen alles abschirmte, was Moral, Ehre und Würde zuwiderläuft.

Gott schloss die Botschaften der Gottesgesandten mit der Botschaft Muhammads, dem Baustein, durch den das Gebäude der Himmelsbotschaften vollständig wurde.



Der Prophet Muhammad drückte diesen Sinn in folgendem Hadîth aus:

"Die Propheten vor mir und ich sind wie ein Haus, das jemand baute, verschönerte und schmückte, ausgenommen eine Stelle für einen Baustein. Die Menschen gingen um das Haus herum und sagten: «Wie schön ist dieses Haus! Wie herrlich geschmückt ist es!» Ausgenommen ist die leere Stelle, wo ein Baustein fehlte. Die Menschen gingen um das Haus herum und sagten: «Könnte der Baustein nicht gelegt werden!». Ich bin dieser Baustein, und ich bin der letzte Prophet."

4)

Der Prophet Muhammad brachte der ganzen Menschheit das Gute in reinster Ausprägung und brachte nichts Schlechtes, weil seine Botschaft nach einer langen Zeitspanne kam.

Gott, der Allmächtige, sagt:

"O ihr Schriftbesitzer! Zu euch ist Unser Gesandter gekommen, um euch nach einer Zeit, in der es keine Gesandten gab, über den wahren Glauben aufzuklären, damit ihr nicht sagt: "Zu uns ist kein Verkünder von frohen Botschaften und kein Warner gekommen." Zu euch ist nun fürwahr ein Verkünder von Freudenbotschaften und ein Warner gekommen. Gott kann alles, ist Seine Macht doch absolut uneingeschränkt." *(5. Sure, Der Tisch – Al-Mâ'ida, Vers 19).*

Den Inhalt dieses Koranverses können wir folgendermaßen paraphrasieren: O ihr Schriftbesitzer! Zu euch ist Unser Gesandter Muhammad gekommen, um euch über das Rechte in Fragen des Glaubens, der gottesdienstlichen Handlungen und gegenseitigen Beziehungen aufzuklären. Er ist zu euch mit seiner offenbarten Botschaft lange nach der Botschaft von 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn) gekommen, damit ihr nicht sagt: "Zu uns ist kein Verkünder von frohen Botschaften und kein Warner gekommen." Zu euch ist nun der Prophet Muhammad, ein Verkünder von Freudenbotschaften und ein Warner, gekommen. Er ruft euch auf, ungefähr sechs Jahrhunderte nach der Botschaft von 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn), Gott, dem Allmächtigen, aufrichtig zu dienen.



die Al-Bukhâri unter Berufung auf 'Abdallah Ibn 'Amr in seinen *Sahîh* aufgenommen hat: "Ich habe in der Thora die Beschreibung des Propheten Muhammad gelesen, die lautet: «Muhammad, Gottesgesandter: Mein Diener und Mein Gesandter, Ich nannte ihn al-Mutawakkil (= der sich auf Mich verlässt), er ist nicht heftig, nicht grob, kein Schreier auf Märkten, er erwidert das Böse nicht mit Bösem, sondern vergibt und entschuldigt...».

Fünftens: Ein Prophet, der den Menschen befiehlt, die Tugenden zu erwerben und die Laster zu meiden.

Sechstens: Ein Gesandter, dem Gott, der Allmächtige, eine Scharia herabsandte, die den Menschen alles Gute gebietet, wodurch ihr Leben besser wird, und alles Böse verbietet, was ihnen schadet und sie ruiniert.

Siebtens: Ein Prophet, der den Menschen die milde Scharia verkündet, die sich durch Erleichterung und nicht durch Erschwerung, durch Sanftmut und nicht durch Härte, auszeichnet.

Gott, der Allmächtige, schließt den Koranvers mit der Versicherung, dass diejenigen, die an den Propheten Muhammad glauben, die ihm beistehen und ihm zum Sieg verhelfen, die Erfolgreichen sind.

2)

Der Prophet Muhammad brachte der ganzen Menschheit das Gute in reinster Ausprägung, denn sein Bruder im Prophetentum 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn) kündigte ihn an und nannte seinen Namen, wie der Koran es versichert:

«Einst sagte 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn): "O ihr Kinder Israels! Ich bin von Gott zu euch gesandt worden, bestätige die vor mir offenbarte Thora und verkünde die frohe Botschaft, dass ein Gesandter namens Ahmad nach mir kommen wird."» *(61. Sure, Die Reihe – As-Saff, Vers 6).*

Paraphrasiert heißt es: O Muhammad! Verkünde deinen Anhängern, dass 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn), dein Bruder im Prophetentum einst seinem Volk sagte: O ihr Kinder Israels! Ich bin ein Gottesgesandter zu euch, bestätige das mir von Gott offenbarte Evangelium, die vor mir von Gott seinem Propheten Mûsa (Moses) offenbarte Thora und verkünde die



frohe Botschaft, dass ein wahrer Gottesgesandter namens Ahmad nach mir kommen wird.

Der große Gelehrte Al-Alûsi bestätigt, dass der würdige Name "Ahmad" einer der Namen unseres Propheten Muhammad ist, denn es steht in der Hadîth-Sammlung *As-Sahîhân* ein Hadîth des Propheten mit dem Wortlaut: "Ich habe mehrere Namen, ich bin Muhammad, Ahmad, Alhâschir (weil die Menschen bei der Auferstehung meinen Fußstapfen folgen), Almâhi (denn durch mich radiert Gott die Vielgötterei aus) und Al'âqib (denn nach mir kommt kein Prophet mehr).

In dem angeführten Koranvers steht klipp und klar, dass 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn) seinem Volk die frohe Botschaft von dem Gottesgesandten Ahmad (Muhammad) prophetisch verkündete. Diese Freudenbotschaft drückt wörtlich und inhaltlich aus, dass der Prophet Muhammad den Menschen das Gute in reinster Ausprägung bringen wird. Er wird ihnen das Gesetz bringen, das sie aus der Finsternis der Vielgötterei ans Licht des Monotheismus, aus den Lastern der Ignoranz zu den Tugenden des Wissens, aus der Verirrung von Frevel und Auflehnung zum geraden Weg des Glaubens und der Rechtschaffenheit führt.

Der Prophet Muhammad lobte seinen Bruder im Prophetentum 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn) hoch, als er sagte: «Ich habe unter allen Menschen den größten Anspruch auf 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn) im Diesseits und im Jenseits.»" Man fragte ihn: "Und wie? O Gottesgesandter!" Darauf er: "Weil es zwischen ihm und mir keinen Propheten gab."

Wie der Prophet Muhammad seinen Bruder im Prophetentum 'Îsâ ibn Maryam (Jesus Marias Sohn) lobte, lobte er auch seine Mutter, als er in einem Hadîth sagte: «Die besten Frauen unter den Paradiesbewohnern sind Khadîdscha bint Khuwaylid, Fâtima bint Muhammad, Âsiya bint Muzâhim – Pharaos Frau – und Maryam (Maria) bint 'Amrân.»"

3)

Der Prophet Muhammad, der uns mit seiner Fürbitte am Jüngsten Tag beisteht, brachte der ganzen Menschheit das Gute in reinster Ausprägung, weil seine Botschaft die letzte der Himmelsbotschaften ist, die alle von

3

In den zwei ersten Artikeln dieser Reihe habe ich Eurer Heiligkeit – in Bezug auf Ihre Vorlesung vom 12. September 2006 in Regensburg - darüber berichtet, dass die zwei den Islam betreffenden Behauptungen falsch sind, die der byzantinische Kaiser [Manuel II. Palaeologos] im 14. Jahrhundert n. Chr. in einem Dialog mit einem gebildeten muslimischen Perser geäußert haben soll, einmal die Behauptung, der Islam hätte sich durch das Schwert verbreitet und zum anderen die Behauptung, der Dschihad wäre von der islamischen Scharia für die Aggression zugelassen.

Ich habe Ihnen mittels tradierter und rationaler Beweise klargestellt, dass sich der Islam durch Überzeugung und eingehende Überlegung verbreitet hat und dass der Dschihad im Islam schariamäßig gestattet ist, um den unter Ungerechtigkeit leidenden Menschen zu helfen und jedem zu seinem Recht zu verhelfen.

In diesem dritten Artikel nehme ich zur dritten Lüge Stellung, die die hässlichste und gemeinste ist. Der byzantinische Kaiser [Manuel II. Palaeologos] soll im genannten Dialog dem muslimischen Perser gesagt haben: "Zeig mir doch, was Mohammed Neues gebracht hat und da wirst du nur Schlechtes und Inhumanes finden…etc."

Wir nehmen Eurer Heiligkeit übel, dass Sie all das in Ihrer Vorlesung angeführt haben, ohne dazu ein gerechtes richtig stellendes Wort zu sagen, das zum Ausdruck bringt, dass Sie die Äußerung vom unglaubwürdigen byzantinischen Kaiser nicht akzeptieren, als wären Sie mit allem, was er sagte, einverstanden.

Da Sie sich des Kommentars enthielten, hören Sie von mir die Fakten und die Beweise, die in aller Klarheit und mit aller Deutlichkeit öffentlich die Wahrheit an den Tag rücken, dass der Prophet Muhammad der ganzen Menschheit das Gute in reinster Ausprägung, alle Tugenden, die höchste Moral, und überhaupt nichts "Schlechtes" brachte.



1)

Dass der Prophet Muhammad der ganzen Menschheit das Gute in reinster Ausprägung brachte, geht daraus hervor, dass die vor ihm von Gott offenbarten Heiligen Schriften ihn im Voraus verkündeten, ihn mit den edelsten Qualitäten und besten Vorzügen charakterisierten und jeden rechtschaffenen Vernünftigen aufriefen, an ihn zu glauben und seinen Weg zu gehen.

Gott, der Allmächtige, sagt:

"…die dem des Lesens und Schreibens unkundigen Gesandten folgen, dem Propheten, den sie bei sich in der Thora und im Evangelium erwähnt finden. Er befiehlt ihnen das Würdige und verwehrt ihnen das Unwürdige und erlaubt ihnen das Gute und verbietet ihnen das Schlechte und nimmt ihnen die Bürde und die Fesseln ab, die ihnen angelegt worden waren. Diejenigen, die an ihn glauben, die ihm beistehen, ihm zum Sieg verhelfen und dem Licht folgen, das mit ihm herab gesandt worden ist, sind die Erfolgreichen." *(7. Sure, Die Höhen – Al-A'rāf, Vers 157).*

In diesem Koranvers charakterisiert Gott, der Allmächtige, seinen Gesandten Muhammad mit einer Reihe von hohen Qualitäten. So ist er:

Erstens: Gottesgesandter an alle Menschen als Freudenbote und Warner.

Zweitens: Ein Prophet, dem Gott eine vollständige, allgemeine, bis zum Jüngsten Tag erhalten bleibende Scharia – Gesetz – offenbart.

Drittens: Ein des Lesens und Schreibens unkundiger Gesandter, der bei keinem Lehrer war und von keinem Gelehrten Wissen erwarb. Gott sandte ihm den Koran herab, der die höchste Rechtleitung und das höchste Wunder ist. Ihm gab der Allmächtige eine solche Fülle von Wissen, Weisheiten und treffsicheren Lehrsätzen, dass er Alle überragte. Sein Analphabetismus ist ein hieb- und stichfester Beweis dafür, dass er wahrhaftige Offenbarung von Gott verkündete.

Viertens: Ein Prophet, dessen Namen und Bezeichnung die Schriftbesitzer bei sich in der Thora und im Evangelium geschrieben finden. Unter den bündigsten Beschreibungen des Propheten Muhammad in der Thora ist diese,



treuen Gläubigen gestärkt, die sich Gott weihen und sich beeilen, gute Werke zu leisten.

Diese Koranverse ermutigen den Propheten Muhammad eindeutig dazu, den Weg des Friedens zu gehen, sofern er seinen Anhängern nützt. Er teilt ihm die frohe Verheißung mit, dass der Sieg ihm, trotz der unlauteren Machenschaften und der Betrugsversuche des Feindes beschieden ist.

Sechstes Faktum

Die islamische Scharia macht für den Krieg einen streng einzuhaltenden Kodex. Dazu gehören Erfüllung der Verträge und Vertragstreue. Alle Verträge mit den Muslimen wurden bekanntlich voll und ganz eingehalten.

Der Prophet Muhammad hat die besten Beispiele der Vertragstreue gegeben. In dem Hudaibiya-Vertrag zwischen dem Propheten Muhammad und Quraisch stand folgende Klausel: "Wer zu den Muslimen von Quraisch kommt, wird zurück geschickt; wer aber von den Muslimen zu Quraisch kommt, wird nicht zurück geschickt." Einmal entsandte Quraisch Abu-Râfi' als Boten zum Propheten Muhammad. Ihn zog der Islam so an, dass er sich dazu bekannte. Dem Propheten sagte er: "O Gottesgesandter! Ich will nicht zu Quraisch zurück; ich will hier mit euch als Muslim bleiben." Darauf erwiderte der Prophet Muhammad: "Ich breche keinen Vertrag. Geh in Sicherheit zu Quraisch zurück. Wenn du dort in deinem Herzen dasselbe empfindest, komm wieder zu uns."

Zu diesem Kodex gehören: das Verbot, denjenigen zu töten, der am Kampf nicht beteiligt ist; das Verbot, abschreckende Grausamkeiten zu begehen, Verletzte zu töten, Pflanzen, Bäume und Früchte zu vernichten, Brunnen zu verschmutzen und Häuser zu zerstören; die Verpflichtung, die Kriegsgefangenen gut zu behandeln; den Feind zu amnestieren, wenn er darum bittet, und dafür sorgen, dass seine Sicherheit auf keinen Fall angetastet wird. Gott sagt:

"Sollte einer der Götzendiener dich um Schutz bitten, musst du ihn beschützen, damit er Gottes Worte hört. Gewähre ihm Asyl! Das sind nämlich Menschen, die um die Offenbarung nicht wissen." *(9. Sure, Die Reue – At-Tauba, Verse 6).*

Dieser Koranvers bedeutet: O Muhammad! Wenn einer der Götzendiener, die Gott andere Gottheiten beigesellen, dich um Schutz bittet, musst du seiner Bitte stattgeben, und ihn beschützen, damit er Gottes



Worte hört und über sie nachdenkt. Wenn er nach eingehender Überlegung den Glauben annimmt, wird er zu einem deiner Anhänger. Bleibt er bei seinem Unglauben und verlangt in seine Heimat zurückzukehren, musst du ihm solange Schutz gewähren, bis er in Sicherheit sein Zuhause erreicht.

Wir kommen zur Schlussfolgerung, dass der "Dschihâd" nach der islamischen Scharia ausschließlich dafür genehmigt ist, das Recht zu verteidigen, den ungerecht Behandelten zum Sieg zu verhelfen, Sicherheit und Frieden auf Erden zu verbreiten, die Frevler zur Rechenschaft zu ziehen, die ohne Strafverfolgung auf der Erde überall Unheil stiften würden.

An diejenigen, die den "Dschihâd" anders interpretieren und seinen Sinn verdrehen, richten wir Gottes Urteil:

"Wie ungeheuer ist dieses Wort, das ihren Lippen entwichen ist! Sie sagen nichts anderes als Lügen." *(18. Sure, Die Höhle – Al-Kahf, Vers 5).*

Jedem Vernunftmenschen wird klar geworden sein, dass der Krieg nach der islamischen Scharia nicht die eigentlich ursprüngliche Regel bildet, sondern die Ausnahme. Die ursprüngliche Regel, von der sie ausgeht, ist der Frieden und die Sicherheit unter den Menschen.

Der Krieg ist eine Notwendigkeit, die nach seinen Gründen ermessen wird. Der Krieg ist eine Strafe, die dann erlischt, wenn die Straftat, die ihn notwendig macht, erlischt. Er ist genau begrenzt durch die Grenzen der legitimen Verteidigung, die er um keinen Schritt, weder nach vorne noch nach hinten, übertreten soll.

Der Islam ist eine Religion der Güte, aber er steht nicht im Widerspruch zur Gerechtigkeit; er fördert keine Kriminalität; er lässt das Recht nicht mit gefesselten Händen, wenn das Unrecht es zu erschlagen droht. Er hat eine weitgreifende Barmherzigkeit, aber seine Härte mit den Übeltätern ist nicht zu unterschätzen. Er ist eine Religion der Milde und der Gerechtigkeit zugleich.

* * * * *



In As-*Sahihein* - Sammlung authentischer Hadîthe des Propheten – berichtet Ibn 'Omar, dass man dem Propheten Muhammad meldete, eine Frau sei bei einer Ghazwa tot gefunden worden, da verurteilte er ausdrücklich, Frauen und Kinder zu töten.

Als der Kalif Abubakr den Osâma ibn Zaid nach Syrien entsandte, um den Rechtsbrüchigen entgegen zu treten, erteilte er ihm einschlägige Befehle, darunter: "ihr sollt keine Verräterei, keine Überschreitung, keine Treulosigkeit, keine Grausamkeit begehen; ihr sollt kein Kind, keinen alten Mann, keine Frau töten; ihr sollt keine Palme abschlagen, keine Palme verbrennen, keinen fruchtbaren Baum abhacken…;ihr werdet an Menschen in Einsiedeleien vorbei gehen, das sind Mönche, die sich dem Eremitensein widmen, lasst sie ungestört bei der abgeschiedenen Hingabe!"

Aus den Koranversen geht hervor, dass die islamische Scharia für den Krieg Bedingungen und Bestimmungen vorschreibt.

Es heißt in folgenden Koranversen:

«Gott nimmt sich der Gläubigen an und verteidigt sie. Gott liebt keinen, der auf Verrat und Unglauben beharrt. * Den Gläubigen, die von den Ungläubigen angegriffen werden, ist es erlaubt zu kämpfen, weil ihnen Unrecht geschehen ist. Gott kann sie gewiss siegen lassen. * Das sind die, die zu Unrecht aus ihren Wohnstätten vertrieben wurden, nur weil sie sagten: "Unser Herr ist allein unser Gott!" Wenn Gott nicht Ungerechte durch Gerechte zurückhalten würde, wären gewiss Einsiedlerklausen, Kirchen, Synagogen, Kultstätten und Moscheen, in denen der Name Gottes unablässig genannt wird, zerstört worden. Gott lässt den siegen, der Gottes Sache siegen lässt. Gottes Macht und Gewalt sind unermesslich.» *(22. Sure, Die Pilgerfahrt – Al-Hadsch, Verse 38-40).*

Diese Koranverse bedeuten, dass Gott, der Allmächtige, Seine Diener, die Gläubigen, vor der Aggression der Gottesleugner und der Frevler abschirmt, weil er die Verräter und die Undankbaren nicht liebt.

Er erlaubt den Gläubigen, sich zu verteidigen und gegen die Ungläubigen zu kämpfen, die ihnen Unrecht getan und sie angegriffen haben. Gott teilt den Gläubigen mit, dass Er sie gewiss siegen lassen kann, hat er sich doch dazu verpflichtet, seine aufrichtigen, gläubigen Diener mit einem schönen Endergebnis zu belohnen.



Dann legt Gott, der Allmächtige, die Gründe für die Zulassung des Dschihâd für rechtmäßige Ziele fest. Hier handelt es sich um Menschen, «die zu Unrecht aus ihren Wohnstätten vertrieben wurden, nur weil sie sagten: "Unser Herr ist allein unser Gott!"» Wenn Gott nicht gegen die Gewalttäter Menschen ziehen lassen würde, die sie erniedrigen und zurückhalten, hätten sie gewiss Kultstätten, Einsiedlerklausen, Klöster, christliche Kirchen, jüdische Synagogen und islamische Moscheen, in denen gebetet wird, zerstört. Gott lässt den siegen, der Gottes Sache und die Gottgeweihten siegen lässt. Gottes Macht und Gewalt sind unermesslich.

Diese Koranverse drücken klar Gottes weise Bestimmungen aus, dass Er, der Allmächtige, sich Seiner Diener annimmt, die an Ihn aufrichtig glauben, dass Er ihnen erlaubt, gegen die streitsüchtigen, frevelhaften Unheilstifter zu kämpfen, die die Gläubigen heimgesucht und aus ihren Wohnstätten vertrieben haben. Wenn Gott diese gerechten Bestimmungen Seiner Scharia nicht erlassen hätte, um die Übeltäter zu schlagen, hätte die Unheilstiftung überall auf Erden um sich gegriffen.

Fünftes Faktum

Die islamische Scharia macht den Muslimen die Versöhnlichkeit und Friedlichkeit beliebt; sie befiehlt ihnen, die Beendigung des Krieges anzunehmen und ihn einzustellen, wenn der Feind es fordert, solange ihnen die Beendigung oder die Unterbrechung nicht schadet.

In folgenden Versen sagt Gott, der Allmächtige:

"Wenn sie zum Frieden neigen, entschließe du dich auch dafür, und verlass dich auf Gott! Er ist es, Der alles hört und alles weiß. * Wenn sie dich zu betrügen beabsichtigen, steht dir Gott bei, Der dich mit Seiner zum Sieg führenden Hilfe und mit den Gläubigen gestärkt hat." *(8. Sure, Die Beute – Al-Anfâl, Verse 61-62).*

In diesen Koranversen sagt Gott dem Propheten Muhammad: wenn deine Feinde, gegen die du im Krieg stehst, zu Versöhnung und Frieden neigen, sollst du ihr Friedensangebot annehmen, sofern es dir und deinen Anhängern nicht schadet; Verlasse dich auf Gott, fürchte dich nicht davor, dass die Feinde dich betrügen, sondern schließe den Frieden trotz Betrugsverdachts, Gott steht dir bei, hat Er dich doch mit Seiner zum Sieg führenden sichtbaren und unsichtbaren Hilfe und mit den aufrichtigen

drängten so lange, bis der Prophet ihn annahm. Während dieses Krieges fanden viele Muslime den Märtyrertod.

4) Zum Kriegszug – Ghazwat Al-Ahzâb – zogen über zehntausend kampflustige Ungläubige von unterschiedlichen Stämmen mit der Unterstützung von einigen jüdischen Führern nach Madina (Medina), um den Islam und die Muslime auszurotten. Als der Prophet Muhammad die feindliche Kampfansage erfuhr, hielt er darüber mit seinen Gefährten Rat. Die Muslime dachten darüber nach, wie sie den kampflustigen, blutrünstigen Aggressoren entgegen treten sollten. Salmân Alfârisis Vorschlag, einen Graben – Khandaq - um die Stadt auszuheben, wurde angenommen und an den Stellen ausgeführt, wodurch sich der Feind hineinwagen könnte. Die Muslime gaben sich beim Ausheben des Grabens enorme Mühe; der Prophet nahm an der Arbeit teil, bei der die Muslime sangen:

O Gott, ohne Dich

wären wir nicht rechtgeleitet,

wir hätten nicht gespendet

und nicht gebetet.

Sende uns innere Ruhe herab,

und festen Halt im Gefecht!

Die Ungläubigen tun uns Unrecht.

Wenn immer sie uns versuchen

Lehnen wir hart ab.

Die Ungläubigen rückten heran und der Kampf begann mit Pfeilen. Die Schlacht endete mit der Niederlage der Aggressoren und ihrem Rückzug. Gott, der Allmächtige, sagt:

"Gott ließ die Ungläubigen in ihrer Wut zurückweichen, ohne dass sie ein Ergebnis erreicht hätten. Er nahm den Gläubigen die Mühe des Kampfes ab. Gottes Macht und Gewalt sind unermesslich." *(33. Sure, Die Verbände – Al-Ahzâb, Vers 25).*

So richteten sich alle Kriegszüge (Ghazwa, Pl. Ghazawât) die zur Zeit des Propheten Muhammad stattfanden, gegen Ungerechtigkeit und Aggression, um Unterdrückten beizustehen oder den Glauben, das Leben und die Menschenwürde zu verteidigen. Sie zielten nie auf Rechtsbruch oder Aggression ab.

Viertes Faktum

Die islamische Scharia stellt dem Krieg Bedingungen, die die Gläubigen streng einhalten müssen. Diese Bedingungen und Grenzen sind in Koranversen genannt.

Im folgenden Vers sagt Gott, der Allmächtige:

"Für Gottes Sache sollt ihr gegen den Feind Krieg führen, aber erst dann, wenn ihr angegriffen werdet. Überschreitet nicht das Maß (um Kriege anzuzetteln oder Menschen anzugreifen, die euch nicht angegriffen haben)! Gott liebt diejenigen nicht, die Überschreitungen begehen." *(2. Sure, Die Kuh – Al-Baqara, Vers 190).*

Das arabische Wort "qitâl", das im Vers vorkommt, bedeutet, dass der Mensch versucht, denjenigen zu töten, der bereits versucht hat, ihn zu töten; daraus: das Substantiv "muqâtala" (= einander töten). Im Koranvers verbietet Gott, der Allmächtige, alle Überschreitungsarten, primär Überschreitungen in Kriegshandlungen. Überschreitung bedeutet, dass die Grenzen der göttlichen Gebote und Verbote nicht eingehalten werden.

Paraphrasiert heißt es: Ihr Gläubigen! Ihr sollt in den Krieg ziehen gegen den, der ihn gegen euch anzettelt und eure Unverletzlichkeiten antastet; dabei sollt ihr keine Überschreitungen begehen, so sollt ihr die friedlichen Männer, Frauen und Kinder sowie die alten und kranken oder entschuldbaren Menschen, nicht töten. Ihr sollt wissen, dass Gott diejenigen hasst, die Überschreitungen begehen.

Der große Koran-Exeget Ibn Kathîr zitiert einen Hadîth des Propheten Muhammad (vermittelt durch Buraida und aufgenommen in *Sahîh Muslim*, Muslims Sammlung authentischer Hadîthe des Propheten) mit folgendem Wortlaut: "Zieht in Krieg nur für Gottes Sache, auf dem Wege Gottes; dabei sollt ihr keine Überschreitung, keine Grausamkeit, keine Treulosigkeit, keinen Kindermord, keinen Eremitenmord (Eremiten, die in Klausen beten) begehen".



l) Der Prophet Muhammad pflegte folgendes Gebet vorzutragen:

"O Gott! Du bist As-Salâm (der Frieden), von Dir kommt As-Salâm (der Frieden), lass uns im Salâm (Frieden) leben!"

So erkennt jeder Vernünftige, dass die islamische Scharia den Frieden für das Fundament hält, auf dem die Beziehungen unter den Menschen beruhen. Der "Dschihâd" im Sinn von Kampf ist akzidentell. Dazu wird nur gegriffen, wenn die Not es gebietet.

Drittes Faktum

Alle Kriegszüge (Ghazwa(t), Pl. Ghazawât), die zur Zeit des Propheten Muhammad stattfanden, waren solche, die gegen Ungerechtigkeit und Aggression Widerstand leisteten. Sie gingen nie von Drang nach Macht, Rechtsbruch, Blutdurst und Einschüchterung der friedlichen Menschen aus. Die Beweise sind zahlreich, z. B.:

1) Beim Kriegszug zu Badr (Ghazwat Badr), der der erste im Islam ist, waren es die Ungläubigen von Mekka, die ihn auslösten und entfachten. Der Grund, den einige Historiker unerwähnt lassen, ist die schreckliche Not, die die in Mekka nach dem Hidschra (Auszug) des Propheten Muhammad und einiger Anhänger nach Madina (Medina) Gebliebenen, litten. Diese in Mekka gebliebenen Muslime, die keine Möglichkeit hatten, auszuziehen, waren das Ziel steigender bestialischer, ungerechter Aggression, die sie trotz geduldiger Ausharrung nicht mehr aushalten konnten. Sie beteten zu Gott, wie im Koran nachzulesen ist, folgendermaßen:

2) "Unser Herr! Rette uns aus dieser Stadt, die von Ungerechten regiert wird, und schicke uns durch Deine Gunst einen Beschützer und einen Helfer, der uns zum Sieg führt!" *(4. Sure, Die Frauen – An-Nisâ', Vers 75).*

Gott gab ihrem Bittgebet statt und befahl dem Propheten Muhammad und seinen Anhängern, al-Muhâdschirûn und al-Ansâr, ihren unterdrückten Brüdern zu Hilfe zu eilen. Gottes Worte drücken in betonter Form die Aufforderung aus, für die hilfebedürftigen ungerecht Behandelten zu kämpfen. Er sagt ihnen:

«Warum kämpft ihr nicht auf dem Wege Gottes für die unterdrückten Männer, Frauen und Kinder, die Gott anflehen: "Unser Herr! Rette uns aus dieser Stadt, die von Ungerechten regiert wird, und schicke uns durch



Deine Gunst einen Beschützer und einen Helfer, der uns zum Sieg führt!"» *(4. Sure, Die Frauen – An-Nisâ', Vers 75).*

Der Koranvers bedeutet: O ihr Gläubigen, Muhâdschirûn und Ansâr! Ihr sollt kämpfen, um das Recht walten zu lassen, und um euren Glaubensgenossen beizustehen, die in Mekka nach dem Auszug (Hidschra) des Propheten Muhammad und einiger Anhänger nach Madina (Medina) geblieben waren und von den Ungläubigen auf bestialisch ungerechte Weise so gemartert wurden, dass sie Gott um Rettung anflehten.

Der Prophet Muhammad und seine Gefährten führten den Befehl ihres Schöpfers aus, der ihnen den Weg zum Sieg ebnete. Die Schlacht bei Badr heißt im Koran "yaum al-furqân" - Tag der Entscheidung – denn das Recht siegte entschieden über das Unrecht, die Gerechtigkeit über die Ungerechtigkeit, der wahre Glaube über Vielgötterei, Frevel und Auflehnung. Kurz gefasst verfolgte die Schlacht bei Badr – der erste Waffengang zwischen den Gläubigen und den Ungläubigen – das Ziel, die ungerecht Behandelten zu retten, den heimgesuchten hilflosen Männern, Frauen und Kindern zu helfen, die nicht nach Madina (Medina) auswandern konnten, und der bestialischen Gewalt ausgeliefert blieben, bis Gott den siegreichen Kriegszug – Ghazwat Badr – in die Wege leitete.

3) Was den Kriegszug – Ghazwat "Uhud" anbelangt, waren es nicht die Muslime, die zum Waffengang zogen, sondern die Ungläubigen, die knapp ein Jahr nach ihrer Niederlage bei Badr dreitausend Mann aus eigenen Reihen und Verbündete aus anderen Stämmen zusammentrommelten und bei Musik von Dufûf und anderen Instrumenten, und mit Wein, Weib und Gesang zum Schlachtfeld hinauszogen. Ihre Großen nahmen ihre Frauen mit.

Die Ungläubigen waren fest entschlossen, die Muslime zu schlagen. Sie erreichten die Umgebung von Madina (Medina) und bereiteten sich für die Kampfhandlungen vor. Die Muslime um den Propheten Muhammad berieten sich, wie sie dem Feind Widerstand leisten könnten. Zur Debatte standen zwei Pläne, entweder dem Feind außerhalb der Stadt den Kampf liefern, oder ihn in die Stadt hineinlocken und in den Gassen Mann zu Mann niederringen, während die Frauen ihm von den Hausdächern aus Schläge versetzen sollten. Obwohl der Prophet Muhammad zum zweiten Plan neigte, setzten sich die jungen Kämpfer für den ersten ein und



Und dann wendet er sich nach links und sagt: Gottes-Salâm und Gottesbarmherzigkeit seien mit euch!

e) Im Paradies ist "Salâm" der Gruß, den die Gläubigen von ihrem Schöpfer zu hören bekommen. Gott, der Allmächtige, sagt:

"Ihr Gruß, wenn sie Ihm begegnen werden, wird "Friede!" sein, und Er hat für sie eine edle Belohnung." *(33. Sure, Die Verbände-Al-Ahzâb, Vers 44).*

Der Koranvers bedeutet: Der Gruß, den die Gläubigen von Gott im Paradies bekommen ist "Salâm" (= Frieden) und erfreuen sich der Sicherheit; sie sind geschützt gegen die Strafe Gottes, der ihnen die edle Belohnung – das Paradies – gewährt.

f) Der Gruß der Engel, wenn die Gläubigen ins Paradies eintreten, ist Salâm, wie das in einigen koranischen Versen – wie im Folgenden – vorkommt:

«Diese Frommen und die Rechtschaffenen, denen die Engel, die sie abberufen, sagen: "Friede sei mit euch! Tretet ein ins Paradies als Lohn für eure guten Werke!"» *(16. Sure, Die Bienen - An-Nahl, Vers 32).*

Auch in folgendem Koranvers:

"Die Gottesfürchtigen aber werden in Scharen ins Paradies geführt. Wenn sie dort ankommen, werden sich seine Tore öffnen, und seine Wächter werden ihnen sagen: "Friede sei mit euch! Wohl euch! Tretet ein! Hier werdet ihr ewig bleiben." *(39. Sure, Die Scharen – Az-Zumar, Vers 73).*

g) Auch wenn die Gläubigen im Paradies sind, werden sie von den Engeln mit Salâm (= Frieden) begrüßt. Gott sagt im Koran:

«Die Engel treten zu ihnen durch alle Türen, von allen Seiten ein * und sagen ihnen: "Friede sei mit euch! Das ist euch dank eurer Geduld gewährt worden. Welche Wonne ist in der letzten Wohnstätte!"» *(16. Sure, Der Donner – Ar-Ra'd, Verse 23-24).*

h) Die Gläubigen im Paradies lobpreisen Gott und richten an Ihn, an die Engel und an ihresgleichen den Salâmgruß:



Im Koran heißt es:

«Dort rufen sie: "Gepriesen seist Du, Unser Gott!" Und ihr Gruß wird lauten: "Friede!" Und ihre Gebete beschließen sie immer mit: "Lob sei Gott, Dem Herrn der Welten!"» *(10. Sure, Yûnus - Jonas, Vers 10).*

Das bedeutet, dass die Gläubigen im Paradies Gott preisen, dass sie an Gott den Salâmgruß richten, dass Gott und seine Engel ebenfalls den Salâmgruß an die Gläubigen richten, dass sie einander mit Salâm grüßen und dass sie zum Schluss sagen: "Lob sei Gott, Dem Herrn der Welten!"

i) Im Paradies sagen die Gläubigen einander Salâm (= Frieden). Gott spricht:

"Darin werden sie kein törichtes Gerede hören, sondern nur Frieden. Sie werden dort morgens und abends ihre Versorgung empfangen." *(19. Sure, Maryam - Maria, Vers 62).*

Das bedeutet, dass die Paradiesbewohner nichts Sinnloses hören, sondern Salâmgrüße und dass sie immer alles bekommen, was sie wünschen.

In einer anderen Sure sagt Gott, der Allmächtige:

"Sie hören dort kein sinnloses und kein sündhaftes Gerede, * sondern nur das Grußwort: "Friede! Friede!" *(56. Sure, Das Ereignis – Al-Wâqi'a, Verse 25-26).*

Dieser Koranvers bedeutet, dass die Paradiesbewohner nichts Unsinniges hören, und dass sie sich so keine Sünden aufbürden, sondern sie sagen und vernehmen lautere Salâmgrüße.

j) Die Lailat-al-qadr (Die Nacht der Herrlichkeit), die besser ist als tausend Monate, ist "voller Frieden bis zum Anbruch der Morgenröte". *(97. Sure, Die Herrlichkeit – Al-Qadr, Verse 3-5).*

k) Dâr-es-Salâm - Heimstätte des Friedens – ist einer der Namen des Paradieses. Gott, der Allmächtige, sagt:

"Gott ruft zur Heimstätte des Friedens und leitet, wen Er will, zum geraden Pfad." *(10. Sure, Yûnus - Jonas, Vers 25).*

Das bedeutet, dass Gott, der Allmächtige, seine Diener dazu aufruft, das Paradies durch Glauben und gute Werke zu gewinnen, und Er zeigt durch Seine Rechtleitung, Seinen geraden Pfad, wem Er will.

der Rechtschaffenen annimmt und den Frommen schließlich zum Sieg verhilft.

Dass das Wort "Dschihâd" im Islam auf Kriege und Kämpfe reduziert wird, ist ein Fehler, dem viele westliche und nichtwestliche Autoren verfallen.

Schon vor über siebzig Jahren hat der bekannte Gelehrte Muhammad Ali in seinem wertvollen Buch *The Spirit of Islam*, auf das schwerwiegende, weit verbreitete Missverständnis des "Dschihâd"-Begriffs hingewiesen, das auf die Vermutung zurück geht, "Dschihâd" sei ein Synonym von Krieg. (Vgl. die arabische Übersetzung *Ad-Dîn al-islâmi* S. 413).

Selbst die prominenten Autoren in Europa haben sich keine nennenswerte Mühe gegeben, zuverlässige arabische Wörterbücher oder Koranlexika zu konsultieren, um die genaue Bedeutung zu ermitteln, was zur anhaltenden Verbreitung des Missverständnisses beitrug. Sie hätten sonst erkannt, dass es einen "Dschihâd" gegen den ausgewiesenen angreifenden Feind, einen "Dschihâd" gegen Satan und einen "Dschihâd" im Sinn der Selbstzucht gibt.

Zweites Faktum

Der eigentlich wesentliche ursprüngliche Grund, von dem die islamische Scharia als Regel ausgeht, ist der Frieden. Der "Dschihâd" im Sinn von Kampf ist als Ausnahme akzidentell; dazu wird nur gegriffen, um gegen Aggression, Unterdrückung, Ungerechtigkeit, Unheilstiftung und Auflehnung Widerstand zu leisten.

Zu den Beweisen, die dafür angeführt werden können, gehört das Wort "Islam", das Gott als Bezeichnung für die von Ihm offenbarte Religion angenommen hat, so sagt Er:

"Wahrlich, die (einzige) Religion vor Gott ist der Islam !" *(3. Sure, Die Familie 'Imrân – Âl-'Imrân, Vers 19).*

Das Wort "Islam" ist vom gleichen Stamm wie der "Salâm" (= Frieden) abgeleitet. Beide Wörter "Islam" und "Salâm" haben semantisch gemein, dass sie die Notwendigkeit ausdrücken, den Menschen, die alle gleicher

Abstammung sind, Sicherheit und Geborgenheit, Zusammenarbeit in Frömmigkeit und Wohltätigkeit zu gönnen.

In diesem Sinn sagt Gott, der Allmächtige:

"O ihr Menschen! Fürchtet euren Herrn, Der euch aus einem einzigen Wesen erschaffen hat! Aus ihm erschuf Er seine Gattin. Aus beiden ließ Er viele Männer und Frauen entstehen, die sich überall verbreiteten." *(4. Sure, Die Frauen – An-Nisâ', Vers 1).*

Das Wort "Salâm"(= Frieden) kommt im Koran mehr als dreißig Mal vor.

Ohne Zweifel lenkt die Häufigkeit des Gebrauchs dieses Wortes in vielfältigen Situationen mit unterschiedlichen Ausdrucksmitteln das Denken zu diesem erhabenen Salâm-Friedens-Begriff hin; sie regt Herz, Vernunft und Gemüt an, die Tugend der Verbrüderung der Menschen tief zu verankern, den von Gott erlaubten Interessenaustausch unter den Menschen zu pflegen und schafft die günstige Atmosphäre für Sicherheit und Friedlichkeit unter Individuen und Gemeinden.

a) Zum Segen des Wortes "Salâm"(= Frieden) gehört, dass es einen der Schönen Namen Gottes ergibt: "As-Salâm" (= der Herr des Friedens). Im Koran heißt es:

"Er ist Gott, Allah, außer Dem es keinen Herrn gibt. Er ist der Herrscher, der Heilige, der Herr des Friedens, der Sicherheit Gewährende, der Dominierende, der Allmächtige, der Überwältigende, der Stolze. Erhaben ist Gott über alles, was sie Ihm beigesellen." *(59. Sure, Die Versammlung – Al-Haschr, Vers 23).*

b) Auch zum Segen des Wortes "Salâm"(= Frieden) gehört, dass es die Grußformel bildet, die die Gläubigen aneinander richten. Ein Muslim sagt den anderen, wenn er sie trifft: "As-Salâm-u-'Alaikum" (= Friede sei mit euch!), d.h. er wünscht sich und den anderen Sicherheit und Frieden.

c) In einem Hadith (überlieferte Äußerung des Propheten Muhammad) heißt es: "Gott gab unserer Nation den "Salâm"(= Frieden) zum Gruß und den Nicht-Muslimen unter uns zur Sicherheit."

d) Wenn der Muslim das Gebet verrichtet, zitiert er die Eröffnungssure, weitere Koranverse nach Belieben und richtet einen Salâm-Friedensgruß an den Propheten, an sich selbst und an Gottes rechtschaffene Diener. Nach Abschluss des Gebets wendet er sich nach rechts und sagt: Gottes-Salâm und Gottesbarmherzigkeit seien mit euch!



Hier führen wir einige Fakten an, die unsere Ausführungen beweisen:

Erstes Faktum

Das arabische Wort "dschihâd" ist von "dschahd" abgeleitet, das Folgendes bedeutet: Mühe, Anstrengung, Überanstrengung oder Eifer, um etwas Bestimmtes zu erzielen, zu erwerben (etwa Geld), zu erreichen (etwa ein hohes wissenschaftliches Niveau). Dieser "dschahd" kann körperlich sein, wie bei Sportwettkämpfen und Ähnlichem. Er kann geistig sein, wie die Überwältigung des Gegners durch schlagende Beweise, leuchtende Nachweise und unbestreitbare Zeichen, die jeden Widersacher verstummen lassen.

In diesem Sinn sagt Gott, der Allmächtige, seinem Gesandten, dem Propheten Muhammad:

"Darum höre nicht auf die Ungläubigen und setze dich mit Hilfe des Korans beharrlich mit aller Kraft gegen sie ein!" *(25. Sure, Die Entscheidung - Al-Furqân, Vers 52).*

Das Verb "dschahad" bedeutet hier: "sich beharrlich mit aller Kraft gegen jemanden einsetzen". Der Vers bedeutet: O Muhammad! Wir haben dir den Koran gegeben, der alles enthält, das das Wahre bekräftigt und das Unwahre entkräftet. Bewaffne dich damit! Höre nicht auf die Ungläubigen, die von dir falsche Aussagen und falsche Handlungen wollen! Strenge dich unablässig an! Bemühe dich beharrlich, die dir offenbarte Botschaft Gottes mit Hilfe des Korans bekannt zu machen! Trage den Ungläubigen die koranischen Verse vor, die ihre Lügen entlarven und ihre falschen Behauptungen bloßstellen!

Die Gelehrten erkennen - der Scharia gemäß - drei Arten des Dschihâds:

Erstens: Es gibt einen Dschihâd, den man als Selbstzucht ausübt, um seine Seele davon abzuhalten, Gottes Verbote zu begehen und Gottes Grenzen zu übertreten und sie dazu zu erziehen, den von Gott vorgeschriebenen Pflichten nachzukommen. Gott sagt:

"Bei der Seele und Dem, Der sie gestaltete * und Der ihr die Erkenntnis von Frevel und Frömmigkeit eingab! * Gewinn erzielt, wer sie durch den Glauben und gute Taten läutert. * Verlust erleidet, wer ihre Neigung zum Guten vergeudet." *(91. Sure, Die Sonne - Asch-Schams, Verse 7-10).*



Die Verse bedeuten Folgendes: Es wird durch den Schwur bei der Seele und bei Gott, Der sie gestaltete und sie befähigte, Einflüsse aufzunehmen, die sie bessern, und Der sie das Gute und das Böse erkennen lässt; und bei Gott, Der ihr die Fähigkeit eingab, zwischen dem Wahren und dem Unwahren zu unterscheiden; Wohl dem, der seine Seele von Sünden und Freveln rein hält; Wehe dem, der seine Seele durch böse Taten und Sünden befleckt.

Zweitens: Es gibt einen Dschihâd, der gegen asch-Schaitân – Satan – gerichtet ist und das Ziel verfolgt, sich ihm entschieden zu widersetzen, wenn er dem Menschen das Lasterhafte als schön und das Tugendhafte als hässlich erscheinen lässt.

Gott, der Allmächtige, sagt:

"Der Satan ist euer Feind, so behandelt ihn wie einen Feind! Er ruft seine Anhänger nur auf, damit sie zu den Bewohnern der Hölle gehören." *(35. Sure, Der Schöpfer - Fâtir, Vers 6).*

Drittens: Es gibt aber auch einen Dschihâd gegen die Ungerechten, die Aggressoren, die Unheilstifter auf Erden, um ihr Unrecht, ihre Aggression und ihr Unheil zu beseitigen, und zwar mit allen von Gott rechtmäßig zugelassenen Mitteln, also um dem Recht beizustehen und das Unrecht zu besiegen.

Zu den Versen, die alle drei Dschihâdarten nach der islamischen Scharia umfassen, gehört folgender:

"Den Gläubigen, die sich für Unsere Sache einsetzen, zeigen Wir Unsere Wege. Gott ist gewiss mit den Rechtschaffenen, die sich eifrig um gute Werke bemühen." *(29. Sure, Die Spinnen - Al-'Ankabût, Vers 69).*

Kurz gefasst bedeutet dieser Vers, dass die wahren Gläubigen, die sich dschihâdmäßig die größte Mühe geben, Gott gehorsam zu dienen, sich gegen alles abschirmen, was Gott nicht gefällt, Satan verwerfen und die Ungerechten und Aggressoren bekämpfen, von Gott zum geraden Weg hingeführt werden, denn es gehört zu Gottes Bestimmungen, dass Er sich



sich zum Islam zu bekennen, wie wir unter ***Sechstes Faktum*** gezeigt haben, kann ich ergänzend Seiner Heiligkeit dem Papst des Vatikans Benedikt XVI. einen historisch bewiesenen, faktischen Bericht über Zigtausende aus vielen Ländern, die freiwillig und innerlich überzeugt zum Amt des Großscheichs von Al-Azhar kamen, um ihr Bekenntnis zum Islam bekannt zu geben.

Hier sind einige Daten:

Im Jahr 2000 n. Chr. nahmen den Islam aus 90 Ländern 938 Personen an.
Im Jahr 2001 n. Chr. nahmen den Islam aus 91 Ländern 860 Personen an.
Im Jahr 2002 n. Chr. nahmen den Islam aus 93 Ländern 1116Personen an.
Im Jahr 2003 n. Chr. nahmen den Islam aus 98 Ländern 1344Personen an.
Im Jahr 2004 n. Chr. nahmen den Islam aus 122 Ländern1671Personen an.
Im Jahr 2005 n.Chr. nahmen den Islam aus 104 Ländern 2052Personen an.

All diese Männer und Frauen kamen aus freien Stücken, innerlich überzeugt, zum Amt des Großscheichs von Al-Azhar, um ihr Bekenntnis zum Islam öffentlich bekannt zu geben. Keiner hat sie gezwungen, weder mit dem Schwert, wie der byzantinische Kaiser behauptete, noch mit irgendeinem Zwangs- oder Druckmittel, wie andere erdichten.

Zum Schluss ziehen wir das Fazit. Jeder Vernünftige wird in aller Klarheit erkannt haben, dass die islamische Scharia alle Äußerungen, Handlungen und Glaubensbekenntnisse für nichtig hält, die durch Zwang, Gewalt oder Druck erfolgen, weil diese ihren Grundsätzen zuwiderlaufen, beruht doch die islamische Scharia auf Überlegung, Nachdenken, Überzeugung, freier Entscheidung und Glaubensfreiheit.

Es stellt sich auch eindeutig heraus, dass jeder, der behauptet, dass sich der Islam mit Schwert und Gewalt verbreitete, lügt, sich irrt und der Wahrheit widerspricht. "Gott leitet, wen Er will zum geraden Weg.."*(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara, Vers 213).*

* * * *



2

Im ersten Artikel dieser Reihe haben wir erwähnt, dass Seine Heiligkeit Papst Benedikt XVI. in seinem am 12. September 2006 an der Universität zu Regensburg gehaltenen Vortrag sagte, er habe kürzlich in einem Buch von Professor Theodore Khoury (Münster) einen Teil des Dialogs vom byzantinischen Kaiser [Manuel II. Palaeologos] mit einem gebildeten muslimischen Perser gelesen.

Der Kaiser soll sich in erstaunlich schroffer Form ganz einfach mit der zentralen Frage nach dem Verhältnis von Religion und Gewalt überhaupt an den Muslim gewandt haben und zum Ergebnis gekommen sein, dass der Islam durch das Schwert verbreitet worden wäre.

Wir haben in dem Artikel sieben Fakten angeführt, die die Beweise dafür ablegen, dass sich der Islam durch Überzeugung und freie Entscheidung und nicht durch Schwert und Zwang verbreitete.

Der byzantinische Kaiser ist in dem genannten Dialog mit dem Muslim auf die Frage des **"Dschihad im Islam"** eingegangen und hat gemeint, er bezwecke nach der islamischen Scharia Mord und Aggression.

Im vorliegenden Artikel gedenken wir, nach bestem Wissen und Gewissen, und mit aller Objektivität und Korrektheit, Seiner Heiligkeit dem Papst des Vatikans die wahren Ziele des von der Scharia - dem islamischen Recht – zugelassenen Dschihad zu erklären, die viele westliche und nicht-westliche Autoren nicht kennen.

Seine Heiligkeit der Papst und auch andere Leser werden erkennen können, dass der Dschihad im Islam schariamäßig statthaft ist, um Glauben, Leben, Besitz, Menschenwürde zumal der Unterdrückten, ja alles zu verteidigen, was gemäß der Scharia, der Vernunft, dem Recht und dem Sittengesetz verteidigungspflichtig ist. Der Dschihad ist von der Scharia nicht erlaubt, um friedliche Menschen zu töten, zu terrorisieren, zu erniedrigen oder anzugreifen, wie manche behaupten.



Es fehlt nicht an Gelehrten, die die Meinung vertreten, dass ein Zwang in Glaubensdingen und Handlungen zu keinem Ergebnis führt.

Der Zwang bedeutet, einen anderen dazu zu bringen, etwas zu meinen, was er nicht meint und woran er nicht glaubt, und danach zu handeln. Du könntest vielleicht, einen entsprechend dem, was du liebst, handeln zu lassen; aber es ist schwer, wenn nicht gar unmöglich, ihn gegen seinen Willen einen Glauben annehmen zu lassen, und ihn deinem Glauben entsprechend zu handeln.

Sechstes Faktum

Es steht historisch und faktisch fest, dass die Muslime niemals dazu gegriffen haben, jemanden dazu zu zwingen, sich zum Islam zu bekennen. Wenn sie ein Land eroberten, boten sie seinen Bewohnern den Islam an; wenn sie ihn aus Überzeugung annahmen, ging das; wenn sie ihn ablehnten und bei ihrem Glauben und ihrer Konfession blieben, willigten sie ein und behandelten sie gerecht gemäß der islamischen Scharia.

Wir haben bereits den Anlass der Offenbarung des Koranverses 256 in der 2. Sure, Al-Baqara - Die Kuh, : *"Kein Zwang in Glaubenssachen»"* - *"Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden"* erwähnt, und unterstrichen, wie der Prophet Muhammad es ablehnte, dass der zum Islam übergetretene Mann seine zwei Söhne dazu zwingt, ihren Glauben zu verlassen und den Islam anzunehmen.

Die Chronisten berichten, dass der Kalif 'Omar ibn Al-Khattâb einer alten Nicht-Muslimin sagte: "Bekenne dich zum Islam, so bist du wohlbehalten!" Darauf antwortete sie: "Ich bin eine alte Frau, dem Tod nah, und ich will bei meinem Glauben bleiben." 'Omar sprach: "Gott sei Zeuge! Ich habe die Botschaft überbracht."

Wenn jemand sagt, es stehe im authentischen Hadîth des Propheten Muhammad, dass der Prophet Muhammad sagte: "Mir ist befohlen worden, gegen an-nâs (die den Islam bekriegenden Menschen) zu kämpfen bis sie sagen: «Außer Gott, dem Einen, gibt es keinen Gott! ». Wer das sagt, schützt mir gegenüber sein Leben und sein Hab und Gut, ausschließlich nach dem Recht des Islams und Gott allein rechnet mit ihm ab."

Mancher bei oberflächlichem Blick könnte verstehen, dass der Hadîth dem Koranvers 256 in der 2. Sure, *Die Kuh - Al-Baqara*: *"Kein Zwang in*



Glaubenssachen»" - *"Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden"* widerspricht, weil der Kampf Zwang bedeuten könnte.

Dieses Bedenken bedarf einer Richtigstellung. Nach den zuverlässigen Gelehrten bedeutet das Wort an-nâs hier: die Menschen, die gegen den Islam mit allen Mitteln Krieg führen, die ihre Feindschaft kundgeben und im Herzen noch mehr Feindschaft verhehlen. Diese Menschen sind die, die der Prophet in seinem Hadîth meinte: "Mir ist befohlen worden, gegen an-nâs (die den Islam bekriegenden Menschen) zu kämpfen bis sie sagen: «Außer Gott, dem Einen, gibt es keinen Gott!»" Auch diese sind es, deren Aggression und Ungerechtigkeit wir gemäß Gottes Befehl zurückschlagen müssen, um unsere Würde zu wahren.

Was die anderen Menschen anbelangt, die nicht zu unseren Glaubensgenossen gehören, mit uns nicht zusammen leben und uns nichts Böses tun, gilt die koranische Vorschrift: "Wenn sie euch gegenüber korrekt sind, seid korrekt mit ihnen!" *(9. Sure, Die Reue - At-Tauba, Vers 7).*

Was die Nicht-Muslime anbelangt, die mit uns – und wir mit ihnen – in der gleichen Heimat zusammenleben, und die mit uns gemeinsame Interessen verbinden, so gilt der islamische Scharia-Grundsatz: "Sie haben die gleichen Rechte und Pflichten wie wir."

Es gibt keine historischen Berichte darüber, dass ein Muslim, sei er Herrscher oder Untertan, der irgend einen Anhänger anderer Glauben zwang, sich zum Islam zu bekennen, denn der aufrichtig gläubige fromme Muslim befolgt die koranische Vorschrift:

"Gott verbietet euch nicht, gegen diejenigen, die euch des Glaubens wegen nicht bekämpft und euch aus euren Häusern nicht vertrieben haben, gütig und gerecht zu sein. Gott liebt die Gerechten. * Er verbietet euch nur, euch mit denjenigen zu verbünden, die euch des Glaubens wegen bekämpft, euch aus euren Häusern vertrieben und anderen bei eurer Vertreibung Beistand geleistet haben. Das sind die Ungerechten." *(60. Sure, Die Geprüfte - Al-Mumtahana, Verse 8-9).*

Siebtes Faktum

Wenn es historisch und faktisch fest steht, dass die Muslime – Herrscher oder Untertanen - niemals dazu gegriffen haben, jemanden dazu zu zwingen,



Prophet: "Nein, ʻAmmâr ibn Yâsser ist von Kopf bis Fuß voller Glauben; er hat den Glauben in Fleisch und Blut." Bald darauf kam ʻAmmâr ibn Yâsser weinend zum Propheten, der ihm die Tränen trocknete und ihn fragte: "Wie findest du dein Herz?" Er antwortete: "Mein Herz ist des Glaubens sicher." Der Prophet sprach: "O ʻAmmâr! Wenn sie wieder dasselbe tun sollten, tu wieder dasselbe!" Gemeint ist: wenn sie dich wieder fast tödlich martern sollten, darfst du wieder mündlich den Glauben verleugnen.

Kurz gefasst bedeutet der Koranvers 106 in der 16. Sure, *Die Bienen - An-Nahl*, dass, derjenige, der nach Bekanntgabe seines Glaubens an Gott, den Einen, an den Propheten Muhammad und an die Wahrhaftigkeit der von ihm vermittelten Botschaft Gottes, freiwillig zum Renegaten wird, verdient eine schwere Strafe. Aber wenn ein Gläubiger gezwungen wird, seinen Glauben, den er im Herzen zuversichtlich trägt, mündlich zu verleugnen, bürdet er sich keine Sünde auf. Eine schwere, strafbare Sünde begeht aber derjenige, der frohen Herzens zum Unglauben wechselt und ihn für wahr hält. Viele Gelehrte entnahmen diesem Vers, dass es statthaft ist, dass ein Gläubiger etwas sagt, das der Scharia zuwiderläuft, wenn er einem lebensgefährlichen Zwang ausgesetzt ist; er gilt nicht als Renegat, solange er im Herzen festen Glauben trägt und am Islam unerschütterlich festhält.

Fünftes Faktum

Jeder Mensch, der einen gesunden Verstand hat, weiß, dass man durch Zwang keine wahren Gläubigen gewinnt. Es entstehen dadurch nur verlogene Heuchler, die anders reden als sie im Verborgenen denken. Solche Heuchler verabscheut der Islam mehr als die offensichtlichen Gegner, weil man sich vor den offensichtlichen Glaubensgegnern in Acht nehmen kann.

Derjenige aber, der so macht, als wäre er dir treu, nachdem du ihn zu deinem Glauben gezwungen hast oder weil er von Natur aus Heuchler ist, ist bei Weitem schädlicher und feindseliger als der ausgewiesene Feind; was er an Unheil auf Erden und im Bereich der Religion stiftet, ist noch schlimmer.



In vielen Koranversen werden deswegen Heuchler und Heuchelei getadelt, und die Gläubigen vor ihren Untaten und Heimtücken gewarnt. So in folgenden Koranversen:

«Wenn die Heuchler zu dir kommen, sagen sie so dahin: "Wir bezeugen, dass du wirklich Gottes Gesandter bist." Gott weiß, dass du wahrhaftig Sein Gesandter bist, und Gott bezeugt auch, dass die Heuchler entschiedene Lügner sind. * Sie verstecken sich hinter falschen Schwüren und gehen von Gottes Weg ab. Wie schlimm handeln sie! * Das liegt daran, dass sie geglaubt und dann verleugnet haben. So wurden ihre Herzen versiegelt, so dass sie nicht verstehen können.» *(63. Sure, Die Heuchler - Al-Munâfiqûn, Verse 1-3)*.

Auch in den folgenden Versen:

"Es gibt auch Menschen, die sagen, dass sie an Gott und den Jüngsten Tag glauben. Doch zu den Gläubigen zählen sie nicht. * Sie wollen Gott und die Gläubigen betrügen. In Wirklichkeit betrügen sie sich selbst, ohne sich dessen bewusst zu sein." *(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara-, Verse 8-9)*.

Ebenfalls in den folgenden Koranversen:

"Die Heuchler meinen, sie könnten Gott täuschen, aber Er ist es, Der sie in ihrer Täuschung verstrickt sein lässt. Wenn sie zum Gebet aufstehen, stellen sie sich nachlässig auf. Sie wollen lediglich gesehen werden und gedenken Gottes nur wenig. * Sie schwanken zwischen beiden Parteien, weder halten sie zu diesen, noch zu jenen. Wer sich dem Irrweg verschrieben hat, den lässt Gott ihn gehen, und er wird nicht zum geraden Pfad finden können." *(4. Sure, Die Frauen - An-Nisâ', Verse 142-143)*.

Aus den angeführten Koranversen entnimmt jeder Mensch mit gesundem Menschenverstand, dass der Zwang in Glaubenbekenntnissen in völligem Widerspruch zur islamischen Scharia - dem Gesetz des Islam – steht, die nur den Glauben erkennt, zu dem der Mensch durch freien Willen, Einverständnis und Überzeugung gelangt. Nur durch ein solches Kredo kann der Gläubige wahrhaftigen Glauben besitzen und gute Werke tun, die davon Zeugnis ablegen, dass das, was er sagt, dem in seinem Herzen fest verankerten Glauben entspricht.



Zweitens:

Die Sure Al-Baqara - Die Kuh, in der der gemeinte Koranvers einer der letzten ist, begann dem Propheten Muhammad in Medina im zweiten Jahr nach der Hidschra von Gott herabgesandt zu werden, d. h. rund fünfzehn Jahre nach dem Anfang der Verkündung des Islams. Der letzte offenbarte Koranvers gehört zu den abschließenden Versen dieser Sure. Er ist dem Propheten Muhammad acht Tage vor seinem Tod herabgesandt worden; er lautet:

"Fürchtet den Tag, an dem ihr zu Gott zurückgebracht werdet und jeder seinen Taten entsprechend belohnt wird! Ihnen wird kein Unrecht zugefügt." *(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara, Vers 281).*

Drittens:

Die Herabsendung der Koranverse dieser Sure, die die längste Sure des Korans ist, hat mehrere Jahre gedauert, und der Vers 256 der Sure: *"Kein Zwang in Glaubenssachen»" - "Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden"* dürfte zu den letzten offenbarten der Sure gehören.

Viertens:

Was den Anlass der Offenbarung des Koranverses 256 in der 2. Sure, Al-Baqara - Die Kuh, : *"Kein Zwang in Glaubenssachen»" - "Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden"* anbelangt, berichten die Koran-Exegesen, dass ein zum Islam übergetretener Mann aus Medina, dessen zwei Söhne den Islam nicht annahmen, zum Propheten ging und ihm sagte: "Gottesgesandter! Kann ein Teil von mir – also meine Söhne – in die Hölle kommen und ich schaue nur zu? Gottesgesandter! Ich will sie zur Annahme des Islams zwingen." Der daraufhin offenbarte Koranvers legte den Grundsatz fest: "Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden. Der Weg der Wahrheit ist klar und von dem des Irrtums abgegrenzt."

Fünftens:

Kurz und bündig lautet die Exegese dieses Koranverses: Die Annahme des islamischen Glaubens erfolgt keineswegs durch Zwang. Das liegt an seiner vollkommenen Rechtleitung, seiner klaren Orientierung und seiner toleranten Zielsetzung. Die offenbarten Verse heben das Wahre vom Falschen und die Rechtleitung von der Irreführung ab. Wer alle Gottheiten außer Gott verleugnet, nur an Gott, den Einen, den Allmächtigen glaubt, der geht unerschütterlich den vorbildlichen geraden Weg, und hält am



unzerreißbaren Seil der Religion fest; Gott hört alles, was seine Diener sagen, weiß alles, was sie tun und kennt alle Absichten, die sie hegen, und wird ihnen dafür Vergeltung gewähren.

Wir kommen zur Schlussfolgerung, dass die Äußerungen des byzantinischen Kaisers über den Koranvers und die Sure, in der er vorkommt, und die Behauptungen, diese Sure sei eine der frühen Suren aus der Zeit, in der der Prophet Muhammad selbst noch machtlos und bedroht wäre lauter erlogene Äußerungen und Behauptungen sind.

Hoffentlich habe ich Seiner Heiligkeit dem Papst der römisch-katholischen Kirche durch diese Erklärung die richtige Bedeutung dieses Koranverses vorgelegt, dem viele Leute falsche Interpretationen geben, die der Vernunft und der Überlieferung eindeutig zuwiderlaufen.

Viertes Faktum

Die Scharia - das Gesetz des Islam - hält für nichtig jede Äußerung, jede Handlung und jedes Glaubensbekenntnis, die ein Mensch gegen seinen freien Willen, durch Zwang, Gewalt oder Ähnliches, d.h. ohne wahrhaftiges Einverständnis und innere Überzeugung leisten muss. Sie hat sogar den Menschen erlaubt, Dinge zu sagen, die ihrem Glauben zuwiderlaufen, wenn sie tödlichen Qualen und Martern ausgesetzt werden; die mündliche Äußerung stellt ihren Glauben nicht in Frage, solange sie im Herzen wahrhaftig glauben und tiefe Zuversicht hegen.

Der Beweis dafür ist in Gottes Offenbarung enthalten. Gott sagt:

"Auf diejenigen, die nach Annahme des Glaubens Gott leugnen und den Unglauben gern annehmen - ausgenommen die, die dazu gezwungen werden und den rechten Glauben sicher im Herzen haben - wird Gottes Zorn kommen, und sie werden schwer bestraft werden." *(16. Sure, Die Bienen - An-Nahl, Vers 106).*

Die Koran-Exegesen führen, was den Anlass der Offenbardung dieses Verses anbelangt, überlieferte Berichte an; so berichten sie, dass die Polytheisten 'Ammâr ibn Yâsser so grausam gemartert haben, dass er dem Tod nah war und ihn gezwungen, Dinge zu sagen, die den Lehrsätzen des Islams zuwiderlaufen; so gab er ihnen mündlich das zu hören, was sie erzwingen wollten. Einige Muslime sagten dem Propheten: "Gottesgesandter! 'Ammâr ibn Yâsser hat den Islam aufgegeben!" Darauf antwortete der



Im folgenden Vers sagt Gott, der Allmächtige:

"Sprich: «Ich kann mir selbst weder nützen noch schaden. Nur Gott allein bestimmt das. Wenn ich um das Verborgene wüsste, hätte ich mir Vorteile verschafft und dafür gesorgt, dass ich keinen Schaden erleide. Ich bin nichts anderes als ein Warner und ein Verkünder für ein Volk, das an Gott glaubt.»." *(7. Sure, Die Höhen - Al-A'râf, Vers 188).*

Im Vers 2 von der 11. Sure sagt Gott, der Allmächtige:

"Mit diesem Buch Gottes ermahnst du die Menschen: «Ihr sollt keinem außer Gott dienen. Ich bin zu euch als Warner und Verkünder froher Botschaft gesandt worden»." *(11. Sure, Hûd, Vers 2).*

Gott, der Allmächtige, sagt:

"Ob Wir dich etwas sehen lassen von dem, was Wir ihnen an Lohn oder Strafe verheißen haben oder dich vorher zu Uns abberufen, dir obliegt die Mahnung und Uns die Abrechnung." *(13. Sure, Der Donner - Ar-Ra'd, Vers 40).*

Im folgenden Vers sagt Gott, der Allmächtige:

"Wenn sie sich abwenden, so haben Wir dich nicht zum Wächter über sie gemacht. Dir obliegt nur, die dir offenbarte Botschaft zu verkünden." *(42. Sure, Die Beratung - Asch-Schûra, Vers 48).*

Auch im folgenden Vers sagt Gott, der Allmächtige:

"Ermahne sie! Du bist nur Ermahner! * Du bist kein Tyrann, der sie unterjocht.

(88. Sure, Die Verhüllende - Al-Ghâschiya, Verse 21-22).

Im folgenden Vers sagt Gott, der Allmächtige:

"Du bist nicht da, um sie zu zwingen. Ermahne mit dem Koran diejenigen, die zu glauben willens sind und die Meine Drohung fürchten!" *(50. Sure, Qâf, Vers 45).*

Auch in folgenden Versen sagt Gott, der Allmächtige:

"Hätte Gott es gewollt, wären alle Menschen auf Erden samt und sonders gläubig geworden. Möchtest du etwa die Menschen zum Glauben



zwingen? * Keiner würde ohne Gottes Erlaubnis glauben können. Die schmachvolle Strafe gilt nur den Ungläubigen, die die Vernunft nicht gebrauchen." *(10. Sure, Jonas - Yûnus, Vers 99-100).*

Aus diesen Koranversen und vielen anderen geht hervor, dass die Verkündigung durch den Propheten Muhammad den Weg der Weisheit, der besonnenen wohlwollenden Predigt, der schönen, auf die korrekteste Art geführten Gespräche erfolgte. Er griff dabei kein einziges Mal zu Schwert, Gewalt oder Zwang.

Wer diese Koranverse genau betrachtet, erkennt, dass sie den Propheten Muhammad dazu ermahnen, bei der Einladung zur Wahrheit, unbedingt das gute Wort, die vernunftgemäße Leitung und das korrekte Verhalten zu gebrauchen, und zwar auf unterschiedliche Weise, teils durch zuversichtliche Verheißung, teils durch Warnung. Ermahnen sollte er, abrechnen durfte er nicht. Erinnern sollte er, unterjochen durfte er nicht. Die angeführten Koranverse lehrten den Propheten Muhammad, dass er kein Tyrann, kein Gewaltherrscher sei, dass Gott, der Allmächtige, alle Menschen rechtleiten könnte, der Prophet Muhammad könnte und dürfte die Menschen nicht dazu zwingen, ihm zu folgen oder seine Religion anzunehmen.

Drittes Faktum

Zum Vers, den der byzantinische Kaiser zitierte, Vers 256 der 2. Sure: *"Kein Zwang in Glaubenssachen»" - "Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden"* und von dem er behauptete, er stünde in einer der frühen Suren aus der Zeit, in der "Mohammed" selbst noch machtlos und bedroht war, möchte ich Seine Heiligkeit den Vatikan-Papst Benedikt XVI. korrigieren.

Erstens:

Der gemeinte Koranvers lautet: "Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden. Der Weg der Wahrheit ist klar und von dem des Irrtums abgegrenzt. Wer die Tâghût-Teufel verwirft und an Gott glaubt, hält an dem unauflösbaren Bund fest. Gott hört alles und weiß alles." *(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara, Vers 256).*



"Wir schicken die Gesandten nur als Freudenboten und Warner; diejenigen, die an Gott glauben und gute Werke verrichten, haben nichts zu befürchten und sollen nicht traurig sein." *(6. Sure, Das Vieh - Al-An'âm, Vers 48).*

Das bedeutet, dass Gott seine Gesandten und Propheten zu den Menschen nur dafür entsendet, dass sie den Gläubigen, die Gott fest vertrauen und Ihm gehorchen die Freudenbotschaft des großen Lohns, und den widerspenstigen Ungläubigen die Warnung vor schwerer Strafe verkünden.

Diejenigen, die an Gott glauben und gute Werke getan haben, brauchen nicht um ihre Zukunft zu bangen und ihrer Vergangenheit wegen nicht traurig zu sein.

In einem anderen Koranvers sagt Gott, der Allmächtige:

"Es waren Gesandte, die frohe Botschaften und Warnungen überbrachten, damit die Menschen Gott gegenüber nicht argumentieren können, sie hätten es nicht gewusst. Gott ist allmächtig und allweise. Er kann und weiß alles."*(4. Sure, Die Frauen - An-Nisâ', Vers 165).*

Hier sagt Gott, dass Er seiner Weisheit und seinem unveränderlichen, unverwandelbaren Gesetz gemäß beschloss, zu den von Ihm geschaffenen Menschen viele Gesandte zu entsenden, deren genaue Zahl Gott allein weiß.

Die Aufgabe dieser Gesandten besteht darin, den guten Menschen ein gutes, und den Bösen, die Unheil stiften, ein böses Ende zu verkünden. Gott ist absolut allmächtig und absolut allweise in allem, was er sagt, tut und für seine Diener verfügt.

Wir können auch aus der 2. Sure, Vers 213, folgende Sätze anführen:

"Die Menschen waren einst eine einzige Gemeinschaft. Dann sandte Gott die Propheten als Warner und Freudenboten zu ihnen."*(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara, Vers 213).*

Diesem koranischen Vers entnehmen wir, dass die Menschen einst eine einzige harmonische Gemeinschaft bildeten, da sie einig darüber waren, Gott, dem Einen, dem Allgewaltigen aufrichtig zu dienen, dann fielen sie durch Kontroversen in Glaubens- und Verhaltensfragen auseinander. Infolgedessen entsandte Gott ihnen seine Gesandten und Propheten. Sie



verkündeten denjenigen, die an Gott glauben und gute Werke tun, ein gutes, erfreuliches Ende und warnten diejenigen, die Gott andere Gottheiten beigesellen, vor einem schrecklichen Ende.

Wie wir erkennen können, stellen die zitierten Koranverse klar, dass alle Gesandten dazu berufen sind, den Gläubigen, die gute Werke tun, ein gutes Ende zu verkünden und diejenigen, die Gott andere Gottheiten beigesellen vor einer schrecklichen Strafe zu warnen. Sie sind nicht dazu befugt, Menschen dazu zu zwingen, ihnen zu folgen oder ihren Glauben anzunehmen.

Zweites Faktum

Der Heilige Koran hat in vielen Versen besonders in Bezug auf den Propheten Muhammad bestätigt, dass seine Botschaft allen Menschen, sogar Menschen und Dschinn gilt. Sein an sie gerichteter Aufruf zielt darauf ab, dass man aufrichtig Gott, dem Einen, dient und sich tugendhaft den besten moralischen Werten entsprechend benimmt. Dafür sprach er sanft, leitete sie vernunftgemäß und führte auf die korrekteste Art und Weise Gespräche mit ihnen.

Er machte niemals von Gewalt, Zwang, Terror, Einschüchterung, Drohung oder sonstigen Unterdrückungsmitteln Gebrauch.

Davon legen viele Koranverse Zeugnis ab. So sagt Gott, der Allmächtige, z. B.:

"Wir haben dich als Warner und Freudenboten mit der Wahrheit gesandt. Du bist für die Bewohner der Hölle nicht verantwortlich." *(2. Sure, Die Kuh - Al-Baqara, Vers 119).*

Weiter sagt Gott, der Allmächtige:

"Wir haben dich zu allen Menschen als Verkünder froher Botschaft und Warner entsandt. Doch die meisten Menschen wissen es nicht." *(34. Sure, Saba - Saba', Vers 28).*

Weiter sagt Gott, der Allmächtige:

"O Prophet! Wir haben dich als Zeugen, Überbringer froher Botschaft und Warner entsandt * und als Rufer zu Gott mit Seiner Erlaubnis und als strahlendes Licht." *(33. Sure, Die Verbände - Al-Ahzâb, Verse 45-46).*

1

Im Januar 2000 und im Rahmen seiner Ägypten-Reise besuchte Seine Heiligkeit Papst Johannes Paul II. das Amt des Großscheichs von Al-Azhar. Während des Besuches wurden wohlwollende Worte und erfreuliche Erklärungen ausgetauscht, in denen gegenseitige Vereinbarungen getroffen wurden, die von hoch verehrten Propheten gestifteten Religionen zu respektieren.

Die guten Beziehungen zwischen Al-Azhar und Seiner Heiligkeit, dem verstorbenen Papst Johannes Paul II., blieben aufrechterhalten. Vor einigen Tagen hielt der jetzige Papst des Vatikans an einer deutschen Universität einen Vortrag über das Thema ***Glaube, Vernunft und Universität***.

Im Großen und Ganzen handelt es sich um einen religionsphilosophischen Vortrag über Gott aus christlicher Sicht und die christlichen Strömungen im Mittelalter.

Seine Heiligkeit hat aber im ersten Teil seines Vortrages, nach einigen persönlichen Erinnerungen an die Universität, folgendes gesagt: "All dies ist mir wieder in den Sinn gekommen, als ich kürzlich den von Professor Theodore Khoury (Münster) herausgegebenen Teil des Dialogs las, den der [...] byzantinische Kaiser [...] im Winter [...] 1391 n. Chr. mit einem gebildeten Perser [...] führte."

Der erwähnte Dialog soll "Christentum und Islam und beider Wahrheit" behandelt haben.

Laut Khourys Buch "...kommt der Kaiser auf das Thema des Djihad [...] zu sprechen. Der Kaiser wusste sicher, dass in der Sure 2, 256 steht: **"Kein Zwang in Glaubenssachen»" - "Niemand soll zu einem Glauben gezwungen werden»"** (2. Sure Die Kuh - Al-Baqara) – es ist eine der frühen Suren aus der Zeit, in der Mohammed selbst noch machtlos und bedroht war. Aber der Kaiser kannte natürlich auch die im Koran niedergelegten – später entstandenen – Bestimmungen über den heiligen Krieg."

Weiter heißt es: "[Der Kaiser wendet sich] in erstaunlich schroffer Form ganz einfach mit der zentralen Frage nach dem Verhältnis von Religion und Gewalt überhaupt an seinen Gesprächspartner [den Perser]. Er sagt: "Zeig mir doch, was Mohammed Neues gebracht hat und da wirst du nur

Schlechtes und Inhumanes finden wie dies, dass er vorgeschrieben hat, den Glauben, den er predigte, durch das Schwert zu verbreiten."

* * * * *

Wir nehmen Seiner Heiligkeit dem Papst Benedikt XVI. übel, dass er aus Theodore Khourys Buch die boshafte Äußerung vom unglaubwürdigen byzantinischen Kaiser über den Islam und dessen Propheten Muhammad zitiert, ohne dabei zum Ausdruck zu bringen, dass er dieses abfällige hässliche Gerede verurteilt.

Unter den rational denkenden Menschen ist wohl bekannt, wenn jemand eine boshafte Äußerung von einem Dritten anführt, ohne gerecht Stellung dazu zu nehmen, wirkt er, als sei er mit dieser boshaften Äußerung einverstanden oder als stamme sie von ihm selbst.

Wir wünschen sehr, Seine Heiligkeit der Papst der römisch-katholischen Kirche hätte diesen Fehler nicht begangen, der den Grundsätzen der Religionsdisziplinen und der wissenschaftlichen Methode zuwiderläuft, zumal sein Vortrag das Christentum, sein Kredo und seinen Begriff von der Vernunft behandelt, lauter Themen, die ein Hineinzwängen des Islams nicht erfordern.

Der byzantinische Kaiser behauptet, dass der Islam mit Gewalt verbreitet wurde, und Seine Heiligkeit der Papst der römisch-katholischen Kirche wiederholt seine Äußerung, wie er sie in Theodore Khourys Buch gelesen hatte, so als sei er damit einverstanden.

In diesem meinem Artikel werde ich Seiner Heiligkeit dem Papst der römisch-katholischen Kirche nach bestem Wissen und Gewissen, und mit aller Objektivität und Korrektheit einige tradierte und rationale Fakten vorlegen, die klar beweisen, dass der Islam eine Religion ist, die sich nicht gegen Ablehnung durch Zwang und Gewalt, sondern durch Überzeugung und besonnene freie Wahl verbreitete.

Erstes Faktum

Alle Gesandten sind von Gott zu ihren Gemeinden als Warner und Freudenboten und nicht als Gewalttäter entsandt worden, die die Menschen zwingen sollten, ihnen zu folgen.

Aus den Koranversen, die diese Tatsache bekräftigen, führen wir den folgenden an, in dem Gott sagt:



Im Namen Gottes,

des Gnädigen,

des Barmherzigen.



Muhammad Sayyid Tantâwi
Großscheich von Al-Azhar

So ist der Islam

Ruhiger Dialog mit dem Papst vom Vatikan

aus dem Arabischen übersetzt
von
Moustafa Maher

Kairo 2006





Zu.L. - Hejja . 1427 H. Jan. 2007.
Vol. 79, Part XII.

Muhammad Sayyid Tantâwi
Großscheich von Al-Azhar

So ist der Islam

Ruhiger Dialog mit dem Papst vom Vatikan

aus dem Arabischen übersetzt
von
Moustafa Maher

Kairo 2006

